

المصحف الجامع

لعلوم القرآن الكريم

مختصر تفسير الطبري
شرح أسماء الله الحسنى
أسباب النزول للسيوطي
فوائد بلاغية لاستخدام الألفاظ
في القرآن، فوائد لغوية
فوائد الأعمال الصالحة، فوائد
الجمع بين الآيات، فوائد وعظية

توجيه بلاغي لمتشابهات الألفاظ
توجيه بلاغي للقراءات العشر
إعجاز علمي وتشريعي
وتاريخي واقتصادي وعددي
نزول كل سورة وعدد حروفها
وكلماتها وترتيبها وآياتها وأسماؤها
ومواضيعها وفضلها

مع ملحق

مباحث في علوم القرآن
فهارس لموضوعات سور القرآن
فهارس لموضوعات القرآن
أحكام تجويد القرآن الكريم

مع استخدام فكرة الترميز اللوني لكل علم من علوم القرآن الكريم

إعداد
خادم القرآن الكريم
الدكتور/ ياسر محمد مرسي سومي
مدرس القرآن بالحرم النبوي الشريف

راجعه وقدم له نخبة من العلماء

الشيخ/ صلاح محمد شبانة
مدرس القرآن بالحرم النبوي الشريف

الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي
رئيس قسم النحو بكلية دار العلوم سابقا

الشيخ/ عز الدين حسين حسن
ماجستير في أدب الحديث النبوي

الشيخ/ فرج عبد العال أحمد
مدرس القرآن والقراءات وعلوم القرآن

الشيخ/ أحمد حامد عبد الحافظ
مدرس القرآن والقراءات العشر الصغرى والكبرى



القرآن الكريم

بِرِوَايَةِ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ

بِالرَّسْمِ العُثْمَانِي

شَرُفَتْ بِطِبَاعَتِهِ

دار التقوى

للنشر والتوزيع شبرا الخيمة

الإدارة : ٤٤٧١٥٥٠٦(٢٠٢)

التوزيع : ٤٤٧٣١٨٢٤– ٤٢٢٣١١٠٣(٢٠٢)

رقم الإيداع: 2014/7135

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978-977-429-262-4

مقدمة الشيخ/ صلاح بن محمد شبانة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل القرآن، وجعله نورًا وهدىً لأولي النهى، ومنهجًا لمن أراد الخير والبرهان، وصلى الله وسلم على من نزل عليه القرآن، فبلغه بأوضح سبيل، وأفصح لسان.

وبعد:

فقد يسر الله للأخ الكريم الشيخ/ ياسر محمد بيومي خدمة كتاب ربه فكان له من اسمه نصيب، فهو ياسر وميسر لفهم القرآن المجيد، وللعمل لتوضيح معانيه ومراميه، ومافيه من خير في بلاغته وإعجازه وتشريعه.

ولطالما اشتاقت النفوس لسفر جامع يحمله قارئ القرآن ومقرئه في حله وترحاله، يشبع نهمه ويروي ظمأه فكان "المصحف الجامع" الذي أخرجه لنا الشيخ ياسر ليكون عونًا لمحب القرآن وقارئه وحافظه، يجد فيه التفسير والتجويد والبلاغة والتوحيد والإعجاز اللغوي والعددي والمتشابه في اللفظ والقراءات وغير ذلك...

وهذا ذكرني بقول العلماء عندما أتم ابن حجر العسقلاني كتابه الرائع "فتح الباري" في شرح صحيح البخاري: (لا هجرة بعد الفتح) أي: لا هجرة لطلب علم الحديث بعد كتاب الفتح، كما لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد فتح مكة عام ٨ هـ فكذلك.

يقال: لقد أشبع "المصحف الجامع كل راغب وطامع ولكتاب ربه قارئ وسامع".

فجزى الله فضيلة الشيخ ياسر خير ما جزى به كل حافظ ومقرئ وسامع، وبارك الله فيمن ساهم وأعان ونشر هذا "المصحف الجامع" الذي سيلقى من أهل القرآن ومحبيه كل ثناء وشكر ودعاء بالقبول من رب كريم للسائل مجيب وللدعاء سامع.

وأوصي أهل تدريس القرآن في حلقاته وجامعاته أن يستفيدوا من هذا المصحف الجامع وأن يتداولوه فيما بينهم وبين أهل القرآن الكريم، وأدعو الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعله في ميزان حسنات من أعده ونشره ورغب في الاستفادة منه.

وقد امتاز المصحف بدقه العرض، ورد كل معلومة إلى مصدرها، وفهرسة تسهل الوصول للمطلوب، وهو سهل في تناوله لمن رام مطلبًا من تفسير أو تجويد أو قراءات أو غير ذلك، ولا يزال القرآن يجذب بأسلوبه وإعجازه من يستخرج جماله وبلاغته وحلاوته فكان هذا المصحف الجامع.

والحمد لله الذي وفق لهذا الأمر الماتع والجهد النافع، وأسال الله القبول والإخلاص لكل قارئ ومقرئ وسامع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه
صلاح بن محمد شبانه
المقرئ بالمسجد النبوي الشريف

مقدمة الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي

أحمد الله – تعالى – وأصلي وأسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإني سعدت سعادة غامرة باستقبال هذا العمل الجليل الذي قام به الأستاذ/ ياسر محمد مرسي، وقد أسماه: المصحف الجامع؛ لما يحتويه من تعليقات علمية سديدة على كل آية من آيات كتاب الله – تعالى –، وهذه التعليقات تشتمل على لطائف المعاني، ودقائق الفوائد، وأسباب النزول، وأسرار التكرار، ووجوه الإعجاز، وتوجيه القراءات، وكان المؤلف قد أفرد لكل جانب من هذه الجوانب مصحفًا، ولكنه أراد في هذه المرة أن يجمع هذه الجوانب في مصحف واحد؛ لتكون الفائدة أتم وأشمل.

وقد شرفت بدراسة القراءات القرآنية في ضوء العلوم العربية من أصوات وصرف ونحو ولغة من خلال مرحلتي الماجستير والدكتوراه، حيث درست في الماجستير قراءة ابن عامر: صوتيًا وصرفيًا ونحويًا، وفي الدكتوراة، مواقف النحاة من القراءات القرآنية من أول القرن الخامس إلى أواخر القرن الثامن الهجري، ولم تتوقف دراساتي بعد ذلك حول كتاب الله – عز وجل – ، فإني الآن بصدد إعراب القرآن وقراءاته إعرابًا ميسرًا، أسأل الله – تعالى – أن يوفقني إلى إكماله.

وأعلم علم اليقين أن هذا العمل – وهو المصحف الجامع – قد بذل فيه صاحبه جهدًا عظيمًا، كما أعلم علم اليقين أن هذا العمل سيملأ فراغًا في المكتبة العربية والإسلامية، وسوف يسعد القارئ المسلم بهذا العمل الذي أرجو من الله – عز وجل – أن ينفع به كل من التمس فيه نفعًا، كما أسأل الله تعالى أن يجزي صاحبه عنه خير الجزاء.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم

بقلم الأستاذ الدكتور
أحمد محمد عبد الراضي
رئيس قسم النحو بكلية دار العلوم سابقًا
وأستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم

❁❁❁

مقدمة الشيخ/ عز الدين حسين حسن دياب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمَّا بعد:

فإنني أعتقد – جازمًا – أنه لو لم يقدم الأخ العزيز: ياسر محمد مرسي لمكتبة علوم القرآن سوى هذا العمل الذي بين أيدينا – لكفاه ذلك فخرًا وشرفًا. لقد أنعم الله عليه بهذه الفكرة العبقرية التي لم يسبقه إليها أحد – فيما أعلم – من الباحثين.

فكرة المصحف الجامع الذي يحوي كل ما يحتاج إليه القارئ العادي والمتخصص من معلومات حول سور المصحف وآياته.

إنها سياحة إيمانية وعلمية ممتعة يبدأها المتصفح بالتعبد بتلاوة الآيات، وانشراح الصدر لوقع الكلمات، ثم لا يكاد يهم بطيِّ الصفحة حتى يلفت نظره شرح يضيء جوانبها، ويفتح مغاليقها وإن احتوت على اسم من أسماء الله، فسوف يجد معناه مسطورًا بين يديه، وإن كان للآية سبب للنزول فالسطور التالية ستهديه إليه، وسيدلف بعد ذلك إلى بحار المتشابهات، فيأتيه من أسرارها ما تقرُّ به عيناه، ثم تُقرَّب إليه مائدة الفوائد اللغوية والأسرار البيانية ليغترف منها ما تطيب به نفسه.

ولا يلبث بعد ذلك أن يتحفه علم القراءات بالطريف من أوجه توجيه الآيات، وبيان أحرف اللغات، ثم لا يكاد يفكر في أن يغادر الصفحة إلى الصفحة التي تليها حتى تُعرض عليه عجائب الإعجاز العلمي والعددي والطبي والغيبي، وأسماء السور وفضائلها، ومضامينها وغاياتها هي مائدة عامرة إذًا جمعت كل طيب وسمين، وكتاب واحد ضم بين دفتيه كل طريف وثمين.

إنني فخور بلا تحفظ بهذا العمل الجليل، وسعيد بمشاركتي في مراجعته، لقد قمت بتدقيق حواشيه، وتخريج ما لم يكن مخرَّجًا من أحاديثه، وضبط لغته، وأشهد أن جهد الشيخ ياسر فيه كان متميزًا للغاية، فالعمل الذي قام به وحده كان يحتاج إلى لجنة من المتخصصين في علوم القرآن كي تستطيع تجميع أشتات هذه المواد الشريفة، وتضمينها في نسق واحد.

لن أطنب في الثناء على هذا المصحف وصاحبه، فالعمل الآن بين أيدي القراء، يجنون شهد فوائده، ويقتطفون ثمار حكمته، ويرتشفون رحيق علومه، لكنني أحسب – صادقًا – أن مكتبة أي مسلم سوف لن تستغني عن هذه الموسوعة القرآنية الفريدة.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل لأخينا ياسر في موازين الحسنات، وأن يكفر عني وعنه بفضله بعض ما قدمنا من سيئات، وأن لا يحرمني وإياه، وكل من بذل فيه جهدًا من رفيع الدرجات، إنه – سبحانه وتعالى – وحده مُقيل العثرات، غافر الزلات، رافع الدرجات.

وصلِّ اللهم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عز الدين حسين حسن دياب
الباحث في العلوم الشرعية واللغوية
ماجستير في أدب الحديث النبوي الشريف

مقدمة الشيخ/ فرج بن عبد العال

الحمد لله الذى أحسن خلق الإنسان وعدّله، وألهمه نور الإيمان فزيَّنه به وجَمّله، وعلّمه البيان فقدّمه به وفضّله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله، ثم أمدّه بلسان يترجم به عما حواه القلب وعَقَله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله، منْ علم حصّله، ونُطق سهّله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسولُه الذى أكرمه وبجَّله، ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وعلى سائر الكتب فضّله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما كبّر الله عبدٌ وهلّله.

وبعد: فقد دفع إليّ ولدي الحبيب وتلميذي النجيب/ ياسر حفظه الله ورعاه وأسبل عليه ستره ومن فضله وجوده وحلمه وكرمه أعطاه -هذا المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم- الذي أحسن في عرضه ومُسمّاه، فقد حوى علومًا جمّة، وقطوفًا من الفنون مهمّة، لا يستغني عنه عالم مجتهد، ولا طالب علم مبتدئ.

فيا مَنْ رُمت العُلا في الدنيا قبل الآخرة، ها هي مكتبة متكاملة الأركان بين يديك فاغتنم ما فيها من العلوم، ولا تنس إخوانك من دعوة صادقة بظهر الغيب حتى يقول لك الملك: ولك بمثله.

جزى الله واضعه خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته ورفعه به إلى أعلى الدرجات.

أبو الحسن فرج بن عبد العال بن أحمد
مدرس القرآن الكريم والقراءات وعلوم التفسير
بمدينة حلوان حفظها الله تعالى

۞۞۞

مقدمة الشيخ/ أحمد حامد عبد الحافظ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد: لقد أطلعني الأخ الفاضل الشيخ/ ياسر على موضوع: (المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم)، الذي وضع على هامشه مجموعة لبعض علوم القرآن الكريم، وهي:

أولًا: مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

ثالثًا: أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

رابعًا: توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

خامسًا: فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية...

سادسًا: توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة.

سابعًا: إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي واقتصادي وعددي في القرآن الكريم.

ثامنًا: نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم...

تاسعًا: مباحث خاصة بعلوم القرآن الكريم.

عاشرًا: فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم.

حادي عشر: فهارس لموضوعات القرآن الكريم.

ثاني عشر: أحكام تجويد القرآن الكريم.

وبهذا الجمع وهذا الترتيب قد أضاف الأخ ياسر سفرًا رائعًا في علوم القرآن الكريم. نسأل الله العظيم أن يتقبل منه ويجزيه خير الجزاء، وأن يغفر لنا وله، أنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد حامد عبد الحافظ آل طعيمة
مدرس القرآن الكريم والقراءات العشر
الصغرى والكبرى بمعهد ابن الجزري الأزهري

مقدمة الشيخ/ فرج بن عبد العال

الحمد لله الذى أحسن خلق الإنسان وعدّله، وألهمه نور الإيمان فزيَّنه به وجَمّله، وعلّمه البيان فقدّمه به وفضّله، وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه سترًا من رحمته وأسبله، ثم أمدّه بلسان يترجم به عما حواه القلب وعَقَله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله، منْ علم حصّله، ونُطق سهّله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورَسولُه الذى أكرمه وبجَّله، ونبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وعلى سائر الكتب فضّله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما كبّر الله عبدٌ وهلّله.

وبعد: فقد دفع إليّ ولدي الحبيب وتلميذي النجيب/ ياسر حفظه الله ورعاه وأسبل عليه ستره ومن فضله وجوده وحلمه وكرمه أعطاه -هذا المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم- الذي أحسن في عرضه ومُسمّاه، فقد حوى علومًا جمّة، وقطوفًا من الفنون مهمّة، لا يستغني عنه عالم مجتهد، ولا طالب علم مبتدئ.

فيا مَنْ رُمت العُلا في الدنيا قبل الآخرة، ها هي مكتبة متكاملة الأركان بين يديك فاغتنم ما فيها من العلوم، ولا تنس إخوانك من دعوة صادقة بظهر الغيب حتى يقول لك الملك: ولك بمثله.

جزى الله واضعه خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته ورفعه به إلى أعلى الدرجات.

أبو الحسن فرج بن عبد العال بن أحمد
مدرس القرآن الكريم والقراءات وعلوم التفسير
بمدينة حلوان حفظها الله تعالى

ooo

مقدمة الشيخ/ أحمد حامد عبد الحافظ

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد: لقد أطلعني الأخ الفاضل الشيخ/ ياسر على موضوع: (**المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم**)، الذي وضع على هامشه مجموعة لبعض علوم القرآن الكريم، وهي:

أولًا: مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

ثانيًا: شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

ثالثًا: أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

رابعًا: توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

خامسًا: فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية...

سادسًا: توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة.

سابعًا: إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي واقتصادي وعددي في القرآن الكريم.

ثامنًا: نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم...

تاسعًا: مباحث خاصة بعلوم القرآن الكريم.

عاشرًا: فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم.

حادي عشر: فهارس لموضوعات القرآن الكريم.

ثاني عشر: أحكام تجويد القرآن الكريم.

وبهذا الجمع وهذا الترتيب قد أضاف الأخ ياسر سفرًا رائعًا في علوم القرآن الكريم. نسأل الله العظيم أن يتقبل منه ويجزيه خير الجزاء، وأن يغفر لنا وله، أنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد حامد عبد الحافظ آل طعيمة
مدرس القرآن الكريم والقراءات العشر
الصغرى والكبرى بمعهد ابن الجزري الأزهري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فالحمد لله الذي أنزل الفرقان على محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيرًا، معجزًا للإنس والجن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، نحمده على تفضله علينا بكتابه فضلًا كبيرًا، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب، وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تركيبه القلوب، نزَّله آيات بينات، وفصَّله سورًا وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه أعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب.

الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه، ووقَّفَنا على الجليل من حِكَمه وأحكامه وآدابه...

اللهم إنَّا نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا...

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها؛ ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن الأمور التي تُقوِّي الإيمان وتجلبه تَدَبُّر القرآن الكريم، فإن المُتدبِّر للقرآن لا يزالُ يستفيد من علومه ومعارفه ما يزداد به إيمانًا، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه، وإحكامه، وأنه يُصَدِّق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فإذا قرأه العبد بالتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه، فهذا من أعظم مُقَوِّيات الإيمان، وحسن التأمل لما يرى العبد، ويسمع من الآيات المشهودة، والآيات المتلوَّة، يثمر صحة البصيرة، وملاك ذلك كله هو أن ينقل العبد قلبه من وطن الدنيا، ويسكنه وطن الآخرة، ثم يقبل به كلّه على معاني القُرآن، ويتدبر معانيه، ويفهم

ما يراد منه، وما أُنزل لأجله، ويأخذ نصيبه وحظه من كل آية من آياته، وينزلها على داء قلبه. فهذه طريقة مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى. وهي من أقرب الطرق لتدبر القرآن.

فمن باب التيسير على المسلمين لفهم كتاب الله عز وجل وتدبره، والتعرف على علومه، قمنا بإعداد هذا المصحف الشريف وعَنْونَّا له: بـ«المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم» وقد عرضنا به مجموعة علوم من علوم القرآن الكريم، وقمنا باستخدام الترميز اللوني لكل علم من العلوم، وإليك بيانًا لهذه العلوم والألوان الخاصة بها:

١- مختصر تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى.

٢- شرح مختصر لأسماء الله تعالى الحسنى الواردة في القرآن الكريم.

٣- أسباب نزول القرآن الكريم للإمام السيوطي رحمه الله تعالى[1].

٤- توجيه بلاغي للآيات والألفاظ المتشابهات في القرآن الكريم.

٥- فوائد لغوية وبلاغية للآيات القرآنية.

٦- فوائد الأعمال الصالحة مستخرجة من الآيات.

٧- فوائد الجمع بين الآيات القرآنية.

٨- فوائد وعظية مستخرجة من آيات القرآن الكريم.

٩- توجيه بلاغي للقراءات العشر المتواترة للقرآن الكريم وبيان ما بها من فوائد وإعجاز...

١٠- إعجاز علمي. ١١- إعجاز تشريعي. ١٢- إعجاز تاريخي. ١٣- إعجاز اقتصادي. ١٤- إعجاز عددي.

١٥- نزول كل سورة وبيان المكي والمدني من سور القرآن الكريم. ١٦- أسماء كل سورة من سور القرآن.

١٧- ترتيب كل سورة وعدد آياتها وكلماتها وحروفها. ١٨- مواضيع كل سورة. ١٩- فضل كل سورة.

مع ملحق: ١- مباحث في علوم القرآن الكريم[2]. ٢- أحكام تجويد القرآن الكريم.

٣- فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم. ٤- فهارس لموضوعات القرآن الكريم.

وأرجو من كل مسلم اطلع على هذا العمل، أن يدعو لي ولوالديَّ ولكل من أسهم في إخراج هذا المصحف، بالعفو والغفران والستر في الدنيا والآخرة، وأسال الله أن ينفع به، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن الكريم

ياسر محمد مرسي بيومي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

للتواصل: 01112714080 - +966541842011

bayomy89@yahoo.com

---

(١) وقد اختصرنا كتاب «لباب النقول في أسباب النزول» للإمام السيوطي بحذف الروايات المتكررة.

(٢) هذه المباحث خاصة بالعلوم المذكورة بهامش المصحف وغير المذكورة كذلك.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿أَعُوذُ﴾: أستجير ﴿بِٱللَّهِ﴾: «الله» ذو الألوهية والعُبودية على خلقه أجمعين، وهو الذي يألَهُه كلُّ شيء، ويعبده كل خلق، ومعنى إله: أن الخلق يألهون إليه في حوائجهم، أي: يضرعون إليه في كل ما ينوبهم، و«الألوهة»: هي العبادة، و«الإله»: هو المعبود. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: «الشيطان»: كلٍ متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء. ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: هو الملعون المشتوم، وكل مشتوم بسب رديء من القول فهو مرجوم.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

١- ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: بمعنى: بذكر الله، وتسميته أبدأ وأقرأ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: فعلان من الرحمة، ومعناها: الرقة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بمعنى: الرفيق، من الرِّفق، وهما اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة. و«الرحمن» لا يطلق على غير الله ﷻ. ٢- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: سيد العالمين، والعالمون: جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له، وكل جنس من الحيوان فهو عالم، والعالم كل ما سوى الله تعالى. ٤- ﴿مَٰلِكِ﴾: مشتق من الملك ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: «الدين» في هذا الموضع: الحساب والمجازاة بالأعمال، ويوم يُدان الناس بالحساب أي: يُجازون، وقرئ: مالك وملك. ٥- ﴿إِيَّاكَ﴾: بمعنى لك ﴿نَعْبُدُ﴾: نخضع ونذل ﴿نَسْتَعِينُ﴾: نسأل المعونة على طاعتك وعلى جميع أمرنا. ٦- ﴿ٱهْدِنَا﴾: في هذا الموضع: وفِّقنا وألهمنا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الواضح الذي لا اعوجاج فيه. والعرب تستعمل «الصراط»: في كل عمل وقول ووصف باستقامة واعوجاج؛ فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه. ٧- ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: هم الملائكة والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: هم كل من علم الحق وحاد عنه قيل: ومنهم اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: هم كل من جهل الحق فلم يتبعه قيل: ومنهم النصارى. أما قول «آمين» فهو دعاء بمعنى استجب يا رب، وقد شُرع بالسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

[١، ٣] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة : ١] عند من جعلها آية، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٣]. سبب تكرار ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في آيتين متقاربتين أقوال: قيل: كررت للتوكيد، وقيل: لأن المعنى في الآية الثانية: وجب الحمد؛ لأنه الرحمن الرحيم، وقيل: إنما كررت لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، وذكرت الآية الأولى المنعِم ولم تذكر المنعَم عليهم، فأعادها مع ذكرهم، فقال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بهم جميعًا، ينعم عليهم ويرزقهم، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين يوم الدين، ينعم عليهم ويغفر لهم. [٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة : ٢، الأنعام : ١، الكهف : ١، سبأ : ١، فاطر : ١]. ذكر لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في فواتح السور خمس مرات؛ افتتح بها الفاتحة لأنها هي أم القرآن ومطلع الكتاب العزيز، وأول سورة في الترتيب الثابت، ومشروعية حمده سبحانه في ابتداء الأمور متقرر معلوم، وابتدأ الأنعام بالحمد ليناسب خاتمة سورة المائدة، وفيها حمد عيسى عليه السلام لجلال الله في ذلك اليوم العظيم وفي ذلك الجمع المهيب، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة، وابتدأت الكهف بالحمد ليناسب ختم الإسراء بحمد الله، وأنه تنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، وافتتحت سبأ بالحمد لتناسب خاتمة الأحزاب بتوبة الغفور الرحيم على المؤمنين والمؤمنات، وابتدأت فاطر بالحمد ليناسب ختم سبأ بأخذ الكفار أخذًا اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم الظهور، وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون، فظهر أن الحمد يكون بالمنع والإعدام، كما يكون بالإعطاء والإنعام. [٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥]. لماذا ذكرت ﴿إِيَّاكَ﴾ مرتين؟ الجواب: تكررت ﴿إِيَّاكَ﴾ المفيدة للحصر إذا تقدمت، للتصريح بتوكيد حصر الإخلاص في العبادة له، وحصر الاستعانة أيضًا به تعالى. [٦، ٧] ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٦-٧]. لماذا ذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ مرتين؟ الجواب: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ هو المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأول المكان، وذكر في الثاني وصف سالكيه من السفرة والصديقين. [٧] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٧]. لماذا ذكرت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مرتين؟ الجواب: لأن الأولى منهما متصلة بالإنعام، والثانية بالغضب، فكل واحد منهما يقتضيه اللفظ.

[٣] ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ٣]. لماذا قدم اسم الرحمن على الرحيم؟ الجواب: لما كانت رحمته في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين، قدَّم الرحمن، وفي الآخرة دائمة لأهل الجنة لا تنقطع، قيل الرحيم ثانيًا، ولذلك يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

[٤] ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ﴾ قرئ: (مالك) بالألف مدًا على أنه اسم فاعل من (ملك) ملكًا بالكسر، أي: مالك مجيء يوم الدين، والمالك بألف هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء، ومالك أعم وأجمع للمعاني في المدح، ولأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى. وقرئ: (ملك) بالقصر على وزن صفة مشبهة أي: قاضي يوم الدين، والملك بالحذف هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من المُلك بضم الميم، وقيل: إن ملك أبلغ من مالك؛ لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملك، وللإجماع على قوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ وقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، ولما روي عن ابن عمرو بن العلاء أنه قال: (ملك) يجمع معنى مالك، ومالك لا يجمع معنى ملك؛ لأن مالك يوم الدين معناه: مالك ذلك اليوم بعينه و(ملك يوم الدين): معناه ملك ذلك اليوم بما فيه فهو أعم. وقيل: إن مالك أبلغ؛ لأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى.

نزول سورة الفاتحة: نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، واختلف العلماءُ في موضع نزولها. فقيل: نزلت بمكَّة وهو الصحيح، لأنَّه لا يعرف في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب. وقيل: نزلت بالمدينة مرّة، وبمكة مرّة. ولهذا قيل لها: السّبع المثاني؛ لأنها ثُنيت في النّزول. **عدد كلمات سورة الفاتحة:** خمس وعشرون. **عدد حروف سورة الفاتحة:** مائة وثلاثة وعشرون. **أسماء سورة الفاتحة:** قريبة من ثلاثين: الفاتحة، فاتحة الكتاب، الحمد، سورة الحمد، الشافية، الشفاء، سورة الشفاء، الأساس، أساس القرآن، أمّ القرآن، أمّ الكتاب، الوافية، الكافية، الصّلاة، سورة الصّلاة، السّبع المثاني؛ لأنها تُثْنَى، أي تكرر، في كل صلاة، أو لاشتمالها على الثّناء على الله تعالى، أو لتثنية نزولها، سورة الفاتحة، سورة الثناء، سورة أمّ القرآن، سورة أم الكتاب، سورة الأساس، الرُّقْية. **مواضيع سورة الفاتحة:** تعليم العباد التيمُّن والتبرّك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور، والتّلقين بشكر نعم المنعم؛ والتوكُّل عليه في باب الرّزق المقسوم، وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتّنبيه على ترقُّب العبد الحسابَ والجزاءَ يوم

تفسير الطبري	الأسماء الحسنى	أسباب النزول	توجيه للمتشابهات	فوائد متنوعة	توجيه للقراءات	إعجاز متنوع	التعريف بالسور

سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

مدنية وآياتها ست وثمانون

سورة البقرة

أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة». ١- ﴿الٓمٓ﴾: اختلف العلماء فيه، قيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: هو مما يفتتح به القرآن. وقيل: هو قَسَم. وقيل: هو من سر القرآن الذي لا يعلمه إلا الله. ولعل أقرب ما قيل فيها: إنها إشارة إلى حروف الهجاء، أعلَمَ الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف الهجاء التي بناءُ كلامهم عليها؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم. ٢- ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾: هذا القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك ﴿هُدًى﴾: نور. و«الهدى» في هذا الموضع: مصدر هديت فلاناً الطريق؛ إذا دللته عليه ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفين، من تعاطي ما يُستحق به العقوبة من فعل أو ترك. ٣- ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون، و«الإيمان»: التصديق. ﴿بِالْغَيْبِ﴾: ما جاء عن الله -عز وجل- من الإيمان بالله، والملائكة، والبعث، والجنة، والنار، مما لم يُرَ وغاب عن الحسّ والمشاهدة. ﴿وَيُقِيمُونَ﴾: يؤدون ولا يُعطلون، كما يقال: أقيمت السوق؛ إذا لم تُعطل من البيع والشراء فيها. والإقامة في الأصل: الدوام والثبات، ﴿الصَّلَاةَ﴾: أصلها في كلام العرب: الدعاء، ثم أطلقت على الصلوات المعروفة التي تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يُعطون الزكاة، وغيرها من أنواع الصدقات والنفقات، احتساباً لها. ٤- ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: بما جئت به عن الله ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من كُتب الله -عز وجل- عن المرسلين ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: الدار الآخرة وما فيها من بعث ونشور وجنة ونار وغيرها مما ورد في الكتاب وصحيح السنة، وهي الدار التي تتلو الدنيا ﴿يُوقِنُونَ﴾: يصدقون ويحققون. ٥- ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى، والمفلح: الفائز بالبُغية.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. تكررت هذه الآية ﴿الٓمٓ﴾ في أوائل ست سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يُراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى(١). قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم، فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥، لقمان : ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة ولقمان، وهي تدل على أن المتصفين بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة. [٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٦]، ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس : ١٠]. في يس ﴿وَسَوَاءٌ﴾ بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة : ٦]، وما في يس جملة عطفت على جملة ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس : ٩].

[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥]. أتى بـ﴿عَلَىٰ﴾ في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ﴿فِي﴾ كما في قوله ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لأن صاحب الهدى مستعلٍ بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر. [٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة : ٧]. لماذا أفرد السمع وجمعت القلوب والأبصار في الآية الكريمة؟ الجواب: السمع يستقبل الصوت فقط ولا يستقبل شيئًا آخر، فالسمع يتعامل مع شيء واحد وهو الصوت اللغوي، وأما البصر فيتعامل مع أشياء كثيرة، وكذلك القلب، فالذي يتعامل مع الكثير استعمل له الجمع، والذي يتعامل مع الواحد استعمل له المفرد. [٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة : ٧]. قدم السمع على البصر في غالب مواضع القرآن الكريم =

= القيامة، وإخلاص العبوديّة عن الشرك، وطلب التوفيق والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات، وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواصّ عباد الله، والرَّغبة في سلوك مسالكهم، وطلب الأمان من الغَضب، والضلال في جميع الأحوال، والأفعال، وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء، واستنزال للرَّحمة، وهي خاتَم الرَّحمة الَّتي خَتَم بها فاتحة كتابه. فضل سورة الفاتحة: قال رَسُول الله ﷺ لأبي سعيد المعلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟" فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: "الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته" رَوَاهُ البُخارِيُّ. وقال رسول الله ﷺ: عن الرَّبِّ تبارك وتعالى، أنه قال: "إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرَّحيم يقول الله تعالى: سمّاني عبدي. وإذا قال: الحمد لله ربِّ العالمين يقول الله: حمِدني عبدي. وإذا قال: الرَّحمن الرَّحيم يقول الله: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدِّين يقول الله مجّدني عبدي. وإذا قال: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين يقول الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين. وإذا قال: اهدنا الصِّراط المستقيم إلى آخر السُّورة يقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل". رَوَاهُ مُسلِمٌ. بينما جبريل عند النبي ﷺ سمع نقيضًا - أي صوتًا - من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" رَوَاهُ مُسلِمٌ. رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قَرَأَ عَلَى الرسول ﷺ أُمَّ القُرآنِ الكَرِيمِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا =

(١) المتشابه اللفظي: عرفه الإمام الزركشي في البرهان فقال: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء. ومراده في التعريف بالقصة الواحدة: اللفظ القرآني المعيَّن يرد بصور متشابهة. ومعنى التشابه فيها الاختلاف بين ألفاظها بالزيادة والنقص، أو الإبدال، أو التقديم والتأخير، أو التكرار، وغير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيات، وهذا كله مما يشكل على القارئ الحافظ، ولهذا يسمى القراءُ هذا النوع المُشكِل. أما المتشابه المعنوي: فهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.
قول آخر في المتشابه المعنوي: هو ما احتمل أوجهًا، ويعزى هذا الرأي إلى ابن عباس ويجرى عليه أكثر الأصوليين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: جحدوا: وأصل «الكفر» في الكلام التغطية، وسُمّي الكافر كافراً لأنه يغطّي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الإيمان ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: هذا مثل هذا؛ مأخوذ من التساوي ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾: حذرتهم. ٧- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾: طبع ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾: غِطاء، والمراد بالختم والغشاوة هنا: المعنويان لا الحسّيان؛ وذلك لعدم انتفاعهم بالأسماع والأبصار في الهداية والاستدلال. ٩- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يُظهرون ما لا يُسرّون؛ أي يقولون بألسنتهم من كلمات الإيمان والانقياد خلافَ ما يُبطنون في نفوسهم من الكفر والتكذيب وهو خادعهم أي أنه منع من دمائهم وأموالهم، بما يُظهرونه استدراجاً لهم، حتى يلقوه كفاراً. ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: يدرون. ١٠- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: سقم، ومعناه-هاهُنا-: شك في اعتقاد قلوبهم ﴿أَلِيمُۢ﴾: موجع. ١١- ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾: أي: بالكفر وموالاة الكفرة. «الإفساد» ضد الإصلاح، وهو العمل بما لا يرضاه الله ويضر الناس. ١٣- ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: جمع سفيه، وهو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار. ١٤- ﴿شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: إخوانهم ورؤساؤهم في النفاق والكفر، ﴿مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾: ساخرون. ١٥- ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾: أي يجازيهم على استهزائهم. وهذا من باب تسمية العقوبة باسم المذنب، ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾: يُملي لهم ويزيدهم على وجه الإملاء في عُتوّهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ «الطغيان»: فُعلان، من قولك: طغا فلان؛ إذا تجاوز في الأمر حدَّه وبغى. ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: العمه نفسه: الضلال. والمعنى: أنهم بتجاوزهم للحد قد دخلوا في عداد الضالين. ١٦- ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: أخذوا ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: الكفر ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾: بالإيمان ﴿فَمَا رَبِحَت﴾: «الربح»: ضد الخسارة في التجارة ﴿مُهۡتَدِينَ﴾: رشداء.

[٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيتين. أنهما نزلتا في يهود المدينة. وأخرج عن الربيع بن أنس قال: آيتان نزلتا في قتال الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة : ٧]، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ [الجاثية : ٢٣]. قدمت القلوب على الأسماع في البقرة، والعكس في الجاثية؛ وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة، فقدم القلوب لذلك، وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقدم الأسماع لذلك، ثم إن آية البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين هم أشد ضلالًا وكفرًا ممن ذكرتهم آية الجاثية، وأخبر تعالى في آية البقرة أن هؤلاء الكفار ميؤوس من إيمانهم، ولم يخبر بذلك في الجاثية، ثم كرر حرف الجر «على» مع القلوب والأسماع في آية البقرة، مما يفيد توكيد الختم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، ثم قال في البقرة: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا، وإنما هذا شأنهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام، في حين قال في الجاثية: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، ثم ختم آية البقرة ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، وذلك يدل على أن صفات الكفار في البقرة أشد تمكنًا فيهم، ولذلك قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم، فإن القلب هو محل الهدى والضلال، وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر. [٨] ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة : ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ عدا [النساء : ٣٨، التوبة : ٢٩] ﴿بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾. قوله: ﴿بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الوحيدة في القرآن التي تكرر فيها العامل «الباء»، مع حرف العطف «و»، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة؟، فكانوا في ذلك كما قيل: «يكاد المريب يقول خذوني»، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة : ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، وواضح فيهما معنى التوكيد. [١٢، ١٣] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾، ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٢، ١٣]. الشعور هو ما يحس به الجسد دون حاجة إلى فكر وتدبر، وهذا يشترك فيه العاقل وغير العاقل، والنفاق يؤدي إلى الفساد فيما يُحس به ويُشعر به، فختمت الآية الأولى بـ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ﴾، أمّا العلم فلا يكون إلا عن فكر وتدبر، وهم وصفوا المؤمنين بالسفه -وهو الجهل-، فنفى الله عن المؤمنين هذا، ووصف به المنافقين، وختمت الآية الثانية بـ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ﴾، وهذا من دقائق القرآن. فتأمل.

= فما فائدته؟ **الجواب**: السمع أشرف، لأن به تثبت النبوات، فأخبار الله تعالى وأوامره ونواهيه وأدلته وصفاته تعالى تثبت بالسمع، بخلاف البصر، ولذلك لم يبعث الله نبيًا أصم أصلًا، وفي الأنبياء من كان مكفوفًا، مثل سيدنا يعقوب لما أصابه العمى من الحزن على يوسف. [٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾ قرئ: (وما يَخْدَعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال مضارع خدع على أن المفاعلة من جانب واحد، كقول القاضي: عاقبت اللص. ومخادعتهم كانت للنبي ﷺ وللمؤمنين ولم يقع من النبي ﷺ والمؤمنين لهم مخادعة، والخداع إظهار خلاف ما في النفس. وقرئ: (وما يُخَادِعون) بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال لمناسبة أول الآية، وعلى هذه القراءة إما أن تكون المفاعلة على بابها من جانبين، إذ هم يخادعون أنفسهم بما يمنونها من الأباطيل وتُمَنّيهم أنفسهم كذلك أيضًا. وإما أن تكون المفاعلة من جانب واحد كما في القراءة الأولى أي: يخادعون أنبياء الله وأولياءه وهم لا يشاركونهم ذلك. [١٠] ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ قرئ: (يَكْذِبون) بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال مخففة من «كذب» اللازم. وهو من الكذب الذي اتصفوا به كما أخبر الله تعالى عنهم، وحملًا على ما قبله من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ فأخبرهم أنهم كاذبون في =

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ **إعجاز عددي**: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن الكريم، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ الَّذِي أُوتِيتُهُ" «صححه الألباني». وروي عن الحسن البصري أنه قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب من السَّماء، أودع علومها أربعة منها: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والفرقانَ، ثمَّ أودع علومَ القرآنِ المفصَّل، ثم أودع علوم المفصَّل فاتحة الكتاب. =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧- ﴿مَثَلُهُمْ﴾: «المثل»: الشبه، وقيل: معناه-هاهنا- حالهم وصفتهم. ١٨- ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي بقي أصحاب تلك النار المضيئة بعد انطفائها لا يسمعون مناديًا، وخرسًا لا يستطيعون السؤال عن الطريق، عميًا لا يرونها فلا يتمكنون من الرجوع إلى طريقهم، وكذلك أهل النفاق. ١٩- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: كغيث؛ من قولك: صاب المطر يصوب صوباً، إذا انحدر ونزل. وهو نحو: سيِّد، من ساد يسود، ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: أصل «الصاعقة»: كل أمر هائل يؤدي إلى هلاك وذهاب عقل؛ أو فقدان بعض آلات الجسم سواء أكان ناراً أم غيرها. ﴿مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: «الإحاطة» أصلها: الاجتماع والاحتواء على كل شيء. والمعنى: أن الكفار جميعاً لا يفوتون الله سبحانه بوجه من الوجوه. ٢٠- ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾: «كاد» في كلام العرب بمعنى: قارب ﴿يَخْطَفُ﴾: يلتمع، و«الخطف»: السلب. ﴿قَامُوا۟﴾: وقفوا وتحيروا. وروي عن ابن مسعود في معنى الآية: أن المنافقين: إذا صلحت أقوالهم وكثرت أولادهم وأموالهم قالوا: إن دين محمد صدق، وإذا تغيرت النعمة قالوا: هذا من أجل دين محمد، وارتدوا كفاراً. ٢٢- ﴿فِرَٰشًا﴾: مهاداً وقراراً ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: ابتنى السماء فوقهم كهيئة القبة على البيت. ﴿أَندَادًا﴾: جمع: ند، وهو العدل والمثل والكفء. ٢٣- ﴿شُهَدَآءَكُم﴾: من يشهد لكم، وأعوانكم، قال مجاهد: ناس يشهدون لكم إذا أتيتم بها أنها مثله. ٢٤- ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾: حطبها ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾: أي هذه النار تتقد بالناس والحجارة، فأوقدت بنفس ما يراد الإحراق بها ﴿أُعِدَّتْ﴾: أحضرت.

[١٤] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ ﴾ أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان والسدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أَرُدُّ عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبًا بالصِّديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عُمر فقال: مرحبًا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأثنوا عليه خيرًا. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية، نقول: هذا الإسناد واهٍ جدًا، فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف. [١٩] ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدًا فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقًا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يُذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحًا مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ حينئذ صدق واستقاموا عليه، كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق.

[١٨] ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]. في الآية الأولى ذهب الله بنور المنافقين فهم يتخبطون في الظلمات فكيف يرجعون؟ فختم الآية بقوله: ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، والآية الثانية شبهت الكفار بما هم فيه من الغي والضلال والجهل بالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، وإنما تسمع صوته فقط ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾. [٢١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...﴾. جاء الأمر بالعبادة في سورة البقرة، والمقصود بالعبادة هنا التوحيد، والتوحيد أول ما يلزم الإنسان معرفته، فناسب أن يكون هذا أول خطاب خاطب به الله الناس في القرآن، ثم ذكر سائر المعارف والأوامر بعد ذلك، وهذا باعتبار أن ترتيب المصحف: الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران... إلى سورة الناس، وهو هكذا عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، فهو ترتيب توقيفي. [٢٣] ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨]. جاءت ﴿مِن﴾ زائدة في سورة البقرة؛ لأن "من" تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن، أي: أشرف ما في القرآن وأعلاه شأنًا، وأوله بعد الفاتحة، حسن دخول "من" فيها، ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها "من"، لكان التحدي واقعًا على بعض السور دون بعض، والهاء في قوله تعالى: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ تعود على القرآن، وذهب بعض العلماء إلى أنها تعود على محمد ﷺ أي: فأتوا بسورة من إنسان مثله ﷺ.
قول آخر: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ بالبقرة تعني رفع الشك عن نبوءة محمد ﷺ، وتحديًا لهم بأن يأتوا برجل مثله، يأتي بسورة من نمط ما سمع من محمد ﷺ، وأمَّا ما في يونس ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ فإنما أريد به ما يجري مع قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾، فقيل لهم: إذا كان مفترى فأتوا بسورة مثله، فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن، والمراد في البقرة نفي شخص يماثله ﷺ. ﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم ﴾ أي: الذين تشهدون لهم بالألوهية، وتعبدونهم كما تعبدون الله، ادعوهم ليساعدوكم في الإتيان بمثله، ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ في يونس أي: فأتوا بسورة مثل القرآن واستعينوا على ذلك بمن استطعتم. [١٩] ﴿ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة: ١٩]. لماذا جمع الظلمات وأفرد الرعد والبرق؟ الجواب: أن المقتضي للرعد والبرق واحد وهو السحاب، والمقتضي للظلمة متعدد وهو الليل والنهار والسحاب والمطر، فجمع لذلك.

= قولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ أي: ما هم بصادقين في قولهم هذا، ثم قال: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ أي: بكذبهم، وقرأ الباقون: (يُكَذِّبون) بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال المشددة مضارع كذَّب المتعدي بالتضعيف من التكذيب لله ورسوله، والمفعول محذوف تقديره: «يكذبونه».

= فمَنْ علِم تفسيرها كان كمن علم تفسير كُتُب الله المنزَّلة. ومَنْ قرأها فكأنَّما قرأ التَّوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفُرقان. نزول سورة البقرة: هي أول سورة نزلت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهي مَدنيَّة. عدد كلمات سورة البقرة: ستَّة آلاف كلمة، ومائة وإِحدى وعشرون كلمة. عدد حروف سورة البقرة: خمسة وعشرون=

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ﴾: أصل «البشارة»: الخبر السار المتقدم. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: جمع: صالحة من الأعمال ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين، والجنة: اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة، ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: يشبه بعضه بعضاً في الطيب ليس بمرذول ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: زوج الرجل: امرأته، «مطهَّرة» من القذر والحيض وغيره، ﴿خَٰلِدُونَ﴾: باقون، والخلود: البقاء الدائم الذي لا ينقطع. ٢٦- نزلت هذه الآية ردًا على الكفار الذين أنكروا ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت، وقالوا: إن هذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: اي فوقها في الصغر، ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أصل «الفسق» في كلام العرب: الخروج عن الشيء، والمنافق فاسق؛ لخروجه عن طاعة ربه. والمعنى اختاروا الفسق فاضلّهم الله تعالى. ٢٧- ﴿يَنقُضُونَ﴾: يَحِلُّون، والنقض: إفساد ما أبرم من بناء أو حبل أو عهد. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: الرَّحِم والقرابة أمر الله بوصلهما، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالمعاصي. ٢٩- ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: علا عليها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقيل: قصد إلى خلقها لأن الاستواء: الإقبال على الشيء، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: خلقهن وأتقنهن.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية. اخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال المنافقون الله أعلى واجل من ان يضرب هذه الأمثال، فانزل الله ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. واخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الحج ٧٣] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: ارأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، اي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية، عبد الغني واهٍ جدًا.

[٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكَّده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، وآية البقرة تبين أن أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وأمَّا آية الرعد فتوضح أن أولئك لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة.

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٥]. فيه استحباب بشارة المؤمنين وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان توفيقه للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعدها البشرى عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم، وذلك على البناء للمفعول، وهو مضارع "رجع". وقرئ: (ترجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم، وذلك على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من "رجع". [٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (للملائكةِ) بكسر التاء على الجر وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (للملائكةُ) بضم تاء الملائكة وصلًا، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتباعًا لضم الجيم إجراء للوصل مجرى الوقف (اسجدوا)، واستثقالًا للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة بهمزة الوصل فالهمزة تسقط في الدرج وتسقط التاء كذلك من الملائكة، فقد قالوا: ملائكة كما قالوا: ملائك. وقرئ: (للملائكةِ) بإشمام الكسرة بالضم مزجًا بين الحركتين. تنبيهًا على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ قرئ: (فأزلَّهما) بتشديد اللام دون ألف قبلها من الزلل. والمراد: أوقعهما في الزلة بفتح الزاي، أي: المعصية، وهو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥] أي: أكسبهم الزلة فليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخال الإنسان في الزلل، فيكون ذلك سببًا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه. وقرئ: (فأزالَهما) بتخفيف اللام وألف قبلها من الزوال، وأصله التنحية والمراد أبعدهما عن نعيم الجنة، والهمزة في كلا الفعلين للتعدية، فالله أمرهما بالثبات فيه مع الطاعة.

[٢٨] ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة القرآن الكريم.

ألفاً وخَمسمائة حرف. أسماء سورة البقرة: أربعة: البقرة، لاشتمالها على قِصَّة البقرة. الثَّاني سورة الكرسيِّ، لاشتمالها على آية الكرسيِّ التي هي أعظم آيات القرآن. الثالث سَنام القرآن، أي: أشرف ما في القرآن وأعلاه شأنًا. الرَّابع الزَّهراءُ. مواضيع سورة البقرة: وعلى الإجمال مواضيع هذه السُّورة: مدح مؤمني أهل الكتاب، وذمّ الكفَّار كفَّارِ مكَّة، ومنافقي المدينة، والرَّدّ على منكري النبوّة، وقصة التخليف، أي تخليف آدم عليه السلام في الأرض، والتعليم، أي تعليم آدم عليه السلام، وتلقين آدم، وملامة علماءِ اليهود في مواضع عدَّة، وقصَّة موسى، واستسقائه، ومواعدته ربّه، ومنَّته على بني إسرائيل، وشكواه منهم، وحديث البقرة، وقصة سليمان، وهاروت وماروت، والسحرة، والرّدّ على النَّصارى، وابتلاء إبراهيم عليه السَّلام، وبناء الكعبة، ووصيَّة يعقوب لأولاده، وتحويل القبلة، وبيان الصبر على المصيبة، وثوابه، ووجوب السَّعي بين الصفا والمروة، وبيان حُجَّة التَّوحيد، وطلب الحلال، وإباحة الميتة حال الضرورة، وحكم القِصاص، والأمر بصيام رمضان، والأمر باجتناب الحرام، والأمر بقتال الكفار، والأمر بالحجّ والعُمْرة، وتعديد النعم على بني إسرائيل، وحكم القتال في الأشهر الحُرُم؛ والسؤال عن الخمر والمَيْسِر ومال الأيتام، والحيض؛ والطلاق؛ والمناكحات، وذكر العِدّة، والمحافظة على الصلوات، وذكر الصَّدقات والنَّفقات، ومُلْك طالوت، وقتل جالوت؛ ومناظرة الخليل عليه السَّلام؛ ونمْرُود، وإحياء الموتى بدعاءِ إبراهيم عليه السلام، وحكم الإخلاص في النفقة، وتحريم الربا، وبيان المداينات، وتخصيص الرّسول ﷺ ليلة المعراج بالإيمان حيث

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٦

٣٠- ﴿خَلِيفَةً﴾: فعيلة، من قولك: خَلَف فلان فلاناً في الأمر؛ إذا قام فيه مَقامه، و«الخليفة» -هاهنا- آدم عليه السلام، ومن قام مقامه بطاعة الله -تعالى-. ﴿وَيَسْفِكُ﴾: يُبيح ويهرق بغير حق ﴿ٱلدِّمَآءَ﴾: -هاهنا- دماء الناس ﴿نُسَبِّحُ﴾: نعظِّم، وكل ذكر لله -تعالى- فهو تسبيح، وصلاة؛ وأصل «التسبيح»: التنزيه. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: «التقديس»: التعظيم والتطهير؛ أي ننزهك عما لا يليق. وقيل: التقديس: الصلاة. ٣١- ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: اسم كل شيء؛ من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: أي المسميات، ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾: أخبروني. ٣٢- ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾: علم ما لم يعلموه من غير تعليم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة: صيغة مبالغة في إثبات الحكمة له سبحانه، وهي وضع الشيء في موضعه. ٣٣- ﴿تُبْدُونَ﴾: تُظهرون، و﴿تَكْتُمُونَ﴾: تُسرون، وتخفون. ٣٤- ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ أصل «السجود»: الانحناء والتعظيم. ﴿إِبْلِيسَ﴾: كان من الجن ولكن لزمه السجود لأنه كان بينهم، مشتق من الإبلاس؛ وهو اليأس من الخير، والندم، والحزن ﴿أَبَىٰ﴾: امتنع ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: استفعل؛ من الكبر، وهو الاستعظام للنفس، وعن ابن عباس قال: كانت السجدة لآدم، والطاعة لله. وقال بعضهم: إن الله جعل آدم كالكعبة. ٣٥- ﴿رَغَدًا﴾: «الرغد»: سعة العيش. ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: قيل: هي السنبلة، وقيل هي الكَرْم، والنهي عن قرب الشجرة مبالغة في النهي عن الأكل منها. ٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي استزلّهما وأوقعهما في الزَّلّة، وهي الخطيئة، من قولك: زل الرجل في الأمر؛ إذا هفا فيه وأخطأ، وأتى ما ليس له إتيانه، وأزله غيره؛ إذا سبب له ذلك ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: بلاغ، وقيل: كل ما يستمتع به وينتفع، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى الموت، وقيل: إلى قيام الساعة. وأصل معنى «الحين» في اللغة: الوقت البعيد. ٣٧- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾: أخذ وقبل. مأخوذ من تلقي الرجل، إذا استقبله عند قدومه من سفر، معناه: القبول ﴿فَتَابَ﴾: «التوبة» معناها: الإنابة والأوبة؛ أي الرجوع إلى الطاعة.

[٣٢] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٣٢] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللَّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات، وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟.

[٣٣] ﴿ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة : ٩٩، النور : ٢٩]. سبب زيادة ﴿كُنتُمْ﴾ في البقرة؛ لأن الخطاب فيها للملائكة وما كتموه كان حادثة عين وقعت مرة ولا تتجدد، وما كتموه هو إمَّا ما كان منطويًا عليه إبليس من الخلاف على الله تعالى في أمره والتكبُّر عن طاعته، أو معناه: كتمان الملائكة بينهم أنه لن يخلق الله تعالى خلقًا إلا كان أكرم عليه منه، على قولين عند أهل التفسير، وأمَّا آيتا المائدة والنور، فالخطاب فيهما لعموم المؤمنين، وما يبدونه ويكتمونه أمر متكرر.

[٣٤] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤]. أول ذكر لهذه القصة جاء في سورة البقرة، فورد ذكر هذه الصفات ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ جملة، ثم ذكرها مفصلة في سائر السور: [الأعراف : ١١، الحجر : ٣٠-٣١، الإسراء : ٦١، الكهف : ٥٠، طه : ١١٦، ص : ٧٣-٧٤].

[٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ [البقرة : ٣٥]، ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [الأعراف : ١٩]. الأمر في البقرة لآدم اسكن بمعنى الإقامة، وهذا يستدعي زمنًا طويلًا ممتدًا فلم يصح إلا بالواو؛ لأن المعنى جمع بين الإقامة فيها والأكل منها، وأمَّا في الأعراف فخاطب الله تعالى إبليس: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾، وخاطب آدم: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، أي: اتخذاها لأنفسكما مسكنًا ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾، فكانت الفاء أولى؛ لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانًا ممتدًا، ولما نسب القول إليه تعالى في البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ﴾، ناسب ذلك الزيادة الدالة على عظم كرمه، وجليل فضله، فجيء بكلمة ﴿رَغَدًا﴾ لزيادة التوسعة والإكرام، أمَّا آية الأعراف فخلت من ذلك. وهناك سبب آخر مبني على تأمل السياق، وهو أن سياق آية البقرة حديث عن نعمة الله على عبده آدم، وفضله عليه، وتكريمه إياه، فجاءت كلمة ﴿رَغَدًا﴾ لتزيد ذلك المعنى، فأصبحت نعمة تضاف إلى تلك النعم العظيمة، أمَّا آية الأعراف فسياقها في شأن إبليس وإعراضه وصده، فلم يقتض السياق زيادة الكلمة.

[٣٦] ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ [البقرة : ٣٦]، ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [الأعراف : ٢٢]. ليس بالضرورة أن تكون الزلة إلى محل أدنى، بل يمكن أن تكون في نفس المكان، وقد سُميت زلة تخفيفًا في مقام التكريم الغالب في سورة البقرة، أمَّا سورة الأعراف ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾، والتدلية لا تكون إلا من أعلى لأسفل، إذًا في مقام التكليف سماها "زلة"، وفي مقام العقوبة سماها "تدليًا"، فخفف العقاب في البقرة، ولم يفعل ذلك في الأعراف.

[٣٧] ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ قوله: ﴿ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ قرئ: (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ) برفع آدم لإسناد الفعل إليه ونصب كلمات على المفعولية أي: أخذ آدم كلمات ربه بالقبول ودعا بها. وقرئ: (فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ) برفع كلمات لإسناد الفعل إليها ونصب آدم على المفعولية. ولم يؤنث الفعل للفصل والتأنيث في الفاعل مجازي. والمراد: وَصَلَتْ كلماتٌ من الله سبحانه وتعالى آدم فاستنقذته لقوله إياها والدعاء بها، فتاب الله عليه، فكانت هي التي أنقذته ويسرت له التوبة من الله، فكانت هي الفاعلة.

قال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ [البقرة : ٢٨٥] إلى آخر السُّورة. هذه معظم مقاصد هذه السُّورة الكريمة. فضل سورة البقرة: بينما جبريل عند النبي ﷺ سمع نقيضًا -أي صوتًا- من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته"

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٤٠- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: كان يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - يدعى إسرائيل، وهو اسم معناه: عبد الله، وبنوه: هم الذين تناسلوا منه، وهم اليهود. ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾: عهده -ﷻ-: عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه: فيدخل في ذلك: ذكر محمد ﷺ الذي في التوراة، ويدخل اتباع دين الإسلام ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: الرضا عنهم، ويدخلهم الجنة ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾: فاخشون، ويتضمن الأمر به معنى التهديد.

٤١- ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى﴾: بأوامري ونواهيّ وسائر شرائعي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يعني الدنيا وزينتها ومدتها.

٤٢- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: تخلطوا، و«اللَّبس»: الخلط. قالت اليهود: محمد نبيّ مبعوث، ولكن إلى غيرنا. ٤٣- ﴿وَءَاتُوا۟﴾: أدوا وأعطوا ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أصل «الزكاة»: نماء المال وتثميره. ﴿وَٱرْكَعُوا۟﴾: اخضعوا، وقيل: إنما خص الركوع بالذكر هنا لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم، فكان معنى الآية: دعوتهم للدخول في دين الإسلام. ٤٤- ﴿بِٱلْبِرِّ﴾: بالمعروف والعمل الصالح، والبر: اسم كل خير. ﴿تَتْلُونَ﴾: تدرسون وتقرؤون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هاهنا: التوراة. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون، وفي الآية توبيخ لليهود وتقريع. ٤٥- ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لثقيلة، شاقة، والضمير في «وإنها» يعود على الاستعانة. وقيل: على الصلاة. ٤٦- ﴿يَظُنُّونَ﴾: «الظن» -هاهنا-: اليقين، وهو من الأضداد؛ أي يستخدم في المعنى وضده. ٤٧- ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أهل زمانهم. وقيل: تفضيلهم بما جعل فيهم من الأنبياء، وليسوا بأفضل من أمة محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤٨- ﴿تَجْزِى﴾: تقضي وتغني، وأصل «الجزاء» في كلام العرب: القضاء والتعويض؛ أي لا تقضي عنها حقاً. ﴿شَفَٰعَةٌ﴾: طلبة، ومعنى الشفاعة: كلام الشفيع مع من هو فوقه في حاجة يسألها لغيره، ﴿عَدْلٌ﴾: فداء.

[٤٤] قوله تعالى: (۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ) أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة؛ كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: أثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه».

[٣٦، ٣٨] ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة : ٣٦، ٣٨]. تكرر الأمر مرتين في سورة البقرة ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ في نفس القصة؛ لأن الأول من الجنة، والثاني من السماء.

[٣٨] ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [البقرة : ٣٨]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ [طه : ١٢٣]. سورة البقرة لم يرد فيها عن إبليس لعنه الله إلا ما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾، من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علة ولا كبير معالجة، فناسب هذا ﴿تَبِعَ﴾، بينما ورد في طه ذكر طريقة إغوائه بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ فأفهمت الآية قوة كيد اللعين واستحكام حيلته، حتى احتنك الكثير من الذرية، وحملهم على عبادة الطواغيت، فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل فناسبه ﴿ٱتَّبَعَ﴾، فورد كل على ما يناسب معنى ونظمًا، وإيجازًا بإيجاز، وإطالة بإطالة. وزاد الإمام ابن جماعة: أن "فَعِلَ" لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و"افْتَعَلَ" يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم في البقرة لفعله، فجيء ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾، وفي طه جاء بعد قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، فناسب ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾، أي: جدد قصد الاتباع. [٤٠] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ [البقرة : ٤٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة : ٤٧، ١٢٢]. قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾، وعهده سبحانه أنه عهد إليهم أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا برسله، فهذا عهد الله، وقوله تعالى: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي: أعطكم ما عهدت به إليكم وافيًا، وهو الجزاء على أعمالكم، فلو وفوا بعهد الله لوفى الله بعهدهم.. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: جعلتكم أفضل من غيركم، والمراد عالم زمانهم.

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣]. في الآية الأولى إشارة إلى التثاقل والتكاسل الغالب مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لبني إسرائيل، أمّا الآية الثانية فهي تعقب على حال المؤمنين الذي يوسم بالرضا والاستقامة، فكان يناسبه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. [٤٧] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ...﴾ [البقرة : ٤٧، ١٢٢]. تكررت الآية مرتين بالبقرة، وهذا من قبيل المبالغة في النصح، أو لوقوع كل منهما في مقابلة معصية تقتضي تنبيهًا ونهيًا ووعظًا. [٤٨] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة : ٤٨]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة : ١٢٣]. قدم الشفاعة في الآية الأولى وأخر العدل، وقدم العدل في الآية الثانية وأخر الشفاعة، وإنما قدم الشفاعة في الأولى قطعًا لطمع من زعموا أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخّرها في الآية الأخرى؛ لأن التقدير في الآيتين معًا: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة؛ لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدمًا فيها. قول آخر: تقدم الآية الأولى قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ٤٤]، فصور لهم الوهم أن أمرهم الناس بالبر أعظم شفيع لهم ينجيهم من العذاب، فقدم الشفاعة لنفي المعنى الذي دار في خلدهم، أما الآية الأخرى فقد تقدمها تسفيه هؤلاء الذين قالوا اتخذ =

[٤٤] ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤]. وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره، ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الأخر.

[٤٨] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ قرئ: (ولا يقبل منها شفاعة) بالياء مبنيًا للمفعول ولم يؤنث الفعل المسند إلى شفاعة نظرًا لأن تأنيثها غير حقيقي، ولوجود الفاصل بين الفعل والفاعل. وقرئ: (ولا تقبل منها شفاعة) بتاء التأنيث وذلك لإسناده إلى شفاعة، وهي مؤنثة لفظًا.

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

= رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رسول الله ﷺ: "تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ، تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا هُمَا الزَّهْرَاوَانِ يَجِيئَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا" رواه أحمد وصححه الألباني. وقال رَسُول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ =

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩- ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يوردونكم ويذيقونكم، ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾: الذكران من أولادكم. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يستبقون الإناث؛ أي يتركونهن أحياء ليستخدموهن ويمتهنوهن، لأن نفس الاستحياء ليس بعذاب ﴿بَلَآءٌ﴾: اختبار وامتحان، يستعمل في الخير والشر. ٥٠- ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: فصلنا البحر اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً؛ أي صار البحر يابساً تمشون على أرضه. ومعنى «فرقنا»: جعلناه فرقًا، والبحر هو البحر الأحمر. ٥١- ﴿وَٰعَدْنَا﴾: و«وعدنا» بمعنى واحد، وهو- هنا- من باب الموافاة، وليس من باب الوعد والوعيد، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: هي عند أكثر المفسّرين.. ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وإنما خصّ الليالي بالذكر دون الأيام، لأن الليلة أسبق من اليوم، فهي قبله في الرتبة. ٥٢- ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي من بعد عبادتكم العجل. ٥٣- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التوراة بإجماع المفسرين. ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: الحجة والبيان بالآيات التي أعطاها الله لموسى من العصا واليد وغيرهما. ٥٤- ﴿بَارِئِكُمْ﴾: خالقكم. والله برأ الخلق يبرؤهم برياً، فهو بارئهم، و«البرية»: الخلق. ٥٥- ﴿جَهْرَةً﴾: علانية. و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: كل عذاب فيه هلاك، وقيل: صياح شديد، وهذا مع السبعين الذين اختارهم موسى. ٥٦- ﴿بَعَثْنَٰكُم﴾: أحييناكم، وأصل «البعث»: إثارة الشيء من محله. ٥٧- ﴿وَظَلَّلْنَا﴾: «الظل» معروف، وهو ما حال دون الشمس. و﴿ٱلْغَمَامَ﴾: ما غمّ السماء والبسها، وغطى وجهها عن الناظرين؛ سحاب، أو ما أشبهه. ﴿ٱلْمَنَّ﴾: طعام كان ينزل عليهم. وقيل: شراب كالعسل، ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: طائر.

[٥٤] معنى اسم الله التواب: التَّوَّابُ هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. [٥٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

= الله ولدًا سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا، فناسب هذه الآية أن يجري الأمر على ما هو معهود في الدنيا، وهو أن الإنسان إذا ما عاين الهلاك افتدى نفسه بكل ما يملك، فتقدم فيها ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. [٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ ﴿أَنجَىٰكُم﴾ [الأعراف: ١٤١، إبراهيم: ٦]. الموضع الوارد في سورة البقرة مقصود به تعدد الإنعام على بني إسرائيل، وتوالي الامتنان عليهم؛ ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة ذلك الإنعام بالكفر، فلما كان موضع تعداد نِعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد، فناسبه التضعيف ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ لإثبات الكثرة.

[٤٩] ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]. قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في البقرة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ في الأعراف بغير واو، ثم ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمَّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم وكان مأمورًا بذلك في قوله تعالى قبلها: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فكان الوصل للآية أنسب. [٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [البقرة: ٥١]، ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]. القصة طوية والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر بهذا التفصيل في البقرة، بل أوجزت.

قول آخر: إن الله سبحانه أمر موسى بالصيام ثلاثين يومًا، وشهر الصوم في كل الأديان شهر، فلما تهيأ موسى لمقابلة ربه بالطيب والعطر وتنظيف أسنانه ورائحة فمه لمقابلة الله سبحانه وتعالى، سأله الله مالي لا أشم رائحة الصيام في فمك، فإني أحب أن أشم رائحة فم الصائم، فتلقى موسى أمرًا من الله بصيام عشرة أيام أخرى.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ قرئ: (واعدنا) بألف بعد الواو هنا وفي (الأعراف: ١٤٢، وطه: ٨٠) وهي قراءة الجمهور على احتمال أن واعد بمعنى وعد، وعندئذ يكون الفعل صادرًا من واحد، كما يحتمل أن يكون على أصل المفاعلة والفعل صادر من اثنين، فالله واعد موسى الوحي، وموسى قد وعد الله المجيء للميقات. أو الوعد من الله والقبول من موسى، وأنه يشبه الوعد، أو أن وعد موسى هو معاهدته الله. وقرئ: (وعدنا) وعده بدون ألف بعد الواو، وعليها فالوعد من الله تعالى فحسب. [٥٤] ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿بَارِئِكُمْ﴾ قرئ: (بارئْكم) في همزها بموضعي ورودها من الآية بالإسكان، وكذا في راء (يأمرْكم) المتصل بضمير خطاب الجمع، وكذا (تأمرْهم) بالخطاب و(يأمرْهم) بالغيب المتصلين بضمير جماعة الغائبين، (وينصرْكم) مطلقًا (ويشعرْكم) أينما ورد. وتلك الأفعال مرفوعة فوجه الإسكان في (بارئْكم) قيل: هذا من قبل إجراء المتصل من كلمة مثل: (إبْل) بجواز تسكين الباء منه وذلك للتخفيف، وقد وردت به بعض اللغات. والتعليل لهذا: اجتماع ثلاث متحركات ثقال من نوع واحد، وليس قياسًا، بل المرجع هو النص على ما ذكر فلا يرد نحو: (تأمرْنا. ويصورْكم. ونحشرْكم. ونحشرْهم)، كما قرئ: بالاختلاس في كل من الهمزة والراء، والاختلاس يعني: النطق بالحركة سريعة، وهو ضد الإشباع. وفيه مع هذا التخفيف إبقاء على بعض حركتها، وقرئ بالرفع بظهور حركة الإعراب عليها ظهورًا تامًا على الأصل.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌّ منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم.

= فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُول الله ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وقال رَسُول الله ﷺ: "يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فضرب في صدري وقال: "ليَهْنِكَ العلم أبا المنذر" =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٥٨- ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس، وقيل: أريحاء. ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾: فعلة؛ من حط الله عنك خطاياك يحطها؛ أي احطط عنا خطايانا، وقيل: هي «لا إله إلا الله»، لو قالوها لحطّت أوزارهم، ﴿نَّغْفِرْ﴾: نتغمد، وأصل «الغفر»: التغطية والستر، وكل شيء ساتر: غافر. ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾: جمع: خطيئة، وخَطِئ الرجل؛ إذا عدل عن سبيل الحق. ٥٩- ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: الآية: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا: حبة في شعرة!» ﴿رِجْزًا﴾: عذاباً. ٦٠- ﴿ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: سأل الماء لقومه منهم، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: «أناس»: جمع لا واحد له من لفظه ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: موضع شربهم من الحجر الذي كان يتفجر منه الماء. ﴿تَعْثَوْا۟﴾: تطغوا. وأصل «العثا»: شدة الإفساد. ٦١- ﴿وَفُومِهَا﴾: قيل: إنه الخبز والحنطة. وقيل: إنه الثوم؛ لتقارب مخرج «الفاء» من مخرج «الثاء»، كما يقال: مغافير ومغاثير، لشيء شبيه بالعسل ينزل من السماء يقع على الشجر ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾: أصل «الاستبدال»: ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك. ﴿أَدْنَىٰ﴾: أخسّ وأوضع، ورجل دني: إذا كان يتتبع خسائس الأمور ﴿مِصْرًا﴾: من الأمصار. وقيل: إنها مصر فرعون ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: من ذل يذل ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الفاقة والخشوع، وقيل: الجزية ﴿وَبَآءُو﴾: انصرفوا ورجعوا، ولا يتكلم به إلا موصلاً بخير أو شر. ﴿يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون حد الله، وكل متجاوز حد شيء، إلى غيره؛ فقد تعدى.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]. في البقرة ﴿فَكُلُوا۟﴾ بالفاء؛ لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف﴿وَكُلُوا۟﴾ بالواو، ومعناه: أقيموا فيها، وذلك ممتد، فذكر بالواو، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾؛ لأنه سبحانه أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، خلاف ما في الأعراف فإنَّ فيها: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، ثم قدم ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ في البقرة، وأخرها في الأعراف؛ لأن السابق في البقرة ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، فبين كيفية الدخول، وجمع ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾؛ لأن خطايا صيغة الجمع الكثير، ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه، وزاد واوًا ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ بغير واو؛ لأن اتصالهما في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين، واختلفا في الأعراف؛ لأن اللائق ﴿سَنَزِيدُ﴾ محذوف الواو ليكون استئنافًا للكلام. قول آخر: آية البقرة لما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ...﴾، ناسب ذلك نسبة القول إليه، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، وناسب ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لدلالتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا۟﴾، لأن الأكل مترتب على الدخول، فناسب مجيئه بالفاء، وأمّا آية الأعرف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، فناسب ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟﴾، وناسب ترك رغدًا والسكنى لجامع الأكل فقال: ﴿وَكُلُوا۟﴾، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا، وتلك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾. [٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. لما سبق في الأعراف تبعيض الهادين بقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [١٥٩]، ناسب تبعيض الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾، ولم يتقدم مثله في البقرة، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا، لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم: ﴿فَأَنزَلْنَا﴾، والإرسال أشد وقعًا من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة، وختم آية البقرة بـ﴿يَفْسُقُونَ﴾، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظ منهم سياقه. [٦٠] ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. قوله في البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾؛ لأن الانفجار معناه انصباب الماء بكثرة وغزارة، والانبجاس معناه ظهور الماء، وفي البقرة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ فذكر بلفظ مبالغ فيه، وفي الأعراف ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ وليس فيه ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ فلم يبالغ فيه.

[٦١] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]. لماذا أخر في آل عمران ما قدمه في البقرة؟ الجواب: لما سألوا في البقرة عن مأكلهم ما فيه خسة، وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، عوضًا عمّا لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير تعب؛ ولهذا قيل لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان، ناسب ذلك أن يناط به، ويتبع عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم، ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [١١١]، ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باؤوا به. [٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ هنا، والأعراف:١٦١، قرئ: (نَغفِر لكم) بفتح النون وكسر الفاء على الإسناد للفاعل، وذلك جار على نظام ما قبله من قوله: (وإذ قلنا) وما بعده من قوله و(سنزيد)، وعلى هذه القراءة تكون (خطاياكم) مفعولاً به. وقرئ: (يُغفَر لكم) بالياء المضمومة وفتح الفاء مبنيًا للمفعول و(خطاياكم) نائب فاعل: وقرئ: (تُغفَر لكم) بالتاء المضمومة وفتح الفاء كذلك مبنيًا للمفعول ونائب الفاعل (خطاياكم)، ونظرًا لأن المسند إليه مجازي التأنيث جاز تذكير الفعل له وتأنيثه.

[٥٩] ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضًا في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلٌ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى.

- رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقال رَسُولُ الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال-التوبة. وعن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة، مَنْ قَرَأها في بيته نهاراً لم يدخل بيتَه شيطانٌ ثلاثة أيام. ومن -

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

٦٢- ﴿هَادُوا﴾: هم اليهود، نسبة إلى يهوذا بن يعقوب (بالذال المعجمة، فقلبتها العرب دالاً مهملة). وقيل: معنى «هادوا» تابوا، لتوبتهم عن عبادة العجل. ﴿وَالنَّصَارَى﴾: جمع نصران، كسكران وسُكارى، سموا بأرض نزلوها تسمى «ناصرة»، وهي قرية عيسى بن مريم عليه السلام التي بفلسطين، وقيل: سموا بذلك لأنهم نصروا عيسى. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: «الصابئون»: الخارجون من دين كانوا عليه إلى آخر غيره، وهذا أصله في كلام العرب. وقيل: هم قوم ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى، ومنهم بقايا بالعراق، وقيل: إنهم عبدوا الملائكة. وتدل الآية على أن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ولا بالقرآن فليس بمؤمن، ومن آمن بهما صار مسلماً مؤمناً ولم يبق يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً. ٦٣- ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾: مفعال: من الوثيقة بيمين، أو بعهد. ﴿الطُّورَ﴾: جبل ناجى الله عليه موسى -عليه السلام- و«الطور» في كلام العرب: الجبل. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد وطاعة. ٦٤، ٦٥- ﴿تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتم. ﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ﴾: هم فرقة من اليهود اصطادوا السمك يوم السبت، وكان محرماً عليهم، فتجاوزوا بذلك أمر الله. و﴿السَّبْتِ﴾: أصله الهدوء والسكون، مأخوذ من السُّبوت، وهو الراحة والدعة. والسبت كذلك: القطع. ﴿خَاسِئِينَ﴾: صاغرين، و«الخاسئ»: المُبعَد المطرود. ٦٦- ﴿نَكَالًا﴾: عقوبة لهم وتهديداً لغيرهم من القرى، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: تذكرة. ٦٧- ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: الهزو هنا: اللعب والسخرية. وإنما يفعل ذلك أهل الجهل. لأنه عبث يتنزه عنه العقلاء. ولهذا أجابهم موسى بالاستعاذة بالله تعالى أن يكون من الجاهلين. ٦٨- ﴿فَارِضٌ﴾: مسنّة هَرِمة ﴿بِكْرٌ﴾ صغيرة، و«البكر» من إناث بني آدم والبهائم: ما لم يقربها الرجل، أو يفتحها الفحلَ. ﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ قد وَلَدت بطناً بعد بطن، وهي المتوسطة بين سِنيّ الفارض والبكر. ٦٩- ﴿فَاقِعٌ﴾: خالص صاف، و«الفقوع» في «الصُّفرة»، نظير النُّصوع في البياض ﴿تَسُرُّ﴾: تُعجب الناظرين وتدخل عليهم السرور إذا نظروا إليها.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أخرج ابن أبي حاتم، والعدني في مسنده من طريق ابن أبي نُجيح عن مجاهد قال: «قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية». وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: «لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النار. قال سلمان: فأظلمت عليَّ الأرض، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ قال: فكأنما كشف عني جبل». وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: «نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي».

[٦١] ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ [البقرة : ٦١]، ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ [آل عمران : ١١٢]. آية البقرة نزلت في قدماء اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، والمراد بغير الحق الموجب للقتل عندهم.. بل قتلوهم ظلمًا وعدوانًا، وآية آل عمران نزلت في الموجودين زمن النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ...﴾، وبدليل قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ...﴾؛ لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ، ولذلك سمُّوه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فجاء قوله: ﴿حَقٍّ﴾ منكرًا ليكون أعم، فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم، لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بمعنى قوله: ظلمًا وعدوانًا، والأنبياء لا يُقتلون إلا بغير حق، فالألف واللام في لفظ "الحق" تفيد العهد، وتنكير اللفظ يفيد العموم. ثم ذكر في آية البقرة جمع السلامة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ﴾ جمع تكسير، أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق، فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد من البقرة.

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ [المائدة : ٦٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ [الحج : ١٧]. النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان، فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة، حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ بين منصوبات، دلالة على نية تأخيرهم، وكأن تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا، والنصارى والصابئون كذلك.

[٦٢] ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة : ٦٩]. في سورة المائدة سياق الآيات في ذم عقائد اليهود والنصارى ذمًا كثيرًا مسهبًا، أمّا في البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس عن النصارى، وفي المائدة الكلام عن اليهود أشد مما جاء في البقرة، حتى العقوبات يذكرها في المائدة أكثر من البقرة، فاقتضى السياق أن يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون فيه الغضب أقل، وجو الرحمة ومفردات الرحمة وتوزيعها في البقرة أكثر مما في المائدة.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٤]. بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب، لأن عقوبة هؤلاء المتحيِّلين أنهم مسخوا قردة خاسئين والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئًا صورته صورة المباح، ولكن حقيقته غير المباح، فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، ويدلل لذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

[٦٧] ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قوله: (هزوًا) أينما وقع وكذا (كفوًا) (بسورة الإخلاص) قرئ: بإبدال الهمزة التي هي الأصل في كليهما واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها وهو عين الفعل أو إسكانه. كما قرئ: (هزؤًا) بإبقاء الهمزة على أصله، وكذلك مثل هذا في تسكين عينه وتحريكه بالضم (القدس) (وخطوات) أينما جاء، (والعسر، واليسر) وبابهما، (وجزءًا) منصوبًا كان أو مرفوعًا كما في (الحجر)، و(أكل) معرفًا كان أم منكرًا، غير مضاف أو مضافًا إلى ضمير مؤنث أو مذكر أو اسم =

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات. ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات. ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات. ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات. ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات. ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات. ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات. ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في القرآن.

قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال. وعن أنس قال: كان الرّجل إذا قرأ سورة البقرة جَدّ فينا، أي عَظُم في أعيننا. وعن ابن مسعود قال: كنّا نعدّ من يقرأ سورة البقرة من الفحول. أحاديث عامة في فضائل القرآن الكريم: ثواب الماهر بالقرآن: قال رسول الله ﷺ: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام =

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

٧٠- ﴿تَشَابَهَ﴾: أي التبس علينا جنس البقر لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة. ٧١- ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾: لم تذلل بالعمل. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: إثارة الأرض وأثارتها: قلبها للزرع ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: لم يُسْنَ عليها الماء لتسقي الزرع؛ أي: ليست من النواضح، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: سالمة لا عيب فيها ﴿لَّا شِيَةَ﴾: لا بياض ولا سواد يخالف لونها، من «وشي» الثوب؛ إذا نسج على لونين مختلفين. ٧٢- ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: اختلفتم وتنازعتم. ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: مُظهرٌ ما كتمتم بينكم من أمر القتيل والقاتل. ٧٣- ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾: فعلوا فأحياه الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾: أي: إحياء كمثل هذا الإحياء. ٧٤- ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: صَلُبَت ويبست. وهذا إشارة إلى خلوّها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من إحياء القتيل وتكلمه وتعيينه لقاتله. ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾...: الآية. عذر الله تعالى الحجارة، وفضّلها على قلوبهم. ﴿يَهْبِطُ﴾: يتردى من المكان الذي هو فيه إلى أسفل منه من الخشية لله التي تداخله وتحلُّ به. ٧٥- ﴿فَرِيقٌ﴾: «الفريق»: جمع لا واحد له من لفظه، كالطائفة والحزب ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾: يبدلون لفظه بزيادة أو نقصان أو حذف كما يبدّلون معناه وتأويله ٧٦- ﴿لِيُحَاجُّوكُم بِهِ﴾: المحاجة: إبراز الحجة؛ أي لا تخبروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون لهم بذلك الحجة عليكم.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «قام النبي عليه الصلاة والسلام يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: «يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت» فقالوا: من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، قالوا: أيحدث العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ الآية.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]. قوله تعالى: ﴿مَّعْدُودَةً﴾ في سورة البقرة جمع كثرة، و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ في سورة آل عمران جمع قلة؛ لأن قائلي ذلك من اليهود فرقتان: إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا، وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يومًا، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران الفرقة الأولى.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. بنو إسرائيل فتنوا بالبقرة مرتين من بين سائر الدواب، ففتنوا بعبادة العجل، وفتنوا بالأمر بذبح البقرة، والبقر من أبلد الحيوان، حتى ليضرب به المثل. [٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. إن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل، فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. [٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأماني الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعتها. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨- مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشراب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء... ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله تعالى. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدال. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عزو جل. ٢- الإكثار من ذكر الله عزو جل. ٣- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٤- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكر في وعده ووعيده، وأمره ونهيه. ٩- تذكر الآخرة والتفكر في القيامة وأهوالها والجنة والنار. ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين.

= ظاهر (والرعب، ورعبًا) حيث وقع، و(رسل) المضاف إلى ضمير من حرفين نحو: (رسلنا ورسلهم ورسلكم) و(السحت وللسحت) (بالمائدة) و(جرف) و(الأذن) و(أذن) كيف وقع نحو: في (أذنيه) و(قل أذن) و(قربة) «بالتوبة» و(سبلنا) «بإبراهيم والعنكبوت» و(نكرًا) «بالكهف والطلاق» و(نكر) (بالقمر) (ونذيرًا) «بالمرسلات» ووجه إسكان العين في كل ما ذكر أنه: لغة تميم، وأسد، وعامة قيس، ووجه ضمها أنه لغة الحجازيين. [٧٤] ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بتاء الخطاب جريًا على نسق ما قبله من قوله تعالى: و(يريكم آياته) وقوله: (ثم قست قلوبكم) وقرئ: (يعملون) بالياء على الالتفات والخروج من الخطاب إلى الغيبة إعراضًا عن بني إسرائيل المخاطبين بقوله: (ثم قست قلوبكم) وإبرازهم في صورة لا يقبل عليهم بالخطاب وجعلهم كالغائبين، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب مخالفتهم له، ولإسقاطهم عن الاعتبار أو لمناسبة قوله سبحانه وتعالى: =

[٧١] ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) مع عدد ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلّ (١٤) مرة في كتاب الله.

= البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. شفاعة القرآن لأصحابه: قال رَسُول الله ﷺ: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ =

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨- ﴿أُمِّيُّونَ﴾: لا يقرؤون ولا يكتبون، ورجل أمّي بيِّن الأمية؛ إذا كان لا يقرأ ولا يكتب ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: كذباً أو تخريصاً، وقيل: الأماني: التلاوة أي لا علم لهم إلا مجرد التلاوة من غير تفهم وتدبر، ﴿يَظُنُّونَ﴾: يشكون؛ أي يعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره. ٧٩- ﴿فَوَيْلٌ﴾: لهم، «الويل»: العذاب، والهلاك، وقيل: واد في جهنم. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: تأكيد قاطع على أن تحريف اليهود للتوراة قام به اليهود أنفسهم. وهذا ما انتهى إليه علماء مقارنة الأديان من ملاحظة اللغات والأساليب التي كُتبت بها أسفار (التوراة) الخمسة، وما اشتملت عليه من أحكام وتشاريع، وما تراءى فيها ودلّت عليه من بيئات اجتماعية وسياسية. ٨٠- ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: كانت اليهود تزعم أنها لا تعذب إلا عدد أيام عبادتهم العجل، وكانت أربعين يوماً، ثم ينقطع العذاب. ٨١- ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: «بلى» إثبات بعد النفي، أي: بلى تمسكم لا على الوجه الذي ذكرتم من كونه أياماً معدودات، و«السيئة» -هاهنا-: الشرك، ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: أحدقت به واجتمعت عليه، وخرج من الدنيا قبل الإنابة والتوبة منها. ٨٣- ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إفراده بالعبادة، و﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الإحسان إليهما بالتواضع لهما وامتثال أمرهما. ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: هم القرابة، والإحسان بهم: صلتهم ومعاونتهم قدر الطاقة، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: من فقدوا آباءهم وهم دون سن االبلوغ، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: المسكين من أسكنته الحاجة وذلّلته. ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: «الحسن»: اسم عام جامع لمعاني الحسن، لا يختص بنوع معين، أي: قولوا لهم الطيب من القول. وقيل: المراد كلمة التوحيد. وقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. أخرج النسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «نزلت في أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة أكحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً وبغياً، أو قالوا: نجده طويلاً أزرق سبط الشعر». [٨٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ الآية: أخرج الطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. [٨٢] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أخرج ابن جرير من طريق الضحاك، عن ابن عباس أن اليهود قالوا: «لن ندخل النار إلا تحلة القسم، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت انقطع عنا العذاب» فنزلت الآية.

[٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]. الآيتان تبينان أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبدًا لا يخرجون منها، وآية الأعراف توضح أن الله تعالى لا يكلف نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق. [٨٣] ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]. قوله: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في البقرة بدون باء، و﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في النساء بزيادة باء؛ وذلك لأن سياق الآيات في سورة النساء والكلام فيها عن القرابات من أول السورة إلى آخرها، فكان ذكر الباء مع ذي القربى في آية النساء لمراعاة التفصيل والتوكيد، أمّا آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات، فحذفت الباء في ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مراعاة للإيجاز. [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. وذمٌّ للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه.

= (وما كادوا يفعلون) وما بعده من قوله: (وقد كان فريق منهم) وقوله: (يحرفونه) فلما أتى ما قبله وما بعده بلفظ الغيبة أجراه على ذلك. [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قوله: ﴿أَمَانِيَّ﴾ وبابه (أمنيهم) (بأمانيكم) (ولا أمانيّ) (في أمنيّته) قرئ: (الأمانيّ) بتشديد الياء وهو الأصل في المفرد وفي الجمع منه على وزن أفاعيل. كما قرئ: (الأماني) بتخفيف الياء في المفرد وفي الجمع منه على وزن أفاعل مع إسكان الياء في المرفوع من ذلك والمخفوض، وبكسر هاء (أمانيهم) لكونها بعد ياء ساكنة، قال أبو حاتم: كل ما جاء من هذا النحو واحده مشدد فلك فيه التشديد والتخفيف وهما لغتان. [٨١] ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قرأ الجمهور: (خطيئته) بالإفراد يراد بها الجنس، ومقابلة السيئة وهي مفردة. وقرئ: (خطيآته) جمع تأنيث، وتوجيه ذلك: لما كانت الذنوب كثيرة جاء اللفظ مطابقًا للمعنى. [٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قرئ: (تعبدون) بالتاء على الالتفات وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعى للقبول وأقرب للامتثال؛ لما أخذ عليهم من ميثاق وليناسب سياق ما بعده في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. وقرئ: (يعبدون) بياء الغيبة لأن بني إسرائيل لفظ غيبة في سياق الآية. قوله تعالى: ﴿حُسْنًا﴾ قرأ الجمهور: (حُسْنًا) بضم الحاء وإسكان السين فظاهره أنه مصدر، وأنه كان في الأصل قولًا حسنًا إما على حذف مضاف أي: ذا حسن وإما على الوصف بالمصدر لإفراط حسنه. وقيل: يكون أيضًا صفة لأن أصله مصدر كالحلو والمر فيكون الحَسَن والحُسْن لغتين كالعَرَب والعُرب، وقيل: انتصب مفعولًا مطلقًا من المعنى لأن المعنى: «وليحسن قولكم حسنًا». وقرئ: (حَسَنًا) بفتح السين والحاء ويكون صفة لمصدر محذوف والتقدير: (وقولوا للناس قولًا حسنًا).

= القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. القرآن قائد إلى الجنة: قال رَسُول الله ﷺ: "القرآن شافع مشفع، وماحل - أي مدافع - مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار" رَوَاهُ ابن حبان وصححه الألباني. الحرف من القرآن بعشر حسنات: قال رَسُول الله ﷺ: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وصححه الألباني. تلاوة القرآن نور في الأرض وذخر في السماء: قال رَسُول الله ﷺ لأبي ذر: "عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء" رَوَاهُ ابن حبان في =

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٥- ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾: تتساندون وتتعاونون، ﴿يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾: «أسارى» جميع أسير. أي إن أسير أحد منكم، وجاءكم يطلب منكم مالاً يفتدى به نفسه ممن أسره أعطيتموه ذلك إيمانًا بما في التوراة. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: فكانوا إذا وقعت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، أي ذهبت كل طائفة منهم مع أحلافها من المشركين، فقتّل بعضهم بعضًا وأخرج بعضهم بعضًا من ديارهم. فهذا بعض الكتاب الذي كفروا به، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، وهذا البعض الذي آمنوا به، والآية توبيخ لهم، وبيان لقبح فعلهم. ﴿خِزْىٌ﴾: ذل وصغار. ٨٦- ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾: استبدلوا قليل الدنيا بنعيم الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي لا يجدون أحداً ينجيهم من عذاب الله. ٨٧- ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: اتبعنا بعضهم بعضاً، من قفوت فلاناً؛ إذا صرت خلف قفاه ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحجج والآيات التي أعطاها الله تعالى عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير. (انظر الآية ٤٩ من سورة آل عمران) وقيل: هي الإنجيل. والآية تعم جميع ذلك. ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: أعنّاه وقوّيناه؛ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بجبريل -عليه السلام- وقيل: باسم الله -عز وجل- الذي كان يحيي به عيسى الموتى. واختلف فيه، والأول أرجح، والله أعلم. ٨٨- ﴿غُلْفٌۢ﴾: أي: في غلاف وغطاء، يقال: سيف أغلف إذا كان في غلافه، والمراد -هنا-: الذي عليه غشاوة تمنع من وصول الكلام إليه. ﴿لَّعَنَهُمُ﴾: أقصاهم وأبعدهم عن رحمته.

[٨٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة : ٨٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة : ١٦، ١٧٥]. قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ المشار إليهم اليهود الذين نقضوا العهد واختاروا الدنيا على الآخرة، فالآخرة عندهم مزهود فيها مبيعة، والدنيا مرغوب فيها مشتراة، وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ فالمشار إليهم المنافقون، والذين يكتمون العلم كما في سياق الآيات، فقد اختاروا العماية، وهي ما ساروا عليه من النفاق وكتمان العلم. [٨٦] ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [أول البقرة: ٨٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة : ١٦٢، آل عمران : ٨٨]. لو نظرنا إلى سياق آيات سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فالآيات تتحدث عن القتال والحرب، والمحارب يريد النصر؛ لذا ناسبت أن تختم بـ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أمّا الآية الثانية من سورة البقرة وآية آل عمران، فوردت فيهما كلمة اللعنة، واللعنة معناها الطرد من رحمة الله والإبعاد، والمطرود لا يُنظر، لذا استوجب ذكر ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.
[٨٨] ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨]، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء : ١٥٥]. في آية البقرة قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، قالوه على سبيل الاستفهام بمعنى الإنكار، يعني ليست قلوبنا فيه مغلفة أو مغلقة أو مغطاة، بل قوية ومستنيرة، ولقد تأملنا في دلائلك يا محمد فلم نجدك على الحق، فلما صدر عنهم هذا الكبر وهذا التصلف الكاذب لعنهم الله على كفرهم الحاصل بسبب هذا القول، أو أنهم كذبوا في ادعائهم ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، وكانوا يعرفون صحة وصدق نبوة محمد ﷺ، فكان كفرهم كفر العناد، فلذلك لعنهم الله على ذلك الكفر، أمّا في آية النساء فإنه تعالى كذبهم في ادعائهم أن قلوبهم أوعية للعلم -و استثنى الراسخين في العلم منهم- وبين أنه تعالى طبع عليها وختم عليها، فلا يصل أثر الدعوة والبيان إليها.

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ... وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: (تظاهرون عليهم) في هذا الموضع، (وتظاهرا عليه) في سورة [التحريم : ٤]، قرئ: (تَظاهرون، تظاهرا) بحذف إحدى التاءين تخفيفًا. وقرئ: (تظّاهرون، تظّاهرا) بتشديد الظاء. فأدغمت تاء الافتعال في الظاء لشدة قرب المخرج. قوله تعالى: (أُسارى) قرئ: بضم الهمزة وفتح السين بعدها ألف جمع أسرى، مثل «سكرى» و«سكارى» فيكون «أسارى» جمع الجمع، وقيل: «أسارى» جمع «أسير» مثل «كسالى جمع كسيل». وقرئ: (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف على وزن فعلى وهو جمع أسير. قوله: (تُفادوهم) قرئ بضم التاء وفتح الفاء بعدها ألف من فادى، وعليها فالمفاعلة إما على بابها للاثنين على معنى أن يعطي الأسير المال، ويعطيه الآسر الإطلاق. وإما على غير بابها ففاعل للاثنين بمعنى: الفعل المجرد مثل قول أبي العباس: فاديت نفسي، فهي إذاً من جانب واحد. وقرئ: (تَفْدوهم) بفتح التاء وسكون الفاء وحذف الألف من (فدى) فالفعل من جانب واحد، إذ لا يكون كل واحد من الفريقين غالبًا، وحينئذ فأحد الفريقين يفدي أصحابه من الفريق الآخر بمال أو غيره. قوله: (يعملون) قرئ: بياء الغيبة لمناسبة (يُردُّون) قبلها. وقرئ: (تعملون) بتاء الخطاب فيكون المخاطب بذلك من كان مخاطبًا في الآية وهم بنو إسرائيل، ويحتمل أن يكون الخطاب لأمة محمد ﷺ.
[٨٧] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ حيث جاء في القرآن قرئ: (القُدُس) بضم الدال على الأصل، وهو لغة أهل الحجاز. وقرئ: (القُدْس) بإسكان الدال للتخفيف كي لا تتوالى ضمتان نحو "الحلْم – الحُلُم" وهو لغة تميم.

[٨٥] ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٦) مرات في كتاب الله تعالى.

= صحيحه. وقال الألباني: صحيح لغيره. القرآن مأدبة الله في الأرض: "إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، وإن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة من تمسك به، ونجاة من تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق -أي لا يبلى- عن كثرة الرد -أي التكرار-، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول بـ﴿الٓمٓ﴾، ولكن بألف عشرًا وباللام عشرًا وبالميم عشرًا" رَوَاهُ الحاكم =

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

٨٩- ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: معنى «الاستفتاح»: الاستنصار، وكانت اليهود تزعم أن النبي -ﷺ- يكون منهم، ويتهددون به العرب قبل مبعثه. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾: الرسول الذي يعرفون وَصفَه من كتبهم. ٩٠- ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: اشتروا بمعنى: باعوا،اي أنهم أوبقوا أنفسهم في نار جهنم فبئست الصفقة، ﴿بَغْيًا﴾: تعدِّياً وحسداً، قال الأصمعي: البغي ماخوذ من قولهم: قد بغى الجرح؛ إذا فسد. وقيل: أصله الطلب. والمعنى: أنهم باعوا أنفسهم بهذا الثمن البخس حسداً ومنافسة أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، ﴿فَبَآءُو﴾: انصرفوا، ورجعوا، ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: الغضب الأول: لكفرهم بعيسى عليه السلام. والثاني لكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل: لكفرهم بمحمد ثم البغي عليه. ﴿مُّهِينٌ﴾: مخز مذلٌ. ٩١- ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: بما بعد التوراة من كتب الله. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾: هذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود زمن النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، ولكن لما كانوا راضين بما فعله أسلافهم كانوا مثلهم، ونُسب الفعل إليهم لكونهم ساروا على طريق اسلافهم في تكذيب الأنبياء ومعاداتهم. ٩٢- ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالتوراة، أو بالآيات التسع المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. ٩٣- ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بعزم وجدّ، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: المراد ما يترتب على السماع من الطاعة والقبول والامتثال. ﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾: معنى أُشرب: سُقي، اي: أشربوا حب العجل، جُعلت قلوبهم لتمكن حبّ العجل منها كأنها تشربه.

[٨٩] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ الآية. اخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء: اللهم إنّا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان، فلمّا بُعث النّبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ بك يا محمد على الكافرين.

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩]، ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١]. الآية الأولى تتحدث عن القرآن الكريم، والثانية عن النبي ﷺ، والآيتان تبينان مدى ضلال اليهود وكفرهم وإعراضهم عن الحق... [٩٠] ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠، المجادلة: ٥] ليس غيرهما في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤، المجادلة: ٤]. آية البقرة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ناسب شدة غضب الله تعالى عليهم ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾، وفي آية المجادلة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ناسب كون الكفار ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، أي: يعادون ويشاقون مع وجود الآيات البينات فكبتهم الله، أي: أذلهم كما أذل الذين من قبلهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. [٩٣] ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾ [البقرة: ٩٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣، الأعراف: ١٧١]. آية البقرة ﴿بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾، لأنه سبقها كلام عن اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]، والكتاب هو القرآن، فهم سمعوا القرآن وعلموا به، ومع ذلك قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، والآية الثانية سبقها كلام عن اليهود أيام موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] والكتاب هو التوراة، وآية الأعراف مثلها، والمعنى يزداد وضوحًا من خلال تتبع سياق الآيات. [٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧]. لما كانت دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة أكد نفي ذلك بـ﴿لَن﴾؛ لأنها أبلغ في النفي من ﴿لَا﴾، لظهورها في الاستغراق، وفي سورة الجمعة ادعوا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته، فأتى بـ﴿لَا﴾ النافية للولاية، وكلاهما مؤكد بالتأبيد، لكن في البقرة أبلغ، وأيضًا: فإن آية البقرة وردت بعدما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء، فناسب حرف المبالغة في النفي لتمنيهم الموت لما يعلمون مما لهم بعده من العذاب؛ لأن ﴿لَن﴾ أبلغ في النفي عند كثير من أئمة العربية، وآية الجمعة لم يتقدمها ذلك، فجاءت بـ﴿وَلَا﴾ الدالة على مطلق النفي من غير مبالغة. =

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]. لمَّا تبين لليهود الحق ردُّوه بغيًا وحسدًا، وزعموا أنهم أفضل من النبي ﷺ فكيف يتبعونه، فمن ردّ الحق من هذه الأمة لأن فلانًا الذي يرى أنه أقل منه هو الذي جاء به، فقد شابه اليهود. [٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلَ﴾ وبابه من كل فعل مضارع من غير همزة مضموم الأول سواء أكان مبنيًا للفاعل أو المفعول حيث أتى، قرئ: (ينَزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي مضارع (نزَّل) المتعدي بالتضعيف. وقرئ: (ينْزِل) بسكون النون وتخفيف الزاي من (أنزَل) المتعدي بالهمزة إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [بالحجر: ٢١]، فقد أُجمع على قراءته بالتشديد، ويقيد خرج الماضي نحو: (وما أنزل الله – نزلنا على عبدنا)، وبغير همزة، سأنزل، وبالمضموم خرج، و(ما ينزل من السماء).

[٨٧] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾

إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

= وصححه الألباني. نزول الملائكة لتلاوة القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده" رَوَاهُ مُسلِمٌ. نزول السكينة لتلاوة القرآن: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط =

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤، ٩٥- أخرج البخاري وغيره من حديث ابن عباس مرفوعاً: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار». ٩٦- ﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾: بمبعده ومُنحّيه. ٩٧- نزلت في اليهود قالوا: إن جبريل عدوٌ لهم، وأن ميكائيل ولي لهم! قيل: وكان ذلك في مناظرتهم للنبي ﷺ إذ قالوا: لو كان وليُّك سوى جبريل من الملائكة لاتبعناك وصدّقناك، قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: هذا عدونا!! ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾: خصّ القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم، وإشارة إلى أن نزول جبريل بالقرآن على النبي ﷺ كان بصورة جبريل الملائكية النورانية، ولكنه ربما تمثل للنبي رجلاً يكلمه، ولكن فيما سوى القرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: موافقاً لما سبق من الكتب في أصول الاعتقاد من الدعوة إلى التوحيد والنبوة والمعاد. ٩٨- ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ﴾: الآية: وعيدٌ وذمّ لِمُعادي جبريل عليه السلام، وإعلام أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم. وعداوة الله تعالى للعبد: تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه. ١٠٠- ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: أصل «النبذ» الطرح والإلقاء. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾: خلف ظهورهم. وهذا مثل يضرب لمن يستخف بالشيء فلا يعمل به. ١٠١- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ﴾: هو محمد ﷺ، ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: هم اليهود منّ الله عليهم بالكتاب لكنهم لم يعملوا بما فيه، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: التوراة، وكفرهم بها: عدم الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن صفته جاءت فيها، والكفر بالبعض كالكفر بالكل؛ لأنه تكذيب لله تعالى.

[٩٤] قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ فأنزل الله ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ﴾ الآية. [٩٧] قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ الآية. روى البخاري عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سَلاَم مقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفًا، قال: جبريل، قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري: «ظاهر السياق أن النبي ﷺ قرأ الآية ردًا على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ» قال: «وهذا هو المعتمد»، فقد صح في سبب نزول الآية قصة غير قصة عبد الله بن سلام فأخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، من طريق بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أقبلت يهودُ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي. فذكر الحديث، وفيه أنهم سألوه عما حرم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُذكّر المرأة وتؤنّث، وعمن يأتيه بخبر السماء إلى أن قالوا: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل، قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب، عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرًا، فنزلت». وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن جرير من طريق الشعبي: أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن قال: فمر بهم النبي ﷺ، فقلت: نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله، فقال عالمهم: نعم نعلم أنه رسول الله ﷺ قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته، فقال: عدونا جبريل، لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك، قلت: فمن رسولكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة، قلت: وكيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن الجانب الآخر. قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يُسالم عدو جبريل، وإني أشهد أنهما وربهما سلم لمن سالموا، وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي ﷺ وأنا أريد أن أخبره، فلما لقيته قال: «ألا أخبرك بآيات أنزلت علي؟» فقلت بلى =

= قول آخر: الوارد في آية البقرة جواب لحكم أخروي مستقبل، فناسبه النفي بما وضع من الحروف لنفي المستقبل، لأن "لن يفعل" جواب سيفعل. وأمّا آية الجمعة فهي جواب لزعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس، وذلك حكم دنيوي حالي لا استقبالي، فناسبه النفي "بلا" التي لنفي ما يأتي وغيره. [١٠٠] ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ عدا [العنكبوت: ٦٣] ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾. قوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ في البقرة، وفي سائر المواضع ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وموضع واحد في العنكبوت ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾؛ لأن أكثر الموصوفين بهذا بين ناقض عهد وجاحد حق إلا القليل منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، ولم يأت المعنيان معًا إلا في موضع سورة البقرة فقال: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦]. ﴿حَيَوٰةٖ﴾ منكرة هنا، لبيان أنهم يتشبثون بأي حياة كانت، سواء محمودة أو مذمومة، حياة فقر أو حياة غنى، حياة عز أو حياة ذل، المهم أن يبقوا، وليس هذا صنيع من يرجو شيئًا في الدار الآخرة. وهذا يدل على ضعف يقينهم بما يزعمون، وعلى بطلان برهانهم... فالمرء كلما ابتعد عن التشبث بالحياة الدنيا بعد عن صفات اليهود. [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]. ما الفرق بين ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ و ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؟ الجواب: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ تقال في موقف الذم، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤] هذا ذم، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ذم، بينما ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ تأتي مع المدح ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] مدح، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦] مدح، وهذا ضرب عام في القرآن الكريم على كثرة ما ورد من ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ و﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ورب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه، أمّا ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فلأن فيها ذمًّا نسبه للمجهول.

[٩٦] ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون) بياء الغيبة على نسق ما قبله في الآية حيث هو بالغيبة. وقرئ: (تعملون) بالتاء التفاتًا من الغيبة إلى الخطاب نظرًا لما يقتضيه حال المخاطبين من توجيه ما تتضمنه هذه الجملة من تهديدهم بالوعيد على ما ارتكبوه مما دلت عليه الآية قبل.

= بِشَطَنَيْنِ – أي حبل – فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال رَسُول الله ﷺ: "تلك السكينة تنزلت للقرآن" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة: قال رَسُول الله ﷺ: "الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة" رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ =

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢- ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: تحدث وتقول، وكانت الشياطين تخبر أولياءها من الإنس أن سليمان- عليه السلام- كان ساحراً بعد وفاته، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه، فأخرجوه بعد موته، وقالوا: هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فردّ الله تعالى ذلك عليهم وقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾: ولم يتقدم أن أحدًا نسب سليمان إلى الكفر، ولكن لما نسبته اليهود إلى السحر، صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر، لأن السحر يوجب ذلك. ولهذا أثبت الله تعالى كفر الشياطين. فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾: أي بتعليمهم ﴿ٱلسِّحْرَ﴾: ما كانت الشياطين تسترقه، من أمر السماء، وتضيف إليه من الكذب، وتنبذه إلى أوليائها من الإنس، واختلف فيه. ﴿بِبَابِلَ﴾: ارض معروفة، قال ياقوت: هي ناحية من نواحي الكوفة أو الحلّة، ينسب إليها السحر والخمر، ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: مَلَكان خبرهما معلوم، قال ابن جرير: ذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بلاء واختبار-ها هنا- وذلك تحذير من السحر، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة. بل هو ضرر وشرّ. ﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾: في هذا الموضع: من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ﴾: «بئس»: كلمة مستعملة في الذم ﴿مَا شَرَوْاْ﴾: ما باعوا أو استبدلوا. ١٠٣، ١٠٤- ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثواب. ﴿رَٰعِنَا﴾: أي: راقبنا، وهذا اللفظ كان بلسان اليهود من ألفاظ السبّ، فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي «راعنا» طلبًا منه أن يراعيهم – من المراعاة والتلطف – اغتنموا الفرصة مظهرين أنهم يريدون المعنى العربي، مبطنين أنهم يقصدون السب، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها قطعًا لدابر المكر والخبث اليهودي. وعلّمهم لفظًا آخر. ﴿ٱنظُرْنَا﴾: فهّمنا وبيّن لنا. ١٠٥- ﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾: بتوبته. وقيل: جنس الرحمة من غير تعيين.

= يا رسول الله، فقرأ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾، حتى بلغ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، قلت: يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني. وإسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر. وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي، وأخرجه ابن جرير من طريق السدي عن عمر ومن طريق قتادة عن عمر، وهما أيضا منقطعان. [٩٩، ١٠٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ﴾ الآيتين. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ الآية. وقال مالك بن الصيف، حين بُعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقًا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾. [١٠٠] الآية. [١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: «قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحرًا يركب الريح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾. [١٠٤] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾. أخرج ابن المنذر عن السدي قال: كان رجلان من اليهود مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد إذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾. وأخرج عن قتادة قال: كانوا يقولون راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك، فنزلت، وأخرج عن عطاء قال: كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنزلت. وأخرج عن أبي العالية قال: إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: ارعني سمعك. فنهوا عن ذلك.

[١٠١-١٠٢] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ ... ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٢]. لما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين. [١٠٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. كيف أثبت لهم العلم أولًا مؤكدًا بلام القسم، ونفاه عنهم آخرًا؟ الجواب: المثبت لهم علمهم بأن من اختار السحر ما له من نصيب، والمنفي عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها. أو المثبت لهم العلم مطلقًا، والمنفي عنهم العقل لأنه أصل العلم، فإذا انتفى العقل انتفى العلم.

[٩٧، ٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ في هذه السورة وفي سورة التحريم: ٤، قرئ: (جِبرِيل) بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة، وهي: لغة الحجازيين، فمن كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب. ومن فتح: أتى به على غير كلام العرب ليعلم أنه أعجمي، وكذلك من همز ومن أثبت ياء بعد الهمز. وقرئ: (جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنة بغير همزة. وكذلك قرئ: (جَبرَئِيل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة وياء ساكنة وهذه لغة تميم، وقيس، وكثير من أهل نجد. وقرئ: (جَبرَئِل) مثل هذه القراءة الأخيرة، بحذف الياء بعد الهمزة، وهي لغة أيضًا في هذا الاسم، وهو اسم أعجمي. قوله تعالى: (ميكال) قرئ: على وزن مثقال بحذف الهمزة من غير ياء بعدها وهي لغة الحجازيين. وقرئ: (ميكائل) بزيادة همزة بعد الألف. وقرئ: (ميكائيل) بزيادة همزة بعد الألف وزيادة ياء بعد الهمزة، وكل هذه لغات.

[١٠٢] ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= وصححه الألباني. من ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب: قال رَسُول الله ﷺ: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقال: حديث حسن صحيح. أحسن الناس صوتًا بالقرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله" =

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٠٦- ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما ننقل من حكمهما إلى غيرها، وأصل «النسخ»: النقل. ﴿نُنسِهَا﴾: نتركها ولا نغير حكمها وفرضها. وقال قوم: الآية: الشريعة. والمراد شرائع أهل الكتاب أو شريعة موسى عليه السلام، كما يشير سياق الآيات. ورجح بعض العلماء أن المراد بالآية: المعجزة أو الدليل والبرهان؛ أي على نبوّة كل نبيّ من الأنبياء.. ﴿بِخَيْرٍ﴾: في خفة العمل، أو في الثواب. ١٠٧- ﴿مِن وَلِىٍّ﴾: أصل «الولاية»: المتابعة والنصرة والإعانة ﴿نَصِيرٍ﴾: من النصر. ١٠٨- ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: أصل الضلال عن الشيء: الذهاب عنه؛ أي: ذهب عن طريق طاعة الله، ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: قصده ومنهجه ومستواه، وأصل السواء: الوسط من كل شيء، و«السبيل»: الطريق. ١٠٩- ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: قيل: نسخت هذه الآية بقوله -عز وجل-: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]، والعفو: ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس، أو الإعراض عن المذنب. أما دعوى النسخ فبعيدة، بل لا تصح عند جمهور المفسّرين. ١١٠- ﴿تَجِدُوهُ﴾: أي: تجدون ثواب عمل الخير حاضراً. ١١١- ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: قيل: «هود» جمع: «هائد»، و«الهائد»: التائب الراجعُ. ومرادهم: من كان يهوديًا. ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: يتمنون على الله غير الحق وما لا يستحقونه ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: بيتكم وحجتكم، والأمر في الآية على وجه التعجيز. ١١٢- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أخلص لله. وأصل «الإسلام»: الاستسلام، وهو الخضوع.

[١٠٦] قوله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ)الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل ويحشى أن ينساه بالنهار، فأنزل الله (مَا نَنسَخْ) الآية». [١٠٨] قوله تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ) الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، أو فجّر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟) إلى قوله: (سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ) وكان حيي بن أخطب وابو ياسر بن أخطب من أشد يهود حسدًا للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ).

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ...﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩] في آية البقرة ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾، والحسد المحرم هو تمني زوال نعمة الغير، والحاسد لا يرضيه إلا زوال النعمة، ولذلك تمنوا كفر المسلمين في آية البقرة، وآية آل عمران حول كيد أهل الكتاب لإضلال المؤمنين بإلقاء الشبهات لهم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، حيث استحقوا العقاب على قصدهم إضلال الغير، وهو كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]. [١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]. لماذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في هذه الآية؟ الجواب: التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع يسمى التفاتًا، ويستعمل لتطرية نشاط السامع، وقد ورد في القرآن كثيرًا، يلتفت من الغائب إلى الحاضر، ومن الجمع إلى الإفراد، ومن الغائب إلى المتكلم.

[١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ ومثلها ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وكذا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بالأنفال: ١٧، قرئ: بتشديد النون من (لكنّ) فيجب إعمالها، ونصب ما بعدها على أنه اسمها. وقرئ: (لكن) بتخفيف النون ورفع ما بعدها على الابتداء. وهي: إذًا ليست عاملة: لأنها لا تعمل مخففة؛ لذلك رجع الكلام بعدها إلى أصله وهو الابتداء والخبر.

[١٠٦] ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ قرئ: (ما نَنسَخ) بفتح النون الأولى وفتح السين من نسخ، وهو المعنى الظاهر المستعمل في اللفظ، على معنى ما نرفع من حكم آية ونُبْقِ تلاوتها، "نأت بخير منها" لكم أو مثلها. ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية أو تلاوتها أو ننسخها يا محمد فلا تحفظ تلاوتها، "نأت بخير منها أو مثلها". أي: نأت بأصلح منها لكم في التعبد أو بمثلها. وقرئ: (ما نُنسِخ) بضم النون وكسر السين من أنسخ بالهمزة التي هي للوجود. تقول: أنسخت الكتاب بمعنى وجدته منسوخًا، ولا يجوز أن يكون أنسخ بمعنى نسخ؛ لأنه لم يسمع ذلك ولا يحسن أن تكون الهمزة هنا للتعدية؛ لأن المعنى عليه بتغير فيصير "ما نسختك" يا محمد من آية، أو ننسخها نأت بخير منها، فيؤول المعنى إلى أن كل آية أنزلت أتى بخير منها، فيصير القرآن كله منسوخًا، وهذا لا يمكن لأنه لم ينسخ إلا اليسير من القرآن، فلما امتنع أن تكون الهمزة فيه للتعدية لإفساد المعنى لم يبق إلا أن تكون الهمزة فيها للوجود، والفعل من باب أحمدته وأبخلته. أي: وجدته محمودًا ووجدته بخيلًا. وقوله تعالى: ﴿نُنسِهَا﴾ قرئ: (نُنسِها) بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين بلا همز من النسيان أو الترك. وقرئ: (نَنسَئْها) بفتح النون الأولى وسكون الثانية وبفتح السين وهمزة ساكنة بعدها من النسأ وهو التأخير.

[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن (٥١٨) مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن (٥١٨) مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: (٥١٨) مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك (٥١٨) مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ (٥١٨) مرة في القرآن الكريم.

= رَوَاهُ ابن ماجه والدارمي وصححه الألباني. التغني بالقرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن -أي يجهر به-" مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. معنى "أذن الله": أي استمع. وهو إشارة إلى الرضا والقبول. وقال رَسُول الله ﷺ: "ليس منّا من لم يتغن -أي يحسن صوته- بالقرآن" رواه البخاري =

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾: نفت كل طائفة الخير عن الأخرى، ويتضمن ذلك إثباته لنفسها! ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي كلٌّ يتلو في كتابه تصديق من كفر به. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: هم أمم كانت قبل اليهود والنصارى. وقيل: المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم. عن ابن عباس قال: لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى والإنجيل، فقال له رجل من أهل نجران: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله هذه الآية. ١١٤- ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: «المساجد» جمع: مسجد: وهو كل موضع يعبد الله فيه. وقيل: إنه بيت المقدس. وقيل: المسجد الحرام. ١١٥- ﴿تُوَلُّواْ﴾: تستقبلوا بوجوهكم؛ إذ كانوا يصلون إلى بيت المقدس؛ أي: بعد أن نُسخ التوجه إلى بيت المقدس بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾، هذه الآية إذنٌ بجواز التوجه حيث توجَّه المصلي في التنفل على الراحلة، وفي صلاة الخوف. ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾: قبلة الله ﴿وَٰسِعٌ﴾: يسع خلقه بالكفاية والتدبير. ١١٦- ﴿قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون مقرُّون بالعبودية. ١١٧- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: منشئها ومحدثها ومبتدعها. يقال: أبدع الشيء: أنشأه لا عن مثال. ١١٨- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: هم كفّار العرب، ﴿لَوۡلَا﴾: هلّا، أيكلمنا الله، يخبرنا بنبوّة محمد فنعلم أنه نبي، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: اليهود والنصارى، ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: أي في التعنّت وطلب ما لا يصح، أو في الكفر وإن اختلفت ظواهرهم. ﴿يُوقِنُونَ﴾: يعترفون بالحق ويذعنون لأوامر الله.

[١١٥] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [١١٥] معنى اسم الله الواسع: فهو ﷻ واسع الصفات، والنعوت، ومتعلّقاتها، بحيث لا يُحصِي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، وواسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ الآية. [١١٤] قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من الطريق المذكور أن قريشًا منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: «نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية». [١١٥] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ أخرج مسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به، وهو آتٍ من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾، وقال في هذا نزلت هذه الآية، وأخرج الحاكم عنه قال أنزلت ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع». وقال: «صحيح على شرط مسلم» هذا أصح ما ورد في الآية إسنادًا، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا. [١١٨] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ إن كنت رسولًا من الله كما تقول فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الآية».

[١١٣، ١١٨] ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ [البقرة: ١١٨]. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قال بعض المفسرين: المراد بهم كفار قريش، أهل الجاهلية، فإنهم قالوا: إن محمدًا ﷺ ليس على دين، وليس على شيء، أو: إنهم أمم سابقة، أو: إنهم طوائف من اليهود والنصارى، يعني أن الذين يتلون الكتاب من اليهود والنصارى قالوا مثل قول الذين لا يعلمون منهم، فاستوى قول عالمهم وجاهلهم، والآية تشمل جميع الأقوال، وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾، أي: مثل هذا القول الذي اقترحوه قد اقترحه من قبلهم: قوم موسى قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥]، فهذا دأب المكذبين للرسل ينكرون، ويقترحون، وقد أتوا من الآيات بأعظم مما اقترحوه. [١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجدهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدَّر أمرًا وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأمّا آية الأنعام فتبين أن الله منزه عن الولد والصاحبة...

[١١٥، ١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ قوله تعالى: (عليم * وقالوا) قرئ: (وقالوا) بالواو على أنها عطف جملة على مثلها، وهي مرسومة في جميع المصاحف عدا مصحف أهل الشام. وقرئ: (قالوا) بدون الواو ويكون هذا على الاستئناف أو ملحوظًا فيه معنى العطف، واكتفى بالضمير عن الربط بالواو، وعلى هذه القراءة جاءت مصاحف أهل الشام. [١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هنا، وفي آل عمران: ٤٧، النحل: ٤٠، مريم: ٣٥، يس: ٨٢، غافر: ٦٨؛ قرئ: (كن فيكونُ) بالرفع على الاستئناف، فجعل الكلام منقطعًا عما قبله، وقد امتنع أن يكون جوابًا في المعنى، ورفع على الاستئناف، وعُزِيَ إلى سيبويه، أي: (فهو يكون) أو على العطف على (يقول) على ما اختاره الطبري. وقرئ: (كن فيكونَ) بالنصب على أنه جواب على لفظ (كن) لأنه قد جاء بلفظ الأمر مشبهًا بالأمر الحقيقي، ولا يصح نصبه على أنه جواب الأمر الحقيقي؛ لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحو: (ائتني فأكرمك) إذ المعنى: إن تأتني أكرمك. وهنا لا ينتظم ذلك إذ يصير المعنى: إن يكن يكن فلابد من اختلاف بين الشرط والجزاء، إما بالنسبة إلى الفاعل، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه، أو في شيء من متعلقاته. [١١٩] ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ﴾ قرئ: (ولا تُسألُ) بضم التاء ورفع اللام وذلك على الاستئناف، والمعنى على ذلك أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا، لأن ذلك ليس إليك، إن عليك إلا البلاغ. وقرئ: (ولا تَسألْ) بفتح التاء وإسكان اللام، وذلك على النهي، وظاهر أنه نهي حقيقي، نُهي النبي ﷺ أن يسأل عن الكفار فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد.

خير الناس: قال رَسُولَ الله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رَوَاهُ البُخَارِيّ. تعلم آيتين من القرآن خير من تجارة: قال رَسُولَ الله ﷺ: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان –موضع في المدينة– أو إلى العقيق– واد بظاهر المدينة– فيأتي منه بناقتين كوماوين –أي عالية السنام– في غير إثم ولا قطيعة رحم؟" فقلنا:

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

١٢٠- ﴿مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم. ١٢١- ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به. ١٢٢، ١٢٣- تقدم التفسير في الآيتين ٤٧، ٤٨، وقال البقاعي: أعاد ما صدّر به قصّتهم من التذكير بالنعم، والتحذير من حلول النقم، ليعلم أن ذلك فذلكة القصّة، أي مجملها وخلاصتها. ١٢٤- ﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾: اختبره ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾: اختلف فيها - وقيل إنها شرائع الإسلام التي أمره الله بالقيام بها ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أكملهن ووفّى بهن ﴿إِمَامًا﴾: يؤتم به، ويهتدى بهديه ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: دعاء من إبراهيم عليه السلام. أو بقصد الاستفهام، أي: ومن ذريتي ماذا يكون يا ربّ؟ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قيل: «العهد» النبوة -هاهنا- واختلف فيه. ١٢٥- ﴿مَثَابَةً﴾: «المثابة» و«المثاب» واحدٌ؛ وهو المعاد والمرجع يؤتى في كل عام، ويرجع إليه الحجاج والمعتمرون ﴿وَأَمْنًا﴾: لمن استجار به، ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾: هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل به ليقوم فوقه، وكان ملصقاً بجدار الكعبة، ثم نقله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿وَعَهِدْنَآ﴾: أمرنا ﴿طَهِّرَا﴾: من الآفات والشرك. وكلٌّ ما يصدق عليه مسمّى التطهير. ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: بالبيت، وقيل: هم الغرباء ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المقيمين، في البيت مجاورين فيه، والعاكف على الشيء: المقيم، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: أهل الصلاة. ١٢٦- ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾: رزقه في حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾: معنى «الاضطرار»: الإكراه والإجبار؛ أي: ألزمه حتى يصير مضطراً لا يجد من هذا العذاب مخلصاً ولا عنه متحولاً.

[١٢٧] **معنى اسم الله السميع:** كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [١٢٧] **معنى اسم الله العليم:** أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١١٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ «ليت شعري ما فعل أبواي؟» فنزلت: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله. مرسل. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود بن أبي عاصم أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «أين أبواي؟» فنزلت، مرسلٌ أيضًا. [١٢٠] قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ﴾ الآية. أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال: «إنَّ يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلمَّا صرف الله القبلة إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، وأيسوا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية. [١٢٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهنَّ البرّ والفاجر فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغَيْرة فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت.

[١٢٠] ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الرعد: ٣٧]. في آية البقرة الأولى الوحيدة التي جاء فيها ﴿ٱلَّذِى﴾؛ لأن العلم المشار إليه فيها هو علم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله، ومعناه: أن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله وليس وراء ذلك علم، فكان لفظ ﴿ٱلَّذِى﴾ أنسب لأنه في التعريف أبلغ، وجعل في آية البقرة الثانية ﴿مَا﴾، لأن المعنى: من بعدما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة، وذلك قليل من كثير من العلم، وزيدت معه ﴿مِّنۢ﴾، لأن تقدير الكلام: من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة، وجاء في آية الرعد ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، فعبر بلفظ ﴿مَا﴾، ولم يزد ﴿مِّنۢ﴾، لأن العلم هنا هو الحكم أي: القرآن فكان بعضًا من الأول، ولم يزد فيه ﴿مِّنۢ﴾، لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آية آل عمران ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾. [١٢٢] ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]. تكررت الآية مرتين بالبقرة، وهذا من قبل المبالغة في النصح، أو لوقوع كل منهما في مقابلة معصية تقتضي تنبيهًا ونهيًا ووعظًا. [١٢٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣]. قدم الشفاعة في الآية الأولى وأخر العدل، وقدم العدل في الآية الثانية وأخر الشفاعة، وإنما قدم الشفاعة قطعًا لطمع من زعموا أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخرها في الآية الأخرى، لأن التقدير في الآيتين معًا لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدمًا فيها. قول آخر: انظر سورة البقرة آية: ٤٨. [١٢٥] ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. الأمر في آية الحج بعد بناء الكعبة ولذلك جاء فيها ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بالبيت من غير أهل مكة، ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ أي: المقيمين بها، أي: بعدما صارت عامرة.

[١٢٤] ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِبْرَٰهِۦمَ﴾ في مواضعها المعينة، قرئ: (إبراهيم) بكسر الهاء وياء بعدها. وقرئ: (إبراهام) بفتح الهاء وألف بعدها وهي لغة شامية. [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ قرئ: (واتخِذوا) بكسر الخاء على الأمر، والمأمور بذلك قيل: إبراهيم وذريته. وقيل: نبينا ﷺ وأمته، وعليهما فيكون معمولاً لقول محذوف، أي: وقال الله تعالى لإبراهيم على الأول، وقلنا: واتخذوا على الثاني. وقرئ: (واتخَذوا) بفتح الخاء على أنه فعل ماضٍ، أريد به الإخبار، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مع إضمار (إذ).

= يا رسول الله كلنا نحب ذلك، قال: "أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم، أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عزَّ وجَلَّ خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل" رَوَاهُ مُسلِمٌ. **أجر تعلم آية من القرآن:** قال رَسُول الله ﷺ: "يا أبا ذَرّ لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير من أن تصلي =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

١٢٧- ﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾: هي الأساس، وقيل: الجُدُرُ، جمع قاعدة. وقيل: إنها كانت من بنيان آدم عليه السلام ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: سألا ربهما قبول عملهما. ١٢٨- ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: مناسك الحج: معالمه وما يذبح فيه لله. وأصل «المنسك»: الموضع الذي يعتاده الرجل ويألفه بخير أو شر، وسميت «المناسك» بذلك؛ لما يتردد عليها بالحج وأعمال البر؛ وسمي «الناسك» لتردده في عبادة ربه. ١٢٩- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الإصابة في القول والعمل. وقيل: هي الفقه والسنة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ معنى «التزكية»: التطهير. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب الذي لا يعجزه شيء. ١٣٠- ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: دينه، رغبت اليهود والنصارى وغيرهم عنها، وابتدعوا في اليهودية والنصرانية بتحريف كتب الله تعالى. ﴿سَفِهَ﴾: جهل وغبن وخسر. ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: اخترناه. ١٣١- ﴿أَسْلِمْ﴾: أخلص واثبت على عبادة الله. ١٣٢- ﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: أي اختاره لكم. والمراد: ملّته التي لا يرغب عنها إلا من سَفَه نفسه ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أي على الدين القويم، محسنون الظن بربكم. ١٣٣- ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: الخطاب لليهود والنصارى الذي نسبوا إلى إبراهيم وإلى بنيه أنهم على اليهودية والنصرانية، فردّ الله عليهم وقال: أشهدتهم يعقوب وعلمتم بما أوصى به بنيه فتدّعون ذلك عن علم؟ أم لم تشهدوا.؟ بل يفترون، والشهداء: جمع شاهد. ﴿ءَابَآئِكَ﴾: إسماعيل، كان عماً ليعقوب، والعرب تسمي العم أبًا. ١٣٤- ﴿خَلَتْ﴾: مضت.

[١٢٩] معنى اسم الله العزيز: العَزيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٣٣] معنى اسم الله الإله: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أنَّ ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[١٣٠] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾ الآية. قال ابن عيينة: روى أنّ عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام فقال لهما: «قد علمتما أن الله قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيًا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون» فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. قوله تعالى: ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ في آية البقرة قبل بناء الكعبة وقبل أن تعمر مكة، و﴿ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ في آية إبراهيم بعد بناء الكعبة. قول آخر: اسم الإشارة في آية البقرة لم يقصد أن يكون له تابع يوضحه ويبيّنه، لأنه واضح غير مفتقر إلى التابع المبيّن جنسه اكتفاءً بالواقع قبله كقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، ولو تعرّف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بيانًا زائدًا على ما تحصل مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود، وأمّا آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بُدٌّ من إجراء البلد عليه تابعًا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة، ومعنى الكلام في الآيتين دعاء، ففي آية إبراهيم الدعاء للبيت والآية مكية، وأمّا الدعاء في آية البقرة فللبلد، فجاء اللفظ مشاكلًا للمعنى في الآيتين. [١٢٩] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع بتقديم " التزكية على التعليم " [البقرة: ١٥١، آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢]. الدعوة في آية البقرة كانت قبل وجود الضلال في ذرية إبراهيم، والآية دعاء لتلك الذرية، فجاء ذكر التعليم أولًا لأنه السبب في حصول التزكية، وأمّا باقي مواضع القرآن فالمقصود بها ذكر امتنان المولى سبحانه على هذه الأمة بالهداية، وإجابة دعوة إبراهيم الخليل، فأخر ذكر تعليم الكتاب ليكون بعده ذكر الضلال الذي أنقذهم منه. [١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١]. تكررت هذه الآية مرتين مع قرب العهد بالأولى، وذلك لأن الآية الأولى وردت تقريرًا لإثبات ما نفوه من دين الإسلام الذي وصى الله به إبراهيم ويعقوب، ومعناه: أن أولئك أدّوا ما عليهم من التبليغ والوصية فلهم أجر ذلك، ولكم من الوزر والإثم بما خالفتموهم ما يعود عليكم وباله، وأمّا الآية الثانية فوردت نفيًا لما ادعوه من أن إبراهيم ومن ذُكر بعده كانوا هودًا أو نصارى، ومعناه: أن أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام، وعليكم إثم مخالفتهم وما افتريتم عليهم من التهود والتنصر الذين هم برءاء منه.

[١٢٧] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. لما ألان إبراهيم - خليل الله - لله قلبه ألان الله الصخر تحت قدميه.

[١٢٦] ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ قرئ: (فأَمتّعه) بفتح الميم وتشديد التاء مضارع (متّع) المتعدي بالتضعيف. وقرئ: (فأمْتِعه) بإسكان الميم وتاء مخففة من (أمتع) المتعدي بالهمزة. والمعنى: يخبر الله تعالى أنه سيمتع الكفار بالرزق في الدنيا، وهذا النعيم الذي يجدونه إذا ما قيس بنعيم الدار الآخرة الذي لا ينقطع أبدًا يعتبر نعيمًا ومتاعًا قليلًا، ثم قال بعد ذلك يكون مأواهم النار وبئس المصير. [١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ قوله تعالى: (أرنا) ومثلها (أرني) حيث جاء، قرئ: بكسر الراء الخالصة. وقرئ: بإسكانها، كما قرئ: باختلاسها، وكلها لغات. ومعنى (أرنا) علمنا. [١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ قرئ: (ووصّى) بالتشديد من غير همز معدّى بالتضعيف، وعليها مصحف أهل العراق. وقرئ: (وأوْصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين، وإسكان الثانية وتخفيف الصاد وهو متعدٍ بالهمزة، وموافق للمصحف المدني فالقراءتان متوافقتان غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل، فكأنه أبلغ في المعنى.

= مائة ركعة" رَوَاهُ ابن ماجة وحسنه. أجر من علم آية من القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "من علم آية من كتاب الله عز وجل، كان له ثوابها ما تُليت" رَوَاه القطان في حديثه عن شيوخه وصححه الألباني. أهل القرآن هم أهل الله وخاصته: قال رَسُول الله ﷺ: "إن لله أهلين من الناس" قيل من هم يا رسول الله؟ قال: "أهل القرآن =

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٥- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾: هذا نظير قولهم ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[البقرة: ١١١] ﴿حَنِيفًا﴾: «الحنيف»: المستقيم من كل شيء. وقيل: الحنيف: المائل، والمعنى: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق. وتطلق الحنيفية على دين الإسلام. ١٣٦- ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾: يوسف وإخوته، اثنا عشر رجلاً، ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾: لا نتولى بعض النبيين، ونتبرأ من بعض، كما فعلت اليهود والنصارى. ١٣٧- ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾: إن صدّقوا تصديقًا مثل تصديقكم، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين. وقيل: الباء زائدة مؤكدة، والتقدير: فإن آمنوا بالله مثلما آمنتم به. ﴿فِي شِقَاقٍ﴾: في فراق ومنازعة ومحاربة. ١٣٨- ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: قيل: دين الله. وقيل: فطرة الله؛ إذ كانت اليهود والنصارى يهوِّدون أبناءهم وينصرونهم؛ فهذه الملة فطرة الله، قيل: وسمي الدين صبغة: استعارة، من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره. ﴿عَابِدُونَ﴾: خاضعون. ١٣٩- ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾: أتجادلوننا في دين الله. ١٤٠- ﴿كَتَمَ شَهَادَةً﴾: يريد الذم لهم لأنهم يعلمون أن هؤلاء لم يكونوا يهودًا أو نصارى. ١٤١- ﴿كَسَبَتْ﴾: أسلفت وعملت.

[١٣٧] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكلٌّ من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم.

[١٣٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ ما الهُدى إلاّ ما نحن عليه فاتّبعنا يا محمد تهتد، وقالت النّصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة : ١٣٦]، ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران : ٨٤]. قوله تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ﴾، لأن ﴿إِلَىٰ﴾ للانتهاء إلى الشيء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعًا، والخطاب في هذه السورة لهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾، فلم يصح إلا ﴿إِلَىٰ﴾، وأمّا ﴿عَلَىٰ﴾ فمختصة بجانب الفوق، وهذا مختص بالأنبياء، لأن الكتب منزلة عليهم، وفي آية آل عمران ﴿قُلْ﴾، و هذا مختص بالنبي ﷺ دون أمته، فكان الذي يليق به ﴿عَلَىٰ﴾ فتأمله، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾، حذف "أوتي" في آل عمران، لأن إيتاء النبيين ورد في آل عمران قبل قليل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم﴾، فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها. قول آخر: في حذف ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾، من آل عمران: الأمر في البقرة لما كان للرسل وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجمع تأكيد مقامهم وتثبيت اعتقادهم، فقالوا: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾، ولما كان توجيه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصًا به ﷺ، وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول ﷺ حالًا ومقامًا عن التفريق بين أحد من الرسل.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : ١٣٤، ١٤١]. تكررت هذه الآية مرتين مع قرب العهد بالأولى، وذلك لأن الآية الأولى وردت تقريرًا لإثبات ما نفوه من دين الإسلام الذي وصى الله به إبراهيم ويعقوب، ومعناه: أن أولئك أدّوا ما عليهم من التبليغ والوصية فلهم أجر ذلك، ولكم من الوزر والإثم بما خالفتموهم ما يعود عليكم وباله، وأمّا الآية الثانية فوردت نفيًا لما ادعوه من أن إبراهيم ومن ذُكر بعده كانوا هودًا أو نصارى، ومعناه: أن أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام، وعليكم إثم مخالفتهم وما افتريتم عليهم من التهود والتنصر الذين هم برءاء منه.

[١٤٣] ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣]، ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج : ٧٨]. قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول بالبقرة؛ لأن الكلام المسوق بها لتقرير عدالة الأمة، وكونها شاهدة على الأمم، أمّا شهادة الرسول عليها فهي تزكية لها لقبول شهادتها، والتزكية تكون بعد أداء الشهادة نفسها، إذ هي أصل، والتزكية تابعة لها، ولولا ذلك لما قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول، لتباين المنزلتين، وأمّا سورة الحج فقد جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم شهادة الرسول على شهادة الأمة، وذلك لأن معناها أن يشهد الرسول على أمته بأنه بلغها ما أنزل إليه من ربه، وأن تشهد الأمة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم ما أنزل إليهم من ربهم، فموضوع الشهادتين واحد هو التبليغ.

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قرئ: (أم تقولون) بالخطاب على نسق ما قبله من مخاطبة اليهود والنصارى في قوله: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ وعلى نسق ما بعده من قوله: قل: ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾. وقرئ: (أم يقولون) بالغيب، ويكون المخاطب محمدًا ﷺ في شأن هؤلاء اليهود والنصارى، ولموافقة قول تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ وقوله: ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ وقوله: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ كله بلفظ الغيبة إخبارًا عن اليهود والنصارى. ويجوز: أن يكون بالياء التفاتًا من الخطاب إلى الغيبة لإسقاط اليهود والنصارى عن درجة الاعتبار، وهم حاضرون فكأنهم غائبون؛ لذلك أجرى الكلام فيهم كما يجري مع الغائب.

رفع القرآن لأهله: قال رَسُول الله ﷺ: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين" رَوَاهُ مُسلِمٌ. قارئ القرآن مستدرج النبوة بين جنبيه: قال رَسُول الله ﷺ: "من قرأ القرآن -أي حفظه- فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه" هم أهل الله وخاصته" رَوَاهُ النسائي والحاكم وابن ماجة، وصححه الألباني.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٖ قِبْلَةَ بَعْضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢- ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: أي خفاف الأحلام والعقول من اليهود والمنافقين ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: صرفهم وحولهم. وقيل: إن السفيه هو الكذّاب البهّات. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: فله سبحانه أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء. والعبادة له جلّ وعلا. ١٤٣- ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾: «الوسط» في كلام العرب: الخيار، والأعلى من الشيء. قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾[سورة القلم: ٢٨] أي أعدلهم وأعقلهم. قال ابن عطية: وقد يكون العلوّ والخير في الشيء إما بأنه أنفسُ جنسه، أو أن يكون بين الإفراط والتقصير، فهو خيار من هذه الجهة. ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يقال ذلك لكل تارك أمر، وآخذ غيره؛ إذا انصرف عما كان فيه إلى الذي كان تاركاً له فاخذه، فيقال: ارتد على عقبيه وانقلب ﴿لِنَعْلَمَ﴾: أي نثيب ﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: «الإيمان» -ماهنا- الصلاة. ﴿لَرَءُوفٞ﴾: ذو رأفة وهي أشدّ من الرحمة. ١٤٤- ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾: تحوله وتصرفه ﴿فَوَلِّ﴾: اصرف وحول ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾: بمعنى: نحو وقصد وتلقاء. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أي يعلمون أن توجهكم إلى الكعبة بأمر الله. وعلم أهل الكتاب بذلك إما لكونه قد بلغهم عن أنبيائهم، أو وجدوه في كتبهم. ١٤٥- ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾: أي: إن هؤلاء لا تؤثر فيهم كل آية، ولا يرجعون إلى الحق وإن جاءهم كل برهان، وذلك لأنهم لم يتركوا اتباع الحق لدليل عندهم أو لشبهة طرأت عليهم، بل تركوه عنادًا وتمردًا. ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: أي قبلتهم أو دينهم والخطاب لرسول الله ﷺ. وأن الله تعالى يعلم أنه لن يتبع أهواءهم، ولكنه سبحانه يخاطب نبيه الكريم – وفي هذه الآية ونحوها من الآيات – بما يدل على أنه ﷺ في مقام التكليف أو الخطاب الإلهي، لأنه عبد الله تعالى، وليس له أو فيه شيء من خصائص الألوهية وصفات الربوبية. قال المفسرون: والمراد في الآية غيره ﷺ.

[١٤٣] معنى اسم الله الرؤوف والرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[١٤٢] قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى قوله من الآيات ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق عن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ يصلّي نحو بيت المقدس ويُكثر النَّظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نُصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قِبلَ بيت المقدس، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾. وقال السُّفهاء من النّاس ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية» له طرق بنحوه. وفي الصحيحين عن البراء: «مات على القبلة قبل أن تُحوَّل رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ الآية».

[١٤٥] ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[البقرة : ١٢٠]، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [البقرة : ١٤٥]، ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٦١]، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [الرعد : ٣٧]. في آية البقرة الأولى الوحيدة التي جاء فيها ﴿ ٱلَّذِي ﴾، لأن العلم المشار إليه فيها هو علم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله ومعناه: أن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله، وليس وراء ذلك علم، فكان لفظ ﴿ ٱلَّذِي ﴾ أنسب لأنه في التعريف أبلغ، وجعل في آية البقرة الثانية ﴿ مَا ﴾، لأن المعنى: من بعدما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة، وذلك قليل من كثير من العلم، وزيدت معه ﴿ مِنۢ ﴾، لأن تقدير الكلام: من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة، وجاء في آية الرعد ﴿ بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ فعبر بلفظ ﴿ مَا ﴾ ولم يزد ﴿ مِنۢ ﴾، لأن العلم هنا هو الحكم، أي: القرآن فكان بعضًا من الأول، ولم يزد فيه ﴿ مِنۢ ﴾ لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آية آل عمران ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾. [١٤٤، ١٤٩، ١٥٠] ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات فلماذا تكررت؟ الجواب: أن الأول: إعلام بنسخ استقبال بيت المقدس له ولأمته ﷺ، والثانية: لبيان السبب وهو اتباع الحق، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ ﴾ توكيد لذلك، والثالثة: إعلام بالعلة، وهو أن لا يكون للناس عليكم حجة، ولعموم الحكم في سائر الناس والأقطار والجهات، وسائر الأزمنة، لاحتمال تخيل أن ذلك مخصوص بجهة المدينة وما والاها وهي جهة الجنوب، أو أنه خاص بمن يشاهد الكعبة، أو قصد بتكراره مزيد التوكيد في استقبال الكعبة والتمسك به، لأن النسخ في مظان تطرق الشبهة والبداء على ضعفاء النظر، كما قالوا: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة : ١٤٢]، فلذلك بالغ في التأكيد بتكرار الأمر.

[١٤٥] ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٥]. أي: اليهود والنصارى، ولكلّ منهما قبلة، لكن لمّا كانت القبلتان باطلتين؛ كانتا في حكم البطلان واحدة، فلهذا قال: ﴿ قِبْلَتَهُمْ ﴾.

[١٤٣] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَرَءُوفٞ ﴾ حيث وقع قرئ: (رؤوف) بهمز بعده واو على وزن فعول وهو كثير في الاستعمال يقولون: رجل ضروب وشكور. وقرئ: (رَؤُف) مهموزًا بدون واو بعدها على وزن فَعُل، وكلها لغات. لكن فعول أكثر استعمالاً من فَعُل. [١٤٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ قرئ: (تعملون) بتاء الخطاب والمخاطب المؤمنون لمناسبة قوله: ﴿ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾، أو على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وقرئ: (يعملون) بالغيبة، والظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك على نسق واحد من الغيبة في قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وقوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْ ﴾ فكله أتى على لفظ الغيبة فحمل ذلك عليه.

رَوَاهُ الحاكم بإسناد صحيح. صعود صاحب القرآن في الجنة بالقرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمذي وصححه الألباني. إكرام أهل القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم،

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١٤٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: يعرفون رسول الله في كتابهم. ١٤٧- ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: من الشاكين، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمّته، والآية تعريض لأمة النبي ﷺ أي لا يكن أحد منهم من الممترين. وقيل: المعنى: لا تكونن يا محمد في شك أن الكعبة هي قبلتك، وكانت قبلة الأنبياء من قبلك. ١٤٨- ﴿وَلِكُلٍّ﴾: بمعنى: لأهل كل دين ﴿وِجْهَةٌ﴾: قبلة. ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾: بادروا وسارعوا إلى ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: وهي الأعمال الصالحة. ١٥٠- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: أمر بالتوجه إلى الكعبة في جميع المواطن من نواحي الأرض، في بر أو بحر. وتكرير الأمر: للتأكيد، وقيل: لتعدد علل هذا الحكم. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: ترشدون. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: «للناس» عام في اليهود العرب وغيرهم. وقد قال اليهود: وافقنا محمد في قبلتنا، ويوشك أن يوافقنا في ديننا. وقال كفار قريش: رجع محمد إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا. بمعنى: لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداحضة، أي المحاجّة والمجادلة! وقيل: إن الاستثناء منقطع. والمراد بالناس اليهود. ثم استثنى كفار العرب. ١٥٢- ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾: «اشكروا لي» و«اشكروا بي» و«اشكروني» بمعنى واحد. و«لي» أشهر وأفصح – مع الشكر.

[١٥٠] قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أخرج ابن جرير من طريق السُّدي بأسانيده قال: «لمّا صُرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه، فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنكم أهدى منه سبيلًا، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآية».

[١٥٠] ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة : ١٥٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة : ٣، ٤٤]. آية البقرة جاءت في تبديل القبلة، فجاءت "اخشوني" بالياء، لأنه صار كلام كثير ولغط وإرجاف بين اليهود والمنافقين، حتى ارتد بعض المسلمين، أمّا آيتا المائدة فلم يكن التحذير فيهما شديدًا مثل آية البقرة، فجاءتا بدون ياء، وهنا نلحظ أن التحذير يختلف بحسب الفعل، فإذا كان الفعل كبيرًا يكون التحذير أشد، فعندما يُظهِر الياء يكون التحذير أشد في جميع القرآن، ويكون الأمر أكبر.

[١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة : ١٥٢]. من ثمرات الذكر: ١- يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. ٢- يرضي الرحمن عز و جل. ٣- يزيل الهم والغم عن القلب. ٤- يجلب للقلب الفرح والسرور. ٥- يقوي القلب والبدن. ٦- ينور الوجه والقلب. ٧- يجلب الرزق. ٨- يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة. ٩- يورث المحبة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره. ١٠- يورث المراقبة حتى يدخل العبد في باب الاحسان. ١١- يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله عز و جل. ١٢- يورث القرب من الله، فعلى قدر ذكر العبد لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلة العبد عن الله يكون بعده منه. ١٣- يفتح للعبد بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة. ١٤- يورث العبد الهيبة لربه عز وجل. ١٥- يورث ذكر الله تعالى للعبد. ١٦- يورث حياة القلب، يقول ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ ١٧- قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. ١٨- يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار. ١٩- يحط الخطايا ويذهبها. ٢٠- يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه. ٢١- أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة. ٢٢- أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة. ٢٣- ينجي من عذاب الله تعالى. ٢٤- سبب تنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة. ٢٥- سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل. ٢٦- مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. ٢٧- يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه. ٢٨- يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. ٢٩- الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر. ٣٠- الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين. ٣١- أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها. ٣٢- غراس الجنة. ٣٣- العطاء والفضل الذي رُتِّبَ عليه لم يرتب على غيره من الأعمال. ٣٤- دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده. ٣٥- الذكر يسير، فالعبد يذكر وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه.. ٣٦- الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في آخرته. ٣٧- في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البته إلا ذكر الله عز وجل. ٣٨- الذكر رأس الأصول وطريق عامة الطائفة ومنشور الولاية. ٣٩- الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها، له والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل... ٤٠- الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته. ٤١- الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون. ٤٢- الذاكر قريب من مذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق. ٤٣- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في =

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قوله تعالى: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ قرئ: (مولِّيها) بكسر اللام وياء بعدها اسم فاعل يحتاج إلى مفعولين أي: الله موليه إياها، أو الفريق موليها نفسه، حذف أحدهما. وقرئ: (مُوَلَّاها) بعدها ألف اسم مفعول يحتاج إلى مفعولين أولهما الضمير المستتر المرفوع على النيابة، والثاني: هو الضمير البارز المتصل به. [١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بالخطاب على نسق ما قبله في الآية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[البقرة : ١٤٤]، والمعنى: فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام في الصلاة أيها المؤمنون، وما الله بغافل عما تعملون. وقرئ: (يعملون) بياء الغيبة، إخبارًا عن اليهود الذين يخالفون النبي ﷺ في القبلة، وهم غيَّبٌ، والتقدير: ولّ يا محمد وجهك نحو المسجد الحرام في الصلاة، وما الله بغافل عما يعمل من يخالفك من اليهود في القبلة.

[١٤٩] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

= وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان" حسن رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. القرآن وقاية من النار: قال رَسُول الله ﷺ: "لو كان القرآن في إهاب – أي قلب المؤمن – ما أكلته النار" رَوَاهُ أحمد وغيره وحسنه الألباني. تاج الكرامة: قال رَسُول الله ﷺ: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلة، فيلبس تاج الكرامة، =

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

١٥٤- ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: بحياتهم عند مشاهدتكم لأبدانكم. ١٥٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: لنختبرنكم، والمراد بنقص الأنفس ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾: الموت والقتل في الجهاد، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ما يصيبها من الحوائج. وقيل: موت الأولاد. ١٥٧- ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: غفران ورحمة. ١٥٨- ﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جبلان صغيران، معلومان في الحرم، و«الصفا» عند العرب: الصخرة الملساء، و«المروة»: الحصاة الصغيرة. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: من مشاعر الحج ومناسكه وواجباته. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾: زاد على ما افترض عليه، وأخرج مسلم وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لعمري ما أتم الله حج من لم يَسْعَ بين الصفا والمروة، ولا عمرته». ١٥٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: قيل: هم أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ، والآية عامّة في كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه. فتشمل هؤلاء الأحبار والرهبان وغيرهم إلى يوم الدين. ١٦٠- ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾: ما جاءهم من الله ولم يكتموه. ١٦١- ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: استدل بهذا بعض العلماء على أنه لا يجوز لعن كافر معيّن لأن حاله عند الوفاة لا يعلم، وكذلك لعن العاصي المعين، فإنه لا يجوز باتفاق، لما في الصحيحين أن النبي ﷺ أتي بشارب خمر مرارًا، فقال بعض من حضر: لعنه الله ما أكثر ما يشربه، فقال: النبي ﷺ «لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم».

[١٥٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ﴾ الآية. أخرج ابن منده في الصحابة من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «قتل تميم بن الحمام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ الآية، قال أبو نعيم اتفقوا على أنه «عُمير بن الحمام» وأن السُّدي صحفه. [١٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة قال: «قلت ارأيتِ قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: فلا جناح عليه أنْ لا يطوّف بهما، ولكنها إنما أُنزلت لأنّ الأنصار قبل أن يُسلِموا كانوا يُهلُّون لمناة الطّاغية، وكان من أهَلَّ لها يتحرّج أنْ يطوف بالصَّفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. [١٥٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجةُ بن زيد نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ الآية.

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. آية البقرة تأتي بعد أمر المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة لإقامة الدين، فكأنما قيل: إن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فقتلوكم، فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم، بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندي، وكان المسلمون لا يعرفون هذا الأمر ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، وقد ذكر أهل التفسير أنها نزلت في قتلى بدر، وأن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلبًا لمرضاة محمد ﷺ من غير فائدة، فنزلت هذه الآية. [١٦٠] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠، النساء: ١٤٦] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. لم يذكر في آية البقرة ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، لأنه جاء في الآية قبلها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فلو أعاده لحصل التباس لعدم وضوح تعلق ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بقوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩]، أو متعلق بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾، فالمراد في آية البقرة الكتم بعد البيان، وفي غيرها مما ورد فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المراد التوبة بعد الكتم، ولذلك لم يذكرها أيضًا في آية النساء لأنها تخص المنافقين.

= سبيل الله عز وجل. ٤٤- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون فقال: "ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثلما صنعتم؟" قالوا: بلى يا رسول الله قال: "تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة" الحديث متفق عليه. فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر، فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا -إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم- التعبد بهذا الذكر، فحازوا الفضيلتين فنفسهم الفقراء، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك، وانفردوا لهم بما لا قدرة لهم عليه، فقال": ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" متفق عليه.

[١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. قال النووي: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوهما. بل كل عامل لله بطاعة، فهو ذاكر لله تعالى: كذا قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه، وغيره من العلماء. [١٥٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفًا. [١٥٣] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. في الآية الأولى إشارة إلى التثاقل والتكاسل الغالب مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لبني إسرائيل، أمّا الآية الثانية فهي تعقب على حال المؤمنين الذي يوسم بالرضا والاستقامة فكان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر. ٣- معية الله تعالى. =

[١٥٨] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿تَطَوَّعَ﴾ في الموضعين: ١٥٨، ١٨٤، قرئ: (تَطَوَّع) بالتاء وفتح الطاء مخففة وفتح العين، وهو فعل ماضٍ في محل جزم بـ«مَنْ» على أنها شرطية، أو صلة لـ«مَنْ» على أنها اسم موصول لا محلَّ له. وقرئ: (يَطَّوَّعْ) بالياء، وتشديد الطاء وإسكان العين مضارعًا مجزومًا بـ«مَنْ» الشرطية. وأصله: يتطوع أدغمت التاء في الطاء لاتحاد المخرج.

= ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له اقرأ وارق فيزاد بكل آية حسنة" رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وحسنه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. فضل القرآن على أهله يوم القيامة: قال رَسُول الله ﷺ: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب ويقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت =

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤- ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: تعاقبهما ﴿وَالْفُلْكِ﴾: السفن، واحده وجمعه بلفظ واحد، ويذكر ويؤنث. والفلك المفرد مذكّر. ﴿وَبَثَّ﴾: فرق. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: إرسالها على أنواع مختلفة، ومن جهات شتى، وغير ذلك. ١٦٥- ﴿أَندَادًا﴾: أمثالاً من الأصنام. وقيل: من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم. وهذا أرجح لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾. ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا. وقيل: المعنى: لو يعلم الذين ظلموا حقيقة قوة الله وشدّة عذابه - وجواب «لو» محذوف - أي: لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة. ١٦٦- ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾: يعني التابعين والمتبوعين عند المعاينة في الدنيا أو عند العرض والمساءلة في الآخرة ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾: الأرحام والتواصل والمودة. ١٦٧- ﴿كَرَّةً﴾: رجعة. ﴿حَسَرَاتٍ﴾: الحسرة: أشد الندم. ١٦٨- ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: عمله وخطاياه، وسبله وطرائقه. و«خطوات» جمع: «خطوة» بالفتح والضم، وهي بالفتح للمرّة، وبالضم لما بين القدمين في المشي. ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: قد أبان عدواته لآدم وأظهرها. ١٦٩- ﴿بِالسُّوءِ﴾: المكروه، وهو الإثم؛ من ساءك. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: ما استفحش ذكره وقبح مسموعه. وقيل: إن «السوء» -هاهنا- معاصي الله؛ و«الفحشاء»: الزنا.

[١٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ الآية. أخرج سعيد بن منصور في سننه، والفريابي في تفسيره، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الضحى قال: «لما نزلت» ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ تعجب المشركون وقالوا: إلهًا واحدًا لئن كان صادقًا فليأتنا بآية، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قلت هذا معضل، لكن له شاهدًا أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء قال: «نزل على النبي ﷺ بالمدينة ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[١٦٤] ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة : ١٦٤]، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية : ٥]. آية الجاثية لما تأخرت في الترتيب الذي استقر عليه القرآن كانت مظنة لبيان أن الرزق من الماء قال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل : ١١]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق : ٩-١٠]، فقال في سورة الجاثية: ﴿مِن رِّزْقٍ﴾ تسمية للماء بما عنه يتسبب، ولتكون مبالغة في بيان ما تقدم كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢].

[١٧٠] ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة : ١٧٠]. الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة : ١٠٤، لقمان : ٢١]. "ألفى" في اللغة تستعمل في الأمور المادية فقط، وقسم من النحاة يقولون: إنها لا تأتي في أفعال القلوب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ [الصافات: ٦٩] وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ [يوسف : ٢٥]، أمّا كلمة "وجدنا" فتأتي مع أفعال القلوب كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] وقد تأتي أحيانًا في الأشياء الحسية، وعندما يذكر القرآن كلمة ألفينا يريد أن يذمهم أكثر، وينفي عنهم العقل كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، أمّا آيتا المائدة ولقمان فجاءت بهما ﴿وَجَدْنَا﴾ مع نفي العلم عنهم، إذًا ألفينا تأتي في باب الذم.

[١٧٠] ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٠]، ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة : ١٠٤]. قال تعالى ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ في آية المائدة، لأن العلم أبلغ درجة من العقل، ولهذا جاز وصف الله به، ولم يجز وصفه بالعقل، فكانت دعواهم في المائدة أبلغ بقولهم: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فزعموا النهاية بـ﴿حَسْبُنَا﴾، فنفى عنهم ذلك بالعلم وهو النهاية، وأمّا في آية البقرة فقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، ولم تكن النهاية، فنفى بما هو دون العلم، ليكون كل زعم لهم منفيًا بما يناسبه.

= ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته. ٥- توقف النصر على الصبر. ٦- محبة الله تعالى. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر. [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦]. في الآية استحباب الاسترجاع عند المصيبة وإن قَلَّتْ، كما أشار إليه تنكير كلمة "مصيبة".

[١٦٤] ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ قوله تعالى: ﴿الرِّيَاحِ﴾ قرئ: جمعًا وإفرادًا في مواضع وروده، ووجه قراءة الجمع نظرًا لاختلاف أنواع الرياح في هبوبها جنوبًا وشمالاً، ودبورًا وصبًا، وغير ذلك، وفي أوصافها: حارة وباردة، ولينة وعاصفة، وعقيمًا ولواقح ونكباء. ويطلق على واحد من الأنواع السابق ذكرها هذا عدا ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم : ٤٦] فاتفق على قراءته جمعًا نظرًا لجمع (مبشرات)، كما اتفق على القراءة بالإفراد في ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] لإفراد (العقيم)، ووجه الإفراد في مواضع الجمع أنه جنس فمعناه الجمع كقولهم: جاءت الريح من كل مكان. ووجه تخصيص هذه المواضع: التنبيه على جواز الأمرين (والريح) بالإفراد أكثر ما تقع في العذاب، والعقوبات، والرياح بالجمع تأتي في الرحمة والنعم. [١٦٥] ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَى﴾ قرئ: (ترى) بالتاء والمخاطب هو السامع أو الرسول ﷺ ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به، والخطاب للرسول خطاب للأمة. ويجوز أن يكون الخطاب للظالمين والتقدير: «قل يا محمد للظالم لو ترى الذين ظلموا». وقرئ: (يرى) بالياء، والفاعل إما ضمير مستتر، «والذين» مفعول به، وإما أن يكون الفاعل هو (الذين) لأنهم المقصودون بالوعيد، ولجريه على نسق ما قبله من لفظ الغيبة في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فهم الظالمون المذكورون بعد (ترى)، فجرى اللفظ على الغيبة كما تقدم من ذكرهم بالغيبة. قوله تعالى: (يَرون) قرئ: بفتح الياء على البناء للفاعل وواو الجماعة فاعل. وقرئ: (يُرون) بضم الياء بالبناء للمفعول وواو الجماعة نائب فاعل. قوله تعالى: (إن القوة - إن الله) قرئ: بكسر الهمزة فيهما وذلك على تقدير أن جواب «لو» هو (لقلت) في قراءة: (ترى) بالخطاب. وأن الجواب (لقالوا) في قراءتها بالغيب ويحتمل: أن تكون على الاستئناف. وقرئ: (أن القوة- أن الله) بفتح همزة إن في الموضعين وتقدير الجواب لعلمت في قراءة (ترى) بالخطاب، أو لعلموا في قراءتها بالغيب. [١٦٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿خُطُوَاتِ﴾ قرئ: (خطُوات) بضم الطاء. وقرئ (خطْوات) بتسكين الطاء، والضم والإسكان لغتان.

= أسهر ليلك، وأظمئ هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب أنى لنا هذا؟! فيقال: بتعليم ولدكما القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وارق في =

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠- ﴿مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: ما وجدناهم عليه. ١٧١- ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾: يصيحُ بمن لا يفهم، مثل البهيمة تُنادَى فلا تعقل ما تستمع. ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ﴾ الأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا يتكلم. وقيل: إن المراد بالأصم: الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير، من غير فهم للحروف. وفي الآية تشبيه واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد ﷺ بالراعي الذي يرفع صوته لأغنامه فلا تفهم ولا تعي ما يقول غير أنها تسمع صوته، وكذلك الكافر إذا أمرته بأمر أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك. ١٧٢- ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: الطيب هو الحلال المستلذ من الأطعمة، فكلوا منه ولا تحرموا شيئًا لم يحرمه الله، ولا تمتنعوا من أكل ما حرمه أهل الجاهلية وغيرهم من تلقاء أنفسهم. ١٧٣- ﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: ما ذبح لغير الله وذكر عليه غير اسم الله؛ وكل ذابح مهل عند العرب، وأصل معنى «الإهلال»: رفع الصوت، وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند الذبح بذكر اللات والعزى، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: قاطع سبيل. ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مفارق جماعة. واختلف فيه. وقيل: المراد بالباغي: من يأكل فوق حاجته، والعادي: من يأكل هذه المحرمات وهو يجد عنها مندوحة. بوجود الحلال. ١٧٥- ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: ما أجراهم على العمل الذي يقربهم من النار، وفيه اختلاف.

[١٧٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، من طريق سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرًا منا، فأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية. [١٧٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والتي في آل عمران ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ نزلتا جميعًا في يهود. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أنْ يكون النبيُّ المبعوث منهم فلمَّا بُعث محمدٌ ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثمَّ أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبيِّ الذي يخرج في آخر الزمان لا يُشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

[١٧١] ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. في الآية الأولى ذهب الله بنور المنافقين فهم يتخبطون في الظلمات فكيف يرجعون؟ فختم الآية بقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، والآية الثانية شبهت الكفار بما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها أي: دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، وإنما تسمع صوته فقط ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ويحذف ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥]. آية البقرة وردت في سياق المأكول وحله وحرمته، فكان تقديم ضميره وتعليق الفعل به أهم، وآية المائدة وردت بعد تعظيم شعائر الله وأوامره والأمر بتقواه، وكذلك آية النحل بعد قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤]، وكان تقديم اسمه أهم، وأيضًا فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة، فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم، وما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم، والله أعلم. ثم قال في آية البقرة: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ولم يذكرها في السور الثلاث الأخرى، لأنه لما قال في الموضع الأول في المصحف ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ صريحًا كان نفي الإثم في غيره تضمينًا، لأن قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في السور الثلاث يدل على أنه لا إثم عليه، ومن أسرار الجمع بين ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالبقرة: أن الغفران إنما يكون عند حصول الإثم، فذكر أن المضطر قد يزيد على تناول الحاجة، فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة، رحيم حيث أباح تناول قدر الحاجة. [١٧٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]. المنكر في سورة البقرة أكثر، فالتوعد فيها أكثر وأشد، وكثرة المنكر في سورة البقرة بكثرة الذنوب التي ارتكبوها، قال تعالى في صدر الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ...﴾ فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدم إليهم من عهده، فهؤلاء لم يبينوا وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه، ثم آثروا القليل من الدنيا على العظيم من عهد الله، فجاء على هذا أغلظ الوعيد، وهو قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، أما في آل عمران فلم يذكر في صدر الآية إلا بعض ما في البقرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فكان التوعد في آل عمران أقل من البقرة.

[١٧٤] ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. كيف نفى عنهم الكلام في آية البقرة وأثبته لهم في آية الحجر؟ الجواب: المنفي في آية البقرة الكلام بلطف وإكرام، والمثبت في آية الحجر، سؤال توبيخ وإهانة، أو في يوم القيامة مواقف، ففي موقف لا يكلمهم، وفي موقف يكلمهم، ومن ذلك آية النفي المذكورة مع قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]. [١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ أينما وردت مادتها في القرآن عدا ما استثنى مما يأتي بعد، قرئ: (الميْتة) بتخفيف الياء ساكنة. وقرئ: (الميِّتة) بتشديد الياء مكسورة، وهما لغتان جيدتان والتشديد أصل التخفيف، والتشديد متفق عليه فيما لم يمت نحو: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ و﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿ٱضْطُرَّ﴾ قرئ: (اضطُر) بضم الطاء على الأصل. وقرئ: (اضطِر) بكسر الطاء إذا أصله اضطرر بكسر الراء ولما أدغم الراء، نقلت حركة الراء الأولى إلى الطاء. من هذا تبين أن كسر الطاء وضمها لغتان.

الدرجات ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية معك" رَوَاهُ الطبراني وحسنه الألباني. الأمر بتعهد مراجعة القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وقال رَسُول الله ﷺ: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلَّقة إن عاهد =

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

١٧٧- ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: أعطى المال وهو يحبه ويشحّ به، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: الضيف والمجتاز ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: في تحرير الأرقاء، وهم: المكاتبون الذين يسعون في فك رقابهم من الرق ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: حين القتال. ١٧٨- ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾: المجازاة من القول والفعل ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: في إحدى الروايتين عن ابن عباس أن الآية نسختها الآية الأخرى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقيل: إن الآية في الديات. وقال الإمام أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن أبي ليلى وداود: يقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة. ولهم في الجمع بين الآيتين وجوه علمية مذكورة في كتب الفقه. ﴿عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾: ترك. وقيل: «العفو» في هذا: أن يقبل الدية في العمد، ويترك القصاص. ﴿وَأَدَآءٌ﴾: غرم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: قتل قاتل وليه بعد أخذ الدّية منه. ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قيل: هو القتل لا غيره؛ على من قبل دية وليه، ثم قتل قاتله بعد ذلك. وقيل: إن المراد: عذاب الآخرة. أما في الدنيا فهو كمن قتل ابتداء، إن شاء الولي قتله، وإن شاء عفا عنه. ١٧٩- ﴿فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: منع لأهل السفه من القتل؛ خوف القصاص. ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول. ١٨٠- ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: قيل في الخير: ما بين السبعمائة درهم إلى الألف. وقيل: إن قليل المال وكثيره يقع عليه اسم خير. وفيه اختلاف. ١٨١- ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾: أي بدل الإيصاء، وليس على الموصي من ذلك شيء، فقد أدى ما عليه بالوصية.

[١٨١] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم.

[١٨١] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٧٧] قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبانا معمر، عن قتادة قال: «كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق فنزلت ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية». [١٧٨] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن حيَّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قَبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قَتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم عن بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أنْ لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منّا الحرُّ منهم، وبالمرأة منا الرَّجل منهم، فنزل فيهم ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾.

[١٧٧] ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ما الفرق بين "البأساء" و"الضراء" من حيث المعنى في القرآن الكريم؟ الجواب: "البأساء" ما يُصيب الإنسان في غير ذاتِهِ مثل: التهديد الأمني، الإخراج من الديار، نهب ماله، هذا كله يسمى بأساء، و"الضراء" ما يُصيب المرء في نفسِهِ، مثل: الأمراض، والجراح، والقتل. [١٨٠] ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. تعريف التقوى: قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله. من ثمرات وفوائد التقوى: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز بالجنة. ٢٦- التفكر والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [١٨٤، ١٨٥] ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ما فائدة إعادة ذكر المريض والمسافر؟ الجواب: لرفع توهم نسخ التخيير بين الصوم والفدية، لعموم قوله سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أو أن آيتها الأولى نزلت في تخييرهما بين الصوم والفدية، والثانية في تخييرهما بين الصوم، والإفطار، والقضاء.

[١٧٧] ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قرئ: (البرَّ) بنصب البر خبر ليس مقدمًا ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ اسمها في تأويل مصدر لأن المصدر المؤول أعرف من المحلى؛ لأنه يشبه الضمير لكونه لا يوصف ولا يوصف به، وقرئ: (ليس البرُّ) بالرفع على أنه اسم ليس إذ الأصل أن يلي الفعل مرفوعه قبل منصوبه. قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ و﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قرئ: بتخفيف نون (لكنِ) مخففة من الثقيلة، جيء بها لمجرد الاستدراك فلا عمل لها، وبرفع (البر) فيها على الابتداء. وقرئ: (لكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب البر فيها على أنها اسمها.

[١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ...﴾ [البقرة: ١٧٨]. ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ...﴾ [المائدة: ٤٥]. إعجاز تشريعي: القصاص في القرآن: وقفة تأمل: * إن قُتِلَ القاتل عمدًا كما شرع الله، هل سيُقتَلُ غيرُهُ عمدًا بعد ذلك؟! * وإن أُلزم مَنْ قتل خطأً بالدية كما شرع الله، هل سيقتلُ غيرُهُ عمدًا بعد ذلك؟! * هل تعلم أن الدول التي تُطبق الحدود لا يحدث فيها من الجرائم والحوادث كما يحدث في غيرها من الدول التي لا تُطبق الحدود؟ * هل تعلم أن حوادث القتل والسرقة في الدول التي تُطبق الحدود الشرعية على السارق والقاتل تكاد تكون منعدمة، حتى إنه ربما يمرُّ العام ولا تُسجَّل إلا حالة واحدة لقتلٍ أو سرقة؟ * بالله عليك.. إن كان في قانون العقوبات=

= عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. اغتباط صاحب القرآن: قال رَسُول الله ﷺ: "لا حسد إلّا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. القرآن يحاج عن صاحبه يوم القيامة: قال رَسُول الله ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله =

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢- ﴿مِن مُّوصٍ﴾: رجل محتضر يوصي ﴿جَنَفًا﴾: جوراً، وعدولاً عن الحق؛ وهو أصله في كلام العرب. وقيل: «الجنف» -هاهنا-: الخطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: «الإثم» -هاهنا-: أثرة بعض على بعض. وقيل: هو العمد. وفيه اختلاف. ﴿فَأَصْلَحَ﴾: أمر الموصي بالعدل، ورد الوصية إلى الحق. ١٨٣- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: معنى «الصيام»: الكف عما أمر الصائم بالكف عنه؛ من أكل وغيره. وصامت الخيل: إذا كفت عن السير. ١٨٤- ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾: هي أيام رمضان. وقيل: إنها ثلاثة أيام من كل شهر كانت تصام قبل أن يفرض شهر رمضان، والصواب الأول، ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: من أيام شهر آخر غير رمضان يصوم عدد ما أفطر ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: أن يطعم كل يوم أفطر فيه مسكيناً، وفي الآية رخصة للشيوخ والعجائز إذا كانوا لا يطيقون الصوم إلا بمشقة. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: صام مع الفدية. وقيل: زاد في الإطعام. ١٨٥- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: «الشهر»؛ مأخوذ أصله من الشهرة، يقال: أشهر الشهر: إذا طلع هلاله، وأشهرنا نحن: إذا دخلنا في الشهر. وقيل: سُمي رمضان؛ لشدة الحر الذي كان يكون فيه، من الرَّمضاء، ورَمَض: احترق، كما سمي ربيع الأول، وربيع الآخر: بالربيع. ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: بمعنى: من كان مقيماً منكم في داره ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾: التخفيف والتسهيل ﴿ٱلْعُسْرَ﴾: الشدة والمشقة. [١٨٤] قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ الآية. أخرج ابن سعد في طبقاته عن مجاهد قال هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فأفطر وأطعم لكل يوم مسكينًا. [١٨٥] ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٤، ١٩٦]. لم يقيد هذا الموضع بقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ اكتفاءً بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ لاتصاله به. [١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]، ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]. ما الفرق بين "إثم وأثام وتأثيم"؟ الجواب: الإثم: هو مصدر الفعل (أَثِمَ) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يُعاقب عليه مرتكبه. والأثام: هو الإثم المضاعف، وتأثيم: مصدرُ الفعل الرباعي المشدَّد (أَثَّمَ)، ومعناه: سبَّب له الإثم. [١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، انظر إلى هذه اللطيفة القرآنية في هذه الآية، إذ ورد فيها لفظ السؤال ولم يأت بعده لفظ "قل"، كما هو في آيات السؤال الأخرى في القرآن الكريم، وفي هذا والله أعلم إشارة إلى رفع الواسطة بين العبد وربه في مقام التعبد والدعاء. سؤال: نجد كثيرًا من الداعين لا يُستجاب لهم؟ الجواب: إنما لم يُستجب لهم؛ لانتفاء شرط الإجابة، إنّ شرطها طاعة الله، وأكل الحلال، وحضور القلب، أو لأنّ الداعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته، والله يعلم أنّ المصلحة في تأخيرها، أو يعطيه بدلها، فقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مأثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إمَّا أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها" قالوا: يا رسول الله إذًا نكثر، قال: "الله أكثر". أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. [١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُّوصٍ﴾ قرئ: (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد على أنه اسم فاعل من "وصّي". وقرئ: (مُوصٍ) بإسكان الواو وتخفيف الصاد على أنه اسم فاعل من "أوصى" وهما لغتان متكافئتان حسنتان لكل واحدة منهما شاهد قد أجمع عليه. [١٨٤] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾. قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرئ: (طعامِ) بغير تنوين بالخفض على الإضافة؛ لأنه سمى الطعام الذي يفدي به الصيام فدية، ثم أضافه إلى (طعام) وهو بعضه فهو من باب إضافة بعض إلى كل، مثل: ((هذا خاتم حديد، وثوب خز)). وقوله: ﴿مِسْكِينٍ﴾ قرئ: (مساكينَ) بالجمع وفتح النون بلا تنوين؛ لأنه لا ينصرف وليناسب قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لأن الواجب على جماعته إطعام جماعة. و قوله: ﴿فِدْيَةٌ﴾ قرئ: (فديةٌ) بالرفع منونة مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله، و(طعام) بالرفع بدل من (فدية) ثم أبدل (الطعام) منها بدل الشيء من الشيء، وهو هو، فبين الله به من أي نوع هي، أمِن الطعام أو غيره؟ وقرئ: (مسكينٍ) بالتوحيد وكسر النون منونة، ووجه التوحيد: بيان أن الواجب على كل واحد إطعام واحد، وليناسب لفظ (فدية). [١٨٥] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱلْعُسْرَ﴾ قرئ: (العُسْر) حيث وقع في القرآن بإسكان السين. وقرئ: (العُسُر) حيث وقع في القرآن بضم السين، والإسكان والضم لغتان، والإسكان هو الأصل، والضم لمناسبة الحرف الذي قبل السين. وقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ قرئ: (ولتكَمِّلوا) بفتح الكاف وتشديد الميم من كمَّل، ففيه معنى التأكيد والتكرير. وقرئ: (ولتكْمِلوا) بإسكان الكاف وتخفيف الميم من أكمل المزيد بالهمزة، وعليه قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

= لينٌ وضعفٌ وعقابٌ أقلّ، هل سيكون العقاب رادعًا للجناة كما يردعهم العقاب الإلهي بتطبيق الحد الشرعي؟ * كيف يقتل القاتلُ متعمدًا... وهو يَعْلَمُ أن مصيره القتلُ كما قَتَلَ؟ * وأخيرًا.. هل وجدت أمانًا وأمنًا كما هو الحال في الدول التي تُطبقُ فيها الحدود الشرعية كما أمر ربُّ البرية؟! [١٨٣-١٨٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]. إعجاز وقائي وعلاجي في الصيام: حقائق علمية: مع بداية عصر النهضة نشطت الدعوة من جديد إلى المعالجة بالصوم في كل أوروبا، منها ما كتبه الطبيب السويسري بارسيلوس: إن فائدة الصوم في العلاج تفوق مراتٍ ومراتٍ استخدام الأدوية المختلفة. وقال بنيامين (الأستاذ بجامعة موسكو): لو راقبنا الإنسان عن قُربٍ لوجدنا أن نفسه تَعافُ الطعام وترفضه في بعض الفترات، وكأنها بذلك تفرض على نفسها الصيام المؤقت الذي يُؤمن لها التوازن الداخلي ويحفظها من المؤثرات الخارجية. وفي عام ١٩٤١م صدر كتاب بوخنجر «المعالجة بالصوم كطريقة بيولوجية» شرح فيه المؤلف كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية، وبَيَّن أن الجوع يُغيِّر من تركيب البنية العضوية للجسم ويؤدي إلى طرح السموم منه. هل تعلم؟ * أن هذه الآية تُعدُّ دستورًا صحيًّا «لمن =

= الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. الأباء المتوجون: قال رَسُولُ الله ﷺ: "من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل به" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وقال: صحيح الإسناد. =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

١٨٧- ﴿ٱلرَّفَثُ﴾: -هاهنا-: كناية عن الجماع؛ وفي غير هذا الموضع: الإفحاش في المنطق. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾: كلا الزوجين كاللباس لصاحبه، لامتزاج كل واحد منها بالآخر. ﴿كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تصيبون وتنالون من الطعام والشراب والنساء بعد الرقاد. ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: كناية عن النكاح. وأصل «المباشرة» في كلام العرب: ملاقاة بشرة الرجل - وهي جلدته- بشرة المرأة ﴿وَٱبْتَغُواْ﴾: اطلبوا واقصدوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: احل لكم وامركم ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾: ضوء النهار بطلوع الفجر من سواد الليل وظلمته. ﴿أَتِمُّواْ﴾: أكملوا ﴿عَـٰكِفُونَ﴾: أصل «العكوف»: المقام وحبس النفس عن الشيء ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: شروطه التي ميزها وحددها وعرفها عباده. ١٨٨- ﴿أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾: بظلم الرجل منكم صاحبه ﴿وَتُدْلُواْ﴾: أصل «الإدلاء»: إرسالك الدلو في حبل متعلق به في البئر؛ فقيل للمحتج لدعواه: أدلى بحجة كيت وكيت: إذا كانت حجته التي يحتج بها سبباً له هو متعلق بها في خصومته؛ كتعلق المستقي من بئر بدلو قد أرسلها فيها بحبلها الذي الدلو به متعلقة، ومعنى الآية: لا تلقوا أمر هذه الأموال والحكم فيها إلى الحكام لتأكلوا -بالتحاكم- طائفة من أموال الناس بالإثم- بشهادة زور أو يمين كاذبة أو نحو ذلك- مع العلم بأن المحكوم له ظالم. ١٨٩- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾: سأل قوم من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال، وعن سبب مِحاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس، فنزلت الآية. وقيل: إنهم قوم بسؤالهم عن الأهلة لم يأتوا البيوت من أبوابها. لأن الوقوف على ما سألوا عنه إنما هو من عمل الإنسان، وليست من مهمّة القرآن، ولهذا جاءت الإجابة عن وظيفة الأهلة، لا عن قانونها وطبيعة عملها. ﴿مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾: معالم يوقّت بها الناس عباداتهم ومعاملاتهم، ومعالم للحج يُعرف بها وقته، ﴿بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾: كانت العرب والأنصار إذا حجوا في الجاهلية ورجعوا، تسوروا بيوتهم من ظهورها، ولم يدخلوا من أبوابها.

[١٨٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية. أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ، وغيرهم من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن عبدة السجستاني، عن الصُّلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: أقريب ربُّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق، عن الحسن قال: «سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ أين ربنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. مرسل، وله طرق أخرى وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل علي: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فقال رجل: يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء، أم كيف ذلك؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾. [١٨٧] قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية. روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل: قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهودًا، وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ وأخرج البخاري عن البراء قال لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾الآية. قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ روى البخاري عن سهل بن سعيد قال أنزلت ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعدُ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا إنما يعني الليل والنهار. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فنزلت: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾. [١٨٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرمي اختصما في أرض، وأراده امرؤ القيس أن يحلف، ففيه نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾. [١٨٩] قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: «سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية». وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خُلقت الأهلة، فأنزل الله ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو أو يطلع =

[١٨٧، ٢٢٩] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة : ١٨٧]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة : ٢٢٩]. قال في آية البقرة الأولى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، لأن الحد الأول فيه نهي، وهو ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾، وما كان من الحدود نهيٌ أمر بترك المقاربة، وأمَّا الحد في آية البقرة الثانية فأمر، وهو بيان عدد مرات الطلاق، وما كان أمرًا أمر بترك المجاوزة وهو الاعتداء، ومثل ذلك في آية النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ... ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ [النساء : ١٣-١٤]، وذلك بعد بيان المواريث، وكذلك في آية الطلاق ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق : ١]، بعد الأمر بأن يكون الطلاق ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وهو الطلاق السُّني.

[١٨٩] ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قوله: ﴿بُيُوتٍ - وَٱلْبُيُوتَ﴾ قرئ: (بُيوت) حيث وقع في القرآن بضم الباء، وذلك في جمع "فَعْل" على وزن "فُعُول". وقرئ: (بِيوت) حيث وقع في القرآن بكسر الباء، وذلك لمجانسة الياء، من هذا تبين أن الضم والكسر لغتان.

= يبتغي الصحة والعافية حتى الممات؟ ۞ هل تعلم أن الصحابة والتابعين كانوا أشد الناس قوةً بدنية ونفسيةً وعصبيةً (أي من حيث الاستقرار النفسي والعصبي) إضافة إلى القوة الإيمانية بسبب سُنَّةِ الصيام؟ ۞ هل تعلم أن القرآن سبق بحقيقة الصيام وفوائده كل العلوم الدنيوية بما فيها الطبية؟ ۞ هل تعلم أنك بالصيام وحده يمكن أن تستغني عن كثير من الدواء؟ ۞ هل تعلم أن من يصوم كثيرًا يُعمر طويلًا (عن غيره الذي يكثر الطعام والشراب فتكثر أمراضه فتدنو منيتهُ)؟ وهل تعلم أن علماء الغرب الكافرين استفادوا كثيرًا جدًّا (ومازالوا يستفيدون) من حقيقة الصيام القرآنية والنبوية؟ ۞ هل تعلم أن كثيرًا من عيادات الأطباء الآن في أوروبا وأمريكا يستخدمون الصيام كعلاج أسَاسِيّ لمرضاهم؟ ۞ هل تعلم أن بالصيام وحده تم الشفاء التام من كثير من الأمراض المزمنة؟ ۞ وأخيرًا الحقيقة القرآنية الإعجازية: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

= أهل القرآن مقدمون في الدنيا والآخرة: كان رَسُول الله ﷺ: يجمع بين الرجلين من قتلى أحد -أي في القبر- ثم يقول: "أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟" فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. فضل القراءة في المصحف: قال رَسُول الله ﷺ: "من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف" رَوَاهُ أبو نعيم =

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

١٩١- ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: معنى الثقافة بالأمر: الحذق والبصر. يقال: «إنه لثقف لقف»؛ إذا كان جيد الحذر، وهو -هنا- بمعنى: وجدتموهم وتمكنتم منهم، في حلٍّ أو حرم. ١٩٣- ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: «الفتنة» -هاهنا-: الشرك وعبادة غير الله ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: كفوا عن قتالكم، ودخلوا في ملتكم ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الذين لم ينتهوا. ١٩٤- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾: هو ذو القعدة من سنة سبع الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة معتمراً، فأقام بها ثلاثاً، ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: بذي القعدة من سنة ست الذي اعتمر فيه رسول الله ﷺ عمرة الحديبية، وصده المشركون عن البيت. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ جمع: حرمة، وهي حرمة الشهر، والبلد الحرام، والإحرام. «قصاص»: مجازاة اقتص الله لنبيه من المشركين؛ بأن أدخله عليهم مكة في سنة سبع. ١٩٥- ﴿التَّهْلُكَةِ﴾: أن يمسك الرجل ماله ونفسه عن الجهاد في سبيل الله. وقيل: هو الرجل يصيب الذنب العظيم فيقول: لا يغفر الله لي، أو لا توبة لي، فيلقي بيده إلى اليأس من عفو الله. وفيه اختلاف. ١٩٦- ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: منعتم وحبستم عن العمل، والوصول إلى البيت الحرام. ومعنى «الإحصار» في كلام العرب: منع العلة من المرض وأشباهه ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: ما بين الشاة إلى البعير. و«الهدي»: جمع، واحده هدية، وهو ما قرب إلى الله - عز وجل- بمنزلة الهدية يهديها الرجل إلى غيره يتقرب بها إليه ﴿مَحِلَّهُ﴾: حتى يبلغ بالذبح محل أكله، والانتفاع به في محل ذبحه ﴿أَوْ بِهِ أَذًى﴾: ما يتأذى به من هوام رأسه، أو غيرها ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾: من خوف، أو برأتم من مرض. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: «التمتع» -هاهنا-: أن يُهلّ الرجل بالحج؛ فيحصره عدو، أو مرض، أو يحبسه أمر؛ حتى تذهب أيام الحج فتفوته؛ فيجعلها عمرة، ويتمتع بحله إلى العام المقبل، ثم يحج ويهدي هدياً، فهذا هو التمتع بالعمرة إلى الحج. هذا على أن الخطاب في الآية للمحصرين خاصة. أما إن كان عامًا، فالمراد بالتمتع: أن يحرم المرء بعمرة، ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج. وقد عدّه كثير من العلماء أفضل أنواع الحج.

= دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية. روى البخاري عن البراء قال: «كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية». وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن جابر قال: «كانت قريش تدعى الحمس، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينا رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته ففعلتُ كما فعلتَ قال: إني رجل أحمسي. قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾». [١٩٠] قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في صلح الحديبية. وذلك أن رسول الله ﷺ لما صُد عن البيت هو وأصحابه، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه القابل فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك». [١٩٤] قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي. حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل، فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه فأقصه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه يوم الحديبية فيه، فأنزل الله ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾». [١٩٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. روى البخاري عن حذيفة قال: «نزلت هذه الآية في النفقة» وأخرج أبو داود، والترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال: بعضنا لبعض سرًا: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو». [١٩٦] قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: =

[١٩١] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة : ١٩١]، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة : ٢١٧]. الفتنة في الآية الأولى هي الكفر بالله تعالى، وإنما سمي الكفر بالفتنة لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أشد وأعظم من القتل؛ لأن الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الملة، والقتل ليس كذلك، فكان الكفر أعظم من القتل، وأمّا الفتنة في الآية الثانية فمعناها: صد المسلمين عن دينهم، بإلقاء الشبهات في قلوبهم، أو بالتخويف والتعذيب، أو بعرض الشهوات بوسائل مختلفة، والفتنة عن الدين تفضي إلى القتل الكثير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة، فناسب أن الفتنة أكبر من القتل. [١٩٣] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة : ١٩٣]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال : ٣٩]. القتال في آية البقرة مع أهل مكة فحسب، فنزلت في قوم مخصوصين، فلا حاجة للتأكيد، وأمّا في آية الأنفال فمع جميع الكفار، فجاءت الآية بالعموم، وهذا العموم يقتضي تأكيد الدين بقوله: ﴿كُلُّهُ﴾. قول آخر: آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش لعمرو بن الحضرمي، وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يُعبد سواه.

[١٩١] ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: (تُقَاتِلُوهم - يُقَاتِلوكم - قاتلوكم) قرئ: بإثبات الألف فيها، مع ضم تاء الأول وياء الثاني، وفتح القاف فيهما مع كسر تاءيهما، من القتال. وقرئ: (تَقْتُلوهم - يَقْتُلوكم - قتلوكم) بفتح تاء الأول وياء الثاني وإسكان القاف فيهما، وضم التاء بعدها، وحذف الألف من الكلمات الثلاث، من القتل.

= في الحلية وحسنه الألباني. استحباب البكاء عند قراءة وسماع القرآن: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ علي القرآن" فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري" فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : ٤١] قال: "حسبك الآن" فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾: هي شوال وذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجة، ﴿فَمَن فَرَضَ﴾: أوجب على نفسه، وألزمها الحج ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: «الرفث» في هذا الموضع: الإفحاش، وذكر الجماع للنساء في الكلام ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: «الفسوق»: المعاصي ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: و«الجدال» -هاهنا-: أن يجادل الرجل صاحبه حتى يغضبه. ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾: كان بعض العرب يقولون: كيف نحج بيت ربنا ولا يطعمنا؟ فكانوا يحجون بلا زاد، ويقولون: نحن متوكلون على الله سبحانه، فأمروا باتخاذ الزاد. ١٩٨- ﴿جُنَاحٌ﴾: حرج ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: المراد به الرزق. فرخصت الآية لمن حج، في التجارة ونحوها، ﴿أَفَضْتُم﴾: دفعتم، يقال: فاض الإناء: إذا امتلأ حتى ينصبَّ من نواحيه. ﴿ٱلْمَشْعَرِ﴾: المَعْلَم والمزدلفة كلها مشعر، وفيه اختلاف. ٢٠٠- ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: «المنسك»: اسم، مثل: المشرق والمغرب؛ نسك الرجل ينسك نسكاً؛ إذا ذبح نسكه، وهو -هنا-: إهراق الدماء. ﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾: من نصيب. ٢٠١- ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: قيل إنها -هاهنا-: العافية، والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين: نعيم الدنيا والآخرة، ﴿وَقِنَا﴾: اصرف عنّا. ٢٠٢- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الفريق الثاني، ﴿نَصِيبٌ﴾: حظ.

[١٩٩] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته.

- «جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخًا بالزعفران، عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فقال ﷺ: أين السائل عن العمرة؟ قال ها أنا ذا فقال له ﷺ: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل، واستنق ما استطعت، ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك». قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية. روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سئل عن قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ قال: «حُملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: «ماكنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟». قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت في خاصة وهي لكم عامة.

[١٩٧] قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون، فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. [١٩٨] قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية. روى البخاري عن ابن عباس قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج». وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم، وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: «قلت لابن عمر إنا نكري فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فدعاه النبي ﷺ فقال: أنتم حجاج». [١٩٩] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾. [٢٠٠] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم يقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية». وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: «كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا أيامهم في الجاهلية، وفعال آبائهم، فنزلت هذه الآية». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا، فأنزل الله فيهم ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [٢٠٠ - ٢٠١]. [٢٠٤] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أصيبت السرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين، الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: «نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ الآية.

[١٩٦] ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ما فائدة ذكر ﴿عَشَرَةٌ﴾ بعد الثلاثة والسبعة، وذكر ﴿كَامِلَةٌ﴾ بعد ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾؟ الجواب: فائدة الأول دفع تصحيف سبعة بتسعة، وتأكيد العلم بالعدد تفصيلًا وإجمالًا، وفائدة الثاني التأكيد كما في ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أو معناه كاملة في الثواب، مع كونها متفرقة، أو واقعة بدلًا عن الهدي. [١٩٨] ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. ما فائدة تكرار الذكر في الآية؟ الجواب: فائدته التنبيه على إرادة ذكر مكرر، وزيادة فائدة أخرى في الثاني، وهي: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ بمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته، أو الإشارة بالأول إلى الذكر باللفظ، وبالثاني إلى القلب. [١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ﴾ [البقرة: ١٩٩]. كيف عطف الإفاضة بـ"ثم" مع أنها الإفاضة من عرفات؟ الجواب: "ثم" للترتيب الإخباري لا الزماني، أو المراد بالإفاضة الثانية الإفاضة من

[١٩٧] ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ قرئ: (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ) برفع الثاء والقاف واللام مع التنوين. وقرئ: (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ) بالفتح بلا تنوين في الثلاث.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

٢٠٣- ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾: هي أيام منى، وتدعى بأيام التشريق، وهي ثلاثة بعد يوم النحر. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: يوم ثاني النحر، ويوم ثالثه. ٢٠٤- ﴿أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾: «الألدّ»: الشديد الخصومة. ٢٠٥- ﴿ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾: «الحرث»: الزرع. وأصله في اللغة: شق الأرض للزراعة. وسمّي الزرع حرثًا للمجاورة والتناسب. و«النسل»: نسل كل شيء. وقيل: معناه: أن يقتل الآباء والأمهات؛ فينقطع نسلهما. ٢٠٦- ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾: أخذته العزّة والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه. ﴿فَحَسۡبُهُۥ﴾: بمعنى: كفاه. ﴿ٱلۡمِهَادُ﴾: جمع: المهد، وهو الموضع المهيأ للنوم، فهي لهم أذمُّ موضع ينزلونه! وقيل: المراد بالمهاد: ما مهّد المرء لنفسه، كأنه الفراش. ٢٠٧- ﴿يَشۡرِي﴾: يبيع. ٢٠٨- ﴿فِي ٱلسِّلۡمِ﴾: -هاهنا-: الإسلام. وفيه اختلاف. ﴿كَآفَّةٗ﴾: جميعاً. ٢٠٩- ﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾: «الزلل» -هاهنا-: الشرك. ٢١٠- ﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾: هو أمر من أمر الله عظيم، كثر الاختلاف فيه، وهو- عز وجل- أعلم به. والظُّلل: جمع ظُلّة، وهي ما يظلّ من فوق، والغمام: السحاب الرقيق الأبيض وهو أصفى السحاب وأحسنه؛ سمّي بذلك لأنه يغمّ، أي يستر. وقيل: معنى الآية: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة. وقال ابن عطية: والمعنى: يأتيهم حكم الله وأمره ونهيه وعقابه إياهم.

[٢٠٧] معنى اسم الله الرؤوف: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم.

[٢٠٧] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ﴾ الآية. أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجرًا إلى النبي ﷺ فأتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته. ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلًا وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة، وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، ونزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾. [٢٠٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة، قال عبد الله بن سلام، وابن يامين، وأسد وأسيد ابني كعب، وسعيد بن عمرو، وقيس بن زيد، كلهم من يهود، يا رسول الله يوم السبت يومٌ نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم بها الليل، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ الآية.

= مزدلفة إلى منى لا من عرفات. [٢٠٣] ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ما فائدة قوله فيها: ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾ مع أنه معلوم بالأولى مما قبله؟ الجواب: فائدته رفع ما كان عليه الجاهلية، مِن أنّ بعضهم قائل بإثم المتعجل، وبعضهم بإثم المتأخر، أو المعنى لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، وقد جاء في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ". أخرجه ابن حبان. فإن قيل: المتعجل في اليوم الثاني -المراد اليوم الثاني من أيام التشريق، لا من أيام العيد، وهو يوافق اليوم الثالث من أيام العيد- لا فيه وفي اليوم الأول، فكيف قال: في يومين؟ الجواب: لأنّ المعنى: في مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وهما لا يخرجان إلاّ من الملح، لا من العذب. [٢٠٦] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. تعريف الكبر: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدمًا عليهم حريصًا جدًا أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظًا بصدر المجلس مستقلًا به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصعير الخد، والنظر شزرًا، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغة كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبختره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلًا في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله" يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة غطاء الرأس إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس فخرًا وتكبرًا وبطرًا. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، =

[٢٠٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾ في مواضعه: الأنفال: ٦١، محمد: ٣٥، قرئ: (السَّلم - السِّلم) بفتح السين وكسرها، قيل: هما بمعنى واحد وهو الصلح، ومن دخل في الإسلام فقد دخل في الصلح، وقيل: بالكسر السلام الذي هو الإسلام، وبالفتح: الصلح. [٢١٠] ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرئ: (الملائكةِ) بالخفض عطفًا على ظلل أو الغمام. وقرئ: (الملائكةُ) بالرفع عطفًا على لفظ (الجلالة).

[٢٠٥] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته)، وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله تعالى.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١١- ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الخطاب لمحمد ﷺ -ولمن شاء من أمته - والمراد بالآيات: البراهين التي جاء بها أنبياؤهم في أمر محمد ﷺ. وقيل: المراد: الآيات التسع التي جاء بها موسى عليه السلام. ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: لفظ عام لجميع إنعامه. ويدخل فيه حال بني إسرائيل، وكذلك كفّار قريش! ٢١٢- ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: لإيمانهم أو لطلبهم الآخرة، أو لظنهم أنهم ليسوا على شيء. وهذا من سفه الكفار وسوء أخلاقهم. ٢١٣- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أي كانوا على دين واحد فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: وإنما حذف قوله «فاختلفوا» لدلالة قوله ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ عليه. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، ﴿بَغْيًۢا﴾: «البغي»: الطغيان والعدوان. ٢١٤- ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾:أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بمثلما امتُحن به من كان قبلكم من الأمم أتباع الرسل؟ وهذا تثبيت للمؤمنين وتقوية لقلوبهم. ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾:-هاهنا- من الخوف لا من زلزلة الأرض، وهو اضطرابها. ٢١٥- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: السائلون هم المؤمنون. سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا ببيان الوجوه التي ينفقون فيها، وأين يضعون ما ينفقون؛ تنبيهًا على أهمية الموضع الذي يوضع فيه الشيء. أما ما ينفقونه فهو كلُّ خير، أو أي خير: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: وقد أكد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾. قيل: نزلت هذه الآية قبل فرض الزكاة. وقيل: هي ندب، والزكاة غير هذا الإنفاق.

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية. قال عبد الرزاق أنبأنا معمر، عن قتادة قال: «نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ يومئذ بلاءٌ وحصر». [٢١٥] وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ الآية». وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان، أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ: «ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت».

[٢١٤] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾ [التوبة: ١٦]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ والمؤمنين على العموم، وفي آل عمران لأهل أحد تسلية لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم. [٢١٧] ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. الفتنة في الآية الأولى هي الكفر بالله تعالى، وإنما سمي الكفر بالفتنة؛ لأنه فساد في الأرض يؤدي إلى الظلم والهرج، وفيه الفتنة، وإنما جعل الكفر أشد وأعظم من القتل لأن الكفر ذنب يستحق صاحبه به العقاب الدائم، والقتل ليس كذلك، والكفر يخرج صاحبه من الملة، والقتل ليس كذلك، فكان الكفر أعظم من القتل، وأمّا الفتنة في الآية الثانية فمعناها: صد المسلمين عن دينهم، بإلقاء الشبهات في قلوبهم، أو بالتخويف والتعذيب أو بعرض الشهوات بوسائل مختلفة، والفتنة عن الدين تفضي إلى القتل الكثير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة، فناسب أن الفتنة أكبر من القتل. [٢١٧] ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]. آية البقرة تبين أن هؤلاء الكفار لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك، ومن أطاعهم منكم أيها المسلمون وارتدَّ عن دينه فمات على الكفر، فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبدًا، وأمّا آية المائدة فتخاطب الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضرُّوا الله شيئًا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه...

= ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم. علاج الكبر: ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف نفسه. ٢- التواضع لله بالفعل، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين المتبعين لطريقة سيد المرسلين. ٣- التأمل في عاقبة الكبر السيئة. ٤- معرفة ما أعده الله للمتكبرين في الآخرة من الوعيد الشديد. ٥- أن صاحب الكبر لا يحبه الله ٦- الدعاء بأن يعيذك الله تعالى من الكبر والتعاظم والخيلاء. [٢٠٩، ٢١٣] ﴿جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٠٩]. لماذا ذكر فعل "جاء" مؤنثًا في هذه الآية؟ الجواب: إذا كانت الآيات تدل على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثًا، أمّا ﴿جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالتذكير: فالبينات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي، وحيثما وردت كلمة البينات بهذا المعنى من الأمر والنهي يذكّر الفعل.

[٢١٣] ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ في هذه السورة وفي آل عمران: ٢٣، وموضعي النور: ٤٨، ٥١، قرئ: (لِيُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف مبينًا للمفعول، حذف فاعله لإرادة عموم الحكم من كل حاكم. وقرئ: (لَيحكُم) بفتح الياء وضم الكاف على البناء للفاعل، أي: ليحكم كل نبي. [٢١٤] ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُولَ﴾ قرئ: (يقولَ) بنصب اللام، والتقدير: "إلى أن يقول الرسول" فهو غاية للزلزلة، والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم، والمعنى على المضي، والتقدير: "إلى أن قال الرسول" ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾. وقرئ: (يقولُ) بالرفع على أن يكون التقدير: "وزلزلوا فيما مضى حتى إن الرسول يقول: متى نصر الله؟". فحكيِ الحال التي كان عليها الرسول، والزلزلة سبب القول، وكلا الفِعلين ماض فلم تعمل فيه حتى.

[٢١٣] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن الكريم ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين =

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٢١٦- ﴿كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: بمعنى: كريه؛ لأن فيه إخراج المال ومفارقة الأهل، والتعرض لذهاب النفس. ٢١٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: بعث رسول الله ﷺ سرية، فلقوا عمرو الحضرمي وهو مقبل من الطائف، وكانت أول ليلة من رجب الحرام، وظنَّ أصحاب النبي ﷺ أن تلك الليلة من جمادي ولم يشعروا، فقتله رجل منهم، وأخذوا ما كان معه، وإن المشركين أرسلوا يعيّرونه بذلك، فنزلت الآية، والمعنى: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام، والأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضر أو رجب الفرد. ﴿وَصَدٌّ﴾: منع ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: التي كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم بالحبس والتعذيب حتى يهلكوا أشد اجترامًا من قتلكم في الشهر الحرام! ﴿يَرْتَدِدْ﴾: يرجع ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت وذهبت. ٢١٩- ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾: القمار بكل ما تقومر به. والمراد به في الآية: قمار العرب بالأزلام، وفرّق بعض الفقهاء بين ميسر اللهو وميسر القمار. ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: يعني الخمر والميسر، فإثم الخمر ما يصدر عن تعاطيها من المخاصمة والمشاحنة وقول الفحش والزور وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه. وإثم الميسر: الفقر وذهاب المال والعداوة وإيحاش الصدور.. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: فمنافع الخمر: ربح التجارة فيها.. ولأنها تحمل شاربها على البذل والعطاء، كما قال الشعراء. ومنافع الميسر: نفع الفقراء، لأن الرابح يجعل لحم الناقة التي ربحها في الفقراء والمساكين، ولا يأخذ منه شيئًا. ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: وكل ما كان كذلك بطل في العقل اعتباره ورجح تركه. ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: ما فضل عن أهلك وعيالك، كان كثيراً أم قليلاً.

[٢١٨] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٢١٧] قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، والبيهقي في سننه، عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطًا، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي، فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: «قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ الآية». فقال بعضهم: «إن لم يكونوا أصابوا وزرًا فليس لهم أجر»، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وأخرجه ابن منده في الصحابة من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس. [٢١٩] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ يأتي حديثها في سورة المائدة . قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن نفرًا من الصحابة حين أُمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ، فقالوا: «إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها؟» فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ وأخرج أيضًا عن يحيى: أنه بلغه أنَّ معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: «يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية».

[٢١٩] ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧]، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩]، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢١]. قوله تعالى: ﴿ آيَاتِهِ ﴾ مضافة إلى لفظ الجلالة لتشريفها وتعظيمها، وكلمة ﴿ الْآيَاتِ ﴾ عامة من حيث اللغة، ومن هذا يبدو لنا أنه في المواطن التي تضاف فيها إلى ضميره تعالى معناها: أنها أهم وآكد، ونلحظ أن الآيات التي ترد بها الأحكام المختصة بالحلال والحرام تأتي بصيغة آياته، والتي تكون أقل منها تأتي الآيات، فالآيتان "١٨٧ و٢٢١" في الأحكام، أي: "الحلال والحرام" بخلاف الآية "١١٩" فإنها لم يأتِ بها ذكر للحلال والحرام.

[٢١٦] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦]. الغالب على العبد المؤمن أنه إذا أحب أمرًا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه، فذلك خير له، فالأوفق له أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه.

[٢١٩] ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾. قوله تعالى: ﴿كَبِيرٌ﴾ قرئ: (كثير) بالثاء المثلثة والكثرة باعتبار كبر الإثمين؛ ولأن الكثرة والكثير كبير فجعله من الكثرة حملًا على المعنى، وذلك أن الخمر يحدث مع شربها آثام كثيرة من لغط وتخليط وسب وشتم وعداوة وخيانة وتفريط في الفرائض، فوجب أن توصف بالكثرة، فجمع الآثام ليناسب جمع المنافع بعدها، وأيضًا فإن وصف الإثم بالكثرة أبلغ من وصفه بالكبر، فقد قال تعالى: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ولمعنى الكثرة مزية على معنى الكبر؛ لأن الكثرة تستوعب معنى العظم ومعنى الكثرة، ولا يستوعب العظم معنى الكثرة، فالإثم يكون عظيمًا ولا يكون كثيرًا إلا وهو عظيم، ويقال: كل كثير كبير، ولا يقال: كل كبير كثير، فالقراءة بالثاء أعم لتضمنها معنى الكثرة والكبر. وقرئ: (كبير) بالباء الموحدة، أي: إثم عظيم لأنه يقال لعظائم الفواحش: كبائر، وليناسب ما بعدها من قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾ ولم يقل أكثر، وهذا بالإجماع؛ ولأن شرب الخمر من الكبائر فيناسبها الوصف لإثمها بالكبر. قوله تعالى: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قرئ: (العفوُ) بالرفع على أن (ما) استفهامية وهي التي قبله، (ذا) موصولة بعدها فوقع جوابها مرفوعًا خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: الذي ينفقونه العفو. وقرئ: (العفوَ) بالنصب على أن "ماذا" اسم واحد فيكون مفعولًا مقدمًا: أي: "أي شيء ينفقون" فوقع الجواب منصوبًا بفعل مقدر، أي: "أنفقوا العفو".

= والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

[٢١٧] ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠- ﴿لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾: لأحرجكم وضيق عليكم، ولكنه بفضله ورحمته وسع ويسر. ٢٢١- ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾: الوثنيات، أما الكتابيات (من اليهود والنصارى) فقد أباحت الزواج بهن الآية الخامسة من سورة المائدة، ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ﴾: اجمعت الأمة على أن غير المسلم كتابيًا أو غير كتابي لا يجوز له أن يتزوج من مسلمة أو يطأها ولو بملك يمين. ٢٢٢- ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾: «الأذى»: كل شيء يتأذى به من قذر أو نتن أو نجاسة. ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾: ينقطع عنهنَّ دم الحيض، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ﴾: اغتسلن بالماء للصلاة، ﴿فَأۡتُوهُنَّ﴾: جامعوهنَّ ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: حيث أباح لكم وأحلَّ. وقيل: من حيث أمركم الله باعتزالهن. ﴿ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾: بالماء. وقيل: المتطهِّرين من الذنوب أن يعودوا فيها بعد التوبة منها. ٢٢٣- ﴿حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾: مُزْدَرَعُ أولادكم. اي موضع طلب الذرية. و﴿حَرۡثٞ﴾ تشبيهٌ: شبه ما يلقى في الأرحام من النطف التي منها النسل، بما يلقى في الأرض من البذور التي منها النبات. والآيتان واضحتان في تحريم نكاح الأدبار. وقد ورد النص على هذا التحريم كذلك في بعض الأحاديث النبوية. ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾: بمعنى: كيف شئتم، ومتى شئتم، في موضع الحرث، ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾: الخير. ٢٢٤- ﴿عُرۡضَةٗ﴾: ثعِلَّة. كالرجل يحلف بالله الا يكلم أخاه، أو لا يتصدق، ويقول قد حلفت بالله، فيجعل ذلك تعلة، وحاجزاً له من فعل الخير. ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ أي: أن تفعلوا الخير، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه». [٢٢٠] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزَّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٢٠] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللَّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟.. [٢٢٠] قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠] الآية. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ الآية». [٢٢١] قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال: لأعتقنها قبل ولأتزوجنها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية» وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعًا. [٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ الآية. روى مسلم، والترمذي، عن أنس: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِ﴾ الآية. فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح». [٢٢٣] قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ الآية. روى الشيخان وأبو داود والترمذي، عن جابر قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ وأخرج أحمد، والترمذي، عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: وما أهلكك؟ قال حولت رحلي الليلة، فلم يرد عليه شيئًا فأنزل الله الآية. ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ يقول: أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة». [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، من طريق ابن جريج قال: حُدثت أن قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ ...﴾ [البقرة: ٢٢١]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ بفتح التاء، والثاني بضمها؛ لأن الأول من "نكحت" والثاني من "أنكحت" وهو يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الأول في الآية: ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ والثاني محذوف وهو "المؤمنات" أي: لا تُنكحوا المشركين النساء المؤمنات حتى يؤمنوا. [٢٢٣] ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. هذه الآية من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

[٢٢٢] ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ قوله: ﴿يَطۡهُرۡنَ﴾ قرئ: (يطَّهَّرن) بفتح الطاء والهاء مشددتين مضارع "تطهر"، أي: اغتسل والأصل يتطهر. وقرئ: (يطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء مخففة مضارع "طهر" يقال طهرت المرأة شفيت من الحيض ودخلت في وقت الطهر، فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته، لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم. [٢٢٠] ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من (الدنيا والآخرة) (١١٥) مرة. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن. [٢٢٢] ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. أضرار المعاشرة أثناء فترة الحيض: اكتشف العلم حديثًا جدًا الأضرار التي تصيب الرجل والمرأة معًا عند قيامهما بالمعاشرة الجنسية أثناء فترة الحيض. يقول العلماء: إنه بعد انقطاع الحيض، فإنه يجب إزالة آثار الدم بالماء، وذلك لإزالة الجراثيم الضارة، عندما ينقطع تيار دم الحيض، الذي كان يدفع تلك الجراثيم إلى الخارج. وهكذا نرى أن الآية القرآنية أيضًا، قد أمرت بالتطهر وبإزالة آثار الدم بعد انقطاع فترة الحيض. لقد ذكر القرآن كل ذلك منذ أربعة عشر قرنًا =

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو الرجل يصل كلامه بالله ووالله. وقيل: إنه الحالف ناسياً. وقيل: إنه الذي يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس هو. وأصل «اللغو» في كلام العرب: كل كلام مذموم لا معنى له. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: تعمّدت، وهو حلِفُ الحالف قاصداً عقد اليمين. وقيل: أن يحلف على الكذب. قال ابن عباس: «ما كسب القلب: هي اليمين الكاذبة الغموس». ٢٢٦- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾: يُقْسمون و«الألية» اليمين، وهو -هاهنا-: أن يحلف الرجل ألا يطأ امرأته. وكان ذلك من عادة العرب، بقصد الإضرار بها. ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار. ﴿فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا إلى ترك ما حلفوا عنه من اعتزال نسائهم. ٢٢٨- ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: قيل: هي ثلاث حيض. وقيل هي الأطهار من الحيض. ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الحيض والحمل ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: أولى برجعتهن في مدة العدّة، فإن انقضت هذه المدة ولم يراجعها فهي أحق بنفسها ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: هي القوامة أو رئاسة الأسرة وإدارة شؤونها والإنفاق عليها. والمراد: حث الزوجة على طاعة زوجها فيما لا معصية لله تعالى فيه. ٢٢٩- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: أي الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرّتان. وإنما قال سبحانه «مرتان» ولم يقل: طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرّة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة. ﴿شَيْـًٔا﴾: أي لا يحل للأزواج أن يأخذوا من أزواجهم (زوجاتهم) شيئًا على وجه المضارّة، من المهر وغيره، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: الخطاب للحكام أو القضاة والمتوسطين في الإصلاح بين الزوجين، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: يبذل شيء من المال يرضى به الزوج فيطلقها لأجله، وهذا هو الخلع.

[٢٢٥، ٢٢٦] معنى اسم الله الغفور: "العَفُوُّ، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [٢٢٥] معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النِّعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاّتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنيبوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان حيث أمهلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي تَرتُّب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. [٢٢٨] قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ الآية. أخرج أبو داود، وابن أبي حاتم، عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، قالت: «طُلِّقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وذكر الثعلبي، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ» عن الكلبي، ومقاتل، أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري: «طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها، ثم علم فراجعها، فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. [٢٢٩] قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية. أخرج الترمذي، والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته، إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدًا قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: «كان الرجل يأكل مال امرأته من نحلته الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحًا، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: «نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين عليه حديقته؟ فقالت: نعم، فدعاه، فذكر ذلك له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ الآية».

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٧] عزمهم الطلاق مما يعلم؛ لا مما يسمع، فكيف قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟ الجواب: العازم على الشيء يحدث به نفسه، وحديث النفس مما يسمعه الله، كما يسمع وسوسة الشيطان؛ مع أن الغالب في عزم الطلاق المقاولة مع الزوجة. [٢٢٩] ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخَافَآ﴾ قرئ: (يُخافا) بضم الياء على البناء للمفعول فحذف الفاعل وناب عنه ضمير الزوجين، ثم حذف الجار فموضع ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ نصب عند سيبويه، وجر بعلى المقدرة عند غيره، ويجوز أن يكون (أن لا يقيما) بدل اشتمال من ضمير الزوجين لأنه يحل محله، والتقدير: "إلا أن يخافا عدم إقامتهما حدود الله" من المعدى لواحد. وقرئ: (يَخافا) بفتحها على البناء للفاعل، وإسناده إلى ضمير الزوجين المفهومين من السياق.

=حرصًا منه على مصلحة البشر وعلى صحتهم في الوقت الذي لم يكن أحد في العالم كله يعرف سر المحيض هذا السر الذي كانوا يعتبرونه في هذا الزمان لغزًا محيرًا! [٢٢٨، ٢٣٤] ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. عدة المطلقة والأرملة: أثبت العلم الحديث أن السائل الذكري يختلف من شخص إلى آخر كما تختلف بصمة الإصبع، وأن لكل رجل شفرة خاصة به، وأن المرأة تحمل داخل جسدها مؤشرًا أو نستطيع أن نطلق عليه جهاز كمبيوتر، يختزن شفرة الرجل الذي يعاشرها ويحفظ تلك الشفرة... وإذا دخل عليه أكثر من شفرة كأنما دخل فيروس إلى جهاز الكمبيوتر فيصاب بالخلل والاضطراب والأمراض الخبيثة. واكتشف العلماء أن المرأة تحتاج نفس مدة العدة التي شرعها الإسلام حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة بدون أن تصاب بأذى، فهي فترة للمرأة كي تنسى تلك الشفرة. أما عن اختلاف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟! فقد أجريت الدراسات على المطلقات والأرامل، فأثبتت التحاليل أن الأرملة أطول من المطلقة نسيانًا لهذه الشفرة، وذلك يرجع إلى حالتها النفسية فهي تكون حزينة على فراق زوجها أكثر من المطلقة، ولذلك اختلفت العدة.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

٢٣١- ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي قاربْنَ ميقاتهنّ الذي وُقّت لهنّ من انقضاء الأطهار، أو الأقراء الثلاثة إن كانت من أهل القُرْء، أو الثلاثة الأشهر إن كانت من أهل الشهور، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: الإمساك بمعروف هو القيام بحقوق الزوجية؛ أي إذا طلقتم النساء فقاربن آخر العدة فلا تُضاروهنّ بالمراجعة من غير قصد لاستمرار الزوجية واستدامتها، بل اختاروا أحد الأمرين: إما الإمساك من غير قصدِ لِضرار، أو التسريح بإحسان، أي: تركها حتى تنقضي عدتها من غير مراجعة ضرارًا، ﴿ضِرَارًا﴾: اعتداءً عليهن وإضراراً بهن. ٢٣٢- ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: أصل «العضل»: التضييق. ومنه «الداء العُضال»: لضيقه عن العلاج وتجاوزه حدَّ الأدواء. والعضل - هاهنا - المنع من الزواج. وقد نزلت هذه الآية في معقِل بن يسار وأخته. والخطاب في الآية - على هذا - للأولياء. والمعنى: إذا كان الطلاق. ٢٣٣- ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها. ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: وارث الصبي إذا كان الأب ميتاً: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: مثل الذي كان على أبيه في حياته، من رزق والدته وكسوتها بالمعروف، أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذُكرت من المعروف وتجنب الإضرار، واختلف في ذلك. ﴿فِصَالًا﴾: «الفصال»: الفطام. عن الرضاع ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾: لا يصح فصله قبل الحولين إلا بتراضي الوالدين، وإلا يكون على المولود ضرر. ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾: غير أمهاتهم إذا أبيْنَ من رضاعهم. ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ قيل: إذا كان ذلك عن مشورة ورضا. ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: أعطيتم. [٢٣٠] قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الآية أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حيان قال: «نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها طلاقًا بائنًا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي، فطلقها فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ فقال ﷺ: لا حتى يمس، ونزل فيها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فيجامعها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بعدما جامعها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾». [٢٣١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس، قال: «كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها. يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية». [٢٣٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ روى البخاري، وأبو داود، والترمذي وغيرهم، عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلًا من المسلمين، فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكما فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبدًا، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [٢٣١] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢]. سورة البقرة تنهى عن مضارة النساء وتحريم أخذ شيء منهن، وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن، وقد تكرر أثناء ذلك الأمر بمجاملتهن والإحسان لهن، سواء في حالة انفصال الزوجين أو اتصالهما والتلطف وتحسين الحال في المحبة والفراق، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾، لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، أمّا في سورة الطلاق فلم يرد فيها تعرض لعضل ولا ذكر مضارة، لم يذكر ورود التعبير بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، والله أعلم. [٢٣٢] ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ، وقدم تشريفًا له، ثم عمم فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وفي الطلاق، فالخطاب له ولأمته جميعًا، وقدم تشريفه بالنداء لقوله تعالى في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. [٢٣٣] ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]. ما الفرق بين كلمة "سنة" و"عام" و"حول". الجواب: كلمة "سنة" تستعمل في القرآن الكريم غالبًا للقحط والتعب والشدة وطول المدة، مثلما جاء في آية الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ويقال أسنت الناس، أي: أصابهم قحط، وكذلك في سورة العنكبوت ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فالآية تعني ألف سنة فيها شدة وتعب، وارتاح منها خمسين سنة فقط، أمّا كلمة "عام" فهي بمعنى الخصب والرخاء وقصر المدة، مثلما جاء في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ﴾ [يوسف: ٤٩]، وكلمة "حول" يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع، فمعناه يختلف عن معنى السنة ويختلف كذلك عن معنى العام؛ لأن السنة والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث أو الفعل، وليس شرطًا أن يكون الحدث أو الفعل مستمرًا خلالها، أما الحول فيكون الحدث أو الفعل فيه مستمرًا بدون انقطاع، مثلما جاء في البقرة: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وهي تعني أن الرضاعة مستمرة بلا انقطاع طوال العامين. [٢٣٣] ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ ... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ قرئ: (تضارُّ) برفع الراء مشددة لأنه مضارع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم فرفع، و(لا) نافية، ومعناها النهي للمشاكلة. وقرئ: (تضارْ) بسكون الراء مخففة على أنه مضارع من ضار يضير، ويكون السكون لإجراء الوصل مجرى الوقف، وقرئ: (تضارَّ) بفتح الراء مشددة على أن (لا) ناهية جازمة فسكنت الراء الأخيرة للجزم وقبلها راء ساكنة مدغمة فالتقى ساكنان فحُرِّكَ الثاني لا الأول، وإن كان الأصل للأول، وكانت فتحة لأجل الألف إذ هي أختها. قوله: ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ قرئ: (أتيتم) هنا وأول الروم: ٣٩، بقصر الهمزة، على معنى جئتم وفعلتم. وقرئ: (آتيتم) بالمد على معنى أعطيتم. [٢٣١] ﴿ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في القرآن. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في القرآن. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في القرآن. [٢٣٣] ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. مدة الرضاعة: من معجزات القرآن العلمية، تلك الآية التي تتعرض لأدق وأخطر الموضوعات، التي تعرضت للدراسة والفحص في مختلف الأزمنة المتعاقبة، ألا وهو موضوع الرضاعة من الأم. إن الثابت أن الغذاء الطبيعي للرضيع هو لبن الأم، أو لبن امرأة أخرى صحيحة البنية، يكون سن ابنها كسن الرضيع الذي ترضعه، وقد ثبت أن لبن الأم أصح غذاء من كل أنواع اللبن الصناعي، حتى ومن اللبن الطبيعي مهما قربت درجة تركيز مكوناته من لبن الأم، الأمر الذي أدى إلى أن ينصح الأطباء والمولدون عامة بالرضاعة الطبيعية، والكتب الحديثة في أمراض الأطفال قد أبدت =

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾: الآية: التقدير: وأزواج الذين يتوفون منكم ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي عن الزواج. والآية في عدّة المتوفي عنها زوجها. ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: بانقضاء العدة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: يريد به التزوج فما دونه، من التزيّن واطّراح الحداد ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: الذي لا يخالف الشرع. وقيل: معناه: بالإشهاد. ٢٣٥- ﴿عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: أي النساء المعتدات من وفاة أزواجهن، كأن يقول لها: عسى الله أن يُيسر لي امرأة صالحة، أو: إنك إلى خير، وإنك لمرغوب فيك، ونحو ذلك من الكلام المومئ للزواج حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه. ولا يصرح بالنكاح، ﴿أَكْنَنتُمْ﴾: اخفيتم وسترتم. ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: أي نكاحًا، أي عقداً لا ينكحن غيركم. ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: ولا توجبوا العقدة حتى تتم العدة، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: حتى تنقضي العدة، وهي التي كتب الله وفرض. ٢٣٦- ﴿فَرِيضَةً﴾: صداقاً واجباً ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهنّ شيئًا يكون متاعًا لهن. ﴿ٱلْمُوسِعِ﴾: من سعة ذات اليد ﴿قَدَرُهُۥ﴾: بقدر ما رزق الله، إذ الاعتبار بحال الزوج يسارًا وإعسارًا. ﴿ٱلْمُقْتِرِ﴾: المُقِلّ. ٢٣٧- ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾: أي قبل الدخول بهن ومعاشرتهن معاشرة الأزواج، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: اتفقتم على قدر الصداق أو المهر. ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: أي المطلقات، فيتركن النصف الذي يجب لهن، أو بعضه. ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: هو الزوج، فيعطيها المهر كاملاً. وقيل: الولي، ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ندب إلى المجاملة والإحسان. قال مجاهد: الفضل إتمام الزوج الصّداق كله، أو ترك المرأة النصف الذي لها. أي أن كل واحد من الزوجين يتفضل على الآخر.

[٢٣٤] ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. معنى الآية الأولى: لا جناح عليكم في أن تتزوجوا اللاتي تُوفي عنهن أزواجهن بعد انقضاء العدة، فهو من المعروف الذي أباحه الله لهن، فصار المعروف هنا محددًا مشهورًا، وأمّا في الآية الأخرى فمعناها: أنهن مخيرات بين معروفين مشروعين: إمّا القعود أو الزواج، فلم يكن المعروف الثاني إلا وجهًا من الوجوه المشروعة غير محدد فلهذا خرج مخرج النكرة. [٢٣٦] ﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]. الآية الأولى في مطلقة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء، لا تسمية، ولا دخول. وهو وإن أوجبه قوم فهو في الصورة مجرد إحسان، فناسب ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، والآية الثانية في المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين النفقة، ونفقة الرجعية واجبة، فناسب ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ورجح أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ والمراد به: النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾، فظهر أنه النفقة في عدة الرجعية بخلاف المطلقة البائن بخلع، فإن الطلاق من جهتها، فكيف تعطى المتعة التي شرعت جبرًا للكسر بالطلاق وهي الراغبة فيه وباذلة المال فيه؟ فظهر أن المراد بالمتاع هنا: النفقة زمن العدة لا المتعة، لأنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقي حكم المطلقة الرجعية فيحمل عليه.

[٢٣٨] ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فوائد وفضائل المحافظة على الصلاة في جماعة في المسجد: ١- امتثال أمر الله تعالى. ٢- الشهادة بالإيمان والهداية من الله لعمارة بيوته. ٣- مجموعة فوائد تالية: "١ ـ اختبار العباد وامتحانهم؛ ليعلم الله من يمتثل أوامره ممن يعرض عنها ويتكبر .٢- التعارف والتآلف والترابط بين المسلمين؛ ليكونوا كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا. ٣- تعليم الجاهل... وتذكير الغافل، فالجاهل يرى العالم فيقتدي به، والغافل يسمع الموعظة فينتفع بها... ٤- ما يشعر به المصلي في الجماعة من الخشوع والتدبر والإنتفاع بالصلاة. ٥- إغاظة أعداء الله وإرهابهم وعلى رأسهم إبليس ـ لعنه الله ـ وجنوده من شياطين الإنس والجن . ٦- ما في الخروج إلى المسجد من النشاط والحركة ورياضة البدن بكثرة المشي ذهابًا وإيابًا لاسيما إن كان المسجد بعيدًا، وتذكر أن خطاك للمسجد خطوة تمحو سيئة، و خطوة تكتب لك حسنة ، ذاهبًا و راجعًا. ٧- البراءة من النار ومن النفاق". ٤- تزكية من الله وتسميتهم بالرجال لمواظبتهم عليها جماعة. ٥- تعظيم وتأكيد لما عظمه الله وأكدّ عليه رسوله ﷺ وحرص عليه طيلة حياته، فصلاة الجماعة لها شأن عظيم وأهمية كبرى، حيث لم يقتصر الأمر بأدائها على الأحوال العادية، بل أمر الله بها وأكد عليها حتى في حالة الخوف، وفي ساحة المعركة والقتال. ٦- امتثال لأمر رسول الله ﷺ واتباع لسنته. ٧- من أعظم مقاصد الإسلام الجماعة عمومًا. ٨- تعظيم وإظهار لشعائر الله. ٩- الصلاة جماعة من سنن الهدى، وتركها ضلال ونفاق. ١٠- صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وورد كذلك في حديث آخر أنها أفضل بخمس وعشرين درجة. وقد جمع العلماء بين الروايتين، وبينوا الأسباب المقتضية للدرجات المذكورة، قال ابن حجر - رحمه الله -: «فأولها إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة، والتبكير إليها في أول الوقت، والمشي إلى المسجد بالسكينة، ودخول المسجد داعيًا، وصلاة التحية عند دخوله، كل ذلك بنية الصلاة في الجماعة، سادسها: انتظار الجماعة، سابعها: صلاة الملائكة عليه واستغفارهم له، ثامنها: شهادتهم له، تاسعها: إجابة الإقامة، عاشرها: السلامة من الشيطان حين يفر عند الإقامة، حادي عشرها: الوقوف منتظرًا إحرام الإمام أو الدخول معه في أي هيئة وجده عليها، ثاني عشرها: إدراك تكبيرة الإحرام كذلك، ثالث عشرها: تسوية الصفوف وسد فُرَجِها، رابع عشرها :جواب الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمده، خامس عشرها: الأمن من السهو غالبًا وتنبيه الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه، سادس عشرها: حصول الخشوع والسلامة عما يلهي غالبًا، سابع عشرها: تحسين الهيئة غالبًا، ثامن عشرها: احتفاف الملائكة به، تاسع عشرها: التدرب على =

[٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ قرئ: (تُماسوهن) بضم التاء وألف بعد الميم مع المد المشبع، من المفاعلة التي تكون بين اثنين، لأن كل واحد من الزوجين يمس الآخر أثناء الجماع. وقرئ: (تَمسوهن) بفتح التاء بلا ألف، على أن المس من الرجال، ومعناه الجماع. قوله تعالى: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ قرئ: (قدَره) بفتح الدال فيهما. وقرئ: (قدْره) بإسكان الدال، والفتح والإسكان لغتان بمعنى واحد، وهو الطاقة والقدرة، ودليل الفتح قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ودليل الإسكان قوله: ﴿لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

= هذا الرأي. يقول أحد الأطباء: إن آخر ما تقرر في هذا الشأن - أي مدة الرضاع من الأم- يجب أن تكون فوق السنة، ويستحسن أن تكون ستتين كاملتين، هذه الآراء والأبحاث دامت قرونًا وقرونًا، واختلف باحثوها، لكنهم اتفقوا على ما جاء في القرآن محددًا قاطعًا لكل قول. فسبحان الله العظيم.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٢٣٨- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: هو أن تصلِّي لأوقاتها، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: صلاة العصر. لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنة من حديث علي رضي الله عنه قال: كنّا نراها الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، وكانت صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارًا». وقيل: صلاة الظهر. وقيل: صلاة المغرب. وقيل: صلاة الفجر. ﴿قَٰنِتِينَ﴾: مطيعين. وأصل «القنوت»: الطاعة. وقيل قانتين: ساكتين. ٢٣٩- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من عدو أو غيره ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركباناً على دوابكم. ٢٤٠- ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ أي: يجب على الذين يتوفون، أن يوصوا قبل نزول الموت بهم لأزواجهم، أن يُمَتَّعْنَ بعدهم حولاً كاملاً بأن لا يخرجن من مساكنهم ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾، باختيارهن قبل الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أي لا حرج على الولي أو الحاكم وغيرهما، ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من التعرض للخطاب والتزين لهم. وذهب الجمهور إلى أن الآية منسوخة بالأربعة أشهر وعشرًا (الآية ٢٣٤) وعن مجاهد أن الآية ليست منسوخة، وأن العدة أربعة أشهر وعشر، ثم جعل الله لهن وصية سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة، فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت. وربما ارتبط ذلك بزواجها أو بقائها من غير زوج. والله أعلم.
٢٤١- ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾: الآية عامة في كل مطلقة، تُعطى قدرًا من المال، على حسب حال الزوج، وكما نص عليه في الآية السابقة: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [الآية ٢٣٦].
٢٤٣- ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: جمع: ألف من العدد. وقد روي أن هؤلاء كانوا من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد - في قصص كله لين الأسانيد -. والعبرة مما حكاه القرآن بشأنهم بيّنة. ٢٤٥- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾: قرض العبد ربَّه: أن يعطي من ماله ما أمر الله به، أو ينفق في سبيله. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾: فيضاعف الله ذلك ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: في الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يُقتِّر ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾: يُوسِّعُ. وقد جاء الأمر بالقتال في الآية السابقة، فدخل فيها من يقرض رجاء الثواب، كما فعل عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة.

[٢٣٨] قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ الآية. أخرج أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والبيهقي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت. «أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾. وأخرج أحمد، والنسائي، وابن جرير، عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾. وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأُمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام». [٢٤٠] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ الآية. أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: أن رجلًا من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فأعطى الوالدين وأعطى أولاده بالمعروف، ولم يعط امرأته شيئًا، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ الآية. وربما كان هذا قبل نزول آيات المواريث. [٢٤١] قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: «لما نزلت: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل. فأنزل الله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾».
[٢٤٥] قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ الآية. روى ابن حبان في صحيحه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر قال: «لما نزلت: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ إلى آخرها. قال رسول الله ﷺ: ربِّ زد أمتي، فنزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾».

= تجويد القرآن وتعلم الأركان والأبعاض، العشرون: إظهار شعائر الإسلام، الحادي والعشرون: إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل، الثاني والعشرون: السلامة من صفة النفاق ومن إساءة غيره الظن بأنه ترك الصلاة رأسًا، الثالث والعشرون: رد السلام على الإمام، الرابع والعشرون: الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص، الخامس والعشرون: قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات، فهذه خمس وعشرون خصلة ورد في كل منها أمر أو ترغيب يخصه، وبقي منها أمران يختصان بالجهرية وهما: الإنصات عند قراءة الإمام والاستماع لها، والتأمين عند تأمينه ليوافق تأمين الملائكة ...» انتهى. ١١- أزكى عند الله من صلاة الفرادى: صلاة الجماعة ولو كان عددهم قليلاً، أزكى عند الله - تعالى - من صلاة الفرادى ولو كانوا أكثر. ١٢- العصمة من الشيطان. ١٣- البعد عن التشبه بالمنافقين، ومن أشهر صفاتهم التخلف عن صلاة الجماعة خصوصًا صلاتي العشاء والفجر. ١٤- من أسباب مغفرة الذنوب. ١٥- من أسباب عجب الرب، وعجبه - سبحانه - دليل على رضاه عن هذا العمل ومحبته لفاعله. ١٦- الثواب الجزيل بالمشي إليها. ١٧- اجتماع الملائكة في صلاتي الفجر والعصر واستغفارهم لمن حضرها. ١٨- تعدل قيام نصف الليل أو الليل كله: صلاة العشاء في جماعة تعدل قيام نصف الليل، كما أن صلاة الفجر في جماعة تعدل قيام الليل كله. ١٩- في ذمة الله تعالى: صلاة الجماعة من أسباب حفظ الله للعبد، وجعله في ذمته أي في عهده وأمانه، وضمانه، وذلك بصلاة الفجر في جماعة. ٢٠- في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله سبحانه: صلاة الجماعة مما يجعل المسلم شديد الحب والتعلق بالمساجد حيث تؤدى الصلاة، ومعلق القلب بالمساجد أحد السبعة الذي يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله. =

[٢٤٠] ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً﴾ قرئ: (وصيةٌ) برفع التاء على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي أمرهم وصية، أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير تلزمهم وصية. وقرئ: (وصيةً) بالنصب على أنه مفعول مطلق أي: "يوصون وصية" أو مفعول به أي: (كتب الله عليكم). [٢٤٥] ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ: (فيضاعِفُه) بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء، على الاستئناف، أي فهو يضاعفه. قرئ: (فيضعِّفُه) بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء، على الاستئناف أيضًا. وقرئ: (فيضعِّفَه) بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء. وقرئ: (فيضاعِفَه) بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء. وتوجيه قراءة النصب أن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعها بعد الاستفهام. ووجه التشديد في العين أنه مضارع "ضعّف"، ووجه التخفيف أنه مضارع ضاعف. ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ هنا و ﴿بَسْطَةً﴾ بالبقرة: ٢٤٥، ٢٤٧ =

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦- ﴿ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وجوههم وأشرافهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾؟: بمعنى: عسى ألا تفوا بما تعدون من القتال والجهاد. ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾: إن فُرض عليكم القتال. ٢٤٧- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾: أي اختاره، واختيار الله هو الحجة القاطعة، ثم بيّن لهم مع ذلك وجه الاصطفاء. ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: زيادة بسطٍ له ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾. ٢٤٨- ﴿إِنَّ ءَايَةَ﴾: علامة ﴿ٱلتَّابُوتُ﴾: تابوت كانت بنو إسرائيل تقدمه بين أيديهم عند القتال فلا يقوم لهم أحد! ﴿سَكِينَةٌ﴾: فعيلة، مأخوذة من السكون، والوقار والطمأنينة، أي: فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت. وقيل: إن التابوت كانت فيه أشياء من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إليه وتأنس به وتتقوى. ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾: عصاه عليه السلام، ورُضاضُ الألواح؛ أي فُتاتها وما تكسر منها. واختلف فيه.

= ٢١- براءة من النار وبراءة من النفاق: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن من حافظ عليها أربعين يومًا لا تفوته التكبيرة الأولى، كتب الله له براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق .٢٢- صلاة الله تعالى وملائكته على المصلين: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن الوقوف في الصفوف لأدائها من أسباب صلاة الله تعالى وملائكته الكرام على المصلين خصوصًا الصفوف الأولى. ٢٣- الثواب الجزيل في تسوية الصفوف وسد الفُرَج. ٢٤- الحصول على أجرها حتى لو فاتت: ومن فوائد صلاة الجماعة، أن من جاء إليها يحصل على أجرها، حتى لو وجد الناس قد صلوا. ٢٥- كمال الصلاة: صلاة الجماعة من أسباب كمال الصلاة وتمامها، والنجاة والأمن من السهو غالبًا، وتحصيل الخشوع، وبالتالي ترتفع درجة قبول الصلاة بإذن الله تعالى. ٢٦- أفضل الأعمال أداء الصلاة في وقتها والمحافظة عليها. كما أن صلاة الجماعة تعصم المسلم من التهاون بالصلاة أو السهو عنها ونسيانها وتأخيرها عن وقتها، بل إن الكثير من تاركي الصلاة، كانت بداية أمرهم، ترك صلاة الجماعة، ولذلك فإن من رحمة الله بنا أن شرع لنا أداء الصلوات الخمس في جماعة. ٢٧- فرح الرب تعالى بعمار المساجد وتقريبه وإكرامه لهم. ٢٨- النجاة من الغفلة. ٢٩- دعاء لا يرد: ما بين الأذان والإقامة. ٣٠- ألفة ومودة ومساواة بين المؤمنين. ٣١- المحافظة على السنن الرواتب والأذكار. ٣٢- معرفة أحكام الصلاة من خلال مشاهدة المصلين لبعضهم، أو الاستماع إلى بعض الدروس في المساجد أو قراءة بعض الأوراق المعلقة بداخلها. كما أن صلاة الجماعة فرصة لمعرفة القراءة الصحيحة وتعلم أحكام التجويد، من خلال الاستماع إلى قراءة الإمام. ٣٣- تعود النظام وضبط النفس من خلال متابعة الإمام في تكبيراته وتنقلاته في الصلاة، وعدم التقدم عليه، أو التأخر عنه، أو موافقته، أو مسابقته. ٣٤- إظهار عز المسلمين باجتماعهم وفي ذلك إغاظة الكفار والمنافقين. ٣٥- تحسين الهيئة والمظهر. ٣٦- تعارف وتعرف وتواصل بين المسلمين. كما أنها فرصة لتفقد المصلين بعضهم بعضًا، والتعرف على أحوالهم وظروفهم، فيتم من خلال ذلك زيارة المريض، ومساعدة المحتاج، ومواساة المصاب وغير ذلك. ٣٧- دعوة عملية إلى الخير والتنافس في طاعة الله: الخروج إلى المساجد لحضور صلاة الجماعة دعوة عملية لأداء هذه العبادة والمحافظة عليها كما أن من فوائد صلاة الجماعة، أنها دافع إلى التنافس في طاعة الله تعالى بصدق وإخلاص، حينما ينظر المصلي إلى إخوانه المصلين، فيتنافس معهم فيما يقربه إلى الله تعالى في هذه العبادة العظيمة، بالاستزادة من الخير، كالتبكير إلى الصلاة وأداء السنن الراتبة، وقراءة الأذكار والأدعية وغير ذلك، وقد أمر الله تعالى بالتنافس فيما يقربنا من رضوانه وجناته بالأعمال الصالحة. ٣٨- سلامة المروءة: صلاة الجماعة من أسباب سلامة المروءة، فقد ذكر بعض السلف أن من المروءة المحافظة على صلاة الجماعة ولزوم المساجد في الحضر. أما المتخلف عن صلاة الجماعة، فإنه مخروم المروءة، ومن المعلوم أن مخروم المروءة لا تقبل له شهادة. ٣٩- استشعار للوقوف صفًا في الجهاد. ٤٠- استشعار ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه: ومن فوائد صلاة الجماعة أن فيها استشعار آخر هذه الأمة بما كان عليه أولها، أي: بأحوال الصحابة، كأنما يستشعر الإمام أنه في إمامة الجماعة، ويستشعر المأمومون أنهم في مقام أصحاب الرسول مقام رسول الله ﷺ، ولا شك أن ارتباط آخر هذه الأمة بأولها يعطي الأمة الإسلامية دفعة قوية إلى اتباع السلف واتباع هديهم رضي الله عنهم. [٢٣٩] ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩]. ما الفرق بين استعمال "إن" و"إذا" في الآية؟ الجواب: أن "إذا" تستخدم لليقين والقطع فاستعملت مع الأمن فقال: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾، على خلاف "إن" فتستعمل في الشك والتقليل فأدخلت على الخوف ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾. [٢٣٩] ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة : ٢٣٩]. وفي هذا زيادة للتأكيد على المحافظة وعلى وقتها، ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط فصلاتها على تلك الصورة أحسن وأفضل بل أوجب من صلاتها مطمئنة خارج الوقت. [٢٤٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ ﴾ [النساء: ٧١]. ما الفرق بين "حَذَر، حِذْر"؟ الجواب: وردت كلمة (حَذَرَ) بالفتح مرتين، بينما وردت كلمة (حِذْر) بالكسر ثلاث مرات. أضيفت كلمة (حَذَرَ) بالفتح في المرتين اللتين أتت فيهما - إلى اسم =

= ﴿ بَصْۜطَةً ﴾ بالأعراف: ٦٩، قرئ: (يبسط - بسطة) بالسين فيهما على الأصل، والدليل على أن السين هي الأصل: أن الصاد ليست هي الأصل لأنه لو كانت الصاد هي الأصل ما جاز أن ترد إلى السين إذ لا علة توجب ذلك، ولا ينقل الحرف إلى أضعف منه، فالصاد أقوى بكثير من السين لإطباقها واستعلائها، فإذا لم يجز رد الصاد إلى السين وجاز رد السين إلى الصاد علم أن السين هي الأصل، والصاد داخلة عليها لعلة. وقرئ: (يبصط- بصطة) بالصاد فيهما لمجاورتها الطاء. أي: لمجاورة السين التي هي الأصل الطاء، فالسين حرف مستقل، فلما وقعت بعد الطاء المطبقة المستعلية صعب أن يخرج اللافظ من تسفل إلى تصعد فلو كان العكس لحسن كما هو في نحو (طسم، وقسوة) فالانتقال من الطاء للسين ومن القاف للسين سهل وخفيف، بخلاف الانتقال من السين للطاء، لذلك قربت السين من الطاء بإبدال حرف يؤاخي الطاء في الإطباق والاستعلاء: وهو الصاد، وكأن السين التي هي الأصل لم تزل، لكن خلفها حرف من مخرجها ومن صفتها في الصفير، ولأن الصاد عليها خط المصحف وعليها أكثر القراء، والقراءة بالصاد والسين لغتان من لغات العرب. [٢٤٦] ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾ هنا وفي محمد : ٢٢، قرئ: (عَسَيتم) بالفتح في السين. وقرئ: (عسِيتم) بكسر السين، والفتح والكسر لغتان في (عسى) إذا اتصلت بضمير، والفتح هو الأصل للإجماع عليه في (عسى) إذ لم تتصل بالضمير.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

٢٤٩- ﴿فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: خرج بهم ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يقال: طعمتُ الشيء: أي ذقتُه. يقال: أطعمتُه بالماء: أي أذقتُه. والاغتراف: الأخذ من الشيء باليد أو بآلة. ﴿يَظُنُّونَ﴾ - هاهنا -: بمعنى: يستيقنون ويعلمون. ﴿فِئَةٍ﴾: الفئة: الجماعة من الناس، ولا واحد له من لفظه، كالرهط، والنفر. ٢٥٠- ﴿أَفْرِغْ﴾: انزل. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: لئلا ننهزم. ٢٥١- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾: قيل: المراد: الذين يباشرون أسباب الشرّ والفساد، ﴿بِبَعْضٍ﴾: آخر منهم، وهم الذين يكفّونهم عن ذلك ويردّونهم عنه، ﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: أي لتغلب أهل الفساد عليها وفعلوا من الشرور ما يهلك الحرث والنسل. والآية في سنة المدافعة هذه أو بوجه عام، أي لوصف هذه السنّة إحدى سنن الاجتماع الإنساني. وأنها تنطبق على الأمم والأقوام، ولا تقتصر على الأفراد. ٢٥٢- ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: هذا الإخبار أو الخطاب الإلهي لمحمد ﷺ تقوية لقلبه، وتثبيتًا لجَنانه، وتشييدًا لأمره، وفيه تأكيد مستمر على أن الوحي الذي كان ينزل عليه إنما هو من الله تعالى.

[٢٥٥] معنى اسم الله العلي: (العَلـيُّ، الأعلَى، المُتعَال): قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] وقالَ تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وقال تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩] وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه. فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [٢٥٥] معنى اسم الله العظيم: الله تعالى عظيم له كلُّ وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يُحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يُثني عليه عباده. واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان: النوع الأول: أنه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كفّ الرحمن أصغر من الخردلة. وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله يقول: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبته)) فلله تعالى الكبرياء والعظمة، الوصفان اللذان لا يُقدَّر قدرهما، ولا يُبلَغ كنههما. النوع الثاني من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يُعظَّم الله، فيستحق جلّ جلاله من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذُّل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. ومن تعظيمه أن يُتقى حقَّ تقاته، فيُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر. ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال. ومن تعظيمه أن لا يُعترض على شيء مما خلقه أو شرعه.

[٢٥٠] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٠]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٧] بدؤوا دعاءهم في آية البقرة ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، ليناسب اعتقادهم في أن هذا سبب النصر الحقيقي، وقد قالوا قبله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٤٩]، وبدؤوا دعاءهم في آية آل عمران ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ في مثل ضربه الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران : ١٤٦]، لم يحدد فيه نبيًّا، ولم يحدد فيه قومًا، مثل عام للمؤمنين في سياق التعقيب على هزيمة أحد يعلمهم الأدب في حق الله، وأنهم في هول الهزيمة أول ما يسألونه المغفرة، لأن ما نزل بهم ما نزل إلا بذنب.

= ظاهر (الموت)- في قوله تعالى: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]. بينما جاءت كلمة (حِذْر) بكسر الحاء مسبوقة بكلمة (خذوا) أو (ليأخذوا) في قوله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]. جاءت كلمة (حِذْر) بكسر الحاء مع فعل الأمر (خذوا) لأن هذا المصدر (حِذْر) أشدُّ لفتًا للانتباه من المصدر الأصلي (حَذَر) بفتح الحاء. وكأن (الحِذر) بكسر الحاء- آلة يقي بها المرءُ نفسه.

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة : ٢٤٣]. قوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، فإن قيل: هذا يقتضي موتهم مرتين، وهو مناف للمعروف أن موت الخلق مرة واحدة؟ الجواب: لا منافاة؛ إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما في قوله في قصة موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة : ٥٦]، وثَمّ موت بانتهاء الأجل. ولأن الموت هنا خاص بقوم، وثَمّ عام في الخلق كلهم، فيكون ما هنا مستثنى إظهارًا للمعجزة.

[٢٤٧] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين "جِسْم وجَسَد وبَدَن"؟ الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت.

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ [البقرة : ٢٤٩]. لماذا قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ ولم يقل: (ومن لم يشربه) مع أن الكلام على الماء؟ الجواب: يقال: (طعم) إذا أكل أو ذاق، والطعم الذوق وهو يكون في الطعام والشراب. يقال: طعمه مر أو حلو أو غير ذلك، ويكون ذلك في كل شيء مما يؤكل أو يُشرب. ثم إن الماء قد يُطعم إذا كان مع شيء يمضغ. ولو قال: (ومن لم يشربه) لكان يقتضي أنه يجوز تناوله إذا كان في طعام. فلما قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ تبين أنه لا يجوز تناوله على كل حال إلا قدر المستثنى وهو الغرفة باليد.

[٢٤٩] ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿غُرْفَةً﴾ قرئ: (غَرفة) بفتح الغين على أنها مصدر للمرة. وقرئ: (غُرفة) بضم العين على أنها اسمٌ للماء المغترف، فعدى الفعل إليه لأنه مفعول به، كأنه قال: إلا من اغترف ماء على قدر مثل ملء اليد. [٢٥١] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ قوله تعالى: ﴿دَفْعُ﴾ هنا وفي الحج : ٤٠، قرئ: (دِفاع) بكسر الدال وألف بعد الفاء، مصدر دفع ثلاثيًا نحو: كتب كتابًا، ويجوز: أنه مصدر دافع =

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٢٥٣- ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: جعل الله تعالى لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، أما ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على الأنبياء». كما يدل عليه قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم» رواه مسلم وغيره. ولكن لا ينبغي أن نقول: محمد أفضل من موسى أو عيسى على سبيل التعيين، للحديث المذكور، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: هم أولو العزم من الرسل، وهم نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: اختلفت أمم الأنبياء بعضهم مع بعض حتى اقتتلوا. ٢٥٤- ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: فتشتروا ما فيه نجاتكم. ﴿خُلَّةٌ﴾: صداقة. ٢٥٥- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: القايم الدايم قيِّمٌ على كل شيء يحفظه ويكلؤه. ﴿سِنَةٌ﴾: نُعاس أو بدء النعاس. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: لا أحد من عباده يقدر أن ينفع عند الله أحدًا منهم بشفاعة أو غيرها ما لم يأذن له الله تعالى بذلك. ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: كثر الاختلاف في تفسيره قال ابن عباس وسعيد بن جبير: علمه، ورجحه الطبري. وقيل: قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض. وقيل: الكرسي هو العرش. والله أعلم به. لكننا لا نملك إلا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، على الصفة التي أثبتها، بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه. ﴿يَـُٔودُهُۥ﴾: يشق عليه ويُثقِلُه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: عن النُّظراء والأشباه. ٢٥٦- ﴿ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: تبين الحق من الباطل ﴿بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشيطان وما يدعو إليه. وكل رأس في الضلال. ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: «العروة» في هذا المكان، مَثلٌ للإيمان الذي به يعتصم المؤمن. ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾: «الفصمُ»: الكسر. أي: لا انحلال لها فلا يهلك المتعلق بها، وتدل الآية على أن مهمة الدعوة الإسلامية بيان الرشد من الغيّ. ولا تتجاوز ذلك لتكره أحدًا على الإيمان أو الدخول في الإسلام. [٢٥٦] قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ روى أبو داود، والنسائي، وابن حبان، عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تكون مقلاتًا -وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد- فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد - أن تُهوِّدَه، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

[٢٥٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ما فائدة تكرار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾؟ الجواب: تأكيدًا وتكذيبًا لمن زعم أنّ ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى. والأحسن أن ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ أولًا مجاز في الاختلاف؛ لأنه كان سبب اقتتالهم فأطلق اسم المسبَّب على السبب كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، فمعناه: ولو شاء الله ما اختلفوا بعد أنبيائهم، لكن اختلفوا، ولو شاء الله بعد اختلافهم ما اقتتلوا. [٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢-٣]. تلازمت صفتا الحي والقيوم في آيتي البقرة وآل عمران فقط، ولم ترد صفة القيوم إلا مع الحي. بينما وردت صفة الحي منفردة، وهذان الاسمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم هو القائم على كل شيء بنفسه، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الخلق والرزق والإماتة والإحياء والخلق، وسائر أنواع التدبير، ولهذا قال بعض أهل التفسير: إن "الحي القيوم" هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله تعالى به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

[٢٥٤] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. حصر الظلم في الكافرين، لأن ظلمهم أشد، فهو حصر إضافي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. [٢٥٥] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قدم الله تعالى ذكر السِّنة على النوم، لأن السِّنة هي النعاس، وتسبق السِّنة النوم، فبدأ بالسِّنة ثم النوم. [٢٥٥] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسُّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا: (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانيًا: (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعل الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدرًا من المعرفة.

= كقاتل قتالًا لأن المفاعلة قد تأتي من واحد كعاقب اللص، وقرئ: (دَفْع) بفتح الدال وسكون الفاء دفع يدفع ثلاثيًا، لأن المفاعلة التي من اثنين لا معنى لها هنا، فالله هو الدافع عن المؤمنين ولا يدافعه أحد فيما يدفع، فحمله على دفع أولى لأنه مصدره الذي لا يصرف عنه إلا بدليل. [٢٥٤] ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿بَيْعٌ - خُلَّةٌ - شَفَٰعَةٌ﴾ هنا وإبراهيم: ٣١، ﴿بَيْعٌ - خِلَٰلٌ﴾، والطور: ٢٣، ﴿لَغْوٌ - تَأْثِيمٌ﴾ قرئ: (بيعَ - خلةَ - شفاعةَ - خلالَ - لغوَ - تأثيمَ) بالفتح من غير تنوين. وقرئ: (بيعٌ - خلةٌ - شفاعةٌ - خلالٌ - لغوٌ - تأثيمٌ) بالرفع والتنوين.

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن. [٢٥٤] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة: أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن الكريم.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٧- ﴿وَلِيُّ﴾: ناصر، ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الشبهات والشهوات، ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾: أئمتهم الذين يزينون لهم الكفر بالله ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: من النظرة السوية التي فطر الله عليها وما تدعو إليه من معرفة الخالق وحقه على عباده. وقيل: النور: التوحيد والدين الحق، ولهذا يأتي في القرآن مفردًا، وتجمع فيه ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾. ٢٥٨- ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: عن ابن عباس: أتى برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر وادعى أنه أحيا وأمات. وهذه منه مغالطة؛ لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن الله هو الذي خلق الموت والحياة في الأجساد، ثم أتاه إبراهيم بما لا يستطيع فيه المغالطة فقال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فلم يستطع جوابًا. ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: انقطع وبطلت حجته. ٢٥٩- ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: قيل: هو عزير. وقيل: إرمياء النبي ﷺ، و«القرية»: بيت المقدس. ﴿خَاوِيَةٌ﴾: خالية ﴿عُرُوشِهَا﴾: بيوتها وأبنيتها ﴿أَنَّىٰ﴾؟ بمعنى: كيف؟ استبعادًا لإحيائها وإعادة الحياة منها بعد خرابها، وقيل: إنه استبعد إحياء أهلها. ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: يتغير ﴿نُنشِزُهَا﴾: نُحييها. وأصل «الإنشاز»: التركيب والإحياء. ومن أظهر معاني النشوز: الارتفاع. فكأن المراد بالآية: أن الله تعالى أمره أن ينظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض، فنردّها إلى أماكنها من الجسد. [٢٥٧] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: «هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية». وأخرج عن مجاهد قال: «كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية. [٢٥٦] ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ما الفرق بين "الرُّشد والهُدى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمُّ، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أو إلى باطل، إلى صواب كان أو إلى خطأ، إلى خير كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٢٥٧] ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده. [٢٥٧] ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. عبّر فيها بالمضارع لا بالماضي؛ لأنّ الإخراج قد وجد المناسبة التعبيرية قبله في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولأنّ المضارع يدل على الاستمرار، فيدل هنا على استمرار ما ضمنه الإخراج من الله تعالى في الزمن المستقبل، في حقّ من ذكر. فإن قيل: كيف يخرج الكفار من النور، مع أنهم لم يكونوا في نور؟ الجواب: لمقابلة ما ذكر قبله في المؤمنين، ولأن الكفار هنا هم اليهود، وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ، لِما يجدونه من نعته في كتبهم، فلمَّا بُعث كفروا به. [٢٥٨] ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ واختلف في إثبات الألف وحذفها من (أنا) في الأصل إذا أتى بعدها همزة قطع مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة، فقرئ: (أنا) بإثبات الألف للتقوية؛ لأنه لما أثبت الألف ومدها للهمزة بعدها كره أن يحذفها ويحذف مدتها، فالألف وإن كانت زائدة عند البصريين إلا أنها أصلية عند الكوفيين، والاسم عندهم (أنا) بكماله، فإثبات الألف في هذا الضمير إنما جاء على الأصل عندهم ومن حذفها فللتخفيف؛ ولأن الفتحة تدل عليها. وقرئ: (أنَ) بحذفها وهما لغتان: لغة تميم: إثباتها وصلًا ووقفًا وعليها تحمل قراءة المدنيين، والثانية: إثباتها وقفًا فقط، وهو ضمير منفصل، والاسم منه (أنَ) عند البصريين، والألف زائدة لبيان الحركة في الوقف، وقيل: إجراء الوصل مجرى الوقف، فهي ثابتة في الوقف إجماعًا. [٢٥٩] ﴿وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ... كَيْفَ نُنشِزُهَا ...﴾ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرئ: (يتسن) بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف، ووجه حذف الهاء في الوصل أن الهاء إنما جيء بها للوقف لبيان حركة ما قبلها، ولذلك سميت هاء السكت، واستغني عنها في الوصل لبيان حركة ما قبلها بدونها. ووجه من أثبتها وصلًا: أنه وصل الكلام ونيته الوقف عليها لكنه لم يسترح بالوقف عليها فوصل بنية الوقف. وقيل: إن الهاء في (يتسنه) أصلية وسكونها الجزم، فلا بد من إثباتها في الوصل، وعلى هذا لا يجوز حذفها؛ لأنه أراد بالسَّنهِ المأخوذة من سَنَهَ لا من السنة التي أصلها سنو، فالهاء على ذلك لام الفعل وسكونها للجزم، والله أعلم. ومعنى (لم يتسنه) لم يتغير بمرور السنين عليه. قوله تعالى: ﴿نُنشِزُهَا﴾ قرئ: (ننشزها) بالزاي من النشز وهو الارتفاع، أي: يرتفع بعضها على بعض للتركيب عند إرادة الخلق. وقرئ: (ننشرها) بالراء المهملة من أنشر الله الموتى أحياهم، أي: وانظر إلى عظام حمارك التي قد ابيضت من مرور الزمان عليها كيف نحييها؟، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قرئ: (اعلمْ) بوصل الهمزة مع سكون الميم على الأصل، وفاعله، قيل: ضمير يعود على الله أو الملك، ويحتمل: عود الضمير على المار نفسه على سبيل التبكيت فأنزل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب غيره فقال: "اعلم يا نفس هذا العلم اليقين الذي لم تكوني تعلمينه علم معاينة". وقرئ: (أَعلمُ) بقطع الهمزة المفتوحة ورفع الميم خبرًا عن المتكلم. [٢٥٩] ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في القرآن.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

٢٦٠- ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان، ولم يكن عليه السلام شاكًا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ وأشار إبراهيم عليه السلام بهذا الذي طلبه من ربّه سبحانه إلى أن النفوس البشرية مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به. ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: (ليس الخبر كالمعاينة). ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: قيل: اضممهنّ. وقيل: قطّعهُنّ ومزّقهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءًا. ﴿سَعْيًا﴾: عدوًا على أرجلهن. وقيل: المراد الإسراع في المشي أو الطيران. ٢٦١- ﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: على السبعمائة إلى ما شاء عز وجل. ٢٦٣- ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، وقيل: نيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل، ﴿يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾: امتنان، على المتصدَّق عليه، وتَشَكٍّ أنه أنفق ما أعطاه في غير ما ينبغي، وما أشبه ذلك، ﴿غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: الذي قد كمُلَ في غناه وحِلْمه. ٢٦٤- ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾: الإبطال للصدقات: إذهاب أثرها وإفساد منفعتها وثوابها. ﴿بِٱلْمَنِّ﴾: هو: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها. ﴿وَٱلْأَذَىٰ﴾: اللمز والتشكي أو السبّ. وهو أعم من المنّ، لأن المنّ جزء من الأذى، لكن نُصّ عليه لكثرة وقوعه. ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: لغير وجه الله، ولأن يقال: جواد، أو صالح، يبتغي الثناء والذكر. ﴿صَفْوَانٍ﴾: هي الصفا، وهي الحجارة المُلْس. ﴿وَابِلٌ﴾: مطر شديد. ﴿صَلْدًا﴾: «الصَّلْدُ» من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه.

[٢٦٣، ٢٦٧] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحَّاء اللَّيل والنَّهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانيَّة.

[٢٦٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤]. في الآية الثانية جاء فيها بالفاء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ لأن الذين ينفقون هم الذين ينفقون ليلًا ونهارًا وسرًا وعلانية فهي تحتاج إلى توكيد أكبر من الأولى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، لذا جاء بالفاء في مقام التوكيد والتفصيل. [٢٦٤] ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. آية البقرة في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسبًا ولذلك أخر الكسب، وأمّا آية إبراهيم فهي في سياق العمل، والعامل كاسب فقدم الكسب.

[٢٥٨] ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قال سبحانه ﴿ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ ولم يقل (الكافر) ليبين أن خذلانه في الإجابة كان بسبب كفره ولو قال: (الكافر) لأصبح مجرد نعت عام للرجل. [٢٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠]. السبب في سؤال نبي الله إبراهيم عليه السلام عن إحياء الموتى هو حبه العميق للانتقال بنفسه من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين بالرؤية المباشرة، خاصة أنه قد وصف ربه في جداله مع الملك الكافر مدعي الربوبية قبل ذلك بآيتين قائلًا: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فأراد أن يرى عملية الإحياء من الموت رأي العين، وأن يرى طلاقة القدرة الإلهية بعينيه، ويلمسها بيديه حتي يستطيع الدفاع عنها بأقوى ما يملك من الحجة البالغة والمنطق الذي لا يرد، رغم إيمانه العميق وتسليمه الكامل بأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فسأله الحق تبارك وتعالى قائلًا: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، فرد على الفور، قال: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن مراتب اليقين: فالمراتب ثلاث، علم يقين يحصل عن الخبر، ثم تتجلى حقيقة المخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين في الموقف وبرزت الجحيم للغاوين وشاهدوهما عيانًا كان ذلك عين يقين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين. [٢٦١] ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، من المعروف أنه قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من جمع، فتجمع مرة جمع مذكر، ومرة أخرى جمع تكسير، وقد تجمع الكلمة جمع مؤنث سالمًا تارة، وتارة أخرى جمع تكسير، نحو كلمة ﴿سُنۢبُلَةٍ﴾ التي تجمع على سنبلات وسنابل، ويقول النحاة إن الجمع السالم بنوعيه "مذكر ـ مؤنث" يفيد القلة –أي: من الثلاثة إلى العشرة– وجمع التكسير يفيد الكثرة –أي: فوق العشرة– ومعنى هذا أن كلمة ﴿سُنۢبُلَةٍ﴾ جمعت في آية البقرة ﴿سَنَابِلَ﴾ جمع تكسير الذي يفيد الكثرة، وفي آية يوسف ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ جمع مؤنث الذي يفيد القلة. وبيان ذلك أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعفه له من أجر حتى سبعمائة ضعف، فبناء هذه الآية على التكثير، لذا جاءت كلمة ﴿سَنَابِلَ﴾ على جمع كثرة، أما الآية في سورة يوسف فإن بناءها عن إخبار الملك عن رؤياه ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ وهو العدد الذي رآه فعلًا بدون كثرة ولا قلة، والله سبحانه وتعالى أعلم. [٢٦١] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ=

[٢٦٠] ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قرئ: (فصِرهن – فصُرهن) بكسر الصاد وضمها، ووجه الكسر في الصاد أنه من "صار يصير" يقال صرت الشيء أملته، وصرته قطعته. ووجه الضم أنه من "صار يصور" على معنى أملهن، أو قطعهن، فإذا جعلته بمعنى أملهن: كان التقدير: أملهن إليك فقطعهن، وإذا جعلته بمعنى قطعهن، كان التقدير فخذ أربعة من الطير إليك فقطعهن. إذًا فكل من الكسر والضم لغة بمعنى الميل والتقطيع. وقيل: الكسر بمعنى قطعهن. والضم بمعنى أملهن وضمهن. قوله تعالى: ﴿جُزْءًا﴾ هنا والزخرف: ١٥، ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ والحجر: ٤٤، ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قرئ: (جزُء) بضم الزاي وهي لغة الحجازيين. وقرئ: (جزْء) بإسكان الزاي وهي لغة تميم، وقرئ: (جُزًّا) المنصوب بتشديد الزاي، وذلك بعد إبدال الهمزة زايًا وإدغام الزاي في الزاي.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥- ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب. ﴿وَتَثْبِيتًا﴾: احتساباً وعزماً ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: «الربوة» من الأرض: المرتفعة الغليظة المستوية. قيل ذلك لها لأنها ربت وغلظت. ﴿أُكُلَهَا﴾ الشيء المأكول ﴿فَطَلٌّ﴾: «الطل»: الرذاذ والمطر اللين. ٢٦٦- ﴿إِعْصَارٌ﴾: «الإعصار»: الريح الشديدة العاصف فيها سَموم حارة. ٢٦٧- ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من زرعها وثمارها الواجب فيها الزكاة. ﴿تَيَمَّمُوا﴾: تقصدوا. ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرديء غير الجيد. ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ معناه: أنكم لا تأخذون هذا الرديء من غرمائكم، ولا في بيوعِكم إلا بزيادة في الكيل على الطيب. وقيل إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه؛ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه: إذا غض بصره. ٢٦٨- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: يخوفكم بالفقر لئلا تنفقوا، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: أي الخصلة الفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها، والبخل عن الإنفاق في الطاعات، والفاحش عند العرب: البخيل. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾: المغفرة: الستر على عباده في الدنيا والآخرة. ﴿وَفَضْلًا﴾: الفضل: أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا، فيوسع لهم في أرزاقهم وينعم عليهم في الآخرة. ٢٦٩- ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: العلم، وقيل: الإصابة في القول والفعل. وقيل: العقل في الدين. وقال الإمام مالك: الحكمة: المعرفة في الدين، والفقه فيه، والاتباع له. وقد يشمل هذا اللفظ جميع هذه المعاني ونحوها.

[٢٦٧] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تَسَلْسَلَتِ الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام.

[٢٦٧] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية. روى الحاكم، والترمذي، وابن ماجة، وغيرهم عن البراء قال: «نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية».

= ﴿لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. كيف التوفيق بين الآيتين؟ الجواب: آية البقرة خاصة بالنفقة في سبيل الله، أما آية الأنعام فهي في مطلق الحسنات من الأعمال وتطوع الأموال. [٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦] لم خص النخيل والأعناب بالذكر، مع قوله بعد: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؟ الجواب: لأن النخيل والأعناب أكرم الشجر وأكثرها منافع.

[٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: هذا مثل قلّ والله من يعقله من الناس: شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا. صدق والله الحسن، هذا مثلٌ قلّ من يعقله من الناس، ولهذا نبه الله سبحانه وتعالى على عِظم هذا المثل، وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فلو فكر العاقل في هذا المثل، وجعله قبلة قلبه لكفاه و شفاه، فكذلك العبد إذا عمل بطاعة الله، ثم أتبعها بما يبطلها ويحرقها من معاصي الله كان كالإعصار ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح .فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله كما ينبغي لما سولت له نفسه والله إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها. فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب، و شفاء للصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

[٢٦٥] ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿رَبْوَةٍ﴾ هنا، والمؤمنون: ٥٠، قرئ: (رَبوة) بفتح الراء. وقرئ (رُبوة) بضم الراء. وهما لغتان، والربوة المكان المرتفع من الأرض. قوله تعالى: ﴿أُكُلَهَا﴾ هنا وحيث وقعت في القرآن الكريم، و(أكله - أكل - الأكل). قرئ: (أُكُلها - أُكُله - أُكُل - الأُكُل) بالضم في الكاف. وقرئ: (أُكْلها - أُكْله - أُكْل - الأُكْل) بالإسكان، والضم والإسكان لغتان. [٢٦٧] ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ واختلف في تشديد تاء التفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾، وكذلك التفاعل مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ يعني من الفعل المضارع المرسوم بتاء واحدة، وهي في إحدى وثلاثين موضعًا، مفرقة في سورها، وقد ذكرها ابن الجزري في "طيبته" في سورة البقرة، بقوله: (تيمموا- اشدد ... إلى قوله: تناصروا) وعطف عليها. ﴿كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ قرئ: (تّمنون) بتشديد التاء وصلًا لأن الأصل تاءان، تاء المضارعة؛ وتاء التفاعل؛ أو التفعل، وليست كما قيل: من نفس الكلمة، واستثقل اجتماع المثلين بالإظهار في التاءين لأن الأصل في جميعها تاءان، والإظهار فيهما فيه مخالفة لخط المصحف إذ ليس في الخط إلا تاء واحدة فلما امتنع الإظهار أدغم إحدى التاءين في الأخرى؛ وحسن له ذلك وجاز لاتصال المدغم بما قبله، فإن ابتدأ بالتاء لم يزد شيئًا، وخف =

[٢٦٠] ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في كتاب الله تعالى. أولًا: وردت مشتقات كلمة (الضيق) (١٣) مرة في كتاب الله تعالى. ثانيًا: وردت مشتقات كلمة (الطمأنينة) (١٣) مرة في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الضيق) مع مشتقات كلمة (الطمأنينة)، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في كتاب الله تعالى.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠- ﴿نَذَرْتُم﴾: «النذر»: ما أوجبه المرء على نفسه من صدقةٍ وعمل تقرباً إلى الله عز وجل. ٢٧١- ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: تظهرونها، وإظهار المفروض منها خير من إخفائه، وإخفاء المتطوع أفضل. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه شيء منه سبحانه وتعالى. ٢٧٢- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية: روي عن ابن عباس أنه كان ناس من الأنصار لهم قرابات في بني قريظة والنضير، وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة في أن يسلموا إذا احتاجوا، فنزلت الآية بسبب ذلك. قال ابن عطية: وذكر النقاش أن النبي ﷺ أُتي بصدقات فجاءه يهودي فقال: أعطني، فقال النبي ﷺ (ليس لك من صدقة المسلمين شيء) فذهب اليهودي غير بعيد، فنزلت الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فأعطاه. وذكر الطبري أن مقصد النبي ﷺ بمنع الصدقة إنما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين. وهذه الصدقة هي صدقة التطوع. و(الخير) في هذه الآية هو المال، لأنه اقترن بذكر الإنفاق. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: اشترط أن يكون الإنفاق ابتغاء وجه الله. وقيل: بل الآية إخبار وشهادة من الله تعالى للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله تعالى. ٢٧٣- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بالغزو أو الجهاد فاشتغلوا به عن الكسب، ﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تجارة وتصرفاً. ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: ترك المسألة. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: بما يبدو عليهم من التخشع والجهد. ﴿إِلْحَافًا﴾: إلحاحاً. و«الحف»: الح.

[٢٧٢] قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ روى النسائي، والحاكم، والبزار، والطبراني، وغيرهم عن ابن عباس قال: «كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾» وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين».

[٢٧١] ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٧١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾. في آية البقرة زاد ﴿مِّن﴾، لأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات، وكذلك موافقة لما بعدها وهي ثلاث آيات فيها ﴿مِّن﴾ أولها قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة : ٢٧٢].

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩]. الإظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها. وفي إيلاء هذه الآية لما قبلها إشعار بأن الذي لا يغتر بوعد الشيطان ويوقن بوعد الله هو من آتاه الله الحكمة. [٢٧١] ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٧١]. فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب عن الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية، وقال رسول الله ﷺ: "الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمُسِر بالقرآن كالمُسِر بالصدقة" صحيح الجامع.

= كالجماعة لئلا يخالف الخط، وتعذر إدغام الثانية في تاليها فنزل اتصال الأولى بسابقها منزلة اتصالها بكلمتها، فأدغمت في الثانية تحقيقًا مراعاة للأصل والرسم. وقرئ: (تَـمنون) بتخفيفها على أنها تاء واحدة. [٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ﴾ قرئ: (يؤتِ) بكسر التاء مبنيًا للفاعل، والفاعل ضمير الله تعالى، و(من) مفعوله مقدم، و(الحكمة) مفعول ثان، وإذا وقف وقف بالياء. وقرئ: (يؤتَ) بفتح التاء مبنيًا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير (من) الشرطية هو المفعول الأول، و(الحكمة) مفعول ثان، ويقفون عليها بالتاء الساكنة. [٢٧١] ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ... وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ اختلف في قوله تعالى: (نعمّا) هنا والنساء : ٥٨، قرئ: (نَعِما) بفتح النون وكسر العين مشبعة على الأصل كعلم. وقرئ: (نِعِما) بكسر النون إتباعًا لكسر العين لأن حرف الحلق إذا كان عينًا للفعل وهو مكسور أتبع بما قبله فكسر لكسره، يقولون: شَهِدَ وشِهِدَ، ولَعِبَ ولِعِب، وهي لغة هذيل. وقرئ: (نِعْما) بإسكان العين وهو إن كان فيه جمع بين الساكنين وليس أولهما حرف مد ولين إلا أنها واردة للتخفيف. وقرئ: (نِعِما) بإخفاء كسرة العين وهو الاختلاس فيها فرارًا من الجمع بين الساكنين، والكل صحيح قراءة ولغة، واتفق على تشديد الميم، ومعروف أن (نعم) فعل ماض جامد للمدح، ولمّا لحقتها (ما): اجتمع مثلان فخفف بالإدغام. قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ قرئ: (نكفِّرْ) بالنون وجزم الراء على أنه بدل من موضع (فهو خير لكم) لأنه موضعه، إذ هو جواب الشرط. وقرئ: (نكفِّرُ) بالنون ورفع الراء على أنه مستأنف لا موضع له من الإعراب، وحسن أن يأتي على لفظ الجمع للتفخيم والتعظيم، و(الواو) عاطفة جملة على جملة. وقرئ: (يكفِّرُ) بالياء ورفع الراء والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. [٢٧٣] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ قوله تعالى: (يحسب) المضارع حيث أتى. قرئ: (يحسَب) بفتح السين كعلم وهي لغة تميم. وقرئ: (يحسِب) بالكسر كجلس يجلس، وهي لغة أهل الحجاز.

[٢٦٦] ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن: أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة. [٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ(الأفئدة) بمشتقاته مع لفظ(الألباب)وقد ورد كلٌ (١٦) مرة. أولًا:وردت كلمة(الألباب)(١٦)مرة في كتاب الله، ثانيًا: وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها)، وكلٌ ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٢٧٥- ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾: معلوم. وأصله: الزيادة. وغالب ما كان يفعله أهل الجاهلية: أنه إذا حل أجل الدين قال الدائن: أتقضي أم تُربي؟ فإذا لم يقض زاد مقدارًا في المال الذي عليه، وأخّر له الأجل إلى حين، قال رسول الله ﷺ «لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء». رواه مسلم. ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قبورهم يوم القيامة. ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: يصرعه ويخنقه. ﴿ٱلْمَسِّ﴾: الجنون. قالوا: إن آكل الربا يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتًا عند أهل المحشر؛ وقيل: إن آكل الربا جشعه وسعاره في جمع المال عن هذا الطريق الآثم، صار في حركته – في الدنيا – شبيهًا بحركة المجنون. ﴿مَا سَلَفَ﴾: ما أكل ومضى. ٢٧٦- ﴿يَمْحَقُ﴾: أي: يُذهِبُ بركته في الدنيا وإن كان كثيراً. وقيل: ينقص ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: ينمّي المال الذي أخرجت صدقته، ويزيد في أجر المتصدق. ٢٧٨- ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: أي: اتركوا البقايا التي بقيت لكم من الربا. ٢٨٠- ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: أي إن كان المدين معسرًا لا يجد ما يوفي به دينه، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: فأخروه حتى يرزقه الله وييسّر عليه بوجود مال يسدد به دينه، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ندب الله تعالى بهذا إلى الصدقة على المعسر، وجعل ذلك خيرًا من إنظاره. ٢٨١- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾: الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن. قال: «وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يومًا» وروي أنها نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال فقط. ثم لم ينزل بعدها شيء.

[٢٧٤] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية: أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن يزيد بن عبد الله بن غريب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال «نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ في أصحاب الخيل» يزيد وأبوه مجهولان. وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهما، وبالنهار، درهمًا وسرًا درهمًا، وعلانية درهمًا» وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: «الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة». [٢٧٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ ﴾ الآية. أخرج أبو يعلى في مسنده، وابن منده من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله. فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة إلى عتّاب بن أُسيد، وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: ما جعلنا أشقى الناس بالربا، وضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو بن عمير، صولحنا على أن لنا ربانا، فكتب عتاب إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

[٢٧٦] ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦]. تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين، وتسليط المتلفات عليها كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم وأتلفوها بالربا، جوزوا إتلافًا بإتلاف ! فقل أن ترى مرابيًا إلا وآخرته إلى محق وقلة وحاجة. [٢٧٦] ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء:١٠٧]. ما فائدة العدول عن قوله: "يبغض"، إلى قوله: "لا يحب" مع أنه لا يلزم من نفى المحبة: البغض، وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها؟ الجواب: أن البغض: صفة مكروهة للنفوس، فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى لفظًا. وأيضًا: فلأن حال العبد مع الله تعالى إما طاعته أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفى طاعته تعين ضدها، فعبر بما هو أحسن لفظًا، وأمّا ﴿ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾: فإنها نزلت في ثقيف وقريش لما أصروا على الربا، وعارضوا حكم الله تعالى بقولهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]، فهم كفار بالدين، آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، وأمّا آية النساء الأولى: فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، وبعد قوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما، وذلك ينافي الاختيال والعجب والتفاخر، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الآية، وكذلك جاء في لقمان بعد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان : ١٨]، وفي الحديد بعد قوله تعالى: ﴿ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٠]، وأمّا آية النساء الثانية: فنزلت في طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة بن النعمان رضى الله عنه وحلف عليه، ورمى به اليهود، ثم ارتد ولحق بمكة، فناسب: ﴿ خَوَّانًا ﴾، وأيضًا: فلتقدم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧]. [٢٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ﴾ [النساء : ١]. ما الفرق بين استخدام كلمة "الله" و"الرب"؟ الجواب: أن لفظ الجلالة "الله" هو اللفظ العام لله تعالى، ويُذكر هذا اللفظ دائمًا في مقام التخويف الشديد، وفي مقام التكليف والتهديد، أمّا كلمة "الرب" فتأتي بصفة المالك والسيد والمربي والهادي والمرشد والمعلم، وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعًا مؤمنين وغير مؤمنين، فهو سبحانه المتفضل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم، والخطاب في الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، للناس جميعًا وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأن خلقهم والذين من قبلهم، لذا جاءت كلمة "ربكم" بمعنى الربوبية. وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم يأتي معها لفظ الربوبية "رب".

[٢٧٩] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَأْذَنُواْ ﴾ قرئ: (فآذِنوا) بألف بعد الهمزة المقطوعة وكسر الذال من آذنه بكذا أعلمه، أي: فأعلموا غيركم بترك الربا ففيه تخويف وإنذار. وقرئ: (فأْذَنوا) بإسكان الهمزة وفتح الذال أمر من أذن بالشيء إذا علم به، أي: فأيقنوا بحرب من الله ورسوله.

[٢٨٠] ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قرئ: (ميسُرة) بضم السين، وقرئ: (ميسَرة) بفتح السين، والضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة باقي العرب. قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ ﴾ قرئ: (تصَدقوا) بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين. وقرئ: (تصَّدقوا) بتشديد الصاد على إبدال تاء الفعل صادًا وإدغامها فيها لإرادة معنى التكثير.

[٢٨١] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قرئ: (تَرجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم، أضاف الفعل إلى المخاطبين فهم الفاعلون. وقرئ: (تُرجَعون) بضم التاء وفتح الراء، أضاف الفعل إلى من يرجع المخاطبين، فالمخاطبون مفعول بهم قاموا مقام الفاعل.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٢- ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: بالحق ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ﴾: لا ينقص، ﴿سَفِيهًا﴾: مبذراً؛ إما لجهله بالصرف، أو لتلاعبه بالمال عبثاً مع كونه لا يجهل الصواب. ﴿ضَعِيفًا﴾: صبياً أو شيخاً ذاهلاً، ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ﴾: لصغر او عيٍّ أو نحو ذلك. ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾: هذا الإشهاد على المداينة مندوبٌ عند أكثر الفقهاء، وقال بعضهم إنه واجب. ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾: تملُّوا ﴿أَقۡسَطُ﴾: أعدل. يقال: أقسط الحاكم يقسط إقساطاً؛ إذا عدل وأصاب الحق، وقسط يقسط قُسُوطاً؛ إذا جار. قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: ١٥]. ﴿وَأَدۡنَىٰٓ﴾: أقرب ﴿أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: الا تشكوا لأن الكتابة تقطع الشك. ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾: قيل: أن يكتب ما لم يُمْلَ عليه، أو يشهد الشاهد بغير الحق. وقيل: هو الرجل يدعو الكاتب والشهيد-وهما على حاجة مهمة- فيعتذران بما هما عليه. فيقول: قد أمركما الله عز وجل بإجابتي؛ فعليه أن يطلب غيرهما ولا يضارُّهما بأن يشغلهما عن حاجتهما، وهو يجد غيرهما. ﴿فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾: خروج عن الطاعة إلى المعصية ملتبس بكم.

[٢٨١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]. آية البقرة جاءت في سياق الأموال فقبلها أمور مادية من ترك الربا، وهو كسب محرم، وكذلك آية المعسر وآية الدين، وكلها جاءت في سياق الأموال فناسب ذكر الكسب، أمّا آية النحل فليس لها علاقة بالكسب، وقال قبلها: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٠]، فآية النحل فليس فيها كسب، فالجهاد والفتنة والصبر ليست كسبًا، ففي سياق الأموال قال كسب، وفي سياق الأعمال قال عمل.

[٢٨١] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]. الآيتان جملتان وصفيتان، فلماذا حَذَفَ "فيه" في إحداها والذكر في الأخرى؟ السبب أن التقدير حاصل "يجزي فيه" لكن لماذا الحذف؟ الجواب: الحذف يفيد الإطلاق ولا يختص بذلك اليوم، فالجزاء ليس منحصرًا في ذلك اليوم، وإنما سيمتد أثره إلى ما بعد ذلك اليوم، فكلما ذكر الجزاء حذف "فيه"، أما في آية البقرة فذكر "فيه" لأنه منحصر فقط في يوم الحساب وليس عامًّا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، اليوم منحصر في يوم القيامة والحساب؛ لذا ذكر "فيه"، وحذف "فيه" عندما ذكر اليوم غير محصور بيوم معين. [٢٨٢] ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾. وردت كلمة (أشهدوا) ثلاث مرات في آية واحدة في سورة [البقرة: ٢٨٢]. ووردت كلمة (استشهدوا) مرتين في نفس الآية. فما فائدة (استشهدوا) مع وجود كلمة (أشهدوا)؟ الجواب: أن (استشهدوا) معناها: اطلبوا أن يشهد لكم شهيدان. قاله الزمخشري، ويلزم الطلب لأن الشهيدين يتكلفان مؤنة في الشهادة المكتوبة من حيث التذكر والتعرض لغضب أحد الخصمين عند وقوع خلاف، وهكذا معناها في الموضع الآخر. أما (أشهدوا) فمعناها: أعلنوا للناس صورة المبايعة الحاضرة، وهذا هو معناها في الموضعين الآخرين، وفي هذه الحالة لا يتكلف الشاهد معاناةً ما، فهو يسمع كما يسمع كل حاضر، وله أن يشهد كأي حاضر على سبيل الندب لا الوجوب، لا كما كانت الشهادة في الحالة الأخرى التي تقع على سبيل الوجوب على الشهيدين. [٢٨٢] ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وردت كلمة (شاهدًا) سبع مرات، وكلمة (شهيد) خمسًا وثلاثين مرة، فما الفرق بين الكلمتين: كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شهيد) صفة مشبهة على وزن (فعيل) تستخدم في أنماط السياق التي تستدعي توكيدًا، وقد جاءت بمعانٍ عدَّة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي توكيد الشهادة ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٢- شهادة عيسى -عليه السلام- لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله -سبحانه وتعالى- وقد وردت خمسًا وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليُصدِّق. أما (شاهد) وهي اسم فاعل، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

[٢٨٢] ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ ...إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا ...وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة على أنها شرطية (وتضل) مجزوم به فعل الشرط، وفتحت اللام للإدغام. وقرئ: (أن) بفتح الهمزة على أنها مصدرية ناصبة لتضل. قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾ قرئ: (فتذْكُرَ) بإسكان الذال وتخفيف الكاف مع نصب الراء، عطفًا على "تضل" وهو مضارع "ذكر" مخففًا، نحو "نصر". وقرئ: (فتذَكِّرُ) بفتح الذال وتشديد الكاف مع رفع الراء، على أنه مضارع "ذكّر" مشددًا، نحو "كرّم" ولم يدخل عليه ناصب ولا جازم. وقرئ: (فتذَكِّرَ) بفتح الذال وتشديد الكاف مع نصب الراء، عطفًا على "تضل" وهو مضارع "ذكّر" مشددًا أيضًا. قوله تعالى: ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ﴾ قرئ: (تجارةً حاضرةً) بنصبهما على أن (تجارة) خبر لتكون، و(حاضرة) صفة (تجارة) واسم (تكون) مضمر، والتقدير: إلا أن تكون المعاملة أو المبايعة تجارة. وقرئ: (تجارةٌ حاضرةٌ) برفعهما على أن (تكون) تامة تكتفي بمرفوعها، و(تجارة) نائب فاعل، و(حاضرة) صفة لها، والتقدير إلا أن توجد تجارة حاضرة. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ قرئ: (يضارْ) بسكون الراء مخففة، على أنه مضارع من "ضار يضير"، ولا ناهية والفعل مجزوم بها. وقرئ: (يضارَّ) بفتح الراء مشددة على أن لا ناهية والفعل مجزوم بها، والأصل "ولا يضارر" برائين، فأدغمت الراء الأولى في الثانية، ثم تحركت الراء الثانية بالفتح تخلصًا من التقاء الساكنين على غير قياس، لأن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين يكون بالكسر.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣- ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾: وهو المديون، أو المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾: أي الدين الذي عليه. ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: مُكتسب بكتمانه إثماً عظيماً. ٢٨٤- ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾: يحاسب الله العباد على ما أظهروه، وما أضمرته أنفسهم من الأمور التي يحاسب عليها ككتمان الشهادة، والنفاق، ونحو ذلك. ٢٨٦- ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: عهداً نعجز عن القيام به ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: والإصْرُ: العبءُ الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، والمراد به هنا: التكليف الشاق، والأمر الغليظ الصعب. وقيل: الإصر: شدة العمل وما غلظ على بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات «قد فعلت». وهذا دليل على أنه سبحانه لم يؤاخذهم بشيء من الخطأ والنسيان، ولا حمل عليهم شيئًا من الإصر الذي حمله على مَن قبلهم، ولا حمّلهم ما لا طاقة لهم به، وعفا عنهم، وغفر لهم، ورحمهم، ونصرهم على القوم الكافرين. وأخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال: «بينا رسول الله ﷺ، وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا، فرفع جبريل بصره فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال فنزل منه مَلَك فأتى النبي ﷺ، فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منهما إلا أوتيته».

[٢٨٥] قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية. روى أحمد، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة قال: «لما نزلت ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرها» وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه.

[٢٨٤] ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ [آل عمران: ٢٩]. من صفة المنافقين إبداء الشيء وإخفاء خلافه، وقد عرفوا بذلك عن غيرهم، يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، كما أخبر سبحانه أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]، بعد ذلك قال ناهيًا وزاجرًا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتاز المنافقون، كان آكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه مايبدون، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران، وأمّا آية البقرة فلم يجرِ فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفي آية قبلها وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام، فورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ مقدمًا فيها بادي أعمالهم بناءً على سلامة بواطنهم وتنزيههم من صفة المنافقين. [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]. الكلام في آية البقرة عن التكاليف والأعمال، فمن عمل خيرًا يكون له، ومن عمل سوءًا يكون عليه، وهذا في عموم التكاليف، وجميع التكاليف في وسع البشر، لأنه سبحانه لم يكلف البشر بشيء لا يطيقونه، وأمّا آية الطلاق فالكلام عن المطلقات والنفقة عليهن، ولا يكلف الفقير أن ينفق ما ليس في سعته، بل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ من حيث المال، أي: بمقدار ما آتاه الله.

[٢٨٥] ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]. ما الفرق بين "مغفرة، وغفران"؟ الجواب: مغفرة: وردت هذه الكلمة ثمانيًا وعشرين مرة، بينما وردت كلمة (غفران) مرة واحدة. للفعل (غَفَرَ) خمسة مصادر هي: غَفْرًا، وغفيرًا، وغفيرةً، وغفرانًا، ومغفرةً. والمصدر الميمي (مغفرةً) هو الأكثر شيوعًا، لذا كثر ذكره في القرآن، بينما لم يرد المصدر الآخر (غفران) إلا مرة واحدة. عدل القرآن الكريم عن (مغفرة) إلى (غفران) في مجال الدعاء حيث إن: ١- الدعاء يصاحبه فقدُ صوت الداعي، لأنه يفرغ في الدعاء طاقة نفسية وصوتية فناسب هذا المصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) عن جميع المصادر الأخرى. ٢- الداعي يحتاج إلى تكرار دعائه وتوكيده والتذلل فيه إلى مَنْ يدعوه، والمصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) يدلُّ على التوكيد المطلوب. ويلاحظ أن (مغفرة) موجهة من الله إلى البشر، (كما يلاحظ أن لفظ المعصية المذكور في القرآن كان في سياقٍ مع الرسول) أما الغفران فهو مطلب البشر من الله (في دعائهم) (وكذلك تلحظ أن العصيان موجَّهٌ من البشر إلى الله). [٢٨٦] ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. تكرر لفظ "المخطئ والخاطئ" في القرآن عدة مرات فما الفرق بين اللفظين: أخطأ: تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصودًا أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما خَطِئَ: فتعني دائمًا مجانبة الصواب عمدًا؛ لذا فإنها تأتي دائمًا بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خَطِئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقًا، وسيرة.

[٢٨٣] ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ﴾ قرئ: (رُهُن) بضم الراء والهاء من غير ألف جمع (رَهْن) كسُقُف وسَقْف. وقرئ: (رِهَان) بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها جمع رهن نحو: كعب وكعاب. [٢٨٤] ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ - وَيُعَذِّبُ﴾ قرئ: (فيغفرْ - يعذبْ) بالجزم فيهما عطفًا على قوله تعالى قبل: ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ الواقع جوابًا للشرط. وقرئ: (فيغفرُ - يعذبُ) برفع الراء والباء على الاستئناف، والتقدير: فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. [٢٨٥] ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرئ: (كِتابه) بالتوحيد على أن المراد القرآن أو الجنس. وقرئ: (كتبه) بالجمع لتعدد الكتب السماوية. قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ قرئ: (لا يفرق) بالياء من تحت على أن الفعل لكل من الرسول والمؤمنين. وقرئ: (لا نفرق) بالنون على التكلم، والمراد: نفي الفرق بالتصديق، والجملة على الأول: إما محلها نصب على الحال، أي: حالة كون المؤمن بما أنزل إليه من ربه غير مفرق بين شيء من ذلك كله، أو رفع على أنها خبر بعد خبر، أي: كلٌّ آمن بالله وكلٌّ لا يفرق بين أحد من رسله. وعلى الثاني: محلها نصب بقول محذوف، أي: يقولون لا نفرق... إلخ، أو يقول مراعاة للفظ "كل"، وهذا القول محله نصب على الحال، أي: غير مفرقين، أو خبر بعد خبر.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

٣، ٤- ﴿الْكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: لما نزل قبله من الكتب السماوية. ﴿الْفُرْقَانَ﴾: المفصِّل، والمراد به القرآن الكريم، كرر ذكره تشريفاً له، وبياناً لفصله بين الحق والباطل في أمر الكتب السابقة التي صدقها؛ أي بيّن ما هو منها من كلام الله وما حرفه اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل. ٧- ﴿ءَايَٰتٌ﴾: من الكتاب. ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾: أحكمن بالبيان، والمحكم هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ..﴾. ﴿أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾: أي أصله الذي تُرَدُّ إليه المتشابهات وتحمل عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: يشبه بعضها بعضاً وهي ما التبس فهم المراد منها، أو اشتبهت دلالتها، نحو قوله تعالى في عيسى بن مريم: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾. وهذه المتشابهات تفسّر وتفهم في ضوء المحكمات أو بالرجوع إليها والحمل عليها. والله أعلم. ﴿زَيْغٌ﴾: ميل عن الحق. زاغ فلان يَزيغُ: مال. ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: ما تشابه لفظه وتصرفت معانيه، واحتملت أكثر من وجه من وجوه التفسير والتأويل، ﴿ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ﴾: التلبيس على نفسه وغيره. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ﴾ تفسيره أو معناه الذي يؤول إليه. وقيل: تأويله هو يوم القيامة. وفيه اختلاف كثير، ﴿وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: العلماء الذين أتقنوا علمهم وحفظوه حفظاً لا يُداخلهم فيه شك. وأصل ذلك من رسوخ الشيء؛ وهو ثُبوته وولوجه. «الراسخون» يعلمون المتشابه. وقيل: الراسخون في العلم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله، وفيه اختلاف ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: المُحكَمُ والمتشابه. ٩- ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: هو يوم القيامة ﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعال، من الوعد.

[٢] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٢] معنى اسم الله الإله: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أنَّ ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم.

[٢] معنى اسم الله الحي القيوم: الحيُّ القيُّوم من أسماء الله الحُسنى. و((الحي القيوم)) جمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع في كتابه، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله: كالعلم، والعزّة، والقدرة، والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيّوم هو كامل القيّوميّة وله معنيان: المعنى الأول: هو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته. المعنى الثاني: هو الذي قامت به الأرض والسماوات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدَّها وأعدَّها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهو الغنيّ عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه، فالحيُّ والقيُّوم من له صفة كل كمال، وهو الفَعَّالُ لما يريد.

[١-...] أخرج ابن أبي حاتم، عن الربيع: «أن النصارى أتوا إلى النبي ﷺ فخاصموه في عيسى عليه السلام، فأنزل الله ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ إلى بضع وثمانين آية منها» وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: «لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى بن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس «الثمانين منها» أخرجه البيهقي في الدلائل.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. تكررت هذه الآية ﴿الٓمٓ﴾ في أوائل ست سور، فهي من المتشابه لفظًا، و ذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٣] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ﴾ [آل عمران : ٣]. ما الفرق بين "نزّل" و"أنزل"؟ الجواب: لفظ ﴿أَنزَلَ﴾ يعني الإنزال جملة واحدة، و﴿نَزَّلَ﴾ تعني التنزيل المنجم، الذي يقتضي تفصيل المنزل وتنجيمه، وقد لاحظ العلماء أن أنزل تأتي بمعنى نزّل وكذلك العكس، وذلك حين يذكر الكتاب مفردًا، أمّا حين تذكر الكتب المنزلة في سياق واحد فإن ذلك يتطلب اختلاف الصيغ، واستعمال كل واحد في معناه الخاص به. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ﴾ [آل عمران : ٥]. قدّمت الأرض على السماء في هذه المواضع: [آل عمران : ٥، يونس : ٦١، إبراهيم : ٣٨، طه : ٤، العنكبوت : ٢٢]، وعكَسَ الغالب في سائر الآيات؛ لأن المخاطبين في الخمس المواضع كائنون في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها، كذا قيل. [٧] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران : ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾. قوله تعالى: ﴿زَيْغٌ﴾، الزيغ: هو الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة، أمّا باقي المواضع: ﴿مَّرَضٌ﴾، أي: في قلوبهم شك ونفاق.

[٣] ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران : ٣]. سمّى ما مضى بأنه بين يديه؛ لغاية ظهور أمره. [٧] ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود : ١] كيف قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، ومِن للتبعيض، وقال في هود: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، وهو يقتضي إحكام آياته كلها؟ الجواب: المراد بالمحكمات هنا الناسخات، أو العقليات، أو ما ظهر معناها، كما أن المراد بالمتشابهات المنسوخات، أو الشرعيات، أو ما كان في معناها غموضًا ودِقَّة، المراد بقوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أنّ جميع القرآن صحيح ثابت مصون عن الخلل والزلل، ولا تنافي بين قوله: متشابهات وقوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر : ٢٣]، إذ المراد بمتشابهات ما مرّ، وبمتشابهًا: أنه يشبه بعضه بعضًا في الصحة، وعدم التناقض، وتأييد بعضه لبعض.

نزول سورة آل عمران: نزلت بعد سورة الأنفال، وهي مَدَنية باتّفاق جميع المفسرين. وكذلك كلُّ سورة تشتمل على ذكر أهل الكتاب. عدد كلمات سورة آل عمران ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون. عدد حروف سورة آل عمران: أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفاً. أسماء سورة آل عمران: من أسمائها سورة آل عمران، والسُّورة التي يذكر فيها آل عمران، والزَّهراء. مواضيع سورة آل عمران: ومضمون السّورة مناظرة وَفْد نجران، إلى نحو ثمانين آية من أوّلها، وبيان المحكَم، =

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

١٠- ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: حطبها. ١١- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: كعادتهم وسُنَّتِهم. وأصل «الدأب»: من دأبتُ في الأمر؛ إذا أدمنت العمل فيه والتعب، فنقلت العرب معناه إلى العادة. ١٣- ﴿فِئَتَيْنِ﴾: جماعتين. وهما رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، ومشركو قريش ﴿ٱلْتَقَتَا﴾: ببدر ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾: أي يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، أو مثلي عدد المسلمين. وهذا على قراءة الجمهور بالياء التحتية، وقرأ نافع: (ترونهم) بالفوقية. ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾: مصدر رأيته، ومعناه: معاينة، أو حيث تلحقه أبصاركم. ١٤- ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: المشتهيات. أي ما تشتهيه أنفسهم. وتزيينها ابتلاء واختبار، ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: القناطير: جمع قنطار، وهو اسم للكثير من المال، وقيل: هو ألف دينار، والمقنطرة: المضعفة. قيل: ولا تكون أقل من سبعة قناطير. ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: قيل الراعية. وقيل: الحسان. وقيل: المُعلمة، : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: جمع نعم، وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها الله عز وجل؛ من الضأن، والمعز والإبل والبقر. ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾: الزرع. ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يستمتع به فيها ﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾: المرجع والمنقلب إلى الجنة.

[٨] معنى اسم الله الوهاب: من أسمائه تعالى: ((البرّ الوهّاب)) الذي شمل الكائنات بأسرها بِبِرِّهِ وهباته وكرمه، فهو مولى الجميل ودائم الإحسان وواسع المواهب، ووصفُه البرُّ ويشمل جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبِرّه طرفة عين. وإحسانه عام وخاص: ١- فالعامّ المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وهذا يشترك فيه البرُّ والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلّفون وغيرهم. ٢- والخاصّ رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق. وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضاً نوعان: النوع الأول: جودٌ مطلق عمَّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة. النوع الثاني: جودٌ خاص بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ ومسلم وكافرٍ، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾. ومن جوده الواسع ما أعدَّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

[١٢] قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا. فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: «فنحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرن محمدًا أن قتل قريشًا وغلبها، إن قريشًا لا تحسن القتال. فنزلت هذه الآية». [٢٣] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة =

[٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران : ٩]، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران : ١٩٤]. الأول: خبر من الله تعالى بتحقيق البعث والقيامة، والثاني: في سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أدعى إلى الحصول. [١١] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران : ١١]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٥٢]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال : ٥٤]. آية آل عمران قال فيها: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: فأخذناهم على القياس؛ لأنه قال قبلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران : ٩]، والتشابه بين آيتي الأنفال ذكرت فيه أقوال عديدة لعل أقربها: أن الآية الأولى بينت عقوبتهم عند الموت، والثانية بينت عقوبتهم بعد الموت، أو أن الأولى بينت عقوبة لم يمكن الله أحدًا من فعلها، والثانية عذاب مكن الله الناس من فعله، وهو الإهلاك و الإغراق، و قيل: إن الأولى كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثانية كدأبهم فيما فُعِل بهم.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ [آل عمران:١٣]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام:٤]، ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام:١٢٤]. من حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل، لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث، عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل مذكرًا، وإذا كانت كلمة آية بمعنى الآية القرآنية أنث الفعل.

[١٢] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ: (سيغلبون ويحشرون) بياء الغيبة فيهما، والضمير للذين كفروا، أو للمشركين وكلاهما غائب، فإذا كان المراد "المشركين" فهم أقوى في الغيبة، والجملة محكيَّة بقول آخر لا "بقل"، أي: قل لهم يا محمد قولي هذا إنهم (سيغلبون ويحشرون). وقرئ: (ستغلبون وتحشرون) بتاء الخطاب على أن الجملة محكيَّة "بقل"، أي خاطبهم يا محمد وقل لهم (ستغلبون وتحشرون) إلخ، وقد قيل: إن الخطاب لليهود أو المشركين لأن كل فريق منهم كافر فخوطبوا وأعلموا بوقوع الغلبة عليهم ثم بحشرهم إلى جهنم. [١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ قرئ: (ترونهم) بتاء الخطاب لمناسبة كاف الخطاب في أول الآية، وموضع الجملة على هذا يكون نعتًا صفة لفئتين لأن فيها ضميرًا يرجع عليهما أو حالًا من الكاف في لكم، فجرى آخر الكلام على أوله وهو قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ فجرى (ترونهم) على الخطاب في (لكم) فيحسن أن يكون الخطاب للمسلمين، والهاء والميم للمشركين، وقد كان يلزم من قرأ بالتاء أن يقرأ (مثليكم) وذلك لا يجوز؛ لأنه لم يرد ويخالف الخط ولكن جرى الكلام على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وذلك في القرآن، وفي كلام العرب كثير =

[١٠] ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن. أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة.

= والمتشابِه، وذمُّ الكفّار، وَمَذَمَّة الدنيا، وشَرَفُ العُقْبى، ومدح الصَّحابة، وشهادة التَّوحيد، والرَّد على أهل الكتاب، وحديث ولادة مَريم، وحديث كَفَالة زكريا، ودعائه، وذكر ولادة عيسى، ومعجزاته، وقصة الحَوَاريّين، وخبر المباهلة، والاحتجاج على النَّصارى، ثمّ أربعون آية في ذكر المرتدِّين، ثم ذكر خيانة علماء يهودَ، =

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٧- ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المطيعين لله تعالى ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: قيل: هم أهل الصلاة. وقيل: المستغفرون، وخص الأسحار لأنها من أوقات الإجابة. والأسحار: جمع سَحَر؛ قال الزجاج: هو من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر. وقيل: الذين يشهدون صلاة الصبح في جماعة. ١٨- ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾: حملته ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل. ١٩- ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: «الدين» -هاهنا-: الطاعة والذل لله، وذهب الجمهور إلى أن الإسلام -هنا- بمعنى الإيمان، قال قتادة: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به من عند الله. وهو دين الله الذي بعث به رسوله، ودلّ عليه أولياءه. ولا يقبل غيره. ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: سريع الإحصاء. ٢٠- ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: أي جادلوك بالشبه الباطلة والأقوال المحرفة. ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾: أخلصت نفسي وجملتي لله وحده، يعني أن ديني هو التوحيد. ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أدبروا.

[١٨] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القَدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢- وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٨] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحقِ ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟...= إبراهيم ودينه، قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْتَرُونَ﴾. [٢٦] قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾. [١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. تكررت ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بنفس الآية، لأن الأول قول الله، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم، أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، وأعاده ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود. [١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه، وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للمبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. ومن أعظم ما تنافس فيه الناس وبلغوا فيه أعظم الغايات الوصول إلى أرفع الدرجات في العلم؛ لأن الله جل وعلا جعل العلماء شهودًا على أعظم مشهود.= فهو بمنزلة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ ثم قال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فخاطب في الأول ثم عاد إلى الغيبة، والهاء والميم في قوله: ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ للمسلمين، أي: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد، وقد كانوا ثلاثة أمثالهم فقللهم الله في أعين المسلمين لتقوى أنفسهم ويجرؤوا على لقائهم كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ وقرئ: (يرونهم) بالياء على الالتفات وهو بمعنى الخطاب أو على الاستئناف، ولأن قبله لفظ غيبة وهو قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ فحمل آخر الكلام على أوله، فالرؤية للفئة المقاتلة في سبيل الله، والمرئية الفئة الكافرة، فالهاء والميم في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ للفئة المقاتلة في سبيل الله. والمعنى: يرى الفئة المقاتلة في سبيل الله للفئة الكافرة مثل الفئة المؤمنة، وقد كانت الفئة الكافرة ثلاثة أمثال المؤمنة فقللهم الله في أعينهم، ليقوي نفوسهم وليثبتوا على ما فرض الله عليهم لئلا يفر الواحد من اثنين كما قال تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ ويبعد أن تكون الهاء والميم في مثليهم للفئة الكافرة لأن الله لم يخبر أنه كثر الفئة الكافرة في أعين المؤمنين إنما أعلمنا أنه قللهم في أعين المؤمنين، والخطاب في (لكم) لليهود، والله أعلم. [١٥] ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿رِضْوَٰنٌ﴾ حيث وقع، قرئ: (رُضوان - رِضوان) بضم الراء وكسرها وهما لغتان، والكلمة مصدر لرضي، ونظير الكسر (الإتيان) ونظير الضم الشكران. [١٩] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ قرئ: (أن) بفتح الهمزة على أنه بدل كل من قوله: (أنه لا إله إلا هو)، أو اشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد، أو العطف عليه بحذف الواو على المفعولية. وقرئ: (إن) بكسر الهمزة على الاستئناف، لأن الكلام قد تم عند قوله تعالى قبل: "لا إله إلا هو العزيز الحكيم" ثم استأنف بكلام جديد فكسرت همزة (إن) لذلك، وهذا أبلغ في التأكيد والمدح والثناء لتمام الكلام قبله. [٢١] ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ قرئ: (ويُقاتِلون) بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء فالمقاتلة من جانبين. وقرئ: (ويَقْتُلون) بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء من القتل، فيكون القتل من جانب الكفار، لأنه مناسب لقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قبله، وقتل من هو دون الأنبياء أسهل عليهم، ومن تجرأ على قتل نبي فهو أجرأ على قتل من هو دون النبي.

[١٩] ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

= وذكر الكعبة، ووجوب الحج، واختيار هذه الأمّة الفُضْلى، والنّهي عن موالاة الكفار، وأهل الكتاب، ومخالفي المِلّةِ الإسلامية. ثم خمس وخمسون آية في قصّة حَرْب أُحُدٍ، وفي التمحيص بالابتلاء، وعذر المنهزمين، ومنع الخوض في باطل المنافقين، وتقرير قصّة الشهداء رضي الله عنهم، وتفصيل غَزْوَة بدر الصغرى،=

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٤- ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من قولهم: إن النار لا تمسهم إلا عدد أيام عبادتهم العجل، و«غرهم» بمعنى: فتنهم. ٢٥- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: لم تُبخس شيئاً. ٢٦- ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾: تعطي. ٢٧- ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾: يقال: ولج فلان منزله؛ إذا دخله. وأصل «الولوج»: الدخول، فالليل يلج في النهار، والنهار في الليل؛ فيزيد هذا بنقصان هذا، وذلك حسب مطالع الشمس ومغاربها. وهو وُلوجُهما فيها. ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: يُخرج الحي من النطفة، والنطفة من الحي، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة. وقيل: الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر. والمراد: موت قلب الكافر، وحياة قلب المؤمن. والحياة والموت مستعاران. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: لا تنقص خزائنه عز وجل، ولا ما عنده. ٢٨- ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: موالين: نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب، وقد ورد هذا النهي في آيات أخرى. ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: أي من ولايته في شيء من الأشياء، بل هو مُنسلخ عنها بكل حال، فالمؤمن لا يتولّى غير الله تعالى، الذي له ملك السماوات والأرض. وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير. ثم أعطي المؤمن منحة للتعامل تقدّر بقدرها في المجتمع والناس، فقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: فالتقية إذاً إنما هي استثناء، وليست قاعدة أو أصلاً من أصول الدين. والآية تدل على أن اللجوء إليها إنما يكون في التعامل مع الكافرين. «التقاة»: التكلم باللسان دون النية. وقيل: ما لم يبلغ هَرَقَ دم مسلم، أو استحلال ماله، وقيل: المعنى: إلا أن تخافوا منهم أمراً يجب اتقاؤه. و(تقاة) أصله (وُقية) ثم أبدلت الواو تاءً، فصارت (تقيَة) ثم قلبت الياء ألفًا، لتحركها وانفتاح ما قبلها.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: «كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير، وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبوا فأنزل الله فيهم ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران : ٢٣]، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٤٧]. آية آل عمران فيها دعوة لليهود للتحاكم للقرآن ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فلم يوافق أهواءهم، فأبى كثير منهم حكم الله، لأن من عادتهم الإعراض عن الحق، وأمّا آية النور فتتحدث عن المنافقين الذين يقولون صَدَّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تُعرِضُ طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول ﷺ، ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.
[٢٤] ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة : ٨٠]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران : ٢٤]. قوله تعالى: ﴿مَّعْدُودَةً﴾ في البقرة جمع كثرة، و﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ في آل عمران جمع قلة، لأن قائلي ذلك من اليهود فرقتان: إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام، وهي عدد أيام الدنيا، وقالت فرقة: إنما نعذب أربعين يومًا، وهي أيام عبادتهم العجل، فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية، وآية آل عمران الفرقة الأولى. [٢٩] ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤]، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ [آل عمران : ٢٩]. من صفة المنافقين إبداء الشيء وإخفاء خلافه، وقد عرفوا بذلك عن غيرهم، يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران : ١٥٤]، كما أخبر سبحانه أنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء : ١٣٩]، وقد تقدم في آية آل عمران قوله تعالى ناهيًا وزاجرًا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ٢٨]، فلما نهاهم عن المرتكب الذي امتاز به المنافقون، كان آكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران، وأمّا آية البقرة فلم يجرِ فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما الخطاب فيها وفي آية قبلها، وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام، فورد فيها قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، مقدمًا فيها بادي أعمالهم بناءً على سلامة بواطنهم وتنزيههم من صفة المنافقين.

[٢٦] ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران : ٢٦]. لماذا نص الله تعالى على الخير هنا دون الشر؟ هذا من تعليم الله لعباده كيف يرزقون الأدب في خطابهم مع ربهم تبارك وتعالى، ومعلوم أن الأدب مع الرب تبارك وتعالى هو الدين كله. والنبي ﷺ يقول: "والخير كله بيديك والشر ليس إليك" أخرجه مسلم وأبو داود، وغيرهما. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم تولوا، يريدون أن تكون السيادة لهم، لا لغيرهم، فأمر الله نبيّه أن يبتهل إلى الله بهذا الدعاء المتضمن قدرة الله على نقل النبوة التي يتبعها الملك من بني إسرائيل إلى العرب.
[٢٧،٣٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران:٣٧]، ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]. ما الفرق بين: "حساب، حُسبان"؟ الجواب: وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعًا وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسبان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. ووردت كلمة (حساب) بثلاث معان، هي: ١- الفصلُ والجزاءُ في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يَشغله حساب بشر عن حساب آخر. ٢- الإحصاء والعدُّ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. ٣- نفي المحاسبة، حيث=
[٢٨] ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ قوله تعالى: ﴿تُقَىٰةً﴾ قرئ: (تَقِيَّة) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة، على وزن مطيّة. وقرئ: (تُقَاة) بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها على وزن "رعاة"، و(تَقِيَّة وتُقَاة) مصدر بمعنى الوقاية، وتاؤها منقلبة عن واو، وأصله وقاة.

[٢٧] ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة.

= ثم رجع إلى ذكر المنافقين في خمس وعشرين آية، والطّعن على علماء اليهود، والشكوى منهم في نقض العهد، وترك بيانهم نعتَ رسول الله ﷺ المذكور في التّوراة، ثم دعواتِ الصحابة، وجدهم في حضور الغزوات، واغتنامهم درجة الشهادة. وختم السورة بآيات الصبر والمصابرة والرِّباط. فضل سورة آل عمران: =

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٠- ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: موفراً ﴿أَمَدًا﴾: غاية. ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ﴾: قرن التحذير الشديد بالرأفة منه بعباده سبحانه وتعالى. وقال الحسن البصري من رأفته بهم حذَّرهم نفسه. ٣٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾: الاصطفاء: الاختيار. قال الزجاج: اختارهم بالنبوة على عالمي زمانهم. ٣٥- ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾: عتيقاً لعبادتك، حبيساً في الكنيسة؛ لا ينتفع بشيء من أمر الدنيا. وكان زكريا عليه السلام وعمران تزوجا أختين، فكانا عيسى ويحيى -عليهما السلام- ابنَيْ خالتَيْن. ٣٦- ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: تعظيم لهذه الأنثى التي وضعت، وتفخيم لشأنها. ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: الذكر أقوى لما نذرته فيه من الخدمة والعبادة. وقيل: إن امرأة عمران قالت ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾: لأنه لم يكن يُقبل في النذر إلا الذكر، فكأنها تحسرت وحزنت لما فاتها من ذلك الذي كانت ترجوه وتؤمله. ٣٧- ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: بمعنى: ضمَّها، زكرياءُ إليه. على قراءة تخفيف الفاء «وكَفَلَها». وقرئ: «وكفَّلَها» بالتشديد بمعنى: وكفَّلها اللهُ زكريا. ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: مقدم كل مجلس، ومصلى، وأشرفهما، وكذا المحراب في المساجد. ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وقيل: رزقًا لا يشبه أرزاق الدنيا، أو رزقًا لم يحمله هو إليها؛ ذلك أن زكريا جعل لها محرابًا لا يُرتقى إليه إلا بسلم، وكان ينفق عليها حتى كبرت. ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؟!: أي: من أي وجه لك هذا الذي أرى؟

[٣٠] معنى اسم الله الرؤوف: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم. [٣٥] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٣٥] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٣١] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: «قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ الآية».

[٣٠] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. في الآية الأولى وعيد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، أتبعه بوعيد آخر ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، معناه: مصيركم إليه والعقاب مُعد له فاستدركه، وفي الآية الثانية بوعيد أيضًا، وأتبعه بوعد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، والرأفة أشد من الرحمة، وقيل في الآية الثانية: إن من رأفته سبحانه تحذيره.

= لا عدَّ ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يجري عليه الرزق متدفقًا وكأنه لا يُعدُّ ولا يُحصى. أما كلمة (حسبان) فلها معنى واحد وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئًا مدمرًا محسوبًا حسابًا دقيقًا مضبوطًا. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. فلما فاتها ما كانت عقدت النية عليه وهو أن يكون المولود ذكرًا وهو أمر ليس بيدها، لم يفتها رحمها الله أن تسمي المولودة باسم يغلب الظن أن فيه شيء من القربى إلى الله، ولهذا قالت ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومريم في لغتهم – أي العبرية – بمعنى (خادمة الرب).

[٣٦] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَضَعَتْ﴾ قرئ: (وضعْتُ) بإسكان العين وضم التاء وهو من كلام أم مريم، والتاء فاعل. وقرئ: (وضعَتْ) بفتح العين وبتاء التأنيث الساكنة من كلام الله تعالى، أي: الله أعلم بالذي وضعته أم مريم. [٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ قرئ: (وكفَّلها) بالتشديد، والفاعل هو الله تعالى، والهاء لـ(مريم) مفعوله الثاني، و(زكريا) مفعوله الأول، أي: جعله كافلًا وضامنًا لمصالحها. وقرئ: (وكفَلها) بالتخفيف من الكفل، وأسند الفعل إلى (زكريا) والهاء مفعوله، ولا مخالفة بينهما؛ لأن الله تعالى لما كفَّلها إياه كَفَلها. قوله تعالى: ﴿زَكَرِيَّا﴾ حيث وقع قرئ: (زكريا) بالقصر من غير همز. وقرئ: (زكرياءَ – زكرياءُ) بالهمز والمد، إلا أن أبا بكر نصبه هنا على أنه مفعول لكفلها كما تقدم لأنه يشدد، ورفعه الباقون ممن خفَّه على الفاعلية، والمد والقصر لغتان فاشيتان عن أهل الحجاز.

[٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: =

= قال رسول الله ﷺ: "تعلموا البقرة وآل عمران؛ فإنهما الزهراوان، يُظلَّان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فِرْقان من طير صوافّ". رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨- ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: مباركة. ٣٩- ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بعيسى عليه السلام، وسمّي بكلمة الله؛ لأنه كان بكلمة الله ﴿كُن﴾ كما أشارت الآية ٤٧ من السورة. أي أن خلقه عليه السلام كان خارج نطاق الأسباب التي وضعها الله تعالى للناس، فأشبه خلقه خلق آدم وهو ما نصّت عليه الآية ٥٩ من السورة. ﴿وَسَيِّدًا﴾: «السيد»: الشريف الحليم. وقيل: الفقيه العالم. ﴿وَحَصُورًا﴾: «الحصور»: الممنوع من إتيان النساء؛ وأصله من المنع والاحتباس. ٤٠- ﴿بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: في السن ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد. ٤١- ﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: سأل علامة على وقت الحمل، ليعرف متى يُحمل بيحيى. ﴿رَمْزًا﴾: إيماءً بالشفتين؛ وقد يُستعمل في الحاجبين والعينين. وقيل: كان ذلك عقوبة له؛ إذ سأل الآية بعد أن بشرته الملائكة مشافهة! ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: «العشيُّ» من حين نزول الشمس إلى أن تغيب. ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: مصدر أبكر الرجل يبكر إبكاراً في حاجته؛ إذا خرج من مطلع الشمس إلى وقت الضحى. ٤٢- ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فضّلك على نساء دهرك. كما فُضّلت فاطمة وخديجة على نساء أمّة محمد ﷺ. ٤٣- ﴿ٱقْنُتِي﴾: أخلصي الطاعة. ٤٤- ﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾: سهامهم التي استهموا بها على كفالة مريم؛ وكانت مريم بنت سيدهم وإمامهم، فكانوا يتشاحّون ويتخاصمون على كفالتها، فكفّلها اللهُ زكريا. ٤٥- ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: بعيسى عليه السلام ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: الصِّدِّيق. فقيل: مُسِح بالبركة، فهو مسيحٌ بمعنى ممسوحٌ. ﴿وَجِيهًا﴾: ذا وجه ومنزلة عالية. يقال: إن له لوجهاً عند السلطان وجاهاً. ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: عند الله.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ [مريم: ٨]. الطبيعي أن ينظر المرء لعلة نفسه أولًا، لذلك قدم ذكر الكبر أولًا في آية آل عمران، وقدم ذكر المرأة وأخر الكبر في آية مريم؛ لأنه كان تقدم ذكر الكبر فيها قبل ذلك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

[٤٠، ٤٧] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]. استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق بل نادر بعيد، فحسن التعبير بـ"يفعل"، واستبعاد مريم كان لأمرٍ خارق؛ فكان ذكر "الخلق" أنسب. [٤١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]. ذكر في آية آل عمران ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي مريم ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها، وفي آل عمران ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾، والرمز يفهم منه الإشارة دون النطق، كالإشارة بالعين واليد، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل لأن الرمز لا يكون واضحًا بالليل.

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. دلت هذه الآية على أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل مطلق الذرية؛ لأن الذرية قد يكونون نكدًا وفتنة، وإنما يسأل الذرية الطيبة. [٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي﴾ [آل عمران: ٣٩]، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ ما الفرق بين "النداء والدعاء"؟ الجواب: أولًا: النداءُ في القرآن: جاء "النداء" في القرآن على أحوال، هي: ١- إسناد النداء إلى الله. ٢- النداء بين العباد بعضهم لبعض. ٣- نداء من الملائكة للناس. ٤- نداء من الله تعالى للناس. ٥- طلب الإقبال إلى الصلاة سمّاهُ القرآنُ نداءً. ٦- طلب الإقبال للإيمان سمّاهُ القرآنُ نداءً. سؤال: لِمَ كان النداء بـ(رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ وليس «ونادى نوحٌ الله». والجواب: أن المنادي راجٍ لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلّق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يُقرر حقيقةً هامّةً وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظة «رب» تشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياءٍ وإماتةٍ ونفع وضر... لِمَ النداء وليس الدعاء؟!! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، ولم يقل «أيوب إذ دعا ربه» فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟!! والجواب!! أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروف واحدةٍ من الشدة والكرب العظيم والبلاء المبين، فنادى كلٌّ منهم ربه رافعًا صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت) فهو أخصُّ من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد، واللهُ قريب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعدُ هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلوّ وليس تباعد مكان.. ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء وله خواصٌّ تختلف عن الدعاء، بل هو أخصُّ وأصفى وأخلص وأظهر تفاؤلًا وأظهر وأنقى معنًى... رغم أن كلًّا من الدعاء والنداء عبادةٌ، وفيه خيرٌ.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرئ: (فناداه) بألف بعد الدال، على تذكير الفعل. وقرئ: (فنادته) بتاء التأنيث ساكنة بعد الدال، على تأنيث الفعل. والفعل مسند لجمع تكسير، فيجوز التذكير باعتبار الجمع والتأنيث باعتبار الجماعة، وقيل: إن المنادي هو جبريل وحده. فالمعنى على هذا "فناداه الملك" وذلك جائز في كل جمع تكسير، وقد جاء التذكير والتأنيث للفظ الملائكة في القرآن كثيرًا نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾. قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة إجراء للنداء مجرى القول، أو على إضمار القول، أي قائلين "إن الله يبشرك بيحيى". وقرئ: (أن) بفتح الهمزة على =

= تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن.

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة في القرآن الكريم. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة في القرآن الكريم. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)

٤٦- ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: «المهد»: مضجع الصبي. و«الكهل»: المحتنِكُ فوق الغلام ودون الشيخ. وهو الذي جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين. والمرأة كهلة، والمعنى: أنه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء؛ من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويبعث الله الأنبياء. ٤٧- ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: ما أراد متى شاء. ٤٨- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾: الكتابة أو الخط باليد، فهو مصدر كتب يكتب. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: هي الإصابة في القول والعمل. قال ابن عطية: «هي السُّنَّة التي يتكلم بها الأنبياء في الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك، مما لم يوح إليهم في كتاب ولا بَمَلَك، لكنهم يُلهَمون إليه، وتقوى غرائزهم عليه» ٤٩- ﴿وَرَسُولًا﴾: نُصِبَ بمعنى: ونجعله رسولاً ﴿وَأُبْرِئُ﴾: اشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾: الذي وُلِد وهو أعمى مضموم العينين. وقيل: الأعمى. واختلف فيه. ٥٢- ﴿أَحَسَّ عِيسَى﴾: أصل «الإحساس»: الوجود، والمعنى: فلما علم منهم الكفر ووجده فيهم، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: بمعنى: مع الله. ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾: أصحابه عليه السلام؛ سموا بذلك لبياض ثيابهم؛ من قولك: يُحوِّرون الثياب: يغسلونها: ويقال رجل أحور، وامرأة حوراء؛ إذا كان أحدهما شديد بياض مقلة العينين.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران : ٤٧]، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم : ٢٠]. في آية آل عمران قالت: ﴿وَلَدٌ﴾، لأنه تقدم فيها ذكر المسيح وبشارة الملائكة لها به وأنه ولدها، وأمَّا في مريم فقالت: ﴿غُلَامٌ﴾ لأن الملك قال لها: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم : ١٩]، ولاحظ في آل عمران كلمة ﴿رَبِّ﴾ التي لم تذكر في سورة مريم، فتأمل. [٤٩] ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ [آل عمران : ٤٩]، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ [المائدة : ١١٠]. كلمة "طير" تستعمل للواحد وللجمع، وآية آل عمران من كلام عيسى عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم تكن صورة بعد، فحسن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معددًا نعمه عليه بعدما مضت، وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه، وهذا من التناسب البديع في الألفاظ، وقال في آل عمران ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾مرتين لأنه من كلام عيسى عليه السلام، بينما قال في المائدة ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات لأنه من كلام الله تعالى. قول آخر: ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ [آل عمران : ٤٤] إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ نحو عشرين ضميرًا من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ضمير مذكر ليناسب ما تقدمه، ويشاكل الأكثر الوارد قبله، أمَّا آية المائدة فمفتتحة بقوله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ فناسب ذكر تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك... [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران : ٥١]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم : ٣٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف : ٦٤]. آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام، وآية كلامه في المهد مخبرًا عن حالته النبوية، وما منحه الله من الخصائص الجليلة منسوقًا بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له، وتكريمه إيَّاه في أحواله الثلاث، حال الولادة والموت والبعث وبعده، وهذه أحوال تتنزه الربوبية عنها وتعالى، ثم كان تمام أخبار عيسى عليه السلام وتكميل ما قصده به الإقرار لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، فلما كان الكلام متصلًا بما تقدم في معناه، وقد ورد فيه ما ظهر من أن كلام عيسى عليه السلام تم وانقضى، وذلك في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم : ٣٣]، ثم جاءت بعد ذلك قضية أخرى من التعريف بحقيقة عيسى عليه السلام فقال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم : ٣٤-٣٥]، فورد هذا مورد الجمل التي كأنها مفصولة عما قبلها مع الحاجة إلى اتصال ما بعدها بما قبلها، فلا بد من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فالوجه العطف عليه مع الحاجة إلى ما توسط =

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٤٢]. كرر ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾؛ لأنَّ الاصطفاء الأول للعبادة، التي هي خدمة بيت المقدس، وتخصيص مريم بقبولها في النذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى، أو لأن الاصطفاء الأول ذاتي، وهو جعلها منزهة وزكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير. [٤٣] ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران : ٤٣]. بدأت الآية بذكر القنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أخص وأقل، ثم الركوع وهو أقل وأخص، فتتدرج الآية من الكثرة إلى القلة، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ٤٦]. قد يبدو لك بادئ الرأي أنه يكلم الناس وهو كهل، فما السر في إيراد كلمة ﴿وَكَهْلًا﴾؟ والجواب عن هذا: قال الله ذلك للصديقة مريم حتى لا يقع في نفسها أن قول الله جل وعلا لها بالبشارة ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ يعني أن هذا الغلام سيكون معجزة، ثم لا يلبث أن يموت سريعًا، فطمأنها الله سبحانه وتعالى.

= تقدير حرف الجر، أي "بأن الله يبشرك". قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ هنا، و﴿وَيُبَشِّرُ﴾ بالإسراء: ٩، و﴿وَيُبَشِّرَ﴾ بالكهف: ٢، و﴿يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ بالشورى: ٢٣، و﴿نُبَشِّرُكَ﴾ بالحجر: ٥٣، مريم: ٧، و﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بالتوبة: ٢١، قرئ: (يَبْشُرك – يَبْشُر – نَبْشُرك – يَبْشُرهم). بفتح الياء والنون، وإسكان الباء، وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة. وقرئ: (يُبَشِّرك – يُبَشِّر – نُبَشِّرك – يُبَشِّرهم) بضم الياء والنون، وفتح الباء، وكسر الشين مشددة في الجميع من بشَّر المضعف: لغة الحجاز، والتخفيف: لغة غيرهم من البشر، واللغتان بمعنى واحد. [٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ قرئ: (ويعلمه) بياء الغيبة لمناسبة قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنما يقول له كن فيكون". وقرئ: (ونُعلمه) بنون العظمة على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بأنه سيعلم عيسى عليهما السلام الكتاب والحكمة إلخ. ذلك على الالتفات من الغيبة للتكلم. [٤٩] ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ قرئ: (إني) بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: فقلت إني، أو للاستئناف. وقرئ: (أني) بفتح الهمزة على، أنها بدل من قوله تعالى: "أني قد جئتكم". قوله تعالى: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ هنا وفي المائدة : ١١٠، قرئ: (الطائر – طائرًا) بألف بعدها همزة مكسورة في "طير" المنكر في السورتين على إرادة الواحد، قيل: إنه لم يخلق إلا الخفاش. وقرئ: (الطير – طيرًا) المعرف والمنكر بالياء بغير ألف ولا همز في السورتين، فيحتمل أن يراد به اسم الجنس، أي: جنس الطير، ويحتمل أن يراد الواحد فما فوقه، ويحتمل أن يراد به الجمع.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣- ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: جمع: شهيد؛ من الشهادة بالحق. ٥٤- ﴿وَمَكَرُواْ﴾: يعني: الذين كفروا من بني إسرائيل ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: ألقى شِبْهَ عيسى على بعض أصحابه فقُتِلَ، ورُفِعَ عيسى عليه السلام فلم يُقتل، ومكْر الله: استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون. وقيل: مكر الله: مجازاتهم على مكرهم. ٥٥- ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: قيل: وفاة النوم، وأنه رفع نائماً. ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم﴾ [الأنعام: ٦٠] وقيل: بمعنى: قابضك من الأرض حياً إلى جواري. وقيل: مستوفٍ أجلك، أي: إني عاصمُك من أن يقتلك الكفار، ومؤخر أجلك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم، واختلف في ذلك. ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: أي الذين اتبعوا ما أرسلتك به ونزل عليك من التوحيد وما بشّرت به، ولم يغلوا فيه كما فعلت النصارى، أو يفرّطوا في وصفه كما فرطت اليهود، ومعلوم أن المسلمين اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقه من دون غلوّ، كما فعل ذلك من قبلهم بعض أتباع المسيح عليه السلام. ٦٠- ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشاكين، يعني: فلا تكن في شك من أمر خلق عيسى، وعبوديته لله عز وجل. وهذا النهي للنبي ﷺ زيادة في الطمأنينة والتثبيت والثواب لأنه ﷺ لا يكون منه شك في ذلك. ٦١- ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: يعني: فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى بن مريم. والمراد بهؤلاء المجادلين وفد نصارى نجران. ﴿نَبۡتَهِلۡ﴾: أصل الابتهال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره، يقال: ما له بهله الله؛ أي لعنه. ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامر ربه فنزل عليه: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ إلى ﴿مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[٦٠]. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أن رهطًا من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال محمد: أجل، فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاء جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: «قدم على النبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال: كذبتما، إنه منع منكما الإسلام ثلاث: قولكما: اتخذ الله ولدًا، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم، قالا: فمن أبو عيسى؟ فما درى رسول الله ﷺ ما يردّ عليهما حتى أنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا، وأقرا بالجزية ورجعا. = الكلامين، فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعًا فيحتاج إلى الواو، وأمّا زيادة ﴿هُوَ﴾ بالزخرف فقد دعا إليها ما تقدم في الآية قبله في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، تعلق بها الكفار، وقالوا قد عُبدت الملائكة وعُبد المسيح وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضينا، وجادلوا بهذا، فلما كان قد تقدم في الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾ [الزخرف: ٥٨]، يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكيًا عن المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾، فكأن قد قيل: هؤلاء غيره، فأورد ﴿هُوَ﴾ ليؤكد المعنى، ولم يرد في آل عمران ومريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا، فلم يحتج إلى الضمير. [٦٠] ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾. قوله تعالى في آل عمران: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الوحيدة في القرآن الكريم، والحق المذكور فيها هو الحق من خبر عيسى عليه السلام، والحق في الآيات الأخرى هو الإسلام وصحة نبوته ﷺ وشرعه، فاحتاج إلى مزيد تأكيد. [٥٥] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. كيف قاله والله رفعه ولم يتوفّه؟ الجواب: لما هدده اليهود بالقتل، بشّره الله بأنه لا يقبض روحه إلا بالوفاة، لا بالقتل، والواو لا تقتضي الترتيب، أو إنّي متوفٍ نفسك بالنوم من قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ورافعك وأنت نائم لئلا تخاف، بل تستيقظ وأنت في السماء آمنٌ مُقرَّبٌ. [٥٧] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦-٥٧]. لماذا قال في الآية الأولى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ﴾ بإسناد التعذيب إلى ضمير المتكلم، وقال في الآية الثانية: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ بإسناد توفية الأجور إلى الغائب ولم يقل: (فأوفيهم أجورهم) فيكون الكلام على نسق واحد؟ الجواب: أن الآية الأولى في سياق كلام الله سبحانه عن نفسه قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ ...﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٦]. فناسب إسناد التعذيب إلى نفسه جريًا مع سياق الحديث عن النفس. وأما الآية الثانية فهي في مقام الالتفات إلى الغائب وذلك ليكون مدخلاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه لو لم يلتفت لقال: (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفيهم أجورهم وأنا لا أحب الظالمين). ولم يرد فعل الحب من الله في القرآن إثباتًا أو نفيًا مسندًا إلى ضمير المتكلم أي أن الله سبحانه وتعالى لم يقل في جميع القرآن مخبرًا عن نفسه بنحو: (وأنا لا أحب الظالمين أو المعتدين) أو: (وأنا أحب الصابرين أو المحسنين) بل يسند ذلك إلى لفظ الجلالة في الأغلب أو إلى ضميره =

[٥٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ﴾ قرئ: (فيوفيهم) بياء الغيبة على الالتفات، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة، أو ليناسب ما قبله من قوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. وقرئ: (فنوفيهم) بنون العظمة الدالة على التكلم، وليناسب ما قبله من الكلام وما بعده في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن الكريم. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة (٦٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- ﴿ٱلْقَصَصُ﴾: الخبر الذي أخبر به عز وجل. ٦٤- ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾: كلمة عدل بيننا وبينكم، وهي ما جاء بعد، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾: كمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير. ٦٥- ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: ادعى كل من اليهود - والنصارى - أن إبراهيم عليه السلام على دينهم، فرد الله عليهم بأن إبراهيم كان قبل موسى وعيسى بدهر طويل فكيف يكون يهوديًا أو نصرانيًا. ٦٧- ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى التوحيد مطيعًا لله عابدًا له. ٦٨- ﴿أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾: أحق الناس به، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾: محمد ﷺ، وجهة الأولوية كونه من ذريته وكونه موافقًا لدينه وعلى منهجه. ٦٩- ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾: نزلت في طائفة من اليهود حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم فبين الله أن دينهم هو عين الضلال لانحرافه عن الحق وتحريفه.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ الآية. روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ الآية». أخرجه البيهقي في الدلائل.

[٦٨] ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨]، ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية : ١٩]. إنَّ أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد ﷺ والذين آمنوا به، والله وليُّ المؤمنين به المتبعين شرعه، فناسب آل عمران ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وأمَّا آية الجاثية فيقال فيها للنبي ﷺ إن هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك من عقاب الله شيئًا إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. [٦٩] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ [البقرة : ١٠٩]، ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٩]. في آية البقرة ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾، والحسد المحرم هو تمني زوال نعمة الغير، والحاسد لا يُرضيه إلا زوال النعمة، ولذلك تمنوا كفر المسلمين في آية البقرة، وآية آل عمران حول كيد أهل الكتاب لإضلال المؤمنين بإلقاء الشبهات لهم ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾، حيث استحقوا العقاب على قصدهم إضلال الغير، وهو كقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل:٢٥].

كأنْ يقول: (إنه لا يحب المسرفين) أو: (إنه لا يحب المعتدين). فالمناسب هو الالتفات وليس الاستمرار بالحديث عن النفس. [٥٧] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٧]. ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾: دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة فيجدون ما قدموه من الخيرات محضرًا موفرًا فيعطى منهم كل عامل أجر عمله، ويزيدهم الله من فضله وكرمه. [٥٨] ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:٥٨]، ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ما الفرق بين "ذكرى، ذكر، تذكرة"؟ الجواب: وردت كلمة (ذكرى) إحدى وعشرين مرة. وكلمة (ذكر) ثلاثًا وستين مرة. وكلمة (تذكرة) تسع مرات. كلمة (ذكرى) لها معنيان: أ- التذكر: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ب- القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكلمة (ذكر) لها أربعة معان: أ- ذكر اسم يوسف أمام عزيز مصر، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف:٤٢]. ب- الشهرة والصيت والمكانة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]. ج- كتاب منزل قبل الزبور كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الذكر في هذه الآية: أكتابٌ منزلٌ هو أم الإنجيل أم التوراة، أم العلم. د- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وكلمة (تذكرة) لها معنيان: أ- التذكير: كما في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر: ٤٩]. والفرق بين (تذكرة) و(ذكرى): أن الأولى مصدر، والثانية اسم مصدر، ولا يسدُّ اسم المصدر في الاستعمال الدقيق مكان المصدر. كما أن كلا منهما جاءت متسقة مع السياق الواردة فيه، ومنسجمة موسيقيًا. كلمة (تذكرة) جاءت من فعل متعدٍ لمفعولين: ذكَّر يُذكِّر تذكرةً. أما كلمة (ذكر) فقد جاءت من فعل متعدٍّ لمفعول واحد. [٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] كيف قاله، وآدم خُلق من التراب، وعيسى من الهواء، وآدم خلق من غير أب وأم، وعيسى خلق من أمٍّ؟ الجواب: المراد تشبيهه به في الوجود بغير أب، والتشبيه لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه. ومن لطائف القرآن الكريم أن اسم آدم ذكر في القرآن ١٥ مرة، واسم عيسى ذكر في القرآن ١٥ مرة كذلك. [٦٤] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين "أقبلْ، تَعالَ، ائتِ، هاؤم"؟ الجواب: (أقبلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيًا عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة).إذًا، (أقبلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن الكريم إلا بمعنى (اذهب) كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: =

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

٧١- ﴿تَلۡبِسُونَ﴾: تخلطون وذلك بتعمد التحريف، وما يدخلونه في الدين مما ليس منه. ٧٢- ﴿طَّآئِفَةٞ﴾: جماعة قيل: هم رؤساؤهم وأشرافهم، قالوا لأتباعهم ومن هم دونهم من قولهم. ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوله. ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾: امروهم بالردة في وقت قريب، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: ليدخل الشك على المؤمنين ويفتتن بعضهم، فيقولوا: ما ترك هؤلاء الإسلام بعد دخولهم فيه إلا لأنهم اطلعوا فيه على باطل. وهذا من فصول كيدهم في حرب الإسلام والصدّ عن دين الله. ٧٣- ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾: هذا من كلام اليهود لبعضهم، أي قال الرؤساء للأتباع والرعاع لا تصدقوا تصديقًا صحيحًا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، وأما غيرهم ممن قد أسلم فأظهروا لهم ذلك خداعًا. ﴿إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾: الهدى والإسلام. ٧٤- ﴿يَخۡتَصُّ﴾: يؤثر. ٧٥- ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾: كانت اليهود تقول: ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب حرج!. ٧٧- ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ﴾: أي لا نصيب : ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾: مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: ولا يطهرهم من ذنوبهم وكفرهم.

[٧٣] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٧٣] معنى اسم الله الواسع: فهو ﷻ واسع الصفات، والنعوت، ومتعلّقاتها، بحيث لا يُحصِي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان، عظيم الجود والكرم. [٧٣] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٧٢] قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ﴾ الآية. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «قال عبد الله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم، لبعض، تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ إلى قوله ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [٧٣]. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: «كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم فأنزل الله ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾. [٧٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ الآية. روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث بن قيس قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال: ألك بينة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾». وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى «أن رجلا أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾.

[٧٣] ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ٧٣] الوحيدة في القرآن وباقي المواضع ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة : ١٢٠، الأنعام : ٧١]. تقديم ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ له سبب اقتضاه في آية البقرة والأنعام، إذ هو آت نصًا من أول الأمر على أن: ﴿هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ في معرض حديث يُدَّعى فيه أن غير الله له هدى، ففي البقرة ادعى ذلك الهدى اليهود والنصارى، ومن أجل مدعاهم هذا لا يرضون إلا عمن تبعهم وصدقهم: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة : ١٢٠]، فكأنهم يرفضون أن يكون هدى غير ما هم عليه منكرون لما سواه، فجاءت الآية مفندة دعواهم: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٢٠]، أي: لا هداكم ولا هدى غيركم، ففي الأسلوب قصر قلب[1]، يقول النسفي: "وهدى الله هو الهدى كله ليس وراءه هدى". وكذلك في آية الأنعام: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا﴾ [الأنعام : ٧١]. فالأصحاب يدّعون أن لهم هدى، فسلك القرآن الكريم هنا مسلكه في آية البقرة لوجود السبب في الموضعين، أمّا تقديم ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ في آل عمران على ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ فلأن القوم هنا لم يبد منهم إنكار، أو دعوى استئثارهم بالهدى، بل هم مقرون بذلك، وإنما يريدون أن يفتنوا من هم على هدى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عما هم عليه، ليستأثروا هم بهدى الله حسدًا من عند أنفسهم أن يؤتى أحد مثلما أوتوا، فجاءت الآية الكريمة: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ اعتراضًا مبينًا لوهمهم -فيما حسبوا- أنهم قادرون عليه من إضلال المؤمنين، فتعريف الهدى بـ"الألف واللام"، وجعله موضوعًا للحديث والحكم عليه بأنه: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هو التعبير الأنسب للمقام لما في "الـ" من معنى الاستغراق، ففي العبارة قصر إفراد[2].
[٧٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٧٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران : ٧٧]. المنكر في سورة البقرة أكثر، فالتوعد فيها أكثر وأشد، وكثرة المنكر في سورة البقرة بكثرة الذنوب التي =

= اذهب إلى القوم الظالمين، إذًا فرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبل) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلى مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. [٧٥] ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧٥]. لم خصّ أهل الكتاب بذلك، مع أنّ غيرهم منهم الأمين والخائن؟ الجواب: إنما خصّهم باعتبار واقعة الحال، إذ سبب نزول الآية أنّ عبد الله بن سلام أودِع ألفًا =

(١) قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته، نحو: ما سافر إلا عليّ، ردًا على من اعتقد أن المسافر خليل لا عليّ. فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده. "جواهر البلاغة / ١٤٠".
(٢) قصر إفراد: يأتي إذا اعتقد المخاطب الشّركة. "جواهر البلاغة / ١٤٠".

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨- ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾: يحرفون، وأصل اللي: الفتل والقلب؛ أي يفتلون ألسنتهم بقراءة الكتاب عن الصحيح إلى المحرَّف. ٧٩- ﴿رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾: حكماء علماء، منسوبون إلى الربّان، وهو الذي يربُّ الناس: أي يصلح أمورهم. والمراد: الانتساب لله تعالى بالتمسك القوي بطاعته مع فقه وحكمة. وقيل: الرباني منسوب إلى الرّب بزيادة الألف والنون للمبالغة. ﴿تَدْرُسُونَ﴾: تقرؤون. ٨٠- ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾: أي وليس بنبيّ: عيسى أو غيره، بعدما آتاه الله من العلم والهوى أن يأمر بعبادة نفسه، ولا يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا يعبدون من دون الله، بل ينهى عنه. ٨١- ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾: بالميثاق الذي أخذ الله عليهم ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: عهدي ووصيتي. و«الأخذ»: القبول والرضا. ٨٣- ﴿وَكَرْهًا﴾: حذر السيف. وقيل: سجود ظل الكافر. وفيه اختلاف، قال قتادة: أما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقبل منه، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله فلم ينفعه ذلك ولم يُقبل منه.

[٧٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق، والبيهقي، عن ابن عباس قال: «قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ فقال: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

= ارتكبوها، قال تعالى في صدر الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ...﴾ فوصفهم بأنهم خالفوا الله في أمره ونقضوا ما قدم إليهم من عهده، فهؤلاء لم يبينوا وكتموا فخالفوا بارتكاب ما نهى الله عن ارتكابه، ثم آثروا القليل من الدنيا على العظيم من عهد الله، فجاء على هذا أغلظ الوعيد، وهو قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة : ١٧٤]، أما في آل عمران فلم يذكر في صدر الآية إلا بعض ما في البقرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران : ٧٧]، فكان التوعد في آل عمران أقل من البقرة، والله أعلم.

= ومائتي أوقية من الذهب؛ فأدى الأمانة فيها، وفنحاص بن عازوراء أودِع دينارًا فخانه، ولأن خيانة أهل الكتاب المسلمين تكون عن استحلال، بدليل آخر الآية، بخلاف خيانة المسلم المسلمين. [٨٣] ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران : ٨٣]. كيف قال ذلك مع أنّ أكثر الإنس والجن كفرة؟ الجواب: المراد بهذا، الاستسلام والانقياد لما قدّره عليهم من الحياة والموت، والمرض والصحة، والشقاء والسعادة، ونحوها.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران : ٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة : ٢٥٦]. ما الفرق بين "الكَرْه- الكُرْه- الإكراه"؟ الجواب: ١- الكَرْهُ: استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليلُ على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْهُ: استعملها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معًا؛ لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثَمَّ لا يمكن ولا يُساغ أن تأتي إحداهما مكان الأخرى. ٣- الإكراهُ: هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكَرْه»، و«الكُرْه» أن الإكراه فعلُ المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكَرْهُ» و«الكُرْهُ» فعل المُكرَه (اسم مفعول).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران : ٨١]. ويتفرع على هذا أن من ورث الكتاب والحكمة فقد أخذ بحظ وافر مما أنعم الله به على النبيين.

[٧٩] ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قرئ: (تُعَلِّمون) بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة فيتعدى لاثنين، أولهما: محذوف، أي: "تعلمون الناس أو الطالبين الكتاب"، وقرئ: (تَعْلَمون) بفتح التاء وتسكين العين وفتح اللام من "علم يعلم" فيتعدى لواحد. فـ(تُعَلِّمون) تجمع بين العلم والتعليم، أما (تَعْلَمون) فلا تجمع بين العلم والتعلم، فقد يكون الإنسان عالمًا ولا يكون معلمًا. [٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرئ: (ولا يأمرَكم) بنصب الراء على إضمار أن، أي: "ولا له أن يأمركم" أو منصوب بالعطف على (يؤتيه) والفاعل ضمير يعود على (بشر) قبلها. وقرئ: (ولا يأمرُكم) بالرفع على الاستئناف، وفاعله: ضمير اسم الله تعالى، أو ضمير يعود على (بشر).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ قرئ: (لِما) بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها لام الجر متعلقة بأخذ و(ما) مصدرية، أي: "لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول" ... الخ. وقرئ: (لَما) بالفتح على أنها لام الابتداء ويحتمل أن تكون للقسم، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، و(ما) شرطية منصوبة بآتيتكم، وهي معطوفة ثم جزم بها على ما اختاره سيبويه. قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ قرئ: (آتيناكم) بالنون والألف بعدها بضمير المعظم نفسه. وقرئ: (آتيتُكم) بتاء مضمومة بلا ألف على الالتفات.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَ﴾ قرئ: (يبغون) بالياء، والمعنى أفغير دين الله يبغي هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من اليهود. وقرئ: (تبغون) بالتاء على الخطاب ويجوز أن يكون لليهود، ويجوز أن يكون لليهود ولغيرهم. قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (يرجعون) بالغيب لمناسبة ما قبله في الآية. وقرئ: (ترجعون) بتاء الخطاب على الالتفات لما مر في (تبغون).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

٨٤- ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أحفاد يعقوب عليه السلام، ولد كل رجل منهم أمة فسموا بالأسباط. وهم في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: في الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مستسلمون له خاضعون لأمره. ٨٥- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾: فخرج بذلك عن دين الفطرة الذي رضيه الله لعباده، ونهاهم أن يموتوا إلا عليه ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: في الدنيا ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. ٨٨- ﴿يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون. ٩٠- ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾: بالذنوب التي اكتسبوها، أو بإقامتهم على كفرهم بعد ردّتهم. ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: اي عند الموت. كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]. ٩١- ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾: ولو قدّمه ليفدي به نفسه من عذاب النار، وقيل: المراد من مات على كفره فلن يقبل منه خير أبداً، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه أو يظنه قربة.

[٨٩] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [٨٩] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٨٦] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾ الآيات. روى النسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، ثم ندم فارسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فارسل إليه قومه فاسلم».

[٨٤] ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٤]. قوله تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ﴾ لأن ﴿إِلَىٰٓ﴾ للانتهاء إلى الشيء، والكتب السماوية منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعًا، والخطاب في هذه السورة لهذه الأمة لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟﴾ فلم يصح إلا ﴿إِلَىٰٓ﴾، وأمّا ﴿عَلَىٰٓ﴾ فمختصة بجانب الفوق، وهذا مختص بالأنبياء؛ لأن الكتب منزلة عليهم، وفي آية آل عمران ﴿قُلْ﴾، وهذا مختص بالنبي ﷺ دون أمته فكان الذي يليق به ﴿عَلَىٰٓ﴾ فتأمله، ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾، حذف "أوتي" في آل عمران، لأن إيتاء النبيين ورد في آل عمران قبل قليل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾، فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها. قول آخر: في حذف ﴿وَمَآ أُوتِىَ﴾، من آل عمران: الأمر في البقرة لما كان للرسل وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين، لأن المؤمنين لايفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيد مقامهم وتثبيت اعتقادهم، فقالوا: ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، ولما كان توجيه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله: ﴿قُلْ﴾ خاصًا به ﷺ وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد، لتنزه الرسول ﷺ حالًا ومقامًا عن التفريق بين أحد من الرسل. [٨٦] ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ٨٦، ١٠٥] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. إذا كانت الآيات تدل على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثًا، أمّا ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بالتذكير: فالبينات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي، وحيثما وردت كلمة البينات بهذا المعنى من الأمر والنهي يذكّر الفعل. [٨٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢، آل عمران: ٨٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة وآل عمران، وهي تبين جزاء الكافرين وأنهم ماكثون في النار، لا يُرفع عنهم العذاب قليلًا ليستريحوا، ولا يُؤخر عنهم لمعذرة يعتذرون بها. [٨٩] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي آل عمران والنور، وهي تتحدث عن التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

[٨٦] ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧]. أن الجزاء من جنس العمل، فإن هؤلاء لما ارتكبوا ثلاث جرائم أو ثلاثة أمور في كفرهم كان عليهم لعنة الله والملائكة والناس، ثلاث بثلاث. [٩٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٩١]. الآية الثانية تتحدث عن قوم ماتوا وانتهوا ولن يقبل منهم توبة بعد الموت، فهي تحتاج إلى توكيد أكبر فقال: ﴿فَلَن يُقْبَلَ﴾، لأن الفاء تفيد التوكيد، أمّا الآية الأولى فهي تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا، ومجال التوبة ما زال مفتوحًا أمامهم فلم يذكر الفاء.

[٨٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة في القرآن الكريم، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة في القرآن الكريم. إذا أضيف إلى عدد ورود =

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢- ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾: الجنة، أو ثواب الله تعالى. أو: لن تبلغوا حقيقة البر وتكونوا أبراراً حتى تنفقوا من أم والكم التي تحبونها وتؤثرونها. ٩٣- ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: حلالاً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: كان يعقوب عليه السلام يصيبه عِرْقُ النسا؛ فحرم على نفسه أكل العروق؛ أي عروق اللحم الجوفاء التي يكون فيها الدم، وقيل: بل تأذَّى بأكل لحوم الإبل فيما كان يشتكيه، فجعل على نفسه ألا يأكلها؛ فقالت اليهود: إنما نحرم ما حرم إسرائيل (يعقوب) على نفسه، وبه نزلت التوراة؛ ولم تنزل التوراة بذلك، فقال الله عز وجل: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. ٩٦- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: يعبدون الله فيه. وقيل: إنه خلق قبل جميع الأرضين. ﴿بِبَكَّةَ﴾: علَم للبلد الحرام، وكذا (مكّة) وهما لغتان وقيل: بكّه هو موضع البيت، وما حوله: مكة؛ قيل: وسمي بكة لأن الناس يتباكون فيه، أو لازدحام الناس في الطواف، ولأن الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض، وليس ذلك إلا فيه. ٩٧- ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾: علامات ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: منها ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: كان الرجل في الجاهلية يجني ما جنى، فيعوذ بالبيت؛ فلا يعرض له أحدٌ، وأما في الإسلام فلا يمتنع الجاني العائذ به من إقامة الحد عليه. وقد قيل: لا يُعرض له حتى يخرج منه. -والاختلاف كثير في هذا- وقيل: آمنًا من النار. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قيل: السبيل: الزاد والراحلة، والصحة. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بالحج وجحده. ١٠٠- ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾: نزل ذلك في يهودي سعى بين الأوس والخزرج؛ حتى همَّت الطائفتان أن يحملوا السلاح.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: «لما نزلت ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ الآية. قالت اليهود، فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: إن الله فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية والآيتان بعدها. وأخرج ابن إسحاق، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس، وكان يهوديًا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شابًا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار، ومن كان معهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، وفي شاس بن قيس، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ الآية.

[٩٩] ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ [آل عمران: ٩٩]، ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦]. في الأعراف بزيادة "به" و"الواو"، ذلك أن ﴿تَصُدُّونَ﴾ هنا حال، وإذا كان الفعل حالًا لم تدخله الواو، وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون. [١٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. الآية الأولى تبين للمؤمنين أنهم إن يطيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة والإنجيل يضلوهم، ويلقوا إليهم الشُّبَه في دينهم ليرتدوا كافرين، وأمَّا الآية الثانية فتبين للمؤمنين كذلك أنهم إن يطيعوا الكافرين من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه، يضلوهم عن طريق الحق، ويرتدُّوا عن دينهم، فيعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق.

[٩٢] ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]. مناسبة موقع هذه الآية تلو سابقتها: أن الآية السابقة لما بينت أن الذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظم ما ينفقه، بينت هذه الآية ما ينفع أهل الإيمان من بذل المال، وأنه يبلغ بصحبه مرتبة البر، فبين الطرفين مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة. [٩٧] ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. ما الفرق بين "الحَجُّ والحِجُّ"؟ الجواب: وردت كلمة (الحَجّ) - بفتح الحاء- تسع مرات، بينما وردت كلمة (حِجّ)- بكسر الحاء- مرة واحدة. جاءت كلمة (الحَجّ) مُعرفة دائمًا بـ(ال)، بينما جاءت كلمة (حِجّ) مُعرفة بالإضافة. (الحَجّ) - بفتح الحاء-: تعني وقت الحج أو حدث الحج، بينما (حِجُّ)- بكسر الحاء-: تعني أداء شعائر الحج (من إحرام وطواف ووقوف بعرفة ورمي للجمار) كما أداها المصطفى. [١٠٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، ﴿فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. ما الفرق بين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟ الجواب: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تقال في موقف الذم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النساء: ٤٤] هذا ذم، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ذم، بينما ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تأتي مع المدح ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] مدح، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] مدح، وهذا ضرب عام في القرآن الكريم على كثرة ما ورد من ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، فربُّ العالمين يسند التفضل والخير لنفسه، ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه سبحانه عز وجل، أمَّا ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ففيها ذم؛ لذا نسب للمجهول. [٩٧] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قرئ: (حَج - حِج) بفتح الحاء وكسرها وهما لغتان في مصدر حج، والفتح أصل المصدر، وقيل: الفتح المصدر، والكسر الاسم.

= لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أصبح (٨٨) مرة في القرآن الكريم. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة. [١٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما، ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم: أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن الكريم، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن الكريم، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن الكريم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠١- ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾: يتعلق بسبب من أسبابه، ويتمسك بدينه. وأصل «العصم»: المنع، و«العاصم»: مانع، و«المعتصم»: مُمْتنِع. وبذلك سمي الحبل، عصاماً. ١٠٢- ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: حق خوفه، بأن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر. وقيل: هي آية محكمة غير منسوخة. وقيل: نسختها: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: معناه: ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت. ١٠٣- ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: بأمان الله. وقيل: بتوحيد الله. وقيل: «حبل الله»: الجماعة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: لا تخرجوا عن الجماعة والائتلاف ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾: «شفا الحفرة»: طرفها وحرفُها، وهما منها. ١٠٥- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾: هم اليهود والنصارى، نهاهم الله أن يكونوا فرقًا أو نهاهم عن الاختلاف فيما وردت فيه ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: وهي الآيات الواضحة المبينة للحق. ١٠٦- ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: قيل: هم مَن كفر بالله بعد إيمانه. وقيل: هم المنافقون. وفيه اختلاف، والأرجح أنهم اليهود والنصارى، وهم «الذين تفرقوا» الذين أشارت إليهم الآية السابقة.

[١٠٥] ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ٨٦، ١٠٥] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. إذا كانت الآيات تدل على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثًا، أمّا ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ بالتذكير: فالبينات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي، وحيثما وردت كلمة البينات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكَّرُ الفعل. [١٠٨] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجاثية: ٦]. تبين الآيات أن تلك حجج الله وبراهينه، نقصُّها عليك أيها الرسول ﷺ بالصدق واليقين، وتوضح آية البقرة أن محمدًا ﷺ من المرسلين الصادقين، وأمّا آية آل عمران فتبين أن الله ليس بظالم أحدًا من خلقه، ولا بمنقص شيئًا من أعمالهم؛ لأنه الحاكم العدل الذي لا يجور، وآية الجاثية تتساءل بأي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون.

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. في الآية دلالة على عظم قدر الصحابة وأن لهم وازعين عن مواقعة الضلال: سماع القرآن ومشاهدة أنوار الرسول عليه السلام، فإن وجوده عصمة من ضلالهم. قال قتادة: أما الرسول فقد مضى إلى رحمه الله، وأما الكتاب فباق على وجه الدهر. [١٠٣] ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. في آية الشورى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء ﷺ، فجاء الفعل "تتفرقوا"، أما آية آل عمران فهي خاصة بالمسلمين، لذا جاء الفعل "تفرّقوا"، والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى؛ لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة "تفرّقوا"، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة "تتفرقوا". [١٠٤] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ [النساء: ٤٠]. ما سبب حذف النون أحيانًا وإثباتها أحيانًا في "لم أكن- لم أك"؟ الجواب: وردت كلمة (لم أكن) ومثيلاتها (لم يكن- لم تكن- لم نكن) اثنتين وستين مرة، (لم أكن) ست مرات، و(لم يكن) إحدى وثلاثين، و(لم تكن) إحدى وعشرين، و(لم نكن) أربع مرات. ووردت كلمة (لم أك) ومثيلاتها (لم يكن، لم تكن) ثماني عشرة مرة. ووردت (لم أك) مرة واحدة، و(لم يك) ثماني مرات، و(لم تك) سبع مرات، و(لم نك) مرتين. أولًا: السبب في حذف النون: ١- ما قاله الخطيب الإسكافي، وهو أن النون تحذف من الفعل (يكون) المجزوم بأداة من أدوات الجزم، عندما يكثر الكلام الذي تتعلق به، سواءً أكان مقدمًا عليها أم مؤخرًا مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود: ١٠٩]. ٢- الآيات التي وردت فيها (أك) ومثيلاتها، جاء التركيز فيها على (أك) (أي التكوين) أو كان المقام يستدعي السرعة والإيجاز. أما الآيات التي وردت فيها (أكن) ومثيلاتها، فكان التركيز موزعًا بينها وبين ما يليها توزيعًا متساويًا: مثال الحالة الأولى: قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. فإن التركيز هنا على (الحسنة) لا على (تك) لأن الحذف قد يشير إلى: ١- عدم أهمية المحذوف. ٢- ويوحي بأن القارئ أو السامع يريد أن يتجاوز موطن الحذف سريعًا إلى غيره الذي هو أهم منه. مثال الحالة الثانية: قوله ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالأمر بالكينونة هنا في غاية الأهمية حيث إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يتم إلا إذا حدثت الكينونة وإلا فلن يكون. أما أسباب إثبات النون فهي: ١- عندما يكون الصوت الذي يليها ساكنًا يصبح (لو حذفت نونها) كأنه جزء من الكلمة، فتثبت النون في آخرها.. ليكون النطقُ بها واضحًا. ٢- قال ابن منظور في اللسان: «إذا وقعت النون موقعًا تحرك فيه، فتقوى بالحركة، لا تُحذف». [١٠٤] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعروف: هو كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة. المنكر: هو كل ما أنكره الشرع ومنعه. حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب وفرض كفاية، إذا قام به من يكفي حصل المقصود، وإذا لم يقم به من يكفي؛ وجب على جميع المسلمين. مراتب تغيير المنكر: أولًا: يجب الإنكار باليد، بأن يزيل المنكر ويذهب أثره، كتكسير آلات اللهو والغناء وإقامة الجالسين وقت الصلاة وتوجيههم إلى المساجد. وهذا لأهل القدرة وهو السلطان أو من ينوب عنه أو رب الأسرة في بيته. ثانيًا: إذا لم يقدر على ذلك وخاف الضرر ومنع من الإنكار والتغيير باليد فإنه يغير بلسانه وذلك بمواجهة العاصي ومخاطبته، وإنكار ما هو متلبس به، وذلك بعد النصح والتوجيه والإقناع. ثالثًا: إذا خاف الضرر أو عرف عدم القبول أو زيادة المنكر بالرد الشنيع والسخرية بالآمر والناهي، اقتصر على الإنكار بالقلب وذلك بإظهار الكراهية لأهل الذنوب والبعد عنهم، والتحذير من شرورهم وهجرهم وبغضهم ولو كانوا أقارب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور: ١- أن يكون الإنسان عالماً بالمعروف والمنكر وقد يتسرع كثير من إخواننا الغيورين، فينهون عن أمور مباحة يظنونها منكراً فيضيقون على عباد الله. ٢- أن تعلم بأن هذا الرجل تارك للمعروف أو فاعل

[١٠١] ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ قد ورد (٤٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

١١٠- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: بما ذكر من أمرهم بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله. وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم. وقيل: هم أمة محمد عليه السلام؛ لأنها خير الأمم. ويدخل في هذه الأمة أصحاب نبيّها دخولاً أوّليًا لا خلاف في ذلك. ولأنهم أول من يتوجه إليهم هذا الخطاب القرآني. ١١١- ﴿إِلَّآ أَذًى﴾: ما كان يسمع من كذبهم على الله، وشركهم. ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا عنكم؛ لأن المنهزم يولي ظهره طالِبَهُ. ١١٢- ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: «الحبل» - هاهنا- السبب الذي يأمنون به، من المؤمن من عهد أو جزية. ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: أي: رجعوا، وقيل: احتملوا. وأصل معناه: اللزوم والاستحقاق، أي لزمهم غضبٌ من الله هم مستحقون له. ١١٣- ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾: أي ليس أهل الكتاب مستوي الصلاح والفساد ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: قيل: هم عبد الله بن سلام، وثعلبة وأخوه، ومن آمن منهم. «قائمة» عادلة مطيعة. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعات الليل، واحدها: «إني». وقيل: «إنى» مقصور، كمِعًى وأمعاء. ١١٤- ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يبادرون غير متثاقلين عن تأديتها لمعرفتهم بقدر ثوابها. ١١٥- ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: لا يدعهم الله بغير جزاء عليه.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والطبراني وابن منده في الصحابة، عن ابن عباس قال: «لما أسلم: عبد الله بن سَلاَم وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام. قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

[١١٢] ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]. لماذا أخر في آل عمران ما قدمه في البقرة؟ الجواب: لما سألوا في البقرة عن مأكلهم ما فيه خسة وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، عوضًا مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان يتزل عليهم عند الحاجة بغير تعب، ولهذا قيل لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان، ناسب ذلك أن يناط به وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم، ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم، ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [١١١]، ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح، وهو ما باؤوا به. [١١٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ [آل عمران: ١١٢]. آية البقرة نزلت في قدماء اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ﴾، والمراد بغير الحق: الموجب للقتل عندهم.. بل قتلوهم ظلمًا وعدوانًا، وآية آل عمران نزلت في الموجودين زمن النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ...﴾، وبدليل قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ...﴾، لأنهم كانوا حرصاء على قتل النبي ﷺ، ولذلك سموه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فجاء منكرًا ليكون أعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بمعنى قوله: ظلمًا وعدوانًا، والأنبياء لا يقتلون إلا بغير حق، ثم ذكر في آية البقرة جمع السلامة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ جمع تكسير، أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق، فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد من البقرة.

= للمنكر، ولا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن. ٣- الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون رفيقًا بأمره وفي نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقًا أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، فأنت إذا عنَّفت على من تنصح ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا ينقاد لك، ولكن إذا جئته بالتي هي أحسن فإنه ينتفع. ٤- أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه، زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهى عنه، درءًا لكبرى المفسدتين بصغريهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان، وكانت إحداهما أكبر من الأخرى؛ فإننا نتقي الكبرى بالصغرى. ٥- الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع وإن كان لا يفعله، وأن ينهى عما نهى عنه الشرع، وإن كان لا يتجنبه؛ لأن كل واحد منهم واجب منفصل عن الآخر، وهما متلازمان. ٦- ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه. ٧- وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقول النساء، ليس في مجامع الرجال وفي أسواق الرجال، نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته ومغفرته من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا. ٢- رفع العقوبات العامة. ٣- شد ظهر المؤمن وإرغام أنف المنافق. ٤- القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٥- سبب للنصر على الأعداء. ٦- تحقيق وصف الخيرية. ٧- التجافي عن صفات المنافقين. ٨- من مكفرات الخطايا. ٩- له ثواب كبير مما يزحزح الله القائم به عن النار. ١٠- من أسباب التوفيق للدعاء والإجابة. ١١- البشارة لهم. ١٢- الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المفلحين. ١١- البعد عن عقاب الله تعالى وعذابه فترك المنكر بدون إنكار سبب للعقوبة. ١٢- التعاون على فعل الخير والمعروف. ١٣- أمن المجتمع وطمأنينته إذ به يندفع الشر ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. ١٤- به تقليل للشر وإزالة للمظاهر السيئة في المجتمع التي تدعو للفساد وتزينه حتى عند من لا يفكر فيه. من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه سبب للعن من الله تعالى وغضبه ومقته وحلول عقابه في الدنيا والآخرة.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ - يُكْفَرُوهُ﴾ قرئ: (يفعلوا - يكفروه) بالغيب فيهما مراعاة لقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. وقرئ: (تفعلوا - تكفروه) بخطاب على الرجوع إلى خطاب أمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد =

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٧- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: يعني: الكفار؛ من صدقة وقربة إلى ربهم ﴿صِرٌّ﴾: برد شديد ﴿حَرۡثَ قَوۡمٖ﴾: زرع قوم، قد أمِلُوا إدراكه: وهو مثل. ١١٨- ﴿بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾: إنما جعل البطانة، وهي بطانة الثوب المعروفة، مثلاً لخليل الرجل، فشبهه بما وَلِيَ بطنه من ثيابه؛ بحلوله منه في إطلاعه على سره، وما يطويه عن غيره، محل ما ولي جسده من ثيابه؛ فنهى عن اتخاذ الكفار بطانة ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾: لا يدعون جهدهم فيما يورثكم الخبال. يقال: ما آلى فلان كذا؛ أي ما استطاع ﴿خَبَالٗا﴾: أصل «الخبال» الفساد، والمراد: لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم، ﴿وَدُّواْ﴾: أحبوا ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾: ما ضللتم وأورثكم العنت، والعنت المشقة وشدة الضرر. ١١٩- ﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ﴾: أطراف الأصابع ﴿مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾: لما يرون من الائتلاف، وصلاح ذات البين. ١٢٠- ﴿كَيۡدُهُمۡ﴾: غوائلهم. ١٢١- ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ﴾: قيل: هذا يوم أحُد ﴿تُبَوِّئُ﴾: و«التبوئة»: اتخاذ المواضع؛ و«مباءة الإبل»: مراحها الذي تبيت فيه. ﴿مَقَٰعِدَ﴾: جمع مقعد، وهو المجلس. [١١٨] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ﴾ أخرج ابن جرير، وابن إسحاق، عن ابن عباس قال: «كان رجال من المسلمين يواصلون رجالًا من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ﴾ الآية». [١٢١] قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى، عن المسور بن مخرمة قال: «قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد، فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا ﴾ قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ ﴾ قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ قال: هو صياح الشيطان يوم أحد: قُتل محمد، إلى قوله: ﴿ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا ﴾ قال: ألقى عليهم النوم». وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال: فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة ﴿ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا ﴾، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي حاتم، عن الشعبي: «أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله ﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم ﴾ إلى قوله: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة» (هكذا قال).

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران : ١٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران : ١١٦]. الآيتان تتحدثان عن الذين كفروا بآيات الله، وكذبوا رسله، أنهم لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة، والآية الأولى تبين أن هؤلاء هم حطب النار يوم القيامة، وأمَّا الآية الثانية فتوضح أن أولئك أصحاب النار الملازمون لها، لا يخرجون منها. [١١٧] ﴿وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١١٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾. في موضع آل عمران بحذف "كانوا"؛ لأن ما في السور الأخرى إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، وأمَّا ما في آل عمران فمثل يضرب في كل زمان، وهذه لطيفة دقيقة فتأملها. [١١٨] ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران : ١١٨، الشعراء : ٢٨] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾. خوطب المؤمنون في آيات عديدة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، ولم يخاطبهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ إلا في آية آل عمران تنبيهًا على خطورة اتخاذ المؤمنين بطانة من غيرهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾، فكأنه جعل ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ في الفصل بين ما يستحقه العدو والولي، والمقصود بعثهم على استعمال العقل في تأمل هذه الآية وتدبر هذه البينات، وأمَّا آية الشعراء فالخطاب فيها من موسى عليه السلام لفرعون وقومه. [١٢٠] ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ [آل عمران : ١٢٠]، ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ [التوبة : ٥٠]. الآيتان تستكملان وصف المنافقين، أنهم مع ما لهم من الصفات الذميمة والأفعال القبيحة متخوفون ومتوجسون من حصول أي نوع من أنواع المنفعة للمسلمين، ومترقبون نزول نوع من المحنة والبلاء بالمؤمنين، ولكن آية آل عمران قال فيها: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾، والمس مثل الإصابة، لكنه يعبر عن أي حسنة ولو كانت قليلة جدًا، فإنها تسوء المنافقين، وذلك لأن التعقيب هنا كان للتحذير من اتخاذهم بطانة ومستشارين، لأن ضررهم سيكون أبلغ، فناسبه هذا اللفظ ﴿تَمۡسَسۡكُمۡ﴾، وأمَّا آية التوبة ففي عموم المنافقين حتى ولو لم يكونوا بطانة للمؤمنين.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾ [آل عمران : ١٢٣]، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الفتح : ٢٤]. ما الفرق بين "النَّصْرُ والظَّفَرُ"؟ الجواب: أولًا: (النصر): وردت كلمة النصر بمشتقاتها في القرآن الكريم عدد (١٤٤) مرة. ثانيًا: (الظفر): جاءت هذه الكلمة كفعل متعدٍ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الفتح:٢٤] مرةً واحدةً في القرآن الكريم. الفرق بين الكلمتين: ١- (النصرُ) يأتي في القرآن الكريم وصفًا =

[١٢٠] قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ قوله تعالى: ﴿يَضُرُّكُمۡ﴾ قرئ: (يضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء جوابًا للشرط من ضار يضير، والأصل: (يضيركم) كيغلبكم نقلت كسرة الياء إلى الضاد فحذفت الياء للساكنين والكسرة دالة عليها. وقرئ: (يضُرُّكم) بضم الضاد ورفع الراء مشددة وهما لغتان: ضره يضره، وضاره يضيره، قال تعالى: ﴿لَا ضَيۡرَ﴾ فهذا ضاره يضيره، وقال تعالى: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ فهذا من ضره يضره، والتشديد كثير في الاستعمال والقراءة، فقراءة التشديد والرفع على أن الفعل مرفوع بعد فاء مقدرة، والجملة جواب الشرط على حذف من يفعل الحسنات الله يشكرها، أي: فالله، وجعله الجعبري وتبعه النويري مجزومًا، والضمة ليست إعرابًا، مثل لم يرد إذ الأصل يضرركم، نقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد ليصح الإدغام، ثم سكنت للجزم فالتقى ساكنان، فحركت الثانية له لكونها طرفًا، وكانت ضمة للإتباع.

= والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن. [١١٨] ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) =

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢- ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾: بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار، وكانا جناحي العسكر يوم أحد، والهمّ من الطائفتين كان بعد الخروج، لما رجع عبد الله بن أبي بمن معه من المنافقين. ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: «الفشل»: الجبن. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: الدافع عنهم ما همُّوا به. والمعنى: كادوا أن يجبنوا فعصمهم الله تعالى. ١٢٣- ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: ضعفاء، بسبب قلة عددهم. ١٢٥- ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾: قيل: من وجههم هذا. وقيل: من غضبهم لما نالهم ببدر. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: مُعلَّمين بصوف في نواصي خيلهم. وقيل: بعمائم قد طرحوها بين أكتافهم. و«السيما»: العلامة. وقيل: صبروا يوم بدر فأُمدُّوا بالملائكة؛ ولم يصبروا يوم أحُد فلم تشهد معهم الملائكة. ١٢٦- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: يعني: وعْدَه بالإمداد ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن قلوبكم به، جعل الله تعالى هذا الإمداد بشرى بالنصر وطمأنينة للقلوب. قال بعض المفسّرين: وفي قصر الإمداد عليهما إشارة إلى عدم مباشرة الملائكة للقتال يومئذ. وروي أن الملائكة حضرت بدرًا وقاتلت. ١٢٧- ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾: طائفة ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يصرعهم لوجوههم. ﴿خَآئِبِينَ﴾: فاتهم الظفر. ١٣٠- ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ...﴾: كان المُرْبي إذا حان أجله يقول له الذي عليه المال: أخِّرْني وأزيدك على مالك؛ فيفعلان. فذلك هو الربا كان يتضاعف أضعافاً مضاعفة.

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ الآية. روى أحمد، ومسلم، عن أنس: «أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه، حتى سال الدم على وجهه فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ الآية. [١٣٠] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «كانوا يتبايعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل، زادوا عليهم وزادوا في الأجل، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾». وأخرج أيضا عن عطاء قال: «كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نربيكم وتؤخرون عنا، فنزلت: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران : ١٢٦]، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٠]. آية آل عمران تقدمها ذكر الطائفتين المؤمنة والكافرة، وخص الطائفة المؤمنة بالبشارة وأنها لأولياء الله تعالى فقال: ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، أمّا آية الأنفال فالحديث فيها خاص بالمؤمنين فلم يذكر القيد، وآية آل عمران سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف، فكان تقييد ﴿بُشْرَىٰ﴾ بأنها لأجلهم زيادة في المنة، أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١]، وأمّا آية الأنفال فهي مسوقة سياق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرّد ﴿بُشْرَىٰ﴾ عن أن يعلق بها ﴿لَكُمْ﴾، إذ كانت البشرى للتنبيه ولمن لم يترددوا من المسلمين، وأمّا تقديم ﴿بِهِۦ﴾ في آية الأنفال: فلأن المؤمنين استغاثوا يوم بدر، وفي ذلك تشوّق من المستغيث، وأنه متطلع إليه في مواطن الخوف وطلب النجدة، فقدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به وشدة حاجتهم إليه فهو موضع رجائهم، كما يفهم من الآية أنها نزلت في غزوة بدر والدماء لم تجف بعد، والعهد بها لم يطل، فروعي فيها ما روعي من مقتضيات الأحوال، أمّا آية آل عمران فخلت من ذلك، لأن الآية حكاية لما حدث يوم بدر، وتذكير للمؤمنين بما صنع الله معهم واعدًا إياهم أن يصنعه معهم في أحد لو صبروا واتقوا، يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد، ولم تنزل فيه الملائكة؟ الجواب: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا حيث خالفوا أمر نبيهم، فلذلك لم تنزل الملائكة، ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم، ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله، فالآية حكاية عن حال مضت، فاقتضى الحال أن يأتي الضمير على الأصل، وأمّا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فذلك أن آية الأنفال نزلت في قتلى بدر أولًا، وأن آية آل عمران نزلت في واقعة أحد ثانيًا، فبيَّن أولًا أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَد أو عُدَد، ولذلك علَّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير. = عامًّا لكل غلبٍ أو فوزٍ حققه المؤمنون، أما (الظفرُ) فهو مقصورٌ على (الغلب) الذي يحدث بدون قتالٍ يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكةَ المبين بالظفر دون النصر، وقد تمَّ فتحها بدون قتالٍ وإراقةٍ للدماء، وكان فتحًا مبينًا ونصرًا سهلًا ميسورًا. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفرٍ) نصرٌ، وليس كل (نصرٍ) ظفرًا. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظافر) في الفريسة وهو أيسرُ وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولةٍ ويسرٍ، واللغويون ذكروا أن (الظفر) مشتقٌ من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسرُ وسيلةٍ للحصول على المطلوب. [١٢٤] ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ [آل عمران : ١٢٤]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الشعراء : ١٣٢]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الرعد : ٣]. ما الفرق بين "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشرّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان.

[١٢٤] ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُنزَلِينَ﴾ هنا "والعنكبوت : ٣٤" قرئ: (منزَّلين) بتشديد الزاي مع فتح النون. وقرئ: (منزَلين) بتخفيف الزاي مع سكون النون وهما لغتان بمعنى واحد، وقيل التشديد للتكثير، أو للتدرج، قيل إن الله أمدهم أولًا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف. [١٢٥] ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قرئ: (مسوِّمين) بكسر الواو اسم فاعل من سوم، أي مسوِّمين أنفسهم، أي: الملائكة، فأخبر عنهم أنهم سوموا الخيل والسومة العلامة تكون في الشيء بلون يخالف لونه ليعرف بها، ويقوي ذلك أن النبي ﷺ قال يوم بدر: "سوِّموا فإن الملائكة قد سوَّمت" أخرجه سعيد بن منصور في سننه، عن عمر بن إسحاق. فأضاف الفعل إلى الملائكة فكل ذلك على جواب كسر الواو في ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، وقد قيل: إنهم كانوا بعمائهم صفر مرخيات على أكتافهم. وقرئ: (مسوَّمين) بالفتح اسم مفعول، والفاعل الله تعالى، أو على معنى: "أن غيرهم من الملائكة سومهم". = و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (٥) مرات في كتاب الله سبحانه وتعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

١٣٣- ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: معناه: كعرض السماوات السبع والأرض، إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض. وقيل: إن معنى الآية أن الجنة بلغت الغاية القصوى من الاتساع والانفساح، لأن السماوات والأرض أوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده. ١٣٤- ﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾: حال السرور؛ بكثرة المال، ورخاء العيش ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الفقر والجهد. ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: «الكظم»: الجرع، يقال: كظم غيظه: تجرّعه؛ وأصله من كظمتُ القربة ملأتها. و«كظيم ومكظوم»: ممتلئ غيظاً وكرباً. ١٣٥- ﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: قيل: الظلم من الفاحشة، والفاحشة من الظلم. روى أبو بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِن مسلم يذنب ذنباً، ثم يتوضأ، فيصلي ركعتين، ويستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له» [رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة، وحسنه النسائي، وابن حبّان والدارقطني وغيرهم، وصححه الألباني]. ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾: لم يقيموا على المعصية، وتابوا واستغفروا. وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما أصرَّ مَن استغفر ولو عاد» [أخرجه أبو داود والترمذي وأبو يعلى، وغيرهم، وهو حديث ضعيف الإسناد]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم قد أذنبوا. ١٣٧- ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من الأمم الماضية التي كذّبت؛ حتى بلغ الكتاب أجله ﴿سُنَنٌ﴾: سير. ١٣٩- ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: لا تضعفوا ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: تعزية من الله عز وجل لأصحاب محمد ﷺ عما نالهم بأحُد من القتل. ١٤٠- ﴿قَرْحٌ﴾: قتل أو جراح، والمعنى: إن يمسسكم قرح يوم أحد، فقد مسّ القوم قرح مثله يوم بدر. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: أدال الله فلاناً من فلان؛ إذا أظفره به فانتصر، والمراد: أن أوقات الظفر والغلبة نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: جمع شهيد؛ ليُكرم بالشهادة من أكرمه بها يومئذ. وكان المسلمون يسألون ربهم يوماً بيوم بدرٍ يبتغون فيه الشهادة، فلما لقوا المشركين بأحد، رزق الله الشهادة مَن أسعده.

[١٤٠] قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحديد: ٢١]. أمر الله تعالى بالمسارعة إلى المغفرة في آية آل عمران، ثم شرح في آية الحديد كيفية تلك المسارعة، فكأنه قيل: سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في حلبة السباق، وجاءت آية الحديد بعد قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فجاء معنى ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه، بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، وقال في آل عمران ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، وأفردها في الحديد ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأن معناها: أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة، وهو قول لابن عباس. [١٣٦] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨]. آية آل عمران فيها خبر بعد خبر فناسب العطف بالواو، فكأنه قيل: جزاؤهم مغفرة الذنوب ودخول الجنة والخلود فيها، وذلك كله تشريف وكرامة للعاملين، وأمَّا آية العنكبوت فمبنية على جملة واحدة وخبر واحد فناسبها حذف الواو. [١٣٨] ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨، المائدة: ٤٦] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بدون لفظ ﴿وَهُدًى﴾ [البقرة: ٦٦، النور: ٣٤]. زاد ﴿وَهُدًى﴾ في آل عمران وصفًا لكلام الله تعالى وبيانه، وزادها في آية المائدة بمعنى: أن الإنجيل اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، ولم يذكر الهدى في آيتي البقرة والنور؛ لأن الخطاب في سياق الوعيد والتحذير من فعل المعاصي.

[١٤٤] ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. ما الفرق بين "نجزي- نجازي"؟ الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة، ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة بسورة سبأ والجواب: إن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافئ) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلَّ على معنييهما في المرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد... وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي) وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة، لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباطٌ بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثًا بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ قرئ: (سارعوا) بغير واو قبل السين على الاستئناف والقطع، وهي كذا في مصحف أهل المدينة والشام. وقرئ: (وسارعوا) بإثبات الواو، وذلك عطفًا على قوله تعالى قبل: (وأطيعوا الله). [١٤٠، ١٧٢] ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ﴾ قوله تعالى: ﴿قَرْحٌ﴾ قرئ: (قُرح - قَرح) بضم القاف وفتحها وهما لغتان كالضُّعف والضَّعف، ومعناه: "الجرح"، وقيل: (القَرح) بالفتح الجرح، و(القُرح) بالضم ألم الجرح. [١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٥- وردت كلمة (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»،=

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١- ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يختبر، ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أصل «المحق»: النقصان، و«محاق القمر»: نقصانه وفناؤه، والمعنى: يستأصل الكافرين بالإهلاك. ١٤٣- ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾: يوم أحد حين القتال، والسيوف في أيدي الرجال فصددتم عنهم. ١٤٤- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ ...﴾: إن محمدًا ﷺ رسول كسائر الرسل، وقد بلَّغ كما بلغوا، وقد لزمكم أيها المؤمنون العمل بالوحي والرسالة، وليست حياة الرسول وبقاؤه بين أظهركم شرطًا في ذلك، لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله. وقد ذكر القتل مع علمه سبحانه أنه لا يقتل لكونه مُجوَّزًا عند المخاطبين، وهم بعض المسلمين الذين فشلوا حين سمعوا قول القائل: قد قتل محمد! وقيل: هذا قبل أن يعصم الله نبيه وينزل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: أي بإدباره عن القتال، أو بارتداده عن الإسلام ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾: من الضرر، وإنما يضر نفسه، أما الصابرون المقاتلون، فقد قال تعالى فيهم ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: وقد ارتقت الآية بهؤلاء الصحابة الأجلاء الكرام من درجة الصبر إلى مقام الشكر، لثباتهم على دينهم، وشكرهم ربهم على نجاة نبيّهم. وأخرج الطبري – وغيره – بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في تفسيره هذه الآية: الشاكرون: الثابتون على دينهم أبو بكر وأصحابه، فكان عليٌّ يقول: ابو بكر أمير الشاكرين رضي الله عنهم أجمعين. ١٤٥- ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾: المؤجل: المؤقت الذي لا يتقدم على أجله ولا يتأخر، والمعنى: لا يموت أحد إلا عند بلوغ أجله ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: جزاء عن عمله ﴿نُؤۡتِهِۦ﴾: ما قُسِم له ﴿مِنۡهَا﴾: في حياته، ثم لا نصيب له في الآخرة بعمله ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾: مع رزقه في الدنيا. ١٤٦- ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكم. ﴿رِبِّيُّونَ﴾: جماعات كثيرة. وقيل «الرِّبِّيون»: الأتباع، و«الربّانيون»: القادة والولاة. ﴿وَهَنُواْ﴾: تخشّعوا لعدوهم وعجزوا. ١٤٧- ﴿ذُنُوبَنَا﴾: صغار ذنوبنا، ﴿وَإِسۡرَافَنَا﴾: قيل: هي الخطايا الكبار. ١٤٨- ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: من النصر والغنيمة والعزّة ونحوها.

[١٤٣] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: «أن رجالًا من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نُقتل كما قتل أصحاب بدر، أو ليت لنا يومًا كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرًا، أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق، فأشهدهم الله أحدًا فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ الآية. [١٤٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قُتل محمد فقلت: لا أسمع أحدًا يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ ﴾ الآية. قوله تعالى: [١٥٤] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ ﴾ الآيات. أخرج ابن راهويه، عن الزبير قال: «لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، فحفظتها، فأنزل الله في ذلك ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

[١٤٢] ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ ﴾ [التوبة: ١٦]. الخطاب في البقرة للنبي ﷺ والمؤمنين على العموم، وفي آل عمران لأهل أحد تسلية لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم.

[١٤٠-١٤١] ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤١]. اللام في "ليعلم" هي لام التعليل، ثم قال تعالى: "يتخذ" عطف بدون لام، ثم قال: "ليمحّص" عطف وذكر اللام، ثم قال: "يمحق" عطف بدون ذكر اللام، لماذا؟ الجواب: الذكر للتوكيد وما حذف أقل توكيدًا، وإذا استعرضنا الأفعال في الآية هل هي كلها بدرجة واحدة من التوكيد والحذف؟ "وليعلم" الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علمًا يتحقق منه الجزاء لكل شخص، إذًا هو أمر عام لجميع الذين آمنوا ومن غير الذين آمنوا، فهو أمر ثابت مطلق لكل فرد من الأفراد، "يتخذ" لا يتخذ كل المؤمنين شهداء، فهذا الفعل ليس بدرجة اتساع الفعل الأول، وهو ليس متعلقًا بكل فرد، "ليمحص" متعلق بكل فرد وهذا يتعلق به الجزاء، "يمحق" لم يمحق كل الكافرين محقًا تامًا، فالكفر والإيمان موجودان، عندما تُذكر اللام يكون على وجه العموم، والمقصود يكون كل فرد من الأفراد، والحذف عكس ذلك. [١٤٥] ﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾ [الإسراء: ١٩] ما الفرق بين: ﴿ وَمَن يُرِدۡ ﴾ بالمضارع، و﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ﴾ بالماضي؟ الجواب: أنه عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، لأن إرادة الثواب تتكرر دائمًا، كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذًا يتكرر، والشيء المتكرر جاء به بالمضارع، أما قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾ [الإسراء: ١٩]، فقد ذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة. [١٤٦] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ حيث وقع في القرآن قرئ: (كائن) بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة. وقرئ: (كأيّن) بهمزة مفتوحة وياء مشددة مكسورة بعدها على أنها، أي: ثم دخلت عليها كاف التشبيه، وكثر استعمالها بمعنى "كم"، وجعلت كلمة واحدة، وجعل التنوين نونًا أصلية، فوقف عليها بالنون، وكان القياس: أن يوقف عليها بغير نون كما يوقف على أي: حيث وقعت. قوله تعالى: ﴿ قَٰتَلَ مَعَهُۥ ﴾ قرئ: (قُتِل) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنيًا للمفعول، ويحتمل على ذلك وجهين: أحدهما: أن يكون فعلًا وما بعده صفة للنبي والفعل مسند إلى النبي بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ﴾. والثاني: أن قتل وما بعده صفة للنبي أيضًا، والفعل مسند إلى "ربيون". وقرئ: (قَاتَل) بفتح القاف والتاء وألف بينهما بوزن فاعل على أن المقاتلة من الجانبين، فقتلوا بعد قتلهم غيرهم، فوجهه أنه يحتمل وجهين: أحدهما: أن يسند الفعل إلى النبي ـ عليه السلام ـ ويكون ﴿ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ ابتداء وخبرًا، وترفع (ربيون) بالظرف "والجملة صفة للنبي"، والثاني: أن يكون قد أسند الفعل إلى (الربيون) دون النبي فأخبر عنهم بالقتال دون النبي، فيكون ﴿ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ صفة لنبي و﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ مرفوع بفعلهم. = و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٤٩- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هم مشركو العرب، وقيل: المنافقون الذين قالوا في أمر أُحُد: لو كان محمد نبيًا لم يهزم، وقالوا للمؤمنين – عند الهزيمة – ارجعوا إلى دين آبائكم. والآية عامّة إلى يوم القيامة في كل كافر، نهى الله تعالى المؤمنين عن طاعتهم. ١٥٠- ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾: وليكم وناصركم. ١٥٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: يوم أحد ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم. وقيل: «الحس»: القتل ﴿أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: كانت الهزيمة على المشركين حتى ترك الرُّماة مقاعدهم التي كان رسول الله ﷺ أقعدهم فيها رغبة في السلب، فأُتي المسلمون منهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: المال والغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: ما عند الله ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليختبركم؛ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: لما علم من ندمكم، فلم يستأصلكم بذنبكم. ١٥٣- ﴿تُصْعِدُونَ﴾: -بضم التاء، وكسر العين- بمعنى: السير والهرب في مستوى الأرض ومهابطها. وبفتح التاء والعين؛ من الصعود في الجبل والشرف ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: لا تعرجون على أحد، ولا تلتفتون إليه. ﴿وَٱلرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: يهتف بكم ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: ساقتكم حين انهزمتم، والساقة: مؤخر الجيش؛ كان رسول الله ﷺ يناديهم من خلفهم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله. ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: جزاكم بفراركم عنه عليه السلام ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾: بما نالهم من القتل والهزيمة؛ «بغم»؛ بمعنى: عقب غم، والغم الثاني: ما كان بلغهم من قتله عليه السلام، وقيل: وما فاتكم من الغنيمة والأمل؛ بما أصابكم من القتل والألم.

[١٤٧] ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. بدأوا دعاءهم في آية البقرة: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، ليناسب اعتقادهم في أن هذا سبب النصر الحقيقي، وقد قالوا قبله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وبدؤوا دعاءهم في آية آل عمران: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾، في مثل ضربه الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، لم يحدد فيه نبيًا ولم يحدد فيه قومًا، مثل عام للمؤمنين في سياق التعقيب على هزيمة أحد يعلمهم الأدب في حق الله، وأنهم في هول الهزيمة أول ما يسألونه المغفرة، لأن ما نزل بهم ما نزل إلا بذنب. [١٤٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. الآية الأولى تبين للمؤمنين أنهم إن يطيعوا جماعة من اليهود والنصارى ممن آتاهم الله التوراة والإنجيل يضلوهم، ويلقوا إليهم الشُّبَه في دينهم ليرتدوا كافرين، وأمّا الآية الثانية فتوضح للمؤمنين كذلك أنهم إن يطيعوا الكافرين من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه، يضلوهم عن طريق الحق، ويرتدُّوا عن دينهم، فيعودوا بالخسران المبين والهلاك المحقق. [١٥٣] ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. آية آل عمران تتحدث عن غزوة أحد وحال المسلمين فيها وما حدث لهم بها، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بهم من خوف وهزيمة، والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، أمّا آية الحديد فقد جاء قبلها أنه ما أصاب من مصيبة إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخلَق الخليقة، إن ذلك على الله تعالى يسير، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر، والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره.

[١٥٣] ﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ما الفرق بين "غَمّ، غُمَّة"؟ الجواب: وردت كلمة (غَمّ) ست مرات، بينما وردت كلمة (غُمَّة) مرة واحدة. (الغمُّ): هو المصدر المجرد. أما (الغُمَّةُ): فهي اسم المصدر. قال الزمخشري: الغمة: السترة، من غمه: إذا ستره. وقال الجوهري: الغم، غمَّه، فاغتمَّ، والغُمَّةُ والغَمةُ: الكُربةُ. لذلك استُخدمت كلٌ من الكلمتين في سياقٍ خاص. وتأمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]. شبَّه (الأمر) هنا بالساتر الذي يسترهم ويغطيهم، وبهذا فإن الغمة (اسم الذات) بينما الغم (أي الكرب) هو (المصدر المجرد).

[١٥١] ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ حيث وقع في القرآن سواء كان معرفًا أو منكرًا قرئ: (الرعُب) بضم العين. وقرئ: (الرعْب) بسكون العين وهما لغتان.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة في القرآن الكريم. أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن الكريم، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن الكريم، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن الكريم. [١٥١] ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن الكريم (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (٥) مرات في القرآن الكريم.

[١٥٢] ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤- ﴿أَمَنَةً﴾: الأمَنة والأمن سواء، وهي -هاهنا-: النعاس: أنزل النعاس على أهل اليقين والإيمان، فاستراحوا من الغمّ ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: «والطائفة الأخرى»: هم المنافقون، ليس لهم همٌّ إلا انفسهم. ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: ظنّ أهل الشرك؛ وهو ظنهم أن أمر النبي ﷺ باطل، وأنه لا ينصر، ولا يتم ما دعا إليه من الدين. ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن﴾: هذا الاستفهام معناه الجحد، أي ما لنا شيء من الأمر، وهو النصر على العدو، وقيل: هو الخروج، أي خرجنا مكرهين. ﴿مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص والعزائم، وليُمحص ما في قلوبهم، ويطهرها من وساوس الشيطان. ويخلصها له سبحانه. وكلُّ ما جاء من نحو «ليعلم الله، وليبتلي الله»، فإنه وإن كان مضافاً إليه عز وجل، فمعناه: إظهاره لأوليائه وأهل طاعته. وقيل: الخطاب للمنافقين، والمعنى: ليختبر الذي في صدوركم من الشك، فيميزكم بما يظهر للمؤمنين من نفاقكم، فيميزكم المؤمنون. ١٥٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ من ولّى ظهره، وهم الذين انهزموا يوم أحد. وقيل: هم الذين تولوا المشركين يوم أحد ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ اي إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان. ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: بذنوب تقدمت لهم. أي خرجوا لغزو. ١٥٦- ﴿ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تصرفوا واتجروا، أي سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها. ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: خارجين من بلادهم في غزاة. ١٥٧- ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ...﴾: خطاب للمؤمنين، لأنهم إن ماتوا أو قتلوا في سبيل الله فإنهم يصيرون إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع المنافقون من حطام الدنيا الذي يمنع من الجهاد.

[١٥٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [١٥٥] معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النِّعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلأتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنيبوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي تَرَتُّبِ آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم.

[١٥٧، ١٥٨] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران : ١٥٧]، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران : ١٥٨]. لماذا قدم القتل على الموت في الآية الأولى والعكس في الثانية؟ الجواب: الآيات في سياق غزوة أحد... والتي كان فيها شهداء من المسلمين... وبما أن الموت في سبيل الله هو أشرف وأعظم أجرًا عند الله... قدم القتل على الموت، وهذا غير مراد الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله على جميع الناس بالموت، وبما أن الموت على الفراش هو الأعم والأغلب، فمعظم الناس يموتون ميتة طبيعية، لذلك قدم الموت، ولهذا لم يقترن القتل فيها بعبارة ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، التي اقترنت بها في الآية الأولى، وشتان بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه كما هي عقيدة المسلمين، وهذا ما أكدته الآية الأولى، وهذا ليس إلا للمسلمين، وبما أن القتل بشكل عام "للمسلمين وغيرهم" يكون فيه ظالم ومظلوم، يجب أن يكون هناك حكم عدل يفصل بينهم، فمتى يُنتصف للمظلوم؟ يُنتصف له يوم القيامة، حيث يُحشر الجميع بين يدي الله، الظالم والمظلوم، فقد يكون القاتل هو المظلوم، والمقتول هو الظالم، ولهذا جاء التعبير الإعجازي في الآية الثانية: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، فتأمل.

[١٥٤] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة : ١٢٥]، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٤]. ما الفرق بين "أَمْن، أَمَنَة"؟ الجواب: وردت كلمة (الأمن) خمس مرات، بينما وردت كلمة (أَمَنَة) مرتين. ارتبطت كلمة (أمنة) بكلمة (نعاس) في المرتين اللتين وردت فيهما ولم يحدث هذا مع كلمة (الأمن). توالي الفتحات على أحرف كلمة (أَمَنَة) يمنحها معنى التدرج في تسرُّب الأمن إلى النفس، ولا يُحسُّ بهذا المعنى في كلمة (أَمْن) ساكنة الوسط، بل الثانية أي (أَمَنَة) حالةٌ ساكنةٌ مستمرةٌ. [١٥٧] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ [آل عمران : ١٥٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم : ٩]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال"؟ الجواب: الجهادُ معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالًا. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، يشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقتال في سبيل الله، ويشمل كل قولٍ أو عمل خير يعمله المؤمن في سبيل الله تعالى.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ... قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً﴾ قرئ: (تغشى) بالإمالة والتاء المثناة من فوق إسنادًا إلى ضمير (أمنة) والمعنى تغشى الأمنة طائفة منكم. وقرئ: (يغشى) بالياء بإسناد الفعل إلى النعاس، والمعنى: يغشى النعاس طائفة منكم. قوله تعالى: ﴿كُلَّهُۥ﴾ قرئ: (كلُه) بالرفع على الابتداء ومتعلق لله خبر، والجملة: خبر (إن)، نحو: إن مالك كله عندي. وقرئ: (كلَّه) بالنصب تأكيدًا لاسم إن. [١٥٦] ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرئ: (يعملون) بالغيب ردًا على الذين كفروا. وقرئ: (تعملون) بالخطاب ردًا على قوله: "ولا تكونوا" خطابًا للمؤمنين. [١٥٧] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قرئ: (يجمعون) بالغيب التفاتًا إلى معنى: "لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم ممن ترك القتال في سبيل الله تعالى لجمع الدنيا أو راجعًا للكفار". وقرئ: (تجمعون) بالخطاب جريًا على قوله: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ لانتظام آخر الكلام بأوله.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨- ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: بيان أن الحشر إليه تعالى غاية لكل أحد، مؤمنًا كان أو غير مؤمن، وعلى أي وجه قضى نحبه حسب تعلق الإرادة الإلهية؛ بالموت أو القتل. ١٥٩- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾: فبرحمة، و«ما» صلة، مزيدة للتوكيد، والدلالة على أن لينه معهم ما كان إلا برحمة من الله سبحانه. ﴿فَظًّا﴾: جافيًا وهو كريه الخُلق. ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: قاسي القلب، قال ابن عطية: وغلظ القلب: عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يشاور أصحابه، ليريهم أنه يستعين بهم، ويسمع من آرائهم، وقد كان غنيًا عنهم لتوفيق الله تعالى له بالوحي، ولكن لما في ذلك من الفضل، وحتى تتأسى بذلك أمته من بعده. قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت من الناس أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي، وأحمد وغيرهما، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن. ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾: لانصرفوا عنك وتركوك. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: امض لما أمرك به واستعن. ١٦٠- ﴿يَخْذُلْكُمْ﴾: يترك إعانتكم على عدوكم. ١٦١- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾: -بفتح الياء، وضم الغين- علم الله أن نبيه ﷺ لا يَغُل ولا يخون، واللفظة بمعنى الخيانة في خفاء. وقيل: الغلول من الغنم خاصة. وقُرئ «يُغَلُّ» بمعنى: يُخان في الفيء، يقال: أغلَّ الجازر، إذا سرق شيئاً من اللحم مع الجلد. ١٦٥- ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾: يعني: أو حتى أصابتكم ﴿مُّصِيبَةٌ﴾: من القتل يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: يوم بدر، من القتل والإسار ؟ ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: من أيِّ وجه أصابنا هذا ونحن مسلمون وهم مشركون؟ ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾: بخلافكم أمري وطاعتي، إذ أشار عليهم ﷺ ألا يخرجوا من المدينة إلى المشركين، فأبوا ذلك. وقيل: رغبتهم في الفداء في أسارى بدر، دون الإثخان في القتل.

[١٦١] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ الآية. أخرج أبو داود، والترمذي وحسنه، عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، فُقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ إلى آخر الآية». [١٦٥] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: «عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ الآية.

[١٦١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] كيف قال ذلك، وقد قال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤]؟ الجواب: معناه: يأتي به مكتوبًا في ديوانه، أو يأتي به حاملًا إثمه، ومعنى ﴿ فُرَٰدَىٰ ﴾ أي: منفردين عن أهل ومال وشركاء يتنصرون بهم. [١٦٤] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة : ١٦]، ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]، ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ [الفيل : ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّلَ يضلِّلُ تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ [الأعراف : ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومه: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف : ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ [الأعراف : ٦١].

[١٥٧، ١٥٨] ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مِتْنَا ﴾ - ﴿ مُتُّمْ ﴾ الماضي المتصل بضمير التاء أو النون أو الميم حيث جاء، قرئ: (مِتم) بكسر الميم، ووجهه أنه من لغة من يقول: مات يمات كخاف يخاف، والأصل موت بكسر عينه كخوف فمضارعه بفتح العين، فإذا أسند إلى التاء أو إحدى أخواتها، قيل: مِتُّ بالكسر ليس إلا، وهو أنَّا نقلنا حركة الواو إلى الميم بعد سلب حركتها دلالة على الأصل، ثم حُذفت الواو للساكنين. وقرئ: (مُتم) بضم الميم من مات يموت، ووجهها: أنه من فعل بفتح العين من ذوات الواو، وقياسه الضم للفاء إذا أسند إلى تاء المتكلم وأخواتها، إما من أول وهلة، أو بأن تبدل الفتحة ضمة ثم تنقل إلى الفاء، نحو: قلت: أصله قَوُلت بضم عينه، نقلت ضمة العين إلى الفاء فبقيت ساكنة وبعدها ساكن فحذفت. [١٦١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَغُلَّ ﴾ قرئ: (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين من (غل) مبنيًا للفاعل، أي: لا يصح أن يقع من نبي غلول ألبتة، فنفى الغلول عن النبي، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه أن يفعله، وقد ثبت أن الغلول وقع من غيره وهي الخيانة في المغانم، والمعنى: ما كان لنبي أن يخون من معه في الغنيمة، ففيه نفي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يخونوه في المغانم، وفيه معنى النهي عن فعل ذلك، ودل على هذا المعنى قوله: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ فمنه يعلم أنه كان في القوم غلول، ولكن كان التعبير كذلك تنزيهًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له أن يكون أحد من أمته. وقرئ: (يُغَل) بضم الياء وفتح الغين مبنيًا للمفعول إما من غل ثلاثيًا، أي: ما صح لنبي أن يخونه غيره، فهو نفي في معنى النهي أن لا يغله أحد نسب إليه الغلول بل هم المخطئون والمذنبون، والمعنى: ما كان لنبي أن يغال في الغنائم، قال جابر بن عبد الله: أنزلت هذه يوم بدر، وقال: وكان ناس غلوا فأنزلت فيهم فلم يخونوا بعد، وقيل: إن أصله (يغلل) أي: يخون، أي: ما كان النبي أن يخونه أصحابه لكن حذفت إحدى اللامات استخفافًا، والفعل على هذا منفي عن النبي صلى الله عليه وسلم كالقراءة بفتح الياء، أو من أغل رباعيًا، إما من أغله نسبة للغلول كأكذبته نسبة للكذب، فيكون نفيًا في معنى النهي كالأول أو من أغله، أي: وجده غالًا، كأحمدته، أي: وجدته محمودًا.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ
يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ
فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ
وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ
ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ
بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٧ - ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾: العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا، وقيل: رابطوا. ١٦٨ - ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾: فادفعوا. ١٦٩ - ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾: الشهداء أحياء عند الله تعالى، أرواحهم في حواصل طيرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش. تمنى الشهداء أن يعلم إخوانهم في الدنيا بما أفضوا إليه من رحمة الله عز وجل ونزلوا عليه، فقال الله عز وجل: «أنا أبلغهم عنكم»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾. ١٧٠ - ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم﴾: من إخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا معهم. ١٧١ - ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يفرحون بما رأوا من كرامة أعدها الله لهم. ١٧٢ - ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾: أصحابه رضي الله عنهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى «حمراء الأسد»: على بعد ثمانية أميال من المدينة، على ما كان بهم من الألم والجراح، بعد انصرافهم من أحد. وذلك حين بلغ رسول الله ﷺ أن أبا سفيان وأصحابه هموا بالرجوع؛ فأراد أن يرهبهم برسول الله ﷺ ويُريهم من نفسه وأصحابه قوة. ١٧٣ - ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: الناس الأول؛ قوم أمرهم أبو سفيان أن يُثبطوا رسول الله ﷺ، وهم ركب من عبد القيس مرّوا بأبي سفيان وأصحابه، فقال لهم أبو سفيان: بلِّغوا محمدًا أنا قد أجمعنا الرجعة على أصحابه لنستأصلهم، فلما مرّ الركب برسول الله ﷺ بحمراء الأسد، أخبروه بالذي قاله أبو سفيان. والناس الثاني: أبو سفيان والمشركون ﴿جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾: للكرَّة عليكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾: فاحذروهم.

[١٦٩] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ ﴾ الآية. روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن ابن عباس قال: رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ ﴾ الآية وما بعدها». وروى الترمذي عن جابر، نحوه. [١٧٢] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب» وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصغرى، وأنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه. فجاء الشيطان فخوف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه!! فقال: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلًا فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية.

[١٦٤] ﴿ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[آل عمران : ١٦٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة : ٦١، الجمعة : ٢]. زاد في آية آل عمران ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾، لأنه سبحانه مَنَّ على المؤمنين به فجعله من أنفسهم، ليكون موجب المنة أظهر، وكذلك في آية التوبة فقال: ﴿ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾: [التوبة : ١٢٨]، ليكون داعي الاستجابة والإيمان به أظهر، وسر التعبير بالأنفس أنه في مقام المنة، لأنه ما دام ﷺ من أنفسهم فهم أعزة عليه، وهو حريص عليهم، وهذا البيان يعني أن التعبير بالضمير في قوله: ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ لا يراد به هذا المعنى. قول آخر: إن قولك "فلان من أنفس القوم" أوقع في القرب من قولك "فلان منهم"... أمَّا ﴿ مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ فأخص... ولذلك وردت حيث قصد التعريف بعظيم النعمة به ﷺ على أمته، وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم ورأفته ورحمته بهم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾[التوبة : ١٢٨]، وقال تعالى فيمن كان على الضد من حال المؤمنين المستجيبين: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ ﴾ [النحل: ١١٣]، فتأمل موقع قوله هنا ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ لما قصد أنه إنعام عليهم لم يوفقوا المعرفة قدره ولا للاستجابة المثمرة النجاة، فقيل هنا: ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾... فتأمل هذا. ولما كان لفظ الآيتين يتناول قريشًا وغيرهم من العرب ممن ليس من أهل الكتاب قيل: ﴿ مِّنۡهُمۡ ﴾ فناسبت هذه الكناية عموم الأميين من العرب ممن أسلم ومن لم يسلم، ولما قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فخص من أسلم ناسب ذلك قوله: ﴿ مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾، لخصوصه كما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب.

[١٦٧] ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران : ١٦٧]، ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ [الفتح : ١١]. قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم ﴾ بآل عمران ينبئ عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أو قصد لا يحصل منه قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾، ولما كان المراد بآية آل عمران الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أبي وأصحابه ممن استحكم نفاقه وتقرر، فناسب الإبلاغ في قوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم ﴾ ما انطووا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، وأمَّا آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن قال الله فيهم: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات : ١٤]، وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين، وإنما أخل بهم قرب عهدهم بالكفر وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين، فعبر ﴿ بِأَلۡسِنَتِهِم ﴾ إشعارًا بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آل عمران.

[١٦٧] ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧]، ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾[المائدة : ٦١]. زاد ﴿ كَانُواْ ﴾ في آية المائدة، لأنها نزلت في حادثة عين في ناس من اليهود كانوا يدخلون على الرسول ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقًا، فأخبره الله عز وجل بشأنهم، وآية آل عمران عامة في المنافقين. [١٦٩] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤]، ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [آل عمران:١٦٩]. آية البقرة تأتي بعد أمر =

[١٦٣] ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٣]. أي: ذوو درجات، فإن قيل: الضمير في هم يعود على الفريقين، وأهل النار لهم دركات، لا درجات؟ الجواب: الدرجات تستعمل في الفريقين، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأنعام : ١٣٢]، وإن افترقا عند المقابلة في قولهم: المؤمنون في درجات، والكفار في دركات. [١٦٨، ١٦٩] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ وبعده ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وآخر السورة ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وفي "الأنعام : ١٤٠": ﴿قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ وفي "الحج : ٥٨": ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ﴾، قرئ: بالتخفيف عن الأصل. وقرئ: بالتشديد لإرادة التكثير، لأن المقتولين كُثُر.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

١٧٤- ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾: النبي ﷺ، وأصحابه رحمهم الله ورضي الله عنهم. ﴿بِنِعۡمَةٖ﴾: بعافية وأجر ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: قتل. ١٧٥، ١٧٦- ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: أي من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه المخبرين به. ﴿حَظّٗا﴾: نصيباً. ١٧٧- ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: أي: استبدلوا الكفر بالإيمان. ١٧٨- ﴿نُمۡلِي﴾: نُطوِّل في العمر، والإنساء؛ أي التأخير، في الأجل. ١٧٩- ﴿لِيَذَرَ﴾: ليدع المؤمنين. ﴿ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: المؤمن المخلص من المنافق. ﴿يَجۡتَبِي﴾: يختار ويصطفي ويخلصهم لنفسه. ١٨٠- ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾: «البخل» -هاهنا-: منع الزكاة ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم؛ كهيئة الأطواق المعروفة. قيل: يطوّق بشجاعٍ أقرع، من أسوأ أنواع الحيّات. وفي الحديث المتفق عليه: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثلماله بشجاع أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة. فيأخذ بلهزمتيه، يعني بشِدْقَيه، فيقول: أنا مالك، أنا كنزُك. ثم تلا هذه الآية. وقيل: طوق من نار. ﴿مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الميراث المعروف: هو ما انتقل من ملك إلى ملك.

= المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة لإقامة الدين، فكأنما قيل: إن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فقتلوكم فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم، بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندي، وكان المسلمون لا يعرفون هذا الأمر ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾، وقد ذكر أهل التفسير أنها نزلت في قتلى بدر، وأن الكفار والمنافقين قالوا: إن الناس يقتلون أنفسهم طلبًا لمرضاة محمد ﷺ من غير فائدة، فنزلت هذه الآية. [١٨٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران : ١٨٢، الأنفال : ٥١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في آل عمران والأنفال، وهي تبين أن ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدَّمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله ليس بظلام للعبيد. [١٨٤] ﴿فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [آل عمران : ١٨٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [الأنعام : ٣، فاطر : ٤]. سُبقت كلمة ﴿كُذِّبَ﴾ في موضعها الموضح في الآيات "١٨١، ١٨٤، من سورة آل عمران" أدناه بالكلمات المذكورة "الله-الذين-أغنياء-أنبياء-العبيد-عذاب-الحريق-قربان"، فناسب ذكر تذكيرها "أي: عدم إضافة حرف التاء -تاء التأنيث-"، إلى كلمة ﴿كُذِّبَ﴾، أيضًا سُبقت كلمتا ﴿كُذِّبَ رُسُلٞ﴾، بكلمتي ﴿جَآءَكُمۡ رُسُلٞ﴾ [آل عمران : ١٨٣]، وليس "جاءتكم رسل" فناسب التذكير التذكير، وأتبعت جملة ﴿كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ بجملة ﴿جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ في نفس الآية، فناسب التذكير ﴿جَآءُو﴾ التذكير ﴿كُذِّبَ﴾، أمّا الكلمة الثانية ﴿كُذِّبَتۡ﴾، فقد سُبقت كلمتا ﴿كُذِّبَتۡ رُسُلٞ﴾ في سورة الأنعام بكلمة ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام:٣١]، فناسب التأنيث ﴿جَآءَتۡهُمُ﴾ التأنيث ﴿كُذِّبَتۡ﴾، أمّا في سورة فاطر: فقد سُبقت كلمتا ﴿كُذِّبَتۡ رُسُلٞ﴾ بكلمات مؤنثة "السماوات-الأرض-الملائكة-أجنحة-رحمة-السماء-الأرض-نعمة"، فناسب التأنيث التأنيث.

[١٨٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ما الفرق بين: "ظلوم، ظلام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلوم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلّام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعول) والثانية على وزن (فعّال). وردت كلمة (ظلوم) وصفًا للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلّام) وصفًا منفيًا عن الله تعالى. لم اختصاص كلٍّ بما ذُكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والحمية والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسبًا أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلوم وجهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أُمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلوم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصفٌ آخر فيه مبالغة (كفّار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلوم موسيقيًا، كما أنه شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كليهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلّام) فقد جاءت وصفًا منفيًا عن الذات الإلهية، وذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلّام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلّام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالبًا. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استُخدمت كلمة (ظلّام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حدٍّ للظلم وهو (ظلّام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلى على ذنب فليس بظلام أبدًا.

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾ قوله تعالى: ﴿تَحۡسَبَنَّ﴾ قرئ: (يحسبن) بالغيب، والفاعل على الغيب ضمير الرسول أو من يصلح للحسبان فـ(الذين) مفعول أول، و(أمواتًا) ثان، أو فاعله (الذين)، والمفعول الأول: محذوف، أي: "ولا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتًا". وقرئ: (تحسبن) بالخطاب، أي: يا محمد أو يا مخاطب. [١٧١] ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ﴾ قرئ: (إن) بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرئ: (أن) بالفتح عطفًا على (نعمة) أي: وعدم إضاعةِ الله أجرَ المؤمنين. [١٧٦] ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَحۡزُنكَ﴾ ـ و﴿يَحۡزُنُهُمُ﴾ ـ و﴿يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ﴾ حيث وقع في القرآن، قرئ: (يُحزِنك) بضم التاء وكسر الزاي من أحزن رباعيًا، وقرئ: (يَحزُنك) بفتح الياء وضم الزاي، وكل ذلك من حزن ثلاثيًا. [١٧٨، ١٨٠] ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ـ و﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ قرئ: (تحسبن) بالخطاب فيهما والخطاب له صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد، و(الذين كفروا) مفعول أول، و(إنما نملي) بدل منه سد مسد المفعولين، ولا يلزم منه أن تكون عملت في ثلاثة، إذ المبدل منه في نية الطرح، و(ما) موصولة، أو مصدرية، أي: "ولا تحسبن أن الذي نمليه للكفار أو إملاءنا لهم خير لهم"، وأما الثاني: فيقدر فيه مضاف، أي: "لا تحسبن بُخْل الذين يبخلون خير"، "فبخل، وخيرًا" مفعولان. وقرئ: (يحسبن) بالغيب فيهما مسندًا إلى الذين فيهما و(إنما) في الأول: سدت مسد المفعولين، ويقدر في الثاني مفعول دل عليه يبخلون أي: "لا يحسبن الباخلون بخلهم خيرًا لهم". [١٧٩] ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ هنا، وفي الأنفال: ٣٧، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾ قرئ: (يُمَيِّز) بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء الثانية مشددة فيهما من ميَّز. وقرئ: (يَمِيْز) بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعدها من ماز يميز مثل كال يكيل، ويقال: ميز يميز، كقتل يقتل، وفي التشديد معنى التكثير فهما لغتان. [١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ قرئ: (يعملون) بالغيب جريًا على يبخلون، وسيطوقون ما بخلوا به. وقرئ: (تعملون) بالخطاب على الالتفات، أو ليناسب قوله: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ﴾.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

١٨١ - ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: نزلت في بعض اليهود، لأنهم قالوا: يستقرضنا ربُّنا أموالنا، وليس يستقرض إلا الفقير من الغني!! ١٨٢ - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي عذبهم عذاب الحريق بما أصابوا هم بأنفسهم من الذنوب، فجازاهم على فعلهم، فلم يكن ذلك ظلمًا لأن ﴿اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾. ١٨٣ - ﴿بِقُرْبَانٍ﴾: هو ما تقرب به العبد إلى الله؛ من صدقة أو ذبح، على وزن: عدوان وخسران. ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: كانت النار تنزل فتأكل ما تقرَّب به بنو إسرائيل إذا تقبِّل ذلك منهم. ١٨٤ - ﴿وَالزُّبُرِ﴾: جمع زبور، وهو الكتاب. وكل كتاب، فهو زبور. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح الجلي المضيء. ١٨٥ - ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾: الزحزحة: التنحية والإبعاد. ﴿فَازَ﴾: نجا. ١٨٦ - ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ...﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ وأمّته عمَّا سيلقونه من الكفرة والفسقة والمنافقين، ليوطنوا أنفسهم على الثبات والصبر على المكاره. والمعنى: سوف تمتحنون وتختبرون في أموالكم بالنقص ونحوه، وفي أنفسكم بفقد الأحباب والقتل في سبيل الله، ونحو ذلك. ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: مما عزم الله عز وجل عليه، وأمركم به. وقيل: إن ما أرشد الله تعالى إليه من الصبر والتقوى، يحتاج من المكلّف إلى العزيمة وقوة الإرادة. و«عزم الإرادة» بهذا المعنى هي التي يحتاج إليها الخلُق، أو يقوم عليها علم الأخلاق. [١٨١] قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيًا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه» فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال «يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟» قال: يا رسول الله لقد قال قولًا عظيمًا يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فجحد فنحاص، فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ الآية. [١٨٦] قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية. روى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، بسند حسن عن ابن عباس: «أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ وذكر عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: «أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر». [١٨٤] ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. آية فاطر مكية، فهي متقدمة على آية آل عمران المدنية في النزول، والاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان يختلف فيما بين أهل مكة وأهل المدينة، فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة، فعلى هذا فالمقام مع أهل مكة يقتضي التأكيد في المعاني لتقريرها ورسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها، فأشعر تكرار حرف الجر بتكرار المتعلق، وخلا التعبير المدني المتمثل في آية آل عمران من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه. [١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أي: أجسادها، إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت في حال موتها؛ لأن الحياة شرط في الرزق، وسائر الإدراكات، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، معناه: حين موت أجسادها. [١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧] زاد في آية العنكبوت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي، لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار، وجاء بالواو في آية الأنبياء؛ لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي. [١٨١] ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]. قال ذلك مع أنهم كانوا في زمن النبي ﷺ، وما قتلوا أنبياء قط، الجواب: لكنهم لمَّا رضوا بقتل أسلافهم أنبياءهم نُسب الفعل إليهم. [١٨٢] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]. ظلاّم صيغة مبالغة من الظلم، ولا يلزم من نفيها نفيه، مع أنه منفي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. الجواب: صيغة المبالغة هنا لكثرة العبيد، لا لكثرة الظلم، كما في قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح: ٢٧]، إذ التشديد فيه لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل، أو الصيغة هنا للنسبة، أي: لا يُنسب إليه ظلم، فالمعنى: ليس بذي ظلم. [١٨٣] ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]. لماذا جاء الفعل في آل عمران مذكرًا وجاء مؤنثًا في الأعراف؟ الجواب: يؤنث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذَكَّرُ الفعل، لذلك استخدم الفعل ﴿جَاءَكُمْ﴾ في آية آل عمران، لأن الآية تتحدث عن رسل بني إسرائيل فقط، وفي الأعراف استخدم الفعل ﴿جَاءَتْ﴾ مؤنثًا، لأن المذكورين فيها جميع الرسل، وهم أكثر من آية آل عمران، لذلك جاء الفعل مؤنثًا. [١٨١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ - ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ - ﴿وَنَقُولُ﴾ قرئ: (سيُكتَب) بياء مضمومة وفتح تائه مبنيًا للمفعول ورفع لام (قتلُهم) عطفًا على (ما) الموصولة النائبة عن الفاعل، و(يقول): بياء الغيبة. وقرئ: (سنكتُب) بالنون المفتوحة وضم التاء بالبناء للفاعل في سنكتب، ونصب (قتلَهم) بالعطف على (ما) المنصوبة المحل على المفعولية، و(نقول) بالنون للعظمة. [١٨٤] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ﴾ قرئ: (بالبينات وبالزبر) بزيادة باء موحدة بعد الواو كرسمه في مصحف الشام، وهشام وخلف عنه بزيادتها أيضًا في: وبالكتاب، والباء ثابتة في مصحف المدينة في الأولى محذوفة في الثانية، فزيادة الباء للتأكيد وحذفها لعدم الضرورة؛ لأن حرف العطف أغنى عن إعادة حرف الجر كما تقول: مررت بزيد وخالد وعمرو. [١٨١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما، ولفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة: أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن. [١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

١٨٧ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾: وإذ أخذ الله تعالى العهد على اليهود والنصارى لَيُبَيِّنُنَّ ما في كتابهم من صفة محمد ﷺ ولا يكتمونه فتركوا ذلك ونبذوه ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: جحدوا أمر محمد ﷺ وكتموا اسمه، وأخذوا به طمعاً ونقيراً قليلًا. ١٨٨- ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾: قيل: هم المنافقون الذين كانوا يقولون لو قد خرجت خرجنا معك، فإذا خرج تخلفوا عنه، ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة. وقالت جماعة كثيرة من المفسّرين: نزلت الآية في اليهود. ثم اختلفوا في: ما الذي أتوه؟ وكيف أحبوا المحمدة؟ قال ابن عباس: سالهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنْ قد أخبروه بما سالهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا مِن كتمان ما سالهم عنه. أخرجه البخاري ومسلم. اي أن ابن عباس رضي الله عنهما ربط الآيتين ١٨٧ – ١٨٨. واختلف في ذلك. ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاة. ١٩١- ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا﴾: في صلاتهم ﴿وَقُعُودًا﴾: في تشهدهم، وفي غير صلاتهم ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: وهي حالات ابن آدم كلها ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾: عبثاً ولا لعباً، بل ما خلقته، إلا لأمر عظيم. ١٩٢- ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: فضحته. وقيل: هو المخلد فيها، أي في النار، والمؤمن لا يُخزى إذا صار إلى الجنة، وإن عذب بالنار بعض العذاب، وإنما يُخزى الخالد فيها. ١٩٣- ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: هو -هاهنا-: القرآن؛ إذ ليس كل المسلمين لقي محمداً ﷺ. ﴿فَـَٔامَنَّا﴾: صدَّقنا ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: احشرنا واجعلنا ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: الذين برُّوا الله بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى رضي عنهم. ١٩٤- ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: على ألسنتهم، وقيل: على تصديقهم. والموعود به على ألسنتهم هو الثواب الذي وعد الله به أهل طاعته.

[١٨٨] قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ الآية. روى الشيخان، وغيرهما، من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف: «أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب؛ سالهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سالهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما اتوا من كتمان ما سالهم عنه». [١٩٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية. أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فليتفكروا فيها».

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ... ﴾ [البقرة : ١٦٤]، ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠]. الآيتان تتحدثان عن خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وتعاقُب الليل والنهار واختلافهما طولًا وقِصَرًا، وآية البقرة تَعرض المزيد من الآيات الكونية التي تدل على وحدانية الله، وجليل نعمه...، وأمَّا آية آل عمران فتوضح أن هذه الآيات الكونية تشتمل على دلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله لأصحاب العقول السليمة.

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ما فائدة ﴿ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ بعد ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾، مع أنه معلوم منه؟ الجواب: فائدته التأكيد، أو المعنى لتبيننه في الحال ولا تكتمونه في المستقبل. [١٩٢] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٩٢]. هذا يقتضي خِزي كل مَن يدخلها، وقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم : ٨]، يقتضي انتفاء الخزي عن المؤمنين، فلا يدخلون النار؟ الجواب: أخزى في الأول من الخِزي، وهو الإذلال والإهانة، وفي الثاني من الخزاية، وهي النكال والفضيحة، وكل مَنْ يدخل النار يذل، وليس كل من يدخلها يُنكل به، فالمراد بالخِزي الأول الخلود، وفي الثاني تَحِلَّة القَسم أو التطهير، بقدر ذنوب الداخل. [١٩٣] ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى ﴾ [آل عمران : ١٩٣]. المسموع النداء لا المنادي. فإن قيل: لما قال: ﴿ مُنَادِيًا يُنَادِى ﴾، صار معناه: نداء منادٍ، كما يقال: سمعت قوله، أي: سمعت زيدًا يقول كذا، فـ"مناديًا" مفعول "سمع"، و"ينادي" حال دالة على محذوف مضاف للمفعول. [١٩٣] ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [آل عمران : ١٩٣]. كيف قال الثاني مع أنه معلوم من الأول؟ الجواب: المعنى مختلف؛ لأن الغفران مجرد فضل، والتكفير محو السيئات بالحسنات. [١٩٤] ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٩٤]. أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما فائدة الدعاء، مع علمهم أنه لا يخلف الميعاد؟ الجواب: فائدته العبادة؛ لأن الدعاء عبادة، مع أنّ الوعد من الله للمؤمنين عام، يجوز أن يُراد به الخصوص، فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد.

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ قرئ: (ليبيننه - يكتمونه) بالغيب فيهما إسنادًا لأهل الكتاب لأن المخبر عنه غائب وليناسب قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فهو لفظ غيبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾. وقرئ: (لتبيننه - تكتمونه) بالخطاب على الحكاية، أي: وقلنا لهم، ونظيره ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ولما كان أخذ الميثاق في معنى القسم جاء باللام والنون في الفعل الأول، والقراءة بتاء الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ في "آل عمران" فرجع إلى الخطاب، ولو حمله على ما قبله لقال: آتيتهم، وكذلك في القراءة بالتاء معنى توليد الأمر؛ لأن التاء للمواجهة فتقدير الكلام هنا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فقال لهم: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾. [١٨٨] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ - ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم ﴾ قرئ: (يحسبَن - يحسبُنهم) بالغيب فيهما وفتح الباء في الأولى وضمها في الثاني، والفعل الأول مسند إليه ﷺ أو غيره، و(الذين) مفعول أول، والثاني (بمفازة) أي: "لا يحسبن الرسول الفرحين ناجين". والفعل الثاني: مسند إلى ضمير الذين، =

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠]. تعاقب الليل والنهار: الليل والنهار يتعاقبان على الأرض بانتظام دون انقطاع، مع تغيرات في حال الظلمة والضياء كلّ يوم، تغيرات في أماكن الشروق والغروب، مع طول وقصر زمني الليل والنهار من يوم لآخر، وقد عبر الله تعالى عن كل هذه التغيرات بعبارة واحدة وردت في كثير من آيات القرآن الكريم، وهي قوله: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٩٥- ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: الذكور والإناث سواء في المجازاة على الأعمال. وهذا التعبير القرآني الذي يعني: الذكور من الإناث، والعكس.. يشير كذلك إلى مبدأ المساواة بين الرجال والنساء في الأهلية والتكليف. ١٩٦- ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: تصرفهم، وتقلبهم في البلاد بالأسفار للتجارة التي يتوسعون بها في معاشهم، فهو متاع قليل يتمتعون به في هذه الدار ثم مصيرهم إلى النار. ١٩٧- ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: لا اعتداد به بالنسبة إلى ثواب الله تعالى، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: يأوون إليها، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم. ١٩٨- ﴿نُزُلًا﴾: إنزالاً. والنزل: ما يهيأ للنزيل، أو المنزل الذي يأوون إليه. ١٩٩- ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: إلى آخر الآية- قيل: نزلت في النجاشي ملك الحبشة، وقوم من أصحابه؛ وقد كان آمن. ٢٠٠- ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾: على دينكم، ﴿وَصَابِرُوا۟﴾: الكفار على الجهاد، ﴿وَرَابِطُوا۟﴾: أصل «الرباط»: ارتباط الخيل، ثم أطلق على الإقامة في الثغور وملازمتها ترصداً واستعداداً للغزو والجهاد، وهو- هاهنا-: الجهاد، ومن الرباط: انتظار الصلوات في المساجد، فالرباط ملازمة الثغور وملازمة المساجد كما ورد في الصحيح.

[١٩٥] قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والترمذي، والحاكم، وابن أبي حاتم، عن أم سلمة: أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ إلى آخر الآية.
[١٩٩] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. روى النسائي عن أنس قال: «لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ «صلوا عليه» قالوا: يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾».

[١٩٧] ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران:١٩٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ الوحيدة في القرآن في آية آل عمران، لأنه سبقها: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾، والقليل يدل على التراخي وإن صغر وقل، فناسبه أن يأتي بـ﴿ثُمَّ﴾.
[١٩٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ...﴾ [آل عمران : ١٩٨]، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ ...﴾ [الزمر : ٢٠]. الآيتان تتحدثان عن المتقين الذين خافوا ربهم، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وآية آل عمران تبين ما أعدَّ الله لهم من جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار...، وأمَّا آية الزمر فتوضح أن لهم في هذه الجنات غرفًا مبنية بعضها فوق بعض.. قال ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. فإن سألت عن أرضها وتربتها: فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها: فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاطها: فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبائها: فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها: فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن أشجارها: فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب. وإن سألت عن ثمرها: فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها: فأحسن ما يكون من رقائق الحلل...

[٢٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبر"؟
الجواب: وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات، فما حكمة التنويع بين الصيغ الثلاث؟ **والجواب**: أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة. قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذًا أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) وليس العكس. أما (اصطبر) فهي على وزن (افتعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصرفي وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاولة والتتابع والاستمرار. [٢٠٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ٢٠٠]. الصبر: حال الصابر نفسه، والمصابرة: مقاومة الخصم فهي مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين والمرابطة: الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، وكما أن المرابطة لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو عليه، فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان. وقد يصير العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، ولهذا أمر به في هذا الموضع.

= ومن ثم ضمت الباء لتدل على واو الضمير المحذوفة لسكون النون بعدها، فمفعوله الأول والثاني محذوف تقديره كذلك، أي: "فلا يحسبن الفرحون أنفسهم ناجية" والفاء عاطفة. وقرئ: (تحسبَن - تحسبَنَّهم) بتاء الخطاب فيهما وفتح الباء فيهما معًا إسنادًا فيها للمخاطب، والثاني: تأكيد للأول، والفاء زائدة، أي: "لا تحسبن الفرحين ناجين لا تحسبنهم كذلك". وقرئ: (يحسبَن - تحسبَنَّهم) بياء الغيب في الأول، وتاء الخطاب في الثاني، وفتح الباء فيهما بإسناد الأول إلى الذين، والثاني إلى المخاطب. [١٩٥] ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ وفي "التوبة : ١١١" ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرئ بتقديم: (قتلوا) وتقديم (يقتلون) الفعل المبني للمجهول فيهما، وتوجيه ذلك أن الواو لا تفيد ترتيبًا، أو على التوزيع لأن منهم من قتل ومنهم من قاتل. وقرئ: بتقديم: (قاتلوا) وتقديم (يقتلون) بتقديم الفعل المسمى للفاعل فيهما، وذلك لأن القتال عادة يكون قبل القتل.
[١٩٦] ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغُرَّنَّكَ﴾ هنا، و﴿يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ بالنمل : ١٨، و﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ بالروم:٦١، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ .... أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ الزخرف ٤١-٤٢، قرئ: (يغرنْك - يحطمنْكم - يستخفنْك - نذهبنْ - نرينْك) بتخفيف النون مع سكونها في الخمسة على أنها نون التوكيد الخفيفة، واتفق على الوقف لمن خفف بالألف بعد الباء من (نذهبن) على أصل نون التوكيد الخفيفة. وقرئ: (يغرنَّك - يحطمنَّكم - يستخفنَّك - نذهبنَّ - نرينَّك) بالتشديد في الكل على الكثير في التوكيد. [١٩٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ هنا وفي الزمر : ٢٠، قرئ: (لكنَّ) بتشديد النون فيهما، فالموصول محله نصب. وقرئ: (لكنِ) بالتخفيف، فالموصول رفع بالابتداء، وقيل: يجوز إعمالها مخففة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

سورة النساء

١- قوله عز وجل: ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: آدم عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾: حواء خُلقت من ضلع آدم، وقيل: منها: من جنسها. ﴿وَبَثَّ﴾: نشر ﴿تَسَآءَلُونَ﴾: تتعاقدون وتتعاهدون؛ من قول السائل للمسؤول؛ أسألك بالله والرحم، ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وصلوها. ﴿رَقِيبٗا﴾: حفيظاً. ٢- ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾: أسلموا إليهم أموالهم إذا بلغوا الحلم، وآنستم منهم الرشد، ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾: خوطب به الأوصياء، ونهوا أن يستبدلوا الحرام عليهم من أموال اليتامى بالطيب الحلال. وقيل: كان الرجل يأخذ من غنم يتيمه شاة ويجعل مكانها دونها، ويأخذ الشاء الجيد ويجعل مكانه الرديء. وفيه اختلاف. ﴿إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾: بمعنى: مع أموالكم. ﴿حُوبٗا﴾: إثماً، من حاب الرجل يحوب؛ إذا أثم، وتحوَّب؛ إذا تأثم، والتحوُّب: التحرُّج من الفعل. ٣- ﴿تُقۡسِطُواْ﴾: تعدلوا ﴿فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ قيل: هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها أو مالها ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلها. وفيه اختلاف. ﴿أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾: بينهنَّ ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾: أقربُ ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾: يُقال: عال، إذا مال وجار، أي: ذلك أقرب إلى ألا تجوروا وتميلوا عن الحق. ٤- ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: مهورهن ﴿نِحۡلَةٗ﴾: عطية واجبة، وفريضة لازمة. و«نحلت فلاناً»: أعطيتُه. ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾: من غير إضرار بهن، ولا خديعة لهن. ﴿هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾: بمعنى: دواء شافياً، من هنأت البعير بالقطران: إذا عُولج من الجرب. وقيل: إن الهنيء والمريء من هَنؤ الطعام ومرؤ؛ إذا كان سائغاً ولا تنغيص فيه. وذلك عبارة عن التحليل، والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة. ٥- ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾: كل من لا يحسن تدبير المال، ولا يهتدي إلى وجوه النفع التي تصلحه، ووجوه الضرر التي تهلكه. وفيه اختلاف. ﴿قِيَٰمٗا﴾: أي: قوام معايشكم. والقيام والقوام. ما يقيمك وينعشك. ٦- ﴿وَٱبۡتَلُواْ﴾: اختبروا عقولهم، وأفهامهم، وصلاحهم ﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: الحلم. ﴿ءَانَسۡتُم﴾: أحسستم ورأيتم ﴿رُشۡدٗا﴾: صلاحاً في عقولهم، وإصلاحاً في أموالهم ﴿إِسۡرَافٗا﴾: أصل «الإسراف»: تجاوز الحد المباح، يستعمل في الإفراط والتقصير. ﴿وَبِدَارًا﴾: مبادرة ﴿أَن يَكۡبَرُواْ﴾: ويحتازوا أموالهم. ﴿فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾: فليستغن بماله ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بالسلف؛ فإن أيسر قضاه، وإن حضره الموت ولم يوسر تحلله منه. وقيل: «المعروف» -هاهنا-: ما سد جوعته ووارى عورته. وفيه اختلاف. ﴿فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾: الشهود ﴿حَسِيبٗا﴾: شاهداً ومحاسباً، أو: كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض.

[٤] قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: «كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، وأنزل ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾».

[١] ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ [النساء : ١]. أي: حواء. فإن قيل: إذا كانت مخلوقة من آدم، ونحن مخلوقون منه أيضًا، تكون نسبتها إليه نسبة الولد، فتكون أختًا لنا، لا أمًّا؟ الجواب: خلقُها من آدم لم يكن بتوليد، كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه ثبوت حكم البنتيّة والأختية فيها. [٢] ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ [النساء : ٢]، ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٢]. آية سورة الأحزاب مقصورة على الرسول ﷺ، والحكم مقصور عليه ﷺ، أما الآية الثانية فهي آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين، وليس مقصورًا على أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة، لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة "تبدّل"، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة "تتبدلوا". [٢] ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ... ﴾ فوائد تعدد الزوجات: ١- أن النكاح سبب للصلة والارتباط بين الناس، وقد جعله الله تعالى قسيمًا للنسب، فتعدد الزوجات يربط بين أسرٍ كثيرة، ويصل بعضهم ببعض، وهذا أحد الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعدد من النساء. ٢- أنه قد يكون ضروريًا في بعض الأحيان، مثل : أن تكون الزوجة كبيرة السن، أو مريضة لو اقتصر عليها لم يكن له منها إعفاف، وتكون ذات أولاد منه، فإن أمسكها خاف على نفسه المشقة بترك النكاح، أو ربما يخاف الزنا، وإن طلقها فرق بينها وبين أولادها، فلا تزول هذه المشكلة إلا بحل التعدد. ٣- يترتب عليه صون عدد كبير من النساء، والقيام بحاجتهن من النفقة والمسكن وكثرة الأولاد، والنسل، وهذا أمر مطلوب للشارع. ٤- من الرجال من يكون حاد الشهوة لا تكفيه الواحدة ، وهو تقي نزيه، ويخاف الزنا، ولكن يريد أن يقضي وطراً في التمتع الحلال، فكان من رحمة الله تعالى بالخلق أن أباح لهم التعدد على وجه سليم. ٥- وقد يظهر بعد الزواج عقم المرأة، ويكون الحل هو طلاقها، فإذا كان له سعة في الزواج من غيرها فلا يقول عاقل إن طلاقها أفضل. ٦- وقد يكون الزوج كثير السفر أو الغربة، فيحتاج إلى إحصان نفسه في غربته. ٧- كثرة الحروب، ومشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى سبب في قلة الرجال وكثرة النساء، وهذا الأمر تحتاج معه النساء إلى من يستر عليهن، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالزواج. ٨- وقد يعجب الرجل بامرأة أو بالعكس بسبب الدين =

[١] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَسَآءَلُونَ ﴾ قرئ: (تَسَاءلون) بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، وأصله: تتساءلون. وقرئ: (تسَّاءلون) بالتشديد على إدغام تاء الفاعل في السين، وأصله: تتساءلون، أبدلت التاء الثانية سينًا فرارًا من تكرار المثل، وأدغمت في السين. قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ قرئ: (والأرحامِ) بكسر الميم عطفًا على الضمير المجرور في (به) على مذهب الكوفيين، أو أعيد الجار وحذف للعلم به، وجر على القسم تعظيمًا للأرحام حثًا على صلتها. وقرئ: (والأرحامَ) بالفتح عطفًا على لفظ الجلالة أو على محل (به) كقولك: مررت به وزيدًا، وهو: من عطف الخاص على العام، إذ المعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. [٣] ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَوَٰحِدَةً ﴾ قرئ: (فواحدةٌ) برفع التاء على الابتداء والمسوغ اعتمادها على فاء الجزاء والخبر محذوف، أي: كافية أو خبر لمحذوف، أي: فالمقنع واحدة، أو فاعل لمحذوف، أي: فيكفي واحدة. وقرئ: (فواحدةً) بنصب التاء، أي: فاختاروا أو انكحوا واحدة. [٥] ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ قِيَٰمٗا ﴾ قرئ: (قيمًا) بغير ألف هنا وكذلك في المائدة : ٩٧، (قيامًا للناس) على أن "قيمًا" مصدر كالقيام وليس مقصورًا منه، وقيل: على أنه جمع قيمة كديمة وديم، والمعنى: "أموالكم التي جعل الله لكم قيمة لأمتعتكم ومعايشكم" والله أعلم. وقرئ: (قيامًا) بالألف فيهما مصدر قام، أي: التي جعلها الله تعالى سبب قيام أبدانكم، أي: بقائها.

نزول سورة النساء: نزلت بعد سورة الممتحنة، وهي مدنيّة بإجماع القُراءِ. عدد كلمات سورة النساء: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون. عدد حروف سورة النساء: ستّة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً. أسماء سورة النساء: سورة النِّساءِ الكبرى، لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من =

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧- ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾: عنى بذلك: الذكور من أولاد الميت. ﴿ وَلِلنِّسَآءِ ﴾: للإناث منهم ﴿ نَصِيبٌ ﴾: حصة. وكان من العرب مَنْ لا يورث النساء، ويقول: لا يرث إلا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف. ٨- ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾: الآية مخاطبة للوارثين، والمعنى: إذا حضر قسمتكم لمال موروثكم هذه الأصناف الثلاثة، - قيل: وأولوا القربى ممن لا يرث - فارزقوهم منه. وقيل: الخطاب في الآية للمحتضرين الذين يقسمون أموالهم بالوصية، وحضرهم من لا يرث.. ﴿ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾: خيراً ودعاء، لهم بالرزق والخير ونحو ذلك، وكانوا يقولون لهم: بورك فيكم. ٩- ﴿ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾: عدلاً. ١٠- ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ ﴾: مأخوذ من الصلاء؛ وهو الاصطلاء بالنار والتسخُّنُ بها. ﴿ سَعِيرًا ﴾: شدة حر جهنم. و«سعيراً» بمعنى: مسعور، من سعرت النار: أوقدت وأشعلت. واستعرت الحرب: اشتدت. والسعير أيضًا: اسم من أسماء جهنم. ١١- ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾: يعهد إليكم ويأمركم. ﴿ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾: في شأن ميراثهم. والأولاد: جمع ولد، وهو كل مولود ذكرًا كان أو أنثى.

[٧] قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾ أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابنًا صغيرًا فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذوا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول فنزلت ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ ﴾ الآية». [١١] قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: «عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئًا، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾» وأخرج أحمد، وأبو داود والترمذي، والحاكم عن جابر قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتل أبوهما معك في أُحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالًا، ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث».

[٥، ٨] ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥]، ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٨]. لماذا حذفت ﴿ وَٱكْسُوهُمْ ﴾ في الآية الثانية؟ الجواب: لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾، إنما المراد به السفيه المتصير إليه المال بإرث ولا يحسن القيام عليه، فيحجر عليه ماله إبقاءً عليه، ولا يمكَّن منه إلا بقدر ما يأكله ويلبسه، فالنهي إنما هو للأوصياء، ونسبة المال إليهم مجازًا بما لهم فيه من التصرف والنظر، أمَّا الآية الأخرى فليست فى شأن أحوال السفهاء وحكمها، وإنما المراد بها المقتسمون لميراث يخصهم لا حق فيه لغيرهم، فيحضرهم قريب فقير ويتيم محتاج ومسكين، فندبوا إلى التصدق عليهم والإحسان، لا لحق هؤلاء في المال، فمن أين تلزم كسوتهم والتنصيص عليها؟ إنما نُدبوا إلى الإحسان إليهم بالعفو مما يخف عليهم، وسع ذلك كسوتهم أو لم يسع، فافترق مقصد الآيتين، وجاء كلٌّ على ما يناسب.

= أو الخلق، فيكون الزواج هو الطريق الشرعي للقاء كل منهم بالآخر. ٩- وقد يحدث خلاف بين الزوجين، ويتفرقان بالطلاق، ثم يتزوج الرجل، ويرغب بالعودة إلى امرأته الأولى، فهنا يأتي تشريع التعدد حلًا حاسمًا لمثل هذه الحالة. ١١- والأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى كثرة النسل لتقوية صفوفها والاستعداد لجهاد الكفار، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الزواج من أكثر من واحدة وكثرة الإنجاب. ١٢- ومن حِكَم التعدد تفرغ المرأة في غير نوبتها لطلب العلم وقراءة القرآن، وتنظيف بيتها، وهذا لا يتيسر - غالبًا - للمرأة ذات الزوج غير المعدِّد. ١٢- ومن حِكَم التعدد زيادة الألفة والمحبة بين الزوج ونسائه، إذ لا تأتي نوبة الواحدة منهن، إلا وهو في شوق لامرأته، وهي كذلك في اشتياق له... وغير ذلك من الفوائد، والمسلم لا يشك لحظة أن في تشريع الله حكمة بالغة، وأعظم حكمة هو الامتثال لأمر الله وطاعته فيما حكم وأمر. [٨] ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[النساء : ٨]. ويؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر. وكان الصحابة رضي الله عنهم - إذا بدأت باكورة أشجارهم - أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبرّك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده، فأعطاه ذلك علمًا منه بشدة تشوفه لذلك. [١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠]. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر، نسأل الله العافية.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ ﴾ قرئ: (وسيُصلون) بضم الياء مبنيًا للمفعول من الثلاثي، أي: يأمر الله تعالى من يصليهم سعيرًا. وقرئ: (وسيَصلون) بالفتح من صلى النار: لازمها، فأضيف الفعل إليهم، كقوله تعالى: ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾ يس : ٦٤، فأضاف الفعل إليهم. [١١] ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَٰحِدَةً ﴾ قرئ: (واحدةٌ) بالرفع على أن (كان) تامة تكتفي بمرفوعها، بمعنى: إن حدث أو وقع. وقرئ: (واحدةً) بالنصب على أن كان ناقصة اسمها فيها، ونصب واحدة على الخبر، والتقدير: وإن كانت الوارثة واحدة. قوله تعالى: هنا ﴿ فَلِأُمِّهِ ﴾، وفي القصص : ٥٩، ﴿ أُمِّهَا ﴾، وفي الزخرف : ٤، ﴿ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، قرئ: بكسر الهمزة في الأربعة لمناسبة الكسرة أو الياء، ولذلك لا يَكْسِرَانِها في الآخرين إلا وَصْلًا، فإذا ابتدأ ضماها، أي: حمزة، والكسائي، وقرئ: بضمها في الحالتين، وأما المضاف للجميع: (أُمهاتكم) وذلك في أربعة مواضع: النحل : ٨، النور : ٦١، الزمر : ٦، النجم : ٣٢. قرئ: (إِمِّهاتكم) بكسر الهمزة والميم معًا في الأربعة، فأتبعت حركة الميم حركة الهمزة فكسرت الميم تبعًا للتبع كالإمالة للإمالة، ولذا إذا ابتدأ بها ضمت الهمزة وفتحت الميم، وكسر الكسائي الهمزة وحدها في حالة الوصل. وقرئ: (أُمَّهاتكم) بضم الهمزة وفتح الميم في الأربعة على الأصل، وهذا في الدرج، أما في الابتداء بهمزة (أم ـ أمهات) فلا خلاف في ضمها، وقيل: كلها لغات. قوله تعالى: ﴿ يُوصَىٰ ﴾ الموضعين، قرئ: (يوصَى) بفتح الصاد فيهما على البناء =

= السور، واسم سورة الطَّلاق، سورةُ النِّساءِ الصّغرى. مواضيع سورة النساء: وأمَّا ما اشتملت عليه السّورة مجملاً فبيان خِلْقة آدم وحوَّاء، والأمر بصلة الرّحم، والنّهي عن أكلِ مال اليتيم، وما يترتَّب عليه من عظم الإثم، والعذاب لآكليه، وبيان المناكحات، وعدد النساءِ، وحكم الصَّداق، وحفظ المال من السّفهاءِ، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

١٢- ﴿كَلَٰلَةً﴾: مصدر تكلَّله النسب تكلُّلا؛ بمعنى تعطَّف عليه، قال الزمخشري: إن الكلالة تطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولدًا ولا والدًا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلَّفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد. وقيل: هو من النسب ما خلا الوالد والولد. وفيه اختلاف، والجمهور على أنه الميت الذي لا ولد له ولا والد. ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾: غير ملحق ضررًا بالورثة، كان يوصي بدين ليس عليه، أو أن يوصي بأكثر من الثلث. وآية الميراث السابقة – الحادية عشرة – ليس منها ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ لأن قصد الإضرار بالأبناء والآباء بعيد، والله أعلم. ١٣- ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: الإشارة إلى الأحكام التي تحدثت عنها الآيات في باب اليتامى والوصايا والميراث، وسمّى الله تعالى هذه الأحكام حدودًا، وأضافها إلى ذاته العليّة، لأنه يجب على المكلفين أن يقفوا عندها ولا يتجاوزوها بحال. ١٤- ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ بتغيير هذه الأحكام أو عدم العمل بها.

[١٢، ١٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [١٢] معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يُدِرُّ على خلقه، النِّعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاّتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنيبوا وهو الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق، والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي تَرتُّبَ آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. [١٦] معنى اسم الله التواب: التَّوَّابُ هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. [١٦] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ – هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٧] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا...؟

[١٢] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء : ١٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ أي: والله تعالى عليم بما يصلح خلقه وما يضرهم، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة، أمَّا: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: هو سبحانه عليم بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرعه لهم. [١٣] ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء : ١٣]، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٨٩]. لماذا جاءت الواو زائدة في آية النساء؟ الجواب: آية النساء اختلفت عن آية التوبة لوجهين: موافقة ما قبلها، وهو جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ١٣]، الثاني: موافقة ما بعدها وهو قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء : ١٤]. أمّا آية التوبة فخلت من ذلك. [١٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء : ١٤]، ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن : ٢٣]. ما الفرق بين ﴿خَٰلِدًا﴾ و﴿خَٰلِدِينَ﴾؟ الجواب: في سورة النساء الوعيد بالعذاب ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أشد لأنه عذاب بالنار وبالوحدة، يعني منفردًا، لأن الوحدة عذاب حتى لو كان في الجنة ولا يتكلم معه أحد، فهو شيء ثقيل جدًا، إذًا مبدئيًا العذاب في آية النساء أشد، كذلك في سورة النساء ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ هذا زيادة عما جاء في سورة الجن ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾، ففي النساء عصيان وتعدٍ للحدود، وفي الجن ذكر العصيان فقط، ولذلك قال في النساء: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ إضافة إلى النار، فهناك سبب دعا إلى هذا الاختلاف، ولذلك لا تجد في أصحاب الجنة خالدًا مطلقًا، وإنما دائمًا خالدين، لأنه ليس هناك وحدة، بينما في النار نجد خالدين وخالدًا.

= للمفعول، وبها نائب فاعل، وقرأ حفص: (يوصَى) بالفتح في الأخيرة فقط لإتباع الأثر، وقرئ: (يوصِي) بالكسر فيهما على البناء للفاعل، أي: يوصي المذكور أو الموروث، و(بها) في محل نصب. [١٣، ١٤] ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾، و﴿يُدْخِلْهُ - يُعَذِّبْهُ﴾ في الفتح : ١٧، - ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ﴾ - ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾ في التغابن : ٩، ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الطلاق : ١١، قرئ: (ندخله – نعذبه – نكفر) بنون العظمة في السبعة، وقرئ: (يدخله – يعذبه – يكفر) بالياء فيهن على الغيبة ردًا لآخر الكلام على أوله؛ لأن أوله لفظ غيبة في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ليتألف الكلام على نظام واحد.

= وتجربة اليتيم قبل دفع المال إليه، والرِّفق بالأقارب وقت قسمة الميراث، وحكم ميراث أصحاب الفرائض، وذكر ذوات المحارم، وبيان طَوْل الحُرَّة، وجواز التَّزوُّج بالأمَة، والاجتناب عن الكبائر، وفضل الرّجال على النِّساء، وبيان الحقوق، وحكم السّكران وقت الصلاة، وآية التيمم، وذمّ اليهود، وتحريفهم التوراة، وردّ =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

١٥- ﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: يواقعن الزنا ﴿سَبِيلٗا﴾: مخرجاً وطريقاً. قيل: ونُسخت هذه الآية بالحدود. ١٦- ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾: الرجل والمرأة ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾: كان أذى بالقول واللسان، كالتعيير والتوبيخ حتى نزلت الحدود. ورجح الاستاذ الشيخ محمد عبده ما ذهب إليه أحد المفسّرين من أن الآيتين لا نسخ فيهما، وأن الآية الأولى في فاحشة السحاق، والثانية في فاحشة اللواط. قال: وحكمة حبس المساحقات هو أن المرأة تعتاد هذا الفعل، تأبى الرجال وتكره قربهم، أي فلا ترضى أن تكون حرثًا للنسل، فتعاقب بالإمساك في البيت والمنع من مخالطة أمثالها من النساء إلى أن تموت أو يجعل الله تعالى لها سبيلاً إلى الزواج. ويرى الأستاذ الإمام أن النساء لما كنّ لا يجدن من العار في السحاق ما يجده الرجل في إتيان مثله، كانت فاحشة السحاق مظنّة الشيوع والإظهار بين النساء، فجاء التعبير القرآني بصيغة الجمع: ﴿وَٱلَّٰتِي﴾ أما فاحشة اللواط فهي مظنة الإخفاء، حتى لا تكاد تتجاوز اللذين يأتيانها، فجاء التعبير بصيغة المثنى إشارة إلى ذلك، وتقريرًا لكون فاحشة اللواط عارًا وقذرًا يتبرأ منه كل ذي طبع سليم. ويجوز اختلاف التعبير بالجمع والتثنية من باب التنويع. وهذا معهود في الكلام البليغ مع الأمن من الاشتباه. والله أعلم. ١٧- ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: عنده، أو منه سبحانه، ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾: اجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل شيء عُصي الله فيه فهو جهالة: كان عمداً أو غيره. ﴿مِن قَرِيبٖ﴾ قيل: على صحة قبل الموت. وقيل: قبل معاينة ملك الموت. وقيل قبل أن يُغلبوا على انفسهم بالغرغرة، فلا يعرفون الله، ولا يعقلون التوبة. ١٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: بحيث يعلم أنه ميت لا محالة. ١٩- ﴿أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾: هو أن يعضل المرأة وليها، ويمنعها النكاح حتى تموت فيرثها، أو ترد إليه صدقة مالها، أو صداقها، ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: أن يضر الرجل بامرأته وهو كاره لها حتى تفتدي منه: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ إلا أن تزني فله الإضرار بها لتفتدي منه بما أعطاها من صداقها. وفيه اختلاف. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾: صاحبوهن.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا ﴾ روى البخاري وأبو داود، والنسائي عن ابن عباس قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوّجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية» وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾.

[١٦] ﴿تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦، ٦٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾. ﴿ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾، أي: إن الله تعالى كان توابًا على عباده التائبين، رحيمًا بهم، أمَّا ﴿ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾، أي: إن الله تعالى كان غفورًا للمذنبين إذا تابوا، رحيمًا بهم، فلا يكلفهم ما لا يطيقون.

[١٥] ﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ ﴾[النساء: ١٥]. أي: ملَك الموت، إذ التوفي هو الموت، ولا يصح به المعنى بغير إضمار، إذ يصير المعنى: حتى يميتهن الموت.

[١٧] ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٧]. أي: قبولها عليه، لا وجوبها، إذ وجوبها إنما هو على العبد، وتوبة الله رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة.

[١٧] ﴿ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ [النساء: ١٧]. فإن قيل: لِمَ قيِّد بجهالة مع أنّ التوبة مِمن عمل سوءًا بغير جهالة ثم تاب قُبلت توبته؟ الجواب: المراد بالجهالة: الجهالة بقدر قبح المعصية، وسوء عاقبتها، لا بكونها معصية وذمًا، وكل عاصٍ جاهل بذلك حال معصيته، لأنه حال المعصية مسلوب كمال العلم بها، بسبب غلبة الهوى. يقول ابن القيم: الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل. ويقول: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس. ما أبرز نتائج المعصية؟ الجواب: قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، وقسوة القلب، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل.

[١٧] ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ [النساء: ١٧]. ليس المراد بالقريب مقابل البعيد، إذ حكمهما هنا واحد، بل المراد من قوله: ﴿ مِن قَرِيبٖ ﴾، من قبل معاينة سبب الموت، بقرينة قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي ﴾ [النساء: ١٨]. [١٨] ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾ [النساء: ١٨]. سوّى بين الفسق والكفر، تنفيرًا من الفسق لصعوبة النزع منه بعد مواقعته.

[١٦] ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا ﴾ هنا، ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ طه: ٦٣، ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ بالحج: ١٩، ﴿ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ـ فَذَٰنِكَ﴾ كلاهما بالقصص: ٢٧، ٣٢، و﴿أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ﴾ بفصلت: ٢٩، قرئ: بتشديد النون في جميعها، وهذه الأسماء مبهمات مبنية للافتقار، فالتشديد في الموصول على جعل إحدى النونين عوضًا عن الياء المحذوفة التي كان ينبغي أن تبقى، وذلك أن "الذي" مثل "القاضي" تثبت ياؤه في التثنية، فكان حق ياء "الذي، والتي" كذلك، ولكنهم حذفوها إما لأن هذه تثنية على غير قياس، وإما اكتفاءً بالصلة، ووجه تشديد (فذانِّك) أن إحدى النونين للتثنية، والأخرى خلف على (لام) ذلك، أو بدل منها. وقرئ: بالتخفيف على الأصل، فأجرى المبهم مجرى سائر الأسماء، فخف النون كما تخفف في كل الأسماء وهو الاختيار، وعلى أصل كلام العرب وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء. [١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ قوله تعالى: ﴿كَرۡهٗا﴾ هنا، والتوبة: ٥٣، والأحقاف: ١٥، قرئ: (كُرها - كَرها) بضم الكاف وفتحها وهما لغتان، وعن الفراء الفتح بمعنى: الإكراه، والضم "ما يفعله الإنسان كارهًا من غير إكراه بفعل ما فيه مشقة". قوله تعالى: ﴿مُّبَيِّنَةٖ﴾ هنا، والأحزاب: ٣٠، الطلاق: ١، و﴿مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا﴾ و﴿مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي﴾ بالنور: ٣٤، ٤٦، ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ بالطلاق: ١١، قرئ: (مبينة =

[١٥] ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلٌ (٢٤) مرة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

= الأمانات إلى أهلها، وصفة المنافقين في امتناعهم عن قبول أوامر القرآن، والأمر بالقتال، ووجوب رَدِّ السّلام، والنَّهي عن موالاة المشركين، وتفصيل قَتْل العمد والخطأ، وفضل الهجرة، ووِزْر المتأخرين عنها، والإشارة إلى صلاة الخوف حال القتال، والنَّهي عن حماية الخائنين، وإيقاعُ الصّلح بين الأزواج والزَّوجات، وإقامة =

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٢٠- ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: فيه دلالة على جواز المغالاة بالمهور. وقال قوم: لا تدل الآية على هذا، لأن التمثيل بالقنطار جاء على جهة المبالغة، كأنه قال: وآتيتهم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد، ولأن سياق الآية في نهي الزوج عن أخذ شيء من مهر زوجته بالغًا ما بلغ. ﴿بُهْتَٰنًا﴾: ظلماً بغير حق، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهراً، وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى امرأة أخرى بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يُلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوج غيرها. ٢١- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: المراد الإنكار والتغليط، لا الاستفهام ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: باشر ولامس، كنى به عن الجماع، وقيل: المراد ما هو أعم من ذلك في حياة الأزواج، لأن أصل الإفضاء في اللغة: المخالطة، وهذا المعنى أولى، لأنه يشير إلى طبيعة الحياة الزوجية اليومية، أو بوجه عام. ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: «الميثاق الغليظ»: إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، وهو كلمة النكاح الذي يستحل بها الفرج، وكان الولي يقول عند العقد: أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. ولهذا قيل في تفسير الميثاق الغليظ، بأنه عقد النكاح. ٢٢- ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: مضى في الجاهلية ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: بمعنى: بئس طريقاً ومنهجاً. ٢٣- ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾: جمع ربيبة، وهي ابنة امرأة الرجل، لتربيته إياها، على وزن؛ قبيلة، وقد يقال لزوج المرأة: هو ربيب ابن امرأته، من هذا ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: قيل: «الدخول»: النكاح. وقيل: التجريد والخلوة. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾: أزواج أبنائكم ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ دون من كانوا يتبنونه.

[٢٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٢٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢]. زاد في آية سورة النساء ﴿وَمَقْتًا﴾ في وصف الزواج من زوجة الأب؛ لأن هذا النوع من النكاح كان ممقوتًا في نفوس العرب حتى قبل نهي الشرع عنه، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه: مقتي؛ وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم، وكان نكاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب، فلما كان هذا النكاح يشبه ذلك، فكان مستقبحًا عندهم وممقوتًا. [٢٣] ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء : ٢٣]، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء : ١٠١]. ما الفرق بين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؟ الجواب: أولًا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، و"لا" هنا هي لا النافية للجنس، والنحاة يقولون: إن "لا" في النفي هي بمثابة "إنّ" في الإثبات، أمّا الجملة ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فهي جملة فعلية، ومن المسلمات الأولية في المعاني أن الجملة الاسمية أقوى وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية، وعليه يكون ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ مؤكدة كونها جملة اسمية وكونها منفية بـ"لا" هذا من الناحية النحوية، فهي أقوى وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية، أمّا من حيث الاستعمال القرآني فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في القرآن نجد أن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة، أمّا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فتستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية. وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء : ١٠١] و﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء : ١٠٢]، والأمر في الآية الأولى يتعلق بالضرب في الأرض وهو السير في الأرض للتجارة أو غيرها، أمّا الآية الثانية فالأمر يتعلق بالصلاة في موطن الجهاد، فالآية فيها عبادة، فجملة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أقوى لأنها اسمية ومؤكدة، فيستعملها في المواطن المهمة، كالعبادات وتنظيم الأسرة وغيرهما. [٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]. من فوائد النكاح: ١- امتثال أمر الله ورسوله الذي هو غاية سعادة العبد في الدنيا والآخرة. ٢- قضاء الوطر وفرح النفر وسرور القلب. ٣- تحصين الفرج وحماية العرض وغض البصر والبعد عن الفتنة. ٤- حفظ النسل البشري ليعمر الأرض ويحقق الهدف الذي من أجله خلقه الله وهو العبادة. ٥- المحافظة على الأنساب. ٦- تكثير الأمة الإسلامية وبالكثرة تقوى الأمة وتهاب بين الأمم وتكتفي بذاتها عن غيرها. ٧- سلامة المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التى تنتشر نتيجة الزنا واقتراف الفاحشة. ٨- حصول السكن النفسي الذي يسعى له الإنسان وإلا أصبح قلقًا مضطربًا لا يعرف الاستقرار. ٩- تعاون الزوجين على تربية الأولاد وبناء الأسرة والمحافظة عليها. ١٠- تمام الدين وطهارة النفس والبدن وحفظ السمعة حيث تعف الرجل زوجته ويجد بها متنفسا لشهواته فلا يفكر في مقاربة المعاصي. ١١- دعاء الولد الصالح لوالديه بعد وفاتها. ١٢- ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والمؤانسة والنظر المباح والملاعبة وفي ذلك راحة للقلب وتقوية له على العبادة. ١٣- مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والأولاد وتحمل المسؤولية في ذلك والصبر عليها واحتساب الأجر والثواب المترتب على ذلك. ١٤- الزواج باب من أبواب الرزق ومفتاح من مفاتيح الخير والبركة ودافع من دوافع السعي وانتشار البذل والحركة. ١٥- موت الولد قبل والديه يجعله شفيعًا لهما يوم القيامة. ١٦- تقارب العوائل وتعارفها يمكن الصلات بين الأجانب حتى يكونوا أسرة واحدة فبالزواج تتسع دائرة المعارف وتتماسك العشائر وتترابط الأسر، فهذا خال وهذا عم... وهذا نسيب وهذا صهر ... ويبعدك عن =

= مبيّنة) بالكسر والفتح فيها، فالفتح فيهما على أنه اسم مفعول من المتعدي، فمعنى الواحد منها بينها من يدعيها، ومعنى الجمع: أن الله بينها، وبالكسر اسم فاعل إما من (بيَّن) المتعدي، والمفعول محذوف، أي: (مبينة) حال مرتكبيها، أو من اللازم يقال: بان الشيء، وأبان واسْتَبان، وبَيَّن، وتَبيَّن بمعنى واحد، أي: ظهر.

الشهادات، ومدح العدل، وذمّ المنافقين، وذمّ اليهود، وذكر قَصْدهم قتل عيسى عليه السّلام، وفضل الرّاسخين في العلم، وإظهار فساد اعتقاد النّصارى، وافتخار الملائكة والمسيح بمقام العبوديَّة، وذكر ميراث الكلالة، والإشارة إلى أنَّ الغرض من بيان الأحكام صيانةُ الخَلْق من الضَّلالة، في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء : ١٧٦]، أي كراهة أن تضلُّوا. فضل سورة النساء: قال رسول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة.

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٤- ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: قيل: المحصنات بالزواج، غير السبايا. وكل امرأة محصنة لها زوج فهي محرمة، إلا الأمة هي حلال بالسباء، لأنه يقطع العصمة كما قال بعض الفقهاء. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض المفسّرين المراد بالمحصنات: العفائف، أي أن كل النساء حرام إلا ما تملكون عصمتهن بالنكاح، ورقبتهن بالشراء. ومعلوم أن عمر رضي الله عنه، حين فتحت في عهده الأمصار أوقف السبي، ومنع من الاسترقاق. ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: من ذكر تحريمه قبل هذا. وقيل: ما عدا الزوجات الأربع وملك اليمين. ﴿مُّحْصِنِينَ﴾: «الإحصان»: ضد السفاح؛ وهو الزنا. ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ﴾: أي إذا استمتعتم بالزوجة، ووقع الوطء ولو مرة، فقد وجب إعطاء الأجر، وهو المهر كلّه. والمهر يسمّى أجرًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. قيل: عني به نكاح المتعة، ثم حُرِّم ﴿تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ﴾: من حط الفريضة؛ وهو المهر الذي فرض. ٢٥- ﴿طَوْلًا﴾ قيل: هو الفضل من المال والسعة. ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الحرائر. ﴿فَتَيَٰتِكُمُ﴾: إمائكم المسلمات؛ يتزوج الرجل الأمة المسلمة إذا لم يستطع طولاً للحرة، وخشي العنت ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾: فتزوجوهن ﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: اربابهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: صداقهن ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: غير زوان. ﴿أَخْدَانٍ﴾: اخلاء ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾: تزوجن فصِرْنَ ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج ﴿نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: هو -هاهنا-: الحد. ﴿ٱلْعَنَتَ﴾: هاهنا: الزنا. وقيل: الضرر في دينه وبدنه، لأن أصل «العنت»: الضر. ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾: عن نكاح الأمة. وهذا ندبٌ إلى الترك، وعلته ما يؤدي إليه نكاح الإماء من استرقاق الولد منهن.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الآية. روى مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسألنا النبي ﷺ فنزلت ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يقول: إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن». قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن معمر بن سليمان عن أبيه قال: «زعم حضرمي أنَّ رجالًا كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾».

[٢٤، ٢٥] ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء : ٢٤]، ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء : ٢٥]، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة : ٥]. الآية الأولى في سورة النساء تتحدث عن الحرائر المسلمات، والآية الثانية تتحدث عن الإماء، وآية المائدة تتحدث عن الكتابيات، فذكر التحذير من اتخاذ الأخدان في حال الإماء والكتابيات، ولم يذكرها في حال الحرائر المسلمات، تنبيهًا على أنهن إلى العفة أقرب، ومن الخيانة والرذيلة أبعد، ولأنهن لا يشبهن الإماء والكتابيات في اتخاذ الأخدان، والأخدان هم الأخلاء الذين يزنون بهن سرًا. [٢٥] ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء : ٢٥]، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة : ٥]. آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث الإحصان، وآية المائدة في من يحل للرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال أيضًا تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما.

= الانحراف، وهو نصف الدين كما أنه استقرار لك... ١٧- تلبية الرغبة الطبيعية المستقرة في الرجل والمرأة التي جعلها الله لكمال الحياة البشرية... [٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ما الفرق بين: "ينكح ويستنكح"؟ الجواب: وردت كلمة (ينكح) أربع عشرة مرة، بينما وردت كلمة (يستنكح) مرة واحدة. قال الزمخشري: (استنكاحها: طلب نكاحها والرغبة فيه). وثمة فرق آخر بين الفعلين، وهو أن الاستنكاح في الآية التي ورد فيها يدلُّ على شيئين: ١- تأكيد الرغبة في النكاح، كأن الأحرف الزائدة في الفعل (يستنكح) جاءت لزيادة معنى، وللتأكيد الذي لا يحمله فعل (ينكح). ٢- الدلالة على معنى القبول؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فكلمتا (إن أراد) تحمل معنى الاحتمالية، لا للتأكيد على الإرادة والرغبة، وكذلك لا تقوى كثيرًا هذه الاحتمالية إن أضيف إليها الفعل (ينكح)، ولكن حينما أُضيف إليها الفعل (يستنكح) كان المعنى قويًا، وحمل السياق معنى القبول، خاصة أن ذلك سُبق بقوله تعالى: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ومعلوم أن الهبة إما أن تقبل وإما أن تُرد، ولكي يكون المعنى قويًا في القبول، جاء الفعل (يستنكح) الذي يحمل معنى الإرادة والرغبة وكذلك القبول من جهة النبي ﷺ. [٢٥] ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥]. ما دلالة استعمال "إذا" و"إن" في هذه الآية وفي القرآن كله؟ الجواب: أن "إذا" في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله وللكثير الحصول، كما في الآية السابقة، فـ"إذا" جاءت مع ﴿أُحْصِنَّ﴾ وهذا الأكثر، أمّا "إن" فجاءت مع اللواتي يأتين بفاحشة وهن قطعًا أقل من المحصنات، ولو جاءت "إذا" و"إن" في الآية =

[٢٤] ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ قرئ: (أُحِل) بضم الهمزة وكسر الحاء مبنيًا للمفعول عطفًا على (حرمت) ليتطابق أول الكلام مع آخره. وقرئ: (أَحَل) بفتح الهمزة والحاء بالبناء للفاعل عطفًا على الفعل الناصب لكتاب؛ فقد بُنِيَ الفعل للفاعل، وعطفه على ما قبله مما أضيف الفعل فيه إلى الله جل ذكره في قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: كتب الله ذلك عليكم وأحل لكم.
[٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ... وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ - مُحْصَنَٰتٍ﴾ مُعرَّفًا ومُنكرًا حيث جاء، قرئ: (محصِنات - محصِنين) بكسر الصاد لأنهن يحصن أنفسهم بالعفاف أو فروجهن بالحفظ. وقرئ: (محصَنات - محصَنين) بالفتح فيهما، أسند الإحصان إلى غيرهن من زوج أو ولي أو إلى الله تعالى. قوله تعالى: ﴿أُحْصِنَّ﴾ قرئ: (أَحصَن) بفتح الهمزة والصاد مبنيًا للفاعل، أي: أحصن فروجهن وأزواجهن. وقرئ: (أُحصِن) بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول على أن المحصّن لهن الزوج أو أولياء الأمور، وقمن مقام الفاعل وهن الإماء، فإذا أحصنهن الأزواج بالتزويج أو أحصنهن الأولياء بالنكاح، فزنين فعليهن نصف ما على الحرائر من المسلمات اللاتي لم يتزوجن من الحد، وهو خمسون جلدة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: قيل: هم الزناة. وقيل: هم اليهود وقيل: هم المجوس. ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: أن تواقعوا الفواحش فتستحلوها، كما يستحلونها. ٢٨- ﴿ضَعِيفٗا﴾: عاجزاً عن الصبر عن النساء أو غير قادر على الوفاء الكامل بحق التكليف، فهو محتاج إلى التخفيف. ٢٩- ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالربا والقمار، والنجش والظلم، وكل ما لم تبحه الشريعة كالسرقة والغصب وغير ذلك، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: لا يقتل بعضكم بعضاً، يعني المسلمين. ٣٠- ﴿عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾: بغير حق ﴿يَسِيرًا﴾: غير عسير. ٣١- ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾: قيل: هي من أول السورة إلى هذا الموضع. وقيل: هي سبع، منها وأفظعها الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله؛ وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف. وقيل: إن الله أنزل في كل كبيرة منها آية، فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ٣١] -الآية- وقال: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] الآية-، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النساء: ١٠] وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] إلى آخر الآية، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ [محمد: ٢٥] إلى آخر الآيات. وقيل: السحر منها. وفيه اختلاف كثير. ٣٢- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ﴾: من الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية، ﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾: كذلك. ٣٣- ﴿مَوَٰلِيَ﴾: ورثة من قرابته وعصبته ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾: عني به: عقد الحلف الذي كانت العرب تتحالف عليه، فكان للحليف من الميراث السدس، ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٧٥].

[٣٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ﴾ روى الحاكم، عن أم سلمة أنها قالت: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ وأنزل الله فيها ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. [٣٣] قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ أخرج أبو داود في سننه، من طريق ابن اسحاق، عن داود بن الحصين قال: «كنت أقرأ على أم سعد بنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت: (والذينَ عاقَدَتْ أيمانُكُم). فقالت: لا، ولكن: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ وإنما نزلت في أبي بكر وابنه [عبد الرحمن] حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره أن يؤتيه نصيبه».

[٧، ٣٢] ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ [النساء: ٧]، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٣٢]. في الآية الأولى عندما كانت الآيات قبلها تتحدث عن اليتامى وحقوقهم، ذكرت هذه الآية أن لهم نصيبًا مما ترك الوالدان والأقربون، وكذلك النساء، أما الآية الثانية عندما نهى الله سبحانه وتعالى أن يتمنى العبد ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الأرزاق والمكاسب والمواهب، فقال هنا: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْ ...﴾ وكذلك للنساء، ولم يقل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ ...﴾، لأنه هنا يتحدث عن الكسب والسعي، فنهى عن هذا التمني وقال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ ...﴾. [٣٦] ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ في البقرة بدون "باء"، و﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ في النساء بزيادة "باء"، وذلك لأن سياق الآيات في سورة النساء والكلام فيها عن القرابات من أول السورة إلى آخرها، إذًا ذكر "الباء" مع ذي القربى في آية النساء كان لمراعاة التفصيل والتوكيد، أمّا آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات، فحذفت الباء في ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ مراعاة للإيجاز.

الواحدة تستعمل "إذا" للكثير و"إن" للأقل، كما في آية الوضوء في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ... وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ [المائدة: ٦]، فالقيام إلى الصلاة كثير الحصول فجاء بـ"إذا" أمّا كون الإنسان مريضًا أو مسافرًا أو جنبًا فهو أقل، لذا جاء بـ"إن". [٢٩] ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ [النساء: ٢٩]. أي: أموال تجارة، خصّ التجارة بالذكر عن غيرها كالهبة والصدقة والوصية؛ لأن غالب التصرف في الأموال بها، ولأنّ أسباب الرزق متعلقة بها غالبًا.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ قوله تعالى: ﴿تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ﴾ قرئ: (تجارةً) بنصب تجارة على أن كان ناقصة و اسمها ضمير الأموال، والتقدير: إلا أن تكون الأموال تجارة. وقرئ: (تجارةٌ) بالرفع على أن كان تامة تكتفي بمرفوعها، والتقدير: إلا أن تحدث تجارة، أو تقع تجارة. [٣١] ﴿وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ قوله تعالى: ﴿مُّدۡخَلٗا﴾ هنا وفي الحج: ٥٩، قرئ: (مَدخلًا) بفتح الميم فيهما فيقدر له فعل ثلاثي مطاوع ليدخلكم، أي: ويدخلكم فتدخلون مدخلًا، وخرج موضع الأسراء: ٨٠، ﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ المتفق على ضمه، وقرئ: (مُدخلًا) بالضم اسم مصدر من الرباعي كاسم المفعول والمدخول فيه حينئذ محذوف، أي: "ويدخلكم الجنة إدخالًا" أو اسم مكان، أي: "ندخلكم مكانًا كريمًا". [٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ ونظائره، قرئ: (وسلوا) بغير همز في الفعل المقرون بالفاء والواو في أوله للتخفيف، فألقى حركة الهمزة على السين الساكنة قبلها فحرك السين وحذف الهمزة على أصل التخفيف، وخص هذا بالتخفيف لكثرة استعماله وتصرفه في الكلام وثقل الهمز، وذلك في الأمر المواجه به، والإجماع على ترك الهمزة في قوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. وقرئ: (وسئلوا) بالهمز على الأصل وهما لغتان. [٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ قوله تعالى: ﴿عَقَدَتۡ﴾ قرئ: (عقدت) بغير ألف أسند الفعل إلى الأيمان، وحذف المفعول، أي: عهودهم، والتقدير: "والذين عقدت أيمانكم عهودهم أو حلفهم". وقرئ: (عاقدت) بالألف من باب المفاعلة، أي: ذوو أيمانكم وذوي أيمانهم، أو تجعل الأيمان معاقدة، والمعنى: عاقدتهم وماسحتهم أيديكم، كان الحليف يضع يمينه في يمين صاحبه ويقول: دمي دمك، وحربي حربك، وترثني وأرثك، فكان يرث السدس من مال حليفه، فنسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ وهذا مما جرى فيه الكلام على غير ما هو له، فجعل الأيمان هي العاقدة، والحقيقة أن العاقد هو الحالف، فكلُّ واحد من الفريقين عقد حلفًا للآخر.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧)

٣٤- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: يقومون على رعايتهن، كما يفعل الحكام والأمراء مع الرعية. ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾: الرجال على النساء؛ من سوق المهر، والنفقة، وكفاية المؤونة ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: المستقيمات العاملات بالخير ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعات لله تعالى: قائمات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق لزواجهن. ﴿حَٰفِظَٰتٌ﴾: للأزواج ﴿لِّلْغَيْبِ﴾: في مالها ونفسها. ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾: استعلاءهُن عما أوجب الله عليهن لأزواجهن؛ من الحقوق. وأصل «النشوز»: الارتفاع، ولذلك قيل: للمكان المرتفع: «نَشَز» وقيل: إنه -هاهنا-: البُغض والخلاف للزوج. ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: باللسان، ومُروهُنَّ بتقوى الله في ذلك ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى﴾: أعم من الجماع. فإذا لم يُجْدِ أو ينفع الهجر في الفراش بعد الوعظ. ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مُبرح؛ وسئل ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما عن الضرب غير المبرح، فقال: بالسواك ونحوه، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾: فيما أمرهن الله من حقوقكم ﴿فَلَا تَبْغُوا۟﴾: تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: تعِلَّة. قيل: هو التعنيت والتعسف بقول أو فعل. ٣٥- ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: مشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيانه ما يشق عليه. ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾ قيل: هما الحكمان إذا نصحا للرجل والمرأة جميعاً. ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾: قيل: هما الحكمان يوفقهما الله. ٣٦- ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: براً ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الذي له منك قرابة في نسبه مع جواره. ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه، من قوم جُنب، واختلف في ذلك. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ قيل: الرفيق في السفر. ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المجتاز. ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: مَن كان في رِقِّكم. ﴿مُخْتَالًا﴾: ذا خُيلاء. ﴿فَخُورًا﴾: مفتخراً بما أنعم الله عليه، وبسط له من رزقه، وهو كفور لربه غير شاكر. ٣٧- ﴿يَبْخَلُونَ﴾: بأموالهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ يعني إخوانهم ومن هو مَظَنَّة طاعتهم، بالبخل بالأموال.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ «القصاص»، فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص» وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها: «أن رجلًا من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾» ونزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. [٣٧] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: «كان عُلماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ الآية». وأخرج ابن جرير، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد، عن ابن عباس قال: «كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالًا من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾».

[٣٦] ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. ما فائدة العدول عن قوله: "يبغض"، إلى قوله: "لا يحب" مع أنه لا يلزم من نفي المحبة: البغض؟ وما فائدة تخصيص كل آية بما ذكر فيها؟ الجواب: أن البغض صفة مكروهة للنفوس، فلم يحسن نسبته إلى الله تعالى لفظًا، وأيضًا فلأن حال العبد مع الله تعالى إما طاعته أو عدمها، فإذا انتفت محبته لنفي طاعته تعين ضدها، فعبر بما هو أحسن لفظًا، وأمَّا ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فإنها نزلت في ثقيف وقريش، لما أصروا على الربا وعارضوا حكم الله تعالى بقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهم كفار بالدين، آثمون بتعاطي الربا والإصرار عليه، وأمَّا آية النساء الأولى: فجاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وبعد قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، والعبادة هي التذلل للمعبود والتواضع له، وكذلك الإحسان إلى الوالدين يقتضي التواضع لهما، وذلك ينافي الاختيال والعُجب والتفاخر، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾، وكذلك جاء في لقمان بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، وفي الحديد بعد قوله تعالى: ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠]، وأمَّا آية النساء الثانية: فنزلت في طُعمة بن أُبَيرق لما سرق درع قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه وحلف عليه ورمى به اليهود ثم ارتد ولحق بمكة، فناسب: ﴿خَوَّانًا﴾، وأيضًا فلتقدم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧].

[٣٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ...﴾ [النساء: ٣٧]، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم، وآية النساء تبين أنهم يجحدون نِعَمَ الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه، وأعتدنا للجاحدين عذابًا مخزيًا، وأمَّا آية الحديد فتبين أنه من يتولَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. ولا تظلموا النسوة من غير سبب، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله سبحانه عليّ قاهر كبير قادر ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن. فلا تغتروا بكونكم أعلى يداً منهن وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم وأقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ قرئ: (اللهَ) بفتح هاء الجلالة و(ما) موصولة أو نكرة موصوفة، وفي (حفظ) ضمير يعود إليها على تقدير مضاف إذ الذات المقدسة لا يحفظها أحد، أي: بالبر الذي أو بشيء حفظ حق الله، أو دينه، أو أمر، ومنه الحديث: "احفظ الله يحفظك" أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. وقرئ: (اللهُ) بالرفع و(ما) مصدرية أو موصولة، أي: بحفظ الله إياهن، أو بالذي حفظه الله لهن. [٣٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ قوله: ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾ هنا والحديد: ٢٣، قرئ: (البَخَل) بفتح الباء والخاء. وقرئ: (البُخْل) بضم الباء وسكون الخاء. كالحُزن والحَزَن، العُرب والعَرَب، وكلها لغات.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٣٨- ﴿قَرِينًا﴾: صاحباً وخليلاً، يتبع أمره ويخالف ربه. ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: نظير: بئس قريناً، و«القرين»؛ من الاقتران والاصطحاب. ٤٠- ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: قدر ثقل ذرة في الوزن. و«الذَّرُّ»: الصغار من النمل. ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: قيل: الجنة. ٤١- ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: إن الله تعالى يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، وقيل: بمن يشهد على كل أمة بتصديقها، أو تكذيبها. ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: الإشارة إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار. ٤٢- ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنى ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾: بمعنى: لو سوّاهم الله والأرض، فصاروا تراباً مثلها، كما يفعل بالبهائم ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: ليس ينكتم عنه شيء من حديثهم لعلمه سبحانه بجميع أعمالهم. وقال بعضهم: الكلام معطوف، والمعنى: يودُّون ان الأرض سُويت بهم، وانهم لم يكتموا الله حديثاً؛ لأنه ظهر كذبهم. ٤٣- ﴿جُنُبًا﴾: غير طاهرين من الجنابة؛ و«رجل جنب»، لأنه بعيد من الطهارة. ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾: مجتازي طريق. ﴿مِّنَ الْغَائِطِ﴾: من قضاء الحاجة. وأصل «الغائط»: ما انخفض من الأرض. وكانت العرب تقصد بقضاء الحاجة هذا الصنف من المواضع، فكنّي بها عن الحدث. ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كناية عن الجماع. ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: «تيمموا»: تعمدوا. والتيمم للصلاة عند عدم الماء: أن يمسح جميع الوجه، واليدين إلى المرفقين. «صعيداً»: أرضاً ليس فيها نبات ولا شجر، «طيباً» قيل: حلال. وقيل: أطيب ما حولك. وقيل: يتيمم لكل صلاة. وقيل: يصلي الصلوات بتيمم واحد ما لم يحدث. والاختلاف في هذا كثير. ٤٤- ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: أعطوا حظًا من كتاب الله. والمراد اليهود، أوتوا نصيبًا من التوراة.

[٤٣] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا ﴾ الآية. روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، عن علي قال: «صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصّلاة، فقدّموني فقراتُ «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون» فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾. [٤٤] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ اخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله فيه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾. [٤٧] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كلم رسولُ الله ﷺ رؤساء أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ الآية».

[٣٨] ﴿ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة : ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ عدا [النساء : ٣٨، التوبة : ٢٩] ﴿ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾. قوله تعالى: ﴿ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الوحيدة في القرآن بالبقرة التى تكرر فيها العامل "الباء"، مع حرف العطف "و"، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة، فكانوا في ذلك كما قيل: "يكاد المريب يقول خذوني"، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، وواضح فيهما معنى التوكيد. [٤٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... ﴾ [النساء : ٤٠]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ ... ﴾ [يونس : ٤٤]. إن الله تعالى لا ينقص أحدًا من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويتفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثوابًا كبيرًا هو الجنة، فهذا ما دلت عليه آية النساء، وأمّا آية يونس فتبين أن الله لا يظلم الناس شيئًا بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أوامر الله تعالى. [٤١] ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١]، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [النحل : ٨٩]. آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه، فورد على ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته ﷺ على أمته مرتبًا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب، فقيل: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾، متوازنًا مع قوله: ﴿ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾، والله أعلم، وأمّا آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داعٍ إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [النساء : ٣٨]، وذلك من صفة المنافقين، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً ﴾ قرئ: (حسنةٌ) برفعها على أن (كان) تامة، والتقدير: وإن حدث أو وقع حسنة يضاعفها. وقرئ: (حسنةً) بالنصب خبر (كان) الناقصة، واسمها يعود على (مثقال ذرة) والتقدير: وإن تك مثقال ذرة حسنة يضاعفها. [٤٢] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ تُسَوَّىٰ ﴾ قرئ: (تُسوى) بضم التاء على البناء للمفعول. وقرئ: (تَسّوى) بفتح التاء مع تشديد السين على بناء الفعل للفاعل، والأرض فاعل، وأصله: تتسوى، أدغمت التاء في السين. وقرئ: (تَسوى) بفتح التاء وتخفيف السين، على البناء للفاعل وحذف إحدى التاءين تخفيفًا.

[٤٢] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ **إعجاز عددي:** تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤٦- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: وهم اليهود الذين كانوا حوالي مهاجَر النبي ﷺ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يبدلون معناه، ويغيرونه عن تأويله. ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾: كانوا يقولون: سمعنا، ونحن لا نطيعك ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾: كقول القائل للرجل يسبه: «اسمع لا سمعت ولا أسمعك الله». كانت اليهود تقوله لرسول الله ﷺ، يضمرون فيه الشتم والاستهزاء. ﴿وَرَٰعِنَا﴾: سمعك. وكانوا يريدون به في نفوسهم معنى الرعونة. ﴿لَيَّۢا﴾: تحريكاً منهم بألسنتهم؛ بتحريف منهم لمعناه، فكانوا في الظاهر يعظمونه، ويريدون في الباطن الدعاء عليه. ٤٧- ﴿نَّطۡمِسَ﴾: أصل «الطمس»: العفو والدثور في استواء منه؛ يقال: طمست أعلام الطريق؛ إذا دثرت فاندفنت واستوت بالأرض. وقيل: إن معنى: ﴿أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾: أن نمحو آثارها؛ أي: نذهب بتخطيطها حتى تصير على هيئة القفا، وقيل: أن نردها من قبل أقفائها، فترد بعد الطمس إلى موضع القفا، ويرد القفا إلى مواضعها. والسياق يرجح هذا المعنى. واختلف في ذلك. ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾: اللعن هنا: المسخ، أي نجعلهم قردة، كما فعل عز وجل بأصحاب السبت. ٤٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: لا يغفر الله الشرك والكفر به ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: من الذنوب والآثام. ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: أن يغفر له من عباده المؤمنين. ٤٩- ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾: اليهود كانت تقول: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨] واختلف في ذلك. ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾: يبخسون ﴿فَتِيلًا﴾: «الفتيل»: ما خرج بين الأصبعين إذا فتلت إحداهما على الأخرى! وقيل: هو الذي في شق النواة، وذلك كناية عن الشيء الحقير. ٥١- ﴿بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: قيل «الجبت»: السحر، و«الطاغوت»: الشيطان. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: كان كعب بن الأشرف اليهودي يقول لمشركي قريش: أنتم أهدى من محمد وأصحابه ديناً!!

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، يزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ وأخرج ابن جرير نحوه عن: عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، وغيرهم. [٥١-٥٤] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ الآيات. أخرج أحمد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش، ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خيرٌ منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة؟ وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ ونزلت ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ إلى ﴿ نَصِيرًا ﴾ وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: «كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وأبو رافع، والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمارة، وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا: هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتبعه، فأنزل الله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ إلى قوله: ﴿ مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «قال أهل الكتاب: زعم محمدٌ أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، وليس همه إلا النكاح، فأي ملك أفضل من هذا؟ فأنزل الله ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية». وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

[٤٣] ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة: ٦]. زاد في آية المائدة ﴿ مِّنۡهُ ﴾، لأنها ذكرت جميع أحكام الوضوء والتيمم فناسب الإثبات والبيان، وآية النساء ذكرت بعض أحكام الوضوء والتيمم فحسن الحذف. [٤٣] ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٤٣، ٩٩] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾. قوله تعالى: ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ بالنساء، أي: أن الله تعالى كان عفوًا عنكم، غفورًا لكم، وأمَّا ﴿ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ أي: أن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه. [٤٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [النساء: ٤٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، نداء أهل الكتاب بهذه الصيغة الوحيدة في القرآن، وفي غيرها في مواضع عديدة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾؛ لأن الله تعالى استخف بهم في هذه الآية وبالغ، ثم ختم بالطمس ورد الوجوه على الأدبار ثم لعنهم. [٤٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦]. الآية الأولى نزلت في اليهود وتحريفهم الكَلِمَ افتراءً على الله، فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم، والآية الثانية تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [النساء: ١١٣]، فناسب ختمها بذكر الضلال البعيد، ولأنها في العرب وعباد الأصنام بغير كتاب، وبعد ذكر طعمة بن أبيرق وارتداده، فهم في ضلال بعيد عن الحق والكتب المنزلة. قول آخر: أنه لما وقع قبل الآية الكريمة ذكر أهل الكتاب وذكر اعتدائهم وتحريفهم من لدن قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤]، ثم قال بعد هذا: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]، وهذا إفصاح بكذبهم وافترائهم، ثم أتبع ما ذكر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨]، ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك الافتراء الذي هو أخص صفات مَنْ كذب من أهل الكتاب، فقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، ولما لم يتقدم مثل ذلك في الآية الأخرى، إنما تقدم قبلها قوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ ... ﴾ [النساء: ١١٥]، وقبلها ما يخص منافقي أيام نبينا عليه السلام من لدن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٥]، ثم قال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٧]، فلم يقع في هذه الآي ذكر تحريف ولا افتراء، إنما ذكر منافقي أيامه عليه السلام بنفاقهم وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء، فناسب ذلك ما بني عليه من قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ كما ناسب قوله في الأولى: ﴿ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ ما تقدمه وبني عليه، وجاء كل على ما يجب، ولو أعقبت الأولى بما أعقبت به الثانية، والثانية بما أعقبت به الأولى لما ناسب.

[٤٣] ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ هنا، والمائدة: ٦، قرئ: (لمستم - لامستم) بغير ألف وبألف، ومعنى (لمستم) أي: مسستم بشرة النساء بشرتكم، وقيل: جامعتموهن، وقيل: لمس جامع، ولامس لما دون الجماع، وقال البيضاوي: واستعماله، أي: لامستم كناية عن الجماع أقل من الملامسة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٢- ﴿لَعَنَهُمُ﴾: أخزاهم وأبعدهم. ٥٣- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: فلو كان لهم نصيب منه لم يؤتوا ﴿ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: من بخلهم. و«النقير»: الحبة التي تكون في وسط النواة، وهذا الشيء يضرب مثلاً كسابقه. ٥٤- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: قيل: «الناس» -هاهنا-: محمد ﷺ خاصة. وقيل: العرب. ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾: أعطاهم ﴿ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: النبوة. ﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: قيل: هو النبوة. وقيل: ملك سليمان عليه السلام. ٥٦- ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾: انشوت، واحترقت. ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: ليجدوا ألم العذاب، ويستديموه. ٥٧- ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: كِنًّا كنينًا، يسترهم من الحر والسموم ونحو ذلك. وقيل: هو ظل الأشجار والقصور. ٥٨- ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: قيل: عنى بذلك: السلاطين أن يؤدوا الأمانة إلى المسلمين في فيئهم وصدقاتهم التي استؤمنوا على جمعها وتفريقها؛ بأن يقسموه بالحق، ويحكموا بالعدل. -والآية عامة- ولم يُرخص للمعسر ولا للموسر في إمساكها. ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ يعني: يا معشر ولاة أمور المسلمين إن الله يعظكم نعمة العِظَة ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: بما يفعلون في ذلك. ٥٩- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: أن يطاع أمره في حياته وسنّته بعده ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾: كل من له ولاية شرعية – لا طاغوتية – من الحكام والولاة والقضاة ونحوهم. والمراد: طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه، ما لم تكن معصية. ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِى شَىْءٍ﴾: من أمر دينكم ﴿فَرُدُّوهُ﴾: فارتادوه؛ أي: ابحثوا عنه، في كتاب الله عز وجل وعند الرسول إن كان حياً، وفي سنته إن كان ميتاً. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة.

[٥٦] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٥٦] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القويُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ – عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ – وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ – وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٥٦] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكف عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ: «هات المفتاح يا عثمان» فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة، فأعطاه المفتاح ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ حتى فرغ من الآية». [٥٩] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية» كذا أخرجه مختصرًا وقال الداودي: «هذا وهم – يعني الافتراء على ابن عباس- فإن عبد الله بن حُذافة خرج على جيش، فغضب فأوقد نارًا وقال: اقتحموا. فامتنع بعضٌ، وهَمَّ بعض أن يفعل؛ قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره؟ وإن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لَمْ تطيعوه» وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: «فإن تنازعتم في شيء»، فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فرارًا من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول» وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميرًا، فأجار عمار رجلًا بغير أمره، فتخاصما، فنزلت.

[٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. الآيتان تتحدثان عن الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى، والتصديق برسالة رسوله محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبدًا ولا يخرجون منها، والآية الأولى تبين أن لهم فيها أزواجًا طهرها الله مِن كل أذى، ويدخلهم ظلًا كثيفًا ممتدًا في الجنة، وأمّا الآية الثانية فتوضح أن هذا وعدٌ من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعده.

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [٥٤] ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله =

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٦٠- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: هم المنافقون ﴿أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: قيل: هو الكاهن -ماهنا-. وكانت خصومة بين منافق ويهودي، فكان المنافق يدعو إلى حكم اليهود لعلمه أنهم يقبلون الرشوة ويحكمون له بغير الحق.. وكان اليهودي محقاً، وكان يدعو إلى حكم الإسلام؛ لعلمه أنه يقضي له بالحق. ٦١- ﴿يَصُدُّونَ﴾: يعرضون ويأبون من المصير إليك لتحكم بينهم. ٦٢- ﴿أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: نزلت بهم نقمة من الله ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾: في الذي كانوا يدعون إليه من التحاكم إلى اليهود. ٦٣- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. وقيل: عن قبول اعتذارهم بالصفح. ﴿وَعِظْهُمْ﴾: خَوِّفْهُمْ بالله ونقمته ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾: شافياً. قيل: هو الردع والزجر بالبلاغة من القول. وقيل: هو التوعد بالقتل إن استداموا حالة النفاق. وهذا أبلغ ما يكون في نفوسهم. ٦٥- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾: قسم جليل من الله تعالى، فيه إعظام لشأن النبي ﷺ. ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: اختلط من أمورهم. وتشاجر القوم، إذا اختلفوا في الكلام. ﴿حَرَجًا﴾: ضيقاً وكراهية ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾: لحكمك تسليماً؛ أي: يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً. فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضي عليه، ويسلم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد، ولا تشوبه مخالفة.

[٥٨] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله تعالى بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٥٨] معنى اسم الله البصير: البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المُبصِرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب والشهادة، والحاضر والغائب، يرى خائنات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، أي مطّلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات. [٦٤] معنى اسم الله التواب: التَّوَّابُ هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحاً، تاب الله تعالى عليه. فهو التائب على التائبين: أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه. وهو التائب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم. =

[٦٠] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رجل كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان الجُلاس بن الصامت، ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر، يدعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوهم إلى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية. [٦٥] قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلًا من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاري يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجهه ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار، ثم أرسل الماء إلى جارك»، واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]. آية النساء تتحدث عن المنافقين، وأنهم إذا نُصحوا، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول وهديه، أبصَرْتَ الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، يعرضون عنك إعراضًا، وأمّا آية المائدة فتتحدث عن المشركين المحرِّمين ما أحل الله، وأنهم إذا قيل لهم: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ﷺ ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفينا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا أي: لا يفهمون حقًّا ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلًا. [٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ [إبراهيم: ٤]. وما بعثْنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك أيها الرسول في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله توابًا رحيمًا، وهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية إبراهيم: وما أرسلنا مِن رسولٍ قبلك أيها النبي إلا بلُغة قومه؛ ليوضّح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وَفْق الحكمة.

= عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل. [٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]. مركز الإحساس: أثبت العلم الحديث أن الجسيمات الحسية المختصة بالألم والحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها، ومع أن الجلد سيحترق مع ما تحته من العضلات وغيرها، إلا أن القرآن لم يذكرها؛ لأن الشعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها. فمن أخبر محمدًا بهذه المعلومة الطبية؟ أليس الله؟؟ [٦٣] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٦٦- ﴿كَتَبْنَا﴾: فرضنا ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: يؤمرون به من طاعة الله ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: اثبت لهم في أمرهم وأقوى. ٦٩- ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أتباع الرسل الذين صدقوهم ﴿رَفِيقًا﴾: رفقاء في الجنة. ٧١- ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: احذروا واحترسوا من عدوكم بالحزم والاستعداد، فيدخل فيه أخذ السلاح وغيره. جنتكم، دروعكم، وأسلحتكم، ﴿ثُبَاتٍ﴾: جمع ثُبَةٍ؛ وهي العصبة من الرجال. وقيل: الفرق أي: انفروا فرقاً أو متفرقين في جماعات، كل جماعة منها ثبة. وقيل: متفرقين. ﴿أَوِ انفِرُوا﴾: اخرجوا ﴿جَمِيعًا﴾: كلكم. ٧٢- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: يبطئ عن الجهاد، ويثبط غيره بالشك الذي في قلبه والتبطئة والإبطاء: التأخر. والمعنى: ليتثاقلنّ عن الجهاد، والمراد: المنافقون، كانوا يَقْعدون عن الخروج، ويُقْعدون غيرهم. ﴿مُّصِيبَةٌ﴾: هزيمة وقتل. ٧٣- ﴿فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: سلامة وغنيمة. ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: اي يقول: لِمَ لَمْ آخذ معكم من الغنائم والخيرات التي أصابتكم، كأنني لم اكن احبكم واعينكم فـ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: تمنى الخروج معهم لينال من الغنائم ولا غرض له في إعلاء كلمة الله. ٧٤- ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون. ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾: هذا في حق من خرج إلى الجهاد، ودخل المعركة مقاتلاً في سبيل الله. فلا يجوز له الفرار أيا ما كان عدد الأعداء.

= [٦٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلُّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن السدي قال: لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ تفاخر ثابت بن قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾. [٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: «قال أصحاب محمد ﷺ يا رسول الله، ما ينبغي لنا أن نفارقك، فإنك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك، فأنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية. وأخرج عن عكرمة قال: أتى فتى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله إن لنا منك نظرة في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك، فإنك في الجنة في الدرجات العلى. فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله ﷺ «أنت معي في الجنة إن شاء الله» وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبير، ومسروق، والربيع، وقتادة، والسدي.

[٦٩] ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. في الآية الكريمة قدم ذكر السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأت بالأفضلين وهم النبيون ثم ذكر من بعدهم بحسب تفاضلهم، كما تدرج من الفئة القليلة إلى الكثرة، فبدأت الآية بالنبيين وهم أقل الخلق، ثم الصدّيقين وهم أكثر، ثم الشهداء، ثم الصالحين، فكل صنف أكثر من الذي قبله، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة، ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أن أفضل الخلق هم أقل الخلق؛ إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم. [٦٩] ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فضائل الشهادة وكرامة الشهداء عند الاستشهاد: ١- دم الشهيد أحب شيء إلى الله. ٢- الشهيد لا يجد ألم القتل، ويغفر له مع أول قطرة من دمه. ٣- الشهيد يرى مقعده من الجنة. ٤- الشهيد تبتدره زوجته من الحور قبل أن يُرفع من مصرعه. ٥- من الشهداء من تغسله الملائكة. ٦- من الشهداء من تظله الملائكة بأجنحتها. ٧- الحياة للشهيد بعد الاستشهاد مباشرة. فضائل الشهداء في البرزخ: ١- من الشهداء من لا تأكل الأرض جسده. ٢- الشهداء لا يُفتنون في قبورهم. ٣- الشهداء يفرحون لما آتاهم الله من فضله. ٤- الشهداء يستبشرون بفضل الله. ٥- الشهداء أرواحهم في جوف طير خضر في ظل العرش. ٦- الشهداء على بارق نهر بباب الجنة. فضائل متفرقة للشهيد: ١- لا يغسل كما يغسل الموتى فالغسل تطهير لجسد الميت والشهداء أطهار بما فيهم من حياة، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها لأنهم بعد أحياء. ٢- أحياء فلا يشق قتلهم على الأهل والأصدقاء.. لأنهم مكرمون عند الله مأجورون؛ لذا لا يجوز البكاء عليهم. ٣- يشفع الشهيد في سبعين من أهله. ٤- يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشرات المرات لما يراه من الكرامة. ٥- الشهداء هم أول من يدخلون الجنة. ٦- الملائكة تظلل الشهيد بأجنحتها حتى يرفع ويدفن. ٧- قبورهم برائحة المسك كذلك رائحة الشهيد رائحة طيبة كالمسك، ودمه في الظلام نور ينبعث من الجرح. ٨- أعلى درجات الجنة للشهداء. ٩- الأمن من الفزع وغيره. ١٠- يضحك إليهم ربهم. ١١- دمه الذي أريق اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ... [٦٩] ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فوائد صحبة الصالحين: ١- النجاة يوم القيامة: كما قال النبي ﷺ: (المرء مع من أحب). متفق عليه. ٢- النجاة من فزع ذلك اليوم: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧-٦٨]. فإذا كان معهم في الدنيا نَجَا مِن الفزعِ، ومن لغْنِ بعضِ الناس بعضاً يوم القيامة. ٣- الانتفاع بدعائهم بظهر الغيب. ٤- الانتفاع بمحبة الله لمحبتهم: لأن الله قال: (وجبت محبتي للمتحابين فِيَّ، والمتجالسين فِيَّ، والمتزاورين فِيَّ، والمتباذلين فِيَّ) أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني. =

[٦٦] ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قرئ: (قليلا) بالنصب على الاستثناء، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف أهل الشام. وقرئ: (قليلٌ) بالرفع بدلًا من الواو في فعلوه، وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف. [٧٣] ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن﴾ قرئ: (تكن) بالتاء على التأنيث لمناسبة لفظ المودة. وقرئ (يكن) بالياء على التذكير لأن: المودة والود بمعنى واحد.

[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥- ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾: من كان باقياً بمكة بين المشركين ممن غلبتهم عشائرهم، وحالوا بينهم وبين الهجرة. ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: كل مدينة تسمى قرية عند العرب، والمراد بها هنا مكة حين كانت للمشركين. ٧٦- ﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشيطان والكهان والأصنام. ويراد به هنا: الشيطان، لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وكيد الشيطان: مكره ومكر من اتبعه من الكفار. ٧٧- ﴿ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾: قيل: هم قوم من المسلمين أمروا بالصلاة والزكاة والكف قبل أن يُؤمروا بالجهاد؛ فلما أمروا به شق عليهم، وخافوا الناس، لما كانوا يرون من قلة عددهم وطاقتهم. ٧٨- ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾: قيل: حصون منيعة. وقيل: قصور محصنة. ﴿حَسَنَةٌ﴾: غنيمة وظفر. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: هزيمة وشدة ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾: كانوا يقولون: أساءَ التدبير والنظر. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: الرخاء والشدة. ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: يعني: ما شأن هؤلاء لا يفهمون ولا يعلمون أن الأمور كلها بيد الله. ٧٩- ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: من شدة ومشقة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾: بذنبك الذي اكتسبته. وجاء عن النبي ﷺ: «لا يصيب للرجل خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر». أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

[٧٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾ الآية. أخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾ الآية.

[٧٧] ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٧]. آية البقرة تتحدث عن بني إسرائيل عندما أعطوا العهد لنبيهم أن يقاتلوا عدوهم، ولكن عندما كتب عليهم القتال تولوا كعهد بنى إسرائيل دائمًا في نقض المواثيق، أما آية النساء فالحديث فيها عن المسلمين في عهد رسول الله ﷺ الذين كانوا يستعجلون الجهاد، ولم يكن قد أذن الله لهم بالقتال، وقيل لهم: كفوا أيديكم، فلما كُتب عليهم القتال لم يتولوا كبني إسرائيل، ولكن فريقًا منهم تغير حالهم وأصبحوا يخافون الناس ويخشونهم وقالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، فطلبوا تأجيل الجهاد.

= ٥- بركة المجالس والخير الذي يعم: (فتقول الملائكة: يا رب! إن فيهم فلاناً ليس منهم، إنما جاء لحاجة، فيقول الله للملائكة: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) لا يحرم من الفضل وإن جاء لحاجة، ما دام جلس مع الأخيار فلا بد أن يناله نصيب. قومٌ يذكرون الله فيناديهم المنادي من السماء: (قوموا مغفوراً لكم) فما أعظم النعمة بالجلوس معهم إذا كانوا سيقومون وقد غُفِر لهم؟! ٦- جلساء الخير يعرفونك على إخوان الخير فتزداد المعرفة؛ فصاحب الخير يدلك على صاحب الخير، وهكذا تزيد الاستفادة. ٧- التشبه بهم ثمرة من ثمرات مصاحبتهم: وإذا كانوا على خيرٍ صرت على خير. ٨- يحفظون الوقت والعمر من الإهدار. ٩- ذكر الله تعالى: قال عليه الصلاة والسلام: (أولياء الله تعالى الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله عز وجل) «أخرجه السيوطي، وصححه الألباني». ١٠- هم الزينة في الرخاء، والعدة في البلاء. ١١- وخير معينٍ على تخفيف الهموم والغموم. ١٢- وكذلك فإن من أعظم النعم بمصاحبة الصالحين إن أُحسِن الاختيار: تعلم العلم الشرعي. ١٣- الإقبال على الدين. ١٤- تكميل الشخصية. ١٥- العون على العبادة. ١٦- الحماس للطاعة. ١٧- النصرة في الحق. ١٨- الإعانة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ١٩- السمو فوق عالم المادة. ٢٠- النجاة من اليأس. ٢١- الرأي السديد. ٢٢- التخلص من العادات السيئة. ٢٣- البركة: كما قال النبي ﷺ: (البركة في ثلاث: الجماعات، والثريد، والسحور) «رواه البيهقي وصححه الألباني».

[٧٤] ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فضل الجهاد في سبيل الله: ١- المجاهدون يرجون رحمة الله. ٢- ثمن الجهاد دخول الجنة. ٣- الجهاد اختبار وامتحان لقوة إيمان المؤمنين. ٤- فيه تمحيص للناس. ٥- في الجهاد بيان لمعرفة الصابرين من غيرهم. ٦- شتان بين المجاهدين في سبيل الله تعالى والقاعدين. ٧- الجهاد في سبيل الله سبيل الفلاح في الدارين. ٨- المجاهدون في سبيل الله أولياء بعضهم لبعض. ٩- الله تعالى يحبُّ المجاهدين في سبيل الله ويحبونه. ١٠- الجهاد في سبيل الله ينفي عن المؤمن النفاق. ١١- من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين . ١٢- في الجهاد في سبيل الله زيادة إيمان المؤمنين ويقينهم بالله. ١٣- في الجهاد في سبيل الله إغاظة للكفار. ١٤- لا يستوي الجهاد في سبيل الله وغيره أبدًا . ١٥- في الجهاد في سبيل الله سعادة الدارين. ١٦- مغفرة ذنوب المجاهدين. ١٧- من جاهد فلنفسه. ١٨- من جاهد في سبيل الله هدي للحق. ١٩- الجهاد في سبيل الله هو التجارة الرابحة. ٢٠- في القتال في سبيل الله خير كثير. ٢١- لَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ. ٢٢- إظهار آيات الله في القتال بين المؤمنين والكافرين. ٢٣- في قتالنا لأهل الكتاب سنتصر عليهم بإذن الله. ٢٤- من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار. ٢٥- من قتل في سبيل الله فهو حيٌّ. ٢٦- شراء الحياة الدنيا بالآخرة.

[٧٦] ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]. كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف، وفي قوله: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٨]، وصف كيد النساء بالعظم، مع أنّ كيد الشيطان أعظم؟ الجواب: المراد أنّ كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصرة الله أولياءه، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلى الرجال.

[٧٩] ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]. العبد لا يطمئن إلى نفسه فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له الخير ويدفع عنه الشر، ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة ٦-٧].

[٧٧] ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ قرئ: (يظلمون) بالغيب لمناسبة صدر الآية. وقرئ: (تظلمون) بتاء الخطاب، لمناسبة قوله: ﴿ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾. وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو ضرب من ضروب البلاغة العربية.

مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠- ﴿حَفِيظٗا﴾: حافظاً محاسباً؛ وإنما عليك البلاغ. ٨١- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾: هم طائفة من المنافقين شقّ عليهم الجهاد، كانوا يقولون - إذا أمرهم -: لك منا طاعة فما تأمرنا بها؟ ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ﴾: كل عمل عمل ليلاً فهو تبييت؛ منه بيات العدو والإيقاع به في الليل؛ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾: أي: غير ما تقوله يا محمد ﷺ. ٨٢- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: بمعنى: يتأملون ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: إذ لا يختلف ولا ينقض بعضه بعضاً. ٨٣- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ﴾: يعني: الطائفة المبيتة غير الذي تقول ﴿أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾: خبر عن سرية للمسلمين أصابت أو سلمت ﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾: أو أنهم خائفون من عدوهم ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أفشوه وتكلموا به قبل أن يخبرهم رسول الله ﷺ ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾: يعني الأمر الذي بلغهم ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾: بأن يسكتوا ولا يذيعوا، حتى يكون رسول الله ﷺ أو ذوو أمرهم يخبرونهم ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يستخرجونه ويبحثون عنه، وكل مستخرج شيئاً غائباً عن أبصار العيون أو معرفة القلوب فهو «مستنبط». وقيل «النَّبط» سُمُّوا نبطاً لاستخراجهم الماء «والنَّبَطُ»: الماء المستنبط من الأرض. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾: من عصمه الله من أصحاب رسول الله ﷺ؛ من غير من ذكر بالاستنباط والإذاعة. ٨٤- ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾: لا تحمل إلا ما اكتسبته دون غيرك. ﴿أَن يَكُفَّ﴾: يصرف: ﴿بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: قتالهم ﴿تَنكِيلٗا﴾: «التنكيل»: و«النكاية»: العقوبة. ٨٥- ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ شفاعة الناس بعضهم لبعض ﴿نَصِيبٞ مِّنۡهَا﴾: من أجرها. ﴿كِفۡلٞ مِّنۡهَا﴾: إثم. وقيل: نصيب وحظ؛ مأخوذ من كفل البعير، أو الدابة؛ وهو الكساء، أو الشيء يُهيأ عليه، شبيه بالسرج. يقال: جاءنا مكتفلاً؛ إذا جاء على مركب وطيء له. ﴿مُّقِيتٗا﴾: قديراً. وقيل: شهيداً وحسيباً. ٨٦- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾: دُعِيَ لكم بطول السلامة والحياة، والقول الحسن. ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾: هو أن يقول الرجل: السلام عليكم، فيرد عليه ذلك، ويزاد: «ورحمة الله وبركاته». ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾: أي: كافياً، من قولهم: أحسبني فلان: إذا كفاني. وقيل: مجازياً؛ من الحساب والجزاء، تقول: حاسبت فلاناً على كذا وكذا، وهو حسيبه: إذا كان، صاحب حسابه.

[٨٥] معنى اسم الله المقيت: فهو سبحانه الذي أوصل إلى كل الموجودات ما به تقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصَرّفها كيف يشاء، بحكمته وحمده. قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: ((القوت ما يمسك الرَّمق، وجمعه: أقوات، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، وقاتَهُ يقوتُهُ قوتاً: أطعمه قوتَهُ. وأقاتهُ يُقيتُهُ جعل له ما يقوتُهُ، وفي الحديث: ((كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّع من يقوتُ))، أخرجه أبو داود وغيره، وحسَّنه الألباني. «صحيح الجامع»، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، قيل: مقتدراً، وقيل: شاهداً. وحقيقته قائماً عليه يحفظُهُ ويُقيتهُ...، وقال في القاموس المحيط: ((المُقيتُ: الحافظ للشيء، والشاهد له، والمقتدر، كالذي يعطي كل أحد قوته))، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: مقتدراً، أو مجازياً، وقال قتادة: حافظاً، وقيل: معناه على كل حيوان مُقيتاً: أي يوصل القوت إليه، وقال ابن كثير: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء: ٨٥]، أي حفيظاً، وقال مجاهد: شهيداً، وفي رواية عنه: حسيباً، وقيل: قديراً، وقيل: المقيت: الرازق، وقيل: مقيت لكل إنسان بقدر عمله. [٨٦] معنى اسم الله الحسيب: والحسيبُ: ١- هو الكافي للعباد جميع ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم من حصول المنافع ودفع المضارّ. ٢- والحسيب بالمعنى الأخصّ هو الكافي لعبده المتّقي المتوكِّل عليه كفاية خاصة يصلح بها دينه ودنياه. ٣- والحسيب أيضاً هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشرٍّ ويحاسبهم، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي كافيك وكافي أتباعك. فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وقيامه بعبودية الله تعالى.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ الآية. روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية محمد: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلَقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تتدبر مواعظ الله وعبره. [٨٣] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ [النساء: ١١٣]. الآية الأولى تخاطب المؤمنين بمنة الله عليهم فلم يتبعوا الشيطان كالمنافقين الذين إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، بل جعلهم يردون الأمر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، والآية الثانية تخاطب رسول الله ﷺ بمنة الله عليه بأن بيّن له وجه الحق في شأن الطائفة التي دافعت وخاصمت عمن ارتكب خطيئة ورمى بها شخصًا بريئًا.

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]. أنواع هجر القرآن: ١- هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. ٢- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه. ٣-هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه. ٤- هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. ٥- هجر الاستشفاء والتداوي به. [٨٢] ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢]. يدل بمفهومه على أنّ في القرآن اختلافًا قليلًا، وإلّا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة، مع أنه لا اختلاف فيه أصلًا؛ إذ المراد بالاختلاف فيه التناقض في معانيه، والتباين في نظمه. وأُجيب بأن التقييد بالكثرة للمبالغة في إثبات الملازمة، أي: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا فضلًا عن القليل، لكنه من عند الله سبحانه وتعالى، فليس فيه اختلاف كثير ولا قليل. [٨٨] ﴿ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ [النساء: ٨٨]. تعريف المنافق: هو الذي يظهر غير ما يبطن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر، وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام، وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق. والمنافق أضر وأسوأ من الكافر لأنه ساواه في الكفر، وزاد عليه بالخداع والتضليل فيكون ضرره شديدًا والحذر منه قليلًا بخلاف الكافر.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

٨٨- ﴿فِئَتَيۡنِ﴾: فرقتين: فرقة ترى قتل المنافقين، وفرقة ترى العفو عنهم. ﴿أَرۡكَسَهُم﴾: ردهم. و«الإركاس»: الرد؛ ردهم الله عن الجهاد والهدى. وقيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة وأشركوا. ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾: بما عملوا ﴿سَبِيلٗا﴾: طريقاً من الهدى.
٨٩- ﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾: تستوون معهم في الشرك! ٩٠- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: من وصل منهم ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ﴾: مشركين ﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد، فدخلوا فيهم فاحلوهم محلهم؛ أي: إلا الذين يتصلون ويدخلون في قوم بينكم وبينكم ميثاق بالجوار والحلف، فلا تقتلوهم لما بينهم وبين من بينكم وبينهم عهد وميثاق، فإن العهد يشملهم، قال ابن عباس: أجروا عليهم مثلما تجرون على أهل الذمة ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾: ضاقت، وكرهوا ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾: فأتوكم فدخلوا بينكم، ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾: بالا يقاتلوكم ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: من السِّلم والكَفِّ والصُّلح.
٩١- ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾: من المنافقين، كانوا يظهرون الإسلام للمسلمين إذا أتوهم، والشرك للمشركين إذا كانوا معهم؛ ليأمنوا هؤلاء وهؤلاء. ﴿إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: هي - هاهنا -: الشرك. ﴿أُرۡكِسُواْ﴾: رجعوا ورُدُّوا. ﴿حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: ظفرتم بهم. ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: حُجَّة.

[٨٨] قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ الآية. روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول لا. فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾. [٩٠] قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية. أخرج ابن ابي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن: أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعل ما يريد، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم.

[٨٧] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء : ٨٧]، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء : ١٢٢]. التعبير في الآية الثانية مبني على ما يجب ربطه به من قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ وقيل: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾، وأنيب مناب «وعدًا»، فكأن قد قيل: "ومن أصدق من الله وعدًا" وهو ما وعدهم به تعالى من النعيم وعظيم الإحسان، فجيء بلفظ يوازن المصدرين، وهما وعدًا وحقًا، ويشابههما في الخفة، فسكون عين الكلمة وعدد حروفها كالمصدرين قبلها، وكأنه إنما أريد تكرار المصدر بلفظه، فاستثقل التكرار للتقارب، وعادة العرب ذلك، فعدل إلى ما يجاريه ويحرز المعنى، ولتجرى المصادر الثلاثة مجرى واحدًا خفة ووزنًا إحرازًا للتناسب والتلاؤم، ولما لم يتقدم في الآية الأولى ما يستلزم هذا، وقوله تعالى: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾، إخبار وحديث عن البعث بعد الموت، وجمع الخلق لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر، فهو إخبار وإنباء، ومثله ما ورد في قوله تعالى إخبارًا عن قول منكري البعث: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ﴾ [سبأ : ٧]، فالإنباء هنا هو ذلك الخبر الصدق منه تعالى بقوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، فقد وضح ورود كل واحدة من الآيتين على ما يناسب ويلائم، والله أعلم. [٨٩] ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [النساء : ٨٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [البقرة : ١٩١، النساء : ٩١]. معنى كلمة ثقف: تعني ظفر به وأخذه، ولا تستعمل ﴿ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ إلا في القتال والخصومة، ومعناها أشمل من الإيجاد، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل ﴿وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾.

- من صفات المنافقين: ١- مرض القلب. ٢- الطبع الشهواني. ٣- الزيغ بالشبه. ٤- الظن السيئ بالله. ٥- الاستهزاء بآيات الله. ٦- الجلوس إلى المستهزئين بآيات الله. ٧- التستر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين. ٨- التفريق بين المؤمنين، والدس والوقيعة وإشعال نار الفتنه، واستغلال الخلافات وتوسيع شقتها ٩- الإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح. ١١- السفه. ١٢- اللدد في الخصومة مع إتيانه في بعض الأحيان بالقول الجميل. ١٣- عدم الأوبة للحق وتأخذه الحمية والغضب بالباطل وبالإثم. ١٤- موالاة الكافرين. ١٥- التربص بالمؤمنين. ١٦- الاتفاق مع أهل الكتاب ضد المؤمنين. ١٧- التولي في القتال. ١٨- الطبع على القلوب فلا يفقهون. ١٩- فتنة النفس والتربص والاغترار بالأماني. ٢٠- مخادعة الله والمؤمنين. ٢١- الكسل في العبادات. ٢٢- الرياء. ٢٣- قلة الذكر. ٢٤- التذبذب بين المؤمنين والكافرين. ٢٥- التحاكم إلى الطاغوت. ٢٦- الصدود عما أنزل الله و عدم الرضا بالتحاكم اليه. ٢٧- الإفساد بين المؤمنين. ٢٨- الحلف الكاذب. ٢٩- والخوف والجبن والهلع. ٣٠- كره المسلمين والخروج عن دائرتهم. ٣١- الكذب. ٣٢- إخلاف الوعد. ٣٣- خيانة الأمانة. ٣٤- يعيبون العمل الصالح. ٣٤- يرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم. ٣٥- يسخرون من العمل القليل من المؤمنين. ٣٦- الرضا بأسافل المواضع. ٣٧- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. ٣٨- البخل. ٣٩- نسيان الله. ٤٠- الغدر وعدم الوفاء بالعهود مع الله. ٤١- الفرح بالتخلف عن الجهاد وكرهه. ٤٢- التواصي بالتخلف عن الجهاد. ٤٣- التخذيل والتثبيط. ٤٣- الإرجاف. ٤٤- لا ترى نصرة الله لهم. ٤٥- قطع الأرحام. ٤٦- طاعة الكفار والمنافقين والفاسقين في بعض الأمر. ٤٧- ظهور الأضغان منهم. ٤٨- التعرف عليهم في لحن القول. ٤٩- البطء عن المؤمنين. ٥٠- لا ينفعهم القرآن بل يزيدهم رجسًا إلى رجسهم. ٥١- العودة إلى ما نهوا عنه. ٥٢- التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. ٥٣- الاستئذان عن الجهاد بحجة الفتنة. ٥٤- اتخاذ الأعذار عند التخلف. ٥٥- الاستخفاء من الناس. ٥٦- يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. ٥٧- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء. والاستياء بما يمكن الله لهم. ٥٨- زيادة في الجسم في بعض الأحيان. ومن وقع في شيء من هذه الصفات فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتتزايد وتنتشر فيه، ويجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق ويجب أن يترك الصالحين فتزداد مصائبه. [٩٠] ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿حَصِرَتۡ﴾ قرئ: (حصرةً) بنصب التاء منونة، والنصب على الحال، ومعنى "حصرةً" ضيقة، إذًا فيكون المعنى: أو جاءوكم حالة كون صدورهم ضيقة من الجبن مبغضين قتالكم، ولا يهون عليهم أيضًا قتال قومهم معكم، فهم لا لكم ولا عليكم. وقرئ: (حصرتْ) بسكون التاء فعلًا ماضيًا، والجملة في موضع نصب الحال.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: هذا النفي هو بمعنى النهي المقتضي للتحريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾، ﴿إِلَّا خَطَأً﴾: على غير عمد. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: سلبُ حياة مؤمن عقوبته تحرير مؤمن من الرق. وهذا حق المجتمع أو الحق العام، فكأن هذا التحرير أعاد لهذه الرقبة الحياة. وقد يشير هذا إلى أن الرق موت، والحرية حياة. ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مؤداة، والدية هي ما تُعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدقوا بها، ويتركوها لعاقلة القاتل، أو له، والعاقلة هم قرابة القاتل الذين يدفعون دية قتل الخطأ، ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾: هو أن يقتل الرجل الرجل من أعدائه المشركين؛ وقد أسلم، وهو يحسب أنه مشرك لم يسلم ﴿مِّيثَاقٌ﴾: عهد أو ذمة من غير المسلمين. ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: تؤدي ديته إلى قومه المشركين. ٩٣- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾: مستحلاً قتله. وقيل: كل ما عمد به الضارب إتلاف نفس المضروب فهو عمد. ﴿فَجَزَاؤُهُ﴾: ما ذكر الله من العقاب الشديد، إن شاء أن يجازيه. ٩٤- ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سرتم ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: فتثبتوا. ﴿أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: استسلم وأظهر إليكم أنه من أهل ملتكم. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: رغبةً في السباء والسلب، وليس من حق المسلمين أن يهملوا ما يستدل به على إسلام الكافر، ويقولوا: إن ما قاله أو قام به كان تعوذًا أو تقيّة أو نحو ذلك. ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾: كنتم كفاراً ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: هداكم.

[٩٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان الحرث بن يزيد من بني عامر ابن لؤي، يعذب عياش بن أبي ربيعة، مع أبي جهل، ثم خرج الحرث مهاجرًا إلى النبي ﷺ فلقيه عياش بالحرة، فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر، ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ الآية. [٩٣] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة: أن رجلًا من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، فقال النبي ﷺ: لا أؤمنه في حل ولا حرم. فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية. [٩٤] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية. روى البخاري، والترمذي، والحاكم، وغيره عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنمًا له فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجلٌ له مال كثير فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ «كيف لك بلا إله إلا الله غدًا؟» وأنزل الله هذه الآية.

[٩٤] ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١، المائدة: ١٠٦]. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إذا خرجتم في الأرض مجاهدين في سبيل الله تعالى، أما قوله تعالى: ﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إذا سافرتم.

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء:٩٣]. عندما ذكر القتل الخطأ جاء بالفعل الماضي؛ لأن هذا خطأ غير متعمد -إذًا هو لا يتكرر- وعندما جاء إلى القتل العمد جاء بالفعل المضارع ﴿وَمَن يَقْتُلْ﴾ لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن فكلما سمحت له الفرصة فعل، فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار. [٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. ما الفرق بين: "المخطئ والخاطئ"؟ الجواب: "أخطأ": تعني جانب الصواب: سواء أكان الخطأ مقصودًا أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما "خطئ": فتعني دائمًا مجانبة الصواب عمدًا، لذا فإنها تأتي دائمًا بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خطئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقًا، وسيرة. [٩٢] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. ما الفرق بين: "الصوم والصيام"؟ الجواب: لغة: لا يفرق أئمة اللغة بين الكلمتين؛ بل هما بمعنى واحد عندهم. قرآنيًا: فرّق القرآن الكريم بين الكلمتين، وأورد كلًا منهما في موضع خاص، بمعنى خاص، فالصوم: (لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن) ومعناه: الإمساك عن الكلام أي الصمت، مثل قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٦]، والصيام معناه: الإمساك عن =

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ في الموضعين هنا، وفي الحجرات: ٦، قرئ: (فتثبتوا) بثاء مثلثة بعدها باء موحدة بعدها تاء مثناة فوقية من الثبت أو التثبت؛ لأنه لما كان معنى الآية حض المؤمنين على التأني وترك الإقدام على القتل أو الانتقام دون تثبت وتبين أتى اتثبت لأنه أفسح للمأمور من التبين فكل من أراد أن يتثبت قدر عليه، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك. وقرئ: (فتبينوا) بباء موحدة وياء مثناة تحت ونون من التبين؛ لأنه لما كان معنى الآية افحصوا عن أمر لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا به أو تؤاخذوه، حتى تتبين لكم حقيقة ما هو عليه حمل على التبين لأنه به يظهر الأمر، وقيل: إن التبين أعم من التثبت ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، وهما متقاربان، يقال: تثبت في الشيء: تبينه. قوله تعالى: ﴿السَّلَمَ﴾ قرئ: (السَّلَم) بفتح اللام من غير ألف بعدها على معنى الاستسلام والانقياد، والمعنى: ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله، وخرجتم للجهاد فتبينوا ولا تقولوا لمن استسلم وانقاد إليكم لست مؤمنًا فتقتلوه، بل يجب عليكم أن تتبينوا حقيقة أمره. وقرئ: (السَّلام) بالألف على معنى التحية، فتحية الإسلام هي "السلام عليكم" وعليه يكون المعنى: لا تقولوا لمن حياكم تحية الإسلام لست مؤمنًا فتقتلوه، لتأخذوا سلبه. قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قرئ: (مؤمَنًا) بفتح الميم الثانية اسم مفعول، أي: لا نؤمنك في نفسك. وقرئ: (مؤمِنًا) بكسرها اسم فاعل، أي: إنما فعلت ذلك متعوذًا وليس عن إيمان.

[٩٤] ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

٩٥- ﴿الْقَاعِدُونَ﴾: عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: العلل التي لا سبيل لأهلها بها إلى الجهاد. ﴿دَرَجَةً﴾: درجة الإسلام درجة، والجهاد درجة، والهجرة درجة ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾: هؤلاء وهؤلاء. و«الحسنى»: الجنة. ٩٧- ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تقبض أرواحهم ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾: موجبين عليها غضب الله بإقامتهم على الكفر، وبقائهم في دار الكفر مختارين ذلك على الإيمان والهجرة، فيقولون: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: ممنوعين من الإيمان والهجرة، فلا تقبل حجتهم. ٩٨- ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾: يعني: المؤمنين الذين لم تكن لهم استطاعة على الهجرة ﴿وَالْوِلْدَانِ﴾: الصبيان، ﴿حِيلَةً﴾: «الحيلة» لفظ عام لأنواع أسباب التخلص، أي: لا يجد هؤلاء المستضعفون في مكة حيلةً ولا طريقاً إلى الهجرة إلى المدينة. ١٠٠- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ﴾: يفارق أرض الشرك هارباً إلى دار الإسلام . ﴿مُرَاغَمًا﴾: مُتحوَّلاً ومذهباً؛ أي تحولاً من أرض إلى أرض أخرى يجد فيها مكاناً يسكن فيه على رغم أنف قومه الذين هاجرهم، ﴿وَسَعَةً﴾: من تضييق المشركين. وقيل: في الرزق. ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: قيل: ثوابه. وقيل: إذا فصل غازياً وأدركه الموت قبل القسمة وجب سهمه في المغنم. ١٠١- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: الضرب في الأرض: السفر، والجناح: الإثم؛ رُوي عن علي رضي الله عنه أن قوماً من التجار سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي في ذلك؛ فلما كان بعد ذلك بحول غزا رسول الله ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم فهلا شددتم عليهم؟ فقال منهم قائل: إن لهم مثلها في أثرها : فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. أخرجه ابن جرير في تفسيره. ونزلت صلاة الخوف على هيئتها التي ذكرها الله عز وجل. وقيل: بل عنى تقصير صلاة السفر في الأمن، وهي ركعتان؛ بأن يصلي عند شدة الخوف ركعة واحدة؛ فتكون صلاة الإمام ركعتين ولكل طائفة ركعة ركعة. ورُويَ عن ابن عباس أنه قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة واحدةً، «رواه مسلم».

[٩٥] قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ﴾ الآية. روى البخاري عن البراء قال: لما نزلت ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال النبي ﷺ: «ادع فلانًا» فجاء ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: «اكتب» ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. [٩٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ﴾ الآية. روى البخاري عن ابن عباس: أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيُقتل، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾. [١٠٠] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وأبو يعلى بسند جيد عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرًا فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة الزرقي، وكان بمكة، فلما نزلت ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ فقال: إني لغني، وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾. [١٠١] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن علي قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ﷺ إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلَّا شددتم عليهم؟.. فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ فنزلت صلاة الخوف.

[٩٧] ﴿ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [النساء : ٩٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [النحل : ٢٨، ٣٢]. المتوفون في آية النساء هم جزء من المتوفين في آية النحل، ففي النساء المتوفون هم المستضعفون من الذين ظلموا أنفسهم، أمَّا في النحل فالمتوفون هم ظالمو أنفسهم كلهم على العموم، فأعطى تعالى القسم الأكبر الفعل الأطول، وأعطى القسم الأقل الفعل الأقل، لذا جاء الفعل "تتوفاهم" بالنحل أكثر عمومية من الفعل "توفاهم" بالنساء، ففي العموم جاء الفعل كاملًا غير مقتطع "تتوفاهم"، أمَّا في الحديث الخاص فقد اقتطع الفعل "توفاهم". [٩٩] ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٤٣، ٩٩] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾. قوله تعالى: ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ بالنساء أي: أن الله تعالى كان عفوًّا عنكم، غفورًا لكم، وأمَّا ﴿ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ أي: أن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

= شهوة الطعام والشراب والفرج بنيةٍ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مثل قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦]. لماذا تخصيص كل كلمةٍ منهما موضعها؟ والجواب: أن الصيام (الإمساك عن شهوتي البطن والفرج) أمرٌ شاقٌ على النفس صيفًا (لشدة العطش)، وشتاءً (لشدة الجوع)، فهو أمر عسير، أما الصوم (الإمساك عن الكلام)، فأمر يسير. بل ربما كان فيه راحة للنفس؛ لذلك التزم القرآن الكريم بصيغة (الصيام) في التكاليف الشاقة (صيام رمضان، صيام كفارة الظهار، صيام كفارة اليمين، صيام كفارة القتل الخطأ، صيام الفدية للمحرم إذا ارتكب مخالفة توجبه، صيام جزاء قتل الصيد للمحرم)، وخصَّ القرآن (الصوم) بالأمر السهل (الصمت) وزيادة المبني تدلُّ على زيادة المعنى. [٩٥] ﴿ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ [النساء : ٩٥]، ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ [النساء : ٩٦]. في الآية الأولى ﴿ دَرَجَةً ﴾ لأنها في الدنيا، والثانية ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾ في الجنة. قول آخر: المراد بالأول تفضيلهم على القاعدين بعذر؛ لأنَّ لهم أجرًا؛ لكونهم مع الغزاة بالهمة والقصد، ولهذا قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾، أي: الجنة، والمراد بالثاني تفضيلهم على القاعدين بلا عذر؛ لأنهم مقصّرون ومسبوقون، فكان تفضيل الغزاة عليهم درجات؛ لابتغاء الفضل لهم. [٩٥] ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ ﴾ قرئ: (غيرُ) برفع الراء على البدل من (القاعدون) وصفة له. وقرئ: (غيرَ) بنصبها على الاستثناء، أو حال من (القاعدون).

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولمن بعده من أولي الامر أن: يصلي بهم صلاة الخوف، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: يعني بعد أن تجعلهم طائفتين: طائفة تقف بإزاء العدو، وطائفة تقوم منهم معك في الصلاة، ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾: اي الطائفة التي تصلي معك، والطائفة التي تقوم بإزاء العدو لابد أن تكون قائمة بأسلحتها، والمراد: أن يكون السلاح قريبًا منهم إذا احتاجوا إليه وجدوه، وليكون أقطع لرجاء عدوهم في الهجوم عليهم أثناء الصلاة، ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾: أي المصلون معه، أي أتموا الركعة أو جميع الصلاة، ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾: اي فلينصرفوا بعد الفراغ لمقابلة العدو أو للحراسة، ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾: وهي القائمة في مقابلة العدو التي لم تصل، ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾: على الصفة التي كانت عليها الطائفة الأولى.. ولم تبين الآية كم تصلي كل طائفة من الطائفتين، وقد بينت السنة ذلك، ولها صور مختلفة وصفات متعددة، كلها صحيحة إن شاء الله تعالى. ١٠٣- ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾: استقررتم؛ وامنتم ﴿فَأَقِيمُواْ﴾: اتموا ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾: فرضاً مفروضاً. ١٠٤- ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: تضعفوا في طلب القوم ﴿تَأْلَمُونَ﴾: توجعون. ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: من العقبى الحسنة والمغفرة، وقيل: من إظهار دينكم على سائر الأديان. ١٠٥- ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾: لتقضي بينهم ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ﴾: بما عرّفه الله به وارشده إليه، قيل: بكتاب الله الذي أنزل إليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾: لمن خان مسلماً، او معاهداً في نفسه او ماله ﴿خَصِيمًا﴾: تخاصم عنهم وتدفع. ونزلت هذه الآية في طُعَيمةَ بن أبيرق، وكان سرق سرقة ورمى بها رجلاً بريئاً من الأنصار.

[١٠٤] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [١٠٤، ١١١] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ الآية. أخرج أحمد، والحاكم، وصححه البيهقي في الدلائل عن ابن عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ الحديث. وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة، وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله، وابن عباس. قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أخرج البخاري عن ابن عباس قال نزلت ﴿أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ في عبد الرحمن بن عوف كان جريحًا. [١٠٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ الآية. روى الترمذي، والحاكم، وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله بعض العرب، يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملًا من الدرمك، فجعله في مشربة له فيها سلاح «درع وسيف» فعُدي عليه من تحت، فنُقبت المشربة وأُخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا، وذُهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق، والله ليُخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنّا أيها الرّجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابنا، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك. فلما سمع بنو ابيرق أتوا رجلًا منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك فاجتمع. =

[١٠٥] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ ...﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ...﴾ [الزمر: ٢]. إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن مشتملًا على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعًا بما أوحى الله إليك، ويَصّرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم بكتمان الحق مدافعًا عنهم بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة...، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية الزمر: إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك...

[١٠٢] ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟ الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]، ٢- (الغيثُ) استعمله القرآن الكريم في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨].

[١٠٤] ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤] إن قيل: رجاء الفريقين مشترك؛ إذ الكفار يرجون الثواب في قتالهم المؤمنين؛ لاعتقادهم أنه قربة لله، كالمؤمنين في قتالهم الكفار. الجواب: ذلك ممنوع إذ المراد بالكفار عبدة الأوثان ونحوهم ممن لا يعتقد =

[١٠٢] ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

١٠٧- ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ﴾: لا تخاصم. ﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يجعلون أنفسهم خونة بما خانوه من أموال من خانوه ماله. ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا﴾: الخوان: كثير الخيانة، والأثيم: كثير الإثم. ١٠٨- ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: يستترون. ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يسرون، ويدبرون. وأصله أن يكون بالليل. ١٠٩- ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: أي: مجادلاً ومخاصمًا بالوكالة عنهم. ١١٠- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ذنباً ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: بإكسابه إياها ما تستحق به عقوبة الله عز وجل. ١١١- ﴿يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: عاقبته عائدة عليه. ١١٢- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾: الآية عامّة في كل خاطئ وآثم. و«الخطيئة»: تكون في العمد وغير العمد، و«الإثم» لا يكون إلا في العمد، وقيل: الخطيئة: الصغيرة، والإثم: الكبيرة. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾: نزلت هذه الآية وما قبلها في ابن أبيرق السارق، ورميه بالسرقة لبيد بن سهل وكان بريئاً. ﴿بُهْتَٰنًا﴾: فرية وكذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: زوراً مبيناً واضحاً. ١١٣- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: الفضل والرحمة لرسول الله: أنه نبهه على الحق في قصة السارق، ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: أي من الجماعة الذين عضدوا ابن ابيرق، ﴿يُضِلُّوكَ﴾: عن الحق فتحكم خطأ. ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: لا فضل أعظم من النبوّة ونزول الوحي، يضاف إليه: سائر ما خصّ الله تعالى به نبيّه الكريم من الشمائل والفضائل.

[١٠٤، ١١١] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة، في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟... [١٠٦، ١١٠] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها، وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [١٠٦، ١١٠] معنى اسم الله الرحيم: قال السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم =

= في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: «فأتيت رسول الله ﷺ فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة، على غير ثبت وبينة، فرجعت فأخبرت عمي، فقال: الله المستعان فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ بني أبيرق ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي مما قلت لقتادة إلى قوله: «عظيمًا». [١١٣]. فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة، ولحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. [١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]. الآية. الأولى تخاطب المؤمنين بمنة الله عليهم فلم يتبعوا الشيطان كالمنافقين الذين إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، بل جعلهم يردون الأمر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم... والآية الثانية تخاطب رسول الله ﷺ بمنة الله تعالى عليه بأن بين له وجه الحق في شأن الطائفة التي دافعت وخاصمت عمّن ارتكب خطيئة، ورمى بها شخصًا بريئًا... [١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. الآية الأولى نزلت في اليهود وتحريفهم الكَلِمَ افتراءً على الله، فناسب ختم الآية بذكر الافتراء العظيم، والآية الثانية تقدمها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، فناسب ختمها بذكر الضلال البعيد، ولأنها في العرب وعباد الأصنام بغير كتاب، وبعد ذكر طعمة بن أبيرق وارتداده، فهم في ضلال بعيد عن الحق والكتب المنزلة. قول آخر: انظر سورة النساء آية: ٤٨.

= الجزاء، أو أهل الكتاب، وهم وإن اعتقدوا الجزاء، فاعتقادهم فاسد؛ لبنائه على فاسد، فرجاؤهم وهمي، فهو كالمعدوم. [١١٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠] المراد بعمل السوء ما دون الشرك، وبظلم النفس الشرك، أو بعمل السوء الذنب المتعدي ضرره إلى الغير، وبظلم النفس: الذنب المقصور عليها. [١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]. إن قيل ظاهره نفي وقوع الهمّ منهم بإضلاله، والمنقول خلافه. فالجواب: المراد بالهمّ المؤثر، أي: لهمّت بما يؤثر عندك، أو المراد بالإضلال الإضلال عن الشريعة، أي: لهمت طائفة منهم أن يضلوك عن دينك وشريعتك، وكلّ من هذين الهمين لم يقع.

[١٠٩] ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن الكريم، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الدنيا والآخرة) مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)﴾

١١٤- ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: نجوى الناس؛ وهو حديثهم الذي يتناجون به. أي يكتمونه ويسرّون به. والنجوى: السرّ بين الاثنين أو الجماعة. وأكثر ما يتناجى به الناس لا خير فيه. إلا في الأمور الثلاثة المذكورة. ١١٥- ﴿يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يباين ويفارق، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نسلمه إلى ناصره، ونكله إلى معبوده من الأصنام. واتباع غير سبيل المؤمنين يراد به هنا: الخروج من دين الإسلام إلى غيره. ١١٧- ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾: قيل: هي اللات والعزى ومناة: أصنام لها أسماء مؤنثة. وقيل: الإناث كلها: كل شيء لا روح فيه من خشبة باليةٍ وحجر. ﴿شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾: متمرداً على الله وهو العاصي. ١١٨- ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: معلوماً. ١١٩- ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: بالغرور. ليثبطهم به عن التوبة والمبادرة إلى الله تعالى. ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾: البتك: القطع والشق، كانوا يشقّون آذان ما كانوا يجعلونه بحيرة لطاغوتهم، على ما كان شرع لهم إبليس. والبحيرة: الشاة أو الناقة تُشق أذنها ثم تترك لا يمسها أحد. وقد حرم الإسلام هذه العادة الجاهلية، ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾: قيل: هي الخصاء، وفقء العين وقطع الآذان، وفيه اختلاف. ١٢٠- ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً. ١٢١- ﴿مَحِيصًا﴾: معدلاً. وقيل: ملجأ ومخلصاً.

= والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٠٨] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزّته كل مخلوق،ودانت له جميع الأشياء. [١٠٩] معنى اسم الله الوكيل: فهو سبحانه المتولّي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليُسرى، وجنّبهم العُسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه.

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. الآيتان تتحدثان عن الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة رسوله محمد ﷺ، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبدًا ولا يخرجون منها، والآية الأولى تبين أن لهم فيها أزواجًا طهرها الله مِن كل أذى، ويدخلهم ظلًا كثيفًا ممتدًا في الجنة، وأمّا الآية الثانية فتوضح أن هذا وعدٌ من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعده.

[١١٤] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ فضائل وفوائد الصدقة: ١- أنها تطفىء غضب الله سبحانه. ٢- أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها. ٣- أنها وقاية من النار. ٤- أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة. ٥- أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية. ٦- إن فيها دواء للأمراض القلبية. ٧- أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء. ٨- أن العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة. ٩- أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك. ١٠- أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله. ١١- أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به. ١٢- أن الله يضاعف للمتصدق أجره. ١٣- أن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة. ١٤- أنها ما اجتمعت مع الصيام واتباع الجنازة وعيادة المريض في يوم واحد إلا أوجب ذلك لصاحبها الجنة. ١٥- أن فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنيته. ١٦- أنَّ المنفق إذا كان من العلماء فهو بأفضل المنازل عند الله. ١٧- أنَّ النبي جعل الغني مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به. ١٨- أنَّ العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله ومتممٌ للصفقة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله. ١٩- أنَّ الصدقة دليلٌ على صدق العبد وإيمانه. ٢٠- أنَّ الصدقة مطهرة للمال، تخلصه من الدَّخن الذي يصيبه من جراء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة... أفضل الصدقات: ١- الصدقة الخفية؛ لأنَّها أقرب إلى الإخلاص من المعلنة. ٢- الصدقةُ في حال الصحة والقوة أفضل من الوصية بعد الموت أو حال المرض والاحتضار. ٣- الصدقة التي تكون بعد أداء الواجب. ٤- بذل الإنسان ما يستطيعه ويطيقه مع القلة والحاجة. ٥- الإنفاق على الأولاد. ٦- الصدقة على القريب، وأخصُّ الأقارب - بعد من تلزمه نفقتهم - اثنان: الأول: اليتيم، الثاني: القريب الذي يضمر العداوة ويخفيها. ٧- الصَّدقة على الجار. ٨- الصدقة على الصاحب والصديق في سبيل الله... ٩- النفقة في الجهاد في سبيل الله سواء كان جهاداً للكفار أم المنافقين، فإنه من أعظم ما بُذلت فيه الأموال؛ فإن الله أمر بذلك في غير ما موضع من كتابه، وقدَّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات. ١٠- الصدقة الجارية: وهي ما يبقى بعد موت العبد، ويستمر أجره عليه. بعض أنواع الصدقة الجارية: ١- سقي الماء وحفر الآبار. ٢ - إطعام الطعام. ٣- بناء المساجد. ٤- الإنفاق على نشر العلم، وتوزيع المصاحف، وبناء البيوت لابن السبيل، ومَنْ كان في حكمه كاليتيم والأرملة ونحوهما. وقد يكون الإنفاق في بعض الأوقات أفضل منه في غيرها كالإنفاق في رمضان. وكذلك الصدقة في أيام العشر من ذي الحجة. وقد علمت أن الصدقة من أفضل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله. ومن الأوقات الفاضلة يوم أن يكون الناس في شدة وحاجة ماسة وفقر بيّن... فمن نعمة الله عز وجل على العبد أن يكون ذا مال =

[١١٤] ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ﴾ قرئ: (يؤتيه) بالياء المثناة تحت على الغيبة لمناسبة "ومن يفعل ذلك". وقرئ: (نؤتيه) بنون العظمة التفاتًا من الغيبة للتكلم، والالتفات ضرب من ضروب البلاغة. أو أجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بمنزلة ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بعد قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾.

[١١٧] ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

١٢٣- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: قيل: عُني بهم مشركو العرب؛ لأنهم كانوا يقولون: لا نُعذب، وكان أهل الكتاب يقولون كذلك. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: معصية لله كبيرة وصغيرة، من مؤمن وكافر. وقيل: هو الشرك. ولما نزلت هذه الآية، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا. فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدّدوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفّارة، حتى النكبة يُنكبها، أو الشوكة يشاكها» رواه مسلم. والنكبة: العثرة برجله ونحوها. وقيل: إنه يجازي المؤمن بالمصائب فيحط من ذنوبه، ويجازي الكافر في الدنيا بما يبلى به، ولا تحط بلواه من وزره، وله في الآخرة عذاب النار. قال الله عز وجل: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾. ١٢٤- ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: أي لا ينقصون شيئاً. والنقير: النقرة التي تكون في وسط النواة. ١٢٥- ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: عامل بما أمر به ﴿حَنِيفًا﴾: مسلماً، وليس يُقبل منه إلا ان يكون حنيفاً. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: ولياً، اي جعله صفوة، وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله. ١٢٧- ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾: قيل: هن اليتامى يكُنّ عند الرجل من ذوي قُرْباه، يُرغب في نكاحها؛ ويعضُلُها عن النكاح لتموت فيرثها، أو تكون شريكته في المال فيعضلها لئلا يَشركه احدٌ بسببها في المال. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: كانت العرب لا تورث الصغير من ولد الرجل، ففرض الله الميراث للصغير والكبير، من الذكور والإناث. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في الميراث والمهر.

[١٢٣] قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ الآية. اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال: قالت اليهود والنصارى: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا نُبعث، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾: واخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء نحن افضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ واخرج ايضا عن مسروق قال: لما نزلت ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾. [١٢٧] قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ الآية. روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، وهو وليها ووارثها، قد شركته في مالها حتى في العِذق، فيرغب أن ينكحها، ويكره أن يزوجها رجلًا فيشركه في مالها فيعضلها، فنزلت. وأخرج ابن ابي حاتم عن السدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها، ولا يُنكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت.

[١٢٤] ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٩، ٧٧، الإسراء : ٧١]. "النقير" هو النقرة التي في ظهر النواة، أمّا "الفتيل" فهو الخيط الذي يكون في شق نواة التمرة. [١٢٧] ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ١٢٧]، ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [النساء : ١٧٦]. الأول لما اتصل بما بعده وهو قوله: ﴿ فِي النِّسَاءِ ﴾ وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعًا، والثاني لما انفصل عما بعده اقتصر من الاتصال على العائد، وهو ضمير المستفتين وليس في الآية متصل بقوله: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾، لأن ذلك يستدعي: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ أي: في الكلالة، والذي يتصل بيستفتونك محذوف يحتمل أن يكون ﴿ فِي الْكَلَالَةِ ﴾، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع. = وجدة، أي: ثروة وغنًى، ومن تمام نعمته عليه فيه أن يكون عونًا له على طاعة الله. [١١٥] ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٤]. ما الفرق بين: "يُشاقّ، يُشاقق"؟ الجواب: وردت كلمة (يشاق) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (يشاقق) مرتين. وردت كلم (يشاق) (موحدة القاف) عندما كان متعلقها واحدًا يتصف بالواحدانية (وهو الله سبحانه وتعالى) وعندما كان ما يليها ساكنًا. أما (يشاقق) مثناة القاف، فقد وردت عندما كان الموقف يقتضي المجاهرة، فكانت المجاهرة اللفظية (بتكرار حرف القاف متسقة مع المجاهرة المعنوية). قال البقاعي: أظهر القاف (أي في كلمة يشاقق) إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، لأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون. وذلك في سورة النساء [١١٥]، ويضاف إلى قول البقاعي: أن الآية فيها مجاهرة أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ [النساء: ١١٥] فتبيين الهدى مجاهرة لهؤلاء الكفار بدعوة الحق، وهذه المرة الوحيدة التي ورد فيها التعبير بكلمة يشاقق (مثناة القاف). [١٢٢] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا ﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين: "وعد، موعدة"؟ الجواب: وردت كلمة (وعد) ستين مرة. بينما وردت كلمة (موعدة) مرة واحدة. (وَعْدٌ) المصدر الأصلي للفعل (وَعَدَ) لذلك تكرر ورودها كثيرًا في القرآن، بينما (الموعدة) هي المصدر الميمي، والمصادر الميمية أقل دورانًا - في الجمل - من المصادر الأصلية، ولذا جاءت كلمة (موعدة) مرة واحدة (الوعد) استعمل في المرات الستين في الوعود الصادقة الفعلية التي تمت حقًا. أما (الموعدة) فقد جاءت في القرآن للتعبير عن الوعد الذي تخلف ولم يتم ولم يمض حتى نهايته، كما في وصف وعد إبراهيم - عليه السلام - لأبيه بأنه سيستغفر له ربه طمعًا في هدايته، ولكن لما تبيّن له أن أباه عدوٌّ لله تبرأ منه، وترك الاستغفار له. [١٢٢] ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]. ما الفرق بين: "قولًا، قيلًا"؟ الجواب: وردت كلمة (قولًا) تسع عشرة مرة. بينما وردت كلمة (قيلًا) ثلاث مرات. صيغة القول هي الأصل، لذا كثر استعمال (قول) في القرآن، وقل استعمال (قيلًا) التي تدل على البناء للمجهول. كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]. معناه: ليس من أحد أصدق من الله قولًا، أي أنه معدوم أن يكون أحدٌ أصدقَ من الله قولًا، ففعل القول الذي يدل على العدم يجب أن يكون مبنيًا للمجهول، والاسم المبني منه هو (قيلًا). وكما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٦]، فإن الفاعل القول هنا غير محدد: أي مجهول. ففعله يجب أن يكون مبينًا للمجهول، والاسم المبني عليه يأتي على صورته، لأن المهم هنا (ما قيل) وليس الفاعل. [١٢٤] ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ هنا وفي "مريم : ٦٠، فاطر : ٣٣، غافر : ٤٠، ٦٠"، قرئ: (يُدخَلون) بضم الياء وفتح الخاء مبنيًا للمفعول من أدخله، والواو نائبُ فاعل. وقرئ: (يَدخُلون) بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو هي الفاعل. [١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما رود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة.

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾

١٢٨- ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾: زوجها: ﴿نُشُوزًا﴾: بُغضاً أو تجافيًا، اي توقعت منه النشوز أو الإعراض، لظهور بعض علاماته أو مقدماته. ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: لا حرج ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗا﴾: أي نوع من أنواع الصلح المباح. فذلك خير من الفرقة. قيل: هو الرجل تكون عنده المرأة الدميمة، أو التي قد كبرت، فيتزوج الشابة يلتمس الولد، فما اصطلحا عليه؛ من أن تهبه يومه، أو من ايامها لترضيه بذلك فلا حرج عليه. ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾: قيل: أنفس النساء على حظوظهن من أزواجهن وأموالهم. وقيل: على نفس زوجها وماله؛ وفي الآية إخبار بأن الشح في كل الأنفس الإنسانية، وأنه حاضر لها أو معها بحكم الجِبِلّة والطبيعة. ١٢٩- ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ﴾: تُسوّوا ﴿بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: في الحب: ميل النفس والقلب، ﴿كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾: تعمد الإساءة، ومنعها يومها ونفقتها. وروى أهل السنن وأحمد وغيرهم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقط» «صححه الألباني». ﴿فَتَذَرُوهَا﴾: تتركوها ﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ بمعنى: لا هي أيم، ولا ذات زوج. ١٣٠- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾: إن أبت المرأة البقاء على نشوز زوجها، وإعراضه «يتفرقا»: بطلاق الزوج إياها. ﴿وَٰسِعًا﴾: جوادًا يسع لما يسأل. ١٣١- ﴿غَنِيًّا﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٗا﴾: مستوجباً حمد عباده، بعظيم فضله عليهم. وقال علي رضي الله عنه: «حميداً» مستحمداً إليهم. ١٣٤- ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: قيل: من أظهر الإيمان من المنافقين بلسانه، فله في الدنيا الأمن بذلك على نفسه، والنصيب في المغنم إذا شهده مع المسلمين، وله النار في الآخرة.

[١٢٨] قوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ﴾ الآية. روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: خافت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية. وروى الترمذي مثله عن ابن عباس. وأخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرًا إما كبرًا أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾ الآية. وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج.

[١٢٨] ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٢٩]. الآية الأولى فيما بين المرأة وزوجها فإذا خافت منه وأرادت تآلفه وبقاءه وكينونتها في عصمته، فلا جناح عليهما أن تعطي شيئًا من نفسها وتترك بعض حقها، كأن تؤثر ضرتها في القسمة، أو تترك هي حظها كما فعلت سودة رضى الله عنها، أو تهب له من حالها، لا جناح عليهما في هذا ولا على زوجها في قبول ذلك منها، وإن كان الطبع يأبى إسقاط حق أو تنقصه لما جبلت عليه النفوس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، فندب كلًا منهما إلى الإحسان والتقوى والزوج أخص بذلك وأولى، وأن يحتمل كل منهما من صاحبه ويصبر فإن الله مطلع عليه خبير بما يكنه ويخفيه، ثم قال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾، لأن القلوب لا تملك ولا بيد الإنسان فسادها ولا صلاحها، فإن عدل في القسمة والمحادثة والإنفاق والنظر وبشاشة الوجه وجميل الملاقاة، وفرضنا اجتهاده في هذا كله حتى تحصل المساواة لم يقدر أن يميل بقلبه إلى كلهن على حال سواء: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾، بل على الإنسان أن يجتهد. وفي الحديث عنه ﷺ: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» ضعيف، رواه الترمذي وغيره. ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾، لا ممسكة ولا مطلقة ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، والمراد ما استطعتم وكان في إمكانكم فإن الله يغفر لكم ما سوى ذلك، والآية الأولى مقصودها يستدعي ما ختمت به من أنه تعالى خبير بأفعال عباده وأعمالهم الظاهرة والباطنة، ومساق هذه الأخرى يستدعي مغفرته تعالى، إذ قد عرَّفت الآية أن العدل لا يستطاع فإن لم تكن المغفرة هلك المكلف، فورد أعقاب كل آية ما يناسب، وأمَّا ورود ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ في الآية الأولى وورود ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ هنا فمفهوم مما تمهد، وأنسب شيء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[١٢٩] ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣]، ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩]. الآية الأولى تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن، وقد جاء في الآية الثانية ما يدل على أنه غير ممكن، فكيف التوفيق؟ **الجواب**: أن العدل بينهن الذي ذكر الله أنه ممكن هو العدل في توفية الحقوق الشرعية، والعدل الذي ذكر أنه غير ممكن هو المساواة في المحبة والميل الطبيعي، لأن هذا انفعال لا فعل فليس تحت قدرة البشر، والمقصود أن من كان أميل بالطبع إلى إحدى الزوجات فليتق الله وليعدل في الحقوق الشرعية، كما يدل عليه قوله: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ وهذا الجمع روي معناه عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم نقله عنهم ابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. وروى الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" يعني: القلب. ضعيف، رواه الترمذي وغيره.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النساء: ١٢٦، ١٣١، ١٣٢]. جاءت ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أربع مرات متقاربة لماذا؟ **الجواب** لأن الكلام أعيد لأسباب مختلفة تقتضيه، فالموضع الأول تعقيبًا على أن الفضل العظيم لا يناله المسلمون بالأماني، ولا بأماني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وهو يجازي على الأعمال السيئة والصالحة، وله ما في السماوات وما في الأرض ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]، والموضع الثاني جاء بعد الإذن للزوجين بالتفرقة، لأنه يغني كلًا من فضله، لأن له ما في السماوات وما في الأرض، ثم في الموضع الثالث بعد وصية المؤمنين وأهل الكتاب بالتقوى، لأنه واسع الفضل، لأن له ما في السماوات وما في الأرض ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء: ١٣١]، و في الموضع الأخير لأنه مالك السماوات والأرض اقتضى ذلك أن يخبر عن كمال كفايته وحفظه للمؤمنين، ولا زيادة على كفايته في حفظ ما هو موكول إلى تدبيره ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢]، وفي كل موضع ختم الكلام بما يقتضيه في تناسب بديع.

[١٢٨] ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ﴾ قوله تعالى: ﴿يُصۡلِحَا﴾ قرئ: (يُصْلِحا) بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف من أصلح، لأن المصلح بين المتنازعين مستعمل، قال الله: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾. وقرئ: (يَصَّالَحا) بفتح الياء والصاد مشددة وبألف بعدها وفتح اللام على أن أصلها (يتصالحا)، فأبدلت التاء صادًا وأدغمت في الصاد لأنه لما رأى الفعل من اثنين زوجة وزوج، وهما مذكوران في أول الكلام أتى الفعل من باب المفاعلة التي تثبت للاثنين، فجاء على: تَصَالح الرجلان يتصالحان، وأدغمت الياء في الصاد.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٥- ﴿قَوَّٰمِينَ﴾: قائمين، وصيغة المبالغة تفيد الأمر بتكرار القيام بالقسط حتى يصير العدل خلقًا لكم. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل. ﴿شُهَدَآءَ﴾: جمع شهيد. ولو كانت شهادتهم على أنفسهم، ومن ذُكر معهم. ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾: قيل: إنه عنى بهذا الحكام، فيكون لي القاضي وإعراضه لأحدهما؛ أي: الخصمين، على الآخر. وقيل: على الشهداء ألا يلووا الشهادة ويحرفوها عن الحق ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾: تتركوها وتكتموها. ١٣٦- ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾: التوراة والإنجيل. ﴿ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: خرج عن قصد السبيل. ١٣٧- ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: يتوصلون به إلى الحق، لأنه يبعد منهم، أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيمانًا صحيحًا، فإن هذا الاضطراب منهم، والكفر المتكرر، والجمود الدائم أبلغ دلالة على أنهم متلاعبون بالدين. وقيل: المراد بهم اليهود. وقيل: الآية في المنافقين. والآية عامّة في المرتدين، وقد نصّ القرآن الكريم على عقوبتهم الأخروية هذه. ١٣٨- ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: إطلاق البشارة على ما هو شر خالص لهم تهكم بهم. ١٣٩- ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾: المنعة والقوة. وأصل «العزة»: الشدة، ومنه قيل للأرض الصلبة: عَزاز. واستَعَزَّ المرض، إذا اشتد. ١٤٠- ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ﴾: يتحدثوا. وقد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخريتهم بالقرآن واستهزائهم به، فنهوا عن ذلك، وهذا نهي عن مجالسة أهل الباطل عند خوضهم في باطلهم.

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان ﷺ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

[١٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨]. الآيات المتصلة بآية النساء مبنية على الأمر بالعدل وبالقسط، كنشوز الرجال وإعراضهم عن النساء، والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، يقول تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، ويقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وتوالت الآي على هذا المعنى، فناسب تقديم القسط وهو العدل ليناسب ما ذكر، أمّا آية المائدة فجاءت بعد أحكام تتعلق بالوفاء بالعهود والمواثيق كما في أول السورة: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وكذلك أحكام تتعلق بالطهارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، إلى أن أمر عباده بتذكّر نعمه عليهم فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم﴾ [المائدة: ٧]، فناسب تقديم ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾. [١٣٧] ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء: ١٣٧]، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨]. إن السبيل والطريق وإن استويا واتحد معناهما فيما ذكر فبينهما فرق واضح من حيث إن مواضع السبيل أكثر ترددًا في الكلام، ففي إطلاق لفظه توسعة وعموم ليست في إطلاق لفظ طريق، فقد ورد ذكر السبيل في الربع الأول من الكتاب العزيز، في بضعة وخمسين موضعًا أو نحو ذلك، ولم يقع ذكر الطريق في كتاب الله كله إلا في "أربعة مواضع" ثم إن اسم السبيل مع ما تقرر من كثرة ترداده أغلب وقوعًا في الخير وسبيل السلامة إفصاحًا وإشارة، ولا يكاد اسم الطريق يرد مرادًا به السلامة والخير إلا مقرونًا بوصف أو إضافة أو ما يخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وإذا تقرر هذا فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾، حاصل منه وسم هؤلاء بشر وصف وأعظمه وأبلغه بأقصى غاية في شناعة المرتكب، فليست حال من كفر بعد إيمان كحال من لم يتقدم كفره إيمان، قال تعالى فيمن توعده بأشد الوعيد: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، إلى ما وصفوا به من استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة، وإنما وقع ذلك منهم بعد علمهم بكيان الآخرة وتصديقهم بها، ثم اختاروا الدنيا عليها، فحالهم حال من أضله الله على علم، ولا أسوأ حالًا من هؤلاء، أمّا الموصوفون في الآية الثانية بالكفر والظلم فدون هؤلاء في شناعة المرتكب والمبالغة في الضلال، ألا ترى أن حال الكافر الذي لم يتقدم منه إيمان ليست كحال من تقدم منه إيمان ثم كفر، ثم يعود إلى الإيمان، ثم إلى الكفر بعد ذلك، ثم الازدياد في الكفر، فلما بلغت حال هؤلاء فيما وصفوا به أشنع غايات الكفر والضلال، وأشدها تخبطًا ناسب ذلك الكناية عما صدوا عنه ومنعوه "بالسبيل" مناسبة لبيان حالهم، ولما لم يكن وصف الآخرين بالكفر والظلم يبلغ في شناعة المرتكب مبلغ أولئك عدل في الكناية عما منعوه إلى ما يناسبه، وجرى كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم. [١٤٠] ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النساء: ١٤٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١، ٤٨]. آية النساء الحديث قبلها وبعدها دائر عن المنافقين وصفاتهم الذميمة وموالاتهم للكفار، فلذلك قدمهم في هذا الموضع.

[١٣٦] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]. إنما خصّ الله تبارك وتعالى القرآن بصيغة: "نزّل" التي تدل على التضعيف، لأن القرآن حينئذ كان يتنزّل على قلبه ﷺ متفرقًا وطبقًا لأحوال المسلمين لمعالجة مشاكلهم، بينما التوراة نزلت مرة واحدة وقد انقضى نزولها. [١٣٨] ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]. من المعروف أن التبشير يكون بالشيء الحسن، أمّا هنا فجاء التبشير من باب السخرية والتهكم منهم.

[١٣٥] ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلْوُۥٓاْ﴾ قرئ: (تلُوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها على وزن كفوا، قيل: من الولاية، أي: وإن وليتم أمر الشهادة أو تعرضوا عنها. وقرئ: (تلْوُوا) بإسكان اللام وإثبات الواو المضمومة قبل الساكنة على أنه فعل مضارع من "لوى يلوي"، والأصل: (تلويوا) استثقلت الضمة على الياء فحذفت، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت الواو لأجل واو الضمير. [١٣٦] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ - ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ قرئ: (نُزِّلَ - أُنزِلَ) بضم النون والهمزة، وكسر الزاي فيهما على بنائهما للمفعول، والنائب ضمير الكتاب. وقرئ: (نَزَّل - أَنزَل) بفتح النون والهمزة والزاي فيهما على بنائهما للفاعل وهو الله تعالى. [١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ﴾ قرئ: (نَزَّل) بفتح النون والزاي مشددة على بنائه للفاعل وأن ما بعدها نصب بنزل، والفاعل ضمير الله تعالى. وقرئ: (نُزِّل) بضم النون وكسر الزاي مشددة مبنية للمفعول، والنائب (أن وما في حيزها) أي: نزل عليكم المنع من مجالستهم عند سماعكم الكفر بالآيات والاستهزاء بها.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١- ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: هم المنافقون ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: بمعنى: ألسنا منكم؟ أعطونا من المغنم ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾: ظفر بالمسلمين ؟ ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: أصل «الاستحواذ» الغلبة. كانوا يقولون عند ذلك: ألم نبين لكم؟ ألم نغلب عليكم حتى هابكم المسلمون، وخذّلناهم عنكم وقيل: المعنى: ألم نقهركم ونغلبكم ونتمكن منكم ولكن أبقينا عليكم. وهو أرجح ﴿سَبِيلًا﴾: حجة. وقيل: في الآخرة. ١٤٢- ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: أي يفعلون ما يفعل المخادع، بإظهارهم الإيمان، واعتقادهم الكفر ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾: وهو فاعل ما يفعل الغالب في الخداع، بأن منع دماءهم بما يظهرون استدراجاً لهم، حتى يلقوه في الآخرة كفاراً. ﴿كُسَالَىٰ﴾: لأنهم يرونها غير مفروضة عليهم، فصلاتهم رياء وخوف. ١٤٣- ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مترددين. وأصل «التذبذب»: الحركة والاضطراب. ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً يُخرجه إلى الهدى والسلامة. ١٤٤- ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجة ظاهرة. ١٤٥- ﴿فِي الدَّرْكِ﴾: في الطبق، الذي في قعر جهنم، وقيل: توابيت من النار تطبق عليهم ﴿نَصِيرًا﴾: ناصراً ومنقذاً. ١٤٧- ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾؟: بمعنى: ما يصنع الله وأي حاجة له بعذابكم؟! ﴿إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾: فالعذاب ليس إلا مجازاة للعصاة، وفي الآية أجمل وجوه الحضّ على عدم الوقوع في المعاصي. ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾: يشكر عباده على طاعتهم، فيثيبهم عليها ويتقبلها منهم سبحانه وتعالى.

[١٤٧] معنى اسم الله الشاكر: من أسمائه تعالى: ((الشاكرُ الشكور)) الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه، بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة؛ فإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وقد أخبر في كتابه وسنّة نبيّه بمضاعفة الحسنات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، وذلك من شكره لعباده، فبعينه ما يحتمل المتحمّلون لأجله، ومن فعل لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن ترك شيئاً لأجله عوّضه خيراً منه، وهو الذي وفّق المؤمنين لمرضاته، ثم شكرهم على ذلك، وأعطاهم من كراماته، ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه، وإنّما هو الذي أوجبه على نفسه جوداً منه وكرماً. [١٤٧] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٦٠، النساء: ١٤٦] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [آل عمران: ٨٩، النور: ٥]. لم يذكر في آية البقرة ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ لأنه جاء في الآية قبلها ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فلو أعاده لحصل التباس لعدم وضوح تعلق ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بقوله: ﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩]، أو متعلق بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾، فالمراد في آية البقرة الكتم بعد البيان، وفي غيرها مما ورد فيه ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المراد التوبة بعد الكتم، ولذلك لم يذكرها أيضًا في آية النساء لأنها تخص المنافقين.

[١٤٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤]. من مظاهر موالاة الكفار: ١- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما. ٢- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين. ٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس، والسفر إلى بلاد الكفار محرم إلا عند الضرورة كالعلاج، والتجارة، والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم. ٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين، ومدحهم والذب عنهم. ٥- الاستعانة بهم في غير حالة الضرورة، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين. ٦- ومن مظاهر موالاة الكفار التأريخ بتأريخهم، خصوصا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم... ٧- مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها. ٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الفاسدة. ٩- ومن مظاهر موالاة الكفار التسمي بأسمائهم بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم. ١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك. ١١- الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة. ١٢- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم. ١٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم. تنقسم الموالاة إلى قسمين: ١- موالاة مطلقة عامّة، وهذا كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر. ٢- موالاة خاصة: وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة، كالذي حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه في إفشاء سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مكة، كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة. فالموالاة المطلقة العامة مرادفة لمعنى التولي، وهي بهذا الوصف كفرٌ وردّة، ومنها ما هو دون ذلك بمراتب، ولكلّ ذنب حظّه وقسطه من الوعيد والذّم، بحسب نيّة الفاعل وقصده. ومسمّى الموالاة يقع على شعَب متفاوتة منها ما يوجب الردة لذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات. [١٤٧] ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[النساء:١٤٧]. من ثمرات الشكر: ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المأثورات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الّذي ادخره الله تعالى للشاكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأحباؤه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خبئ لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يجحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحمّلون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة؛ تخلقًا بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقًا بخلق الله وتأسّيًا برسوله ﷺ. أركان الشكر ثلاثة: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. [١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿الدَّرْكِ﴾ قرئ: (الدرْك - الدرَك) بإسكان الراء وفتحها، وهما لغتان بمعنى واحد مثل "القدْر، والقدَر" "السمْع، والسمَع" والدرك: هو المكان.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

١٤٨- ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾: قيل: لا يحب أن يجهر أحدكم بالدعاء على أحد؛ إلا أن يكون المدعو عليه ظالماً له، فمباح له أن يدعو عليه، ويقول فيه. فلان ظلمني أو هو ظالم ونحو ذلك. ١٥٠، ١٥١- ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بقولهم: إن الرسل كذبت على الله!! أو بسبب كفرهم ببعض الرسل دون بعض. ﴿سَبِيلًا﴾: ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر. وقد أخطؤوا وضلوا فإنه لا وساطة بين الكفر والإيمان. ولهذا قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾. ١٥٣- ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ هم اليهود سألوا رسول الله أن يرقى إلى السماء وهم يرونه، فينزل عليهم كتابًا مكتوباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قد مضى تفسير ما سألوه وما عُوقبوا عليه في سورة البقرة. ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجة بيّنة، وهي الآيات التي جاء بها. ١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾: أي بسبب ميثاقهم ليعطوه، لأنه روي أنهم امتنعوا من قبول شريعة موسى، فرفع الله عليهم الطور فقبلوها. وقيل: المعنى: بسبب نقضهم ميثاقهم الذي أخذ منهم، وهو العمل بما في التوراة. ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: لا تتجاوزوا ما أمرتم به. ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: وهو العهد الذي أخذه عليهم في التوراة بمراعاة يوم السبت.

[١٤٨] قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ الآية أخرج هناد بن السري في «كتاب الزهد» عن مجاهد قال: أنزلت: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ في رجل أضاف رجلًا بالمدينة، فأساء قراه، فتحول عنه فجعل يثني عليه بما أولاه، فرخص له أن يثني عليه بما أولاه. [١٥٣] قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إلى قوله: ﴿ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾.. فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئًا، فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الآية.

[١٤٨] ﴿ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [آخر النساء : ١٤٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ أي: إن الله سميعٌ لأقوال عباده، عليمٌ بما يخفون، أمّا ﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾، أي: أن الله سميع لأقوال عباده، بصير بأعمالهم ونياتهم، وسيجازيهم على ذلك. [١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٩]، ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٤]. قوله في آية النساء: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا ﴾، لأن الخير فيها وقع في مقابلة السوء في قوله: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٤٨]، فناسب أن يكون مقابل السوء الخير، أمّا سورة الأحزاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]، فكلها أفعال ينهى الله تعالى صحابة النبي ﷺ عنها، فاقتضى العموم، وأعم الأسماء كلمة ﴿شَىْءٍ﴾، ثم ختم الآية بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾. [١٤٩] ﴿ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [آخر النساء : ١٤٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ أي: من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم، أمّا ﴿ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾، أي: أن الله تعالى كان عفوًا عنكم، غفورًا لكم. [١٥٢] ﴿ والذين آمنوا بالله وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ... ﴾ [النساء : ١٥٢]، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٢]. في الآية الأولى كان الحديث عن الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم، فكان الجزاء ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾، أما في الآية الثانية فكان الجزاء للذين جاء تفصيل أعمالهم، فهم علاوة على الإيمان بالله ورسله راسخون في العلم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة ويؤمنون باليوم الآخر، فلما كانت الآية أكثر تفصيلًا لأعمالهم كان الجزاء العظيم، ومن كلام الله مباشرة ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [١٥٥] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ ... ﴾ [النساء : ١٥٥]، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً... ﴾ [المائدة : ١٣]. بسبب نقض اليهود للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية المائدة: فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان...

[١٤٨-١٤٩] ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٨-١٤٩]. موقع هذه الآية عقب الآية التي قبلها: أن الله لما شوّه حال المنافقين، وشهّر بفضائحهم تشهيرًا طويلاً، حذر تعالى المسلمين من أن يغيظهم ذلك على من يتوسمون فيه النفاق، فيجاهروهم بقول السوء، ورخص لمن ظلم من المسلمين أن يجهر لظالمه بالسوء، لأن ذلك دفاع عن نفسه. قال الرازي رحمه الله تعالى: اعلم أن معاقد الخير على كثرتها محصورة في أمرين: صدق مع الحق وخلق مع الخلق، والذي يتعلق مع الخلق محصور في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله: ﴿ أَوْ تَعْفُوا۟ ﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم. فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر. [١٥٢] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُؤْتِيهِمْ ﴾ قرئ: (يؤتيهم) بالياء والضمير لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾. وقرئ: (نؤتيهم) بنون العظمة التفاتًا، وهو إخبار من الله جل ذكره عن نفسه. [١٥٤] ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَعْدُوا۟ ﴾ قرئ: (تعْدّوا) بإسكان العين مع تشديد الدال، وقرئ: باختلاس حركة العين مع تشديد الدال أيضًا. وقرئ: (تَعَدّوا) بفتح العين وتشديد الدال وأصلها على هذا: تعتدوا، نقلت حركة تاء الافتعال إلى العين لأجل الإدغام وقلبت دالًا وأدغمت. وقرئ: (تعْدُوا) بإسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو كغزا يغزو، حذفت ضمة الواو الأولى التي هي لام الكلمة ثم حذفت هي لالتقاء الساكنين فوزنه تفعوا. وقيل: إن قراءة إسكان العين وتخفيف الدال على

[١٤٨] ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته)، مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كل منهما (١٦) مرة القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥- ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: جمع أغلف، وهو المغطى بالغلاف، أي قلوبنا في أغطية فلا نفقه ولا نفهم ما تقول. ١٥٦- ﴿بُهْتَٰنًا﴾: هو رميها بيوسف النجار، وكان من الصالحين. والبهتان: الكذب المفرط الذي يتعجب منه. ١٥٧- ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾: ألقى الله شبهه على رجل من أصحابه فقتلوه، ورفع الله عيسى وهم يظنون أنهم قتلوه. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يعني: اليهود الذين أحاطوا بالبيت الذين كان فيه عيسى عليه السلام، وعرفوا عدة من كان معه، فلما دخلوا فقدوا واحداً من العدد، وهو عيسى؛ إذ رُفع فالتبس عليهم الأمر ولحقهم الشك. ١٥٩- ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: قبل موت عيسى، وذلك أنه ينزل في آخر الزمان، فتصير الملل واحدة، وهي ملة الإسلام، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا أسلم. وقيل: لا يموت الكتابي ولا تخرج روحه حتى يؤمن بعيسى عليه السلام وإن أعجل بغرق، أو ضربة عنق، أو سقوط جدار عليه. ﴿شَهِيدًا﴾: بمعنى: شاهد. يشهد عيسى عليه السلام على أهل الكتاب: يشهد على اليهود بالتكذيب له والطعن فيه، وعلى النصارى بالغلوّ فيه حتى زعموا أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة. ١٦٠- ﴿فَبِظُلْمٍ﴾: بمعنى: بسبب ظلمهم وبغيهم. ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: تشديدًا عليهم، ولأن هذه الشدّة تصلحهم أو تصلح لهم. والطيبات هذه: قيل: هي التي نصّ عليها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ...﴾ الآية. ١٦٢- ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾: العالمون بكتب الله المنزلة عليهم، والراسخ هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: من آمن من أهل الكتاب، أو المسلمون، أو من الجميع.

[١٥٥] ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٨٨]، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ١٥٥]. في آية البقرة قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، قالوه على سبيل الاستفهام بمعنى الإنكار، يعني ليست قلوبنا فيه مغلفة أو مغلقة أو مغطاة، بل قوية ومستنيرة، ولقد تأملنا في دلائلك يا محمد فلم نجدك على الحق، فلما صدر عنهم هذا الكبر، وهذا التصلف الكاذب لعنهم الله على كفرهم الحاصل بسبب هذا القول، أو أنهم كذبوا في ادعائهم ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وكانوا يعرفون صحة وصدق نبوة محمد ﷺ فكان كفرهم كفر العناد، فلذلك لعنهم الله على ذلك الكفر، أمّا في آية النساء فإنه تعالى كذبهم في ادعائهم أن قلوبهم أوعية للعلم -واستثنى الراسخين في العلم منهم- وبيّن أنه تعالى طبع عليها وختم عليها فلا يصل أثر الدعوة والبيان إليها.

[١٥٥، ١٥٦] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء : ١٥٥]، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء : ١٥٦]. كرره لتكرار الكفر منهم، فإنهم كفروا بموسى وعيسى، ومحمد ﷺ. [١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء : ١٥٧]. إنْ قيل: اليهود الداخلون تحت أهل الكتاب كانوا كافرين بعيسى، فكيف أقرُّوا بأنه رسول الله؟ الجواب: قالوه استهزاء، كما قال فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء : ٢٧].

= أن أصل الكلمة تعتدووا ـ بواوين ـ لأنه من عدا يعدو، ثم أعل فصار (تعدوا) مثل قولك: لا تدعوا ولا تعدوا إذا نهيت جماعة، وشاهده قوله تعالى: ﴿يَعْدُونَ فِى﴾ ونحو: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ ونحو: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فكل هذا من عدا يعدو، ولا خلاف في تخفيف موضع الأعراف : ١٦٣.

[١٦٢] ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قرئ: (سيؤتيهم) بالياء التحتية، وذلك جريًا على السياق، والفاعل ضمير تقديره هو يعود على الله تعالى. وقرئ: (سنؤتيهم) بنون العظمة التفاتًا من الغيبة إلى التكلم، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا.

[١٥٧-١٥٨] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. إعجاز تاريخي: قصة الصلب: من أنباء الأولين التي ظلَّ الناسُ في شكٍّ من حقيقة أمرها القصةُ التي تذكر صلب عيسى عليه السلام، كما في الأناجيل عند النصارى، فقد شهد قومُ عيسى عليه السلام، وكذلك جماهيرُ الرومان حادثة صلبٍ، ولم يساورهم شكٌّ في أن عيسى عليه السلام قُتل وصُلب، إلا أن الحواريين شاهدوا عيسى عليه السلام ـ بعد حادثة الصلب المزعومة ـ حيًّا، كما ورد ذلك في إنجيل لوقا: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوعُ نفسُهُ في وسطهم، وقال لهم سلامٌ لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحًا، فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطرُ أفكارٌ في قلوبكم، انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو، جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس لها لحمٌ وعظامٌ كما ترون، وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون، قال لهم: أعندكم ههنا طعامٌ؟ فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد عسل، فأخذه وأكل قدامهم». وقد أصبح الجميع في حيرةٍ من حقيقة الأمر، فالناسُ يقولون: إنه صُلب، وقد رأوا ذلك رأي العين، والحواريون يقولون: إنهم قابلوه بعد حادثة الصلب المزعوم ـ بجسده وروحه ـ حيًّا يُرزق، ولم يجدوا تفسيرًا لهذا التناقض إلا قولهم: إنه صُلب ومات ودفن، ثم بُعث من بين الأموات، ولكن القرآن الكريم جاء ليكشف عن هذا السّر ويُزيل ذلك الغموض، فقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]. فالحقيقة: أن الذي صُلب هو الشبه، فالذين قالوا: «رأيناه مصلوبًا» أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبه هو عيسى عليه السلام نفسه، والذين قالوا: «رأيناه بعد الحادث» هم على حق، لأنه لم يُصلب، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة، ويُخرج الناس من الاختلاف، وهذا النوع من الإعجاز يُعدّ من أدلة صدق الرسول ﷺ، لأن القصة وقعت بعيدة عن زمن النبي وصار أهلها في ارتباك وحيرةٍ، ويأتي نبيٌّ أميٌّ في أمة أميّةٍ بعد قرون، يكشف لهم السّر، ويُبيّنُ لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدو متناقضة، فيرفع عنها التناقض، ويُزيلُ الإشكال. [١٥٩] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذُكر (١٤٥) مرة القرآن الكريم. [١٦٢] ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ (اليوم ويومًا) في القرآن الكريم (٣٦٥) مرة -أي بعدد أيام السنة-.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

١٦٣- ﴿زَبُورًا﴾: الزبور: كتاب داود، وهو مائة وخمسون مزموراً. قال القرطبي: ليس فيها حُكْم ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حِكَم ومواعظ. اهـ. والزَّبر: الكتابة، والزبور بمعنى المزبور، أي: المكتوب. ١٦٤- ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: أي: كلّمه الله تعالى بحيث أسمع موسى كلامًا عَلم منه أن المتكلم هو الله تعالى لا غيره. قال ابن قتيبة: الفعل إذا أكد بالمصدر، دل على الحقيقة، ونُفي عنه المجاز. ولهذا سمّى موسى عليه السلام بالكليم. أي الذي كَلّمه ربّه سبحانه. ١٦٥- ﴿حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾: لئلا يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤]. ١٦٦- ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: بعلمه الذي لا يعلمه غيره من كونك أهلاً لما اصطفاك له من النبوة، وأنزله عليك من القرآن ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: تسلية لرسول الله، أي: فلا تحزن لتكذيب من كذبك من الكفار، فإن شهادة الله لك كافية سبحانه وتعالى. ١٦٧- ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام، بإنكارهم نبوة محمد ﷺ. ١٦٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾: بإقامتهم على الكفر، وبصدهم غيرهم عن الإيمان.

[١٦٦] معنى اسم الله الشهيد: الشهيد: أي المُطَّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليّها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده، بما عملوه. [١٧٠] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٦٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، فأنزل الله الآية. [١٦٦] قوله تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾.

[١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ...﴾ [محمد: ٣٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾ [محمد: ٣٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن الذين جحدوا أن الله تعالى هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وتبين آية النساء أن هؤلاء قد بعدوا عن طريق الحق بعدًا شديدًا، وآية سورة محمد الأولى توضح أن هؤلاء الذين خالفوا رسول الله ﷺ، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله تعالى، لن يضروا دين الله شيئًا، وسيبطل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى، وأمّا آية سورة محمد الثانية فتبين أنهم لو ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقابًا لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

[١٦٣] ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦]. رتب الأنبياء في النساء غير ترتيبهم في الأنعام لماذا؟ الجواب: آية النساء نزلت ردًا إلى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا﴾ [النساء: ١٥٣]، وردًا على قول المشركين: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، فبيّن هنا أنه ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتابًا، بل بعضهم بوحي، وبعضهم بكتب، وبعضهم بصحف، فقدم نوحًا لعدم وجود كتاب نزل عليه مع نبوته، وأجمل النبيين من بعده، ثم فصلهم: فقدَّم إبراهيم لإنزال صحفه، وتلاه بمن لا كتاب له، ثم قدَّم عيسى للإنجيل، ثم تلاه بمن لا كتاب له، وهم: أيوب ومن بعده، ثم قدَّم داود وزبوره، وتلاه بمن لا كتاب له ممن قصَّهم أو لم يقصهم، ثم ذكر موسى لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب، ولذلك خص بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات: إما بتكليم أو إسراء، أو إنزال كتاب، أو صحيفة، أو وحي على من يشاء، فناسب هذا الترتيب ما تقدَّم، أمَّا آيات الأنعام: فساقها في سياق نعمه على إبراهيم ومن ذكره من ذريته، ففرق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما، فداود وسليمان بالملك والنبوة، وأيوب ويوسف بنجاتهم من الابتلاء، ذاك بالمرض وهذا بالسجن، وموسى وهارون بالأخوة والنبوة، وزكريا ويحيى بالشهادة، وعيسى وإلياس بالسياحة، وإسماعيل واليسع بصدق الوعد، ويونس ولوط بخروج كل واحد منهما من قرية من بُعث إليه، ونجاة يونس من الحوت، ولوط من هلاك قومه، والله أعلم. [١٦٣] ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿زَبُورًا﴾ هنا، و"الإسراء: ٥٥، والأنبياء: ١٠٥" قرئ: (زُبورا) بضم الزاي. وقرئ: (زَبورا) بفتح الزاي، والضم والفتح لغتان في اسم الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام. [١٦٣] ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي ومشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، والنذير ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: قد تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [١٧٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من لفظ (الرسل) ومشتقاته، ولفظ (الناس) ومشتقاته ومرادفاته (٣٦٨) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الرسل» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الناس» بمشتقاتها ومرادفاتها، وكل منهما ذكر (٣٦٨) مرة في القرآن.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)

١٧١- ﴿لَا تَغْلُوا﴾: أصل «الغُلوّ»: مجاوزة الحد والإفراط، يقال: غلا بالجارية لحمها وعظمها؛ إذا أسرعت الشباب فجاوزت لِداتها. ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: رسالته التي بشر بها عيسى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: قيل: نفخة جبريل في درعها بأمر الله، وإنما سُمّي النفخ روحاً لأنها ريح تخرج عن الروح وهذا الوصف أو الإضافة ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ للتفضيل، وإن كان جميع الأرواح من خلقه تعالى. أو لأنه خلق بشرًا من غير أب؛ ولهذا جاءت هذه الإضافة في خلق آدم بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ لأنه خلق من غير أب ولا أمّ. وهذه من مسائل عالم الغيب التي عبر عنها القرآن الكريم بلغة عالم الشهادة، وسبيلها أن تفهم في ضوء الآيات المحكمات. وقيل: روح منه: رحمة منه، أو برهان منه، وكان عيسى برهانًا وحجة على قومه. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: بمعنى: حسب ما في السماوات والأرض الله مدبراً ورازقاً. ١٧٢- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾: لن يأنف عن العبودية ولن يتنزه عنها. ١٧٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: جميع الأمة ﴿بُرْهَانٌ﴾: حجة، وهو محمد ﷺ ﴿نُورًا مُّبِينًا﴾: القرآن.

[١٧١] معنى اسم الله الوكيل: فهو سبحانه المتولّي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسَّرهم لليُسرى، وجنّبهم العُسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه.

[١٧٦] قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية. روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكيت فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أَحْسِنْ، قلت: بالشطر، قال: أحسن، ثم خرج ثم دخل علي قال: لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله أنزل أو بين ما لأخواتك وهو الثلثان. فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيّ.

[١٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ...﴾ [النساء : ١٧١]، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ ...﴾ [المائدة : ٧٧]. يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبة ولا ولدًا. إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: "كن"، فكان... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية المائدة: قل أيها الرسول للنصارى: لا تتجاوزوا الحق فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله تعالى، وخرجوا عن طريق الاستقامة... [١٧٦] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء : ١٢٧]، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء : ١٧٦]. الأول لما اتصل بما بعده وهو قوله: ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعًا، والثاني لما انفصل عما بعده اقتصر من الاتصال على العائد، وهو ضمير المستفتين، وليس في الآية متصل بقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، لأن ذلك يستدعي: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ أي: في الكلالة، والذي يتصل بيستفتونك محذوف يحتمل أن يكون ﴿فِي الْكَلَالَةِ﴾، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع.

[١] ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة : ١]، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ [الحج : ٣٠]. الأنعام: المواشى من الإبل والبقر والغنم، وإذا وضح أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أن غيرها من الوحشي الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام فى عمله قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة : ٩٦]، ولما كانت آية سورة الحج مناطة بما أمر به الحاج فى قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج : ٢٩]، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية فى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج : ٣٠]، وصل بها ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، ولم يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، لأن المراد ببهيمة الأنعام الوحشي، قال القرطبى "بهيمة الأنعام وحشيها"، وقال الزمخشري في أحد تفسيريه: "الظباء وبقر الوحشي" ووجه وقوعها في آية المائدة، أن آية المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمنت متممات من الأحكام كآية الوضوء، والتيمم وتفاصيل الصيد واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات، وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة وفيها ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فناسب هذا ذكر حلّية بهيمة الأنعام إلحاقًا لها بالأنعام، إذ لم يذكره الله في غيرها على ما ورد في تحرير ذلك، وبيان العوارض التي قد تحرم لأجلها وذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾، ثم أتبع بقوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، لأن هذه العوارض تكثر في الوحشي، والله أعلم. [٢] ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة : ٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح : ٢٩، الحشر : ٨]. آية المائدة مبنية على تأنيس وتقريب واستلطاف، وقد أحرز قوله: ﴿رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾، هذه المعاني الثلاثة، ومن التأنيس أيضًا افتتاح خطاب من قصد بها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾، ثم يحكمه ويقويه ما وصف به البيت الحرام من ابتغاء الفضل والرضوان، والمعصية قد تكون واحدة ثم تعظم بإيقاعها على صفة ما، =

[١٧٤] ﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل. [١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة المائدة: نزلت بعد سورة الفتح، وهي مَدَنيّة بالإجماع سوى آية واحدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣]، فإنها نزلت يوم عرَفة في الموقف. عدد كلمات سورة المائدة: ألفان وثمانمائة وأربع. عدد حروف سورة المائدة: وحروفها أحَدَ عشر ألفاً، وتسعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً. أسماء سورة المائدة: واسمها سورة المائدة، لاشتمالها على قِصّة نزول المائدة من السّماءِ، وسورةُ الأحبار؛ لاشتمالها على ذكرهم في قوله: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة : ٤٤]، وقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة:٦٣]. مواضيع سورة المائدة: وجملة مقاصد السّورة المشتملة عليها: الأمرُ بوفاءِ العهود، وبيان ما أحلّه الله تعالى من البهائم، وذكر =

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٧٦ - ﴿الْكَلَالَةِ﴾: ما عدا الوالد والولد. (راجع ص ٧٩) ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ بمعنى: الا تضلوا.

سورة المائدة

١ - ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: بالعهود التي عاهدتموها ربكم. وأصل «العقد»: عقد الشيء بغيره وصلته به؛ كما يُعقد الحبل بالحبل. وقيل: عنى به: عقد العهد واليمين والشركة والحلف وعقد النكاح. ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: قيل: الأنعام كلها. والبهيمة: اسم لكل ذي أربع. وقيل: التي توجد في بطون الأنعام إذا ذبحت أو نحرت. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: بعد هذا؛ من تحريم الميتة، والدم إلى آخر الآية. وقيل: «إلا ما يتلى عليكم» من صيد الوحش، ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: فلا يحل لكم. ٢- ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: معالم حدوده، وأمره ونهيه وفرائضه. ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: قيل: هو رجب؛ لأن «مضر» كانت تحرم فيه القتال ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أهدي إلى الله؛ من بعير وشاة وبقرة؛ يقول: لا تحولوا بينهم وبين ما أهدوا إلى أن يبلغ به محله من الحرم. ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: قيل: هي الهدايا المقلدات منها، و«الهدي»: غير المقلدات. وقيل: القلائد التي كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج في إقبالهم إلى مكة، من لَحَاء السَّمُرِ، جمع سَمُرَة: نوع من الشجر؛ وإذا خرجوا منها إلى منازلهم من الشعر، فمن كان يلقاهم من سائر العرب لم يعرض لهم بسوء. ﴿آمِّينَ﴾: عامدين قاصدين. وقيل: نسخ ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هذه الآية قوله عز وجل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[التوبة: ٢٨] الآية. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿فَضْلًا﴾: ثوابًا، وقيل: ربحاً في تجارتهم ولا مانع من الجمع بين الأمرين. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾: إن شئتم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يحملنكم: ﴿شَنَآنُ﴾: بغض وعداوة ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾: لصدهم إياكم عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾: تتجاوزوا ما أمركم الله، فالزموا طاعته فيما أحببتم وكرهتم ﴿عَلَى الْبِرِّ﴾: العمل الصالح.

[٢] قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحُطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجًا نظر إليه فقال لمن عنده: لقد دخل عليَّ بوجه فاجر وولى بقفًا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية، فانتهى القوم، وأخرج عن السدي نحوه. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية.

= وتأمل ما ورد في الزنا بحليلة الجار، والزنا كله كبيرة، ولكن وقوعه بحليلة الجار زيادة لحرمته، وكذلك ما عظم الشرع من الإلحاد في البيت الحرام، والإلحاد كله كفر، ولكن في وقوعه في البيت الحرام زيادة. فإن قلت قد ترد هذه الإضافة حيث لا يقصد التلطف ولا التأنيس كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك : ٦]، إلى أمثال هذا مما يكثر؟ فالجواب: أمَّا آية الفتح فلم ينجر فيها تخويف مرتكب، ولا بنيت على ذلك، ولا هي داعية إلى ما يستدعي التأنيس كما في آية المائدة، وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدرًا وأجلهم خطرًا، وهم أهل المزية والاختصاص، فلم تبن الآية إلا على مدحهم وبيان مزيتهم التي لا يدركها غيرهم، ولم ينجر فيها تخويف يدعو إلى تأنيس من خوطب بها كما في آية المائدة، بل وردت هذه مورد البشارة، وعلى ذلك وردت آية الحشر من الثناء والمدح، ولم يتخللها نهي ولا تخويف ولا ورود تفضيل بذكر مخالفي تلك الأحوال، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر : ٨]، فقد وضح الوجه في ورود كل من هذه الآي على ما ورد، وإن عكس الوارد فيها لا يناسب على ما تمهد. [٢] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة : ٢]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٨]. لماذا حذف الحرف "على" في الآية الأولى وذكر في الثانية؟ الجواب: إذا كان الحرف "على" موجودًا في الجملة فإنه يؤكد المعنى، ويكون من باب التوسع فيه، وهذا جائز نحويًا، وإذا نظرنا إلى الآيتين السابقتين نجد أن الثانية مؤكدة عن الأولى، لأن الحرف ذُكر، والآية الأولى نزلت في حادثة واحدة حصلت وانتهت وهي تخص قريشًا عندما صدوا المسلمين عن المسجد الحرام، أمَّا الآية الثانية فهي عامة، وهي محكمة إلى يوم القيامة، وهي الأمر بالعدل إلى يوم الدين، ثم إن الآية الأولى تدخل في الثانية؛ لأن العدوان هو الظلم، وهو عدم العدل، لذا اقتضى حذف الحرف "على" في الأولى، وذكره في الثانية.

[٢] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ قوله تعالى: ﴿شَنَآنُ﴾ في الموضعين : ٢، ٨، قرئ: (شنْآن - شنَآن) بإسكان النون وفتحها، والقراءتان بمعنى واحد مصدر شنأه بالغ في بغضه، والساكن مخفف من المفتوح، وقيل: الساكن صفة كبغضان بمعنى: بغيض قوم. قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ قرئ: (إِن) بكسر الهمزة على أنها شرطية، والتقدير "إن وقع صد فيما يستقبل فلا يكسبنكم الاعتداء" لأن معنى "لا يجرمنكم" يكسبنكم. وقرئ: (أَن) بفتح الهمزة مفعول من أجله و"أن تعتدوا" مفعول ثانٍ ليجرمنكم، والكاف والميم مفعول أول، التقدير: لا يكسبنكم بغض قوم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء، وذلك أن المشركين صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن البيت الحرام ومنعوهم دخول مكة، فأنزل الله هذه الآية، فعلى هذا يجب أن تكون "أن" مفتوحة؛ لأن المفتوح لما مضى، والمكسور لما يستقبل.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ (الشهر وشهرًا) في القرآن الكريم (١٢) مرة، -أي بعدد شهور السنة-. [٢] ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما رود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

= تحريم المحرَّمات، وبيان إكمال الدِّين، وذكر الصيد، والجوارح، وحِلّ طعام أهل الكتاب، وجوازُ نكاح المحصنات منهن، وتفصيل الغُسْل، والطَّهارة، والصَّلاة، وحكم الشهادات، والبيّنات وخيانة أهل الكتاب القرآنَ، ومن أُنزل عليه، وذكر المنكَرات من مقالات النصارى، وقصّة بني إسرائيل مع العمالقة، وحبس الله تعالى إيَّاهم في التِّيه بدعاءِ بلْعَام، وحديث قتل قابيل أخاه هابيل، وحكم قُطَّاع الطريق، وحكم السّرقة، وحَدّ السُّرَّاق، وذمّ أهل الكتاب، وبيان نفاقهم، وتجسسهم =

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)

٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾: وهي كل نفس سائلة من دواب البر وطيره، أهليها ووحشيها، مما أباح الله أكله، فارقتها الروح بغير تذكية ﴿وَالدَّمُ﴾: هو الدم المسفوح، دون ما كان منه غير مسفوح كالكبد والطحال، وما كان منه في اللحم والعروق غير منسفح، وهو الجاري ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾: أهليه وبريه، وجميعه حرام ﴿وَمَا أُهِلَّ﴾: ذبح ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: مما كان يذبح للأوثان على غير اسم الله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي تختنق فتموت. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: التي تضرب فتموت، وليس في الصيد وقيذ ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ من عُلْوٍ، أو في بئر فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: المنطوحة، وذلك أن تنطح الشاه أو البقرة الأخرى فتموت من النطاح بغير تذكية فتحرم إن لم تدرك ذكاتها قبل موتها. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: ما أخذ فأنفذ، ولم تدرك ذكاته. وقيل: «السبع»: الصائد غير المعلم مما يصطاد به. ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلا ما طهرتموه بالذبح الذي جعله الله طهوراً. قال علي رضي الله عنه: إذا ركضت برجلها، أو طرفت بعينها، أو حركت ذنبها، فقد أدركت ذكاتها. وكان المشركون يأكلون كل ما تقدم ذكره دون تذكية. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: يعني: وحُرِّم عليكم أيضاً ما ذبح على النصب: وهي الأوثان، وكانت حجارة تجمع ويذبح عليها ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا علم ما قُسِم لكم وهو مصيبكم ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: وهي قداح كان على بعضها مكتوب: «نهى ربي»، وعلى بعضها: «أمر ربي»؛ فإن هَمَّ بسفر وتجارة، وخرج له «الأمر» مضى؛ وإن خرج له «النهي» وقف. ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: هذه الأمور المذكورة كلها خروج عن طاعة الله ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كان يوم عرفة، يوم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع بعد دخول العرب في الإسلام ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: اضطره الجوع ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة إلى أكل ما ذُكِر تحريمه ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: متعمد -هاهنا-، وأصله «الجنف»: الميل.
٤- ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: الحلال ﴿الْجَوَارِحِ﴾: الكواسب، من سباع البهائم والطير، يعني: كل ما عُلِّم منه الصيد فتعلم وأمسك على صاحبه، فأكله حلال ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: قيل: من الكلاب وغيرها، وفي هذا اختلاف كثير. والمكلِّب: معلِّم الكلاب لكيفية الاصطياد، وخص معلم الكلاب وإن كان معلم سائر الجوارح مثله؛ لأن الاصطياد بالكلاب هو الغالب. ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: أمسكت هذه الجوارح عليكم، وهو أن يمسكها فلا يأكل، فإن صاد فأكل فعلى نفسه أمسك. وقيل: إذا أشلَيْتَ الجوارح، أي أغريتها بالصيد وأرسلتها عليه، فاستشلت، ودعوتها فأجابت ولم تفر منك، فكل ما أمسكت عليك، وإن أكلت. والاختلاف في هذا كثير. ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: قيل: إذا أرسلت الجوارح فقل: «بسم الله» وإن نسيت فلا حرج. ٥- ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ذبائح اليهود والنصارى. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: الحرائر ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: أعطيتموهن. ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾: غير زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: خلان، يعني مُسِرِّين للزنا ﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾: يجحد ﴿بِالْإِيمَانِ﴾: بمحمد ﷺ وما جاء به ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾: بطل عمله. [٣] قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ الآية. أخرج ابن منده في كتاب الصحابة، من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن أبجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر. [٤] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية. روى الطبراني، والحاكم، والبيهقي، وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فابطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذنَّا لك، قال: أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع: لا تدع كلبًا بالمدينة إلا قتلته، فأتاه الناس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية. [٥] ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]؛ ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي﴾ [المائدة: ٥]. آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث الإحصان، وآية سورة المائدة في من يحل في الرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدم ذكر النساء بالإحصان، فذكر إحصان الرجال أيضًا تسوية بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما. [٦] ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]. زاد في آية المائدة ﴿مِّنْهُ﴾، لأنها ذكرت جميع أحكام الوضوء والتيمم فناسب الإثبات والبيان، وآية النساء ذكرت بعض أحكام الوضوء والتيمم، فحسن الحذف. [٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إعجاز علمي: تحريم الميتة: يأتي علم الكائنات الدقيقة بدقائق وأسرار هذا التحريم، ووجد العلماء أن جسم الحيوان محصنٌ ضد غزو الجراثيم مادام الحيوانُ حيًّا. ولكن بمجرد موته بعد (١ ـ ٥) ساعات تتحول جثة الحيوان إلى مستودع للجراثيم والعفونات. تحريم الدم: اكتشف العلم أن الدمَ إذا سقطت عليه الجراثيمُ من السكين أو من يد الجزار، فإنها تتولد بسرعةٍ هائلة، وتغزو الدم كله، وتتغذى بمواد الدم. تحريم لحم الخنزير: اكتشف العلم أن لحم الخنزير مستودع لأخبث أنواع الكائنات الدقيقة، وأخبث أنواع البكتريا، وأخبث أنواع الفيروسات والطفيليات الضارة، بل إن لحم الخنزير نفسه تركيبه ضارٌ جدًّا، يضرُّ بصحة الإنسان، وآخرُ الأبحاث أن لحم الخنزير من العوامل المهيئة لوجود السرطان في الأجساد. تحريم المنخنقة: اكتشف العلم أن الموت البطيء بسبب الخنق يمكن أن يجعل الحيوان مستودعًا ضخمًا للجراثيم، لأنه عندما يبدأ يموت خنقًا فإن مقاومة جدر الأمعاء الغليظة والمقاومة ضد الجراثيم تضعف، فتغزو الجراثيمُ الجسمَ، وتجد الدماء الموجودة لتتغذى عليها في عروق الكائن الحي، وهو لا يزال حيًّا، فتدخل أجزاء جسم الحيوان كلها، وبذلك يكون مصدرًا للخطر الكبير على آكله. تحريم الموقوذة: اكتشف العلم أن الضرب الشديد للحيوان يجعل العروق تتحطم وتختلط بالدماء، وتختلط باللحم، وهذا يُفرز مادةً أو مواد سامة، هي التي تُسبب هذا التورم نتيجة الضرب، وهي عبارة عن سموم نشأت من تحطيم واختلاط اللحم مع الدم مع الخلايا. وهذه مواد سُمِّية معروفة، وموت الكائن بالضرب يُفقد جهاز المناعة مقاومته للجراثيم، كما أن الدماء الموجودة في جسم الكائن الحي، تمثل بيئة خصبةً لنموه، فتغزوه مرةً ثانيةً، ويُصبح بيئة خصبة لذلك... تحريم المترديةِ والنطيحة وما أكل السبُعُ: كذلك نفس الشيء يحدث في المترديةِ والنطيحة وما أكل السبُعُ، تموتُ ببطءٍ، والجراثيم تغزو، والدماءُ الموجودةُ في جسم الكائن تمثل مستودعًا خصبًا للجراثيم. استثناءٌ قرآني: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ اكتشف العلم الحديث أن الدمَ =

= وبيانُ الحكم بينهم، وبيان القِصاص في الجراحات وغيرها، والنَّهي عن موالاة اليهود والنَّصارى، والرَّدّ على أهل الرِّدَّة، وفضل الجهاد، وإثبات ولاية الله ورسوله للمؤمنين، وذمّ اليهود في قبائح أقوالهم، وذمُّ النَّصارى بفاسد اعتقادهم، وبيان كمال عداوة الطَّائفتين للمسلمين، ومدح أهل الكِتاب الَّذين قدِموا من =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: على غير طهر، من نوم أو حدث ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: «الوجه»: ما ظهر من بشرة الإنسان، من قصاص شعر رأسه منحدراً إلى منقطع ذقنه طولاً، وما بين الأذنين عرضاً. واللحية، ويكفيها ما سال عليها من الماء عند مرور اليدين عليها في غسل الوجه، وقد ورد الدليل بتخليلها، وفيه اختلاف. ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾: قيل: مع المرافق. ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾: معطوف على ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾، وغير متصل بـ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾. وفيه اختلاف وقد ثبت غسل الأرجل بالأحاديث الصحيحة الكثيرة، أما المسح على الخفين فهو ثابت بالأحاديث المتواترة. والمسح على الرأس يراد به بعض رؤوسكم، وقد ورد في السنة المطهرة ما يدل على أنه يكفي مسح بعض الراس. ﴿مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾: من قضاء الحاجة، وقد تقدم تفسيره. ﴿مِّنۡ حَرَجٖ﴾: من ضيق ﴿لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾: بالوضوء والغسل من الأحداث والنجاسات، ومن الخطايا، كما روي عن النبي ﷺ: «إن الوضوء يكفر ما قبله، ثم تصير الصلاة نافلة» أخرجه أحمد، وصححه الأرناؤوط. وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه توضأ، ثم قال: ألا إني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا، غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيُه إلى المسجد نافلة» رواه مسلم. ٧- ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: بيعة المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ إياه على السمع والطاعة فيما أحبوا أو كرهوا. وقيل: ميثاق الله الذي أخذ على عباده حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾. ٨- ﴿قَوَّٰمِينَ﴾: قائمين: ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بالعدل ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: لا يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بُغض.

[٦] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية. روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقدًا، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر.

[٦] ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]. آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة لصلاتهم وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك، وإنعام عليهم برخصة التيمم إذا عدموا الماء، وكل هذا مستوجب للشكر لله سبحانه، فقيل في ختام هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، وأمَّا آية النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات من آخرها، وغالب حالها أنها خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم من المرتابين في الساعة تكذيبًا وكفرًا بها، وقد تخلل سورة النحل من تذكيرهم بإنعام الله عليهم كثير، وكل هذا تذكير بعجائبه من إنعامه تعالى، لا يمكن نسبة شيء منها لغيره، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾، أي: تدخلون في دين الإسلام الذي لا يقبل في الآخرة سواه، فهذا أوضح تناسب، والسورة مكية. [٧] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. الموضع الأول وقع على النية وهي ذات الصُّدور، والثاني على العمل. وعن ابن كثير أن الثانية نزلت في اليهود. [٨] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [المائدة: ٨]. الآيات المتصلة بآية النساء مبنية على الأمر بالعدل وبالقسط، كنشوز الرجال وإعراضهم عن النساء، والصلح على مال، وإصلاح حال الزوجين، يقول تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [النساء: ١٢٧]، ويقول: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ [النساء: ١٢٩] وتوالت الآي على هذا المعنى، فناسب تقديم القسط وهو العدل ليناسب ما ذكر، أمَّا آية المائدة فجاءت بعد أحكام تتعلق بالوفاء بالعهود والمواثيق كما في أول السورة ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وكذلك أحكام تتعلق بالطهارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، إلى أن أمر عباده بتذكُّر نعمه عليهم فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم﴾ [المائدة: ٧]، فناسب تقديم ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾. [٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]. آية المائدة عامة غير مخصوصة بقوم بأعيانهم، وآية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون، فقال: ﴿مِنۡهُم﴾ تمييزًا وتفصيلًا ونصًا عليهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم، وأيضًا في آية المائدة بعد ما قدم خطاب المؤمنين مطلقًا بأحكام، فكأنه قال: من عمل بما ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم، فهو عام غير خاص بمعنيين.

[٦] ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: "المَسّ واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلٌّ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسِّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. [٦] ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ قرئ: (وأرجلَكم) بنصب اللام عطفًا على وجوهكم وأيديكم فإن حكمها الغسل. وقرئ: (وأرجلِكم) بالخفض عطفًا على رؤوسكم لفظًا ومعنى، ثم نسخ بوجوب الغسل أو بحمل المسح على بعض الأحوال، وهو لبس الخف، وللتنبيه على عدم الإسراف في الماء؛ لأنها مظنة لصب الماء كثيرًا، فعطفت على الممسوح تنبيهًا على ذلك. وقيل: إنه أطلق المسح وأراد به الغسل؛ لأن العرب كثيرًا ما تقول بذلك، فتقول: تمسحت للصلاة، أي: توضأت لها فالمراد هنا: الغسل، أو خفض على الجوار.

= له دورٌ كبيرٌ في انتشار الجراثيم في جسم الكائن الحي، فالتذكية هي إخراج الدماء من جسم الكائن، فلا تجد الجراثيم حينها مادةً سهلةً تُعينها على النمو والانتشار بسهولة. فالحيوان إذا أدركناه لم يمت، فمعنى ذلك أنه لا يزال يقاوم، وأن الحياة مازالت موجودة، وأن الخطر لم يوجد بعدُ بدرجة كبيرة، فإذا أزلنا الدماء شُفي الجسمُ من المادة التي تعينُ على تكوين هذه الجراثيم. فهل علمت الآن ما الحكمة من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير؟ وهل أدركت الآن لم حُرِّمت المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحةُ وما أكل السبع؟ وهل عرفت الآن: لم أُحل أكل ما ذُكِّي؟! فقل سبحان الله العظيم.

= الحبشة، وحكم اليمين، وكفَّارتها، وتحريم الخمر، وتحريم الصَّيد على المُحْرِم، والنهي عن السؤالات الفاسدة، وحكم شهادات أهل الكتاب، وفصل الخصومات، =

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

١٠- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: المخلدون في النار. ١١- ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: كان رسول الله ﷺ قد دخل حائطاً لليهود، بستان نخل، يستعينهم في دية، فهمُّوا أن يلقوا عليه حجراً، أو يقتلوه، فأوحى الله إليه بذلك، فانصرف وكفهم عنه. ١٢- ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: «النقيب» في كلام العرب: شبه العريف على القوم، وهو فوق العريف، كالأمين والضامن، فالنقباء أمناء على أقوامهم. ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾: صدقتموهم. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: ووقرتموهم، ونصرتموهم بالسيوف، والذب دونهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾: أنفقتم في سبيل الله ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: أخطأ ﴿سَوَآءَ﴾: وسط ونهج ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الطريق. ١٣- ﴿فَبِمَا﴾: الباء سببية، و«ما» صلة، أي زائدة للتأكيد؛ أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، ﴿قَٰسِيَةً﴾: غليظة صلبة ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يبدلون كلام ربهم، وقد حرف اليهود الكلم بالتأويل، كما بدّلوه أيضًا. ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾: تركوا نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: في كتاب الله المنزل عليهم. قال ابن عباس: نسوا الكتاب ﴿خَآئِنَةٍ﴾: في هذا الموضع: خيانة. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ قيل: نسخت هذه، الآية ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

[١١] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن عكرمة، ويزيد بن أبي زياد، واللفظ له أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرًا أبدًا. فجاؤوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمت [هناك]، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمير بن قتادة، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، وأبي مالك، وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة، وبنو محارب، أن يفتكوا بالنبي ﷺ، فأرسلوا إليه الأعرابي، يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال: من يحول بيني وبينك؟ فقال: الله، فشام السيف، ولم يعاقبه. [١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وهي تدل على أن الذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذّبوا بأدلته التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملازمون لها. [١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ ...﴾ [المائدة: ١١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ... ﴾ [الأحزاب: ٩]. آية المائدة تدعو المؤمنين لأن يذكروا نعمة الأمن لهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم الذين أرادوا أن يبطشوا بهم...، أمّا آية الأحزاب فتدعو المؤمنين لأن يذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليهم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب، حين اجتمع عليهم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها... [١٣] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ...﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ... ﴾ [المائدة: ١٣]. بسبب نقض اليهود للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم... فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية المائدة: فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكدة طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان... [١٢] ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر: ٣]. ما الفرق بين: "كَفَّرَ وغَفَرَ"؟ الجواب: ١- اختصت (كفَّر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفَّر) إلى (الله)، بينما أُسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفَّر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ والجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوعٌ متعلقٌ بمعاصٍ في حق الله –تعالى– وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبدًا. ٢- ونوعٌ يتعلق بمعاصٍ في حقّ العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوبًا» أو «خطايا» والعفو عنها «غفرانًا»، وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيرًا). [١٣] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ... ﴾ [المائدة: ١٣]. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به. وأنه لابد أن يبتلي بالخيانة.. نسأل الله العافية.

[١٣] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ قوله تعالى: ﴿قَٰسِيَةً﴾ قرئ: (قسِيَّة) بحذف الألف وتشديد الياء إما مبالغة أو بمعنى رديّة، من قولهم: درهم قسيٌّ مغشوش، ولأن "فعلية"، أبلغ في الذم من فاعلة فكان وصف قلوب من صرف كلام الله، ومال عن الحق بأبلغ صفات القسوة أولى من غيره. وقرئ: (قاسِيَة) بالألف والتخفيف اسم فاعل من قسا يقسو، قياسًا على قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) ومعنى قاسية أي: بائنة عن الإيمان، وقد نزعت منها الرحمة والرأفة. [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ...﴾ [المائدة:٦]. إعجاز علمي: الوضوء والغسل والطهارة وأثرها في القضاء على الجراثيم: الإسلام دين نظافة وطهارة يجمع بين نظافة الظاهر والباطن، ففي مجال الباطن دعا إلى الصدق والإيمان وحب الخير للناس، ونهى عن الحسد والحقد. وفي مجال الطهارة الظاهرة أوجب الطهارة للصلاة، فالمسلم يتطهر للصلاة خمس مرات في اليوم، وإذا أصابته جنابة وجب عليه الغسل، ويستحب له الغسل للتنظيف، إذ الإسلام يدعو إلى النظافة في كل وقت حسب النية والقصد والحاجة، وقد جاء العلم الحديث ليثبت سبق الإسلام إلى هذا، يقول الدكتور عبد الجواد الصاوي: تذكر المراجع الطبية أن الجلد يعتبر مخزنا لنسبة عالية من البكتريا والفطريات، ويكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر، ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة على كل سنتمتر مربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة منه، =

= ومحاورة الأمم رسلَهم في القيامة، وذكر معجزات عيسى، ونزول المائدة، وسؤال الحقِّ تعالى إيّاه في القيامة تقريعاً للنصارى، وبيان نفع الصدق يوم القيامة للصادقين. فضل سورة المائدة: قال رسول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: "البقرة =

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١٤- ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾: أي ألصقنا ذلك بهم، مأخوذ من الغِراء: وهو ما يلصق الشيء بالشيء. وقيل: إن معنى «العداوة» والبغضاء» -هاهنا-: الجدال، واختلاف بينهم في دينهم. حتى صاروا فرقًا يكفر بعضهم بعضًا. ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾: يخبرهم. ١٥- ﴿نُورٌ﴾ هو: النبي ﷺ، وقيل: الإسلام ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾: يعني: القرآن فيه بيان. ١٦- ﴿رِضْوَانَهُ﴾: ما رضي الله تعالى به. ﴿سُبُلَ﴾: طرق ﴿السَّلَامِ﴾: هو الله عز وجل، و«سبيل الله» دين الله، وقيل: المراد بسبل السلام: طرق السلامة والنجاة من عذاب الله. ١٧- ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: اي فمن يقدر أن يدفع شيئًا من أمر الله، ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾:اي: لا احد يقدر على ذلك فإنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولو كان المسيح إلهًا لكان له من الأمر شيء! ولكان قادرًا على أن يدفع عن نفسه وعن امّه أو عن احدٍ من أهل الأرض. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: يفعل في ملكه ما يشاء فيخلق بأب وأم ككل البشر، وبلا أب ولا أم كآدم وحواء، ويخلق بأم ولا أب كما خلق عيسى عليه السلام، والكل عبيده سبحانه وتعالى. [١٥] قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل، (أي: رِعدة) فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

[١٣، ١٤] ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ﴾ [المائدة : ١٣]، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا﴾ [المائدة : ١٤].الآية الأولى في اليهود، والثانية في النصارى، وكلاهما ترك بعض ما أمروا به. [١٥، ١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ [المائدة : ١٥]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة : ١٩]. الآية الأولى نزلت في اليهود حين كتموا صفة محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، والنصارى حين كتموا بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ في الإنجيل، والآية الثانية تبين لليهود والنصارى شرائعهم بعد أن نسوها ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: على انقطاع منهم، مما يتسبب في نسيان الشرائع. [١٧] ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة : ١٧]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الفتح : ١١]. آية سورة الفتح نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذر، وتأخروا عن الجهاد، وقالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ثم سألوه ﷺ أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم، وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فقال عز وجل: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، فلما كان في قوم مخصوصين احتيج إلى "لكم" للتبيين، وأما في سورة المائدة فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق، بل عم بها، ودليله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فلما سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى "لكم" التي للخصوص.

[١٣] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأماني الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعتها. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨-مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشرب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء.. ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله عز وجل. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدال. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عزو جل. ٢- الإكثار من ذكر الله عزو جل. ٣- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٤- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكر في وعده ووعيده، وأمره ونهيه. ٩- تذكر الآخرة والتفكر في القيامة وأهوالها والجنة والنار ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين.

= يتراوح العدد بين مليون إلى خمسة ملايين جرثومة/ سم، كما ترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة، كالإبط إلى عشرة ملايين جرثومة/ سم. وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر، والغسل والوضوء خير مزيل لهذه الكائنات، إذ ينظف الغسل جميع جلد الإنسان كما جاء في غسل النبي ﷺ أنه يروي بشرته، ثم يفيض الماء على سائر جسده، وينظف الوضوء الأجزاء المكشوفة منه، وهي الأكثر تلوثًا بالجراثيم، لذا كان تكرار غسلها أمرًا مهمًا، وقد أثبتت عدة دراسات قام بها علماء متخصصون: أن الاستحمام يزيل عن جسم الإنسان ٩٠٪ من هذه الكائنات، أي بأكثر من مائتي مليون جرثومة في المرة الواحدة، وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة، لذا أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل. [١٣] ﴿لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كلٌّ (١٤٨) في كتاب الله تعالى. [١٤] ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. = آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة".

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٩- ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾: يعني: اليهود المجاورين لرسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾: معنى «الفترة»- هاهنا-: الانقطاع، والفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، فيما روي، خمسمائة وستون سنة وقيل: ستمائة. واختلف في العدد. ﴿أَن تَقُولُوا۟ ﴾: بمعنى؛ لئلا تقولوا. ٢٠- ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: امتن الله تعالى على بني إسرائيل بكثرة ما بعث فيهم من الأنبياء، وبأن جعل منهم ملوكًا، قال بعض المفسّرين: تقدير الآية: وجعل منكم ملوكًا. علمًا بأن اليهود يسمّون بعض أنبيائهم بالملوك، أو أنهم آباء بني إسرائيل. وقيل: المراد بالملك في الآية: أنهم ملكوا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون؛ فهم جميعًا ملوك بهذا المعنى. ﴿وَءَاتَىٰكُم ﴾: أعطاكم. ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: ممن كان في ذلك الزمان من المن والسلوى، والحجر، الذي ضربه موسى بعصاه، والغمام، وكثرة الأنبياء، وما خصهم به. ٢١- ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾: المباركة. وقيل: هي الشام ، وقيل: أرض بيت المقدس. ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾: كتب الله تعالى لهم دخولها وأمرهم بذلك، كما أمرهم بألا يرتدوا على أدبارهم. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾: ترجعوا القهقرى بترك ما تؤمرون به، من قتال الجبارين، ونحو ذلك مما أمرهم به. ٢٢- ﴿جَبَّارِينَ ﴾: قاهرين لسائر الأمم؛ وأصل «الجبار»: المصلح أمر نفسه وأمر غيره، مأخوذ من جبر الكسر، وقيل: الجبار: فعّال، من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد. ولهذا قال الزجاج: الجبّار من الآدميين: العاتي. ٢٣- ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾: هما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وكانا من نقباء بني إسرائيل يخافان الله.

[١٨] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ الآيات. روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحرى بن عمر وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ الآية.

[١٧، ١٨] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧]، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة : ١٨]. سبب تكرار ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، أن الأولى نزلت في النصارى حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، ليس فيهما معه شريك، ولو كان عيسى إلهًا لاقتضى أن يكون معه شريكٌ، ثم من يذبّ عن المسيح وأمه وعمن في الأرض جميعًا إن أراد إهلاكهم، فإنهم كلهم مخلوقون له، وإن قدرته شاملة عليهم، وعلى كل ما يريد بهم، كما أن زيادة قوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُ مَا ﴾، يفيد أن الله خلق ما يشاء من أنواع الخلق باعتبار "ما" نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية، لا على المفعولية. أي: يخلق أي خلق يشاؤه، فتارة يخلق من غير أصل كالسماوات والأرض، أو من أصل كخلق ما بينهما، ومن ذكر وأنثى، أو من ذكر فقط كآدم، أو من أنثى وحدها كعيسى، وبتوسط خلق الطير على يد عيسى... والآية الثانية نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨]، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، والأب لا يهلك ابنه ولا يعذبه، وأنتم مصيركم إليه فيعذب من يشاء منكم ويغفر لمن يشاء. قول آخر: أمّا الآية الأولى فرد على قولهم في المسيح إنه الإله، فبيَّن أن الألوهية لمن له ملك السماوات والأرض، وليس للمسيح ذلك، فكيف يكون إلهًا والله خالقه، والقادر على إهلاكه، ولذلك قال: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ إشارة إلى خلق المسيح، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إشارة إلى قدرته على إهلاكه وأمه، وأمّا الآية الثانية فرد على قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ فهو توكيد لقوله: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ خلقه وملكه، ولذلك قال: ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازي كلًا على عمله، إما بمغفرة ورحمة أو بعذاب، ولو كنتم كما تقولون لما عذبكم، لأن المحب لا يعذب محبوبه. [٢٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٢٠]، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [إبراهيم: ٦]. الخطاب بحرف النداء أو اسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى وتخصيصه بما يريد أن يقول له، فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك، وإيتاء ما لم يؤتِ أحدًا من العالمين، وهو المن والسلوى، وهم ملتبسون به حالة النداء؛ حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضًا قال: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة : ٢١]؛ لأن ذلك من أعظم النِّعم عليهم؛ فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم تذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قِبَل فرعون، وكان ذلك مما مضى زمانه، لم يأتِ فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة.

[٢٦] ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٦]. قال الحاكم: دل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ على أن من لحقه عذاب الله لا يجوز أن يحزن عليه لأن ذلك حكمه، بل يحمد الله إذا أهلك عدوًا من أعدائه. [٣١] ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٣١]. انظر كيف أهان الله قابيل، لم يبعث الله أيًا من الدواب غير الغراب ليُري قابيل كيف يصنع بجثة أخيه، والغراب أحد الفواسق المنبوذة في الأمم كلها.

[١٩] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنها تكررت بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٥- ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: افصل؛ من قول القائل: فرقت بين الشيئين؛ إذا فصلت بينهما. ٢٦- ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾: يعني: الأرض المقدسة ﴿يَتِيهُونَ﴾: يترددون فيها، ولا يخرجون منها، وكان قدر موضع التيه ستة فراسخ، فكانوا يسيرون كل يوم جادين، ليخرجوا منها، فإذا نزلوا إذا هم في الدار التي منها ارتحلوا ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: لا تحزن. ٢٧- ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾: ولديه لِصُلْبِه: هابيل، وقابيل ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾: قرّب هابيل كبشاً من أفضل غنمه، وقرب الآخر حزمة زرع من دون غنمه، ﴿فَتُقُبِّلَ﴾: قربانُ هابيل، بأن أتت النار فأكلته ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾: و«القربان»: ما يتقرب به إلى الله. وقربان المسلم: الصلاة، والزكاة، والصيام، وما أشبهها من الأعمال لله. ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾: حسده، وقال: لا يتحدث الناس إنك خير مني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: الخائفين من الله. وقيل: الذين اتقوا الشرك. ٢٨- ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾: أي لئن قصدت قتلي. ٢٩- ﴿أَن تَبُوٓأَ﴾: تذهب، بإثمي وإثمك وتحملهما وتنصرف بهما إذا قتلتني. ٣٠- ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾: فساعدت، من الطوع يقال: طاع لهُ كذا: أتاه طوعًا. ﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: من البائعين أخراهم بدنياهم. ٣١- ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾: فقتل غراباً آخر، ثم بحث؛ أي حفر في الأرض فدفن صاحبه فيها، وحثا عليه التراب.

[٢٦] ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة : ٢٦]، ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٨]. الآية الأولى بخصوص قوم موسى عليه السلام الذين امتنعوا عن القتال، فقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٤]، وقوم موسى ليسوا كفارًا، وإنما كانوا مؤمنين به، والله تعالى نزّل عليهم المن والسلوى ولا يمكن أن يقال عنهم كافرون، أمّا الآية الثانية فالخطاب للرسول ﷺ في خطابه لأهل الكتاب: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ٦٨]، فهؤلاء كفرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾، ولهذا جاءت كلمة الكافرين في نهاية الآية. [٣٠، ٣١] ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة : ٣٠]، ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [ثاني المائدة : ٣١]. بعد أن قتل أخاه أصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة، أمّا الآية الثانية فإنه أصبح من النادمين لأنه حمل أخاه على عنقه، ولعدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب.

[٢٧-٣١] ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة : ٢٧-٣١]. **فوائد من قصة ابني آدم:** ١- إن قتل النفس البريئة يوجب النار. ٢- التعامل مع الآخرين بالطيبة والتسامح والعفو والصفح، ومقابلة السيئة بالإحسان، والابتعاد عن الغضب والظلم والتعدّي والحسد واتباع الهوى وتضليلات إبليس. ٣- والأفضل أن يكون أحدنا مع إخوانه ((المقتول لا القاتل))، كما أوصى رسول الله صلى الله عليه بقوله: "كن كابن آدم"، أو " فليكن كخير ابني آدم" أخرجه أبو داود وابن ماجة، وغيرهما، وصححه الألباني.-وهو هابيل-. ٤- "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار" متفق عيه.. لذلك يجب علينا الانتباه والحذر الشديد من التهاون في دماء الناس وقتالهم. ٥- الالتزام بنهج رسول الله صلى الله عليه في الاستخارة والاستشارة، فعلينا اللجوء إلى الله وطلب المعونة منه والإلهام لخيري الدنيا والآخرة فيما يشغل بالنا ويضايقنا. ثم أخذ رأيِ أهل العلم والخبرة والتخصّص ومن شابههم من أهل الحكمة والمشورة. فلو أن قابيل استشار والده النبي آدم عليه السلام فيما كان يشعر به من حسد وغلّ نحو أخيه هابيل ، ما كان ليقدم على تلك الجريمة النكراء العظيمة والعياذ بالله من غضبه. .. ٦- أن الله لا يتقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين. ٧- مراقبة الله عز وجل والخوف منه سبحانه وتعالى. [٢٧] ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧]. **تعريف التقوى:** قال طلق بن حبيب رضي الله عنه: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله. **من ثمرات وفوائد التقوى:** ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح . ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز بالجنة. ٢٦- التفكر والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [٣١] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة : ٣١]. تأمل الحكمة في إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل عن أخيه، وغربته هو عن رحمة الله، وغربته عن أبيه وأهله واستيحاشه منهم واستيحاشهم منه. قال بعض أهل الفضل من المفسرين: الغراب أحد الفواسق الخمسة، وفعل ابن آدم وهو القتل من أعظم الفسق، فناسب ما بعث إليه هذا الفعل، والله أعلم. [٣١] ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة : ٣١]. هذا يقتضي أن قابيل كان "تائبًا" والندم توبة، لقوله ﷺ: "النَّدَمُ تَوْبَةٌ" فلا يستحق النار. والحديث أخرجه ابن ماجة، والحاكم، وقال: هذا الحديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الشيخ الألباني: صحيح. **الجواب:** لم يكن ندمه على قتل أخيه، بل على حمله على عنقه، أو على عدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب، أو على فقده أخاه، أو على قتل أخيه، لكن مجرد الندم ليس بتوبة؛ إذ التوبة إنما تتحقق بالإقلاع، والعزم على عدم العود وتدارك ما يمكن تداركه.

[٣٢] ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ...وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ﴾ قرئ: (من إجل) بكسر الهمزة ونقلِ حركتها إلى النون تخفيفًا.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: يعني: ابن آدم القاتل أخاه ظلمًا، أي بسبب هذه النازلة. ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: نفسًا بغير أن تقتل نفسًا فتستحق القتل من قتل. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: من قتل نفسًا واحدة، وانتهك حرمتها، فهو مثل من قتل الناس جميعًا، لأنه اعتدى على الحياة، أو على حق الحياة، ومن ترك مثل نفس واحدة، وصان حرمتها، فهو كمن أحيا الناس جميعًا. ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾: عاملون بمعاصي الله. و«السرف»: تجاوز الحد. ٣٣- ﴿ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: قيل: نزلت في قوم من عُرَيْنة وعُكْل، - قبيلتان - ارتدوا عن الإسلام، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأخذوا لِقاحه، ذوات الألبان من النوق. وسملوا أعين الرعاة. وقيل: «المحارب»: هو اللص الذي يقطع الطريق. وقيل: الذي يشهر السلاح في المصر على أهله ليلاً أو نهاراً. وقيل: هو الذي يخدع الصبي، فيدخله ويقتله ويأخذ ما معه، فالإمام ولي قتله دون المقتول. وفيه اختلاف كثير. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: وهي تبيين للحرابة، قيل: هو الزنا، والسرقة، والقتل، وإهلاك الحرث والنسل. والآية عامّة في كل ما يعدّ فسادًا في الأرض. ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾: الآية. الإمام مخير بين هذه العقوبات بما يناسب الجرائم التي يرتكبها المحاربون بحق المجتمع والناس. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أن تقطع أيمن أيديهم، وأشمل أرجلهم ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: «النفي» في كلام العرب: الطرد. وقيل: النفي: السجن في البلد الذي نُفي إليه حتى تظهر توبته، ونزوعه ﴿خِزْىٌ﴾: نكال وعقوبة. ٣٤- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن...﴾: قيل: هذا لأهل الشرك في عهد رسول الله ﷺ إذا فعلوا شيئاً في هذا، ثم تابوا وأسلموا. وقيل: هو المحارب من المسلمين، إذا أعجز الناس، واستأمن الإمام مستسلماً تاركاً للحرابة قبل القدرة عليه، وأمنه الإمام، فليس للناس أن يتبعوه بدم ولا مال. وقيل: يؤخذ بما كان منه قبل أن يكون محارباً، ولا يؤخذ منه في الحرابة. وفيه اختلاف كثير. ٣٥- ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القربة. أي طلبوا القربة إليه بالعمل الذي يرضيه.

[٣٤، ٣٩] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أَتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [٣٤، ٣٩] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [٣٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين، ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل: الحديث. ثم أخرج عن جرير مثله وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾[المائدة : ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾[الأعراف : ١٠١]. إذا كانت الآية تتحدث عن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: "رسلنا"، وإذا كان الكلام يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: "رسلهم"، فالآية في سورة المائدة جاءت عن الله تعالى وذكر فيها الأحكام، وأمّا آية الأعراف فتتكلم عن موقف القوم من الرسل، وكان عليهم أن ينتفعوا بالرسل. [٣٣، ٤١] ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [المائدة : ٣٣]، ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ [المائدة : ٤١]. لاحظ الآية : ٣٣، في سورة المائدة فيها ذكر عقوبات، والعقوبات منظورة مرئية أمام الناس فهي مخزية، يعني هم يحملون خزيهم ظاهرًا أمام الناس فقدم الخزي، أما الآية : ٤١، فأجّلت عقوباتهم فتأخرت كلمة الخزي، وراجع الآيات. [٣٦] ﴿لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة : ٣٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ [الرعد : ١٨، الزمر : ٤٧]. ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾ في موضعي الرعد والزمر لأنها جواب جملة الشرط، وأمّا في آية المائدة فقال: ﴿لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ لأن جواب الشرط فيها ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾. [٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر : ٤٧]. إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشريعته، لو أنهم سلكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أن يفتدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تَقبَّل الله ذلك منهم، ولهم عذاب مُوجع، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الزمر: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعًا مِن مال وذخائر، ومثله معه مضاعفًا، لَبذلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوا وافتدوا به ما قُبِل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئًا، وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم. = وقرئ: (مِنْ أَجل) بفتح الهمزة وسكون النون على الأصل وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿رُسُلُنَا - رُسُلُهُم - رُسُلُكُم﴾ حيثما وقع قرئ: (رسلْنا) بإسكان اللام. وقرئ: (رسلُنا)، وهما لغتان. [٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. إعجاز تشريعي: حد الحرابة: قد نصَّ القرآنُ على عقوبة المحاربين بقطع اليد اليمنى، وترك بقية الأطراف سليمة كي يعمل بها لكسب رزقه من حلالٍ إذا ارتدع. وتجمع هذه العقوبة من القسوة والرحمة في آيةٍ واحدةٍ، وهذا ضربٌ من الإعجاز في العقوبة والردع معًا، وقد أحلَّ الشرعُ بعد ذلك قتله إذا تمادى في الجريمة ولم يرتدع، ويُعاقب المحارب بالقتل إذا قتل سواء استولى =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه المتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٧- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يزول. ٣٨- ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: يعني: أيمانهما، وشروط القطع معروفة في كتب الفقه. ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾: عقوبة على ما اقترفاه من جريمة، وزجرًا لغيرهما. ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: هم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: عنى به يهود فدكٍ وهم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: يعني بالقوم: يهود المدينة الذين لم يأتوا مع يهود فدكٍ إلى النبي ﷺ في امرأةٍ من أشراف اليهود زنت، فبعثت إحدى الطائفتين منهم إلى رسول الله ﷺ يسألونه عما يجب عليها، وقعدت الطائفة الأخرى، ومعنى ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أنهم عيون لهؤلاء يتجسسون لهم الأخبار. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾: ما أنزل الله في التوراة من الرجم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾: اي إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم، اي تسويد الوجه بالفحم، في صاحبتنا ﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروه. ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: ضلالته.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ الآية. أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو: أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ الآية. [٤١] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ الآية. روى أحمد، وأبو داود، عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود، قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلًا، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد، ونسبتهما واحدة، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيمًا منكم وخوفًا وفرقًا، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما فأرسلوا إليه أناسا من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ الآية. وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مر على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» فقالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم فقال: «أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حد الزاني يكون في كتابكم؟» فقال: لا والله لولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فامر به فرجم، فأنزل الله ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ يقولون: ائتوا محمدًا، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، إلى قوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

[٤٠] ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٤٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤، آل عمران : ١٢٩، المائدة : ١٨، الفتح : ١٤]. قدم المغفرة في جميع المواضع إلا الموضع الثاني بسورة المائدة فقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾، لأنها نزلت بعد ما ذكر في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا أولًا ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨]، فقدم لفظ العذاب، وقدم المغفرة في غيرها رحمة وترغيبًا منه تعالى. [٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٠٧]، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ... ﴾ [المائدة : ٤٠]. أما علمتَ أيها النبي أنت وأمتك أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السماوات والأرض؟ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويأمر عباده وينهاهم كيفما شاء، وعليهم الطاعة والقَبول. وليعلم من عصى أن ليس لأحد من دون الله من وليٍّ يتولاهم، ولا نصير يمنعهم من عذاب الله، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمَّا آية المائدة: ألم تعلم أيها الرسول أن الله خالق الكون ومُدبِّره ومالكه، وأنه تعالى الفعَّال لما يريد، يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير. [٤١] ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة : ٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [النساء : ٤٦، المائدة : ١٣]. في آية النساء والأولى من المائدة قال تعالى: ﴿ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ أي: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة المحرفة لتلك النصوص، وليس في الآيتين بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب، وأمَّا آية المائدة الوحيدة ﴿مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾، فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضًا من الكتاب، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٩]. وقيل إن آية المائدة الأولى نزلت في اليهود الأوائل، وآية المائدة الثانية نزلت في اليهود على عهد النبي ﷺ، فهم حرفوا الآيات بعد أن عملوا بها زمنًا طويلًا، وكانوا قد أرسلوا نفرًا إلى النبي ﷺ في شأن زانٍ محصن: وقالوا لهم: إن أفتاكم محمد بالجلد فحدوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تقتلوه.

[٣٨] ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة : ٣٨]، ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ [النور : ٢]. قدم الرجال في المائدة وأخرهم في النور؟ الجواب: لأن قوة الرجال وجرأتهم وإقدامهم على السرقة أشد فقدموا فيها، وشهوة النساء وابتداء الزنا من المرأة لتزينها وتمكينها حتى يقع الرجل بها، يناسب تقديم النساء في سياق الزنا.

= على المال أم لم يستول عليه، وقد نصَّت الآيةُ على أنواع أخرى من العقوبات التي توقع على المحاربين الآثمين غير قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف لشل نصف الجسم المجرم عن الحركة. وهذه الأحكام تدلُّ دلالةً واضحةً على أن الشريعة الإسلامية تنظر إلى آثار الجريمة التي فيها اعتداء شنيع على الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، وإزهاق أرواحهم وسلب أموالهم، وشدَّدت العقوبة بما يناسب ما أحدثته الحرابةُ من عدوانٍ وترويعٍ للآمنين، ثم إن لهم في الآخرة عذابًا عظيمًا هو عذاب الجحيم. [٣٨] ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ [المائدة: ٣٨]. إعجاز تشريعي: جريمة السرقة: قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أمر الله سبحانه وتعالى بقطع يد السارق والسارقة، وقد كان القطع معمولًا به في الجاهلية فقُرِّرَ في الإسلام، وزيدت شروطٌ أخرى كما سنذكر إن شاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقراض، وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرعُ بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من تمام المصالح. وذهب الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارقُ شيئًا قُطعت يدُهُ به سواءً كان قليلًا أم كثيرًا، لعموم هذه الآية، وتمسكوا بما قد ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لعن اللهُ السارق يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتُقطع يدُهُ». وأما الجمهور، فاعتبروا النصاب في السرقة، وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تُقطعُ يدُ السارق في ربع دينارٍ فصاعدًا» رواه البخاري ومسلم. قال أصحابنا: فهذا =

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢- ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾: المال الحرام، وأصله: الهلاك والشدة، من سَحَتَ الشيء، وأسحته: إذا استأصله هلاكًا، وسمي الحرام سحتًا لأنه يسحت الطاعات. وقيل لعبد الله بن مسعود: ما السحت؟ قال: الرشوة. قالوا في الحكم؟ قال: ذلك الكفر. وقيل: السحت: الهدية ممن يستعينك على مظلمة فتعينه. وتقول العرب للحالق: أسحت، أي استأصل الشعر، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: قيل نسخ هذا قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]. وعلى الحاكم إذا احتكم إليه أهل الذمة أن يحكم بينهم بالحق. ٤٣- ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾: الرجم الذي كانوا يجحدونه. ٤٤- ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: يعني: اليهود: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: جمع «رباني»؛ وهم الحكماء العلماء بسياسة الناس وتدبير مصالحهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: العلماء. وقيل: عنى بـ«الربانيين والأحبار» هاهنا: ابني صوريا من اليهود اعترفا للنبي ﷺ بآية الرجم في التوراة، إذ أنكرت اليهود ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: بما أمروا بحفظه أو وُكِل إليهم حفظه. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: قليل: هو السحت من الرشا، على تبديل كلمات الله وكتمان الحق فيه. روي عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أنها في الكافرين كلها. وقال ابن عباس: إنها في اليهود خاصة. وقيل: ليس في أهل الإسلام منها شيء؛ إنما هي في الكفار، إلا أن يفعل أهل الإسلام ذلك استخفافاً، أو استحلالاً، أو جحداً، واختلف في ذلك. ٤٥- ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾: جمع: جرح ﴿قِصَاصٌ﴾: أي ذوات قصاص، فمن جرح غيره اقتص منه مثل الجرح الذي جرحه. وذلك فيما يمكن فيه القصاص وتعرف بالمساواة، كما ذكر العلماء، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: عفا عن الجارح ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: هدم من ذنوب المجروح. هذا وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم ينسخ. واحتجوا بأن الرجل يقتل بالمرأة لعموم هذه الآية الكريمة.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاؤوا فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك، فأبى رسول الله ﷺ ذلك وأنزل الله فيهم ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٥٠]. [٥١] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن عبادة بن الصامت، قال لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فتحالف إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الآية.

[٤٤، ٤٥، ٤٧] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. قيل إن الآية الأولى نزلت في حكام المسلمين، والثانية في حكام اليهود، والثالثة في حكام النصارى، وقيل إن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعم الله، ظالم في حكمه، فاسق في فعله. ولعل الأوجه ما قيل: من أن من لم يحكم بما أنزل الله إنكارًا له فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله مع اعتقاده بأنه حق ولكنه يحكم بضده فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله جهلًا به فهو فاسق.

[٤٢] ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾[المائدة: ٤٢]، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن: ١٥]. ما الفرق بين: "القاسطون والمقسطون"؟ الجواب: قال صاحب اللسان: أقسطَ يقسطُ فهو مقسطٌ، إذا عدل. وقسط يقسطُ فهو قاسطٌ: إذا جار. فكأن الهمزة في أقسط للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه. إذن أقسط: عدل. وقسط: جار. [٤٤] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤]. قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾، وجميع الأنبياء مسلمون، فما فائدة الصفة وهي معلومة؟ الجواب: فائدتها: الرد على الذين قالوا إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، فكذبهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾[٤٤] ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. سُئل القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي عن السر في تطرق التغيير للكتب السالفة وسلامة القرآن من طرق التغيير له؟ فأجاب: بأن الله تعالى أوكل للأحبار حفظ كتبهم فقال: ﴿ ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾، وتولى حفظ القرآن بذاته سبحانه وتعالى فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

[٤٢، ٦٢، ٦٣] ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ قوله تعالى: ﴿ لِلسُّحْتِ ﴾ قرئ: (السُّحْت - السُّحُت) بإسكان الحاء وضمها، وهما لغتان. [٤٥] ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَيْنَ - وَٱلْأَنفَ - وَٱلْأُذُنَ - وَٱلسِّنَّ - وَٱلْجُرُوحَ ﴾ قرئ: (والعينُ - والأنفُ - والأذنُ - والسنُّ - والجروحُ) بالرفع في الخمسة، فالواو عاطفة جملًا إسمية على أن وما في حيزها باعتبار المعنى، فالمحل مرفوع كأنه قيل: (كتبنا عليهم النفس بالنفس، والعين بالعين)... الخ. فإن الكتابة والقراءة يقعان على الجمل كالقول، وقال الزجاج: عطف على الضمير في الخبر يعني بالنفس، وحينئذ يكون الجار والمجرور حالًا مبينة للمعنى، وقرئ: (والعينَ - والأنفَ - والأذنَ - والسنَّ) بالنصب فيما عدا الجروح فإنهم يرفعونها قطعًا لها عما قبلها مبتدأ وخبره قصاص، وقرئ: (والعينَ - والأنفَ - والأذنَ - والسنَّ - والجروحَ) بالنصب في الكل عطفًا على اسم ﴿أَنَّ﴾ لفظًا، والجار والمجرور بعده خبر، و﴿قِصَاصٌ﴾ خبر بعد خبر وهو من عطف الجمل عطف الاسم على الاسم، والخبر على الخبر، نحو: إن زيدًا قائم وعمرًا قاعد. قوله تعالى: ﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ (أذن) حيثما وقعت، وكيفما وردت قرئت (أذْن) بسكون الذال. وقرئت (أذُن) بضم الذال، والإسكان والضم لغتان.

= الحديث أصل في المسألة، ونصٌّ في اعتبار ربع الدينار وما ساواه، قالوا: وحديث ثمن المجن، أن النبي ﷺ: «قطع في مِجَنٍّ ثمنه ثلاثة دراهم» رواه البخاري ومسلم. لا يُناقض، ولا يُنافي هذا؛ لأنه إذ ذاك كان الدينار باثنى عشر درهمًا، فهي ثمن ربع الدينار، فأمكن الجمع بهذا الطريق. [٢٣١] ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ إعجاز =

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا. ٤٧- ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾: يأمر الله تعالى النصارى بأن يحكموا بالأحكام التي فرضها الله عليهم في الإنجيل. قيل: المرادَ: قبل البعثة المحمدية، وأما بعدها فقد أمروا بأن يعملوا بما أنزل على محمد ﷺ وقيل: الخطاب عام. وأنه يشمل كذلك من عاصر التنزيل، وسائر أهل الإنجيل إلى يوم القيامة، لأن الأنجيل فيه وجوب الإيمان بمحمد ﷺ فليحتكموا إليه، أو يحكموا بما فيه. ٤٨- ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: شهيداً. وأصله «الهيمنة»: أي الحفظ والارتقاب يقال: قد هيمن الرجل على الشيء، إذا حفظه ورقبه وشهده. وقيل: «مهيمن»: مؤتمن عليه. والمعنى: أن الله تعالى جعل القرآن مهيمنًا على ما سبقه من الكتب يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسب المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف. ﴿شِرْعَةً﴾: لكل أمة منكم جعلنا شرعة ومنهاجًا، أي لليهود شرعة ومنهاج، وللنصارى كذلك، وللمسلمين كذلك والمراد: الأحكام، وأما في المعتقد فالدين واحد. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: «المنهاج» أصله: الطريق البين الواضح، ثم يستعمل في كل شيء كان بيناً واضحاً. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أنزل من الكتب عليكم ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾: بادروا : الصالحات من الأعمال. ٤٩- ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أي: انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه. ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾: ان يصدوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾: ويحملوك على ترك العمل به ﴿أَن يُصِيبَهُم﴾: يعاقبهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: يعني: اليهود. ٥٠- ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾! يعني اليهود.

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة : ٤٦]، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد : ٢٧]. آية سورة المائدة تتحدث عن الإنجيل بعد ذكر التوراة، فناسب أن يقول مباشرة: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، أمّا آية سورة الحديد فأتت بعد ذكر رسالتي نوح وإبراهيم عليهما السلام وذريتهما، فكأنه قيل: أتبعنا على آثار الذرية، أو على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم إلى الأمم اللاحقة، كموسى وإلياس وداود وسليمان وغيرهم: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: أرسلنا رسولًا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى بن مريم عليه السلام. [٤٦] ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٨، المائدة : ٤٦] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بدون لفظ ﴿وَهُدًى﴾ [البقرة : ٦٦، النور : ٣٤]. زاد ﴿وَهُدًى﴾ في آل عمران وصفًا لكلام الله تعالى وبيانه، وزادها في آية المائدة بمعنى أن الإنجيل اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدى، ولم يذكر الهدى في آيتي البقرة والنور، لأن الخطاب في سياق الوعيد والتحذير من فعل المعاصي.

[٤٩] ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة : ٤٩]. من محاسن الشريعة الإسلامية: ١- بالنسبة للاحكام الشرعية وقانون العقوبات، فلايوجد مثل الشريعة الإسلامية في العدل وبسط الأمن والاستقرار من خلالها. ولنأخذ مثلًا حكم قطع اليد للسارق، هل تعلم أن رادع قطع اليد هو أفضل من السجن، هل تعلم أنه خلال ٤٠٠ سنة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام لم يطبق هذا الرادع سوى أربع مرات... قل لي بالله عليك كم حالة سرقة تحدث اليوم، أتعلم أن سيدنا عمر كان قاضيًا أيام خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، ولم يحكم بقضية واحدة خلال سنة كاملة، والأمثلة على ذلك كثيرة... ٢- بالنسبة إلى شؤون الحكم... انظر إلى الرقي الذي وصل إليه الإسلام في عهد الخلافة الراشدة لتطبيق الأحكام الإسلامية فيها، وانظر إلى حكم سيدنا عمر بن عبد العزيز وما حدث أيام خلافته من رخاء بعد الفساد في الحكم أيام الخلفاء قبله، علمًا بأنه حكم سنتين وثلاثة أشهر بالشريعة الإسلامية الحقة. ولنا في رسول الله أسوة حسنة... مثلًا لم يدخل معركة بدر قبل أن يصنع سلاحه حتى لايعتمد على اليهود... وانظر حالنا الآن نستجدي السلاح وياليته سلاح فعال. مثال آخر هو عفة الحاكم، فقد قال: سيدنا علي لسيدنا عمر "عففتَ فعفتْ أمتك ولو رتعتَ لرتعوا" وفوائد تطبيق الشريعة الاسلامية لاحصر لها وأهمها عزة الدولة وصلاح الأمة، وأخيرًا فإنه موضوع يطول الشرح فيه، وأذكركم بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحشرنا معه ومع نبينا وصحابته الكرام "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله". وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، لا أحد أحسن من الله تعالى حكمًا.

[٤٧] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ قرئ: (ولِيحكمَ) بكسر اللام ونصب الميم جعلها (لام) كي فأضمر أن بعدها، وقرئ: (ولْيحكمْ) بالسكون والجزم على أنها لام الأمر سكنت وأصلها الكسر. [٥٠] ﴿يَبْغُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ قرئ: (تبغون) بتاء الخطاب والمخاطب به أهل الكتاب، وقرئ: (يبغون) بالغيب إخبارًا عنهم.

= عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة في القرآن الكريم. [٤٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة : ١٧٨]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة : ٤٥]. إعجاز تشريعي: القصاصُ في القرآن، وقفة تأمل: إن قُتِلَ القاتل عمدًا كما شرع اللهُ، هل سيقتُلُ غيرُهُ عمدًا بعد ذلك؟! وإن أُلزم مَنْ قتل خطأً بالدية كما شرع اللهُ هل سيقتلُ غيرُهُ عمدًا بعد ذلك؟! هل تعلم أن الدول التي تُطبق الحدود لا يحدث فيها من الجرائم والحوادث كما يحدث في غيرها من الدول التي لا تُطبق الحدود؟ هل تعلم أن حوادث القتل والسرقة في الدول التي تُطبق الحدود الشرعية على السارق والقاتل تكاد تكون منعدمة، حتى إنه ربما يمرُّ العام ولا تُسجَّل إلا حالة واحدة لقتل أو سرقة؟ بالله عليك.. إن كان في قانون العقوبات لينٌ وضعفٌ وعقابٌ أقلّ هل سيكون العقاب رادعًا للجناة كما يردعهم العقاب الإلهي بتطبيق الحد الشرعي؟ كيف يقتل القاتلُ متعمدًا... وهو يعلم أن مصيره القتلُ كما قَتَلَ؟ وأخيرًا... هل وجدت أمانًا وأمنًا كما هو الحال في الدول التي تُطبقُ فيها الحدود الشرعية كما أمر ربُّ البرية؟ [٤٨] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥١- ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: من والاهم دون المسلمين، ونصرهم عليهم ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾. ٥٢- ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك. قيل: نزلت في ابن أُبيّ بن سلول. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ونصرتهم وتأنيسهم وتجميل ذكرهم. ﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: أن تدول للدهر دولة، وتكون الدائرة لليهود، فيظفروا بالمسلمين! ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾: بظهور النبي والمسلمين على الكافرين. وقيل: هو فتح مكة. ٥٣- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: المعنى: إذا أتى الله بالفتح وأمر من عنده، وأصبح المنافقون نادمين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: إنهم لمعنا تعجباً من كذبهم ونفاقهم! ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت. ٥٤- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: المراد بهؤلاء القوم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وجيشه من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قاتل بهم أهل الردّة. ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين. وقيل: هم أهل اليمن، فقد أتت الروايات بذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أرقاء رحماء خاضعين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أشداء غلاظ ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: في جنب الله عز وجل. ٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: نزلت في عُبادة بن الصامت إذ تبرأ من حلف يهود بني قينقاع إلى الله ورسوله والمؤمنين. وهي عامّة في المؤمنين. ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، مر به سائل في ركوع فنبذ إليه خاتمه، وقد تكلم العلماء في إسناد هذا الخبر. ويراد بالركوع في الآية: الخضوع والتواضع لله. كما أن الزكاة في الآية هي المفروضة، ولا يراد بها صدقة التطوع. و﴿ٱلَّذِينَ﴾: جمع وليس مفردًا، بل إن اسم الموصول هذا لا يراد به غير جمع المذكر، لأنه جمع (الذي) للمفرد المذكر. ٥٦- ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: أنصار الله.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية. أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف علَى عَلي بن أبي طالب سائل، وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه، فأعطاه السائل، فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، وله شاهد. قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

[٥٤] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ...﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ...﴾ [المائدة: ٥٤]. آية البقرة تبين أن هؤلاء الكفار لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا تحقيق ذلك. ومن أطاعهم منكم أيها المسلمون وارتدَّ عن دينه فمات على الكفر فقد ذهب عمله في الدنيا والآخرة، وصار من الملازمين لنار جهنم لا يخرج منها أبدًا، وأمّا آية المائدة فتخاطب الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه: من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضرُّوا الله شيئًا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحبُّهم ويحبونه... [٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿... رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، آية المائدة تتحدث عن الذين يجاهدون في سبيل الله، وأن الله وعد هؤلاء المؤمنين بأن وليهم الله ورسوله وأنه ناصرهم، فختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، أما الآية الثانية التي في سورة المجادلة فنجد أنها تتحدث عن جزاء هؤلاء المؤمنين الذين لم يتخذوا الذين يحادون الله ورسوله أولياء وأحباء، فجزاؤهم أنه سبحانه يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضى الله عنهم ورضوا عنه، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، لأنه تحقق فيهم الفلاح بأن رضي الله عنهم وأدخلهم جناته، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا جميعًا منهم.

[٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، وهو لا يشعر. قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ...﴾. [٥٢] ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]. إن الله تعالى قد أتى في الآية التي بين أيدينا ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾ معرفًا، وبـ ﴿أَمْرٍ﴾ منكرًا، وقدم الفتح على ذلك الأمر وهذا الأسلوب الرائع سببه – والله أعلم – أن أول ما يتبادر إلى أذهان المؤمنين من كسر لشوكة أعدائهم يكون بالفتح المعهود لديهم، فبدأ به، ثم ثنّي بقوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ وكلمة ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ عامة تشمل كل ما يخطر على البال، وما لا يخطر فيه. ثم إن الله تعالى وصف كلمة: ﴿أَمْرٍ﴾ بقوله: ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾، وهذا في غاية الروعة والبيان، فالفتح يكون من الله تعالى لكنّه بأيدي المؤمنين، أما الآخر فمن عند الله وحده خالصًا، كإرسال الريح على الكفار، والخسف بهم، وإهلاكهم بالطوفان والزلازل والأمراض وغيرها. [٥٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. ما الفرق بين: "الجَهْدُ والجُهْدُ"؟ الجواب: الجَهْد (بالفتح): المشقة أو المبالغة في الشيء، والجُهْدُ (بالضم): الطاقة. جاءت كلمة (الجَهد) مضافة (خمس مرات) إلى اسم ظاهر (أيمان)، بينما جاءت (الجُهد) مضافة إلى ضمير، وليس إلى اسم ظاهر.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾ قرئ: (يقول) بغير واو قبل الياء ورفع اللام جملة مستأنفة على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون؟ أو استغني عن حرف العطف؟ لأن في الجملة ضميرًا يعود على الأول فكذلك الضمير قد أغنى عنه، ونظيره في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقال: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وإثبات حرف العطف حسن كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ ولأن مصحف المدينة ومكة والشام بغير واو. وقرئ: (ويقولَ) بإثبات الواو ونصب اللام عطفًا على أن يأتي باعتبار المعنى، فكأنه قال: (عسى الله أن يأتي بالفتح)، ويقول، أو عطفًا على (فيصبحوا على) جعله منصوبًا بأن في جواب الترجي على مذهب الكوفيين. وقرئ: (ويقولُ) بالرفع على الاستئناف أو جعل الواو عطف جملة على جملة لم تعطف مفردًا على مفرد، ويقوي الرفع: قراءة من قرأ بغير واو فلا يجوز مع حذف الواو إلا الرفع على الاستئناف.

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ قرئ: (يرتدِدْ) بالدالين مكسورة فمجزومة بفك الإدغام على الأصل لأجل الجزم، وعليها الرسم المدني والشامي. وقرئ: (يرتدَّ) بدال واحدة مفتوحة مشددة بالإدغام، لغة تميم للتخفيف. [٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ قرئ: (والكفارِ) بخفض الراء عطفًا (على) على قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، والتقدير: من الكفار. وقرئ: (والكفارَ) بنصب الراء بلا إمالة عطفًا على (الذين) في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٥٨- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: إلحاء على اليهود وتبيين لسوء فعلهم، فإنهم كانوا إذا سمعوا قيام المؤمنين إلى الصلاة قال بعضهم لبعض: قد قاموا لاقاموا! إلى غير ذلك من الألفاظ التي يستخفون بها في وقت الأذان وغيره. روي أن نصرانياً كان بالمدينة، فكان إذا سمع «أشهد أن محمداً رسول الله» قال: حُرِق الكاذب! فدخلت خادمة بيتاً - كان ينام فيه - بنار، وهو نائم، فسقطت شرارة فاحترق البيت وهو فيه، وأهله. ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: لأن المزؤ واللعب بالعبادة شأن أهل السفه. ٥٩- ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾: هل تنكرون منا؟ ٦٠- ﴿مَثُوبَةً﴾: ثواباً ﴿مَن لَّعَنَهُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: ومن عبد الطاغوت، والطاغوت: الشيطان أو الكهنة، أو غيرهما مما عُبد من دون الله. ٦١- ﴿دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾: وهم يقرون بالإيمان ويسرون بغيره، وخرجوا به. ٦٢- ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: قيل: «الإثم» هاهنا: الكفر. و«العدوان»: الظلم وتجاوز حدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الرشوة. ٦٣- ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾: الكذب. ٦٤- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾: قالوا -لعنهم الله-: إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل. «غلت أيديهم»: قبضت عن الخيرات، وهو دعاء عليهم بالبخل والنكد، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: ليس الأمر كما زعموا، بل هو سبحانه في غاية ما يكون من الجود. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: حسداً ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: تمرداً وجحوداً ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: يعني: اليهود والنصارى ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾: كلما أجمع رأيهم على شيء واستقام شتته الله وأفسده بسوء أفعالهم.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ الآية. روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا ﴾ إلى قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾. [٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ الآية. أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ الآية. وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ في فنحاص رأس يهود قينقاع.

[٦١] ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧]، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة : ٦١]. زاد ﴿كَانُوا﴾ في آية المائدة؛ لأنها نزلت في حادثة عين في ناسٍ من اليهود كانوا يدخلون على الرسول ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقًا، فأخبره الله عز وجل بشأنهم، وآية آل عمران عامة في المنافقين.

[٥٥] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥]. إنما أفرد (الولي) ولم يجمع مع أنه متعدد للإيذان بأن الولاية لله أصل، ولغيره تبع لولايته عز وجل، فالتقدير: وكذلك رسوله والذين آمنوا.

[٥٨] ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾[المائدة: ٥٨]، ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾[الأنبياء : ٨٩]. ما الفرق بين "النداء والدعاء"؟ الجواب: أولًا: النداء في القرآن: جاء "النداء" في القرآن على أحوال، هي: ١- إسناد النداء إلى الله. ٢- النداء بين العباد بعضهم لبعض. ٣- نداء من الملائكة للناس. ٤- نداء من الله تعالى للناس. ٥- طلب الإقبال إلى الصلاة سمّاهُ القرآنُ نداءً. ٦- طلب الإقبال للإيمان سمّاهُ القرآنُ نداءً. سؤال: لم كان النداء بـ(رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ ﴾ وليس «ونادى نوحٌ الله». والجواب: أن المنادي راجٍ لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلّق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يُقرر حقيقةً هامةً وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظ «رب» تشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياءٍ وإماتةٍ ونفع وضر... لم النداء وليس الدعاء؟!! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾، وليس «وأيوب إذ دعا ربه» فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟!! والجواب: أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروفٍ واحدةٍ من الشدة والكرب العظيم والبلاء المبين، فنادى كلٌّ منهم ربه رافعًا صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت) فهو أخصُّ من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد واللهُ قريب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعدُ هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلوّ وليس تباعد مكان.. ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء، وله خواصٌّ تختلف عن الدعاء، بل هو أخصُّ وأصفى وأخلص وأظهر تفاؤلًا وأظهر وأنقى معنًى.. رغم أن كلًا من الدعاء والنداء عبادةٌ وفيه خيرٌ. [٥٨] ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة : ٥٨]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولًا بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم.

[٦٠] ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ قرئ: (وعبُدَ الطاغوتِ) بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت، على أن عبد اسمٌ يبنى على فَعُلَ كعَضُد وهو واحد يراد به الكثرة كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ وليس بجمع، إذ ليس من صيغ التكثير، والطاغوت مجرور بإضافته إليه، أي: وجعل منهم عبد الطاغوت، أي: خدمه. وقرئ: (وعَبَدَ الطاغوتَ) بفتح العين والباء على أنه فعل ماض، ونصب الطاغوت مفعولًا به لـ "عبد" ونصب (الطاغوت) به في هذه القراءة، وحَذْفَ الموصول؛ لأن التقدير: وجعل منهم من عبد الطاغوت.

[٦٤] ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى بمشتقاته) (٦) مرات أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٦) مرات في كتاب الله تعالى. [٦٤] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]. إعجاز تاريخي: لقد بلغت خسّةُ الطبع وفسادُ الخلق بالمرابين اليهود إلى أن يتآمروا على المجتمعات التي فتحت أبوابها لهم، بل على العالم بأسره، ويوقدوا نار الحروب، ويسعوا في الأرض الفساد، وقد نبأنا القرآن من خبرهم، وكشف لنا جرمهم، ونبَّه كثيرٌ من الكُتاب المحققين إلى أن أباطرة المال اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي. كما أنهم هم الذين أوقدوا نيران الحربين العُظميين في القرن الماضي، لقد سالت الدماءُ أنهارًا، وأهدرت ملايين من الأموال، كل ذلك ليربو مالُ اليهود، وتعظم سيطرةُ اليهود في العالم.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

٦٦- ﴿أَقَامُوا۟﴾: عملوا بما في ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾: من القرآن الذي جاءهم به محمد ﷺ، وإن كانت أحكام كُتب الله تختلف، وينسخ بعضها بعضاً؛ فجميعها متفقة على الإيمان به وبرسله، والتصديق بما جاؤوا به. ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لكانت السماء تعطيهم بركتها، والأرض نباتها وما في باطنها. ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: جماعة مؤمنة قائلة بالحق في عيسى عليه السلام: إنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: في قول النصارى: إن عيسى ابن الله -تعالى الله عن ذلك- وتكذيبهم بمحمد، واليهود تكفر بهذا وهذا. ٦٧- ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ هذا الأمر بالتبليغ للرسول ﷺ، وسائر ما أمر به في القرآن، أو حُذر منه.. يراد به بيان أن النبي الكريم في موضع الخطاب والأمر والنهي والتكليف الإلهي، وأنه عبد الله ورسوله اختاره سبحانه واصطفاه وصنعه على عينه؛ ليبلغ ما أوحي له به أو نزل عليه، وليس له شيء من خصائص الألوهية والربوبية.. والله تعالى يعلم أنه لن يتهاون في التبليغ، وأنه لن يتقول عليه، ولن يشرك به، ولن يطيع الكافرين والمنافقين صلوت ربي وسلامه عليه (راجع الآيات: ٤٤ – ٤٧ من سورة الحاقة. والآية ٦٥ سورة الزمر، والآية الأولى من سورة الأحزاب). ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يمنعك، وكان رسول الله ﷺ يحرسه أصحابه توقّياً عليه من المشركين، حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه إليهم من القبة، وقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله. قال الحاكم في المستدرك: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه. وهو مأخوذ من عصام القِربة، وهو ما تُوكأ به، أي تربط به، من خيط، أو سير. ٦٨- ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن. «تقيموا»: تعملوا بما في كتب الله.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعا، وعرفت أن الناس مكذبيّ، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني»، فأنزلت ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ قال: «يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟» فنزلت ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾. وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله». في هذا الحديث دليل على أنها – أي الآية – ليلية، نزلت ليلًا، فراشية – والرسول في فراشه –. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت الشجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجلٌ فأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني، فقال رسول الله ﷺ: «الله يمنعني منك، ضع السيف»، فوضعه، فنزلت ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾. [٦٨] قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية. روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رافع وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا؟ قال: بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أُمرتم أن تبينوه للناس. قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحق، فأنزل الله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ﴾ الآية.

[٦٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [المائدة : ٦٥]، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ﴾ [الأعراف : ٩٦]. آية المائدة في سياق الكلام عن أهل الكتاب، أمّا آية الأعراف فعامة بعد أن ذكرت قصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم، وبعد أن قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٤]، فناسبها قوله بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾. [٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٦٩]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ ﴾ [الحج : ١٧]. النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ بين منصوبات دلالة على نية تأخيرهم، وكأن تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون كذلك. تعريف الصابئين: جمع الإمام ابن كثير أقوال العلماء في معنى الصابئين، فلما انتهى من ذلك قال: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. [٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة : ٦٩]. في سورة المائدة سياق الآيات في ذم عقائد اليهود والنصارى ذمّا كثيرًا مسهبًا، أمّا في البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس عن النصارى، وفي المائدة الكلام عن اليهود أشد مما جاء في البقرة، حتى حين يذكر العقوبات يذكرها في المائدة أكثر من البقرة، فاقتضى السياق أن تكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون فيه الغضب أقل، وجو الرحمة ومفرداتها وتوزيعها في البقرة أكثر مما في المائدة، ولم تُجمع القردة والخنازير إلا في المائدة.

[٧١] ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ﴾ [المائدة:٧١]، ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠]. ما الفرق بين: "العَمَى والعَمَه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل =

[٦٧] ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ ﴾ قوله تعالى: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ قرئ: (رسالاتِه) بالألف وكسر التاء على الجمع لأن جنس الرسالة مختلف إذ إن كل واحد من الرسل يأتي بضرب من الشريعة مختلف؛ لذلك حسن جمعه ليدل على ذلك، فليس ما جاؤوا به رسالة واحدة إنما هي رسالات مختلفة الأجناس. وقرئ: (رسالتَه) بغير ألف ونصب التاء على التوحيد، المراد: الجنس وهو في معنى الجمع؛ لأن الرسالة على انفراد لفظها تدل على الكثرة وهي كالمصدر في أكثر الكلام لا تجمع ولا تثنى لدلالته على نوعه بلفظه، لكن جاز جمعه في هذا لما اختلفت أنواعه وأجناسه فتشابه المفعول فجمع، فهي تدل على ما يدل عليه لفظ الجمع، وهي أخف، ونظيره ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ والنعم كثيرة، فالمعدود لا يكون إلا كثيرًا، فالواحد هنا دل على الجمع، والله أعلم.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١- ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: بلاء واختبار للذين أخذ عليهم الميثاق أي: ظن هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق أن لا يقع عليهم ابتلاء واختبار بالشدائد، كما ظنوا ألا يقع عليهم عذاب على تكذيب الرسل. ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾: عن الحق. فلم يبصروه ولم يسمعوه. ٧٢- ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾: القائلون لهذه المقالة فرقة من النصارى، قالوا: إن الله تعالى تجلّى في ذات المسيح، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ أي: والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدعون الألوهية لمن يقرّ على نفسه بالعبودية، وبأنه عبد لله تعالى مثلهم. ٧٥- ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: مضوا ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾: من التصديق وبه سمّي أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه. وهذه الصفة لمريم عليها السلام تدفع قول من قال: هي نبيّة. و«الصدّيق»: تابع النبي عليه السلام ومصدقه ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾: كسائر البشر المحتاجين إلى الغذاء، وليس هذا من صفة الخالق لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره!! ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: بمعنى: كيف عن الهدى يُضلون ويصرفون؟ وكل مصروف عن شيء عند العرب: مأفوك عنه. ٧٦- ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾: يعني: المسيح عليه السلام.

[٧٦] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٧٦] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٧٦] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[٧٢، ٧٣] ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣]. لماذا كرر الآية وختم كل آية بخاتمة مختلفة عن أختها؟ الجواب: لأن اليعقوبيَّة من النَّصارى زعموا أنَ الله تجلَّى في زمن على شخص عيسى فظهرت منه المعجزاتُ، فصار إلهًا، والملكانية منهم زعموا أن الله اسمٌ يجمع أمًّا وابنًا وروح القُدُس، فصار كلٍ منهم إلهًا واحدًا، أخذًا من قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فكرَّر الآية لذلك، وأخبر تعالى عنهم أنهم كلّهم كفَّارٌ. والآية الثانية برهان للقرآن من وجهين: ١- أن تكرار كلمة "ثلاثة" دلت على المذهبين اللذين ذهب إليهما النصارى في شخص المسيح. ٢- أن قوله تعالى عقيبها: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة: ٧٣]، يصلح ردًا على المذهبين، فهو رد على من قال: إن المسيح إله من حيث تجلي الله في المسيح. ومعناها: ما من إله إلا إله واحد، من حيث مصدر الموجودات، ورد على من قال: إن الله جوهر في ثلاثة أقانيم ومنها المسيح. ومعناها: ما من إله إلا إله واحد بالذوات؛ منزه عن العدد، فهو بيان للمذهبين، ورد عليهما مع إيجاز معجز، ووفاء بالغرض أشد إعجازًا.

= حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العمه) للحيرة والتردد النفسي. [٧٦] ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [المائدة: ٧٦]. قدم الضر على النفع هنا، وفي مواضع أخر قدم النفع على الضر؟ الجواب: أن دفع الضر أهم من جلب النفع وإن كانا مقصودين؛ ولأنه يتضمنه أيضًا، فإذا تقدم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضر أهم، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم؛ لأنه المقصود غالبًا بالسؤال، ولذلك قال في الحج: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣]، أي: يدعو لنفع لمن ضره أقرب من نفعه المطلوب بالدعاء. [٧٦] ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [المائدة: ٧٦]، ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ﴾ [البقرة: ٢٣١]. ما الفرق بين: "ضُرّ، ضَرّ، ضرر، ضرّاء، ضِرار"؟ الجواب: جاءت كلمتا (الضُّرّ) و(ضرًّا) من الفعل الثلاثي (ضَرَّ). بينما جاءت كلمتا (ضرر)، و(ضرار) من الفعل الرباعي ضارَّ. وفرقٌ بين كلمتي (ضرر)، و(ضرار) يتضح من قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». رواه مالك في الموطأ، وابن ماجة في سننه وغيرهما، وصححه الألباني. فمعنى قوله (لا ضرر): أي لا يضر الرجلُ أخاه، وهو ضدُّ النفع. ومعنى قوله (ولا ضرار): أي لا يضار كل واحد صاحبه، فالضرار منهما معًا، والضررُ فعل الواحد فقط. وفرقٌ بين كلمتي (ضُر) بضم الضاد، و(ضَر) بفتح الضاد. حيث لم ترد كلمة (ضَرًّا) إلا وردت معها كلمة نفعًا وهذا يعني أن: ١- ضَرًّا ونفعًا متماثلان في الوزن. ٢- متناقضتان (تمامًا) في المعنى. أما كلمة (ضُر) بضم الضاد فلم ترد في سياقها كلمة (نفع) ثم هي أقرب في معناها إلى الشدة وشظف العيش. كما قال تعالى حكايةً عن إخوة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]. أما كلمة (الضَّرَّاء) فهي الصيغة الوحيدة من الصيغ الخمس المذكورة التي تدل على معنى الشدة -شدة الضرر- دلالة مطلقة غير مقيدة. وتتضمن الصيغ الأربع الأخرى معنى الضرر فحسب كما أن (الضراء) تزيد درجة في التوكيد على الصيغ الأربع الأخرى. فهي على وزن (فعلاء)، فهذا الوزن يدلّ على المبالغة والتوكيد. ووردت كلمة (الضراء) سبع مرات من تسع مرات مقرونة بكلمة (البأساء)، ومعلومٌ أن غيرها من الصيغ الأربع الأخرى لا تقوم مقامها، ولا تتسق ولا تنسجم موسيقيًا مع كلمة البأساء، غير كلمة واحدة هي (الضراء).

[٧١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ قرئ: (تكونُ) برفع النون على أن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، أي: أنه، و(لا) نافية، و(تكون) تامة، و(فتنة) فاعلها، والجملة خبر (أن) وهي مفسرة لضمير الشأن، و(حسب) حينئذ للتيقن لا للشك؛ لأن (أن) المخففة لا تقع إلا بعد تيقن. وقرئ: (تكونَ) بالنصب على أن (أن) الناصبة للمضارع دخلت على فعل منفي بلا و(لا) لا تمنع =

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ
كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ
مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ
يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ
قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾

٧٧- ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: تسرفوا وتبتعدوا عن الحق، والغلوّ: تجاوز الحد. ﴿قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾: هم أئمتهم في النصرانية، كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ وأضلوا كثيراً ممن شايعهم على التثليث، ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ﴾: قصد ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الطريق، وذلك لما بُعث رسول الله ﷺ فكذبوه وحسدوه. ٧٨- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾: قال ابن عباس: لعن الكافرون من بني إسرائيل، على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد محمد ﷺ في القرآن. ٧٩- ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ﴾: لا ينهى بعضهم بعضاً. ٨٠- ﴿كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: من بني إسرائيل ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من عبده الأوثان. ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: بما فعلوا. ٨٢- ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: عبدة الأوثان ﴿مَّوَدَّةٗ﴾: محبة. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا﴾ قيل: نزلت في النجاشي وأصحاب له أسلموا معه. «قسيسين»: جمع قسيس، و«القسيس»، و«القِس» واحد في المعنى؛ وهو العابد. ويطلق على رئيس النصارى في الدين والعلم و«الرهبان»: الذين يرهبون الله، والرهبان: جمع راهب. والرهبانية والترهب: التعبد في الصوامع. وكان منهم سبعة رهبان، وخمسة قسيسين. ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن قبول الخير، والإذعان إلى الحق. [٨٢] قوله تعالى:

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتابًا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

[٧٧] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ...﴾ [النساء : ١٧١]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ ...﴾ [المائدة : ٧٧]. يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبة ولا ولدًا. إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: "كن"، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فصدقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيرًا لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السماوات والأرض ملكه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلًا على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكلوا عليه وحده فهو كافيكم. فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمَّا آية المائدة: قل أيها الرسول للنصارى: لا تتجاوزوا الحق فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغواية والضلال.

[٧٧] ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٧٧]. تكررت ﴿ضَلُّواْ﴾ مرتين بهذه الآية، لأن المراد بالضلال الأول ضلالهم عن الإنجيل، والثاني ضلالهم عن القرآن. [٨٩] ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾ [المائدة: ٨٩]، ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦]. ما الفرق بين: "الصوم والصيام"؟ الجواب: لغة: لا يفرق أئمة اللغة بين الكلمتين، بل هما بمعنى واحد عندهم. قرآنيًا: فرّق القرآن الكريم بين الكلمتين وأورد كلًا منهما في موضع خاص، بمعنى خاص، فالصوم: (لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن) معناه: الإمساك عن الكلام أي الصمت، في قوله تعالى ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٦]، والصيام معناه: الإمساك عن شهوة الطعام والشراب والفرج بنيةٍ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مثل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٦]. لماذا تخصيص كل كلمةٍ منهما بموضعها؟ والجواب: أن الصيام (الإمساك عن شهوتي البطن والفرج) أمرٌ شاقٌّ على النفس صيفًا (لشدة العطش)، وشتاءً (لشدة الجوع)، فهو أمر عسير، أما الصوم (الإمساك عن الكلام)، فأمر يسير. بل ربما كان فيه راحة للنفس. لذلك التزم القرآن الكريم بصيغة (الصيام) في التكاليف الشاقة (صيام رمضان، صيام كفارة الظهار، صيام كفارة اليمين، صيام كفارة القتل الخطأ، صيام الفدية للمحرم إذا ارتكب مخالفة توجبه، صيام جزاء قتل الصيد للمحرم)، وخصَّ القرآن (الصوم) بالأمر السهل (الصمت) وزيادة المبني تدلُّ على زيادة المعنى.

= أن يعمل ما قبلها فيما بعدها من ناصب وجازم وجار، و(حسب) حينئذ على بابها من الظن؛ لأن الناصبة لا تقع بعد علم، والمخففة لا تقع بعد غيره.

[٨١] ﴿وَٱلنَّبِيِّ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي مشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، والنذير ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الرسل) ومشتقاته، ولفظ (الناس) ومشتقاته ومرادفاته (٣٦٨) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الرسل» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الناس» بمشتقاتها ومرادفاتها، وكل منهما تكرر (٣٦٨) مرة. [٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الناس)، ولفظ (الأنبياء) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الناس» مع عدد مرات تكرار لفظة «الأنبياء»، وكلٌّ منهما تكرر (٥٠) مرة في القرآن.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٣- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: هم وفد النجاشي إلى رسول الله ﷺ، لما سمعوا القرآن وتلاه عليهم فاضت أعينهم وبكوا. ﴿آمَنَّا﴾: صدقنا ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: يعنون: محمداً ﷺ وأصحابه. أي مع الشاهدين بصدق محمد ﷺ، وأنه رسولك إلى الناس. ٨٦- ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: سكانها واللابثون فيها. و«الجحيم»: ما اشتد حرُّه من النار، وهو «والجاحم»؛ بمعنى واحد. ٨٧، ٨٩- ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: نزلت في قوم من المسلمين حرموا على أنفسهم اللحم والنساء تعبداً، وحلفوا على ذلك، فثبت أن الفضل والبرّ إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله، وسنّه لأمته. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: الآية. و«اللغو اليمين»: ما لم يُتعمد فيه الحنث، -وقد مضى تفسيره- ولا كفارة فيه. ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾: بما أوجبتم على نفوسكم، وعزمت عليه قلوبكم. ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: من أعدله مما ليس بأرفعه ولا دونه؛ وأعلاه الخبز واللحم، وأوسطه الخبز والتمر، أو السمن. وفيه اختلاف. ﴿كِسْوَتُهُمْ﴾: قيل: ثوب كالقميص، أو الرداء، أو الإزار، وقال ابن عباس: كل ما ذكر الله تعالى في القرآن «أو، أو» فهو تخيير للمُكفِّر، يفعل أيها شاء. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: على أي صفة كانت من أسر الرق. وأصل «التحرير»: الفك من الأسر. ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾: قيل: متتابعات. وفيها اختلاف. ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: بعدم المسارعة إليها. أو إلى الحنث فيها. [٨٧] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا﴾ الآية، روى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرمت عليَّ اللحم فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالًا من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة، فنزلت. وفي رواية السدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون، وعلي، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر. [٩٠] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الآية. روى أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة:٢١٩] الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال إثمٌ كبير، وكانوا يشربون الخمر، حتى كان يوم من الأيام صلى=

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠، ٨٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وهي تبين أن الذين جحدوا وحدانية الله الدالة على الحق المبين، وكذَّبوا بأدلته التي جاءت بها الرسل، هم أهل النار الملازمون لها. [٨٨] ﴿... وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨]، ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]. تمتعوا أيها المؤمنون بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الأنفال: فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. [٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٢٥]، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ ...﴾ [المائدة: ٨٩]. لا يعاقبكم الله بسبب أيمانكم التي تحلفونها بغير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدته قلوبكم. والله غفور لمن تاب إليه، حليم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة... فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمّا آية المائدة: أنه لا يعاقبكم الله أيها المسلمون فيما لا تقصدون عَقْدَه من الأيمان، مثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تَفُوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدِّمونه مما شرعه الله لكم كفارة...

[٨٩] ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من ثمرات الشكر: ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المأثورات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الّذي ادخره الله تعالى للشاكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأحباؤه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خبئ لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يجحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحمّلون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة. تخلقًا بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقًا بخلق الله وتأسّيًا برسوله ﷺ. أركان الشكر: الشكر مبني على ثلاثة أركان: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. [٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ قرئ: (عاقدتم) بالألف وتخفيف القاف على وزن قاتلتم كقولك: قاطعته وقطعته. وقرئ: (عقَدتم) بحذف الألف وتخفيف القاف على الأصل لأنه أراد به عقد اليمين مرة واحدة فيلزمه البر أو الكفارة. وقرئ: (عقّدتم) بحذف الألف وتشديد القاف على التكثير وهو يدل على تأكيد العزم بالالتزام، ويدل كذلك تكثير الفعل على معنى عقد بعد عقد، أو يكون أراد تكثير العاقدين للأيمان بدلالة قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ فخاطب، أو يكون التشديد لوقوع لفظ الأيمان بالجمع بعده، فكأنه عقد يمين بعد عقد يمين، فالتشديد يدل على كثرة الأيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، كما وردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكل ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. [٨٩] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠- ﴿الْخَمْرُ﴾: ما أسكر كثيره. ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: ما يتياسرونه، أي يجزِّئونه وهو القمار، ﴿وَالْأَنصَابُ﴾: الأصنام، التي كانوا يذبحون عندها ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾: التي كانوا يستقسمون بها، أي يطلبون بها معرفة ما قُسم لهم، ﴿رِجْسٌ﴾: إثم ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: بتزيينه ودعائه. وقيل: «رجس»: شر. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾: اتركوه. ٩١- ﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: قيل: شرب سعد بن أبي وقاص رحمه الله مع رجل من الأنصار، فتفاخرا حتى غضبا، فضرب الأنصاري أنف سعد فكسره، فنزل تحريم الخمر. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟: قال أصحاب رسول الله ﷺ: انتهينا يا ربنا. ٩٢- ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: اعرضتم عما نهيتكم عنه ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ﴾: وفيه زجر شديد. ٩٣- ﴿جُنَاحٌ﴾: حرج ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾: اي: اصابوا من الخمر قبل تحريمها ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾: خافوا بعد التحريم ﴿وَّآمَنُوا﴾: صدقوا. ٩٤- ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾: في حال إحرامكم ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾: تُصيب ما كان من صغار الصيد، كالفراخ والبيض، وما لا يقدر أن يفر. ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾: لكبير الصيد ﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: يعني: في الدنيا حيث لا يراه. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾: استحله بعد تحريمه ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع. ٩٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: محرمون بحج أو عمرة. و«حرم»: جمع حرام، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد؛ فإذا قيل للرجل: محرم؛ قيل: للمرأة محرمة. و«الإحرام»: هو الدخول فيه. ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾: قيل: إن قتله المحرم متعمداً قتله وهو ناس لإحرامه في حال قتله؛ فعليه الجزاء الذي ذكر الله عز وجل، وإن قتله متعمداً قتله ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه، وأمره والانتقام منه إلى الله عز وجل. وهذا أجلُّ من ان يحكم عليه، وأن تكون له كفارة!! ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: قيل: الجزاء على كل محرم قتل صيداً -عامداً قتله، ذاكراً لإحرامه، أو عامداً لقتله، ناسياً لإحرامه- ما أمر الله به؛ أن يهدي من النعم ما ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: من المسلمين؛ وهو أن يكونا فقيهين عالمين فاضلين ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ وقيل في صفة الجزاء: ينظر إلى أشبه الأشياء بما قتل شبهاً من النعم ويهديه إلى الكعبة. وقيل: إن قتل نعامة أو حماراً، أهدى بدنةً. وإن قتل أيلاً أو أروى (الذكر والأنثى من الوعول) فعليه بقرة، وإن قتل غزالاً أو أرنباً فعليه شاة. و«كفارة إطعام المساكين»، أن يُطعم بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدي ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾: يعني الصيد المقتول ﴿صِيَامًا﴾: و«عدل الشيء»: قدره من غير جنسه، وهنا: قدره من الصيام، وذلك أن يقوَّم الصيد حياً غير مقتول بقيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه الحرم، ثم يصوم مكان كل مُدٍّ يوماً. ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: نكال ما أحدث من قتل ما نهاه الله عن قتله: بإلزامه للغرامة في ماله، أو العمل ببدنه ما يَشُقُّ عليه. وأصل «الوبال»: الشدة. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: في الجاهلية، وما كان قبل النهي. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: قيل: يُحكم على من قتل صيداً وهو محرم بالكفارة كلما أخطأ، ومن فعله متعمداً حكم عليه مرة واحدة، وإن عاد متعمداً فلا يُقضى عليه بالكفارة، ويقال له: ينتقم الله منك.

= رجلٌ من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾. ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس: يا رسول الله ﷺ ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم، وكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسًا من عمل الشيطان، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ إلى آخر الآية. [١٠٠] قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ﴾ الآية. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر: أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلًا كانت هذه تجارتي فاعتقبت منها مالًا فهل ينفع ذلك المال بطاعة الله تعالى، فقال النبي ﷺ «إن الله لا يقبل إلا الطيب»، فأنزل الله تعالى تصديقًا لرسوله ﷺ ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ الآية.

[٩٢] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [التغابن: ١٢]. آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ [المائدة: ٩١]، فختمت بالتهديد بما يشعر بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيدًا لما تقدم من الإشعار بمخوف الجزاء: ﴿ وَاحْذَرُوا ﴾ وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا ﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم، أمَّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [التغابن: ١١]، فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كل على ما يجب ويناسب.

[٩٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ ﴾ قرئ: (فجزاءٌ مثلُ) فجزاء بالتنوين والرفع على الابتداء، والخبر محذوف، أي: فعليه جزاء مثل ما قتل. وقرئ: (فجزاءُ مثلِ) برفع جزاء من غير تنوين، و(مثل) بخفض اللام، فجزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي: "فعليه أن يجزي المقتول من الصيد مثله من النعم"، ثم حذف المفعول الأول لدلالة الكلام عليه. قوله تعالى: ﴿ كَفَّارَةٌ طَعَامُ ﴾ قرئ: (كفارةُ طعامِ) كفارة بغير تنوين، طعام بالخفض على الإضافة، وهي للتعيين كخاتم فضة. وقرئ: (كفارةٌ طعامُ) بالتنوين ورفع (طعام) بدل من (كفارة) أو عطف بيان لها أو خبر لمحذوف، أي: هي طعام.

[٩٠-٩١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ إعجاز تشريعي: تحريم الخمر: قال أحد العلماء: إن هناك مسألة أخرى لفتت نظري وزادتني علمًا بمكانة الدين الإسلامي وهي انفراده بتحريم الخمور، وهي ميزة لا نجدها في كتب الديانات الأخرى، ومن عهدٍ قريبٍ جنَّدت أمريكا جيوشها لمكافحة الخمر، ولكنها فشلت في النهاية رغم جميع وسائل الحضارة التي تذرعت بها، فأين ذلك من هداية سيدنا محمد الذي لم يكد يُبلغ المسلمين تحريمَ الخمر حتى أُريقت أكوابُها، فسالت بها الشوارعُ أنهارًا. فالعقلاء في أمريكا وأوروبا الذين نصحوا وقالوا بتحريم الخمر لا شك أنهم يعتقدون باطنًا بضرر الخمر. وكان المؤتمر الدولي التاسع عشر الذي عُقد في بلجيكا وعُرضت فيه مسألةُ الخمر وتدفئتُها للأجسام قد قرَّرَ بلا شك أنهم يعتقدون باطنًا بضرر الخمر. =

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٦- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾: فصيده: ما صيد منه، و«طعامه» كل ما فيه مما مات فيه، وقذفه البحر إلى ساحله وقيل: ما ملح منه وبقي ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾: منفعة، ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: جمع «سيَّار»، وهم المسافرون أن يتزودوا منه؛ أي السمك، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾: قيل: حُرِّمَ على المُحْرِم كل معاني صيد البر، من اصطياده وأكله وبيعه وشرائه وملكه. وقيل: ما استحدث المحرم صيده في حال إحرامه فهو حرام عليه، وكل ما كان في ملكه قبل إحرامه فهو حلال. والاختلاف كثير في هذا. ٩٧- ﴿۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: قيل: سُميت «كعبة»، لتربيعها، وكل بناء مربع عند العرب: كعبة. ﴿قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾: قواماً لأمرهم وصلاح شأنهم، حتى كانوا لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، فسدد الله ذلك بالإسلام. وإنما الأصل: قواماً كما يقال: صمت صياماً، فحولت الواو ياء ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: كان الرجل لو جرَّ كل جريرة، ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرض له فيه، ولو لقي قاتل أبيه في الشهر لم يعرض له، ولو لقي الهدي مُقلَّداً وهو يأكل العصب من الجوع لم يَعرض له. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فتمنعه من الناس، فإذا انصرف تَقلَّد قلادة من الإذخر، أو من لحاء السَّمُر، أي قشر بعض الأشجار، فلا يعرض له حتى يأتي أهله، فجعلها الله حواجز في الجاهلية للناس، وقواماً لأمرهم. ١٠٠- ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: لا يعدل الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولو كثر أهل المعاصي ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: العقول. ١٠١- ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: أنزلت على رسول الله ﷺ في مسائل كان يسأله عنها أقوام، يقول أحدهم: مَن أبي؟ ويقول الرجل -قد أضل ناقته-: أين ناقتي؟ وكان قوم من أصحابه يسألونه عن فرائض لم يفرضها الله عليهم، وتحريم أشياء لم يحرمها عليهم؛ فنزلت هذه الآية. وقيل لهم: لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم، ولكن انظروا ما ينزل به القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه فيه. ﴿عَفَا اللَّهُ﴾: عن الأشياء التي تقدَّم ذكرها، وسؤالكم عنها. ١٠٢- ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾: قد سأل الآيات ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: كأصحاب عيسى عليه السلام إذ سألوا المائدة، فلما أعطوها كفروا بها، وما أشبه ذلك. ١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ﴾: كانت «البحيرة» عندهم: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن عُمِد إلى الخامس، فما لم يكن سَقْباً (ذكراً) بَتّك آذانها، أي شقها، ثم لا يجز لها وبراً، ولا يذوق لها لبناً، وسماها لآلهتهم ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾: «السائبة»: ما يُسيَّب من ماله، ولا يُمنع من حوض ولا حمًى. ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: و«الوصيلة»: الشاة إذا ولدت سبعاً عُمد إلى السابع، فإن كان ذكراً ذُبح لآلهتهم. وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان: ذكر وأنثى فولدتهما قالوا: وصلت أخاها، فيُتركان جميعاً لا يُذبحان! ﴿وَلَا حَامٍ﴾ «الحامي»: الفحل يكون عند الرجل؛ فإذا لقَّح عشر سنين، قيل: قد حمى ظهره، وسُمِّي بـ«حام».

[١٠١] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا ﴾ الآية. روى البخاري عن أنس بن مالك خطب النبي ﷺ خطبة فقال رجل: مَن أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية. ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ الآية. وروى أيضًا عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً فيقول الرجل من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾.

[٩٧] ﴿ ۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ قوله تعالى: ﴿قِيَامًا﴾ قرئ: (قيمًا) بغير ألف هنا وفي النساء : ٥، على أن "قيمًا" مصدر كالقيام وليس مقصورًا منه، وقيل: على أنه جمع قيمة كديمة وديم. وقرئ: (قيامًا) بالألف فيهما، مصدر قام. للتفصيل أكثر انظر سورة النساء : ٥.

= وقرَّر أن التأثير الظاهري للخمر في التدفئة، إنما هو شعورٌ وقتيٌّ كاذبٌ، إذ لا تلبث درجة الحرارة أن تنخفض، وقد أوضحت المشاهدات الحسية هذه الحقيقة وضوحًا جليًّا. واكتشف العلم الحديث أن الخمر تصيب الإنسان بالأمراض الفتاكة، مثل: ١- ضعف المناعة، ٢- تدمير الكبد، ٣- تدمير الجهاز العصبي وتصيب الإنسان بالجنون، ٥- كما يؤدي إدمانُ الخمر إلى تصلب الشرايين، وما يتبعه من مضاعفات كأمراض القلب والكلى والنزيف المخي، كما يؤثر على الجهاز العصبي تأثيرًا أشد ضررًا وأبعد أثرًا، حيث يزول العقلُ زوالًا تدريجيًّا، فينقل الشخص من حيث أعماله ونزواته من المرتبة الإنسانية إلى حضيض البهيمية. وإذا استمرَّ في إدمانه زمنًا طويلًا ضعفت مداركه الحسية والعقلية، إلى أن يصل إلى طور الجنون أو الشلل، ٦- الخمرُ سُمٌّ قاتل مَنْ كان عنده أقلُّ شكٍّ أو ريبٍ في أن الخمر سمٌّ فليعتبر بما يكون عند وصولها إلى المعدة، فإن الغشاء المخاطي للمعدة يصير محتقنًا، ويُخرج مقدارًا من المخاط ليحمي نفسه، وترى غدد المعدة وقواها الدافعة تُسرع في إخراج ما وصل إليها بأسرع ما يكون، أليس هذا كافيًا لإزالة شك الشاكين، وريب المرتابين في أن الخمر من أنواع السموم.

إعجاز تشريعي: تحريم الميسر... أضرارٌ وأخطارٌ: قال الدكتور سالم محمد: إنها (أي المقامرة والميسر) داءٌ خبيث، فقد يسهل على الإنسان أن يتخلص من المخدرات والمكيفات دون أن يقدر على التخلص من هذه الآفة. وكم لعب إنسانٌ برأس ماله فأضاعه كله!! وكم قامر ربُّ عائلةٍ بقُوتها وتركهم جوعى محرومين!! وكم كان إدمان رب البيت القمار والسهر بسببه سببًا لخراب البيت ودماره!! ولاعب القمار مهما تمالك أعصابه أو أبدى تحكمًا ظاهرًا فيها، فهو وأعصابه في ثورةٍ ومعركةٍ دائمةٍ، وسير اللعب كما لا يرى، وفلتات الحظ تتركه كأنها تتعمده هو لا غيره، تهزُّ أعصابه هزًّا عنيفًا، ولا شكَّ مطلقًا في سوء أثره على صحته، وتسببه في مرضه، وربما وفاته. [٩٠-٩١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٠٠] ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ الأفئدة بمشتقاته مع لفظ الألباب وقد ورد كلٌّ (١٦) مرة. أولًا: وردت كلمة الألباب (١٦) مرة في كتاب الله، ثانيًا: وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات (كلمة الألباب) مع عدد مرات كلمة (الأفئدة بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)

١٠٤- ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾: اكتفينا بـ ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. ١٠٥- ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: قيل: لا يضركم كفر من كفر إذا اهتديتم. وروي عن أبي ثعلبة الخُشني أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «ائتمروا بالمعروف، وتناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً، وهوى مُتّبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك، ودع أمر العوام، فإن وراءكم أياماً، الصبر فيهن مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله». أخرجه أبو داود وغيره، وقال الألباني: ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة. وجاء في هذا اختلاف كثير. ١٠٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: يعني: من المسلمين ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أهل ملتكم؛ وذلك إذا كان الرجل بأرض غريباً، فحضره الموت، ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته، فله أن يشهد على وصيته من اليهود أو النصارى أو المجوس، وشهادتهم مقبولة في الوصية في السفر، ولا تجوز في غير ذلك؛ فإن أشهد الُموصي غير المسلمين على ما يوصي به، ودفع ما كان معه من مال وتركه إليهما ليؤدياه إلى ورثته، فإذا شهدا بما أوصى به الميت أو أديا حملاً، وصدقهما الورثة قبل قولهما، وإن اتهموهما في مال أو شهادة حلفا بعد صلاة العصر -وقيل: بعد صلاة أهل ملتهم-: ما كتمنا، ولا كذبنا، ولا خنّا، ولا غيّرنا. ١٠٧- ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطُّلِع. وأصل «العثر»: الوقوع على الشيء ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي اختانا شيئاً من مال الميت، ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: أي فشاهدان آخران أو حالفان آخران يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا إثماً، فيحلفان بالله أن شهادة هذين الكافرين باطلة، وأنا لم نعتَدِ. وفيه خلاف يطول اجتلابه. ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: تثنية أولى، قيل: بالميت. ١٠٨- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أقرب وأحرى ﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: أن يصدقوا فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: فتبطل أيمانهم، وتؤخذ أيمان الورثة.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية. روى الترمذي وضعفه، وغيره، عن ابن عباس، عن تميم الداري في هذه الآية. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ قال: برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء. فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره، فلما أسلمت تأثمت من ذلك، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، ودفعت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء (تنبيه) جزم الذهبي بأن تميمًا النازل فيه غير تميم الداري، وعزاه لمقاتل بن حبان قال الحافظ ابن حجر: وليس بجيد؛ للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

[١٠٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [المائدة : ١٠٤]. آية النساء تتحدث عن المنافقين، وأنهم إذا نُصحوا، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول محمد ﷺ وهديه، أبصَرْتَ الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، يعرضون عنك، وأمَّا آية المائدة فتتحدث عن المشركين المحرِّمين ما أحل الله، وأنهم إذا قيل لهم: تعالوا إلى تنزيل الله، وإلى رسوله ﷺ ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفينا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل. [١٠٤] ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]، ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤]. قال تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ في آية المائدة، لأن العلم أبلغ درجة من العقل جاز وصف الله به ولم يجز وصفه بالعقل، فكانت دعواهم في المائدة أبلغ بقولهم: ﴿ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ فزعموا النهاية بـ﴿ حَسْبُنَا ﴾، فنفى عنهم ذلك بالعلم وهو النهاية، وأمَّا في آية البقرة فقالوا: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾، ولم تكن النهاية، فنفى بما هو دون العلم، ليكون كل زعم لهم منفيًّا بما يناسبه. [١٠٦] ﴿ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [المائدة : ١٠٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ آية سورة المائدة ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾، لا نشتري به ثمنًا في هذه الآية بدون وصف، لأن الأمر هنا يتعلق بمصالح الذين لهم وصية، وذكرت كلمة "ثمنًا" حتى يشمل الحقير والعظيم والمادي والمعنوي والنفيس والتافه، ليقطع الطرق لأي تأويل أو شهادة لصالح الورثة، وفي مواضع أخرى من القرآن يكون وصف الثمن بالقليل عندما يرد الكلام عن شراء آيات الله وهو مهما بلغ فهو ثمن قليل، ولا يستطيع أحد أن يقابله بثمن، فهو قليل بأي وصف.

[٩٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٤]. قال المهايمي: لأن قتله تجبرٌ، والمحرم في غاية التذلل. [١٠١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ١٠١]. قال الإمام ابن القيم: وكذلك لا ينبغي للعبد أن يسأل أن يبدي له من أحواله وعاقبته ما طواه عنه وستره، فلعله يسوؤه إن أبدى له، فالسؤال عن جميع ذلك تعرض لما يكرهه الله، فإنه سبحانه يكره إبداءها؛ ولذلك سكت عنها. [١٠٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥]. قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد.

[١٠٧] ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ اسْتَحَقَّ ﴾ قرئ: (اسْتَحَقَّ) بفتح التاء والحاء مبنيًا للفاعل، وهو الأوليان، فرفعه باستحق، والتقدير: "من الذين استحق عليها أوليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل دينه أو إلى غير قبيلته". وقرئ: (اسْتُحِقَ) بضم التاء وكسر الحاء فهو مبني لما لم يسمَّ فاعله، واسم ما لم يسمَّ فاعله محذوف، والتقدير: "من الذين استحق عليهم الإيصاء". قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الْأَوْلَيَانِ ﴾ قرئ: (الأوّلِينَ) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون، جمع أول المقابل لآخر مجرور صفة للذين، أو بدل منه، أو من الضمير في عليهم، وقرئ: (الأوليانِ) =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١٠٩- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾: يوم القيامة ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: يعني: ما الذي أجابتكم به أمتكم ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾: قيل: معناه: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا. وقيل: هو تفويض منهم، وإظهار للعجز. ١١٠- ﴿أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بجبريل عليه السلام. ﴿وَكَهْلًا﴾: لا يتفاوت كلامك في الحالتين، ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: تصور طينًا مثل صورة الطير، ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾: تشفي الأعمى، ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: من قبورهم أحياء، فيكون ذلك آية عظيمة لك، ﴿كَفَفْتُ﴾: صرفت ودفعت. ١١١- ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾: قذفت في قلوبهم. ١١٢- ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: هم تلاميذ عيسى، لم يشكوا في قدرة الله تعالى وإنما طلبوا الطمأنينة، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية، ويدل على هذا قولهم من بعد ١١٣- ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾. ١١٣- ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: أي: نعلم علمًا يقينًا بأنك قد صدقت حين حدثتنا عن نبوتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: عند من لم يحضرها من بني إسرائيل أو من سائر الناس.

[١١٠] ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠]. كلمة طير تستعمل للواحد وللجمع، وآية آل عمران من كلام عيسى عليه السلام في ابتداء تحديه بالمعجزة المذكورة، ولم تكن صورة بعد، فحسن التذكير والإفراد، وآية المائدة من كلام الله تعالى له يوم القيامة معددًا نعمه عليه بعد ما مضت، وكان قد اتفق ذلك منه مرات، فحسن التأنيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ فيه، هذا من التناسب البديع في الألفاظ، وقال في آل عمران: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ مرتين، لأنه من كلام عيسى عليه السلام، بينما قال في المائدة: ﴿بِإِذْنِى﴾ أربع مرات، لأنه من كلام الله تعالى. قول آخر: ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤] إلى قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ نحو عشرين ضميرًا من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ضميرًا مذكرًا ليناسب ما تقدمه، ويشاكل الأكثر الوارد قبله، أمَّا آية المائدة فمفتتحة بقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾... فناسب ذكر تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك... [١١١] ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٦٤]. آية المائدة أول كلام الحواريين فجاء على الأصل ﴿بِأَنَّنَا﴾، وأمَّا في موضعي آل عمران فاستطراد لكلام الحواريين في الآية الأولى، وكلام المسلمين في الثانية.

[١١٢] ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]. كيف قال الحواريون -وهم خُلَّص أتباع عيسى عليه السلام- ذلك، وهو كفر لأنه شك في قدرة الله تعالى؟ الجواب: الاستفهام المذكور استفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغني القادر: "هل تقدر أن تعطيني شيئًا" وهذه تُسمى استطاعة المطاوعة، لا استطاعة القدرة، والمعنى: هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معي؟ وأنت تعلم استطاعته لذلك. فإن قيل: لو كان ما ذكر مرادًا لما أنكر عليهم عيسى عليه السلام بآخر الآية؟ الجواب: إنكاره عليهم إنما كان لإتيانهم بلفظ لا يليق بالمؤمن المخلص ذِكره. [١١٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسُّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت

= بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون مثنى أولى، أي: الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر لمحذوف، أي: وهما الأوليان، أو خبر آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان. [١٠٩] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ قوله تعالى ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ حيثما وقع قرئ: (الغِيوب) بكسر الغين. وقرئ: (الغُيوب) بضم الغين، والكسر والضم لغتان. [١١٠] ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا﴾ هنا وفي آل عمران: ٤٩، قرئ: (الطائِر - طائِرًا) بألف بعدها همزة مكسورة في "طير" المعرَّف والمنكر من السورتين على إرادة الواحد، قيل: إنه لم يخلق إلا الخفاش. وقرئ: (الطير - طيرًا) المعرف والمنكر بالياء بغير ألف ولا همز في السورتين، فيحتمل أن يراد به اسم الجنس، أي: جنس الطير، ويحتمل أن يراد الواحد فما فوقه، ويحتمل أن يراد به الجمع. قوله تعالى: ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هنا وأول يونس: ٢، هود: ٧، الصف: ٦ قرئ: (ساحِر) بالألف بعد السين وكسر الحاء في الأربعة اسم فاعل. وقرئ: (سِحْر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف في الأربعة على المصدر، أي: ما هذا الخارق إلا سحر، أو جعلوه نفس السحر كرجل عدل مبالغة. [١١٢] ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرئ: (تستطيع) بتاء الخطاب والمخاطب عيسى - عليه السلام - وربك بالنصب على التعظيم، أي: هل تستطيع سؤال ربك؟ والمعنى: هل تفعل لنا وربك؟. وقرئ: (يستطيع) بياء الغيب وربك بالرفع على الفاعلية، أي: هل يفعل بمسألتك؟ أي: هل يجيبك؟ واستطاع بمعنى: أطاع، ويجوز: أن يكونوا سألوه سؤال مستخبر هل ينزل أو لا؟ وذلك لأنهم لا يشكون في قدرة الله لأنهم مؤمنون، وإنما هو كقولك للرجل: هل يستطيع فلان أن يأتي؟ وقد علمت أنه مستطيع لكنك تريد علم دلالة وخبر ونظر ومعاينة.

[١٠٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. [١١٠] ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٤- ﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أصل «المائدة»، من ماد فلان القوم ميداً، إذا أطعمهم ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾: معناه: نتخذ يوم نزولها عيداً نعظّمه، ويعظمه من بعدنا. ١١٦- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾: أخبر الله بهذا عما يكون في الآخرة لقوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: واختلف في ذلك. ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أي: أنزهك تنزيهًا. ١١٧- ﴿مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾: من توحيدك وتنزيهك عن الشريك والصاحبة والولد. ﴿تَوَفَّيْتَنِى﴾: قبضتني، قيل: أي رفعتني إلى السماء. وقيل: إن الوفاة جاءت في كتاب الله على ثلاثة أوجه: بمعنى الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وبمعنى النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي ينيمكم. وبمعنى الرفع، ومنه ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾. ﴿ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحافظ لهم، والعالم بهم، والشاهد عليهم. ١١٨- ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: العزيز في قدرتك، الحكيم في أفعالك، قيل: قاله على جهة الاستعطاف، فكأنه قال: إن يكن لك في الناس معذبون فهم عبادك، وإن يكن مغفورًا لهم، فعزتك وحكمتك تقتضي هذا كله، قاله ابن عطية رحمه الله.

[١١٤] معنى اسم الله الرزاق: وهو مبالغة من: رازق للدلالة على الكثرة، والرزاق من أسمائه سبحانه. ورزقه لعباده نوعان: عام، وخاص. ١ - فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهَّل لها الأرزاق، ودبرها في أجسامها، وساقَ إلى كل عضوٍ صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرِّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. وعام أيضاً من وجه آخر في حق المكلّفين؛ فإنه قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقاً ونعمة بهذا الاعتبار، ويقال: ((رزقه الله)) سواء ارتزق من حلال أو حرام، وهو مطلق الرزق. ٢ - وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي علمناه على يد الرسول ﷺ، وهو نوعان: النوع الأول: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّهة لله متعبّدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها. النوع الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإنَّ الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيّ الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه. [١١٧] معنى اسم الله الرقيب: الرقيب: المطَّلعُ على ما أكنَّته الصُّدور، القائم على كل نفس بما كسبت. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. والرَّقيب: هو سبحانه الذي حفظ المخلوقات وأجراها، على أحسن نظام، وأكمل تدبير.

[١١٩] ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. لما تقدم وصفهم بالصدق في آية المائدة ونفعه إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، وكذلك أكده بقوله: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

= كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكُّرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا: (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانيًا: (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعلِ الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدرًا من المعرفة. [١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. آية المائدة مبنية على التسليم لله سبحانه وأنه المالك للكل يفعل فيهم ما يشاء فلو ورد هنا عقب آية المائدة: "وإن تغفر لهم فأنت الغفور الرحيم" لكان تعريضًا بطلب المغفرة، ولم يقصد ذلك بالآية، وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبريًا وتسليمًا لله سبحانه وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم، قال القرطبي رحمه الله: لم يقل "الغفور الرحيم" لأن مخرجه على التسليم، ولأن فى ذكر الغفور تعريضًا للسائل والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما، وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك، ولا تخرج عن حكمتك. [١١٧] ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ما الفرق بين: (شاهد وشهيد)؟ الجواب: كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شهيد) صفة مشبهة على وزن (فعيل) تستخدم في ألوان السياق التي تستدعي توكيدًا، وقد جاءت بمعانٍ عدَّة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي توكيد الشهادة ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٢- شهادة عيسى - عليه السلام- لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله -سبحانه وتعالى- وقد وردت خمسًا وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليُصدِّق. أما (شاهد) وهي اسم فاعلٍ، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. [١١٥] ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿مُنَزِّلُهَا﴾ قرئ: (منزلها - منزّلها) بتخفيف الزاي وتشديدها، وبالتخفيف اسم فاعل من أنزل، والتشديد اسم فاعل من نزّل، وقد جاء القرآن بهما جميعًا. [١١٩] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمُ﴾ قرئ: (يومَ) بالنصب على الظرف، وهذا إشارة لقوله تعالى: (أأنت)، مبتدأ وخبره متعلق الظرف، والتقدير: "قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين صدقهم". وقرئ: (يومُ) بالرفع على المبتدأ والخبر، أي: هذا اليوم يوم ينفع، والجملة محلها نصب بالقول.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الأَنْعَامِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله وحده دون غيره ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: ظلمات الليل، و«النور»: نور النهار، وجعل بمعنى: وأظلم ليلها، وأنار نهارها ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يشركون، يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به. ٢- ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾: خلق آدم عليه السلام من طين، وبنيه من سلالته. ﴿أَجَلًا﴾: ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: ما بين أن يموت إلى أن يبعث. ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تشكون. ٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾: من حجة ودلالة على توحيد الله، وحقيقة نبوة محمد ﷺ ﴿مُعْرِضِينَ﴾: صادين عنها! ٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: وعيد من الله لهم بعذاب رأوه يوم بدر إذ قُتلوا بالسيوف. والآية وعيد شديد للمكذبين بالإسلام الذي جاءهم من الله تعالى. ٦- ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: أمة ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾: يعني: المكذبين، وإن كان ظاهر المخاطبة لغيرهم؛ تقول العرب في مثل هذا: قلت لعبد الله ما أكرمه، وقلت لعبد الله ما أكرمك، في معنى واحد ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر ﴿مِّدْرَارًا﴾: غزيراً دائماً ﴿وَأَنشَأْنَا﴾: ابتدأنا وأحدثنا. ٧- ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾: في صحيفة يعاينونه معلقاً بين السماء والأرض. ﴿فَلَمَسُوهُ﴾: يمسونه بأيديهم وينظرون إليه!! ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: إمعانًا في الكفر والتكذيب، حتى إنهم ليقولون: إن ما رأته أبصارهم ولمسته أيديهم، ليس إلا سحرًا من السحر! ٨- ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: لجاءهم العذاب عاجلاً ولم يؤخروا؛ كما فعل بمن سأل الآيات ولم يؤمن بها إذا جاءته.

[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة : ٢، الأنعام : ١، الكهف : ١، سبأ : ١، فاطر : ١]. ذكر لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في فواتح السور خمس مرات؛ انظر سورة الفاتحة آية : ٢. [٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام : ٤، يس : ٤٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام ويس، وهي تبين أن هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله جل وعلا وصِدْقِ محمد ﷺ في نبوته، وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها. [٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام : ٥]، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء : ٦]. سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على التمام، وذكر في الشعراء ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ مطلقًا؛ لأن تقييده في هذه السورة يدل عليه، ثم اقتصر على السين هنا بدلًا من ﴿فَسَوْفَ﴾ ليتفق اللفظان فيه على الاختصار. [٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الأنعام : ٦، الأعراف : ١٤٨، النحل : ٧٩، النمل : ٨٦، يس : ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في بعض المواضع بغير واو كما في هذه السورة وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين، أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالًا بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو، والفاء لتجري مجرى الاستئناف. [٦] ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الأنعام : ٦، السجدة : ٢٦، ص : ٣] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾. قوله تعالى: ﴿مِن﴾، إنما تزاد في هذه الآيات حيث يراد تأكيدها لما تحويه من وعيد وتخويف، فقد ورد في هذه الآيات تفصيل وعيد في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، أمّا إذا لم يتقدم الآيات وعيد أو تخويف فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها.

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام : ١]. ما الفرق بين ﴿خَلَقَ﴾ و﴿جَعَلَ﴾؟ الجواب: أن السماوات والأرض أجرام، فناسب فيهما: ﴿خَلَقَ﴾، والظلمات والنور أعراض ومعان فناسب فيهما: ﴿جَعَلَ﴾، ومثله كثير كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة : ٢٢]، أي: لا تصفوا، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام : ١٠٠]، وهو كثير. [١] ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام : ١]. لماذا جمع الظلمات وأفرد النور؟ الجواب: أما عند من جعل الظلمات الكفر، والنور الإيمان، فظاهر لأن أصناف الكفر كثيرة، والإيمان شيء واحد، ومن قال بأن المراد حقيقتهما فلأنه يقال: رجل نور ورجال نور، فيقال للواحد وللجماعة، وواحد الظلمات ظلمة، فجمعت جمع التأنيث، ولأن حقيقة النور واحدة، وحقائق الظلمات مختلفة. [٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: "المَسّ واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلّ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس

[٣] ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كل منهما (١٦) مرة. [٨] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

نزول سورة الأنعام: نزلت بعد سورة الحجر، وهي مكيّة، سوى ستّ آيات منها: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام : ٩١] إلى آخر ثلاث آيات، ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام : ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات. هذه الآيات الستّ نزلت بالمدينة في مرّتين، وباقي السّورة نزلت بمكة دفعة واحدة. عدد كلمات سورة الأنعام: ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة. عدد حروف سورة الأنعام: اثنا عشر ألفاً ومائتان وأربعون. أسماء سورة الأنعام: ولهذه السّورة اسمان: سورة الأنعام، لما فيها من ذكر الأنعام مكررًا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ ... وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام : ١٣٨]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام : ١٤٢]،

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩- ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾: لأتاهم في صورة رجل من بني آدم؛ إذ لا يستطيعون النظر إلى الملائكة في صورتها ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾: شبهنا عليكم ما يشبهون على أنفسهم. وأصل «التلبيس»: التخليط. فكأنهم قد لبسوا على أنفسهم مرتين! ١٠- ﴿فَحَاقَ﴾: نزل وأحاط. ١٢- ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: أي: وعد بها فضلاً منه وتكرماً، وقضى على نفسه عز وجل أنه بعباده رحيم، يقبل الإنابة والتوبة، ولا يعجِّل بالعقوبة ﴿لَا رَيْبَ﴾: لا شك ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: أصل «الخسارة»: الغبن؛ أي غبنوا أنفسهم بالكفر والشرك. وعنى بهم، العادلين به سبحانه، الأوثان والأصنام. ١٣- ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: استقر، ولا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن فيهما. ١٤- ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مبتدعها وخالقها ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: يَرزق ولا يُرزق؛ وقد قرئ «يُطعم ولا يَطعم» أي: لا يأكل؛ لأنه تعالى لا تجوز عليه الحاجة، وهو تعالى ليس بجسم، وهو غني عن العالمين، جل وعلا. وخصّ الإطعام دون غيره من ضروب الإنعام، لأن الحاجة إليه أمسّ. ١٦- ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: النجاة والظفر. ١٨- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: القهر: الغلبة، والقاهر: الغالب. وفيه – أي القهر – معنى زائد ليس في «القدرة»، وهو منع غيره عن بلوغ المراد.

[١١] ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ﴾ [الأنعام:١١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾. جميع الآيات التي ورد العطف فيها بالفاء فيها أمر بأن يعقبوا سيرهم بالتدبر والاعتبار، فالسير يؤدي إلى النظر فيقع بوقوعه، فوقعت الفاء الدالة على التعقيب في الجزاء، وفي هذا اتصال بين السير والنظر، وآية الإنعام جاء العطف فيها بـ"ثم" الدالة على التباعد الزمني بين السير والنظر، يدل على ذلك ما تقدم الآية، فقد جاء ذكر القرون السابقة وما حل بها، ففيها حث على النظر في تلك البلاد، وما صنع الله بمنازل أهل الفساد، وبيّن لهم أن يستكثروا من ذلك ليروا آثارهم، وما عمها من دمار وخراب: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ... ﴾ [الأنعام : ٦]، فهذه دعوة للسير في البلاد ومشاهدة الآثار، وفي هذا ذهاب أزمنة كثيرة ومدد طويلة تمنع النظر من ملاصقة السير، فجاء اللفظ على تراخي المهلة بين الفعلين، فجاء كل على حدة. [١٢، ٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢، ٢٠]، تكررت مرتين، لأن الأول في حق الكفار والثاني في حق أهل الكتاب. [١٠] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠، الأنبياء : ٤١]، تكررت هذه الآية مرتين في القرآن بنفس النص في سورتي الأنعام والأنبياء، ومقصدها: ولقد استهزئ برسل مِن قبلك أيها الرسول، فحلَّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مَثار سخريتهم واستهزائهم. [١٥] ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:١٥، الزمر:١٣]، تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في الأنعام والزمر، ومقصدها: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، فخالفت أمره، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة. [١٦] ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام : ١٦]، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الجاثية : ٣٠]، لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٥]، ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، والمراد من يصرف عنه العذاب في الآخرة فقد رحمه، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، وكأنه يقول فقد رُحم وفاز، أمّا آية الجاثية فقد ورد قبلها قوله تعالى مخبرًا عن قوم منكري البعث: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية : ٢٤]، فأفهم قوله: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾، أن هذه الحياة هي الخاصة لهم ولا حياة وراءها، فمن تنعم فيها فذاك فوزه، فأخبروا أن الأمر ليس كما ظنوه، وذكر تعالى أمر الساعة وتفصيل الأحوال فيها فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الجاثية : ٣٠]، ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، لا الحياة التي هي لهو ولعب، فلم يتقدم في آية الجاثية ما يستدعي العطف. [١٧] ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام : ١٧]، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس : ١٠٧]. مع قصد التنويع، فإن الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى، فاستوى فيه الموضعان، وأمّا الخير فقد يراد قبل نيله بزمن إما من الله تعالى، ثم ينيله بعد ذلك، أو غيره فهي حالتان: حالة إرادته قبل نيله، فذكر الحالتين في السورتين، فآية الأنعام حالة نيله، فعبَّر عنه بالمس المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، أي: على ذلك وعلى خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله، وآية يونس حالة إرادة الخير قبل نيله فقال: ﴿ يُرِدْكَ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾، أي: إذا = = أو الجسم الماس.

[١٨] ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. ما الفرق بين: "قاهر وقهّار" الجواب: وردت كلمة (القاهر) مرتين؛ بينما وردت كلمة (قهّار) ست مرات. (القاهر) اسم فاعل من الفعل الثلاثي (قَهَرَ)، بينما (قهّار) صيغة مبالغة على وزن فعّال. وردت كلمة قاهر للإخبار عن صفة القهر دون مبالغة في أمر واضح جليّ لا يحتاج إلى تفصيل، بينما كلمة (قهّار) التي تحمل المبالغة والتوكيد، هي التي تحتاج إلى تعليل. والمتأمل في النصوص الواردة سيجد الآتي: ١- أن كل المواضع التي أتت فيها كلمة (قهّار) مواضع تحتاج إلى توكيد وإظهار لصفة القهر مع المبالغة والتشديد، فناسب ذلك ذكر الصفة بصورة المبالغة (قهّار). ٢- أن كل المواضع الستة التي أتت فيها كلمة (القهار) سُبقت بكلمة الواحد، وحيث إن الله واحد لا إله غيره ولا رب سواه فهو المتصف بالقهر ولا ينازعه في هذه الصفة أحد، لذا ناسب وصف الواحد بصفة (القهار) التي تؤدي إلى هذا المعنى الدقيق دون غيرها من الأسماء والصفات، لذا أسندت كلمة (القهار) إلى كلمة (الواحد).

[١٦] ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ قوله تعالى: ﴿يُصْرَفْ﴾ قرئ: (يَصرِف) بفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل والمفعول محذوف ضمير العذاب، أي: (من يصرِف) والتقدير: "من يصرف الله عنه يومئذ العذاب فقد رحمه". وقرئ: (يُصرَف) بضم الياء وفتح الراء بالبناء للمفعول، والنائب ضمير العذاب في (عنه) يعود على (من) فبناه لِمَنْ لَمْ يسم فاعله وأضمر فيه العذاب، وأقامه مقام الفاعل. والتقدير: "من يُصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله".

= وسورة الحجّة؛ لأنّها مقصورة على ذكر حُجّة النبوّة. وأيضاً تكرّرت فيه الحجّة ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنعام : ٨٣]، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام : ١٤٩]

مواضيع سورة الأنعام: مقصود السّورة على سبيل الإجمال، ما اشتملت على ذكره: من تخليق السّماوات والأرض، وتقدير النّور والظلمة، وقضاء آجال =

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧)

١٩- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: أمر النبي ﷺ أن يسأل قريشاً عن أكبر الشهادة وأعظمها، ثم أمر أن يخبرهم، فيقول: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾. ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: من بلغه القرآن. ٢٠- ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾: يعرفون أن الله إله واحد، وأن محمداً نبي مبعوث ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: أوبقوها بإنكار ما علموا. ٢٣- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: جوابهم ومعذرتهم، وكان هذا الجواب فتنة لكونه كذباً، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: قيل: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم، قالوا: تعالوا فلنجحد، فقالوا ذلك. ٢٤- ﴿ٱنظُرْ﴾: معناه هاهنا: من نظر القلب، لا من نظر العين، ﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: باعتذارهم الباطل. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: ذهب عنهم أصنامهم وآلهتهم، وشهدت عليهم جوارحهم، ولم ينتفعوا بما افتروا. ٢٥- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يستمع القرآن وما يدعو إليه ﴿أَكِنَّةً﴾: أغطية، وهي جمع «كنان»، كما تقول: سنان وأسنة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: ألا يفقهوه. ﴿وَقْرًا﴾: ثقلاً وصمماً ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: قيل: إن المشركين كانوا يقولون في جدالهم: ما ذبحتم وقتلتم تأكلون، وما قتله الله لا تأكلونه، وأنتم تتبعون أمر الله. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أساجيع الأولين، أي ما سجع به الكهان. والمراد به: الأباطيل والترهات.. ٢٦- ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: عن اتباع محمد ﷺ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾: يتباعدون. ٢٧- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ﴾: بمعنى: إذا.

[١٨] معنى اسم الله القاهر والقهار: وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالَم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزّته واقتداره. إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان.

[١٩] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو، فقالوا: يا محمد ما تعلم مع الله إلهًا غيره، فقال: «لا إله إلا الله، بذلك بُعثت، وإلى ذلك أدعو»، فأنزل الله في قولهم ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية. [٢٦] قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ الآية. روى الحاكم، وغيره، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به.

= أراده قبل نيله؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، ففي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه، وأمثاله بالواو فيهما. [٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ...﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾ [الأنعام: ٢٠]. الآيتان تتحدثان عن الذين أعطاهم الله التوراة والإنجيل من أحبار اليهود وعلماء النصارى، وأنهم يعرفون أنَّ محمدًا ﷺ رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم، مثل معرفتهم بأبنائهم، وآية البقرة تبين أن فريقًا منهم يكتمون الحق وهم يعلمونه... وأمَّا آية الأنعام فتوضح أنهم خسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد ﷺ وبما جاء به. [٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]. الآيات التي تقدمت في سورة الأنعام عطف بعضها على بعض بالواو، وهو قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ثم قال ومن أظلم، وختم الآية بقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ليكون آخر الآية موافقًا لأول الأولى، وأمَّا في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض بالفاء وهو قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، ثم قال فمن أظلم بالفاء، وختم الآية بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أيضًا موافقة لما قبلها وهو: ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣]، فوصفهم بأنهم مجرمون، وقال بعده: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس: ١٤]، فختم الآية بقوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ليُعلم أن سبيل هؤلاء سبيل من تقدمهم. [٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ...﴾ [يونس: ٢٨]. وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين آلهتكم التي كنتم تدَّعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعوا لكم، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا آية يونس: واذكر أيها الرسول يوم نحشر الخلق جميعًا للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله تعالى: الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله تعالى حتى تنظروا ما يُفعل بكم... [٢٥] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ [محمد: ١٦]. آية الأنعام تتحدث عن بعض المشركين الذين يستمعون للقرآن، أمَّا آية محمد ﷺ فتتحدث عن المنافقين.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ هنا وفي "سبأ: ٤٠" قرئ: (يحشرهم) بياء الغيبة فيهما، والفاعل هو الله تعالى، كذلك في "سبأ". وقرئ: (نحشرهم) بنون العظمة فيهما. [٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قرئ: (تكن فتنتَهم) بتاء التأنيث ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ بالنصب خبر مقدم، و﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ اسم مؤخر، وأنث الفعل لتأنيث الخبر، وهي الفتنة. وقرئ: (تكن فتنتُهم) بالتأنيث والرفع على أن (فتنتهم) اسم تكن والخبر ﴿أَن قَالُوا۟﴾. وقرئ: (يكن فتنتَهم) بالتذكير والنصب، والتقدير: "ثم لم يكن فتنتَهم إلَّا قولُهم". قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ قرئ: (ربَّنا) بنصب الباء، إما على النداء وإما على المدح، أو إضمار أعني، وعلى كُل فالجملة: معترضة بين القسم وجوابه، والتقدير: "والله يا ربَّنا ما كنا مشركين". وقرئ: (ربِّنا) بكسر الباء نعت أو بدل أو عطف بيان للفظ الجلالة. [٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ قرئ: (ولا نكذبَ - نكونَ) بفتح الباء والنون منهما على إضمار أن بعد واو المعية في جواب التمني، وأن ومدخولها في تأويل مصدر معطوف بالواو على مصدر متوهم من الفعل، أي: يا ليتنا لنا رد، وانتفاء تكذيب، وكون من المؤمنين، أي: يا ليتنا لنا رد مع هذين الأمرين. وقرئ: (ولا نكذبُ - نكونَ) بضم الباء وفتح النون. وقرئ: (ولا نكذبُ - نكونُ) بضم الباء والنون عطفًا على نرى، أي: ليتنا نرد ونوفق للتصديق والإيمان، أو الواو للحال، أو المضارع خبر لمحذوف، والجملة حال من مرفوع نرد، أي: نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين، فيكون تمني الرد مقيدًا بهاتين الحالتين فيدخلان في التمني.

= الخَلْق، والرّد على منكِري النبوّة، وذكر إنكار الكفّار في القيامة، وتمنّيهم الرّجوع إلى الدّنيا، وذكر تسلية الرسول ﷺ عن تكذيب المكذّبين، وإلزام الحجّة على الكفار، والنّهي عن إيذاءِ الفقراءِ، واستعجال الكفّار بالعذاب، واختصاص الحقّ تعالى بالعلم المغيّب، وقهره، وغلبته على المخلوقات، والنّهي عن مجالسة =

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨- ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾: ظهر لهم ﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: ما كانوا يُخفون في الدنيا من أعمالهم. ٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أي: حبسوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم، لشاهدت أمرًا عظيمًا! فيقول لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾: يعني: البعث والنشر الذي كانوا به يكذبون. ٣١- ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: المراد: البعث. ﴿بَغْتَةً﴾: فجاة. ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾: الحسرة: الندم الشديد. ﴿فَرَّطْنَا﴾: ضيَّعنا ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم. ٣٣- ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: كان أبو جهل لعنة الله عليه يقول: لا نُكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به! والمعنى: أنهم لا ينسبونك أنت إلى الكذب، فإنهم يعلمون صدقك، وهذا من تناقضهم وعنادهم، لذا قال بعدها ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. ٣٤- ﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾: لا مُغيِّر ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: عز وجل: من وعده بالنصر على من خالفه ﴿مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾: من خبرهم مع أممهم. ٣٥- ﴿كَبُرَ﴾: عظم ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن تصديقك. كان النبي ﷺ يكبر عليه إعراض قومه ويتعاظمه ويحزن له، فبين له الله سبحانه أن هذا الذي وقع منهم من التولّي والإعراض واقع، وأنه ليس في استطاعته حملهم على الاستجابة إلا أن يأذن الله تعالى بذلك. ﴿نَفَقًا﴾: سرباً ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعداً. علّق إجابتهم بما هو محال، أو بما لا يستطيعه النبي ولا يقدر عليه، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾: لهذه السنّة من سنن الخلق. ولما كان النبي ﷺ عالمًا بها، فالمراد أن يدع الحزن عليهم. وألا تذهب نفسه عليهم حسرات.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾ الآية. روى الترمذي، والحاكم، عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]. تكررت مرتين؛ لأنهم أنكروا النار في القيامة، وأنكروا جزاء الله ونكاله في الآية الأولى، أمّا الآية الثانية ﴿وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، أي: على جزاء ربهم ونكاله في النار. [٢٩] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع بزيادة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧، الجاثية: ٢٤]. ما في سورة الأنعام عند كثير من المفسرين متصل بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨-٢٩]، ولم يقولوا ذلك، أي: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، بخلاف ما في سائر السور، فإنهم قالوا ذلك فحكى الله عنهم ذلك. [٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ ...﴾ [الأنعام: ٣١]، ﴿... قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين خسروا بكفرهم وتكذيبهم بلقاء الله وثوابه وعقابه، وآية الأنعام تبين أنهم إذا قامت القيامة، فوجئوا بسوء المصير...، وأمّا آية يونس فتوضح أنهم ما كانوا موفّقين لإصابة الرشد فيما فعلوا. [٣٢] ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرفًا بحال الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام:٣٢]، ومعنى التأكيد في هذا حاصل من سياق الكلام، لأنك إذا قلت: "ما المال إلا الإبل" فكأنك نفيت عن غير الإبل أن يكون مالًا، وأثبت ذلك لها ثباتًا مؤكدًا، وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال، ومثل هذا هو المعنى الحاصل من لفظ القسم الصريح فناسبه هذا مجيء لام القسم في قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، وكأنه نص قولك: والله للدار الآخرة خير، وتناسب ذلك مع ما تقدم قبله من تقدير القسم المؤكد كما بين، وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا لأنها مناطة بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩]، ثم قال: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، وعلى هذا نظم الكلام، وليس فيه ما يقتضي قسمًا، فلم تدخله تلك اللام. [٣٤] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠]. القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له "أتى"، يقول تعالى في آية يوسف: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وفي آية الأنعام: ﴿أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾، ومن الواضح أن الحالة في آية يوسف أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كُذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمون، في حين ذكر في آية الأنعام أنهم كُذّبوا، أي: كذّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا، وفرق بعيد بين الحالتين، فقد يُكذّب الرسل وأتباعهم ويؤذَون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمرٌ كبير، ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحًا، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام يدلك على الفرق بينهما.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ قرئ: (ولَدار - الآخرةِ) بلام واحدة كما في المصحف الشامي، وهي لام الابتداء وتخفيف الدال، و﴿الْآخِرَةِ﴾ بخفض التاء على الإضافة إما على حذف الموصوف، أي: الدار الحياة، أو الساعة الآخرة، كمسجد الجامع، أي: المكان الجامع، وإما للاكتفاء باختلاف لفظ الموصوف وصفته في جواز الإضافة. وقرئ: (ولَلدَّار - الآخرةُ) بلامين لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام، ورفع الأخيرة على أنها صفة للدار. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هنا و"الأعراف: ١٦٩، يوسف: ١٠٩، القصص: ٦٠، يس: ٦٨"، قرئ: (تعقلون) بتاء الخطاب في الأربعة على الالتفات. وقرئ: (يعقلون) بالغيب في الأربعة لمناسبة ما قبله. [٣٣] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرئ: (لا يَكْذِبُونك) بالتخفيف من أكذب، وقرئ: (لا يُكَذِّبُونك) بالتشديد من كذب، قيل: هما بمعنى كنزل وأنزل، وقيل: بالتشديد لنسبة الكذب إليه، والتخفيف نسبة الكذب إلى ما جاء به. روي أن أبا جهل كان يقول: ما نكذبك وإنك عندنا لصادق، وإنما نكذب ما جئتنا به.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن.

الناقضين ومؤانسيتهم، وإثبات البعث والقيامة، وولادة الخليل عليه السلام، وعرض الملكوت عليه، واستدلاله، حال خروجه من الغار، ووقوع نظره على الكواكب، والشمس، والقمر، ومناظرة قومه، وشكاية أهل الكتاب، وذكرهم حالة النزع، وفي القيامة، وإظهار بُرهان التَّوحيد ببيان البدائع والصَّنائع، والأمر

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن سمع كتاب الله فانتفع به، وعقله، وأخذه ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾: يعني: الكفار، لأنهم بمنزلة الموتى؛ فهم صم بكم عمي، لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينتفعون. ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: يحشرهم يوم القيامة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: أي إلى سطوته وعقابه. وهذا وعد للكفار، وفي تفسير الآية وجوه أخرى. ٣٨- ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: أصناف وخلق ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: ما تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِن شَيْءٍ﴾: إلا وهو مكتوب فيه، وقيل: إن المراد به القرآن؛ أي ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين؛ إما تفصيلاً أو إجمالاً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: قيل: «الحشر» هاهنا؛ الموت. وقال ابن عباس: موت البهائم حشرها. واختلف في ذلك. ٣٩- ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: في ظلمات الكفر، لا يستطيع أن يخرج منها. ٤٢- ﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾: شدة الفقر، والضيق في العيش ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الأسقام والعلل ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: يُخلصون في العبادة والإنابة. ٤٣- ﴿فَلَوْلَا﴾: بمعنى: هلا ﴿تَضَرَّعُوا﴾: استكانوا وخضعوا لربهم فيصرف عنهم بأسه، وهو عذابه. ٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: تركوا العمل بما أمروا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الرخاء والسعة والصحة، مكان البأساء والضراء. ﴿بَغْتَةً﴾: فجاة، أعجب ما كانت الدنيا إليهم! وكان ذلك على جهة الاستدراج، ﴿مُّبْلِسُونَ﴾: المبلس: الذي قد نزل به شر لا يقدر على دفعه، وأصل «الإبلاس» في كلام العرب: انقطاع الحجة، والسكوت عندها. وقيل: الحزن على الشيء والندم. وقيل: المُبلس: المخذول المتروك.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]. لما تقدم قبل آية الأنعام ذكر دلائل من خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، والتنبيه بحال من كذب وعاند، إلى ما تبع ذلك من الآيات التي يحتاج فيها إلى النظر، وإعمال الفكر والاعتبار، وكان مظنة لتغييظ الجاحد، فطلبوا آية تبهر... فافتتحوا فيما ذكره سبحانه عنهم بأداة لولا التحضيضية حرصًا على ما طلبوه، وأتوا بالفعل مضعفًا لما أرادوه من التأكيد، فقالوا: "نزّل"، وأفردوا "آية" لما قصده من أنه ﷺ ما جاءهم بآية واحدة من الضرب الذي طلبوه، وهذا مناسب، أمّا آية العنكبوت فلم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف، أمّا جمع آيات؛ فلأنه تقدمها: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وتأخر بعدها: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف هذه الجموع توحيد آية. [٣٨] ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ليس في الأرض حيوان يَدِبُّ على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية هود: لقد تكفّل الله برزق جميع ما دبَّ على وجه الأرض... [٤٠، ٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤٧] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ ليس لهذه الجملة في العربية نظير، لأنه جمع بين علامتي خطاب، وهما التاء والكاف، والتاء اسم بالإجماع، والكاف حرف عند البصريين يفيد الخطاب فحسب، والجمع بينهما يدل على أن ذلك تنبيه على شيء ما عليه من مزيد، وهو ذكر الاستئصال بالهلاك، وليس فيما سواهما ما يدل على ذلك فاكتفى بخطاب واحد والعلم عند الله. أضف إلى ذلك: أن ترادف الخطابين "التاء، الكاف" لا يكونان إلا عند المبالغة في التنبيه، والمبالغة فيه: أن يعلم المخاطب ألا تنبيه بعده، وما يتصل بقوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ في الموضعين كلام يدل على أنه إذا وقع لم ينفع عنده زجر وتنبيه. فإتيان العذاب، أو قيام الساعة في الموضع الأول، وإتيان عذاب الله بغتة أو جهرة في الموضع الثاني لا ينفع عنده تنبيه ولا زجر؛ ولذلك تناهت الآية في التخويف فترادف الخطاب معًا. أمّا المواضع التي جاء بها ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ فلم يهدد الله فيها ولم يصرح بالاستئصال، حتى ينذر بأقصى أدوات الإنذار. [٤٢] ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. آية الأنعام تتحدث عن أمم سابقة، وهذا يعني تطاول الإرسال على مجرى التاريخ، فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناءً، فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾، أمّا آية الأعراف فكان الإرسال فيها إلى قرية واحدة فناسب الإدغام الذي يعد أحد وجوه اختصار اللفظ.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ ...﴾ [الأنعام: ٤٤]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ...﴾ [الأعراف: ١٦٥]. آية الأنعام تبين أنهم لما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق، فأبدلناهم بالبأساء رخاءً في العيش، وبالضراء صحة في الأجسام؛ استدراجًا منا لهم..، وأمّا آية الأعراف: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكِّرت به، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته...

[٤٢-٤٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣]. ما الفرق بين: "بأس وبأساء"؟ الجواب: البأس: الشدة، والشدة في القتال، والجهاد، والقتال في سبيل الله، والعذاب، والشجاعة، وهذه معان كلها صحيحة. البأساء: الفقر، والبؤس، والجوع، والشدة، وهي ضد النعماء. [٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا﴾ هنا و"الأعراف: ٩٦، الأنبياء: ٩٦، القمر: ١١"، قرئ: (فتّحنا) بتشديد التاء في الأربعة للتكثير. وقرئ: (فتحنا) بتخفيف التاء على الأصل من فتح الثلاثي. = ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة (٦٥) مرة. [٣٦] ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. [٣٦] ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌ ورد (٤٥) مرة في القرآن.

= بالإعراض عن المشركين، والنهي عن سبِّ الأصنام، وعُبّادها، ومبالغة الكفّار في الطّغيان، والنّهي عن أكل ذبائح الكفّار، ومناظرة الكفار، ومحاورتهم في القيامة، وبيان شَرْع عَمْرو بن لُحَيّ في الأنعام بالحلال والحرام، وتفصيل محرّمات الشريعة الإسلامية، ومُحكَمات آيات القرآن، والأوامر والنّواهي من قوله تعالى: =

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥- ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾: استؤصلوا، و«دابر القوم»: الذي يُسايرهم ويأتي في آخرهم. ٤٦- ﴿إِنْ أَخَذَ﴾: أذهب ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: طبع، حتى لا تفقهوا قولاً، ولا تفهموا مفهومًا. وتصريف الآيات: المجيء بالأدلة والبراهين على جهات مختلفة من إنذار وإعذار وترغيب وترهيب ونحو ذلك، ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون. ٤٧- ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: أي يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه. و«الإجهار» إظهار الشيء للعين. وقيل: «البغتة»: مجيء العذاب ليلاً، والجهرة: إتيانه نهارًا، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠]. ٤٩- ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: يباشرهم ﴿يَفْسُقُونَ﴾: يكذبون. ٥٠- ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: الكافر الذي قد عمي عن أمر الله ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: المؤمن. والاستفهام في الآية للإنكار؛ أي لا يستوي المؤمن والكافر، أو الضالّ والمهتدي والآية تبين أن الرسول بشر لا شيء عنده من خزائن الله تعالى، ولا من قدرته، ولا يعلم الغيب. ولكنه بشر رسول، أو يوحي إليه. ٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: كان المشركون يقولون: لو طردت هؤلاء -يعنون: ضعفاء المسلمين مثل عمار وصهيب وخبّاب وبلال- لغشيناك وحضرنا مجلسك وقيل: إنما قال هذه المقالة أبو طالب، على جهة النصح للنبي ﷺ، قال له: لو أزلت هؤلاء لأتبعك أشراف قومك! ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: وجه الله ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾: من حساب ما رزقناهم من شيء ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾: ولا عليهم من حساب ما رزقناك من الرزق من شيء. ورجح ابن عطية أن يكون الضمير يعني في (حسابهم) و(عليهم) للكفار الذين أرادوا طرد المؤمنين، أي: ما عليك منهم آمنوا أو كفروا، فتطرد هؤلاء رعيًا لذلك. والضمير في (فتطردهم) عائد على الضعفة من المؤمنين.

[٤٥] معنى اسم الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٤٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ الآية. روى ابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا، وعبد الله بن مسعود، وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم فإنا نستحي أن نكون تبعًا لك كهؤلاء. فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وروى أحمد، والطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خبّاب بن الأرتّ، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، وهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

[٤٦] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام: ٤٦، ٦٥]. تكررت مرتين بالأنعام؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون عنها فلا تعرض عنهم بل تكررها لهم لعلهم يفقهون. [٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ...﴾ [الأنعام: ٤٨]، ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾ [الكهف: ٥٦] الآيتان تبينان أنه ما نرسل رسلنا إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، وآية الأنعام تبين أنه من آمن وصدّق الرسل وعمل صالحًا فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم...، وأمّا آية الكهف فتوضح أنه مع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتًا... [٥٠] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١]. الوارد في سورة هود إنما هو حكاية نوح عليه السلام لقومه متلطفًا، ومشفقًا من حالهم، ألا ترى استفتاح خطابه لهم بقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨] وقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩]، ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٣٠]... فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام، وما يفهم من كلامه من عظيم الإشفاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذهم بمرتكباتهم، فهذا كله استلطاف في الدعاء لا يلائمه تكرار كلمة تفهم تعنيفًا أو توبيخًا، والتأكيد والتكرار يفهمان ذلك، ويردان حيث يقصد، وأمّا قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ فوارد طي كلام أمره ﷺ بتبليغه عتاة قريش والعرب توبيخًا لهم، وتقريعًا، فقيل: ﴿قُل﴾، والمراد قل يا محمد ﷺ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ... فتكرر فيها قوله: ﴿لَكُمْ﴾ تأكيدًا يفهم التعنيف، ويناسب التوبيخ والتقريع.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ قوله تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ هنا والكهف: ٢٨، قرئ: (بالغُدْوَة) بضم الغين وإسكان الدال وواو مفتوحة، والأشهر أنها معربة بالعلمية الجنسية كأسامة في الأشخاص فهي غير مصروفة، وقيل: (غدوة) علمٌ وضع للتعريف فلا تدخل عليها (ال) كسائر الأعلام، وأما كتابتها بالواو فكالصلاة والزكاة. فجوابه: أن تنكير (غدوة) لغة ثابتة حكاها سيبويه والخليل، وتقول: أتيتك غدوة بالتنوين على أن صاحب هذه القراءة لا يعرف اللحن لأنه عربي خالص النسب. وقرئ: (بالغَدَاةِ) بفتح الغين والدال وبالألف لأن غداة اسم لذلك الوقت، ثم دخلت عليها لام التعريف. [٥٤] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ﴾ ـ ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ =

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كلٌّ (١٤٨) في القرآن.

= ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات، وظهور أمارات القيامة، وعلاماتها في الزّمن الأخير، وذكر جزاء الإحسان الواحد بعشرة، وشكر الرّسول على تبرّيه من الشرك، والمشركين، ورجوعه إلى الحق في مَحياه ومَماته، وذكر خلافة الخلائق، وتفاوت درجاتهم، وختم السّورة بذكر سرعة عقوبة الله لمستحِقّيها، ورحمته، ومغفرته لمستوجبيها، بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. فضل سورة الأنعام: قال ﷺ: =

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

٥٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلينا واختبرنا؛ جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال: الأغنياء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الذين ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: يعنون: هداهم؛ يقولون ذلك، استهزاءً بهم. ٥٤- ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أمنة الله لكم ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾: ذنباً ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: من عمل بمعصية الله فذلك منه جهل حتى يرجع. ٥٧- ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان وبرهان ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: أمر أن يقول: ليس عندي ولا بيدي ما تستعجلون به من عذاب الله ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: خير من ميَّز بين الحق والباطل وأعدلهم. قيل: بما يقضي به بين عباده، ويفصله لهم في كتابه. ٥٨- ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾: أي ما تطلبون تعجيله بأن يكون إنزاله بكم مقدورًا لي وفي وسعي؟ ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: لعاجلتكم به. ٥٩- ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: قال ابن عباس: هن خمس يجمعها قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] وتنص الآية الكريمة على شمول العلم الإلهي جميع الموجودات، وعلى أنه تعالى المتفرد بعلم الغيب، وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية، من كاهن او منجم أو رمليّ أو إمام! ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: في اللوح المحفوظ.

[٥٤] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها...

[٥٤] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ...﴾ [الأنعام: ٥٦]، ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ ...﴾ [غافر: ٦٦]. الآيتان فيهما توجيه للنبي ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاه أن يعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وآية الأنعام تبين أنه لو اتبع أهواءهم ضل عن الصراط المستقيم... أمَّا آية غافر فتوضح أنه قد جاءته الآيات الواضحات من عند ربه عز وجل...

[٥٩] ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾ أسلوب قصر، فمن أساليب القصر في اللغة تقديم ما حقه التأخير، وأصلها (مفاتح الغيب عنده) فقدم سبحانه وتعالى الخبر على المبتدأ فأصبح المعنى أن مفاتيح الغيب ليست عند أحد غيره، لكن لو قال (ومفاتح الغيب عنده) يحتمل المعنى أنها عنده وعند غيره. ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ النفي مع الاستثناء أيضًا من أساليب القصر... مفاتح الغيب أمر لا يعلمه إلا الله، لا يُعطى لأحد، أما الغيب الباقي فيمكن أن يطلع عليه جل وعلا بعض عباده إن شاء.

[٥٩] ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات: ١١٧]. ما الفرق بين: "مبين، مستبين"؟ الجواب: وردت كلمة (مبين) تسع عشرة مرةً ومائةً في القرآن الكريم. جاء منها وصفٌ للكتاب في تسع مرات. بينما وردت كلمة (مستبين) مرةً واحدةً. الكتاب (المبين): هو: كتابٌ يحفظ كل شيء، ولذلك فهو مبين (في أحد معانيه). وهو (القرآن) (في المعنى الآخر له). أما الكتاب (المستبين): فهو التوراة. وبان الشيء: ظهر دفعةً واحدةً. واستبان الشيء: ظهر شيئًا فشيئًا. قال الفخر الرازي: إنما وُصف القرآن بأنه مبينٌ لوجوه: ١- أن القرآن معجزة «ظاهرة» وآيةٌ بينةٌ لمحمد ﷺ. ٢- أنه بُيِّنَ فيه الهدى والرشدُ والحلالُ والحرامُ، ولما بُيِّنت فيه هذه الأشياء كان الكتاب مبينًا لها. ٣- أنه بُينت فيه قصصُ الأولين وشُرحت فيه أحوالُ المتقدمين. أما التوراة: فكل إصحاح منها يعالج جانبًا من قضيةٍ واحدةٍ. وعلى هذا فهو يظهر بالتدرج والتتابع.

= قرئ: (أَنَّ - إِنَّ) بفتح الهمزة في الأولى وكسرها في الثانية على أنه بدل من الرحمة، والثانية استئناف لمجيئها بعد الفاء. وقرئ: (أَنَّ) بفتح الهمزة فيهما، على أنه بدل من الرحمة، وهو فاعل فيها، والتقدير: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل منكم سوء. وأما الثانية فعلى أن محلها رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي: فغفرانه ورحمته حاصلان. وقرئ: (إِنَّ) بكسر الهمزة فيهما، وكسر الأولى: على أنها مستأنفة وأن الكلام قبلها تام، وكذا كسر الثانية بمعنى: أنها صدر جملة وقعت خبرًا لـ "من" الموصولة أو جوابًا لها إن جعلت شرطًا. [٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ قرئ: (ولتستبين سبيلَ) بتاء الخطاب، و﴿سَبِيلَ﴾ بالنصب ووجهه: أنه استبنت الشيء المعدى، أي: ولتستوضح يا محمد سبيل المجرمين. وقرئ: (ولتستبين سبيلُ) بالتأنيث والرفع، على أن الفعل لازم من استبان الصبح ظهر، وأسند إلى السبيل على لغة تأنيثه على حد قول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾. وقرئ: (وليستبين سبيلُ) بياء التذكير والرفع وهو مثل التوجيه الثاني، ولكن على لغة تذكيره على حد قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ﴾. [٥٧] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ قرئ: (يقصُّ الحقَّ) بصاد مشددة مرفوعة من قص الحديث أو الأثر تتبعه. وقرئ: (يقضِ الحقَّ) بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء ولم ترسم، إلا بضاد، كأن الياء حذفت خطًا تبعًا لالتقاء الساكنين كما في قوله: ﴿تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ وكحذف الواو في قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ و﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾، ونصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ بعده صفة لمصدر محذوف، أي: "القضاء الحق" أو ضمن معنى: يفعل، فعداه للمفعول به، أو قضى بمعنى: صنع، فيتعدى بنفسه بلا تضمين أو على إسقاط الباء، أي: يقضي بالحق على حد "يمرون الديار" وقيل: بالضاد من القضاء، وبالصاد من القص، والله أعلم.

= "نزلت عليَّ سورةُ الأنعام جملةً واحدة يُشيّعها سبعون ألفَ مَلَك، لهم زَجَل بالتسبيح، والتحميد" أخرجه الطبراني، وفي إسناده ضعف. وقال ﷺ أيضًا: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد وصححه الألباني. السبع الأول هي سور: "البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة".

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦٠- ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾: التوفي هو استيفاء عدد، تقول: توفيتُ عدد القوم، أي عددتهم كلهم. وصارت اللفظة عرفًا في الموت، وهي في النوم على بعض التجوز، كما يقول ابن عطية. ومعنى الآية: أنه تعالى ينيمكم فيقبض في النوم نفوسكم التي بها تميزون، وليس موتًا حقيقة، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقيل: يقبض أرواحكم من أجسادكم في منامكم. ﴿مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: اكتسبتم من الإثم، وقيل: كسبتم بجوارحكم من الخير والشر، ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ﴾: يوقظكم ويُثيركم من منامكم. ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾: الأجل الذي سماه الله لحياتكم؛ فيبلغ مدته ونهايته. ٦١- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾: الغالب العالي ﴿حَفَظَةً﴾: هن المعقبات من الملائكة يحفظونه، ويحفظون عمله، ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾: أملاكنا الموكلون بقبض أرواحهم؛ وهم: أعوان ملك الموت. ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يُضيعون. ولا يقصّرون. ٦٢- ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾: سيدهم ﴿أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾: اسرع من حسب أعمالكم وآجالكم وأعدادكم! ٦٣- ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: من كرب البر والبحر. ﴿تَضَرُّعٗا﴾: استكانة: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾: سراً، أي تدعونه سراً أحياناً، وإعلاناً أحياناً. ٦٥- ﴿عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: قيل: الرجم، او الطوفان، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾: الخسف، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾: فرقاً على أهواء مختلفة، ولَبْس الأمر: خلطه، ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾: أي يصيب بعضكم بشدة بعضًا، بالسيوف والقتل. ٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: الضمير راجع إلى القرآن أو إلى العذاب؛ يعني: بما تقول من الوعيد وتخبر به ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾: بحفيظ. ٦٧- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾: خبر ﴿مُّسۡتَقَرّٞ﴾: حقيقة، - أو وقت يقع فيه - فظهرت حقيقة النبأ يوم بدر في انتقام الله من المشركين. ٦٨- ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بالاستهزاء ﴿فَأَعۡرِضۡ﴾: صُدّ، وقُمْ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ﴾: يأخذوا.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف» قالوا: ونحن نشهد أن لا إله الا الله، وأنك رسول الله، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدًا، أن يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون، فنزلت ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾.

[٦١] ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً ...﴾ [الأنعام: ٦١]. الآية الأولى تبين أن الله سبحانه هو الغالب القاهر فوق عباده؛ خضعت له الرقاب وذَلَّتْ له الجبابرة، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وَفْق حكمة الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، أمّا الآية الثانية فتوضح أن الله تعالى هو القاهر فوق عباده، فوقية مطلقة من كل وجه، تليق بجلاله سبحانه وتعالى. كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويُحْصونها، حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحَه مَلَكُ الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أُمروا به.

[٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ [الجاثية: ٢١]. ما الفرق بين (جرح واجترح)؟ الجواب: أن الأصل اللغوي للصيغتين واحدٌ، غير أن (اجترح) فيها زيادة معنى لزيادة المبني (بالهمزة والتاء). وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه كلّ منهما، نلاحظ أن (جرح) استعملت لتعني الخير والشر، فقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي ما فعلتهم من خيرٍ ومن شرٍّ؛ لأن أفعال العباد إما خيرٌ وإما شرٌّ، أما كلمة (اجترح) فاستعملت بمعنى الشر وحده؛ لأنها خُصصت بفعل السيئات في المرة الوحيدة التي وردت فيها ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. إذًا (جرح) تعني: كسب (خيرًا كان أم شرًّا). و(اجترح) تعني: اكتسب (الشر دون الخير). [٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١]. آية الأنعام تبين أن الله مولى لجميع الخلق، وهذا لا ينافي قوله في آية محمد: ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾؛ لأن المراد بالمولى في آية الأنعام: المالك، أو الخالق، أو المعبود، والمراد بالمولى في آية محمد: الناصر. [٦٣] ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]. وليس المقصود هنا عين الظلمة، وإنما المقصود ما في البر والبحر من مشاقّ ومن مفاوز، فإذا أصابهم الأمر وتيقنوا الهلاك، وعظم عليهم الأمر واشتد عليهم الكرب علموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فلجؤوا إليه مخلصين، فإذا نجاهم نسوا والعياذ بالله كل هذا. [٦٥] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ [الملك: ١٧]. لماذا قدم الخسف على الحاصب في الملك، وعكس في الأنعام؟ الجواب: لما تقدم في الملك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ [الملك: ١٥]، ناسب أن يليه الوعيد بالخسف في الأرض التي أذلها. وآية الأنعام تقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، فناسب تقديم العذاب الفوقي أولًا.

[٦١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ﴾ قرئ: (توفاه) بألف ممالة بعد الفاء على لفظ التذكير؛ لأن تأنيث الجماعة غير حقيقي. وقرئ: (توفته) بتاء التأنيث على معنى الجماعة. [٦٣] ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم ... وَخُفۡيَةٗ﴾ قوله تعالى: ﴿مَن يُنَجِّيكُم﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ وبابه بالتخفيف والتشديد في الجيم (يُنْجِيكم - يُنجّيكم)، وهما لغتان والأول من (أنجى)، قال تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ والثاني: من (نجّى) قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ وهما في القرآن كثير، غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل على معنى نجاة بعد نجاة. قوله تعالى: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ هنا والأعراف: ٥٥، قرئ: (خِفية - خُفية) بكسر الخاء وضمها وهما لغتان كإسوة وأسوة. قوله تعالى: ﴿أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ قرئ: (أنجانا) بألف ممالة بعد الجيم من غير ياء ولا تاء بلفظ الغيبة، وقرئ: (أنجيتنا) بياء ساكنة بعد الجيم بعدها تاء مفتوحة على الخطاب حكاية لمناسبة ما قبله لدعائهم. [٦٨] ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ قرئ: (يُنَسّيَنَّك) بتشديد السين وفتح النون من نسّى. وقرئ: (يُنسِيَنَّك) بتخفيف السين وسكون النون من أنسى، وهما لغتان، والكلام هنا كالكلام في أنجى ونجّى.

[٦١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦٩- ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: ليس على الذين يتقون الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: من حساب المستهزئين، وإثمهم من شيء ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾: إذا ذكرت فقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الخوض فيها، ويتركون ذلك، لقيامكم عنهم. ٧٠- ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾: بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تسلم وتؤخذ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من ذنوبها وكفرها ﴿لَيْسَ لَهَا﴾: يعني: النفس ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ﴾: ينصرها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لها عنده ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾: النفس ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾: تفتدي بكل فداء. ﴿أُبْسِلُوا۟﴾: أسلموا لعذاب الله ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: حار، أي شراب حار يشربونه فيقطع أمعاءهم. ٧١- ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: حجراً، أو خشباً يابساً ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: نرجع القهقري إلى ما كنا عليه من الضلال. ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: «استفعلت»؛ من قولك، هوى فلان يهوي إلى كذا من قول الله عز وجل: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بمعنى: تنزع إليهم، وتسرع ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: لا يهتدي ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾: يشيرون على الطريق، وعنى به الإسلام، و«الأصحاب»: المؤمنون ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾: هو الإسلام -هاهنا- ﴿ٱئْتِنَا﴾: يقولون له: هلم إلينا. وهذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: الكافر حيران، يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيبه، ويتبع الشيطان الذي يغويه. ٧٣- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾: معناه: يوم يقول لكل ما فني من خلقه: «كن فيكون»، فيعيده وينشئه.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام : ٦٢]، ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٣٠]. الأيتان تبينان أن الجميع مردهم إلى الله الحكم العدل، وآية الأنعام توضح أن لله القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين، وأمَّا آية يونس فتبين أن هؤلاء المشركين ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. [٦٣] ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام : ٦٣]، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس : ٢٢]. الأيتان تبينان أن المشركين عندما يوقنون بالهلاك في الشدائد، يخلصون الدعاء لله وحده، ويتركون ما كانوا يعبدون من دونه يقولون: لئن أنجانا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له. [٦٥] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾[الأنعام : ٤٦، ٦٥]. تكررت مرتين؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون عنها فلا تعرض عنهم، بل تكررها لهم لعلهم يفقهون. [٧١] ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة : ٧٦]، ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام : ٧١]. قدم النفع على الضر بالأنعام، وفي مواضع أخر قدم الضر على النفع مثل موضع المائدة. لماذا؟ الجواب: أن دفع الضر أهم من جلب النفع، فلما تقدم ذكر نفي الملك والقدرة عنهم؛ كان تقديم ذكر دفع الضر وانتفاء القدرة عليه أهم، ولما كان السياق غير ذلك في العبادة والدعاء -والمقصود بهما غالبًا طلب النفع وجلبه- كان تقديم النفع أهم؛ ولذلك قال في الحج: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج : ١٣]، أي المقصود بالدعاء.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام : ٦٥]. استئناف ابتدائي عقب به ذكر النعمة التي في قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ بذكر القدرة على الانتقام. [٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام : ٦٨]. مجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم وأخلاقهم الرديئة، وهو داء دفين قلّ ما يتنبه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، وذلك أنه قلّ أن يجالس الإنسان فاسقًا مدة مع كونه منكرًا عليه في باطنه إلا لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقًا في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينًا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه. فإذا رزقت يقظة فصنها في بيت عزلة فإن أيدي المعاشرة نهابة، احذر معاشرة البطالين فإن الطبع لص، لا تصادقن فاسقًا ولا تثق به، فإن من خان أول منعم عليه لا يفي لك. [٦٨] ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام : ٦٨]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام : ٩٠]. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة : ٧٣]. ما الفرق بين: (ذكرى، ذكر، تذكرة) الجواب: وردت كلمة (ذكرى) إحدى وعشرين مرة. وكلمة (ذكر) ثلاثًا وستين مرة. وكلمة (تذكرة) تسع مرات. كلمة (ذكرى) لها معنيان: أ- التذكر: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ب- القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكلمة (ذكر) لها أربع معان: أ- ذكر اسم يوسف أمام عزيز مصر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. ب- الشهرة والصيت والمكانة كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. جـ- كتاب منزل قبل الزبور كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الذكر في هذه الآية: أكتابٌ منزلٌ هو أم الإنجيل أم التوراة، أم العلم. د- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وكلمة (تذكرة) لها معنيان: أ- التذكير: كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. والفرق بين (تذكرة) و(ذكرى): أن الأولى مصدر، والثانية اسم مصدر، ولا يسدُّ اسم المصدر في الاستعمال الدقيق مكان المصدر. كما أن كلًّا منهما جاءت متسقة مع السياق الواردة فيه، ومنسجمة موسيقيًا. كلمة (تذكرة) جاءت من فعل متعدٍّ لمفعولين: ذكَّر يُذكِّر تذكرةً. أما كلمة (ذكر) فقد جاءت من فعل متعدٍّ لمفعول واحد.

[٧١] ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ قرئ: (استهواه) بألف ممالة بعد الواو، والمراد: المفرد، أي: كالرجل الذي، أو كالفريق الذي. وقرئ: (استهوتْه) بالتاء الساكنة من غير ألف، أي: جنس الشياطين.

[٧١] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله عز وجل.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾

٧٤- ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: هو اسم أبيه. فإن قيل: إن اسم أبيه «تارح»، فغير بعيد أن يكون له اسمان كما لكثير من الناس، مثل يعقوب وإسرائيل، أو شيء كان يعرف به. ٧٥- ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: قيل: آيات السماوات والأرض، وما فيهما من الخلائق. وقيل: تفرَّجت له السماوات السبع والأرضون السبع حتى نظر فيهن إلى ملك الله وقدرته. ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾: ليعلم حقيقة ما هداه الله إليه. ٧٦- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾: واراه وغيَّبه. ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾: نجماً. ﴿أَفَلَ﴾: غاب. ٧٧- ﴿بَازِغٗا﴾: طالعاً. وقيل: كان هذا القول من إبراهيم ﷺ في حال طفولته، وقيل: معنى ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾: أهذا ربي؟! بمعنى الإنكار. ٧٩- ﴿حَنِيفٗاۖ﴾: مخلصاً، مائلاً إلى الدين الحق. ٨٠- ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾: أي: جادلوه في التوحيد وأرادوا إقناعه بصحة آلهتهم: وخوفوه من ضررها وغضبها، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾: أي في كونه هو الإله الحق، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ﴾: أي: إني لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله الذي هو حجر لا يضر ولا ينفع، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾: من الضرر لي، فالأمر إليه ومنه لا من معبوداتكم. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾: علم كل شيء وأحاط به. ٨١- ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾: به من الأوثان، وهي لا تمنع، ولا تضر، ولا تنفع. ﴿سُلۡطَٰنٗاۚ﴾: حجة.

[٨٣] ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام : ٨٣]، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف : ٧٦]. نرفع مَن نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا آية يوسف: نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف. وفوق كل ذي علم من هو أعلم منه. [٨٤] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾ [الأنعام : ٨٤]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت : ٢٧]. الآيات الثلاث تتحدث عن منَّة الله على إبراهيم عليه السلام بأن رزقه الله إسحاق ابنًا ويعقوب حفيدًا، وآية الأنعام تبين أن الله قد وفق كلًا منهما لسبيل الرشاد... أمَّا آية الأنبياء فتوضح أن كلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحًا مطيعًا له، وأمَّا آية العنكبوت فتبين أن الله جعل في ذرية إبراهيم الأنبياء والكتب...

[٧٤] ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام : ٧٤]. لما كانت السورة تتكلم عن عقيدة التوحيد التي بعث الله بها الرسل، ومن أجلها أنزل الكتب ذكر الله جل وعلا في هذه السورة إمام الموحدين خليل الله إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء وشيخ الحنفاء ونسب الله جل وعلا الملة إليه في كتابه ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾. [٧٦] ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. ما الفرق بين: (أحبَّ، استحبَّ)؟ الجواب: وردت صيغة (أحبَّ) (بجميع مشتقاتها مع المفرد والجمع ستين مرة. و(أحبَّ) ومشتقاتها مع المفرد والجمع.. جاءت على الأصل ولا تحتاج إلى تعليل ولا دليل. أما (استحب) فلها ثلاثة معان: ١- طلب المحبة (ذكره الرازي) أي بمعنى (استحبوا الكفر). ٢- التمكين: أي تمكن الكفرُ من نفوسهم. ٣- أن الألف والسين والتاء. في الكلمة، جاءت لتعديتها بـ(على)، لأن استحب تضمنت معنى- آثر- كأن مضمون التعبير: إن استحبوا الكفر مؤثرين له على الإيمان. إذًا فرقٌ كبيرٌ بين (أحب) و(استحب). فلكلٍّ منهما معنى.. ولكلٍّ منهما فائدة، ولا يمكن أن تحلَّ إحداهما محل الأخرى. [٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٧٩]. فهو عليه السلام إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء وإليه تنسب الملة، وكان شيخ الحنفاء لأربعة أمور: جعل ماله للضيفان، وجعل بُدْنَهُ للنيران، وجعل ولده للقربان، وجعل قلبه للرحمن... [٨٠] ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الأنعام: ٨٠]. ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦]. ما الفرق بين "الرُّشْدُ والهُدى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمُّ، ورودها في الشر لم يتعد موضوعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشْد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أو إلى باطل، إلى صوابٍ كان أو إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر.

[٧٤] ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قوله تعالى: ﴿ءَازَرَ﴾ قرئ: (آزرُ) بضم الراء على أنه منادى. وقرئ: (آزرَ) بفتح الراء نيابة عن الكسرة للعلمية أو الوصفية والعجمة وهو بدل من أبيه، أو عطف بيان له إن كان لقبًا، ونعت لأبيه أو حال إن كان وصفًا بمعنى: المعوج، أو المخطئ، أو الشيخ الهرم، وقيل: اسم صنم، فنصبه بفعل تقديره: "أتعبد". [٨٠] ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ قرئ: (أتحاجوني) بنون خفيفة. وقرئ: (أتحاجونّي) بنون ثقيلة على الأصل لأن الأولى: نون الرفع، والثانية: نون الوقاية، وفيها لغات ثلاث: الفك مع تركهما، والإدغام، والحذف لإحداهما، والمحذوفة هي الأولى عند سيبويه ومن تبعه، والثانية عند الأخفش ومن تبعه.

[٧٤] ﴿أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات في القرآن. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾: بشرك. فأما الذنوب فلس يبرأ منها أحد. وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾». ٨٣- ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾: أي ما تقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليهم، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالهداية، كما رفعنا إبراهيم. ٨٧- ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخترناهم، واصطفيناهم. ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾: سددناهم ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى طريق غير مُعْوَج، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله لأنبيائه وعباده. ٨٨- ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾: يعني: هؤلاء الذين هديناهم وفعلنا بهم، ﴿لَحَبِطَ﴾: لبطل. ٨٩- ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾: قيل: هم كفار قريش المعاندون لرسول الله. والضمير في (بها) للنبوّة، أو للكتاب والحكم والنبوّة. ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾: هم الأنبياء المذكورون قبل، وقيل: هم الأنصار وأهل المدينة. ٩٠- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: من ذكر من النبيين الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والنبوة ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾: معنى الاقتداء بالرجل - في كلام العرب: اتباع أثره في القول والفعل والسيرة. واختلف الناس: هل كان رسول الله قبل مبعثه متعبدًا بشرع من كان قبله؟ فقالت طائفة: كان متعبدًا بشرع إبراهيم. أو بشرع موسى. وقالت طائفة: لم يكن متعبدًا بشرع من كان قبله. قال ابن عطية: وهو الذي يترجح. ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ آخذه منكم.

[٨٢] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر، عن بكر بن سوادة، قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلًا، ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم»، فضرب فرسه، فدخل فيهم، ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلًا، ثم آخر، ثم آخر، ثم قُتل، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية.

[٩٠] ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٩٠]، ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : ٢٣]. الآيتان تبينان أن النبي ﷺ لا يسأل المشركين عوضًا من أموالهم عن الحق الذي جاءهم به، وإنما أجره على الله، وآية الأنعام تبين أن الإسلام هو دين الحق... وأمّا آية الشورى فتوضح أن النبي ﷺ لا يسأل المشركين شيئًا إلا أن يوَدُّوه في قرابته منهم، ويصِلوا الرحم التي بينه وبينهم... [٩٠] ﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٩٠] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف : ١٠٤، ص : ٨٧، القلم : ٥٢، التكوير : ٢٧]. جاءت: ﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ بالأنعام مؤنثة، لأنه تقدم الآية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : ٦٨]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ٦٩]، فناسب: ﴿ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [الأنعام : ٨٤]. كيف ذكر في معرض الامتنان من أولاده إسحاق، ولم يذكر معه إسماعيل، بل أخّره عنه بدرجات، مع أنه أكبر منه ؟ الجواب: لأنّ إسحاق وُهب له من حُرّة، وكانت عجوزًا عقيمًا، وإسماعيل من أَمَة، فكانت المنّة في هِبة إسحاق أظهر، وقيل: لأن القصد هنا ذكر أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحاق، وإسماعيل لم يخرج من صلبه نبي إلا محمد ﷺ. [٨٤-٨٦] ﴿۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء : ١٦٣]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ [الأنعام:٨٤-٨٦]. لماذا رَتَّب الأنبياء في النساء غير ترتيبهم في الأنعام؟ الجواب: آية النساء نزلت ردًا إلى قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾ [النساء : ١٥٣]، ردًا على قول المشركين: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء : ٩٣]، فبيَّن هنا أنه ليس كل الأنبياء أنزل عليهم كتابًا، بل بعضهم بوحي، وبعضهم بكتب، وبعضهم بصحف، فقدم نوحًا لعدم وجود كتاب نزل عليه مع نبوته، وأجمل النبيين من بعده، ثم فصلهم: فقدَّم إبراهيم لإنزال صحفه، وتلاه بمن لا كتاب له، ثم قدَّم عيسى للإنجيل، ثم تلاه بمن لا كتاب له، وهم: أيوب ومن بعده، ثم قدَّم داود وزبوره، وتلاه بمن لا كتاب له ممن قصَّهم أو لم يقصهم، ثم ذكر موسى لبيان أن تشريفه للأنبياء ليس بالكتب، ولذلك خص بعضهم بما شاء من أنواع الكرامات: إما بتكليم أو إسراء، أو إنزال كتاب، أو صحيفة، أو وحي على من يشاء، فناسب هذا الترتيب ما تقدَّم، أما آيات الأنعام: فساقها في سياق نعمه على إبراهيم ومن ذكره من ذريته، ففرق بين كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما، فداود وسليمان بالملك والنبوة، وأيوب ويوسف بنجاتهما من الابتلاء، ذاك بالمرض وهذا بالسجن، وموسى وهارون بالأخوة والنبوة، وزكريا ويحيى بالشهادة، وعيسى وإلياس بالسياحة، وإسماعيل واليسع بصدق الوعد، ويونس ولوط بخروج كل واحد منهما من قرية من بُعث إليه، ونجاة يونس من الحوت، ولوط من هلاك قومه، والله أعلم. [٩٠] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٩٠]. يوجب الإقتداء بأهل الخير ممن يُتيقن العلم أنهم مقيمون على الحق، ولا يكون ذلك إلا للأنبياء، فأما من دونهم وإن كانوا يعرفون من الحق، ولا يظن بهم سواه، فالاقتداء بهم غير واجب...

[٨٣] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ قوله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ هنا ويوسف : ٧٦، قرئ: (درجاتٍ) بالتنوين فيهما فيحتمل النصب على الظرف و(من) مفعول، أي: (نرفع من نشاء مراتب ومنازل) أو على أنه مفعول ثان قدم على الأول، بتضمين نرفع معنى فعل يتعدى لاثنين وهو نعطي مثلًا، أي: نعطي بالرفع من نشاء درجات، أي: رتبًا، فالدرجات هي المرفوعة، وإذا رُفِعَتْ رُفِع صاحبها، أو على الحال، أي: ذوي درجات، وقرئ: (درجاتِ) بغير تنوين فيهما على الإضافة فدرجات مفعول (نرفع). [٨٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ واختلف في ﴿وَالْيَسَعَ﴾ هنا وص : ٤٨، قرئ: (واللَّيْسع) بتشديد اللام المفتوحة وإسكان الياء في الموضعين على أن أصله لَيْسَع كضيغم، وقدر تنكيره فدخلت (أل) للتعريف ثم أدغمت اللام في اللام. وقرئ: (واليَسع) بتخفيف اللام وفتح الياء فيهما على أنه منقول من مضارع والأصل يوسع كيوعد، وقعت الواو بين ياء مفتوحة وكسرة تقديرية؛ لأن الفتح إنما جيء به لأجل حرف الحلق، فحذفت كحذفها في دع ويضع ويهب، وبابه.

[٧٥] ﴿مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

٩١- ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما أجلّوه حق جلاله ولم يعرفوه معرفته ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: من كتاب، هذا قول بعض اليهود يومئذ ﴿قَرَاطِيسَ﴾: صحفاً وأوراقًا مفرقة تبدون بعضها، وتخفون بعضها الآخر. وتشير الآية إلى ما يعرف عند اليهود بالأسفار الخفيّة. وهي في نظرهم أسفار مقدسة، أي موحيٌ بها، ولكن أحبارهم ورهبانهم رأوا إخفاءها. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: يعني: اليهود، علّموا من الوحي الذي نزل على محمد ﷺ ما لم يعلموا من كتبهم، ولا علمه آباؤهم. وقيل: في: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إنه عنى بهم مشركي قريش دون اليهود؛ وكان مجاهد يقرأ: «يجعلونه قراطيس» بالياء، و«يبدونها ويخفون» كذلك. ﴿خَوْضِهِمْ﴾: فيما يخوضون فيه ﴿يَلْعَبُونَ﴾ وهذا وعيد من الله تعالى. ٩٢- ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ﴾: يعني: القرآن، والكتاب من أسماء القرآن، وهذان الاسمان صنوان. ﴿مُصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ما تقدمه من كتب الله ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: مكة. قال قتادة: وبلغني أن الأرض دُحيت من مكة. ٩٣- ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: قيل: نزلت في مسيلمة والأسود العنسي وسائر مدّعي النبوة من الكذابين. وتشمل الآية كل من زعم أن الوحي ينزل عليه، ومعلوم أن وفاة النبي كانت إيذانًا بانقطاع الوحي وانتهاء العصمة. ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: العادلون بربهم، أي المساوون به غيره من الأصنام والأوثان، ﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: سكراته ﴿بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ﴾: عند الموت يضربونهم ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: «الهون»: الذل والهوان. ٩٤- ﴿فُرَٰدَىٰ﴾: جمع فرد ﴿مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾: ملكناكم ﴿شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ﴾: كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: يعني: تواصلهم الذي كان بينهم ﴿وَضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنه شريك ربكم وشافع!

[٩١] قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟» وكان حبرًا سمينًا، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال أصحابه: ويحك ولا على موسى، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. مرسل. [٩٣] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة ومن قال ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب للنبي ﷺ، فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش. وأخرج عن السدي نحوه، وزاد قال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إلي، وإن كان الله ينزله، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعًا عليمًا فقلت: انا عليمًا حكيمًا. [٩٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال النَّضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزي، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿شُرَكَـٰٓؤُا﴾.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، ﴿مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]. الآيات تبين أنه ما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ وآية الأنعام توضح أنهم أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه... أمّا آية الحج فتبين أنهم جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب، وآية الزمر توضح أنهم عبدوا مع الله غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة... [٩٢] ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ...﴾ [الأنعام : ٩٢]، ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ ...﴾ [الشورى : ٧]. الآيتان تبينان أن الله ما أرسل محمدًا ﷺ إلا لينذر أهل "مكة" ومَن حولها مِن سائر الناس، وآية الأنعام توضح أن الذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها، أمّا آية الشورى فتبين أن يوم القيامة، لا شك في مجيئه... [٩٣] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ...﴾ [الأنعام : ٩٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ ...﴾ [سبأ : ٣١]. آية الأنعام تبين حال الظالمين عند الموت وما يلاقون من العذاب...، أمّا آية سبأ فتوضح حال هؤلاء الظالمين يوم القيامة والعرض للحساب... [٩٣] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣]، ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠]. الآيتان تبينان جزاء الظالمين والكافرين يوم القيامة، وآية الأنعام توضح أنه في هذا اليوم يهان الظالمون غاية الإهانة... أمّا الأحقاف فتبين أن هؤلاء الكفار يُجزون عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كانوا يخرجون عن طاعة الله. [٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام : ٩٤]، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف : ٤٨]. سياق آية الأنعام فيه إشارة إلى ما عُبد من دون الله تعالى، فجيء بلفظ ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ لتحقيق أن تلك الآلهة وتلك المعبودات لا تنفعهم، وأنهم يلاقون مصيرهم يوم القيامة منفردين كما خلقوا، أمّا آية الكهف فخلا سياقها من تلك الإشارة التي في الأنعام، فجاء سياق الآية بحذف ﴿فُرَٰدَىٰ﴾.

[٩١] ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ - ﴿تُبْدُونَهَا﴾ - ﴿وَتُخْفُونَ﴾ قرئ: (يجعلون – يبدون – ويخفون) بالغيب في الثلاثة على إسناده للكفار مناسبة لقوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره)؛ وقرئ: (تجعلون – تبدون – وتخفون) بالخطاب فيهن لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، وما بعده من قوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ﴾. [٩٢] ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ قرئ: (ولينذر) بياء الغيبة، والضمير للقرآن وللرسول للعلم به عليه الصلاة والسلام. وقرئ: (ولتنذر) بتاء الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، فهو فاعل الإنذار. [٩٤] ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ قرئ: (بينكم) بنصب النون ظرف لتقطع، والفاعل مضمر يعود على الاتصال لتقدم ما يدل عليه وهو لفظ شركاء، أي: تقطع الاتصال بينكم. وقرئ: (بينكم) برفع النون على الوصل، والمعنى: لقد تقطع وصلكم.

[٩٢] ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام : ٩٢]. **مركز الأرض**: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن مكة المكرمة مركز الأرض، وقد أُجريت الأبحاث الحديثة، فتبين من خلالها أن مكة تتوسط اليابسة. [٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام : ٩٩]. **التراكب في الحب والثمار في النباتات والصبغة الخضراء**: جهل الناس عمومًا كيف يتكون الحب والثمار في النبتة، كما جهلوا كيف تتكون أجزاء النبات المختلفة، وأخذ العلماء يدرسون علم النبات وكيف يكوِّن النبات حبوبه وثماره لعلنا نقدر على محاكاة هذه الحقيقة الغائبة عن تصورنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾

٩٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾: يفلق الحب والنوى عن النبات، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: النامي من النبات والشجر من الحبّة الميتة ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: إشارة إلى إخراج الحبّ اليابس من النبات والشجر. وقيل: مخرج النطفة الميتة من الحي، وقال الحسن البصري: المعنى: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته. ٩٦- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاقُّ عمود الصبح عن سواد الليل وظلمته، والإصباح: إضاءة الفجر ﴿سَكَنًا﴾: يسكن فيه كل متحرك بالنهار، ويهدأ فيستقر في مكانه ومأواه ﴿حُسْبَانًا﴾: أي: يجريان بحساب في أفلاكهما، فإذا كملت أيامهما فذلك آخر الدهر، وأول الفزع الأكبر. و«الحسبان»: جمع حساب، وقيل: المعنى: جعلهما محل حساب تتعلق به مصالح العباد. ٩٧- ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ إذا ضلُّوا الطريق فتحيروا ولم يهتدوا. ٩٨- ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: يعني آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: المستقر: ما استقر في الأرحام، والمستودع: حيث يموت. وقيل: المستودع: ما كان في أصلاب الرجال. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون. ٩٩- ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: يعني: من الماء ﴿خَضِرًا﴾: هو الأخضر الرطب من الزرع ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: هو ما في السنبل من الحب ﴿قِنْوَانٌ﴾: جمع قنو، وهي: العذوق، والمعنى: أن القنوان أصله من الطلع. والعذق هو عنقود النخل، ﴿دَانِيَةٌ﴾ متهدلة قصار قريبة من الأرض. اي أنها سهلة المجتبى. ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ما يشابه ورقه، ويختلف ثمره وطعمه ﴿وَيَنْعِهِ﴾: نضجه وانتهائه. ١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾: بمعنى: والله خلقهم ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: تخرصوا وكذبوا، من قول العرب في الملائكة: بنات الله، وقول اليهود في عُزير، والنصارى في المسيح ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾: تنزه وعلا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾. ١٠١- ﴿بَدِيعُ﴾: مبدع، وخالق على غير مثال سبق، ﴿أَنَّىٰ﴾: بمعنى: من أي وجه.

[٩٥] ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧، يونس: ٣١، الروم: ١٩]. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مناسب في المعنى لفلق الحب والنوى عن الخارج عنهما؛ فجيء بالياء كالشرح له، ثم عطف ﴿وَمُخْرِجُ﴾ على ﴿فَالِقُ﴾، لأن عطف الاسمية على الاسمية أنسب وأفصح، ولما فيه من المقابلة للجملة المتقدمة، وسائر المواضع بالياء؛ لأن الجملة قبلها فعلية فعطف عليها بفعلية. [٩٧-٩٩] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. من أحاط علمًا بما في الآية الأولى صار عالمًا لأنه أشرف العلوم فختم الآية بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والآية الثانية مشتملة على ما يستدعي تأملًا وتدبرًا، والفقه علم يحصل بالتدبر والتأمل والتفكر، ولهذا لا يوصف به الله سبحانه وتعالى، فختم الآية بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾، ومن أقر بما في الآية الثالثة صار مؤمنًا حقًا فختم الآية بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. [٩٨] ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١، الأعراف: ١٨٩، الزمر: ٦]. ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بالأنعام لموافقة ما قبلها وهو: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وما بعدها: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]. [٩٩] ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤١]. الاشتباه هو شدة التشابه إلى حد يؤدي للالتباس، أما التشابه فلا يصل إلى حد اللبس، فالاشتباه أدق وأقوى وأكثر دلالة على القدرة، والآية الأولى فيها بيان القدرة وتعداد الأعمال في موضع تدبر ودعوة للنظر: ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾، فكان من المناسب أن يأتي بما هو أدل على القدرة، أمّا الآية الثانية فهي في سياق ذكر الأطعمة وتعدادها وليس التدبر والنظر، وفي نهايتها قال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، وليس مقام توجيه النظر إلى دلائل القدرة مباشرة، وقد نفى التشابه في الحالتين ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، ولكنه لم ينفِ الاشتباه، لأن نفي التشابه ينفي الاشتباه، ونفي الاشتباه لا ينفي التشابه، فلو نفي الاشتباه لبقي التشابه. [٩٩] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ [الأنعام: ٩٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ في هذه السورة بحضور الجماعات، وظهور الآيات، عم الخطاب، وجمع الآيات. [١٠٠] ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. آية الأنعام تتحدث عن المشركين الذين كذبوا على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات، جهلًا منهم بما يجب له من صفات الكمال. [١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]. الآيتان تبينان أن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وموجدهما على غير مثال سبق، وآية البقرة توضح أنه سبحانه إذا قدّر أمرًا وأراد كونه فإنما يقول له: "كن" فيكون، وأمّا آية الأنعام فتبين أن الله منزه عن الولد والصاحبة...

[٩٦] ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾ قرئ: (وجعَلَ الليلَ) بفتح العين واللام من غير ألف فعلًا ماضيًا، و﴿اللَّيْلَ﴾ بالنصب مفعول به مناسبة لما بعده من ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾... الخ. وقرئ: (وجاعِلُ الليلِ) بألف بعد اللام وكسر العين وضم اللام، وكسر اللام الثانية عطفًا، على "فالق الإصباح". [٩٨] ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ قرئ: (فمستقِر) بكسر القاف اسم فاعل مبتدأ والخبر محذوف، أي: فمنكم شخص قارٌّ في الأصلاب، أو البطون، أو القبور. وقرئ: (فمستقَر) بفتحها اسم مكان أو مصدر، أي: فلكم مكان تستقرون فيه أو استقرار، وهو مرفوع أيضًا بالابتداء. [٩٩] ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿ثَمَرِهِ﴾ موضعا هذه السورة ويس: ٣٥، قرئ: (ثُمُره) بضم الثاء والميم جمع ثمرة كخَشَبة وخُشُب. وقرئ: (ثَمَره) بفتح الثاء والميم فيهن اسم جنس، كشَجَر وشَجَرة، وبَقَر وبَقَرة. [١٠٠] ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا﴾ قرئ: (وخرَّقوا) بتشديد الراء للتكثير. وقرئ: (وخرَقوا) بالتخفيف بمعنى الاختلاق، يقال: زعم الإفك وخرقه واختلقه وافتراه وافتعله بمعنى كذب، لأن المشركين ادعوا أن لله بنات، والنصارى: أن المسيح ابن لله، واليهود: ادعت العزير ابن الله، فكثر ذلك من كفرهم، فتشديد الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

= ثم اكتشف علماء النباتات التمثيل الضوئي أو التمثيل الكلوروفيلي، حيث وجدوا أن في النبات مصانع خضراء صغيرة "بلاستيدات خضراء"، هي التي تعطي النبات لونه الأخضر، ومنها تخرج الموادالغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار وسائر أجزائه، وبعد سقيه بالماء يخرج النبات من البذور في الأرض، وهذه المصانع الخضراء هي أول ما يخرج من الحبة عند بدء نموها، كما قالت الآية الكريمة في سورة الأنعام، فالآية أشارت لحقيقة المادة الخضراء، وأنه -سبحانه وتعالى- يُخرج منها الحبوب والثمار متراكبة، فالحديث هنا عن الصبغة الخضراء المعروفة بالكلوروفيل، لا عن النبات.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢- ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: رقيب وحفيظ. ١٠٣- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: بمعنى: لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بالأبصار. قال الزجاج: أي لا تبلغ كنه حقيقته، أما مجرد الرؤية فلا شك في حصولها للمؤمنين في دار النعيم، وقيل: لا يراه شيء، وهو يرى الخلائق. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: أي الرفيق بعباده، يقال: لطف فلان بفلان: أي رفق به. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: المختبر لباطن أمورهم وظاهرها؛ بحيث لا يخفى عليه شيء. ١٠٤- ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: ما تبصرون به الهدى. ١٠٥- ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾: قرأت وتعلمت، وكان المكذبون يقولون ذلك: للنبي ﷺ. واللام للعاقبة أو الصيرورة؛ أي صار أمرهم إلى أن قالوا له: يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيئنا به. ١٠٧- ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظ وتحصي عليهم أعمالهم. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بقيِّم، بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم، ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة. ١٠٨- ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: آلهتهم التي كانوا يعبدونها؛ ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا﴾: ظلماً وجهلاً. والآية أصل في سدّ الذرائع في شريعة الإسلام. ١٠٩- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: يعني: كفار قريش حلفوا أوكد أيمانهم وأشدها؛ ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، ويؤمنوا به أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعو، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: «ما شئت؟ فإن شئت أصبح ذهباً، ولئن أرسل الله آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم؛ وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم»، فقال رسول الله ﷺ: «بل يتوب تائبهم». أخرجه الطبراني وأحمد، وصححه الألباني. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: يدريكم ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: أوجب عليهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ١١٠- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: نحول بينهم وبين الإيمان، يعني: المشركين الذين أقسموا بالله. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون.

[١٠٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢]. لما تقدم في الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك ردًا عليهم، ثم ذكر الخلق، ولما تقدم في غافر كونه خالقًا بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد. [١٠٤] ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. ما الفرق بين: (حافظ، حفيظ)؟ الجواب: وردت كلمة (حافظ) مرتين، بينما وردت كلمة (حفيظ) إحدى عشرة مرة. كلمة (حافظ) اسم فاعل، بينما كلمة (حفيظ) صيغة مبالغة على وزن (فعيل). في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] لم يكن المقصود التوكيد على الحفظ، وإنما بيان نوع القائم على كل نفس. ثم إن توكيد السياق والمعنى ورد بلفظي (إن)، و(لما). وفي قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] كان المقصود بيان النوع لذا جاءت كلمة (حافظا) تمييزًا، وما احتاج المعنى إلى كلمة (حفيظ). أما في المواضع التي احتاجت إلى توكيد ومبالغة في الحفظ فجاءت كلمة (حفيظ)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، فالإشراك فعلٌ بالغ في السوء، ولذلك ناسبه ذكر صيغة فيها توكيد (حفيظًا). وهكذا في باقي المواضع الأخرى. [١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ما الفرق بين (العَدَاوة، العدوان، العَدْو)؟ الجواب: وردت كلمة (العداوة) ست مرات. وكلمة (العدوان) ثماني مرات. وكلمة (العدو) مرة واحدة. (العداوة) تتعلق بالقلوب؛ ولذلك ارتبطت هذه الكلمة بكلمة البغضاء (وكلاهما قلبي)، و(العدوان) يتعلق بتجاوز العدالة (ويتعلق بالجوارح). و(عدوًا) تتعلق بتجاوز العدالة تجاه الله -تعالى- خاصة. وقد جاءت هذه الكلمة على هذه الصورة الغريبة لأن الاعتداء على حقٍّ من حقوق الله تعالى سلوكٌ شاذٌ وغريبٌ عن الفطرة السوية، لذا كانت الصيغة المعبرة عن ذلك شاذة غريبة، ولها من الظلال ما لها، فهي في سياقها تعني (الركض)، والركض: هو العدو، ويعني تجاوز الاعتدال في المشي، فجُسِّد به المعنى تجسيدًا. [١١٠] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. ما الفرق بين: "العَمَى، العَمَهُ"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها ويُستعار (العَمَه) للحيرة والتردد النفسي. [١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ قوله تعالى:

﴿دَرَسْتَ﴾ قرئ: (دارسْتَ) بألف بعد الدال، وسكون السين وفتح التاء على وزن قابلت، أي: دراست غيرك، أي: دارست أهل الكتاب ودارسوك، أي: ذاكرتهم وذاكروك، ودل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾. وقرئ: (درسَتْ) كذلك بغير ألف وفتح السين وسكون التاء بزنة ضربَتْ أي: قدمت وبليت، فأسند الفعل للآيات. وقرئ: (دَرَّسْتَ) بغير ألف وسكون السين وفتح التاء، أي: حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين وكتبهم. [١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿عَدْوًا﴾ قرئ: (عُدُوا) بضم العين وتشديد الدال، وقرئ: (عَدْوًا) بالفتح والسكون والتخفيف، يقال: عدا عدوًا، وهما لغتان. [١٠٩] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهَآ﴾ قرئ: (إنها) بكسر الهمزة؛ لأن معناه استئناف إخبار بعدم إيمان من طبع على قلبه، ولو جاءتهم كل آية. وقرئ: (أنها) بفتح الهمزة على أنها بمعنى "لعل" على قول الخليل، وحكي عن العرب: ائت السوق إنك تشتري لنا شيئًا، أي "لعلك"، ويجوز: أن يعمل فيها: (يشعركم) فيفتح على المفعول به؛ لأن معنى شعرت به دريت، فهو في اليقين كعلمت، وتكون (لا) زائدة في قوله: لا يؤمنون. والتقدير: ما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية إذا جاءتهم يؤمنون، وذلك على قراءة (يؤمنون بالياء) ويكون يشعركم خطابًا للمؤمنين، والضمير في يؤمنون للكفار، وأما من قرأ (تؤمنون) فالخطاب في يشعركم للكفار، والتقدير: "وما يشعركم إيمانهم" فالمفعول محذوف، ثم استأنف مخبرًا عنهم بما علم فيهم من عدم الإيمان بعد اقتراح الآيات، ولا يحسن فتح (إن) على إعمال يشعركم فيها و"لا" غير زائدة؛ لأن ذلك يكون عذرًا، ويصير المعنى: وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآية (إذا جاءتهم لا يؤمنون)

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١١١- ﴿قُبُلًا﴾: جمع قبيل، أي: وجمعنا عليهم كل شيء، ضُمناء وكُفلاء بالذي نعدهم به، ونوعدهم، أو بصدق محمد ﷺ - ما آمنوا. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: وقيل: «قبلاً»: معاينة. والمعنى: أن الله تعالى لو جاءهم بجميع ما اقترحوه من إنزال الملائكة، وإحياء سلفهم... فيخبر بصدق محمد، أو يجمع عليهم كل شيء يعقل أن يحشر عليهم، ما آمنوا إلا بالمشيئة واللطف الذي يخلقه في نفس من شاء من لا ربَّ غيره. وقيل: نزلت هذه الآية في المستهزئين. ١١٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾: بمعنى: من شياطين الإنس والجن، وهم مردتهم ﴿يُوحِي﴾: يلقي ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: المزين بالباطل ﴿غُرُورًا﴾: خداعاً وصداً عن الصواب إلى الخطأ ﴿فَذَرْهُمْ﴾: يعني: الشياطين من مشركي قومه، الذين كانوا يجادلونه فيما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن. ١١٣- ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾: تميل ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: وليكتسبوا ما هم مكتسبون. يقال: خرج الرجل يقترف أهله، أي يكسبهم، ويقال: قارف فلان الأمر؛ إذا عمله وواقعه. ١١٤- ﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكِّين. ١١٥- ﴿وَتَمَّتْ﴾: أي استمرت وصحّت في الأزل. وليس بتمام من نقص. ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قرأ الكوفيون: ﴿كَلِمَتُ﴾ بالإفراد. وقرأ الباقون بالجمع. والمراد: نفاذ كلمات الله ﴿صِدْقًا﴾: فيما تضمنته من خبر، ﴿وَعَدْلًا﴾: فيما تضمنته من حكم. ١١٦- ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: أي أنهم في أمرهم على ظن وحسبان لا على صحة عزم عليه، وإن كان خطأ في الحقيقة ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يظنون. ١١٨- ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مما ذكّيتم من ذبائحكم، أو ما ذبحه من دان بتوحيد الله من أهل الكتاب؛ دون ما يذبحه أهل الأوثان، والقصد من الآية: النهي عما ذبح للنُّصُب وغيرها، وعن الميتة وأنواعها.

[١٠٩] قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصًا يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم الناقة فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟» قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، قال: «فإن فعلت تصدقوني؟» قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبًا، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾. [١١٨] قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا ﴾ الآية. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ وأخرج أبو داود، والحاكم، وغيرهما عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ قال: قالوا: ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزل الله الآية. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام؟ فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش.

[١١٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٣١]. الأيتان تبينان أن للأنبياء أعداء، وآية الأنعام تبين نوع هؤلاء الأعداء بأنهم من الجن والأنس... أمّا آية الفرقان فتصف هؤلاء الأعداء بالمجرمين... وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ. [١١٢] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. لماذا جاء بالآية الأولى ذكر "الرب" والآية الثانية "الله"؟ الجواب: لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾، وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب مرات ومنها: ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، فختم بذكر الرب ليوافق آخرها أولها، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾، وقع بعد قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦] فختم بما بدأ فيه. [١١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١١٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [النحل: ١٢٥، النجم: ٣٠، القلم: ٧]. الأصل إثبات الباء كما جاء في غير سورة الأنعام، لأن "أفعل" فيه معنى الفعل، وهو لا يعمل في المفعول به، فيزيد بعده حرف الجر "الباء" تقوية للعمل، والحذف في آية الأنعام إنما هو لموافقتها مع آية أخرى في السورة نفسها، يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقد عدل إلى لفظ المستقبل، لأن أكثر ما يستعمل "أفعل" مع الماضي، والباء إذا حذفت قبل "من" التبس اللفظ بالإضافة، لأن أكثر الإضافة تكون مع الماضي، فلو قلنا: الله أعلم بمن ضل، بالماضي، سيكون هناك التباس في المعنى، أي: أن هناك عالمًا بمن ضل، والله تعالى أعلم منه، تعالى الله وتنزه عن ذلك، ومن هنا لما حذفت الباء جيء بالمستقبل تحاشيًا من توهم الإضافة.

= أي: لعلهم يؤمنون إذا جاءتهم، فيكون تأخير الآية عنهم عذرًا لهم في ترك الإيمان، وهذا لا يجوز؛ لأن (الله قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) وذلك بمشيئته وإرادته، فإن جعلت (لا) زائدة حسن عمل (يشعركم) في (إن) لأن التقدير على ذلك يكون: (وما يشعركم إنها إذا جاءت يؤمنون) أي: لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية التي اقترحوها، وهذا كله إنما يصح على قراءة من قرأ "يؤمنون" بالياء، فأما من قرأ (تؤمنون) بالتاء فالخطاب في يشعركم للكفار المقترحين الآية، وهي في مصحف أبيٍّ كذلك، أو على تقدير لام العلة، والتقدير: إنما الآيات التي يقترحونها عند الله لأنها إذا جاءت لا يؤمنون، و(ما يشعركم) اعتراض بين العلة والمعلول. قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قرئ: (لا تؤمنون) بالخطاب مناسبة ليشعركم على أنها للمشركين، وقرئ: (لا يؤمنون) بالغيب على توجيه الكاف للمؤمنين والياء للمشركين. [١١١] ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُبُلًا ﴾ قرئ: (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى مقابلة، أي: معاينة، ونصب على الحال وقيل: بمعنى ناحية وجهة، فنصبه على الظرف نحو: في قِبَل زيد دَيْن. وقرئ: (قُبُلًا) بضم القاف والباء جمع قبيل كرغيف ورُغُف، ونصبه على الحال أيضًا، وقيل: بمعنى جماعة جماعة، وصنفًا صنفًا، أي: حشرنا عليهم كل شيء فوجًا فوجًا، ونوعًا نوعًا من سائر المخلوقات. [١١٤] ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مُنَزَّلٌ ﴾ قرئ: (منزَّل) بتشديد الزاي من نزَّل، والتضعيف للتكثير. وقرئ: (منزَل) بتخفيفها من أنزل. [١١٥] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ كَلِمَتُ ﴾ هنا ويونس: ٣٣، ٩٦، وغافر: ٦، قرئ: (كلمة) بغير ألف على التوحيد في الثلاثة على إرادة الجنس، وقيل: المراد من كلمة بالتوحيد هو: قول لا إله إلا الله عند =

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: يعني: أي شيء يمنعكم من أن تأكلوا: ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم﴾: باتباعهم أهواءهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: منهم بصحة ما يقولون. ١٢٠- ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: سره وعلانيته. وقيل: معناه هاهنا: الظاهر منه: ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾: وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾. الآية. و«الباطن»: الزنا. ١٢١- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي: مما مات فلم تذبحوه أنتم ولا موحد يدين الله بشرائع شرعها له في كتاب منزل. ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: مما ذبحه المشركون لأوثانهم، ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ معصية ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: قيل: عنى بذلك مجوس فارس، كانت تكتب إلى مشركي قريش بما كانت تحتج به في أكل الميتة، فكانوا يقولون: تأكلون ما قتل الكلب والصقر، ولا تأكلون ما قتل الله! ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾: أي: قد صرتم مثلهم، إذا استحللتم الميتة بعد تحريمها عليكم، كما استحلوها هم. ١٢٢- ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: هديناه: قيل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: يعني الشرك هاهنا. وقيل: عُني بهذا أبو جهل لعنه الله. ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أبداً ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: زُين إليهم الكفر، وكرِّه إليهم الإيمان. ١٢٣- ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾: عظماء مجرميها، و«الأكابر»: جمع أكبر كما يقال: الأفاضل جمع أفضل ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: بغرور من الباطل؛ أو بباطل من الفعل. و«المكر»: الخديعة والاحتيال للممكور به ليورطه مكروهاً من الأمر. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ما يحيق مكرهم إلا بهم. ١٢٤- ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: حجة من الله على نبوة محمد ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾: لن نصدق ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ﴾: نُعطى ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: هو أعلم بمن تخير لرسالته، وإليه الخيار لا لمن أرسل إليه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: يعني: المكذبين المذكورين ﴿صَغَارٌ﴾: ذلة. [١٢٢] قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ الآية.

أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال نزلت في عمر وأبي جهل وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله. [١٢٢] ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]. موضع سورة الأنعام الكلام قبله كان عن الذين هم في الظلمات وأنهم ليسوا بخارجين منها، وأولئك هم الكفار، فناسب: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، أمَّا موضع سورة يونس فالكلام قبله عن الإنسان، وأنه إذا مسه الضر تضرع إلى الله، فلما كشف عنه الضر نسي ما كان فيه من الضر وترك الشكر لربه الذي فرَّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، فناسب ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والمسرفون هم: المتجاوزون للحد. [١٢٥] ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]. كذلك يجعل الله العذاب على الذين لا يؤمنون به، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، وأمَّا آية يونس: ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه. [١٢٨] ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣، ١٢٨، ١٣٩، الحجر: ٢٥، النمل: ٦] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿عَلِيمٌ﴾ حَكِيمٌ. متى تذكر ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟ الجواب: أنه إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدم العلم، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء تقدم الحكمة، وحتى تتضح المسألة فتأمل هذه الآيات: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، السياق في العلم فقدم العلم، وكذلك ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وفي يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، فيهما حديث عن العلم، فقدم العلم، ونأتي للجزاء، الجزاء حكمة وحُكم: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، هذا جزاء، هذا حاكم يُحكم تقدير الجزاء والحكم، فقدم الحكمة، وليس بالضرورة أن يكون العالم حاكمًا، فليس كل عالم حاكمًا، ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، هذا تشريع والتشريع حكم وحكمة، والله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع، وعلى هذا عندما يكون السياق في العلم يقدم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم تقدم الحكمة.

[١٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾ [النحل: ١١٥]. ما الفرق بين: (الميِّت والمَيْت)؟ الجواب: استعمل القرآن الكريم كلمة (ميِّت) بتحريك الياء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روحٌ نشأت عنها الحياة، وسيموت يومًا ما، مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (ميّت) و(ميتون) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حيٌّ وهم أحياء، وكلمة (ميِّتون) تشمل كل حيٍّ بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعًا، فالموت سُنَّةٌ من سُنَنِ الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (مَيْت) بتسكين الياء، للدلالة على مَن كان حيًّا حياةً حقيقية، ثم مات موتًا حقيقيًا وفارقت روحُه بدنه. وقد جاءت كلمة (مَيْت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفًا مجازيًا خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع، و(الأرض) في موضع واحد، و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. وُصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(مَيْت) تشبيهًا لهما بالمَيْت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حُذف فيها المشبه وذُكر المشبه به. وَوُصِفَ الجاهلُ أو الضالُّ أو الكافر بـ(مَيْت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتًا حقيقيًا وبين الجاهل والضال والكافر هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. = أكثر المفسرين، والواحد في مثل هذا يدل على الجمع. وقرئ: (كلمات) بالجمع لأن كلماته تعالى متنوعة أمرًا ونهيًا وغير ذلك، وقد أجمع على الجمع في ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [١١٩] ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قرئ: (فُصِّل - حُرِّم) بضم الفعلين، على بنائهما للمفعول. وقرئ: (فَصَّل - حَرَّم) بالفتح فيهما على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل. قوله تعالى: ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ هنا، و﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا﴾ يونس: ٨٨، قرئ: (لِيُضلون) بضم الياء، ومعناه: ليضلون غيرهم. وقرئ (لَيَضلون) بفتح الياء، ومعناه: ليضلون في أنفسهم. ويكون معنى "بأهوائهم": باتباع أهوائهم.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١)

١٢٥- ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: ويقذف فيه نوراً ينفسح به. ﴿حَرَجًا﴾: «الحرج»: أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذ منه شيء من شدة ضيقه؛ وأصله من الحرج، جمع «حرجة»، وهو الشجر الملتف الذي لا يُنفذ بينه، فيجعل صدر الكافر لا تصل إليه موعظة ولا هدى ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾: إذا كُلّف بالإيمان، فكأنما يتكلف الصعود إلى السماء ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: العذاب. وقيل: هو كل ما لا خير فيه. ١٢٦- ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيّنا ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: آيات الله ويعتبرون بها. ١٢٧- ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنة، و«السلام»: اسم من أسماء الله ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: ناصرهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: من طاعة الله. ١٢٨- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: يعني: اضللتم منهم كثيراً ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: حيث قبلوا منهم تحسين المعاصي فوقعوا فيها وتلذذوا بها. وقيل: كان في الجاهلية ينزل الرجل الأرض فيقول: أعوذ بكبير هذا الوادي؛ وذلك استمتاعهم، أي: استفادتهم المؤقتة. فيعتذرون به يوم القيامة ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: منزلكم، مأخوذ من ثوى فلان مكان كذا؛ إذا أقام فيه ﴿خَٰلِدِينَ﴾: باقين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: قيل: إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة هي المستثناة هنا. ١٢٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: قيل: نجعل بعضهم لبعض أولياء على الكفر. وقيل: يتبع بعضهم بعضاً في النار. ١٣٠- ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا﴾: بأن الرسل قد بلغت ولم يؤمنوا. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: بطلب الرياسة والمنافسة فيها لا أن يسلموا أو يؤمنوا، واتبعوا ما كان أولياؤهم من الجن يأمرونهم من عبادة الأوثان. ١٣١- ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: معناه: غافلون عن النار والإنذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ولم يكن الله ليُهلكهم بظلمهم -إذا ظلموا- دون أن ينذرهم.

[١٢٨] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة به في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟.. [١٢٨] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

[١٣١] ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فقدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بالجزاء الأخروي، فلا عذر لأحد، فلم يتركوا سدى، ولا عذر لمغض ولا متغافل بعد تنبيهه، ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، فهذا مناسب، وتقدم آية هود قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، ولو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين، فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، فقد ناسب كلا الآيتين ما أعقبت به، ولم يكن ليناسب الأنعام ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ولا هود ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾، والله أعلم. [١٣٠] ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾، كرر شهادتهم على أنفسهم؛ لاختلافها باختلاف المشهود به، لأن الأولى شهادتهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية شهادتهم بكفرهم. فإن قيل: شهادتهم بكفرهم تضمنت إقرارهم به، وهو منافٍ لجحدهم له في قوله حكاية عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. الجواب: مواقف القيامة مختلفة، ففي موقف أقرّوا، وفي آخر جحدوا، أو المراد بشهادتهم شهادة أعضائهم عليهم، حين يُختم على أفواههم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، والمراد بجحدهم جحدهم بأفواههم قبل أن يختم عليها.

[١٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتضمن أمورًا: أحدها: أنه يمشي به في الناس بالنور وهم في الظلمة. وثانيها: أنه يمشي فيهم بنوره فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور. وثالثها: أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم... [١٢٤] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: ٤]، ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. من حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل، لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث، عندما تكون كلمة ﴿ءَايَةٌ﴾ بمعنى الدليل والبرهان يأتي الفعل مذكرًا، وإذا كانت كلمة آية بمعنى الآية القرآنية أنث الفعل.

[١٢٤] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ قرئ: (رسالتَه) بالإفراد مع نصب التاء على إرادة الجنس، وقرئ: (رسالاتِه) بالجمع مكسور التاء لأن الرسالات متعددة، وقد تقدم الكلام عليها في المائدة. [١٢٥] ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا﴾ قرئ: (ضَيْقًا) بسكون الياء مخففًا. وقرئ: (ضيِّقًا) بالكسر مشددًا، وهما لغتان كميّت وميْت. قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرئ: (حرِجًا) بكسر الراء مثل: دنف وحذر، ومعناه: الضيق، والمعنى: يجعل صدره ضيقًا، يقال: حرج فلان، أي: أثم. وقرئ: (حرَجًا) بفتح الراء وهما بمعنى واحد. قوله تعالى: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ قرئ: (يصْعَد) بإسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف، مضارع صعد: ارتفع، وقرئ: (يصّاعَد) بتشديد الصاد وبعده ألف، وتخفيف العين وأصلها يتصاعد، أي: يتعاطى الصعود ويتكلفه، فأدغمت التاء في الصاد تخفيفًا، وقرئ: (يصَّعَّد) بفتح الصاد مشددة وبتشديد العين دون ألف بينهما من تصعد، أي: تكلف الصعود.

[١٢٥] ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قلة الأكسجين: آية محكمة تشير بكل وضوح وصراحة إلى حقيقتين كشف عنهما العلم الحديث. الأولى: أن التغير الهائل في ضغط الجو الذي يحدث عند التصاعد السريع في السماء، يسبب للإنسان ضيقًا في الصدر =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١٣٧

١٣٢- ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾: منازل ومراتب: يعني: لكل عامل درجة من عمله يثيبه الله عليها؛ إن خيراً وإن شراً. ١٣٣- ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾: صفة ذات لله عز وجل، لأنه تبارك وتعالى لا يفتقر إلى شيء، وهو مستغنٍ عن خلقه، فلا ينفعه إيمانهم، ولا يضره كفرهم. ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾: أردف الاستغناء بالتفضل. وهذا أجل تناسق كما يقول ابن عطية رحمه الله. ﴿وَيَسۡتَخۡلِفۡ﴾: من بعد إهلاككم ما يشاء من خلقه. ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾: قيل: هم أهل سفينة نوح. وقيل: قوم متقدمون أصلهم آدم. ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، فلم يهلكهم ولا استخلف غيرهم رحمة لهم، ولطفاً بهم. ١٣٤- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: لن تعجزوه هرباً، لأنكم في قبضته سبحانه. ١٣٥- ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ﴾: يعني قريشاً، للمشركين ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: على حالكم وناحيتكم ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾: ما أمرني الله به ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: فستعلمون عند حلول نقمة الله من المحق والمبطل. ١٣٦- ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق: ﴿نَصِيبٗا﴾: قسماً وجزءاً ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي من أنعامهم ويجعلونه للأوثان، وكانوا يسمون لله جزءاً من حرثهم، وهو زرعهم وثمرهم، ولأوثانهم جزءاً؛ فما ذهبت به الريح من حرثهم وثمرهم الذي سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردوه؛ وإن أصابتهم سنة، أي جدب، أكلوا مما جعلوا لله، ولم يأكلوا مما جعلوا للأوثان. ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: أساؤوا في الحكم؛ إذ أخذوا من نصيب الله، ولم يأخذوا من نصيب شركائهم! ١٣٧- ﴿لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: مَن كان يئد البناتِ من مشركي العرب. وكان الوأد في ربيعة ومُضر. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾: لو شاء أن يمنعهم من ذلك، أو يضطرهم إلى تركه لفعل. ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾: زجرٌ ووعيد، وفيه إشارة إلى أن تزيين القتل ونحوه من الفواحش، إنما هو من فعلهم وفعل شركائهم، وأنهم في إضافة ذلك إلى الله تعالى ونسبته إليه كاذبون. ﴿قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ﴾: حسَّن لهم الشيطان وأد البنات ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾: ليهلكوهم ﴿وَلِيَلۡبِسُواْ﴾: يخلطوا.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩]. مقصود آية الأنعام: لكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلِّغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك أيها الرسول بغافل عما يعمل عباده، أمّا آية الأحقاف: لكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وَفْق مرتبته؛ وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم. [١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم ...﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَ ...﴾ [الكهف: ٥٨]. وربك أيها الرسول الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية الكهف: وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجَّل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة، بل لهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، لا مندوحة لهم عنه ولا محيد.

[١٣٥] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]. ما الفرق بين "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلُّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغة المبالغة- ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله -تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: على ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل العلم) يحتاج إلى تفكرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره، واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله- سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيره)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل.

[١٢٨] ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ قوله تعالى: ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ هنا ويونس: ٤٥، قرئ: (يحشرهم) بالياء فيهما مسندًا إلى ضمير الله تعالى. قرئ (نحشرهم) بالنون فيهما إسنادًا إلى اسم الله تعالى على وجه العظمة. [١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ هنا وآخر "هود: ١٢٣، النمل: ٩٣" قرئ: (تعملون) بالخطاب في الثلاثة مراعاة هنا لقوله: (إن يشأ ـ وما بعده ـ كما أنشأكم ـ يذهبكم). وقرئ: (يعملون) بالغيب فيهن لقوله تعالى هنا: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾. وقوله قبله: ﴿أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾. [١٣٥] ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَكَانَتِهِمۡ﴾ و﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ حيث قرئا، قرئا: بألف على الجمع فيهما ليطابق المضاف إليه وهو ضمير الجماعة، ولكل واحد مكانة لأنهم كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم لاختلاف الأنواع وهو مصدر، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد بمنزلة قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا﴾. وقرئ: بالإفراد على إرادة الجنس. قوله تعالى: ﴿تَكُونُ﴾ قرئ: (يكون) بالياء هنا، =

= وحرجًا. الثانية: أنه كلما ارتفع الإنسان في السماء انخفض ضغط الهواء، وقلت بالتالي كمية الأوكسجين، مما يؤدي إلى ضيق في الصدر وصعوبة في التنفس. ووجه الإعجاز في الآية القرآنية هو دلالة لفظ "يصّعّد" على أن الارتفاع في السماء يسبب ضيقًا في التنفس، وهو ما كشفت عنه دراسات علم الفلك في عصرنا.

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٣٨- ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾: يعني: البحيرة والسائبة وغيرهما ﴿وَحَرْثٌ﴾: ما كانوا يحرثونه لآلهتهم ﴿حِجْرٌ﴾: حرام، ومنه قوله عز وجل: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: أي: حراماً محرماً ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾: قيل: كانوا يحتجزونها عن النساء، ويجعلونها للرجال. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: البحيرة والسائبة والحامي، ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: لا يحجون عليها. وقيل: هي ما ذبحوا لآلهتهم، فإنهم يذبحونها باسم أصنامهم لا باسم الله. ١٣٩- ﴿وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: يعنون ألبانها ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾: كانت للرجال دون النساء، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: يعني بوصفهم الكذب على الله. ١٤١- ﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: ما عرّش الناس من الكرم. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: ما لم يرفع منها ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: من رطبه وعنبه ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: أي عند الحصاد وعند الجداد، اي وقت القطع والقطف، وقيل: الآية منسوخة بالزكاة لأن الصدقة من الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس، اي الدرس والتذرية، وصدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز، أي قطع التمر بعد أن ييبس، وقيل: إن الآية محمولة على الندب لا على الوجوب. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾: لا تبالغوا في العطاء حتى تحرموا أنفسكم وأهلكم. قيل: إن ثابت بن قيس ابن شماس جدَّ نخلاً، اي قطعه، فقال: لا يأتيني أحد اليوم إلا أعطيته، فأطعم حتى أمسى وليست له تمرة، فنزلت هذه الآية. وقيل: إنما خوطب السلطان بهذا لئلا يأخذ غير ما أنزل الله. ١٤٢- ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾: ما حُمِل عليه من الإبل وغيرها ﴿وَفَرْشًا﴾: الفرش: الصغار من الإبل؛ ومعنى الآية: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات، وغير المعروشات، وقيل: «الحمولة» من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك، و«الفرش»: الغنم ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: سُنته وطاعته، كما اتبعها أهل البحيرة والسائبة.

[١٤١] قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون شيئًا سوى الزكاة، ثم تسارفوا فنزلت هذه الآية، وأخرج عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جدَّ نخله فأطعم حتى أمسى وليست له تمرة.

[١٤٢] ﴿... كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، ﴿... كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢]. يا أيها الناس كلوا من رزق الله الذي أباحه لكم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ولا تتبعوا طرق الشيطان في التحليل والتحريم، والبدع والمعاصي. إنه عدو لكم ظاهر العداوة، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمَّا آية الأنعام: إن الله أوجد من الأنعام ما هو مهيًّا للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيًّا لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقر والغنم، فكلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام، ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعًا لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ما فائدته بعد قوله: ﴿سَفَهًۢا﴾ مع أنَّ السفه لا يكون إلا بغير علم؟ الجواب: معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير حجة. [١٤٠] ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، ما فائدته بعد قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾؟ الجواب: أنهم بعدما ضلوا لن يهتدوا مرة أخرى. [١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦ - ٦٧]. الفرق بين: (سفهًا، سفاهة)؟ الجواب: وردت كلمة (سفهًا) مرة واحدة. بينما وردت صيغة (سفاهة) مرتين. (السفه) من الفعل المكسور العين (سَفِه) بينما (السفاهة) من الفعل المضموم العين (سَفُه). والفرق بين المصدرين أن (السفاهة) مصدر يدل على الثبات والرسوخ، أما (السفه) فمصدر يدل على التغيُّر. أي أن (السفه) يدل على أن صاحبه قد وقع في (السفه) إلى حين، ثم قد يعود عنه. بينما (السفاهة) حالة مزمنة دائمة لازمة.

= وفي القصص: ٣٧، على إرادة التذكير لوجود الفاصل بين المؤنث وفعله، ولأن العاقبة تأنيثها غير حقيقي، ولأنها لا ذكر لها من لفظها. وقرئ: (تكون) بتاء التأنيث لتأنيث لفظ العاقبة. [١٣٦] ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ "الموضعان: ١٣٦، ١٣٨" قرئ: (بزُعمهم) بضم الزاي فيهما لغة بني أسد. وقرئ: (بزَعمهم) بفتحها فيهما لغة أهل الحجاز، فقيل: هما بمعنى واحد، وقيل: المفتوح مصدر، والمضموم اسم كالنَّصب والنُّصب. [١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿زَيَّنَ﴾ قرئ: (زُيِّن) بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول الذي لم يسم فاعله، و(قتلُ) بالرفع بـ(زُيِّن) وأضافه إلى الشركاء، وفرّق بين المضاف والمضاف إليه، والتقدير: وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين أنْ قَتَلَ أولادَهم شركاؤهم. وقرئ: (زَيَّن) بفتح الزاي والياء مبنيًا للفاعل، و"قَتْلَ" مفعول (زين) و(شركاؤهم) فاعل (زين)، والتقدير: قَتْلَهُم أولادِهم فالفاعل محذوف. [١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ قرئ: (يكن ميتةً) يكن بالتذكير، (ميتة) بالنصب. وقرئ: (تكن ميتةٌ) (تكن) بالتأنيث (ميتة) بالرفع. وقرئ: (يكن ميتةٌ) (يكن) بالتذكير (ميتةٌ) بالرفع. و(تكن ميتةً) (تكن) بالتأنيث (ميتةً بالنصب)، ومن نصب ميتة فعلى خبر كان الناقصة، ومن رفع جعلها تامة، ويجوز أن يكون خبرها محذوفًا، أي: وإن يكن هنا ميتة، فتكون ناقصة أيضًا، فمن ذكَّر الفعل فلأن (ميتة) مؤنث غير حقيقي. [١٤١] ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿حَصَادِهِۦ﴾ قرئ: (حَصاده - حِصاده) بفتح الحاء وكسرها وهما لغتان مشهورتان.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله.

ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣- ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾: معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، وقال عز وجل: «ثمانية» وهي أربعة، لأن كل واحد من الاثنين زوج، فالأنثى زوج الذكر، والذكر زوج الأنثى، كما قال عز وجل: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ويقال للاثنين أيضاً زوج. ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾: يعني: هل تشتمل الأرحام إلا على ذكر أو أنثى، فلم تُحِلُّون بعضاً وتحرمون بعضاً؟ يقول عز وجل: إنه لم يحرم شيئاً من ذلك، بل كله حلال ﴿نَبِّـُٔونِي﴾: أخبروني إن كنتم علمتم ذلك عن الله. ١٤٤- ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾: أم شهدتم، ﴿إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾: التحريم الذي تكذبون فيه على الله. والمراد بالآية التبكيت وإلزام الحجة. ١٤٥- ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾: مسالاً مهراقاً، تقول: سفحت دمه؛ إذا أرقته، لا ما خالط اللحم ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾: قذر ونتن ﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾: ذبح لغير الله ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: إلى هذه المحرمات. وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة آية: ١٧٣. ١٤٦- ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: اليهود. ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾: هو ما كان من البهائم والطير غير مشقوق الأصابع؛ كالإبل والنعام والإوز والبط ﴿شُحُومَهُمَآ﴾: قيل: هي شحوم الثروب خاصة، والثروب: جمع ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والأمعاء، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾: يعني: شحوم الجنب وما علق بالظهر ﴿ٱلۡحَوَايَآ﴾: جمع حاوية، وهي المباعر، التي يجتمع البعر فيها، والمرابض التي تكون فيها الأمعاء؛ وهي بنات اللبن- أي الأمعاء الصغيرة- وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوّى من البطن، أي استدار، وهي متحوية؛ أي مستديرة. ﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ﴾: من الشحم في القوائم والعين والرأس وغيرها؛ فذلك حلال لهم ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِبَغۡيِهِمۡۖ﴾: بإسرافهم وكذبهم في قولهم: إن إسرائيل حرم ذلك على نفسه!

[١٤٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[١٤٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده =

[١٤٥] ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ [الأنعام:١٤٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ ...... ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٧٣، النحل: ١١٥]. لفظ الرب تكرر في سورة الأنعام عدة مرات، وفيها أيضًا قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفيها ذكر الحبوب والثمار، وأتبعها بذكر الحيوان من الضأن والمعز والإبل والبقر، وبها تربية الأجسام، فكان ذكر الرب أنسب لما فيه من المعاني التي توافق سياق الآيات عن هذه النعم، أما عن سر اختصاص آية البقرة والنحل بقوله تعالى: "إن الله"، أنه تقدم على الآيتين الحديث عن الألوهية وما يختص بها، فتقدم في آية البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وختم بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ﴾ ... كذا وكذا، فتقدم لفظ "الله" وتقدم التحريم ولا يملكه إلا الله، والعبادة وهي واجبة لله، وفي النحل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، فأشبه ما في البقرة، وكان لفظ "الله" أولى وأخص بالآيتين. [١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ ...﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ...﴾ [النحل: ١١٨]. واذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين ما حرمّنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا آية النحل: وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به أيها الرسول مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها أو كان مختلطًا بعظم...

[١٤٣] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَعۡزِ﴾ قرئ: (المعَز) بفتح العين. وقرئ: (المعْز) بسكونها، وهما لغتان في جمع ماعز كخادم وخَدَم، وتاجر وتجْر، ويجمع أيضًا على معزى، وقيل: من فتح جعله جمع ماعز كحارس وحَرَس، وخادم وخَدَم، ومن أسكن جعله أيضًا جمع ماعز كصاحب وصحْب. [١٤٥] ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ قرئ: (يكون ميتةً) بالتذكير (ميتة) بالنصب، واسم يكون يعود على قوله محرمًا. وقرئ: (تكون ميتةٌ) بالتأنيث والرفع على أنها تامة، بمعنى: توجد ميتة. وقرئ: (تكون ميتةً) بالتأنيث والنصب على أن اسمها ضمير يعود على محرمًا، أو المأكول، وأنث الفعل لتأنيث الخبر.

[١٤٥] ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٤٥] ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضًا في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلٌّ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى. [١٤٦] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ إعجاز عددي: ذكر (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وذكرت (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٧- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: أي اليهود فيما ذكرته مما حرّمه الله عليهم، وقالوا: لم يحرم الله علينا شيئًا، وإنما حرّمنا ما حرّم إسرائيل على نفسه. ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: إذ لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدّة جرمكم. وقيل: ذو رحمة واسعة بمن آمن ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه. ١٤٨- ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: نتيقن به أن ربكم رضي الشرك منكم في عباده، وما كانوا يحرمونه ويأتونه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: كذباً على الله، وتخرصاً بغير حق ولا برهان! ١٤٩- ﴿الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التي تنقطع عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم. ١٥٠- ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: أي: هاتوهم وأحضروهم، يأمرهم بإحضار الشهود على أن الله حرم تلك الأشياء، ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾: بغير علم، بل مجازفة وتعصبًا، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: فلا تصدقهم ولا تسلم لهم. ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: الأزلام والأصنام؛ فيجعلونها له عدلاً، أي نظيراً ومساوياً. ١٥١- ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾: من فقر واقع بهم، أو يعانون منه ولهذا ضمن رزقهم هم قبل أولادهم فقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: قيل: إن ذلك في الزنا الخفي والظاهر. وقيل: الفواحش كلها ظاهرها وباطنها. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: إلا بحقها، ومنه: قتل النفس قصاصًا، ونحوه مما شرعه الله تعالى.

= من الذنوب، ولا سيّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. [١٤٥] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النحل: ٣٥]. زاد ﴿مِن دُونِهِ﴾ مرتين، وزاد ﴿نَّحْنُ﴾ بالنحل؛ لأن لفظ الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته، ودل على تحريم أشياء وتحليل أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى لفظ "من دونه"، بخلاف لفظ العبادة، فإنها غير مستنكرة، وإنما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه وتعالى، ولا يدل على تحريم شيء كما يدل عليه "أشرك"، فلم يكن لله هنا من يعتبره بقوله: "من دونه"، ولما حذف "من دونه" مرتين حذف معه "نحن" لتطرد الآية في حكم التخفيف، أمَّا ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فقد جاء قبلها: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، على حين جاء قبل آية النحل: ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ وقال: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. [١٥١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]. الخطاب في آية الأنعام مع قوم فقراء يهمهم رزقهم أولًا، ثم رزق أولادهم، فقدم رزقهم لأنه عندهم أهم، أمَّا آية الإسراء فالخطاب فيها مع قوم غير فقراء، لكنهم يخشون الفقر مستقبلًا فيظهر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظنة القلة المتوقعة، أمَّا رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدم رزق الأولاد على رزقهم لأنه أهم، ولهذا جاء التعبير في الآية الأولى بقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾، أي: من فقر واقع، أمَّا الثانية فجاء فيها قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أي فقر متوقع. [١٥١-١٥٣] ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: [الأنعام: ١٥١]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. الآية الأولى مشتملة على خمسة أشياء كلها عظام جسام، فكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا، فختم الآية الأولى بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان، والآية الثانية مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطي ضدها وارتكابها، وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ، فختم الآية بقوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تتعظون بمواعظ الله، والآية الثالثة مشتملة على ذكر الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه واجتناب مناهيه، فختم الآية بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد.

[١٥١] ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: (أقبِلْ، تَعالَ، ائتِ، هاؤم)؟ الجواب: (أقبلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال، ونهيًا عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة). إذًا، (أقبلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم.

[١٥٠] ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. و وردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. وودرت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في القرآن (٦٥) مرة.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)

١٥٢- ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: اختلف في ذلك، وقيل فيه: أن يستعفف إن كان غنياً، أو يأكل بالمعروف إن افتقر ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: الحلم حين تُكتب عليه الحسنات والسيئات ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: ما لا يضيق عنها ﴿فَاعْدِلُوا﴾: قولوا الحق. ١٥٣- ﴿صِرَاطِي﴾: يعني طريقه ودينه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: التي ليست لله بسبيل، وهذه السبل تعم أهل الملل وأهل البدع والضلالات. وروى الإمام أحمد وغيره من حديث ابن مسعود، قال: خطَّ رسول الله خطًا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...﴾ الآية. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. ١٥٤- ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى﴾: معناه: ثم قل يا محمد آتينا موسى ﴿الْكِتَابَ تَمَامًا﴾: لنعمتنا عنده ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ على إحسانه في طاعة ربه ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: تبياناً. ١٥٦- ﴿أَن تَقُولُوا﴾ بمعنى: كراهية أن تقولوا ﴿طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: عن تلاوة كتبهم ولغاتهم. ﴿لَغَافِلِينَ﴾: لا ندري ولا نعلم ما فيها، فيتخذوا ذلك حجة. ١٥٧- ﴿وَصَدَفَ﴾: اعرض ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شديده.

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ...﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ...﴾ [الإسراء: ٣٤]. الآيتان تبينان أن لا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وآية الأنعام تحث على إيفاء الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء...، أمَّا آية الإسراء فتدعوا إلى الوفاء بالعهد... [١٥٥] ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام: ١٥٥]. تدل الآيتان على أن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول عظيم النفع، والآية الأولى تبين أن هذا القرآن مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية... وأمَّا الآية الثانية ففيها الدعوة إلى اتباع القرآن...

[١٥٥] ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. لماذا قدم الإنزال في الأنعام وأخره في الأنبياء؟ الجواب: قدم الإنزال في آية الأنعام ردًا على قول فنحاص بن عازوراء: ما أنزل الله على بشر من شيء، فبدأ به اهتمامًا به، ولأن الكتب سماوية فناسب البداءة بالإنزال، وآية الأنبياء في الذكر فجاءت على الأصل في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة. [١٥٧] ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ما الفرق بين: (جاءتكم البينة، جاءكم بينة)؟ الجواب: وردت كلمة (جاءتكم) مع كلمة (بينة) مرتين. ووردت كلمة (جاءكم) مع كلمة (بينة) مرة واحدة. ذهب كل من الطبري والرازي والزمخشري في تفاسيرهم إلى أن (البينة) في الآية الأولى هي الناقة؛ لقوله تعالى بعدها: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ وفي الآية الثانية هي المعجزة أو الحجة، وهذا هو سبب مجيء كلمة (جاءتكم) بصيغة مؤنثة؛ لأن الفاعل (البينة) مؤنثة. أما (البينة) في الآية الثالثة ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فهي (القرآن) والقرآن لفظ مذكر... ولذلك جاء الفعل (جاءكم) مذكرًا (أي بدون تاء التأنيث). سؤال: لم جاءت كلمة (جاءتهم) في سورة البينة بالصيغة المؤنثة؟ قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. والجواب: أن (البينة) هنا في الآية المذكورة تعني الرسول والصحف والكتب القيمة؛ لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢ - ٣] وقد غلب عليها التأنيث؛ لأن فيها شيئين مؤنثين مقابل شيء واحد مذكر، فالاسم المذكر هو الرسول ﷺ، والاسمان المؤنثان هما الصحف المطهرة، والكتب القديمة (والكتب جمع تكسير يُعامل معاملة المفرد المؤنث في الصفة وفي دخول الفعل عليه). لذا قال (جاءتهم) ولم يقل (جاءهم)، والله أعلم. [١٦٠] ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. ما الفرق بين "نجزي- نجازي"؟ الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة، ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة بسورة سبأ، والجواب: أن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافئ) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلَّ على معنييهما في المرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد.. وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي) وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة، لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباطٌ بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثًا بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة. [١٥٢] ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ حيث وقع إذا كان بالتاء فقط خطابًا، قرئ: (تذَكرون) بتخفيف الذال حيث وقع على حذف إحدى التاءين؛ لأن الأصل: تتذكرون. وقرئ: (تذَّكرون) بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء في الذال. وفي التشديد معنى التكثير لتكرير التذكر كأنه تذكر بعد تذكر. [١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ﴾ قرئ: (إنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف، وهذا محله نصب اسمها و(صراطي) خبرها، و(فاء) فاتبعوه عاطفة للجمل. وقرئ: (أن) بفتح الهمزة وتخفيف النون، (فأنْ) مخففة من الثقيلة وتتعلق بما تتعلق به المشددة، وقرئ: (أنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير الكلام، أي: ولأن هذا صراطي مستقيمًا اتبعوه، وقال الفراء: معمولة أن، وأجاز جرها بتقدير وصاكم به، وبأن، فتكون نسقًا على المضمر على طريق الكوفيين؛ ووجه قراءة الفتح والتخفيف: أنها خففت من الثقيلة على اللغة القليلة. [١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود (الصراط بمشتقاتها) وكلٌ قد ورد ٤٥ مرة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: يعني عبدة الأوثان، هل ينتظرون ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: بالموت ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾: في موقف القيامة لفصل القضاء ومعناه: يأتي أمر ربك أو حساب ربك. وقيل: المعنى: يأتي كل آيات ربك، بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: يوم تطلع الشمس من مغربها يسد باب التوبة فـ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾. ١٥٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾: دين الله واحد، وهو الحنيفية ملة إبراهيم، فتنصر قوم وتهود قوم ﴿شِيَعًا﴾: متفرقين، والآية عامة في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله. ١٦٠- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: لا إله إلا الله، وهي خير الحسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: الشرك، والآية عامّة في جميع الحسنات. وقد ثبت تضعيف الحسنات في آيات أخرى؛ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾، كما ثبت في السنة بأحاديث كثيرة أن العبد إذا همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة. ١٦٢- ﴿وَنُسُكِى﴾: ذبحي، والنسك: جمع نسيكة، وهي الذبيحة، ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾: يعني: وفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالصاً له ذلك كله دون ما أشركتم. ١٦٣- ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أول من أذعن وأخلص وخضع من هذه الأمة لربه. ١٦٤- ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: ولا تجترح نفس إثماً فيؤخذ به غيرها. ١٦٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾: جمع خليفة -كـ«وصائف»، و«وصيفة»- بأن أهلك من كان قبلكم من القرون فخلفتموهم في الأرض ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: عام في المال والجاه والقوة والأذهان وغير ذلك. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أعطاكم لأن المزايا تكليفٌ وأعباء ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن أسخطه ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن أطاعه.

[١٥٨] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ ... ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣]. الآيتان تتحدثان عن الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله هل ينتظرون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، وآية الأنعام تبين أنهم ينتظرون أن يأتي ربك أيها الرسول للفصل بين عباده يوم القيامة...، أمّا آية النحل فتوضح أنهم ينتظرون أن يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم... [١٦٠] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٨٤]. قوله تعالى: ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾، أي: من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، أمّا ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾، أي: من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فلهم عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وهم يوم الفزع الأكبر آمنون. [١٦٠] ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ... ﴾ [القصص: ٨٤]. إن من لقي ربه بسيئة فلن يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية القصص، فتفيد أن من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون. [١٦٣] ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. المراد في آية الأنعام: أول المسلمين من أهل مكة، لأنه أول المسلمين منهم، وأمّا "وأنا أول المؤمنين" من قول موسى، فأراد به أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو الدين. [١٦٥] ﴿ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٤، فاطر: ٣٩]. قوله تعالى: ﴿ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ بالأنعام، وفي يونس وفاطر ﴿ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، لأنَّ هذه العشر الآيات تكرّر فيها ذكر المخاطبين مرَّات، فعرّفهم بالإضافة؛ وقد جاءَ في سورة يونس وفاطر على الأصل، وهو ﴿ جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿ جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]. [١٦٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. في آية الأنعام الكلام قبلها كان عن الحسنات والهداية لصراط الله، فجاء التعبير باللام مع المغفرة والرحمة، وأمّا آية الأعراف فالكلام قبلها عن أخذ الذين ظلموا بالعذاب، وذكر مرتكباتهم السيئة فجاء التعبير باللام لتأكيد سرعة العذاب الذي يستحقونه.

[١٦٤] ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. لقد افتتحت السورة بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وقال في خاتمة السورة: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فناسب بين البدء والختام، فقد ذكر أن الذين كفروا بربهم يعدلون، أما هو فلن يعدل بربه شيئًا، فانظر هذه المناسبة والملاءمة في التعبير حتى كأن التعبيرين في البدء والختام آية واحدة. [١٦٤] ﴿ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، إن قيل هو مناف لنحو قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ولقوله ﷺ: "... ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" أخرجه السيوطي، وصححه الألباني. فالجواب: لا منافاة إذ الوزر في الآية الأولى محمول على مَن لم يتسبب في الفعل بوجه، وفيما عداها على مَن تسبب فيه بوجه، كالأمر به والدلالة عليه، فعليه وزر مباشرته له، ووزر تسببه فيه.

[١٥٨] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَأْتِيَهُمُ ﴾ هنا وفي النحل: ٣٣، قرئ: (يأتيهم) بالياء على التذكير فيهما. وقرئ: (تأتيهم) بالتأنيث لأن لفظه مؤنث، وهكذا كل جمع تكسير، فالتأنيث: مراعاة لـ "اللفظ"، والتذكير: مراعاة للجمع. [١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَرَّقُوا۟ ﴾ هنا والروم: ٣٢، قرئ: (فارَقوا) بألف بعد الفاء، وتخفيف الراء من المفارقة وهي الترك؛ لأن من آمن بالبعض وكفر بالبعض فقد ترك الدين القيم، أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة، أي: آمنوا ببعضه، وقرئ: (فرّقوا) بتشديد الراء بلا ألف فيهما وهو راجع للمعنى الأول، وهو من التفريق على معنى: أنهم فرقوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. [١٦٠] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ قرئ: (عشرٌ أمثالُها) بالتنوين و(أمثالها) بالرفع صفة لعشر. وقرئ: (عشرُ أمثالِها) (عشر) بغير تنوين وأمثالها بالخفض على الإضافة. [١٦١] ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ قِيَمًا ﴾ قرئ: (قِيَمًا) بكسر القاف وفتح الياء مخففًا، كالشبع مصدر قام. وقرئ: (قَيِّمًا) بفتح القاف وكسر الياء مشددة كسيد مصدر على فيعل، فأصله: قيوم، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، وقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، أي: دينًا مستقيمًا، على جعله صفة للدين.

[١٦٢] ﴿ وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة الحياة بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة الموت بمشتقاتها، وكلٌّ منهما تكرر (١٤٥) مرة.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ الأَعْرَافِ

١- ﴿الٓمٓصٓ﴾: بمنزلة: ﴿الٓمٓ﴾ في أول سورة البقرة، و«آل عمران»: وقد تقدم القول في ذلك. ٢- ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: بمعنى: هذا كتاب ﴿حَرَجٌ﴾: ضيق. وقيل: شك. ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: لتبلغه من أمرتك بإبلاغه إياه ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة. ٣- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون كتاب الله، شيئاً غير ما أنزل إليكم، كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم ويحرمونه عليهم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون وتعتبرون. وقيل: معناه لتنذر به المؤمنين، فتقول لهم: اتبعوا ما أنزل إليكم. ٤- ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً، وكل عمل عُمِل بليل فهو تبييت. ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: في وقت القائلة، وهي القيلولة. ٥- ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: اعترافهم على أنفسهم، و«الدعوى» في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الدعاء، والآخر: الادعاء بالأحقيّة في الشيء. ٦- ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾: يعني الأمم عما عملوا فيما أرسل إليهم ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل والأنبياء هل بلغوا أم فرطوا؟ ٧- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾: فلنخبرن، قال ابن عباس في معنى ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾: أنه ينطق لهم كتاب عملهم، فيقص بذلك أعمالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: رأي الله وسمع كل ما كانوا يعملون. ٨- ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾: القضاء ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العدل، يؤخذ من حسنات الظالم فترد على المظلوم، والموازين جمع ميزان، وثقلها يكون بمقدار ما يوضع فيها من (صحائف) الأعمال الصالحة. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بـ«لا إله إلا الله». ٩- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بجحده آيات الله، وعظمت ذنوبه. ١٠- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾: وطّأنا لكم مهاداً وقراراً. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: مطاعم ومشارب تعيشون بها. ١١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في صلب آدم. وقيل: في أصلاب آبائكم. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: في أرحام النساء. وقيل: حين أخذنا عليكم الميثاق ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: الاستثناء منقطع، لأن إبليس ليس من الملائكة. ولكنه أمر بالسجود لآدم معهم، وعنصرهم النوراني أشرف من عنصره الناري.

[٩] ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف : ٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف : ٥١، فصلت : ١٥-٢٨]. قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، أي: كانوا يتجاوزن الحد ويجحدون بآيات الله تعالى ولا ينقادون لها، أمّا ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾، أي: كانوا ينكرون أدلة الله وبراهينه مع علمهم بأنها الحق. [١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف : ١٢]، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ٣٢]، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [ص : ٧٥]. قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ هنا، وفي ص: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ وفي الحِجْر: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ بزيادة ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ في السورتين؛ لأن خطابه قَرُب من ذكره في هذه السّورة وهو قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف :١١-١٢] فحسن حذف النّداء والمنادى، ولم يقرب في ص قربه منه في هذه السّورة؛ لأن في ص: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص : ٧٤] بزيادة ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾، فزاد حرف النّداء والمنادى، فقال: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾، وكذلك في الحِجْر فإنّ فيها: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ٣١] بزيادة ﴿أَبَىٰٓ﴾، فزاد حرف النّداء والمنادى فقال: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾. وأمّا قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ وفي ص: ﴿أَن تَسْجُدَ﴾ وفي الحِجْر ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، فزاد في هذه السّورة "لا"، وللمفسّرين في "لا" أقوال: قال بعضهم: "لا" صِلَة، كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد : ٢٩]، وقال بعضهم: الممنوع من الشيء مضطّر إلى ما مُنِع منه، وقال بعضهم: معناه: مَنْ قال لك لا تسجدْ. والذي يليق بهذا الموضع ذكرُ السبب الذى خَصَّ هذه السّورة بزيادة "لا" دون السّورتين. قال تاج القرّاء: لمّا حُذِف منها ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ﴾ واقتُصر على الخطاب، جمع بين لفظ المنع ولفظ "لا" زيادة في النفي، وإعلامًا أنَّ المخاطب به إبليس؛ خلافًا للسّورتين؛ فإنه صرّح فيهما باسمه. وإن شئت قلت: جمع في هذه السّورة بين ما في ص والحِجْر، فقال: ما منعك أن تسجد، مالك ألاَّ تسجد، فحذف "أن تسجد" وحذف "مالك" لدلالة الحال، ودلالة السّورتين عليه، فبقي: "ما منعك ألاَّ تسجد".

[٤] ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]. ما الفرق بين: (جاءها، أجاءها)؟ لقد وردت كلمة (جاءها) ثلاث مرات. ووردت كلمة (أجاءها) مرة واحدة. فماذا أفادت كلمة (أجاءها)؟ والجواب: أن كلمة (جاء) هي الأصل ولا تحتاج إلى دليل ولا إلى تعليل. أما كلمة (أجاء) فإن لها خصوصية، حيث تتضمن معنى الإرجاع إلى جانب معنى المجيء، إذًا هذه الكلمة تتكون من معنى مركب من المعنيين: فقد لجأت مريم -عليها السلام- إلى النخلة راجعةً (أي راجعةً إليها بعد أن كانت قد تجاوزتها) أي جاءت إليها، والمجيء لا يكون إلا عندما يكون المرء في طريق الرجوع. فقد كانت النخلة أقرب إليها من مقامها عند زكريا -عليه السلام- فعندما لجأت إليها كانت قد رجعت إليها رجوعًا أو جاءت إليها مجيئًا. ونحن نقول: ذهب فلانٌ من بيته: عندما يغادره. ورجع إليه أو جاء إليه: عندما يعود إليه. وقد أدرك الطبري هذا المعنى عندما قال: «وإنما تأول ذلك بمعنى: ألجأها، لأن المخاض لما أجاءها إلى جذع النخلة كان قد ألجأها إليه». فالإلجاء هو تأولٌ للمعنى.. وليس هو ذات المعنى. لهذا كانت كلمة (أجاءها) ولم تكن (ألجأها) أو (جاء بها). ولو كانت إحداهما.. لما أمكن أن تحل محلها. [٣] ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قرئ: (يتذكرون) بياء قبل التاء مع تخفيف الذال، والمعنى: قليلًا يا محمد ما يتذكر هؤلاء الذين بعثت إليهم. وقرئ: (تذكرون) بتاء فوقية بلا ياء قبلها على الخطاب؛ لأنه رده على الخطاب قبله في قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾.

[١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة الأعراف: نزلت بعد سورة ص، وهي مكية إجماعاً. عدد كلمات سورة الأعراف: ثلاثة آلاف وخمس وعشرون كلمة. عدد حروف سورة الأعراف وحروفها أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف. أسماء سورة الأعراف: ولهذه السّورة ثلاثة أسماء: سورة الأعراف؛ لاشتمالها على ذكر أصحاب الأعراف في ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف:٤٨]. الثّاني: سورة الميقات؛ لاشتمالها على ذكر ميقات موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٤٣]. =

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾

١٣- ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾: يعني من الجنة ﴿مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: من الأذلين المهانين. ١٤- ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾: أمهلني، وكأنه طلب أن لا يموت. ١٦- ﴿أَغۡوَيۡتَنِي﴾: أضللتني، وقيل: أهلكتني: من قولهم: غوى الفصيل؛ إذا فقد اللبن فمات. ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: طريقك القويم، وهو الإسلام وشرائعه، وكان محمد بن كعب القرظي يقول: قاتل الله القدرية؛ لَإبليس أعلم بالله منهم! ١٧- ﴿لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: الآية: من حيث يُبصرون، ومن حيث لا يبصرون وهو تمثيل لوسوسته وتزيينه المعاصي والمحرمات، وسائر ما خبث من العقائد والأعمال لبني آدم. ولم يقل: «من فوقهم» لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم. ١٨- ﴿مَذۡءُومٗا﴾: من الذَّام، وهو أبلغ في العيب من الذم ﴿مَّدۡحُورٗا﴾: مقصيًا. ٢٠- ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا﴾: بمعنى: إليهما ﴿مَا وُۥرِيَ﴾: سُتِر. وقيل: كان عليهما نور، لا تُرى سوآتهما ﴿مَلَكَيۡنِ﴾: قيل: من الملائكة. ﴿مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾: في الجنة فلا تموتان أبداً. وقد وصف بعض الأدعياء هذه الشجرة التي أكل منها آدم وزوجه بأنها شجرة المعرفة، وعلّلوا نهي الله تعالى لهما عن الأكل منها بأن الإنسان سوف يساوي الله في المعرفة!! وهذا قريب مما زعمه إبليس، بل هو أكذب منه. ٢١- ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: حلف لهما، الأيمان المؤكدة. ٢٢- ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: خدعهما ﴿بِغُرُورٖ﴾: بكلام مزخرف بالباطل ﴿وَطَفِقَا﴾: جعلا ﴿يَخۡصِفَانِ﴾: يُرقّعان ويضمّان بعضه إلى بعض.

[١٤- ١٥] ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٥] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٧، ص: ٧٩-٨٠]. لأنه سبحانه لمّا اقتصر في السّؤال على الخطاب دون صريح الاسم في الأعراف، اقتصر في الجواب أيضًا على الخطاب دون ذكر المنادى. وأمّا زيادة الفاء في السّورتين دون هذه السّورة فلأنَّ داعية الفاء ما يتضمّنه النِّداء من: أدْعو، أو أنادي؛ نحو قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ أي: أدعوك. وكذلك داعية الواو في قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ فحذف المنادَى، فلمّا حذفه انحذفت الفاء. أمّا ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ و﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾، لأنَّ الجواب يبنى على السّؤال، ولمّا خلا السّؤال في هذه السّورة من الفاءِ خلا الجواب منه، ولمّا ثبتت الفاء في السّؤال في السّورتين ثبتت في الجواب، والجواب في السّور الثلاث إجابة، وليس باستجابة. [١٦] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. قوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ في الأعراف، وفي ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾ وفي الحِجْر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، لأنَّ ما في سورة الأعراف موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء، وما في الحِجْر موافق لما قبله في مطابقة النِّداء، وزاد في سورة الأعراف الفاءَ التي هي للعطف ليكون الثاني مربوطًا بالأوّل، ولم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء لامتناع النداء منه؛ لأنه ليس بالذي يستدعيه النداء؛ فإن ذلك يقع مع السّؤال والطلب، وهذا قَسَمٌ عند أكثرهم، بدليل ما في ص، وخَبَرٌ عند بعضهم، والذي في ص على قياس ما في الأعراف دون الحِجْر؛ لأنَّ موافقتهما أكثر على ما سبق، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وهو قسم عند الجميع، ومعنى ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ يؤول إلى معنى ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، والله أعلم. [١٩] ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]. الأمر في البقرة لآدم اسكن بمعنى الإقامة، وهذا يستدعي زمنًا طويلًا ممتدًا فلم يصح إلا بالواو، لأن المعنى جمع بين الإقامة فيها والأكل منها، وأمّا في الأعراف فخاطب الله تعالى إبليس: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾، وخاطب آدم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، أي: اتخذاها لأنفسكما مسكنًا ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، فكانت الفاء أولى، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانًا ممتدًا، ولما نسب القول إليه تعالى في =

[١٣] ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]. قال الشنقيطي رحمه الله: إن الله تعالى عامل إبليس اللعين بنقيض قصده حيث كان قصده التعاظم والتكبر فأخرجه الله صاغرًا حقيرًا ذليلاً متصفًا بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ والصغار أشد الذل والهوان، وقوله ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨]، ونحو ذلك من الآيات، يفهم منها أن المتكبر لا ينال من العظمة والرفعة، بل يحصل له نقيض ذلك، وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

[١٧] ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧]. أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله عز وجل. [٢٢] ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢]. ليس بالضرورة أن تكون الزلة إلى محل أدنى، بل يمكن أن تكون في نفس المكان، وقد سُميت زلة تخفيفًا في مقام التكريم الغالب في سورة البقرة، أمّا سورة الأعراف ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾، والتدلية لا تكون إلا من أعلى لأسفل، إذًا في مقام التكليف سماها "زلة" وفي مقام العقوبة سماها "تدليًا" فخفف العقاب في البقرة ولم يفعل ذلك في الأعراف.

[١٦] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة.

[٢٠] ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أُضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة، أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن.

= الثالث: سورة الميثاق؛ لاشتمالها على حديث الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. مواضيع سورة الأعراف: مقصود السّورة على سبيل الإجمال: تسليةُ النبي ﷺ في تكذيب الكفّار إيّاه، وذكر وزن =

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)

٢٣- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾: الآية، قيل: هذه الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. ٢٤- ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾: موضع استقرار تتمتعون به وبلاغ، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قيل: يوم القيامة. ٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾: يعني: من أهبط إلى الأرض ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ لبعث القيامة. ٢٦- ﴿لِبَاسًا﴾: تلبسون ﴿يُوَارِي﴾: يستر ﴿سَوْآتِكُمْ﴾ عوراتكم عن أعينكم، وكان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة. ﴿وَرِيشًا﴾: وقرئ «رياشاً»؛ فمن قرأ «رياشاً» فيحتمل أن يكون أراد به جمع «الريش» كذئب وذئاب، و«الرياش» في كلام العرب: الأثاث وما ظهر من المتاع و«الريش» أيضاً: المتاع والأموال. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: هو الإيمان والعمل الصالح. وقيل: هو الإسلام. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: قيل: من قرأ «لباس التقوى» بالرفع، كان المعنى: ولباس التقوى خير من الرياش. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: من حججه. ٢٧- ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: يخدعنكم ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: نسله. ٢٨- ﴿فَاحِشَةً﴾: هي ما تبالغ في فحشه وقبحه من الذنوب، سواء أكان الطواف بالبيت عراة، أم نحوه من القبائح والمنكرات. ٢٩- ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ﴿مُخْلِصِينَ﴾: غير مشركين به ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: كما أنشأكم في ابتداء الخلق، كذلك تبعثون يوم القيامة. فيكون المقصود: الاحتجاج على منكري البعث.

[٢٣] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٢٨] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

= البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾، ناسب ذلك الزيادة الدالة على عظم كرمه، وجليل فضله، فجيء بكلمة ﴿رَغَدًا﴾ لزيادة التوسعة والإكرام، أمَّا آية الأعراف فخلت من ذلك. وهناك سبب آخر مبني على تأمل السياق، وهو أن سياق آية البقرة حديث عن نعمة الله على عبده آدم، وفضله عليه، وتكريمه إياه، فجاءت كلمة ﴿رَغَدًا﴾ لتزيد ذلك المعنى، فأصبحت نعمة تضاف إلى تلك النعم العظيمة، أمَّا آية الأعراف فسياقها في شأن إبليس وإعراضه وصده، فلم يقتض السياق زيادة الكلمة. [١٨] ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَذْمُومًا﴾ [الإسراء: ١٨، ٢٢]، قوله تعالى: ﴿مَذْءُومًا﴾ من الذَّأم، وهو أبلغ في العيب من الذم. [٢٧، ٣١، ٣٥] ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأعراف: ٣٥]. لمخاطبة الناس ببني آدم وقع عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان، وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لآبائها وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شَركِه.

[٢٢] ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]. ظهور السوءات وبدوُّ العورات إنما هو عقوبة من عقوبات الذنوب والمعاصي، وليس علامة على المدنية والتحضر، وإنما هو ارتكاس وبعد عن الفطرة، وقد امتنَّ الله عز وجل على بني آدم باللباس الذي يواري السوءات والرياش التي يتجمل بها... [٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ هنا والروم: ١٩، الأول منها، والزخرف: ١١، وأول الجاثية: ٣٥، قرئ: (تَخرُجون) بفتح التاء وضم الراء مبنيًا للفاعل، فقد أسند الفعل إليهم لأنهم إذا أخرجوا خرجوا، فهم مفعولون فاعلون في المعنى. وقرئ: (تُخرَجون) بضم التاء وفتح الراء مبنيًا للمفعول؛ لأنهم لا يَخرجون حتى يُخرجوا. [٢٦] ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ قرئ: (ولباسَ) بنصب السين عطفًا على (وريشًا) والريش هو: ما يظهر من اللباس، وقيل: أنه ما يستر من لباس أو معاش. وقرئ: (ولباسُ) بالرفع إما مبتدأ و(ذلك) مبتدأ ثان، و(خير) خبر الثاني، وهما خبر الأول، والرابط اسم الإشارة، وإما خبر محذوف، أي: وهو، أو ستر العورة لباس التقوى، وعلى كل فهو مستأنف، والمعنى: ولباس التقوى خير لصاحبه عند الله مما خلق من لباس الثياب والريش والرياش مما يتجمل به، وأضيف (اللباس) إلى (التقوى) كما أضيف إلى الجوع في قوله: (لباس الجوع).

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة. [٢٩] ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن. [٣١] ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ إعجاز طبي ووقائي: في رحاب الآية القرآنية: لعلَّ هذه الآية أساسٌ لحياة الإنسان ودستورٌ صحيٌّ لمعيشته، فقد صورت ما يحفظ المرء ويحفظ حياته وصحته وشبابه، في ألفاظٍ قليلة بليغةٍ دقيقةٍ جمعت علمًا طبيًا وسبقًا علميًا يربو ما كُتب فيه على عشرات الكتب. الإسراف في الطعام والشراب مهلكٌ للأبدان: فالإسراف يؤدي حتمًا إلى السمنة، وكل ما زاد عن الوزن الطبيعي للجسم فهو حملٌ ثقيلٌ على الأعضاء الرئيسة. يقول الدكتور سالم محمد: إن القلب هو مضخةٌ ماصةٌ كابسةٌ يرفع الدم من هنا ليدفعه إلى هناك، وهو عضوٌ في =

= الأعمال يوم القيامة، وذكر خَلْق آدم، وإباءُ إبليس من السّجدة لآدم، ووسوسته لهما لأكل الشّجرة، وتحذير بني آدمَ من قبول وسوسته، والأمر باتّخاذِ الزِّينة، وستر العورة في وقت الصّلاة، والرّد على المكذّبين، وتحريم الفواحش ظاهراً وباطناً، وبيان مَذَلّة الكُفّار في النّار، ومناظرة بعضهم بعضاً، ويأسهم من دخول الجنّة، وذكر المنادِي بين الجنّة والنّار، ونداء أصحاب الأعراف لِكلا الفريقين وتمنّيهم الرّجوع إلى الدّنيا، وحُجّة التوحيد، والبرهان على ذات الله تعالى وصفاته، وقصة نوح =

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ (٣٧)

٣١- ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾: يعني: البسوا الثياب الساترة. والآية تدل على وجوب ستر العورة في الصلاة ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾: عند كل موضع سجود. ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾: مما أحل لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: تتجاوزوا حدود ما أحل لكم، وما حرم عليكم. ٣٢- ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: ما خلق لعباده ليتجملوا به، ويتزينوا بلباسه. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: الحلال من رزق الله، وقال الإمام الشافعي: هي المستلذات. ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لا يشركهم فيها كافر، لأن الكافر يشركهم فيها في الدنيا. ٣٣- ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: القبائح والمعاصي ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: سرها وجهرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: المعصية ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾: الاستطالة على الناس ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا﴾: حجة وبرهاناً ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أن تقولوا: إنه أمركم بما لم يأمر. ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله ﴿أَجَلٞ﴾: وقت لحلول العقاب بهم، والأولى أن تحمل الآية على ما هو أعم من هذا التفسير، فللشعوب والأقوام آجال كما للأفراد، والله أعلم. ٣٥- ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: أي: يجيئكم. ٣٧- ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يقول: يصل إليهم حظهم مما كتب عليهم في اللوح المحفوظ من العذاب. وقيل: ينالهم نصيبهم مما كتب الله تعالى لهم من خير وشر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾: يعني: الكفار ﴿رُسُلُنَا﴾: ملك الموت وجنده ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: تركونا وأخذوا غير طريقنا ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: كانوا كافرين بالله مشركين.

[٣١] قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ الآية. روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، وهي تقول: (اليوم يبدو بعضه أو كله *** وما بدا منه فلا أحله) فنزلت: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾ ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ الآيتين.

[٣٤] ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ما الفرق بين (تأخر، استأخر)؟ **الجواب**: وردت كلمة (تأخر) مرتين في القرآن بصيغة الماضي، وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع، في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (تستأخرون) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٖ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يتأخرون) معناها أنهم هم يفعلون التأخر بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يستأخرون) فمعناها أن عدم التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجًا عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يسمح لهم الحق -تعالى- بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تأخر) منسجمة موسيقيًا مع سياقها... و(استأخر) كانت كذلك مع سياقها. (تأخر) في آية البقرة تجاوبت مع (تعجل) من حيث الوزن... و(يتأخر) في المدثر تجاوبت مع (يتقدّم). و(يستأخرون) في سبأ تجاوبت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. والمد في (تستأخرون) تجاوب مع المدّ في (ميعاد). [٤١] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١]. فأنت ترى أن الشيطان نزع عن أبوينا اللباس في الجنة، وهو في هذه الدار حريص على أن يفتننا لنتعرى من اللباس الظاهر والباطن، ولا يرضى في الآخرة إلا بأن نتسربل من سرابيل جهنم أعاذنا الله منها، وأن يكون لنا منها مهاد وغواش نسأل الله العافية. [٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٗ﴾ قرئ: (خالصةٌ) بالرفع خبر هي، و(للذين آمنوا) متعلق بـ(خالصة) وجعلها القاضي خبرًا بعد خبر، والمعنى: قل الطيبات والزينة خالصة للمؤمنين في الآخرة، فأما في الدنيا فقد شاركهم فيها الكفار. وقرئ: (خالصةً) بالنصب على الحال من الضمير المستقر في الظرف، وهو - أعني الظرف - خبر المبتدأ، والتقدير: قل هي ثابتة أو مستقرة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة.

=الجسم عليه أن يؤدي عمله المستمر الذي لا ينقطع، ولا شكَّ أن القلب الذي يقوم بالخدمة لجسم يزن ثمانية كيلو جرامات أقلُّ إجهادًا وإرهاقًا من مثيله الذي يخدم جسمًا يزن مائة كيلو جرام، وكلنا يعلم أن الساقية التي تقوم بِرَيِّ ثلاثين فدانًا أكثرُ جهدًا وتبلى أسرع من أختٍ لها تقوم بخدمة عشرة فدادين فقط، ويُعبَّر عن الأخيرة بالساقية المرتاحة، فما بال الإنسان لا يُريح قلبهُ فيخفف عنه العبء الملقى على عاتقه بأن يخفف عنه وزنه، ويضبط أكله وشربه من غير ما تفريطٍ ولا إفراطٍ، ولا إسراف في الطعام ولا الشراب. وليت الأمر يقف على القلب وحده، ولكن الجهد والإرهاق يصيب باقي أجهزة الجسم. فالكلى والبنكرياس في جسم يزيد على المائة كيلو جرام مثلًا تحمل حملًا ثقيلًا عليها، وكلما خفَّ الحمل ضمن الجسم السلامة أطول مدة ممكنة. من أخطار السمنة: يقول الدكتور/ محمد زكي شافعي زميل معهد الصحة العالمية بلندن: إن من أخطار السمنة تهيئة الجسم للأمراض المعدية والحادة، والإنذار السيئ للعمليات الجراحية، وكذلك لالتهاب الحوصلة المرارية وحصواتها، والتهاب المفاصل ودوالي الأطراف، وارتشاح عضلات القلب، والنزلة الشعبية المزمنة والذبحة الصدرية. والتوقي من السمنة أول ما يلزم المستعدين لها، القابلة أجسامهم لها، وذلك بالإقلال من الطعام وعدم الإسراف فيه كما أمر بذلك الله الخالق.. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. قال جلَّ وعلا: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. فهل آن لنا أن نعود لربنا بطاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى؟! وأخيرًا... نصيحة... قال الدكتور/ جورجي صبحي في محاضراته في علم الأمراض الباطنة: إنه يجب على المطبخ المصري الذي ورثناه أن يتطهر من السمنة والدهنيات والمواد الحريفة وزيادة الوجبة، مما يفتك بالمعدة ويهدد كيان الكبد ويصلب الشرايين، ويفني القلب.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ﴾ **إعجاز عددي**: ذكر لفظ (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر لفظ (البغي)، وقد ورد كُلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

والطوفان، وذكر هود وهلاك عاد، وحديث صالح وقهر ثمود، وخبر لوط وقومه، وخبر شُعَيْب وأهل مَدْيَن، وتخويف الآمنين من مكر الله، وتفصيل أحوال موسى وفرعون والسَّحرة، واستغاثة بني إسرائيل، وذكر الآيات المفصَّلات، وحديث خلافة هارون، وميقات موسى، وقصّة عِجْل السَّامِرِيّ في غَيْبَة موسى، ورجوع موسى إلى قومه، ومخاطبته لأخيه هارون، وذكر النبي الأُمّيّ العربيّ ﷺ، والإشارة إلى ذكر الأسباط، وقصّة أصحاب السَّبْت، وأهل أَيْلة، وذم علماء أهل

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨- ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: قد سلفت، والمعنى: ادخلوا في أمم هي في النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: شتمت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟﴾: اجتمعوا، والتدارك: التلاحق والتتابع والاجتماع ﴿أَضَلُّونَا﴾: عن سبيلك ودعونا إلى عبادة غيرك ﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: ضاعف عذابهم. ٣٩- ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي قد ضللتم كما ضللنا، وحذرتم كما حُذرنا. ٤٠- ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: أرواح الكافرين لا تفتح لها أبواب السماء، وتُفتّح لأرواح المؤمنين. وقيل: لا يرفع للكافرين عمل ولا دعاء ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾: «الجمل» معروف، واحد الجمال، وقيل: الحبل الغليظ من القنب، ﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾: ثقب الإبرة؛ وإنما عنى الله تعالى أن هذا لا يكون، كما أن ذلك لا يكون. ٤١- ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فرش وبسط ﴿غَوَاشٍ﴾: لحف وغطاء ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾: نُثيب. ٤٢- ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾: من الأعمال ﴿إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: ما لا تضيق عن حمله. ٤٣- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: هذا من جملة ما ينعم به الله تعالى على أهل الجنة. ومعنى: «غل»: عداوة وإحن : ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾: وفقنا لعمل اكتسبنا به هذا ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾: التي كانت الرسل تخبركم عنها.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦، الأنعام: ٣٠، الأنفال: ٣٥، الأحقاف: ٣٤]. آية الأعراف جاءت في أخلاط من الأمم وأصناف من المكذبين تنوع كفرهم وتكذيبهم، وضلوا وأضلوا، وتنوعت ذنوبهم واتسعت مرتكباتهم، فناسب ما وقع جزاؤهم عليه ذكر الاكتساب، أما المذكورون في باقي المواضع فكفار قريش، وكان مدار أمرهم على الكفر بما جاء به نبينا ﷺ والتصميم على عبادة الأوثان، فناسب أن يكون جزاؤهم بكفرهم.

[٤٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]. الآيتان تبينان أن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبدًا لا يخرجون منها، وآية الأعراف توضح أن الله لا يكلف نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق. [٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. الآيتان تبينان أن الله تعالى أذهب ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، وآية الأعراف تبين أنه من كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحتهم..، وآية الحجر توضح أنهم يعيشون في الجنة إخوانًا متحابين، يجلسون على أسرَّة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلًا وتحابيًا، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء... [٤٣] ﴿... وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن أهل الجنة وشكرهم لله على هذه النعمة العظيمة.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. يقول بعض العلماء: أنهار الجنة تجري في غير أخدود. ويذكرون أن المؤمن في غرفته العالية قد يشير إلى النهر تحته فيصعد إليه حتى يقضي منه حاجته. كما في تفسير قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، ولا غرابة في ارتفاع الماء إلى ولي الله في غرفته من الأرض؛ لأنه يشاهد في الدنيا ما هو أعظم من هذا وأغرب. [٤٣] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]. ما الفرق بين "الرُّشْد والهُدَى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمّ، وورودها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أم إلى باطل، إلى صوابٍ كان أم إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أم إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، إذ جعل الهدى وسيلة للرشد. الرشدُ هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر.

[٣٨] ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا تَعْلَمُونَ﴾ قرئ: (يعلمون) بالغيب، والضمير يعود على الطائفة السائلة أو عليهما. وقرئ: (تعلمون) بالخطاب إما للسائلين، وإما لأهل الدنيا. [٤٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ قرئ: (لا تُفتح) بالتأنيث والتخفيف. وقرئ: (لا يُفتح) بالتذكير والتخفيف. وقرئ: (لا تُفتَّح) بتاء التأنيث والتشديد، والتوجيه ظاهر لأن نائب الفاعل وهو (الأبواب) تأنيثه ليس بحقيقي. [٤٣] ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا﴾، قرئ: (ما كُنّا) بغير واو، فاستغنى عن العاطف، على أن الجملة الثانية موضحة ومبينة للأولى لاتصالها بها في المعنى، وقرئ: (وما كُنّا) بإثبات الواو على الاستئناف بعطفه الثانية على الأولى، ولأنها بالواو في سائر المصاحف غير الشام.

[٣٨] ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾
إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة: أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن.

= الكتاب، وحديث الميثاق ومعاهدة الله تعالى الذُّرية، وطرد بَلْعام بسبب ميله إلى الدنيا، ونصيب جهنَّم من الجنِّ والإنس، وتخويف العباد بقرب يوم القيامة، وإخفاء علمه عن العالمين، وحديث صحبة آدم وحواء في أوّل الحال، وذمّ الأصنام وعُبّادها، وأمر الرّسول ﷺ بمكارم الأخلاق، وأمر الخلائق بالإنصات والاستماع لقراءة =

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

٤٤- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: هذا النداء تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب. ٤٥- ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الله ﴿عِوَجًا﴾: ميلاً. ٤٦- ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [سورة الحديد: ١٣] ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾: تل أو مكان مرتفع بين الجنة والنار، يُحبس عليه ناس من أهل الذنوب قصرت بهم ذنوبهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فهم كذلك حتى ينفذ الله فيهم أمره. وجاء في ذلك اختلاف كثير. فقد قيل إن أهل الأعراف: هم أهل الدرجات العليا في الجنة. وقيل: هم ملائكة يُرون في صورة الرجال. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾: يعرف هؤلاء الرجال أهل الجنة بسيماهم؛ من بياض وجوههم، ونضرة النعيم، ويعرف أهل النار، بسواد وجوههم وزرقة عيونهم، ويسلمون على أهل الجنة وهم يطمعون في دخولها. ٤٧- ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾: يعني: أصحاب الأعراف. ٤٨- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم﴾: من أهل النار ﴿بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: ما: مصدرية، أي: وما أغنى عنكم استكباركم. وهذا من كلام أصحاب الأعراف أي قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة. وقيل: هكذا قول الملائكة للجبابرة من أهل النار. ٤٩- ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: يعني: أصحاب الأعراف ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾: يعني: أصحاب الأعراف. ٥٠- ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: أوسعونا، والإفاضة: التوسعة. ٥١- ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾: نتركهم ونؤخرهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بمعنى: وكما كانوا بآياتنا ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. زاد في آية هود ضمير الفصل ولم يزد في الأولى، فلماذا؟ الجواب: أن ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين هو قوله تعالى في الأولى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وابتداء الإخبار عنهم في سورة هود قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ففي هذا إطناب، وتأمل ورود الظاهر في موضع المضمر من قوله: ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل "عليهم"، فناسب زيادة ضمير الفصل، وفي آية الأعراف إيجاز ناسبه سقوطه، ولو لم يكن ما بين "أن" و"ألا" فإن ذلك مراعى فيما قصدناه فـ"أن" أوجز من "ألا" و"أن" هنا حرف وتفسير، وهي كالواردة في قوله: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وفي قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وتقع بعد ما يراد به القول، وليس بلفظه، وتفسر بـ"أي"، وأما "ألا" فاستفتاح، وجاء كل من الموضعين على ما يجب ويناسب. [٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩]. ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ ما في سورة الأعراف جاءَ على القياس، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدّم "بالآخرة" تصحيحًا لفواصل الآية، وفي هود لمّا تقدّم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، ثمّ قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ولم يقل "عليهم" - والقياس ذلك - التبس أنّهم هم أم غيرهم، فكرّر وقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾، ليعلم أنّهم هم المذكورون لا غيرهم. قول آخر: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ بهود اختصت بزيادة ضمير التوكيد الذي يفيد التقوية، لأن المقام هنا تسجيل إنكارهم البعث وتقريره، إشعارًا بما يترقبهم من العقاب المناسب، فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر عقابهم، فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلتا المقالتين واقع، وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية. [٥١] قدم "اللهو على اللعب" [الأعراف: ٥١، العنكبوت: ٦٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع قدم "اللعب على اللهو" [الأنعام: ٣٢، ٧٠، محمد: ٣٦، الحديد: ٢٠]. قدم اللّعب في أكثر المواضع، لأنَّ اللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، وزمان الصبا مقدّم على زمان الشباب، يُبيّنه ما ذكر في الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [الحديد: ٢٠] كلعب الصبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الشبّان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌۢ﴾ كتفاخر الإخوان، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر السُّلطان، وقريب من هذا في تقديم لفظ اللعب على اللّهو قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: ١٧]، وقدّم اللّهو في الأعراف، لأنَّ ذلك في القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالتين، أمّا العنكبوت فالمراد بذكرها زمانُ الدُّنيا، وأنّه سريع الانقضاءِ، قليل البقاءِ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، أي: الحياة الّتي لا أمد لها، ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر اللهو لأنّه في زمان الشّباب، وهو أكثر من زمان اللعب، أي: زمان الصِّبا. [٤٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٨]. ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسُّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكُّرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا: (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانيًا: (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعل الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدرًا من المعرفة. [٤٤] ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ هنا والأعراف: ١١٤، الشعراء: ٤٢، الصافات: ١٨، قرئ: (نعِم) بكسر العين. وقرئ: (نعَم) بفتح العين، وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ قرئ: (أنْ لعنةُ) بإسكان النون مخففة ورفع لعنة على أنَّ (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، و(لعنة) مبتدأ، والظرف بعده خبره، والجملة خبر أن، وقرئ: (أنَّ لعنةَ) بتشديد النون ونصب (لعنة)، وفتحت (إن) لوقوع الفعل عليه، أي: بأن، ولعنة اسمها والظرف خبرها.

= القرآن، وخُطبة الخطباءِ يوم الجمعة، والإخبار عن خضوع الملائكة في الملكوت، وانقيادهم بحضرة الجلال في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. فضل سورة الأعراف: قال رَسُول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد وغيره وصححه =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢- ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: يعني: الكفرة، «بكتاب» يعني: القرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيّنا فيه الحق من الباطل «على علم» منا بحق ما فُصّل فيه. ٥٣- ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: إلا ما يؤول إليه أمرهم، من ورودهم على عذاب الله ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾: عواقبه. وقيل: هو يوم القيامة. ٥٤- ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يورد الليل على النهار فيلبسه إياه، ثم يذهب ضوءه. ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾: سريعاً ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾: كله ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: الذي لا يرد. ٥٥- ﴿تَضَرُّعٗا﴾: تذللاً وخشوعاً، من الضراعة، وهي الذلة والخشوع والاستكانة، ﴿وَخُفْيَةً﴾: سراً؛ من قوله عز وجل: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:٣]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: أي المجاوزين لما أمروا به في الدعاء، وفي كل شيء. ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل الداعي ما ليس له، أو يرفع صوته بالدعاء صارخاً به. ٥٦- ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ﴾: لا تشركوا بالله ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ولا تعصوه فيها ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: بعد ابتعاث الرسل بالهدى، والآية عامّة في النهي عن الفساد في الأرض بأي وجه من الوجوه. ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًا﴾: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. ٥٧- ﴿بُشْرَۢا﴾: قرأ نافع وأبو عمرو (نُشُرًا) بضم النون والشين، وقرأ ابن عامر: (نُشْرًا) بضم النون وسكون الشين بمعنى: نشور. قيل: هي الريح التي تهب من كل ناحية وتجيء، وأما قراءة حفص «بُشْراً» فهي جمع «بشير» أي الرياح تبشر بالمطر، ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أمام رحمته وقدامها، و«الرحمة» هاهنا: المطر. ﴿أَقَلَّتْ﴾: حملت. ﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾: لإحياء بلد ميت قد أجدب أهله ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: قال أبو هريرة، إذا مات الناس في النفخة الأولى أمطر عليهم من ماء يسمى «ماء الحيوان» أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم، نفخ فيها الروح، ثم تلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا، وقاموا وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، كما يجد القائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ فيناديهم المنادي: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

[٥٣] ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٞ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]. لماذا جاء الفعل في آل عمران مذكرًا وجاء مؤنثًا في الأعراف؟ الجواب: يؤنث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يُذكر الفعل، لذلك استخدم الفعل ﴿جَآءَكُمْ﴾ في آية آل عمران، لأن الآية تتحدث عن رسل بني إسرائيل فقط، وفي الأعراف استخدم الفعل ﴿جَآءَتْ﴾ مؤنثًا، لأن المذكورين فيها جميع الرسل، وهم أكثر من آية آل عمران، لذلك جاء الفعل مؤنثًا. [٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨]. أما عن مجيء الفعل مضارعًا للمستقبل في آية سورة الأعراف؛ فلأن قبلها قوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة، وصنوف ما رزق الله الخلق من النعمة، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين، وأدعى لهم إلى الدعاء، وأمّا في سورة الفرقان ومجيء الفعل فيها بلفظ الماضي، فلأن قبل الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٤٥- ٤٧]، فلما عدد أنواع ما أنعم به، وكان إرسال الرياح في جملته، عدّه بعد ما تقدمه وأخبر منه عما فعله وأوجده، فالآيات التي تقدمت آية الأعراف كلها أفعال إما طلب فعل في الحاضر أو المستقبل، أو كف عن فعل في الحال والاستقبال، بينما جاءت الآيات التي تقدمت آية الفرقان بأفعال ماضية؛ لأن سياق الآيات يحكي ذلك الواقع.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]. ما الفرق بين "الريح والرياح". أولاً: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا يقرن بها أوصافًا، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفةً» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان-عليه السلام- «عاصفةً» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. مثل: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحدٍ: مثال: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحٗا﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا.

[٥٤] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قوله تعالى: ﴿يُغْشِي﴾ هنا والرعد: ٣، قرئ: (يغشّي) بفتح الغين وتشديد الشين من غشّى المضاعف. وقرئ: (يغشِي) بسكون الغين وتخفيف الشين فيهما من أغشى، وهما: لغتان، وقد أجمعوا على ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ وأجمعوا على ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فالقراءتان متساويتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير. قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾ هنا وفي النحل: ١٢، قرئ: (الشمسُ) برفع الشمس وما عطف عليها، ورفع (مسخراتٌ) على الاستئناف بالابتداء والخبر. وقرئ: برفع و(النجومُ مسخراتٌ) بالنحل: ١٢، لأن الناصب ثمة سخر، فلو نصب (النجومَ مسخرات) لصار اللفظ سخرها مسخرات. وقرئ: بالنصب في الموضعين، والنصب في (مسخرات) بالكسرة فوجهه أنه عطف على السماوات، و(مسخرات) حال من هذه المفاعيل، وفي (النحل) على الحال المؤكدة وهو مستفيض؛ أو على إضمار فعل قبل النجوم، أي: وجعل.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا﴾ قوله تعالى: ﴿بُشْرَۢا﴾ هنا وفي الفرقان: ٤٨، النمل: ٦٣، قرئ: (بُشْرًا) بالباء المضمومة وإسكان الشين في الثلاثة جمع بشير كنذير ونذر، وهي مخففة من قراءة الضم. وقرئ: (نَشْرًا) بالنون المفتوحة وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة أو منشورة، أو ذات نشر، والسكون للتخفيف كرسول =

= الألباني. والسبع الأول هي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال - التوبة.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

٥٨- ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الطيبة تربته، العذبة مشاربه ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: الذي تربته رديئة، ومشاربه مالحة: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: عسراً في شدة. وهذا مثل ضربه الله في المؤمن والكافر. ٦٠- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: أشراف القوم ورؤساؤهم، وقيل: الملأ: الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم. ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾: باطل. ٦٣- ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: وحي فيه تذكير وموعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: أي على لسان رجل منكم تعرفونه. ٦٤- ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿عَمِينَ﴾: عامين عن الحق، أي: أغرقنا المكذبين لكونهم عُمْيَ القلوب، لا تنجع فيهم موعظة تذكير. ٦٥- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: يقول الله عز وجل؛ ولقد أرسلنا إلى عاد. «أخاهم» أي صاحبهم أو واحداً من قبيلتهم. ٦٦- ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: ضلالة عن الحق، وأصل معنى السفاهة: الخفة والحمق. ٦٧- ﴿رَسُولٌ﴾: أمين على وحي الله.

[٥٧] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. الفارق بين الموضعين هو أن قوله تعالى في الأعراف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ كلام يستدعي جوابًا وليس مما يجاب بالفاء، وإنما جواب مثل ذلك يكون الفعل فيه مجردًا من الفاء، وغيرها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، فالجواب هنا قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، أمَّا قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب، ليطابق اللفظ ما تحته من المعنى، فلزمت الفاء هنا لبيان معناها، ولما استدعى لفظ ﴿سُقْنَـٰهُ﴾ المكان المسوق إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر أو بإلى - فقيل: ﴿لِبَلَدٍ﴾ ليناسب المجرور فعله في الوجازة، بينما طال الفعل في الآية الأخرى فناسبه تعديته بإلى إسهابًا.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: ٥٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [هود: ٢٥، المؤمنون: ٢٣، العنكبوت: ١٤، الحديد: ٢٦]. في الأعراف بغير واو، وفي هود والمؤمنون بالواو، لأنه لم يتقدّم في سورة الأعراف ذكرُ رسول فيكونَ هذا عطفًا عليه، بل هو استئناف كلام. وفي هود تقدّم ذكرُ الرُّسل مرّات، وفي المؤمنون تقدّم ذكر نوح ضِمنًا، لقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢]، لأنه أوّل مَن صَنعَ الفلك، فعطف في السورتين بالواو. [٦٠] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٦٦]. في قصة نوح بحذف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وسبب هذا الحذف في قصته عليه السلام هو أن في دعائه عليه السلام ما يفيد أنهم على الكفر والضلال، يقول تعالى على لسان نبيه نوح: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فاكتفى بذلك عن ذكر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مما يقتضيه الإيجاز، أمَّا دعاء هود عليه السلام فلم يقع فيه ما وقع في دعاء نوح عليه السلام؛ لأنه قال في دعائه: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. [٦٢، ٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]. الضلال فعل يتجدد بترك الصواب إلى ضده، ويمكن تركه في الحال، فقابله بفعل يناسبه في المعنى، فقال: ﴿وَأَنصَحُ﴾، والسفاهة صفة لازمة لصاحبها فقابلها بصفة في المعنى فقال: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾. [٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ [الأعراف: ٦٤]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]. "أنجينا" و"نجينا" للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس قوله: ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، ولفظ ﴿مَن﴾ يقع على أكثر مما يقع عليه ﴿ٱلَّذِينَ﴾، لأن ﴿مَن﴾ يصلح للواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث بخلاف الذين، فإنه لجمع الذكور فحسب، فكان التشديد مع ﴿مَن﴾ أنسب، أمَّا زيادة ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾ بيونس، فإنه مثال تفصيلي في طائفة معينة من المجمل الوارد في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [يونس: ١٣]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أهلكت بتكذيبها، ثم خلفها غيرها، فذكر المتقدم مجملًا، وأنهم جُعلوا خلائف كما جرى فيمن بعدهم. [٦٥] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]. الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة عاد أخاهم هودًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تدعوهم إلى تقوى الله عز وجل، وأمَّا آية هود فتبين أنهم كاذبون في إشراكهم بالله.

[٦٠] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّلُ تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١].

= ورُسُل، وكتاب وكُتُب. وقرئ: (نُشُرًا) بضم النون والشين جمع ناشر كنازل ونُزُل، وشارف وشُرُف، فجعل الريح ناشرة للأرض، أي: محيية لها إذ تأتي بالمطر الذي يكون النبات به. [٥٨] ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَكِدًا﴾ قرئ: (نَكَدًا) بفتح الكاف، على أنه مصدر بمعنى ذا نكدٍ. وقرئ: (نَكْدًا) بكسر الكاف، على الحال. والنكد على شيء الخروج إلى طلبه بتعسر. [٥٩] ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ في مواضع القرآن قرئ: (غيرِهِ) بخفض الراء وكسر =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٩- ﴿خُلَفَاءَ﴾: خلفتم قوم نوح في الأرض ﴿بَسْطَةً﴾: طولاً وعظماً وقوة ﴿آلَاءَ اللَّهِ﴾: نعم الله. ٧٠- ﴿وَنَذَرَ﴾: نترك. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به لشدة تمردهم على الله تعالى. ٧١- ﴿رِجْسٌ﴾: عذاب وسخط، و«الرجس» و«الرجز» بمعنى واحد. ﴿أَتُجَادِلُونَنِي﴾: اتخاصمونني؟ ﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾: أصنام لا تضر ولا تنفع. أي أنهم يخاصمونه في أن تسمى آلهة، فالجدل إنما وقع في التسميات لا في المسمّيات. لكنه ورد في القرآن الكريم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [يوسف: ٤٠]. فهنا لا يريد إلا ذوات الأصنام، فالاسم يراد به المسمّى نفسه. ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: من حجة ولا معذرة تعتذرون بها ﴿فَانتَظِرُوا﴾: حكم الله فيّ، وفيكم. فعذاب الله واقع بكم لا محالة. ٧٢- ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾: استأصلناهم. فلم يبق منهم أحد يخلفهم. ٧٣- ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: أي معجزة ظاهرة وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد. وفي إضافة الناقة إلى الله تعالى تشريف لها وتكريم. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: بعقر ولا نحر.

[٧١] ﴿أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠، النجم: ٢٣]. "أفعل" للتعدي، و"فعّل" للتعدي والتكثير، فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ليجري مجرى ذكر الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع، فيكون الأول كالجنس وما سواه كالنوع. قول آخر: "نزّل" تفيد التدرج والتكرار، و"أنزل" عامة، لكن الذي يبدو أن الفرق بين "نزّل" و"أنزل" أن "نزّل" تفيد الاهتمام، نظير وصّى وأوصى، وكرّم وأكرم، ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ"نزّل"، والتي دونها يأتي بـ"أنزل"، ففي آية سورة يوسف لم يرد عليه السجينان وليس فيها تهديد، فقال: "أنزل"، أمّا الموقف في آية سورة الأعراف ففيه محاورة شديدة وتهديد، وكلام عنيف من أولئك، كيف تأمرنا أن نترك آلهتنا ونعبد الله فقال: "نزّل"، إذًا "نزّل" آكد وأقوى في مواطن الاهتمام وأشد من أنزل. [٧٣] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ...﴾ [هود: ٦١]، الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تبين أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوكم إليه... وآية هود تبين أن الله هو الذي بدأ خلقهم من الأرض بخلق أبيهم آدم منها... [٧٣] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لمّا اتّصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وزاد في الشعراءِ ذكر اليوم، لأنَّ قبله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعرا: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. [٧٤] ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الحجر: ٨٢، الشعراء: ١٤٩]. لأنَّ ما في هذه السّورة تقدّمه: ﴿مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ فاكتفى بذلك. [٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١، العنكبوت: ٣٧] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣، ٨٣، المؤمنون: ٤١]. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، أي: الزّلزلة الشّديدة، وأمّا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، أي: صيحة جبريل عليه السلام التي أهلكتهم. [٧٩] ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿رِسَالَاتِ﴾. قوله تعالى: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ في جميع قصص الأنبياء إلا في قصّة صالح؛ فإنَّ فيها ﴿رِسَالَةَ﴾ على الواحدة؛ لأنه سبحانه حَكَى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياءَ أُمِروا بها إلاَّ في قصّة صالح؛ فإنَّ فيها ذكر الناقة فقط، فصار كأنَّه رسالة واحدة.

[٦٦] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦ - ٦٧]. ما الفرق بين: "سفهًا، سفاهة". وردت كلمة (سفهًا) مرة واحدة بسورة الأنعام. بينما وردت صيغة (سفاهة) مرتين بسورة الأعراف. (السفه) من الفعل المكسور العين (سَفِه) بينما (السفاهة) من الفعل المضموم العين (سَفُه). والفرق بين المصدرين أن (السفاهة) مصدر يدل على الثبات والرسوخ، أما (السفه) فمصدر يدل على التغيُّر. أي أن (السفه) يدل على أن صاحبه قد وقع في (السفه) إلى حين ثم قد يعود عنه. بينما (السفاهة) حالة مزمنة دائمة لازمة. [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]. من ثمرات وفوائد الصدق: ١- الصدق دليل على الإيمان والتقوى. ٢- الصدق يؤدي إلى الخير وحسن العاقبة. ٣- الصدق دليل على البراءة من النفاق، قال الإمام ابن القيم: «الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر». ٤- الصدق يؤدي إلى الجنة وينجي من النار. ٥- الصدق سبب لنيل مرتبة الصديقية التي تلي مرتبة النبوة. ٦- الصدق ينجي صاحبه من أهوال يوم القيامة. ٧- الصدق يورث الطمأنينة والراحة النفسية. ٨- الصدق يورث منازل الشهداء. ٩- الصدق يورث محبة الله تعالى، فمن أراد أن يكون الله معه ويحبه فليلزم الصدق. ١٠- الصدق يورث البركة في كل شيء. ١١- الصدق سبب في شرف القدر وعلو المنزلة. ١٢- الصدق سبب لطيب العيش. ١٣- الصدق سبب لعزة النفس.

=الهاء بعدها على النعت أو البدل من (إله) لفظًا، وقرئ: (غيرُهُ) برفع الراء وضم الهاء على النعت أو البدل من موضع (إله) لأن (من) مزيدة فيه، وموضوعه رفع إما بالابتداء أو الفاعلية. [٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ في الأعراف: ٦٢، ٦٨، الأحقاف: ٢٣، قرئ: (أبْلِغكم) بسكون الباء وتخفيف اللام في الثلاثة من أبلغ. وقرئ: (أبَلّغكم) بفتح الباء وتشديد اللام، من بلغ.

[٧١] قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضًا في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلٌّ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى.

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٧٩) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١)

٧٤- ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾: انزلكم واسكنكم. ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: كانوا ينقبون الصخر؛ يتخذون فيها بيوتاً ﴿تَعْثَوْاْ﴾: تفسدوا. ٧٥- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾: لأهل المسكنة؛ من اتباع صالح والمؤمنين به منهم، دون ذوي شرفهم. ٧٧- ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: أسند العقر إلى الجميع مع كون العاقر واحدًا منهم، لأنهم تمالؤوا على العقر. وكانوا به راضين. ﴿وَعَتَوْاْ﴾: علوا، من قولهم: رجل عاتٍ، إذا كان عالياً في تجبره. ٧٨- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: أي: الزلزلة، وقيل: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾: لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم ميتين لا حراك بهم. ٨٠- ﴿وَلُوطًا﴾: بمعنى: ولقد ارسلنا لوطاً، او اذكر لوطاً يا محمد. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: إتيان الذكران! ٨١- ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: أي: لا غرض لهم إلا مجرد قضاء الشهوة من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل والفطرة السليمة، من النسل والسكن ونحو ذلك. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: إخبار لهم بأن هذا الخروج عن مقتضى الفطرة إنما سببه الإسراف والخروج عن حد الاعتدال البشري.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [الأعراف : ٨١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [النمل : ٥٥، العنكبوت : ٢٩]. ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف : ٨٠] بالاستفهام، وهو استفهام تقريع وتوبيخ واستنكار، وقال بعده: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ فزاد مع الاستفهام "إِنَّ" لأن التقريع والتّوبيخ والإنكار في الثاني أكثر، ومثله في النَّمل: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [النمل : ٥٤] وبعده: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [النمل : ٥٥]، وخالف في العنكبوت فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٨] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [العنكبوت : ٢٩]، فجمع بين "إن" و"أئن" وذلك لموافقة آخِر القصّة، فإنَّ في الآخر ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت : ٣٣]، و﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٣٤] فتأمّل فيه؛ فإنَّه صعب المستخرج.

[٨١] ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف : ٨١]، ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ هنا بلفظ الاسم، وفي النَّمل ﴿تَجْهَلُونَ﴾ بلفظ الفعل، لأنَّ كلّ إسراف جهل، وكلّ جهل إسراف، ثمّ ختم آية الأعراف بلفظ الاسم؛ موافقة لرؤوس الآيات المتقدّمة، وكلها أسماءُ: "للعالمين"، "الناصحين"، "جاثمين"... وفي النَّمل وافق ما قبلها من الآيات، وكلها أفعال: "تبصرون"، "يتّقون"، "يعملون".

[٧٣] ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ما الفرق بين: (جاءتكم بينة، جاءكم بينة)؟ الجواب: وردت كلمة (جاءتكم) مع كلمة (بينة) مرتين. ووردت كلمة (جاءكم) مع كلمة (بينة) مرة واحدة. ذهب كل من الطبري والرازي والزمخشري في تفاسيرهم إلى أن (البينة) في الآية الأولى هي الناقة؛ لقوله تعالى بعدها: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ وفي الآية الثانية هي المعجزة أو الحجة، وهذا هو سبب مجيء كلمة (جاءتكم) بصيغة مؤنثة؛ لأن الفاعل (البينة) مؤنث. أما (البينة) في الآية الثالثة ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فهي (القرآن) والقرآن لفظ مذكر.. ولذلك جاء الفعل (جاءكم) مذكرًا (أي بدون تاء التأنيث). سؤال: لم جاءت كلمة (جاءتهم) في سورة البينة بالصيغة المؤنثة؟ قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. والجواب: أن (البينة) هنا في الآية المذكورة تعني الرسول والصحف والكتب القيمة؛ لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢ - ٣] وقد غلب عليها التأنيث؛ لأن فيها شيئين مؤنثين مقابل شيء واحد مذكر، فالاسم المذكر هو الرسول ﷺ، والاسمان المؤنثان هما الصحف المطهرة، والكتب القديمة (والكتب جمع تكسير يُعامل معاملة المفرد المؤنث في الصفة وفي دخول الفعل عليه). لذا قال (جاءتهم) ولم يقل (جاءهم)، والله أعلم.

[٨٣] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام:٦٣]، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف:٨٣]. ما الفرق=

[٧٥] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ في قصة "صالح"، قرئ: (وقال الملأ) بزيادة واو العطف قبل قال. وقرئ (قال الملأ) بغير واو اكتفاء بالرابط المعنوي.

[٧٥] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظ نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٧٧] ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات الجبر مع مشتقات القهر مع مشتقات العتو، وقد ورد كلٌّ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى. أولًا: وردت مشتقات كلمة (الجبر) في كتاب الله (١٠) مرات. ثانيًا: وردت مشتقات كلمة (القهر) (١٠) مرات في كتاب الله. ثالثًا: وردت مشتقات كلمة (العتو) (١٠) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الجبر) مع مشتقات كلمة (القهر) مع مشتقات كلمة (العتو)، وقد ورد كلٌّ (١٠) مرات في كتاب الله تعالى.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢- ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يتنزهون عما نفعله. ٨٣- ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: من الباقين الهالكين.
٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: أمطرنا عليهم مطراً من حجارة من سجيل. ٨٥- ﴿مَدْيَنَ﴾: اسم قبيلة وقيل: اسم بلد ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾: تظلموهم وتنقصوهم أشياءهم وحقوقهم. ويكون هذا بالتعييب للسلعة أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وغير ذلك..
٨٦- ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾: تتهددون بالقتل من قصد شعيباً عليه السلام ممن يريد الإيمان، وتقولون إنه كذاب. ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾: تلتمسونها لمن سلك سبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ عن الحق والقصد. والمعنى: أنهم يطلبون لسبيل الله أن تكون معوجة غير مستقيمة.
٨٧- ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة منكم ﴿لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾: هذا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم، وليس هو من باب الأمر بالصبر على الكفر. وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقّين على المبطلين.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف : ٨٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [النمل : ٥٦، العنكبوت : ٢٤، ٢٩]. لأنَّ ما قبله اسم، والفاء للتعقيب، والتعقيب يكون مع الأفعال، فقال في النَّمل ﴿تَجْهَلُونَ ۝٥٥ فَمَا كَانَ﴾ [النمل : ٥٥-٥٦]، وكذلك في العنكبوت ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وفي هذه السّورة ﴿مُّسْرِفُونَ ۝٨١ وَمَا كَانَ﴾ [الأعراف : ٨١-٨٢].
[٨٢] ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف : ٨٢]، ﴿إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل : ٥٦]. ما في آية سورة الأعراف كناية فسّرها ما في السورة الَّتي بعدها، وهي سورة النَّمل، ويقال: نزلت النَّمل أوَّلاً، فصرّح في الأولى، وكنّى في الثانية. [٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ﴾ [الأعراف : ٨٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧٣، النمل : ٥٨]. لأنَّ ما في هذه وافق ما بعده وهو قوله: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ٨٦]. [٨٥] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف : ٨٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ﴾ [هود : ٨٤]. الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة "مدين" أخاهم شعيبًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تبين أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوهم إليه.. وآية هود تدعوهم ألا ينقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم... [٨٥] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا﴾ [الأعراف : ٨٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ [هود : ٨٥، الشعراء : ١٨٣]. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا﴾ أي: بالكفر والظلم بعد إصلاح الأرض بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام، أمَّا ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾، أي: ولا تكثروا في الأرض الفساد، بالشرك والقتل والنهب وتخويف الناس وارتكاب المعاصي.
[٨٥] ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ٨٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٤١، العنكبوت : ١٦، الصف : ١١، الجمعة : ٩]. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيَّ فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله، أمَّا ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم. [٨٦] ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف : ٨٦]، ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران : ٩٩]. في الأعراف بزيادة "به" و"الواو"، ذلك أن ﴿تَصُدُّونَ﴾ بآل عمران حال، وإذا كان الفعل حالًا لم تدخله الواو، وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة كأنه قال: توعدون وتصدون وتبغون.

= بين: "نَجّى وأَنجى"؟ الجواب: وردت كلمة (نجّى) سبعًا وثلاثين مرة، بينما وردت كلمة (أنجى) عشرين مرة. يرجع الفرق بين (نجّى) و(أنجى) إلى سببين ١- أن التشديد في كلمة (نجّى) يدلُّ على الكثرة والمبالغة (أي التوكيد) مثال: قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. فهذا الموضع لا يستدعي توكيدًا، فالإخبار هنا عن إنجاء الله تعالى للوط وأهله، عندما عزم قومُه على إخراجه وأهله من قريتهم، فهو إخبارٌ عامٌّ لا يلزمه التوكيد. أما في سورة العنكبوت: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. فهنا أتى التعبيرُ طمأنة وتطمينًا لإبراهيم عليه السلام (الذي خاف) عندما أخبرته الملائكة أنهم مرسلون لإهلاك قرية قوم لوط فجاء التعبير لهذا مؤكدًا باللام والتشديد في كلمة (لننجينه). ٢- تأتي (أحيانًا) كلمة (نجّى) مسبوقة أو متبوعةً بكلمات مشددة مثلها. مثال: في سورة فصلت [الآية ١٨] سُبقت كلمة (نجّى) بكلمات (فُصِّلت- زيَّنا) وبعدها (فزيّنوا). - كما تأتي (أحيانًا) كلمة (أنجى) مسبوقة أو متبوعة بأفعال متعدية بالألف، مثال: في سورة النمل [الآية ٥٧] أُتبعت كلمة (أنجى) بالأفعال (أمطرنا- أنزل- أنبتنا). إلا أن السبب الثاني (الذي نحن بصدده) ليس مطردًا في القرآن كله؛ لذا يمكن الاستئناس به في بعض ألوان السياق لا في كل ألوان السياق.
[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف : ٨٨]. تعريف الكبر: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدمًا عليهم حريصًا جدًا أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظًا بصدر المجلس مستقلًا به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصعير الخد، والنظر شزرًا، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغة كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبختره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى

[٨٥] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد).

۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٨٨- ﴿أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾: معناه: قال شعيب عليه السلام: أتخرجوننا من قريتكم ولو كنا كارهين؟ فأدخل ألف الاستفهام على واو «ولو». والمعنى: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها، أو: أتخرجوننا من قريتكم في حال كراهتنا للخروج منها، فليس لكم ذلك ولا يصح لكم أن تكرهونا على ما لا نريد. ٨٩- ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾: وسع علم ربنا كل شيء. ﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا﴾: اقض بيننا. ٩٠- ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ خسرانهم: هلاكهم. وقيل: ما يخسرونه بسبب إيفاء الكيل والوزن، وترك التطفيف الذي كانوا يعاملون الناس به. ٩١- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: أي الزلزلة، وقيل: الصيحة. ﴿جَٰثِمِينَ﴾: لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر، أي: أصبحوا في دورهم ميتين لا حراك بهم. ٩٢- ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾: كما لم ينزلوا قط، ولم يعيشوا بها. ٩٣- ﴿ءَاسَىٰ﴾: أحزن. ٩٤- ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: ضيق المعيشة، والضر والأسقام، وسوء الحال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾: ينيبون إلى ربهم. ٩٥- ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾: بدل الشدة رخاءً استدراجًا لهم. ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾: أي: وكثروا في أنفسهم وأموالهم، يقال: عفا الشيء: كثر، وعفا: درس، فهو من أسماء الأضداد. ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾: أهلكناهم ﴿بَغۡتَةٗ﴾: فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: باستدراج الله تعالى لهم.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١، العنكبوت: ٣٧] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣، ٨٣، المؤمنون: ٤١]. ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾، أي: الزَّلزلة الشَّديدة، وأمَّا ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، أي: صيحة جبريل عليه السَّلام التي أهلكتهم. [٩١] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص وفي نفس السورة، وهي تبين هلاك الكافرين. [٩٤] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. قال في آية الأنعام ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ وقال في الأعراف ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ وذلك أنه قال في آية الأنعام ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ﴾ وقال في الأعراف ﴿أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ﴾ والأمم أكثر من القرية وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ. فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ فجاء بما هو أقصر في البناء. ومن ناحية أخرى استعمل في آية الأنعام ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ﴾ وفي الأعراف ﴿أَرۡسَلۡنَا فِي﴾. والإرسال إلى شخص يقتضي التبليغ، ولا يقتضي المكث، فإنك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلغها ويعود، وأما الإرسال في القرية فإنه يقتضي التبليغ والمكث، ولا شك أن هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه.

= المتكبر شغلًا في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله" يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة العقال إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس فخرًا وتكبرًا وبطرًا. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم. علاج الكبر: ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف نفسه. ٢- التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين المتبعين لطريقة سيد المرسلين. ٣- التأمل في عاقبة الكبر السيئة. ٤- معرفة ما أعده الله للمتكبرين في الآخرة من الوعيد الشديد. ٥- أن صاحب الكبر لا يحبه الله ٦- الدعاء بأن يعيذك الله تعالى من الكبر والتعاظم والخيلاء. [٩١] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١]. قال ابن كثير: أخبر تعالى هنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيبًا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، وأخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴿٩٤﴾﴾ والمناسبة هناك - والله أعلم - أنهم لما تهكموا به في قولهم: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾، جاءت الصيحة فأسكتتهم، وقال تعالى في الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ وما ذاك إلا لأنهم قالوا في سياق القصة: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقد اجتمع عليهم ذلك كله. [٩٤] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. ما الفرق بين "البأساء والضرّاء" من حيث المعنى في القرآن الكريم؟ الجواب: "البأساء": ما يُصيب الإنسان في غير ذاتهِ، مثل: التهديد الأمني، الإخراج من الديار، نهب ماله، هذا كله يسمى بأساء، و"الضراء": ما يُصيب المرء في نفسهِ، مثل: الأمراض، والجراح، والقتل. [٩٥] ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]. ما الفرق بين: "المَسّ واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلٌّ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح، أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم. أمثلة قرآنية: أولًا- اللمسُ: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]، ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٣]. كل الآيات السابقة استعمل فيها (اللمس) مرادًا منه المعنى اللغوي الحقيقي أي ملاقاة جسم لآخر، لكن هناك سؤالًا هامًا؟ لمَ كُنّي (باللمس) عن الطلب في آيتي الجن والحديد (الأخيرتين) المذكورتين، ولم يكنَّ بالمس أو المسح؟ والجواب: أن طلب الشيء يُفضي إلى ملاقاته وأخذه، لذلك ساغت الكناية باللمس دون المس أو المسح. ثانيًا- المسُّ: وردت صيغ (المسّ) على اختلافها في أربع عشرة آية (في صيغ مختلفة بين الأفعال الماضية والمضارعة والاسم والمصدر)، ووردت هذه الصيغ المختلفة بصور مختلفة بين الحقيقة والكناية والمجاز كما يلي: ١- ثلاثة مواضع منها أُريد بها المعنى الحقيقي للمسّ (من جسم لآخر مسًا خفيفًا)، وهي: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦- ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: الأمطار، ومن ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: نباتها وثمارها. وما في بطنها، والمعنى: يسّرنا لهم خير السماء والأرض فحازوا منهما الخير الوفير. ٩٧- ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً. ٩٨- ﴿ضُحًى﴾: نهاراً. ٩٩- : ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استدراج الله عز وجل لهم بالنعم ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الهالكون. ١٠٠- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾: الذين خلفوا الأمم في الأرض ﴿وَنَطْبَعُ﴾: عطف على «أصبنا»، ويحتمل أن يكون منقطعًا؛ إخبارًا عن وقوع الطبع لا أنه مُتوَعّد به. قاله ابن عطية رحمه الله. ومعنى: نطبع: نختم. ١٠١- ﴿نَقُصُّ﴾: نخبرك عنها وعن أهلها ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخذهم من صلب آدم عليه السلام. ١٠٢- ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: يعني: أهل هذه القرى ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: من وفاء ما وصاهم به من توحيده واتباع رسله. ١٠٣- ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾: فكفروا بها. وقيل: فظلموا أنفسهم فيها وبسببها، وظلموا أيضًا مُظهرها ومتّبعي مظهرها. و(الآيات) عامّ في التسع وغيرها. والمراد بالآيات التسع: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [المائدة: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعراف: ٩٦]. آية المائدة في سياق الكلام عن أهل الكتاب، أمّا آية الأعراف فعامة بعد أن ذكرت قصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم، وبعد أن قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، فناسبها قوله بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾. [١٠١] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ [الأعراف: ١٠١]. إذا كانت الآية تتحدث عن الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول: "رسلنا"، وإذا كان الكلام يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول: "رسلهم"، فالآية في سورة المائدة جاءت عن الله تعالى وذكر فيها الأحكام، وأمّا آية الأعراف فتتكلم عن موقف القوم من الرسل، وأنه كان عليهم أن ينتفعوا بالرسل.

[١٠١] ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤]. أوّل القصّة في سورة الأعراف ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الآية ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ وليس بعدها الباء، فختم القصّة بمثل ما بدأ به، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، وكذلك في سورة يونس وافق ما قبله وهو: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ثمّ ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣]، فختم بمثل ذلك، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ وذهب بعض أهل العلم إلى أنّ ما في حقّ العقلاءِ من التكذيب فبغير الباء؛ نحو قوله: "كذّبوا رسلي"، و"كذّبوه"، وغيره؛ وما في حقّ غيرهم بالباءِ؛ نحو كذبوا بآياتنا وغيرها. وعند المحقّقين تقديره: فكذّبوا رسلنا بردّ آياتنا، حيث وقع. وأمّا ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾، وفي يونس ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون؛ لأنّه قد تقدّم في سورة الأعراف ذكر الله سبحانه بالتّصريح والكناية، فجمع بينهما فقال: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] بالنّون، وختم الآية بالتّصريح فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾، وأمّا في يونس فمبني على ما قبله من قوله: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [يونس: ٧٤]، بلفظ الجمع، فختم بمثله، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

= ﴿تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، هي: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ٣- تسعة مواضع جاء فيها المس مجازًا بمعنى (الإصابة) وهي: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾.. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ثالثًا- المسح: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾.. ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. [٩٦] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ [الأعراف: ٩٦]. بعض آثار الكذب: ١- الكذب وسيلة لدمار صاحبه أممًا وأفرادًا. ٢- الكذب سراب يقرب البعيد ويبعد القريب. ٣- الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء. ٤- الكاذب مهان ذليل. ٥- الأمم التي كذّبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك. ٦- يورث فساد الدين والدنيا. ٧- دليل على خسة النفس ودناءتها. ٨- احتقار الناس له وبعدهم عنه. ٩- الكذاب لصٌّ؛ لأن اللّص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. ١٠- الكذب فجور. ١١- الكذاب لا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه. ١٢- الكذاب لا يفلح أبدًا. ١٣- الكذب من علامات النفاق. ١٤- الكذاب توعده الله بجهنم. ١٥- إحداث الريبة عند الإنسان. ١٦- محق البركة في البيع والشراء. ١٧- انعدام الثقة بين الناس. ١٨- آثاره على الجوارح: أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، كما أفسد على اللسان قوله؛ فيعم الكذب أقواله وأفعاله فيستحكم عليه الفساد ويترامى به داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن منشؤه الكذب. ١٩- ومن آثار الكذب في الآخرة سواد الوجه. ٢٠- الكذاب يكتب عند الله سبحانه وتعالى كذابًا. الأسباب التي تعين على ترك الكذب، منها: ١- معرفة الكاذب لحرمة الكذب وشدة عقابه، وتذكر ذلك مع كل حديث وفي كل مجلس. ٢- تعويد النفس على تحمل المسؤولية وقول الحق حتى وإن كان هناك نقص ظاهري يراه، فإنّ الخير =

[٩٨] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ قرئ: (أوْأمن) بإسكان الواو العاطفة على معنى الإباحة مثل: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي لا تطع هذا الجنس، والمعنى: أفأمن؟ وقرئ: (أوَأمن) بفتح الواو. [١٠٥] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن﴾ قرئ: (عليَّ) بفتح الياء مشددة، دخل حرف الجر على ياء المتكلم فقلبت ألفها ياء وأدغمت فيها وفتحت، لأن الإضافة أصلها الفتح، و﴿حَقِيقٌ﴾ وحق سواء بمعنى واجب، وأصله: أن يتعدى بعلى كما يتعدى واجب بعلى، قال تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ وقال: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾. وقرئ: (على) بالألف لفظًا على أن (على) التي هي حرف جر دخلت على (أن) وتكون (على) بمعنى الباء، أي: حقيق بقول الحق ليس إلا، فتكون (على) في موقع الباء، كما جاز وقوع (الباء) موضع (على) في قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ أي: على كل طريق، أو يُضمَّن ﴿حَقِيقٌ﴾ معنى حريص.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٠٥- ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾: بمعنى: أنا حقيق بأن لا أقول. ومعنى «حقيق»: حريص. وقيل: جدير وخليق. ١٠٧- ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: تبين لمن رآها أنها حية تسعى، و«الثعبان»: الذكر من الحيات. ١٠٨- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾: فإذا هي أشد بياضاً من اللبن، وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم: أسمر اللون، وفي طه أضاف: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢] أي: من غير برص. ١١٠- ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون. وهو من كلام الملأ بعضهم إلى بعض، وقيل: هو من كلام فرعون لهم. ١١١- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾: أخره. وقيل: احبسه. ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾: المدائن: جمع مدينة. ﴿حَٰشِرِينَ﴾ يحشر السحرة: يجمعهم، وهم الشُرَط. ١١٣- ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: ثواباً. قيل: كان السحرة خمسة عشر ألفاً. وقيل: اثنا عشر ألفاً! وذكر آخرون أنهم كانوا اثنين وسبعين رجلاً. ١١٦- ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: خيلوا لها، وغيروها عن صحة إدراكها بما جاؤوا به من التمويه. ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أرعبوهم وفرقوهم. ١١٧- ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يكذبون ويخيلون، حتى ألقى موسى عصاه فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله. ١١٩- ﴿صَٰغِرِينَ﴾: مقهورين. ١٢٠- ﴿سَٰجِدِينَ﴾: لما رأوا عرفوا أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر فخروا سجداً، و١٢١-١٢٢ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

[١٠٧-١٠٨] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨، الشعراء: ٣٢ - ٣٣]. تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الأعراف والشعراء، وهي تبين المعجزات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام.
[١٠٩] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: ٣٤]. التقدير في آية الإعراف: قال الملأ من قوم فرعون وفرعونُ بعضهم لبعض، فحذف فرعون لاشتمال الملأ من قوم فرعون على اسمه؛ كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٤]، أي: آل فرعون وفرعون، فحذف فرعون، لأنَّ آل فرعون اشتمل على اسمه، فالقائل هو فرعون نفسه بدليل الجواب، وهو: ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: ١١١] بلفظ التوحيد، والملأ هم المقول لهم؛ إذ ليس في الآية مخاطبون بقوله: ﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] غيرهم. [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠]، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥]. آية الأعراف بنيت على الاقتصار وليس كذلك آية الشعراء؛ ولأن لفظ السّاحر يدل على السّحر. قول آخر: آية الأعراف من كلام الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدهم في رد أمر موسى عليه السلام صرح بأنه سحر، ويؤيده: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ [طه: ٥٧]، قاصدًا بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام.
[١١١] ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]. الإرسال يفيد معنى البعث، ويتضمّن نوعًا من العُلُوّ؛ لأنه يكون من فوق؛ فخُصّت سورة الأعراف به لما التُبِسَ؛ ليُعلم أنَّ المخاطَب به فرعون دون غيره.
[١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢]، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]. لأنّه راعى ما قبله في سورة الأعراف وهو قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وراعى في الشُّعراءِ الإمام، أي المصحف الإمام المعتمد رسمه في كتابة المصحف، فإنَّ فيه: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، بالألف. وقرئ في سورة الأعراف ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ أيضًا طلبًا للمبالغة، وموافقة لما في الشعراءِ، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف.
[١١٣] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. القياس في سورة الأعراف فلما جاءَ السّحرة فرعون وقالوا، أو فقالوا، لا بدّ من ذلك. لكن أضمر فيه ﴿فَلَمَّا﴾ فحسُن حذف الفاء، وخصّ هذه السّورة بإضمار ﴿فَلَمَّا﴾، لأنَّ ما في هذه السّورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق. و أمّا تقديم فرعون وتأخيره فى الشعراءِ فلأنَّ التّقدير فيهما: فلمّا جاءَ السّحرة فرعون قالوا لفرعون، فأظهر الأول في هذه السّورة لأنّها الأولى، وأضمر الثّاني فى الشّعراءِ؛ لأنّها الثانية.
[١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]. ﴿إِذًا﴾ في سورة الأعراف مضمرة مقدّرة؛ لأنَ "إذًا" جزاء، ومعناه: إن غَلبتم قرَّبتكم ورفعتُ منزلتكم، وخصّ هذه السّورة بالإضمار اختصارًا. [١١٥-١١٦] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟﴾ [الأعراف: ١١٥-١١٦]، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ [طه: ٦٥ -٦٦]. كل آية من الآيتين جرت وفق فواصل تلك السورة ورؤوس آياتها، ففي الأعراف: "الغالبين، الملقين، عظيم، يؤفكون"، وفي طه: "النجوى، المثلى، ألقى، تسعى".

في الصدق. ٣- المحافظة على اللسان ومحاسبته. ٤- استبدال مجالس الكذب وفضول الكلام بمجالس الذكر وحلق العلماء. ٥- أن يعلم الكذاب أنه متصف بصفة من صفات المنافقين. ٦- أن يستشعر أن الكذب طريق للفجور وأن الصدق يهدي إلى الجنة. ٧- تربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة وتعويدهم على الصدق والظهور بمظهر الصادقين أمامهم. ٨- أن يعلم الكاذب أن ثقة الناس به تزول وهذا من خُسران الدنيا والآخرة. ٩- أن يستشعر عظم الضرر الذي سيلحق بالمسلم من جراء كذبه. [٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. قال الزمخشري: فعلى العاقل أن يكون في خوف من مكر الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوّه الكمين والبيات والغيلة... وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت: مالي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام، فقال: يا بنتاه! إن أباك يخاف البيات، أراد قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ انتهى.

[١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ قوله تعالى: ﴿سَٰحِرٍ﴾ هنا ويونس: ٧٩، قرئ: (سحّار) بتشديد الحاء وألف بعدها فيهما على وزن فعال للمبالغة، ففيها معنى التناهي في علم السحر وقد وصف بعليم. وقرئ: (ساحِر) بألف بعد السين، وكسر الحاء خفيفة كفاعل؛ لأن اسم الفاعل من سحر ساحر. [١١٧] ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ﴾ هنا وطه: ٦٩، الشعراء: ٤٥، قرئ: (تلْقَفُ) بسكون اللام وتخفيف القاف في الثلاثة من لقف كعلم يعلم، يقال: لقفت الشيء أخذته بسرعة فأكلته وابتلعته، وقرئ: (تَلَقَّفُ) بفتح اللام وتشديد القاف فيهن من تلقف، جعلوه مستقبلًا فهي تتلقف، وحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢٣- ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾: كأنَّ الإيمان بموسى أو بأنبياء الله تعالى يحتاج إلى إذن من فرعون ومن هو على شاكلته! ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ﴾ أي حيلة تواطأتم فيها مع موسى لتخرجوا من مصر أهلها من القبط، وتسكنوا فيها أنتم وبنو إسرائيل! ١٢٤- ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾: أن يُقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يده اليسرى ورجله اليمنى. ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾: قيل: فرعون أول من صلب. وقطع اليد والرجل من خلاف. ١٢٥، ١٢٦- قالت السحرة: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ فقتلهم وقطعهم، وكانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء! قال ابن عطية: والظاهر من هذه الآيات أن فرعون توعّد، وليس في القرآن نص على أنه أنفذ ذلك وأوقعه. ١٢٧- ﴿أَتَذَرُ﴾: أتترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ﴾: من بني إسرائيل، ﴿لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضك، وهي أرض مصر. ويؤلب عليك عبيدك وخدمك ﴿وَيَذَرَكَ﴾: يترك عبادتك ﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾: ما كان يعبده فرعوه. وقيل: إنما أراد: ويترك موسى، عبادتك لأنه قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. ١٢٩- ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾: برسالة، فقتل فرعون أولادهم من الذكور، حين أظله زمن موسى، وتخوف منه ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾: حين ذكر فرعون بشديد العذاب عليهم، لما غلبت سحرته بسبب موسى عليه السلام، وقيل حين تراءى الجمعان؛ إذ طلبهم فرعون وقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]. ١٣٠- ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: بالجدوب والقحوط.

[١٢١-١٢٢] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢، الشعراء: ٤٧-٤٨]. تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الأعراف والشعراء، وهي تبين حال السحرة عندما علموا الحق الذي جاء به موسى عليه السلام.
[١٢٣] ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]. وزيادة فرعون بسورة الأعراف؛ لأن هذه السورة مقدّمة على السورتين فصرّح في الأولى، وكنّى في الأخريَيْن، وهو القياس، وقال الخطيب: لأنه بعُد في هذه السورة عن ذكر فرعون بآيات فصرّح، وقرُب في السورتين ذكره فكنّى، وأمّا الباء في ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ واللام في ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾، فالباء تفيد التصديق، واللام تفيد الانقياد والإذعان، وكلٌّ من التصديق والانقياد معنيان يحتاج إليهما فرعون في هذا الموقف، فبدئ بالباء المعطية معنى التصديق، والضمير فيها "به" يعود إلى الله تعالى هنا وهي أخص بالمقصود من اللام، فاقتضى الترتيب تقديمها، ثم أعقب في السورتين بعد بالباء باللام، فالهاء "له" تعود على موسى، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]، حتى كأن قد قيل لهم أصدقتموه منقادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فحصل المقصود على أكمل ما يمكن، والله أعلم. [١٢٤] ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ [طه: ٧١، الشعراء: ٤٩]. "ثم" تدل على أنَّ الصَّلْب يقع بعد التقطيع، وإذا دَلَّ في الأولى، عُلِمَ في غيرها، ولأنَّ الواو تصلح لما تصلح له "ثم". [١٢٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]، ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]. قوله تعالى في الشعراء بزيادة: ﴿لَا ضَيۡرَ﴾، لأنَّ سورة الأعراف اختُصِرَت فيها القِصَّة، وأُشبعت في الشعراء، وذكر فيها أوّل أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها، فبدأ بقوله: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨] وختم بقوله: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦]، فلهذا وقعت زوائد لم تقع في الأعراف وطه، فتأمّل وتدبر تعرف إعجاز التنزيل.

[١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]. ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا". رواه أحمد وصححه الألباني. [١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفوز، وتمني القرب من السلطان، فإذا هي ذاتها التي تستعلي على فرعون وتستهين بالتهديد والوعيد، ويذهب التهديد، ويتلاشى الوعيد، ويمضي الإيمان في طريقه لا يلتفت ولا يتردد ولا يحيد. [١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] تعريف التقوى: قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. من ثمرات وفوائد التقوى: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب.

[١٢٧] ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ﴾ قرئ: (سَنَقْتُلُ) بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء مخففة من قتل يقتل. وقرئ: (سَنُقَتِّل) بضم النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة للتكثير لتعدد المحل، أو ليدل على تعدد القتل مرة بعد مرة.

[١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.
[١٢٧] ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد). وقد ورد كلٌّ (٥٠) مرة في كتاب الله تعالى.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١- ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: الخصب والرخاء ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: قحوط وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ﴾: وقالوا ما رأينا شراً حتى رأيناك ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: قيل: مصائبهم وانصباؤهم من الخير والشر من عند الله عز وجل. وقيل: الأمر كله من الله عز وجل. ١٣٢- ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾: بمعنى: ما تأتنا به من آية ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لتقلعنا عما نحن عليه. كما يفعله السحرة بسحرهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين. ١٣٣- ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: قيل: هو الموت الذريع. وقيل: هو المطر الشديد ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: قيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل: هو صغير الجراد الذي لا أجنحة له. وقرأ الحسن «والقَمْل» يريد القمل المعروف، ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: كثَّر الله عندهم الجراد والقمّل والضفادع، حتى كانت تدخل بيوتهم وآنيتهم وفراشهم، وتأكل أقواتهم، وتدخل بين ثوب أحدهم وجلده ﴿وَٱلدَّمَ﴾: كان أحدهم إذا أراد أن يشرب ماء فرفعه إلى فيه تحوّل دماً. وقيل: إن الرجل منهم كان يستقي من البئر، فإذا ارتفع إليه الدلو عاد دمًا. وقيل: هو الرعاف. ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: معلومات يتلو بعضها بعضاً. ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: عتواً. ١٣٤- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾: حل بهم ﴿ٱلرِّجْزُ﴾: عذاب الله وسخطه. وقيل: كان طاعوناً. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بما أوصاك وأمرك ﴿لَئِن كَشَفْتَ﴾: رفعت. ١٣٥- ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: إلى وقت هلاكهم ﴿يَنكُثُونَ﴾: ينقضون ما عاهدوا به ربهم عز وجل وموسى عليه السلام. ١٣٦- ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ في البحر ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: يعني: النقمة. ١٣٧- ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: هم بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾: يعني: الشام، ما ولي الشرق منها والغرب ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: وفى الله تعالى بما عاهد به بني إسرائيل، بصبرهم من تمكينهم في الأرض. ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: من العمارات والمزارع والأبنية ﴿يَعْرِشُونَ﴾: يبنون.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]. فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدَّم لهم من الإمهال وكَشْفِ العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، والقصة في سورة الأعراف فيها تفصيل، أمَّا القصة في الزخرف فموجزة، وآية الزخرف تبين أنه لما دعا موسى برفع العذاب عنهم، فرفعه الله عنهم إذا هم يغدرون، ويصرُّون على ضلالهم. [١٣٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا﴾ [يونس: ٩٠]. وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم، قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنمًا نعبده ونتخذه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية يونس: وقطَعْنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وعدوانًا، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال: آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنو إسرائيل، وأنا من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة.

[١٤١] ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩، إبراهيم: ٦]. الذبح منبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم منه إلا إعدام الحياة، ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبر أولًا بما يوفي المقصود من الاخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع الصفة لما كان إيجازًا، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنه أوجز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف، إذ لفظ يذبحون أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل، وجاء على ما يناسب، والله أعلم.

= والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز برضى الله. ٢٦- التفكر والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [١٣٧] ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧]. كيف نجمع بين آية الأعراف وآية الشعراء؟ الجواب: معنى ﴿وَدَمَّرْنَا﴾، أي: أبطلنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد بموسى عليه السلام، ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾، أي: يبنون من الصرح الذي أمر فرعون هامان ببنائه؛ ليصعد بواسطته إلى السماء، وقيل: هو على ظاهره مِن أنّ معنى ﴿وَدَمَّرْنَا﴾، أي: أهلكنا؛ لأن الله تعالى أورث ذلك بني إسرائيل مدة ثم دمّره. [١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال الزمخشري: وهذا آخر ما اقتصَّ الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم، ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من مُلكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر، من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي، ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه (لظلوم كفار)، جهول كنود إلا من عصمه الله (وقليل من عبادي الشكور)، وليسلي رسول الله صلي الله عليه وسلم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة. [١٣٧] ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ هنا والنحل: ٦٨، قرئ: (يعرُشون - يعرِشون) بضم الراء فيهما وكسرها، يقال: عرشِ الكَرْمَ يعرشه بضم الراء وكسرها وهو أفصح، والضم والكسر لغتان.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضًا في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلٌ (١٠) مرات في كتاب الله سبحانه وتعالى.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١٣٨- ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: قطعنا ﴿يَعْكُفُونَ﴾: يقيمون، وأصل العكوف: حبس النفس على الشيء. ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: صنماً نتخذه إلهاً كما لهؤلاء. ١٣٩- ﴿مُتَبَّرٌ﴾: مُهلك ومخسر. والتبار: الهلاك. ١٤٠- ﴿قَالَ﴾: موسى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾: أسوى الله ﴿أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: ألتمس لكم إلهاً ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: من أهل عصركم، بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة. ١٤١- ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: ممن كان على منهاجه وطريقه ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يحملونكم ويكلفونكم؛ تقول: سامه خطة خسف.﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشده ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون إناث أولادكم ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: اختبار وامتحان. ١٤٢- ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ لمناجاة ربه عز وجل ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: قيل: كانت شهر ذي القعدة ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ﴾: كمل ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: الوقت الذي وعد الله موسى عليه السلام. ١٤٣- ﴿تَجَلَّىٰ﴾: اطَّلع وقيل: ظهر وبدا سلطانه. ﴿جَعَلَهُۥ﴾ يعني: الجبل ﴿دَكًّا﴾ يعني: مستوياً بالأرض. ﴿صَعِقًا﴾: مغشياً عليه، أي صار حاله لما غُشي عليه كحال من يغشى عليه عند إصابة الصاعقة له، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾: ثاب إليه فهمه من غشيته ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من سؤال الرؤية. وقال ابن عطية: ويحتمل عندي أنه لفظ قاله عليه السلام لشدة هول ما اطلع، ولم يعن به التوبة من شيء معين، ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة!

[١٤١] ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة : ٤٩]، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم : ٦]. ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في البقرة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ في الأعراف بغير واو، ثم ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم وكان مأمورًا بذلك في قوله تعالى قبلها: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم : ٥]، فكان الوصل للآية أنسب. [١٤٢] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [البقرة : ٥١]، ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف :١٤٢]. القصة طويلة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر بهذا التفصيل في سورة البقرة، بل أوجزت.
قول آخر: إن الله سبحانه أمر موسى بالصيام ثلاثين يومًا، وشهر الصوم في كل الأديان شهر، فلما تهيَّأ موسى لمقابلة ربه بالطِّيب والعطر وتنظيف أسنانه ورائحة فمه لمقابلة الله سبحانه وتعالى، سأله الله: مالي لا أشم رائحة الصيام في فمك، فإني أحب أن أشم رائحة فم الصائم، فتلقى موسى أمرًا من الله بصيام عشرة أيام أخرى. [١٤٣] ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٣]، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٣]. المراد: أول المسلمين من أهل مكة، لأنه أول المسلمين منهم ﷺ، وأمّا "وأنا أول المؤمنين" من قول موسى عليه السلام، فأراد به أول المصدقين بامتناع الرؤية في الدنيا، ولم يرد الإيمان الذي هو الدين.

[١٤٢] ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف : ١٤٢]، ما فائدة قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ مع علمه بما قبله؟ الجواب: فائدته التوكيد، والعلم بأنها عشر ليال لا ساعات، ورفع توهم أنّ العشرة داخلة في الثلاثين، بمعنى أنها كانت عشرين، وأتِمّت بعشر. [١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ...﴾ [الأعراف : ١٤٣]. هذه الآية سيقت مساق الامتنان على موسى عليه السلام، باصطفاء الله تعالى له، وتخصيصه إياه بتكليمه، وهذا ما بينه الله تعالى له في الآية التالية حيث يقول: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وتخبرنا الآية الكريمة السابقة أن موسى عليه السلام، لما سمع كلام الله تعالى، أحب أن ينظر إليه، وهذا شأن كل محب مع من يحب، فسأل ربه ذلك، فأعلمه سبحانه وتعالى بأنه لن يقدر على رؤيته؛ لأن رؤيته جل ثناؤه في الدنيا لا يطيقها أحد من خلقه، بخلاف الآخرة فإن رؤيته تعالى فيها جائزة، ولهذا أمره الله تعالى أن ينظر إلى الجبل؛ ليتحقق من ذلك، فحصل ما حصل، كما أخبرت عنه بقية الآية الكريمة. ويفهم مما تقدم أن رؤية الله تعالى للمؤمنين فقط في الدنيا جائزة عقلًا، كما هي جائزة شرعًا في الآخرة، ولكنها في الدنيا ممتنعة للسبب الذي ذكره الله تعالى، بدليل أن الجبل لم يطق النظر إلى الله تعالى، لما تجلى له، فكيف يطيقها الإنسان؟ وكأن الله تعالى قال لموسى: لا تطلب النظر إليَّ، ولكن عليك بطلب آخر؛ وهو أن تنظر إلى الجبل، ومن أقوى الأدلة على أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلًا قول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ لأن موسى عليه السلام لا يخفى عليه الجائز، والمستحيل في حق الله تعالى، فإذا ثبت أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلًا، وممتنعة شرعًا، وأن موسى عليه السلام لم يطلب مستحيلًا، لم يؤاخذه الله تعالى على طلب الرؤية، أو يلمه، أو يؤنبه؟

[١٣٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ قرئ: (يعكِفون) بكسر الكاف لغة أسد عَكَفَ يَعْكِفُ. وقرئ: (يعكُفون) بضمها لغة بقية العرب من عَكَفَ يعكُف، وهما لغتان. [١٤١] ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ قرئ: (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون مسندًا إلى ضمير الله تعالى. وقرئ: (أنجيناكم) بياء ونون وألف بعدها مسندًا إلى ضمير العظمة على طريقة الإكبار والتعظيم لله تعالى فهو أعظم العظماء. قوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ قرئ: (يَقْتُلون) بفتح الياء وسكون القاف وضم التاء مخففة على الأصل، وقرئ: (يُقَتِّلون) بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة للمبالغة. [١٤٣] ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿دَكًّا﴾ قرئ: (دكاءَ) بالمد والهمز من غير تنوين بوزن حمراء من قولهم: ناقة دكَّاء، أي: منبسطة السنام غير مرتفعة، أي: أرضًا مستوية، وقرئ: (دكًا) بالتنوين بلا مد ولا همز مصدر واقع موقع المفعول به، أي: مدكوكًا مُفتتًا، قال ابن عباس: صار ترابًا، وقال الحسن: ساح في الأرض، وهو مفعول ثان لجعل على المشهور فيهما.

[١٣٨] ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد)=

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٤- ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾: اخترتك. ١٤٥- ﴿مَّوۡعِظَةٗ﴾: لمن آمن بالعمل بما كتب في الألواح ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾: تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: من أمر الله ونهيه ﴿فَخُذۡهَا﴾: يعني الألواح ﴿بِقُوَّةٖ﴾: باجتهاد وجد ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾: بأحسن ما تجدون فيها. قيل: مما ثوابه أعظم، مثل العمل بالعزيمة دون الرخصة، والصبر على الغير والعفو عنه، ونحو ذلك. وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾. ﴿دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: يعني النار في الآخرة، وقيل: دار فرعون وقومه، وهي مصر. سأريكم كيف أقفرت منهم، وكيف دُمِّروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثلهم. ١٤٦- ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾: أنزع عنهم فهم القرآن. وقيل عن حجج الله أن يتفكروا فيها، وأن يعتبروا. ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾: هم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾: الهدى. ﴿سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾: الهلاك. قال ابن عطية: والمتكبرون بغير حق في الأرض هم الكفرة. والمعنى في هذه الآية: سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم. ١٤٧- ﴿حَبِطَتۡ﴾: بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: التي كانوا يرجونها، وبقيت عليهم أوزارهم. ١٤٨- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد مسيره لمناجاة ربه عز وجل ﴿عِجۡلٗا﴾: شبيهاً بولد البقرة ﴿جَسَدٗا﴾: جثة وجمادًا. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: له صوت. ١٤٩- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾: ظهرت إليهم الفضيحة، وندموا، ويقال للنادم المتحير: قد سقط في يده.

[١٤٨] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ [الأنعام: ٦، الأعراف: ١٤٨، النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، يس: ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾. ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، في بعض المواضع بغير واو، كما في هذه السورة، وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين، أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو، لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالًا بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال فاقتصر على الألف دون الواو والفاء، لتجري مجرى الاستئناف.

[١٤٦] ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف: ١٤٦] ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]. ما الفرق بين "الرُّشْدُ والهُدَى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمُّ، وورودها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أو إلى باطل، إلى صوابٍ كان أو إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (الهدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ٢٤]، إذ جعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر.

[١٤٨] ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جِسْم وجَسَد وبَدَن". الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. أمثلة قرآنية: الجسم: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ [المنافقون: ٤]. الجسد: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. بدن: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس: ٩٢].

[١٤٤] ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ قوله تعالى: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ قرئ: (برسالتي) بالتوحيد، على أن رسالة تجري مجرى المصدر، والمصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، ولأن بعده وبكلامي وهو مصدر موحد يراد به أيضًا الكثير، فجرت الرسالة في توحيد لفظها على مثل توحيد الكلام. وقرئ: (برسالاتي) بالجمع على أن موسى ـ عليه السلام ـ أرسل بضرب من الرسالات، فاختلفت أنواعها، فجمع المصدر لاختلاف أنواعه. [١٤٦] ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ قوله: ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ قرئ: (الرَّشَد) بفتح الراء والشين. وقرئ: (الرُّشْد) بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان في الصلاح والدين، وقيل: إن من فتح الراء والشين أراد به الدين، لأن قبله ذِكْرُ الغي والدين ضد الغي، ومن ضم أراد به الصلاح. [١٤٨] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ قوله تعالى: ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾ قرئ: (حِلِيِّهم) بكسر الحاء واللام وتشديد الياء مكسورة على الإتباع لكسرة اللام. وقرئ: (حَلْيِهم) بفتح الحاء وسكون اللام وتحقيق الياء: مفردًا أريد به الجمع، مفرده حلية كقمح وقمحة. وقرئ: (حُلِيِّهم) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة، جمع حلي كفلس وفلوس، والأصل (حلوى) اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، وقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. [١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا﴾ قرئ: (ترحمنا ربنا) بالخطاب فيهما، ونصب الباء من (ربنا) على النداء، وقرئ: (يرحمنا ربُّنا) بالغيب فيهما، ورفع الباء على أنه فاعل.

= في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٍّ (٥) مرات في كتاب الله.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٠- ﴿أَسِفٗا﴾: حزيناً ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾: يعني: بئس الفعل فعلتم بعد فراقي إياكم، ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ﴾: سبقتم أمر ربكم في أنفسكم؟ أي: أعَجلتم عن انتظار ميعاده الذي وعدنيه – وهو الأربعون – ففعلتم ما فعلتم؟ ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾: بسبب غضبه على قومه في عبادتهم العجل، وغضبه من أخيه لإهمال أمرهم. ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾: استعطاف برحم الأم إذ هو أقرب القرابات. ١٥١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾: كأنه تذمَّم مما فعله بأخيه وأظهر أنه لا وجه له، فطلب المغفرة منه، ومن عجلته في إلقاء الألواح، كما طلب المغفرة لأخيه إن وقع منه تقصير في موقفه من بني إسرائيل. ١٥٢- ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾: إلهًا! ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾: كل صاحب بدعة ذليل. ١٥٤- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن. ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾: التي ألقاها عند غضبه، ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾: أي فيما نسخ من الألواح المتكسرة ونقل إلى الألوح الجديدة. ١٥٥- ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾: من قومه، قيل: ممن لم يعبد العجل من خيارهم، أفاضلهم لينطلقوا إلى الله عز وجل معتذرين إليه من عبادة العجل. ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾: للوقت الذي وقتناه له بعد أن وقع من قومه ما وقع ﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾: صعقوا فماتوا. قيل: لأنهم لم يفارقوا قومهم إذ عبدوا العجل، ولم يخرجوا عنهم، ولا نهوهم عنه؛ وإن كانوا لم يرضوا بذلك ولا عبدوه ﴿إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾: التي تختبر بها من شئت، وتمتحن بها من أردت.

[١٥٣] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [١٥٣] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[١٥٠] ﴿رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا ...﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ...﴾ [طه: ٨٦]. ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزينًا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فُتِن قومه... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية طه: فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا، وقال لهم: يا قوم ألم يَعِدْكم ربكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة... [١٥٠] ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾ [طه: ٩٤]. إن ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف، سواء كان "ياء" أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز، ويحذف الحرف إذا لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، وقد يكون مقام التوكيد بالحرف، ففي سورة الأعراف حذف الحرف، لأن الموقف جاء ذكره باختصار: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أمَّا في طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة، وذُكرت فيها كل الجزئيات، لذا اقتضى ذكر "يا" بداية من قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه: ٨٦]، حتى قوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٢-٩٣]. [١٥١، ١٥٥] ﴿فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أن الرحمة موجودة في الحالتين، فجعل خاتمة آية رحمة والثانية مغفرة، والملاحظ أنه إذا ذكر ذنبًا عقب بالمغفرة، وإذا لم يذكر ذنبًا عقب بالرحمة، ففي الآية الأولى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، هذا قول موسى حين لم يذكر لهما ذنبًا فقال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ بينما الآية الثانية: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، عندما ذكر ذنبًا قال: ﴿خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، هنا لم يذكر ذنبًا، فإذا ذكر ذنبًا ذكر الغافرين، وإذا لم يذكر قال الراحمين.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]. عن كعب، قال: "رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله فقام أحدهما يصلي فرد الله صلاته، ودعاه فلم يرد عليه من دعائه شيئًا، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: يارب أخي فلان اغفر له، فغفر له وهو نائم".

[١٥٠] ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ قوله تعالى: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ هنا وطه:٩٤، قرئ: (أُمِّ) بكسر الميم، كسرة بناء عند البصريين لأجل ياء المتكلم، ووجهه أنه لما لم يدخل الكلام تغيير، قيل: استخف حذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكثرة الاستعمال، فهو نداء مضاف بمنزلة يا غلام غلام. وقرئ: (أُمَّ) بفتحها فيهما لتركيبهما كخمسة عشر بالشبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافًا لأم، إنما مركب معها فجعل الاسمين اسمًا واحدًا، وبناه على الفتح ففتحه ابنَ أمَّ كفتحة الثاني: خمسة عشر. ومذهب الكوفيين: أن ابن مضاف لأم، وأم مضافة للياء، وقلبت الياء ألفًا تخفيفًا فانفتحت الميم كقوله: يا ابنة عمَّا لا تلومي واهجعي. ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها.

۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦- ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تُبنا إليك ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: يعني: يتقون الشرك. ١٥٧- ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾: محمداً ﷺ والأمي: نسبة إلى الأمة التي لا تقرأ، أو التي ليس لها كتاب (من غير أهل الكتاب) ولم يكن النبي ﷺ يكتب أو يقرأ في كتاب، قال بعض العلماء: «وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه، واعتماده على ضمان الله له بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦] ولتقوم الحجة بذلك على العالمين: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]». ﴿وَيَضَعُ﴾: يُسقط ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: التشديد الذي كان على بني إسرائيل من التكاليف الشاقة الثقيلة. ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾: التي جعلها الله عليهم في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[المائدة: ٦٤]، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾: بالنبي الأمي ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: عظموه ووقروه وحموه ﴿النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾: القرآن. ١٥٨- ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾: آياته. ١٥٩- ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: يعني من بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وقيل: هم سبط من بني إسرائيل لما رأوا عدوان قومهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء تبرؤوا إلى الله منهم، أن يفرق بينهم وبينهم، فضربوا بعيدًا في الأرض حنفاء مسلمين، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] و«وعد الآخرة»: عيسى بن مريم ومعه يخرجون.

[١٥٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٥٨] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأعراف: ١٥٣]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ﴾ [النحل: ١١٩]. والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل مَن كان مثلهم من التائبين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية النحل: ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم- ثم رجعوا إلى الله عمّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك -من بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم. [١٥٨] ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨، التغابن: ٨] وفي غيرهما ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩، النساء: ١٧١]. المقصود من آية الأعراف والتغابن الإيمان بالنبي محمد ﷺ، وباقي المواضع المقصود الإيمان به ﷺ وبجميع الرسل. [١٥٨] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[التوبة: ١١٦، الحديد: ٢]. قل أيها الرسول للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعًا لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهما، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفنائه وبعثه، والآية فيها دعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده، وباقي المواضع ليست كذلك.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. في هذا النظم الكريم، يعني قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب، الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزله الآمر بذلك، المغري عليه، بالتحكم والتشديد، وفي التعبير عن سكونه بالسكون مالا يخفى.

[١٥٧] ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قرئ: (آصارهم) بالجمع مثل أعمالهم، وهو جمع إصر، والإصر: الثقل من الإثم وغيره، وهو مصدر لكن جمع لاختلاف ضروب الآثام، وقرئ (إصرهم) بالتوحيد، مثل إثمهم فاكتفوا بالواحد؛ لأنه مصدر يدل على القليل والكثير جنسه مع إفراد لفظه، لكن إضافته لضمير الجمع تدل على أن المراد به الجمع.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤،، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [١٥٧] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

١٦٠- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾: يعني: قوم موسى من بني إسرائيل، فرقهم الله ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: قبيلة ﴿أُمَمًا﴾: جماعات ﴿فَانبَجَسَتْ﴾: انصبت وانفجرت ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾: من الأسباط الاثني عشر ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: لا يدخل سبط على سبط في مشربه ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾: صار عليهم الغمام ظلاً يكنهم من الشمس وأذاها ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾: طعام كان ينزل عليهم، قد تقدم تفسيره (سورة البقرة: ٥٧) ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: وما أدخلوا علينا نقصاً في سلطاننا بمسألتهم ما سألوه، وفعلهم ما فعلوه. ١٦١- ﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس أو أريحاء ﴿وَكُلُوا مِنْهَا﴾: من ثمارها وحبوبها ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: يقول: قولوا هذه الفعلة «حطة» تحط ذنوبنا. أي: حطّ ذنوبنا حطة. وقيل: هي: «لا إله إلا الله»، وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: المطيعين لله. أي سنزيدهم على المغفرة للذنوب ما نشاء من النعم. ١٦٢- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل: إنه قيل لهم: قولوا هذه «حطة»، فكانوا يقولون: «حبّة في شعرة أو حنطة في شعيرة» تحريفاً لما أمروا به ﴿رِجْزًا﴾: عذاباً. ١٦٣- ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾: قال الله عز وجل: يا محمد واسألهم، يعني: اليهود الذين كانوا يجاورونه في المدينة ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: أيلة، أي: العقبة، وقيل: طبرية. ومعنى «حاضرة البحر»: أي بقربه وعلى ساحله، أو بمعنى أهم مدنه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يعتدون، وكان اعتداؤهم فيه أن الله حرم عليهم الصيد فيه والعمل. ﴿شُرَّعًا﴾: جمع: شارع، أي ظاهرة على الماء من كل مكان، وكانت الحيتان لا تأتيهم في غير السبت شرعاً، فإذا أمسى ذهبت فلا يُرى شيء منها إلى السبت الثاني، فاتخذوا خيوطاً وجعلوا يأخذون الحيتان في السبت ويربطونها في الخيوط إلى أوتاد في الماء ويتركونها فيه، فإذا أمسوا ليلة الأحد أخرجوه فأكلوه!! وقيل: كان لهم في حجز الحيتان وسائل أخرى.

[١٦٠] ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. قوله في البقرة ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف ﴿فَانبَجَسَتْ﴾، لأن الانفجار معناه انصباب الماء بكثرة وغزارة، والانبجاس معناه ظهور الماء، وفي البقرة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فبالغ فقال: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾، وفي الأعراف ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وليس فيه ﴿وَاشْرَبُوا﴾ فلم يبالغ فيه. [١٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ٥٨]، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]. في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء؛ لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو، ومعناه: أقيموا فيها، وذلك ممتد فذكر بالواو، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾، لأنه سبحانه أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾، خلاف ما في الأعراف فإنَّ فيه: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، ثم قدم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ على قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ في البقرة، وأخرها في الأعراف، لأن السابق في البقرة ﴿ادْخُلُوا﴾ فبين كيفية الدخول، وجمع ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾، لأن خطايا صيغة الجمع الكثير، ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه، وزاد واوًا ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ في البقرة، وفي الأعراف ﴿سَنَزِيدُ﴾ بغير واو؛ لأن اتصالها في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين، واختلفا في الأعراب، لأن اللائق ﴿سَنَزِيدُ﴾ محذوف الواو ليكون استئنافًا للكلام. قول آخر: آية البقرة لما افتتح ذكر بني إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، ناسب ذلك نسبة القول إليه، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ وناسب ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لدلالتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا﴾، لأن الأكل مترتب على الدخول، فناسب مجيئه بالواو، وأمَّا آية الأعرف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، فناسب ذلك ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾، وناسب ترك رغدًا والسكنى لجامع الأكل، فقال: ﴿وَكُلُوا﴾، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا، وتلك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾. [١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. لما سبق في الأعراف تبعيض الهادين بقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾[١٥٩]، ناسب تبعيض الظالمين منهم بقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، ولم يتقدم مثله في البقرة، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا، لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم ﴿فَأَنزَلْنَا﴾، والإرسال أشد وقعًا من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في سورة البقرة، وختم الآية بـ﴿يَفْسُقُونَ﴾، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظ منهم سياقه.

[١٦٣] ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف: ١٦٣]. اعتدوا فكان الجزاء: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، عوقب هؤلاء المتحيلون بأنهم مسخوا قردة خاسئين، والذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئًا صورته صورة المباح ولكن حقيقته غير مباح، فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل. الذي فعله اليهود هو إلقاء الشباك يوم الجمعة فتدخل فيها الحيتان، ويخرجونها يوم الأحد حتى يظفروا بصيد السبت الذي نهوا عن الصيد فيه.

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ قرئ: (تُغفر - خطيئاتُكم) بتاء مضمومة في تغفر، وخطيئاتكم بجمع السلامة، ورفع التاء على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (تُغفر - خطيئتُكم) بالإفراد ورفع التاء كذلك وهو واقع موقع الجمع لفهم المعنى. وقرئ: (نَغفر - خطاياكم) على وزن (عطاياكم) بجمع التكسير مفعولًا لنغفر. وقرئ: (نَغفر - خطيئاتِكم) بجمع السلامة وكسر التاء نصبًا على المفعولية، وقد آثر أبو عمرو فجمعه جمع تكسير لكثرة الخطايا منهم، ولأن جمع التكسير أدل على الكثرة من جمع السلامة. [١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ =

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٤- ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾: تنهون وتذكّرون؟ ﴿مَعْذِرَةً﴾: قرأ حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. ١٦٥- ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾: شديد، وذلك أنه مسخهم، فجعل منهم القردة والخنازير. ١٦٦- ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾: بُعداء من الخير، والخاسئ: المباعد المطرود. أو: الصاغر الذليل. ١٦٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أمر واعلم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: يعني اليهود ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: قال ابن عباس: هي إشارة إلى محمد ﷺ وأمته. قال ابن عطية: والصحيح أنها عاملة في كل مَن حال اليهود معه هذه الحال. ١٦٨- ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فرقناهم، ففي كل أرض قوم من اليهود. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾: وصفهم الله عز وجل بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم، وقبل مبعث عيسى عليه السلام ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم﴾: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾: بالرخاء والسعة ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشدائد والمصائب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتهون إلى طاعة الله. ١٦٩- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾: يعني خلف سوء؛ أي بدل سوء، يقال في الذم «خلْف سوء» -بتسكين اللام- وفي المدح بفتح اللام، وقد يقال كل واحد منهما في المدح والذم. وقيل: عنى بهم النصارى ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: يرتشون في حكم الله ويؤثرون الأدنى، وهو الأقرب من عرض الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: تمنياً على الله ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ قيل: يعملون الذنب ويستغفرون منه الله، فإن عرض لهم ذلك الذنب أخذوه وعادوا فيه ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: ما عملوا في الكتاب وضيعوه، وتركوا العمل به. ١٧٠- ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: معناه: يعملون بما في كتاب الله عز وجل.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ ...﴾ [الأنعام : ٤٤]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ...﴾ [الأعراف : ١٦٥]. فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاءً في العيش، وبالضراء صحة في الأجسام، استدراجًا منا لهم... فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية الأعراف: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكِّرت به، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته... [١٦٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام : ١٦٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأعراف : ١٦٧]. في آية الأنعام الكلام قبلها كان عن الحسنات والهداية لصراط الله، فجاء التعبير باللام مع المغفرة والرحمة، وأمّا آية الأعراف فالكلام قبلها عن أخذ الذين ظلموا بالعذاب، وذكر مرتكباتهم السيئة فجاء التعبير باللام لتأكيد سرعة العذاب الذي يستحقونه.
[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ ...﴾ [الأعراف : ١٦٩]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ...﴾ [مريم : ٥٩]. فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم أتباع سَوْء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية مريم: فأتى مِن بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها... [١٦٩] ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام : ٣٢]، ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٩]، آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرفًا بحال الدنيا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الأنعام : ٣٢]، ومعنى التأكيد في هذا حاصل من سياق الكلام، لأنك إذا قلت: "ما المال إلا الإبل" فكأنك نفيت عن غير الإبل أن يكون مالاً، وأثبت ذلك لها ثباتًا مؤكدًا وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال، ومثل هذا هو المعنى الحاصل من لفظ القسم الصريح، فناسب هذا مجيء لام القسم في قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾، وكأنه نص قولك: والله للدار الآخرة خير، وتناسب ذلك مع ما تقدم قبله من تقدير القسم المؤكد كما بين، وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا لأنها مناطة بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[الأعراف : ١٦٩]، ثم قال: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾، وعلى هذا نظم الكلام وليس فيه ما يقتضي قسمًا فلم تدخله تلك اللام.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ [الأعراف : ١٧٦]. أخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع، لا يرفع أحد به رأسًا، فإن الرب الخافض الرافع سبحانه خفضه ولم يرفعه.
[١٧٦] ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف : ١٧٦]. هذا تمثيلٌ لحال "بلعام" فكيف قال بعده: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف : ١٧٧] ولم يُضرب إلا لواحد؟ الجواب: المَثَلُ في الصُّورة وإن ضُرب لواحد، فالمرادُ به كفّارُ مكة كُلُّهم؛ لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ، بسبب ميلهم إلى الدنيا، من الكيد والمكر، ما يُشبه فعل "بلعام" مع موسى، أو أن ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ راجعٌ إلى قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأعراف : ١٧٦]، لا إلى أول الآية.
[١٧٧] ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٧٧]. حيث شبهوا بالكلاب إما في استواء الحالتين في النقصان (استواء إيتاء الآيات والتكليف وعدم ذلك) وأنهم ضالون وعظوا أم لم يوعظوا، وإما في الخسة فإن الكلاب لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة. واتصال الآية بما قبلها: = يَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً﴾ قرئ: (معذرةً) بالنصب على المصدر كأنهم لما قيل لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ قالوا: نعتذر من فعلهم اعتذارًا إلى ربكم فكأنه خبر مستأنف وقوعه منهم، ويجوز أن يكون قد وقع ذلك منهم على معنى اعتذرنا اعتذارًا. وقرئ: (معذرةٌ) بالرفع على إضمار مبتدأ دل عليه الكلام كأنهم لما قيل لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ قالوا: موعظتنا معذرة لهم، فهو أمر قد مضى منهم فعله. [١٦٥] ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿بَـِٔيسٍ﴾ قرئ: (بِيس) بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همزة مثل عيس. وقرئ (بِئْس) كذلك إلا أنه بالهمزة الساكنة بلا ياء على أنه صفة، أي: بعذاب ذي بئس، أي: ذي بؤس على فعل كحذر، نقلت كسرة الهمزة إلى الباء بعد حذف حركتها ثم سكنت. وقرئ: (بَئِيس) بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة على وزن فعيل كشديد للمبالغة. وقرئ: (بَيْأَس)، أي: بفتح الباء وياء ساكنة بعدها همزة مفتوحة على وزن فيعل كبرزخ، وكلها لغات. [١٧٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ قرئ: (يُمْسِكون) بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك، وهو متعد فالمفعول محذوف، أي: دينهم وأعمالهم بالكتاب، والباء للحال أو الآلة. وقرئ: (يَمَسَّكون) بفتح الميم وتشديد السين، من مسَّك يُمَسِّك على التكثير.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧١- ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: اقتلعناه فرفعناه فوق بني إسرائيل ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: غمام ﴿خُذُوا﴾: اقبلوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾: أنزلنا من فرائضنا ﴿بِقُوَّةٍ﴾: اجتهاد وجد. قيل: إن موسى عليه السلام قال لهم: هذا كتاب الله، يعني التوراة تقبلونه بما فيه؛ ففيه بيان ما حرم عليكم وأحل لكم، ونهاكم عنه. فقالوا: انشر علينا بما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها! قال: اقبلوا ما فيها. قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها، فراجعوه مراراً فأوحى الله إلى الجبل، فاقتلع وارتفع إلى السماء، حتى كان بين رؤوسهم والسماء، فقال لهم: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل. وأصل «النتق» و«النتوق»: كل شيء قلعته من موضعه فرميت به. ١٧٢- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: مسح الله عز وجل ظهر آدم فخرجت منه كل نسمة، أي نفس، هو خالقها إلى يوم القيامة؛ فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾: قيل: معناه: قال الله وملائكته: شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾: وقيل: إن معنى «وأشهدهم على أنفسهم..» دلهم بخلقه على أنه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد. والله أعلم. ١٧٣- ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: اتبعنا منهاجهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: بإشراك من أشرك من آبائنا المبطلين، واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق. و«المبطل»: المدعي غير الحق. ١٧٤- ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يعني: قومه المشركين. ١٧٥- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: قيل: هو بلعام بن باعر، وقيل: كان أوتي اسم الله الأعظم. ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾: تبرأ منها، وله حديث طويل. وقيل: إنه عنى به أمية بن أبي الصلت. ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: صيره لنفسه تابعاً ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾: الهالكين. ١٧٦- ﴿لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾: بما كان أوتي الآيات ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: سكن إلى الحياة الدنيا، وشهواتها، وأصل الإخلاد: اللزوم، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾: إن طرد أو ترك لا يدع اللهث، ومعنى هذا أن هذا التارك للعمل بآيات الله التي كان أوتيها لا يترك ما هو عليه من خلافه لأمر ربه؛ وُعظ أو لم يوعظ. وقيل: هو مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله. وجاءت فيه روايات مختلفة. ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾: الذي اقتصصنا عليك. ١٧٧- ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾: بمعنى: بئس مثلاً.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧، الكهف: ١٧]. المهتدي أطول من المهتد، وذلك لأن زيادة بناء الكلمة تدل على هداية أكثر، إضافة إلى أمر آخر: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾، قال قبلها: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هل كان مهتديًا أول مرة أو لا؟ كان مهتديًا، ولكنه كان يحتاج إلى قدر من الهداية أكبر حتى تعصمه من الانسلاخ، لذلك عقب عليها بـ﴿الْمُهْتَدِي﴾، أمَّا في سورة الإسراء ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فهؤلاء من أصحاب النار، وهؤلاء كان يكفيهم قدر بسيط من الهداية ليخرجهم من النار، منه أن ينطقوا بالشهادتين وقسم من الفروض، وموضع الكهف قريب من موضع الإسراء. = قيل لما نهي عن تقليد الآباء في الدين، بين في هذه الآية حال علماء السوء نهيًا عن تقليدهم واتباعهم، كما نهي عن تقليد الآباء. وقيل: لما تقدم ذكر أخذ الميثاق، بين حال من آتاه الله الآيات فانسلخ منها ولم يتبعها. [١٧٩] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو. حامض. عذب. أجاج. وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه. [١٧٢] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هنا و(يس: ٤١)، والموضع الأول والثاني من (الطور: ٢١، ٢٠)، قرئ: (ذريتهم) بالإفراد في الأربعة مع ضم تاء أول (الطور) وفتحها في الثلاثة. وقرئ: (ذريتهم) بإفراد أول (الطور) والجمع في الثلاثة، وبالإفراد في (يس) مع فتح تائه لأن الذرية تقع للواحد والجمع، قال تعالى: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ فهذا للواحد لأن زكريا لما سأل ربه الولد بشر بـ"يحيى"، ويقع للجمع مثل: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ وقوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ومثله لفظ البشر يقع للجمع وللواحد، قال تعالى: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ فهذا للجمع، وقال: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فهذا للواحد. وقرئ: (ذرياتهم) بالجمع في الأربعة مع رفع تاء أول "الطور"، وظهر على قراءة التوحيد هنا: "أن ذريتهم" مفعول أخذ على حذف مضاف، أي: ميثاق ذريتهم، أما على الجمع فيحتمل أن يكون ذرياتهم بدلًا من ضمير ظهورهم، كما أن ظهورهم بدل من بني آدم بدل بعض من كل، ومفعول أخذ محذوف، والتقدير: "وإذ أخذ ربك من ظهور ذريات بني آدم ميثاق التوحيد"، ووجه من جمع قال: لما كانت الذرية تقع للواحد وللجمع أتى هنا بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناه المقصود إليه لا يشركها فيه شيء، وهو الجمع؛ لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقابًا بعد أعقاب لا يعلم عددهم إلا الله فجمع لهذا المعنى. قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ - ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ قرئ: (يقولوا) بالغيب فيهما جريًا على ما تقدم، أي: أشهدهم لئلا يعتذروا فيقولوا ما شعرنا، أو الذنب لأسلافنا، فجاء بالياء فيهما لمناسبة ما قبله من قوله: قالوا: بلى وما بعده من قوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وقوله: ولعلهم، وفي ﴿يَقُولُوا﴾ ضمير الذرية على معنى أشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا: بلى شهدنا، أي: شهد بعضنا على بعض. وقرئ: (تقولوا) بالخطاب على الالتفات أو لمناسبة لفظ الخطاب المتقدم في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ لئلا (تقولوا أو تقولوا) وقيل: إن معنى ذلك أنهم لما قالوا: بلى فأقروا بالربوبية، قال الله جل ذكره للملائكة: اشهدوا، قالوا: شهدنا بإقراركم لئلا تقولوا أو تقولوا. وقد روى مجاهد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنهما- أن النبي ﷺ قال: "أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم كما يأخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا "أي: شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا" رواه ابن جرير في تفسيره، وقال فيه: ولا أعلمه صحيحًا.

[١٧٩] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) =

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

١٧٩- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾: خلقنا. ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾: كالبهائم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الساهون عن آياتي وحججي، غير المهتدين والمعتبرين بها. ١٨٠- ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون. وقيل: إن المشركين اشتقوا «العزى» من «العزيز»، و«اللات» من «الله». وأصل «الإلحاد» في كلام العرب: العدول عن القصد، ثم يستعمل في كل مُعوَج غير مستقيم. ١٨١- ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: هي أمة محمد ﷺ. وظاهر لفظ هذه الآية يقتضي كل مؤمن من لدن آدم إلى قيام الساعة. قال النحاس: فلا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق. ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: يأخذون ويعطون ويقضون. ١٨٢- ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: أصل الاستدراج: أخذ المستدرج برفق حتى يُورَّط في المكروه. ١٨٣- ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم وأوفر عنهم العقوبة ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: قوي، والكيد: المكر، سمى الله تعالى إمهاله لهم بالكيد لأنه يشبهه من حيث إنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة خذلان. ١٨٤- ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾: يعني محمداً ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: من خبل وجنون. ١٨٥- ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: سلطان الله فيهما وقدرته ﴿قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: قرب فيهلكون على طغيانهم وكفرهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، وقيل: المراد به محمد ﷺ. وقيل: الضمير عائد على الأجل، إذ لا عمل بعد الموت. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون. ١٨٦- ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: تمردهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يضلون ويترددون. ١٨٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن القيامة ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: متى قيامها؟ ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾: لا يأتي بها ولا يرسلها ﴿لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كبرت على أهل السماء والأرض فلا يعلمون متى تقوم؟ وقيل: «ثقلت»: عظُمت في السماوات والأرض لأنها إذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم وكُوِّرت الشمس وسُيِّرت الجبال. ﴿بَغْتَةً﴾: فجاة على غفلة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: قيل: معنى ذلك: كأنك استحفيت السؤال عنها، أي استقصيته، فعلمتها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ لا عند غيره.

[١٨٤] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا، فدعا قريشًا، فجعل يدعوهم فخذًا فخذًا: يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يُهَوِّتُ (أي: ينادي) إلى الصباح فأنزل الله ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾. [١٨٧] قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال جبل بن أبي قشير وسموءل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول، فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ الآية. وأخرج أيضًا عن قتادة: قال: قالت قريش، فذكر نحوه.

[١٨٣] ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٣، القلم : ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الأعراف والقلم ومعناها: وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفرًا وطغيانًا، وبذلك يتضاعف لهم العذاب، إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدفع بقوة ولا بحيلة. [١٨٤] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ... ﴾ [الأعراف : ١٨٤]، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ﴾ [الروم : ٨]. أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبين... فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الروم: أولم يتفكر هؤلاء المكذِّبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئًا...

[١٨٠] ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. إن العلم بأسماء الله الحسنى ومعرفة معناها أصل عظيم من أصول الدين، بل إن هذا المطلب العظيم من أشرف العلوم. وهو باب المحبين حقاً لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا لأحدهم منه علم ازداد شوقاً ومحبة وظمأ، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به، فأعرفهم لله أشدهم حبا له. وقد أمر سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه ويدعوه بأسمائه الحسنى، وقد بشر النبي ﷺ من أحصى أسماء الله الحسنى بجنة عرضها السماوات والأرض، كما قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً. من أحصاها دخل الجنة» رواه البخاري ومسلم. وإحصاء أسماء الله يعني إحصاء ألفاظها وعدها، وفهم معانيها ودعاء الله بها والتعبد لله بمقتضاها. قال مالك بن دينار رحمه الله: «خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب ما فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله عز وجل».

[١٨٠] ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ هنا، و"النحل : ١٠٣"، و"فصلت : ٤٠" قرئ: (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء في الثلاثة من "لحد" ثلاثيًا. وقرئ: (يُلحِدون) بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة من "ألحد" وقيل: هما بمعنى، وهو الميل، ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه بخلاف الضريح فإنه يحفر في وسطه، وهما لغتان، يقال: لحد وألحد إذا عدل عن الاستقامة. [١٨٦] ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ قرئ: (ونذرُهم) بنون العظمة ورفع الراء على الاستئناف. وقرئ: (ويذرُهم) بياء الغيبة ورفع الراء لمناسبة صدر الآية. وقرئ: (ويذرْهم) بالياء وجزم الراء عطفًا على محل قوله تعالى: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ التي هي جواب الشرط في قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ لأن موضعها وما بعدها جزم إذ هي جواب الشرط. [١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ قرئ: (شركاء) بالمد على الجمع، أي: جمع شريك، واختاروا ذلك لقيام المعنى في الذم دون تقدير حذف مضاف، وقرئ: (شِرْكًا) بكسر الشين وسكون الراء والتنوين، وفيه وجهان، أحدهما: تقديره: جعلا لغيره شركاء، أي: نصيبًا، والثاني: جعلا له ذا شريك، فحذف في الموضعين المضاف. [١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ واختلف في ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ هنا و(يتبعهم) في الشعراء : ٢٢٤، قرئ: (لا يَتْبَعوكم) بسكون التاء وفتح الباء الموحدة فيهما، وقرئ: (لا يَتَّبِعوكم) بفتح التاء =

= مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتها) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتها) وقد ورد كلٌ (١٤٨) مرة في كتاب الله تعالى. [١٨٥] ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٤- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكرر كلٌ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

١٨٨ - ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾: أمر رسول الله ﷺ بأن يبالغ في الاستسلام، ويتجرد من المشاركة في قدرة الله تعالى وغيبه، فهو لا يعلم غيبًا ولا يدّعيه صلوات الله وسلامه عليه. ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾: قيل: من العمل الصالح، وللسنة المجدبة من الادخار، ونحو ذلك ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾: ما كان يمسني سوء لأني كنت أجتنبه وأتقيه! ١٨٩ - ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: من آدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾: حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم. وقيل: المعنى: جعل من جنسها، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: أي: غشيها، وهي كناية عن الجماع. ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ يعني النطفة ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦ﴾: استمرت بالنطفة، أو استمرت بذلك الحمل تمضي في حوائجها لا تجد ثقلاً ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾: دنت ولادتها ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾: غلاماً سوياً. ١٩٠ - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾: رزقهما ولداً كما شاءا ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾: روي عن ابن عباس أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام أولاداً يسميهم بعباد الله نحو: عبد الله، وعُبيد الله، وكان لا يعيش لها ولد، فأتاهما إبليس فقال: إن سَرَّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه: «عبد الحارث»، ففعلا، فكانا شركاء في طاعته، ولم يكونا شركاء في عبادته. أخرجه الترمذي وغيره وضعفه الألباني. وجاءت أحاديث مختلفة في ذلك. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: نزه الله نفسه وعظمته عما يُشرك به المشركون، ولم يعن آدم ولا حواء. فإن قيل: إن السياق يقتضي دخولهما، فالمعنى: تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في الطاعة، والله أعلم. ١٩٣ - ﴿صَٰمِتُونَ﴾: ساكتون. ١٩٤ - ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾: مماليك لربكم الذي أنتم له مماليك. ١٩٥ - ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تؤخّرون بالكيد، لعلمه أنهم لا يضرونه. [٢٠٠] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٢٠٠] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [يونس: ٤٩]. آية الأعراف تقدمها ذكر الساعة، فناسب في حقه تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضر الذي هو عذابها، وآية يونس تقدمها ذكر استعجال الكفار العذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، فناسب تقديم الضر على النفع، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: ٥٠]، وكذلك كل ما قدم فيه النفع والضر، يتقدم فيه ما يناسب ذلك التقديم أو التأخير، وذلك ظاهر لمن ينظر فيه. [١٨٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: ٦]. عطف في آية الزمر بـ"ثم" الدالة على التراخي الرتبي، لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلًا على عظيم قدرته تعالى، وخلق زوجه من نفسه دليلًا آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته، فعطف بحرف "ثم" الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبي إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة، مثل الجملة المعطوفة عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها، لأنه خلق لم تجر به عادة، فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس فجيء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن، لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس، فأمّا آية الأعراف فمساقها مساق الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فذُكر الأصلان للناس معطوفًا أحدهما على الآخر بحرف التشريك في الحكم الذي هو الواو. [١٩٩] ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ...﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. في هذه الآية والآيتان الأخريان بيان ما يتلقى الإنسان به العدو من جنسه والعدو من الشياطين، ليكتفي شرهما ويكسر أصل هذه العداوة المضرة الشنيعة التي لا يسلم منها أحد، وذلك أن عدوك من بني جنسك إذا قابلت عدوانه بالإحسان، ومنكره بالمعروف، وإساءته بالحلم والصفح، فإن ذلك الإحسان وذلك الحلم والصفح يقضي على إساءته ويذهبها حتى يُضطر إلى أن يصير في آخر الأمر من أصدق الأصدقاء، وأما إذا كان العدو من الشياطين فإن الملاينة لا تفيد فيه، وأنت لا تراه ولا لك فيه حيلة إلا الاستغاثة بخالق السماوات والأرض والاستعاذة به منه. [٢٠٥] ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]. ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. لماذا ذكر الخوف في آيتي الأعراف، فقال في الآية الأولى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ وقال في الآية الثانية: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ والخيفة هي الخوف، ولم يذكر =

= مشددة وكسر الموحدة فيهما وهما لغتان، وقال أهل اللغة: تبعه مخففًا إذا مضى خلفه ولم يدركه، واتّبعه مشددًا إذا مضى خلفه فأدركه. [١٩٥] ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ واختلف في: ﴿يَبۡطِشُونَ﴾ ويبطش حيث وقع، قرئ: (يبطُشون) بضم الطاء. وقرئ: (يبطِشون) بكسر الطاء، و(البطش) الأخذ بالقوة، والماضي: بطش ـ بالفتح فيهما ـ كخَرَجَ يخرُج، وضَرَبَ يضرِب، وهما لغتان. [١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِـِّۧيَ﴾ قرئ: (وليَّ) بياء واحدة مفتوحة مشددة، ووجهها على أن ياء فعيل مدغمة في ياء المتكلم، والياء التي هي لام الكلمة محذوفة، وهذا أحسن ما قيل في تخريجها، أو أن وَلِيّ اسم نكرة غير مضاف، والأصل: أن وليًا الله، فوليًا اسم "إن" و(الله) خبرها، ثم حذف التنوين لالتقاء الساكنين، ولم يبق إلا كون اسمها نكرة والخبر معرفة وهو وارد، ومنه: وَإِن حَرَامًا أَنْ أَسُبَّ مُجَاشِعًا. وقرئ: (وليِّ) بكسر الياء المشددة بعد الحذف، ووجهه في النشر أن المحذوف ياء المتكلم لملاقاتها ساكنًا كما تحذف ياءات الزوائد لذلك، فقيل على هذا: إنما يكون هذا الحذف حالة الوصل فإذا وقف أعادها، وليس كذلك، بل الرواية الحذف فيهما، وأجرى الوقف =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

١٩٦- ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: نصيري وظهيري. ١٩٨- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: يعني ما كان يتخذه المشركون من الآلهة ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يعني الآلهة. أو الأصنام. وقيل: عنى بما تقدم ذكره: المشركين لا الأصنام. ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، إذ لم يتحصل لهم عن النظر والاستماع هداية أو فائدة. ١٩٩- ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: من أخلاق الناس، وهو ما لا يجهدهم، يقال: أخذت حقي عفوًا؛ أي سهلاً. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: بالمعروف. وفيه اختلاف. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: أمره بالاحتمال والصفح. ٢٠٠- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾: يغضبنك ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: غضب يصدك عما أدبك الله به من الإعراض عن الجاهلين، وأصل النزغ: الفساد، يقال: نزغ بيننا: أي أفسد، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: استجر. ٢٠١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: خافوا الله عز وجل ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾: ألم بهم ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: قيل: هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان ووسوسته. ﴿تَذَكَّرُوا﴾: قيل: يعني: إذا زلّوا تابوا. وقيل: تذكروا أمر الله فانتهوا إلى أمره ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: منتهون مطيعون، عاصون للشيطان. ٢٠٢- ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾: يعني: وإخوان الشياطين من المشركين ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: الشياطين، أي يزيدونهم ﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾: في المعاصي ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: يكفون. وقيل: بمعنى: ولا الشياطين يقصرون عن إمدادهم في الغي. ٢٠٣- ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلا اختلقتها وأخرجتها من نفسك. ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾: حجج. ٢٠٤- ﴿فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا﴾: اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: قيل: في الصلاة. وقيل: في خطبة الجمعة، وأتت في ذلك روايات واختلاف. ٢٠٥- ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾: استكانة وتواضعاً وتخشعاً ﴿وَخِيفَةً﴾: مخافة الله عز وجل ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾: في إخفاء القول. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾: العشايا . وقيل: عنى بـ«الغدو والآصال»: صلاة الصبح، وصلاة العصر. ٢٠٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: لا يتعالون عن التواضع له عز وجهه، لا إله إلا هو.

[٢٠٤] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا ﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ، وأخرج أيضًا عنه قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الآية. وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله. وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئًا قرأه. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئا قرؤوا معه، حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا ﴾ قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

[٢٠٠] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠]، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦]. آية فصلت تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤]، فالحسنة لا تستوي مع السيئة وكذلك العكس، فالإيمان لا يساوي بالكفر، والتقوى لا تساوى بالفجور، وكذا العدل لا يساوى بالظلم، فما يشق على الإنسان فعله هو أن يدفع السيئة بالحسنة، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة، استنكافًا لشره وأذاه، حتى يعود إلى اللطف في المقال الجميل والفعل، فيصير وإن كان عدوًا كأنه صديق قريب القربى، وهذه لا تكون إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة، فلما كان هذا الأمر من الأمور الشاقة العسيرة قال: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [فصلت : ٣٥]، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥]، فناسب الآية التوكيد بالضمير المنفصل والتعريف بالألف واللام، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، أمّا آية الأعراف فلم يتقدمها مثل ما تقدم آية فصلت، فقبلها قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩]، ففيها الحث على أحسن الأخلاق التي أمر بها الشرع، ولم يكن فيها من المشاق ما في السورة الأخرى، فجاء اللفظ على الأصل ولم تحصل المبالغة. [٢٠٣] ﴿ ... هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٣]، ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٠]. وإذا لم تجئ أيها الرسول هؤلاء المشركين بآية قالوا: هلا أحدَثْتها واختلقتها من عند نفسك، قل لهم أيها الرسول: إن هذا ليس لي، ولا يجوز لي فِعْله؛ لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليَّ من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتلوه عليكم حججًا وبراهين من ربكم، وبيانًا يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الجاثية: إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أيها الرسول بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمةٌ لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. [٢٠٥] ﴿ وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ [الأنعام : ٦٣، الأعراف : ٥٥]. "خيفة" هي من الخوف، و"خفية" من خفي الشيء إذا استتر.

= الخوف في آية الأنعام، وإنما قال: ﴿ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ والخُفية نقيض الجهر؟ الجواب: إن الدعاء والذكر المذكورين في آيتي الأعراف إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله دعاء وذكرًا. وأما آية الأنعام فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالناس في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لانصرف إلى هذه الأمور المخوفة، ولم ينصرف إلى الخوف من الله. = مجرى الوصل كما في (اخشون اليوم) و﴿ يَقْضِ ٱلْحَقَّ ﴾ وقرئ: (وليِّيَ) بياءين مشددة مكسورة، فمخففة مفتوحة على الأصل. [٢٠١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿ طَٰٓئِفٌ ﴾ قرئ: (طَيْف) بياء ساكنة من غير ألف ولا همز على وزن بيع مصدر من طاف يطيف، كباع يبيع، وكال يكيل. وقرئ: (طَائِف) بألف وهمزة مكسورة من غير ياء، اسم فاعل من طاف يطوف، فجعله مصدرًا كالعافية، وفعل أكثر في المصادر من فاعل. فقد حكي أنه قيل: طاف الرجل طوفًا إذا أقبل وأدبر، وأطاف يطيف إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواصيهم، وطاف الخيال يطوف إذا ألم في المنام، وقيل: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف من الحلم والمس والجنون. وقيل: الطيف اللهو، والطائف كل ما طاف حول الإنسان، وعن ابن جبير، ومجاهد: الطيف الغضب، وعن ابن عباس: طائف لمسه من الشيطان. [٢٠٢] ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ قرئ: (يُمِدونهم) بضم الياء وكسر الميم من أمد. وقرئ: (يَمُدونهم) بفتح الياء وضم الميم من مَدَّ يَمُدُّ، وهما لغتان من مَدَّ وأَمَدَّ، ومَدَّ بغير ألف أكثر ويقال: مددت في الشر وأمددت في الخير، قال تعالى في الخير: ﴿ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ ﴾ وقال: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال

١- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾: هي الغنائم التي غنمها رسول الله ﷺ وأصحابه ببدر. وأصل «النفل» في كلام العرب: الزيادة ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: حكمها مختص بهما ويعود إليهما. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: الحال بينكم: معنى ذلك: فسلِّموا لله ورسوله يحكمان فيها بما شاءا، ويضعانها حيث أرادا. ولا تختلفوا في قسمة الغنائم. ٢- ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خافت، خشية لله، وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه. وفيه تذكير بما هم عليه من صفات المؤمنين. ٤- ﴿دَرَجَاتٌ﴾: مراتب رفيعة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: قيل: الجنة. ٥- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾: قيل: معناه: إن هذا خير لكم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك. وقيل: من بيتك، يعني: المدينة إذ أخرجه منها إلى بدر، «الكارهون» لطلب المشركين. ٦- ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾: قيل: يخاصمونك ﴿فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾: لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: كراهية للقاء العدو، وقيل: كان خوفهم لقلة العدد، وأنهم كانوا رجّالة. ٧- ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: وعدهم الله العير المقبلة مع أبي سفيان، أو مَن نفر مِن مكة لاستنقاذ العير ﴿وَتَوَدُّونَ﴾: تحبون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: التي لا قتال فيها، وهي العير. وأصل «الشوكة» من الشوك، والمعنى: وتودون أن الطائفة غير ذات الشوكة تكون لكم، دون ذات الشوكة، والمراد بها: ذات السلاح، ﴿أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾: الإسلام ويُعليه ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: ما أمركم به من قتال الكفار ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: يجتث أصل الجاحدين توحيد الله، بما أوقع بقريش يوم بدر، والدابر: الآخِر، وقطعه: عبارة عن الاستئصال. ٨- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: أي: ليظهره وينصره، ويزهق الباطل ويعدمه. وقيل: ليحق الإسلام، ويبطل عبادة الأوثان.

[١] قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية. روى أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا» فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءًا ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا. فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال: «اذهب فاطرحه في القَبَض» فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ: «اذهب فخذ سيفك». وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ الآية.

[٥] قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: «ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا» فخرجنا فسرنا يومًا أو يومين.. فقال: ما ترون فيهم فقلنا: يا رسول الله ما لنا من طاقة بقتال القوم، إنما أخرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هل تصيب الطمأنينة أو الوجل قلوب المؤمنين عند ذكر رب العالمين؟ الجواب: أن المراد "بذكر الله" في الآية الأولى، ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن عصاه، و"الذكر" في الآية الثانية يراد به ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه. [٨] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ...﴾ فيه تحصيل الحاصل؟ الجواب: لا؛ لأن المراد بالحقِّ الإيمان، وبالباطل الشرك. فإن قيل: ما فائدة تكرار ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ هنا مع قوله قبله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]. الجواب: فائدتُه أنه أُريد بالأول تثبيت ما وعدَ الله به في هذه الواقعة من النَّصر والظفر بالأعداء، بقرينة قوله عقبه: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، وبالثاني تقوية الدِّين ونصرةُ الشريعة، بقرينة قوله عقِبه: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾. [١١] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١]. ما الفرق بين "أَمْن، أَمَنَة". الجواب: وردت كلمة (الأمن) خمس مرات، بينما وردت كلمة (أَمَنَة) مرتين. ارتبطت كلمة (أمنة) بكلمة (نعاس) في المرتين اللتين وردت فيهما، ولم يحدث هذا مع كلمة (الأمن). توالي الفتحات على أحرف كلمة (أَمَنَة) يمنحها معنى التدرج في تسرُّب الأمن إلى النفس، ولا يُحسُّ بهذا المعنى في كلمة (أَمْن) ساكنة الوسط، إذ إنها تعبر عن حالةٍ ساكنةٍ مستمرةٍ.

[٩] ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قرئ: (مردَفين) بفتح الدال اسم مفعول، أي: مردفين بغيرهم، فقد أردفهم الله يوم بدر بألف من الملائكة. وقرئ: (مردِفين) بكسر الدال اسم فاعل، أي: مردفين خلفهم ملائكة أخر، أو قادمين بعدكم. [١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ قرئ: (يَغْشَاكم) بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها، ولفظ (النعاسُ) بالرفع على الفاعلية من غشي يغشى، وقرئ: (يُغْشيكم) بضم الياء وسكون الغين وياء بعدها من أغشى، و(النعاسَ) بالنصب مفعول به وفاعله ضمير الباري تعالى. وقرئ: (يُغَشِّيكم) بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وياء بعدها ونصب (النعاس) من غَشَّى بالتشديد، قال تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ وفي التخفيف: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وكلها لغات.

[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ [الأنفال: ١١]. علاقة المطر بالخوف: يقول الأطباء عند الخوف تُفرز في الدماء مادة معينة ترتعد منها الأطراف فلا تثبت، ومن وسائل تثبيت الأطراف بتقليل هذه المادة أن يُرشَّ من هذه حالتُهُ بالماء، وقد كان نزول الماء أيضًا من الأسباب المادية التي جعلها الله وسيلة لتثبيت الأقدام، بتثبت الأرض التي يسير عليها المجاهدون مع رسول الله، لأن الرمال إذا ابتلت تماسكت وسار عليها السائر بعزم وثبات.

[١٢] ﴿الرُّعْبَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) =

نزول سورة الأنفال: نزلت بعد سورة البقرة، وهي مدنيّة بالإجماع. عدد كلمات سورة الأنفال: ألف ومائة وخمس وتسعون كلمة. عدد حروف سورة الأنفال:

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩- ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تستجيرون به، وتدعونه في النصر. ﴿مُرْدِفِينَ﴾: بعضهم على إثر بعض متتابعين. ١٠- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: يعني: إرداف الملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: ليبشركم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن. ١١- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: يلقي عليكم ويلبسكم ﴿النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾: أمناً ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أنزل الله عز وجل الغيث حتى سال ما حولهم، وشربوا وسقوا وتوضؤوا وتطهروا للصلوات. وفي رواية: أن المشركين غلبوا يوم بدر على الماء! ﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وسوسته ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: كانت رملة بين المسلمين والمشركين لا يمشي الناس والدواب فيها إلا بجهد، فاشتدت بالماء وثبتت بها الأقدام. ١٢- ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: معناه: فاضربوا الأعناق نفسها ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾: كل مفصل، والمراد: أطراف الأصابع، أو الأصابع والأطراف. ١٣- ﴿شَاقُّوا اللَّهَ﴾: عز وجل: عصوه وخالفوا أمره وأمر رسوله عليه السلام. ١٤- ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾: يقول: هذا العقاب الذي عجله لكم في الدنيا فذوقوه. ١٥- ﴿زَحْفًا﴾: يزحف بعضهم إلى بعض، والتزاحف: التداني والتقارب ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: الظهور، أي لا تنهزموا. ١٦- ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: يعني: يوم بدر ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: هو الكر بعد الفر. و«المتحرف»: المتحرك المتقدم من أصحابه حتى يرى عورة من العدو فيصيبها. وقيل: المتحرف: المستطرد لتمكنه غِرّةٌ من طالبه ليعود فيكر عليه. و«المتحيز»: الفارُّ ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: إلى النبي ﷺ، ولم يكن للمسلمين يومئذ غيره. وقيل: «الفئة» بعد رسول الله ﷺ: الإمام والمسلمون بعضهم فئة لبعض ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رجع.

[٩] قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ الآية. روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلًا، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه «اللهم انجز لى ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمدهم الله بالملائكة.

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]. آية آل عمران تقدمها ذكر الطائفتين المؤمنة والكافرة، وخص الطائفة المؤمنة بالبشارة، وأنها لأولياء الله تعالى فقال: ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾، أمَّا آية الأنفال فالحديث فيها خاص بالمؤمنين فلم يذكر القيد، وآية آل عمران سيقت مساق الامتنان، والتذكير بنعمة النصر في حين القلة والضعف، فكان تقييد ﴿بُشْرَىٰ﴾ بأنها لأجلهم زيادة في المنة، أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح: ١]، وأمَّا آية الأنفال فهي مسوقة سياق العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرّد ﴿بُشْرَىٰ﴾ عن أن يعلق بها ﴿لَكُمْ﴾، إذ كانت البشرى للتنبيه ولمن لم يترددوا من المسلمين، وأمَّا تقديم ﴿بِهِ﴾ في آية الأنفال فلأن المؤمنين استغاثوا يوم بدر، وفي ذلك تشوّق من المستغيث، وأنه متطلع إليه في مواطن الخوف وطلب النجدة، فقدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به وشدة حاجتهم إليه، فهو موضع رجائهم، كما يفهم من الآية أنها نزلت في غزوة بدر والدماء لم تجف بعد، والعهد بها لم يطل، فروعي فيها ما روعي من مقتضيات الأحوال، أمَّا آية آل عمران فخلت من ذلك، لأن الآية حكاية لما حدث يوم بدر، وتذكير للمؤمنين بما صنع الله معهم واعدًا إياهم أن يصنعه معهم في أحد لو صبروا وتقووا، يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد، ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا حيث خالفوا أمر نبيهم فلذلك لم تنزل الملائكة، ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم، ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله، فالآية حكاية عن حال مضت، فاقتضى الحال أن يأتي الضمير على الأصل، وأمَّا قوله تعالى: ﴿عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فذلك أن آية الأنفال نزلت في قتلى بدر أولًا، وأن آية آل عمران نزلت في واقعة أحد ثانيًا، فبين أولًا أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عَدَد أوعُدَد، ولذلك علَّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده، فناسب التعريف بعد التنكير. [١٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ [الحشر: ٤]. آية الأنفال صورت المواجهة الأولى في تاريخ الإسلام بين المسلمين والمشركين، وجاء فيها أنه سبحانه أمد المؤمنين بالملائكة ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وأنه سبحانه أمر الملائكة بضرب أعناق المشركين، وضرب كل بنان، ثم علل ذلك بالمشاقة، فناسب الآية فك الإدغام الدال على وفرة هذه المسألة، أمَّا آية الحشر فهي في بني النضير من يهود المدينة، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم كتب الله عليهم الجلاء، وهؤلاء لم تكن مشاقتهم كمشاقة أهل مكة سواء في العداء أو العدة أيضًا، ولذلك ناسب الآية الإدغام، والله أعلم. [١٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ...﴾ [الأنفال: ١٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ...﴾[الأنفال: ٤٥]. يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تُوَلُّوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمَّا الآية الثانية: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيرًا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم...

= في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كلٍّ من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله.

خمسة آلاف ومائتان وثمانون. أسماء سورة الأنفال: ولهذه السورة اسمان: سورة الأنفال؛ لكونها مفتتحة بها، ومكررة فيها، وسورة بدر؛ لأنَّ معظمها في ذكر حرب

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

١٧- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: يعني إذ أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب يوم بدر، ورمى بها في وجوه المشركين وقال «شاهت الوجوه»! فانهزموا، وقيل: لم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء. ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: أي: ليُعرِّف المؤمنين نعمته عليهم في إظهارهم على عدوهم -على قلة عددهم وكثرة عدوهم- النعمة العظيمة الحسنة؛ ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا نعمته. ١٨- ﴿مُوهِنُ﴾: مضعف. ١٩- ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: الاستفتاح: طلب النصر. والخطاب لأهل مكة على سبيل التهكم، قالت كفار قريش: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه، وقال أبو جهل: أيُّنا أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف، فأحنه الغداة، أي: فأهلكه اليوم، فكان ذلك استفتاحه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: فقد جاءكم حكم الله عز وجل للمحق على المبطل، وللمظلوم على الظالم، ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾: يعني: يا معشر قريش والكفرة، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾: لحربه ﴿نَعُدْ﴾: بمثل الوقعة التي أوقعت بكم. ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جماعتكم. ٢٠- ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: لا تدبروا عن رسول الله ﷺ مخالفين أمره ونهيه. ٢١- ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون المعصية، واختلف في ذلك. وقيل: المشركون. ٢٢- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: قيل: الخلق، وقيل: إن شر ما دب في الأرض ﴿ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يبتغون الحق، وإنما أراد صم القلوب وبكمها وعميها؛ فكانت الكفار تقول: نحن صم بكم عما تدعونا إليه يا محمد!! ٢٣- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: أي: لو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرًا لأسمعهم سماعًا ينتفعون به، ويتعقلون عنده الحجج والبراهين. وقيل: عنى المشركين أو المنافقين. ٢٤- ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: للحق الذي في القرآن. وقيل: هو الإيمان لأنه أحياهم به من موت الكفر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: أي: بين المرء وهو معدن الشهوات والصفات البدنية والكفر والمعاصي، وبين قلبه فينوره بنوره. وقيل: يحول بين المؤمن أن يكفر، وبين الكافر أن يؤمن إلا بإذنه. وقيل: بين المرء وعقله فلا يعرف ما يعمل. ٢٥- ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾: أي اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح، أو تعمّ الظالم وغيره.

[١٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أُبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أُبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط أُبيٌّ عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكُسر ضلعٌ من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم أن رسول الله ﷺ: قال «بل أنا أقتل أبيًا ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبيٌّ قبل أن يقدم مكة» فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية. [١٩] قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ الآية. روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم، وآتى بما لا يعرف، فأحنه الغداة، وكان ذلك استفتاحًا، فأنزل الله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أعز الفئتين، وأكرم الفرقتين، فنزلت.

[٢٢] ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]. إنَّ شر ما دبَّ على الأرض -مِنْ خَلْق الله- عند الله الصمُّ الذين انسدَّت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمَّا الآية الثانية: إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله الكفار المصرُّون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يُقرون بوحدانيته، ولا يتبعون شرعه. [٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمَّا آية التغابن: ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم، والله عنده ثواب عظيم لمن آثر طاعته على طاعة غيره، وأدَّى حق الله في ماله.

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]. كيف نفى عن المؤمنين قتلَ الكفَّار مع أنهم قتلوهم يوم بدر؟ ونفى عن النبي ﷺ رميه مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء في وجوههم؟! الجواب: نفى الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد، إذ الموجد له حقيقة هو الله تعالى، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة. [٢٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ [الأنفال: ٢٠]. لماذا ثنَّى في الأمر، وأفرَد في النهي؟ الجواب: تحرُّزًا بالإفراد عن الإخلال بالأدب مع النبي ﷺ، عند نهيه الكفار، في قِرانه بين اسمه واسم الله تعالى، في ذكرهما بلفظٍ واحدٍ، كما رُوِيَ أن خطيبًا خطبَ فقال: "من أطاعَ الله ورسوله فقد رشدَ، ومن عصاهما فقد غوى" فقال له النبي ﷺ: "بئس خطيبُ القوم أنت، هلَّا قلتَ: ومن عصى الله ورسوله فقد غوى"، رواه مسلم، أو أُفرد باعتبار عوده إلى الله وحده، لأنه الأصل، مع أن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان، أو أنَّ الاسم المفرد يأتي في لغة العرب ويراد به الاثنان والجمع، كقولهم: "إنعام فلانٍ ومعروفُه يُغنيني"، "والإنعام والمعروف لا ينفع مع فلان"، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. [٢٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]. كما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك الذي هو رسول الله من روحه، فيصير حيًا بذلك النفخ، وكان قبل ذلك من جملة الأموات، فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول صلي الله عليه وسلم من الروح الذي ألقى إليه.

[١٨] ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُوهِنُ﴾ قرئ: (مُوْهِنٌ) بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين على أنه اسم فاعل من أوهن معدىً بالهمزة والتنوين على الأصل في اسم الفاعل، و(كيدَ) بالنصب على المفعولية به. وقرئ: (موهنُ) بالتخفيف من غير تنوين و(كيدِ) بالخفض على الإضافة. وقرئ: (مُوَهِّنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء، وبالتنوين ونصب "كيدَ" مفعول به أيضًا وماضيه: (وهن).

= بَدْر، وما جرى فيها. مواضيع سورة الأنفال: مقصود السّورة مجملاً قطع الأطماع الفاسدة من الغنيمة الّتي هي حق الله ولرسوله، ومدح الخائفين الخاشعين وقت =

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦- ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾: إلى آخر الآية، يعني: إذ كانوا بمكة مع رسول الله ﷺ قبل الهجرة ﴿أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: الخطف: الأخذ بسرعة. و«الناس» عنى به قريشًا. وقيل: فارس والروم. ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾: يعني إلى المدينة. ٢٧- ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: نزلت في أبي لبابة لما أشار على بني قريظة، وقد سألوه ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح لو نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وقيل: في نفر من المسلمين كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ فيفشونه حتى يتصل بالمشركين ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: قيل: هي الأمانة المعلومة، وقيل: هي فرائض الله التي تخفى على الأعين، ومعنى «تخونوا» حينئذ: لا تنقصوها. وأصل معنى الخيانة: التنقص للشيء باختفاء. ٢٨- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي اختبار من الله عز وجل لينظر كيف شكركم على ما وهبكم، وكيف أداؤكم حقوقه فيما خوّلكم. ٢٩- ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: فصلاً بينكم وبين أعدائكم، بأن ينصركم ويظهر حقكم. وقيل: مخرجاً. ٣٠- ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: قيل: ليقيدوك ويحبسوك، وكانت قريش همت بذلك ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: ومكر الله بهم: أن خلّص نبيه ﷺ من كيدهم ومنعه، وأهلك الذين آذوه. ٣١- ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أسجاعهم وأحاديثهم. أو قصصهم المكتوبة المسطورة. وأساطير: جمع أسطورة. ٣٢- ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾: إلى آخر الآية، هذا قول النضر بن الحارث بن كلدة، فقتل ببدر بعد أسره. ٣٣- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: يعني أهل مكة ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾: مقيم بين أظهرهم، حتى يخرجوك، ولم تعذب أمة عذاب استئصال ونبيها فيها. ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: بمعنى: لو أنهم يستغفرون. وقيل: إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم. أي: وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: نزلت هذه الآية ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه، يقول الذبح فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله. وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله: أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فاخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: أن محمدًا يريدكم فخذوا حذركم، فأنزل الله ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ الآية. غريب جدًا، في سنده وسياقه نظر، وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت. [٣٠] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن نفرًا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء - زهير والنابغة- فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يُستمع من حديثه، والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، ليجتمعن عليه، ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأيًا غير هذا، فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعدُ، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كل قبيلة وسيطًا شابًا جلدًا، ثم يعطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم. وأنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال النجدي: هذا والله هو الرأي، والقول ما قال الفتى، لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية. [٣١] قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرًا عقبة بن أبي معيط، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ الآية. [٣٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ الآية، قال: نزلت في النضر، بن الحارث، وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك، غفرانك، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس، قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ الآية. فلما أمسوا منه ندموا على ما قالوا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال:٣٣]، ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال:٣٤]. ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾، هذا يُنافي قوله أولًا؟ الجواب: لا منافاة، لأن الأول مقيّدٌ بكونه ﷺ فيهم، والثاني بخروجه عنهم، أو المرادُ بالأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذابُ الآخرة. [٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. من فوائد الاستغفار: ١- سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أمان من العقوبة والعذاب. ٣- سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفرادى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصة لله = سماع القرآن، وبعث المؤمنين حقًّا، والإشارة إلى ابتداءِ حَرْبِ بدر، وإمداد الله تعالى صحابة نبيّه بالملائكة المقرّبين، والنّهي عن الفِرار من صفّ الكفّار، وأمر =

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤- ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: يعني: الله عز وجل أو المسجد الحرام؛ وفي هذا رد على ما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت، وأن أمره مفوض إليهم. ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: عنى: أصحاب محمد ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: يعني المشركين. ٣٥- ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾: هو الصفير ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً باليدين. ٣٦- ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ليمنعوا المؤمنين عن دين الله، قيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب لأنه استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش، من قبائل العرب حالفوا قريشاً وانضموا إليها، لقتال رسول الله ﷺ. وقيل: إنه لما قُتل من قتل ببدر، اجتمع أبناؤهم وقرابتهم وقالوا لمن خلص ماله في العير: إن محمدًا قد نال منا ما ترون، ولكن أعينونا بهذا المال الذي كان سبب الوقعة، فلعلّنا أن ننال منه ثأرًا، ففعلوا فنزلت الآية في ذلك. وعلى القولين فإنما أنفق المال في غزوة أحد. والآية عامة إلى يوم القيامة. ٣٧- ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن من الكافر، وأهل السعادة من أهل الشقاء. ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجعلهم رُكاماً، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا. ٣٨- ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾: عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله وذلك بالدخول في الإسلام، ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من عداوة وغيرها؛ فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: في المشركين ببدر، والقرون الخالية. ٣٩- ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك. ٤٠- ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أصروا ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾: نعم المعين ونعم الناصر.

[٣٩] شرح اسم الله البصير: البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المُبصَرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها، وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقّتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحيّرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خائنات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، أي مطّلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات. [٤٠] شرح اسم الله المولى: ((المولى)) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيدُ، والمُنعِمُ، والمُعتِقُ، والناصرُ، والمُحبُّ، والتابعُ، والجارُ، وابنُ العم، والحليفُ، والصِّهرُ، والعبدُ، والمنعمُ عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحدٍ إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاهُ، ووَليُّهُ، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالوَلايةُ – بالفتح – في النسب، والنصرة والعتق. والوِلاية – بالكسر – في الإمارة، والوَلاءُ للمُعتق، والموالاة من والى القوم. فالله هو المولي المأمول في النصر والمعونة، وهو الذي يتولى نصر المؤمنين وإرشادهم كما يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم. [٤٠] شرح اسم الله النصير: النصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصرٌ ومنصورٌ، وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدّ منه. والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ الآية. أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون، فنزلت هذه الآية. [٣٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية. قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمير بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجعوا إلى مكة، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا أن ندرك منه ثأرًا، ففعلوا، ففيهم كما ذُكر عن ابن عباس- أنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وأخرج ابن جرير عن ابن أبزى، وسعيد بن جبير قال: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ. [٣٩] ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]. القتال في آية البقرة مع أهل مكة، وأمّا في آية الأنفال فمع جميع الكفار، فجاءت الآية بالعموم، وهذا العموم يقتضي تأكيد الدين بقوله: ﴿ كُلُّهُ ﴾. قول آخر: آية البقرة نزلت في أول سنة من الهجرة في سرية عبد الله بن جحش لعمرو بن الحضرمي، وصناديد مكة أحياء، ولم يكن للمسلمين رجاء في إسلامهم على تلك الحال، وآية الأنفال نزلت بعد وقعة بدر، وقتل صناديدهم، فكان المسلمون بعد ذلك أرجى لإسلام أهل مكة عامة وغيرهم، فأكد سبحانه وتعالى رجاءهم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾، أي: لا يُعبد سواه.

= مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفيافي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان.٩- المستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، ويرزقهم رزقًا رغيدًا، وعيشًا هنيئًا، فيهنؤون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس وأخفهم أوزارًا. ١١- الاستجابة لنُصوص الكتاب والسنَّة. ١٢- المتاع الحسَن في الدُّنيا، وإيتاء كلِّ ذي فضْلٍ فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممَّن شملتْهم رحمة الله ووده. ١٥- به تُجلَب النِّعَم وتُدفَع النِّقَم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنْع نُزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنّه سببٌ في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحلُّ المشاكل الصعبة والعَويصة. ١٩- سببٌ لانشراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبَّد لربِّه عزَّ وجلَّ ويقرُّ له بصفة الغفَّار. ٢١- ومن أهمِّ فوائد الاستغفار وثمراته أنّه دَواء الذنوب.. وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [٣٤] ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٤]. ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾، هذا يُنافي قولَه أولاً؟ الجواب: لا منافاة، لأن الأول مقيَّدٌ بكونه ﷺ فيهم، والثاني بخروجه عنهم، أو المرادُ بالأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذابُ الآخرة. [٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. أشارت هذه الآية إلى أن محبة الرسول وحقيقة ما جاء به إذا كان في القلب، فإن الله لا يعذبه لا في الدنيا ولا في الآخرة. وإذا كان وجود الرسول في القلب مانعًا من تعذيبه، فكيف بوجود الرب تعالى في القلب؟!

المؤمنين بإجابة الله ورسوله، والتحذير من الفتنة، والنهي عن خيانة الله ورسوله، وذكر مكر كُفّار مكّة في حقّ النبي ﷺ، وتجاسر قوم منهم باستعجال العذاب، =

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾

٤١- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾: الغنيمة: مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر أو بعد قتال، فيقسم على الغانمين أربعة أخماس، وأما الخمس الخامس فيكون لمن ذكر في الآية هذه. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾: كل شيء لله، والمعنى: أن للرسول خمسه يصرفه حيث شاء في مصالح المسلمين. ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: قرابة رسول الله ﷺ: بنو هاشم وبنو المطلب، وحلفاؤهم ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فرق الله به الحق والباطل. ٤٢- ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: الأدنى إلى المدينة، والعدوة: جانب الوادي. والدنيا: تأنيث «الأدنى»، ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾: مما يلي مكة، والقصوى: تأنيث «الأقصى» ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: العير، وأبو سفيان ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ﴾: أي: لو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في هذا الموضع لخالف بعضكم بعضًا. ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: ليموت ﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾: أي بعد ظهور الحجة. ٤٣- ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾: رأى رسول الله ﷺ جيش أبي سفيان في منامه قليلاً، فقصَّ ذلك على أصحابه فكان ذلك سببًا لثباتهم. ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: لضعفتم وخفتم، بمعنى: لفشلت أنت ولفشل أصحابك إن رأوا ذلك في وجهك.

٤٥- ﴿فِئَةً﴾: جماعة ﴿فَاثْبُتُوا﴾: لا تنهزموا. [٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ...﴾ [الأنفال: ١٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تُوَلُّوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمّا الآية الثانية: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيرًا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم؛ لكي تفوزوا.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾ [الأنفال: ٤٤]. فائدة تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهرة، وهي زوال الرعب من قلوب المؤمنين، فما فائدة تقليل المؤمنين في أعين الكفار، في قوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾؟

الجواب: فائدته أن لا يبالغوا في الاستعداد لقتال المؤمنين، لظنهم كمال قدرتهم، فيقدموا عليهم ثم تفجؤهم كثرة المؤمنين فيدهشوا، ويتحيروا، ويفشلوا.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. من ثمرات الذكر: ١- يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. ٢- يرضي الرحمن عزوجل. ٣- يزيل الهم والغم عن القلب. ٤- يجلب للقلب الفرح والسرور. ٥- يقوي القلب والبدن. ٦- ينور الوجه والقلب. ٧- يجلب الرزق. ٨- يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة. ٩- يورث المحبة، وقد جعل الله لكل شيء سببًا وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز و جل فليلهج بذكره. ١٠- يورث المراقبة حتى يدخل العبد في باب الإحسان. ١١- يورث الإنابة وهي الرجوع إلى الله عز و جل. ١٢- يورث القرب من الله فعلى قدر ذكر العبد لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلة العبد عن الله عز وجل يكون بعده منه. ١٣- يفتح للعبد بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة. ١٤- يورث العبد الهيبة لربه عز وجل. ١٥- يورث ذكر الله سبحانه وتعالى للعبد. ١٦- يورث حياة القلب، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟. ١٧- قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. ١٨- يورث جلاء القلب من صدائه، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار. ١٩- يحط الخطايا ويذهبها. ٢٠- يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه. ٢١- أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة. ٢٢- أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة. ٢٣- ينجي من عذاب الله تعالى. ٢٤- سبب تنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة. ٢٥- سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل. ٢٦- مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. ٢٧- يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه. ٢٨- يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. ٢٩- البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر. ٣٠- الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين. ٣١- أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها. ٣٢- غراس الجنة. ٣٣- العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال. ٣٤- دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده. ٣٥- الذكر يسير، فالعبد يذكر وهو في فراشه وفي =

[٤٢] ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ قرئ: (بالعِدوة - بالعُدوة) بكسر العين فيهما وبضمها، وهما لغتان لأهل الحجاز، وإنكار بعضهم الضم محمول على أنه لم يبلغه، والكسر: عند الأخفش أكثر اللغتين. قوله تعالى: ﴿مَنْ حَيَّ﴾ قرئ: (حَيِيَ) بكسر الياء الأولى مع فك الإدغام وفتح الثانية، ووجهه أنه أتى بالفعل على أصله، واستثقل الإدغام والتشديد في الياء أيضًا، فإنه شبهها بياء "يحيى" التي لا يحسن فيها الإدغام في حال نصب، ولا رفع. وإنما شبهها لأنها قد تتغير بالسكون إذا اتصل بها المضمر المرفوع كما تتغير ياء (يحيى) في النصب، ولا تدغم فيها لأن تغيرها عارض، وقد ذكر سيبويه أنه ورد "أحييا" و"أحييته" بالإظهار، وقد قالوا: أعيياء ولم يدغموا، وإن كانت حركة اللام لا تتغير، فكذلك لم يدغموا في (حي) لأن حركة اللام قد تتغير مع المضمر. وقرئ: بياء مشددة مفتوحة، وهما لغتان مشهورتان في كل ما آخره ياءان من الماضي أولاهما مكسورة نحو: (عَيِي وحَيِيَ) وقد قال بعضهم في وجه الإدغام: إن الياء الأولى من "حَيِيَ" يلزمها الكسر كما يلزم عين "عضضت" و"شممت" فصار يلزمه الحركة لها كغيرها من حروف السلامة، فصارت كالصحيح في نحو: (شَمَّ وعَضَّ) فأجرى هذا مجراه، فأدغم إذ صارت الياء الأولى بالحركة في حكم الصحيح، فإذا لزمت الحركة لام الفعل جاز الإدغام، وإذا لم تلزمه الحركة لم يحسن الإدغام نحو: (يحيى الموتى) فهذا لا يحسن فيه الإدغام لأن حركة الياء الثانية غير لازمة، وهي تنتقل بالإعراب إلى السكون، فلما لم تلزمه الحركة لم يعتد بها، فصارت الياء الثانية كأنها ساكنة، والساكن لا يدغم فيه، إنما يدغم في المتحرك، فلم يجز الإدغام فيما ليست حركته لازمة، كما لم يجز فيه الرفع لئلا يلتقي ساكنان.

وذكر إضاعة نفقاتهم في الضَّلال والباطل، وبيان قَسْم الغنائم، وتلاقي عساكر الإسلام وعساكر المشركين، ووصيَّة الله المؤمنين بالثبات في صف القتال،

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦- ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: لا تختلفوا ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾: تضعفوا وتتكسروا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾: مثل، يقال للرجل إذا أقبل عليه ما يُحبُّه: «الريح مقبلة عليه». وقيل: «ريحكم»: قوتكم ونصركم، وذهب ريحهم يوم أحد حين نازعوه وخالفوا أمره. ٤٧- ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا﴾: يعني: المشركين إذ خرجوا إلى بدر؛ وقالوا بعد أن أحرزوا العير: لا ننصرف دون بدر، حتى ننحر به الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف القيان بما كان منا. ٤٨- ﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡ﴾: تصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وقال لهم: إني جار لكم من بني بكر بن عبد مناة. وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم. ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: رجع القهقري مدبراً. ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾: رأى جبريل عليه السلام والملائكة. أي تبرأ منهم لما رأى أمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله تعالى لهم بالملائكة. ٤٩- ﴿مَّرَضٌ﴾: شك. ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾: حتى تكلفوا ما لا طاقة لهم به من قتال قريش. ٥٠- ﴿وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾: أستاههم، ولكن الله عز وجل كنّى. ٥٢- ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: كفعلهم وسنتهم.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا ﴾ الآية. [٤٩] قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ الآية. روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرتُ إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فكانت ليوم بدر. فأنزل الله فيهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ ﴾ [المؤمنون:٦٤] الآية، وأنزل ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾[إبراهيم:٢٨] ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية، وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾. وأنزل في إبليس ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ [٤٩] الآية. وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ﴾. فأنزل الله ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ﴾.

[٤٩] ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ... ﴾ [الأنفال : ٤٩]، ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ [الأحزاب : ١٢]. واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينُهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلًا من القول وغرورًا، فلا تصدقوه. [٥١] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [آل عمران : ١٨٢، الأنفال : ٥١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في آل عمران والأنفال، ومعناها: أن ذلك العذاب الشديد بسبب ما قدَّمتموه في حياتكم الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد.

= سوقه وفي حال صحته وسقمه... ٣٦- الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في آخرته. ٣٧- في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل. ٣٨- الذكر رأس الأصول. ٣٩- الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل.. ٤٠- الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته. ٤١- الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون. ٤٢- الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق. ٤٣- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل. ٤٤- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم والمقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموالهم يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون، فقال ﷺ: "ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟" قالوا: بلى يا رسول الله قال ﷺ: "تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة" الحديث، متفق عليه. فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر فلما سمع أهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا -إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم- التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين، فنفسهم الفقراء وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا لهم بها لا قدرة لهم عليه، فقال ﷺ: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". رواه البخاري ومسلم.

[٤٦] ﴿ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ﴾ قرئ: (أن) بفتح همزة (إن) على تقدير لام العلة (وأن الله) في موضع نصب بحذف لام الجر منها، والتقدير: ولن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين، أي: ولأن الله مع المؤمنين لن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت، أي: من كان الله في نصره لن تغلبه فئة ولو كثرت. وقرئ: (إن) بالكسر على الاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصره للمؤمنين لأن (إنَّ) تُكسر في الابتداء لتوكيد ما بعدها من الخبر.

= وغرور إبليس طائفة من الكفار، وذمّ المنافقين في خذلانهم لأهل الإيمان، ونكال ناقضي العهدِ ليعتبر بهم آخرون، وتهيئة عُذْر المقاتلة والمحاربة، والميل إلى الصّلح عند استدعائهم الصّلح، والمَنّ على المؤمنين بتأليف قلوبهم، وبيان عدد عسكر الإسلام، وعسكر الشرك، وحكم أسرى بدر، ونُصرة المعاهدين لأهل الإسلام، وتخصيص الأقارب وذوي الأرحام بالميراث في قوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال : ٧٥].

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

٥٣- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: إلى آخر الآية: أنعم الله على قريش بأنه ابتعث نبيه منهم وفيهم، فكذبوه وأخرجوه؛ فنقله إلى الأنصار، وغير نعمته عليهم، وعذبهم، وأهلك من شاء منهم. وهذا مثال لهذه السنّة من سنن الله تعالى: أنه إذا أنعم على قوم بلطفه ورحمته، فإنه لا يغير تلك النعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال بكفران نعم الله، وغمط إحسانه، وإهمال أوامره. ٥٥- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: ما دب على وجه الأرض. ٥٦- ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾: يعني بني قريظة؛ لأنهم نقضوا العهد ومالؤوا على رسول الله ﷺ أعداءه يوم الخندق. ٥٧- ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تلقاهم وتقدر عليهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: نكّل وافعل بهم فعلاً يكون إخافة لمن وراءهم، والتشريد: التفريق مع الاضطراب. ٥٨- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾: يعني: من عدو بينك وبينه عقد وعهد ﴿خِيَانَةً﴾: نكثاً لعهد وغدراً ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: ارمهم بحرب، واطرح إليهم العهد الذي بينك وبينهم. ٥٩- ﴿سَبَقُوٓا۟﴾: فاتوا ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يفوتون. ٦٠- ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾: قيل: هو الرمي، وقيل: الحصون والسلاح وكل ما يتجهز ويقوي على العدو. ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تخيفون ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قيل: هم المنافقون ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: قيل: يُخلف عليكم في الدنيا، ويدخر لكم في الآخرة. ٦١- ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾: مالوا، يعني: بني قريظة ﴿لِلسَّلْمِ﴾: إلى المسالمة بدخول الإسلام أو الجزية لأنهم كانوا أهل الكتاب، فأما عبدة الأوثان فلا يجوز قبول الجزية منهم.

[٤٧] معنى اسم الله المحيط: هو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزّته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. [٤٩] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٤٩] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلقَته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟...

[٥٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم «ابن التابوت». [٥٨] قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ الآية. روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعتَ السلاح، وما زلتُ في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية.

[٥٢، ٥٤] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٤]. آية آل عمران قال فيها: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ولم يقل فأخذناهم على القياس لأنه قال قبلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]. والتشابه بين آيتي الأنفال ذكرت فيه أقوال عديدة لعل أقربها: أن الآية الأولى بينت عقوبتهم عند الموت، والثانية بينت عقوبتهم بعد الموت. أو أن الأولى بينت عقوبة لم يمكن الله أحدًا من فعلها، وهي ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم، والثانية عذاب مكن الله الناس من فعله، وهو الإهلاك والإغراق. وقيل: إن الأولى كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثانية كدأبهم فيما فعل بهم.

[٤٧] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون - تعملون) بالغيب لمناسبة ما قبله وبالخطاب على الالتفات. [٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى﴾ قرئ: (تتوفى) بالتاء على التأنيث، والفاعل الملائكة، وقرئ: (يتوفى) بالتذكير لكون الفاعل مجازي التأنيث والفصل بينهما. [٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ هنا والنور: ٥٧، قرئ: (يحسبن - تحسبن) بالغيب والخطاب، و"الذين" مفعول أول على قراءة الخطاب، و"سبقوا" ثان، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم، والفاعل على قراءة الغيب ضمير يعود على الرسول أو يفسره السياق. وإن جعل "الذين" فاعلاً فالمفعول الأول محذوف، أي: أنفسهم، والثاني: سبقوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ قرئ: (أنهم) بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يعجزون، وقرئ: (إنهم) بكسر الهمزة على الاستئناف والقطع مما قبله لما فيه من معنى التأكيد. [٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ قرئ: (ترهّبون) بتشديد الهاء من رهّب المضاعف، وقرئ: (ترهبون) بتخفيفها من أرهب المزيد بالهمزة.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

٦٢- ﴿يَخْدَعُوكَ﴾: بإرادة الصلح، وهم مضمرون الغدر والخداع. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: كافيك الله ﴿أَيَّدَكَ﴾: قواك ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني الأنصار. ٦٣- ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: يعني الأوس والخزرج، وكانوا متعادين. ٦٤- ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الله حسبك وحسبهم، يكفيك ويكفيهم، وقيل: حسبك الله، وحسبك المؤمنون. ٦٥- ﴿حَرِّضِ﴾: حث، والتحريض في اللغة: المبالغة في الحث. ٦٧- ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يقال: أثخن فلان في الأمر؛ إذا بالغ فيه، والمعنى: حتى يبالغ في قتل المشركين. أو حتى يقوى ويتمكن، نزلت في أخذ الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به، وقال رسول الله ﷺ للمسلمين معه: «إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم، واستشهد منكم بعدتهم» أي: فيما بعد، فقالوا: بل نأخذ الفداء فنستمتع به، ويستشهد منا بعدتهم، فكان آخر السبعين ثابت بن قيس، استشهد باليمامة، رواه الحاكم والبيهقي، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: يعني: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بقتلهم والتمكين للمسلمين. ٦٨- ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: لأهل بدر الا يُعذبهم. بل أن يغفر لهم ذنوبهم - كما في الحديث الصحيح - (لمسكم فيما أخذتم) أي بسبب ما أخذتم من المال، فداءً لأسرى بدر.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ الآية. روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وله شواهد. وأخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلًا وامرأة، ثم إن عمر أسلم فكانوا أربعين، نزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية. [٦٥] قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ ﴾ الآية. أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أنْ يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾إلى آخر الآية. [٦٧] قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ ﴾ الآية. روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية.

[٦٨] ﴿ ... لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٨]، ﴿ ... لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤]. لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أخْذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع...، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية النور: ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم، وتاب على مَن تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم "وهي حادثة الإفك". [٥٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٥٣]. تشير الآية إلى أن الله إذا عاقب قومًا وابتلاهم لم يغير ما بهم من العقوبة والبلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من المعصية إلى الطاعة، كما قال ابن عباس عم رسول الله صلي الله عليه وسلم: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) ومنه قوله النبي صلي الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة" متفق عليه. فإذا منع الكلب والصورة دخول الملك إلى البيت، فكيف تدخل معرفة الرب ومحبته في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها. [٦٠] ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠]. أمر سبحانه وتعالى بإعداد القوة للأعداء، فإن الله تعالي لو شاء لهزمهم بالكلام وبحفنة من تراب كما فعل صلي الله عليه وسلم، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا... [٦٦] ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٦]. من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٦]. ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا" صححه الألباني. ٦- محبة الله، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦]. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥].

[٦٥] ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُن﴾، قرئ: (يكن) بالياء من تحت فيهما للفصل بالظرف، ولأن التأنيث مجازي، ولأن المخاطبين مذكورون فردوه على المعنى، فذكروا كما قال: ﴿يَغْلِبُوا۟﴾ وقرئ: (يكن - تكن) بالتذكير في الأول والتأنيث في الثاني، وصفه بالمؤنث، وهو صابرة قواه. وقرئ: (تكن) بالتأنيث فيهما لأجل اللفظ، فلفظ مائة مؤنث. [٦٦] ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ضَعْفًا﴾ قرئ: (ضُعفًا - ضَعفًا) بفتح الضاد وضمها وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في الفعل والرأي، والضم في البدن، وقرئ: (ضعفاءَ) بفتح العين والمد وهمزة مفتوحة بلا تنوين جمعًا على فعلاء كظريف وظرفاء، وكلها لغات في لفظ ضعف. [٦٧] ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن يَكُونَ﴾ قرئ: (تكون) بالتأنيث مراعاة للفظ الأسرى لأن فيها ألف التأنيث، وقرئ: (يكون) بالتذكير حملًا على تذكير معنى الأسرى لأن المراد به الرجال. قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ﴾ و﴿مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ قرئ: (أَسْرى - الأُسارى) بفتح الهمزة وسكون السين في الأول، وضم الهمزة وفتح السين =

[٥٧، ٦٧] ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله تعالى، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى بمشتقاته) (٦) مرات أيضًا في كتاب الله تعالى. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٦) مرات في كتاب الله تعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

٧١- ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾: المكر والخداع بأن يقولوا ما ليس في أنفسهم. ٧٢- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: صدَّقوا ﴿ وَهَاجَرُواْ ﴾: هجروا قومهم وتركوا أوطانهم وعشائرهم، يعني المهاجرين ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾: رسول الله ﷺ والمسلمين، ﴿ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾: يعني الأنصار ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾: أنصار بعض، وأعوان على من سواهم. أي أن بعضهم ينصر بعضًا، ويتولاه في أموره. وقيل: عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض، وأن الله ورَّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام، أي أنه عنى بذلك الميراث خاصة - ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾. وقيل: كان لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، ثم نزل: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ ﴾: لم يفارقوا دار الكفر ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾: يعني: من نصرهم وميراثهم. وقيل: الولاية هاهنا: الميراث ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ ﴾: أي هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾: يعني بأنهم من أهل دينكم على المشركين، ﴿ مِّيثَٰقٞ ﴾: عهد. ٧٣- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾: قيل: بعضهم أحق ببعض من أقاربهم المؤمنين ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ ﴾: الضمير يعود إلى ما أمروا به قبل هذا من موالاة المؤمنين، وترك موالاة الكافرين، والموالاة المشار إليها عامّة في النصرة والتأييد. أو أنها خاصة بالميراث. والمعنى على هذا: إلا تأخذوا في الميراث بما أمركم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة، والأنصار بالإيمان، دون أقربائهم من أعراب المسلمين، ودون الكفار ﴿ تَكُن فِتۡنَةٞ ﴾: يقول: يحدث بلاء ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، بسبب ذلك يعني: معاصي الله.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم ﴾ الآية. روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: فيَّ والله نزلت، حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، فأعطاني الله تعالى بها عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله. [٧٣] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين، فنزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾. [٧٥] قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك، فنزلت ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك قال الزبير: لقد رأيت كعبًا أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة.

[٦٩] ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائـــــدة : ٨٨]، ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنفال : ٦٩]. تمتعوا أيها المؤمنون بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الأنفال: فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم. [٧٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٧٢]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ [التوبة : ٢٠]. في سورة الأنفال تقدّم ذكرُ المال والفداءِ والغنيمة في قوله: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الأنفال : ٦٧]، و﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ ﴾ [الأنفال : ٦٨]، أي: من الفداءِ، ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ ﴾ [الأنفال : ٦٩]، فقدّم ذكر المال، وفي براءة تقدّم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ [التوبة : ١٦]، وقوله: ﴿ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٩]، فقدّم ذكر الجهاد.

[٧٥] ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ [الأحزاب : ٦]. وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين، إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحِلْف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة "وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نُسخ ذلك بآية المواريث" إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفًا بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدَّرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال : ٦٣]. روى الحاكم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: (إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم يقرأ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

= وبالألف بعدها في الثاني، وقرئ: (أُسَارى) بضم الهمزة فيهما وفتح السين بعدها ألف على وزن فُعالي. وقرئ: (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف فيهما على وزن فَعْلي كقتيل وقتلى، وهو قياس فعيل بمعنى مفعول، وهو أصل باب أسير فيجمع على فعلى كقتيل وقتلى، وصريع وصرعى، وذلك أن "فعيلًا" إذا كان بمعنى مفعول فبابه في الجمع فعلاء، وقيل: إن (أسرى) حمل على كسلى كما حمل كسلى على (أسرى) لشبهه به فكلٌ حُمِلَ على الآخر، وإنما اشتبها لأن معناهما متقارب، وذلك أن الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، وكذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته، فلما اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع، فحمل كل على الآخر في بابه. فباب أسير يجمع على أسرى كجريح وجرحى، وباب كسلان يجمع على كسالى كسكران وسكارى، فحمل أسير على باب كسلان فجمع على أسارى، وحمل كسلان على باب أسير فجمع على "كسلى" وقد خرج أيضًا أسير عن بابه فجمع على أسراء لمشابهته في اللفظ "ظريف وظرفاء" وقد قال الأخفش: الأسرى الذين لم يدخلوا في الوثاق، والأسارى الذين دخلوا في الوثاق. [٧٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ قوله: ﴿ مِّن وَلَٰيَتِهِم ﴾ هنا و(الولاية) بالكهف : ٤٤، قرئ: (وِلايتهم) بكسر الواو فيهما. وقرئ: (وَلايتهم) بفتح الواو وهما لغتان؛ أو الفتح من النصرة والنسب، والكسر من الإمارة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١- ﴿بَرَآءَةٌ﴾: بمعنى: هذه براءة. والبراءة: انقطاع العصمة، أي برئ الله إلى المشركين من العهود التي عاهدهم النبي ﷺ والمؤمنون، وانقطعت العصمة منها. وقيل: انقطعت لانقطاع مدة العهد. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: العهود إنما كان عَقْدُها لرسول الله ﷺ ولمن يعقدها بأمره. فخاطب الله المؤمنين بـ«عاهدتم»، لعلمهم بمعنى المخاطبة. ٢- ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فسيروا مُقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين من رسول الله ﷺ وأتباعه ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: جعلها الله أجلاً لمن كان له عهدٌ منه عليه السلام فنقضه وظاهَر عليه؛ أولها عشر ذي الحجة إلى عشر من ربيع الآخر، ومن لم ينقض عهده ولا ظاهر عليه ثم له عهده إلى مدته وأجله ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: لا تفوتونه حيثما ذهبتم. ٣- ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يوم عرفة. وقيل: يوم النحر. واختلف في ذلك ومعنى: أذانٌ: إعلام. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾: أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من كفركم ورجعتم إلى الإيمان بتوحيد الله وبما جاء به رسوله عليه السلام ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أدبرتم. ٤- ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾: لم يُعاونوا. ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾: إلى الأجل المسمى. ٥- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: خرج وانقضى ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: هاهنا: الأربعة المُتقدِّمة التي جعلها الله أجلاً وحرم على المسلمين دماء المشركين فيها، وأن يعرضوا لهم ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: لقيتموهم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: ائسروهم ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد المسلمين ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كل طريق ومرقب. ٦- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾: إن طلب مشرك عهدًا يأمن به حتى يسمع القرآن، ويرى حال الإسلام ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أمّنه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، إذا لم يرض بالإسلام ولم يُهد إليه.

[١] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [٥] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٢، ٣] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٢]، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣]. ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، تكررت مرتين، لأنَّ الأول للمكان، والثاني للزَّمان المذكورين قبل في قوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة : ٢]. [٥] ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ٥]، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ١١]. ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، تكررت مرتين؛ لأنَّ الأول في المشركين، والثَّاني في اليهود، فيمن حمل قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة : ٩] على التوارة. وقيل: هما في الكفار وجزاءُ الأوّل تخلية سبيلهم، وجزاءُ الثاني إثبات الأُخوّة لهم، ومعنى ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن الكريم.

[١] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة : ١]. لم ترك البسملة فيها دون غيرها؟ الجواب: لاختلاف الصحابة في أنَّ براءة والأنفال سورتان أو سورةٌ واحدةٌ، نظرًا إلى أن كلاً منهما نزل في القتال، فترك بينهما فُرْجة، عملًا بالأول، وتُركتْ البسملة عملًا بالثاني. أو لأنَّ البسملة أمانٌ، وبراءة فيها قتلُ المشركين ومحاربتهم فلا مناسبة بينهما. أو لأنَّ الأنفال لمَّا تضمَّنت طلبَ موالاة المؤمنين بعضهم بعضًا، وأن ينقطعوا عن الكفار بالكلِّية، وكان قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، تقريرًا وتأكيدًا، لذلك تُركتْ البسملة بينهما. [٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٦]. لم لا تكون الدعوة بالقرآن؟ لو تأملنا في حوار النبي ﷺ مع المدعوين وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم ويحدث هذا أثرًا عظيمًا في النفوس، لقد كانت قراءة النبي لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك وتبين له الحق، ولم يقل =

[١] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن الكريم ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، =

نزول سورة التوبة: نزلت بعد سورة المائدة، وهي مَدَنيّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة التوبة: ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. عدد حروف سورة التوبة: عشرة آلاف وسبعمائة وسبعة وثمانون حرفاً. أسماء سورة التوبة: ولهذه السورة ثمانية أسماء: الأوّل براءة؛ لافتتاحها بها. الثاني سورة التَّوبة؛ لكثرة ذكر التَّوبة. الثالث =

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾؟: الاستفهام على جهة التعجب والاستبعاد، أي: على أي وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: هم بعض بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ممن كان أقام على عهده، ولم يدخل في نقض ما كان بين رسول الله ﷺ وبينهم يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين أعانت قريش بني عبد الدُّئل على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة. ٨- ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ الآية، يعني عز وجل: كيف يكون لهؤلاء الذين نقضوا عهدهم عهد وذمة، وهم إن يظهروا عليكم فيغلبوكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾: «الإلُّ»: القرابة، و«الذِّمَّةُ»: العهد. ٩- ﴿اشْتَرَوْا﴾: ابتاعوا ﴿بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾: بحجته ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يسيراً من عرض الدنيا. ١٠- ﴿الْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون بالظلم والاعتداء إلى ما ليس لهم. ١١- ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الإسلام. ١٢- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا﴾: نقضوا ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ من بعد ما عاهدوا ألا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه وثلبوه ﴿فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أئمة: جمع إمام. والمراد: صناديد المشركين وأهل الرياسة فيهم. والآية عامة. ١٣- ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يعني: ما كان من قريش في نقض العهد، والعون على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ.

[٨، ١٠] ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة : ٨]، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة:١٠]. ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، تكررت مرتين: لأنَّ الأول للكفار والثاني لليهود. وقيل: ذكر الأوّل، وجعله جزاءً للشرط، ثم أعاد ذلك؛ تقبيحًا لهم، فقال: ساءَ ما يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة. [١١] ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ٥]، ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ١١]. قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ﴾، تكررت مرتين، لأنَّ الأول في المشركين، والثَّاني في اليهود، فيمن حمل قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة : ٩] على التوارة. وقيل: هما في الكفار، وجزاءُ الأوّل تخلية سبيلهم، وجزاءُ الثاني إثبات الأُخوّة لهم، ومعنى ﴿بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم.

= أحد إن هذا خاص بالنبي، بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به، وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ سورة ق، وبقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ﴾ سورة التوبة، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ سورة النمل، فمتى استشعر الداعية عظمة القرآن، وكان معايشًا له متعمقًا فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك، وجرب تجد. [٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٧]. **تعريف التقوى**: قال طلق بن حبيب رحمه الله تعالى: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. **من ثمرات وفوائد التقوى**: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح . ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز برضا الله تعالى. ٢٦- التفكر والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى.

[١٢] ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَيْمَٰنَ﴾ قرئ: (إيمان) بكسر الهمزة مصدر آمن من الإمان، أي: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقرئ: (أيمان) بالفتح جمع يمين، ودل عليه قبله قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾ والمعاهدة: تكون بالأيمان.

= هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٥] ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ **إعجاز عددي**: ذكرت الشهور (١٢) مرة في القرآن الكريم، والسنة (١٢) شهر. [٧] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ **إعجاز عددي**: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا في القرآن الكريم. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن الكريم. [١١] ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ **إعجاز عددي**: ذكرت كلمة زكاة (٨٨) مرة في القرآن الكريم، كما ذكرت كلمة بركة (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= الفاضحة؛ لأنَّ المنافقين افتَضحوا عند نزولها. الرَّابع المبعثِرة؛ لأنَّها تبعثِر أسرار المنافقين. وهذان الاسمان رُويا عن ابن عباس. الخامس المُقَشقِشَة؛ لأنَّها تبرئ المؤمن، فتنظِّفه من النفاق، وهذا عن ابن عمر. السَّادس البَحُوث؛ لأنَّها تَبحث عن نفاق المنافقين. وهذا عن أبي أيوب الأنصاري. السابع سورة العذاب؛ لما فيها من =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٤- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: ممن لم يشهد القتال ولا حضره، لأن كل ما يضع من شأن الكفر. هو شفاء من همّ صدور المؤمنين. وقيل: يشف صدور قوم مؤمنين ممن آذاهم من المشركين. وقيل: هم حلفاء رسول الله ﷺ يَشْفي صدورهم من بني بكر. ١٦- ﴿وَلِيجَةً﴾: بطانةً من المشركين. ١٧- ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: بأحوالهم وأفعالهم، وإن أبوا ذلك بألسنتهم وأقوالهم. وربما شهد بعضهم على نفسه بالإلحاد والكفر. ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت. ١٨- ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟﴾: بمعنى: أن أولئك هم المفلحون، وكل «عسى» في القرآن واجبة. وقيل: هي – ها هنا – بمعنى: خليق، أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين. ١٩- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾... إلى آخر الآية، أخرج الإمام مسلم وأبو داود وغيرهما أن رجلاً قال: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام عملاً إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام عملاً إلا أن أعمُر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل؛ فزجرهم عمر بن الخطاب وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وكان يوم جمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيتُه فيما اختلفتم فيه؛ ففعل. فأنزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل: افتخر طلحة بن شيبة فقال: أنا صاحب البيت، وعندي مفتاحه، ولو شئت بتُّ فيه؛ فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو شئت بتُّ في المسجد. قال علي رضي الله عنه: لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد». فنزلت هذه الآية وما بعدها إلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وقد روي معنى هذا من عدة طرق.

[١٤] قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وأخرج عن السدي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر. [١٧-١٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية. وأخرج مسلم، وابن حبان، وأبو داود، عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله، خير مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ؟ فقال: أعمر المسجد، وأحجب البيت، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية. وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية كلها. وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه، وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة والعباس، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية كلها.

[١٥] ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ٢٧]. الآية الأولى تقدمها ما حدث من كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضييق، وبدئهم القتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خزاعة في صلح الحديبية، فأمر الله بقتالهم وخزيهم، وحتى تشفى صدور من آمن من خزاعة وغيرهم ممن آذوهم، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ١٤]، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر منهم في الصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: بما في القتال، وفي طي ما جرى من ذلك كله. وأمَّا الآية الثانية فقد تقدمها الحديث عمَّا جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم، فلم تغن عنهم شيئًا، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكنهم من أعدائهم، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، تأنيسًا لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمة منه سبحانه تعالى. [١٦] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة : ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾ [التوبة : ١٦]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ والمؤمنين على العموم، وفي آية آل عمران لأهل أحد تسلية لما أصابهم في سبيل الله، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، وفي التوبة للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلام لهم بأنهم لايكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم. يوجد قول آخر في هذه الآيات فيه توسع، انظر سورة البقرة آية : ٢١٤.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة : ٢٠]. فضل الجهاد في سبيل الله: ١- المجاهدون يرجون رحمة الله. ٢- ثمن الجهاد دخول الجنة. ٣- الجهاد اختبار وامتحان لقوة إيمان المؤمنين. ٤- فيه تمحيص للناس. ٥- في الجهاد بيان لمعرفة الصابرين من غيرهم. ٦- شتان بين المجاهدين في سبيل الله والقاعدين. ٧- الجهاد في سبيل الله سبيل الفلاح في الدارين. ٨- المجاهدون في سبيل الله أولياء بعضهم بعض. ٩- الله تعالى يحبُّ المجاهدين في سبيله وهم =

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قرئ: (مسجد – مساجد) بالتوحيد وبالجمع، أي: جمع المساجد، ويدخل المسجد الحرام دخولًا أوليًا، وقيل: هو المراد، وجمع لأنه قبلة المساجد، وهذان الاحتمالان على قراءة التوحيد أيضًا، وقيل: الإفراد على إرادة المسجد الحرام، والجمع على إرادة جميع المساجد.

انعقاد الكفَّار بالعذاب مرَّة بعد أخرى، في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١]. الثَّامن الحافرة؛ لأنَّها تحفر قلوب أهل النِّفاق بمثل قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ =

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١- ﴿مُّقِيمٌ﴾: دائم مستمر لا يفارق صاحبه. ٢٢- ﴿أَبَدًا﴾: لا نهاية لذلك ولا حد. ٢٣- ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: بطانة وإخواناً يؤثرون المكث بينهم على الهجرة إلى دار الإسلام، وتفشون إليهم أسراركم، ويطّلعون على عورات المسلمين، والآية دالة على قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وهو حكم باق إلى يوم القيامة. ٢٤- ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اصبتموها. ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: انتظروا، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: تخويف وإنذار للمتخلفين عن الجهاد بالأعذار الواهية. ٢٥- ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: ونصركم يوم حنين، ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: أما فيما قبل يوم حنين فكان المسلمون قلة، وحنين: واد بين مكة والطائف، التقى فيه النبي ﷺ، والمسلمون بكفار هوازن وأهل الطائف، وكان المسلمون اثنى عشر الف مقاتل، فقال قائلهم: لا نُغلب اليوم من قلّة، ثم انهزموا، وثبت رسول الله في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، منهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان رسول الله ﷺ قد اكتنفه العباس عمّه، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وبين يديه أيمن ابن أم أيمن – وثمّ قُتل رحمه الله – ثم رجع المسلمون فكان النصر، والعبرة والدروس. ٢٦- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: أمنته وطمانيته ﴿جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: من الملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بالهزيمة والقتل.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس: أن رجلًا قال يوم حنين: لن نُغلب من قلة وكانوا اثنى عشر الفا، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فانزل الله ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الآية.

[١٩، ٢٤] ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة : ١٩]، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة : ٢٤]، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة : ٣٧]. الآية الأولى نزلت في الذين فضلوا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام على الإيمان والجهاد، فوضعوا الأفضل في غير موضعه، وهو معنى الظلم، أو نقصوا الإيمان بترجيح الآخر عليه، والظلم النقص أيضًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف : ٣٣]، والآية الثانية في المسلمين الذين اتخذوا أقاربهم الكفار أولياء، وبعض الفسق لا ينافي الإيمان، والآية الثالثة في الكفار الذين كانوا ينسئون الشهور فيحلون حرامها ويحرمون حلالها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾. [٢٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال : ٧٢]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة : ٢٠]. في سورة الأنفال تقدّم ذكرُ المال والفداءِ والغنيمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال : ٦٧]، و﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال : ٦٨]، أي: من الفداءِ، ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال : ٦٩]، فقدّم ذكر المال، وفي براءة تقدّم ذكر الجهاد، وهو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة : ١٦] وقوله: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فقدّم ذكر الجهاد.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة : ٢٦]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح : ٤]. ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ مضاف إلى ضميره سبحانه وتعالى، والملاحظ في السكينة بالذات أنه حيث ذكر الرسول ﷺ أو كان موجودًا في السياق يقول سكينته، مثل هذه بالإضافة إليه تعظيمًا له، وحيث كان الأمر عامًا ليس فيه الرسول يقول السكينة، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ليس فيها ذكر الرسول ﷺ، وحيث صرح بالرسول كما في الآية: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذه خصوصية للرسول ﷺ تعظيمًا وإكرامًا له ﷺ.

- يحبونه كذلك سبحانه عز وجل. ١٠- الجهاد في سبيل الله ينفي عن المؤمن النفاق. ١١- من جاهد في سبيل الله كان من المؤمنين الصادقين. ١٢- في الجهاد في سبيل الله زيادة إيمان المؤمنين ويقينهم بالله. ١٣- في الجهاد في سبيل الله إغاظة للكفار. ١٤- لا يستوي الجهاد في سبيل الله وغيره أبدًا. ١٥- في الجهاد في سبيل الله سعادة الدارين. ١٦- مغفرة ذنوب المجاهدين. ١٧- من جاهد فلنفسه. ١٨- من جاهد في سبيل الله هدي للحق. ١٩- الجهاد في سبيل الله هو التجارة الرابحة. ٢٠- في القتال في سبيل الله خير كثير. ٢١- لَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ. ٢٢- إظهار آيات الله في القتال بين المؤمنين والكافرين. ٢٣- في قتالنا لأهل الكتاب سننتصر عليهم بإذن الله. ٢٤- من قاتل في سبيل الله فهو من الأخيار والأبرار. ٢٥- من قتل في سبيل الله فهو حيٌّ ٢٦- شراء الحياة الدنيا بالآخرة... فضائل الشهادة وكرامة الشهداء عند الاستشهاد: ١- دم الشهيد أحب شيء إلى الله. ٢- الشهيد لا يجد ألم القتل، ويغفر له مع أول قطرة من دمه. ٣- الشهيد يرى مقعده من الجنة. ٤- الشهيد تبتدره زوجته من الحور قبل أن يُرفع من مصرعه. ٥- من الشهداء من تغسله الملائكة. ٦- من الشهداء من تظله الملائكة بأجنحتها. ٧- الحياة للشهيد بعد الاستشهاد مباشرة. فضائل الشهداء في البرزخ: ١- من الشهداء من لا تأكل الأرض جسده. ٢- الشهداء لا يفتنون في قبورهم. ٣- الشهداء يفرحون لما آتاهم الله من فضله. ٤- الشهداء يستبشرون بفضل الله. ٥- الشهداء أرواحهم في جوف طير خضر في ظل العرش. ٦- الشهداء على بارق نهر بباب الجنة. فضائل متفرقة للشهيد: ١- لا يغسل كما يغسل الموتى فالغسل تطهير لجسد الميت والشهداء أطهار بما فيهم من حياة، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، لأنهم بعد أحياء. ٢- أحياء فلا يشق قتلهم على الأهل والاصدقاء.. لأنهم مكرمون عند الله مأجورون. ٣- يشفع الشهيد في سبعين من أهله. ٤- يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشرات المرات لما يراه من الكرامة. ٥- الشهداء هم أول من يدخلون الجنة. ٦- قبورهم برائحة المسك كذلك رائحة الشهيد رائحة طيبة كالمسك، ولون دمه في الظلام نور ينبعث من الجرح. ٧- أعلى درجات الجنة للشهداء. ٨- الأمن من الفزع وغيره. ٩- يضحك إليهم ربهم. ١٠- دمه الذي أريق اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّم، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ...

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ قرئ: (وعشيراتكم) بألف بعد الراء جمع سلامة؛ لأن لكل منهم عشيرة. وقرئ: (وعشيرتكم) بغير ألف على الإفراد، أي: عشيرة كل منكم.

- [التوبة : ١١٠]. مواضيع سورة التوبة: مقصود السورة إجمالاً: وَسْم قلوب الكفّار بالبراءة، وردّ العهد عليهم، وأمان مستمع القرآن، وقهر أئمة الكفر وقتلهم، ومنع الأجانب من عمارة المسجد الحرام، وتخصيصها بأهل الإسلام، والنّهي عن موالاة الكفّار، والإشارة إلى وقعة حرب حُنَيْن، ومنع المشركين من دخول الكعبة، -

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾: قيل: من الجنابة. وقيل: جُعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم لأنهم لم يتطهروا من الشرك. وقال الحسن البصري: لا تُصافِحوهم فمن صافحهم فليتوضأ، والذي عليه الجمهور أن الكافر ليس بنجس الذات. لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فاقة وفقراً؛ وذلك أن المشركين كانوا يحجون البيت ويأتون بالطعام والتجارة، فلما نُهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ وخافوا العَيْلَة، فأنزل الله هذه الآية. ٢٩- ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: «الجزية: فِعْلةٌ من جزى فلان ما عليه: إذا قضاه، كـ«القعدة» و«الجِلسة»، من قعد وجلس، ومعنى ﴿عَن يَدٖ﴾ أي: مواتية غير ممتنعة. أو: عن نعمة منكم عليهم، واليد في اللغة: النعمة والصنع الجميل، لأنها مقابل تأمينهم. وقيل: عن قدرة، فلا تفرض الجزية إلا على القادرين على دفعها، ولذلك أعفي منها الصغار والعاجزون والرهبان والفقراء والنساء. ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: خاضعون منصاعون لقوانين الدولة وسلطان الإسلام. وقد ربط بعض الفقهاء بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] – والآيتين ٨، ٩ من سورة الممتحنة – فقال: إن هذه الآية تجعل الجزية غاية لقتال أهل الكتاب حين تتغلب عليهم، وليس كل أهل الكتاب يجب علينا أن نقاتلهم، فأهل الكتاب الذين يعيشون في الدولة مع المسلمين، ويشاركونهم في الإخلاص والولاء لها، ليسوا ممن يجوز قتالهم، فلا تفرض عليهم الجزية التي هي ثمرة القتال بعد النصر. ٣٠- ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون وقرأ باقي السبعة: (يضاهون)، أي يحاكون ويبادرون ويماثلون. ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾: ضاهت النصارى بقولهم في عيسى قول اليهود قبلهم في عزير ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾: لعنهم الله! ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: بمعنى: أي وجه يُذهبُ بهم؟ وكيف يصدون عن الحق؟ ٣١- ﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾: علماءهم، والحَبْر: العالم. ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾: قُرّاءهم وأصحاب صوامعهم وأهل الاجتهاد منهم ﴿أَرۡبَابٗا﴾: سادة لهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بطاعتهم لهم، فما أحلّوا لهم أحلوه، وما حرّموه عليهم حرموه.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نُهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ فأنزل الله ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ الآية. [٣٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسولَ الله ﷺ سلامُ بن مشكم، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ الآية.

[٢٧] ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٢٧]. الآية الأولى تقدمها ما حدث من كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه من التضييق وبدئهم القتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خزاعة في صلح الحديبية، فأمر الله بقتالهم وخزيهم وحتى تشفى صدور من آمن من خزاعة وغيرهم ممن آذوهم قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، كأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل إلى من أسلم منهم بعد ما صدر منهم في الصد عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: بما في القتال وفي طي ما جرى من ذلك كله. وأمّا الآية الثانية فقد تقدمها الحديث عمّا جرى يوم حنين من تولي الناس مدبرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئًا، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ومكنهم من أعدائهم، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، تأنيسًا لمن فر من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم بتوبة الله عليهم، وأن ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم، رحمة منه سبحانه تعالى. [٢٩] ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ عدا [النساء: ٣٨، التوبة: ٢٩] ﴿بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾. قوله تعالى: ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الوحيدة في القرآن بالبقرة التي تكرر فيها العامل "الباء"، مع حرف العطف "و"، ولا يكون إلا للتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل: "يكاد المريب يقول خذوني"، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ثم جاءت مع النفي في موضعي النساء والتوبة، وواضح فيهما معنى التوكيد.

[٢٥] ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ [التوبة: ٢٥]، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٢٤]. ما الفرق بين: "النَّصر والظَّفر". الجواب: أولًا: (النصر): وردت كلمة النصر بمشتقاتها في القرآن الكريم عدد (١٤٤) مرة. ثانيًا: (الظفر): جاءت هذه الكلمة كفعل متعدٍ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٢٤] مرةً واحدةً في القرآن الكريم. الفرق بين الكلمتين ١- (النصرُ) يأتي في القرآن الكريم وصفًا عامًّا لكل غلبٍ أو فوزٍ حققه المؤمنون، أما (الظفرُ) فهو مقصورٌ على (الغلب) الذي يحدث بدون قتالٍ يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكة المبين بالظفر دون النصر، وقد تمَّ فتحها بدون قتالٍ وإراقةٍ للدماء، وكان فتحًا مبينًا ونصرًا سهلًا ميسورًا. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفرٍ) نصرٌ، وليس كل (نصرٍ) ظفرًا. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظافر) في الفريسة وهو أيسرُ وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولةٍ ويسرٍ، واللغويون ذكروا أن (الظفر) مشتقٌ من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسرُ وسيلةٍ للحصول على المطلوب.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ قوله تعالى: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ قرئ: (عزيرٌ) بالتنوين مكسورًا وصلاً على الأصل وهو عربي من التعزير، وهو التعظيم فهو اسم أمكن مبتدأ مخبر عنه بابن لا موصوف به، وقيل: عبراني، واختلف: هل هو مكبر كسليمان أو مصغر عزر كنوح؟ وعليه تصرفه لكونه ثلاثيًا ساكن الوسط ولا نظر لياء التصغير. وقرئ: (عزيرُ) =

= والحَرَم، وحضور الموسم، والأمر بقتل كَفَرَة أهل الكتاب وضرب الجزية عليهم، وتقبيح قول اليهود والنّصارى في حقّ عُزَير وعيسى عليهما السّلام، وتأكيد رسالة الرّسول الصّادق المحقّ، وعيب أحبار اليهود في أكلهم الأموال بالباطل، وعذاب مانعي الزكاة، وتخصيص الأشهر الحرم من أشهر السنة، وتقديم الكفار =

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾: دين الله الذين ابتعث به رسوله عليه السلام ويدّد به الظلمات. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بتكذيبهم. أو بوسيلة تعبّر عن قلة حيلتهم. وقيل: بأقوال لا برهان عليها، فهي لا تجاوز الأفواه إلى فهم سامع أو عقل عاقل. ٣٣- ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليُعلي الإسلام على الملل كلها. وقيل: ذلك عند خروج عيسى عليه السلام تصير الملل كلها واحدة هي ملة الإسلام. ٣٤- ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرشا في الحكم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: قيل: الكنز هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تُودَّ زكاته. وقال ابن عمر: كل مالٍ أُدِّيت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما لم تُؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً. وأصل «الكنز» في اللغة: الضم والجمع. وليس من شروط الكنز: الدفن! لكن كثر في حفظَة المال أن يدفنوه، حتى تعورف في المدفون، اسم الكنز. ٣٥- ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: تدخلِ النار فيوقد عليها. ٣٦- ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: الذي كتب فيه ما هو كائن ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: رجب، وذو القعدة، وذو الحِجّة، والمُحَرَّم؛ وكانت الجاهلية تُحرِّم فيها القتال حتى لا يعرض أحدهم لقاتل أبيه وابنه لو لقيه فيها، وكان رسول الله ﷺ والمسلمون لا يقاتلون فيها، حتى نزلت «براءة» فأحلّ قتال المشركين فيها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: يعني: الأشهر الحرم، معناه: لا تستحِلُّوا فيهنّ ما حرم الله عليكم فتَكْسِبوا فيهن أنفسكم من سخط الله ما لا قبل لكم به ﴿كَآفَّةً﴾: جميعاً.

[٣١] شرح اسم الله الواحد: وهو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيّوميّته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أحَدِيَّتِهِ وتفرّده بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم.

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. حذف اللام من الآية الأولى، لأنَّ مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، وهو المفعول به، والتقدير: ذلك قولهم بأفواههم، ومرادهم إطفاء نور الله بأفواههم. والمراد الذي هو المفعول به في الصفّ مضمر تقديره: ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب، يريدون ذلك ليطفئوا نور الله، فاللّام لام العِلّة. وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على المصدر. أي: إرادتهم لإطفاءِ نور الله. قول آخر: إن زيادة آية براءة مقابل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى، قال الله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]، فوقع في المحكي هنا طول اقتضى ما بني جوابًا عليه ليتناسب. وأمّا آية الصف فمقابل بها قول عيسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وإنما الجواب على المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وليس هذا في الطول وعدة الكلم المحكي في سورة براءة، ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ست كلمات "عزير ابن الله – المسيح ابن الله"، وفي الصف ثلاث كلمات "هذا سحر مبين"، ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين منهم اليهود والنصارى مفصحًا به، والواقع في الصف مقالة طائفة واحدة، وهذا مراعىً، فقد وضح ورود كل من الآيتين مناسبًا لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين، والله أعلم. [٣٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والصف، ومعناها: هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق -الإسلام- وظهوره على الأديان.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨]. نجاسة المشرك عينية؛ ولهذا جعل سبحانه المشرك نَجَسًا بفتح الجيم، ولم يقل إنما المشركون نجِس بالكسر، فإن النَّجَس عين النجاسة، والنجِس "بالكسر" هو المتنجس، فأنجس النجاسة الشرك، كما أنه أظلم الظلم. [٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]. بدأت الآية بذكر كي جباه الذين يكنزون الذهب والفضة ثم الجنوب ثم الظهور، قيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم، وولوه ظهورهم، فتدرجت الآية حسب الرتبة.

= بغير تنوين إما لكونه غير منصرف للعجمة والتعريف، أو لالتقاء الساكنين تشبيهًا للنون بحرف المد وهو مبتدأ، أو ابن صفة لعزير والخبر محذوف، أي: نبينا أو معبودنا، وقد تقرر أن لفظ (ابن) متى وقع صفة بين علمين غير مفصول بينه وبين موصوفه حذفت ألفه خطًا، والتقدير: عزير بن الله نبينا. قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ قرئ: (يضاهئون) بالهمزة وكسر الهاء. وقرئ: (يضاهون) بترك الهمزة وضم الهاء وهو معتل اللام مثل "قاضون" وهما لغتان، يقال: ضاهيت وضاهئت، وترك الهمزة أكثر، والمضاهاة: المشابهة. [٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱثْنَا عَشَرَ﴾ - و﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾ - و﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قرئ: (عشْر) بإسكان العين، أي وسطه، من الثلاثة ولا بد من ألف (اثنا) للساكنين وهو صحيح ومسموع عن العرب. وقرئ: (عشَر) بفتح العين في الكل وهو الأصل في هذا اللفظ، وهما لغتان صحيحتان عند العرب.

= شهر المحرم، وتأخيرهم إيّاه، والأمر بغزوة تبُوك، وشكاية المتخلّفين عن الغَزْو، وخروج النَّبي ﷺ مع الصِّديق رضي الله عنه من مَكَّة إلى الغار بجبل ثَوْر، واحتراز المنافقين من غزوة تبوك، وترصُّدهم وانتظارهم نكبة المسلمين، وردّ نفقاتهم عليهم، وقَسْم الصَّدقات على المستحقِّين، واستهزاء المنافقين بالنَّبي ﷺ، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: كانوا في الجاهلية يحرمون المحرم عاماً، ويحِلُّون صفر، فإذا كان في العام بعده أحلوا المحرم وحرموا بعده صفر، فيؤخرون التحريم من شهر إلى شهر، ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: اي إن الذي سَنَّ لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنّة السيئة. ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: ليوافقوا. والمعنى: إنهم لم يحلّوا شهرًا إلا حرّموا شهرًا، لتبقى الأشهر الحرم أربعة. ٣٨- ﴿ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: اخرجوا إلى مغزاكم. وأصل «النَّفْر»: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: تثاقلتم ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: إلى لزومكم منازلكم. ٤٠- ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾: رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ابي بكر رضي الله رضي الله عنه، اي أن الله تعالى سكّن جاشه وأذهب عنه الروع الذي كان يجده خوفًا على النبي ﷺ أن تدركه قريش أو يصيبه مكروه. وقيل: إنه – أي الضمير – يعود على النبي ﷺ، ويكون المراد بالسكينة النازلة عليه، ليس سكون النفس والجاش، «ولكن ما ينزل الله تعالى على أنبيائه من الحياطة، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم» كما يقول ابن عطية رحمه الله. قال الشوكاني: ويؤيد كون الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ للنبي ﷺ: الضمير في: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فإنه للنبي ﷺ، لأنه المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة. وقيل: إنه لا محذور في رجوع الضمير من ﴿عَلَيْهِ﴾ إلى أبي بكر، ومن ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ إلى النبي ﷺ، فإن هذا كثير في القرآن وفي كلام العرب. فكأن الآية خصّت (الاثنين) كل واحدٍ منهما بحكم. وهذا نحو قوله تعالى في سورة الفتح ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فالضمير في (سبحوه) يعود على الله تعالى، وفي ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود على رسول الله ﷺ، وفي الحديث في هذه الآية عن الله والرسول، وفي آية التوبة عن الرسول وأبي بكر. علمًا بأن وصف النبي ﷺ بأنه (ثاني اثنين) وإن كان يراد به مطلق الجمع بين الأول والثاني، فإن فيه إشارة إلى أن أبا بكر رضي الله عنه سيتقدم للدفاع عن النبي إذا تعرض لأي مكروه، وأن القوم لن يصلوا إلى النبي الكريم بعد هلاك أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: كلمة الشرك ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾: لا إله إلا الله.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية. اخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرًا، ويجعلون المحرم صفرًا فيستحلون فيه المحرمات، فأنزل الله ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾. [٣٨] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أُمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. [٣٩] قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة بن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم.

[٣٧] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤، التوبة: ٣٧]، وباقي المواضع ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أو ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾. آيتا البقرة والتوبة سبقهما من الأفعال والأقوال ما هو من الكفر فختمتا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، وأمّا باقي مواضع القرآن فقد جاءت على ما يناسب ما سبقها من الأفعال والأقوال. [٣٩] ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]. ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى﴾ فهو مرفوع، وفي التوبة معطوف على "يعذبكم ويستبدل" ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، وهما مجزومان فهو مجزوم.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ...﴾ [التوبة: ٤٠]. من أصح الإشارات إشارة هذه الآية، وهي أن من صحب الرسول ﷺ وما جاء به، بقلبه وعمله وإن لم يصحبه ببدنه فإن الله معه. وفيها أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى – إذا نزل بالعبد – أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة.

[٤١] ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]. ما الفرق بين: "الجهاد والقتال"؟ الجواب: الجهادُ معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالًا. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، ويشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقتال في سبيل الله، ويشمل كل قولٍ أو عمل خير يعمله المؤمن في سبيل الله.

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ قرئ: (النسيّ) بتشديد الياء من غير همزة، وذلك أنه خفف الهمز على ما يجب من الأصول المذكورة فلما أراد تخفيفها وجد قبلها ياء زائدة كياء هنيئًا؛ لأن قولك: "نسيء" وزنه فعيل كهنيء، فأبدل من الهمزة ياء، وأدغم فيها الياء التي قبلها كقولهم في تخفيف خطيئة. وقرئ: (النسيء) بالهمز على الأصل لأنه "فعيل" من أنسأته الدين، أي: أخرته عنه، فمعناه: أنهم أخروا حرمة شهر حرام وجعلوا ذلك في شهر ليس بحرام؛ ليبيحوا لأنفسهم القتال والغارات في الشهر الحرام، وقد كان ذلك محرمًا في الشهر الحرام وغيره، ولكن كانت حرمة الشهر الحرام في ذلك أعظم، والذنب فيه أكبر منه في غيره، و(النسيء) مصدر كالنذير والنكير. قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ قرئ: (يُضِل) بضم الياء وكسر الضاد من أضل مبنيًا للفاعل، وقد أضافوا الفعل فيه إلى الكفار لأنهم هم الضالون في أنفسهم بذلك التأخير؛ لأنهم يحلون ما حرم الله من الشهور، وقرئ: (يَضَل) بضم الياء وفتح الضاد من أضل معدى ضَلَّ مبنيًا للمفعول، على معنى أن كبراءهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك. [٤٠] ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ قرئ: (وكلمةَ) بنصب التاء عطفًا على كلمة الذين. وقرئ: (وكلمةُ) بالرفع على الابتداء وهو أبلغ؛ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها.

وبالقرآن، وموافقة المؤمنين بعضهم بعضاً، ونيلهم الرّضوان الأكبر بسبب موافقتهم، وتكذيب الحقّ للمنافقين في إيمانهم، ونهي النّبي عن الاستغفار لأحيائهم وعن الصلاة على أمواتهم، وعَيْب المقصّرين على اعتذارهم بالأعذار الباطلة، وذمّ الأعراب في صلابتهم، وتمسكهم بالدِّين الباطل، ومدح بعضهم بصلابتهم في

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤١- ﴿ٱنفِرُوا﴾: اخرجوا ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: شبابا وكهولاً وقيل: مشاة وركباناً. ٤٢- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾: غنيمة حاضرة ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: قريباً سهلاً ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: يعني في غزوة تبوك، والشُّقة: السفر البعيد الشاق، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يوجبون على أنفسهم الهلاك بحلفهم بالله كاذبين. ٤٣- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: عاتب الله نبيه ﷺ في إذنه لمن أذنَ له في التخلُّف عنه من المنافقين في غزوة تبوك. ٤٥- ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: شكَّت في وحدانية الله تعالى ووعده ووعيده. ٤٦- ﴿لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾: لتأهبوا ﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: ثقَّل عليهم الخروج. ﴿ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: أي مع أولي الضرر، من العميان والمرضى وغيرهم! ٤٧- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾: لأسرعوا؛ وأصله من إيضاع الخيل والركاب؛ وهو الإسراع بها في السير ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾: بينكم، والمعنى: لسعوا بينكم بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يطلبون لكم ما تفتنون به في دينكم، ويثبطكم عن مغزاكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾: عيون لهم عليكم يسمعون حديثكم ويبلغونه إليهم.

[٤٠] معنى اسم الله العزيز: العَزيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢- وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٤٠] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللَّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا...؟

[٤١] قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلًا أو كبيرًا، فيقول: إني آثم! فأنزل الله ﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. [٤٣] قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير: عن عمرو بن ميمون الأودي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

[٤٢] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧، الحشر: ١١، المنافقون: ١]. الاستطاعة وعدمها حكم لا يطلع عليه في الغالب، بل ينفرد به الله إلا أن يعلم ذلك بقرينة، فقول المنافقين في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، غير مشاهد من ظاهرهم، فقد كان يمكن تصديقهم أو تصديق بعضهم لولا أنه سبحانه أعلم نبيه ﷺ بحالهم وما يكون من اعتذارهم قبل أن يقع منهم، وبتقاعسهم عن الخروج فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، فأعلم تعالى بما يكون منهم قبل أن يكون وذلك غيب، وأعلم بوجه تقاعسهم وتثبيطهم، ثم أعلم بكذبهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، فحصل العلم بحالهم بإخباره تعالى، ثم تكاثرت الشواهد عنهم، فلما كان حال الاستطاعة على ما ذكرنا من الخفاء حتى لا يطلع عليها، ناسب ذلك التعريف عن اطلاعه تعالى على ما أخفوه من حالهم بالعلم، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. أمَّا قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، فآية التوبة في أهل مسجد الضرار، وأمرهم مما قد كانوا تواطؤوا عليه، ولم يخف حال بعضهم عن بعض، وذلك بخلاف الاستطاعة وما يمكن فيها من الخفاء، فكان هذا مما يرجع إلى حكم الظهور والشهادة، وكذلك آية الحشر، ففيها ادعاء أهل النفاق نصرة الكافرين والخروج معهم إن خرجوا، وكل ذلك مما كان يشاهد لو وقع، وليس شيء من ذلك كالاستطاعة في خفائها وغيابها، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. وأمَّا الوارد في سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، لأن قولهم: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، قول مدرك بالسمع، فطابق هذا وناسبه قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، وجاء كل على ما يجب.

[٤٦] ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]. الإعداد للعمل علامة التوفيق وأمارة الصدق في القصد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾، والطاعة لابد أن يُمهَّد لها بوظائف شرعية كثيرة حتى تؤتي أكلها ويُجتنى جناها. [٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]. أي قابلون مستجيبون لهم، فإذا كان جيل القرآن كان بينهم منافقون، وفيهم سماعون لهم، فما الظن بمن بعدهم، فلا يزال المنافقون في الأرض، ولا يزال في المؤمنين سماعون لهم، لجهلهم بحقيقة أمرهم، وعدم معرفتهم بغرور كلامهم. [٥١] ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. قال الوزير ابن هبيرة: إنما لم يقل: ما كتب علينا، لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له، إن كان خيرًا فهو له في العاجل، =

= دين الحقِّ، وذكر السَّابقين من المهاجرين والأنصار، وذكر المعترفين بتقصيرهم، وقبول الصَّدقات من الفقراءِ، ودعاؤهم على ذلك، وقبول توبة التَّائبين، وذكر بناءِ مسجد ضِرار للغرض الفاسد، وبناءِ مسجد قُباء على الطَّاعة والتقوى، ومبايعة الحقِّ تعالى عبيدَه باشتراءِ أنفسهم وأموالهم، ومعاوضتهم عن ذلك بالجنَّة، وبهي =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨- ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ﴾: التمسوا ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾: يعني: لأصحابك ليصدُّوهم عن دينهم ويخذلوهم عنك ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾: أجالوا الراي في إبطال ما جئت به والتخذيل عنك ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: دين الله. ٤٩- ﴿وَمِنۡهُم﴾: يعني من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾: لأقيم ولا أشخصُ معك ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾: لا تبتلني برؤية نساء الروم فإني بالنساء مُغرَم، قال ذلك الجدُّ بن قيس- وكان من المنافقين- لرسول الله ﷺ استهزاء حين عرض عليه غزو الروم! ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾: يقول عز وجل: ما سقط فيه من الفتنة – من التخلف عن الجهاد والاعتذار بالباطل – أعظم مما كان يُخشى عليه من الفتنة بنساء بني الأصفر، ولم يكن ذلك به ﴿لَمُحِيطَةُۢ﴾: لَمُطبقة. ٥٠- ﴿قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾: حذرنا. ٥١- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾: في اللوح المحفوظ وقضاه علينا، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾: أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا. ٥٢- ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾: تنتظرون ﴿إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾: الخصلتين الحُسنيين: الشهادة، أو الفتح على أعداء الله تعالى، ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ﴾: إحدى المساءتين لكم. ٥٤- ﴿إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين.

[٤٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾ الآية. أخرج الطبراني، وأبو نعيم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك فقال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، فقال يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر افتتن، فاذن لي ولا تفتني، فأنزل الله ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ الآية. [٥٠] قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، يقولون: إن محمدًا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم، وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ الآية. [٥٣] قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن، ولكن اعينك بمالي، قال: ففيه نزلت ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾ قال: لقوله: اعينك بمالي.

[٥٠] ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران : ١٢٠]، ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾ [التوبة : ٥٠]. الآيتان تستكملان وصف المنافقين أنهم مع ما لهم من الصفات الذميمة والأفعال القبيحة متخوفون ومتوجسون من حصول أي نوع من أنواع المنفعة للمسلمين، ومترقبون نزول نوع من المحنة والبلاء بالمؤمنين. ولكن آية آل عمران قال فيها: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾، والمس مثل الإصابة، لكنه يعبر عن أية حسنة ولو كانت قليلة جدًا، فإنها تسوء المنافقين، وذلك لأن التعقيب هنا كان للتحذير من اتخاذهم بطانة ومستشارين، لأن ضررهم سيكون أبلغ، فناسبه هذا اللفظ ﴿تَمۡسَسۡكُمۡ﴾. وأمّا آية التوبة ففي عموم المنافقين حتى ولو لم يكونوا بطانة للمؤمنين. [٥٤] ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة : ٥٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة : ٨٠، ٨٤]. لأنَّ الكلام في الآية الأولى إيجاب بعد نفي، وهو الغاية في باب التَّأكيد، وهو قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٥٤]، فأكّد المعطوف أيضًا بالباءِ؛ ليكون الكل في التأكيد على منهاج واحد، وليس كذلك الآيتان بعده؛ فإنَّهما خَلَتا من التأكيد.

= وإن كان شرًا فهو ثواب له في الآجل. [٥٣] ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [التوبة: ٥٣]، ما الفرق بين: "الكَرْه- الكُرْه- الإكراه" الجواب: ١- الكَرْهُ: استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليلُ على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْهُ: استعملها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معًا، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثَمَّ لا يمكن ولا يُساغ أن يأتي إحداهما مكان الأخرى. ٣- الإكراهُ: هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكَرْه»، و«الكُرْه» أن الإكراه فعلُ المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكَرْهُ» و«الكُرْهُ» فعل المُكرَه (اسم مفعول). [٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٥٤]. ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة =

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ﴾ قرئ: (يقبل) بالتذكير؛ لأن التأنيث غير حقيقي وللفاصل بين الفعل وفاعله، وقرئ: (تقبل) بالتأنيث مراعاة للفظة النفقات. [٥٧] ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾ قوله تعالى: ﴿مُدَّخَلٗا﴾ قرئ: (مَدْخَلًا) بفتح الميم وإسكان الدال مخففة من دخل. وقرئ: (مُدَّخَلًا) بضم الميم وتشديد الدال مفتعل من الدخول، والأصل: مدتخل أدغمت الدال في تاء الافتعال بعد إبدالها دالًا.

[٥٥] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة.
[٥٨] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلّ (١٤) مرة في كتاب الله. [٦١] ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، =

= إبراهيم الخليل عن الاستغفار للمشركين، وقبول توبة المتخلِّفين المخلِصين من غزوة تَبوك، وأمر ناس بطلب العلم والفقه في الدِّين، وفضيحة المنافقين، وفتنتهم في كلِّ وقت، ورأفة الرّسول ﷺ، ورحمته لأمته وأمر الله نبيّه بالتوكُّل عليه في جميع أحواله بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩]. فضل سورة التوبة: قال رَسُول الله ﷺ: "من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر" رَوَاهُ أحمد وصححه الألباني.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

٥٥- ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالمصائب فيها ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج. ٥٦- ﴿يَفْرَقُونَ﴾: يخافونكم. ٥٧- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾: معقلاً ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾: غيراناً في الجبال ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: سَرَباً في الأرض ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾: لأدبروا إليه أو لالتجؤوا هرباً منكم ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يسرعون في مشيهم. ٥٨- ﴿يَلْمِزُكَ﴾: يهمزك ويعيبك ويطعن عليك. ٥٩- ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا﴾: كافينا الله تعالى. ٦٠- ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: هم المحتاجون المتعففون عن المسألة ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: الطوافين السائلين ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: السعاة في قبضها، أغنياء كانوا أم فقراء. ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: كانوا أشرافاً من قريش والعرب أسلموا، وقيل: كان يعطيهم ليتألفوا أتباعهم. كان يتألفهم رسول الله ﷺ بالعطية. واختلف فيهم، فقيل: كانوا أولئك وانقطعوا وبطل سهمهم. وقيل: هم في كل زمان وحقهم في الصدقات ثابت، إذا كان في ذلك معونة للإسلام وتقوية ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: قيل: هم المكاتبون، جمع: مكاتب، وهو الفتى -العبد- الذي اتفق مع سيده على مبلغ من المال لقاء عتقه وفكّ رقبته من إسار الرق. وقيل: الآية في فك الرقاب، بأن يشتري رقاباً ثم يعتقها ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: المستدينين في غير سرف، ولا معصية، فينبغي للإمام أن يقضي عنهم ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في نصر دين الله عز وجل ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر والمجتاز من بلد إلى بلد كان غنياً أو فقيراً؛ إذا أصيب في نفقته ولم يكن معه شيء، فيُعطى قدر ما يبلغه بلده. ٦١- ﴿يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾: يعيبونه ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: كانوا يقولون: هو أذن يسمع ما يقال له، ولا يحدّث عنا شيئاً إلا صدّق به. وقيل: كانوا يقولون: نقول ما شئنا ونحلف فيُصدّقنا ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ﴾ بمعنى: خير لكم -إذا ذكرتم أذاكم له، وما قلتم بتصديقه لكم وقبوله منكم- من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾: يصدق ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدق المؤمنين ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾: عطف على «اذن خير لكم». ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: المنافقون والمكذبون.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ الآية. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال: اعدل فقال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟» فنزلت ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الآية. [٦١] قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ الآية.

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ٥٥]، ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥]. ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ في الأولى، لأنَّ الفاءَ تتضمّن معنى الجزاء، والفعل الذي قبله مستقبل يتضمّن معنى الشرط، وهو قوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة : ٥٤]، أي: إن يكن منهم ما ذكر فجزاؤهم، فكانت الفاء هاهنا أحسن موقعًا من الواو، والتي بعدها جاء قبلها: ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟﴾ [التوبة : ٨٤] بلفظ الماضي وبمعناه، والماضي لا يتضمّن معنى الشرط، ولا يقع من الميت فعل، فكانت الواو أحسن. أمّا قوله: ﴿ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ في الأولى بزيادة "لا"، لأنّه لمّا أكّد الكلام الأوّل بالإيجاب بعد النفي وهو الغاية، وعلّق الثّاني بالأوّل تعليق الجزاء بالشرط، اقتضى الكلامُ الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأوّلُ، فأكّد معنى النّهي بتكرار "لا" فى المعطوف. أمّا قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ في الأولى وقال: فى الأخرى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾ لأنَّ "أن" في هذه الآية مقدّرة، وهي النّاصبة للفعل، فصار الكلام هاهنا زيادة كزيادة "الباء ولا" في الآية. أمّا قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بزيادة الحياة في الأولى، لأنَّ الدنيا صفة للحياة في الآيتين فأثبت الموصوف والصفة في الأولى، وحذف الموصوف في الثانية، اكتفاء بذكره في الأولى، وليست الآيتان مكرّرتين؛ لأنَّ الأولى في قوم، والثانية في آخرين، وقيل: الأولى في اليهود، والثانية في المنافقين. قول آخر: وهو أنَّ المفعول في هذه الآية محذوف، أي: يريد الله أن يزيد في نعمائهم بالأموال والأولاد؛ ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا. والآية الأخرى إخبار عن قوم ماتوا على الكفر، فتعلّقت الإرادة بما هم فيه، وهو العذاب.

= إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينقلب إلا وهو منشرح الصدر، ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين. [٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ [التوبة : ٥٦]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٦]. ما الفرق بين: "الحلف والقسم"؟ الجواب: كثيرًا ما يفسر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم، نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم الموثق، فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما، جاءت مادة "ح ل ف" في ثلاثة عشر موضعًا كلها بغير استثناء في الحنث باليمين، أي: اليمين الكاذبة، وأما القسم: فيأتي في الأيمان الصادقة، سواء كانت حقيقة أو وهمًا، وهذا من الإعجاز البياني للقرآن. [٦٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [التوبة : ٦٠]. في سورة الأنفال تولى الله سبحانه قسمة الغنائم، وجعل خمسها خمسة أخماس، وفى براءة تولي قسمة الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف.. وهذا من التناسب بين السورتين.

[٥٨] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُكَ ﴾ و﴿يَلْمِزُونَ ﴾ و﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟﴾ قرئ: (يلمُزك - يلمُزون - ولا تلمُزوا، يلمِزك - يلمِزون - ولا تلمِزوا) بضم الميم وكسرها وهما لغتان. [٦١] ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ ﴾ قرئ: (ورحمةٍ) بالخفض عطفًا على "خير" والجملة حينئذ: معترضة بين المتعاطفين، أي: أذن خير، وقرئ: (ورحمةٌ) بالرفع نسقًا، وقيل: عطفًا على يؤمن لأنه في محل رفع صفة لأذن أي: مؤمن ورحمة، أو خبر محذوف، أي: هو رحمة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾.

= هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٢- ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: أي: الله تعالى أحق أن يرضوه. ورسوله كذلك. وقيل: أفرد الضمير لكونه لا فرق بين إرضاء الله تعالى وإرضاء رسوله ﷺ. فهما أحق بذلك عن إرضاء المؤمنين بالأيمان الكاذبة؛ فإنهم لو آمنوا بالله ورسوله وتركوا النفاق لكان خيرًا لهم. ٦٣- ﴿يُحَادِدِ اللَّهَ﴾: يحاربه ويخالفه. ٦٤- ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: تظهر المؤمنين على ما في صدورهم ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾: وعيد من الله عز وجل. ٦٥- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾: يعني المنافقين عما كان يُطلِعُ الله عز وجل نبيه عليه السلام من سرهم ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾: نتحدث. ٦٦- ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: قد جحدتم بالحق بقولكم ما قلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين بعد تصديقكم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: قيل: «الطائفة» هاهنا رجل واحد أنكر منهم بعض ما سمع. ٦٧- ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: بالكفر بالله عز وجل وبمحمد رسوله عليه السلام، وما جاء به. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان بالله عز وجل، ورسوله عليه السلام وما جاء به. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: يمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله والزكاة. وقيل: يقبضون أيديهم عن كل خير. ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: تركوا طاعته واتباع أمره فتركهم من توفيقه وهدايته. ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان. ٦٨- ﴿جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾: ماكثين فيها أبداً ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: كافيهم عقاباً وثواباً ﴿وَلَعَنَهُمُ﴾: أبعدهم من رحمة الله ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا يزول.

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، ولا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء منهم، فقال له رجل: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه، وسمى هذا الرجل عبد الله بن أُبي، وأخرج عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن، فبلغ النبي ﷺ فجاؤوا يعتذرون، فأنزل الله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيدًا لا يُعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يُعلم مقتله، ولا من قتله.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة : ٦٧]، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة : ٧١]. المنافقون ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهودًا وبعضهم مشركين، فقال: ﴿مِّن بَعْضٍ﴾، أي: في الكفر والنفاق، والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وشريعته الظاهرة فقال: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة وفي اجتماع القلوب على دينهم، فلذلك قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠]، وقال في المنافقين: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤].

[٦٤] ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤]. فما زال الله تعالى يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن الله تعالى ستّير، يحب الستر على عباده. والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب، وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب حتى خافوا غاية الخوف.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة : ٦٧]. تعريف المنافق: هو الذي يظهر غير ما يبطن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر، وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام، وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله، وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق. والمنافق أضر وأسوأ من الكافر لأنه ساواه في الكفر وزاد عليه بالخداع والتضليل فيكون ضرره شديدًا والحذر منه قليلًا بخلاف الكافر. من صفات المنافقين: ١- مرض القلب. ٢- الطبع الشهواني. ٣- الزيغ بالشبه. ٤- الظن السيئ بالله. ٥- الاستهزاء بآيات الله. ٦- الجلوس إلى المستهزئين بآيات الله. ٧- التستر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين. ٨- التفريق بين المؤمنين، والدس والوقيعة وإشعال نار الفتنه، واستغلال الخلافات وتوسيع شقتها. ٩- الإفساد في الأرض وادعاء الإصلاح. ١١- السفه. ١٢- اللدد في الخصومة مع إتيانه في بعض الأحيان بالقول الجميل. ١٣- عدم الأوبة للحق وتأخذه الحميه والغضب بالباطل وبالإثم. ١٤- موالاة الكافرين. ١٥- التربص بالمؤمنين. ١٦- الاتفاق مع أهل الكتاب ضد المؤمنين. ١٧- التولي في القتال. ١٨- الطبع على القلوب فلا يفقهون. ١٩- فتنة النفس والتربص والاغترار بالأماني. ٢٠- مخادعة الله والمؤمنين. ٢١- الكسل في العبادات. ٢٢- الرياء. ٢٣- قلة الذكر. ٢٤- التذبذب بين المؤمنين والكافرين. ٢٥- التحاكم إلى الطاغوت. ٢٦- الصدود عما أنزل الله و عدم الرضا بالتحاكم اليه. ٢٧- الإفساد بين المؤمنين. ٢٨- الحلف الكاذب. ٢٩- والخوف والجبن والهلع. ٣٠- كره المسلمين والخروج عن دائرتهم. ٣١- الكذب. ٣٢- إخلاف الوعد. ٣٣- خيانة الأمانة. ٣٤- يعيبون العمل الصالح. ٣٤- يرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم. ٣٥- يسخرون من العمل القليل من المؤمنين. ٣٦- الرضا بأسافل المواضع. ٣٧- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف. ٣٨- البخل. ٣٩- نسيان الله. ٤٠- الغدر وعدم الوفاء بالعهود مع الله. ٤١- الفرح بالتخلف عن الجهاد وكرهه. ٤٢- التواصي بالتخلف عن الجهاد. ٤٣- التخذيل والتثبيط. ٤٣- الإرجاف. ٤٤- لا ترى نصرة الله لهم. ٤٥- قطع الأرحام. ٤٦- طاعة الكفار والمنافقين والفاسقين في بعض الأمر. ٤٧- ظهور الأضغان منهم. ٤٨- التعرف عليهم في لحن القول. ٤٩- البطء عن المؤمنين. ٥٠- لا ينفعهم القرآن بل يزيدهم رجسًا إلى رجسهم. ٥١- العودة إلى ما نهوا عنه. ٥٢- التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. ٥٣- الاستئذان عن الجهاد بحجة الفتنة. ٥٤- اتخاذ الأعذار عند التخلف. ٥٥- الاستخفاء من الناس. ٥٦- يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. ٥٧- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء. والاستياء بما يمكن الله لهم. ٥٨- زيادة في الجسم في بعض الأحيان. ومن وقع في شيء =

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ﴾ - ﴿نُعَذِّبْ﴾ قرئ: (نَعفُ - نُعذِب) بنون العظمة مفتوحة وفاء مضمومة بالبناء للفاعل، وعن طائفة في محل نصب به، و(نعذب) بنون العظمة وكسر الذال "طائفة" الثانية منصوبة على أنها مفعول به. وقرئ: (يُعفَ - تُعذَب) بياء مضمومة وفتح الفاء مبنيًا للمفعول، و(تُعذَّب) بتاء مضمومة وفتح الذال، كذلك "طائفة" بالرفع، ونائب الفاعل في الأول الجار والمجرور.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٦٩- ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ﴾: يقول عز وجل: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا: «إنما كنا نخوض ونلعب» قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: من الذين فعلوا فعلكم ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ﴾: تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمۡ﴾: بنصيبهم من دنياهم، ورضوا به عوضاً من نصيبهم في الآخرة والخَلاق: الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء. وخلاق المرء: الشيء الذي هو به خليق. ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ﴾: أي: سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم، كما فعل الذين من قبلكم ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾: في الباطل ﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾: أي: خلطتم كالذين خلطوا، وهو مستعار من المائعات، ولا يستعمل إلا في الباطل. لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب ونظام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ﴾: بطلت ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: المغبونون. ٧٠- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ﴾: خبر ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ﴾: يعني: قرى قوم لوط عليه السلام، ائتفكت بهم أرضهم، أي: انقلبت بهم فجعل عاليها سافلها! ٧٢- ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿عَدۡنٖ﴾ إنما قيل لها جنات عدن لأنها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه؛ من قول العرب: عدنَ فلان بأرض كذا؛ إذا أقام بها. وقيل: هي مدينة الجنة.

[٧٢] ﴿... جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢]، ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف : ١٢]. وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمَّا آية الصف: إن فعلتم أيها المؤمنون ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده.

من هذه الصفات فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتتزايد وتنتشر فيه، ويجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق، ويجب أن يترك الصالحين فتزداد مصائبه. وبعد أن تحدثنا عن المنافقين وصفاتهم، نتحدث عن المخلصين وصفاتهم. تعريف الإخلاص: أن يقصد المسلم بأقواله وأفعاله وجه الله تعالى؛ فيرجو الثواب، ويخشى العقاب، ويحذر الرياء والسمعة بين الناس، فلا يكون قصده إلا ابتغاء وجه الله ورضاه سبحانه وتعالى. فالإخلاص الصادق لله تعالى سجل للمخلصين ثواب المجاهدين رغم بقائهم في منازلهم. قال أحد السلف: إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي. وقال آخر من السلف: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك. من ثمرات الإخلاص: ١- نصر الأمة. ٢- السكينة وطمأنينة القلب والشعور بالسعادة والرضا، فيتحرر الإنسان من جميع هموم الدنيا. ٣- قبول الدعاء واستجابة الله لعبده المخلص. ٤- حب أهل السماء للمخلص، ويعدها وضع القبول في الأرض. ٥-عون الله تعالى في المحن وتأييده لعبده المخلص وكفايته له. ٦- سبب للنجاة من المحن. ٧-التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص. ٨- حسن الخاتمة. ٩- رفع درجات المسلم في الدنيا والآخرة. من الأسباب المُعينة على الإخلاص: ١- ملازمة تقوى الله. ٢- الحرص على نيل الأجر من الله والإكثار من العمل الصالح. ٣- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى فهو المعين والملجأ سبحانه وتعالى، والدعاء سلاح المؤمن. كيف يحصل الإخلاص: ١- أن يعرف العبد أهمية الإخلاص وثمراته دنيا وآخرة. ٢- المجاهدة: يسلك ذلك الطريق صاحب الإرادة القوية.. ٣- مصاحبة المخلصين والتأسي بهم والتخلق بأخلاقهم، وقال أحد السلف: "حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل" يعنون بحاله: سلوكه وخُلُقه وعمله. ٤- قراءة سير السلف ومن بعدهم من الصالحين...

دلائل الإخلاص: للمخلص علامات يُعرف بها: ١- حب العمل في صمت. ٢- الزهد في الشهرة: قال الفضيل بن عياض: "إن قدرت على ألا تُعرف فافعل، وما عليك ألا تُعرف، وما عليك أن يُثنى عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله تعالى. ٣-الحذر من تزكية النفس. ٤- الفرح والترحيب بكل من يبرز في مجاله: وخاصة مجال الدعوة فالمخلص من يتنحى عند وجود من هو أفضل منه. ٥- ألا يبخل بمدح من يستحق المدح والتزكية. ٦- ألا يطلب المدح ولا يغتر به: قال ابن عطاء الله في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًا لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس. ولا يُنكر بشر جميل ستر الله تعالى على عباده، فكم من عيوب وذنوب سترها سبحانه تعالى بينه وبينهم.. ولو بدت لمن حوله لكان له شأن آخر بينهم.. لكنه أرحم الراحمين.. الستير.. العفو الغفار.. التواب!!. ٧- السلامة والنجاة من آفة العُجب. كيف نعالج الإعجاب بالعمل: ١- أن تعلم أن وعد الله حق. ٢- الحياء من الله. ٣- الثقة بأن الذي وفقك لهذا العمل الله وحده فإنما هو منة من الله، وليست منة من نفسك.. ٤- عدم ترك الأعمال الصالحة إن خيف عليه الاختلاط، فكثير من الناس يهجر الأعمال الصالحة خشية دخول العُجب أو الرياء عليها، ومن الخطأ الجسيم ترك العمل من أجل الناس، ففي ذلك جهل.. ٥- لا يضر فساد النية عند بدء العمل؛ فقد يعتقد البعض أن ذلك مبرر لترك العمل.. لكن الكيّس من يصحح نيته فلا يخسر ولا يحبط عمله. ٦- جواز إظهار بعض الأعمال الصالحة بنية حسنة.. ٧- إن للإخلاص الخالص صعوبة لا تخفى، فهو صعب المنال يخفى على الكثيرين، لذا كان السلف كثيري الدعاء في طلبه. [٧١] ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة : ٧١]. فانظر كيف بدأ في هذه الآية بذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الصلاة والزكاة وما ذلك إلا لعظم شانه وعموم نفعه وتأثيره في المجتمع. وتدل الآية أيضًا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التي لا يجوز لهم التخلي عنها والتساهل بها. [٧٢] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي

[٦٩] ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن الكريم. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٧٣- ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾: بالسيف والسلاح ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: في القول، يعني: المنافقين. فإن قيل: كيف تركهم رسول الله ﷺ مقيمين معه على علمه بهم؟ قيل: إنما أمر الله عز وجل بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر، ثم أقام على إظهاره؛ فأما من اطُّلع عليه منهم أنه تكلم بها، فأُخذ بها، فأنكرها ورجع عنها، وقال إني مسلم، فحكم الله تعالى في كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يحقن ذلك دمه وماله ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾: مسكنهم. ٧٤- ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ﴾.. إلى آخر الآية. نزلت في الجُلاس بن سُوَيْدٍ بن الصامت، وذلك أنه قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرٌّ من حُمُرنا هذه؛ فقال ابن امرأته: والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فهمَّ الجلاس بقتله خشيةَ أن يفشي عليه الحديث! ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾ يعني: قول عبد الله بن أبي ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ [المنافقين:٨] ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: أنكروا على رسول الله ﷺ ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: كان الجلاس قد قُتِل مولى له فأعطاه رسول الله ﷺ ديته؛ فاستغنى بذلك. ٧٥- ﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾: هذه الآية نزلت في ثعلبة بن أبي حاطبٍ أتى مجلساً فأشهدهم وقال: لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه، فابتلاه الله وآتاه من فضله، فأخلف الله ما وعده، فقص الله شأنه في القرآن. وضعَّف هذه القصة جمعٌ من العلماء. ٧٩-﴿يَلۡمِزُونَ﴾: يغمزون ويطعنون ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾: المتطوعين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، إيماناً واحتساباً. قيل: تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، فقال المنافقون: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾: طاقتهم، نزلت في رجل من فقراء المسلمين يكنى بأبي عقيل، أتى رسول الله ﷺ بصاع من تمر، فقال: يا رسول الله هذا صاع من تمر بتُّ ليلتي أجُرُّ بالجرير الماء، أي أخرجه بالحبل وأسقي به، حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما، وأتيت بالآخر؛ فسخر منه المنافقون، وقالوا: إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا، وأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقات.

[٧٤] قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان الجُلاس بن سويد ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير، فرفع عمير بن سعيد ذلك إلى رسول الله ﷺ، فحلف بالله ما قلت، فأنزل الله ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ الآية. فزعموا: أنه تاب وحسنت توبته. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان، فطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ الآية. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: هم رجل يقال له الأسود بقتل النبي ﷺ، فنزلت ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾ وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلًا من الأنصار، فقضى النبي ﷺ بالدية اثني عشر ألفًا، وفيه نزلت ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾. [٧٥] قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية. أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا، قال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال والله لئن آتاني الله مالًا لأوتين كل ذي حق حقه فدعا له، فاتخذ غنمًا فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها، ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات ثم أنزل الله على رسوله ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ فاستعمل على الصدقات رجلين، وكتب لهما كتابًا، فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: انطلقا إلى الناس، فإذا فرغتم فمرًا بي ففعلا، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، فانطلقا، فأنزل الله ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ الحديث. [٧٩] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية. روى الشيخان عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نُحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراءٍ، وجاء رجلٌ فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾ الآية. [٨١] قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال رجال: يا رسول الله الحرُّ شديدٌ ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر، فأنزل الله ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ الآية.

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة : ٧٣، التحريم : ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والتحريم، ومعناها: يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، واشدد على كلا الفريقين، ومقرُّهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

= ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢]. تأمل كيف جاء بالرضوان مبتدأ منكرًا مخبرًا بأنه أكبر من كل ما وعدوا به، فأيسر شيء من رضوانه أكبر من الجنات، وما فيها من المساكن الطيبة وما حوته، ولهذا لما يتجلى لأوليائه في جنات عدن ويمنِّيهم أي شيء يريدون؟ يقولون: ربنا أي شيء نريد أفضل مما أعطيتنا؟ فيقول تبارك وتعالى: "إن لكم عندي أفضل من ذلك، أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا". [٧٩] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [المائدة : ٥٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة :٧٩]. ما الفرق بين: "الجَهْدُ والجُهْدُ"؟ الجواب: الجَهْدُ (بالفتح): المشقة أو المبالغة في الشيء، والجُهْدُ (بالضم): الطاقة. جاءت كلمة (الجَهد) مضافة (خمس مرات) إلى اسم ظاهر (أيمان)، بينما جاءت (الجُهد) مضافة إلى ضمير، وليس إلى اسم ظاهر. [٨٢] ما الفرق بين هذه الكلمات في القرآن: "قليلٌ - كثير - قليلون"؟ الجواب: أمثلةٌ قرآنيةٌ أولًا- «قليل»: قال تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ [التوبة: ٨٢]. ثانيًا- «كثير»: قال تعالى: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٤]. ثالثًا- «قليلون»: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء : ٥٤]. لماذا التنكير؟ جاءت الكلمتان =

[٧٤] ﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة. ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. وردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠- ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: أمر ومعناه الشرط، أي: إن استغفرت أو لم تستغفر لن يغفر الله لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ وقيل: إنه تخيير، كأنه قال له: إن شئت فاستغفر، وإن شئت لا تستغفر. ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة. ٨١- ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين خلّفهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بجلوسهم في منازلهم ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: خلاف: مصدر من قول القائل: خالف فلان فلاناً في الأمر فهو يُخالفه، والمعنى: قعدوا بعده على الخلاف له. ٨٢- ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾: في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾: في النار. ٨٣- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾: ردك من غزوتك هذه ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾: من هؤلاء المنافقين ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾: أي النساء، وسائر أصحاب الأعذار من المرضى والضعفاء. ٨٤- ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: لا تتولى دفنه وتقبيره. ٨٥- ﴿أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بما ينوبهم من الرزايا والمصائب والغموم والهموم، في المُؤَن والنفقات ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾: تخرج. ٨٦- ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾: ذوو الغنى والمال، منهم عبد الله ابن أبي والجدُّ بن قيس وغيرهم من الرؤساء والكبراء المنظور إليهم. ﴿ذَرْنَا﴾: اتركنا.

[٨٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ الآية. روى الشيخان عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين؟ قال: إنما قد خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيده على السبعين، فقال: إنه منافق، فصلى عليه فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ فترك الصلاة عليهم. وورد ذلك من حديث عمر وأنس وجابر وغيرهم.

[٨٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥]، ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ٨٥]. ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ في الأولى، لأنَّ الفاءَ تتضمّن معنى الجزاء، والفعل الذي قبله مستقبل يتضمّن معنى الشرط، وهو قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٥٤]، أي: إن يكن منهم ما ذكر فجزاؤهم، فكانت الفاء هاهنا أحسن موقعًا من الواو، والتي بعدها جاء قبلها: ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟﴾ [التوبة : ٨٤] بلفظ الماضي وبمعناه، والماضي لا يتضمّن معنى الشرط، ولا يقع من الميت فعل، فكانت الواو أحسن. أمّا قوله: ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ في الأولى بزيادة "لا"، لأنّه لمّا أكّد الكلام الأوّل بالإيجاب بعد النفي وهو الغاية، وعلّق الثّاني بالأوّل تعليق الجزاء بالشرط، اقتضى الكلامُ الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأوّلُ، فأكّد معنى النّهي بتكرار "لا" في المعطوف. أمّا قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ في الأولى وقال: في الأخرى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾ لأنَّ "أن" في هذه الآية مقدّرة، وهي النّاصبة للفعل، فصار الكلام هاهنا زيادة كزيادة "الباء ولا" في الآية. أمّا قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بزيادة الحياة في الأولى، لأنَّ الدنيا صفة للحياة في الآيتين، فأثبت الموصوف والصفة في الأولى، وحذف الموصوف في الثانية، اكتفاء بذكره في الأولى، وليست الآيتان مكرّرتين؛ لأنَّ الأولى في قوم، والثانية في آخرين، وقيل: الأولى في اليهود، والثانية في المنافقين. قول آخر: وهو أنَّ المفعول في الآية الأولى محذوف، أي: يريد الله أن يزيد في نعمائهم بالأموال والأولاد؛ ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا. والآية الأخرى إخبار عن قوم ماتوا على الكفر، فتعلّقت الإرادة بما هم فيه، وهو العذاب.

في القرآن في مواضع كثيرة: ١- إما وصفًا لنكرة (لذا جاءت نكرة)، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، وقوله: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ٢- وإما إخبارًا عن نكرة (لذا جاءت نكرة)، كقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]. ٣- وإما لإفادة العموم والشمول (لذا جاءت نكرة)، كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]. معلومةٌ لغويةٌ: المعاني نوعان: معان حقيقية، وأخرى نسبية إضافية. والقلة والكثرة إما أن يعبَّر بها عن أعداد حقيقية، وهنا يناسبها (قليلون) بدل (قليل)، و(كثيرون) بدل (كثير) فهي أنسب وأبلغ. وإما أن يُعبَّر بالقلة والكثرة عن معانٍ نسبية وليست حقيقية، وهنا يناسب ذكر (قليل) بدل (قليلون)، و(كثيرٌ) بدل (كثيرون). ويُراد بـ(قليل) و(كثير) المذكورتين في القرآن المعاني النسبية الإضافية وليس المعاني الحقيقية العددية، والله أعلم. مثال المعاني النسبية الإضافية: قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. فليس المقصود بـ(قليل) هنا القلة العددية، فما أكثر الشاكرين في كلّ زمانٍ ومكانٍ تكتظ بهم دورُ العبادة، وتضيق بهم الأماكن المقدسة في الحج والعمرة. فالمعنى المقصود هو «المعنى النسبي» لا «الحقيقي العددي». فالشاكرون قليلون بالنسبة لغيرهم من غير الشاكرين. وربما يتعجب من يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]، لماذا قال (قليلون) وليس (قليلة)؟! والجواب: أفادت كلمة (قليلون) في الآية المذكورة ثلاثة أشياء لم تُفدها كلمة (قليل): أن المراد من (قليلون) هنا القلة العددية وليس المعنى النسبي الإضافي، فأهل البلاد كانوا أضعاف بني إسرائيل عددًا، فهم كثرة حقيقية وبنو إسرائيل قلة حقيقية. [٨٣] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام : ١١٠]، ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة : ٨٣]. حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء: أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك، فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأسًا، وعدم قبوله إلا إذا برز في قالب هواك، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، فعاقبهم على رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك. الثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إن تهاونت به ثبطك الله و أقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك، قال تعالى في سورة التوبة: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ...﴾، فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فلتهنه السلامة.

[٨١] ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (الحرّ بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن، وبذا يكون قد تساوى عدد مرات ورود لفظ (البرد بمشتقاته) مع لفظ (الحر بمشتقاته)، إذ ورد كُلٌّ منهما (٤) مرات في القرآن الكريم. [٨٤] ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥)=

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧- ﴿بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: اللواتي يخلفن الرجال في القعود في البيوت لأنه ليس عليهن فرض الجهاد ﴿وَطُبِعَ﴾: خُتِم. ٩٠- ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: المعتذرون بالكذب، وقرأ ابن عباس: «المُعْذِرون» بالتخفيف، وهم أهل العُذر. ٩١- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: وهم النساء والصبيان، ﴿حَرَجٌ﴾: ضيق. ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: النصح لله: الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائنًا ما كان، ويدخل تحته دخولاً أوليًا: نصح عباده، ومحبة المجاهدين في سبيله، وبذل النصح لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه، والنصيحة للرسول ﷺ، والتصديق بنبوته، وبما جاء به أو ينهى عنه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، ومحبته وتعظيم سنته.. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. ثلاثًا. قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» متفق عليه. ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: أي: ليس على الناصحين المعذورين من مؤاخذة وعقاب. ٩٢- ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: هم نفر من الأنصار طلبوا منه ما يركبونه من الدواب، وقيل: طلبوا الزاد أو النعال، فهم يرغبون في الجهاد لكنهم لا يجدون ما يستكملون به العدة، ولا يوجد عند رسول الله ﷺ ما يعاونهم به.

[٩١، ٩٩] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته.

[٩١] قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أُمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى، فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد.

[٨٧، ٩٣] ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة : ٨٧]، ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٩٣]. الآية الأولى صُدرت بما لم يسم فاعله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ [التوبة : ٨٦] مع العلم بالفاعل، فختمت كذلك مناسبة بين صدر الكلام وختمه، والثانية جاءت بعد بسط الكلام في عذر المعذورين، فناسب البسط في توبيخ مخالفتهم والتوكيد فيه بتصريح اسم الفاعل، ولذلك صُدِّرت الآية بـ"إنما" الحاصرة للسبيل عليهم، وأمَّا ختم الأولى بـ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ والثانية بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فلأنهم في الأولى لو فهموا ما في جهادهم مع رسول الله ﷺ من الأجر لما رضوا بالقعود ولا استأذنوا عليه، ولأن الثانية جاءت بعد ذكر الباكين لفوات صحبة رسول الله ﷺ، لعلمهم بما في صحبته من الفوز والمنزلة عند الله تعالى، فلو علم المستأذنون ما علمه الباكون لما رضوا بالقعود، لكنهم لا يعلمون. [٨٩] ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء : ١٣]، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٨٩]. لماذا جاءت الواو زائدة في آية النساء؟ الجواب: آية النساء اختلفت عن آية التوبة لوجهين: الأول: موافقة ما قبلها، وهو جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ١٣]، الثاني: موافقة ما بعدها وهو قوله: ﴿وَلَهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء : ١٤]، أمَّا آية التوبة فخلت من ذلك.

[٩٢] ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. ما الفرق بين: "الحُزْنُ والحَزَنُ"؟ الجواب: وردت كلمة (الحُزْنُ) مرتين، بينما وردت كلمة (الحَزَنُ) ثلاث مرات. الحُزْنُ (بضم الحاء): ضد الفرح. وهي حالةٌ تتجمدُ فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبُها بالشكوى ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحُزن، فيبدو للناظر كأنه غير حزين، مع أن الحُزن يُقطِّعُ نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابيضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف عليه السلام، ولم يُرسل بكاءً ولا دموعًا، وإنما كظم حزنه، وليس أدل على هذا من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. والحَزَنُ (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على هذا من قول الله تعالى: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله -تعالى- حالة الذين أصابهم الحَزَنُ من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم ما وجدوا ما ينفقون. أمثلة قرآنية: الحُزْنُ: قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. الحَزَنُ: قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

[٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ قرئ: (المعْذِرون) بسكون العين وكسر الذال مخففة من أعذر يعذر كأكرم يكرم. وقرئ: (المعَذِّرون) بفتح العين وتشديد الذال إما من فعل مضعف بمعنى التكلف، والمعنى: "أنه يوهم أن له عذرًا له ولا عذر له"، أو من افتعل، والأصل: اعتذر فأدغمت التاء في الذال بعد إبدالها.

= مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة.

[٨٧] ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌ (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما)(١٤٨)مرة في كتاب الله.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٩٤- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: إخبار عن المنافقين بأنهم سوف يعتذرون إلى المؤمنين إذا رجعوا من الغزو، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لا نصدقكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: فيما بعد هل تقلعون عما أنتم عليه من الشر أو تبقون عليه؟ ٩٥- ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: رجعتم ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: لئلا تؤنبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: دعوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: نجس. ٩٧- ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾: جُحوداً بتوحيد الله عز وجل وأشد نفاقاً من أهل الحضر؛ لجفائهم، وقسوة قلوبهم ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أحقُّ وأخلق ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾: السنن، وقيل: من الشريعة والأحكام. ٩٨- ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾: هؤلاء المنافقون من الأعراب إنما ينفقون رياء واتقاء أن يغزوا ويحاربوا ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: يرتقب. ﴿الدَّوَائِرَ﴾: أن تدور الليالي عليكم بمكروه. جمع دائرة، وهي الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البلية. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: أي أن الأيام ستدور عليهم هم فتقع بهم الهزيمة والشر في الدنيا، والعذاب في الآخرة. ٩٩- ﴿قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾: جمع قُربة، وهذه صفة المؤمنين من الأعراب ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: يبغون دعاءه واستغفاره لهم.

[٩٧] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٩٧، ٩٨] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٩٧] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتَهُ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا...؟ [٩٨] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٩١، ٩٩] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد: أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني؛ قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية. [٩٤، ١٠٥] ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤]، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ١٠٥]. الآية الأولى في المنافقين بدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، وكانوا يخفون من النفاق ما لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله بإعلامه إياه، والآية الثانية في المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وأعمالهم ظاهرة فيما بينهم من الصلاة والزكاة والحج وأعمال البر، فلذلك زاد قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وأمّا ﴿ثُمَّ﴾ في الآية الأولى فلأنها وعيد، فبين أنه لكرمه لم يؤاخذهم في الدنيا فأتى بـ"ثم" المؤذنة بالتراخي، والثانية وعد، فأتى بالواو والسين المؤذنين بقرب الجزاء والثواب، وبُعد العقاب، فالمنافقون يؤخر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب: ﴿ثُمَّ﴾، والمؤمنون يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ [النحل: ٩٧]. [١٠٠] ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. آية التوبة تدل على أن بداية جريان الأنهار ليس من تحتها، أي: من تحت الجنات، وهي منزلة أقل؛ لأن هذه الآية جاءت في ذكر السابقين الأولين ولم يذكر معهم الأنبياء، أمّا باقي مواضع القرآن ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فذكر فيها المؤمنون مع الأنبياء، وزادت فيها مِنْ، وهي دلالة على أن بداية الجريان من تحت هذه الجنات، وهذه منزلة أكبر، لأن بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى وهم الأعلى منزلة.

[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]. وتأمل كيف قال: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ولم يقل: (فإن الله لا يرضي عنهم)، ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم ويرضي عنهم. وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضي عنهم، لوجود المانع من رضاه. [٩٨] ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿السَّوْءِ﴾ قرئ: (السُّوء) بضم السين فيهما وهو الضرر. وقرئ: (السَّوء) بالفتح فيهما وهو الذم، وقيل: المضموم: العذاب والضرر والبلاء، ومعنى المفتوح: الفساد.

[٩٥] ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر مشتقات كلمة (الرجس) (١٠) مرات في كتاب الله عز وجل. ووردت كلمة (الرجز) (١٠) مرات أيضًا في كتاب الله عز وجل، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الرجز) مع مشتقات كلمة (الرجس)، وقد ورد كُلٌّ (١٠) =

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٠- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: الذين سبقوا الناس إلى الإيمان بالله. هم الذين صلُّوا إلى القبلتين جميعاً، وقيل: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان. وقيل: هم أهل بدر. والآية تعمّ هؤلاء جميعًا. والإجماع منعقد على أن أفضلهم: الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون، ثم البدريون، ثم أصحاب أُحُد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية. رضي الله عنهم أجمعين. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله عز وجل ورسوله، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة، فمن بعدهم، إلى يوم القيامة، وليس المراد: (التابعين) اصطلاحًا وهم كل من أدرك الصحابة ولم يدرك النبي ﷺ. وإن كانت الآية قد أشارت إليهم كما يرى بعض المفسّرين، كما نبّه إلى مكانتهم: قول النبي ﷺ: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار». أخرجه أحمد، وإسناده حسن. ١٠١- ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: أقاموا ولم يتوبوا، وقيل: مردوا: مرنوا ودربوا، يقال: تمرَّد فلان على ربه، أي عتا واعتاد معصيته. ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر. وقيل: إن المرتين في الدنيا، وفي تعيينها عدة أقوال، منها: أن إحدى هاتين المرتين: فضيحتهم ووصمهم بالنفاق. والثانية: همّهم بظهور الإسلام وعلوّ كلمة المسلمين. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: جهنم. ١٠٢- ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: اعترافهم، وتوبتهم من التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. ١٠٣- ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: يعني: من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم، فتابوا. وقيل: هو أبو لُبابة وأصحابه. ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾: من دنس ذنوبهم ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾: تنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادع لهم واستغفر ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾: دعاءك واستغفارك لهم ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: وقارٌ لهم ورحمة. ١٠٦- ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾: قيل: هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومُرارة بن ربيعة من الأنصار، تخلفوا عن رسول الله ﷺ فأرجئ أمرهم حتى أتت توبتهم من الله.

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه، وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها ففعلوا، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال: من هؤلاء الموثوقون بالسواري؟ فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم. فقال: لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم، فأنزل الله ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية، فلما نزلت أطلقهم وعذرهم، وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل عذرهم، وآخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾، وكان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة أبو لبابة وأوس بن خذام، وثعلبة بن وديعة. وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. فجاء أبو لبابة، وأوس، وثعلبة، فربطوا أنفسهم بالسواري وجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك، فقال: لا أحلهم حتى يكون قتال، فنزل القرآن: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية، وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة قالت: إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي، فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السحر، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «تيب على أبي لبابة» فقلت: أوذنه بذلك؟ فقال: «ما شئت» فقمت على باب الحجرة، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس ليطلقوه، فقال: حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني، فلما خرج إلى الصبح أطلقه، فنزلت ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾.

[١٠٤] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : ١٠٤]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى : ٢٥]. ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها؟... فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمّا آية الشورى: فتعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر...

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]. هذه الآية تفتح لكل مسلم باب الترغيب في العمل الصالح لأن الله جل وعلا ذكر فيها ثلاثة أصناف (المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان وهذا يدخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة). وقد صح عن النبي ﷺ: "أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره" أخرجه الطبراني وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة. [١٠٢] ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢]. هذه الآية دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحًا، تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب. وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرًا على الذنوب، فإنه يُخاف عليه أشد الخوف. [١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣]. يؤخذ من المعني، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة، وعمل عملاً صالحًا بالدعاء والثناء، ونحو ذلك. [١٠٤] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣]، ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١]. ما الفرق بين: "التوبة والتوب والمتاب"؟ الجواب: وردت كلمة (توبة) سبع مرات، بينما وردت كلمة (التوب) مرة واحدة، ووردت كلمة (متاب) مرتين. (التوبة) و(التوب) مصدران، غير أن التوبة أقوى وأشد معنًى من=

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ﴾ قرئ: (الأنصارُ) برفع الراء على أنه مبتدأ خبره ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أو عطف على "السابقون". وقرئ: (الأنصارِ) بالخفض نسقًا على (المهاجرين). قوله تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ قرئ: (تجري من تحتِها) بمِن الجارة وخفض (تحتها) بها كسائر المواضع، وقرئ: (تحتَها) بحذف "من" وفتح "تحتها" على المفعولية فيه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ هنا و"هود:٨٧" قرئ: (صلاتَك) بالتوحيد وفتح التاء هنا، والمراد بها الجنس، أو=

= مرات في كتاب الله تعالى. [٩٩] ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ اليوم (٣٦٥) مرة في القرآن، وعدد أيام السنة (٣٦٥) يوم.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

١٠٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾: لمسجد رسول الله ﷺ ﴿وَكُفۡرٗا﴾: بالله لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: يبغون تفريق جماعتهم، حتى لا يحضروا مسجد قباء فتقلّ جماعة المسلمين ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يعني: رجلاً منهم يقال له: أبو عامر كان محارباً لرسول الله ﷺ، وكان انطلق إلى ملك الروم ليأتي بجند من الروم، يزعم أن يُخرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة، والإرصاد: الإعداد، أي أعدوه لأجل من حارب الله ورسوله. وأبو عامر هذا هو الذي أمر ببناء مسجد الضرار، وهو الذي قال للنبي ﷺ: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم! ١٠٨- ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: مسجد رسول الله ﷺ الذي فيه منبره وقبره: وقيل: هو مسجد قُباء. ١٠٩- ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: على حرفٍ، وشفير: حافة، ﴿جُرُفٍ هَارٖ﴾: الجرف: ما يتجرف بالسيول، وهي الجوانب التي تنهدم بالماء. و«الهار»: الساقط، وأصله: هائر، ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ﴾: فانتثر الجرف الهاري، جعله سبحانه مثلاً لما بنوا عليه دينهم الباطل المضمحل بسرعة. ١١٠- ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ﴾: يعني مسجد الضرار ﴿رِيبَةٗ﴾: شكاً ونفاقاً، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡ﴾: يموتوا. والمعنى أن هذه الريبة قائمة ما داموا أحياء. وقيل: معناه: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على ما فعلوه.

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾ الآية. أخرج ابن مردويه عن طريق ابن إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم -وكان ممن بايع تحت الشجرة- يقول: أتى مَن بنى مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصليّ لنا فيه قال: «إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه»، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا﴾ الآية. إلى آخر القصة فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه، ففعلا. أخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة، من طريق الوليد بن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن سهل الأنصاري عن أبيه: أن هذه الآية نزلت في أهل قباء كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط: ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ الآية. [١١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾.

[١١١] ﴿أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة : ١١١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع قدمت فيها "الأموال على الأنفس". دائمًا يتقدم ذكر المال على الأولاد وعلى الأنفس حيث يردان مجتمعين في القرآن الكريم، والسبب في هذا أن المال أظهر من الأولاد، يعني قديمًا كان مال فلان يُرى: الأغنام والإبل وما أشبه ذلك، والمال يمكن أن يفخر به الإنسان وقد لا يفخر بأولاده، فقد يكونوا سيئين بحيث لا يستحقون أن يفخر بهم، والمال هو الزينة أكثر من الأولاد، ففي سورة لكهف: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف : ٤٦]، فزينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع، يرون المركب الفارهة والقصر المنيف، يرونه أكثر من رؤية الأولاد، لكنه في موضع واحد في سورة التوبة قدم الأنفس على الأموال، والسبب في ذلك أن التعامل هنا مع الله عز وجل، وهذا يعني أن يقدم الأسمى، وتقديم المال في آية سورة الكهف ليس لأنه أسمى، ولكن لأنه أظهر وأوضح، أمّا في التعامل مع الله تعالى فلابد أن يقدم الأسمى "النفس"، والله سبحانه وتعالى أعلم.

= (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١- اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنىً بالتوبة وحسًّا بالمعاد). ٢- مفعول مطلق (يتوب متابًا). كما أن (متابًا) اتسقت مع الفواصل التي اكتنفتها (سلامًا- قيامًا- غرامًا- مقامًا- قوامًا- مهانًا- متابًا- كرامًا- إمامًا- سلامًا- مقامًا- لزامًا).

[١٠٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [التوبة : ١٠٧]. كل عمل يراد به تفريق الناس أمر محرم شرعًا يؤدي إلى الكفر ولو كان في مسجد، فلا يوجد مصلحة في الدين أعظم من اجتماع كلمة الناس، وكل من حمل لواءً يريد به أن يفرق بين المسلمين يجب نبذه وتركه، ولو تستر بألف ستار. [١٠٩] ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ...﴾ [التوبة: ١٠٩]. فالأعمال والدرجات بنيان، وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان، أو كاد. [١١١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ =

= لأن الصلاة وأدبها: الدعاء والدعاء صنف واحد، وقرئ: (صلواتك) بالجمع فيهما وكسر التاء هنا، على أن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لهذا. [١٠٦] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾ قرئ: (مرجؤون) بالهمزة على أنها لغة تميم وقيس، ومعناه التأخير. وقرئ: (مرجون) بغير همز من أرجيت الأمر، يعني: أخرته، وهي لغة قريش والأنصار، وأصله: "مرجيُون" فلما انضمت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا، وبعدها واو ساكنة فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت فتحة الجيم تدل على الألف المحذوفة، فهي مثل قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ اعتلالهما واحد. [١٠٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ قرئ: (الذين) بغير واو قبل (الذين) كمصاحف أهل المدينة والشام، "فالذين" مبتدأ خبره محذوف، أي: وفيمن وصفنا، وقال الداني: خبره "لا يزال بنيانهم". وقرئ: (والذين) بالواو كمصاحف غير المدينة والشام عطفًا على ما تقدم من القصص نحو: "وآخرون"، أو مستأنف، و"الذين" مبتدأ على ما تقدم في قراءة الحذف. [١٠٨] ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ﴾- ﴿أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ﴾ قرئ: (أُسِّس) بضم الهمزة وكسر السين فيهما على البناء للمفعول، ورفع النون فيهما على النيابة عن الفاعل، وقرئ: (أَسَّس) بفتحها على =

[١٠٧] ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٥) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى بمشتقاته) (٦) مرات أيضًا في كتاب الله، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (٦) مرات في كتاب الله.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

التَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

١١٢- ثم ذكر الأوصاف التي هي من صفات المؤمنين الذين ذكر الله أنه اشترى منهم أنفسهم. وهي أوصاف الكَمَلة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليسبق إليها أهل التوحيد، حتى يكونوا في أعلى رتبة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾: من الشرك، ولم ينافقوا في الإسلام وهو عام في الرجوع من الشر إلى الخير، كان ذلك من كفر او معصية. ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: الذين ذلُّوا خشية لله وتواضعاً ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾: حمدوا الله على كلِّ حال في السراء والضراء ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون. وقال بعض المفسّرين: السائحون: هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته. قال ابن عطية: وهذا قول حسن، لأنه من أفضل العبادات. ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: المصلون ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: القائمون على طاعة الله، المنتهون إلى أمره. ١١٣- ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾: لما مات أبو طالب قال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك» متفق عليه، فنزلت هذه الآية. وأنزل الله تعالى في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ والآية عامة في قطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم. ١١٤- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾: قيل: «الأواه»: الدعّاء. وقيل: هو الرحيم بعباد الله عز وجل. وقيل: هو الخاشع المتضرع. ١١٥- ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: في طاعته ومعصيته. ١١٧- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته محمداً ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار، الذين اتبعوا رسول الله ﷺ ﴿فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾: من النفقة، والظهر، أي ما يُحمل عليه ويُركب. والزاد، والماء، وكان ذلك في غزوة تبوك ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾: يميل عن الحق ويترك المناصرة للذي ناله من المشقة والشدة.

[١١٣] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية. أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية. وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ الآية. وظاهر أن الآية نزلت بمكة. [١١٧] قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ الآيات. روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدرًا حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وآذن الناس بالرحيل، فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال وفينا أنزل أيضا ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

[١١٤] ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود: ٧٥]. الأواه الكثير التأوه، وفي كتاب ابن عطية أن التأوه: التفجع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦]، وإبراهيم عليه السلام مع ذلك يتأوه تأسفًا وتحسرًا على رفض أبيه إجابته واتباعه مع تلطف إبراهيم عليه السلام في قوله دعاء لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، إلى قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٥]، فكان عليه السلام لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع الرجاء من حاله، وتبين له أنه عدو الله فتبرأ منه، فإخبار الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقتدي به ويهتدي بهديه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأعلمه تعالى بعذر إبراهيم في استغفاره، وأن ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه "أواه"، وذلك مناسب لما بيناه، أما في آية هود فقيها أنه عليه السلام جادل الرسل بحرص المجادل في صرف العذاب عن قوم لوط، ووضع المضارع موضع الماضي إشارة إلى تكرر المجادلة مع تصوير الحال، أي: جادلنا فيهم جدالًا كثيرًا؛ وهذا من صبره وحلمه فكان وصفه هنا ﴿لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ أنسب، إذ إنه بسبب ما عنده من هذه الصفات الحسنة الجميلة لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة.

= ﴿وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. قال ابن القيم: في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة النمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة: أي، لؤم هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرُّد الوليد، وجهل أبي جهل. وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجُعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع. غير أن الرياضة، أي: ترويضها على الطاعة، والمجاهدة تذهب ذلك. فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان، فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون.

[١١٤] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين: "وعد، موعدة"؟ الجواب: وردت كلمة (وعد) ستين مرة. بينما وردت كلمة (موعدة) مرة واحدة. (وَعْدٌ) المصدر الأصلي للفعل (وَعَدَ) لذلك تكرر ورودها كثيرًا في القرآن، بينما (الموعدة) هي المصدر الميمي، =

= البناء للفاعل ونصب (بنيانه) بعدهما مفعول به، والفاعل ضمير بعد (أسس). [١٠٩] ﴿أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ﴾ قوله تعالى: ﴿جُرُفٍ﴾ قرئ: (جرْف) بإسكان الراء تخفيفًا. وقرئ: (جرُف) بالضم على الأصل، والجرف ما يُجرف من الوادي في السيل. [١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ﴾ قرئ: (إلى) بتخفيف اللام على أنها حرف جر. وقرئ: (إلّا) بتشديد اللام على أنها حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلا حال تقطيعها بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار. قوله تعالى: ﴿تَقَطَّعَ﴾ قرئ: (تَقطّع) بفتح التاء مبني للفاعل وأصله: تتقطع مضارع تقطع، حذف إحدى التاءين. وقرئ: (تُقطّع) بضم التاء بالبناء للمفعول مضارع قطّع بالتشديد.

[١١٢] ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

١١٨- ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن ربيعة أو ربيع. وقصتهم أو حديثهم الطويل رواه الإمام البخاري وغيره. ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾: لسعتها. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة، وبما حصل لهم من الجفوة، ﴿وَظَنُّوا﴾: أيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجؤون إليه مما نزل بهم من البلاء بتخلفهم عن رسول الله ﷺ. إلا إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة والندم والاستغفار. قال ابن عطية: وإنما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك؛ لأن الشرع يطالبهم بالجدّ فيه بحسب منازلهم منه، وتقدمهم فيه.. إذ كان كعبٌ من أهل العقبة، وصاحباه من أهل بدر. وفي هذا ما يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذرًا في السقوط من سواه. ١١٩- ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: من صدق الله الإيمان، فحقق قوله فعله. ١٢٠- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾: إلى آخر الآية، قيل: لم يكن لأحد أن يتخلف عن رسول الله ﷺ إذا غزا إلا من كان ذا عُذر. وقال آخرون: نزلت هذه الآية وفي الإسلام قلة، فلما كثروا نسختها ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾: فأباح التخلف ﴿ظَمَأٌ﴾: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿مَخْمَصَةٌ﴾: مجاعة. ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: أي: ولا ينتهون من الأرض منتهىً غائظًا للكفار، أو مؤذيًا لهم. ١٢٢- ﴿لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾: جميعًا ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: لتتفقه الطائفة النافرة في الدين؛ بما تُعاين من نصر الله تعالى ورسوله عليه السلام ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾.

[١٢٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي، هلك أصحاب البوادي، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾. وأخرج عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت .

[١١٧] ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٧]. لماذا تكرر قوله تعالى: ﴿تَابَ﴾ في نفس الآية. الجواب: قيل لأن الأولى عامة والثانية خاصة في الذين كادت قلوبهم أن تزيغ، وقيل إن الأولى كالثانية، ولكن الثانية لبيان سبب توبتهم. [١٢٠، ١٢١] ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة : ١٢٠]، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٢١]. الآية الأولى مشتملة على ما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾، وعلى ما ليس من عملهم، وهو الظَّمأ والنَّصب والمخمصة، والله سبحانه بفضله أجرى ذلك مَجرى عملِهم في الثَّواب، فقال: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾، أي: جزاءُ عمل صالح، والثانية مشتملة على ما هو من عملهم، وهو إنفاق المال في طاعته، وتحمّل المشاق في قطع المسافات، فكُتب لهم بعينه، لذلك ختم الآية بقوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، لكون الكل من عملهم، فوعدهم حسن الجزاءِ عليه، وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، حين ألحق ما ليس من عملهم بما هو من عملهم، ثم جازاهم على الكل أحسن الجزاء.

= والمصادر الميمية أقل دورانًا- في الجمل- من المصادر الأصلية، وهنا جاءت كلمة (موعدة) مرة واحدة. (الوعد) استعمل في المرات الستين في الوعود الصادقة الفعلية التي تمت حقًا. أما (الموعدة) فقد جاءت في القرآن للتعبير عن الوعد الذي يتخلف ولم يتم ولم يمض حتى نهايته، كما في وصف وعد إبراهيم- عليه السلام- لأبيه بأنه سيستغفر له ربه طمعًا في هدايته، ولكن لما تبيَّن له أن أباه عدوٌّ لله تبرأ منه، وترك الاستغفار له. [١١٧] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]. ما الفرق بين: "عُسْر، عُسْرة.. يُسْر، مَيْسَرة"؟ وردت كلمة (العُسْر) خمس مرات، بينما وردت كلمة (عُسْرة) مرتين. وردت كلمة (اليُسْر) ست مرات، بينما وردت كلمة (ميسرة) مرة واحدة. العُسْر: اسم من الإعسار، يدل على العسر المجرد بينما (العُسْرة) تعني المرة، وإن لم تكن على وزن المرة (فَعْلة) مثل (عُمْرة) فهي تعني المرة الواحدة (أي حالة من حالات الإعسار). وكذلك اليسر، والميسرة. كما أن كلا من الكلمتين (عُسْر، عُسْرة) ناسب كل منهما السياق الذي أتت فيه مع ضدها (أي يُسْر، ميسرة) كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فناسب كلمة (العسر)، كلمة (اليسر)، وكلاهما على نفس الوزن. وما يسوغ أن تأتي كلمة (عُسرة) مع كلمة (اليسر). ولا كلمة (عُسْر) مع كلمة (ميسرة). وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فناسب كلمة (عسرة) كلمة (ميسرة). [١١٨] ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة : ١١٨]. إن توبة الله على عبده، بحسب ندمه وأسفه الشديد، ومن الناس من لا يبالي بالذنب، ولا يحرج إذا فعله فتكون توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة. [١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ =

[١١٧] ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾ قرئ: (يزيغ) بالياء على التذكير واسم "كاد" حينئذ ضمير الشأن، و"قلوب" مرفوع "بتزيغ" والجملة: في محل نصب خبر لها، فهي كقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ وفي "كاد" إضمار الحديث فارتفعت "القلوب"، "بتزيغ"، ولأجل هذا الإضمار جاز أن يلي "يزيغ"، "كاد" كأن ذلك المضمر حال بينهما، وصارت "يزيغ قلوب" خبر "كاد" ويجوز: أن ترتفع القلوب بكاد، ويقدر في "يزيغ" التأخير، والتقدير: "من بعد ما كادت قلوب فريق منهم تزيغ"، وهذا التقدير في قراءة من قرأ بالتاء لتأخير الفعل به بعد المؤنث، وجاز التقديم هنا كما جاز تقديم خبر كان في قولك: "كان قائمًا زيد" لكن التقديم مع الفعل فيه قبح، لو قلت: كان يقوم زيد على أن تجعل: يقوم خبر كان وزيد اسمها؛ لأن الفعل يقوى فيعمل في الاسم بعده فإنما يحسن هذا على أن تضمن في كان الحديث أو الخبر، وتكون الجملة: من الفعل والفاعل خبر كان، وقد قيل في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إن في كان اسمها مضمرًا، أي: كان الحديث أو الأمر. وقرئ: (تزيغ) بالتأنيث، وعليها فيحتمل التوجيه المذكور، ويحتمل: أن يكون "قلوب" اسم "كاد" و"تزيغ" خبرًا مقدمًا؛ لأن الفعل مؤنث، وإنما قدر هذا الإعراب لأن الفعل إذا دخل عليه فعل قدر اسم بينهما.

[١١٨] ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في القرآن.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

١٢٣- ﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾: الأقرب فالأقرب. وبعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فالفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم دون الأبعد، ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من بلاد الإسلام، فإن اضطرُّوا إليه لزمهم نصرهم لأن المسلمين يد على مَن سواهم. ١٢٤- ﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. ١٢٥- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: نفاق ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾: شكًا إلى شكِّهم، أو خُبثاً إلى خبثهم الذي هم عليه من الكفر وفساد الاعتقاد، وإظهار غير ما يُضمرونه. ١٢٦- ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾: عجَّب الله المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبخ المنافقين بقلة تذكرهم وسوء تبينهم لمواعظ الله عز وجل التي يعظهم بها، وما يُريهم من نصرة رسوله عليه السلام، عندما كانوا يُختَبرون معه بالغزو والجهاد. وقيل: كان اختبارهم بالقحط والمرض ونحو ذلك. ١٢٧- ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾: بمعنى: أكان معكم أحد سمع كلامكم فأخبره به؟ ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الخير والتوفيق ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾: عن الله استكباراً ونفاقاً. ١٢٨- ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾: تعرفونه، لا من غيركم! ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾: أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة والمكروه عليكم ﴿حَرِيصٌ﴾: على هَدْي ضُلَّالِكُم وتوبتكم. ١٢٩- ﴿حَسۡبِيَ﴾: كفاني ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[١] ﴿الٓر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس : ١، هود : ١، يوسف : ١، إبراهيم : ١، الحجر : ١]. فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى.
قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أوائل السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن الكريم حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم.

- ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]. كل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبّطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ولا مضرتهما بمثل الكذب، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. [١١٩] ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩].
من فوائد الصدق: ١- الصدق دليل على الايمان والتقوى. ٢- الصدق يؤدي إلى الخير وحسن العاقبة. ٣- الصدق دليل على البراءة من النفاق، قال الإمام ابن القيم: الايمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر. ٤- الصدق يؤدي إلى الجنة وينجي من النار. ٥- الصدق سبب لنيل مرتبة الصديقية التي تلي مرتبة النبوة. ٦- الصدق ينجي صاحبه من أهوال يوم القيامة. ٧- الصدق يورث الطمأنينة والراحة النفسية. ٨- الصدق يورث منازل الشهداء. ٩- الصدق يورث محبة الله تعالى، فمن أراد أن يكون الله معه ويحبه فليلزم الصدق. ١٠- الصدق يورث البركة في كل شيء. ١١- الصدق سبب في شرف القدر وعلو المنزلة. ١٢- الصدق سبب لطيب العيش. ١٣- الصدق سبب لعزة النفس. [٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس : ٥]. جعل الشمس ضياء لانتفاع الناس بضيائها في =

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرَوۡنَ﴾ قرئ: (ترون) بالخطاب للمؤمنين على جهة التعجب. وقرئ: (يرون) بالغيب رجوعًا على الذين في قلوبهم مرض.

[١٢٨] ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله ـ تعالى ـ دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثًا عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقًا في مال الغني، وليس تفضلًا من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس

١- ﴿الٓرۚ﴾: قيل: هو من اسم الله، الذي هو «الرحمن»، بتقطيع الهجاء، إذا جُمع بـ«حم». و«نون» كان «الرحمن». وقيل: هو من أسماء القرآن. وقد تقدم القول في «الم» بما قيل في مثلها من فواتح السور. [ص: ٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يعني: القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: الذي قد أحكمه الله وبينه لعباده. ٢- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾: إيحاؤنا القرآن ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: بإنذارهم عقاب الله، كأن لم يعلموا أن الله قد أوحى قبله إلى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا إليه الآن! ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾: أي: منزل صدق، قيل: أعمالاً صالحةً يستوجبون بها ثواب الله تعالى. وقيل: إنه محمد ﷺ شفيع لهم. وقيل: سابقُ صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: يبين لكم عنه أنه مُبطل فيما يدّعيه. ٣- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضيه، ويقدره وحده ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾: يشفع يوم القيامة لأحد. ٤- ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: يحييه، ثم يميته، ثم يُحييه ﴿لِيَجْزِىَ﴾: ليُثيبَ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: قد أغلي فاشتد حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع. ٥- ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾: أي قدّر مسير القمر في منازل، أو: قدره ذا منازل، لا يجاوزها ولا يقصر دونها، يعني: القمر خاصة، لأنه بالأهلّة يعلم انقضاء الشهور والسنة. وأفرد القمر- بعد أن ذكر الشمس والقمر- لأنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، كما قال ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢]. ٦- ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾... إلى آخر الآية، في اعتقاب الليل والنهار وعجائب الخلق دلالات وحُجج لمن صحت فطرته وعقله؛ واتقى الله؛ على أن الله الخالق الصانع والمدبر لكل شيء.

[٢] قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولًا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، وأنزل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩] الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشرًا، فغير محمد كان أحق بالرسالة. ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يقولون: أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل رادًّا عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية.

[١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، لقمان: ٢] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١، الشعراء: ٢، القصص: ٢]. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيَّنه لعباده، أمَّا ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب البيِّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه. [٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ...﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ...﴾ [يونس: ٣]. الآيتان تبينان أن ربكم الله الذي أوجد السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وآية الأعراف تبين أن الله سبحانه يُدخل الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعًا دائمًا... أمَّا آية يونس فتبين أن الله يدبر أمور خلقه، لا يضادُّه في قضائه أحد... [٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]. الله هو الذي جعل الشمس ضياء، وجعل القمر نورًا، وقدَّر القمر منازل، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله تعالى الشمس والقمر إلا لحكمة عظيمة، ودلالة على كمال قدرة الله وعلمه، يبيِّن الحجج والأدلة لقوم يعلمون الحكمة في إبداع الخلق، فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمَّا آية الإسراء: وجعلنا الليل والنهار علامتين دالَّتين على وحدانيتنا وقدرتنا، فمَحَوْنا علامة الليل -وهي القمر- وجعلنا علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في الليل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس -من تعاقب الليل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم. وكل شيء بيَّناه تبيينًا كافيًا. [٦] ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤، آل عمران: ١٩٠]. آية البقرة ليس فيها تعلق بترتيبها بالآيات قبلها، فجاءت على الأصل في ترتيب الخلق، أما آية آل عمران فذكر قبلها مباشرة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، فأتبعه بخلقها، ثم ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، أما في آية يونس فسبقها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] ومن اختلافهما ينشأ الليل والنهار، فناسب أن يتبعها بقوله: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أولًا، ثم يذكر خلق السماوات والأرض.

= مشاهدة ما تهمهم مشاهدته بما به قوام أعمال حياتهم في أوقات أشغالهم، وجعل القمر نورًا للانتفاع بنوره انتفاعًا مناسبًا للحاجة التي قد تعرض إلى طلب رؤية الأشياء في وقت الظلمة وهو الليل، ولذلك جعل نوره أضعف ليتفع به بقدر ضرورة المتنفع، فمن لم يضطر إلى الانتفاع به لايشعر بنوره، ولا يصرفه ذلك عن سكونه الذي جعل ظلام الليل لحصوله. [٥] ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ [الكهف: ٤٠]. ما الفرق بين: "حساب، حُسبان"؟ الجواب: وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعًا وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسبان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. وردت كلمة (حساب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصلُ والجزاءُ في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يَشغله حساب بشر عن حساب آخر. ٢- الإحصاء والعدُّ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. =

نزول سورة يونس: نزلت بعد سورة الإسراء. وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة يونس: ألف وأربعمائة وتسع وتسعون كلمة. عدد حروف سورة يونس: سبعة آلاف وخمسة وستون. أسماء سورة يونس: وسُمِّيت سورة يونس لما في آخرها من ذكر كشف العذاب عن قوم يونس ببركة الإيمان عند اليأس في قوله: =

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يخافون ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إليها؛ فلها يسخطون ويرضون، ويحزنون ويفرحون. ٨- ﴿مَأۡوَىٰهُمُ﴾: مسكنهم ومثواهم. ١٠- ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: قولهم. وقيل: إذا أرادوا الشيء قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم ما دعوا. ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: تنزيه الله عز وجل من كل سوء. وسُئل عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن «سبحانك اللهم» فقال: كلمة رضيها الله لنفسه. ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾: تحية بعضهم بعضاً ﴿فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: دعائهم ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. ١١- ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: لو عجّل الله للناس العقوبة كما يتعجلون الثواب والخير. وقيل: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه؛ فلو عجلت عليهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب في الخير ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾: لأهلكهم ﴿فَنَذَرُ﴾: ندع ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: الكافرين ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾: تمردهم ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يترددون. ١٢- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾: الشدائد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: مضطجعاً ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾: كأنه قال: دعانا في جميع الأحوال، لأن هذه غالب أحوال الإنسان. وفيها إشارة إلى مدى إحساسه بالضرّ، وتبرّمه به، وبوطأته عليه. ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾: فرجنا ﴿مَرَّ﴾: استمر على طريقته الأولى ونسي، فضيع شكر ربه ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾: يقول عز وجل: كما زين لهذا الداعي في الشدة استمراره على كفره بعد أن كشف الضر عنه؛ كذلك زين للذين أسرفوا في الكذب على الله ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من معاصي الله. ١٣- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾: الأمم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج البينة. ١٤- ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: خلفتموهم ﴿لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾: أتحذون مثلهم فينالكم ما نالهم، أم تؤمنون بالله ورسوله فتستحقون الثواب الجزيل؟

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿ضُرٌّ﴾ [الروم: ٣٣، الزمر: ٨، ٤٩]. موضع يونس الوحيد بالألف واللام، لأنه إشارة إلى ما تقدّم من الشرّ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ [يونس: ١١]، فإنَّ الضرّ والشّرّ واحد، وجاءَ الضرّ في هذه السّورة بالألف واللام في قوله: ﴿ٱلضُّرُّ﴾، وبالإضافة: ﴿ضُرَّهُۥ﴾، وبالتنوين: ﴿ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢]. [١٢] ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]. موضع سورة الأنعام الكلام قبله كان عن الذين هم في الظلمات وأنهم ليسوا بخارجين منها وأولئك هم الكفار، فناسب ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، أمّا موضع سورة يونس فالكلام قبله عن الإنسان وأنه إذا مسه الضر تضرع إلى الله، فلما كشف عنه الضر نسي ما كان فيه من الضر، وترك الشكر لربه الذي فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء، فناسب ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، والمسرفون هم: المتجاوزون للحد.
[١٣] ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ [يونس: ١٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ [الأعراف: ١٠١، يونس: ٧٤]. لأنه معطوف على قوله: ﴿ظَلَمُواْ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣] وفي غيرها بالفاء للتعقيب.

٣- نفي المحاسبة، حيث لا عدَّ ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يجري عليه الرزق متدفقًا وكأنه لا يُعدُّ ولا يُحصى. أما كلمة (حسبان) فلها معنى واحد وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئًا مدمرًا محسوبًا حسابًا دقيقًا مضبوطًا. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [١١] ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [يونس: ١١]، ما الفرق بين: "العَمَى والعَمَه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العمه) للحيرة والتردد النفسي.

[١١] ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ قرئ: (لَقَضَى) بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفًا مبنيًا للفاعل، "أجلَهم" بالنصب مفعولًا به. وقرئ: (لَقُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء مبنيًا للمفعول، "أجلُهم" بالرفع على النيابة.
[١٦] ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾ - ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ القيامة: ١، قرئ: بحذف الألف التي بعد اللام على أنها للابتداء فتصير لام توكيد، أي: لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به على لسان غيري، أو بتقدير لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولو شاء الله لأدراكم به، أي: لأعلمكم به قبل إتياني إليكم فيكون المعنى على هذا: أن الثاني غير منفي. وقرئ: بإثبات الألف على أنها "لا" النافية مؤكدة، أي: ولو شاء الله ما قرأته عليكم ولا أعلمكم به على لساني، فالأول والثاني منفيان، فعطف نفيًا على نفي.

[٧] ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة. [٧] ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن.
[٧] ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في القرآن.

﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨]. مواضيع سورة يونس مقصود السّورة: إثبات النبوّة، وبيان فساد اعتقاد الكفار في حقّ النّبيّ ﷺ والقرآن، وذكر جزائهم على ذلك في الدّار الآخرة، وتقدير منازل الشمس والقمر

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٦- ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾: يقول: ولا أعلمكم الله به ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: اربعين سنة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل ان اتلوه عليكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: اني لو كنت مُتحلاً ما ليس لي بحق لانتحلته قبل هذا! ١٨- ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ﴾: يعنون الأصنام ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: وهي لا تضرهم ولا تنفعهم ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؟ وذلك ان الآلهة لا تشفع لهم عند الله لا في السماوات ولا في الأرض؛ وكانوا يزعمون أنها تشفع لهم، فقال الله: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيها. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾: تنزيهاً لله عما يقولون وما يشركون. ١٩- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على ملة واحدة، ودين واحد ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: في دينهم وافترقت بهم السبل ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: أنه لا يهلك قوماً إلا بعد انقضاء آجالهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بان يُهلك أهل الباطل، ويُنجي أهل الحق. ٢٠- ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾: يعنون محمداً ﷺ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: دليل نعلم أنه مُحق فيما يقول، او آية تضطر الناس إلى الإيمان ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: اي: لا يعلم أحد بما يفعل إلا هو ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: قضاء الله، وفي الآية وعيد، وقد صدّقه الله بنصرته محمدًا ﷺ يوم بدر وغيره.

[١٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام : ٢١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس : ١٧]. الآيات التي تقدمت في سورة الأنعام عطف بعضها على بعض بالواو، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩]، ثم قال: ومن أظلم، وختم الآية بقوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ليكون آخر الآية موافقًا لأول الأولى، وأمَّا في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض بالفاء وهو قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٦]، ثم قال فمن أظلم بالفاء، وختم الآية بقوله: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ أيضًا موافقة لما قبلها وهو: ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس : ١٣]، فوصفهم بأنهم مجرمون، وقال بعده: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس : ١٤]، فختم الآية بقوله: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلم أن سبيل هؤلاء من تقدمهم.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ [يونس : ١٨]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٥]. لما تقدم آية يونس قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس : ١٥]، ناسب تقديم الضر، أي: لا يضرهم إن عصوه ولا ينفعهم إن أطاعوه، وفي الفرقان تقدم ذكر النعم وعدها، فناسب تقديم النفع، أي: ما لا ينفعهم بنعمة من النعم.

[١٩] ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس : ١٩]، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر : ٣]. لأنَّ آية يونس تقدمها فاختلفوا، فاكْتُفِي بها عن إعادة الضمير.

[١٢] ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢]. ما الفرق بين: "المَس واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلٌ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم. أمثلة قرآنية: أولًا- اللمسُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. كل الآيات السابقة استعمل فيها (اللمس) مرادًا منه المعنى اللغوي الحقيقي أي ملاقاة جسم لآخر، لكن هناك سؤالًا هامًّا؟ لمَ كُنِّي (باللمس) عن الطلب في آيتي الجن والحديد (الأخيرتين) المذكورتين، ولم يُكنَّ بالمس أو المسح؟ والجواب: أن طلب الشيء يُفضي إلى ملاقاته وأخذه، لذلك ساغت الكناية باللمس دون المس أو المسح. ثانيًا- المسُّ: وردت صيغ (المسّ) على اختلافها في أربع عشرة آية (في صيغ مختلفة بين الأفعال الماضية والمضارعة والاسم والمصدر)، ووردت هذه الصيغ المتعددة بصور مختلفة بين الحقيقة والكناية والمجاز كما يلي: ١- ثلاثة مواضع منها أُريد بها المعنى الحقيقي للمسّ (من جسم لآخر مسًا خفيفًا)، وهي: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، هي: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ٣- تسعة مواضع جاء فيها المس مجازًا بمعنى (الإصابة) وهي: ﴿مَسَّ آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾... ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ثالثًا- المسح: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾... ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هنا والنحل: ٣ والروم : ٤٠-٤١، قرئ: (تشركون) بالخطاب جريًا على ما سبق من قوله: (أتنبئون الله)، فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب. وقرئ: (يشركون) بالغيب في الأربعة، استأنف فنزه نفسه عن إشراكهم، ورده إلى الهاء في سبحانه.

= لمصالح الخَلْق، وذمّ القانعين بالدّنيا الفانية عن النّعيم الباقي، ومَدْح أهل الإيمان في طلب الجنان؛ واستعجال الكفّار بالعذاب، وامتحان الحَقِّ تعالى خلقه باستخلافهم في الأرض، وذكر عدم تعقّل الكفار كلام الله، ونسبته إلى الافتراء والاختلاف، والإشارة إلى إبطال الأصنام وعُبّادها، وبيان المِنَّة على العِباد بالنَّجاة =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

٢١- ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾: فرجاً من كرب، ومطراً بعد مَحْلٍ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾: شدة ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ﴾: استهزاء وتكذيب ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾: استدراجاً لهم، والمعنى ان الله تعالى أعجل عقوبة. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: حفظتنا عليهم. ٢٢- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: في السفن في البحر ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾: شديدة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾: ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق بهم، ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾: المحنة، وكأنها الأخيرة التي لن يعودوا بعدها إلى البغي والفساد. ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: وحده، دون آلهتهم وأوثانهم. «الدين»: الطاعة، لا يدعون سواه. ٢٣- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾: يعني الذين أحيط بهم ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ﴾: يتجاوزون أمر الله إلى الكفر والعصيان ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: إياها تظلمون، وعليها تعتدون، لما توجبون عليها من سخط الله ونقمته ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي: إنما هو متاع لكم في الحياة الدنيا. ٢٤- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾: زينتها وبهاءها ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾: تزينت ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾: أي: على حصادها والانتفاع بها، والتمكن من ناصيتها. ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾: يعني: جعلنا ما عليها ﴿حَصِيدٗا﴾: مقطوعاً مقلوعاً من أصله ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾: كأن لم تعش، وكأن لم تنعم بزرع كان فيها بالأمس. و«غَنِيَ بالمكان»: أقام فيه. والمراد بالأمس: الوقت القريب. ٢٥- ﴿إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الله عز وجل هو السلام، وداره: جنته.

[٢١] ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ ... ﴾ [يونس : ٢١]، ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ ... ﴾ [الروم : ٣٦]. وإذا أذقنا المشركين يسرًا وفرجًا ورخاءً بعد عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذِّبون، ويستهزئون بآيات الله، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم... فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الروم: وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأشرٍ، لا فرح شكر...

[٢٢] ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس : ٢٢]، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥]، ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ ﴾ [لقمان : ٣٢]. الآيات تبين حال الكفار عند الشدائد وتضرعهم إلى الله بكل إخلاص حتى يكشف عنهم ما حل بهم من الكرب والبلاء. [٢٣] ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ ﴾ [يونس : ٢٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ ﴾ [العنكبوت : ٦٥، لقمان : ٣٢]. بالألف؛ لأنه وقع فى مقابلة ﴿ أَنجَيۡتَنَا ﴾ [يونس : ٢٢].

[٢٤] ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ... ﴾ [يونس : ٢٤]، ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ... ﴾ [الكهف : ٤٥]. إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، =

[٢٢] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس: ٢٢]، ما الفرق بين "الريح والرياح". أولًا: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترن بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ ﴾ [الأنبياء: ٨١].وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان- عليه السلام- «عاصفة» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرِّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. أمثلة: ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحدٍ: مثال: ﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا ﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٤٨].

[٢١] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَمۡكُرُونَ﴾ قرئ: (يمكرون) بالغيب جريًا على ما مر من يكتبون. وقرئ: (تمكرون) بالخطاب التفاتًا لقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ أي: قل لهم ذلك، فناسبه الخطاب في "تمكرون". [٢٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُسَيِّرُكُمۡ﴾ قرئ: (يَنْشُركم) بفتح الياء وبنون ساكنة بعدها فشين معجمة مضمومة من النشر ضد الطي، أي: يبثكم في البر والبحر ويفرقكم، وقرئ: بضم الياء (يُسَيِّركم) وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشدودة، أي: يحملكم على السير ويمكنكم منه والتضعيف للتعدية. [٢٣] ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ﴾ قرئ: (متاعَ) بنصب العين على أنه مصدر مؤكد، أي: تتمتعون متاع، أو ظرف زماني نحو: مقدم الحاج، أي: زمن متاع، والعامل فيه الاستقرار الذي في على أنفسكم، أو مفعول به مقدر، أي: تبغون متاع، أو من أجل أي: لأجل متاع. وقرئ: (متاعُ) بالرفع على أنه خبر "بغيكم" و"على أنفسكم" صلة، أي: بغى بعضكم على بعض انتفاعٌ قليل المدة، ثم يضمحل ويشقى بيغيه، قاله الجعبري كغيره، أو خبر محذوف، أي: ذلك أو هو متاع، و"على أنفسكم" خبر "بغيكم".

[٢٢]﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ [يونس : ٢٢]. الريح العاصف: يقول العلم الحديث: إن الريح العاصفة إذا هبت فإن الموج يأتي من كل جانب، والعواصف تحدث عندما تصطدم كتلة من الهواء الحار بكتلة من الهواء البارد، وتقاس بسرعة سيرها في الساعة، فتسمى ريحًا هوجاء حين تكون قوتها كافية لاقتلاع الأشجار وهدم المداخن، أو حين تثير في البحار أمواجًا عالية ذات قمم منحنية طويلة تتقلب، ثم تتكسر بقعًا كبيرة من الزبد. وهذا هو السبب في كون الموج يأتي من كل مكان، وتبلغ سرعتها ٦٢ كيلو مترًا في الساعة، وقد تصل إلى ١٢٨، وربما ١٦٠ كيلو مترًا في الساعة. وقد أشارت الآية إلى هذه الحقيقة.

= من الهلاك في البرِّ والبَحْر، وتمثيل الدّنيا بنزول المطر، وظهور ألوان النبات والأزهار، ودعوة الخَلْق إلى دار السّلام، وبيان ذُلّ الكفّار في القيامة، ومشاهدة الخَلْق في العُقْبَى ما قدّموه من طاعة ومعصية، وبيان أنَّ الحقّ واحد، وما سواه باطل، وإثبات البَعْث والقيامة بالبرهان، والحجّة الواضحة، وبيان فائدة نزول القرآن، والأمر =

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

٢٦- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى، وقيل: هي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: أي: ما يزيد على المثوبة من التفضل. وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل في الآخرة. ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: لا يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: كآبة وكسوف، حتى تصير من الحزن كأنما عليها قتر، وهو الغبار. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هوان. ٢٧- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الكفر والمعاصي. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾: يجازي بمثل عمله في الدنيا، من عقاب الله ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾: شدة، وهوان وخزي، ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾: جمع قطعة بمعنى: سواد من الليل وبقية ﴿خَالِدُونَ﴾: باقون. ٢٨- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: نجمعهم لموقف الحساب ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾: أي، قفوا في مواضعكم، وامكثوا مكانكم ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: فرّقنا بين المشركين وآلهتهم ﴿شُرَكَاؤُهُم﴾: آلهتهم التي كانوا يعبدون -إذا نصبت لهم يوم القيامة وقيل لهم: اتبعوا-. ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: لأنا ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم ولا نعقل؛ فيقولون: والله لإياكم كنا نعبد، فتقول لهم آلهتهم. ٢٩- ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أيها المشركون، فإنه علم أنا ما علمنا ما تقولون ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾: لا نعلم ولا نشعر. ٣٠- ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو﴾: تختبر، وقيل: تعاين، ﴿مَّا أَسْلَفَتْ﴾: عملت من حسنة وسيئة ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: يعني: المشركين ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: الذي لا شك فيه. ﴿وَضَلَّ﴾: ذهب وبطل ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يشركون ويكذبون في قولهم إنها تُقربهم منه زلفى. ٣١- ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾: قل يا محمد للمشركين ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أمر السماء والأرض ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون عقابه على أن تشركوا به من لا يرزقكم ولا ينفعكم ولا يضركم؟ ٣٢- ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: أي: أي شيء سوى الحق إلا الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: عنه، وهو الحق. ٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وجب قضاؤه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: خرجوا من طاعة الله وكفروا به.

= كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات.. فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الكهف: واضرب أيها الرسول للناس وبخاصة ذوو الكِبْر منهم- صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، كماء أنزله الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخْضرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة... [٢٨] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ...﴾ [يونس: ٢٨]. وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين آلهتكم التي كنتم تدَّعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعوا لكم، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية يونس: واذكر أيها الرسول يوم نحشر الخلق جميعًا للحساب والجزاء، ثم نقول للذين أشركوا بالله: الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله حتى تنظروا ما يُفْعل بكم... [٣٠] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]. الآيتان تبينان أن الجميع مردهم إلى الله الحكم العدل، وآية الأنعام توضح أن الله هو الذي يقضي ويفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين، وأمّا آية يونس فتبين أن هؤلاء المشركين ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه. [٣١] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]. آية يونس وردت في سياق الاحتجاج عليهم بما أقروا به، ولم يمكنهم إنكاره من أنه سبحانه هو رازقهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، فلما كانوا مقرين بهذا كله حين الاحتجاج عليهم، فكيف يعبدون معه غيره، ويجعلون له شركاء من دونه، ولهذا قال بعد ذلك "فسيقولون الله" والمخاطبون بهذه الآية كانوا مقرين بنزول الرزق من السماء التي يشاهدونها، ولم يكونوا مقرين بنزوله من سماء إلى سماء حتى ينتهي الأمر إليهم، ولم يكونوا مقرين بنزول الأرزاق العظيمة على القلوب والأرواح، وأعظمها الوحي، فأفرد لفظ السماء في هذه الآية، فهم لا ينكرون مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق ها هنا إن كان هو المطر، فمجيئه من السماء التي هي السحاب، فلذلك يسمى سماء لعلوه، فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا إفراد السماء، أمّا آية سبأ فالأمر فيها مختلف، ولهذا أرى سبحانه نبيه أن يتولى الجواب فيها، فلم يتنظم ذكر إقرارهم بما ينزل من السماوات، ولهذا قال في الجواب "قل الله" ولم يقل: "سيقولون الله"، كما في آية يونس، فالله سبحانه هو وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السماوات السبع.

[٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤٢]. ما الفرق بين: "قَتَرٌ، قَتَرَة"؟ الجواب: مثل صيغتي غم، وغمة، صيغتا (قتر، وقترة). فالقتر: المصدر المجرد. والقترة: اسم الذات. فالقتر حالةٌ نفسية تظهر انعكاساتها على الوجه وكأنها الغبار. ووردت كل من كلمتي (قتر)، (قترة) مرة واحدة في القرآن الكريم.

[٢٧] ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ قوله تعالى: ﴿قِطَعًا﴾ قرئ: (قطْعًا) بإسكان الطاء قيل: هي ظلمة آخر الليل، وقيل: سواد الليل فيكون مظلمًا صفة لقطع، أو حالًا من الضمير في قوله: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾. وقرئ: (قطَعًا) بفتح الطاء جمع قطعة كدمنة ودمن، ففيه معنى المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون "مظلمًا" حالًا من الليل، ولا يكون حالًا من القطع ولا من الضمير في الليل؛ لأن ذلك جمع، ومظلمًا واحد. [٣٠] ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَبْلُو﴾ قرئ: (تتلو) بتاءين من فوق، أي: تتطلب وتتبع ما أسلفت من أعمالها؛ أو المراد: تقرأ كل نفس ما عملته مسطرًا في مصحف الحفظة؛ لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾. وقرئ: (تبلو) بالتاء من فوق والباء الموحدة من البلاء، أي: تختبر ما قدمت من عمل فتعاين قبحه وحسنه.

= بإظهار السّرور والفرح بالصّلاة والقرآن، وتمييز أهل الولاية من أهل الجناية، وتسلية النّبي ﷺ بذكر شيء من قِصّة موسى، وواقعة بني إسرائيل مع قوم فرعون، وذكر طَمْس أموال القِبطيّين، ونجاة الإسرائيليين من البحر، وهلاك أعدائهم من الفِرعونيّين، ونجاة قوم يونس بإخلاص الإيمان في قت اليأس، وتأكيد نبوّة النبي ﷺ، وأمره بالصّبر على جفاءِ المشركين وأذاهم، في قوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)

٣٤- ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: يقول: فإلى أي وجه عن الحق تصرفون؟ ٣٥- ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: يعني: الوثن ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: الا تعلمون أن من يهدي إلى الحق احق ان يُتّبع، وان تُقدّروه، دون ما تشركون به من آلهتكم وأوثانكم. ٣٦- ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: ما يتبع هؤلاء المشركون إلا بجرّد الظن والتخمين. والعقائد طريقها العقل والبصيرة. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: لا يقوم مقامه ولا ينوب عنه. ٣٧- ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من كتب الله ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: بيانه والتفصيل: التبيين، أي: يبين ما في كتب الله المتقدمة، ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: للجنس، وقد يراد به كتاب اليهود والنصارى بخاصة. وقد وصفهم الله تعالى بـ (أهل الكتاب). وقيل: المراد به القرآن، اي بيّن ما فيه من الأحكام. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: من عند رب العالمين. ٣٩- ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾: بما في القرآن من وعيد الله إياهم ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾: يقول: ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد. ٤٠- ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: يقول عز وجل: ومن قومك يا محمد -من قريش- من سوف يؤمن به، يعني القرآن، ويصدق بانه من عند الله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أبداً أو في المستقبل. وهو عام إلى يوم القيامة. ٤٢- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: من هؤلاء الكفار من يستمع ما تأتي به من القرآن باذنه، لكن حين لا يؤمن ولا يهتدي فكانه لا يسمع، ولهذا قال عزّ من قائل: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: وإن كانوا لا يعقلون. «أفانت» فيه إشارة إلى أن التوفيق للإيمان بيد الله وحده لا إله غيره.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦]. آية غافر تقدمها قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤]، ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب، وهمّ كل أمة برسولهم ليأخذوه، وأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم الله وأهلكهم، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فلما تقدم في هذه السورة ذكر من حقت عليه كلمة العذاب عطف عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾، أمّا آية يونس فلم يتقدم قبلها فيما اتصل بها مقال ممن ذكر ممن حقت عليه كلمة العذاب، فأتى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾، بصورة الاستئناف غير المعطوف، إذ لم يتقدم ما يعطف عليه.

[٣٧] ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ [يوسف: ١١١]. آية يونس تبين أن هذا القرآن فيه بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد ﷺ، ولا شك في أن هذا القرآن الكريم موحىً من رب العالمين، وأمّا آية يوسف فتوضح أن هذا القرآن فيه بيانٌ لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه وغير ذلك، وإرشاد من الضلال...

[٣٨] ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. جاءت ﴿مِّن﴾ زائدة في سورة البقرة، لأن من تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن - والمراد من أن سورة البقرة سنام القرآن هو أنّها أشرف ما في القرآن وأعلى ما فيه شأنًا، وشُبِّهت بالسنام لذلك، فكما أن سنام البعير هو أعلى شيءٍ فيه، فكذلك سورة البقرة هي أعلى ما في القرآن شرفًا وشأنًا -وأوله بعد الفاتحة حَسُنَ دخول، فزاد مِن فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها ﴿مِّن﴾ لكان التحدي واقعًا على بعض السور دون بعض، والهاء في قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ تعود على القرآن. وذهب بعض العلماء إلى أنها تعود على محمد ﷺ، أي: فأتوا بسورة من إنسان مثله ﷺ. قول آخر: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ بالبقرة تعني رفع الشك عن نبوة محمد ﷺ وتحديهم بأن يأتوا برجل مثله، يأتي بسورة من نمط ما سمع من محمد ﷺ، وأمّا ما في يونس ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ فإنما أريد به ما يجري مع قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، فقيل لهم: إذا كان مفترى فأتوا بسورة مثله، فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن، والمراد في البقرة نفي شخص يماثله ﷺ. ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ أي: الذين تشهدون لهم بالألوهية، وتعبدونهم كما تعبدون الله، ادعوهم ليساعدوكم في الإتيان بمثله، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ بيونس، أي: فأتوا بسورة مثل القرآن واستعينوا على ذلك بمن استطعتم.

[٣٢] ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلّ يضلّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلّل يضلّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عن نفسه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف:٦١].

[٣٥] ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ قرئ: (يِهِدي) بكسر الياء والهاء. وقرئ: (يَهِدي) بفتح الياء وكسر الهاء. وقرئ: (يَهَدّي) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. وقرئ: كذلك لكن بإسكان الهاء. وقرئ: (يَهْدي) بفتح الياء وإسكان الهاء. وقرئ: (يَهْدِي) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال. وقرئ: (يَهِدّي) بفتح الياء وتشديد الدال، واختلف في الهاء، فوَجْهُ كسر الهاء التخلص من التقاء الساكنين، ومَن فتحها نقلت التاء إليها ثم قلبت التاء دالًا وأدغمت في الدال، وشعبة أتبع التاء للهاء في الكسر، وأما قراءة: سكون الهاء فقد استشكلت على كثير للجمع فيها بين الساكنين؛ فأجيب عن ذلك: بأنه لما أدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالًا صار المدغم في حكم المتحرك، فسُوِّغ الجمع بين الساكنين، وقيل: كلها لغات.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

٤٣- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: ببصره، لكنه لا يعتبر ولا ينظر ببصيرته، فهو أعمى البصيرة، أفتريد ان تهدي هؤلاء الذين تعذر عليهم الإدارك؟ ٤٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: لا يفعل بخلقه ما لا يستحقونه، ولا يعاقب إلا على معصيته. جلّ وعلا ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بتعطيل العقل والحواس، أو بالتعصب والمكابرة للحق، والمجادلة بالباطل. ٤٥- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: جميعاً في موقف الحساب ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: ثم تنقطع المعرفة تلك الساعة. ٤٦- ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: يعني في حياتك، ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب أو القتل والأسر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل هذه الإراءة. ٤٧- ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: يعني في الآخرة يوم القيامة. ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل. ٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: يعني: المشركين، يسألون سؤال المستنكر المستبعد لنزول العذاب أو قيام الساعة. ٤٩- ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ ردًا للحجة: إني لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا من دون الله، فأحرى الا اعرف غيبه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ولا اتعاطى شيئًا من أمره، ولكن لكل أمة أجل انفرد الله تعالى بعلم حدّه ووقته. إن للأمم آجالاً، كما للأشخاص او الأفراد آجالٌ.. وكل ذلك في علم الله تعالى وحده. ٥٠- ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾: ليلاً. ٥١- ﴿أَثُمَّ﴾: في هذا الموضع ﴿إِذَا مَا وَقَعَ﴾: أهنالك عذاب الله ﴿آمَنتُم بِهِ﴾: صدقتم به، في حال لا ينفعكم التصديق! ٥٣- ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾: يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: ما تقول؟ ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: لا تفوتونه وانتم في قبضته.

[٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [يونس: ٤١]، ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]. وإن كذَّبك أيها الرسول هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم... فهذا ما دلت عليه آية يونس، وأمَّا آية الحج: وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون. [٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥، محمد: ١٦]. آية الأنعام نزلت في أبي سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأمية وأبي بن خلف، فلم يكثروا كثرة من في يونس؛ لأن المراد بهم في يونس جميع الكفار، فحمل هاهنا مرة على لفظ مِن، فَوَحَّد لقلتهم، ومرة على المعنى فجمع؛ لأنهم وإن قلوا كانوا جماعة، وجمع ما في يونس ليوافق اللفظ المعنى، وأمَّا آية محمد فتتحدث عن المنافقين. [٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ...﴾ [يونس: ٤٤]. إن الله تعالى لا ينقص أحدًا من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويتفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثوابًا كبيرًا هو الجنة، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمَّا آية يونس: إن الله لا يظلم الناس شيئًا بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية ومخالفة أوامر الله. [٤٥] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ...﴾ [الأنعام: ٣١]، ﴿... قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين خسروا بكفرهم وتكذيبهم بلقاء الله وثوابه وعقابه، وآية الأنعام تبين أنهم إذا قامت القيامة، فوجئوا بسوء المصير، وأمَّا آية يونس فتوضح أنهم ما كانوا موفَّقين لإصابة الرشد فيما فعلوا. [٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون والمشركون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟ [٤٩] ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [يونس: ٤٩]. آية الأعراف تقدمها ذكر الساعة، فناسب في حقها تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضر الذي هو عذابها، وآية يونس تقدمها ذكر استعجال الكفار العذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، فناسب تقديم الضر على النفع، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠]، وكذلك كل ما قدم فيه النفع والضر يتقدم فيه ما يناسب ذلك التقديم أو التأخير، وذلك ظاهر لمن ينظر فيه. [٤٩] ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [يونس: ٤٩] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١، فاطر: ٤٥]. جاءت في هذه السّورة فقط؛ لأنَّ التقدير فيها: لكلِّ أُمّة أجل، فلا يستأخرون إذا جاءَ أجلهم، فكان هذا فيمن قُتل ببدر والمعنى: لم يستأخروا. [٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]. ما الفرق بين: "يبدأ- يُبدئ"؟ الجواب: وردت كلمة (يبدأ) ست مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٤]. بينما لم ترد كلمة (يُبدئ) إلا مرة واحدة.. في مثل هذا السياق، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]. فما الحكمة من ورود الصيغتين معًا في القرآن الكريم؟ إذا نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه كلمة (يبدأ) وجدنا أنه يُشير إلى الخلق الأول.. لأنه يذكر فيه خلق السماوات والأرض. ففي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] وقد سبقت هذه الآية كلمة (يبدأ) في الآية التالية.. مما دلّ على أن المقصود منها الخلق الأول.. وهكذا في المواضع الخمسة الأخرى. أما السياق الذي وردت فيه كلمة (يُبدئ) فنجد أن المعاني التي سبقتها تشير إلى الخلق الثاني، وهكذا... دلَّت كل كلمةٍ من الكلمتين على معنى خاص في موضعها... فكانت أفضل من أي كلمةٍ أخرى في موضعها... ولا يسوغ تبديل أي منهما مكان الأخرى... [٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢]. لماذا في الأولى ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ وفي الثانية ﴿يَنظُرُ﴾ وليس (ينظرون)؟ الجواب: (الآيات المرئية بالعين التي أيد بها رسولنا صلي الله عليه وسلم لم تكن بكثرة آيات القرآن الكريم التي سمعها المشركون، ولذا عاد الضمير مفردًا على ﴿من﴾ مع النظر، ومجموعًا مع الاستماع. وتأمل الآيتين تدرك دلالتهما على تفضيل السمع على البصر حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمي إلا فقدان النظر). [٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧]. أول من يقضى له يوم القيامة أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونالت ذلك لشرف رسولها عليه الصلاة والسلام، بالرغم من أنها آخر الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

٥٤- ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: جعلته فديةً لها من العذاب ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾: أخفوا ندمهم لئلا يشمت بهم المؤمنون، أو أسروها خوفاً من توبيخ أتباعهم لهم. ٥٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾: ذكرى، والمراد بها القرآن، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: من الجهل. أو من الشبهات والشكوك. ٥٨- ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: بالإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: بالقرآن الذي علمتم به ما لم تكونوا تعلمون ، والآية عامة في كل ما تفضّل الله تعالى على عباده في الآجل والعاجل. ورحمته بهم. ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من حطام الدنيا. ٥٩- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ يعني: المشركين ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: قد تقدم ذكره في الأنعام من البحيرة والسائبة وغير ذلك [الآية ١٣٦- سورة الأنعام]. والتحريم والتحليل لا يكون بالتشهي أو بالافتراء على الله. ٦٠- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أيحسبون أن يُصفح عنهم؟ كلا بل يُدخلهم جهنم خالدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: على خلقه، بتركه معاجلة من افترى على الله بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إلى الآخرة. ٦١- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: في عمل ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تأخذون فيه وتعملونه. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: وزن ذرة، وهي النملة الصغيرة.

[٥٤] ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ...﴾ [يونس : ٥٤]، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ [سبأ : ٣٣]. الآيتان تبينان حال الكافرين وإسرارهم الحسرة حين رأوا العذاب الذي أُعدَّ لهم في الآخرة، وآية يونس تبين أن الله يقضي بينهم بالعدل، وهم لا يُظلَمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحدًا إلا بذنبه، وأمّا آية سبأ فتعرض صورة من صور العذاب الذي أعد لهم... [٥٥، ٦٦] ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : ٥٥]، ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [يونس : ٦٦]. مناسبة السياق اقتضت لفظ "ما" في الأولى، فقبل الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [يونس : ٥٤]، والمقصود بذلك المال والمأخذ، فلفظ "ما" هو لغير العقلاء. أما الآية الأخرى فجاء التعبير فيها بلفظ "من"، والآية نزلت في قوم آذوا رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] فآنسه ربه وثبّته، فهم لن يضروه بشيء، مما يتوعدونه من القتل وأنواع المكروه، ثم أخبره أن العزة لله وحده، وأنه يعز عباده المؤمنين بعزه، فالملك له وحده سبحانه، له من في السماوات ومن في الأرض، وعلى هذا جاء لفظ "من" لأن المراد العقلاء الذين يعزون دينهم وينصرون نبيهم. [٦٠] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس : ٦٠، النمل : ٧٣] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٣، يوسف : ٣٨، غافر : ٦١]. في سورة يونس تقدم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : ٥٥]، فوافق قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وكذلك في النّمل تقدم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فوافقه، وفي غيرهما جاءَ بلفظ التصريح.

[٦١] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس : ٦١]، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ : ٣]. قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ؛ لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة، وهو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ : ١] فقدم ذكر السماوات؛ لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطانًا... وأمّا التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس : ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتمه بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

[٤٩] ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]. ما الفرق بين: (تأخّر، استأخر)؟ الجواب: وردت كلمة (تأخر) مرتين في القرآن بصيغة الماضي. وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع، في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (تستأخرون) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يتأخرون) معناها أنهم هم يفعلون التأخر بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يستأخرون) فمعناها أن عدم =

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ قرئ: (فلتفرحوا) بتاء الخطاب، وهي لغة قليلة لأن الأمر باللام إنما يكثر في الغائبين كقراءة الباقين، والمخاطب المبني للمفعول نحو: لتعن بحاجتي يا زيد، ويضعف الأمر باللام للمتكلم نحو: لأفهم ولنقم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "قوموا فلأصل لكم". وقرئ: (فليفرحوا) بالغيب لمناسبة ما قبله. قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قرئ: (تجمعون) بالخطاب على الالتفات. وقرئ: (يجمعون) بالغيب لمناسبة ما قبله. [٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ قرئ: (يعزِب) بكسر الزاي. وقرئ: (يعزُب) بضم الزاي، لغتان مضارع عزب يعزب، أي: غاب. قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ قرئ: (أصغرُ) برفع الراء فيها عطفًا على محل مثقال لأنه مرفوع بالفاعلية ، و"عن" مزيدة فيه على مثال: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾، ومنع صرفها الوزن. وقرئ: (أصغرَ) بالفتح عطفًا على لفظ "مثقال" أو "ذرة"، فهما مجروران بالفتح لمنع صرفهما كما مرَّ.

[٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ معجزة الشفاء بالقرآن: عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا، فجاءت جاريةٌ فقالت: إن سيد الحي سليم - لديغ -، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبنه برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا: أكنت تُحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب -الفاتحة- ، قلنا: لا تُحدثوا شيئًا، حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم» رواه البخاري ومسلم. وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم (يعني اللديغ). قام فريق عملٍ طبي بأبحاث في (أكبر) عيادات في مدينة بنماسيتس بولاية فلوريدا، وقُدِّم هذا البحث =

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٣- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾: الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. أي: أن أولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة. أي أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله. قال ابن عطية: «وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي. وإنما نبهنا هذا التنبيه حذرًا من بعض الصوفية وبعض الملحدين في الولي». ٦٤- ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾: قيل: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له». وقيل: ذلك عند الموت ومعاينة الملائكة تبشره برحمة الله، وفي الآخرة الجنة. ﴿لَا تَبۡدِيلَ ﴾: لا تغيير لوعده وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ﴾: الظفر. ﴿ٱلۡعَظِيمُ ﴾. ٦٥- ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾: يعني: في ربهم وإشراكهم. ٦٦- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾: معناه: وأي شيء يتبع من يدعون من دون الله، يعني غير الله، والله المنفرد بملك كل شيء، في سماء كان أو في أرض؟ والمعنى: أنهم وإن سمّوا معبوداتهم شركاء لله، فليست شركاء له على الحقيقة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾: الشك ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾: يتقولون الكذب، تظنناً وتخرصاً للإفك. ٦٧- ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾: لتهدؤوا فيه وتريحوا أنفسكم عن الكد والكسب. ٦٨- ﴿ قَالُواْ ﴾: يعني: المشركين ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾: بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾: عن الولد، وعن جميع خلقه ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ ﴾: يعني: ما عندكم أيها القوم بما تقولون من حجة تحتجون بها، وهي السلطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾: حقيقته، وتضيفون إليه ما لا يجوز! ٧٠- ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾: بلاغ، أي: افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا يتمتعون به.

[٦٥] معنى اسم لفظ الجلالة الله: والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

[٦٥] معنى اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات،والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٦٥] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٦٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحّاء اللّيل والنّهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانيّة.

[٦٦] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ٦٦]. ذكر بلفظ ﴿ مَن ﴾ وكُرّرَ؛ لأنَّ هذه الآية نزلت في قوم آذَوْا رسول الله ﷺ، فنزل فيهم ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾ [يونس: ٦٥]، فاقتضى لفظ ﴿ مَن ﴾ وكُرِّر؛ لأنَّ المراد: من في الأرض هاهنا لكونهم فيها؛ لكن قدّم ذكر ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ تعظيمًا، ثمّ عطف ﴿ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ على ذلك. [٦٨] ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ ﴾ [يونس: ٦٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ وَقَالُواْ ﴾ [البقرة: ١١٦، مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦]. في يونس بغير واو؛ لأنّه اكتفى بالعائد عن الواو والعاطف. ومثله في البقرة على قراءة ابن عامر. [٦٨] ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:٦٨]. ذكر بلفظ "ما" فكرّر؛ لأنَّ بعض الكفّار قالوا: اتَّخذ الله ولدًا، فقال سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: اتخاذُ الولد إنما يكون لدفع أذًى، أو جَذْب منفعة، والله مالك ما في السّماوات وما في الأرض، فكان الموضع موضع "ما"، وموضع التكرار؛ للتّأكيد والتّخصيص.

= التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجًا عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ أي لا يسمح لهم الحق تعالى بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تأخر) منسجمة موسيقيًا مع سياقها... و(استأخر) كانت كذلك مع سياقها. (تأخر) في آية البقرة تجاويت مع (تعجل) من حيث الوزن.. و(يتأخر) في المدثر تجاويت مع (يتقدّم). و(يستأخرون) في سبأ تجاويت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾. والمد في (تستأخرون) تجاوب مع المدّ في (ميعاد). [٥٨] ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]. الفرح بالله ورسوله وبالإيمان والسنة، وبالعلم والقرآن من أعلى المقامات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن =

= في المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في إستانبول بتركيا، وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات أثر استماع القرآن باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عددٍ من المتطوعين الصُّمّ أثناء استماعهم لتلاوة القرآن، وقد تم تسجيل أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين، بعدما تُليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية، ثم تُليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، كما أثبتت التجارب أن كلمات القرآن بذاتها، وبغضّ النظر عن مفهوم معناها، لها أثرٌ فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر. [٦١] ﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣]. مثقال الذرة: =

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧١- ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾: عظم وشق عليكم ﴿مَّقَامِى﴾: بين أظهركم، فعزمتم على قتالي وطردي ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا على ما تعزمون عليه، وادعوا ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: ملتبساً أو مبهمًا. والغمة: التغطية. ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾: معناه: امضوا إلى ما في أنفسكم وافرغوا منه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: لا تُؤخرون. ٧٢- ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عما دعوتكم إليه ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: ثواب على دعائي لكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: من المذعنين لله بالطاعة. ٧٣- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: يعني: من كان في السفينة مع نوح عليه السلام. والخلائف: جمع خليفة. والمعنى: أنه سبحانه جعلهم خلفاء يسكنون الأرض التي كانت للمهلكين بالغرق، ويخلفونهم فيها. ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الذين أنذرهم نوح عليه السلام. ٧٤- ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج والأدلة ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: ليصدقوا بما جاءتهم رسلهم، بما كذب به قوم نوح، والأمم الخالية ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أمرهم الله به. ٧٥- ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾: أشراف قومه ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون عليهما السلام. ٧٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: لمن عاينه أنه سحر لا حقيقة له. ٧٨- ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا وتلوينا ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: الطاعة والسلطان. عللوا عدم قبولهم دعوة موسى عليه السلام بأمرين: التمسك بالتقليد للآباء، والحرص على الرياسة الدنيوية.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف : ٦٤]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ﴾ [يونس : ٧٣]. أنجينا ونجينا للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾، ولفظ ﴿مَن﴾ يقع على أكثر مما يقع عليه ﴿ٱلَّذِينَ﴾، لأن ﴿مَن﴾ يصلح للواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث، بخلاف الذين فإنه لجمع الذكور فحسب، فكان التشديد مع ﴿مَن﴾ أنسب. أمّا زيادة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ بيونس، فإنه مثال تفصيلي في طائفة معينة من المجمل الوارد في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس : ١٣] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس : ١٤]، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أهلكت بتكذيبها ثم خلفها غيرها، فذكر المتقدم مجملًا، وأنهم جُعلوا خلائف كما جرى فيمن بعدهم.

[٧٤] ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٠١]، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس : ٧٤]. أوّل القصّة في سورة الأعراف ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟﴾ [الأعراف : ٩٦]، وفي الآية ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ وليس بعدها الباء، فختَم القصّة بمثلما بدأ به، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾. وكذلك في سورة يونس وافق ما قبله، وهو: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس : ٧٣]، ثم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس : ٧٣]، فختَم بمثل ذلك، فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾، وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ ما في حقِّ العقلاءِ من التكذيب فبغير الباء؛ نحو قوله: "كذَّبوا رسلي"، و"كذَّبوه"، وغيره؛ وما في حقِّ غيرهم بالباءِ؛ نحو كذبوا بآياتنا وغيرها، وعند المحقِّقين تقديره: فكذَّبوا رسلنا بردِّ آياتنا، حيث وقع، وأمّا ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾، وفي يونس ﴿نَطْبَعُ﴾ بالنون؛ لأنّه قد تقدّم ذكر الله سبحانه في سورة الأعراف بالتّصريح، والكناية، فجمع بينهما فقال: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف : ١٠٠] بالنّون، وختم الآية بالتّصريح فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾، وأمّا في يونس فمبني على ما قبله من قوله: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس : ٧٣]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ [يونس : ٧٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [يونس : ٧٤] بلفظ الجمع، فختم بمثله، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس : ٧٥]. ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذِكرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا، فانظر أيها الرسول متبصرًا كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك نهاية المفسدين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية يونس: ثم بعثنا مِن بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدالة على صدقهما، فاستكبروا عن قَبول الحق، وكانوا قومًا مشركين مجرمين مكذبين.

= يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وقال: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له، وإيثاره له على غيره، فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة. [٥٩] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٩]. مناسبة لما قبلها: (فقد بين تعالى أن من فضله على الناس تبيين الحرام من الحلال على ألسنة الرسل، لئلا يفتروا عليه الكذب بتحريم ما أحل أو عكسه، كما فعل المشركون). [٦٢-٦٣] ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ =

[٧١] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾ قرئ: (فاجمَعوا) بوصل الهمزة وفتح الميم من "جمع" ضد "فرق" وقيل: جمع وأجمع بمعنى. وقرئ: (فأجمِعوا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الميم من جمع، يقال: أجمع في المعاني وجمع في الأعيان، كأجمعت أمري وجمعت الجيش. قوله تعالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ قرئ: (وشركاؤُكم) برفع الهمزة عطفًا على الضمير المرفوع المتصل بأجمعوا، وحسنه الفصل بالمفعول، ويجوز أن يكون مبتدأ حذف خبره. وقرئ: (وشركاءَكم) بالنصب نسقًا على أمركم.

= وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن للذرة ثقلًا يمكن تقديره بالجرامات، وأبلغ من ذلك أن آية سورة يونس يقول الحق فيها: ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾ ومن للتبعيض والتجزئة، أي أن ثقل الذرة هذا يمكن تقسيمه لأثقال أقل يمكن حسابها وتقديرها بالجرامات أيضًا. وكان العرب وقت نزول القرآن لا يعرفون شيئًا عن الذرة، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا عن هذه الحقيقة في القرن العشرين.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٨١- ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ أي: السحر الذي وصفتم به ما جئتكم من الآيات هو هذا الذي جئتم به أنتم، لا أنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: يذهبه. ٨٢- ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ﴾: يثبت ﴿ٱلْحَقَّ﴾: الذي جئتكم به من عنده، فيعليه، ويظهره ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: العاصون لربهم، المكتسبون للإثم. ٨٣- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾: قيل: من بني إسرائيل قوم موسى. وقيل: من قوم فرعون ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يحملهم على الرجوع عن الإيمان ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جبار مستكبر على الله في أرضه ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين الحق إلى الباطل. ٨٤- ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾: به ثقوا، ولأمره سلموا. ٨٥- ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا، ويزدادوا طغياناً. ٨٧- ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾: اتخذا ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مساجد تصلون فيها نحو القبلة. ٨٨- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ﴾: أعطيت ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: بمعنى: فضلوا عن سبيلك، كقوله عز وجل: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص: ٨] ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾: يجوروا عن سبيلك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: غيِّرها، وطمس الشيء: إذهابه عن صورته، فطمس الله على أموالهم فصارت حجارة. وقيل: المعنى: أهلك أموالهم ودمّرها. ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: بالضلالة حتى لا تلين للإيمان ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: الموجع.

[٨٥] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٨٣] ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ [ثاني يونس: ٨٣] الوحيدة، وباقي المواضع ﴿فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾. هنا فحسب بالجمع، وفي غيرها بالإفراد، لأنَّ الضَّمير في هذه السّورة يعود إلى الذرّية، وقيل: يعود إلى القوم، وفي غيرها يعود إلى فرعون. [٩٠] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا ...﴾ [يونس: ٩٠]. وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم.. فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية يونس: وقطَعْنا ببني إسرائيل البحر حتى جاوزوه، فأتبعهم فرعون وجنوده ظلمًا وعدوانًا، فسلكوا البحر وراءهم، حتى إذا أحاط بفرعون الغرق قال آمنت... [٩٠] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ...﴾ [يونس: ٩٠]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ...﴾ [طه: ٧٨]. الآيتان في السورتين تحكيان قصة غرق فرعون، وفي يونس استخدم واو العطف في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، وهذا التعبير قطعي، يعني أن فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى، أمّا في سورة طه فاستخدم الباء في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾، والباء في اللغة تفيد المصاحبة والاستعانة، بمعنى أمدهم بجنوده ولا يشترط ذهاب فرعون معهم، والتعبير في سورة يونس يوحي بأن فرعون عازم بنفسه على البطش والتنكيل بموسى وقومه، لذا خرج مع جنوده؛ لأن سياق الآيات يفرض هذا التعبير، فذكر أنهم مستكبرون ومجرمون، وذكر أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على =

= يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. وإذا كان أولياء الله المؤمنين المتقين، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.

[٧١] ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ما الفرق بين "غَمّ، غُمَّة"؟ الجواب: وردت كلمة (غَمّ) ست مرات، بينما وردت كلمة (غُمَّة) مرة واحدة. (الغمُّ): هو المصدر المجرد. أما (الغُمَّةُ): فهي اسم المصدر. قال الزمخشري: الغمة: السترة، من غمه: إذا ستره. وقال الجوهري: الغم، غمّه، فاغتمَّ، والغُمَّةُ والغَمَةُ: الكُربةُ. لذلك استُخدمت كلٌّ من الكلمتين في سياقٍ خاص. وتأمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]. شبَّه (الأمر) هنا بالساتر الذي يسترهم ويغطيهم، وبهذا فإن الغمة (اسم الذات) بينما الغم (أي الكرب) هو (المصدر المجرد).

[٧١] ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ...﴾ [يونس: ٧١]. من فوائد القصص القرآني: ١- يتم به ويكمل الإيمان بالأنبياء، ومن ذلك أن في قصصهم تقرير الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العمل له والايمان باليوم الآخر، ومن ذلك أيضا أنهم عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين: في مقام التوحيد والقيام بالعبودية وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات، وفي مقام الصدق والإخلاص لله واحتساب الأجر والثواب من الله تعالى. ٢- والقصص القرآني فيه من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحكمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها، وفيها أيضاً من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب والفرج بعد الشدة وتيسير الأمور بعد تعسرها. ٣- وفي القصص القرآني إثبات صدق الوحي المنزل على رسولنا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن النبي ﷺ لم يطلع على الكتب السابقة. ٤- وفي القصص القرآني التسرية عن رسول الله ﷺ والمؤمنين فيما يلاقونه من تكذيب وأذى واتهام بالسحر والجنون. ٥- ومن أهداف القصص القرآني إبراز حقيقة عقدية هامة هي أن الأنبياء والرسل جميعًا جاؤوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تتابع الأجيال كلمة واحدة هي لا اله الا الله، وقضية واحدة هي اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. ٦- ومن هذه الفوائد بيان أن الابتلاء لابد أن يحدث للمؤمنين. ٧- ومن فوائد القصص القرآني بيان أن وظيفة الرسل تبليغ وحي الله تعالى لعباده. ٨- ومن فوائد القصص القرآني بيان أن هداية الدين سبب لزيادة النعم وحفظها كما أنها هي التي تنال بها سعادة الآخرة. ٩- ومن فوائد القصص القرآني الانتفاع بنصائح الأنبياء ومواعظهم الخاصة بكل قوم بحسب حالهم. ١٠- ومن فوائد القصص القرآني محبة الأنبياء والمرسلين وموالاتهم، فمحبة الأنبياء من أعظم أسباب دخول الجنة (المرء مع من أحب)...

[٧٨] ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا﴾ قرئ: (ويكون) بالتذكير لأنه تأنيث مجازي. وقرئ: (وتكون) بالتأنيث نظرًا للفظه. [٩٠] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ إعجاز عددي: ذكر (البغي) في القرآن الكريم (٢٤) مرة، وذكرت (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٨٩- ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾: لم يتقدم الدعاء إلا لموسى عليه السلام. قيل: إن هارون كان يؤمِّن على دعاء موسى؛ فلذلك نسب الدعوة إليهما: ويجوز أن يكونا جميعًا داعيين، وأضاف الدعاء إلى موسى لأصالته في الرسالة، علمًا بأنه قال: «ربّنا». ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: امضيا لأمري ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾: تسلكان ﴿سَبِيلَ﴾: طريق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الذين يجهلون حقيقة وعد الله ووعيده. ٩٠- ﴿بَغْيًا﴾: على موسى ومن معه ﴿وَعَدْوًا﴾: اعتداء عليهم. ٩٢- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: نجعلك على نجوة، وهي المكان المرتفع عمًا حوله، «ببدنك»، أي بجسدك، ينظر إليك هالكاً من كان يكذّب بهلاكك ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: عبرة وعظة. ٩٣- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أنزلنا ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: أي منزلاً محموداً مختاراً، قيل: هو مصر، وقيل: الشام. وقيل بيت المقدس ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من حلال الرزق ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: ما كانوا به عالمين، وذلك أنهم كانوا مجتمعين على مبعث محمد ﷺ وعلى نبوته، غير مختلفين فيما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم؛ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [سورة البقرة: ٨٩]. ٩٤- ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾: من أهل التوراة والإنجيل، كعبد الله بن سلام. وأمثاله من مسلمي أهل الكتاب، فإنهم سيجدونك بما كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم من أمر نبوّتك. وقيل: إن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «ما أشك ولا أسأل» - وهو حديث مرسل ضعيف - وقد علم الله ذلك منه. ومخرج هذا القول كقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فبرّني، وهو لا يشك في أنه ابنه ﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين. ويدل سياق الآية على أن المراد بقوله: ﴿مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلا من بعد مجيئه ﷺ. ٩٥- ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ممن غُبن حظه. والآية مما خوطب به النبي ﷺ والمراد سواه. قال ابن عطية: ولهذا فائدة ليست في مخاطبة الناس به، وذلك شدّة التخويف، لأنه إذا كان رسول الله ﷺ يُحذر من مثل هذا، فغيره من الناس أولى أن يحذر ويتقي. ٩٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: لعنته وسخطه لما عصوه.

= خوف من فرعون وملئه، وذكر أيضًا أن فرعون عالٍ في الأرض ومسرف وأنه يفتن قومه، وأن موسى دعا على فرعون وقومه، وقوله: ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه، ولم يذكر في طه أن فرعون آذى موسى وقومه، ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقًا، لذا فالسياق هنا مختلف، فاختلف التعبير ولم يذكر ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ليناسب سياق الآيات، وبعد أن ضاق قوم موسى ذرعًا بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولى أمر النجاة بنفسه، وكان غرق فرعون وإيمانه عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس :٨٨]، أمّا في طه فقد جاء الأمر وحيًا من الله تعالى لموسى، ولم يتول الله تعالى أمر النجاة بنفسه، وكل هذه الاختلافات بين المشهدين في القصة هي ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة، والله أعلم.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس : ٩٣]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾ [الجاثية : ١٧]. آية يونس تقدم قبلها دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، فأجاب سبحانه دعاء نبيه وطمس على أموال آل فرعون وملئه وأغرقه وآله، ونجى بني إسرائيل من الغرق وقطع دابر عدوهم، وأورث بنى إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوؤن منها حيث شاؤوا، فقال سبحانه معرفًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، أي: مكناهم ومهدنا لهم أمرهم بإهلاك عدوهم، وبما أورثناهم بعد ضعفهم من مشارق الأرض ومغاربها، فبعد تمكن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم، بما شاهدوه من الآيات وعظيم البراهين المعقبة لمن شاهدها عين اليقين، اختلفوا جريًا على ما سبق لهم ولغيرهم ممن أشار إليهم قوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، ويناسب هذا كله تناسبًا =

[٩٢] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جِسْم وجَسَد وبَدَن"؟ الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. أمثلة قرآنية: الجسم: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. الجسد: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. بدن: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

[٨٩] ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَّبِعَانِّ﴾ قرئ: (تَتْبَعانِ) بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء وتخفيف النون على أن "لا" نافية ومعناه: النهي، نحو: لا تضار، أو يجعل حالًا من فاستقيما غير متبعين. وقرئ: (تتّبعانِّ) بتشديد التاء الثانية وفتحها وكسر الباء وتشديد النون، فتكون "لا" الناهية، ولذا أكد بالنون، لأن تأكيد النفي ضعيف. [٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ﴾ قرئ: (إنه) بكسر همزة أنه على الاستئناف. وقرئ (أنه) بفتحها على أن محلها نصب، مفعولًا به لآمنت؛ لأنه بمعنى: صدقت أو بإسقاط الباء، أي: بأنه، وهو كثير.

[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]. إعجاز تاريخي: كشف الدكتور موريس بوكاي في كتابه القرآن والعلم الحديث عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليم مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين، قال الدكتور بوكاي: إن رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منفتاح "Minphtah" خليفة رمسيس الثاني هو فرعون الذي في زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لمومياء منفتاح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون، إن التوراة تذكر أن الجثة ابتلعها البحر، ولكنها لا تعطي تفصيلًا بشأن ما حدث لها لاحقًا، أما القرآن فيذكر أن جثة فرعون الملعون سوف تنقذ من الماء كما جاء في الآية السابقة، وقد أظهر الفحصُ الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ إنها لم تُظهر عليها أي علامات للتلف التام بسبب المكوث =

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٩٨- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾: يقول عز وجل: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بهم بأس الله ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: قيل: إنهم لما أظلهم العذاب وظنوا أنه قد دنا منهم، وفقدوا يونس؛ قذف الله في قلوبهم التوبة، وفرقوا بين كل أنثى وولدها، من الناس والبهائم، وعجُّوا إلى الله أربعين ليلة، أي رفعوا صوتهم بالتلبية والدعاء، فلما عُرف صدقُ توبتهم كشف عنهم العذاب ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لم نعاجلهم العقوبة، واستمتعوا بآجالهم في الدنيا إلى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم. ٩٩- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾: لو شاء ربّك مشيئة القسم والإلجاء لآمن من في الأرض جميعًا، أما أنت فلا تستطيع أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرهم إلى ذلك. وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان! ١٠٠- ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: السخط والعذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: عن الله وآياته وحججه. ١٠١- ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾: يقول الله عز وجل قل يا محمد لمشركي قومك الذين يسألونك، الآيات: ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من الآيات الدالة على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله؛ من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، وصنوف عجائب خلق الله عز وجل، فإن في ذلك موعظة ومعتبراً ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾: الآيات هي التي عُبر عنها بقوله: ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والنذر: جمع نذير، وهم الرسل. ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي لا ينتفعون بأدلة النظر والعقل، ولا بأدلة السمع والنقل، بل يؤثرون الجحود والنكران.. ١٠٤- ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: يقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما جاءني من عنده. ١٠٥- ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: دين الإسلام. ﴿حَنِيفًا﴾: مستقيماً عليه غير مُعوَج عنه.

= لا توقف في وضوحه، ولم يتقدم في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا، أمَّا آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدلالة والبراهين من لدن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية : ٣]، إلى ما تبع هذا من التنبيه بخلقها، وما بث سبحانه فيهما من أصناف المخلوقات، واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها بما ينزل من الرزق اليها، وتصريف الرياح، ثم ذكر سبحانه أن هذه الآيات إنما يعتبر بها ويهتدي بأنوارها من منحه الله تعالى العقل وهداه إلى الاعتبار، ولما كان الاستدلال بهذه الجمل المفصلة أوضح شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية : ٦]، ولكونه أبسط ما ذكر به من خوطب بالقرآن، ثم لم يجد ذلك في حق من سبق له الشقاء منهم إلا المنافرة والمخالفة، أعقبت بذكر من ترادفت وتوالت عليه الآيات وكثرت في حقه الشواهد، ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف والعدول عن سلوك المنهج الواضح وهم الممتحنون بالاختلاف من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، فاقتضى ذلك ما قدم من بسط الآيات، وواضح ما خصه تعالى من واضح الدلالات في صدر هذه السورة، ببسط ما منحه بني إسرائيل... ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثلما بسط في سورة الجاثية من الاعتبار لما يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجاز بالإيجاز والإطناب بالإطناب، وجاء كلٌّ على ما يجب ويناسب، مع اتحاد المقصود في السورتين.

[١٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٥]، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠]. آية الأنعام تبين أن الله يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به، وأمَّا آية يونس فتوضح أن الله يجعل العذاب والخزي على الذين لا يعقلون أمره ونهيه.

[١٠٤] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ١٠٤]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل : ٩١]. قبل آية يونس ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ١٠٣] فوافقه، وفي النَّمل أيضًا وافق ما قبله، وهو قوله: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل:٨١]، وقد تقدّم في يونس: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس : ٧٢].

[٩٤] ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس : ٩٤]. في الآية تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قوله: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ قرئ: (ونجعل) بالنون على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك، ولمناسبة ما قبله من قوله: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ وقرئ: (ويجعل) بالياء لمناسبة قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

= الطويل في الماء، وذكر موريس بوكاي ما نصه: وجاءت نتائج التحقيقات الطبية لتدعم الفرضية السابقة، ففي عام ١٩٧٥م جرى في القاهرة انتزاع جزعة صغيرة من النسيج العضلي، بمساعدة الأستاذ مايكل دوريجون "Mickel Dorigon"، وأظهر الفحص الدقيق بالميكروسكوب حالة الحفظ التام لأصغر الأجزاء التشريحية للعضلات، وتشير إلى أن مثل هذا الحفظ التام لم يكن ممكنًا لو أن الجسد بقي في الماء بعض الوقت، أو حتى لو بقي خارج الماء طويلًا قبل أن يخضع لأول عمليات التحنيط، وفعلنا أكثر من ذلك، ونحن مهتمون بالبحث عن الأسباب الممكنة لموت فرعون، جرت الدراسات الطبية الشرعية للمومياء بمساعدة سيكالدي "Ceccaldi" مدير مخبر الهوية الفضائية في باريس، والأستاذ دوريجون، وظهر لنا بالتحقيق وجود سبب لموت سريع بفعل كدمات جمجمية مخية سبَّبت فجوة ذات حجم كبير في مستوى صاقورة القحف مترافقة مع آفة أرضية، ويتضح أن كل هذه التحقيقات متوافقة مع قصص الكتب المقدسة التي تشير إلى أن فرعون مات حين ارتد عليه الموج، وقال الدكتور بوكاي: وفي العصر الذي وصل فيه القرآنُ للناس عن طريق محمد ﷺ كانت جثث كل الفراعنة الذين شكَّ الناسُ في العصر الحديث أن لهم علاقة بالخروج- كانت مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية، في عصر محمد ﷺ، كان كل شيءٍ مجهولًا عن هذا الأمر، ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وبالتالي فإن جثة فرعون موسى التي ما زالت ماثلةً للعيان إلى اليوم تُعدُّ شهادةً جلية في جسدٍ محنَّطٍ لشخص عرف موسى ـ عليه السلام ـ وعارضه وطارده ومات أثناء هذه المطاردة، وأنقذ اللهُ جثته من التلف التام ليصبح آية للناس، كما ذكر القرآنُ الكريم، وهذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحدٍ من البشر عند نزول القرآن، ولا بعد نزوله بقرون عديدة.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٖ ۝١٠٨ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝١٠٩

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ۝٤ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥

١٠٧- ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: يقول عز وجل: فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبينه. ١٠٨- ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فإن ضلاله ذلك، إنما يجني به على نفسه لا على غيرها. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٖ﴾: بمسلط على تقويمكم. ١٠٩- ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: اتبع ما رسمه لك شرعك. واصبر على ما ينالك في الله من أذى، حتى يحكم الله بينك وبينهم في الدنيا بالنصر عليهم، وفي الآخرة بعذابهم.

سُورَةُ هُودٍ

١- ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾: يعني القرآن ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بالأمر والنهي. وبالنظم الرصين المتقن بحيث لا يلحقه نقص أو نقض، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بالثواب والعقاب. وقيل: «فصلت»: فسرت ﴿مِن لَّدُنْ﴾: من عند ﴿حَكِيمٍ﴾: بتدبير الأشياء ﴿خَبِيرٍ﴾: بما تؤول إليه عواقبها. ٣- ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبودية له ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: يبسط لكم من الدنيا رزقها، وينسئ آجالكم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: إلى الوقت الذي قضى عليكم فيه بالموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥ﴾: ما احتسب به من ماله، أو عمل بيديه، أو تطوع به من خير ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا، ومعناه: فإن توليتم. ٥- ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾: كان المنافقون إذا مروا برسول الله ﷺ يثني أحدهم صدره، ويطأطئ رأسه، ويتغشى، أي: يغطي رأسه بثوبه كي لا يراه النبي ﷺ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما أخفته الصدور، وما اشتملت عليه القلوب والضمائر.

[١٠٧] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [١٠٧] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ - هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كل ذلك من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. قال ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣، ٥]، سمّى ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، فالخلق تضمن الابتداء، والكرم تضمن الانتهاء. كما قال في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه... والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فإنه لا يدل على الحصر. وقوله: ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾ يدل على الحصر، ولم يقل: ((الأكرم من كذا)) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيّد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه. [١٠٩] معنى اسم الله الحكم: والله سبحانه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا وصَّل إليه حقه. وهو العدل في تقديره وتدبيره وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله وأفعاله، كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة كما قدمنا.

[٥] قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ روى البخاري عن ابن عباس في الآية. قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم، وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال: كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره وتغشى ثوبه لكيلا يراه، فنزلت.

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]. مع قصد التنويع، فإن الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله تعالى، فاستوى فيه الموضعان، وأمَّا الخير فقد يراد قبل نيله بزمن إما من الله تعالى، ثم ينيله بعد ذلك أو غيره، فهماحالتان: حالة إرادته قبل نيله، وحالة نيله فذكر الحالتين في السورتين، فآية الأنعام حالة نيله فعبَّر عنه بالمس المشعر بوجوده، ثم قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾، أي: على ذلك وعلى خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله، وآية يونس حالة إرادة الخير قبل نيله فقال: ﴿يُرِدْكَ﴾، ثم قال: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، أي: إذا أراده قبل نيله؛ ولذلك قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، ففي الآيتين بشارة له بإرادة الخير ونيله إياه.

[١] ﴿الٓر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الٓر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، =

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد). وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة هود: نزلت بعد سورة يونس، وهي مكيّة بالإجماع. عدد كلمات سورة هود: ألف وتسعمائة وإحدى عشرة كلمة. عدد حروف سورة هود: وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة. أسماء سورة هود: وسمّيت سورة هود لاشتمالها على قصّة هود عليه السّلام وتفاصيلها. مواضيع سورة هود: المقصود الإجمالي من =

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يعني: كل ما دب على الأرض، والناس منهم ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: مستقرها: محل استقرارها في الأرض، أو محل قرارها في الأصلاب. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: إيجاب تفضل. «ومستودعها»: حيث يودعها بموت أو دفن، أو موضعها في الأرحام، ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: عند الله عز وجل مكتوب مثبوت. ٧- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: اي كان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش من مخلوقات الله تعالى بل هو أعظمها. وتدل الآية على أن خلق العرش والماء، متقدم على خلق السماوات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم. ٨- ﴿أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى أمد معدود ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: اي: اي شيء يمنعه من تعجيل ما يتوعدنا به ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزل ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: مما جاء به أنبياؤهم من الحق. اي: احاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاءً منهم. ٩- ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: من اليأس يظل قانطاً من رحمة الله وخيره ﴿كَفُورٌ﴾: قليل الشكر. ١٠- ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾: يعني: الشدائد والعسر ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: بالنعم ﴿فَخُورٌ﴾: بما نال، غير شاكر لله. ١١- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: عند البلاء، والشدة ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: في النعمة. ١٢- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: اي: فلعلك لعظم ما تراه منهم من الكفر والجحود، والتكذيب لآياته أو اقتراح الآيات عليك على حسب هواهم! تارك بعض ما أنزل عليك، وهذا الكلام خارج مخرج الاستفهام، اي: هل أنت تارك؟ وقيل: هو في معنى النفي مع الاستبعاد، اي: لا يكن منك ذلك، بل بلّغهم جميع ما أنزل الله عليك أحبوا ذلك أم كرهوه، شاؤوا أم أبوا. والآية الكريمة واضحة الدلالة في أن النبي ﷺ في مقام النبوة والتبليغ ﷺ. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: قيم على كل شيء، وإليه تدبيره.

[١] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتَهُ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا...؟ [١] معنى اسم الله الخبير: الخبير هو العالم بما كان وما يكون، أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. والفرق بين العلم والخَبَر: أن الخَبَر هو العلم بكنه المعلومات على حقيقتها؛ ففيه معنى زائد على العلم.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا، فتناهى القوم قليلاً ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله.

= فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم.

[٦] ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا...﴾ [هود: ٦]. ليس في الأرض حيوان يدبُّ على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم.. فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا آية هود: لقد تكفَّل الله برزق جميع ما دبَّ على وجه الأرض فضلًا منه، ويعلم مكان استقراره في حياته وبعد موته... [٧] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. الله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك؛ فهذا ما ورد بموضع سورة هود، أمَّا باقي مواضع القرآن فتبين أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وما فيهن في ستة أيام ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، يدبر أمور خلقه، لا يضادُّه في قضائه أحد...

[٣] ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفرادى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصة لله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفيافي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان ٩- المستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، ويرزقهم رزقًا رغيدًا، وعيشًا هنيئًا، فيهنؤون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس =

[٧] ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرر لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة.

= السورة بيان حقيقة القرآن، واطِّلاع الحقِّ سبحانه على سرائر الخلق وضمائرهم، وضمانُه تعالى لأرزاق الحيوانات، والإشارة إلى تخليق العَرْش، وابتداءِ حاله، وتفاوت أحوال الكفَّار، وأقوالهم وتحدّي النبي ﷺ بالإتيان بمثل القرآن، وذم الطلاب المُعْرِضين عن العُقْبى، ولعن الظالمين وطردهم، وقصّة أهل الكفر =

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٤- ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ ﴾: لم يفعلوا ما طلبته منهم وتحديتهم به. ١٥- ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾: يوفَّون أجور أعمالهم فيها، ولا ينقصون شيئاً. ١٦- ﴿ وَحَبِطَ ﴾: بطل ﴿ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا ﴾: ما عملوا من أعمالهم ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: لأنهم عملوا لغير الله. ١٧- ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: يعني النبي ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: وقيل: هو لسانه عليه السلام يتلو به القرآن. وقيل: «أفمن كان على بينة من ربه» يعني محمداً ﷺ هو على بينة من ربه «ويتلوه شاهد منه»: هو جبريل عليه السلام: شاهد من الله عز وجل، يتلو على محمد ما بعث به ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾: قيل: معناه: ومن قبله جاء بالكتاب إلى موسى ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾: نصب على القطع، على الحال، من «كتاب موسى»، كقوله عز وجل: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [سورة الزمر: الآية ٩] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾: يقولون: هؤلاء الذين ذكرت يصدقون به، إن كفر به هؤلاء المشركون ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾: يجحد به، يعني القرآن ﴿ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾: من أهل الملل كلها، والكفار أحزاب كلهم على الكفر ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ ﴾: في شك أن القرآن من عند الله وأنه حق. ولم يمتر رسول الله ﷺ، ومعنى هذا الكلام كقوله في سورة يونس الآية ٩٤: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ وقد تقدم القول فيه. (ص ٢١٩). ١٨- ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾: الملائكة والأنبياء، وهو: جمع «شاهد»، كما «الأصحاب»: جمع «صاحب». ١٩- ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: الإسلام، قيل: هم مشركو قريش الذين كانوا يصدون الناس عن الإيمان بالله عز وجل ويفتنونهم ﴿ وَيَبْغُونَهَا ﴾: يلتمسون سبيل الله زيغاً وميلاً.

[١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ [هود: ١٠]، ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فصلت: ٥٠]. والله أعلم: أنه لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة، أمَّا سورة فصلت فتقدم فيها قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ [فصلت: ٤٧]، تنبيهًا على سوء مرتكبهم، فلما تقدم ذكر الشركاء قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾، ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله: "مِنَّا"، وأمَّا زيادة: "مِن" في قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾، فمناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة، فناسب ذلك الزيادة، ولإيجاز هذا القصد في سورة هود ناسبه سقوط "مِن"، فجاء كل على ما يناسب ويجب، ولم يكن ليلائم كلًا من الموضوعين إلا ما ورد فيه، والله أعلم.

[١٧] ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ... ﴾ [هود: ١٧]، ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ... ﴾ [الأحقاف: ١٢]. الآيتان تبينان أن الله أنزل من قبل هذا القرآن التوراة إمامًا لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وآية هود تبين جزاء المؤمنين والكافرين بهذا القرآن..، وأمَّا الأحقاف فتوضح أن هذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب... [١٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [هود: ١٩]. ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ بالأعراف جاء على القياس، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدّم "بالآخرة" تصحيحًا لفواصل الآية، وفي هود لمّا تقدّم ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ١٨]، ثمّ قال: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]، ولم يقل "عليهم" والقياس ذلك- التبس أنّهم هم أم غيرهم، فكرّر وقال: ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾، ليعلم أنّهم هم المذكورون لا غيرهم. قول آخر: ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ بهود اختصت بزيادة ضمير التوكيد الذي يفيد التقوية؛ لأن المقام هنا تسجيل إنكارهم البعث وتقريره إشعارًا بما يترقبهم من العقاب المناسب- فحكى به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر عقابهم فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلتا المقالتين واقع، وإنما يحكي البليغ فيما يحكيه ما له مناسبة لمقام الحكاية.

= وأخفهم أوزارًا. ١١- الاستجابة لنصوص الكتاب... ١٢- المتاع الحسَن في الدُّنيا، وإيتاء كلِّ ذي فضلٍ فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممَّن شملتهم رحمة الله ووده. ١٥- به تُجلَب النِّعم وتُدفع النِّقم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نُزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنَّه سببٌ في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحلُّ المشاكل الصعبة والعويصة. ١٩- أنَّه سببٌ لانشراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبَّد لربِّه عزَّ وجلَّ ويقرُّ له بصفة الغفَّار. ٢١- ومن أهمِّ فوائد الاستغفار وثمراته أنَّه دَواء الذنوب... وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [٦] ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]. ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فضلاً لا وجوبًا. قيل لأبي أسيد: من أين تأكل؟ فقال: سبحان الله والله أكبر! إن الله يرزق الكلب أفلا يرزق أبا أسيد؟

[١٣-١٥] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ... ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٥]. ولما كان الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم شيئان: إما الجهل وإما =

[١٢] ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الضيق)، مع مشتقات كلمة (الطمأنينة)، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في كتاب الله عز وجل. [١٥] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ورد (١٤٥) مرة. [١٥] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. وردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) مرة.

= والإيمان، وتفصيل قصّة نوح، وذكر الطوفان، وحديث هود، وإهلاك عاد، وقصة صالح وثمود، وبشارة الملائكة لإبراهيم وسارة بإسحاق، وحديث لوط، وإهلاك قومه، وذكر شُعَيب، ومناظرة قومه إيَّاه، والإشارة إلى قصّة موسى وفرعون، وبيان أن فرعون يكون مقدّم قومه إلى جهنّم، وذكر جميع أحوال القيامة، =

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

٢٠- ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لا يفوتونه إذا أرادهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنصار ينصرونهم ويحولون بينهم وبين الله عز وجل ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: يزاد ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾: ختم الله على سمعهم وأبصارهم، وحال بينهم وبين طاعته، فلا يسمعون الحق ولا يبصرونه. ٢١- ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: غبنوها حظها من رحمة الله تعالى ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: بطل وذهب، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من الآلهة التي يدّعون أنها تشفع لهم، ولم يبق بأيديهم إلا الخسران. ٢٢- ﴿لَا جَرَمَ﴾: بمعنى: لابُدّ. وقيل: بمعنى: حقاً. ٢٣- ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أنابوا، إليه، وقيل: خشعوا وخضعوا، والإخبات: الإنابة. ٢٤- ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: أهل الكفر، وأهل الإيمان. ٢٥- ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أنذركم من بأس الله. «مبين» يُبين لكم عما أرسل به من أمر الله ونهيه. ٢٧- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الكبراء من قوم نوح ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: سفلتنا دون كبرائنا ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: فيما يبدو لنا من ظاهر الرأي، أي: دون تثبت أو تعمق. ٢٨- ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: على علم وبيان من الله يوجب عَلَيَّ الإخلاص له ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾: التوفيق والنبوة والحكمة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فلم تهتدوا لها، ولم تصدقوا رسلكم فيها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنأخذكم بالدخول في الإسلام أو بالبيّنة والرحمة وقد عماها الله عليكم؟ ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾: بل نكل أمركم إلى الله وقضائه.

[١٤] ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]. عدّت هذه الآية من المتشابه في فصلين: أحدهما حذف النّون من "فَإِلَّم" في سورة هود وإثباتها في غيرها، وهذا من خواص كتابة المصاحف، والثّاني جمع الخطاب فيها، وتوحيده في القصص؛ لأنَّ ما في سورة هود خطاب للكفّار، والفعل لمن استطعتم، وما في القصص خطاب للنّبي ﷺ، والفعل للكفار. [١٧] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ...﴾ [هود: ١٧]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ...﴾ [محمد: ١٤]. أفمَن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام.. فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية محمد: أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته، كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله... [٢٢] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩]. آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فصدُّوا عن سبيل الله، وصَدُّوا غيرهم صدًا استحقوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا وأضلوا فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى، أمّا آية النحل فإنه لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ويوجد وجه آخر عن طريق اللفظ وهو موافقة الفواصل، ففي هود قبل قوله: "الأخسرون" قوله: "يبصرون، يفترون"، فما قبل الواو والنون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلها، بخلاف "الخاسرون" في آية النحل فإنها موافقة لما تقدمها كـ: "الكافرين والغافلين". [٢٧] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ...﴾ [هود: ٢٧]، ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ...﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فقال رؤساء الكفر من قومه: إنك لست بملَك ولكنك بشر، فكيف أُوحي إليك مِن دوننا.. فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية المؤمنون: كذَّب نوحًا أشراف قومه، وقالوا لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلًا عليكم... [٢٨] ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾ [هود: ٢٨]، ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣]. إن قوم صالح قد بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود: ٦٢]... فلما بالغوا في إساءة الجواب جاوبهم عليه السلام ردًا لمقالهم الشنيع بقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣]، أي: كيف ترون إن كنت على بينة واضحة، وعلى يقين من ربي، وآتاني منه رحمة فعصيته بموافقتكم.. وأكد بتقديم المجرور في قوله: ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ لما يحرزه تقديمه من التأكيد، ويعطيه بمفهومه من أن الرحمة منه سبحانه لا يشاركه فيها غيره، وهو مخصوص لا يحصل مع تأخيره، فتقديم هذا الضمير المجرور كتقديمه في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]... ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب أتى بالمجرور مؤخرًا في محله على ما يجب.

= فساد القصد، ذكر ما يزيل الجهل (وهو الآيات الدالة على صدقه) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، ثم ذكر أهل فساد القصد بقوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [١١] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر. ٣- معية الله تعالى. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته. ٥- توقف النصر على الصبر. ٦- محبة الله تعالى. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنِّى﴾ قرئ: (إني) بكسر الهمزة على إضمار القول، أي: فقال: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾. وقرئ: (أني) بالفتح على تقدير حرف الجر، أي: بأني ولأني، و"أرسل" يتعدى إلى مفعولين ثانيهما بحرف جر. [٢٧] ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ قوله تعالى: ﴿بَادِىَ﴾ قرئ: (بادئ) بالهمز، ووجهه أنه جعله من الابتداء تقديره: "أنهم قالوا لنوح ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا في أول الأمر" أي: ما نراك في أول الأمر. وقرئ: (بادي) بغير همز على أنه من بدا يبدو إذا ظهر، والمعنى: "ما اتبعك فيما ظهر لنا من الرأي إلا الأراذل" كأنه أمر ظَهَرَ لهم من غير تيقن منهم. [٢٨] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ قرئ: (فعُمِّيت) بضم العين وتشديد الميم، أي: عماها الله عليكم. وقرئ: (فعَمِيت) بفتح العين وتخفيف الميم مبنيًا للفاعل وهو ضمير البينة، أي: خفيت.

= وتفضيل الفريقين والطريقين، وأمر الرّسول ﷺ بالاستقامة، وتجنُّب أهلِ الظُّلم والضَّلال، والمحافظة على الصّلوات الخمس، والطَّهارة، وذكر الرّحمة في اختلاف الأُمّة، وبيان القصص، وأنباءِ الرسل. لتثبيت قلب النبي ﷺ، والأَمر بالتَّوكُّل على الله في كلِّ حال. فضل سورة هود: عن أبي بكر الصديق قال: قلت: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب قال: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت". أخرجه الترمذي وغيره وصححه الألباني.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩- ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: على التبليغ، أو على نُصحه ودعائه ﴿مَالًا﴾: أجراً وجزاءً من عرض الدنيا ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾: هو يجازيني ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾: بمُقصٍ ومبعد من آمن بالله، وكان قومه قد سألوه طرداً لمن آمن به من ضعفة المسلمين، وقالوا: لن نرضى أن نكون نحن وهم في هذا الأمر سواء. وهذا نظير ما اقترحت قريش على رسول الله ﷺ بطرد أتباعه بمكة، الذين لم يكونوا من قريش ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: فيسألهم عن أعمالهم. ٣١- ﴿لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ﴾: تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: من المؤمنين. ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾: بل قد آتاهم الخير العظيم بالإيمان به واتباع نبيّه. فهو مجازيهم في الدنيا والآخرة. ولا يضرهم احتقاركم لهم شيئًا. ٣٢- ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا. ٣٣- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين عما أراده الله بكم بهربٍ أو مدافعة، لأنكم في قبضة القدرة. ٣٤- ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: يهلككم، الغوى: المرض والهلاك. وقيل: الإغواء: الإضلال، والمعنى: إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي، إن كان الله يريد أن يضلكم عن سبيل الرشاد، ويخذلكم عن طريق الحق. ٣٥- ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾: إثمي وذنبي. ٣٦- ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: لا تحزن ولا تأس. ٣٧- ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بعين الله عز وجل. وقيل: بمرأى منّا. قال ابن عطية: فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ، ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير. ﴿وَوَحْيِنَا﴾: بأمرنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾: لا تسألني العفو عن ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾.

[٢٩] ﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾: [هود : ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. لأنّه وقع في قصّة نوح بعدها "خزائن"، ولفظ المال للخزائن أليق.

[٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [الأنعام : ٥٠]، ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾[هود : ٣١]. الوارد في سورة هود إنما هو حكاية قوم نوح عليه السلام متلطفًا، ومشفقًا من حال قومه، ألا ترى استفتاح خطابه لهم بقوله: ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾[هود : ٢٨] وقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾[هود : ٢٩] وقوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾[هود : ٣٠]... فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام، وما يفهم من كلامه من عظيم الإشفاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذهم بمرتكباتهم، فهذا كله استلطاف في الدعاء لا يلائمه تكرار كلمة تفهم تعنيفًا أو توبيخًا، والتأكيد والتكرار يفهم ذلك، ويردان حيث يقصد، وأمّا قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ فوارد طي كلام أمره ﷺ بتبليغه عتاة قريش، والعرب توبيخًا لهم، وتقريعًا، فقيل: ﴿ قُل ﴾، والمراد قل يا محمد ﷺ: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾... فتكرر فيها قوله: ﴿ لَكُمْ ﴾ تأكيدًا يفهم التعنيف ويناسب التوبيخ والتقريع. [٣٥] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ... ﴾ [هود : ٣٥]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ... ﴾ [الأحقاف : ٨]. بل أيقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنتُ قد افتريتُ ذلك على الله فعليَّ وحدي إثم ذلك.. فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية الأحقاف: بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن؟ قل لهم أيها الرسول: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئًا، إن عاقبني على ذلك...

[٣٢] ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢]، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]. ما الفرق بين: "الجدل والجدال"؟ الجواب: (الجدل والجدال) كلاهما يحمل معنى المراء والخصومة، إلا أن كلمة (الجدال) مشتقة من الفعل الرباعي (جادل)، وهذا الفعل ومصدره يدلان على المشاركة، فكلمة (الجدال) وردت في موضعين كان النقاش فيهما يجري بين طرفين، قال تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧]، والجدال في الحج يكون بين طرفين (مُجادِل ومُجادَل معه)، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢]، فنوحٌ عليه السلام كان يجادلهم بأدلة الإيمان وكانوا هم يجادلونه بادعاءات الكفر. أما (الجدل) فمشتقة من الفعل الثلاثي (جدل)، وقد جاءت في القرآن بمعنى الانفرادية، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]، وكان النظرُ هنا في الآية للإنسان من حيث كونه إنسانًا، ونُظر إلى موضوعه كقضية واحدة ليس فيها طرف آخر، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فهذا وصف لهؤلاء القوم باعتبارهم وحدةً واحدةً لا باعتبارهم طرفًا في خصومة، لأن الرسول ﷺ (وهو الطرف الآخر) لا يجادل، وإنما يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. [٤٢] ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [المائدة: ٥٨]، ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]. ما الفرق بين "النداء والدعاء"؟ الجواب: أولًا: النداءُ في القرآن: جاء النداء في القرآن على أحوال، هي: ١- إسناد النداء إلى الله: مثل قوله تعالى- والنداء هنا من الناس لله-: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود: ٤٥]. ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٢ - ٣]. ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]. ٢- النداء بين العباد بعضهم لبعض: كما قال تعالى عن نوح -عليه السلام- وابنه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]. ٣- نداء من الملائكة للناس: كقوله تعالى عن زكريا -عليه السلام- ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ٤- نداء من الله تعالى للناس: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠ - ١١]. ٥- طلب الإقبال إلى الصلاة سماّهُ القرآنُ نداءً: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [المائدة: ٥٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]. ٦- طلب الإقبال للإيمان سماّهُ القرآنُ نداءً: كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [آل عمران:١٩٣]. سؤال: لم كان النداء بـ(رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ ﴾ وليس «ونادى =

[٤٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ﴾ هنا، والمؤمنون : ٢٧، قرئ: (كلٍ) بتنوين كل منهما على تقدير محذوف عُوِّض عنه التنوين، أي: من كل حيوان، وزوجين مفعول لـ (احمل). وقرئ: (كلِ) بغير تنوين على إضافة كل إلى زوجين، فاثنين مفعول "احمل" و"من كل زوجين" محله النصب على الحال من المفعول؛ لأنه كان صفة للنكرة، فلما قدم =

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨- ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾: استهزؤوا، وقالوا: تحولت نجاراً بعد النبوة! ٤٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: وعدُنا بالطوفان ﴿وَفَارَ﴾: نبع ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: قيل: وجه الأرض. وقيل: «التنور» الذي كان يُخبز فيه أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام «إذا رأيت تنُّور أهلك يخرج منه الماء فاركب السفينة، فإن تلك الآية آية هلاك قومك». وقيل: معنى فار التنور: التمثيل بحضور العذاب، كقولكم: حمي الوطيس: إذا اشتدت الحرب. ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: من كل صنف ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾: نساءك وولدك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: العذاب، وهي امرأته. وقيل: ابنه. ٤١- ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾: قال نوح لمن معه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾: مسيرها ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾: وقفُها. ٤٢- ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾: عنه لم يركب معه. ٤٣- ﴿يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: يمنعني. ٤٤- ﴿ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: اشربي ﴿أَقْلِعِى﴾: أمسكي المطر ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾: ذهبت به الأرض ونشفته ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: هلاك القوم ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: السفينة ﴿ٱلْجُودِىِّ﴾: جبل بناحية الجزيرة والموصل، وكان ذلك يوم عاشوراء، فصامه نوح ومن كان معه شكراً لله عز وجل. ٤٥- ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا خلاف فيه، من أن تُنجّي لي أهلي.

[٤٠] ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود : ٤٠]، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ [المؤمنون : ٢٧]. لفظ "احمل" أوسع موقعًا في اللغة وأكثر تصرفًا في الكلام تقول: حملت الشيء إلى فلان، وحملته على كاهلي... ولا تقول في شيء من هذا "سلك"، وأما "سلك" فإن العرب تقول سلكت الشيء في الشيء وأسلكته، أي: أدخلته... وقليلاً ما تخرج كلمة "سلك" عن هذا المعنى من الدخول حقيقة ومجازًا، ففيها من حيث معناها خصوص، وأما "حمل" ففيها اتساع لا يكون في "سلك". فوجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى، ومن حيث ما اقترن بها من لفظ: "قلنا"، فطال الكلام لفظًا مع ما أشرنا إليه من سعة المحامل، وإن لم يرد جميعها هنا، لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من استيفاء قصة نوح، عليه السلام، وطول الكلام بذلك، وأمَّا آية المؤمنون ففي قصة نوح فيها إيجاز وإجمال، ألا ترى أنها -أي آية هود- على الضِعْف، أو أطول مما في سورة المؤمنون، فلذلك ورد في سورة المؤمنون لفظ "اسلك" لإيجازه من حيث معناه مما يحرز الطول، بخلاف ما في سورة هود، ومما يعضد هذا المقصود ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل تنظير "حتى" وهي على أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنون في قوله: "فإذا"، وإنما الفاء على حرف واحد، فنوسب بالفاء موضعها المبني على الإيجاز، وبـ"حتى" موضعها المبني على الاستيفاء والطول، فقد وضح ورود كل من ما في السورتين على ما يجب ويناسب، والله سبحانه أعلم.

[٤٠] ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود : ٤٠]، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون : ٢٧]. سورة هود فيها تفصيل وتعميم بدليل قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ﴾، ويقصد بـ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، أي: امرأته وابنه لأنهما كانا كافرين، ثم زاد ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، أي: من آمن من غير أهلك، وكأنما التركيز هنا على المؤمنين، أمَّا سورة المؤمنون فقد أكد ألا يركب معك في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بزيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ مع ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾، وكأن التركيز هنا على الكافرين، وهذه فيها خصوصية عما جاء في سورة هود من العموم.

= نوحٌ الله». وكذلك: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ وليس «وأيوب إذ نادى الله». وكذلك ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ وليس «وزكريا إذ نادى الله».

والجواب: أن المنادي راجٍ لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل، ولذلك تعلّق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يُقرر حقيقةً هامةً وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظ «رب» يشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياءٍ وإماتةٍ ونفع وضر... لم النداء وليس الدعاء؟!! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ﴾، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾، وليس «ودعا نوح ربه» و«أيوب إذ دعا ربه» و«وزكريا إذ دعا ربه»، فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟!! والجواب!! أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروفٍ واحدةٍ من الشدة والكرب العظيم والبلاء المبين، فنادى كلٌّ منهم ربه رافعًا صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت)، فهو أخصُّ من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد واللهُ قريب، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعدُ هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلوّ وليس تباعد مكان.. فالله هو العليُّ العظيمُ يعلو بسلطانه على مخلوقاته علوًّا كبيرًا فإذا نادى العبدُ ربه، فليس لأنه بعيدٌ عنه في المكان، بل بُعدُهُ يعني انحطاط رتبة العبد أمام قيُّوم السماوات والأرض العلي الحكيم. ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء، وله خواصُّ تختلف عن الدعاء بل هو أخصُّ وأصفى وأخلص، وأظهر تفاؤلًا، وأظهر وأنقى معنًى.. رغم أن كلًا من الدعاء والنداء عبادةٌ، وفيه خيرٌ. [٤٤] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود : ٤٤]. عن مجاهد ﴿ٱلْجُودِىِّ﴾: جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يوم الغرق، وتواضع هو لله فلم يغرق، وأرسيت عليه سفينة نوح.

= عليها نصب حالًا. [٤١] ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾ قرئ: بفتح الميم مع الإمالة من جرى الثلاثي. وقرئ: بالضم من أجرى المزيد. [٤٢] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ حيث جاءت، قرئ: (يابنيَّ) بفتح الياء في الستة، وذلك لأن أصل ابن "بنو" صُغِّر على "بنيو"، فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ثم لحقتها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقلبت ألفًا، ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة. وقرئ: (يابنيْ) بسكون الياء للتخفيف. وقرئ: (يابنيِّ) بكسر الياء مشددة فيها، قيل: إن الأصل في هذه الكلمة ثلاث ياءات: الأولى: للتصغير، والثانية: لام الفعل في ابن لأن أصله بني على فعل، والتصغير يَردُّ المصغرات إلى أصلها فردت إليها لأنها أصلية، وامتنعت ياء التصغير عن دخول الحركات فيها، والثالثة: ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة التي ينكسر ما قبلها أبدًا، فأدغمت ياء التصغير في الثانية، وفي لام الفعل، وكسرت لأجل ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة تدل على ياء الإضافة؛ وكلها لغات.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٦- ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: من أهل ولايتك ودينك، ولا ممن وعدتُك أن ننجيه. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾: قيل: معناه: سؤالك إياي ما تسأله في ابنك المخالف لك عمل غير صالح، وقيل: معناه: إنه- أي ابنك- ذو عملٍ غير صالح، ويؤيد هذا التفسير: قراءة بعض القرّاء: «عَمِلَ» على لفظ الفعل. أي أن ابن نوح عمل عملاً غير صالح، وهو كفره وعدم متابعة أبيه. ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: في مسألتك إياي عن ذلك. ٤٧- ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾: زلتي في مسألتي هذه، لأن سؤاله لم يطابق الواقع، وسائر ذنوبي. ٤٨- ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾: بأمن ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: ناشئة ممن معك، وهم المتشبعون من ذرية من كان معه في السفينة. ممن لم يولد بعد، ممن سبقت له عند الله السعادة. ٤٩- ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: يقول: إن الخير من عواقب الأمور للمتقين. ٥٠- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: إلى آخر الآية. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: أهل فرية في إشراككم بالله عز وجل، فتكذبونني وتختلقون الباطل. ٥١- ﴿عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خلقني. ٥٢- ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: قطر السماء متتابعاً ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾: تُدبروا عما أدعوكم إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾: يعني: كافرين بالله. ٥٣- ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: ببيان وبرهان. قالوا هذا عنادًا وبعدًا عن الحق، لأن هودًا عليه السلام جاءهم بالحجج والبراهين.

[٥٧] معنى اسم الله الحفيظ: ((للحفيظ)) معنيان: المعنى الأول: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية؛ فإنَّ علمه محيط بجميع أعمالهم: ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللَّوح المحفوظ، ووكَّل بالعباد ملائكة كِراماً كاتبين، فهذا المعنى من حفظه يقتضي. إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاته عليها بفضله وعدله. والمعنى الثاني: من معنيي ((الحفيظ)) أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، وحفظه لخلقه نوعان: عام، وخاص. النوع الأول: حفظه العام لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، كالهداية للمأكل والمشرب والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضارّ، وهذا يشترك فيه البَرُّ والفاجر... والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضرّ إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشُّبَهِ والفتن والشهوات... [٦١] معنى اسم الله القريب: من أسماء الله تعالى: ((القريب))، وقربه نوعان: النوع الأول: قربٌ عام: وهو إحاطة

[٥٠] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود : ٥٠]. الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة عاد أخاهم هودًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تدعوهم إلى تقوى الله عز وجل، وآية هود تبين أنهم كاذبون في إشراكهم بالله. [٥٧] ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ [التوبة : ٣٩]، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود : ٥٧]. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى﴾ فهو مرفوع، وفي التوبة معطوف على "يعذبكم ويستبدل" ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة : ٣٩] وهما مجزومان فهو مجزوم. [٥٨] ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: قصة هود وشعيب : ٥٨، ٩٤]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: قصة صالح ولوط : ٦٦، ٨٢]. في قصّة هود وشعيب بالواو "ولما"، وفي قصّة صالح ولوط: "فلما" بالفاءِ؛ لأنَّ العذاب في قصّة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد؛ فإنَّ في قصّة هود: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود : ٥٧]، وفي قصّة شعيب: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ [هود : ٩٣]، والتَّخويف قارنه التسويف، فجاءَ بالواو والمهلة، وفي قصّة صالح ولوط وقع العذاب عُقَيْبَ الوعيد؛ فإنَّ في قصّة صالح: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود : ٦٥]، وفي قصّة لوط: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود : ٨١]، فجاءَ بالفاءِ للتَّعجيل والتَّعقيب.

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[هود : ٤٥]. إعلام بأن نوحًا حملته شفقة الأبوة على طلب نجاته، وقد راعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال، فقال: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ ولم يقل: لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال ذلك لفهمه من الأهل ذوي القرابة الصورية – الرّحم النسبيّة – وغفل لفرط التأسف على ابنه عن استثنائه تعالى بقوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾.
[٥٢] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[هود : ٥٢]. وقال تعالى في آية الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾. ففي آية الأنفال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾ بحذف إحدى التاءين، وقال في آية هود: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾ من دون حذف، ذلك أن آية الأنفال خطاب للمؤمنين، وأن آية هود خطاب للكافرين، وهم قوم هود. ومن المعلوم أن تولي المؤمنين أقل من تولي الكافرين، فلما كان تولي المؤمنين أقل حذف من الفعل للدلالة على قلة توليهم، بخلاف تولي الكافرين، فإنه عام شامل، فزاد في الفعل للدلالة على زيادة توليهم، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى: فإنه نهي للمؤمنين عن التولي مهما كان قليلاً.

[٤٦] ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ قرئ: (عمِلَ) بكسر الميم وفتح اللام فعلًا ماضيًا من باب علم، ونصب "غير" مفعولًا به، أو نعتًا لمصدر محذوف، أي: أنه عمل عملًا غير صالح، والضمير لابن نوح، ومعنى: ليس من أهلك، أي: "ليس من أهل دينك" أو "ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم من الغرق". وقرئ: (عمَلٌ) بفتح الميم ورفع اللام منونة على أنه خبر "أنّ" وغير بالرفع صفة على معنى: إنه ذو عمل، أو جعل ذاته ذات العمل مبالغة في الذم على حد: رجل عدل، فالضمير حينئذ لابن نوح، ويحتمل عودته لترك الركوب، أي: إن تركه لذلك وكونه من الكافرين عمل غير صالح، ويجوز أن يعود الضمير على ما دَلَّ عليه أول الكلام وهو قوله: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن﴾ فيكون التقدير: إن كون الكافرين معك

[٤٦] ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

٥٤- ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ﴾: أصابك ﴿بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا﴾: يعنون: أوثانهم ﴿بِسُوٓءٖ﴾!: بجنون. ٥٦- ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: أي: هي في قبضته وسلطانه، ذليلة خاضعة، من قول العرب: ناصية فلان بيد فلان، أي هو مطيع له يصرفه كيف يشاء. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: طريق الحق، يُجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يظلم أحداً. ولهذا فإنه لن يسلمني إليكم، أو يسلطكم عَلَيَّ. وقيل: معناه: أن الاهتداء إلى الله تعالى والاستدلال على وحدانيته يلازمه منهج قويم، وصراط مستقيم. ٥٧- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾: على جميع خلقه، وهو يحفظني من أن تنالوني بسوء. ٥٨- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: من السخط النازل بعاد. ٥٩- ﴿كُلِّ جَبَّارٍ﴾: مستكبر على الله ﴿عَنِيدٖ﴾ مشرك، من «عَنَد» عن الحق، إذا لم يقبله ولم يُذعن له. ٦٠- ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾: سخطًا وغضبًا من الله ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾: يقول عز وجل: أبعدهم الله من الخير. ٦١- ﴿هُوَ أَنشَأَكُم﴾: ابتدأ خلقكم ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ﴾: جعلكم عُمَّارها وأسكنكم فيها أيام حياتكم؛ من قولهم: أعمر فلان فلاناً داره، فهي له عُمرى ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾: ممن أخلص له العبادة. ﴿مُّجِيبٞ﴾: له إذا دعاه. ٦٢- ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾: أي: كنا نرجو أن تكون فينا سيداً ﴿مُرِيبٖ﴾: موجب للتهمة.

= علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعيَّة العامة. النوع الثاني:وقرب خاص: بالداعين، والعابدين المحبين،وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين.

[٦١] شرح اسم الله المجيب: من أسماء الله تعالى: ((المجيب)) لدعوة الداعين وسؤال السائلين، وعبادة المستجيبين، وإجابته نوعان: النوع الأول: إجابة عامة لكل من دعاه: دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، فدعاء المسألة أن يقول العبد: اللهمّ أعطني كذا، أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البرّ والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية، وبحسب ما تقتضيه حكمته. وهذا يستدلّ به على كرم المولى وشمول إحسانه للبرّ والفاجر، ولا يدلّ بمجرّده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إنْ لم يقترن بذلك ما يدلّ عليه وعلى صدقه وتعيّن الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيُجيبهم الله؛ فإنه يدلّ على صدقهم فيما أخبروا به، وكرامتهم على ربهم؛ ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوّته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات؛ فإنه من أدلة كراماتهم على الله. النوع الثاني: أما الإجابة الخاصة: فلها أسباب عديدة، منها دعوة المضطرِّ الذي وقع في شدّةٍ وكُربةٍ عظيمة؛ فإنَّ الله يُجيب دعوته، وسبب ذلك شدَّةُ الافتقار إلى الله، وقوَّة الانكسار وانقطاع تعلّقه بالمخلوقين؛ ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها، فكيف بمن اضطر إليها، ومن أسباب الإجابة طول السفر، والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوة المريض، والمظلوم، والصائم، والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات والأحوال الشريفة مثل أدبار الصلوات...

[٦٠] ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠]، ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٩٩]. أن الوارد عليه كلٌّ من الآيتين لا يحسن خلافه ولا يناسب، وذلك لوجهين: أحدهما أن قصة هود، عليه السلام، في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسي عليه السلام بكثير، فناسب الطول الطول، والإيجاز الإيجاز، ولا يليق العكس، والوجه الثاني أن قوله تعالى في قصة هود: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾، وارد على الأصل من الجمع بين التابع نعتًا أو عطف بيان وبين متبوعه، وجاء في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ﴾، على حذف الوصف للاكتفاء باسم الإشارة، وكلٌّ فصيح، فجيء بما هو في الأصل أولاً، ثم جيء ثانيًا بما هو ثان عنه على ما ينبغي، ولا يحسن العكس، لأن ذلك شبه التفسير وبابه أن يتقدم، فما يحذف يكون لما تقدم ممَّا يدل عليه ولا يحذف لما سيأتي بعد إلا في قليل، نحو قوله: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض، والرأي مختلف، وهذا الوجه كاف، والوجه الأول أنسب لراعي النظم، والله أعلم.

[٦١] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ ...﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [هود:٦١]. الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى ثمود أخاهم صالحًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف تبين أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوهم إليه...، وأمَّا آية هود فتوضح أن الله هو الذي بدأ خَلْقهم من الأرض بخلق أبيهم آدم منها... [٦٢] ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [هود: ٦٢]، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٩]. آية سورة هود: الكلام في قصة صالح فجاء بلفظ "تدعونا" خطاب للمفرد، أمَّا في سورة إبراهيم فالكلام عن مجموعة من الرسل لذا جاء قوله: "تدعوننا"، أمَّا "إننا" فهي تأتي للتوكيد سواء كانت النون مشددة أو مخففة، وقد يأتي التوكيد في أول الأسماء مثل "إننا"، أو في آخر الأفعال مثل "ولتكونًا"، "ليذهبنَّ" بغرض التوكيد، ويلاحظ أن استعمال "إننا" يحتمل معنيين: في مقام التفصيل "إننا"، أو في مقام التوكيد "إننا"، فلو قرأنا القصتين في السورتين نجد في سورة هود قصة صالح عليه السلام فيها تفاصيل كثيرة، فاقتضى التفصيل استخدام "إننا"، وكذلك التكذيب من قوم صالح كان أشد فجاء بالتوكيد بلفظ "إننا"، بينما الكلام في سورة إبراهيم موجز، فاستعمل "إنا"، وهذا يناسب الإيجاز، والله أعلم.

= عمل منك غير صالح. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ قرئ: (تسألَنَّ) بفتح اللام وتشديد النون وفتحها. وقرئ: (تسألْنِ) بإسكان اللام وتخفيف النون مع كسرها وفتحها، ووجه التشديد مع الفتح أنها المؤكدة، ولذا بني الفعل معها، وعدَّى الفعل إلى مفعول واحد وهو ما، ومع الكسر كذلك هي المؤكدة الخفيفة أدغمت في نون الوقاية غير أنه عدَّى الفعل إلى مفعولين، الياء المحذوفة ودلت عليها الكسرة، والثاني هو ما، ووجه التخفيف والكسر أنها "نون" الوقاية، والفعل مجزوم بلا الناهية فسكنت اللام، و"الياء" مفعوله الأول، ومن حذفها فللتخفيف، و"ما" مفعوله الثاني بتقدير: عن.

[٥٦] ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في القرآن الكريم.

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣- ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾: يقول: ما تزدادون أنتم إلا خساراً يخسركم حظوظكم من رحمة الله عز وجل، أي: فما تعطونني – فيما أطلبه منكم من الإيمان والإنابة – غير تخسير أنفسكم. ٦٤- ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾: حجة ودلالة على ما أدعوكم إليه ﴿فَذَرُوهَا﴾: اتركوها تأكل من أرض الله ليس عليكم رزقها ولا مؤونتها. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: بعقر، أو غيره. ٦٥- ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾: بقية آجالهم. ٦٧- ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: خموداً بأفنيتهم، قد هلكوا، أي ساقطين على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت. ٦٨- ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ﴾ كأن لم يعيشوا ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ﴾: يقول الله عز وجل: ألا أبعد الله ثمود. ٦٩- ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: بالبشارة. وقيل: هي بإسحاق. وقيل: بهلاك قوم لوط، ولوط هو ابن عم إبراهيم عليهما السلام. ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾: سلموا عليه سلاماً ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾: يعني عليهم السلام: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾: أبطأ حتى جاء ﴿بِعِجۡلٍ﴾: ولد البقرة ﴿حَنِيذٖ﴾ مشوي يقطر ماؤه، و«المحنوذ»: المشوي. ٧٠- ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ﴾: يعني: رسل الله عز وجل من الملائكة عليهم السلام ﴿لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾: كفوا عن أكله، لم يكونوا ممن تأكله ﴿نَكِرَهُمۡ﴾: و«أنكرهم» بمعنى واحد؛ وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فعرضوا عليه الطعام فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدث نفسه بشر ﴿وَأَوۡجَسَ﴾: أحس وأضمر ﴿خِيفَةٗ﴾: خوفاً. ٧١- ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: سارة ابنة عمه ﴿قَآئِمَةٞ﴾: من وراء الستر، تسمع كلامهم. وقيل: بل كانت تخدم الرسل ﴿فَضَحِكَتۡ﴾: تعجباً من خدمتها، وخدمة زوجها للأضياف إكراماً لهم؛ وهم ممسكون عن أكل طعامها! وقيل: ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رسل الله بإهلاكهم ﴿وَمِن وَرَآءِ﴾: من خلف. بشروها كذلك بولد الولد.

[٦٦] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٦٦] معنى اسم الله القوي والعزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ: هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزَّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

[٦٤] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، وفي هود لمّا اتّصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ [هود: ٦٥] وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾، وزاد في الشعراءِ ذكر اليوم لأنَّ قبله: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

[٦٧، ٩٤] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٩٤]. إن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها "الرجفة" في سورة الأعراف: ٧٨، ومنها "الصيحة" في سورة هود: ٩٤، ومنها الظلة في سورة الشعراء ١٨٩، وفي التفسير أن هذه الثلاث جمعت لهم لإهلاكهم واحدة بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم، فانزعجوا لها عن الكن -أي الستر- إلى البراح، فلما أصحروا نال منهم حر الشمس وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها، وهي سحابة سكنوا إلى روح تحت ظلها، فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به، غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه المؤنثات.

[٦٧] ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٦٧، ٩٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾. في موضعين في هذه السّورة فحسب، لأنه اتصل بالصّيحة، وكانت من السماءِ، فازدادت على الرّجْفة؛ لأنها الزلزلة، وهي تختصّ بجزء من الأرض فجُمعت مع الصّيحة، وأُفردت مع الرّجفة.

[٧٢] ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [هود: ٧٢]. ما الفرق بين استخدام القرآن الكريم لكلمة: "امْرَأة وزَوْج وبَعْل"؟ الجواب: ١- يُطلِقُ القرآن الكريم كلمة (امرأة) في حالة الإفراد على (الزوجة) إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلالٌ بين الزوجين: أ- كالنزاع بين الزوجين (سواء أدّى إلى طلاق أم لا): مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [النساء: ١٢٨]. أو لاختلاف الدين بين الزوجين: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١]، لأن امرأة لوط كانت على دين قومها. جـ- أو كانت العلاقة الزوجية على دين غير صحيح: مثل قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. د- أو كانت الحياة الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: ٨]. ٢- ويطلق القرآن كلمة (امرأة) على المرأة غير المتزوجة: مثل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القصص: ٢٣].

[٦٦] ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَوۡمِئِذٍ﴾ هنا، والمعارج: ١١، قرئ: (يومَ) بفتح الميم فيهما على أنها حركة بناء لإضافته إلى غير متمكن. وقرئ: (يومِ) بالكسر فيهما إجراء لليوم مجرى سائر الأسماء، فأعرب، وإن أضيف إلى (إذ) لجواز انفصاله عنها، والبناء إنما يلزم إذا لزمت العلة، وهي: وجوب الإضافة، ولكنها هنا جائزة. [٦٨] ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿لِّثَمُودَ﴾ قرئ: (ثمودٍ) بكسر الدال مع التنوين. وقرئ: (ثمودَ) بغير تنوين مع فتحها، ووجه التنوين وعدمه مبني على صرف هذه الكلمة وعدم صرفها، فصرفها على أنها اسم للأب أو للحي، والأصل في الأسماء الصرف ولا تمنع منه إلا لعلة، وعدم صرفها على أنها اسم للقبيلة، فمنع من الصرف للتعريف والتأنيث. ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٞ﴾ هنا والذاريات: ٢٥، قرئ: (سِلْم) بكسر السين وسكون اللام بلا ألف فيهما. وقرئ: (سَلَام) بفتح السين واللام وبألف

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢- ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾: كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، أو الاستكبار ﴿ ءَأَلِدُ ﴾: تقول: أنى يكون لي ولد؟ ﴿ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾: مسنة ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي ﴾: زوجي، ٧٣- ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾: تسمى زوجة الرجل أهل بيته. وقيل: هي من أهل بيته. وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى الجمع لقصد التعميم. ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ ﴾: ذو مدح وثناء وكرم. أي: فاعل ما يستوجب ذلك من عباده ﴿ مَّجِيدٌ ﴾: كثير الإحسان إليهم. ٧٤- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾: الفزع ﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾: بإسحاق ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾: يحاج الرسل، في شأن قوم لوط وأمرهم، وكان جداله ﷺ مع ضيفه أن قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المؤمنين أمعذبوهم؟ قالوا: لا، حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرأيتم إن كان فيهم عشرة، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا، وهي ثلاث قرى، فيها العدد الكثير. ٧٥- ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾: بطيء الغضب ﴿ أَوَّٰهٌ ﴾: متذلل خاشع ﴿ مُّنِيبٌ ﴾: رجّاع إلى ربه. ٧٦- ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾: الجدال في أمرهم ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾: بعذابهم. ٧٧- ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾: ساءه مجيئهم، وساء ظنه بقومه ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾: ضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم، وعلم أنه محتاج إلى المدافعة عن أضيافه ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾: شديد شرُّه، عظيم بلاؤه. ٧٨- ﴿ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾: يسرعون، ويرعدون من سرعة المشي؛ لما بهم من طلب الفاحشة. تقول العرب: أُهرع الرجل من برد أو غضب أو حُمّى؛ إذا أُرعد ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: إتيان الذكران ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾: يعني: نساء أمته، انكحوهن فهن أطهر لكم، وقوله ﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾: واضح الدلالة في أنه لم يرد نكاح الأدبار كما زعم بعض الفسقة الفجرة. وقيل: أراد بناته، وكان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما بنتيه. وقال بعض المفسرين: كان هذا القول منه على طريق المدافعة، ولم يرد الحقيقة ولهذا قالوا له: ٧٩- ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ ﴾. ﴿ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ﴾: لا تُذِلُّوني. ٨٠- ﴿ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾: عشيرة مانعة، لحالت بينكم وبين ما جئتم له. ٨١- ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ ﴾: قالت الرسل ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾: أخرج أهلك من بين أظهرهم، يقال: سرى، وأسرى، إذا سار بليل ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾: ببقية من الليل. ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾: لا ينظر وراءه.

[٧٣] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أنَّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تَسَلْسَلَتِ الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ- فإنّ الله سبحانه وتعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله تعالى هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى إليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويَّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى =

[٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤]، ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥]. الأواه الكثير التأوه، وفي كتاب ابن عطية أن التأوه التفجع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٦]، وإبراهيم عليه السلام مع ذلك يتأوه تأسفًا وتحسرًا على رفض أبيه إجابته واتباعه مع تلطف إبراهيم عليه السلام في قوله دعاء لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٤٢]، إلى قوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥]، فكان عليه السلام لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع من حاله وتبين له أنه عدو الله فتبرأ منه، فإخبار الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقتدي به ويهتدي بهديه، فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣]، وأعلمه تعالى بعذر إبراهيم في استغفاره، وأن ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه، فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه أواه، وذلك مناسب لما بيناه، أما في آية هود ففيها أنه عليه السلام جادل الرسل بحرص المجادل في صرف العذاب عن قوم لوط، ووضع المضارع موضع الماضي إشارة إلى تكرر المجادلة مع تصوير الحال، أي: جادلنا فيهم جدالًا كثيرًا؛ وهذا من صبره وحلمه فكان وصفه هنا ﴿ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ أنسب، فكان بسبب ما عنده من هذه الصفات الحسنة الجميلة لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة.

= ٣- ويُطلِقُ القرآن كلمة (امرأة) حينما يكون لا دخل للزوج في المعنى المراد: مثل قوله تعالى: ﴿ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٤-أطلق القرآن الكريم كلمة (بعل) على (الزوج الذكر)، إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ- كالنزاع والشقاق: مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ [النساء: ١٢٨]. ب- مخالفة الزوجات لأزواجهن بإبداء زينتهن لغير أزواجهن: مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]. جـ- أو كانت العلاقات الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود: ٧٢]. ٥- يُطلِقُ القرآن كلمة (زوج) إفرادًا لا جمعًا، في كل الأحوال التي لا يُعكر صفو الحياة الزوجية فيها شيءٌ. ٦- في حالة جمع الزوجات يُؤثر القرآن كلمة (أزواج) دون (امرآت: جمع امرأة) لأن (امرآت) جمع غير مستعمل لغةً، فضلًا عن ثقله وخشونة جرسه. مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الممتحنة: ١١].

= بعد اللام فيهما وهما لغتان، كحِرْمٌ وحَرَام وحِلٌ وحلال، ويجوز أن يكون "سلام" بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب، كأن إبراهيم يقول: كلوا من طعامي هذا فأنا "سلام، ولست بحرب عليكم تمنعون من أكل طعامه، كالامتناع من أكل طعام العدو" ثم قال: "سلام" مبتدأ خبره محذوف، أي: عليكم، وهو رد السلام عليهم إذ أسلموا عليه حين دخلوا عليه. [٧١] ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ ﴾ قرئ: (يعقوبَ) بفتح الباء علامة جر عطفًا على لفظ "إسحاق"، أو نصبًا بفعل مقدر يفسره ما دل عليه الكلام، أي: وهبنا لها يعقوب، وقرئ: (يعقوبُ) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم قبله. [٨١] ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ ﴾ و﴿ أَنْ أَسْرِ ﴾ حيث جاءت، قرئ: (اسر) بهمزة وصل =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

٨٢- ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين. ﴿مَّنضُودٍ﴾: من نعت سجيل. قيل: نُضِّد بعضه إلى بعض فَصُيِّر حجارة. ٨٣- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: من نعت الحجارة، مُعْلَمَة؛ أي التي لها علامة، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: لم يؤمِّن الله عز وجل منها ظالماً بعدهم، من قريش وغيرهم. ٨٤- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: يقول تعالى: وأرسلنا إلى مدين، وهم قوم شعيب، أخاهم في النسب شعيباً، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: في سعة ونعمة ﴿مُّحِيطٍ﴾: من نعت العذاب، وإن كان محمولاً على اليوم، لأنه مفهوم المعنى، أي: وصف اليوم بالإحاطة والمراد العذاب، لأن العذاب واقع في اليوم. ٨٥- ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ﴾: أوفوا الناس المكيال ﴿وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: ولا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾: تصيروا ﴿مُفْسِدِينَ﴾: بنقصان المكيال والميزان. ٨٦- ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: ما يبقيه الله لكم بعد أن توفُوا الناس حقوقهم في الكيل والميزان حلالاً، خير لكم مما تجمعونه أو يبقى لكم ببخسكم الناس، وقيل: «بقية الله»: حظكم من طاعة الله خير لكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم. ٨٧- ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾: جمع صلاة ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾: من الأصنام والأوثان ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾: من الكيل والميزان، وفيما كانوا يقطعون من الدنانير والدراهم، وكان نهاهم عن ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: قالوا ذلك استهزاء به. ٨٨- ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: على بيان وبرهان فيما أدعوكم إليه وأنهاكم عنه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: أي: لا أنهاكم عن أمر وأفعل خلافه ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: يقول: لا أصيب الحق الذي أدعوكم إليه إلا بالله وعونه عز وجل: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وثقت، وعليه اعتمادي في أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

= والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام. [٧٣] معنى اسم الله المجيد: ((المجيد)) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه: فهو العليم الكامل في علمه، الرّحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته التي بلغت غاية المجد، فليس في شيء منها قصور أو نقصان.

[٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. "لمّا" تقتضي جوابًا، وإذا اتصلت بها "أن" دل ذلك على أن الجواب اكتمل ووقع في الحال من دون تراخ، وهذا ما حصل في آية العنكبوت، فالجواب قوله: ﴿ سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾، ومثل هذه الآية ما ورد في سورة يوسف: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ [يوسف: ٩٦]، أمّا آية هود فالحديث فيها متصل آية بعد آية إلى خمس آيات، فبَعُد عن الجواب فحسن الحذف. [٨١] ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [هود: ٨١]، ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [الحجر: ٦٥]. استثنى في سورة هود من الأهل قوله: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾، ولم يستثن في الحجر اكتفاء بما قبله، وهو قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ [الحجر: ٥٨-٦٠]، فهذا الاستثناءُ الَّذي انفردت به سورة الحِجْر قام مقام الاستثناءِ من قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾، وزاد في الحجر ﴿ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾؛ لأنَّه إذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم. [٨٢] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً ﴾ [الحجر: ٧٤]. كلٌّ من الموضعين مراعىً فيه مناسبة ما تقدمه، ولما تقدم آية سورة الحجر قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ٥٨]، فذكر قوم لوط الموصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم، روعي هذا المتقدم فقيل: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، فقيل "عليهم" لما تقدم قوله: ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾، وأمّا آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا، فاكتفى بضمير القرية فقيل: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾، وأغنى ذلك عن ذكر المهلكين إذ هم المقصودون بالعذاب. [٨٤] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ ... ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ ... ﴾ [هود: ٨٤]. الآيتان تبينان أن الله قد أرسل إلى قبيلة "مدين" أخاهم شعيبًا فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، وآية الأعراف توضح أنه قد جاءهم بالبرهان على صدق ما يدعوهم إليه.. وآية هود تدعوهم ألا ينقصوا الناس حقوقهم في مكاييلهم وموازينهم...

[٩٠] ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]. التائب من الذنب كما يُسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويودُّه، ولا عبرة بقول من يقول: (إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود) فإن الله تعالى قال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾. من فوائد التوبة: ١- سبب الفلاح، والفوز بسعادة الدارين. ٢- تكفر السيئات. ٣- تبدل السيئات حسنات. ٤- سبب للمتاع الحسن، ونزول الأمطار، وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين. ٥- أن الله يحب التوبة والتوابين. ٦- أن الله يفرح بتوبة التائبين. ٧- توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة. ٨- تطهر قلوب التائبين. ٩- سبب فى الحياة الهادئة المطمئنة. ١٠- سبب فى سعة الرزق...

= تثبت ابتداء مكسورة مع كسر نون "إن" للساكنين. وقرئ: (أسر) بهمزة قطع مفتوحة تثبت درجًا وابتداء، يقال: سرى وأسرى للسير، وقيل: أسرى لأول الليل، وسرى لآخره، وأما سار فمختص بالنهار. قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرئ: (امرأتُك) برفع التاء بدل من أحد، واستشكل ذلك بأنه يلزم منه أنهم نهوا عن الالتفات إلا المرأة، فإنها لم تنه، وهذا لا يجوز، لكنه حُمل على أن النهي نفي؛ لأن النهي في معنى النفي والتقدير، ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك؛ ولذا جعله =

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

٨٩- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: لا يحملنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: فراقي وعداوتي وبغضي، على الإصرار على ما أنتم عليه، فيصيبكم ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾: ومن ذكر بعدهم. ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾: أي: أنتم حديثو عهد بما نزل بهم. وقيل: وما منازل قوم لوط منكم ببعيد. ٩٠- ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾: «ودود»: ذو محبة لمن أناب إليه وتاب. ٩١- ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾: ضعيف الانتصار والقدرة. وقيل: كان ضرير البصر ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾: لولا أنا نتقي قومك، ورهط الرجل: عشيرته الذين يسند إليهم ويتقوى بهم. ﴿لَرَجَمۡنَٰكَ﴾: سببناك، أو قتلناك بالرجم! هابوا عشيرته، وما هابوا جلال ربهم! ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾: ممن يُكرَم علينا. ٩٢- ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾: يقال للرجل إذا لم يلتفت إلى حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره، وجعلها ظِهريه، أي: تراقبون قومي ولا تراقبون ربكم عز وجل ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾: لا يخفى عليه شيء من أمركم. ٩٣- ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: تمكنكم من العمل الذي تعملونه ﴿إِنِّي عَٰمِلٞ﴾: على تؤدة من العمل الذي أعمله ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: أينا الجاني على نفسه ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾: انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾: ذو رقبة لذلك العذاب، وناظر بمن هو نازل: بنا أو بكم. ٩٤- ﴿فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: على ركبهم، وصرعى بأفنيتهم. ٩٥- ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾: كأن لم يعيشوا. فيها بنعمة وخفض عيش. ومنه: المغاني، وهي المنازل المعمورة بالأهل. ٩٦- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بحجتنا وأدلتنا.

[٩٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٩٠] معنى اسم الله الودود: والودود مأخوذ من الوُدّ بضم الواو بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ فهو مودود، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلّقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة لكل محبة، ويتعيّن أن تكون بقية المحابّ تبعاً لها.

[٩٢] معنى اسم الله المحيط: وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزّته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء.

[٩٣] ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [هود: ٩٣]، ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩]. آية الزمر ورد فيها ذكر الفاء وهي متعلقة بقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾، فهي خطاب من الله تعالى للكفار من العرب، وفيها وعيد لهم وتهديد، ولهذا تقدمها "قل"، وهو أمر لنبيه ﷺ بوعيدهم، وهذا يفيد قوة تقدير معنى الشرط ثم قال: "اعملوا"، فاستدعى ذلك الجواب بالفاء، فجاءت الفاء في الجواب المبني على الشرط المقدر، فكان المعنى: اعملوا فستجزون، أي: اعملوا على طريقتكم فسوف تعلمون، فالعمل سبب للجزاء، أما آية هود فهي على الاستئناف، فلا حاجة لدخول الفاء، لأن الآية إخبار للنبي ﷺ فضعف فيها تقدير الشرط، فلم تدخل الفاء.

[٩٦] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٩٦، غافر: ٢٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وغافر، والآية تبين أن الله قد أرسل موسى بآياته العظيمة لتدل على حقيقة ما أُرسل به، وكحجة واضحة بيِّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه مَن أرسل إليهم.

[٩٣] ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ [هود: ٩٣]، ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]. ما الفرق بين: "كاذب وكذّاب"؟ الجواب: وردتَ كلمة (كاذب) أربع مرات، بينما وردت كلمة (كذّاب) خمس مرات. وردت كلمة (كذّاب) وهي من صيغ المبالغة على وزن (فعّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الكذب، على العكس من كلمة (كاذب)، وهي اسم فاعل تستخدم في الإخبار- فقط- عن صفة الكذب دونما مبالغة. مثال: قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، فجاءت كلمة (كذّاب) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فوصفوا النبي ﷺ الذي أُرسل إليهم بهذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كذّاب) وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر: ٢٣ - ٢٥]. حيث وصف قوم ثمود نبيهم صالحًا بهذه الصفة البذيئة مبالغين ومؤكدين بصيغة المبالغة (كذّاب) بدل (كاذب)، وهكذا أتت (كذّاب) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلا على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: ٩٣].

[١٠١] ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر: ٣٧]. ما الفرق بين: "تباب وتتبيب"؟ الجواب: تباب: هلاك وخسارٌ. قال الطبري: «في تباب»: أي في ضلال وخسار، وهي آتيةٌ من الفعل الثلاثي اللازم (تبَّ)، وتتبيب: إهلاك وإخسار. قال أبو عبيدة: «غير تتبيب»: أي تدمير وإهلاك. وهي آتيةٌ من الفعل الرباعي المتعدي (تبَّب). وقد جاءت كلمة (تباب) مع كيد فرعون، على معنى الفاعلية، فالمعنى (تبَّ كيدُ فرعون)، وجاءت كلمة (تتبيب) مع أهل القرى الذين اتخذوا آلهةً غير الله -تعالى-، على معنى المفعولية، فالمعنى (تبَّب الآلهةُ أهل القرى). وقد جاءت كل صيغة مناسبة =

= في المعنى مرفوعًا بالابتداء، والجملة بعده خبر، والمستثنى جملة. ونظيره ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ وقرئ: (امرأتك) بالنصب مستثنى من بأهلك، وجعله في المعنى استثناءً منقطعًا لئلا تكون قراءة الأكثرين مرجوحة، على أن المراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨- ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يقودهم ويمضي بهم إلى النار ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: «الورد»: الدخول. ٩٩- ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: بئس العطاء المعطى والعون المعان: لعنة وراء لعنة، أصابتهم لعنتان ردفت إحداهما الأخرى، لعنهم في الدنيا، ولعنهم في الآخرة. ١٠٠- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾: من أخبارها ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾: «قائم»: عامر وقائم على عروشه. و«حصيد»: ما قد باد وحصد. ١٠١- ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: يعني: ما زادتهم آلهتهم عند مجيء أمر ربنا غير تدمير وإهلاك وتخسير. ١٠٢- ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ﴾: موجع شديد الإيجاع. ١٠٣- ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: يوم القيامة تشهده أهل السماء وأهل الأرض. ١٠٤- ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: يعني يوم القيامة ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: عده الله عز وجل وأحصاه. ١٠٥- ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: يعني يوم القيامة. ١٠٦- ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: قيل: «الزفير» أول نهاق الحمير، و«الشهيق»: آخره. وقيل: صوت الكافر في النار. وقيل: الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رده. ١٠٧- ﴿خَٰلِدِينَ﴾: باقين في النار ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أبداً، كقول العرب إذا أرادت وصف الدوام أبداً: هو دائم دوام السموات والأرض، ولا آتيك ما اختلف الليل والنهار، وما لألأت، أي حركت، العير بأذنابها، يعنون بذلك أبداً ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: الله أعلم، باستثنائه، وقيل: هو استثناء الله في أهل التوحيد لأنه يخرجهم من النار إذا شاء. ١٠٨- ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾: برحمة الله عز وجل فهم في ﴿ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ﴾: لابثين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: من قدر مُكث في النار من لدن دخولها، إلى أن يدخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: منقطع.

[٩٩] ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [هود: ٦٠]، ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ [هود: ٩٩]. إن الوارد عليه كلٌ من الآيتين لا يحسن خلافه ولا يناسب، وذلك لوجهين: أحدهما أن قصة هود عليه السلام في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسى عليه السلام بكثير فناسب الطول الطول، والإيجاز الإيجاز ولا يليق العكس، والوجه الثاني: أن الآية الأولى جاء بها ذكر الصفة مع الموصوف وهو اسم الإشارة "هذه"، وفي الآية الثانية حُذِفَ الموصوف اكتفاء بالأول.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠، فصلت: ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وفصلت، والآية تبين أن الله قد آتى موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين، وإن الكفار من اليهود والمشركين لفي شك -من هذا القرآن- مريب. [١١٢] ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ...﴾ [الشورى: ١٥]. فاستقم أيها النبي كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حدَّه الله لكم، إن ربَّكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها، فهذا ما دلت عليةٍ آية هود، أمَّا آية فصلت: فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين...

= لفواصل الآيات التي وقعت بينها: أ- فكلمة (تباب) وقعت بين الفواصل (مرتاب، وجبار، والأسباب، والرشاد، والقرار، وحساب). ب- وكلمة (تتبيب) وقعت بين الفواصل (رشيد- أُنيب- بعيد- ودود- عزيز- رقيب- ثمود- رشيد- المورود- المرفود- حصيد- شديد- مشهود). [١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]. أخبر الله تعالى أن عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، فإنه إذا سمع ذلك قال: (ما زال في الدهر الخير والشر والنعيم والبؤس والسعادة والشقاوة!) وربما أحال ذلك على أسباب فلكية وقوى نفسانية. [١٠٩] ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢]، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود: ١٠٩]. "لم أكن- لم أك". أمثلة قرآنية: وردت كلمة (لم أكن) ومثيلاتها (لم يكن- لم نكن- لم نكن) اثنتين وستين مرة، (لم أكن) ست مرات، و(لم يكن) إحدى وثلاثين، و(لم تكن) إحدى وعشرين، و(لم نكن) أربع مرات. مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٢]. ووردت كلمة (لم أك) ومثيلاتها (لم يكُ، لم تكُ) ثماني عشرة مرة. وردت (لم أك) مرة واحدة، و(لم يك) ثماني مرات، و(لم تك) سبع مرات، و(لم نك) مرتين. فما سبب حذف النون أحيانًا وإثباتها أحيانًا؟ أولًا- السبب في حذف النون: ١- ما قاله الخطيب الإسكافي، وهو أن النون تحذف من الفعل (يكون) المجزوم بأداة من أدوات الجزم، عندما يكثر الكلام الذي تتعلق به، سواءً أكان مقدمًا عليها أم مؤخرًا مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود: ١٠٩]. ٢- الآيات التي وردت فيها (أك) ومثيلاتها، جاء التركيز فيها على (أك) (أي التكوين) أو كان المقام يستدعي السرعة والإيجاز. أما الآيات التي وردت فيها (أكن) ومثيلاتها، فكان التركيز موزعًا بينها وبين ما يليها توزيعًا متساويًا: مثال الحالة الأولى: قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. فإن التركيز هنا على (الحسنة) لا على (تك) لأن الحذف قد يشير إلى: ١- عدم أهمية المحذوف. ٢- ويوحي بأن القارئ أو السامع يريد أن يتجاوز موطن الحذف سريعًا إلى غيره الذي هو أهم منه. مثال الحالة الثانية: قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فالأمر بالكينونة هنا في غاية الأهمية حيث إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن تتم إلا إذا حدثت الكينونة وإلا فلن تكون. أما أسباب إثبات النون فهي: ١- عندما يكون الصوت الذي يليها ساكنًا يصبح (لو حذفت نونها) كأنه جزء من الكلمة، فأثبت النون في آخرها.. ليكون النطقُ بها واضحًا. ٢- قال ابن منظور في اللسان: «إذا وقعت النون موقعًا تحرك فيه، فتقوى بالحركة لا تُحذف». [١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. =

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قوله تعالى: ﴿سُعِدُوا۟﴾ قرئ: (سَعدوا - سُعدوا) بفتح السين وضمها، وحجة من فتح أن سعدوا فعل لا يتعدى، فلم يكن في الكلام مفعول، وليقابل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ ولم يقل: أشقوا ولا شُقوا بالضم، فحمل "سُعدوا" على "شقوا" ووجه من ضم السين أنه حمله على لغة حُكِيَت عن العرب خارجة عن القياس، فقد حكي: سعده الله، أي: أسعده، وذلك قليل، وقيل: إن سعدوا وأسعدوا لغتان بمعنى.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١٠٩- ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظهم مما وعدتُهم من خير أو شر ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: كاملاً. ١١٠- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: كذّب به بعض قومه وصدق بعضهم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب، ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة، أو حتى يبلغ الكتاب أجله. ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين المكذب والمصدق، بأن يُهلك المكذب ويُحيي المصدق. ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: لا يدرون أحق هو أم باطل؟ ١١١- ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: بمعنى: إن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك قصصهم. ١١٢- ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: تتعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ١١٣- ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾: تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: وترضوا أعمالهم. والركون: السكون إلى الشيء والرضا به. ١١٤- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾: بالغداة والعشي: الفجر والمغرب، وقيل: عنى بذلك: صلاة الفجر والظهر والعصر. وجاء فيها اختلاف كثير، ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾: أي في زلف من الليل: أي: ساعات منه، المغرب، العشاء، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾: قيل: الصلوات الخمس المكتوبات تذهب السيئات كما يغسل الماء الدرن. ١١٦- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾: يقول عز وجل: فهلا كان من القرون، الأمم، الذين قصصتُ عليك نبأهم. ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾: من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله و﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: وهم الرسل وأتباعهم. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾: المترف: الذي أبطرته النعمة، والمراد: أنهم آثروا ما أنظروا فيه من نعيم الدنيا، وتجبرهم فيما أوتوا، وتركوا الحق ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مكتسبين الكفر بالله عز وجل. ١١٧- ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: الأمم أو أهل القرى –وليس فقط الكبراء أو القادة– حين يكونون مصلحين، أي وليس مجرد أناس صالحين.. فإنه لا يحيق بهم العذاب. وقيل: معنى الآية أن الله تعالى لا يهلكهم بمجرد الشرك – وحده – حتى ينضم إليه الفساد في الأرض.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ روى الشيخان عن ابن مسعود: أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ الآية. [١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩]. صيغة الفعل جاءت في هود مضارعًا دخلت عليه لام الجحود التي تقع بعد كون منفي، وهذا آكد في النفي من وجوه: أولًا أنه يفيد النفي في الأزمنة كلها، فإذا قلت: "ما كان محمد ليقول هذا"، دل ذلك على أن هذا ليس من شأنه لا فيما مضى ولا الآن ولا المستقبل، وإنما احتاج البيان هنا إلى التوكيد، لأن الحديث عن البقية الصالحة في الأرض، والتي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ...﴾ [هود: ١١٦-١١٧]، واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالمـًا لها تنزيهًا لذاته عن الظلم، وهذا بخلاف آية القصص فقد جاءت في سياق الهلاك: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٨ - ٥٩]، وهو سياق مغاير للسياق الأول وعلى النقيض منه، ولهذا جاءت صيغة الاسم التي تدل على الثبات والدوام، وليس في الآية صريح لفظ الظلم ينسب إلى الله سبحانه وتعالى كما في سورة هود، لذلك جاء معنى التأكيد والجحود في آية هود من أجل الظلم المذكور فيها تنزيهًا للحق جل جلاله، وليس هذا مذكورًا في القصص فلم يحتج إلى هذا التأكيد.

[١١٧] ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فقدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بالجزاء الأخروي، فلا عذر لأحد؛ لأنهم لم يتركوا سدى، ولا عذر لمغض ولا متغافل بعد تنبيهه ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، فهذا مناسب، وتقدم آية هود قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، ولو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض لكانوا مصلحين فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، فقد ناسب كلا الآيتين ما أعقبت به، ولم يكن ليناسب الأنعام: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، ولا هود: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، والله أعلم.

= وإذا كان الوعيد في الركون إلى الظلمة فكيف حال الظلمة أنفسهم؟!! نسأل الله العافية من الظلم. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]. السورة بدأت بالدعوة إلى التوحيد ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴿٢﴾﴾ وانتهت به.

[١١١] ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ واختلف في ﴿لَمَّا﴾ هنا ويس: ٣٢ والزخرف: ٣٥ و"الطارق: ٤، قرئ: (إن - لما) بتخفيف نون "إن" و"ميم" لما هنا على إعمال إن المخففة وهي لغة ثابتة. سمع: (إن عمروًا لمنطلق) وأما لمّا فاللام فيها هي الداخلة في خبر (إن) و(ما) موصولة أو نكرة موصوفة و"لام" ليوفينهم "لام" القسم، وجملة القسم: صلة الموصول، أو صفة لـ "ما" والتقدير على الأول: وإن كلاً للذين والله ليوفينهم، وعلى الثاني: وإن كلا لخلق أو لفريق والله ليوفينهم، والموصول أو الموصوف خبر لإن. وقرئت بتشديد "إنَّ" وتخفيف "لما" قال في الدر: وهي واضحة جدًا، فإن المشددة عملت عملها، واللام الأولى للابتداء دخلت على خبر "إن"، والثانية: جواب قسم محذوف، أي: "وإن كلاً للذين والله ليوفينهم". وقرئ: (إنَّ - لمَّا) بتشديدهما فإن على حالها وأما "لما" فقيل: أصلها لـ "من" "ما" على أنها (من) الجارة دخلت على "ما" الموصولة أو الموصوفة، أي: لمن الذين والله... الخ، أو لمن خلق والله ... الخ، أدغمت النون الساكنة في الميم على القاعدة، فصار في اللفظ ثلاث ميمات، فخففت الكلمة بحذف أحدها، فصار اللفظ كما ترى. وقرئ: (إن - لمَّا) بتخفيف النون وتشديد الميم على جعل "إن" نافية ولما كالأول و"كلًا" منصوب بمفسر بقوله: ليوفينهم، أو بتقدير: وإن أمري كلًا، وحُكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه تثقيل "لما"، ولو خففت (إنَّ) ورفعت كلاً لحسن معنى (لما) بالتشديد على معنى (إلا) كالذي في سورة "الطارق" و"يس". [١١٦] ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بَقِيَّةٍ﴾ قرئ: (بِقْيَة) بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء. وقرئ: (بَقِيَّة) بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء، وكلاهما لغتان في المصدر، وهي: من بقي يبقى بقية كلقي لقية.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

١١٨- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على ملة واحدة. ١١٩- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: بالهداية إلى الدين الحق، وهم أهل الجنة والحنيفية. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: قيل: هؤلاء لرحمته، وهؤلاء لعذابه. وقيل: للاختلاف خلقهم. وقيل: للرحمة خلقهم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: أي: نفذ قضاؤه وحُق أمره. واللام في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: لام القسم. ١٢٠- ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾: يقول عز وجل: وكل ذلك نقصُّ عليك ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: من أخبارهم، وأخبار أممهم ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك، فلا تجزع من تكذيب من كذبك ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾: يعني: في هذه السورة ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ﴾: تعظ الجاهلين ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ١٢١- ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكُّنكم ما أنتم عاملوه فـ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾: ما نحن عاملوه. ١٢٢- ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: ما وعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: ما وعدنا الله به. ١٢٣- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُلك كل ما غاب عنك في السماوات والأرض ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: فوض أمرك إلى الله، وثق بكفايته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعني: المشركين، بل هو سبحانه عالم بجميع ذلك ومُجازٍ عليه.

سُورَةُ يُوسُفَ

١- ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: فيه بيان حلاله وحرامه، وهداه ورشده. وقيل: تلك الآيات التي أنزلت عليك في هذه السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر.. أو قد أبين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف. ٢- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: يعني: هذا الكتاب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوه وتفهموه. ٣- ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: لا تعلمه ولا شيئاً منه. [٣] قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية، زاد ابن أبي حاتم: فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله. [١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ...﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾ [النحل:٧٧]. الآيتان تبينان أن لله سبحانه وتعالى عِلْمَ كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضح أن الله تعالى إليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده أيها النبي وفوِّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله، وأمَّا آية النحل: وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هي أسرع من ذلك، إن الله على كل شيء قدير. [١] ﴿الٓر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر:١]. تكررت هذه الآية ﴿الٓر﴾ فى أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدوا ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقبت به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيبًا عند قريش والعرب، مستوفيًا ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أتمه، ومعرفة من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمدًا ﷺ لم يتلق ذلك =

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]. اعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحًا. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ذكر جماعة من المفسرين أن القمر تأويله الأب، والشمس تأويلها الأم، فاستقرأ بعض الناس من تقديمها وجوب بر الأم وزيادته على بر الأب. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. في هذه الآيات الكريمات أسلوب رائع من أساليب التعامل بين الأب وابنه، فيعقوب عليه السلام يربي أبناءه على الرجوع إليه كلما حدث لهم ما يثير انتباههم، حتى يوجههم التوجيه =

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُرْجَعُ﴾ قرئ بالبناء للفاعل وللمفعول، وسبق الكلام عليه. وقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (تعملون) بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقرئ: (يعملون) بالغيبة لمناسبة ما قبله من قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟﴾ وفيه معنى الوعيد والتهديد للكفار على عدم الإيمان. [٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في أربعة مواضع: قرئ: (ياأبتَ) بفتح التاء في الأربعة. وقرئ (ياأبتِ) بالكسر فيهن، وأصله: يا أبي فعوض عن الياء بتاء التأنيث، فالكسر يدل على أن الياء محذوفة في النداء كما تقول: يا غلام أقبل، وهي اللغة المستعملة الفاشية، والفتح لأنه حركة أصلها، فقدره أنه مثل: يا طلحة أقبل، فجعل حركة التاء كحركة ما قبلها.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة يوسف: نزلت بعد سورة هود، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة يوسف: ألْف وسبعمائة وستّ وسبعون. عدد حروف سورة يوسف: سبعة آلاف ومائة وستة وستُّون. أسماء سورة يوسف: ما لها اسم سوى سورة يوسف؛ لاشتمالها على قصّته عليه السلام. مواضيع سورة يوسف: مقصود السّورة =

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥- ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ﴾: يحسدوك ويبغوك الغوائل. ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: مبين لعداوته مُظهر. ٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ﴾: يصطفيك ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: لمن هو أهل للاجتباء. ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبير خلقه. ٧- ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾: عبر، لمن سأل عن قصتهم وعرفها. ٨- ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة، عشرة فصاعداً، ليس لها واحد من لفظها. ٩- ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: في أرض ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: من شغله بيوسف، فإنه قد شغله وصرف وجهه عنا إليه؛ فإذا فقد يوسف رجعت إليكم محبته. ﴿وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: تتوبون مما صنعتم. ١٠- ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: غور البئر، حيث يغيب خبره، وقرأ نافع: (غيابات). ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: مارّة الطريق والمسافرون ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: ما أقول لكم. ١١- ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: فتتركه معنا إذا خرجنا إلى الصحراء ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: نحوطه ونحفظه. ١٢- ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: من الرُّتوع، وهي الإقامة في الخصب والمرعى في أكل وشرب. واللعب بالخيل والرمي ونحوه من اللعب المباح. ١٤- ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: عجزة هالكون. = القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم منه نبأ، ولا رحل في تعرفه إلى أحد، فكان قصصًا وآية معلمًا بصحة رسالته ﷺ، وعظيم تلك العناية، فالتعبير بالإنزال هنا بيّن، وأمَّا آية الزخرف فلم تبن على أخبار، بل أعقبت بآي الاعتبار والتلطف في التنبيه والتذكار قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥]، وهذا أعظم التلطف، وقال تعالى بعد: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف : ٩]، ثم مضت أكثر آي هذه السورة على نحو الاعتبار وما يناسبه. وقد ذكر سيبويه، رحمه الله تعالى، في أقسام "جعل" كونها بمعنى صيّر ملحقًا لها بظنَّ وأخواتها، ومنه وقولهم: جعل الطين خزفًا، وذلك انتقال وتصيير، فالمراد بالآية جعل الكتاب معتبرًا هدى ونورًا، والمنبهين به والمعتبرين بآياته المخاطبين به مخلوقين تقدمهم العدم، وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم، فصح بانتقال حالهم التصيير، وجل عن التغير والحدوث كلام الحكيم الخبير، فكرمه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، فقد وضح معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غير ذلك، ولا يناسب الآية الأخرى غير "أنزل"، فجاء كل على ما يجب.

= المناسب، فأنت ترى ابنه يوسف عليه السلام يرى الرؤيا فيبادر بقصها على أبيه ولا يتردد، وهذا يشير إلى طبيعة العلاقة الحميمة بينهما. [٥] ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف : ٥]. يعقوب عليه السلام عرف تأويل الرؤيا ولم يبال بذلك، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه. [٥] ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف : ٥]. لما قصّ عليه ابنه الصغير رؤياه أولها الأب النبي – وحسبك بالنبوة شغلاً – ما تستحقه من الاهتمام، فلا هو أهملها كما يفعل الكثيرون، ولا هو بالغ في الاهتمام بها والتحذير من عواقبها، وكثير من الناس يظن أن رؤيا الأطفال لا أهمية لها، ولا يُعبأ بها، ولا يضيع الوقت بالالتفات إليها، والواقع أنها قد تكون أصدق من رؤى الكبار، لأنهم مازالوا على الفطرة ولم يتعودوا الكذب وفى الحديث الصحيح: "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا". رواه مسلم. وهنا تلحظ أمرين: أن النهي جاء معللاً، وأن التعليل تعليل حكيم، مع أنه يخاطب غلامًا صغيرًا فلم يكتف يعقوب عليه السلام بأسلوب الزجر العسكري الذي يسلكه كثير من الآباء، و لم يعلل له الزجر بتعليلات سمجة كما يفعله من يستخف ببعض الأبناء. [٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف : ٦]. إن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ...﴾ ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف. [١٣] ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف : ١٣]. إن الإنسان إذا ظن سوءًا بإنسان، فلا يصلح أن يلقنه حجة؛ لأنه يستخدمها عليه، وذلك ما فعله يعقوب لما قال ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ لقن أبناءه حجةً استعملوها بعد ذلك. [١٦] ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف : ١٦]. قال علماؤنا: هذه الآية تدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٢٢]. في هذه الآية دليل على أن الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى العباد سبب ينال به العلم، وتنال به خيرات الدنيا =

[٧] ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ قرئ: (آية) بالإفراد على إرادة الجنس، أو على أن شأن يوسف كله آية على جملة، وإن كان في التفصيل آيات، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾. وقرئ: (آيات) بالجمع تصريحًا للمراد، وذلك لتعدد الحوادث واختلاف الأحوال، ففي كل حال جرت آية فجمع لذلك. [١٠] ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ قوله تعالى: ﴿غَيَٰبَتِ﴾ قرئ: (غيابات) بالجمع في موضعي ذِكْرها، كأن لتلك الجب غيابات، وهي أي: الغيابة قعره أو حفرة في جانبه. وقرئ: (غيابة) بالإفراد لأنه لم يُلْقَ إلا في واحدة منها: لأن الإنسان لا تحويه أمكنة متعددة وإنما يحويه مكان واحد، والجب البئر التي لم تطو. [١١] ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْمَ۫نَّا﴾ قرئ: بالإدغام المحض بلا إشمام ولا روم فينطق بنون مفتوحة مشددة. وقرئ: بالإدغام مع الإشارة إلى وجه الإشمام، أو الإشارة إلى أن حركة النون ضمة، ووجه الاختلاس التخفيف، وقيل: للإشارة كالإشمام. [١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قرئ: (يرتع ويلعب) بالياء من تحت فيهما إسنادًا إلى يوسف، وكسر عين يرتع من غير ياء جزمًا بحذف حرف العلة من ارتعى: افتعل، والفعلان مجزومان على جواب الشرطَ المقدر. وقرئ: (يرتعْ ويلعب) بالياء كذلك فيهما لكن مع سكون العين. وقرئ: (نرتعْ ونلعب) بالنون فيهما وسكون العين مضارع "رتع" انبسط في الخصب، فيكون صحيح الآخر جزمه بالسكون. وقرئ: (نرتعِ ونلعب) بالنون فيهما وكسر العين من غير ياء. وقرئ: (نرتعي ونلعب) كذلك إلا أنه أثبت الياء وصلًا ووقفًا على لغة من يثبت حرف العلة في الجزم، ويقدر حذف الحركة المقدرة على حرف العلة، وأصله من يرتعي، فوزنه يفتعل.

= إجمالاً: عَرْض العجائب الَّتي تتضمّنها: من حديث يوسف ويعقوب، والوقائع الَّتي في هذه القصّة: من تعبير الرّؤيا، وحَسَد الإِخوة، وحِيلهم في التفريق بينه وبين أبيه، وتفصيل الصّبر الجميل من جهة يعقوب، وبشارة مالك بن دعر بوجْدان يوسف، وبيْع الإِخوة أخاهم بثمن بَخْس، وعَرْضه على البيع والشراء، بسُوق =

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

١٥- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: يعني يوسف عليه السلام، قيل: بإلهام أو بنوم. ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: لتخبرنهم. ١٧- ﴿نَسْتَبِقُ﴾: من السباق ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمصدق ﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾: أي من أهل الصدق والدين، لسوء ظنك بنا وتُهمتك لنا. ١٨- ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: بدم غير دم يوسف. وقيل: ذبحوا جَدياً من الغنم، ولطخوا به القميص ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾: زينت وحسنت لكم أنفسكم ﴿أَمْرًا﴾: في يوسف فعلتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: في غير جزعٍ ولا شكوى. ١٩- ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مارة الطريق، جمع: سيّار ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾: أي الرجل الذي يرد المنهل، ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾: ارسلها في البئر ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ﴾: هو من البشارة، وأراد حضورها في هذا الوقت، وقرئ: (يا بُشْرايَ) ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: قيل: صاحب الدلو ومن معه من أصحابه، أخفوا وجدانهم له في الجب، خيفة منهم أن يستشركهم السيارة فيه، وقالوا لهم: هو ﴿بِضَـٰعَةً﴾: ابضعها معنا أهل الماء. أو أهل المصر؛ ٢٠- ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه. قيل: هم السيارة تبايعوا يوسف ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: قليل. وقيل: حرام، لأنه كان حراماً عليهم، لا يحل لهم أكل ثمنه ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: قيل: هم السيارة كانوا فيه زاهدين، لا يعلمون كرامته على الله. ٢١- ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: منزلته وموضع مقامه. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: أن يكفينا بعض ما نعاني من أمور دهرنا إذا فهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: بما أنقذناه من إخوته وقد همُّوا بقتله، وبأن أخرجه- سبحانه- من الجب، وصيره إلى الكرامة والسعة عند العزيز بمصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: عبارة الرؤيا، أي تفسير ما تؤول إليه الأحلام، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: مستول على أمر يوسف، يسوسه ويدبره ويحوطه ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما الله صانع بيوسف، وما يؤول إليه أمره. ٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: منتهاه في وقته وشبابه: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ﴾: أعطيناه ﴿حُكْمًا﴾: حكمة وتمكيناً في الأرض ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المهتدين.

[١٨] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ﴾ [يوسف: ٨٣]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، تكررت في موضعين، الموضع الأول حين نُعي إليه يوسف، والثاني حين رُفع إليه ما جرى على بنيامين. [٢٢] ﴿وَلَمَّا﴾ [يوسف: ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٩٤] وفي باقي المواضع ﴿فَلَمَّا﴾ [هذا الموضع خاص بسورة يوسف فقط]. الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، أمّا الواو فهي لمطلق الجمع، يأتي بالفاء عندما يكون هناك تعقيب: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٤-١٥]، لا يوجد فاصل زمني بين الأمرين، وهذا يدل على الترتيب والتعقيب، وكذلك في قصة يوسف مع امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٧-٢٨]، جاء بـ"فلما" لأن الآية في نفس المشهد والموقف ولا تحتمل التأخير، والأحداث تسلسلت وتعاقبت وتأتي واحدة تلو الأخرى بترتيب وتعقيب، وليس بين الأحداث أي تراخٍ أو فترة زمانية فاصلة طويلة؛ لذا استخدم "فلما"، أمّا في الآية التي جاءت فيها "ولما" فقد استغرق سنوات طويلة حتى بلغ أشده: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وكذلك لما ذهب إخوة يوسف إليه في مصر، استغرق الأمر زمنًا حتى سافروا ووصلوا إلى يوسف بعد أن كلمهم أبوهم: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]، والله أعلم. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]. يوسف عليه السلام نُبِّه على مايراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤيا الكواكب والوحي حين ألقي في الجب، وما ألهمه الله تعالى من علم =

= والآخرة. [١٨] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ﴾ [القصص: ٦١]. ما الفرق بين: "الجمال والحُسْن"؟ الجواب: رغم أن أئمة اللغة كسيبويه وغيره يسوون بين (الجمال) و(الحُسْن) في المعنى، إلا أن الكلمتين مختلفتان في القرآن، ولكل منهما مواضع خاصة. ١- لم يرد في القرآن إلا المصدر (الجمال)، والصفة المشبهة (جميل). ٢- ولم يستعمل القرآن الكريم (جمال) أو (جميل) إلا في الأمور المعنوية لا الحسية. ٣- وردت كلمة (جميل) سبع مرات كالآتي: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣]، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]. ٤- وردت كلمة (جمال) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]. ٥- يُطلِق القرآن كلمة (الحُسْن) على الأمور المعنوية والأمور المادية، فكل جميل حسن، وليس كل حسن جميلًا. ومثال المعنوي: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القصص: ٦١]. ومثال المادي: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. [٢١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. لا يزال لطف الله بعبده، فبعد أن حجب الشيطان في قلوب إخوته معاني الأخوة، قذف الله في قلب عزيز مصر معاني الأبوة. [٢١] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]. والله غالب على أمره حيث أراد يعقوب أن لا يكيده إخوته فكادوه، ثم أراد إخوة يوسف قتله، فلم يقدّر لهم، ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيّارة، فيندرس أمره، فعلا =

[١٩] ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾ قرئ: (يا بشرى) بغير ياء إضافة نداء للبشرى، أي: أقبل فهو نداء مفرد شائع، ومعنى ندائه البشرى، أي: تعالي يا بشراي فهذا وقتك، أي: لو كنت ممن يخاطب لخوطبت الآن كما قال: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾. وقرئ: (يا بشرايَ) بياء مفتوحة بعد الألف إضافة إلى نفسه، وفتحت الياء على القياس، فهو نداء مضاف منصوب كما تقول: يا حياتي تعال.

= مصر، ورغبة زَليخا وعزيز مصر في شرائه، ونظر زَليخا إلى يوسف، واحتراز يوسف منها، وحديث رؤية البرهان، وشهادة الشاهد، وتعيير النسوة زَليخا وتحيّرهنّ في حسن يوسف وجماله، وحبسه في السّجن، ودخول السّاقي والطّبّاخ إليه، وسؤالهما إيّاه، ودعوته إيّاهما إلى التّوحيد، ونجاة السّاقي، وهلاك الطّبّاخ، ووصية

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

٢٣- ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾: هلمَّ لك، تعال. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أعتصمُ بالله ﴿رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾: قال: إن صاحبك وزوجك سيدي، أحسن مثواي وأكرمني، وائتمنني على أهله وماله فلا أخونه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: هذا الذي تدعونني إليه ظلم ولا يفلح من عمل به. ٢٤- ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾: امرأة العزيز ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾: يقال: هم بالأمر: إذا حدثته نفسه به. والمعنى: هَمَّ بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه، وهو تذكره عهد الله وميثاقه وما أخذه على عباده. وقيل غير ذلك. ٢٥- ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾: يوسف هارباً، وامرأة العزيز طالبة ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾: تعلقت بقميصه من خلفه فجذبته لتمسكه فشقت قميصه من خلف ﴿وَأَلۡفَيَا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِ﴾: جالساً عند الباب، أو مقبلاً يريد أن يدخل، وابن عمها معه، فلما رأته هابته، فـ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾. ٢٦- ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾: رجل ذو رأي حكيم من أهلها. وقيل: صبي أنطقه عز وجل ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾: فإنه كان مقبلاً إليها. ٢٧- ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾: فإنه كان مولياً عنها. ٢٨- ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّ﴾: من صنيعكن، يعني: من صنيع النساء. ٢٩- ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾: لا تذكر ما كان منها إليك لأحد ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾: يعني: ما كان منك؛ يخاطب زوجته! ٣٠- ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: إذ شاع الأمر وتُحدِّث بذلك. ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: قد دخل حبه شغاف قلبها، فغلب عليه. وشغاف القلب: وسطه، أو حجابه الذي هو فيه، ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: خطأ من الفعل مبين. = التأويل، أمَّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه، ولا نُبِّه عليه قبل بلوغ الأربعين، فناسبه "واستوى" ولا سيما على قول الأكثرين إن الاستواء بلوغ الأربعين، لأنها كمال العقل.

[٢٣] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، تكررت في موضعين، الموضع الأول حين دعته إلى المواقعة، والثاني حين دُعي إلى تغيير حكم السّرقة. = أمره، ثم باعوه ليكون مملوكًا، فغلب أمره حتى ملك، وأرادوا أن يعطفوا أباهم فأباهم، ثم أرادوا أن يغروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألقوه على القميص فلم يخف عليه، ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قومًا صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين، فقالوا: (إنا كنا خاطئين)، ثم أرادوا أن يمحوا محبته من قلب أبيه، فازدادت، ثم أرادت امرأة العزيز أن تلقي عليه التهمة بقولها: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا)، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها، وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي، فنسي الساقي حتى لبث في السجن بضع سنين. [٢٣] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]. مع أن هذا المقطع يتعلق بقصة حب أعمي وشهوة جامحة إلا أنك تجد العفة أثناء التصوير الدقيق، والأسلوب البديع الذي لم يحترق بتأجج النزوات وإثارة الشهوات من أجل الحبكة والإثارة الأدبية. فما بال أقوام ينتسبون إلى الأدب لا يجدون سبيلاً لإظهار البراعة إلا بقلة الأدب. فنجد أحدهم يفحش كل الفحش ثم يقال: ما أحذقه! فيا لَسَفه من فرِح من الأدباء بقول الناس له: هنيئًا مريئًا أنت بالفحش أحْذق!!. [٢٣] ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥]، لماذا وحَّد الباب في الموضع الثاني، وجمعه قبلُ في الموضع الأول؟ **الجواب:** إغلاقُ الباب للاحتياط لا يتمُّ إلَّا بإغلاق الجميع، وأمَّا هروبه منها فلا يكون إلَّا إلى باب واحد، حتى لو تعدَّدت أمامه لم يقصد منها أوَّلًا إلَّا الأول، فلهذا وحَّد البابَ في الموضع الثاني، وجَمَعه في الموضع الأول. [٢٤] ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشد توحيدًا كان أبعد من عشق الصور، ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها، ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه. [٢٤] ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. كلمة "المخلَصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلِصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. [٢٤] ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية ما نصه: وعند هذا نقول: هؤلاء الجهّال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته – يعني قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣].

[٢٥] ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]. تأمل: المتبادر للذهن أن يكون الخطاب وألفيا سيدهما؛ لأن يوسف مملوك لدى العزيز فلماذا نسبت السيادة للمرأة فقط؟ **الجواب:** لأن يوسف عليه السلام مسلم والعزيز كافر، ولا تكون أبدًا السيادة للكافر على المسلم. قول آخر: وإنما لم يقل سيدهما؛ لأن ملكه ليوسف لم يكن صحيحًا فلم يكن سيدًا له لأن استرقاق يوسف غير شرعي، وهذا كلام ربه العليم بأمره لا كلام من استرقه.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠]. لماذا قلن امرأة العزيز ولم يصرحوا باسمها؟ **الجواب:** أضفنها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر، فإن النفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل. [٢٣] ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿هَيۡتَ﴾ قرئ: (هِيْتَ - هَيْتِ) بكسر الهاء وفتحها وياء ساكنة وتاء مفتوحة، وفتح الهاء وكسرها لغتان، ومن فتح التاء بناها على نحو: كيف. وقرئ عن هشام كذلك إلا أنه بالهمز، ومعناها: تهيأ لي أمرك أو حسنت هيئتك، ولك: متعلق بمحذوف على سبيل البدل كأنها قالت: القول لك. وقرئ: (هَيْتُ) بفتح الهاء وياء ساكنة وضم التاء تشبيهًا لها بحيثُ. والجمهور على أنها عربية اسم فعل، كلمة حث وإقبال بمعنى: هلم، وكلها لغات في اسم الفعل، وقيل: المهموز فعل من هاء يهيء كجاء يجيء، والباقي اسم فعل. [٢٤] ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ حيث جاء بأل وفي (مخلصًا) =

= يوسف للسّاقي بأن يذكره عند ربّه، وحديث رؤيا مالك بن الرّيان، وعجز العابرين عن عبارتها، وتذكُّر السّاقي يوسف، وتعبيره لرؤياه في السّجن، وطلب مالك يوسف، وإخراجه من السّجن، وتسليم مقاليد الخزائن إليه، ومَقْدَم إخوته لطلب الميرة، وعهد يعقوب مع أولاده، ووصيّتهم في كيفيّة الدّخول إلى مصر، وقاعدة =

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: يعني: بقولهن، وسمي مكراً لأنهن توسلن به إلى رؤية يوسف! ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: اعدت ﴿مُتَّكَـًٔا﴾: مجلساً للطعام ﴿وَءَاتَتْ﴾: اعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: وروي انها اطعمتهنّ الأترجّ ﴿وَقَالَتِ﴾: له، ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾. ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾: اعظمنه واجللنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: اي جرحنها، وهن لا يشعرن. وقال بعض علماء اللغة: يقال: قطع يد صاحبه: إذا خدشها. وقيل: المراد بايديهن: اكمامهن! ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾: معاذ الله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ﴾: من الملائكة. ٣٢- ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: وقد أصابكنّ في رؤيتكنّ إياه ما أصابكن من ذهاب العقل والفكر ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: أقرت عندهن ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾: امتنع ولم يطاوعني ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: من الأذلين. ٣٣- ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ﴾: من الزنا ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمِلْ، من: صبا يصبو: إذا مال واشتاق. ٣٥- ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾: العزيز زوج المرأة، ومن رأى رأيه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾: في القميص، وشهادة الشاهد، وقطع أيدي النساء ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: سبع سنين، وقال أكثر المفسرين: إلى مدة غير معلومة. ٣٦- ﴿نَبِّئْنَا﴾: اخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: بتاويل رؤيانا ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: إلى أهل السجن، فقد كان إذا مرض في السجن إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له. وقيل: من المحسنين: من الذين يحسنون عبارة الرؤيا. ٣٧- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾: في النوم ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾: في اليقظة.

[٣١] ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف : ٣١]، ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ﴾ [يوسف : ٥١]. ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول في حضرة يوسف عليه السلام حين نَفَين عنه البشرية، أي: النسوة، بزعمهنَّ، والثاني بظهر الغيب حين نَفَين عنه السوءَ. [٣٤] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف : ٣٤]، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف : ٨٣]. عندما كان الدعاء من يوسف عليه السلام استجاب له ربه فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ولما كان الشك من يعقوب عليه السلام في أولاده بأن سولت لهم أنفسهم الكيد لأخيهم والله أعلم بما مكروا، ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[٣٦] ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف :٣٦]، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٧٨]. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول من كلام صاحبي السّجن ليوسف، والثاني من كلام إخوته له.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف : ٣٠]، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات : ١٤]. لماذا ذَكَّر الفعل في سورة يوسف وأنثه في الحجرات؟ الجواب: القاعدة النحوية أنه يجوز تذكير جمع التكسير وتأنيثه، ويؤنث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل يذكر الفعل، لذا استخدم الفعل "وقال" مذكرًا في "نسوة" وهن حاشية امرأة العزيز، وفي الحجرات استخدم الفعل "قالت" مؤنثًا، لأن "الأعراب" كُثر، وعلى هذا فإن تذكير الفعل يستعمل مع جمع التكسير ليفيد القلة كما جاء في الآية في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، لأن النسوة كانوا قلة، وهذا بخلاف تأنيث الفعل، فإنه يفيد الكثرة كما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾، لأن الأعراب كثرة وفيهم قبائل متعددة، فتاء التأنيث في الفعل تفيد التكثير، والله أعلم. [٣١] ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف : ٣١]. إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾، استغرقت إحساس الناظرات ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، وماشعرن، فكيف بالحال يوم المزيد؟! لو أحببت المعبود لحضر قلبك في عبادته. [٣٢] ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف : ٣٢]. ما الفرق بين ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ بتشديد النون، و﴿وَلَيَكُونًا﴾ بتخفيف النون. الجواب: المعروف في اللغة أن نون التوكيد الثقيلة آكد من الخفيفة، لأن تكرار النون بمثابة تكرار التوكيد، فالنون الثقيلة هي عبارة عن نونين، ففي الفعل ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ثلاث نونات، نون الفعل الأصلية المبنية على الفتح، ونون التوكيد الثقيلة وهي نونان، فتكرار النون بمثابة تكرار التوكيد، وسبب الاختيار أن امرأة العزيز أكدت على دخوله السجن فجاءت بالنون الثقيلة فسُجن، بينما هي لم ترده من الصاغرين وإنما تريد سجنه، فلم تقل ليكوننَّ من الصاغرين، لأنها لن تقدر على ذلك، وإنما تقدر على سجنه، كما أنها لن تكون حقيقة مستقبلة، وإنما سيصير عزيز مصر، ولن يكون من الصاغرين.

= "بمريم" قرئ: (المخلَصين) بفتح اللام منهما اسم مفعول، ومعناه: الذين أخلصهم الله لعبادته وكرامته. وقرئ: (المخلِصين) بالكسر اسم فاعل، ومعناه: الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله. [٣١] ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قرئ: (حاشا لله) بألف بعد الشين وصلًا فقط على أصل الكلمة. وقرئ: (حاش لله) بالحذف: حرف جر يفيد معنى البراءة؛ وبهذا المعنى استعمل في الاستثناء ثم وضع موضع البراءة فاستعمل كاستعمال المصادر، فلما نزل منزلة الأسماء تصرفوا فيه بحذف ألفه الأولى أو الثانية.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ إعجاز تاريخي: عندما يذكر القرآنُ حكام مصر القدامى لا يذكرهم إلا بلقب (فرعون) وذلك في حوالي ستين آيةٍ كريمة إلا في سورةٍ واحدة ذُكر فيها حاكم مصر بلقب (ملك) وهي سورة يوسف، ولم يُذكر فيها لقب (فرعون) مع أن يوسف عليه السلام عاش في مصر، وذُكر في ثلاث آيات في سورة يوسف هي الآيات رقم: (٣٠، ٥٠، ٥٤) أن حاكم مصر كان لقبهُ (ملكًا) ـ حينها في زمن يوسف عليه السلام ـ وليس (فرعون). فكيف هذا؟! بقيت هذه الآيات الثلاث إعجازًا قرآنيًا، حتى فكَّ (شامبليون) حجر رشيد، وتعرف على الكتابة الهيروغلوفية في أواخر القرن التاسع عشر، فتعرفَّ العالم على تاريخ مصر في مطلع القرن الحالي بشكلٍ دقيق، فظهرت المعجزة: إن حياة يوسف عليه السلام في مصر كانت أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة وظلوا في مصر من عام ١٥٨٠ قبل الميلاد إلى عام ١٧٣٠ قبل الميلاد، حتى أخرجهم أحمس الأول، وشكَّل الدولة الحديثة (الإمبراطورية) لذلك كان القرآن العظيم دقيقًا جدًا في كلماته فلم يقل: قال (فرعون) ائتوني به، ولكن قال: وقال (الملك) لأن يوسف ـ عليه السلام ـ عاش في أيام الملوك الرعاة حيث تربع على عروش مصر ملوك بدل الفراعنة الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد، وجعلوا عاصمتهم طيبة، أليس هذا معجزةً قرآنيةً تاريخية تشهد بدقته وصحته، وتشهد بالتالي بنبوة محمد ﷺ؟!

= تعريف يوسف نفسه لبنيامين، وقضائه حاجة الإخوة، وتغييبه الصّاع في أحمالهم، وتوقيف بنيامين بعلّة السّرقة، واستدعائهم منه توقيف غيره من الإخوة مكانه، وردّه الإخوة إلى أبيهم، وشكوى يعقوب من جَوْر الهجْران، وألم الفراق، وإرسال يعقوب إيّاهم في طلب يوسف وأخيه، وتضرّع الإخوة بين يَدي يوسف، =

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَاءِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)

٣٨- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَاءِي﴾: سمّاهم آباء جميعًا، لأن الأجداد آباء، وقدم الجدّ الأعلى، ثم الجد الأقرب ثم الأب. ٣٩- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾: يعني: يا من هما في السجن ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾: يقول: أعبادة أرباب شتى متفرقين لا ينفعون ولا يضرون. ٤٠- ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خطاب جمع، لأنه قصد به صاحبي السجن ومن كان على دينهم. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة ولا برهان. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم الثابت. ٤١- ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: سيده ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: فُرِغ منه، ووجب حكم الله به. ٤٢- ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: عند الملك ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: قيل: لما قال للساقي ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: قيل: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلنّ سجنك ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾: و«البضع»: ما بين الثلاث إلى التسع. ٤٣- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: ملك مصر ﴿إِنِّي أَرَىٰ﴾: في المنام ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: الجماعة. ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾: اي: اخبروني بحكم هذه الرؤيا، ﴿تَعْبُرُونَ﴾: تفسّرون.

[٣٩، ٤١] ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [يوسف : ٤١]. ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول ذَكَره يوسف حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان، والثاني حين دَعَوَاه إلى تعبير رؤياهما تنبيهًا على أنَّ الكلام الأوّل قد تمّ. [٤٠] ﴿أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف : ٧١]، ﴿أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف : ٤٠]. "أفعل" للتعدى، و"فعّل" للتعدي والتكثير، فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ليجري مجرى ذكر الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع، فيكون الأول كالجنس وما سواه كالنوع. قول آخر: "نزّل" تفيد التدرج والتكرار، و"أنزل" عامة، لكن الذي يبدو أن الفرق بين "نزّل" و"أنزل" أن "نزّل" تفيد الاهتمام، نظير وصى وأوصى، وكرّم وأكرم، ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ"نزّل"، والتي دونها يأتي بـ"أنزل"، ففي آية سورة يوسف لم يردّ عليه السجينان وليس فيها تهديد، فقال: "أنزل"، أمّا الموقف في آية سورة الأعراف ففيه محاورة شديدة وتهديد، وكلام شديد من أولئك، كيف تأمرنا أن نترك آلهتنا ونعبد الله فقال: "نزّل"، إذًا "نزّل" آكد وأقوى في مواطن الاهتمام وأشد من أنزل. [٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف : ٤٢]. ما دلالة كلمة "ظنّ"؟ الجواب: "الظنّ" في الآية هو أعلى درجات العلم، وهو الشعور في الذهن الذي يصل إلى أعلى درجات العلم؛ وهذا هو الظنّ الذي يصل إلى درجة التوكيد كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٤٩].

[٤٢] ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ما الفرق بين (ذكرى، ذكر، تذكرة)؟ الجواب: وردت كلمة (ذكرى) إحدى وعشرين مرة. وكلمة (ذكر) ثلاثًا وستين مرة. وكلمة (تذكرة) تسع مرات. كلمة (ذكرى) لها معنيان: أ- التذكر: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ب- القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكلمة (ذكر) لها أربع معان: أ- ذكر اسم يوسف أمام عزيز مصر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]. ب- الشهرة والصيت والمكانة كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. ج- كتاب منزل قبل الزبور كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقد اختلف المفسرون في تحديد معنى الذكر في هذه الآية: أكتابٌ منزلٌ هو أم الإنجيل أم التوراة، أم العلم. د- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وكلمة (تذكرة) لها معنيان: أ- التذكير: كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. ب- القرآن: كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. والفرق بين (تذكرة) و(ذكرى): أن الأولى مصدر، والثانية اسم مصدر، ولا يسدُّ اسم المصدر في الاستعمال الدقيق مكان المصدر. كما أن كلا منهما جاءت متسقة مع السياق الواردة فيه، ومنسجمة موسيقيًا. كلمة (تذكرة) جاءت من فعل متعدٍّ لمفعولين: ذكَّر يُذكِّر تذكرةً. أما كلمة (ذكر) فقد جاءت من فعل متعدٍّ لمفعول واحد. [٤٣] ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة : ٢٦١]، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف : ٤٣]. من المعروف أنه قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من جمع، فتجمع مرة جمع مذكر ومرة أخرى جمع تكسير، وقد تجمع الكلمة جمع مؤنث سالمًا تارة، وتارة أخرى جمع تكسير، نحو كلمة ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ التي تجمع على سنبلات وسنابل، ويقول النحاة إن الجمع السالم بنوعيه "مذكر - مؤنث" يفيد القلة "أي: من الثلاثة إلى العشرة" وجمع التكسير يفيد الكثرة "أي: فوق العشرة" ومعنى هذا أن كلمة ﴿سُنْبُلَةٍ﴾ جمعت في آية البقرة ﴿سَنَابِلَ﴾ جمع تكسير الذي يفيد الكثرة، وفي آية يوسف ﴿سُنْبُلَاتٍ﴾ جمع مؤنث الذي يفيد القلة. وبيان ذلك أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعفه له من أجر حتى سبعمائة ضعف، فبناء هذه الآية على التكثير، لذا جاءت كلمة ﴿سَنَابِلَ﴾ على جمع الكثرة، أمّا الآية في سورة يوسف فإنها مبنية على إخبار الملك عن رؤياه ﴿سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ﴾ وهو العدد الذي رآه فعلًا بدون كثرة ولا قلة، والله أعلم.

[٤١] ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات، ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في القرآن.

= وإظهار يوسف لهم ما فعلوه معه من الإساءة وعفوه عنهم، وإرساله بقميصه صحبتهم إلى يعقوب، وتوجُّه يعقوب من كنعان إلى مصر، وحوالة يوسف ذنب إخوته على مكايد الشيطان، وشكره لله تعالى على ما خوّله من المُلْك، ودعائه وسؤاله حسن الخاتمة، وجميل العاقبة، وطلب السّعادة، والشّهادة، وتعيير الكفّار =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ (٤٤) وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ (٥٠) قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ (٥٢)

٤٤- ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾: اضغاث: رؤيا، و«الضِّغْث» أصله: الحزمة من الحشيش. ٤٥- ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: تذكَّر ما كان من أمر يوسف عليه السلام ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: حين. ٤٧- ﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾: كعادتكم وما كنتم تزرعون، و«الدأب»: العادة؛ وقيل: سبع سنين متوالية متابعة، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: أشار عليهم بما يبقي به طعامهم. ٤٨- ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾: سنون فيها قحوط ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾: بمعنى: يُؤكل فيهن ما تقدمتم في إعداده لهن في سني الخصب. ﴿مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾: مما تحرزونه. وقيل: تدّخرون. ٤٩- ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾: قيل: العنب والزيت والسمسم. وقيل: «يعصرون»: ينجون من الجدب والقحط، مأخوذ من العُصْرة والعَصَر، وهما: المنجاة. ٥٠- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ﴾: إلى آخر الآية. اراد ﷺ الا يخرج من السجن حتى يعرف عذره وبراءته ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: عنى: سيده العزيز زوج المرأة. ٥١- ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾: ما شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾: نسب المراودة لهن لوقوعها منهن في الجملة، كما كان من امرأة العزيز. ولم يفردها بنسبة ذلك إليها. ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: معاذ الله. ﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾: تبين وظهر، وذهب الباطل. ٥٢- ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: قيل: هو من كلام يوسف عليه السلام: ليعلم العزيز أني لم أخنه، ولم أخالفه، في أهله بظهر الغيب. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز وكلامها متصل، أي: قولي هذا وإقراري ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته بأن أكذب عليه، أو أرميه بذنب هو منه بريء، وهذا التفسير أرجح. ﴿لَا يَهۡدِي﴾: لا يسدد ﴿كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾: صنيعهم.

[٥١] ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ [يوسف: ٥١]. ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول في حضرة يوسف عليه السلام حين نَفَين عنه البشرية، أي: النسوة، بزعمهنَّ، والثاني بظهر الغَيب حين نَفَين عنه السّوءَ.

[٤٦] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ ...﴾ [يوسف: ٤٦]. ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه، وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلاً مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره، بل أجابه عن سؤاله جوابًا تامًا من كل وجه.

[٤٦] ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]. كرّر ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ مراعاة لفواصل الآي، ولو جاءَ على مقتضى الكلام لقال لعلي أرجع إلى النّاس فيعلموا، بحذف النون على الجواب، ومثله في هذه السّورة قوله: ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، أي: لعلّهم يعرفونها فيرجعوا. [٤٩] ﴿وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، ﴿قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: ١٤]. ما الفرق بين كلمة "سنة" و"عام" و"حول"؟

الجواب: كلمة "سنة" تستعمل في القرآن الكريم أحيانًا للقحط والتعب والشدة وطول المدة، مثلما جاء في آية الأعراف: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ويقال أسنت الناس أي أصابهم قحط، وكذلك في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فالآية تعني ألف سنة فيها شدة وتعب، وارتاح منها خمسين سنة فقط، أمّا كلمة "عام" فهي بمعنى الخصب والرخاء وقصر المدة، مثلما جاء في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩]، وكلمة "حول" يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع، فمعناه يختلف عن معنى السنة ويختلف كذلك عن معنى العام؛ لأن السنة والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث أو الفعل، وليس شرطًا أن يكون الحدث أو الفعل مستمرًا خلالها، أما الحول فيكون الحدث أو الفعل فيه مستمرًا بدون انقطاع، مثلما جاء في سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وهي تعني أن يكون المتاع طوال العام مستمرًا بدون انقطاع. ومن الدراسة السابقة يتبين لنا الفروق الجوهرية بين معنى السنة ومعنى العام ومعنى الحول، وأنها يجب أن يتم فهمها على النحو الصحيح حتى نتدبر آيات القرآن ونفهمها على أحسن وجه. [٥١] ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. القرآن يعبر عن الرجل بـ"الزوج" أحيانًا وبـ"البعل" أحيانًا أخرى، وعن المرأة بـ"الزوج" وبـ"المرأة" في بعض المواضع، فما السر في ذلك؟ الجواب: معنى "الزوج" يقوم على الاقتران القائم على التماثل والاتفاق والانسجام التام، فالزوج فرد انضم إليه مماثل له من جنسه، ولذا تستعمل للرجل والمرأة، ولذلك لا يطلق القرآن كلمة زوج على الرجل أو المرأة إلا إذا كانت الحياة الزوجية متفقة ومستقرة، وأما =

[٤٧] ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ قوله تعالى: ﴿دَأَبٗا﴾ قرئ: (دأَبًا) بفتح الهمزة. وقرئ: (دئبًا) بكسرها، وهما لغتان في مصدر دأب يدأب: داوم ولازم.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعۡصِرُونَ﴾ قرئ: (تعصرون) بالخطاب. وقرئ: (يعصرون) بالغيب تقدم نظيره.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في القرآن. [٤٧] ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧]. أفضل طريقة لتخزين الحبوب: أثبت العلم الحديث أن أفضل وسيلة للحفاظ على الحبوب هو تركها في سنابلها لتحافظ على رطوبتها الطبيعية وتمنع تأثير الجو على الحبوب مباشرة، وهذا سبق علميٌّ للقرآن، وأحد =

= بالإعراض من الحجّة، والإشارة إلى أنّ قصة يوسف عِبرة للعالمين في قوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ...﴾ [يوسف: ١١١].

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣- ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾: من الخطأ والزلل، ولا أزكيها، وهذا كذلك من كلام امرأة العزيز. لأن يوسف عليه السلام لم يكن موجودًا، أو حاضرًا لهذا الحوار ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾: إلا أن يرحم ربي من يشاء فيُنجيه. ٥٤- ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أجعله من خلصائي دون غيره ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: وعرف عظيم أمانته. ٥٥- ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: يعني: أرضه التي أمرها إليه ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: لما استودعتني ﴿عَلِيمٞ﴾: عالم بما أوليتني. ٥٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا﴾: وطأنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض ملك مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: يتخذ من أرض مصر منزلاً ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾: بعد الضيق والسجن. ٥٧- ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الذين صدَّقوا الله ورسوله، خير مما أعطي يوسف في الدنيا من التمكين في أرض مصر. ٥٨- ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: لا يعرفونه. ٥٩- ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾: أوقر لكل رجل منهم بعيره طعاماً، والمراد أنه أعطاهم ما طلبوه من الميرة، وما يصلحون به سفرهم، ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾: خير لكم من غيري، لما فعلته بكم من حسن الضيافة، وأنا خير المنزلين لمن نزل بي. ٦٠- ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾: لا تقربوا بلادي. ٦١- ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ﴾: سنسأل أباه أن يخليه معنا. ٦٢- ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾: غلمانه ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾: أثمان طعامهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾: في أوقارهم، أي أحمالهم، وهم لا يعلمون. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: إذا عرفوا أن بضاعتهم – أو أثمانها – قد رُدت عليهم، وأنهم قد أخذوا الميرة أو الطعام بلا ثمن، فإنهم سوف ينشطون للعودة إلى يوسف. ٦٣- ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾: بمعنى: نكتل نحن وهو.

[٥٣] معنى اسم الله الرب: الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٥٣] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته. [٥٣] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ: هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[٥٣] ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[هود: ٤١]، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]. جاء بالتأكيد باللام في سورة هود في قصة سفينة نوح ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ ليطمئن الذين اتبعوا نوح أنهم بركوبهم السفينة ناجون برحمة الله من الغرق المحقق. [٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ٥٦]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول عن تعلمه تأويل الرؤى، والموضع الثاني حين مَنَّ الله عليه بالخلاص من السجن ومكَّن له في أرض مصر ينزل منها أي منزل شاء. [٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ [يوسف: ٥٩]، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف: ٧٠]. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول حكاية عن تجهيزه إيّاهم أوّل ما دخلوا عليه، والموضع الثاني حين أرادوا الانصراف من عنده في المرّة الثانية، وذكَرَ الأوّل بالواو؛ لأنّه أوّل قَصَصِهم معه، والثّاني بالفاء، عطفًا على ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[يوسف: ٦٩]، وتعقيبًا له.

= إذا حدث خلل في الحياة الزوجية، مثل: عدم الإنجاب، أو خلافات في الحياة الزوجية، أو عند حدوث نزاع، أو عند الاختلاف في الدين، فإن القرآن يطلق على كل منهما، بعل وامرأة. [٦٠] ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠]. في مشروعية المقاطعة الاقتصادية لتحصيل غرض مشروع ما دامت المصلحة الشرعية اقتضتها، فيوسف عليه السلام بيّن لإخوته أنه ليس بينهم أي تعاون اقتصادي ما لم ينفذوا ما أمر به.

[٥٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ﴾ قوله تعالى: ﴿يَشَآءُۚ﴾ قرئ: (نشاء) بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى. وقرئ: (يشاء) بالياء والضمير ليوسف. [٦٢] ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ قرئ: (لفتيانه) بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها جمع كثرة لفتى. وقرئ: (لفتيته) بغير ألف وبتاء مثناة بدل النون جمع قلة، فالتكثير: بالنسبة للمأمورين، والقلة: بالنسبة للمتناولين. [٦٣] ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿نَكۡتَلۡ﴾ قرئ: (يكتل) بالياء والضمير راجع إلى الأخ. وقرئ: (نكتل) بالنون، والضمير راجع إلى الإخوة.

= الأدلة التي لا تُحصى على أنه من لدن عليم خبير. [٥٨] ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي ومشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، ونذير ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت=

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٩)

٦٤- ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾: خيركم حفظاً. ٦٥- ﴿وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: البضاعة التي حملوها إلى مصر، ﴿مَا نَبْغِى﴾: أيُّ شيء نطلب من هذا الملك بعد أن صنع معنا ما صنع من الإحسان برد البضاعة والإكرام عند القدوم إليه، وقيل: أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نجلب إليهم الميرة، وهي الطعام ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: حمل بعير على أحمالنا. ٦٦- ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾: تعطوني ﴿مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: ما يتوثق به من عهد ويمين ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتوا به، وقيل : إلا أن تهلكوا جميعاً و﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شهيد. ٦٧- ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾: يعني : لا تدخلوا مصر من طريق واحد؛ خشي ﷺ العين لجمال فيهم وهيئة. وقيل: خشي أن يُرتاب فيهم فيتعرضوا للأذى. إن دخلوا مجتمعين مع اختلاف هيئتهم ولباسهم عن أهل مصر. ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: لا أقدر دفع شيء من قضائه عنكم ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: القضاء ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فليفوض أمرهم المفوضون. ٦٨- ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: أي: ولكن حاجة كانت في نفس يعقوب، وهي شفقته عليهم ومحبته لسلامتهم، وقيل: حاجته: ما تخوف عليهم من العين. ٦٩- ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمه إليه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تحزن وتستكن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ما عملوا بأخيك من أمك؛ وما كانوا يفعلون بك قبل اليوم.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف : ٦٥]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف : ٦٤]. فما الحكمة من إثبات ياء "نبغي" في سورة يوسف وحذفها في سورة الكهف؟ الجواب: في سورة يوسف جاء إثبات الياء على الأصل، وذلك لبيان أن ذلك هو غاية ما يريدونه ويطلبونه، فالطعام الذي أحضروه من مصر هو المُراد لذاته، فكمال تمام الحرف ناسب كمال تمام الغاية، أما في سورة الكهف فلم يكن فقدان الحوت هو الغاية والهدف الرئيس؛ لأن غايته هي الالتقاء بالخضر، فكان الفقدان وسيلة وليس غاية، فناسب نقصان تمام الحرف نقصان تمام الغاية. [٧٠] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف : ٥٩]، ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف : ٧٠]. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول حكاية عن تجهيزه إيَّاهم أوَّل ما دخلوا عليه، والموضع الثاني حين أرادوا الانصراف من عنده في المرَّة الثانية، وذكَرَ الأوَّل بالواو؛ لأنَّه أوَّل قَصَصهم معه، والثَّاني بالفاءِ، عطفًا على: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف : ٦٩]، وتعقيبًا له. [٦٤] ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]. ما الفرق بين: "حافظ- حفيظ"؟ الجواب: وردت كلمة (حافظ) مرتين، بينما وردت كلمة (حفيظ) إحدى عشرة مرة. كلمة (حافظ) اسم فاعل، بينما كلمة (حفيظ) صيغة مبالغة على وزن (فعيل). في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] لم يكن المقصود التوكيد على الحفظ وإنما بيان نوع القائم على كل نفس. ثم إن توكيد السياق والمعنى ورد بلفظي (إن)، و(لما). وفي قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] كان المقصود بيان النوع لذا جاءت كلمة (حافظًا) تمييزًا وما احتاج المعنى إلى كلمة (حفيظ). أما في المواضع التي احتاجت إلى توكيد ومبالغة في الحفظ فقد جاءت كلمة (حفيظ)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، فالإشراك فعلٌ بالغٌ في السوء، ولذلك ناسبه ذكر صيغة فيها توكيد (حفيظًا). وهكذا في باقي المواضع الأخرى. [٧١] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧١]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبلْ- تعالَ- ائتِ- هاؤم"؟ الجواب: (أقبلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيًا عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلُمُّوا)، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة)- راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان- . إذًا، (أقبلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. [٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف : ٧٦]. فكاد الله له أحسن كيد، وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم، كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث شاء، وكاد له في تصديق النسوة اللاتي كذبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له تكذيب امرأة العزيز لنفسها واعترافها بأنها هي التي راودته، وأنه من الصادقين، فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد بغيًا وعدوانًا. [٧٦] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]. في هذه الآية بيان فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، =

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قرئ: (حَافِظًا) اسم فاعل بفتح الحاء وألف بعدها، وكسر الفاء (تمييزًا، أو حالًا). وقرئ: (حِفْظًا) بكسر الحاء وسكون الفاء، والنصب على التمييز فقط لأنه مصدر جامد، والحال مشتقة.

= لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: قضى حاجتهم وأخذوا ميرتهم ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾: الإناء الذي يشرب فيه الملك ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾: ابن أمه، وهو بنيامين أخوه الشقيق ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: أيتها القافلة. ٧١- ﴿قَالُوا۟﴾: يعني: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾: على المنادى ومن بحضرهم. ٧٢- ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: إناؤه الذي يشرب به؛ وكان من فضة ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: وقر بعير ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾: كفيل. ٧٣- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾: يعني: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: كانوا ردُّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم؛ فقالوا: لو كنّا سراقاً لم نرد البضائع التي وجدناها في أرحلنا؛ وكانوا معروفين في طريقهم أنهم لا يظلمون أحداً، ولا يتناولون ما ليس لهم. ٧٥- ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾: السرقة، أن يُسلَّم إلى من سرق منه ليسترقه ويستعبده!. ٧٦- ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: يقول عز وجل: هكذا صنعنا ليوسف حتى يخلص أخاه لأبيه وأمه من إخوته؛ بإقرار منهم أن له أن يأخذه منهم، ويحول بينه وبينهم ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: في سلطان ملك مصر بظلم؛ لأنه لم يكن من سيرته أن يستعبد السارق، بل أن يُضرب ويُغرَّم ضعف ما سرقه دون الاستعباد سنة كما هي شريعة يعقوب. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: بعلة كادها الله عز وجل فاعتل بها، وذلك بما كان من قولهم أن يُسلَّم من سرق إليه ويستعبده. وقيل: كان هذا الحكم عند يعقوب في بنيه عليهم السلام في السارق أن يؤخذ بسرقته فيستعبد ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: «العليم» هاهنا: الله عز وجل، هو فوق كل عالم. ٧٧- ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ﴾: يعنون: يوسف عليه السلام. كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، وقيل: كان أخذ صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق تغييراً للمنكر ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: أضمرها ﴿يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: يظهرها ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يقول: أنتم عند الله عز وجل شر منزلاً ممن وصفتموه بأنه سرق، وأسوأ مكاناً بما سلف من أفعالكم. قيل: إن كلماته ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾: هي التي أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم.

[٧٣] ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣]، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف:٨٥]، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١]، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]. ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ تكررت في أربعة مواضع، الموضع الأوّل يمين منهم أنهم ليسوا سارقين، وأنَّ أهل مصر بذلك عالمون، والموضع الثّاني يمين منهم أنّك لو واظبت على هذا الحزن والجَزَع تصير حَرَضًا، أو تكونُ من الهالكين، و الموضع الثالث يمين منهم أنَّ الله فضَّله عليهم، وأنّهم كانوا خاطئين، و الموضع الرابع يمين منهم على أنه لم يزل على محبة يوسف. [٧٦] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. نرفع مَن نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة، إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا يوسف: نرفع منازل مَن نشاء في الدنيا على غيره كما رفعنا منزلة يوسف، وفوق كل ذي علمٍ علم من هو أعلم منه. = وعلم التدبير والتربية، وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف – بسبب جماله – حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته. [٧٨] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨]. "الأب والأم والوالد والوالدة" ما دلالة استخدام هذه الألفاظ في القرآن؟ الجواب: التعريف اللغوي: الأب في اللغة: هو الوالدُ. والوالدُ: هو الأبُ. والأمُّ: هي الوالدة. والوالدةُ: هي الأمُّ. جاء في المصباح المنير: الوالدُ الأبُ، وجمعه بالواو والنون (الوالدون)، والوالدةُ الأمُّ، وجمعها بالألف والتاء (الوالدات). فروق الكلمات في آيات القرآن: ١- خص القرآن الكريم كلمة (أب) بالرجل، وما استخدم هذه الكلمة للدلالة على الأم، أمثلة: قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨]، ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨]، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣]، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. ٢- وأطلق كلمة (أبوين) أو (والدين) على كل من الأب والأم مجتمعين. أمثلة الكلمة الأولى (أبوين): قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١]، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. أمثلة الكلمة الثانية (والدين): قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]. لم التثنية بصيغة (أبوين) أحيانًا، وبصيغة (والدين) أحيانًا أخرى؟ الإجابة: أنه في المواضع التي يكون فيها جانب الأبوة أقوى من جانب الأمومة تأتي صيغة (أبوين). مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١]، فمقام الحديث في الآية هو الميراث، والذكر في موضوع الميراث أقوى من الأنثى غالبًا، فالله يقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، كما أن الذكر يكون عصبة المتوفى فيرث ماله كله إن لم يكن للميت وارث آخر، ويأخذ نصيبه إن كان للميت وارثٌ آخر، ثم يأخذ الباقي بعد استيفاء أصحاب الفروض نصيبهم. مثال آخر: قال تعالى ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، والرفع هنا هو الظهور، والظهور أصل في الرجال في كل عصر ومصر وليس للنساء فيه حظٌّ. أما في المواضع التي يكون فيها جانبُ الأمومة أقوى من جانب الأبوة فتأتي صيغة (والدين). فمثلًا: جميع الآيات التي تأمر أو توصي الأبناء بالإحسان إلى الأب والأم، يُغلِّبُ القرآنُ الحكيمُ جانبَ الأمومة على الأبوة، كما قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فسمَّى اللهُ تعالى الأم والأب: والدين، لأن الأمهات أحوجُ إلى العطف والإحسان من الآباء. وليس أدل على ذلك في سنة النبي ﷺ من قوله لمن سأله: مَن أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّك». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «أمك». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «أمك». قال: ثُمَّ مَن؟ قال: «أبوك». رواه مسلم. ٣- عند الجمع، يأتي القرآن الكريم بكلمة (آباء) ليدلَّ على واحدةٍ من ثلاثة معانٍ: أ- الآباء الذكور: مثل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النور: ٦١]. ب- الآباء والأمهات: مثل قوله تعالى: =

[٧٣] ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٨٠- ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: يئسوا منه، ورأوا شدته في أمره ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾: خلا بعضهم ببعض يتناجون لا يختلط بهم غيرهم. و«النَّجِيُّ»: جماعة القوم المتناجين؛ يسمى الجماعة بـ«النجي»، والواحد أيضاً كقوله عز وجل: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [سورة مريم ٥٢] ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: يعنى: أرض مصر لا أخرج منها ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾: يقضى. ٨٢- ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾: يعنى: مصر، والمعنى: أهل القرية ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: القافلة، فإنك تخبر بمصداق ذلك. ٨٣- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زيَّنت. ٨٤- ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم يعقوب ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: يا حزناً ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: يردد حزنه في جوفه، ولا يتكلم بسوء! ٨٥- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾: تالله لا تفتا، لا تفتر أو تمل، من حب يوسف وذكره ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ دنفَ الجسم ذائبًا من الهمّ، وأصل «الحَرَض»: الفساد في الجسم والعقل من حزن أو عشق أو هَرَم. وهو - أي الحرض): مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والصفة المشبهة. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: من الموتى. ٨٦- ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾: «البث»: أشد الحزن ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وإني سأسجد له.

[٧٨] ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٣٦]، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٧٨]. ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تكررت في موضعين، الموضع الأول من كلام صاحبي السّجن ليوسف، والثاني من كلام إخوته له. [٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف : ٢٣]، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف : ٧٩]. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، تكررت في موضعين، الموضع الأول حين دعته إلى المواقعة، والموضع الثاني حين دُعي إلى تغيير حكم السّرقة. [٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ١٨]، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف : ٨٣]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، تكررت في موضعين، الموضع الأول حين نُعِي إليه يوسف، والموضع الثاني حين رُفع إليه ما جرى على بنيامين. [٨٣] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف : ٣٤]، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:٨٣]. عندما كان الدعاء من يوسف عليه السلام استجاب له ربه فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ولما كان الشك من يعقوب عليه السلام في أولاده بأن سولت لهم أنفسهم الكيد لأخيهم والله أعلم بما مكروا، ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. =

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١]. جـ- الآباء والأجداد: مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]. سؤال: لمَ جاء القرآن بلفظ (أب) أو (آباء) ليدلَّ على الأجداد، ولم يذكر لفظ «جد» أو «أجداد» قطُّ؟ الإجابة من وجهين: ١- أن الجد مهما بَعُدَ يصحُّ أن يُسمَّى أبًا، ومن ذلك تسمية القرآن إبراهيم عليه السلام أبًا لنا مع الفارق الزمني الكبير بيننا وبينه كما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، ومع كثرة الأجداد والآباء بيننا وبينه. ٢- الآباء المباشرون للإنجاب صلتهم بالأبناء ألصق وأقوى من صلة الأجداد بهم. ٣- خصَّ القرآن الكريم كلمة (والدة) بالأم فقط دون الأب، وما سمَّى القرآنُ الأب (والدًا) قطُّ. أما كلمة (والد) فقد جاءت في ثلاث مواضع فقط في القرآن الكريم، هي: قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، (في هذه الآية موضعان)، وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] (موضع واحد)، وفي هذه المرات الثلاثة، لم تخص الأب، بل جاءت عامة تشمل الأب أو الأم. وأمثلة كلمة (والدة) في القرآن الكريم، هي: قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢]. ٤- جاء القرآن الكريم بكلمة (والدة) مجموعة جمع مؤنث سالم (والدات) لتدل على الأمهات اللاتي وضعن حملهن، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٣]. [٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف : ٧٩]. وتأمل قول يوسف ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ ولم يقل: إلا من سرق - وهو أخصر قولاً - تحريًا للصدق، فإن الأخ لم يكن سارقًا بوجه، وكان المتاع عنده حقًا، فالكلام من أحسن المعاريض وأصدقها. [٨٠] ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. ما الفرق بين : "يئس واستيأس"؟ الجواب: وردت صيغة (يئس) ثماني مرات، ولم ترد صيغة (استيأس) إلا مرتين. استيأس فيها زيادة مبنى تدل على زيادة معنى كما يلي: ١- جاءت هذه الكلمة (استيأس) مع الرسل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠] ومعناها: أوشكوا على اليأس (ولم ييأسوا) بل دأبهم دعوة قومهم ورجاء هدايتهم. ٢- وجاءت هذه الكلمة (استيأس) مع إخوة يوسف ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ [يوسف: ٨٠] ومعناها: استحكم اليأسُ في نفوسهم؛ وذلك لما استأذنوا العزيز ليأخذ أحدهم مكان أخيهم الصغير «بنيامين» فكان جوابه: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩]، لذا يئسوا واستحكم اليأسُ في نفوسهم فخلصوا نجيًا (أي انعزلوا في مكانٍ يتناجون فيه). أما الصيغة الأخرى (يئس) فهي الأصل، لذا جاءت كثيرًا، ولم تستدع تفسيرًا. [٨٧] ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧]. إن سم التشاؤم الذي يحاول المنافقون دسه للمتمين لهذا الدين له ترياق جدير بإبطاله ألا وهو تقوية اليقين بمعية الله تعالى وتوفيقه للمتوكلين الصادقين في صفوف المسلمين، فلتثق بأن الذي يخرج اللبن من بين الفرث والدم قادر على إخراج النصر من رحم البأساء والضراء. [٨٦] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. ما الفرق بين: "الحُزْن والحَزَن"؟ الجواب: وردت كلمة (الحُزْن) مرتين، بينما وردت كلمة (الحَزَن) ثلاث مرات. الحُزْنُ (بضم الحاء): ضد الفرح: وهي حالةٌ تتجمدُ فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبُها بالشكوى ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحُزن، فيبدو للناظر كأنه غير حزين، مع أن الحُزن يُقطِّعُ نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابيضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف عليه السلام ولم يُرسل بكاءً ولا دموعًا وإنما كظم حزنه، وليس أدل على هذا من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]. والحَزَنُ (بفتح الحاء): حالة

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٨٧- ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ ﴾: إلى البلاد التي منها جئتم ﴿ فَتَحَسَّسُواْ ﴾: التمسوا وتعرفوا ﴿ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾: من فرجه أن يرد يوسف وأخاه. ٨٨- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ ﴾: على يوسف، إذ انصرفوا راجعين إلى مصر ﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾: الشدة من الجدب والقحط ﴿ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾: غير نافقة أي: لا يقبلها التجار، ولا تبلغ ما كان يشترى به منك إلا أن تتجاوز لنا؛ وأصل «الإزجاء»: السَّوق والدفع ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ ﴾: تفضل بما بين الجياد والرديَّة في بضاعتنا، أي اجعل بضاعتنا الردية كالجيدة في إيفاء الكيل بها، وقيل ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ ﴾: بأخينا، لأن الصدقة لم تحل لنبي، وجاء في ذلك اختلاف كثير. ٩٠- ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾؟ كان هذا الاستفهام منهم على طريق التعجب والاستغراب ﴿ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ﴾: جمع بيني وبين أخي، بعد أن فرقتم بيننا. ٩١- ﴿لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾: فضلك وآثرك، بالحلم والعلم ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾: فيما كان منا إليك. ٩٢- ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾: لا تأنيب، ولا أذكركم بذنبكم ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾: عفا الله عنكم، وستر عليكم ظلمكم لي. ٩٣- ﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا ﴾: يَعُد بصيراً. وفي هنا دلالة على أن هذا كان بوحي وإعلام من الله تعالى. ٩٤- ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾: خرجت من مصر متوجهة إلى موضع يعقوب من بلاد الشام. ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: قيل: استأذنت الريح ربها أن تأتي بريح يوسف إلى يعقوب قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها ﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تسفهون، وأصل «الفَنَد» : تغير العقل من الهرم. ٩٥- ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾: في خطئك القديم، لا تنساه ولا تسلَّى، أو تفتر عنه.

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا ﴾ [يوسف : ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٩٤] وفي باقي المواضع ﴿ فَلَمَّا ﴾ [هذا الموضع خاص بسورة يوسف فقط]. الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، أمَّا الواو فهي لمطلق الجمع، يأتي بالفاء عندما يكون هناك تعقيب: ﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف : ١٤-١٥]، لا يوجد فاصل زمني بين الأمرين، وهذا يدل على الترتيب والتعقيب، وكذلك في قصة يوسف مع امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف : ٢٧-٢٨]، جاء بـ"فلما" لأن الآية في نفس المشهد والموقف ولا يحتمل التأخير، والأحداث تسلسلت وتعاقبت، وتأتي واحدة تلو الأخرى بترتيب وتعقيب، وليس بين الأحداث أي تراخ أو فترة زمانية فاصلة طويلة لذا استخدم "فلما"، أمَّا في الآية التي جاء فيها "ولما" فقد استغرق سنوات طويلة حتى بلغ أشده: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢]، وكذلك لما ذهب إخوة يوسف إليه في مصر، استغرق الأمر زمنًا حتى سافروا، ووصلوا إلى يوسف بعد أن كلمهم أبوهم: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف : ٦٨]. = من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على هذا من قول الله تعالى: ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله- تعالى- حالة الذين أصابهم الحَزَنُ من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون. [٨٨] ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨]، ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ ﴾ [المائدة: ٧٦]، ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ ﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ما الفرق بين: "ضُر، ضَر، ضرر، ضرَّاء، ضِرار"؟ الجواب: وردت كلمة (ضُر) بضم الضاد تسع عشرة مرة. ووردت كلمة (ضَر) بفتح الضاد عشر مرات. ووردت كلمة (ضرر) مرة واحدة. ووردت كلمة (ضراء) تسع مرات. ووردت كلمة (ضرار) مرتين. جاءت كلمتا (الضُّر) و(ضرًّا) من الفعل الثلاثي (ضَرَّ). بينما جاءت كلمتا (ضرر)، و(ضرار) من الفعلِ الرباعي ضارَّ. وفرقٌ بين كلمتي (ضرر)، و(ضرار) يتضح من قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار». فمعنى قوله (لا ضرر): أي لا يضر الرجلُ أخاه، وهو ضدُّ النفع. ومعنى قوله (ولا ضرار): أي لا يضار كل واحد صاحبه، فالضرار منهما معًا، والضررُ فعل الواحد فقط. وفرقٌ بين كلمتي (ضُر) بضم الضاد، و(ضَر) بفتح الضاد. حيث لم ترد كلمة (ضَرًّا) إلا وردت معها كلمة نفعًا وهذا يعني أن: ١- ضرًّا ونفعًا متماثلان في الوزن. ٢- متناقضتان (تمامًا) في المعنى. أما كلمة (ضُر) بضم الضاد فلم ترد في سياقها كلمة (نفع) ثم هي أقرب في معناها إلى الشدة وشظف العيش. كما قال تعالى حكايةً عن إخوة يوسف: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ [يوسف: ٨٨]. أما كلمة (الضَّرَّاء) فهي الصيغة الوحيدة من الصيغ الخمس المذكورة التي تدل على معنى الشدة-شدة الضرر- دلالة مطلقة غير مقيدة. أما الصيغ الأربع الأخرى فتتضمن معنى الضرر فحسب كما أن (الضراء) تزيد درجة في التوكيد على الصيغ الأربع الأخرى. فهي على وزن (فعلاء) فهذا الوزن يدلُّ على المبالغة والتوكيد. كما أن كلمة (الضراء) وردت سبع مرات من تسع مرات مقرونة بكلمة (البأساء) ومعلومٌ أن غيرها من الصيغ الأربع الأخرى لا تقوم مقامها، ولا تتسق ولا تنسجم موسيقيًا مع كلمة البأساء، وليس إلا كلمة واحدة وهي (الضراء). [٨٩] ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف:٨٩]. قيل: من تلطفه بهم قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴾ كالاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه، أسهل من فعله على علم. وهم ولو ضربوا في طرق الاعتذار لم يُلفوا عذرًا كهذا. [٩٧-٩٨] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ

[٩٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَءِنَّكَ ﴾ قرئ: (أئنك) بالاستفهام وذلك للإثبات والإلزام، فلم يستخبروا عن أمر جهلوه، إنما أتوا بلفظ يحققون به ما صح عندهم، من أنه هو يوسف؛ ووجه من قرأ بالإخبار: (إنك) أنهم لما عرفوا وتيقنوا أنه يوسف أتوا بإن التي هي لتأكيد ما بعدها واستغنوا عن الاستفهام؛ لأنه أمر قد ثبت عندهم فلا معنى للاستفهام عنه. [٩٠] ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا رد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

٩٦- ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾: عاد إليه بصره بعد ذهابه. ٩٧- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾: أي: اسأل لنا ربك أن يعفو عنا، ويغفر لنا ذنوبنا فيك وفي يوسف. ٩٨- ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾: قيل: أخرهم إلى السحر. وقيل: إلى ليلة الجمعة، وذلك ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها. وقيل: اراد الدوام على الاستغفار لهم. ٩٩- ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: أبوه وإخوته ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾: ضم إليه أباه وأمه. وقيل: «آوى إليه أبويه»: خرج إلى أبيه يتلقاه ومعه ملوك مصر. وقيل: «أبويه» عنى بهما: أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت. ١٠٠- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: السرير ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾: أبواه وإخوته، وكانت يومئذ تحية الناس السجود، أي كان السجود سجود تحية لا سجود عبادة. ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: من بادية فلسطين. و«البدو» مصدر يبدو بدواً، إذا كان من أهل بدو وماشية ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسد. ١٠١- ﴿ءَاتَيۡتَنِي﴾: أعطيتني ﴿مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: مُلك مصر ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾: عبارة الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾: منادى. والفاطر: الخالق والمنشئ. ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: ناصري ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾: أمتني. قال ابن عباس: ما تمنى قط نبي قبل يوسف الموت، والراجح أن يوسف إنما طلب الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً. ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: بآبائه صلى الله عليهم. ١٠٢- ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: مما غاب عنك ولم تشهده ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾: نُعرّفكه ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾: حاضرهم ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾: يعني: بني يعقوب بيوسف، إذ يلقونه في الجب. ١٠٣- ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾: بمصدقين.

[١٠٠] معنى اسم الله اللطيف: ((اللطيف)) من أسمائه الحسنى، وهو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر. وهذا من آثار: علمه، وكرمه، ورحمته؛ فلهذا كان اللطف نوعين: النوع الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا، ومكنونات الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودقَّ من كل شيء. النوع الثاني: لطفه بعبده ووليّه الذي يريد أن يُتمَّ عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويُرقّيه إلى المنازل العالية فييسّره لليُسرى ويجنّبه العُسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ وكيف ترقَّت به الأحوال، ولطف الله به وله بما قدّره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العُقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه؛ ليُنيلهم ما يُحبّون. فكم لله من لُطفٍ وكرمٍ لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمةً به لئلاَّ تضره في دينه، فيظل العبدُ حزيناً من جهله وعدم معرفته بربّه، ولو علم ما ادُّخِرَ له في الغيب وأُريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإنّ الله بعباده رؤوفٌ رحيم لطيف بأوليائه.

[٩٦] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ ﴾ [يوسف: ٩٦]، ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. "لمّا" تقتضي جوابًا، وإذا اتصلت بها "أن" دل ذلك على أن الجواب اكتمل ووقع في الحال من دون تراخ، وهذا ما حصل في آية سورة العنكبوت، فالجواب قوله: ﴿ سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾، ومثل هذه الآية ما ورد في سورة يوسف: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ ﴾، أمّا آية سورة هود فالحديث فيها متصل آية بعد آية إلى خمس آيات، فبَعُد عن الجواب فحسن الحذف. [١٠٢] ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]. الفرق واضح بين الآيتين من خلال سياق القصة، فآية آل عمران تتحدث عن مريم وأيهم أحق بكفالتها... وأمّا آية يوسف فتتحدث عن إخوته وما كان من مكرهم له. = ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٨]. قال المهايمي: صّرحوا بالذنوب دون الله، لمزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره. وصّرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته التي ربّى بها الكل. انتهى. وهذا من دقائق لطائف التنزيل ومحاسنها فيه. [١٠٠] ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. كيف جاز لهم أنْ يسجدوا ليوسف، والسجود لغير الله حرام؟ الجواب: المراد أنهم جعلوه كالقبلة، ثم سجدوا لله تعالى شكرًا لنعمة وُجْدان يوسف، كما تقول: سجدت وصليت للقبلة، أو اللام للتعليل؛ أي: لأجله سجدوا لله، ومنه قوله: ﴿ رَأَيۡتُهُمۡ ﴾، أي: الكواكب، ﴿ لِي سَٰجِدِينَ ﴾، أي: إنما سجدت لله لأجل مصلحتي، والسعي في إعلاء منصبي. [١٠٠] ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. لِمَ ذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه في إخراجه من السجن دون إخراجه من الجب، مع أنه أعظم نعمة؛ لأنّ وقوعه في الجب كان أعظم خطرًا؟ الجواب: لأنّ مصيبة السجن كانت عنده أعظم؛ لطول مدتها، ولمصاحبته الأوباش وأعداء الدين فيه، بخلاف مصيبة الجب؛ لقصر مدتها، ولكون المؤنس له فيه جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، أو لأنّ في ذكر الجب توبيخًا وتقريعًا لإخوته بعد قوله: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [يوسف: ٩٢]. [١٠٥] ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥]. كم للإنسان من آيات وعبر في السماوات والأرض يمرُّ عليها فيعرض عنها! خلقت لنا الأبصار والأسماع والعقول لننظر ماذا في السموات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون، فأعرض العقلاء فضلاً عن العامة! فما للعامة لا يتعلمون؟ وما لذوي البصائر لا ينصحون ولا يبينون؟ وما للناس لا يكادون يفقهون؟ [١٠٦] ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. تحذير من الشرك الخفي الذي يدب إلى قلب الإنسان، أخفى من دبيب النمل، إن الآية تتحدث عن المؤمنين، لكنها لا تبرئهم من وقوع الشرك منهم. فالتوحيد أهم ما يحمله المرء في قلبه عند لقاء الله، إذ به يضمن الجنة بإذن الله، وما أعظم صدق اللهجة وإعجاز الإيجاز، وأسلوب الحصر في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]. والعبرة من الاعتبار والاتعاظ والتذكر. وإذا تأملت الآية السابعة ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ والآية الأخيرة: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ وما بينهما وما قبلهما من آيات، وجدت بعضها يصدق بعضًا، ووجدت فيما بينهما الإكسير الذي يمكن أن يكون له عظيم الأثر في حياة الأمة إذا أخذت به كما أخذ به محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا تأثرت به كما تأثر السلف. فتأمل =

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٥- ﴿وَكَأَيِّن﴾: بمعنى: وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من عبرةٍ وحُجَّة، كالشمس والقمر وغيرهما من آيات الله ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يُعاينُونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها. ١٠٦- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: إذا سُئلوا عن الله قالوا: هو ربنا وخالقنا، ثم يشركون به الولد والأوثان. وكانت العرب تلبّي: «لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك!». ١٠٧- ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾: وقيعة، من العذاب، تغشاهم، وتغمرهم كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة. ١٠٨- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾: طريقي التي أنا عليها ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: علم ويقين، والبصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل. ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: هذه البصيرة في المتبوع والتابع، أو في الداعي والمدعو، فلا اتباع لأحد، وبخاصة علماء الدين، على عماية! ١٠٩- ﴿رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: الوحي والنبوّة في الرجال دون النساء. والأنبياء (أو النبوات) من أهل القرى، أي المدن. ويقول مؤرخو الأديان. إن النبوة لم تكن في بلاد الدول المتسلطة، ولا في البوادي. ولكنها كانت في (مدن القوافل)، وهي التي يجتمع فيها أحوال الدولة وأحوال البادية. ١١٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: أيست الرسل التي أرسلناها من إيمان من أرسلوا إليه ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، فيما أخبروا به من العذاب ولم يصدقوا. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا. ١١١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾: خبرهم ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لأولي العقول، لو اعتبرتم ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختلق ويُكذب ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من كتب الله ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: كل ما بالعباد إليه حاجة، من بيان أمر الله ونهيه.

[١٠٩] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [محمد: ١٠]. أفلم يَسِرْ هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب، هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث، وآية يوسف تبين أن ثواب الدار الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها للذين آمنوا وخافوا ربهم، أفلا تتفكرون فتعتبروا، وأمّا آية غافر فتوضح أن هذه الأمم السابقة كانت أكثر منهم عددًا وعدة وآثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلَّ بهم بأس الله، وأما آية محمد فتبين أن الله دمَّر عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم. [١٠٩] ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [يوسف: ١٠٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢، الأعراف: ١٦٩]. لفظ "يتقون" ورد في السورتين على بابه، وهو إفادة التجدد، وعن آية يوسف فقد تقدم قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والحاصل منه أنهم ظلموا أنفسهم فأهلكوا، ولو اتقوا لنجوا، فناسب هذا المعنى المقدر ورود الماضي في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أوضح مناسبة، وإذا نظرنا إلى آية يوسف وجدنا أنها تتحدث عن حال مضت: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، فناسب ذلك التعبير بلفظ الماضي. [١١٠] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠]. القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له "أتى"، قال تعالى في آية يوسف: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وفي آية الأنعام: ﴿أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾، ومن الواضح أن الحالة في آية يوسف أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كُذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّي من شاء وعوقب المجرمون، في حين ذكر في آية الأنعام أنهم كُذّبوا، أي: كذّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا، وفرق بعيد بين الحالتين، فقد يُكذّب الرسل وأتباعهم ويُؤذَون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمرٌ كبير، ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحًا، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آية الأنعام يدلك على الفرق بينهما. [١١١] ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ [يوسف: ١١١]. آية يونس تبين أن هذا القرآن فيه بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد ﷺ، ولا شك في أن هذا القرآن الكريم موحىً من رب العالمين، وأمّا آية يوسف فتوضح أن هذا القرآن فيه بيانٌ لكل ما يحتاج إليه العباد من تحليل وتحريم، ومحبوب ومكروه، وإرشاد من الضلال... وغير ذلك.

- كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون، ويسمعها الجاهلون، وهم عن آياتها معرضون! فإذا سمعوا صوتًا حسنًا ظنوا أن هذا هو جمال القرآن، فقالوا للقارئ: سبحان من أعطاك! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورونق القراءة أو مجرد التفسير ومعرفة القصة، ولم ينظروا إلى الحكم المودعة فيها! فقبح الله الجهل! يترك الرجل أعمى وإن لبس الحلل، وارتدي ثياب الفخار الكاذب والسراب الخادع.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ في أربعة مواضع في القرآن، قرئت: (نوحي) بنون العظمة وكسر الحاء مبنيًا للفاعل، وليناسب و(ما أرسلنا) قبله. وقرئ: (يُوحَى) بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنيًا للمفعول. [١١٠] ﴿قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ قوله تعالى: ﴿كُذِبُوا۟﴾ قرئ: (كذِبوا) بالتخفيف، والمشهور عن ابن عباس وغيره، أن الضمائر كلها ترجع إلى المرسل إليهم، أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوا من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن من العقاب، ويحكى: أن سعيد بن جبير لما أجاب بذلك. قال الضحاك وكان حاضرًا: لو رحلتُ في هذه المسألة إلى اليَمَنِ كان قليلًا. وقرئ: (كذّبوا) بالتشديد على عود الضمائر كلها على الرسل، أي: وظن الرسل أنهم قد كذبهم أممهم فيما جاؤوا به لطول البلاء عليهم، ولما لحق الرسل من الضرر، والمؤمنين من الفتن على الإيمان، فيكون الظن هنا بمعنى الشك. قوله تعالى: ﴿فَنُجِّىَ﴾ قرئ: (فنجّيَ) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء على أنه فعل ماض مبنى للمفعول، و(من) نائب فاعل. وقرئ: (فنُنْجِي) بنونين مضمومة فساكنة، وياء ساكنة، مضارع أنجى و"من" مفعوله.

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ الرَّعْدِ

١- ﴿الٓمٓر﴾: قد ذكرنا ما قيل في نظائرها من حروف المعجم التي افتتح بها أوائل بعض السور. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول الله عز وجل: تلك التي قصصت عليك خبرها آيات الكتاب الذي أنزلته -يعني: التوراة والإنجيل- قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك؛ يريد القرآن، وقيل: «تلك» إشارة إلى «المر» قبلها. أي إلى آيات هذا الكتاب؛ وهو القرآن، والإشارة بـ«تلك» بدل «هذا» لبيان علوّ مقامه ومنزلته. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصدِّقون. ٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: «العمد»: جمع عمود، وهو ما يعمد به البنيان. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾: علا ﴿وَسَخَّرَ﴾: أجرى ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: لمصالح خلقه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لوقت معلوم؛ وذلك إلى فناء الدنيا، وقيام القيامة التي عندها تُكوَّر الشمس ويُخسف القمر. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر السماوات والأرض وحده، بلا ظهير ولا معين ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: يُبيِّنها لكم احتجاجاً بها عليكم ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: وبوحدانيته ووعده ووعيده. ٣- ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: بسطها وجعلها صالحة للتسخير والانتفاع ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثابتة؛ وهي: جمع راسية، يقال: أرسيت الوتد في الأرض، إذا أثبتُّه. ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: معنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات، وعنى بقوله: ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: نوعين وضربين ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يُجلِّل الليل النهار فيُلبسه ظلمته، والنهار الليل فيلبسه ضياءه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: استدلالات وحجج لمن فكَّر، فيعلم أن العبادة لا تجوز إلا لخالقها عز وجل. ٤- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متقاربات فيها سباخ، جمع سبخة، وهي الأرض المالحة، لا تنبت شيئاً، وعذبة طيبة إلى جنبها تنبت ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: مجتمع وغير مجتمع، و«الصنوان»: المجتمع، أصله واحد. «وغير صنوان»: المفترق أصله، وواحد «الصنوان»: صنو، كما يقال: قنو وقنوان. ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: من السماء ومن شرب واحدٍ ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: فمنها حلو، ومنها حامض ومز. وقيل: هو مثل في بني آدم؛ أبوهم واحد ومنهم الصالح والخبيث. ٥- ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾: يقول عز وجل: وإن تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة من دوني ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: إلى آخر الآية: تكذيبهم بالبعث ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: يوم القيامة.

[١] ﴿ الٓمٓر ﴾ [الرعد : ١] الوحيدة في القرآن وباقي المواضع ﴿ الٓمٓ ﴾ أو ﴿ الٓر ﴾ عدا [الأعراف : ١] ﴿ الٓمٓصٓ ﴾. ﴿ الٓمٓر ﴾ هي من الحروف المقطعة التي بدأ بها بعض سور القرآن، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ... ﴾ [الرعد : ٢]، ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ... ﴾ [لقمان : ١٠]. الله تعالى هو الذي رفع السماوات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى -أي علا وارتفع- على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلَّل الشمس والقمر لمنافع العباد، كلٌّ منهما يدور في فلكه إلى يوم القيامة، يدبِّر سبحانه أمور الدنيا والآخرة، يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته، وأنه لا إله إلا هو؛ لتوقنوا بالله والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده وتُخلصوا العبادة له وحده، فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أمَّا آية لقمان: خلق الله السماوات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبالًا ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزل من السحاب مطرًا، فأنبت به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.

[٣، ٤] ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣]، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤]. لماذا ختم الآية هنا بـ﴿ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وختمها بعد بـ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾؟ الجواب: لأن التفكُّر في الشيء سببٌ لتعقُّله، والسبب مقدَّم على المسبَّب، فناسَب تقدم التفكر على التعقُّل.

[٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣]. من دلائل قدرة الله في الأرض أنه مدها ليستقر عليها البشر، وجعل لها جبالاً وأنهارًا، والفرق بين الجبال والأنهار في حفظ توازن الأرض: أن الجبال توازنها وهي ثابتة، والأنهار تحدث توازُنها وهي جارية، وكل ذلك يحتاج إلى تفكير عميق لإدراك عظيم القدرة، والوصول من خلالها إلى الوحدانية. [٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشَّرِّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. [٦] ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد : ٦]. أكد ربك المغفرة بثلاث مؤكدات وهي: إنَّ، واللام، وإطناب المبالغة -﴿ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾- إذ هو إطناب اعتراضي أفاد الإمعان في المغفرة رغم الظلم. وأكد العقاب بمؤكدين هما: إنَّ، واللام، ليدل على أنه إلى المغفرة أقرب، خصوصًا وقد قدم المغفرة على العقوبة، ولا غرو فهو جل جلاله أهل التقوى وأهل المغفرة.

[٤] ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ ﴾ قرئ: ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ ﴾ برفع الأربعة فرفع (زرع، ونخيل) بالعطف على قطع، ورفع (صنوان) لكونه نعتًا (لنخيل) و(غير) لعطفه عليه. وقرئ: (وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ) بالخفض عطفًا على (أعناب). قوله تعالى: ﴿ يُسْقَىٰ ﴾ قرئ: (يسقى) بالياء من تحت أي: يسقى ما ذكر. وقرئ: (تسقى) بالتأنيث مراعاة للفظ ما تقدم، أي: تسقى هذه الأشياء. قوله تعالى: ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ قرئ: (يفضل) بالياء من تحت ردًا إلى اسم الله تعالى في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ﴾ وقرئ: (نفضل) بالنون للعظمة، والضمير فيها راجع إلى الله تعالى.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٦- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: المشركون. ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]. ﴿الْمَثُلَاتُ﴾: العقوبات؛ فمنهم من أهلك بالرجفة والخسف، وبالمسخ، وغير ذلك من عقوبات الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: إذا تابوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن هلك مصراً. ٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾: علامة وحجة؛ كقولهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: يدعوهم إلى الله عز وجل. وقيل: نبي. وقيل: محمد المنذر، والله عز وجل: الهادي. ٨- ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: الغيض في اللغة: النقص، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: لعل المراد بالزيادة: ما يبلغ الحمل به تمامه في الأرحام. والنقص بخلافه. وفي الآية إشارة إلى أن ما تحمله وتضعه كل أنواع الإناث محسوب مقدر في علم الله. قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: لا يجاوز شيئاً، قدّره تقديراً؛ ولا يقصر عما حُدّ له من القدر. ٩- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: ما غاب عن أبصارهم ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: ما تشاهدونه ﴿الْكَبِيرُ﴾: الذي كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على كل شيء. ١٠- ﴿سَوَاءٌ﴾: معتدل: أي هذا مثل هذا ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾: في ظلمته بمعصية الله عز وجل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: ظاهر، يقال: سرب الشيء؛ إذا ظهر وبرز. يقول عز وجل: لا يخفى عليه شيء، سواء عنده سر خلقه وجهرهم. ١١- ﴿لَهُ﴾: قيل: هذا المستخفي له ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾: قيل: حرس وجلاوزة يحفظون هذا المستخفي بالليل ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: من أمر الله. فأخبر عز وجل أن حرسه تلك، لا تُغني عنه شيئاً إذا جاءه أمره عز وجل. وقيل: «المعقبات»: الملائكة التي تتعاقب على العبد بالليل والنهار. وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..» متفق عليه. وقيل: هم الحفظة من الملائكة في هذه الآية، يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء القدر خلّوا عنه ﴿مِن وَالٍ﴾: يليهم ويلي أمرهم، وعقوبتهم.

١٢- ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: خوفاً من مشقته وأذاه، وطمعاً أن يُمطر فينتفع به ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾: الذي فيه الماء؛ و«السحاب»: جمع سحابة، ولذلك نعتت بالثقال. ١٣- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾: يُعظِّم الرعدُ اللهَ ويمجده. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: من خيفة الله عز وجل ورهبته. وقيل: إن من قال حين يسمع الرعد: سبحان الله وبحمده، لم تصبه صاعقة ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: جمع صاعقة، وأصل «الصاعقة»: كل أمر هائل يؤدي إلى هلاك، أو ذهاب عقل، أو فقد بعض الجسم. ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: يجادل المشركون في أمر توحيد الله، وينكرون البعث، أو يستعجلون العذاب.. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: شديد المماحلة في عقوبة من طغى وعتا عليه، و«المحال»: مصدر ماحلتُ فلاناً محالاً، إذا عرضته لما يهلكه. وقيل: شديد الأخذ شديد القوة.

[٩] معنى اسم الله الكبير: وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل.

[٩] معنى اسم الله المتعال: العَلِيُّ، الأعْلَى، المُتَعَالِ: وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه. فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

[٨] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: أن أربد بن قيس، وعامر بن الطُّفَيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم،» قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال «ليس ذلك لك ولا لقومك». فخرجا فقال عامر لأربد: إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه، وسل أربد السيف فلما وضع يده على قائم السيف يبست، والتفت رسول الله ﷺ، فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. [١٣] قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أخرج النسائي والبزار عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو ذهب، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ إلى آخرها.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]. المراد بالموضع الأول آية ممّا اقترحُوا؛ نحو ما في قوله: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، والمراد بالموضع الثاني ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، لأنهم لم يهتدوا إلى أن القرآن آية فوق كلّ آية، وأنكروا سائر آياته ﷺ.

[٦] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم.

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌّ منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة الرعد: نزلت بعد سورة محمد، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الرعد: ثمانمائة وخمس وستون. عدد حروف سورة الرعد: ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة أحرف. أسماء سورة الرعد: وتسمّى سورة الرّعد؛ لقوله فيها: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]. مواضيع سورة الرعد: مقصود

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ (١٤) وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ (١٥) قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (١٨)

١٤- ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾: لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: يعني: آلهة المشركين ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾: أي: كالرجل العطشان يمد كفّيه مبسوطتين إلى الماء يغترف منه، ثم يرفعها إلى فمه! ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾: حتى يموت عطشاً. وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو من دونه آلهة لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: في غير هدى ولا استقامة. ١٥- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: المؤمن يسجد طوعاً، والكافر كرهاً ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾: يقول: ويسجد أيضاً ظلال كل من يسجد لله طوعاً وكرهاً بالغدوات والعشايا؛ وذلك أن ظل كل شيء وشخص يفيء بالعشي، فظل المؤمن يسجد طائعاً، وظل الكافر يسجد كارهاً، و«الآصال»: جمع «أُصُل» و«أُصُل»: جمع أصيل، وهو العشي، و«العشي»: ما بين العصر إلى مغيب الشمس. ١٦- ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: يقول عز وجل: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: من رب السماوات والأرض؟ فإنهم سيقولون الله، وأمر الله نبيه أن يقول: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾: يعني: الكافر والمؤمن ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾: الهدى والضلالة ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ﴾: يقول الله عز وجل: قل لهؤلاء المشركين: أخلق أولياؤكم الذين اتخذتموهم أولياء من دون الله خلقاً كخلق الله؟ ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾: أشتبه عليكم الأمر فيما خلقوا وخلق الله، فجعلتموهم لله شركاء من أجل ذلك؟ أم أصابكم الجهل والذهاب عن الصواب؟ إذ لا يشكل على كل ذي عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع جهل. ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: الفرد الذي لا ثاني له. ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ﴾: بقدرته على كل شيء، ولا يقهره شيء جل وعلا. ١٧- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾: يقول الله عز وجل: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبيره، والصغير بصغيره ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ﴾: الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء ﴿زَبَدٗا رَّابِيٗا﴾: عالياً على السيل متنفخاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: يعني: من الذهب والفضة ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾: من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليُتخذ منه متاع ينتفع به ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾: يعني: مثل زبد السيل يذهب ولا ينتفع به، كما لا ينتفع بزبد السيل. ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾: يمثّل بهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾: الذي علا السيل ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾: أي: تُنشّفُهُ الأرض؛ يقال: أجفأتِ القِدْرُ: إذا غلت فانصبَّ زبدها، أو سكنت فلم يبق منه شيء، وكذلك زبد الذهب والفضة والنحاس وغيره، وهو خبثهما وكدرهما، يذهب كما يذهب الزبد ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من الماء ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ويبقى الخالص مما يوقدون عليه بأيديهم عندهم. وهذا مثل ضربه الله في الحق وثباته، والباطل واضمحلاله. ١٨- ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: للذين آمنوا الحسنى، وهي الجنة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾: أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئاً ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾: سكناهم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: الوطاءُ والفراش.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]. في سورة الرعد تقدّم آية السّجدة ذكرُ العُلويّات من البرق والسّحاب والصواعق، ثم ذِكر الملائكة وتسبيحهم، وذكر بآخرة، أي: أخيرًا، الأصنام والكفّار، فبدأ في آية السّجدة بذكر من في السّماوات لـذلك، وذكر الأرض تبعًا، ولم يـذكر مَن فيها استخفافًا بالكفار والأصنام، وأمّا في النّحل فقد تقدّم ذكرُ ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقتضى سياق الآية ما في السّماوات وما في الأرض؛ وأمّا في الحجّ فقد تقدّم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدّم ذكر مَن في السّماوات؛ تعظيمًا لهم ولها، وذكر مَن في الأرض؛ لأنهم هم الّذين تقدّم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها. [١٦] ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣]. آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشركة في الإعراب والمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾، وقدم قبلها ما عطفت عليه بالواو أيضًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾، فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين، ففي الأولى عدم الخلق في قوله: ﴿لَا يَخۡلُقُونَ﴾، مقابلًا للخلق والإيجاد في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾، وفي الثانية الضر مقابلًا بالنفع، وفي الثالثة الموت والحياة، وبني مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين، ففي الأولى الإشارة إلى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾، وكذا في الثانية الضر والنفع والنفع أشرف، وفي الثالثة الموت والحياة والحياة أشرف، فروعي تناسب الآي على ما أوضحنا، فقدم الضر على النفع في آية الفرقان، أمّا آية الرعد فلم يعرض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب، فجاءت من حيث أفردت على ما يجب من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل، وكأن قد قيل فيها: إذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم؟ ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع، فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه.

[١١] ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. يعقب بعضهم بعضًا، كلما ذهب بدل جاء بدل آخر، يثبتونه ويأمرونه بالخير ويحضونه عليه، ويعدونه بكرامة الله ويصبرونه، ويقولون: إنما هو صبر ساعة وقد أسترحت راحة الأبد. [١٥] ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: "الكَرْه- الكُرْه- الإكراه"؟ الجواب: ١- الكَرْه: =

[١٦] ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي﴾ الثانية، قرئ: (يستوي) بالياء من تحت. وقرئ: (تستوي) بالتاء لمراعاة لفظ (الظلمات) وبالياء: نظرًا لأن تأنيثها غير حقيقي.

[١٦] ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة في القرآن. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

= السّورة بيان حُجّة التوحيد في تخليق السّماوات والأرض، واستخراج الأنهار والأشجار والثمار، وتهديدُ الكفّار، ووعيدُهم، وذكر تخليق الأولاد في أرحام الأُمهات، على تباين الدّرجات، ومع النقصان والزّيادات، في الأيّام والسّاعات، واطّلاع الحقّ تعالى على بواطن الأسرار، وضمائر الأخيار والأشرار، وذكر =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

١٩- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾: يقول الله عز وجل: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك الحق ويصدق به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: كالذي هو أعمى لا يعرف موقع حجة الله عليه، ولا يتذكر ولا يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أهل العقول. ٢١- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾: يعني: الأرحام. قال ابن عطية: ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ظاهره في القرابات، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات. ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾: هو الاستقصاء فيه، والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عُذِّب. ٢٢- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: تعظيماً له أن يخالفوه في أمره، أو يأتوا ما يكرهه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة المفروضة، أدوها بحدودها في أوقاتها ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: لا يكافئون الشر بالشر، ولكن يدفعونه بالخير. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أعقبهم الله دار الجنان من دارهم التي لو لم يكونوا بها مؤمنين لكانت لهم النار. ٢٥- ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: أي ما عقدوه من العهود ووثقوه. ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: سوء العاقبة. ٢٦- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: قليل وشيء حقير، ذاهب؛ من «مَتَعَ النَّهارُ» إذا ارتفع فلا بد له أن يزول. ٢٧- ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من تاب إليه وأقبل. ٢٨- ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾: تسكن وتستأنس ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: قلوب المؤمنين. وفيه حضٌّ وترغيب في الإيمان، والمعنى: أنه بهذا تقع الطمأنينة لا بالآيات التي اقترحوا -أو طلبوا- نزولها من السماء كسقوط السماء عليهم كسفاً، ونحو ذلك.

[٢٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: ٣١]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]. الآيات الثلاث تتحدث عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله لهم. [٢٥] ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. الآيتان تتحدثان عن الذين ينكثون عهد الله الذي أخذه عليهم بالتوحيد والطاعة، وقد أكَّده بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ويخالفون دين الله كقطع الأرحام ونشر الفساد في الأرض، وآية البقرة تبين أن أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، وأمَّا آية الرعد فتوضح أن أولئك لهم الطرد من رحمة الله، ولهم ما يسوؤهم من العذاب الشديد في الدار الآخرة. [٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٧]. المراد بالموضع الأول آية ممَّا اقترحُوا؛ نحو ما في قوله: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، والمراد بالموضع الثاني: ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، لأنَّهم لم يهتدوا إلى أن القرآن آية فوق كلِّ آية، وأنكروا سائر آياته ﷺ.

= استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليلُ على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْهُ: استعملها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معًا، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثَمَّ لا يمكن ولا يُساغ أن تأتي إحداهما مكان الأخرى. ٣- الإكراهُ: هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكَرْه»، و«الكُرْه» أن الإكراه فعلُ المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكَرْه» و«الكُرْه» فعل المُكرَه (اسم مفعول). أمثلة: أولًا: «الكَرْهُ» بفتح الكاف: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. ثانيًا: «الكُرْهُ» بضم الكاف: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثالثًا: «الإكراهُ»: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٦] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده. [٢٨] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هل تصيب الطمأنينة أو الوجل قلوب المؤمنين عند ذكر رب العالمين؟ الجواب: أن المراد "بذكر الله" في الآية الأولى، ذكر عظمة الله وجلاله وشدة انتقامه ممن عصاه، و"الذكر" في الآية الثانية يراد به ذكر رحمته وعفوه ولطفه لمن أطاعه وأناب إليه. [٢٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]. قال أبو السعود: وفى التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب. [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. هذا لا يأتي بشيء سوى ذكر الله تعالى، وذكره البتة، وأما ما عداه =

[١٧] ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُوقِدُونَ﴾ قرئ: (يوقدون) بالياء من تحت. وقرئ: (توقدون) بالتاء على الخطاب. قرئ: بالياء لمناسبة قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ﴾ وبالتاء خطابًا للمشركين.

[١٧] ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

[٢٨] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة.

[٢٨] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

= السّحاب، والرّعد، والبرق، والصّواعق، والإنكار والرّدّ على عباد الأصنام، وقصّة نزول القرآن من السّماء، والوفاءُ بالعهد، ونقض الميثاق، ودخول الملائكة بالتسليم على أهل الجنان، وأُنس أهل الإيمان، بذكر الرّحمة، وبيان تأثير القرآن، في الآثار والأعيان، وكون عاقبة أهل الإيمان إلى الجنَان، ومرجع الكفّار إلى =

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩- ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: قيل: خير لهم وفرح وقُرَّة عين. وقيل: «طوبى»: اسم شجرة في الجنة. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]. ٣٠- ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي وأوبتي، وهو مصدر من تبت متاباً وتوبة. ٣١- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: قيل: معنى ذلك لو أن القرآن سُيرت به الجبال أو قُطِّعت به الأرض لكفروا بالرحمن! وقيل: المعنى: لو أن قرآنا سيِّرت به الجبال، أو صُدِّعت به الأرض او صار الموتى أحياء بقراءته عليهم؛ لكان هذا القرآن. ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾: معناه: أفلم يعلم ويتبين. ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾: بما يقرعهم من البلاء والعذاب بالقتل وبالجدوب. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: قيل: موتهم، أو قيامة الساعة عليهم. ٣٢- ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: اطلتُ لهم في المهل. و«الإملاء» في كلام العرب: الإطالة. ٣٣- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: هو الله لا إله إلا هو قائم على بني آدم بأرزاقهم وآجالهم ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾: معنى الكلام: كشركائهم الذين اتخذوها آلهة ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: يقول عز وجل: قل سموا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله، فإنه إن قالوا آلهة فقد كذبوا ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يقول عز وجل: أتخبرونه بأن في الأرض إلهاً ولا إله غيره ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: يقول عز وجل: أم تنبؤونه بظاهر من القول مسموع، وهو في الحقيقة باطل لا صحة له ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: قولهم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: رُدُّوا عن إصابة الحق والهدى. ٣٤- ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أفعل؛ من المشقة ﴿مِن وَاقٍ﴾: من أحد يقيهم عذاب الله، عز وجل.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآية. أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فارنا أشياخنا الأُوَل من الموتى نكلمهم، وافسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآية.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الرعد: ٣٢] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠، الأنبياء: ١٤]. وإذا كانوا قد سخروا من دعوتك أيها الرسول فلقد سَخِرَتْ أمم من قبلك برسلهم، فلا تحزن فقد أمهلتُ الذين كفروا، ثم أخذتُهم بعقابي... فهذا ما دل عليه موضع الرعد، أمَّا باقي المواضع: ولقد استهزئ برسل مِن قبلك أيها الرسول، فحلَّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مَثار سخريتهم واستهزائهم. [٣٢] ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. العقاب أشد موقعًا من النكير؛ لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما فيه العقاب بالفعل، وأما مسمى العقاب فإنما يراد به في الغالب أخذ بعذاب مناسب لحال المجرم إثر معصيته وعقيب جريمته، وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجريمة مرتكبة أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح بالعقاب، أمَّا آية الحج فإن الوعيد بها للمذكورين بالتكذيب ولم يذكر منهم استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤]، فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب، وليس كالاستهزاء ذنب، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله، أما المستهزئ فلا يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم، قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب من قدم، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم. [٣٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ [محمد: ١٥]. صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص... أمَّا آية محمد: صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيِّر، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ بها الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي من القذى، ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها...

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. سورة الرعد لم يتقدم فيها شيء من القصص الإخبارية، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جريًا على ما سبق من قضائه فيهم، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أزله، وما حكم به عليهم، ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم، ثم أعقب بمآل الفريقين فتحدثت الآيات عمَّن هداهم الله تعالى وما أعد لهم، وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء وقبضه عمن يشاء... ودارت الآي بعد على أن كل جار في خلقه فبتقديره، وتناسب ذلك مع الآية، وكل ما تقدم فهو حكمه السابق في خلقه، فأعقب =

= فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز، قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنًا من كان، ليعلم عباده وأولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع.

[٣٣] ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا۟﴾ قرئ: (وصُدوا) بضم الصاد على أنه أسند الفعل إلى المفعول على ما لم يسم فاعله، فأقيم "الذين حملوا" على المصدر مقام الفاعل، وفاعل الصد هو عظماء الكفار وكبراؤهم، وكذا في سورة غافر: ٣٧، ﴿وَصُدَّ﴾ هناك، أي: "زين لفرعون" على ما لم يسم فاعله، فحمل صد على ذلك. وقرئ: (وصَدوا) بفتح الصاد على أنه بناه على الإخبار عن الصادين الناس عن سبيل الله.

[٣٢] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم.

= النِّيران، والمحو والإثبات في اللَّوح بحسب مَشيئة الدَّيّان، وتقدير الحقِّ في أطراف الأرض بالزِّيادة والنقصان، وتقرير نبوّة المصطفى بنزول الكتاب، وبيان القرآن في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٣٥- ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: معنى ذلك: صفة الجنة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: معناه: لله الصفة العليا ﴿أُكُلُهَا﴾: ما يُؤكل مما فيها ﴿دَآئِمٌ﴾: لا ينقطع ﴿وَظِلُّهَا﴾: أيضاً دائم، لأنه لا شمس فيها: ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: عاقبة. ٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: هم أصحاب رسول الله ﷺ وقيل: هم من آمن من أهل الكتاب. ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أهل الملل المتحزبين عليك، يعني اليهود والنصارى والمجوس. وقيل: أحزاب الجاهلية من العرب. ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: مصيري. ٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: يقول عز وجل: وكما أنزلنا إليك الكتاب فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أيضاً أنزلنا الحكم والدين حكماً عربياً؛ لأنه نزل على محمد ﷺ، وهو من العرب، فنسب الدين إليه. وقال الزمخشري: «حكماً عربياً»: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب. ٣٨- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: جعلناهم بشراً مثلك لهم أزواج ونسل، ولم نجعلهم ملائكة ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: يقول عز وجل: وما يقدر رسول الله أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فهو عنده. ٣٩- ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: قيل: يقدّر الله عز وجل أمر السنة في ليلة القدر، فيمحو ما يشاء ويثبت، إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فذلك ثابت لا يُغيّر، وجاء في ذلك روايات مختلفة ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الذكر، وقيل: أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ. ٤٠- ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى﴾: نعد هؤلاء الكفار من العقاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل ذلك. ٤١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعني: المشركين ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ، وتحول المدائن والقرى إلى دار الإسلام، أفلا يعتبرون ويخافون ظهورهم على أرضهم؟ ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادَّ لحكمه، و«المعقب» في كلام العرب: الذي يكرُّ على الشيء. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يُحصي الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها، وهو من وراء جزائهم عليها. ٤٢- ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يقول عز وجل: وقد مكرت الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورسله، قبل هؤلاء المشركين من قريش ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: بيد الله عز وجل أسباب المكر كلها، فلا يضر مكر من مكر منهم أحداً، إلا من أراد الله تعالى ضره به.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ما نراك يا محمد تملك من شيء، لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾.

= هذا بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد : ٣٧]، قال الزمخشري: حكمة عربية أي مترجمة بلسان العرب، ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى عليه السلام، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل السامري، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره إياهم، وما كان من عناد بني إسرائيل... أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾، أي: قصصًا مقروءًا بلسان العرب، مذكرًا من وفق لاعتباره والاتعاظ به: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾، فناسب كل من العبارتين موضعه أتم مناسبة، والله أعلم. [٣٧] ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [أول البقرة : ١٢٠]، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [ثاني البقرة : ١٤٥]، ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٦١]، ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [الرعد : ٣٧]. في آية سورة البقرة الأولى الوحيدة التي جاء فيها ﴿ ٱلَّذِى ﴾، لأن العلم المشار إليه فيها هو علم بالله وصفاته، وبأن الهدى هدى الله ومعناه: أن دين الله الإسلام، وأن القرآن كلام الله، وليس وراء ذلك علم، فكان لفظ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ أنسب لأنه في التعريف أبلغ، وجعل في آية البقرة الثانية ﴿ مَا ﴾؛ لأن المعنى: من بعدما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة، وذلك قليل من كثير من العلم، وزيدت معه ﴿ مِنۢ ﴾؛ لأن تقدير الكلام: من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة، وجاء في آية الرعد ﴿ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ فعبر بلفظ ﴿ مَا ﴾ و لم يزد ﴿ مِنۢ ﴾، لأن العلم هنا هو الحكم، أي: القرآن، فكان بعضًا من الأول، ولم يزد فيه ﴿ مِنۢ ﴾ لأنه غير مؤقت، وقريب من معنى القبلة ما في آية آل عمران. [٣٨] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد : ٣٨]، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [غافر : ٧٨]. قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾، تكررت مرتين بالرعد وغافر، وقال فيهما ابن عباس: عَيّروا رسول الله ﷺ باشتغاله بالنكاح والتكثّر منه فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾، فكان المراد من الآية قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾، بخلاف ما في غافر؛ فإنَّ المراد منه: لست بدعًا من الرسل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٧]. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

[٣٩] ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ قرئ: (ويثبِت) بسكون الثاء وتخفيف الباء الموحدة من أثبت، والمفعول محذوف هو الهاء، أي: ويثبته. وقرئ: (ويثبّت) بالفتح والتشديد من ثبّت مضعف، ومفعوله محذوف، أي: (ما يشاء)، وثبت وأثبت بمعنًى: لكن في التشديد معنى التكثير.

[٤٢] ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ ﴾ قرئ: (الكُفّار) بضم الكاف وتقديم الفاء وفتحها جمع تكسير. وقرئ: (الكافِر) بفتح الكاف وتأخير الفاء مع كسرها على الإفراد، وأريد به الجنس اسمًا شائعًا كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ فهو يدل على الجمع بلفظه فهو أخصر، ولأن ألفه محذوفة في الخط لأنه على وزن فاعل ولم تحذف من وزن فعال، لئلا تتغير صورة الجمع بالحذف.

[٤١] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٤١]. **نقصان الأرض**: آراء العلماء في ظاهرة نقصان الأرض: ١ـ أن الأرض تنكمش بسبب هروب ملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والمواد السائلة والصلبة من فوهات البراكين مما يؤدي إلى إنقاص الأرض من أطرافها. ٢ـ نتيجة دوران الأرض حول محورها فقد انبعجت قليلًا عند خط الاستواء وتفلطحت قليلًا عند القطبين مما يؤدي إلى إنقاص للأرض من أطرافها. ٣ـ عوامل التعرية تأكل من قمم الجبال، وتلقي في المنخفضات، وهذا إنقاص للأرض من أطرافها. ٤ ـ إن في طغيان البحار على اليابسة إنقاص للأرض من أطرافها. وقد جمعت الآية القرآنية هذه المعاني وغيرها، ومن يدري فقد يرى العلماء في هذه الآية ما لا نراه اليوم.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: حسيباً، حسبي الله شهيداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: قيل: عنى بمن عنده علم الكتاب: علم جنس الكتاب، كالتوراة والإنجيل، فإن أهلهما العالمين بهما يعلمون صحة رسالة رسول الله ﷺ وقد أخبر بذلك من أسلم منهم، كعبد الله بن سلام وتميم الداري. وقد كان المشركون من العرب يسألون عن أهل الكتاب ويرجعون إليهم. وقيل: «ومن عنده علم الكتاب»: الله تعالى، وأن المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

١- ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الإيمان وضيائه ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بتوفيقه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾: طريقه المستقيم؛ وهو دينه الذي ارتضاه. ٢- ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: قيل: وادٍ في جهنم، والأرجح أنها كلمة تقال للعذاب والهلكة. ٣- ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: ويؤثرونها على الآخرة ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يلتمسون سبيل الله، وهي دينه ﴿عِوَجًا﴾: تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾: في ذهاب عن الحق بعيد. ٤- ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾: بلغتهم. وقد بلّغ النبي ﷺ قومه بلغتهم- في سياق مراحل التبليغ- ولكن رسالته لما لم تكن خاصة بقومه، لأنه بعث إلى الناس كافة على اختلاف ألسنتهم، بل بُعث إلى الثقلين جميعاً؛ فقد نصّ القرآن الكريم على أنه روعي في القرآن، وفي رسالة الإسلام: لسان المبلّغ-صلوات الله وسلامه عليه- لا لغة القوم؛ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]. ٥- ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من الضلالة إلى الهدى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: بنعم الله عليهم، وبأيامه التي انتقم فيها من الأمم قبلهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾: لعبر ومواعظ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾ على ما أنعم به عليه.

[٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحّاء اللّيل والنّهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانيَّة.

[١] ﴿الٓر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس : ١، هود : ١، يوسف : ١، إبراهيم : ١، الحجر : ١]. تكررت هذه الآية ﴿الٓر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [١] ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم : ١]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده. [٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾ [النساء : ٦٤]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ [إبراهيم:٤]. وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك أيها الرسول في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله توابًا رحيمًا، فهذا ما دلت عليه آية النساء، وأمّا آية المائدة: وما أرسلنا مِن رسولٍ قبلك أيها النبي إلا بلُغة قومه؛ ليوضّح لهم شريعة الله، فيضل الله من يشاء عن الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز في ملكه، الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وَفْق الحكمة.

[١] ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١]. في ذكر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه، إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله، قوي، ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. [٢-٣] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم : ٣]. وهذا المعوّق – حب الدنيا على الآخرة – يمكن اعتباره في الحقيقة الداء الأصيل لكل من وضع أمام الدعوة عائقًا أو اعترض طريقها بعقبة أو نحوها، فالذي يعمل للدنيا يتخبط في كل أوديتها ويسير وراء كل هوى، فكلما عارض الشرعُ ودعوةُ الحق هواه أخذ يضع من العوائق والعقبات ما يحجب دعوة الحق عنه لتخليَ بينه وبين هواه. [٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم : ٤]. ونزول القرآن بلسان عربي إيذان بأن الله جل جلاله سيحرس اللغة العربية إلى يوم القيامة، ويرد عن حماها كيد كل متآمر حقود على القرآن.

[٢] ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي﴾ قرئ: (اللهُ) برفع لفظ الجلالة الشريفة وصلًا، وابتدئ بها على أنه مبتدأ خبره الموصول بعده، أو الموصول وصلته صفة الله، والخبر مضمر، أي: هو الله؛ وقرئ: (اللهِ) بالجر على البدل مما قبله، أو على أنه عطف بيان؛ لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته على المعبود بحق، وكذلك الخلاف في "عالم الغيب" في سورة "غافر".

[١] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة إبراهيم: نزلت بعد سورة نوح، وهي مكيّة إجماعاً، غير آية واحدة: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم : ٢٨]. عدد كلمات سورة إبراهيم: ثمانمائة وإحدى وثلاثون. عدد حروف سورة إبراهيم: ستّة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون. أسماء سورة إبراهيم: وتسمّى سورة إبراهيم؛

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٦- ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يُذيقونكم شديد العذاب ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون على قيد الحياة ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ فلا يقتلونهن، قيل: إن الكهنة أخبروا فرعون بأنه يولد في بني إسرائيل مولود يكون هلاكه على يده. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾: اختبار. وقيل: من البلايا ما يصيب الناس من الشدائد. ولا يخفى ما في قتل الأبناء، واستحياء البنات للخدمة ونحوها، من الذل والعار، وأنه من الابتلاء الشديد. ٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: قال ربكم وأعلم، «وتأذن»: تفعّل، من آذن، والعرب تقول ذلك كما تقول: توعدته وأوعدته بمعنى واحد. ٨- ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: تجحدوا نعمة الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحمد، أي مستوجب للحمد بكثرة نعمه وأياديه، وإن لم يحمده الحامدون. ٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: يبلغكم ﴿نَبَؤُا۟﴾: خبر ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج والبراهين على حقيقة ما كانوا يدعونهم إليه ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: فعضُّوا على أصابعهم تغيظاً عليهم؛ إذ دعوهم إلى الحق ﴿مُرِيبٍ﴾: موجب للريبة والتهمة. ١٠- ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبتدعها وخالقها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى الوقت الذي كتب به في أم الكتاب ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾: بحجة على ما تقولون ﴿مُّبِينٍ﴾: يبيِّن لنا حقيقته وصحته.

[١، ٨] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تَسَلْسَلَتِ الأزمان، واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى إليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويَّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم﴾ [إبراهيم: ٦]. الخطاب بحرف النداء أو اسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى وتخصيصه بما يريد أن يقول له، فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك، وإيتاء ما لم يؤت أحدًا من العالمين وهو المن والسلوى، وهم ملتبسون به حالة النداء؛ حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء وتخصيص المنادى، ولذلك أيضًا قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]؛ لأن ذلك من أعظم النعم عليهم؛ فناسب التخصيص بذكر المنادى، ولما كانت آية إبراهيم في ذكر ما أنجاهم الله تعالى منه من قِبَل فرعون، وكان ذلك مما مضى زمانه، لم يأت فيه بمزيد الاعتناء كما تقدم في المائدة. [٦] ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]. ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في البقرة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ في الأعراف بغير واو، ثم ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ في إبراهيم بالواو، لأن ما في البقرة والأعراف من كلام الله تعالى، فلم يرد أن يعدد عليهم المحن، فوقع الفصل، وأمّا الذي في إبراهيم، فمن كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم، وكان مأمورًا بذلك في قوله تعالى قبلها: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، فكان الوصل للآية أنسب. [٨] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]. آية إبراهيم آكد لأنه ذكر اللام في قوله: ﴿لَغَنِىٌّ﴾، وأمّا آية لقمان فقد ذكرت صنفين من الخلق وهما من شكر ومن كفر، وآية إبراهيم افترضت كفر أهل الأرض جميعًا لذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾، أعم وأشمل، وكذلك ﴿وَإِن تَكْفُرُوٓا۟﴾، تحتاج إلى الاستمرار وتحتاج إلى التوكيد. [٩] ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢]، ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]. آية هود الكلام في قصة صالح فجاء بلفظ "تدعونا" خطاب للمفرد، أمّا في سورة إبراهيم فالكلام عن مجموعة من =

= والإسلام، وهذا ما أثبته الأحداث عبر القرون المتتابعة، فقد انقرضت لغات رغم حرص أهلها عليها، وبقيت اللغة العربية رغم تفريط أهلها. [٥] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤]. ما الفرق بين: "صابر وصبّار"؟ الجواب: وردت كلمة (صابر) مرتين، بينما وردت كلمة (صبّار) أربع مرات. وردت كلمة (صبّار) وهي صيغة مبالغة على وزن (فعّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الصبر. مثال: =

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

= لتضمُّنها قصّة إسكانه ولده إسماعيل بواد غير ذي زرع، وشكره لله تعالى على ما أنعم عليه من الولدَيْن: إسماعيل وإسحاق. مواضيع سورة إبراهيم: مقصود السّورة بيان حقيقة الإيمان، وبرهان النبوّة، وأن الله تعالى أرسل كلّ رسول بلغة قومه، وذِكر الامتنان على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون، وأنَّ القيام بشكر =

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١- ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ﴾: يتفضل ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: من خلقه فيهديه ويوفقه. وقيل: التفضل على من يشاء منهم بالنبوة. ١٢- ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: بصَّرنا طرق النجاة من عذابه. ١٤- ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: يقول عز وجل هكذا فِعْلي بمن خاف مقامه بين يديَّ ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: فاتقاني. ١٥- ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: يقول عز وجل: واستفتحت الرسل على قومها، اي استنصرت الله عليهم ﴿وَخَابَ﴾: هلك ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق مجانبه. ١٦- ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾: في هذا الموضع: من أمامه، كما يقال: إن الموت من ورائك، أي من قُدامك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: القيح والدم. ١٧- ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتحساه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: ولا يكاد يبتلعه ويزدرده، ومعناه: ولا يقارب أن يُسيغه، فكيف تكون الإساغة، كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] اي: لم يقرب من رؤيتها، فكيف يراها، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع جهاته الست، او من كل موضع من مواضع بدنه. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: لا تخرج نفسه فيستريح. ١٨- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ الآية. ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: يعني: التي عملوها في الدنيا يزعمون أنها لله عز وجل ﴿كَرَمَادٍ﴾: عصفت عليه الريح فذهبت به، ووصف اليوم بالعصوف وهو من صفة الريح، لأن الريح تكون فيه، كما يقال: يوم بارد ويوم حار، ولأن البرد والحر يكونان فيه. وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذُكرت قبل ذلك.

= الرسل لذا جاء قوله: "تدعوننا"، أمّا "إنا" فهي تأتي للتوكيد سواء كانت النون مشددة أو مخففة، وقد يأتي التوكيد في أول الأسماء مثل "إننا"، أو في آخر الأفعال مثل "ولتكونًا"، "ليذهبن" بغرض التوكيد، ويلاحظ أن استعمال "إننا" يحتمل معنيين: في مقام التفصيل "إننا"، أو في مقام التوكيد "إننا"، فلوا قرأنا القصتين في السورتين نجد في سورة هود قصة صالح عليه السلام فيها تفاصيل كثيرة، فاقتضى التفصيل استخدام "إننا"، وكذلك التكذيب من قوم صالح كان أشد فجاء بالتوكيد بلفظ "إننا"، بينما الكلام في سورة إبراهيم موجز فاستعمل "إنا" وهذا يناسب الإيجاز، والله أعلم. [١٠] ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم : ١٠، الأحقاف : ٣١، نوح : ٤] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران : ٣١، الأحزاب : ٧١، الصف : ١٢]. عندما يكون الخطاب على لسان الرسل إلى قومهم لعبادة الله تأتي الآية: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعض ذنوبكم، وعندما يكون الخطاب من الله تعالى في حق المؤمنين يكون متسمًا بالكرم الواسع: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: جميع ذنوبكم. [١٠] ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ...﴾ [إبراهيم : ١٠]، ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ ...﴾ [يس : ١٥]. قال الكافرون لرسلهم ما نراكم إلا بشرًا صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلًا، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية يس: قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي، وما أنتم أيها الرسل إلا تكذبون. [١١، ١٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم :١١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم : ١٢]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وبعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، لأنَّ الإيمان سابق على التوكُّل. [١٨] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم : ١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور : ٣٩]. صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبر وصلة الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثرًا... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية النور: والذين كفروا بربهم وكذَّبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهَد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماءً، فإذا أتاه لم يجده ماءً...

= ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلقد صابر موسى ومن معه في اضطهاد فرعون ومطاردته لموسى عليه السلام، وصابر موسى، وظلَّ يدعو قومه ويذكرهم بالله، وجديرٌ بمن صابر وصبر على كل المصاعب والمشاق التي لاقاها من الطاغوت (فرعون) وجنده، وثابر على دعوتهم ونصحهم، أن يوصف (بالصبَّار) لذا جاءت الصيغة التي تحمل معنى التوكيد والمبالغة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. [١٨] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم : ١٨]. في تشبيه أعمال الكفّار بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم، وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله، وعلى غير مراده طعمة للنار، وبهذا تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطنة نارًا وعذابًا. فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار. [١٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٦]، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم : ١٨]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]=

[١٥] ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٥] ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات الجبر مع مشتقات القهر مع مشتقات العتو، وقد ورد كلٌّ (١٠) مرات. أولًا: وردت مشتقات كلمة (الجبر) في كتاب الله (١٠) مرات. ثانيًا: وردت مشتقات كلمة (القهر) (١٠) مرات في كتاب الله. ثالثًا: وردت مشتقات كلمة (العتو) (١٠) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الجبر) مع مشتقات كلمة (القهر) مع مشتقات كلمة (العتو)، وقد ورد كُلٌّ (١٠) مرات.

= النِّعم يوجِب المزيد، وكُفرانها يوجب الزَّوال، وذكر معاملة القرون الماضية مع الأنبياءِ، والرُّسل الغابرين، وأمر الأنبياءِ بالتَّوكُّل على الله عند تهديد الكفَّار إيَّاهم، وبيان مَذلَّة الكفَّار في العذاب، والعقوبة، وبطلان أعمالهم، وكمال إذلالهم في القيامة، وبيان جَزعهم من العقوبة، وإلزام الحجّة عليهم، وإحالة إبليس اللائمة =

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

١٩- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أي يعدمكم ويطمس آثاركم. ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: من بني آدم، أو من نوع آخر. ٢٠- ﴿بِعَزِيزٍ﴾: بممتنع. ٢١- ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: للقادة ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: من مَرَاغٍ نزوغ إليه، يقال: حاص عن كذا، أي زاغ، يحيص حيصاً. أي: لا نجاة لهم ولا مهرب من العذاب. ٢٢- ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: يعني: لما أدخل أهل الجنةِ الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكلِ فريق قرارهم ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: من حجة ثُبِّتت لكم تصديق قولي ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: إلى طاعتي ومعصية الله ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾: بمُغيثيَّ ﴿إِنِّى كَفَرْتُ﴾: جحدت ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: من عبادتكم بأن أكون شريكاً لله ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع. ٢٣- ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمره ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: الملائكة يسلمون عليهم في الجنة. ٢٤- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: يريد: كلمة الإسلام، وهي: لا إله إلا الله، أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الخير. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: الثمرة. وقيل: عنى بها: النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: راسخ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: ترتفع علوًا نحو السماء. قيل: «الشجرة الطيبة»: المؤمن، «أصلها ثابت»: قول لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن، و«فرعها في السماء»: يرفع عمل المؤمن بها إلى السماء، فالمؤمن في الأرض، ويُبلَّغ عمله وقوله إلى السماء.

[١٨] ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة : ٢٦٤]، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم : ١٨]. آية البقرة في سياق الإنفاق والصدقة، والمنفق معطٍ وليس كاسبًا ولذلك أخر الكسب، وأمَّا آية إبراهيم فهي في سياق العمل، والعامل كاسب فقدم الكسب. [٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم : ٢٠، فاطر : ١٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي إبراهيم وفاطر، ومعناها: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير.
[٢١] ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ...﴾ [إبراهيم : ٢١]، ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧]. يقول الأتباع لقادتهم يوم القيامة إنَّا كنَّا لكم في الدنيا أتباعًا، نأتمر بأمركم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئًا كما كنتم تَعِدوننا... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمَّا آية غافر: يقول الأتباع المقلدون لرؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم... هل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار بتحملكم قسطًا من عذابنا؟ [٢٥] ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم : ٢٥]، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٥]. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمَّا آية النور: ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

= ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾[الأعراف : ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف:٦١].
[٢١] ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١]. من اللطائف البلاغية في الآيات: تنوع الأساليب فيها على حسب أصحابها، فالضعفاء في أسلوبهم انكسار كما =

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، و﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ في النور: ٤٥، قرئ: (خالِقُ السماواتِ والأرضِ) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف اسم فاعل، وخفض (السماوات) على الإضافة و(الأرض) على العطف عليه، (وكل) في النور، على الإضافة. وقرئ: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) بفتح الخاء واللام بلا ألف وفتح القاف فعلًا ماضيًا ونصب (السماوات) بالكسرة و(الأرض) بالفتحة و(كل) على المفعولية.
[٢٢] ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمُصْرِخِىَّ﴾ قرئ: (بمصرخيِّ) بكسر الياء لغة بني يربوع، فإنهم يزيدون على ياء الإضافة ـياء، وأنشد بعضهم شاهدًا على ذلك، قال: ماضٍ إذا ما هم بالمضي ** قال لها: هل لك يا بغيِّ. وقد وجهت بوجوه منها: أن الكسرة على أصل التقاء الساكنين، وأصله: مصرخين لي حذفت النون للإضافة فالتقى ساكنان. وقرئ: (بمصرخيَّ) بفتح الياء لأن الياء أخف من غيره.

[٢٢] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وتكرر لفظ «الشيطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

= عليهم، وبيان سلامة أهل الجنَّة، وكرامتهم، وتشبيه الإيمان والتَّوحيد بالشَّجرة الطَّيِّبة وهي النخلة، وتمثيل الكفر بالشَّجرة الخبيثة وهي الحنظل، وتثبيت أهل الإيمان على كلمة الصَّواب عند سؤال منكر ونكير، والشكوى من الكفَّار بكفران النِّعمة، وأمر المؤمنين بإقامة الصَّلوات، والعبادات، وذكر المِنَّة على المؤمنين بالنِّعم =

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

٢٥- ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾: كل وقت؛ تؤكل شتاء وصيفاً. وقيل﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾: يقوم المؤمن بذكر الله عز وجل كل ساعة من الليل والنهار. ٢٦- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ﴾: يعني: الإشراك بالله أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشرّ. ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قيل: هي شجرة الحنظل ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾: استؤصلت ﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾: لا أصل لها في الأرض يثبت عليه ويقوم. ضرب الله هذا مثلاً في الشرك أنه لا يقوم له أصل يأخذ به الكافر، ولا برهان، ولا يرتفع معه عمل إلى الله عز وجل. ٢٧- ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾: بالقول الحق، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي أنهم يستمرون على القول الثابت في الحياة الدنيا. وقيل: المراد: في قبورهم عند مسألة الملكين لهم، وذلك أن الميت تعاد روحه في جسده في قبره، فيأتيه الملكان فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. فيقال له: صدقت، ويوسع له في قبره مد بصره؛ فذلك التثبيت في الحياة الدنيا بـ«لا إله إلا الله» ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: وقت الحساب. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾: لا يُوفق الله المنافقين والكافرين في الحياة الدنيا، ولا في الآخرة. ٢٨- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾: قيل: هم كفار قريش أنعم الله عليهم بمحمد وابتعثه منهم، فصيروا نعمة الله عليهم به كفراً. وهي عامة في جميع المشركين. ﴿وَأَحَلُّواْ﴾: أنزلوا ﴿قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾: من أهلك منهم ببدر، والبوار: الهلاك، بار الشيء يبور؛ إذا هلك وبطل، والمراد بدار البوار: جهنم. ٣٠- ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾: شركاء، وهو جمع «ند» ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ﴾: -في الحياة الدنيا- والأمر، بمعنى التوبيخ والتهديد. ٣١- ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ﴾، البيع هاهنا: الفداء، أي: لا تقبل فيه فدية ولا عوض ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾: ولا مُخالَّة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة، بل العدل والقسط، و«الخلال»: مصدر خاللت فلاناً. ٣٣- ﴿دَآئِبَيۡنِ﴾: في إخلافهما، أي تعاقبهما، عليكم. وقيل: دائبين في طاعة الله عز وجل. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ﴾: للسكن ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: للتصرف. والمراد: التذليل والانتفاع.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر من المشركين ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ الآية.

[٢٩] ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ [إبراهيم : ٢٩]، ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ [ص : ٦٠] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة : ٢٠٦، آل عمران : ١٢، ١٩٧، الرعد : ١٨، ص : ٥٦]. جهنم يدخلونها ويقاسون حرها، وقُبِّحَ المستقر مستقرهم، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم وص، أمَّا باقي المواضع: مقامهم جهنم تكون لهم فراشًا، وبئس الفراش الذي مَهَّدوه لأنفسهم. [٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا ...﴾ [إبراهيم : ٣١]، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ [الإسراء : ٥٣]. قل أيها الرسول لعبادي الذين آمنوا يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيناهم من المال في وجوه الخير.. فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمَّا آية الإسراء: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام... [٣١] ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ...﴾ [البقرة : ٢٥٤]، ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم : ٣١]. الآيتان تحثان المؤمنين على أن يخرجوا بعض ما أعطاهم الله من المال في وجوه الخير الواجبة والمستحبة مسرِّين ذلك ومعلنين، وآية البقرة تدعوهم إلى أن يتصدقوا قبل مجيء يوم القيامة حين لا بيع فيكون ربح، ولا مال تفتدون به أنفسكم من عذاب الله، ولا صداقة صديق تُنقذكم، ولا شافع يملك تخفيف العذاب عنكم ... وأمَّا آية إبراهيم فتدعوهم إلى الصدقة كذلك من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه فداء ولا صداقة. [٣٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٣٢]، ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ [النمل : ٦٠]. آية إبراهيم قد تقدمها قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم : ٣١]، وقد علم المؤمنون أن الله غني عن العالمين، وأن المنزل من ماء السماء إنما هو رحمة للعباد وإحياء للأرض بعد موتها، ليخرج ما بث فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات، وغير ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم معاشهم، ولم يغب عن المؤمنين المذكورين قبل أن ربهم غني عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به، فلم يحتج هنا إلى تنبيههم بأن ذلك لهم، إذ حالهم التذكر وموالاة الاعتبار لا الغفلة، وأخر ذكر ذلك إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف : ٣٢]، أمَّا آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل : ٥٩]، فلما تضمنت تعنيفًا للمشركين على سوء مرتكبهم، وعماهم عن التفكير والاعتبار، قصد تحريكهم وإيقاظهم من رقدة الغفلة، فقيل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾، فحصل تنبيههم وإعلامهم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم، وأنه لا حاجة به سبحانه إليه، فاستوجب الكلام تعنيفهم. =

= هي حالهم من المذلة في الدنيا، والجملة التي يقولونها تعكس ذلك الانكسار: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾، أما الذين استكبروا ففي أسلوبهم ضيق وسآمة كما كان فيهم أيام الحياة ضيق وسآمة، واستمع إلى الجملة التي يقولونها طافحة بذلك الضيق: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾.

[٣١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ﴾ [البقرة:٢٥٤]، ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]. ما الفرق بين: "خُلَّة، خِلال"؟ الجواب: وردت كل منهما مرة واحدة في القرآن الكريم. الخلال: المخالة، وهو مصدر من خَالَلْتُ خلالًا ومخالة وهي المصادقة. وردت كلمة (الخلال) في القرآن بمعنيين:١- المصادقة. ٢- الصداقة (وهي تشترك بهذا المعنى مع كلمة =

[٣٠] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ هنا والحج : ٩، لقمان : ٦، الزمر : ٨، قرئ: (ليَضلوا) بفتح الياء في الأربعة من (ضل)، ولبعضهم الخلاف في لقمان. وقرئ: (ليُضلوا) بضم الياء في الأربعة من أضل رباعيًا، واللام للجر مضمرة (أن) بعدها وهي للعاقبة حيث مآلهم في ذلك أو للتعليل.

= السّابغات، ودعاء إبراهيمُ بتأمين الحَرَم المكّي، وتسليمه إسماعيل إلى كرم الحقّ تعالى. ولطفه وشكره لله على إعطائه الولد، والتهديد العظيم للظّالمين بمذلّتهم في القيامة، وذِكْر أن الكفار قُرناءُ الشياطين في العذاب، والإشارة إلى أنّ القرآن أبلغ وعظ، وذكرى للعقلاءِ في قوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ...﴾ [إبراهيم : ٥٢].

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

٣٤- ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: أعطاكم ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ قيل: هذا على معنى التكثير، كقوله عز وجل: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]. وقيل: ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس فأوتي بعضهم شيئاً، وأوتي آخر شيئاً. ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تُطيقوا إحصاء عددها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: يقول عز وجل: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لظلوم كفار في شكره غير من أنعم عليه. «كفّار»: جحود لنعمة الله بصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه. ٣٥- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾: يعني: الحرم آمناً أهله وسكانه ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾: أبعدني. ﴿ٱلْأَصْنَامَ﴾: واحدها: صنم، وهو التمثال المصور، وما لم يكن صنماً فهو وثن. ٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾: يعني الأصنام. أي أنها سبب ضلالهم. ٣٧- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾: إسماعيل عليه السلام ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾: مكة، لم يكن بها يومئذ زرع ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: من استحلال حرمات الله والاستخفاف بحقه. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ليؤدوا فرائضك التي أوجبتها عليهم في بيتك الحرم ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: قلوباً ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تسرع إليهم. وقيل: لو قال عليه السلام: أفئدة الناس لَحَجَّتْ اليهود والنصارى والناس أجمعون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: على ما ترزقهم وتنعم به عليهم. ٣٩- ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾: على كبر من السنّ. ٤١- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يعني: يوم يقوم الناس للحساب. ٤٢- ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: يعني يوم القيامة تشخص أبصارهم، فلا ترتد، بل تبقى مفتوحة جامدة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة.

= ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل : ٦٠]، أي: يعدلون بربهم غيره، ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره، وكل هذا شرك لا فلاح معه، فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور، وشأنه أبدًا إذا قُدِّم إحراز معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لذي غفلة، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى على الصفة التي يحرزها متقدمًا، والله أعلم. قول آخر: زيادة "لكم" في النَّمل؛ لأنَّ "لكم" في إبراهيم مذكورة في آخر الآية: ﴿رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم : ٣٢]، فاكتُفِيَ بذكره، ولم تكن في النَّمل في آخرها، فذكرت في أوّلها، وليس قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل : ٦٠]، يكفي من ذكرها؛ لأنه نفي لا يفيد معنى الأوّل.

[٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل : ١٨]. آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم : ٢٨]، ثم قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٣٢]، إلى قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم : ٣٤]، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه وإحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد، وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار، أمّا آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه إليه عباده المؤمنين من متوالي آلائه وإحسانه، وما ابتدأهم به من نعمة من لدن قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ٤]، ثم توالت آيات الامتنان والإحسان، فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل : ٥]، فذكر تعالى بعضًا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبهًا وموقظًا من الغفلة والنسيان: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ١٧]، ثم أتبع بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فجاء كلٌّ على ما يناسب، والله أعلم. [٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة : ١٢٦]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم : ٣٥]. ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ في آية البقرة قبل بناء الكعبة وقبل أن تعمر مكة، و﴿ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ في آية إبراهيم بعد بناء الكعبة. قول آخر: اسم الإشارة في آية البقرة لم يقصد أن يكون له تابع يوضحه ويبيّنه؛ لأنه واضح غير مفتقر إلى التابع المبيّن جنسه اكتفاء بالواقع قبله كقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة : ١٢٥]، وقوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ =

= خُلّة). (الخلال) فيها توكيد أكثر وأبلغ من كلمة (خلة) لزيادة المبني التي تدلُّ على زيادة المعنى. (الخلال) ساغت كفاصلة (خاتمة آية) لما فيها من مدٍّ، على العكس من (الخلة) التي لم تصلح كفاصلة. لذا ناسبت كل منهما موقعها وموضوعها في الآيات بدقة بالغة. وما يسوغ أن تحل إحداهما محل الأخرى.

[٣٤] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ﴾ [ق: ٢٩]. ما الفرق بين: "ظلوم، ظلّام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلوم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلّام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعول) والثانية على وزن (فعّال). وردت كلمة (ظلوم) وصفًا للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلّام) وصفًا منفيًا عن الله تعالى. فلِمَ اختصاص كل بما ذُكر؟ !الجواب: حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسبًا أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلوم وجهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أُمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلوم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصفٌ آخر فيه مبالغة (كفّار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلوم موسيقيًا، كما أنه شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كليهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلّام) فقد جاءت وصفًا منفيًا عن الذات الإلهية، وأرى أن ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلّام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلّام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالبًا. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استُخدمت كلمة (ظلّام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حدٍّ للظلم وهو (ظلّام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلى على ذنب فليس بظلّام أبدًا.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفْـِٔدَةً﴾ قرئ: (أفئيدة) بياء بعد الهمزة لغرض المبالغة على لغة المشبعين من العرب على حد الدراهيم والمصاريف، وليست ضرورة بل لغة مستعملة معروفة، وقرئ: (أفئدة) بغير ياء جمع فؤاد كغراب وأغربة.

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ منهما (٢٦) مرة في القرآن الكريم.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

٤٣- ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُديمي النظر، و«الإهطاع»: النظر الدائم الذي لا يطرف ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: خاشعة أبصارهم، وأصل الطرف: تحريك الأجفان ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ﴾: قلوبهم. ﴿هَوَآءٌ﴾: خالية، ليس فيها من الخير شيء، ولا تعقل. ٤٤- ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾: يعني: في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: من تحوّل أو انتقال من الدنيا إلى الآخرة، إنما تموتون ثم لا تُبعثون! ٤٥- ﴿فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: الذين كفروا من الأمم الخالية. ٤٦- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾: أشركوا كشرككم بالله وافترائكم عليه، كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [سورة مريم: ٩٠-٩١]؛ أي: وإن عظُم مكرهم وتبالغ في الشدة، فإن الله تعالى مُجازيهم عليه. ٤٨- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾: يُبدلها الله عز وجل يوم القيامة بأرض لم تُعمل عليها الخطايا. وأكثر المفسرين على أن المراد: تغيير صفاتها، وأتت روايات كثيرة في هذا. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أي: وتبدل السماوات غير السماوات، بتبديل عين السماوات أو صفاتها كذلك. ٤٩- ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مُقرّنة أيديهم وأرجلهم، ومشدودة، إلى رقابهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: في الوثاق من غُلّ أو سلسلة أو قيد. ٥٠- ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قُمُصُهم. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: قيل: قطران الإبل. وقيل: القطران: النحاس المُذاب ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ﴾: تلفح. ٥١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: عالم بعَمَل كل عامل، فهو سريع الحساب لا يحتاج إلى معاناة. ٥٢- ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: أبلغ الله إليهم في الحجة عليهم وأعذر ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: بما احتج من حججه، وأظهر من براهينه ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول.

[٤٨] معنى اسم الله الواحد: وهو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيّوميّته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أحَدِيَّتِهِ وتفرّده بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم تبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم. [٤٨] معنى اسم الله القهار: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالَم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته وقوة عزّته واقتداره. إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان.

= [البقرة : ١٢٥]، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، ولو تعرّف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بيانًا زائدًا على ما تحصل مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار، فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود، وأمّا آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بُد من إجراء البلد عليه تابعًا له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة، ومعنى الكلام في الآيتين دعاء، ففي آية إبراهيم الدعاء للبيت والآية مكية، وأمّا الدعاء في آية البقرة فللبلد، فجاء اللفظ مشاكلًا للمعنى في الآيتين.

[٣٨] ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم : ٣٨]. قدّمت الأرض على السماء في هذه المواضع: [آل عمران : ٥، يونس : ٦١، إبراهيم : ٣٨، وطه : ٤، والعنكبوت : ٢٢]، وجاءت عَكْسَ الغالب في سائر الآيات؛ لأن المخاطبين في السور الخمس كائنون في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها.

[٥٢] ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم : ٥٢]، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٢٩]. كلا الموضعين حاصل فيه التناسب، أمّا آية ص ففي قوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما الباء والدال وثانيهما مضعف، فنسق عليهما قوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾، وفيه أيضًا حرفان من حروف الشدة وهما الكاف والتاء وثانيهما مضعف، والتناسب بهذا واضح، وأمّا آية إبراهيم فورد فيها: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾، وقد عريت الكلمتان من حروف الشدة، وإنما جميعها من الرخوة وهي ضد الشديدة، فناسبها عطفًا عليها قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾، إذ ليس فيه من الحروف الشديدة غير الكاف، وأيضًا فإن يذّكر ويتذكر معناهما واحد، والأصل للمدغم مفكوكه، فلفظ يذّكر ثان عن يتذكر، وهو أكثر استعمالًا وأخف لفظًا، فقدّم في سورة إبراهيم، وأخّر الأثقل في سورة ص.

[٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. ما الفرق بين: "قاهر وقهّار"؟ الجواب: وردت كلمة (القاهر) مرتين؛ بينما وردت كلمة (قهّار) ست مرات. (القاهر) اسم فاعل من الفعل الثلاثي (قَهر)، بينما (قهّار) صيغة مبالغة على وزن فعّال. وردت كلمة قاهر للإخبار عن صفة القهر دون مبالغة وهو أمر واضح جليّ لا يحتاج إلى تفصيل، بينما كلمة (قهّار) التي تحمل المبالغة والتوكيد، هي التي تحتاج إلى تعليل. والمتأمل في النصوص الواردة سيجد الآتي: ١- أن كل المواضع التي أتت فيها كلمة (قهّار) مواضع تحتاج إلى توكيد وإظهار لصفة القهر مع المبالغة والتشديد، فناسب ذلك ذكر الصفة بصورة المبالغة (قهّار). ٢- أن كل المواضع الستة التي أتت فيها كلمة (القهّار) سُبقت بكلمة الواحد، وحيث إن الله واحد لا إله غيره ولا رب سواه فهو المتصف بالقهر، ولا ينازعه في هذه الصفة أحد، لذا ناسب وصف الواحد بصفة (القهّار) التي تؤدي إلى هذا المعنى الدقيق دون غيرها من الأسماء والصفات، لذا أسندت كلمة (القهّار) إلى كلمة (الواحد).

[٤٦] ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ قوله تعالى: ﴿لِتَزُولَ﴾ قرئ: (لَتزولُ) بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية على أن (إن) مخففة من الثقيلة والهاء مقدرة و"اللام" الأولى هي الفارقة بين المخففة والنافية، والفعل مرفوع، أي: أنه كان مكرهم. وقرئ: (لِتزولَ) بكسر الأولى ونصب الثانية على أنها نافية، و"اللام" لام الجحود والفعل منصوب بعدها بأن مضمرة. ويجوز جعلها أيضًا مخففة من الثقيلة، والمعنى: أنهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الثابتة ثباتًا وتمكنًا من آيات الله تعالى وشرائعه، فالمراد بالجبال: ما ثبت من الحق والدين والقرآن، والمراد بضمير مكرهم قيل: هو لقريش، وقيل: لمن تقدم من الجبابرة الماضية.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ الحِجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سُورَةُ الحِجْرِ

١- ﴿الٓر﴾: إلى آخر الآية.. قد تقدم القول في مثله. ٢- ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: إذا كان يوم القيامة. وقيل: هذا في الجهنميين، وهم الذين يردون النار من عصاة المسلمين، إذا رآهم الكفار يخرجون من النار يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين. والظاهر أن هذه الودادة كائنة منهم في كل وقت يعلمون فيه أن الإسلام هو الدين الحق. ٣- ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾: اتركهم، على معنى الوعيد «ويتمتعوا» من لذات الدنيا وشهواتها. ٤- ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: أجل مؤقت، مقدر لا يتقدم عليه هلاكها ولا يتأخر. ٦- ﴿الذِّكْرُ﴾: القرآن. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر. ٧- ﴿لَّوْ مَا﴾: تضعه العرب موضع «لولا»، والمعنى هنا: هلَّا. ٨- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالرسالة إلى الأنبياء، والعذاب لمن يستحقه، ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: أي: لو أرسلنا آية كما يسألون فكفروا بها، ما أنظرناهم، أي أخرناهم بالعذاب، بل كانوا معاجلين به. ٩- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: من أن يزاد فيه ما ليس منه، أو يُنقص منه ما هو منه. أو أن يُحرَّف بأيِّ وجه من وجوه التحريف. ومَنْ زعم شيئاً من ذلك فهو يكذِّب هذا التكفل الإلهي بحفظه. وقد أنكرت الجن أن يكذب أحد على الله، فما بالك بمن يكذِّب الله؟! (راجع سورة الجن: الآية ٥). ١٠- ﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: في الأمم. ويقال لأولياء الرجل: شيعته. ١٢- ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ﴾: سلك الله التكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: ألا يؤمنوا به. ١٣- ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: وقائع الله فيمن خلا من الأمم. ١٤- ﴿فَظَلُّوا فِيهِ﴾: أي: هؤلاء المجرمون المكذبون. وقيل: المراد: ظلت الملائكة فيه ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يرقون ويصعدون، وهم يرونهم عياناً يختلفون جائين وذاهبين. يقال: عرج يعرج عروجاً، إذا رقي وصعد. ١٥- ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾: سُحرت وأخذت، تقول العرب: سُكِّر على فلان رأيه، إذا اختلط. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: يقولون هذا لفرط عنادهم، وزيادة عتوّهم.

[١] ﴿الٓر﴾ تكررت في أوائل خمس سور: [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١]. تكررت هذه الآية ﴿الٓر﴾ في أوائل خمس سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [١] ﴿الٓر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ١]، ﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١]. لماذا قدم الكتاب على القرآن في الحجر والعكس في النمل؟ الجواب: قدم الكتاب على القرآن في الحجر؛ لأنه جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، أمَّا في النمل فيأتي بعد الآية ذكر آية أهل القرآن: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٢]، فتأمل. [٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]. وما أهلكنا مِن قرية إلا ولإهلاكها أجل مقدَّر، لا نُهْلكهم حتى يبلغوه، مثل مَنْ سبقهم، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية الشعراء: وما أهلكنا مِن قرية من القرى في الأمم جميعًا، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلًا ينذرونهم. [٥] ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: ٥، المؤمنون: ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر والمؤمنون، ومعناها: لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فتنقص منه. [٧] ﴿لَّوْ مَا﴾ [الحجر: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَوْلَا﴾. ﴿لَوْلَا﴾ تأتي على وجهين: أحدهما امتناع الشيء لوجود غيره؛ وهو الأكثر، والثاني بمعنى "هلا" وهو التَّحضيض، ويختصّ بالفعل، و﴿لَّوْ مَا﴾ بمعناه، وخُصّت هذه السّورة بـ﴿لَّوْ مَا﴾، موافقةً لقوله: ﴿رُّبَمَا﴾ [الحجر: ٢]، فإنَّها أيضًا ممّا خُصّت به هذه السّورة. [١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]. سورة الحجر تناولت من أولها أخبار المكذبين من كفار قريش وما يحملونه من عداوة للرسول ﷺ ورسالته، فجاء التعبير في الآيه بلفظ المضارع المشعر باستمرار عداوتهم، أمَّا آيه الشعراء فتقدمها ذكر أحوال الأنبياء مع أقوامهم كنوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، بعد ذلك جاء الحديث عن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فالكتب السابقة تصدقه، وهو كائن فيها باسمه ووصفه، ثم جاءت الآية ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾، فلأجل ذلك ناسب ذكر الماضي في الآية.

[٢] ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا﴾ قرئ: (ربما- ربَّما) بتخفيف الباء وتشديدها وهما: لغتان مشهورتان عند العرب. [٨] ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ قرئ: (تُنَزَّل) بضم التاء وفتح النون والزاي مشددة مبنيًا للمفعول؛ والملائكة بالرفع نائب فاعل. وقرئ: (نُنَزِّل) بنونين الأولى مضمومة والأخرى مفتوحة وكسر الزاي مشددة مبنيًا للفاعل، الملائكة بالنصب مفعول به. وقرئ: (تَنَزَّل) بفتح التاء والنون والزاي مشددة مبنيًا للفاعل مسندًا للملائكة وأصله تتنزل حذف منه إحدى التاءين تخفيفًا، والملائكة بالرفع فاعله، ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ ففهم أنها تتنزل بأمر الله لها بالنزول. [١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سُكِّرَتْ﴾ قرئ: بتخفيف الكاف وتشديدها وهما لغتان، يقال: سَكَرَتْ عينه وسكَّرتها، أي: أغشيتها إغشاء، لكن في التشديد معنى التكثير.

[١٤-١٥] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤-١٥]. ظلام الكون: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن الكون الذي نحيا فيه هو مظلم إظلامًا كاملًا وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. وعندما رأى أحد رواد الفضاء هذا الظلام قال: لقد فقدت بصري تقريبًا، أو كأن شيئًا من السحر قد اعتراني، وهذا الذي قاله رائد الفضاء ليس إلا ترجمة لما جاء في الآية القرآنية.

نزول سورة الحجر: نزلت بعد سورة يوسف، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الحجر: ستمائة وأربع وخمسون. عدد حروف سورة الحجر: ألفان وسبعمائة وستون. أسماء سورة الحِجرِ: وتسمّى سورة الحِجْر؛ لاشتمالها على قصّتهم، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]. مواضيع سورة الحجر: =

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٦- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: من الكواكب، وهي منازل القمر والشمس والنجوم السيّارة. ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: يعني: السماء الدنيا ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: لمن نظر إليها. ١٧- ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: ملعون. والرجم في اللغة هو الرمي بالحجارة. ثم قيل للّعن والطرد: رجم و«رجيم» بمعنى: مرجوم. ١٨- ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: يقول عز وجل: لكن من يسترق من الشياطين ليستمع ما يتحدث به في السماء، فيتبعه شهاب من النار ﴿مُّبِينٌ﴾: يُبِّن أثره فيه، إما بحرقه وإما بقتله، وقيل: مبين: ظاهر للمبصرين. ١٩- ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: أثبتنا ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثابتة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: معلوم مقدور. ٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: تعيشون بها من مأكل ومشرب، ونحوه، جمع معيشة ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: قيل: الدواب والأنعام. وقيل: الوحش. ٢١- ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾: يعني من الأمطار ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: حده ومبلغه. ٢٢- ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾: جمع ريح ﴿لَوَٰقِحَ﴾: تُلقِح الشجر وتدفع السحاب، فتَدرُّ بالمطر ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾: لشرب أرضكم ومواشيكم، ولو كان المعنى «لتشربوه» لكان: فسقيناكموه، والعرب تقول إذا سقت الرجل ماء ليشربه، أو لبناً أو غيره: سَقيتُه، وإذا جعلوا له ماء لتشربه إبله أو أرضه، قالت: أسقيتُه. ٢٣- ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: نرث الأرض ومن عليها، فلا يبقى فيها أحد غيره عز وجل. ٢٤- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: قيل: من مضى من الأمم، ومن هو حي، ومن لم يخلق. وقيل: «المتقدمين»: في الخير و«المستأخرين»، عنه. ٢٦- ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: قيل: هو الطين اليابس الذي لم تمسه نار، فإذا نقر صلَّ فسُمعت له صلصلة ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: «الحمأ»: جمع «حمأة»، وهو الطين المتغير إلى السواد. ﴿مَّسْنُونٍ﴾: متغير. وقيل مُنتن. وقيل: : من طين رطب. ٢٧- ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾: عنى بالجان هاهنا: إبليس أبو الجن ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق آدم عليه السلام ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: «السموم»: التي تقتل بحرِّها. ٢٩- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: صوَّرتُه فَعَدَلتُ صورته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: فصار بشراً حياً ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة.

[٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ الآية. روى الترمذي، والنسائي، والحاكم، وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فانزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾. وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل بن حنيف الأنصاري ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا، ولكنها في صفوف الصلاة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٣]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١]. إن كفار قريش لا يُصَدِّقون بالذكر الذي أُنزل إليك، وقد مضت سنَّة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مثلهم، سَيُهْلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية الشعراء فتبين أنه لا سبيل لكفار قريش إلى أن يتغيروا عمَّا هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وُعِدوا به. [١٩] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]. والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبالًا تثبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدَّر معلوم مما يحتاج إليه العباد، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية ق: الأرض وسَّعْناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت؛ لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يَسُرُّ ويبهج الناظر إليه. [٢٨-٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٢٨-٣٠]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧١-٧٣]. تكررت هذه الآيات بالحجر وص وهي تتحدث عن قصة آدم مع إبليس عليه لعنة الله، وما كان منه من كفر واستكبار حين أمر بالسجود لآدم، أمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾، أي: إني خالق إنسانًا من طين يابس، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغيِّر اللون. [٣٢] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [ص: ٧٥]. انظر سورة الأعراف آية: ١٢. [٣٤-٣٨] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٤-٣٨]. ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٧٧-٨١]. تكررت هذه الآيات بالحجر وص وهي تتحدث عن طرد إبليس من الجنة وإنذاره إلى يوم القيامة، أمَّا عن سبب مجيء التعريف بالألف واللام في آية الحجر ﴿ٱللَّعْنَةَ﴾، فهو أن أول القصة في هذه السورة جرى على اسم الجنس المعرّف بالألف واللام، فذكر الإنسان، والجن والملائكة، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ [الحجر: ٢٧]، وقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الحجر: ٣٠]، أمَّا آية (ص) فلم يتقدم مثل ذلك، وإنما تقدم قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فخصصه بالإضافة إليه، فأجرى اللفظ على ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. يستعمل الحق جل جلاله أساليب التوكيد المتلاحقة، فهنا كلمات فيها خمسة أساليب من أساليب التوكيد فـ ﴿إِنَّا﴾ تفيد التوكيد و﴿نَحْنُ﴾ يعرب توكيدًا لفظيًا، و﴿نَزَّلْنَا﴾ أسلوب توكيد لأن وزن فعّل يفيد التوكيد، وكلمة ﴿إِنَّا﴾ الثانية توكيد، وفي ←

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]. **الرياح لواقح وبشرى**: أثبتت التجارب الحديثة أن الرياح من أهم وسائل تلقيح النبات، حيث يحمل الهواء حبوب اللقاح من النبات المذكر إلى المؤنث ليتم الإخصاب، وهذه العملية ضرورية بل محتومة في كثير من النباتات المعروفة. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة. أليس هذا من الأدلة التي تؤكد أن هذا القرآن الكريم كلام الله عز وجل؟؟؟

← مقصود السّورة إجمالاً: بيان حقيقة القرآن، وحفظ الحقّ وبرهان النبوّة وحفظ الله كتابَه العزيز من التغيير والتبديل، وتزيين السّماوات بمواكب الكواكب وحفظها برُجوم النجوم من استراق الشّياطين السّمع، وتقديره تعالى الماء والسّحاب من خزائن برّه، ولُطفه، وعلمه تعالى بأحوال المتقدّمين في الطّاعة ←

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

٣٤- ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾: مشتوم ملعون. ٣٥- ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ ﴾: غضب الله تعالى ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة. ٣٦- ﴿ فَأَنظِرۡنِيٓ ﴾: اخرني ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾: يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم. ٣٧- ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾: ممن أخّر هلاكه. ٣٨- ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾: لهلاك الخلق، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم احد. ٣٩- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾: اخرجه مخرج القسم، كقوله: بالله، وبعزة الله ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ ﴾: لأحسّننّ لهم معاصيك، ولأحبّبنّها إليهم. ٤٠- ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾: المؤمنين الذين استخلصتهم من العباد. ٤١- ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾: معنى الكلام: هذا طريقٌ مرجِعُه إليّ فاجازي كُلًّا بعمله، و«عليّ» هاهنا بمعنى: إليّ. وقرأ يعقوب: «صراطٌ عَليٌّ» صفة للصراط، اي: رفيع. ٤٢- ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾: حجة ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾: على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك. ٤٣- ﴿ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾: يقول عز وجل: وإن جهنم لموعد من اتبعك أجمعين. ٤٤- ﴿ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ ﴾: بعدد أطباق جهنم ﴿ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ ﴾: من اتباع إبليس ﴿ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴾: معلوم، وهي منازل الأعمال. ٤٦- ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾: من عقاب الله عز وجل، والا تُسلَبوا ما انعم به عليكم. ٤٧- ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾: ما كان فيها من الدنيا من شحناء، وضغائن وعداوة ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ ﴾: جمع سرير، كجديد وجدد ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾: يقابل بعضهم بعضاً، لا يستدبره فينظر في قفاه. ٤٨- ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ ﴾: تعب ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾: يعني الجنة، ذلك دائم لهم أبداً. ٥١- ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ ﴾: أخبرهم ﴿ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾: الملائكة المرسلون إلى قوم لوط.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الآية. أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ فر ثلاثة أيام هاربًا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله انزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾. [٤٧] قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ قيل وأي غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تميم، وبني عدي، وبني هاشم، كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية. [٤٩] قوله تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ ﴾ الآية. أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟! فنزلت هذه الآية ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾.

[٣٩] ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ ﴾ [الأعراف : ١٦]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢]، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحجر : ٣٩]. قوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ في الأعراف، وفي ص: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ﴾، وفي الحِجْر: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾، لأنَّ ما في سورة الأعراف موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء، وما في الحِجْر موافق لما قبله في مطابقة النِّداء، وزاد في سورة الأعراف الفاءَ التي هي للعطف ليكون الثاني مربوطًا بالأوّل، ولم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء لامتناع النداء منه؛ لأنه ليس بالذي يستدعيه النداء؛ فإن ذلك يقع مع السّؤال والطلب، وهذا قَسَمٌ عند أكثرهم، بدليل ما في ص، وخَبَرٌ عند بعضهم، والذي في ص على قياس ما في الأعراف دون الحِجْر؛ لأنَّ موافقتهما أكثر على ما سبق، فقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ وهو قسم عند الجميع، ومعنى ﴿ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ يؤول إلى معنى ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾، والله أعلم. [٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٤٠، ص : ٨٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر وص، ومعناها: إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك. ما الفرق بين كلمة "المخلَصين" بفتح اللام، وكلمة "المخلِصين" بكسر اللام؟ الجواب: كلمة "المخلَصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلِصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. [٤٢] ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢]، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴾ [الإسراء : ٦٥]. الآيتان تبينان أن عباد الله المؤمنين المخلصين الذين أطاعوه ليس لك قدرة على إغوائهم أيها الشيطان، وآية الحجر توضح أن سلطان إبليس على من اتبعه من الضالين، وأمَّا الإسراء فتبين أنه كفى بربك أيها النبي عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِن كيد الشيطان وغروره.

= تقديم كلمة ﴿ لَهُۥ ﴾ توكيد، واللام في ﴿ لَحَٰفِظُونَ ﴾ مؤكدة. وقد حقق الله جل جلاله وعده بحفظ القرآن رغم المؤامرات عبر التاريخ.

[٤٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤]. ما الفرق بين: "موعد، ميعاد، موعدة"؟ الجواب: (الموعد) ورد اسمًا للزمان واسمًا للمكان. ومن أمثلة اسم الزمان ﴿ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾ [الكهف: ٤٨]. ومن أمثلة اسم المكان ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣]. (الميعاد) لم ترد إلا للزمان، فهي للزمان في كل المواطن التي أتت فيها (ولا يُمنع ورودها للمكان- لغةً- كما قال ابن منظور). (موعدة) اسم للعِدَةِ. وردت كلمة (موعد) اثنتي عشرة مرة، وكلمة (ميعاد) ست مرات، وكلمة (موعدة) مرة واحدة. (الميعاد) فيها زيادة المبني التي تدل على زيادة المعنى، ففيها توكيد أكثر من (موعد)، و(موعدة) لذا أضيفت كلمة (الميعاد) أربع مرات إلى لفظ الجلالة (الله). أما (موعد) فأضيفت إلى البشر في معظم المرات. [٤٧] ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧]. أخبرت عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم، وفي الصحيحين: "أخلاقهم على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام، ستون ذراعًا في السماء".

[٤٩] ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣]. ما الفرق بين: =

[٤١] ﴿ صِرَٰطٌ عَلَيَّ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَلَيَّ ﴾ قرئ: (عليٌّ) بكسر اللام وضم الياء منونة من علو الشرف. وقرئ: (عَليَّ) بفتح اللام والياء بلا تنوين، أي: من مر عليه مر عليّ، والمعنى: أنه، أي: المشار إليه بهذا طريق عليَّ يؤدي إلى الوصول إليَّ، ويجوز: أن يكون المراد حق عليَّ أن أراعيه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

= والمتأخرين عنها، وبيان الحكمة في تخليق آدم، وأمر الملائكة المقرّبين بالسجود له، وتعيير إبليس، وملامته على تأبّيه واستكباره وجحوده، واستحقاقه اللّعنة من الله بعصيانه وطغيانه، وجراءته بالمناظرة لخالقه ومعبوده، وبيان قَسْم الدّركات على أهل الزلات والضّلالات، وذكر مستوجبي الجنّة من المؤمنين، وإخبار الله تعالى =

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)

٥٢- ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون. ٥٤- ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: اي: فباي شيء تُبشرون؟! وهو تعجُّب من كبره وكبر امراته. ٥٥- ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾: من الذين يقنطون من فضل الله، فيياسون منه. ٥٧- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: ما شانكم ما امركم؟ ٥٩- ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: اتباع لوط، على ما هو عليه من الدين. ٦٠- ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾: من الباقين للهلاك، والغابر: الباقي. ٦٢- ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: تُنكركم لا نعرفكم. ٦٣- ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يشكون من عذاب الله انه نازل بهم. ٦٥- ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: سر باملك ﴿بِقِطْعٍ﴾: يبقية ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: سر خلف املك، وهم امامك ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: وراءه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيث امرهم الله عز وجل. قيل: جهة الشام. ٦٦- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾: واوحينا إلى لوط أن آخر قومك واولهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾: مجذوذ مستاصل ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: صباح ليلتهم. ٦٧- ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدوم، وهم قوم لوط، والواجب أن يقال فيمن فعل فعلهم: سدومي أو إنه ارتكب فاحشة قوم لوط، ولا ينسب إلى سيدنا لوط عليه السلام! ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: باضياف نبي الله، حين نزلوا المساء أن ياتوا إليهم المنكر. ٦٩- ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: تهينوني وتُذلوني، بالتعرض لضيفي. ٧٠- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾: أن تضيف احداً من العالمين. او ان تكلّمنا في شان أحدٍ من الناس إذا قصدناه بالفاحشة! وقد سبق الحديث عن قوم لوط هؤلاء (الآية ٧٨ من سورة هود: ص٢٣٠).

[٤٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر : ٤٥، الذاريات : ١٥]، تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر والذاريات، ومعناها: إن الذين اتقوا الله بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية. [٤٧] ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧]. الآيتان تبينان أن الله تعالى أذهب ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، وآية الأعراف تبين أنه من كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحتهم... وآية الحجر توضح أنهم يعيشون في الجنة إخوانًا متحابين، يجلسون على أسرَّة عظيمة، تتقابل وجوههم تواصلًا وتحابيًا، لا يصيبهم فيها تعب ولا إعياء... أما عن زيادة قوله تعالى: "إِخْوَانًا" في الحجر؛ فلأنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ، وأما آية الأعراف فعامة في المؤمنين. [٥١] ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر : ٥١-٥٢]، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤-٢٥]. لماذا لم يرد السلام في الحجر، ولم يستكمل القصة كما في سورة الذاريات؟ الجواب: هذا ليس اختلافًا في القصة، ولكنه اختلاف في ذكر المشاهد للقصة، في سورة الذاريات قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾، ذكر المكرمين، فذكر ما يقتضي الإكرام وهو ردّ التحية والإكرام، أما في سورة الحجر فإنه لم يذكر التكريم فاستغنى المقام عن ذكر ردّ إبراهيم عليه السلام. [٥٧-٥٨] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [الحجر : ٥٧، الذاريات : ٣١]. تكررت هذه الآيات بالحجر والذاريات وهي تتحدث عن قصة هلاك قوم لوط عليه السلام وإنجاء المؤمنين منهم. [٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ [هود : ٨١]، ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا﴾ [الحجر : ٦٥]. استثنى في سورة هود من الأهل قوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾، ولم يستثن في الحجْر اكتفاءً بما قبله، وهو قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ [الحجر : ٥٨-٦٠]، فهذا الاستثناء الَّذي انفردتْ به سورة الحِجْر قام مقام الاستثناءِ في قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾، وزاد في الحجر: ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾؛ لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم، علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم.

="نبّأ وأنبأ"؟ الجواب: وردت كلمة (نبّأ) ستًّا وأربعين مرة، بينما وردت كلمة (أنبأ) أربع مرات فقط. وردت كلمة (أنبأ) مع ورود كلمة (نبّأ) لسببين: ١- أن (نبّأ) أبلغ من (أنبأ)، لذا جاءت في الإخبار عن إنباء النبي ﷺ، وإنباء الله في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣]. ٢- أن (نبّأ) تحمل معنى اليقين، أما (أنبأ) فتحمل معنى غلبة الظن، لذا وُصف بالأولى إنباء النبي ﷺ، وإنباء الله تعالى. ووُصف بالثانية إنباء حفصة: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾؟ [التحريم: ٣]؛ لأنها كان يغلب على ظنها أنه الوحي، وخطر ببالها أنه ربما كانت عائشة هي التي أنبأته وأخبرته، لذا جاءت كلمة (أنبأك) التي تدل على غلبة الظن، لا عن اليقين والجزم (كما هو الحال مع كلمة نبّأ- الدالة على اليقين)، وكذلك كل منهما في كل المواضع القرآنية. [٥٠] ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٥٠]. وقال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٩٨]. لمّا أمر أن ينبئ بدأ بالمغفرة ولما أخبر عن نفسه بدأ بالعقوبة، لأن المقام مقام سلطان وعلو. [٧٢] ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢]. أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يعرف عن السلف نزاعٌ في أن هذا قسم من الله بحياة رسوله صلي الله عليه وسلم، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته، وهذه مزية لا تعرف لغيره. [٧٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المَطَر والغَيْث"؟ الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٤]، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر:٧٤]، ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ بِكُمْ =

[٥٤] ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تُبَشِّرُونَ ﴾ قرئ: (تبشرونَ) بتخفيف النون وفتحها على أنها علامة الرفع. وقرئ: (تبشرونِ) بكسر النون على أن الكلمة بنونين تبشرونني فحذفت الياء حملًا على نظائرها في رؤوس الآي، وبقيت كسرة النون دالة على الياء المحذوفة. وقرئ: (تبشرونّ) كذلك مع إدغام النون الأولى في =

= عبادَه بالرحمة والغفران، وتهديدهم بالعذاب والعقاب، والإشارة إلى ذكر أضياف الخليل عليه السّلام، والنَّهي عن القُنُوط من الرّحمة، وذكر آل لوط، وسكرتهم في طريق العَماية والضّلالة، وتسلية النَّبي ﷺ عن جفاءِ الكفّار، وبذيءِ أقوالهم، والمَنُّ عليه ﷺ بنزول السّبع المثاني، وسور القرآن العظيم، والشكوى من =

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١- ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾: تزوجوا النساء، ولا تفعلوا ما حرم الله عليكم، وقيل: أراد بيناته نساء قومه، لكون النبي بمنزلة الأب لقومه. ٧٢- ﴿لَعَمۡرُكَ﴾: كما تقول: وحياتك، وما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ. ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون. ٧٣، ٧٤- ﴿مُشۡرِقِينَ﴾: حين أشرقت الشمس ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين. ٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾: لعلامات ودلالات ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾: الناظرين المفكرين المعتبرين، من الذين يتوسمون الأشياء ويعتبرون. وإنما يعني تعالى قوم رسول الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك في قوم لوط وما حل بهم على تكذيبهم، معتبر. ٧٦- ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾: إن هذه المدينة سدوم لبطريق واضح مقيم، وهي الطريق من المدينة إلى الشام. يراها المجتاز بها لا تخفى ولا تبرح من مكانها. ٧٨- ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾: «الأيكة»: الشجر الملتف المجتمع، وهم قوم شعيب عليه السلام. وقيل: الأيكة اسم القرية التي كانوا فيها. ٧٩- ﴿وَإِنَّهُمَا﴾: يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة ﴿لَبِإِمَامٖ﴾: لبطريق يأتمون به، ويهتدون في سفرهم ﴿مُّبِينٖ﴾: ظاهر. ٨٠- ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾: مدينة ثمود. ٨٢- ﴿ءَامِنِينَ﴾: قيل: آمنين من عذاب الله. وقيل: آمنين من الخراب. ٨٣- ﴿مُصۡبِحِينَ﴾: حين أصبحوا من اليوم الرابع. ٨٤- ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: يجترحون من الأعمال الخبيثة. ٨٥- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾: بالعدل والإنصاف، يعني: أنه لم يظلم أحداً ممن ذكر من الأمم تقوم فيها القيامة ﴿فَٱصۡفَحِ﴾: عنهم، أعرض عنهم. ﴿ٱلصَّفۡحَ﴾: الإعراض ﴿ٱلۡجَمِيلَ﴾. ٨٧- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ﴾: أعطيناك ﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾: قيل: السبع السور من أول القرآن، تُثنى فيهن الفرائض والحدود والأمثال والعبر. وقيل: فاتحة الكتاب، وبه قال جمهور المفسرين، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾: الكتاب كله. ٨٨- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾: لا تتمنين ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعاً للأغنياء من قومك المشركين ﴿أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أصنافاً، ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: يقول: لا تحزن على ما مُتعوا به، فالذي لك في الآخرة خير منه مع ما عُجِّل لك في الدنيا من الكرامة، وما أوتيت من السبع المثاني والقرآن العظيم. وقيل: ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا. ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: ألِنْ لهم جانبك وقرّبهم، ولا تُغلظ عليهم. و«الجناحان» من ابن آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان. ٨٩- ﴿ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الذي أبان إنذاره لكم. ٩٠- ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾: عنى بهم كفار قريش، تقاسموا على الطعن في القرآن وصدّ الناس عنه.

[٧٤] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ﴾ [الحجر: ٧٤]. كلٌ من الموضعين مراعىً فيه مناسبة ما تقدمه، ولما تقدم آية سورة الحجر قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨]، ذكر قوم لوط الموصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم فروعي هذا المتقدم، فقيل: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، فقيل "عليهم" لما تقدم قوله: ﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾، وأمّا آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا، فاكتفى بضمير القرية، فقيل: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾، وأغنى ذلك عن ذكر المهلكين إذ هم المقصودون بالعذاب. [٧٥، ٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧]. لماذا جمع "الآيات" في الأولى وأفردها في الثانية؟ الجواب: قصة إبراهيم ولوط اتفق فيها آيات متعددة من إرسال الملائكة إليهما، وما جرى بينهم من المحاورة وبين لوط وقومه وكيفية هلاكهم، فلذلك جمع ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، وقصة عاد وهلاكهم هنا آية واحدة فلم يذكر سواه، فأفرد الآية. [٨٢] ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، ﴿ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتًا، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمّا آية الشعراء: وتنحتون من الجبال بيوتًا ماهرين بنحتها، أشرين بطرين. [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ...﴾ [طه: ١٣١]. الآيتان تدعوان النبي ﷺ أن لا ينظر بعينيه ويتمنّى ما متع الله به أصنافًا من الكفار مِن مُتَع الدنيا، وآية الحجر تدعوه ﷺ أن لا يحزن على الكافرين، وأن يتواضع للمؤمنين، أمّا آية طه فتوضح أن هذه المتع زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعنا بها الكافرين؛ لنبتليهم بها... [٨٨] ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق بمن آمن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ولم يحتج هنا إلى زيادة، ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفًا وإنعامًا على من آمن من عشيرته عليه الصلاة والسلام وغيره، بقوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فقيل هنا: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾، ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقًا من العشيرة وغيرهم...

= أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيثُ) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠].

[٨٧] ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. قال الرازي: إنه تعالى لما صبّره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خصه بها، لأن الإنسان إذا تذكر نعم الله عليه، سهل عليه الصفح والتجاوز.

= الثانية كما في ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾. [٥٦] ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَقۡنَطُ﴾ هنا، و﴿يَقۡنَطُونَ﴾ بالروم: ٣٦، و﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ بالزمر: ٥٣، قرئ: (يقنِط- يقنَط) بكسر النون وفتحها كعلم يعلم، والأول كضرب يضرب لغة أهل الحجاز وأسد؛ وهي الأكثر، ولذا أجمعوا على فتح الماضي نحو: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾. [٦٠] ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ﴾ قوله تعالى: ﴿قَدَّرۡنَآ﴾ هنا والنمل: ٥٧. قرئ: (قدَرنا- قدَّرنا) بتخفيف الدال وتشديدها، وهما لغتان بمعنى، يقال: قَدَرَ وقَدَّر.

= الطّاعنين في القرآن، وذكر القَسَم بوقوع السّؤال في القيامة، وأمر الرّسول ﷺ بإظهار الدّعوة، والمنّ عليه بإهلاك أعداءِ دينه، ووصيّته بالعبادة إلى يوم الحقّ واليقين في قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

٩١- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾: أجزاءً أو فرقاً متفرقة، مأخوذة من قولك: عضَّيت الشيء: إذا فرقته، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم: كهانة. وقال بعضهم: أساطير الأولين. ويدخل فيه من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، كما يدخل فيه بعض الضالّين المكذبين. ٩٤- ﴿فَاصْدَعْ﴾: امض وافرق ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾: بالقرآن: وقيل: بالجهر بالقرآن في الصلاة. ٩٥- ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: الذين كانوا يستهزئون برسول الله ويسخرون، وهم كفار قريش، فأهلكهم الله كلهم يوم بدر. ٩٦- ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ما يلقون يوم القيامة بما يقولون من تكذيبك. ٩٨- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فافزع فيما نابك مما تكره إلى الله، وإلى شكر الله والثناء عليه. ٩٩- ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: الموت.

سورة النحل

١- ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قرب؛ وهذا وعيد للمشركين، «أمر الله»: القيامة. وقيل: هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم. وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه. ٢- ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾: بالوحي والرحمة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: الذين اصطفاهم للرسالة. ٣- ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: علا عن الخلق، وتقدس عن إشراكهم. ٤- ﴿خَلَقَ الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: خلقه من ماء مهين خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث. ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا ورزقه، حتى إذا استوى على سوقه كفر نعمة ربه، وجحد مدبره ورازقه، وعبد من لا يضرُّه ولا ينفعه، وخاصم إلهه فقال: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [سورة يس ٧٨] ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: يبين عن خصومته بمنطقه، ويجادل بلسانه، وعنى بالإنسان هاهنا: جميع الناس. ٥- ﴿وَالْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾: يقول عز وجل: ومن حججه عليكم ما خلق لكم من الأنعام وسخرها ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: لباس ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: مركب ولبن ولحم. ٦- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: يعني: في هذه الأنعام ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: يعني: حين تردونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها ومَباركها التي تأوي إليها، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: إذا سرحت لرعيها. يقال: سرحت الإبل: إذا غدوت بها إلى المرعى. وقدم الإراحة على التسريح لأن منظرها عند الإراحة أجمل.

[٩٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ الآية. أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحًا حتى نتنوا، فلم يستطع أحدٌ أن يدنو منهم، فأنزل الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [١] قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت الآية ذعر أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فسكتوا، وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما نزلت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قاموا، فنزلت ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

[١١ - ١٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]. سبب الإفراد في الآية الأولى أن جميع ما أخبر عنه أنه خلقه إنما هو في جنس من صنعه ونوع من خلقه، وهو كل ما نجم من الأرض، مما فيه قوت الخلق، فكان ذكر الآية أحق، لأنه فيما يطلع من الأرض بالماء، وكأنه جمع، وجميعها شيء واحد، وجاء الإفراد أيضًا في الآية الثالثة، لأن المعنى جميع جواهر الأرض كالذهب والفضة والحديد وغيرها، وهي كالشيء الواحد، فلذلك أفرد، أمّا الآية الثانية فجاءت بالجمع، لأنها خلاف ما سبق، فذكر فيها الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وفي كل واحد منها آيات كثيرة، فكان الجمع أولى. وأمّا وصف المعتبرين في الآية الأولى بالتفكير، وفي الثانية بالعقل، وفي الثالثة بالتذكر، فلأن إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المنزل من السماء مع كونه واحدًا والمنبت مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر يوصل إلى تعرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك وإن لم يطل، بشرط السلامة من الغفلة، فيحصل بمجرد الفكر على عظيم المعتبر، وأمّا تسخير الليل والنهار إلى ما ذكر معهما فلا يكتفي في معرفة ذلك والحصول على الاعتبار به بمجرد الفكر، فإن العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى إلا على=

[٩٢] ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. كيف نفى عنهم الكلام في آية البقرة وأثبته لهم في آية الحجر؟ الجواب: المنفي في آية البقرة الكلام بلطف وإكرام، والمثبت في آية الحجر، سؤال توبيخ وإهانة، أو في يوم القيامة مواقف، ففي موقف لا يكلمهم، وفي موقف يكلمهم، ومن ذلك آية النفي المذكورة مع قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ...﴾ [الأنعام: ٢٢].

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله، وقتله شر قتله.

[١] ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قرئ: (تشركون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقرئ: (يشركون) بالغيبة، ووجهها الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة لإسقاط المخاطبين عن درجة الاعتبار لعدم اهتدائهم بأدلة التوحيد وتدنسهم بالقول بالشركة.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فيه ثلاث قراءات: الأولى: (تَنزَّل الملائكةُ) بتاء مفتوحة، وزاي مفتوحة مشددة ولام مشددة، و(الملائكة) بالرفع، ووجهها: أن تنزل مضارع، وأصله تتنزل حذف منه إحدى التاءين تخفيفًا وأصله تتنزل و(الملائكة) فاعل، وهو كذلك في سورة القدر إجماعًا. الثانية: (يُنزِل) بياء مضمومة وبعدها نون ساكنة وزاي مكسورة مخففة، ووجهها: أن ينزل مضارع أنزل، وفاعله ضمير يعود على الله. الثالثة: (يُنزِّل الملائكةَ) مثلها إلا أنها بنون مفتوحة بعد الياء وتشديد الزاي على أنه مضارع نزَّل بتشديد الزاي و(الملائكة) بالنصب فيهما مفعول.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الضيق)، مع مشتقات كلمة (الطمأنينة)، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن.

نزول سورة النحل: نزلت بعد سورة الكهف، وهي مكيّة، إلاّ قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السّورة. عدد كلمات سورة النحل: ألفان وثمانمائة وأربعون. عدد حروف سورة النحل: سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف. أسماء سورة النحل: وسُمّيت =

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

٧- ﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾: بجهد الأنفس. ٨- ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أي: أن مخلوقات الله تعالى من الحيوان وغيره لا يحيط بها البشر. وقيل: يخلق ما لا تعلمون في الجنة والنار لأهلهما، مما لم تره عين، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر. ٩- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: على الله تعالى تقويم طريق الهدى وتبيينه، وذلك بنصب الأدلة وبعث الرسل، ولكنه تعالى لا يحمل أحداً على الإيمان. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾. و«القصد» من الطريق: المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾: معوج عن الاستقامة. ١٠- ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾: منه أشجاركم، وحياة غروسكم ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون، يقال: أسام فلان إبله يسيمها إسامة، إذا أرعاها. وسامت هي: إذا رعت، فهي سائمة. ١٣- ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾: خلق لكم، وسخر لكم ما ذرأ لكم ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾: من الدواب والثمار: نعم الله متتالية عليكم فاشكروها له. ١٤- ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾: يعني: السفن: ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: مواقر، أي محملات، و«المخر» في كلام العرب: صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت، وشقت الماء حينئذ بصدرها. ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: بالتجارة في البر والبحر.

= ذوي البصائر والفطن السليمة والعقول الراجحة، فلم يقنع التفكر هنا بل وصف المعتبر بها بما هو فوق الفكر، ولما كان في الاعتبار بما انطوت عليه الآية غموض وخفاء، قيل: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، وأمّا الآية الثالثة وهي قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾، فهي دعوة للنظر فيما تخرجه الأرض مما هو واضح لكل ذي عينين، فقصد التذكير كاف في حصول الاعتبار بذلك، فإذا تأملت ما ذكرناه ألفيت ذلك كله واردًا على أجل مناسبة، وعلمت أن كل آية من هذه الثلاث لا يناسبها إلا ما أعقبت به.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]. في هذا الموضع نرى أن آية النحل جاءت على الأصل في الترتيب، فمواخر حال، ثم جاء بعدها الظرف ﴿فِيهِ﴾، أما تقديم ﴿فِيهِ﴾ في فاطر فجاء على خلاف الأصل، وقد أجاب الإسكافي عن سر التقديم بمناسبتين: الأولى معنوية، وهي تعلق قوله: ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ به، فالتقدير: وترى الفلك فيه تمخر الماء، أي: تشقه لتبتغوا من فضله، فأخر ﴿مَوَاخِرَ﴾ ليجاور معموله ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾، والأصل عدم الفصل، ولهذا حذفت واو العطف في قوله: ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ بينما لم تحذف في الموضع الأول، والسر في أن آية النحل بدأت بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ﴾ هو ما عطف عليه من استخراج الحلية، وجري السفن، وابتغاء الفضل، أمّا آية فاطر فليس فيها ما يصلح لعطف الابتغاء عليه، وإنما هو متعلق بمواخر كما عرفنا، أمّا المناسبة اللفظية التي اقتضاها تقديم الضمير المجرور، فهي أنه تقدم في الآية تقديم الجار والمجرور على الفعل نفسه في قوله: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾.

قول آخر: تقدم الكلام في النحل عن وسائط النقل فذكر الأنعام، وأنها تحمل الأثقال، وذكر الخيل والبغال والحمير وهي مما يركب، ثم ذكر الفلك وهي من واسطة النقل، فقدم المواخر في النحل؛ لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل، وليس السياق كذلك في فاطر، وإنما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر: ١١] ثم قال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢]، فالكلام هنا عن البحر وأنواعه، وما أودع الله فيه من نعم، فلما كان الكلام عن البحر قدم ضمير البحر على المواخر، ولما كان الكلام على وسائط النقل والفلك قدم حالة الفلك.

[٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩]. لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية، نبه على الطرق المعنوية الدينية، وكثيرا ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية. كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

[٧] ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ قوله تعالى: ﴿بِشِقِّ﴾ فيها قراءتان: (بِشَق-بِشِق) فتح الشين على أنه مصدر قياسي والكسر على أنه مصدر سماعي، وقيل (الشَق) بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسم. [١١] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ﴾ قرئ: (يَنبت) بالياء جريًا على الأسلوب السابق وهو الغيبة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ وقرئ: (نُنبت) بالنون على أن الفعل مسند لضمير المتكلم المعظم نفسه، ووجه الالتفات عن الغيبة إلى التكلم: للتنبيه على عظم تلك النعم نظرًا لأنها لا تصدر إلا عمَّن له العظمة والقدرة العامة. [١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ قرئ: (وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ) بنصب الجميع على عطف الثلاثة الأول على (الليل) و(مسخرات) حال مؤكدة للعامل وهو سخر، أو عطف الأولين وهما (الشمس والقمر) على الليل (والنجوم) مفعول أول لفعل محذوف تقديره: وجعل النجوم، ومسخرات مفعول ثان. وقرئ: (والشمسُ والقمرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ) برفع الجميع على الابتداء بقوله: والشمس، وما بعده معطوف عليه (مسخرات) خبر. وقرئ: بنصب الأولين، وهما: (الشمسَ والقمرَ) عطفًا على مفعول سخر، ورفع (النجومُ مسخراتٌ) على الابتداء والخبر.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ عدد (١٤) مرة.

= سورة النَّحل لِمَا فيها من عجائب ذكر النَّحل. مواضيع سورة النحل: معظم ما اشتملت عليه السّورة تخويف العباد بمجيء القيامة، وإقامة حُجّة الوحدانية، وذكر ما في الأنعام من المنافع والنِّعم، وما في المراكب من التَّجمّل والزينة، وذكر المُسِيم والنبات والشجر، وتسخير الشمس والقمر، وتثبيت الأرض والجبال =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١٥- ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أثبت ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: يعني: لئلا تميد بكم، و«الميد»: هو الاضطراب. وفي هذا إشارة إلى أن حركة الأرض موزونة، لا أثر فيها للاضطراب. والله أعلم. ﴿وَسُبُلًا﴾: طرقاً. ١٦- ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، قيل: معالم الطرق بالنهار، وكل علامة استدل بها على الطريق من الجبال والفجاج وغيرها داخلة فيها ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: «النجم» هاهنا: اسم جنس؛ أي: نجوماً تهتدون بها ليلكم في سُبُلكم. ١٧- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾: هذه الخلائق العجيبة المذكورة. وهو الله عز وجل ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: يعني: الأوثان والأصنام. وكل ما عُبد من دون الله. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: إن حاولتم إحصاءها عدداً حتى لا يشذّ منها شيء، لم تقدروا على ذلك. و«النعمة» هنا مفردة يراد بها الجمع. وقيل: لا تطيقوا أداء شكرها. ٢١- ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: يعني الأوثان ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يقول تعالى: وما تدري أصنامكم متى تُبعث؟ وقيل: عنى بذلك الكفار. ٢٢- ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: مستنكرة لما نقُص عليهم من قدرة الله عز وجل، وأن العبادة له لا لغيره ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: يستكبرون عن إفراد الله بالوحدانية اتباعاً منهم لما مضى عليه سلفهم من الشرك. ٢٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾: كلمة تحقيق، ولا تكون إلا جواباً، يعني: حقاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من أقوالهم وأفعالهم. ٢٤- ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أي شيء أنزل ربكم؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: هذه أحاديث الأولين وباطلهم. ٢٥- ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾: أثقالهم وآثامهم ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾: بقبولهم منهم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: فقال: ألا ساء الإثم والثقل الذي يتحملون. ٢٦- ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هؤلاء المشركين، وقيل: عنى عز وجل: نمْرُود بن كنعان الذي رام الارتقاء إلى السماء لحرب من فيها؟ وبنى الصرح ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: قيل: أتاهم العذاب من السماء، وقيل: سقط السقف بعد سقوط البناء، وإنما قال «من فوقهم» ليعلمك أنهم كانوا حالّين تحته، وتحقيقاً لصورة الدمار الكامل الشامل الذي أصابهم.

[١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل : ١٨]. آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم : ٢٨]، ثم قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٣٠]، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٣٢]، إلى قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم : ٣٤]، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه وإحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل وجعل الأنداد، وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار، أمَّا آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه إليه عباده المؤمنين من متوالي آلائه وإحسانه، وما ابتدأهم به من نعمة من لدن قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ٤]، ثم توالت آيات الامتنان والإحسان، فقال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل : ٥]، فذكر تعالى بضعًا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبهًا وموقظًا من الغفلة والنسيان: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ١٧]، ثم أتبع بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فجاء كلٌّ على ما يناسب، والله أعلم. [٢٩] ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل : ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر : ٧٢، غافر : ٧٦]. آية النحل نزلت في قوم قد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم.. وهم الذين قالوا إن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو أساطير الأولين، وهؤلاء أكثر الناس آثامًا وأشدهم عقابًا، ومن هذه صفته اختير -عند تغليظ العقاب له- المبالغة في تأكيد لفظه، فاختيرت اللام هنا لذلك، ولأن بعدها في ذكر أهل الجنة قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل : ٣٠]، فاللام في "لنعم" بإزاء اللام في "لبئس"، وليس كذلك الآيتان في سورة الزمر وغافر، لأنهما في ذكر جملة الكفار.. فلما كان المذكورون في سورة النحل فيمن لزمهم وزران عن ذنوبهم التي أتوها، وعن ذنوب غيرهم التي حملوا عليها، ولم يذكر من سواهم في الآيتين الأخريين يحمل أثقالًا مع أثقالهم، حسنِ التوكيد هناك فضلَ حسنٍ؛ فلذلك خُص باللام.

[١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. العباد عاجزون عن عَدِّ نعم الله عز وجل فضلاً عن القيام بواجب شكرها، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: (من لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه) فأين نعمة الطعام والشراب من نعمة الهداية للإسلام؟

[٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالغيبة على الالتفات من الخطاب في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار. وقرئ: (تدعون) بالخطاب تناسبًا لما سبق في الخطاب السابق إذ كان الخطاب السابق للكافرين، أو الالتفات عن الخطاب العام إلى الخطاب الخاص، يعني: أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ التفاتٌ عن الخطاب العام إلى خطاب

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل : ١٥]، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ : ٧]. وظيفة الجبال: بما أن قشرة الأرض وما عليها من جبال وهضاب وصحاري تقوم فوق الأعماق السائلة والرخوة المتحركة المعروفة باسم "طبقة السيما" فإن القشرة الأرضية وما عليها ستميد وتتحرك باستمرار وسينجم عن حركتها تشققات وزلازل هائلة تدمر كل شيء... ولكن شيئًا من هذا لم يحدث... فما السبب؟ لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض وفي "طبقة السيما" وثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض، لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض كما في الآية السابقة. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة اللفظ "أوتادًا" على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان وتؤمن لها الاستقرار، وهذا ما كشف عنه الجيولوجيون في النصف الثاني من القرن العشرين. [١٩] ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌّ منهما (١٦) مرة.

والحَجَر، وهداية الكواكب في السَّفر والحضر، والنِّعم الزَّائدة عن العد والإحصاء، والإنكار على أهلِ الإنكار، وجزاءُ مَكْر المُكَّار، ولعنة الملائكة على الأشرار عند الاحتضار، وسلامهم في ذلك الوقت على الأبرار والأخيار، وبيان أحوال الأنبياءِ والمرسلين مع الأمم الماضين، وذكر الهجرة والمهاجرين، وذكر التَّوحيد،

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)

٢٧- ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: أصله، من شاققت فلاناً فهو يشاقُني، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه، والمعنى: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين فيهم. ٢٨- ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله عز وجل. قيل: نزلت في ناس بمكة أقروا بالإسلام ولم يهاجروا. وخرج بهم كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾: ما كنا نعصي الله اعتصاماً بالباطل، ورجوا أن ينجوا بذلك. ٢٩- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: يعني: طبقاتها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها. ﴿مَثْوَى﴾: منزل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: من تكبر على الله، ولم يقر بوحدانيته. ٣٠- ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: المؤمنين ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾: بمعنى: أنزل خيراً، وسئل عباد الله المتقون، فقالوا: أنزل خيراً. ٣٢- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: بتطييب الله تعالى إياهم بنظافة الإيمان وطهر الإسلام. ٣٣- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: يعني: هل ينتظر هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: بحشرهم لموقف الحساب ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أسلافهم من الكفرة. ٣٤- ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزل بهم، على وجه الإحاطة، من عذاب الله عز وجل.

[٣١] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل: ٣١]. تتحدث هذه الآيات عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله تعالى لهم. [٣٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]. الآيتان تتحدثان عن الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله هل ينتظرون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، وآية الأنعام تبين أنهم ينتظرون أن يأتي ربك أيها الرسول للفصل بين عباده يوم القيامة... أمّا آية النحل فتوضح أنهم ينتظرون أن يأتي أمر الله بعذاب عاجل يهلكهم...

= وأين نعمة الطعام والشراب من نعمة شرح الصدر لقيام الليل وصيام النهار؟ ثم أين نعمة الطعام والشراب من التوفيق لمناجاة رب الأرض والسماوات والرضا به ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا؟ وأين هذه النعمة من استشعار الأنس بالله ومحبته واللهج بذكره والشوق إلى لقائه؟ [٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧]. وفي هذه فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه. [٣٠] ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]. تكرر هذا المعنى في هذه السورة دون غيرها في أربعة مواضع لسر بديع، فإنها سورة النعم التي عدد الله سبحانه فيها أصول النعم وفروعها، فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعمًا أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية. [٢٩] ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]. بعض آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدمًا عليهم حريصًا جدًا أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظًا بصدر المجلس مستقلًا به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصعير الخد، والنظر شزرًا، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغة كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبختره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلًا في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله"، يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة العقال أو ما يشبهه إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس فخرًا وتكبرًا وبطرًا. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم. بعض أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش، والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. قال ابن القيم: أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة. فالكبر: يمنعه الانقياد. والحسد: يمنعه قبول النصيحة وبذلها. والغضب: يمنعه العدل. والشهوة: يمنعها التفرغ للعبادة. وزوال الجبال عن أماكنها أيسر من زوال هذه الأربعة عمَّن بُلي بها، ولا سيما إذا صارت هيئات راسخة وصفات ثابتة، فإنه لا يستقيم له معها عمل البتة، ولا تزكو نفسه مع قيامها بها، وكلما اجتهد في العمل أفسدته عليه هذه الأربعة. علاج الكبر: ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف =

= المشركين خاصة لأنه أظهر في التوبيخ والتبكيت. [٢٧] ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تُشَاقُّونَ﴾ قرئ: (تشاقونِ) بكسر النون، ووجهها حذف إحدى النونين للتخفيف، والراجح أن المحذوف هو نون الوقاية وكسرت نون الرفع. وقرئ: (تشاقونَ) بفتح النون على أنها نون الرفع والمفعول محذوف مع نون الوقاية، وعلى هذه القراءة يحتمل أن يقدر المفعول عامًا على معنى: تشاقون الله ورسوله و المؤمنين، أما على الأولى فالمفعول ياء المتكلم المحذوفة التي دلت عليها كسرة النون. [٢٨] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ قرئ: (تتوفاهم) بالتاء ووجهها: أن الفاعل جمع تكسير يجوز تأنيث فعله لتقدير الجماعة. وقرئ: (يتوفاهم) بالياء على معنى الجمع، وكذلك القول في تأتيهم الملائكة، وقد وُجِّه في الأنعام.

= وتعريف المنعِم، ونعَمه السّابغات، ومذمّة المشركين بوأد البنات، وبيان الأسماءِ والصّفات، والمنّة على الخلائق بإنزال الرّحمات، وعدّها من الإنعام في باب الأنعام والحيوانات، وبيان فوائد النّحْل، وذكر ما اشتمل عليه من عجيب الحالات، وتفضيل الخَلْق في باب الأرزاق والأقوات، وبيان حال المؤمن والكافر، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾: قالوا: ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضي عبادتنا لها. ٣٦- ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: احذروا الشيطان أن يغويكم ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾: وفقه للإيمان ففاز ونجا. ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: وجبت وثبتت لإصراره على الكفر والعناد. ٣٧- ﴿لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾: من علم ذلك منه. وسبق له عنده. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: ينصرونهم بدفع العذاب عنهم. ٣٨- ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: جاهدين فيها ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾: وعد البعث لا خلف فيه. ٣٩- ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: أي: بل يبعثهم ليبين لهم، ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾: الأمر الذي وقع الخلاف بينهم فيه. ٤١- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ الآية: نزلت في أصحاب محمد ﷺ الذين هاجروا إلى أرض الحبشة. والآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أولاً وآخراً رضي الله عنهم أجمعين. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: لنسكنتهم في الدنيا مسكناً صالحاً يرضونه، يعني: المهاجرين إلى رسول الله ﷺ. وقيل: لنرزقنهم في الدنيا رزقاً حسناً.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ الآية أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دَيْن، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت أنه كذا وكذا، فقال له المشرك إنك لتزعم أنك تُبعث من بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية. [٤١] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أبي جندل بن سهيل.

[٣٥] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [النحل: ٣٥]. زاد ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ مرتين، وزاد ﴿نَّحۡنُ﴾ بالنحل؛ لأن لفظ الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته، ودل على تحريم أشياء وتحليل أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى لفظ "من دونه"، بخلاف لفظ العبادة، فإنها غير مستنكرة، وإنما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه وتعالى، ولا يدل على تحريم شيء كما يدل عليه "أشرك"، فلم يكن لله هنا من يعتبره بقوله: "من دونه"، ولما حذف "من دونه" مرتين حذف معه "نحن" لتطَّرد الآية في حكم التخفيف، وجاء قبل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، أمَّا آية النحل فقد جاء قبلها: ﴿مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا﴾ فقال: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾.

= نفسه. ٢- التواضع لله بالفعل، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين المتبعين لطريقة سيد المرسلين. ٣- التأمل في عاقبة الكبر السيئة. ٤- معرفة ما أعده الله للمتكبرين في الآخرة من الوعيد الشديد. ٥- أن صاحب الكبر لا يحبه الله. ٦- الدعاء بأن يعيذك الله تعالى من الكبر والتعاظم والخيلاء.

[٣٦] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [الرعد: ١٨]، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عن نفسه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبَّر بها نوح عليه السلام حينما نفى عن نفسه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف: ٦١].

[٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢]. الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره، وبذل جهده فيما =

[٣٧] ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ قرئ: (يُهدَى) بضم الياء وفتح الدال ووجهها: أنه مضارع مبني للمجهول و(من) في موضع رفع نائب فاعل. وقرئ: (يَهدِي) بفتح الياء وكسر الدال على أنه مضارع للمعلوم، وفاعله يعود على الله و(من) في موضع نصب مفعول، أو مضارع هدى بمعنى اهتدى فعل لازم، و(من) في موضع رفع فاعله، والمعنى على هذا: لا يهتدي من يضله الله.

[٣٥] ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

= وتسخير الطيور في الجوّ صافّات، والمِنَّة بالمساكن والصّحارى والبَرّيّات، وشكاية المتكبّرين، وذكرما أُعِدّ لهم من العقوبات، والأمر بالعدل والإحسان، والنّهي عن نقض العهد والخيانات، وأنَّ الحياة الطَّيِّبة ضمن الطَّاعات، وتعلم الاستعاذة بالله في حال تلاوة الآيات المحكمات، وردّ سلطان الشَّيطان عن المؤمنين =

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

٤٣- ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: مَنْ أسلم مِن أهل التوراة والإنجيل يخبرونكم عما عندهم. ٤٤- ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: متعلقة بـ«ارسلنا»، يقول عز وجل: أرسلنا بالبينات والزبر رجالاً يوحى إليهم. و«الزبر»: الكتب، زبرتُ الكتاب. إذا كتبته ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: القرآن ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يعتبرون ويطيعون. ٤٥- ﴿مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: افأمن الماكرون العقوبات السيئات؟ أو: أفأمن الذين مكروا المكرات السيئات؟ مثل سعيهم في إيذاء الرسول وأصحابه على وجه الخفية، واحتيالهم في إبطال الإسلام. ٤٦- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾: في تصرفهم في البلاد ليلاً ونهاراً ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: لا يعجزون الله تعالى إذا أرادهم، ولا يفوتونه سبحانه. ٤٧- ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ أي: ويهلكهم بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم، الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوَّف مالَ فلان الإنفاقُ. أي تنقصه. ٤٨- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾: من جسم قائم، شجر أو جبل، أو غير ذلك ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾: اي يرجع من موضع إلى موضع، فهو في أول النهار على حال، ثم يتقلص، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: أول النهار وعن ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: آخر النهار ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾: سجود الظلال: ميلانها من جانب إلى جانب، ومن ناحية إلى ناحية. وقيل: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله. ﴿دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون، يقال: دخر فلان يدخر دخراً، إذا ذل له وخضع. ٤٩- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: إلى آخر الآية. يعني: يخضع ويخشع ويستسلم. ٥٢- ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾: دائماً ثابتاً واجباً، يقال: وصب الدين يصب وصوباً ووصباً، إذا وجب. ٥٣- ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: المرض وشدة العيش ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾: تستغيثون وتصرخون بالدعاء.

[٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل : ٤٢، العنكبوت : ٥٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والعنكبوت، وهي تصف المؤمنين الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في كل شؤونهم. [٤٨] ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ [النحل : ٤٨]. لماذا أفرد اليمين وجمع الشمائل؟ الجواب: أن الآية نزلت بمكة والظل فيها إلى جهة اليمين، وهو يمين الكعبة مدة قليلة، والظل إلى جهة الشام وهو شمال الكعبة تطول مدته، وتكثر مساحته، فناسب إفراد اليمين لقلة مسافته ومدته، وجمع الشمائل لطول مدته ومسافته، وقيل فيه غير ذلك، وهذا أنسب ما قيل فيه، والله أعلم. [٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد : ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [النحل : ٤٩]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [الحج:١٨]. في سورة الرعد تقدّم آية السّجدة ذكرُ العُلويّات من البرق والسّحاب والصواعق، ثمّ ذِكر الملائكة وتسبيحهم، وذَكر بآخرة، أي: أخيرًا، الأصنام والكفّار، فبدأ في آية السّجدة بذكر من في السّماوات لذلك، وذَكَر الأرض تبعًا، ولم يذكر مَن فيها استخفافًا بالكفار والأصنام. وأمّا في النّحل فقد تقدّم ذكرُ ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقتضى سياق الآية ما في السّماوات وما في الأرض؛ وأمّا في الحجّ فقد تقدّم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدّم ذكر مَن في السّماوات؛ تعظيمًا لهم ولها، وذكر مَن في الأرض؛ لأنهم هم الّذين تقدّم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها.

= أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله. [٥٢] ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]. له جل وعلا الطاعة والذل والخضوع دائمًا، لأنه لا يضعف سلطانه، ولا يعزل عن سلطانه. ولا يموت، ولا يغلب، ولا يتغير له حال بخلاف ملوك الدنيا، فإن الواحد منهم يكون مطاعًا، ثم بعد برهة من الزمن يعزل أو يموت. [٥٣] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤]. ما الفرق بين "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النِّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. لَم جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النِّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة قرآنية: أولًا- النعمة: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثانيًا- النعيم: قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢].

[٤٨] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ قرئ: (يروا) بالغيب مناسبة لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الخ. وقرئ: (تروا) بالخطاب على الالتفات مناسبة لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾. قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ قرئ: (تتفيأ- يتفيأ) بالتأنيث والتذكير ووجههما: أن الفاعل جمع تكسير يجوز تأنيثه على تقدير الجماعة، وتذكيره على تقدير الجمع.

[٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن.

= والمؤمنات، وتبديل الآيات بالآيات، لمصالح المسلمين والمسلمات، والرّخصة بالتّكلم بكلمة الكفر عند الإكراه والضّرورات، وبيان التحريم والتحليل في بعض الحالات، وذكر إبراهيم الخليل وما مُنح من الدّرجات، وذكر السّبْتِ والدّعاءِ إلى سبيل الله بالحكمة والعظات الحسنات، والأمر بالتسوية في المكافآت =

لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

٥٦- ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: يعني: المشركين من عبدة الأوثان ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: منه ضراً ولا نفعاً، يعني آلهتهم ﴿نَصِيبًا﴾: حظاً وجزءاً من أموالهم مما كان يذبح للآلهة ويسمُّونها لها ﴿مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: من الأنعام والحرث ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من الباطل. ٥٧- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾: تعالى الله عن ذلك، رضوها لربهم، ولم يرضوها لأنفسهم ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾: البنون الذكور! ٥٨- ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: غماً وكراهية بولادتها ويُعرف ذلك في وجهه لوقت طويل ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: كَظُمَه الحزن وامتلأ غمًّا، أي في داخل نفسه؛ فهو لا يظهر ذلك. ٥٩- ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يتغيب هذا المبشَّر عن المجتمع والناس! ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: أي: على هوانٍ وكره ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: يئد ابنته، وهو أن يدفنها حية ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ألا ساء الحكم الذي حكم به المشركون في الواد، وفي أنهم جعلوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم نصيباً مما رزقهم الله عز وجل. هذا وقد كان الواد في (ربيعة ومضر) من قبائل العرب. ٦٠- ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الأحسن والأجل، وذلك: التوحيد والإذعان له وحده لا شريك له. ٦١- ﴿بِظُلْمِهِم﴾: بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: يعني: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: تدب عليها. ٦٢- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: من البنات، بزعمهم أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: العاقبة الحسنى، وقيل: المراد: الذكور من البنين، لأنهم كانوا يستبقون الذكور ويئدون البنات ﴿لَا جَرَمَ﴾: بلى، وإنما هو بمعنى: لابد ولا محالة، فكثرت حتى صارت بمنزلة: حقاً ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: منسيون مضيعون متروكون في النار. ٦٣- ﴿تَٱللَّهِ﴾: أقسم الله عز وجل بنفسه ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع في الآخرة. ٦٤- ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: في دين الله، فتعرفهم بالصواب.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥، الروم: ٣٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والروم، وهي تبين أن المشركين يجحدون نعم الله عليهم، ومنها كَشْفُ البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم أيها المشركون، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم. [٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧]. الآيتان تبينان أن هؤلاء المشركين إذا جاء مَن يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلأ غمًّا وحزنًا، وزادت آية الزخرف أنه إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى.. وأتت هذه الزيادة في الزخرف؛ لأن الحديث فيها عن الملائكة قبل وبعد الآية. [٦٠] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]. آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾، فقوبل بحسب التفصيل ومقتضى التقابل بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فتطابق الكلام وتناسب، ولم يقع قبلها ذكر السماوات والأرض، فلم يكن ليناسب ذلك ذكرهما بعده، وأما آية الروم فتقدمها قوله عز وجل: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦]، ثم قال بعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، ووضوح التناسب في هذا غير محتاج إلى زيادة بيان. [٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [فاطر: ٤٥]. آية النحل جاءت بعد أوصاف الكفار بأنواع كفرهم في اتخاذهم إلهين اثنين، وكفرهم وشركهم في عبادة غير الله سبحانه، وجعلهم للأصنام نصيبًا من مالهم، ووأد البنات، وغير ذلك، وكل ظلم منهم ناسب قوله تعالى: ﴿بِظُلْمِهِم﴾، ولم يتقدم مثل ذلك في فاطر، وأمَّا ﴿عَلَيْهَا﴾ -والمراد الأرض- فإنه شائع مستعمل كثير في لسان العرب لظهور العلم به بينهم، ولكراهية أن يجتمع ظاءان في جملتين معًا، مع ثقلها على لسانهم، لأن الفصاحة تأباه، ولم يتقدم في فاطر ذلك، فقال: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾، مع ما فيه من تفنن الخطاب. [٦١] ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]. ما الفرق بين (تَأَخَّر، استأخر)؟ الجواب: وردت كلمة (تأخر) مرتين في القرآن بصيغة الماضي. وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (تستأخرون) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يتأخرون) معناها أنهم هم يفعلون التأخر بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يستأخرون) فمعناها أن عدم التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجًا عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يسمح لهم الحق -تعالى- بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تأخر) منسجمة موسيقيًا مع سياقها... و(استأخر) كانت كذلك مع سياقها. (تأخر) في آية البقرة تجاوبت مع (تعجل) من حيث الوزن... و(يتأخر) في المدثر تجاوبت مع (يتقدّم). و(يستأخرون) في سبأ تجاوبت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. والمد في (تستأخرون) تجاوب مع المدّ في (ميعاد).

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ قرئ: (نَسقيكم) بنون مفتوحة مضارع سقى الثلاثي، ومنه: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وقرئ: (نُسقيكم) بضم النون مضارع أسقى، ومنه فأسقيناكموه، والفعل فيها مسند، والإسناد في الأولين: حقيقة، وفي الثالث: مجاز؛ لأنه من إسناد الفعل إلى سببه، ولا يضر تأنيث الضمير العائد إلى الأنعام في الأول باعتبار الأفراد وهي مؤنثات؛ والثاني: عائد إليها باعتبار الجنس وهو مذكر.

[٦٢] ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم

= والعقوبات، والأمر بالصّبر على البليّات، ووعد المتّقين والمحسنين بأعظم المثوبات، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٥- ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: هذا القول فيتدبرونه. ٦٦- ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾: يعني: الأنعام، وجاءت «الهاء» موحدة في «بطونه» بعد ذكر الأنعام وهي جمع: لأن النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، وقيل: إن المعنى: مما في بطون بعضه، وهي الإناث. ﴿خَالِصًا﴾: خلُص من مخالطة الفرث والدم، والفرث هو ما يتبقى في الكرش بعد الهضم والامتصاص. ﴿سَآئِغًا﴾: يسوغ لمن شربه فلا يغص به. وقيل: لم يُغص أحد باللبن قط! ٦٧- ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: نزلت هذه الآية قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: تمراً وزبيباً وخلاً وعسلاً، وغير ذلك من الحلال. ٦٨- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾: ألهمها إلهاماً ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يعني: يبنون من السقوف، ويرفعون من البناء. وقيل: من الكروم. ٦٩- ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طرق ربك ﴿ذُلُلًا﴾ مذللة لا يتوعر عليها ﴿فِيهِ﴾: أي في الشراب الخارج من بطون النحل، وهو العسل، ﴿شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾. ٧٠- ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: يقبضكم ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: إلى الهرم والانسلاخ من العقل. ٧١- ﴿فِى ٱلرِّزْقِ﴾: الذي رزقكم في الدنيا ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: يقول عز وجل: برادّي مشركي مماليكهم فيما رزقهم من المال ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: استووا هم وعبيدهم في ذلك، فهم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء، وقد جعلوا عبيدي شركاء في سلطاني. وهذا مثل ضربه الله للمشركين. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾: التي أنعمها على هؤلاء المشركين في الدنيا من الرزق ﴿يَجْحَدُونَ﴾: يكفرون بإشراكهم غير الله من خلقه في سلطانه. ٧٢- ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: يعني عز وجل أنه خلق من آدم زوجته حواء. ﴿وَحَفَدَةً﴾: قيل: الأصهار. وقيل: الحفدة: هم ولد ولد الرجل. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: حلال الأرزاق والأقوات ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: فيما يحرم عليهم الشيطان من البحائر والوصائل يصدّقون ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: بما أحل لهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾: ينكرون تحليله.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [المؤمنون: ٢١]. إن الأنعام في سورة النحل، وإن أطلق لفظ جميعها فإن المراد به بعضها، ألا ترى أن الدَّر لا يكون لجميعها، وأن اللبن لبعض إناثها، فكأنه قال: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه... وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنون، لأنه قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢]، فأخبر عن النِّعم التي في أصناف النعم إناثها وذكورها فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك. [٧٠] ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ [الحج: ٥]. ذكر في سورة النحل الجملة التي فصلت في سورة الحج، وكانت لفظة (بعد) لجملة الزمان المتأخر عن الشيء، قال: "والله خلقكم"، فأجمل ما فصل في السورة الأخرى، وبعده: ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]... فكان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في الحج، لأنه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]... فذكر تفصيل الأحوال ومباديها فقال: من كذا ومن كذا الابتداء، كل ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقده على الأحوال التي تقدم ذكرها، فكما حدد أوائلها بمن، كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة عما قبلها بمن، فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾، أي: فقد العلم بعد أن كان عالمًا فباين الموضع الأول لذلك. قول آخر: للتناسب وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ، فقد تكررت لفظة "من" في آية الحج ست مرات، وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله، إلا التي في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾، إذ النظم مع سقوطها ملتئم والمعنى تام، فاستوى وجودها وعدمها، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب في النظم، ولم يكن في آية النحل ما يستدعيها، إذ لم يرد ما يقتضيها.

[٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه لو عاجل الخلق بالعقوبة لأهلك جميع من في الأرض ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة، لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده. [٦٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: لم يصف الله في كتابه بالشفاء إلا القرآن والعسل فهما الشفاءان، القرآن شفاء القلوب من أمراض غيها وضلالها وأدواء شبهاتها وشهواتها، والعسل شفاء الأبدان من كثير من أسقامها وأخلاطها وآفاتها، ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة ولا طبيب هناك ولا أدوية فكنت استشفي بالعسل وماء زمزم ورأيت فيهما من الشفاء أمرًا عجيبًا. وتأمل إخباره سبحانه وتعالى عن القرآن بأنه نفسه شفاء، وقال عن العسل فيه شفاء للناس، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء. [٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]. كل هذه الأشربة ينجلي فيها إعجاز الصنعة، لأنها تخرج من أماكن لا يتصور خروجها منها كنزول الماء من السماء بعد برق شديد الحرارة، وخروج اللبن عذبًا سائغًا من بين فرث ودم، وخروج العصير حلوًا من تراب الأرض، وخروج العسل شافيًا شهدًا من حشرة، مع أن معظم الحشرات ضارة. [٧٠] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال (من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، قال: إلا الذين قرؤوا القرآن). رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

[٦٨] ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ قرئ: (يعرِشون-يعرُشون) بكسر الراء وضمها وهما لغتان، يقال: عرش يعرش من باب ضرب يضرب، والثاني: من باب نصر ينصرُ. [٧١] ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ قرئ: (تجحدون) بالخطاب لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقرئ: (يجحدون) بالغيبة لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ أو هو التفات عن الخطاب إلى الغيبة لسقوطهم عن درجة الاعتبار، فهو خطاب الكفار على معنى: قل لهم يا محمد: قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾... الآية، وفيه معنى التوبيخ.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]. اللبن: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين =

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

٧٤- ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾: لا تُشبّهوا له الأشباه، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره. وقيل: لا تجعلوا لله مثلاً لأنه واحد لا مثيل له. ٧٥- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾: هذا مثل الكافر لا يأتي بخير، ولا يعمل بطاعة الله، ولا ينفق في سبيل الله لغلبة الخذلان عليه، فهو كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾: هذا مثل المؤمن الحر الذي آتاه الله مالاً ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾: بعلم من الناس وبغير علم، فكما لا يستويان هذان، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: خالصاً دون غيره ممن يعبدونه. ٧٦- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾: إلى آخر الآية. ﴿ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾ يعني: الصنم المنحوت من خشب، أو المصنوع من نحاس، والأبكم: العيي المفحَم ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾: متعلق بنفسه أو بغيره، مما فيه جلب نفع أو دفع ضر. ﴿وَهُوَ كَلٌّ ﴾: عيال وعبء ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾: على من والاه من قريب أو صديق ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾: لأنه لا يفهم ما يُقال له، ولا يقدر أن يُعبر عما في نفسه ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ ﴾: يعني هذا الأبكم الكَلُّ ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾: وهو الله الواحد الذي يدعو عباده إلى الحق في توحيده وطاعته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: غير معوج ولا زائل عن الحق. ٧٧- ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: ما غاب عن ابصاركم فيهن ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾: كنظرةٍ من البصر ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾: من لمح البصر، لأنه يقول: «كن فيكون» لا يمتنع عليه شيء أراده. ٧٨- ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: وعلمكم بها -بعدما أخرجكم من بطون أمهاتكم- ما لم تكونوا تعلمون، و«الأفئدة»: القلوب. ٧٩- ﴿ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾: في كبد السماء ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: يُقرُّون بوجدان ما تعاينه أبصارهم وتحسه حواسهم!

[٧٥] قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ الآية. اخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله ﴿ رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾ قال: نزلت في عثمان بن عفان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

[٧٢] ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٢]، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٧]. الكلام في سورة النحل نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم، وهو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾، ثم انتقل الكلام من الخطاب العام إلى الإخبار الخاص، فقال: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، فأكدّ الكلام بقوله: ﴿ هُمْ ﴾، لئلا يُتوهّم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخلط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت؛ لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عمّا يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥-٦٧]، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده، بما يحصره على الخبر، وذلك واضح لمن تدبّره. [٧٧] ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ... ﴾ [هود : ١٢٣]، ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ... ﴾ [النحل : ٧٧]. الآيتان تبينان أن الله سبحانه وتعالى عِلْمَ كل ما غاب في السماوات والأرض، وآية هود توضح أن الله تعالى إليه يُرْجَع الأمر كله يوم القيامة، فاعبده أيها النبي وفوّض أمرك إليه، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلاً بعمله، وأمّا آية النحل: وما شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك، إن الله على كل شيء قدير. [٧٨] ﴿ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٨، السجدة : ٩، الملك : ٢٣]. آية النحل مبتدأة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[النحل:٧٨]، فناسب هذا، لكونه وصف حال قبل تعيين التكليف وورود الترجي لأن يكون منهم الشكر لذكره إياهم، في حال لم يتهيؤوا فيها بعد لقبول أمر أو نهي أو إعراض عن ذلك، ولا يتعلق بهم التكليف، فناسب هذا ذكر الترجي، أمّا الآيتان بعد فالإخبار فيهما عن أحوال من استوفى سن التكليف وعقل الخطاب، ألا ترى أن قبل آية المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦]، إلى ما اتصل بهذا، فقد صدر عن هؤلاء التعامي، فخالف الوارد في آية النحل، فناسب ذلك هنا نفي شكرهم، وأمّا آية الملك المخاطب بها من قيل له تعريفًا وتوبيخًا: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك : ٢٠] إلى قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾[الملك : ٢٣]، والآي مشيرة إلى موالاة إنعامه سبحانه على عبادة وإدرار أرزاقهم إلى ما يجري مع هذا، فناسب ذلك حين لم يُجدِ عليهم مستمر إحسانه ومتوالي إنعامه - أن نفى تعالى شكرهم.

[٨١] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل:٨١]، ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [فاطر: ٢١]. ما الفرق بين: "الحَرّ والحَرُورُ"؟ الجواب: وردت كلمة (الحرّ) ثلاث مرات. بينما لم ترد كلمة (الحرور) إلا مرة واحدة. (الحَرّ): ضدُّ البرد. بينما (الحرور): ريحٌ حارةٌ بالليل (كما أن السموم: ريح حارةٌ بالنهار). ويدلُّ على كونها ريحًا حارةً بالليل قولُ الله- تعالى: ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [فاطر: ٢١] أي: ولا المكان الذي حُجبت عنه الشمسُ وكان هادئًا لا ريح فيه، ولا الذي حُجبت عنه الشمس (لغيابها بالليل) وكانت تهبُّ عليه ريحٌ حارة.

[٧٨] ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرئ: بكسر الهمزة وصلًا إتباعًا للكسرة قبلها؛ وقرئ: (إِمِّهاتكم) بكسر الهمزة والميم للإتباع في الحرفين وصلًا. وقرئ: (أُمَّهاتكم) بضم الهمزة وفتح الميم على الأصل. [٧٩] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَرَوْا۟ ﴾ قرئ: (تروا) بالخطاب لمناسبة ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ وقرئ: (يروا) بالغيبة على الالتفات، أو لمناسبة قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ ﴾... الآية.

= أن اللبن يُصفَّى أولًا من الفضلات "الفرث" التي تنتج عن الهضم، ثم يصفى وينقى ثانيًا من الدم، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [٦٩] ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٩]. عسل النحل: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أن النحل يخرج من بطونها شراب فيه شفاء وهو العسل، وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية الحديثة. [٧٥] ﴿ فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوي عدد مرات =

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٠- ﴿سَكَنًا﴾: تسكنون فيه أيام مقامكم ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: يخف عليكم حملها ونقلها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: لأسفاركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: في بلادكم ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾: جمع شعر ﴿أَثَاثًا﴾: الأثاث: متاع البيت، لم يسمع له واحد ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أن يبلى، أو إلى أن تقضوا أوطاركم منه. وقيل: إلى الموت. ٨١- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الأشجار وغيرها ﴿ظِلَالًا﴾: جمع ظل، تستظلون به من شدة الحر ﴿أَكْنَانًا﴾: مواضع تسكنون فيها، وهو: جمع كِنّ ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها، قال الزجاج: كل ما لبسته فهو سربال. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: دروع حديد، و«البأس»: الحرب، والمعنى: تقيكم في بأسكم السلاحَ ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: تخضعون له طاعة فتذل له منكم بتوحيده النفوسُ. وقيل: ذكر الحر دون البرد لأنهم كانوا أصحاب حر، وقيل: اكتُفي بذكر أحدهما دون الآخر إذ كان معلوماً. ٨٣- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: قيل: هي نبوة محمد ﷺ وقيل: نعمة الله: ما عُدِّد في هذه السورة من النعم. ٨٤- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: هو رسولها الشاهد عليها ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في الاعتذار، إذ لا حجة لهم ولا عذر. وقيل: في كثرة الكلام ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُتركون والرجوع إلى الدنيا فينيبوا ويتوبوا. ٨٥- ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: المشركون من الأمم ﴿الْعَذَابَ﴾: أي، يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يؤخرون بالعقاب، لأن وقت التوبة قد فات. ٨٦- ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: قالوا لهم، وذلك يوم القيامة. ٨٧- ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: استسلموا يومئذ وذلّوا لحكمة الله عز وجل فيهم، ولم تُغن عنهم آلهتهم. وتقول العرب: ألقيت إليه كذا، يعني: قلت له ﴿وَضَلَّ﴾: بطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما كانوا يأملون من شفاعة آلهتهم عند الله.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فسأله، فقرأ عليه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾، قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قال: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك، وهو يقول: نعم حتى بلغ ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ فولى الأعرابي، فأنزل الله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأنعام: ٦، الأعراف: ١٤٨، النحل: ٧٩، النمل: ٨٦، يس: ٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾. ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في بعض المواضع بغير واو كما في هذه السورة، وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين: أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالًا بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو والفاء لتجري مجرى الاستئناف. [٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [النحل: ٧٩]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [تبارك: ١٩]. آية الملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صفِّ جناحيه وقبضهما، وهما حالتان يستريح إليهما الطائر، فتارة يصفُّ جناحيه كأنه لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبيه حتى يلزقهما بهما، ثم يبسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة كما يفعل السابح، فناسب هذا الإنعام منه تعالى ورود اسمه الرحمن، أمّا آية النحل فلم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة فقيل هنا: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾، وتناسب ذلك، وامتنع عكس الوارد بما تبين، والله أعلم. [٨١] ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]. آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب عليهم من الطهارة لصلاتهم وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك، وإنعام عليهم برخصة التيمم إذا عدموا الماء، وكل هذا مستوجب للشكر لله سبحانه، فقيل في ختام هذه الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وأمّا آية النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات من آخرها، وغالب حالها أنها خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم من المرتابين في الساعة تكذيبًا وكفرًا بها، وقد تخلل سورة النحل من تذكيرهم بإنعام الله عليهم كثير، وكل هذا تذكير بعجائبه من إنعامه تعالى، لا يمكن نسبة شيء منها لغيره، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، أي: تدخلون في دين الإسلام الذي لا يقبل في الآخرة سواه، فهذا أوضح تناسب، والسورة مكية.

[٨٣] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٨٣]. ما الفرق بين "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا: (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. ثانيًا: (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعل الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل ،وأعظم قدرًا من المعرفة. [٨٠] ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ قرئ: (ظَعْنكم - ظَعَنكم) بسكون العين وبفتحها وهما لغتان كالشعْر والشعَر، والسمْع والسمَع.

= ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌّ منهما (١٦) مرة. [٧٨] ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتها)، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة في كتاب الله تعالى. [٨١] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (الحرّ بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن الكريم، وبذا يكون قد تساوى عدد مرات ورود لفظ (البرد بمشتقاته) مع لفظ (الحر بمشتقاته)، وقد ورد كُلٌّ منهما (٤) مرات في القرآن الكريم.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٨- ﴿عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: زادهم الله عذاباً لأجل الإضلال لغيرهم فوق العذاب الذي استحقوه لأجل ضلالهم. ٨٩- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: يقول عز وجل: نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم منهم ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: مما أحلّ وحرّم، وأمرهم به ونهاهم عنه. ومما أمر به: اتباع الرسول ﷺ فيما أمر به ونهى عنه. ٩٠- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ﴾: في هذا الكتاب المنزل عليك يا محمد ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: الإنصاف، ومن الإنصاف، الإيمان بما خلق وأنعم والشكر له. وقيل: «العدل» ههنا: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: أداء فرائضه ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: صلة الأرحام ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: المعاصي التي شنيعتها ظاهرة، وقيل: هو ههنا: الزنا ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما أنكره الشرع بالنهي عنه. وقيل: هو الشرك. ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: الكبر والظلم -ههنا- وأصل البغي: التعدي ومجاوزة الحد والقدر في كل شيء. ٩١- ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: لا تخالفوا ما تعاقدتم فيه بالأيمان، «بعد توكيدها»: تشديدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ﴾: بالوفاء ﴿عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: مراعياً يرعى الموفي والناقض. ٩٢- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾: ضربه الله مثلاً لمن نكث عهده وعقده: لا تكونوا كناقضة غزلها من بعد إحكامه وإبرامه ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: من بعد إبرام ﴿أَنكَٰثًا﴾: انتقاضاً، وكل شيء نُقض بعد الفتل فهو أنكاث، كان حبلاً أو غزلاً. وقيل: كانت امرأة خرقاء بمكة تغزل ثم تنقض غزلها بعد أن أبرمته ﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: «الدخل» في كلام العرب: كل أمر لم يكن صحيحاً، يقول عز وجل: تتخذون أيمانكم خديعة وغروراً ليطمئنوا إليكم بها وأنتم تضمرون الغدر وترك الوفاء والنقلة عنهم إلى غيرهم! ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أكثر وأعزّ، وقيل: عنى بذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم، فنهوا عن ذلك ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: يختبركم به: بأمره بالوفاء بعهده. ٩٣- ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على ملة واحدة لا تختلفون، ولا تفترقون.

[٩١] قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ. [٩٢] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة، تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾.

[٨٨] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ... ﴾ [النحل: ٨٨]، ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ١]. الآيتان تبينان أن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه هم كفار ضالون، وآية النحل توضح أن الله قد زادهم عذابًا على كفرهم وعذابًا على صدِّهم الناس عن اتباع الحق...، وأمّا آية محمد فتبين أن الله أذْهَبَ أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسبب جحودهم وصدهم عن سبيل الله عز وجل.
[٨٩] ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النحل: ٨٩]. آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾، فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه، فورد على ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته ﷺ على أمته مرتبًا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب، فقيل: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، متوازنًا مع قوله: ﴿ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾، وذلك على ما يجب، والله أعلم. وأمّا آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٣٨]، وذلك من صفة المنافقين، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾. [٨٩] ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢]. الآية الأولى مقصود بها بشارة وإنعام لا يشوبه غيره، وقد تبين ذلك، أمّا الثانية فواردة مورد الزجر والتعنيف لمن لم يؤمن مع البشارة للمؤمنين، فاكتنف الآية الثانية ما يفهم التعنيف لهم والوعيد على مرتكبهم، وزيادة قوله: ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ في الأولى مناسب لمقصودها من البشارة والإنعام المجرد عن اتصال ما يفهم تعنيفًا أو وعيدًا.

[٩٠] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر، آية في سورة النحل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾. [٩١] ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله -تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل العلم) يحتاج إلى تفكرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره، واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيرُه)، والله غنيٌ عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) -
[٩٦] ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ قرئ: (لنجزين) بالنون على الالتفات من الغيبة إلى التكلم وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة لتعظيم الجزاء. وقرئ: (ليجزين) بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير يعود على الله في قوله: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ قد ورد (٤٥) مرة في القرآن الكريم.
[٩٠] ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك =

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: خديعة ودغلاً تغرون الناس بها ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: تهلكوا. وهذا مثل لكل مُبتلي بعد عافية، وساقط في ورطة بعد سلامة ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: عذاب الله عز وجل الذي يُعذب به أهل معاصيه في الدنيا ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: في الآخرة. وقيل: المراد بهذه الآية من بايع رسول الله ﷺ على الإيمان، ثم نقض يمينه وصدَّ عن سبيله، دون من ينتقل من حلف قوم إلى آخرين. ٩٥- ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾: عَرَضاً من الدنيا قليلًا. ٩٦- ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾: يعني: في الدنيا مما تملكونه ﴿يَنفَدُ﴾: يذهب ويفني. ٩٧- ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾: قيل: هو الرزق الحلال في الدنيا. وقيل: بالقناعة في الدنيا، والمعنى أعم من ذلك. ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم﴾: في الآخرة. ٩٩- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: إلى آخر الآية: ليست له حجة عليهم. وقيل: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفره الله. ١٠٠- ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾: يطيعونه ويعبدونه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾: بالله عز وجل. وقيل إن الضمير في «به» يعود على الشيطان، والمعنى: والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله. ١٠١- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ﴾: أي: نسخنا حكماً بحكم آية أخرى ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: هو أعلم بالذي هو أصلح لخلقه، فيما يبدل ويغير من أحكامه ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾: كاذب مدَّع. ١٠٢- ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ﴾: جاء به ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ليزدادوا تثبيتاً وتقوية لإيمانهم، وتصديقاً بناسخه ومنسوخه.

[٩٦] ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]. المراد من آية النحل التي افتتحت بـ"ما" الموصولة في قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾ الإطلاق والعموم، فكانت في هذا الموضع أولى من "الذي"... فالإطلاق أملك بها وهو المقصود هنا... وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد... ثم ناسبها ووافقها ورودها في قوله: ﴿بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، وأمَّا آية الزمر فواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها، ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، والمراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذي صدّق به متقدمو الصحابة ممن سبق وحسن تصديقه، كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره، وهؤلاء مخصوصون لا يشاركهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، وإليهم ترجع الضمائر من قوله: ﴿هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم﴾ [الزمر: ٣٥]، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية، فجاء بـ"الذي" في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

= إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. [٩٧] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. فهذا خبر أصدق الصادقين، ومخبره عند أهله عين اليقين، بل حق اليقين، فلا بد لكل من عمل صالحًا وهو مؤمن أن يحييه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله، ولكن يغلط الجفاة الأجلاف في مسمى الحياة الطيبة، حيث يظنونها التنعم في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنن في أنواع الشهوات، ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم، بل يكون حظ كثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان، ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر، إذا خالط بشاشته القلوب، سلا عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن ورضي بتركها كلها والخروج منها رأسها، وعَرَّض نفسه لأنواع المكاره والمشاق وهو متحل بهذا منشرح الصدر به؟ والمقصود أن الهدى مستلزم لسعادة الدنيا وطيب الحياة والنعيم العاجل. [٩٧] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ما الفرق بين: "الحياة، الحيوان"؟ الجواب: وردت كلمة (الحياة) (معرفة ونكرة) إحدى وسبعين مرة. بينما وردت كلمة (الحيوان) مرة واحدة بسورة العنكبوت. (الحياة) ضد (الموت). أما الحيوان: فهي الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها. والحيوان: مصدر حَيِيَ، وقياسه (حَيَيان) فقلبت الياء الثانية واوًا. وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليست في بناء (الحياة). و(حيوان) على وزن (فعلان) الذي فيه معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان.. وما أشبه ذلك. و(الحيوان) فيها مبالغة وتوكيد، لذلك لم تطلق إلا على الحياة الآخرة لأنها الدائمة فليس لها فناء، والنظيفة فليس فيها رجسٌ ولا وباء، وهي الحق فليس فيها باطل ولا مراء، وهي الباقية فليس لها انتهاء.

[١٠١] ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ﴾ وبابه من كل فعل مضارع من غير همزة مضموم الأول سواء أكان مبنيًا للفاعل أو المفعول حيث أتى. قرئ: (يُنَزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي مضارع (نزَّل) المتعدي بالتضعيف، وقرئ: (يُنْزِل) بسكون النون وتخفيف الزاي من (أنْزَل) المتعدي بالهمزة إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [بالحجر: ٢١]، فقد أجمع على قراءته بالتشديد، ويقيد خرج الماضي نحو: (وما أنزل الله – نزلنا على عبدنا)، وبغير همزة، سأنزل، وبالمضموم خرج، و(ما ينزل من السماء). [١٠٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلۡقُدُسِ﴾ حيث جاء في القرآن قرئ: (القدُس) بضم الدال على الأصل، وهو لغة أهل الحجاز، وقرئ: (القدْس) بإسكان الدال للتخفيف كي لا تتوالى ضمتان نحو "الحلُم – الحلْم" وهو لغة تميم.

= يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى. [١٠٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٣- ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: من بني آدم غير ملَك ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يميلون إليه، ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: أي: لغة الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك اعجمية، فكيف يعلّم النبيَّ القرآنَ الذي نزل بلسان عربي مبين؟ وكانت قريش تقول: إنما يُعلِّمه عبد بني الحضرمي، وكان يقرأ الكتب، وكان نصرانياً. ١٠٦- ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾: نطق بلسانه بكلمة الكفر. ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: قيل: نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنهما، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر وقالوا: اكفر بمحمد، فبايعهم على ذلك وقلبه كاره. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: من اختاره وباح به طائعاً. ١٠٧- ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟﴾: آثروا. ١٠٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾: ختم على قلوبهم وأولئك هم الغافلون عما أعد لهم من العذاب، وعما يراد بهم. ١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ﴾: أي: حقاً هم الكاملون في الخسران. ١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: تركوا ديارهم وعشائرهم فانتقلوا عنها إلى دار الإيمان. ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟﴾: المشركين بالسيف من بعدما فتنهم المشركون، إذ كانوا بين أظهرهم ﴿رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: بهم.

[١٠٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينًا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له: يسار والآخر: جبر، وكانا صقليين، فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا إنما يعلم منهما، فنزلت. [١٠٦] قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخبابًا وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه، فقال: كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشرحًا بالذي قلت؟ قال: لا، فأنزل الله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾. وأخرج عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩]. آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، فصدُّوا عن سبيل الله، وصدُّوا غيرهم صدًا، فاستحقوا تضعيف العذاب؛ لأنهم ضلوا وأضلوا فهذا موجب الأخسرين دون الخاسرين من طريق المعنى، أمَّا آية النحل فإنه لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب، ويوجد وجه آخر وهو عن طريق اللفظ، وهو موافقة الفواصل، ففي هود قبل قوله: "الأخسرون" قوله: "يبصرون، يفترون"، فما قبل الواو والنون متحركان لا يعتمدان على ألف قبلها، بخلاف "الخاسرين" في آية النحل فإنها موافقة لما تقدمها كـ"الكافرين والغافلين". [١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]. كرر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ مرتين لطول الكلام بين اللفظين، قيل ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥].

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [النحل: ١١٥]، ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق بين: "المَيِّت والمَيْت"؟ الجواب: استعمل القرآن الكريم كلمة (ميِّت) بتحريك الياء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روحٌ نشأت عنها الحياة، وسيموت يومًا ما، مثل قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (ميِّت) و(ميِّتون) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حيٌّ وهم أحياء، وكلمة (ميِّتون) تشمل كل حيٍّ بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعًا، فالموت سُنَّةٌ من سُنَنِ الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (ميْت) بتسكين الياء، للدلالة على مَن كان حيًّا حياةً حقيقية ثم مات موتًا حقيقيًا، وفارقت روحُه بدنه. وقد جاءت كلمة (مَيْت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفًا مجازيًا خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع، و(الأرض) في موضع واحد، و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. وُصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(مَيْت) تشبيهًا لهما بالمَيِّت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حُذف فيها المشبه وذُكر المشبه به. - وَوُصِفَ الجاهلُ أو الضالُّ أو الكافر بـ(مَيْت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتًا حقيقيًا وبين الجاهل والضال والكفار هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. سؤالٌ: أصلُ وصف (البلد) بالمَيْت، فلِمَ وُصفت ←

[١٠٣] ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ﴾ قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ هنا، والأعراف: ١٨٠، فصلت: ٤٠، قرئ: (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء في الثلاثة من "لحد" ثلاثيًا. وقرئ: (يُلحِدون) بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة من "ألحد" وقيل: هما بمعنى، وهو الميل ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه، بخلاف الضريح فإنه يحفر في وسطه، وهما لغتان، يقال: لحد وألحد إذا عدل عن الاستقامة. [١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ قرئ: (فُتِنوا) بضم الفاء وكسر التاء على صيغة المبني للمجهول، والمعنى: من بعدما فتنهم المشركون بالتعذيب، فأكْرِه منهم من أُكْرِه على النطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان كعمار بن ياسر وإخوانه. وقرئ: (فَتَنوا) بفتح الفاء والتاء وهذه تحتمل معنيين: الأول: أن الفعل لازم بمعنى افتتن، فتتحد القراءتان، والثاني: أنها نزلت في المشركين الذين فتنوا المستضعفين من المسلمين، ثم أحرزوا شرف الهجرة بعد الفتنة كصفوان، وعكرمة، وعمر بن الخطاب، فتختلف القراءتان في المعنى: إذًا هي على الأولى: نزلت في المفتونين، وعلى الثانية: نزلت في الفاتنين.

[١٠٣] ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في القرآن الكريم.
[١٠٦] ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة.

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١- ﴿ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾: بالحجج، وتخاصم لها. ١١٢- ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾: قيل: هي مكة كان أمنها أن العرب كانت تتغاور، أي يغير بعضها على بعض، ويقتل بعضها بعضاً، وأهل مكة لا يُعرض لهم فيها ﴿ مُّطْمَئِنَّةً ﴾: قارَّة بأهلها، لا يحتاج إهلها إلى النُّجع، أي الرحلة في طلب الرزق، ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ ﴾: بدعاء رسول الله ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كَسِنِيِّ يوسف» متفق عليه. ١١٣- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ﴾: يعني أهل مكة ﴿ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾: محمد ﷺ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾: من الجوع والخوف، والقتل يوم بدر ﴿ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾: مشركون. ١١٥- ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾: ذبح للأصنام ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾: لمجاعة حلت له. ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾: أن يعتدي حلالاً إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة. ١١٦- ﴿ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾: في البحائر والسُّيَّب (راجع تفسير الآية ١٠٣ سورة المائدة والآية ١٤٥ سورة الأنعام). ١١٨- ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾: اليهود ﴿ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾: في سورة الأنعام: من كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم: ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ - الآية ١٤٦.

[١١٥] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

[١١٠، ١١٥] معنى اسم الله الغفور: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيَّما إذا أَتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِه: صغيره، وكبيره، وأنَّه جعل الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته.

[١١٠، ١١٥] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته...

[١١١] ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١]. آية البقرة جاءت في سياق الأموال فقبلها أمور مادية من ترك الربا، وهو كسب محرم، وكذلك آية المعسر وآية الدين، وكلها جاءت في سياق الأموال فناسب ذكر الكسب، أمَّا آية النحل فليس لها علاقة بالكسب، قال قبلها: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]، فآية النحل ليس فيها كسب، فالجهاد والفتنة والصبر ليست كسبًا، ففي سياق الأموال قال كسب، وفي سياق الأعمال قال عمل. [١١٨] ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ... ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ... ﴾ [النحل: ١١٨]. واذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين ما حرمنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما عَلِق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك.. فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمَّا آية النحل: وعلى اليهود حَرَّمنا ما أخبرناك به أيها الرسول مِن قبل، وهو كل ذي ظُفُر، وشحوم البقر والغنم، إلا ما حَمَلَتْه ظهورها أو أمعاؤها، أو كان مختلطًا بعظم، وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والبغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

= بالميِّت أحيانًا؟ والجواب من وجهين: ١- أن يكون المراد بالبلد في الآيتين أهل البلد لا نفسها وهم قطعًا (أي أهل البلد) أحياء سيموتون، وهذا يناسب وصفه بكلمة (ميِّت) عن (ميْت). كما أطلق اللهُ المكان وقصد أهل المكان في قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤].
٢- أن الآيتين اللتين وُصف فيهما (البلد) بـ(ميِّت) اتفقتا في أمرين: أ- أن السحاب مسوقٌ في كلتا الآيتين: ب- أن السَّوق للسحاب قد عُدِّي بحرف الجر (لـ) (لبلد) أو (إلى) (إلى بلدٍ)، وهذا معناه أن مسافةً ممتدةً بين منشأ السحاب وبين البلد الذي سيق إليه السحاب، فلا يبعد أن يكون في (البلد) آثارٌ من حياةٍ، ريثما يصلُ إليها السحابُ، فيُجدد أسباب الحياة فيها، فعُومل (البلد) معاملة الحي الذي سيموت، والله أعلم.

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿ الْمَيْتَةَ ﴾ أينما وردت مادتها في القرآن عدا ما استثنى مما يأتي بعد، قرئ: (الميْتة) بتخفيف الياء ساكنة. وقرئ: (الميِّتة) بتشديد الياء مكسورة، وهما لغتانِ جيدتان، والتشديد أصل التخفيف، والتشديد متفق عليه فيما لم يمت نحو: ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ و﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾. قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ قرئ: (اضطُر) بضم الطاء على الأصل. وقرئ: (اضطِر) بكسر الطاء إذا أصله اضطرر بكسر الراء، ولما أدغم الراء نقلت حركة الراء الأولى إلى الطاء. من هذا تبين أن كسر الطاء وضمها لغتان.

[١١٥] ﴿ الْخِنزِيرِ ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من =

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: عصوا الله عز وجل وجهلوا، أو سفهوا بذلك، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: ثم راجعوا أنفسهم، وتابوا واستغفروا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: من بعد توبتهم. ١٢٠- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾: «الأمة»: الذي يُعلِّم الناس الخير ويُقتدى به ويؤتم به ﴿قَانِتًا﴾: مطيعاً ﴿حَنِيفًا﴾: مسلماً. ١٢٢- ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾: أعطيناه ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: ذِكراً وثناءً باقياً على الأيام؛ فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لمن صلح شأنه وأمره، وحسنت منزلته وكرامته. ١٢٤- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي جُعل وبال السبت وهو المسخ، على الذين اختلفوا فيه. وقيل: جعل فرض تعظيم السبت على الذين اختاروه واتبعوه، وتركوا الجمعة التي أمرهم بها موسى، فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم، وتركوا تعظيم يوم الجمعة واستحلوه. ١٢٥- ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى شريعة ربك، دين الإسلام الذي ارتضاه عز وجل ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: أي: بالأناة والتلطّف. والحكمة -هاهنا-: الكلام الصواب القريب، الذي يقع في النفس أجمل موقع. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: بالعبر الجميلة التي جعلها الله في كتابه المنزل عليك. وقيل: الموعظة الحسنة: الترغيب والترهيب، وأن تضع المدعوّ في موضع من يقبل الأخلاق والفضائل. ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: فإن مالَ المدعو إلى المعارضة والمناقضة فاسلك معه سبيل المجادلة، وتخيّر منها أحسن وجوهها، كأن تكون من غير مخاشنة، ونحو ذلك. ١٢٦- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: من ظلمكم وتعدّى عليكم. ١٢٧- ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾:- بفتح الضاد-: أي لا يَضِق صدرك بما يقولون ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾: من الجهل وما يحتالون من الخدع، بالصدّ عن سبيل الله عز وجل.

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أخرج الحاكم، والبيهقي في الدلائل، والبزار عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مُثل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة، فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد. وأخرج الترمذي، وحسنه، والحاكم، عن أُبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لنزيدن عليهم فى التمثيل، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ الآية، وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصّار: بأنها نزلت أولاً: بمكة، ثم ثانيًا، بأحد، ثم ثالثًا: يوم الفتح تذكيرًا من الله لعباده.

[١١٩] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ﴾ [النحل: ١١٩]. والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا مِن بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل مَن كان مثلهم من التائبين، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، وأمّا آية النحل: ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا هو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم- ثم رجعوا إلى الله عمَّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم.

[١٢٧] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠]. في النمل: ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ بإثبات النون، وهذه الكلمة كثر دَوْرها في الكلام، فحذف النون فيها تخفيفًا من غير قياس بل تشبُّهًا بحروف العلَّة، ويأتي ذلك في القرآن في بضعة عشر موضعًا تسعة منها بالتاءِ، وثمانية بالياءِ، وموضعان بالنون، وموضع بالهمزة، وخصّت هذه السورة بالحذف دون النمل موافقة لما قبلها وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، والثاني أن هذه الآية نزلت تسلية للنبي ﷺ حين قتل حمزة ومثّل به فقال عليه السلام: لأفعلنَّ بهم ولأصنعنَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧]، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاءَ في النمل على القياس، ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١]. ما الفرق بين "الشاكر" و"الشكور"؟ الجواب: "الشاكر" هو الذي يشكر العطاء في لحظة الرخاء .أما "الشكور" فهو الذي يشكر في البلاء، وعند المنع يحمد الله، وهذه أعلى منزلة . فكل شكور شاكر، وليس كل شاكر شكورًا. و"شاكر" على وزن فاعل، أي: يأتي بالشكر، بينما "شكور" على وزن فعول، أي: مستمر على الشكر، فشكره لله على الدوام وعلى كل الأحوال ... والله أعلم. [١٢٧] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ قرئ: (ضَيق-ضِيق) بفتح الضاد وكسرها، وهما لغتان في المصدر يقال: ضاق يضيق ضَيقًا وضِيقًا وكذا في موضع "النمل: ٧٠".

= (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌ (٥) مرات في كتاب الله تعالى.

[١٢٥] ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع اللهُ تبارك وتعالى أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله ـ تعالى ـ دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا اللهُ سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة، وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثًا عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب =

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

١- ﴿سُبْحَٰنَ﴾: تنزيهاً لله، وتبرئة لـه سبحانه مما يقول المشركون، ومن كل نقص، ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: «الإسراء» و«السُّري»: سَيرُ الليل ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: قيل: الحرم كله مسجد. وروي أنه كان ﷺ ليلة أسري به في بيت أم هانئ بنت أبي طالب. ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾: بيت المقدس. وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تُزار ابتغاء فضل الله ورحمته ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: لسكانه في معايشهم وأقواتهم ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: من عبرنا وقدرتنا. واختلف في أنه أسري بروحه ﷺ دون جسده، وفي أنه أسري بجسده، والأصح والأثبت أنه أسري بروحه وجسده على دابة يُقال لها البراق، وليس فيما قيل من أنه أسري بروحه دون جسده حجة على رسالته، ولا كان أهل الشرك يدفعونه عن صدقه، إذ لم يكن منكراً عند أحد أن يرى الرائي في منامه ما على مسيرة سنة، أو سنوات، فكيف بما هو على مسيرة شهر؟ ٢- ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: حفيظاً. وقيل: شريكاً في هذا الموضع. ٣- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: بمعنى: يا ذرية من حملنا. والناس أجمعون من ذرية نوح ﷺ. ٤- ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: معنى القضاء: الفراغ من الشيء، وتستعمل في كل مفروغ منه، والمعنى: أعلمناهم. وقيل: وقضينا على بني إسرائيل في أم الكتاب، وقيل في التوراة، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: لتستكبرن عن طاعة الله، ولتستعلُن عن الناس بالظلم والبغي. ٥- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: فالمرة الأولى قتل زكريا، والآخرة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام. وقيل غير ذلك. ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: بطش في الحرب شديد. قيل: كان سابور ذو الأكتاف وأهل فارس المبعوثين عليهم ﴿فَجَاسُوا۟﴾: ترددوا ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: بين الدُّور والمساكن جائين ذاهبين. وقيل: جاسوا خلال الديار يقتلونهم جائين وذاهبين. ٦- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: نصرناكم على المبعوثين عليكم، فأصبتم منهم ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أكثر عدداً منهم. والنفير: من ينفر مع الرجل من قومه وعشيرته. ٧- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: ظهر بُختنصَّر عليهم بقتلهم يحيى بن زكريا ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: ليُقبِّحوها، ويجعلوها ظاهرة المساءة والكآبة، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يدمروا ما غلبوا عليه من بلادك.

[٢] ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣]. وكما كرَّم الله محمدًا ﷺ بالإسراء، كَرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بيانًا للحق وإرشادًا لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية السجدة: ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك أيها الرسول القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

[١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. بدأها الله تعالى بالتسبيح لأن هناك إشعارًا أن الحديث بعدها سيكون عن أمر عظيم لا يقدر عليه إلا الله، والعلماء يعدون التسبيح لله أحد طريقين أثنى الله تعالى بهما على نفسه: إما التسبيح أو الحمد. قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ قيل: سر قوله: ﴿لَيْلًا﴾ إفادة تقليل الوقت الذي كان الإسراء والرجوع فيه. أي أنه كان في بعض الليل أخذًا من تنكيره. وفي تخصيص الليل إعلام بفضله؛ لأنه وقت السر والنجوى والتجلي الأسمى، ولذلك كان أكثر عبادته صلى الله عليه وسلم بالليل.

[٢] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ قرئ: (يتخذوا) بياء الغيبة جريًا على أسلوب الكلام السابق، وهو: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ و"أن" مصدرية مجرورة بحرف جر محذوف، أي: "لئلا يتخذوا من دوني وكيلًا". وقرئ: (تتخذوا) بتاء الخطاب على الالتفات و"أن" مفسرة بمعنى: أي، و"لا" ناهية، والمفسر ما تضمنه لفظ الكتاب السابق في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ والمعنى: أن متضمن هذا الكتاب النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد، وإن كان متضمن الكتاب أحكامًا كثيرة، لكن ذلك هو عمادها وأصلها، وقيل غير ذلك. [٧] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟﴾ قرئ: (لنسوءَ) بالنون وفتح الهمزة من غير مد بعد الهمزة على أنه مضارع مسند إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه لمناسبة قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم﴾ ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ﴾. وقرئ: (ليسوءَ) بالياء وفتح الهمزة كذلك على أن الفعل مسند إلى ضمير الوعد بمعنى الموعود وهو العذاب، والإسناد مجازي؛ أو هو التفات عن التكلم إلى الغيبة، والفاعل ضمير يعود على الله. وقرئ: (ليسوؤوا) بياء في أوله، وهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة؛ والفعل مسند إلى واو الجماعة، أي: العباد المبعوثين عليهم، فقوله: ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف هو جواب إذا وتقدير الكلام، =

= ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقًّا في مال الغني، وليس تفضلًا من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

نزول سورة الإسراء: نزلت بعد سورة القصص، وهي مكيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة الإسراء: ألف وخمسمائة وثلاث وستون. عدد حروف سورة الإسراء: ستة آلاف وأربعمائة وستون. أسماء سورة الإسراء: ولهذه السّورة اسمان: سورة سبحان، لافتتاحها بها، وسورة بني إسرائيل لقوله فيها: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: فيستنقذكم من أيديهم بعد انتقامه منكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾: فعادوا في المرة الثالثة -كما قيل- إلى تكذيب محمد ﷺ وكتمان ما ورد في بعثه في التوراة والإنجيل، وغير ذلك من ضروب البغي؛ فجرى على بني قريظة والنضير وبني قينقاع وخيبر ما جرى من القتل والسبي والإجلاء وضرب الجزية والذل والمسكنة. ﴿حَصِيرًا﴾: محبساً. وهو «فعيل» من الحصر، وهو الحبس. ٩- ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: للسبيل التي هي أقوم وأصوب. ١١- ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾: إلى آخر الآية. قيل: هو دعاؤه على نفسه وولده وماله بالشر عند الغضب، كدعائه في العافية والسلامة، فلو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير هلك ﴿عَجُولًا﴾: عجلاً بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. ١٢- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾: يدلان على وجود الصانع وقدرته جلّ وعلا. ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾: أي: جعلنا الليل مَمحوّ الضياء، مظلماً. ﴿مُبْصِرَةً﴾: مضيئة ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: بيناه. ١٣- ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾: ما قضي له أنه عامله، وما هو صائر إليه من شقاوة أو سعادة ﴿فِي عُنُقِهِ﴾: لا يفارقه. ١٤- ﴿حَسِيبًا﴾: حاسباً يحسب عليك. ١٥- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. «وزر أخرى»: وزر نفس أخرى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: بالإعذار، والتبليغ، إليها. ١٦- ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، كما يقول القائل: أمرته فعصاني. وقيل: «أمّرنا» -بالتشديد-: سلّطنا، وفي قراءة: «آمرنا» بالمدّ والتخفيف، أي أكثرنا جبابرتها. «مترفيها»: أشرارها. ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: وجب وعيد الله عز وجل الذي أوعد من كفر به ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾: خربناها وأهلكنا من فيها.

[٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء : ٩]، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾[النمل : ٧٦]. إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن لهم ثوابًا عظيمًا، وأن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء أعددنا لهم عذابًا موجعًا في النار، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية النمل: إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.

[٩] ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٩]، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف : ٢]. الأجر في السّورتين الجَنَّة، والكبير والحَسَن من أوصافها؛ لكن خُصّت سورة الإسراء بالكبير لفواصل الآي قبلها وبعدها، وهي: "حصيرًا" و"أليمًا" و"عجولًا" وجُلّها وقع قبل آخرها مَدّة، وكذلك في سورة الكهف جاء على ما تقتضيه الآيات قبلها، وبعدها وهي: "عِوَجًا" وكذا "أبدًا" وجُلّها قبل آخرها متحرّك.

= (فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم عليكم، أي: العباد المتقدمين ليسوؤوا وجوهكم) إلى آخره. [٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ قرئ: (يَبْشُر) بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة. وقرئ: (يُبَشِّر) بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة من بشَّر المضعف: لغة الحجاز، والتخفيف: لغة غيرهم من البشر، وهناك لغة أخرى (أبشر)، قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾. [١٣] ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ قرئ: (نُخرِج) بنون مضمومة وراء مكسورة على أنه مضارع أخرج المتعدي بالهمزة، وكتابًا مفعوله. وقرئ: (يُخرَج) بياء مضمومة وراء مفتوحة على أنه مضارع أُخرِج مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الطائر، و(كتابًا) بالنصب على الحال، أي: مكتوبًا. وقرئ: (يَخرُج) بياء مفتوحة وراء مضمومة على أنه مضارع خرج وفاعله ضمير يعود على الطائر و(كتابًا) بالنصب على الحال أيضًا. قوله تعالى: ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ قرئ: (يَلْقَاه) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف مضارع لقي. وقرئ: (يُلَقَّاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف على أنه مضارع (لُقِّي) مبني للمجهول، ونائب فاعله ضمير يعود على الإنسان، وهو المفعول الأول، والهاء: مفعوله الثاني.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا﴾ قرئ: (أمرنا) بقصر الهمزة وهي من الأمر ضد النهي، والمعنى: "أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بالخروج عن الطاعة وعدم الامتثال للأمر" كقولك: أمرته فعصاني، وأمرته فلم يمتثل. وقرئ: (آمرنا) بمد الهمزة، وهي إما من الأمر فإنه يقال: أمره وآمره فأتمر، فتتحد مع القراءة الأولى، أو بمعنى: كثَّرنا؛ فإنه يقال: آمرنا بني فلان، أي: كثَّرناهم، والمعنى: كثَّرنا مترفيها ففسقوا فيها.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء : ١٢]. **القمر كان مشتعلًا**: تشير الآية القرآنية الكريمة إلى حقيقة علمية لم تظهر إلا في القرن العشرين، وهي أن القمر كان في القديم كوكبًا مشتعلًا ثم أطفأ الله تعالى نوره، ودلالة القرآن على هذا واضحة كما قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، وهو آية الليل، فَمُحِيَ، فالسواد الذي في القمر أثر ذلك المحو". هذا القول هو لصحابي جليل استنبطه من القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة سنة، فماذا يقول علماء الفلك في هذا الموضوع؟ لقد كشف علم الفلك أخيرًا أن القمر كان مشتعلًا في القديم ثم مُحِيَ ضوؤه وانطفأ. فقد أظهرت المراصد المتطورة والأقمار الاصطناعية الأولى صورًا تفصيلية للقمر، وتبيّن من خلالها وجود فوهات لبراكين ومرتفعات وأحواض منخفضة. ولم يتيسّر للعلماء معرفة طبيعة هذا القمر تمامًا حتى وطىء رائد الفضاء الأميركي "نيل آرمسترونغ" سطحه عام ١٩٦٩ م. ثم بواسطة وسائل النظر الفلكية الدقيقة، والدراسات الجيولوجية على سطحه، وبعد أن تم تحليل تربته استطاع علماء الفضاء القول كما جاء في وكالة الفضاء الأميركية ناسا: بأن القمر قد تشكل منذ ٤.٦ مليون سنة، وخلال تشكله تعرض لاصطدامات كبيرة وهائلة مع الشهب والنيازك، وبفعل درجات الحرارة الهائلة تم انصهار حاد في طبقاته مما أدى إلى تشكيل الأحواض التي تدعى ماريا، وقمم وفوهات تدعى كرايترز، والتي قامت بدورها بإطلاق الحمم البركانية، الهائلة فملأت أحواضه في تلك الفترة. ثم برد القمر، فتوقفت براكينه وانطفأت حممه، وبذلك انطفأ القمر وطمس =

= ﴿الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٤]. **مواضيع سورة الإسراء**: مقصود السّورة ومعظم ما اشتملت عليه تنزيه الحقّ تعالى، ومعراج النبي ﷺ، والإسراءُ إلى المسجد الأقصى، وشكر نوح عليه السّلام، وفساد حال بني إسرائيل، ومكافأة الإحسان والإساءة، وتقويم القرآن الخلائق، وتخليق اللّيل =

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومًا مَّدۡحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾

١٨- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا بعمله وسعيه، لا يؤمن بمعاد ولا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾: يعجل الله له ما يشاء، من بسط أو تقتير ﴿مَذۡمُومًا﴾: من الذم ﴿مَّدۡحُورًا﴾: مبعداً مقصًى في النار. ٢٠- ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ﴾: نعطي من الدنيا. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: البرّ والفاجر ﴿مَحۡظُورًا﴾: ممنوعاً من بر ولا فاجر. ٢١- ﴿كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: العاملين للآخرة على العاملين للدنيا. وقيل: المراد: تفضيل العباد بعضهم على بعض في الدنيا في العقل والصحة والمال والمكانة، ونحو ذلك. ﴿أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ﴾: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم، يُرى في مشارق الأرض ومغاربها». أخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلاً. وقال رسول الله ﷺ «أن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء». أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما. وصححه الألباني. ٢٢- ﴿مَّخۡذُولٗا﴾: قد أسلمتَ إلى من يبغيك السوء. ٢٣- ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أمَرَ وأوجب عليكم. ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾: أن تُحسنوا إليهما، وتبرُّوهما ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾: لا تأنف من شيء تراه من أحدهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر. وقيل: معنى «أفّ»: ما غلظ من الكلام، أو كل ما ينبئ عن الضجر والاستثقال. ﴿وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾: تزجرهما، والنَّهر: الزجر والغلظة. ﴿قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾: أحسن ما تجد من القول. ٢٤- ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾: كن لهما ذليلاً، ولا تمتنع من شيء يحبانه، رحمة منك بهما. ٢٥- ﴿لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾: التائبين بعد الهفو، الراجعين من المعصية إلى التوبة والطاعة، من قولك: آب فلان من سفره، إذا رجع. ٢٦- ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: قرابة المرء من قبل أبيه وأمه التي أمر الله عز وجل بصلتها ﴿حَقَّهُۥ﴾: من البر والصلة والعطف عليه. ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾: ذا الذلة من أهل الحاجة ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع به ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ﴾: في غير حق، والتبذير: إنفاق المال في إفساد، أو في سرفٍ لا في مباح.

[١٥] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «هم من آبائهم» ثم سألته بعد ذلك، فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام، فنزلت ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ وقال: «هم على الفطرة أو قال: في الجنة». [٢٦] قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ الآية. أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك . قال ابن كثير: هذا الحديث مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية. والمشهور خلافه، وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله والحديث ضعيف جدًا.

[٢٠] ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾، أي: وما كان عطاء ربك ممنوعًا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا، وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾، أي: إن عذاب ربك هو ما ينبغي أن يحذره العباد، ويخافوا منه. [٢٦] ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ ...﴾ [الروم: ٣٨]. وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية الروم: أعط أيها المؤمن قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه. [٣١] ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الإسراء: ٣١].=

[١٩] ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء: ١٩]. ما الفرق بين: ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بالمضارع، و﴿وَمَنۡ أَرَادَ﴾ بالماضي؟ الجواب: أنه عندما تحدث عن الدنيا قال: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، لأن إرادة الثواب تتكرر دائمًا، كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذًا يتكرر والشيء المتكرر جاء به بالمضارع، أما قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩]، فقد ذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة.

[٢٣] ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾ قرئ: (يبلغانِّ) بمد الغين وكسر النون مشددة على أن الفعل مسند إلى ألف الاثنين وهو الفاعل، وكسرت نون بعدها تشبيهًا لها بنون المثنى، وأحدُهما بالرفع بدل من الألف، بدل بعض من كل. وقرئ: (يبلغنَّ) بقصر الغين وفتح النون مشددة على أنه مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد و(أحدهما): فاعل، و كلاهما معطوف عليه. قوله تعالى: ﴿أُفّٖ﴾ قرئ: (أفِّ) بالكسر من غير تنوين. وقرئ: (أفٍّ) بالكسر والتنوين. وقرئ: (أفَّ) بالفتح من غير تنوين والكسر والفتح لغتان، فالكسر: لغة أهل الحجاز واليمن، والفتح: لغة قيس، والتنوين للتنكير، وعدمه لقصد عدم التنكير، وهذ الكلمة اسم فعل مضارع، بمعنى: أتضجر بنيت لمشابهتها الحرف في النيابة عن الفعل وعدم التأثر بالعامل، وبنيت على حركة لالتقاء الساكنين الأول سكون أحرف المدغم، والثاني: الأخير، فمن نطق بالكسر فلأنه أصل التخلص من التقاء الساكنين، ومن نطق بالفتح فلقصد التخفيف.

= بعد أن كان مشتعلًا. وإذا عدنا إلى الآية القرآنية فإننا نلاحظ استعمال لفظ "محونا" والمحوُ عند اللغويين هو الطمس والإزالة، والمعنى أن الله تعالى أزال وطمس ضوء القمر، والمحْوُ المقصود ليس إزالة كوكب القمر، فهو لا يزال موجودًا، ولكن إزالة نوره وضوئه، وهذا واضح من العبارة القرآنية "آية الليل" وهي القمر و"آية النهار" وهي الشمس. والطمس يكون للنور، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ فجاء بكلمة مبصرة وهي وجه المقارنة لتدل على أن المقارنة هي بين نور آية الليل "القمر" ونور آية النهار "الشمس"، فالأول انطفأ والأخرى بقيت مضيئة نبصر من خلالها. فيا ترى من بلّغ محمدًا صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة، والتي تحتاج للمركبات الفضائية والأقمار الاصطناعية والتحاليل الجيولوجية، التي لم يمضِ على اكتشافها سوى عشرات السنين؟

= والنهار، وبيان الحكمة في سير الشمس والقمر ودورهما، وقراءة الكتب في القيامة، وبيان الحكمة في إرسال الرّسل، والشكوى من القرون الماضية، وذكر طلب الدّنيا والآخرة، وتفضيل بعض الخَلْق على بعض، وجعل برّ الوالدَيْن والتوحيد في قَرَن واحد، والإحسان إلى الأقارب، والأمر بترك الإسراف، وذمّ البخل، =

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

٢٨- ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾: يقول الله عز وجل: وإن تُعرض عنهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾: يقول: إن سالوك فلم يكن عندك ما تعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك، ابتغاء رزق تنتظره من الله عز وجل ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾: ليِّنًا وجميلًا. وقيل: عدْهم عِدةً حسنة، نحو: إذا جاءنا، أو كان عندنا، أعطيناكم. ٢٩- ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: هذا مثل ضربه الله عز وجل للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها الله تعالى، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه لا يقدر على بسطها ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾: فتبقى لا شيء عندك تعطيه سائلك. ﴿فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾: يلومك سائلوك، وتلوم نفسك على الإسراع في مالك ﴿مَّحۡسُورًا﴾: معيياً قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه، من قولك: حَسَرتُ الدابة فأنا احسُرها، إذا أنصبْتَها بالسير فانقطع سيرها وكلَّت. ٣٠- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ بتدبيرهم، ومن الذي تصلحه السعة وتفسده، ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق، أو يُهلكه. ٣١- ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾: الفاقة والفقر، ﴿خِطۡـٔٗا﴾: إثماً وذنباً. ٣٢- ﴿وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾: وساء طريق الزنا طريقاً. ٣٣- ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا﴾: أي: بغير ما أباح الله تعالى به القتل: ﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا﴾: لولي المقتول ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ﴾: قيل: فلا يقتل بالمقتول ظلماً غير قاتله، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك. أو يمثل بالقاتل أو يعذبه. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾: ولي المقتول. ٣٤- ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: بالتثمير والإصلاح، أو أن يأكل بالمعروف إذا احتاج، وقد تقدم القول في سورة النساء. ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله وصلاح حاله في دينه ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ﴾: بالعقد الذي يعقد الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وغير ذلك من العقود ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾: إن الله سائلٌ ناقضَ العهد، عن نقضه. ٣٥- ﴿بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾: قيل: هو الميزان صغر أو كبر، «المستقيم»: لا دغل ولا خديعة فيه ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾: عاقبة وثواباً. ٣٦- ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾: لا تقل في الناس بغير علم: وهي شهادة الزور، وأصل القفو: العَضهُ والبُهتُ. وقيل: «لا تقف»: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم. ٣٧- ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾: مستكبراً مختالاً ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: لن تقطع الأرض باختيالك ومرحك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾: لن تساوي الجبال طولاً بفخرك وكبرك.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾ الآية. أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا، ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين. [٢٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ﴾ الآية. أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بزٌّ، [نوع من الأقمشة] وكان معطيًا كريمًا فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: ما عندنا شيء اليوم، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه، فجلس في البيت حاسرًا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾. واخرج أيضا عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة: «أنفق ما على ظهر كفي» فقالت: إذًا لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية.

= الخطاب في آية الأنعام مع قوم فقراء يهمهم رزقهم أولًا، ثم رزق أولادهم، فقدم رزقهم لأنه عندهم أهم، أمَّا آية الإسراء فالخطاب فيها مع قوم غير فقراء لكنهم يخشون الفقر مستقبلًا فيظهر أثره على أولادهم، فرزق أولادهم أهم عندهم لأنه مظنة القلة المتوقعة، أمَّا رزقهم فهم حاصلون عليه، فقدم رزق الأولاد على رزقهم لأنه أهم، ولهذا جاء التعبير في الآية الأولى بقوله: ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾، أي: من فقر واقع، أمَّا الثانية فجاء فيها قوله: ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾، أي: فقر متوقع. [٣٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٢٢]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء : ٣٢]. زاد في آية سورة النساء ﴿وَمَقۡتٗا﴾ في وصف الزواج من زوجة الأب، لأن هذا النوع من النكاح كان ممقوتًا في نفوس العرب حتى قبل نهي الشرع عنه، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه: مقتى، وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم، وكان نكاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب، فلما كان هذا النكاح يشبه ذلك، كان مستقبحًا عندهم وممقوتًا. [٣٤] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الأنعام : ١٥٢]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ ...﴾ [الإسراء : ٣٤]. الآيتان تبينان أن لا تتصرَّفوا في أموال الأطفال الذين مات آباؤهم، وصاروا في كفالتكم، إلا بالطريقة التي هي أحسن لهم، وهي التثمير والتنمية، حتى يبلغ الطفل اليتيم سنَّ البلوغ، وحسن التصرف في المال، وآية الأنعام تحث على إيفاء الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء..، أمَّا آية الإسراء فتدعوا إلى الوفاء بالعهد، وأن هذا العهد يسأل الله عنه صاحبه يوم القيامة، فيثيبه إذا أتمه ووفَّاه، ويعاقبه إذا خان فيه.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ [الإسراء : ٣٢]، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ هو أعمُّ من أن يُقال: ولا تَزْنُوا ليفيد النَّهي عن مقدِّمات الزِّنا، كاللَّمس والقُبلة بالمنطوق، وعن الزِّنا بمفهوم الأولى. [٣١] ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا﴾ قوله تعالى: ﴿خِطۡـٔٗا﴾ قرئ: (خِطْئًا) بكسر الخاء وإسكان الطاء على أنه مصدر خَطِئ خطأ، كأثم إثمًا، هو مصدر سماعي، وخَطِئ تأتي على الصحيح لمجانبة الصواب سواء كان عن عمد أو عن غيره. وقرئ: (خَطَئًا) بفتح الخاء والطاء على أنه مصدر قياسي كتعب تعبًا، وهو بمعنى مجانبة الصواب أيضًا، وإن اشتهر فيما كان من غير عمد، لكنه يستعمل فيما تعمد، بمعنى وقع في الإثم أو جانب الصواب. وقرئ: (خِطَاءً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف بعدها على أنه مصدر على وزن فعال كقتال، وفعله خاطأ على وزن فاعل، وهذا الوزن وإن كان يغلب في المفاعلة من جانبين لكنه يأتي لوقوع الفعل من جانب واحد كسافر، قال أبو علي الفارسي: وإن كان خاطأ لم تنطق به العرب لكنهم نطقوا بمطاوعه، وهو تخطأ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ [الإسراء : ٣٣]. **من الإعجاز الوقائي في القرآن تحريم الزنا: أضرار الزنا:** حرَّم الله سبحانه وتعالى الزنا حفاظًا على الأنساب والأرحام والأوصال، وحفاظًا على الفرد والمجتمع، ولما فيه من أخطارٍ وأضرارٍ جسيمة تكاد تودي بالمصاب بها.. بل تفعل ـ حقًّا ـ كالإيدز ونحوه...

= والنَّهي عن قتل الأولاد، وعن الزِّنا، وقتل النَّفس ظلماً، وأكل مال اليتيم، وعن التكبّر، وكراهية جميع ذلك، والسّؤال عن المَقُول والمسموع، والرّد على المشركين، وتسبيح الموجودات، وتعيير الكفّار بطعنهم في القرآن، ودعوة الحقِّ الخَلْق، وإجابتهم له تعالى، وتفضيل بعض الأنبياءِ على بعض، وتقرّب المقرّبين إلى حضرة =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

٣٩- ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى هذه الآداب والأحكام التي تضمنتها الآيات المتقدمة. وهي تصل إلى خمسة وعشرين تكليفاً. ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾: من التكاليف المحكمة التي يعتريها الفساد والبطلان. ﴿مَّدۡحُورًا﴾: مُقصًى في النار. ٤٠، ٤١- ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم﴾: انخصَّكم؟! ﴿إِنَٰثًا﴾: بنات. ﴿إِلَّا نُفُورٗا﴾: بُعداً وهرباً. ٤٢- ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾: طريقاً للمغالبة والممانعة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المطاولة والمصاولة. وقيل: المعنى: إذاً لابتغت تلك الآلهة القربة والزلفة من الله ذي العرش العظيم، ولعرفوا فضله ومنزلته عليهم. ٤٣- ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له و﴿عُلُوّٗا﴾: عما وصفه به المشركون. ٤٥- ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾: قيل: «مستوراً»: ساتراً. وقيل: حجاباً ذا ستر. وقيل: هو حجاب لا يُرى فهو مستور. والمعنى: أنهم لإعراضهم عن قراءتك، وتغافلهم عنك، كمن بينك وبينه حجاب. ٤٦- ﴿أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾: أغطية كراهة أن ينتفعوا به. ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾: ثقلاً وصمماً ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ﴾: إذا قلت: لا إله إلا الله ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ﴾: يعني: المشركين، ينهضون عنك ويذهبون ﴿نُفُورٗا﴾: من قولك؛ لأنهم يكرهون التوحيد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]. ٤٧- ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾: وأنت تقرأ ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى كما تقول: قومٌ رضًا، وإنما «رضا» فعلهم. وقد كانوا يتناجون بالكذب والاستهزاء. ﴿رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾: يعنون أن السحر قد خبَّل عقله وأفسد كلامه! وهذا إنما ينطبق على أمثالهم من المشركين والضالّين. ٤٨- ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون، ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾: مخرجاً من كفرهم. ٤٩- ﴿وَرُفَٰتًا﴾: تُراباً وغباراً، لا واحد له، بمنزلة: الدُّقاق، أي الفُتات، والحطام ﴿خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾: نعاد كما بُدئنا! [٤٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآية.

أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا: يهزؤون به: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآيات.

[٣٩] ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ [الإسراء : ٢٢]، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء : ٢٩]، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء : ٣٩]. الآية الأولى في الدّنيا، والثالثة في العُقبى، والخطاب فيهما للنّبي ﷺ، والمراد به غيره، كما في قوله: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ﴾ [الإسراء : ٢٣]، وقيل: القول مضمر، أي: قل لكل واحد منهم لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولًا في الدّنيا، وتُلقى في جهنّم ملومًا مدحورًا في الأخرى، وأمّا الثانية فخطاب للنبي ﷺ وهو المراد به، وذلك أنّ امرأة بعثت صبيًّا لها إليه مرّة بعد أخرى، سألته قميصًا، ولم يكن عليه ولا له ﷺ قميصٌ غيره، فنزعه ودفعه إليه، فدخل وقتُ الصّلاة فلم يخرج حياءً، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصّفة فلاموه على ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا﴾ يلومك النّاس ﴿مَّحۡسُورًا﴾ مكشوفًا، وهذا هو الأظهر من تفسيره، والله أعلم. [٤١] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا﴾ [الإسراء : ٤١]، ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء : ٨٩]، ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الكهف : ٥٤]. جاءت الآية الأولى بحذف "للنّاس" اكتفاءً بذكرهم قبلُ بلفظ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء : ١٣]، وأمّا الآية الثانية فإنها جاءت بعد أمثال ضُربت نحو: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء : ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ وتحذيره كتحذير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾ [الإسراء : ٧٣]، إلى قوله: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ [الإسراء : ٧٥]، فقال بعده، وقدّم الناس: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [الإسراء : ٨٩] تنبيهًا للناس، وليهتمّوا بتفهّمه، ويعنوا بتدبّره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب في تقديم ما عنايتُهم بذكره أتم، وأمّا الثالثة فإنها وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به ممّا لم يقدر عليه إلاّ بأن يوحى إليه.. فقال في هذا المكان: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ [الكهف : ٥٤]، للدلالة على ماطلبوه من النبي ﷺ وما قد أوحى الله تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، والله أعلم. [٤٨] ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء : ٤٨، الفرقان : ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الإسراء والفرقان، ومعناها: انظر أيها الرسول كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه -لغرابتها- الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبَعُدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلاً إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء. [٤٩] ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ [الإسراء : ٤٩، ٩٨]. لماذا تكررت هذه الآية بالإسراء مرتين؟ الجواب: الموضع الأوّل من كلام الكفار في الدّنيا، حين جادلوا الرّسول ﷺ وأنكروا البعث، والثاني من كلام الله حين جازاهم على كفرهم وقولهم ذلك وإنكارهم البعث، فقال: ﴿مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا﴾ [الإسراء : ٩٧-٩٨].

[٣٣] ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُسۡرِف﴾ قرئ: (يسرف) بياء الغيبة جريًا على الأسلوب السابق وضمير الغائب عائد على الولي في قوله: ﴿جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ كما هو ظاهر، والإسراف المنهي عنه التعدي في القصاص كأن يقتل بالواحد جماعة، أو يقتل غير القاتل أو يمثل به، ويجوز عود الضمير على القاتل المفهوم من قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ﴾ والمنهي هو القاتل ابتداء، نُهي عن الإسراف في القتل، وعلى هذا تكون في بمعنى الباء، أي: لا يسرف القاتل ويتعدى حدود الغضب بارتكاب جريمة القتل أو القاتل استيفاء، وهو الذي يستوفي القصاص، ويرجع هذا للمعنى الأول. وقرئ: (تسرف) بتاء الخطاب على الالتفات، والمخاطب هو الولي أو القاتل على ما سبق حتى لا يتعدى فيقتل أحدًا ظلمًا، واعلم أن من قتل ظلمًا فدمه منصور يؤخذ له القصاص. [٣٥] ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾ قوله

= الجَلال، وإهلاك القُرى قُبيلَ القيامة، وفتنة النّاس برؤيا النبي ﷺ، وإباءُ إبليس السّجدة لآدم، وتسليط الله إيّاه على الخَلْق، وتعديد النِّعم على العباد، وإكرام بني آدم، وبيان أنّ كلّ أحد يُدْعَى في القيامة بكتابه، ودينه، وإمامه، وقَصْد المشركين إلى ضلال الرسول ﷺ وإذلاله، والأمر بإقامة الصّلوات الخمس في =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾

٥٠- ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم كما بدأتكم أول مرة. ٥١- ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾: أي: يعظم عندكم مما هو أكبر من الحجارة والحديد مُباينة للحياة؛ فإنكم مبعوثون لا محالة. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: يحركون رؤوسهم تكذيباً واستهزاء، و«النَّغض» في كلام العرب: حركة بارتفاع ثم انخفاض. ٥٢- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: للخروج من قبوركم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾: بامره. وقيل: بأن يقولوا: لله الحمد في الأرض. ٥٣- ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: قل لعبادي المؤمنين عند مخاطبة المشركين ومحاورتهم: يقولوا الكلمة الحسنى، أو التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: يفسد ما بينهم ويهيج الشر ﴿عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: قد أبان عداوته بما أظهر لآدم من الحسد والغرور. ٥٤- ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: قيل: هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن يشأ يوفقكم للإيمان فتموتوا عليه ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بأن يُميتكم على الشرك. ٥٦- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: الخطاب لعبدة من يعقل، وليس لعبدة الأصنام. ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: تحويله عنكم. ٥٧- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الآية: أي ان هؤلاء المعبودين من الجن والملائكة والعُزير والمسيح وأمّه يبتغون إلى ربهم سبحانه ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القربى والزلفى، بالطاعة والعبادة، أي يتضرعون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم عز وجل. ٥٨- ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾: إلى آخر الآية: مهلكو أهلها بالفناء والاستئصال ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: بالقتال، أو غيره من صنوف العذاب. وقيل: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله بهلاكها ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في أم الكتاب، اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوباً مثبتاً.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ الآية.

[٥٣] ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا ...﴾ [إبراهيم : ٣١]، ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴾ [الإسراء : ٥٣]. قل أيها الرسول لعبادي الذين آمنوا: يؤدوا الصلاة بحدودها، ويخرجوا بعض ما أعطيناهم من المال في وجوه الخير... فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية الإسراء: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا في تخاطبهم وتحاورهم الكلام الحسن الطيب؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ألقى الشيطان بينهم العداوة والفساد والخصام... [٥٦] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء : ٥٦]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ : ٢٢]. اختير الإضمار في سورة بني إسرائيل لقوة الذكر قبل، ألا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمرًا ومظهرًا، لقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء : ٥٤]، إلى قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء : ٥٥]، فكان الإضمار تلو الإضمارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء : ٥٦]، وأمّا في سورة سبأ فإن الذي تقدمه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ:٢١]، فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع، وهناك أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا، وقويَ الإضمار هناك، فلذلك اختلفا.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦]. في ذكر الفؤاد هنا مع السمع والبصر دليل على المؤاخذة على الأمور القلبية، كما أن الإنسان يؤاخذ على ما يسمع ويبصر. ففيما يتعلق بالقلب فإن الإنسان يؤاخذ على المعتقدات التي يعتقدها، فيثاب على التوحيد، ويعاقب على الشرك، كما يؤاخذ على الأعمال القلبية الأخرى، فيثاب على اليقين والرضا والتوكل، ويعاقب على الأدواء التي تصيبه كالحسد والغل ونحو ذلك من سوء الظن، وهكذا العزم المصمم على المعصية. [٥٦] ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. ما الفرق بين: "حِوَلًا، تحويلًا"؟ الجواب: وردت كلمة (حولًا) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (تحويلًا) ثلاث مرات في القرآن الكريم. (حولًا) مصدر حَالَ يَحُولُ، وهو مصدر فعل لازم. بينما (تحويلًا) مصدر حوَّل يُحوِّلُ، وهو مصدر فعل متعد. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] أي: (لا يُحَوَّلون عنها إلى غيرها). أما قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] أي: لا يملكون أن يكشفوا الضُّرَّ عنكم، ولا أن يحولوكم عن النار التي أنتم تحرقون فيها. وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] أي ولن تجد من يحوِّل سنة الله عن =

= تعالى: ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ قرئ: (بالقُسطاس - بالقِسطاس) بضم القاف وكسرها وهما لغتان، والضم لغة الحجازين والكسر لغة غيرهم. [٣٨] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ قرئ: (سيئُه) بضم الهمزة وبعدها هاء مضمومة على أنها اسم كان مضافًا إلى هاء الضمير الراجع إلى اسم الإشارة، والمشار إليه ما ذكر من الأوامر والنواهي السابقة من ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى هنا، ولا شك أن فيما سبق خيرًا مأمورًا به، وشيئاً من المنهي عنه صريحًا أو ضمنًا فأخبر بأن سيئه وهو المنهي عنه كان عند ربك مكروهًا. وقرئ: (سيئَةً) بفتح الهمزة بعدها تاء منصوبة منونة على أنه خبر لكان، واسمها ضمير يعود على كل، واسم الإشارة عائد في هذه القراءة على ما ذكر من النواهي السابقة صريحًا أو ضمنًا، و(عند ربك) متعلق بـ(مكروهًا) متقدم عليه، و(مكروهًا) خبر بعد خبر، والمعنى على ذلك: كل ما سبق من النواهي المتقدمة كالشرك وعقوق الوالدين وقتل الأولاد إلى آخره كان سيئة مكروهًا عند ربك مستوجبة لعقابه وغضبه. [٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ قرئ: (ليذَّكَّروا) بتشديد الذال والكاف مفتوحتين على أنه مضارع تذكر وأصلها: يتذكر فأبدلت التاء ذالًا، وأدغمت في الذال، والتذكير التيقظ والمبالغة في الانتباه من الغفلة، وقرئ: (ليذْكُروا) بسكون الذال وضم الكاف مخففة على أنه مضارع ذكر من الذكر ضد النسيان. [٤٢] ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ قرئت: (يقولون) بالغيبة لمناسبة قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. وقرئت: (تقولون) بالخطاب مراعاة لحكاية ما يقوله الرسول لهم، والغيبة والخطاب في مثل هذا المقام جائزان؛ لأن كل أحد أمر بتبليغ كلام لغيره، فالمبلغ له غائب في حالة الأمر وحاضر في حالة التبليغ، فإذا روعيت حالة الأمر ألقى إليه الكلام على صيغة الأمر تقول: قل لفلان كذا؛ ومثله قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ =

= أوقاتها، وأمر الرّسول ﷺ بقيام اللّيل، ووعده بالمَقام المحمود، وتخصيصه بمُدخل صدق، ومُخرج صدق، ونزول القرآن بالشفاءِ، والرّحمة، والشكايةُ من إعراض العبيد، وبيان أنَّ كلَّ أحد يصدر منه ما يليق به، والإشارة إلى جواب مسألة الرّوح، وعجز الخَلْق عن الإتيان بمثل القرآن، واقتراحات المشركين على رسول الله =

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

٥٩- ﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: التي سألكها قومك ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: إذ سألوها وأتتهم فعوجلوا بالعقاب. ولو أن الله تعالى استجاب لقريش ما طلبوه من الآيات حتى يؤمنوا، ثم إذا جاءتهم لم يؤمنوا؛ لعوجلوا بالعذاب كما عوجل الأولون. ﴿مُبْصِرَةً﴾: عنى بها: آية مبصرة: بينة كما يقال للشجة: موضحة. ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: لعلهم يعتبرون. ٦٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: إنهم في قبضته، وإنه مانعه منهم، فأمره ألا يتهيب منهم أحداً، وأن يمضي لما أمر به ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾: ليلة أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وهي رؤيا عين، وليست رؤيا منام ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: وكذب بها المشركون، وارتدَّ قوم عن الإسلام وقالوا: أمسيت فينا، وأصبحت فينا، وتُخبرنا أنك أتيت بيت المقدس! ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: قيل: هي شجرة الزقوم، والمراد بلعنها: لعن آكلها. وقال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر ﴿إِلَّا طُغْيَـٰنًا﴾: تمادياً وبغياً. ٦٢- ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: لأستولين عليهم، ولأستميلنهم، بالإغواء والإضلال. ٦٣- ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: وافراً. ٦٤- ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استجهل، واستخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله تعالى ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: يقول: واجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من تجلب عليه بالدعاء إلى طاعتك، يقال: أجلب فلان على فلان إجلاباً: إذا صاح عليه ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: هو كل ما أنفق في غير طاعة الله، وما كانوا يذبحونه لآلهتهم ويحرمونه لها ﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾: قيل: عنى به أولاد الزنا، ومَنْ كانوا يقتلون من أولادهم، ومن كانوا يسمونه عبد شمس وعبد الحارث. ٦٥- ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: الذين أطاعوني واتبعوا أمري ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾: حجة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حفيظاً. ٦٦- ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: يجري، والإزجاء: السوق والإجراء والتسيير.

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ الآية. أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألوه، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآية، وأخرج الطبراني، وابن مردويه، عن الزبير نحوه أبسط منه. [٦٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ الآية، أخرج أبو يعلى عن أم هانئ أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفرًا من قريش يستهزؤون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: ذكر الله الزقوم خوّف به هذا الحي من قريش، قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد قالوا: لا قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقمًا، فأنزل الله ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ وأنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ [الإسراء : ٦٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَرَءَيْتَ﴾. ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ بالإسراء وفي غيرها ﴿أَرَءَيْتَ﴾، لأنَّ ترادُف الخطاب يدلّ على أنَّ المخاطب به أمر عظيم، وخطب فظيع، وهكذا هو في السّورة؛ لأنَّه لعنه الله ضمِن احْتِنَاكِ ذريّة آدم عن آخرهم إلاَّ قليلاً. [٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر : ٤٢]، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء : ٦٥]. الآيتان تبينان أن عباد الله المؤمنين المخلصين الذين أطاعوه ليس لك قدرة على إغوائهم أيها الشيطان، وآية الحجر توضح أن سلطان إبليس على من اتبعه من الضالين، وأمّا آية الإسراء فتبين أنه كفى بربك أيها النبي عاصمًا وحافظًا للمؤمنين مِن كيد الشيطان وغروره.

= ثباتها ومنهجها. ومثلها قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]. = بالخطاب والغيبة، ووجهه ما سبق.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ﴾ قرئ: (يسبح – تسبح) بالتذكير والتأنيث نظرًا لأن الفاعل مؤنث مجازي، فالتذكير جائز والتأنيث للفظ. [٥٥] ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿زَبُورًا﴾ هنا، والنساء : ١٦٣، الأنبياء : ١٠٥، قرئ: (زُبورًا) بضم الزاي جمع زبر، نحو: فلس وفلوس، ودهر ودهور، وجاز جمعه لأنه مصدر وقع موقع الاسم، وقيل: إنه بالضم: جمع زَبور بالفتح على تقدير حذف الواو كما هو في ظريف وظروف، كأنه جمع (ظرف)، والتقدير: وآتينا داود كتبًا وصحفًا. وقرئ: (زَبورًا) بفتحها على الإفراد كالحلوب، اسم مفعول، والمعروف أن داود صلى الله عليه وسلم أوتي كتابًا اسمه الزبور، كالتوراة، والإنجيل، والقرآن؛ فهو كتاب واحد، فالفتح أولى لأنه اسم لكتاب واحد، وهو الاختيار لصحة معناه، وقيل: هما لغتان. [٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (للملائكةِ) بكسر التاء على الجر، وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (للملائكةُ) بضم تاء الملائكة وصلًا، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتباعًا لضم الجيم، إجراء للوصل مجرى الوقف (اسجدوا) واستثقالًا للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة بهمزة الوصل، فالهمزة تسقط في الدرج، وتسقط التاء كذلك من الملائكة، فقد قالوا: ملائكة كما قالوا: ملائك. وقرئ: (للملائكةِ) بإشمام الكسرة بالضم مزجًا بين الحركتين. تنبيهًا على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [٦٤] ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ قرئ: (ورجِلك) بكسر الجيم على أنها صفة مشبهة بمعنى راجل ضد الراكب. وقرئ: (ورجْلك) بإسكان الجيم على أنه اسم جمع لراجل، كصاحب وصحب وراكب وركب.

[٦٤] ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» عدد (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» عدد (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» عدد ٢٠ مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» عدد (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة =

= ﷺ، وتفصيل حالهم في عقوبات الآخرة، وبيان معجزات موسى، ومناظرة فرعون إياه، وبيان الحكمة في تفرقة القرآن، وآداب نزوله، وآداب الدعاء وقراءة القرآن الكريم، وتنزيه الحقِّ تعالى عن الشريك والولد في قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ =

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٦٧- ﴿ضَلَّ﴾: جار عن طريقكم فلم يُغثكم، ولم تجدوا غير الله تعالى ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: من الأنداد ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: لم يجدوا غير الله مغيثاً ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾: عما دعاكم إليه من خلع الأنداد ﴿كَفُورًا﴾: ذا جحد لنعم ربه عز وجل. ٦٨- ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: إذا خرجتم من البحر، كما فعل بقوم لوط ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: حجارة، والحصب: الرمي، قيل: ريحاً شديدة حاصبة، وهي التي ترمي بالحصى الصغار، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾: منعة ولا ناصراً. ٦٩- ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: تقصف ما مرت به. قصف فلان ظهر فلان؛ إذا كسره ﴿تَبِيعًا﴾: ثائراً يطالبنا به، وهو من الثأر، والمعنى: لا يخاف أن يُتبع بشيء من ذلك. ٧١- ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بمن كان يقتدى به في الدنيا ويؤتم. وقيل: بإمامهم: بأعمالهم، فيُدعى كل إنسان بكتابه عمله. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قيل: هو الذي في شق النواة، والمعنى: لا يُنقصون من أجور أعمالهم شيئاً. ٧٢- ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾: الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾: عن قدرة الله فيها وحججه، وأنه المنفرد فيها بخلق كل شيء وتقديره. وإنما عنى عمى القلب ﴿فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾: عن حجته. وقد قيل: إن «أعمى» أفعل تفضيل. ٧٣- ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد. ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: لتتقول علينا غير الذي أوحينا إليك، مما اقترحه عليك كفار قريش. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: لو فعلت ما دعوك إليه لكنت لهم وكانوا لك أولياء. ٧٤- ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾: عصمناك ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ﴾: لقاربت أن تميل وتطمئن إليهم أدنى ميل. والركون: هو الميل اليسير. ولهذا قال: «شيئاً قليلاً» لكن أدركته العصمة، فمنعته من أن يقرب من أدنى مراتب الركون إليهم، فضلاً عن نفس الركون. وفيه فضل تثبيت له ﷺ ولطف للمؤمنين. ٧٥- ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لاستحققت ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة.

[٧٣] قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعالَ تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه، ويحب إسلامهم، فرق لهم، فأنزل الله ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها، وهو إسناد جيد، وله شاهد، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تستلم بآلهتنا، فقال رسول الله ﷺ «وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه» فنزلت، وأخرج نحوه عن ابن شهاب. وأخرج عن جبير بن نفير أن قريشًا أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن كنت أُرسلت إلينا، فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم، فنكون نحن أصحابك، فركن إليهم، فنزلت، والله أعلم.

[٦٨، ٦٩، ٧٥، ٨٦] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨]، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥]، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]. معنى كل آية من الآيات المذكورة استدعت ما أعقبت به، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾، أي: يقوم مقامكم في دفع ذلك عنكم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾، أي: تبيعًا في المطالبات عن إهلاككم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ في دفع ذلك، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ يرد عليك ما تذهب به.

[٨١] ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ما الفرق بين: "زاهق، زهوق"؟ الجواب: وردت كلمة (زاهق) مرة واحدة، وكذلك وردت كلمة (زهوقًا). (زاهق) اسم فاعل، و(زهوقًا) صفة مشبهة. جاءت كل كلمة في سياقها متسقة معه، فقد جاءت كلمة (زهوقًا) فاصلة، لما فيها من مدٍّ في الحرف قبل الأخير (الواو)، ولا يمكن أن تحل مكانها -هنا- كلمة زاهق التي لا تصلح أن تكون فاصلة. ثم إن كلمة (زهوقًا) قد سُبقت بكلمة (زهق)، فلو ذُكرت كلمة زاهق بعدها (أي مكان كلمة زهوقًا) لكان تكرارًا للمعنى وزيادة لا فائدة منها في الآية، لذا جاءت كلمة فيها معنى أبلغ وأكثر تأكيدًا، هي (زهوقًا) التي على وزن (فعول). وأتت (زاهق) في سياق كان الهدف منه الإخبار بأن الباطل (زاهق) دون مبالغة في المعنى، فناسب ذكر (زاهق) عن (زهوق).

[٨٢] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. قال أحد السلف: ما جالس القرآن أحد إلا فارقه بزيادة أو نقصان، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ...﴾.

[٦٨، ٦٩] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ - ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ - ﴿أَن يُعِيدَكُمْ﴾ - ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ قرئت: (يخسف-يرسل-يعيدكم-فيرسل) بياء الغيبة على أنها أفعال مسندة لضمير يعود على ربكم في الآية السابقة. وقرئ: (نخسف-نرسل-نعيدكم-فنرسل) بالنون في أولها على أنها مسندة إلى ضمير العظمة التفاتًا عن الغيبة إلى التكلم. قوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ فيها أربع قراءات: قرئ: (فيغرقكم) بياء الغيبة مع التخفيف. وقرئ: (فنغرقكم) بالنون ووجهها: ما سبق في يخسف وما بعدها. وقرئ: (فتغرقكم) بالتأنيث وتخفيف الراء على أنه مضارع أغرق مسندًا إلى ضمير العاصف من الريح، وهذا إسناده مجازي، من إسناد الفعل إلى سببه. وقرئ: (فتغرِّقكم) كذلك لكن مع الكسر والتشديد في الراء، ووجه التأنيث: ما سبق؛ ووجه التشديد: أنه مضارع غرَّق المضعف، والتضعيف للتكثير. [٧٦] ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ قرئ: (خَلْفك) بفتح الخاء وإسكان اللام. ومعناه لا يلبثون بعدك. وقرئ: (خِلَافك) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها. ومعناه مخالفتك. = (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

[٨٢] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. معجزة الشفاء بالقرآن: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا، فجاءت جاريةٌ فقالت: إن سيد الحي سليم - لديغ -، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبنه برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا: أكنت تُحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب -الفاتحة-، قلنا: لا تُحدثوا شيئًا، حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم» رواه البخاري ومسلم. وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم (يعني اللديغ). قام فريق عمل طبي بأبحاث في (أكبر) عيادات =

= [الإسراء: ١١١]. فضل سورة الإسراء: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر. أخرجه الترمذي والنسائي وغيرهما، وصححه الألباني.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٧٦- ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم، ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: التي أنت بها. قيل: همّت قريش بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، ولو أخرجوه لعُذّبوا وما نُظروا، أي ما أُمهلوا. ولكن الله عز وجل كفهم حتى أمره بالخروج ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لا يبقون بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً. ٧٧- ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾: أي سُنّة الأمم والرسل قبلك كذلك، إذا أخرجوا رسلهم وكذبوهم عوقبوا ولم يُنظروا. ٧٨- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: من وقت دلوكها. دلوكها: زوالها عن بطن السماء وهي صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: بدء الليل وإظلامه و﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: أي: صلاة الصبح. وفي هذا دلالة على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة. وهو ما يقرأ في صلاة الفجر ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيصعد هؤلاء، ويقيم هؤلاء. ٧٩- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: «التهجد»: التيقظ والسهر بعد نومةٍ من الليل، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: خاصة لرسول الله ﷺ: أمر بقيام الليل وكتب عليه. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾: «عسى»، و«لعل» من الله واجبة. ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: تحمده وتغتبط به. قال أكثر أهل التأويل: هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. وقيل: هو الشفاعة يشفعه الله عز وجل في أمته. ٨٠- ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: قيل: نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة، يريد: إدخال المدينة، والإخراج من مكة. وقيل: المعنى: أمتني إماتة صدق، وابعثني يوم القيامة مبعث صدق ﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾: ينصرني. أمره الله تعالى بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطاناً ناصراً على من بغاه، وكاده، وحاول منعه من إقامة فرائض الله تعالى. ٨١- ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: هلك وذهب ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾: ذاهباً. ٨٢- ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: لأنهم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه. ٨٣- ﴿أَعْرَضَ﴾: عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثاً دون كل أحد في حال الشدة ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تباعد منها ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قنوطاً. ٨٤- ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ناحيته وطريقته. ٨٥- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: يعني: جميع الخلق «إلا قليلاً»: لا يؤهلكم لمعرفة حقيقة الروح. ٨٦، ٨٨- ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: يقول عز وجل: لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك فلا تعلمه. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ﴾: أي بالقرآن، ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: لا تجد من يتوكل علينا في رد شيء منه بعد أن ذهبنا به. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: وتفضلاً عليك، يعني: لكنه لا يشاء ذلك تعالى، رحمة منه، فترك القرآن غير مذهوب به. وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً، بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه. ﴿ظَهِيرًا﴾: معيناً.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا إن كنت نبيًا فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك، وفيها تبعث، وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال ما تأمرني أن أسأل: قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [٨٠]. فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك. هذا مرسل ضعيف الإسناد، وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم. [٨٥] قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [٨٨] قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ ابن مشكم - في عامة من يهود سماهم- فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقًا كما تتناسق التوراة فأنزل علينا كتابًا نعرفه، وإلا جئناك بمثلما تأتي به، فأنزل الله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآية.

[٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما، تولَّى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطًا؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرَّائه وضرَّائه، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية فصلت: وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفَّع عن الانقياد إلى الحق، فإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء. [٨٨] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٣٣]. قدم في الأولى الإنس وقدم في الثانية الجن، لأن مضمون الآية الأولى هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته. والإنس في هذا المجال هم المقدمون، وهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان، فإتيان ذلك من قبلهم أولى، ولذلك كان تقديمهم أولى ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم، أما الآية الثانية فإن الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية، وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ﴾ [الجن: ٩]، فلذلك قدم الجن على الإنس، لأن النفاذ مما يناسب خواص الجن وماهية أجسامهم أكثر من الإنس.

[٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا﴾ قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا﴾ قرئ: (وناى) بتقديم الهمزة على الألف المنقلبة عن الياء وهو ماض من النأى بمعنى البعد، يقال: نأى ينأى، بمعنى: بعد. وقرئ: (وناء) بتقديم الألف على الهمزة وهو منقلب عن نأى، وأصله: نأى على وزن فعل تقدمت لام الفعل على عينه وقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت "ناء" ووزنه "فلع"، وقيل: هما أصلان يقال: نأى ينأى، بمعنى: بعد كما سبق، وناء ينوء، بمعنى: ينهض، وألفه منقلبة عن واو، وهو مما أميلت ألفه على التشبيه في علة الإمالة.

= في مدينة بنماسيتس بولاية فلوريدا، وقُدِّم هذا البحث في المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في إستانبول بتركيا، وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات أثر استماع القرآن باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عددٍ من المتطوعين الصُّم =

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

٩٠- ﴿يَنۢبُوعًا﴾: عيناً تنبع لنا بالماء ببلدنا هذا. ٩١- ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾: بستان ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾: بأرضنا هذه التي نحن بها ﴿خِلَٰلَهَا﴾: يعني: خلال النخيل والكروم. وخلالها: بينها في أصولها ﴿تَفۡجِيرًا﴾: سيلاً يسيل بينها. ٩٢- ﴿كِسَفًا﴾: قطعاً ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾: مقابلة، فتعاينهم معاينةً، من قولك: قابلت فلاناً. ٩٣- ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾: الزخرف: الذهب، في هذا الموضع، والزخرف: ما تُزيِّن به، كان بذهب أو غيره. ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ﴾: تصعد في معارج السماء. ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾: تنزيهاً لله عن أن يعجز عن شيء. ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا﴾: من البشر لا ملكاً حتى أصعد السماء. ﴿رَّسُولٗا﴾: مأموراً من الله تعالى بإبلاغكم. ٩٥- ﴿لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾: لَنبعث إليهم رسولاً منهم، وإنما نُرسل إلى البشر منهم.

[٩٠-٩٣] قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ... ﴾ الآيات. أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهًا ومنبهًا ابني الحجاج اجتمعوا فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد سببت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وأن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئيًا [من الجن] تراه قد غلب بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابًا، وأمرني أن أكون لكم مبشرًا ونذيرًا» قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا. عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادًا ولا أقل مالًا وأشد عيشًا منا، فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من قد مضى من آبائنا، فإن لم تفعل فسل ربك مَلَكًا يصدقك بما تقول، وأن يجعل لنا جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة نعينك بها على ما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش. فإن لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل، فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فو الله لا أؤمن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا ثم ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة، فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله ﷺ حزينًا، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾.

[٨٩] ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٨٩]، ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [الكهف: ٥٤]. آية سورة الإسراء جاءت بعد أمثال ضربت نحو: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ وتحذيره كتحذير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ ﴾ [الإسراء: ٧٣]، إلى قوله: ﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٧٥]، فقال بعده وقدّم الناس: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾ [الإسراء: ٨٩] تنبيهًا للناس، وليهتمّوا بتفهّمه، ويعنوا بتدبّره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب في تقديم ما عنايتُهم بذكره أتم، وأمّا الثانية فإنها وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به ممّا لم يقدر عليه إلّا بأن يوحى إليه... فقال في هذا المكان: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾ [الكهف: ٥٤]، للدلالة على ماطلبوه من النبي ﷺ وما قد أوحى الله تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، والله أعلم. [٩٤] ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ﴾ [الكهف: ٥٥]. جاءت آية الكهف بزيادة ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ ﴾، لأنَّ ما في سورة الإسراء معناه: ما منعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ إلاّ قولهم: أبعث الله بشرًا رسولاً، هلاّ بعث مَلَكًا؟ وجهلوا أنَّ التَّجانس يورث التآنس، والتغاير يورث التّنافر، وما في الكهف معناه: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار إلاّ إتيانُ سنَّة الأوّلين، قال الزَّجاج: إلاّ طلب سنَّة الأوّلين وهو قولهم: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فزاد: "ويستغفروا ربَّهم"، لاتصاله بقوله: ﴿ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وهم قوم نوح، =

[٩٠] ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ ﴾ قرئ: (تَفْجُر) بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة مضارع فجر يفجر كنصر، وقرئ: (تُفَجِّر) بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشددة مضارع فجَّر المضعف ووجه التضعيف: الدلالة على تكثير النبع أو العيون وذلك أنهم سألوه كثرة الإنفجار من الينبوع كأنه يتفجر مرة بعد مرة. [٩٢] ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ قرئ: (كِسَفًا) بفتح السين على أنه جمع كسفة، كقطعة وقطع. وقرئ: (كِسْفًا) بإسكان السين على أنه اسم جمع كسفة كسدرة وسدر، أو هو مفرد كالقطع، وكأنهم طلبوا أن يسقط السماء عليهم طبقًا واحدًا يظللهم، ونصب (كسفًا) على الحال من السماء، فالمعنى: أو تسقط السماء علينا قطعة أو قطعًا.
[٩٣] ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾ قرئ: (قل) بصيغة الأمر على أنه أمر من الله تعالى لنبيه أن ينزه ربه عن هذا القول. وقرئ: (قال) بصيغة الماضي على أنه كلام موجه من النبي صلى الله عليه وسلم لامتثاله ما أمر به من الله.

= أثناء استماعهم لتلاوة القرآن، وقد تم تسجيل أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين، بعدما تُليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية، ثم تُليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، كما أثبتت التجارب أن كلمات القرآن بذاتها، وبغضّ النظر عن مفهوم معناها، لها أثرٌ فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٩٧- ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾: لانت وسكنت ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: تأججاً والتهاباً. ٩٨- ﴿وَرُفَاتًا﴾: تراباً ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: كما ابتدأنا أول مرة، استكباراً منهم لذلك وتكذيباً. ٩٩- ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه. ١٠٠- ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: رزقه وسائر نعمه على خلقه ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: لبخلتم ﴿خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾: الفقر ﴿قَتُورًا﴾: ممسكاً، بخيلاً. ١٠١- ﴿تِسْعَ آيَاتٍ﴾: يده، وعصاه، والسنون، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وفي الحديث الذي أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم ان يهوديين سألا رسول الله ﷺ عن هذه الآيات، فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة -أو قال: لا تفروا من الزحف- (شك شُعبة)- ولا تعدوا في السبت، قال الألباني: ضعيف. ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: قيل: بمعنى: فسل يا محمد بني إسرائيل ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾: موسى ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: مُعطًى علم السحر. وقيل: بمعنى: قد سُحرت فترى أنك متكلم بصواب، وليس بصواب. ١٠٢- ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾: يعني هذه الآيات التسع التي أريتكها ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لأنه لا يقدر على ذلك غيره ﴿بَصَائِرَ﴾: يعني الآيات إنهن بصائر لمن استبصر بهن ﴿مَثْبُورًا﴾: ملعوناً ممنوعاً من الخير. ١٠٤- ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾: أرض الشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، حشرناكم جميعاً مختلطين لا تتعارفون ولا ينحاز أحد إلى قبيله. واللفيف: جمع، وليس له واحد.

= وصالح، وشعيب، كلُّهم أمروا بالاستغفار، فلمّا خوّفهم سُنَّةَ الأوّلين أجرى المخاطبين مُجْراهم. قول آخر: آية الإسراء تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٩]، فقوله تعالى مخبرًا عن عتاة قريش: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [الإسراء : ٩٠]، إلى الثامنة من مقترحاتهم، وهي تمنيهم تنزل كتاب يقرؤونه، فبالغوا في شنيع اقتراحاتهم، وتوغلوا في مطالبهم المفصحة باليأس من فلاحهم، فحصل من جملة حالهم بعدهم عن الإنابة إلى الإيمان، فلم يكن ذكر الاستغفار ليناسب هنا؛ لأنه إنما يكون مما لا يبلغ الكفر من المعاصي، أما حيث يفصح بالكفر فليس موضع ورود الاستغفار، ولما كان المتقدم قبل آية الكهف لا يبلغ مبلغ الآية المتقدمة في الإفصاح بتمردهم وعتوهم ناسبه ذكر الاستغفار، ألا ترى أن قوله تعالى قبل آية الكهف: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤]، وليس قوله فيها: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾، في قوة قوله في آية الإسراء: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾؛ لأن الجدال لا يلزم منه أن يكون مرتكبه كافرًا، وإنما مظنة الجدال التناظر في الطرفين، والاحتجاج بمتقابل المذهبين إلى ما يرجع إلى هذا، فلما كان الوارد في آية الكهف من وصف حالهم لا يبلغ مبلغ الوارد في آية الإسراء، ورد فيه ذكر الاستغفار مطابقة لما بني عليه من الإخبار بكثرة جدالهم، إذ ليس كالوارد في الآية الأخرى من الإفصاح بكفرهم وسوء حالتهم، والله أعلم. [٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٦]، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٢]. في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته فقال عز وجل: ﴿ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾، لذا اقتضى أن يُقدّم صفته ﴿ شَهِيدًا ﴾ على ﴿ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر فقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾، لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر ﴿ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾، على ﴿ شَهِيدًا ﴾.

[٩٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ ... ﴾ [الإسراء : ٩٧]، ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧]. ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيخذله ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية الكهف: من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده. [٩٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴾ [الإسراء : ٩٨]، ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا ﴾ [الكهف : ١٠٦]. اقتصر في سورة الإسراء على الإشارة؛ لتقدّم ذكر جهنّم، ولم يقتصر عليها في الكهف وإن تقدم ذكر جهنّم، بل جَمَع بين الإشارة والعبارة لمّا اقترن بقوله: "جنَّات" فقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الكهف : ١٠٦]، ثمّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف : ١٠٧]، ليكون الوعد والوعيد كلاهما ظاهرين. [٩٨] ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٤٩، ٩٨]. لماذا تكررت هذه الآية بالإسراء مرتين؟ الموضع الأوّل من كلام الكفار في الدّنيا، حين جادلوا الرّسول ﷺ وأنكروا البعث، والثاني من كلام الله حين جازاهم على كفرهم وقولهم ذلك وإنكارهم البعث، فقال: ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٩٧-٩٨].

[٩٩] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ﴾ [الإسراء : ٩٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بِقَادِرٍ﴾ [يس : ٨١، الأحقاف : ٣٣]. ما في سورة الإسراء خبر "أنَّ"، وما في (يس) خبر "ليسَ" وخبرها تدخلُه الباء، وما في الأحقاف خبرُ "أنَّ" وكانَ القياسُ عدمُ دخول الباء فيه، لكنَّها دخلته تشبيهًا لـ"لَمْ" بـ"ليس" في النفي. [١٠١] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ عدا [غافر : ٥٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ ﴾. ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية غافر: ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق من التوراة والمعجزات، وأمَّا باقي مواضع القرآن: ولقد أعطينا موسى التوراة.

[١٠٢] ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرئ: (علمتَ) بفتح التاء على إنه خطاب لفرعون، أي: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات، لكن جحدت ذلك معاندة وتجبرًا. وقرئ: (علمتُ) بضمها على أنه ضمير المتكلم، وهو: موسى، أخبر عن نفسه بذلك، وبصحة ما أخبر به وهو: أن الذي أنزل الآيات: هو رب السماوات.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

١٠٥- ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل والإنصاف، والأمور الحميدة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: يعني القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: من عند الله على نبيه ﷺ. ١٠٦- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: بيناه وأحكمناه وجعلناه فرقاناً ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: اي على تطاول في المدّة، وقيل: على تُؤدة وترسُّل. ١٠٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: بالله وبآياته ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: من قبل نزوله، من مُؤمني أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ﴾: تعظيماً له ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: للوجوه، و«الأذقان»: جمع ذقن وهو: مجتمع اللحيين سُجَّداً لله عز وجل. ١٠٩- ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾: خضوعاً لله واستكانة. ١١٠- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: سمع المشركون النبي ﷺ يدعو تارة بـ«يا الله»، وتارة بـ«يا رحمن» فظنوا أنه يدعو إلهين ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾: بأي أسمائه تدعوا ربكم، فإنما تدعون واحداً لا شريك له ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: روي عن النبي ﷺ - أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً كلهن في القرآن، من أحصاهن دخل الجنة» متفق عليه. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: بدعائك، و«الصلاة» في هذا الموضع: الدعاء ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: لا تخفض صوتك حتى لا تُسمع أذنيك ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اطلب ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الجهر والتخافت ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً لا جهراً شديداً، ولا خافتاً لا يُسمع أذنيك. وقيل: عنى بالجهر: القراءة في الصلاة، ورفع صوته بها، فكان يُسمع المشركين فيؤذونه ويسبون القرآن، ومن جاء به، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: من أصحابك. فلما هاجر إلى المدينة سقط، وكان يفعل في ذلك ما شاء. ١١١- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: لم يحالف أحدًا، ولا ابتغى نُصرة أحد، لذلّ يلحقه، أو لأن من احتاج إلى نصرة غيره فهو ذليل.

سُورَةُ الكَهْفِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: بمعنى: الحمد لله الذي برسالته خص محمداً وانتخبه لبلاغها، وأنزل عليه كتابه ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: أي: لا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا ميل عن الحق. ٢- ﴿قَيِّمًا﴾: من نعت الكتاب: مستقيماً متصباً، لا عوج فيه، بأي نوع من أنواع الاختلال في اللفظ والمعنى، ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾: لينذر عذاباً من الله حاضراً، ونكالاً عاجلاً، والمعنى: لينذر الكافرين. ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بالله ورسوله ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾: ثواباً جزيلاً. ٣- ﴿مَّٰكِثِينَ﴾: لابثين ﴿فِيهِ﴾. ٤- ﴿وَيُنذِرَ﴾: يُحذّر ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: -تعالى الله عن ذلك- يعني كفار قريش في قولهم: إنما نعبد الملائكة، وهي بنات الله، عز الله عن ذلك.

[١١٠] قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه، وغيره، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: «يا الله يا رحمن» فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعوَ إلهين وهو يدعو إلهين، فأنزل الله ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت. [١١١] قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: «إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: -نستغفر الله تعالى من قولهم- لولا أولياء الله لذل، فأنزل الله ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾.

[١٠٧، ١٠٩] ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء: ١٠٧]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء: ١٠٩]. ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، كرّره لأن الأول واقعٌ في حال السجود، والثاني في حال البكاء، أو الأول واقعٌ في قراءة القرآن أو سماعه، والثاني في غير ذلك. [١١١] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقل أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية الفرقان: فتبين أن الله هو الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوَّاه على ما يناسبه من الخلق وَفْق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل. [٢] ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]. الأجر في السّورتين الجنَّة، والكبير والحَسَن من أوصافها؛ لكن خُصّت سورة الإسراء بالكبير لفواصل الآي قبلها وبعدها، وهي: "حصيرًا" و"أليمًا" و"عجولًا" وجُلّها وقع قبل آخرها مَدّة، وكذلك في سورة الكهف جاءَ على ما تقتضيه الآيات قبلها، وبعدها وهي: "عِوَجًا" وكذا "أبدًا" وجُلّها قبل آخرها متحرّك.

[١] ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ قوله تعالى: ﴿عِوَجَا﴾ قرئ: (عوجًا) بالسكت على الألف دفعًا لإيهام أن يكون (قيمًا) نعتًا (لعوجًا) فيفسد المعنى، مع أن (قيماً) حال من (الكتاب) فهي من أوصافه أو مفعول لفعل محذوف تقديره جعله (قيمًا). وقرئ: (عوجًا) بعدم السكت على الأصل اعتمادًا على أن التأمل في المعنى قرينة على دفع هذا الإيهام، وقد تقدم ذلك في الحديث عن السكت، فارجع إليه إن شئت.

[٩-١٢] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ...﴾[الكهف: ٩-١٢]. معجزة تاريخية: أصحاب الكهف: وفقًا للاعتقاد السائد فإن أصحاب الكهف الذين أثنت عليهم المصادر الإسلامية والمسيحية تعرضوا لطغيان الإمبراطور الروماني (دقيانوس)، وفي محاولة من هؤلاء الفتية للتصدي لظلم (دقيانوس) وطغيانه، حذروا قومهم مرارًا من أن يتركوا دين الله، ولكن أمام إعراض قومهم واشتداد ظلم الإمبراطور وتوعده لهم بالقتل، ترك الفتية مساكنهم، ويُعتبر (دقيانوس) إلى جانب (نيرو) هو الإمبراطور الروماني الذي نكَّل بالمسيحيين تنكيلًا شديدًا، وأثناء فترة حكمه القصيرة أجبر (دقيانوس) كل من يخضع لحكمه أن يقدم القرابين للآلهة، بل وأن يأتي بما يُثبت أنه فعل ذلك، ويَعرضه على كبار الدولة، ومَنْ لم يستجب منهم كان يأمر بقتله. أين مكان الكهف؟ أما بالنسبة للمكان الذي كان يعيش فيه أصحابُ الكهف فإن الآراء تتعدد وتتباين، ولكن أكثر الآراء اعتدالًا هو مدينتي (أفسوس)، و(طرسوس) ويمكن القول بأن جميع المصادر =

نزول سورة الكهف: نزلت بعد سورة الغاشية، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الكهف: ألف وخمسمائة وتسع وسبعون. عدد حروف سورة الكهف: ستة آلاف وثلاثمائة وستّة. أسماء سورة الكهف: ما لها اسم سوى سورة الكهف، وسُمّيت سورة الكهف؛ لاشتمالها على قصّة أصحاب أهل الكهف بتفصيلها. مواضيع =

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٥- ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾: معنى الكلام: ما لهؤلاء القائلين بهذا القول من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: منصوب على التفسير، لأنها في معنى: أكبر بها من كلمة!! مثل نصب قوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. ٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: مُهلك نفسك ﴿أَسَفًا﴾: حزناً عليهم. ٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: من شيء ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أترْكُ لهذه الزينة والزخارف، وأعْمَلُ بطاعتي. ٨- ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: يعني من هذه الزينة، فمصيّروها ﴿صَعِيدًا﴾: «الصعيد»: ظهر الأرض ﴿جُرُزًا﴾: لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس. وقيل: «جرزاً»: بلقعاً، يعني: إن ما على الأرض فان. ٩- ﴿أَمْ حَسِبْتَ..﴾: الآية: يقول: ما خلقت من عجائب السماوات والأرض أعجب من أمرهم، يقول تعالى: ليسوا بأعجب آياتنا. «الكهف» الذي أوى إليه الفتية. و«الرقيم»: الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: «الرقيم»: لوح من حجارة كتب فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على بابه. ١٠- ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾: يسر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: ما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك، وكانوا فتية هربوا بدينهم، وكان ملكهم دعاهم إلى عبادة الأصنام. ١١- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: أي ألقينا عليهم النوم ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة، فيحتمل أن يريد الكثرة، وأن يريد القلة، لأن الكثير قليل عنده سبحانه. ١٢- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: من رقدتهم ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: أي: أيُّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مكث الفتية في كهفهم رُقوداً ﴿أَحْصَىٰ﴾: أصوب لقدر لبثهم فيه ﴿أَمَدًا﴾: غايةً. ١٣- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾: خبر هؤلاء الفتية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: باليقين الذي لا شك فيه ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: بصيرة حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب بدينهم. ١٤- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ألهمناهم الصبر، وقويناهم، حتى عزفت أنفسهم عما كانوا فيه من خفض العيش، واختاروا المكث في كهف جبل ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾: غالياً من الكذب، يقال: أشطَّ فلان في السوم، إذا جاوز القدر وارتفع. ١٥- ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: هلا يأتون على عبادتهم إياها ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: بحجة وعذر بيِّن.

[٦] قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها.. ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: «أخبركم غدا بما سألتم عنه ولم يستثن» فانصرفوا، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيًا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف. وقول الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البختري، في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزنًا شديدًا، فأنزل الله ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ الآية.

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. "لَعَلَّكَ" في الآيتين جاءت في ترجي الشيء المخوف فتسمى إشفاقًا، وقد يكون الترجي هنا من قبيل الخبر، وليس إنشاء. وجاء في آية الشعراء بمضارع الكون ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ للإشارة إلى أنه ﷺ لا يأسف على عدم إيمانهم، ولو استمر ذلك في المستقبل، فيكون انتفاؤه فيما مضى أولى بأن لا يؤسف له. وجاء في آية الكهف بحرف نفي الماضي وهو ﴿لَمْ﴾؛ لأن سورة الكهف متأخرة النزول عن سورة الشعراء، فعدم إيمانهم قد تقرر حينئذ وبلغ حد المأيوس منه. [٨، ٤٠] ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]. "الصعيد" وجه الأرض، و"الجرز" الذي لا نبات فيه، وهذه هي نهاية الدنيا، فكأنه قال: وإنا لجاعلون ما عليها فانيًا وبائدًا وأن المرجع لإلى الله، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى، فهذه ستكون حال الأرض وإن كانت بطبيعتها قابلة للإنبات، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ [السجدة: ٢٧]، أما في قصة صاحب الجنتين فقال: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، فوصف الأرض بأنها ذات زلق، أي: هي مزلقة غير قابلة للإنبات، مبالغة في انعدام النفع بها بالمرة، فأتى في كل موضع بما يليق به، والله أعلم.

[٢] ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ قرئ: (لَدْنه) بإسكان الدال مع إشمام الضم وكسر النون والهاء مع صلتها بياء، ووجهها: التخفيف، وأصلها: "لدن" على وزن فعل، كعضد، فخففت بإسكان الوسط، وأشير إلى الضم بالإشمام تنبيهًا على أنه الأصل؛ وكُسِرَت النون لأنه الأصل في التخلص من التقاء الساكنين كما في أمس، وكسرت الهاء إتباعًا لكسر ما قبلها، ووصلت لوقوعها بين محركين، وكانت الصلة من جنس حركة ما قبلها على الأصل إذ أصل الكلمة مبنية على السكون على الأصل في البناء، وضمت الهاء على الأصل في هاء الضمير. قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ قرئت: (ويَبْشُر) بفتح الياء، وبعدها شين مضمومة مخففة على أنه مضارع بَشَرَ الثلاثي كنصر ينصر. وقرئت: (ويُبَشِّر) بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة على أنه مضارع بشَّر المضعف، وهما بمعنى واحد، والتضعيف للتكثير.

= المسيحية على وجه التقريب تعتبر مدينة (أفسوس) هي مكان الكهف الذي التجأ فيه هؤلاء الفتية المؤمنين، ويتفق بعضُ الباحثين المسلمين ومُفسرو القرآن الكريم على أن (أفسوس) هي المكان. حقائق تاريخية ١- استشهد (جيبون) المؤرخ الشهير في كتابه «تدهور وسقوط الدولة الرومانية» بالكثير من دراسة =

= سورة الكهف: مقصود السّورة مجملاً بيانُ نزول القرآن على سَنَن السّداد، وتسلية النّبي ﷺ في تأخر الكفّار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النّبي ﷺ بالصّبر على الفقراءِ، وتهديد الكفّار بالعذاب، والبلاءِ، ووعد المؤمنين بحسن الثّواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيليّين، وتمثيل =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

١٦- ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة، أخبر الله عز وجل عن قول بعض الفتية لبعض ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: سوى الله ﴿فَأْوُۥٓا﴾: فصيروا ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: إلى غار جبل ﴿يَنشُرْ﴾: يبسط ﴿مِّرْفَقًا﴾: ما ترتفقون به، وتنتفعون. ١٧- ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: تعدل وتميل من الزور: وهو العوج والميل، ومعنى الكلام: تعدل عن كهفهم فتطلع عليهم من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تدعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: فلا تصيبهم؛ وأصل «القرض»: القطع ﴿وَهُمْ﴾: يعني: الفتية ﴿فِى فَجْوَةٍ﴾: متسع منه؛ أي في مكان داخل. ١٨- ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام، قيل: وسبب هذا الحسبان أن عيونهم كانت مفتحة، وقيل: لكثرة تقلبهم، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: في رقدتهم. قال ابن عباس: لو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾: بفناء باب الكهف حيث سُدُّ الكهف. وإيصاد الباب: إطباقه وإغلاقه ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: لما كان الله عز وجل ألبسهم من الهيبة، لئلا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد. ١٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: من رقدتهم ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: الورق: الفضة، وكانت دراهمهم ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحل طعاماً وأطيب ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليترفق في شرائه وفي طريقه. ٢٠- ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا﴾: لن تدركوا الفلاح، وهو السعادة في الدنيا والبقاء الدائم في الجنة، إن أنتم عدتم في ملتهم.

[١٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ ...﴾ [الإسراء : ٩٧]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف : ١٧]. ومن يهده الله فهو المهتدي إلى الحق، ومن يضلله فيخذله ويَكِلْه إلى نفسه فلا هادي له من دون الله، وهؤلاء الضُّلال يبعثهم الله يوم القيامة، ويحشرهم على وجوههم، وهم لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، مصيرهم إلى نار جهنم الملتهبة، كلما سكن لهيبها، وخمدت نارها، زدناهم نارًا ملتهبة متأججة، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية الكهف: من يوفقه الله للاهتداء بآياته فهو الموفَّق إلى الحق، ومن لم يوفقه لذلك فلن تجد له معينًا يرشده لإصابة الحق؛ لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله وحده.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف : ٢٢]. اختلف اليهود في فتية الكهف، ولم يتحققوا من عددهم، فحكى سبحانه قولهم، وأشار إلى تقرير الصحيح من قولهم، مع أن اليهود غير عالمين بذلك ولا مرجحين، فأتى بالجملة الأولى وهي قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ أعني المحكية بعد القول، إذ التقدير: هم ثلاثة، ثم سيقت الجملة من قوله: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صفة للثلاثة، والجملة تقع صفة للنكرة وحالًا من المعرفة، ثم قال: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فسادسهم صفة للنكرة كالمتقدمة، ثم أتبع هذا الكلام من اختلافهم بقوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ فأفهم والله أعلم أن هذا ليس من نمط ما تقدم، فكأن قد قيل: ويقولون سبعة =

[١٦] ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ قوله تعالى: ﴿مِّرْفَقًا﴾ قرئت: (مَرفِقا-مِرفَقا) بفتح الميم وكسر الفاء، وبكسر الميم وفتح الفاء، وهما لغتان: في الأمر الذي يرتفق فيه، وقال الأخفش: إن (مرفقًا) بالكسر هو شيء يرتفقون به، وبالفتح اسم كالمسجد، فأما في اليدين فهو (مِرفق) بالكسر فقط، وقيل: إن قياس المصدر من مرفق يكون بالفتح لأنه من فعل يفعل، ولكنه جرى نادرًا على غير قياس كالمرجع والمحيض. [١٧] ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (تزاوَرُ) بمد الزاي وتخفيفها وتخفيف الراء على أنها مضارع تتزاور، حذف منه إحدى التاءين للتخفيف. والثانية: (تزّاورُ) بتشديد الزاي ومدها مع تخفيف الراء على أنه مضارع تزاور أيضًا، لكن أبدلت التاء الثانية زايًا وأدغمت في الزاي وأصلها: تتزاور. والثالثة: بسكون الزاي (تزْوَرّ). [١٨] ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرئ: (ولملِئتَ- ولملّئتَ) بالتخفيف والتثقيل على أنه مجرد أو مزيد بالتضعيف، والتضعيف للمبالغة، والفعل متعد لمفعولين، المفعول الأول: هو التاء الواقعة نائب فاعل، والثاني: رعبًا. قوله تعالى: ﴿رُعْبًا﴾ حيث وقع في القرآن سواء كان معرفًا أو منكرًا قرئ: (الرعُب) بضم العين. وقرئ: (الرعْب) بسكون العين وهما لغتان. [١٩] ﴿فَٱبْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ قرئ: (بورِقكم- بورْقكم) بكسر الراء على الأصل كنبِق، وبإسكانها للتخفيف كنبْق، وكتْف وكتِف، وهو مطرد.

= (جيمز)، ووفقًا لما جاء في الكتاب، فإن الإمبراطور الذي عذَّب السبعة الفتية المسيحيين المؤمنين هو (دقيانوس) وقد حكم (دقيانوس) الإمبراطورية الرومانية في الفترة ما بين (٤٠٨ ـ ٤٥٠م) بعدها دانت الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية. ٢- أشار عالم الآثار الدكتور/ موسى باران في كتابه «أفسوس» إلى مدينة أفسوس» باعتبارها المكان الذي كان يعيشُ فيه مجموعة الفتية، وأضاف قائلًا في عام ٢٥٠م، كان سبعة فتية في «أفسوس» قد اختاروا المسيحية دينًا لهم وتركوا عبادة الأوثان، وفيما هم يبحثون عن مكانٍ للهروب بدينهم عثروا على كهفٍ بالمنحدر الشرقي لجبل (بيون) وقد رأى ذلك جنودُ الرومان فبنوا حائطًا ليسُدوا به مدخل الكهف، واليوم يُشاهد العديدُ من المباني الدينية وقد بُنيت فوق هذه الحجارة. ٣- وأظهرت الحفريات التي قام بها المعهد الأسترالي الأثري عام ١٩٢٦م أن الآثار التي ظهرت هي كهف من منتصف القرن السابع. ٤- كان مكان أصحاب الكهف موضعًا للاهتمام أيام الخلافة العثمانية، وقد أُجريت بعضُ الأبحاث بهذا الشأن، وتمت بعضُ المراسلات، وتبادلُ المعلومات حول هذا الموضوع في مخازن السجلات العثمانية برئاسة الوزراء. وبعد التحقيقات التي أجراها المجلس القومي، تم إعداد تقرير ينصُّ على الآتي: إلى الشمال من مدينة (طرسوس) في بلدة (عدنة) يوجد كهفٌ على جبل يبعد ساعتين عن المدينة، ومدخله يتجه ناحية الشمال كما أخبر القرآن الكريم. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف : ٩]. أصحاب الكهف: إن الله تعالى هيّأ أسباب الحماية الطبيعية والطبية لهم، فقد جعل الشمس تدخل كهفهم بصورة متوازنة، وكأنها حانية عليهم ترعاهم في الصباح والمساء، وقلب أجسادهم فحفظها من التلف، وعطل حواسهم عن التأثر بالمحفزات الداخلية والخارجية، وجعل أعينهم ترمش فحافظ عليها من العمى، وجعل فوق الكهف فتحة لتغيير هواء الكهف بصورة متواصلة، وحماهم كذلك من دخول أحد عليهم، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد يكشف عنه العلم مستقبلاً.

= الدنيا بماء السَّماءِ ونبات الأرض، وبيان أن الباقي من الدنيا طاعة الله فقط، وذكر أحوال القيامة، وقراءة الكُتُب، وعَرْض الخَلْق على الحقِّ، وإباءُ إبليس السّجود، وذُلّ الكفار ساعة دخولهم النار، وجدال أهل الباطل مع المحقِّين الأبرار، والتخويف بإهلاك الأمم الماضية وإذلالهم، وحديث موسى ويوشع وخَضِر، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

٢١- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أطلعنا عليهم، يقول عز وجل: كما بعثناهم بعد طول رقدتهم، قد أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وليعلم من كذب بهذا الحديث ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: يعني: الذين عثروا على الفتية، تنازعوا بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: على أمر أصحاب الكهف. ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: قال الزجاج: هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم، غلب المؤمنون بالبعث والنشور، لأن المساجد للمؤمنين. ٢٢- ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾: قذفًا بالظن ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: لا تمار في عدتهم، أي لا تُجادل، حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾: إلا ما أظهرنا لك من أمرهم ﴿مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾: من أهل الكتاب، ولا تسألهم عن أمرهم. ٢٣، ٢٤- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام الا يجزم شيئاً فيما ما يُحدِّث به من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله عز وجل، فيقول بعده: إن شاء الله، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: استثن في يمينك، أي قل إن شاء الله، إذا ذكرت. ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾: يقول: قل لعل الله أن يهديني فيسددني، فيتحقق ما وعدتكم، وأخبرتكم أنه سيكون إن شاء الله. ٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم ذلك غير الله عز وجل، وغير من أعلمه الله بذلك ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾: يقول عز وجل: أبصر بالله وأسمع. بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه! ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾: يلي أمورهم وتدبيرهم. ٢٧- ﴿لَا مُبَدِّلَ﴾: لا مغير ﴿لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أي لكتاب الله الذي أوحي إلى النبي ﷺ، وأمر بتلاوته. وهذا نصٌّ إلهي في حفظ القرآن من التغيير والتبديل، وأن من يأتي بعد النبي الكريم سوف يتلوه على النحو الذي كان يتلوه النبي ﷺ. ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ، و«ملتحد»، مُفتعل، من لحدتُ إلى كذا: إذا مِلت إليه.

[٢٥] أخرج ابن مردويه أيضا عن ابن عباس قال: انزلت ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ ﴾ فقيل: يا رسول الله سنين أو شهورا، فأنزل الله ﴿ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾.

[٢٦] ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ [الكهف : ٢٦]، ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم : ٣٨]. قال في مريم ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ وعكَسَ في الكهف، لأن معناه في مريم أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعْها وتدبّرْها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى لـه غيبُ السماواتِ والأرض، فأجل بصيرتك بالتفكر في مخلوقاته، وتدبَّرها بحيثُ تصلُ إلى معرفته، وأسمِع بصفاته، ووحِّدْهُ، فناسب تقديم السمع هنا، والبصرِ ثمَّ. [٢٧] ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ... ﴾ [الكهف:٢٧]، ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ... ﴾ [العنكبوت:٤٥]. واتل أيها الرسول ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، أمَّا آية العنكبوت: اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات...

= وثامنهم كلبهم، وأن هذا ليس داخلًا تحت ما تقدم من أنه رجم بالغيب، وأن الوصف بتلك الحال إنما يرجع لما قبله من قولهم: ثلاثة رابعهم كلبهم، وخمسة سادسهم كلبهم، وهذا كلام ابن عباس رضي الله عنه ومن تبعه من المفسرين، وحكى سيبويه أن العرب تستعمل الحذف كثيرًا في كلامهم، ومنه قولهم فيما حكى سيبويه، رحمه الله، "اللهم ضبعًا وذيبًا"، إذا كان القائل يدعو بذلك على غنم رجل قال: وإذا سألتهم ما يعنون؟ قالوا: اللهم اجمع فيها ضبعًا وذيبًا، والعرب يحذفون الجملة الاسمية برأسها إذا دل الدليل عليها كما يفعلون في الجملة الفعلية، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق : ٤]، أي فعدتهن ثلاثة أشهر، والحذف في كلامهم كثير إذا كان في الكلام ما يدل على المحذوف، فيظهر والله أعلم أن الواو في قوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ ﴾ إنما عطف بها على جملة اسمية محذوفة كما قدمنا، ومن المفسرين من جعل هذه الواو داخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالًا عن المعرفة، في نحو جاءني زيد ومعه أخوه، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر : ٤]، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما فعل غيرهم، والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين بقوله: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾، وأتبع القول الثالث بقوله: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنه: "حين وقعت الواو انقطعت العدة"، أي: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثابت، وقيل: ﴿ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، أي: من أهل الكتاب، والضمير في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم لهم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظن وتخمين. انتهى ما قاله الزمخشري وحكاه، وقد حصل منه أن قليلًا من أهل الكتاب قد كان يعلم عددهم وهذا لا ينافره المأخذ المتقدم. وحكى المفسرون أن ابن عباس رضي الله عنه كان يقول في قوله: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أنا من ذلك القليل، وهذا القدر كاف، والله أعلم. [٢٥] ﴿ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مِا۟ئَةٍ ﴾ قرئ: (مائةٍ) بتنوين مائة على أن ما بعده عطف بيان لثلاث المميز بمائة. وقرئ: (مائةِ) بعدم التنوين على الإضافة إلى ما بعده على القياس في تمييز المائة والألف في مجيئه مجرورًا بالإضافة، وإنما وقع جمعًا، والقياس أن يكون مفردًا رعاية للأصل إذ الأصل أن يكون التمييز مطابقًا للمميز، لكنهم التزموا في تمييز ما فوق العشرة أن يكون مفردًا ميلًا إلى الاختصار، فمجيء التمييز مفردًا مخالف للأصل موافق للقياس، ومجيئه جمعًا موافق للأصل، ولا يرد على القراءتين أن تمييز الثلاث إلى العشرة يجب أن يكون جمعًا، وهنا وقع مفردًا، وكان القياس =

[١٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ قد ورد (٤٥) مرة.

= وعجائب أحوالهم، وقصّة ذي القرنين، وإتيانه إلى المشرقين والمغربين، وبنيانه لسدّ يأجوج ومأجوج، وما يتّفق لهم آخر الزمان من الخروج، وذكر رحمة أهل القيامة، وضياع عمل الكفر، وثمرات مساعي المؤمنين الأبرار، وبيان أن كلمات القرآن بحور علم: لا نهاية لها، ولا غاية لأمدها، والأمر بالإخلاص في العمل =

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

٢٨- ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: يذكرونه بالتسبيح والتحميد والدعاء والأعمال الصالحة ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تجاوزهم إلى غيرهم، ولا تحقرهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مجالسة العظماء والأشراف. وروي أن المؤلفة قلوبهم: عُيينة والأقرع بن حابس وأمثالهما قالوا: يا نبيّ الله لو جلست في صدر المجلس، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون: سلمان وأباذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ فقام نبي الله ﷺ يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تبارك وتعالى، فقال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات». أخرجه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية. ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: منعنا قلبه. وقيل: جعلناه غافلاً بالختم عليه. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: وهم فيما قيل: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: ضياعاً. ٢٩- ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: هذا كله وعيد، وتهديد، وليس تفويضاً وقيل: إنه تخيير. ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: كعكر الزيت. وقيل: كالقيح والدم ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: متكأ، من المرفق. أي وساءت جهنم مجلساً. ٣١- ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: من دونهم ومن بين أيديهم ﴿مِّن سُندُسٍ﴾: جمع واحدها. سندسة، وهي ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: «والإستبرق»: ما غلُظ منه وثخُن، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي، السُّرُر في الحجال ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: متكأ، وخص الاتكاء لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم. ٣٣- ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾: آتت ذلك كاملاً تاماً، من ظلم فلان فلاناً حقه: إذا بخسه ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: سيلنا ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾: بينهما. ٣٤- ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾: قيل: من كل المال، من ثمّرَ ماله؛ إذا كثر، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾: يخاطبه ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: كما قال عيينة والأقرع لرسول الله ﷺ: نحن سادات العرب وأرباب الأموال، فنَحِّ عنا سلمان وخباباً وصهيباً، احتقاراً لهم وتكبراً.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ الآية. أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله، من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت.

[٢٦] ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الكهف : ٢٦]، ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة : ١٢]. لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين؟ الجواب: الكلام في سورة الكهف عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم، فمسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه؛ لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر "عين اليقين"، والآخرة ميدان الرؤية، وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال، ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

[٣٢] ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف : ٣٢]. من اللطائف أن هذه القصة جاءت بعد أمر الله تعالى لنبيه أن يصبر نفسه مع ضعفاء المؤمنين، خلافًا لكبراء قريش، الذين تكبروا عن الجلوس معهم، فكان عاقبتهم الخسار كما كان عاقبة صاحب الجنتين.

= ثلاث مئين أو ثلاث مئات؛ لأنا نقول: إن المائة وإن كان واحدًا في اللفظ فهو جمع في المعنى كالرهط والنفر، وتقدم في الهمز المفرد تحقيق همزة مائة وإبدالها. [٢٦] ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكُ﴾ قرئ: (يشركُ) بالياء مرفوعًا على أن "لا" نافية والمضارع مسند إلى ضمير يعود على الله في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾، والعطف على الجملة وهي: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فهي من جملة ما أمر أن يقول صلى الله عليه وسلم. وقرئ: (تشركْ) بالخطاب مجزومًا على أن "لا" ناهية، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد أمته، والجملة معطوفة على الأمر قبلها وهو: قل. [٢٨] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ هنا والأنعام : ٥٢، قرئ: (بالغُدْوَةِ) بضم الغين وإسكان الدال وواو مفتوحة، والأشهر أنها معربة بالعلمية الجنسية كأسامة في الأشخاص فهي غير مصروفة، وقيل: إن (غدوة) علمٌ وضع للتعريف فلا تدخل عليها (ال) كسائر الأعلام. وجوابه: أن تنكير (غدوة) لغة ثابتة حكاها سيبويه والخليل، وتقول: أتيتك غدوةً بالتنوين، على أن صاحب هذه القراءة لا يعرف اللحن لأنه عربي خالص النسب. وقرئ: (بالغَدَاةِ) بفتح الغين والدال وبالألف لأن غداة اسم لذلك الوقت، ثم دخلت عليها لام التعريف. [٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ قوله تعالى: ﴿أُكُلَهَا﴾ هنا وحيث وقعت في القرآن الكريم، و(أكله – أكل – الأكل)، قرئ: (أكُلها – أكُله – أكُل – الأكُل) بالضم في الكاف، وقرئ: (أكْلها – أكْله – أكْل – الأكْل) بالإسكان، والضم والإسكان لغتان. [٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ قوله تعالى: ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾ قرئ: (ثَمَر) بفتح الثاء والميم على أنه اسم جمع لثمرة. وقرئ: (ثُمُر) بضمه على أنه جمع ثمرة كخشبة وخُشُب، أو جمع ثمار ككتاب وكتب، أو جمع ثَمَر كأسد وأسد. وقرئ: (ثُمْر) بضم الثاء =

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف : ٢٥]. السنة الشمسية والقمرية: كانت مدة رقود أصحاب الكهف في كهفهم (٣٠٠) سنة شمسية وتعادل (٣٠٩) سنين قمرية حيث إن الفرق بينهما (١١) يومًا للسنة الواحدة، ولمدة (٣٠٠) سنة شمسية يتراكم الفرق ليكون (٩) سنوات فتصبح (٣٠٩) سنوات قمرية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف : ٢٥]. وفي هذه إشارة إلى التقويمين الشمسي والقمري "الميلادي والهجري" كما ذكره معظم المفسرين قديمًا وحديثًا. وهذه الحقيقة الكونية قد سبق إليها القرآن الكريم في سرده لقصة أصحاب الكهف.

= الصّالح أبداً، في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠]. فضل سورة الكهف: قال رسول الله ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أوّل الكهف عُصِمَ من الدجّال"، وفي لفظ: "مَنْ قرأ عشر آيات من سورة الكهف حِفظاً لم يضره فتنةُ الدجال". رواه مسلم. وقال ﷺ: "من قرأ سورة الكهف =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٣٥، ٣٦- ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾: أن تفنى وتخرب هذه أبداً، ثم تمنّى على شك منه فقال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾: أقسم أنه إن رُدَّ إلى ربه- على سبيل الفرض، وكما يزعم صاحبه- ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا، ظناً منه أنه لم يُعط هذه الجنة في الدنيا إلا وله عند الله أفضل منها! يدّعي بذلك الكرامة والاستحقاق «منقلباً»: مرجعاً وعاقبة. ٣٧- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾: عَدَلَك بشراً سوياً. ٣٨- ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾: بمعنى: لكنْ أنا أقول ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾. ٣٩- ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾: بمعنى: هَلاَّ إذ دخلت بستانك فأعجبك ﴿قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما شاء الله كان. ٤٠- ﴿حُسۡبَانٗا﴾: عذاباً من السماء تُرمى به رمياً، و«الحسبان»: جمع حسبانة؛ وهي المرامي ﴿فَتُصۡبِحَ﴾: يعني: جنته ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾: أرضاً ملساء لا شيء فيها، لا يثبت في أرضها قدم، لامْلاسها ودُرُوس ما كان نابتاً فيها. ٤١- ﴿مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾: قد غار في الأرض. ٤٢- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أحاط الهلاك والجوائح بثمره. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾: يصفق كفيه متلهفاً، على ما فاته، ندماً وتحسراً ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: خالية ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: بنائها وبيوتها. ٤٣- ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾: عشيرة وجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يمنعونه من عقاب الله عز وجل إذا عذبه. ٤٤- ﴿هُنَالِكَ﴾: حين حلَّ عذاب الله عز وجل بصاحب الجنتين في القيامة ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾: بفتح الواو: من النصرة والتولي، وبكسر الواو، من الملك والسلطان ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾: عاقبة. ٤٥- ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: يعني: اضرب هذا المثل، للذين قالوا: اطرد عنا هؤلاء، وقيل: هو عام للناس. ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا﴾: مفتتاً ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تطيره.

[٣٦] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ﴾ [فصلت: ٥٠]. بعد تنويع الخطاب: فإن في لفظ "الرد" من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ "الرجوع"، فلما كان آية صاحب الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقته لها أشد على النفس من مفارقة صاحب "فصلت" لما كان فيه؛ لأنه لم يبالغ في وصف ما كان فيه، كما بالغ صاحب آية الكهف؛ فناسب ذلك لفظ "الرد" هنا ولفظ "الرجوع" ثمّة.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ...﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ...﴾ [الكهف: ٤٥]. إنما مثل الحياة الدنيا وما تتفاخرون به فيها من زينة وأموال، كمثل مطر أنزلناه من السماء إلى الأرض، فنبتت به أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض مما يقتات به الناس من الثمار، وما تأكله الحيوانات من النبات، حتى إذا ظهر حُسْنُ هذه الأرض وبهاؤها، وظن أهل هذه الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها، جاءها أمرنا وقضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات...، فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الكهف: واضرب أيها الرسول للناس -وبخاصة ذوو الكِبْر منهم- صفة الدنيا التي اغترُّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها، فهي كماء أنزله الله من السماء فخرج به النبات بإذنه، وصار مُخضرًّا، وما هي إلا مدة يسيرة حتى صار هذا النبات يابسًا متكسرًا تنسفه الرياح إلى كل جهة...

[٣٧] ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف:٣٧]، ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشعراء:٦٤]. ما الفرق بين "ثُمّ" و"ثَمّ" في القرآن الكريم؟ الجواب: "ثُمّ" بضمّ الثاء هي حرف عطف تفيد الترتيب والتراخي كما في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾، أما "ثَمّ" بفتح الثاء فهي اسم ظرف بمعنى هناك، كما في قوله تعالى في آية الشعراء: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾.

[٤٠] ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس:٥]، ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا﴾ [الكهف:٤٠]. ما الفرق بين: "حساب، حُسبان"؟ الجواب: وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعًا وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسبان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. ووردت كلمة (حساب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصلُ والجزاءُ في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يَشغله حساب بشر عن حساب آخر. ٢- الإحصاء والعدُّ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥]. ٣- نفي المحاسبة، حيث لا عدَّ ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧]؛ أي يجزي عليه الرزق متدفقًا وكأنه لا يُعدُّ ولا يُحصى. أما كلمة (حسبان) فلها معنى واحد=

= وإسكان الميم على أنه جمع على فُعْل سكنت عينه للتخفيف، وقال بعضهم: الثمْر بالإسكان: المال، وبالفتح: المأكول، وبالضم: النخل والشجر بما فيها.

[٣٦] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ قوله تعالى: ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهَا﴾ قرئ: (منها) بإفراد الضمير على أنه عائد إلى جنته في ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾. وقرئ: (منهما) بتثنية الضمير لعوده على الجنتين، وأما في قوله: ﴿لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ﴾ وقوله: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾ وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ فالمراد (جنتيه)، ولكنه قصد الجنس بالإضافة، فيصدق بالواحد والمتعدد. [٣٨] ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ قرئ: (لكنا) بإثبات الألف وقفًا للدلالة على أن (لكن) للاستدراك وليست هي الناصبة، وأصلها: "لكن أنا هو الله ربي" فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال وأدغمت النون في مثلها للتخفيف. وقرئ: (لكن) بحذف تلك الألف وصلًا على الأصل؛ لأن الأصل حذف ألف (أنا) وصلًا تخفيفًا؛ وإثباتها وقفًا. [٤٣] ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾ قرئ: (يكن) بالياء على أنها مذكر في الحقيقة، أو للفصل بين الفعل والفاعل بالظرف. وقرئ: (تكن) بالتاء على أنه مؤنث مجازي رعاية للفظه.

[٣٢] ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقدر ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله.

يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين" حسنه الألباني. وقال ﷺ: "من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورًا يوم القيامة" صححه الألباني.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

٤٦- ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: اختلف فيها، فقيل: الصلوات الخمس. وقيل: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». وقيل: العمل بطاعة الله تعالى، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة. ٤٧- ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: يعني: على الأرض فنجعلها ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [سورة الواقعة ٦] ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة لرأي العين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: جمعنا الخلائق إلى موقف الحساب، ومعنى الحشر: الجمع ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لم نترك منهم أحداً بدون حشر. ٤٨- ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: وذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذباً بالبعث! ٤٩- ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب أعمال عباده في أيديهم ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: يعني: المشركين بالله ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين وجلين، ﴿مِمَّا فِيهِ﴾: مما أحصاه عليهم كتابهم من الكفر والأعمال السيئة، أن يؤخذوا بها ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: حفظها. ﴿حَاضِرًا﴾: مكتوباً مثبتاً. ٥٠- ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قيل لهم «جن» لأنهم استجنوا، أي استخفوا واستتروا عن عيون بني آدم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج عن أمر ربه، وعصى في السجود له. ٥١- ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾: ما أحضرتهم، أي الشركاء الذين يدعون من دون الله، ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فاستعين بهم على خلقها. ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض ﴿عَضُدًا﴾: أعواناً. ٥٢- ﴿مَّوْبِقًا﴾: عداوة. وقيل: مهلكاً. وقيل: حاجزاً، أي جعلنا بين هؤلاء المشركين وبين من جعلوهم شركاء لله موبقاً، وقيل: هو اسم واد في جهنم فصل بين أهل الجنة وأهل النار. ٥٣- ﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: علموا أنهم داخلوها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: معدلاً يعدلون إليه، أو انصرافاً، لأن النار قد أحاطت بهم من كل جانب.

[٤٦] ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].
لو تدبرنا الآية السابقة في سورة الكهف لوجدنا أن المال والبنين مما يحرك في النفوس بواعث الأمل في الحياة، كما قال تعالى في صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، فجاءت ﴿أَمَلًا﴾ لمناسبة معنى الآية، والإقرار أن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى وليس المال والبنون، أمَّا ﴿مَّرَدًّا﴾، فلأن السياق القرآني قبل هذه الآية يتحدث عن القيامة ومشاهدها... قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، إذًا فالآيات تتكلم عن مرد الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، فجاء في الآية بلفظ ﴿مَّرَدًّا﴾ لمناسبة سياق الآيات. [٤٨] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الكهف: ٤٨]. سياق آية الأنعام فيه إشارة إلى ما عبد من دون الله تعالى، فجيء بلفظ: ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ لتحقيق أن تلك الآلهة وتلك المعبودات لا تنفعهم، وأنهم يلاقون مصيرهم يوم القيامة منفردين كما خلقوا، أمَّا آية الكهف فخلا سياقها من تلك الإشارة التي في الأنعام، فجاء سياق الآية بحذف ﴿فُرَٰدَىٰ﴾.

= وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئًا مدمرًا محسوبًا حسابًا دقيقًا مضبوطًا. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب).
[٤٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ما الفرق بين: "موعد، ميعاد، موعدة"؟ الجواب: (الموعد) ورد اسمًا للزمان واسمًا للمكان. ومن أمثلة اسم الزمان ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]. ومن أمثلة اسم المكان ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]. (الميعاد) لم ترد =
[٤٤] ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ قرئ: (الوَلاية- الوِلاية) بفتح الواو وكسرها، وتقدم في "الأنفال: ٧٢" أنها "بالفتح النصرة، وبالكسر من الإمارة أو ولاية السلطان. قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ قرئ: (الحقُّ) برفع الحق على القطع فهو خبر لمبتدأ محذوف، أو على أنه نعت للولاية، أي: الولاية ذات الحق ثابتة لله، وعلى الأول: الولاية ثابتة لله هو الحق. وقرئ: (الحقِّ) بجره على أنه نعت لله على حد قوله ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾. قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ قرئ: (عقْبًا-عقُبًا) بإسكان القاف وضمها وهما لغتان بمعنى العاقبة، فالضم هو الأصل، والإسكان للتخفيف كالعنْق والعنُق.
[٤٧] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ قرئ: (تُسيَّرُ الجبالُ) بضم التاء وياء مفتوحة مشددة، و(الجبال) بالرفع على أنه مضارع مبني للمجهول و(الجبال) نائب فاعل. وقرئ: (نُسيِّرُ الجبالَ) بضم النون وكسر الياء مشددة و(الجبال) بالنصب على أنه مضارع مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة و(الجبال) مفعول، وهو مناسب لقوله قبل: و(حشرناهم) و(إذ قلنا)، فهو من إخبار الله جل ذكره عن نفسه إذ هو فاعل كل الأفاعيل ومدبرها ومسيِّرها، فطابق أول الكلام على آخره. [٥١] ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ قرئ: (أشهدناهم) بنون وألف على الجمع للعظمة. وقرئ: (أشهدتُهم) بتاء مضمومة من غير ألف ضمير المتكلم، فهو إخبار من الله عز وجل عن نفسه أنه لم يحضر أحدًا من الظالمين معه عند خلق أي شيء من خلقه. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ﴾ قرئ: (كنتُ-كنتَ) بضم التاء على أنه ضمير المتكلم، وبفتحها على الخطاب، والمخاطب هو النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود نفي اتخاذه المضلين أعوانًا على نجاح دعوته، والمراد بالمضلين: هم الظالمون في قوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ والمعنى على هذا متصل بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾، وما بينهما اعتراض كأنه يقول: ما أشهدناهم خلق السماوات والأرض ولا خلق بعضهم لبعض حتى يقترحوا علينا ما يقترحون من إبعاد بعض الخلق، وما كنت متخذهم أعوانًا لك على =
[٤٦] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة. إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا =

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: خوّفنا ورجّينا، وبالغنا في البيان ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: ينفع الناس في الهداية والإيمان. ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خصومة ومراءً، لا يُنيب لحق، ولا ينزجر لموعظة. ٥٥- ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، في أمثالهم من الأمم المكذبة ﴿قُبُلًا﴾: فجاة ومعاينة. ٥٦- ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: ليبطلوا الحق الذي جاءهم به رسولي. ٥٧- ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الذنوب ﴿أَكِنَّةً﴾: اغطية، جمع: كِنان. ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: لئلا يفقهوه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً أن يسمعوه. ٥٨- ﴿مَوْئِلًا﴾: ملجأ يؤولون إليه. و«الموعد» هو يوم القيامة، وقيل: يوم بدر. ٥٩- ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: يعني: أهلك قومها، والمراد بها قُرى الأولين من عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم. ٦٠- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾: هو يوشع بن نون. وقيل ليوشع: فتى موسى لملازمته إياه ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا ازال اسير ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى بحر الروم وبحر القلزم، أي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. ومكان التقائهما في منطقة البحيرات المرّة وبحيرة التمساح. وقيل: مجمع البحرين: ملتقى خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: او اسير زماناً ودهراً، وقال عبد الله بن عمرو: «الحُقب»: ثمانون سنة. ٦١- ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نسي يوشع، واضيف النسيان إليهما كما قال: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وإنما يخرج من البحر الملح دون العذب. ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: يعني: الحوت ﴿سَرَبًا﴾: مسلكاً ومذهباً. وقيل: صار طريقه في البحر جامداً.

[٥٤] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء : ٨٩]، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الكهف : ٥٤]. آية سورة الإسراء جاءت بعد أمثال ضربت نحو: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢]، وبعد تخويف النبي ﷺ وتحذيره كتحذير الناس كلهم، إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ [الإسراء : ٧٣]، إلى قوله: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٥]، فقال بعده وقدّم الناس: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ تنبيهًا للناس، وليهتمّوا بتفهّمه، ويعنوا بتدبّره، ويقفوا عند أوامره، وينتهوا عن زواجره، فكان موضع الآية يقتضي تقديم الناس على عادة العرب في تقديم ما عنايتُهم بذكره أتم، وأمّا الثانية فإنها وقعت في السورة التي تقدم فيها ذكر أصحاب الكهف، وما سئل النبي ﷺ عن الإخبار به ممّا لم يقدر عليه إلّا بأن يوحى إليه... فقال في هذا المكان: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الكهف : ٥٤]، للدلالة على ماطلبوه من النبي ﷺ وما قد أوحى اللّه تعالى به إليه في كتابه، فكان تقديم ذلك في هذا المكان أولى، والله أعلم.

[٥٥] ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤]، ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ﴾ [الكهف : ٥٥]. جاءت آية سورة الكهف بزيادة ﴿ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ ﴾، لأنَّ ما في سورة الإسراء معناه: ما منعهم عن الإيمان بمحمد ﷺ إلّا قولهم: أبعث الله بشرًا رسولًا، هلاّ بعث مَلَكًا؟ وجهلوا أنَّ التّجانس يورث التآنس، والتغاير يورث التّنافر، وما في الكهف معناه: ما منعهم عن الإيمان والاستغفار إلّا إتيانُ سنَّة الأوّلين، قال الزَّجاج: إلاّ طلب سنَّة الأوّلين وهو قولهم: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ ﴾ [الأنفال : ٣٢]، فزاد: "ويستغفروا ربّهم"، لاتصاله بقوله: ﴿ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٨]، وهم قوم نوح، وصالح، وشعيب، كلّهم أمروا بالاستغفار، فلمّا خوّفهم سُنَّةَ الأوّلين أجرى المخاطبين مُجْراهم. قول آخر: انظر الإسراء : ٩٤. [٥٦] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ... ﴾ [الأنعام : ٤٨]، ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾ [الكهف : ٥٦]. الآيتان تبينان أنه ما نرسل رسلنا إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، وآية الأنعام توضح أنه من آمن وصدَّق الرسل وعمل صالحًا فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم...، وأمّا آية الكهف فتوضح أنه مع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنّتًا... [١٠٦،٥٦] ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف : ٥٦]، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف : ١٠٦]. الآية الأولى تقدمها: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾؛ فناسب ذلك: ﴿ وَمَآ أُنذِرُواْ ﴾، والآية الثانية تقدمها قصة موسى والخضر وذي القرنين وسؤال اليهود ذلك؛ فناسب: ﴿ وَرُسُلِي ﴾.

= إلا للزمان، فهي للزمان في كل المواطن التي أتت فيها (ولا يُمنع ورودها للمكان- لغةً- كما قال ابن منظور). (موعدة) اسم للعِدَةِ. وردت كلمة (موعد) اثنتي عشرة مرة، وكلمة (ميعاد) ست مرات، وكلمة (موعدة) مرة واحدة. (الميعاد) فيها زيادة المبني التي تدل على زيادة المعنى، ففيها توكيد أكثر من (موعد)، و(موعدة) لذا أضيفت كلمة (الميعاد) أربع مرات إلى لفظ الجلالة (الله). أما (موعد) فأضيفت إلى البشر في معظم المرات.

= التبليغ حتى تطيعهم في إبعاد من شاؤوا عن مجلسك. [٥٢] ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ ﴾ قرئ: (يقول) بياء الغيبة على أن الفعل مسند إلى ضمير يعود على الله، أو على ربك في قوله: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ وقرئ: (نقول) بالنون على أن الفعل مسند إلى ضمير العظمة وهو مناسب لقوله قبل؛ و(إذ قلنا)، ولقوله بعد: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾. [٥٥] ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ قُبُلًا ﴾ وقرئ: (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى مقابلة، أي: معاينة، ونصب على الحال وقيل: بمعنى ناحية وجهة، فنصبه على الظرف نحو: لي قبل زيد دين. وقرئ: (قُبُلًا) بضم القاف والباء جمع قبيل، كرغيف ورغف، ونصبه على الحال أيضًا، وقيل: بمعنى جماعة جماعة، وصنفًا صنفًا، أي: حشرنا عليهم كل شيء فوجًا فوجًا، ونوعًا نوعًا من سائر المخلوقات. [٥٦] ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ قوله: (هزوًا) أينما وقع وكذا (كفوًا) (بسورة الإخلاص) قرئ: بإبدال الهمزة التي هي الأصل في كليهما واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها وهو عين الفعل أو إسكانه. كما قرئ: (هزؤًا) بإبقاء الهمزة على أصله، ووجه إسكان العين أنه: لغة تميم، وأسد، وعامة قيس، ووجه ضمها أنه لغة الحجازيين. [٥٩] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ لِمَهْلِكِهِم ﴾ فيها ثلاث قراءات: =

= والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة (٦٥) مرة.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٢- ﴿نَصَبًا﴾: عناءً وتعبًا. ٦٣- ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾: اتخذ الحوت سبيله عجبًا للناس. قيل: وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات وأكل شِقُّه، ثم يثبُ إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها حركة ماء البحر. ٦٤- ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: رجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ﴿قَصَصًا﴾: يقصان آثارهما، أي يتبعانها، إلى مدخل الحوت. ٦٥- ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: روي أنه الخضر عليه السلام. وهو قول جمهور المفسّرين، وهو عندهم نبيّ، وقيل: هو عبدٌ صالحٌ غير نبي. ٦٦- ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: رشادًا إلى الحق ووقوفًا على الخير ودليلًا على هدى. وفي سؤال موسى عليه السلام ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب؛ لأنه استأذنه أن يكون تابعًا له على أن يعلمه مما علمه الله تعالى من العلم. ٧٠- ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: حتى أكون المبتدئ لك بذكره، وبيان وجهه. ٧١- ﴿خَرَقَهَا﴾: بعد ما لجت في البحر ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أمرًا عظيمًا، وشيئًا منكرًا. ٧٣- ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾: يقول: لا تُضيق عليَّ أمري معك، وصحبتي إياك. يقال: أرهقته عسرًا؛ إذا كلّفته ذاك. ٧٤- ﴿نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾: مطهرة لا ذنب لها، ولم تذنب قط ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: لم تقتل نفسًا فيقتص منها. ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾: بشيء منكر، وفعلت فعلًا غير معروف. و«النكر»: أشد من «الإمر».

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ٢٢]. الفاء للتعقيب وثم للتراخي، وما في سورة الكهف في الأحياء من الكفار، أي: ذُكِّروا فأعرضوا عقيب ما ذكِّروا، ونَسُوا ذنوبهم، وهم بعدُ متوقَّع منهم أن يؤمنوا، وما في السّجدة في الأموات من الكفار؛ بدليل قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، أي: ذُكِّروا مرَّة بعد أخرى، وزمانًا بعد زمان بآياتِ ربِّهم ثم أعرضوا عنها بالموتِ، فلم يؤمنوا، وانقطع رجاءُ إيمانهم. [٥٨] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم ...﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ...﴾ [الكهف: ٥٨]. وربك أيها الرسول الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى... فهذا ما دلت عليه الأنعام، أمّا آية الكهف: وربك الغفور لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، لو يعاقب هؤلاء المعرضين عن آياته بما كسبوا من الذنوب والآثام لعجّل لهم العذاب... [٦١، ٦٣] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [أول الكهف: ٦١]، ﴿... وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [ثاني الكهف: ٦٣]. الفاء في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ للتعقيب والعطف، فكان اتخاذ الحوت للسبيل عقيب النِّسيان، فذكِر بالفاءِ، وفي الثانية لمَّا حيل بينهما بقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾، زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرّد وحرفه الواو فقال: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، والآية الأولى من كلام الله تعالى، فقال في آخرها: ﴿سَرَبًا﴾، والسرب هو المسلك والمنفذ، وهذا الأمر يسير على الله تعالى، فهو سبحانه يقول للشيء كن فيكون، وأما الآية الثانية فمن كلام الغلام عندما رأى هذا الأمر الخارق عن العادة فقال: ﴿عَجَبًا﴾، وتأمل، فهذا من دقائق القرآن الكريم. [٧١، ٧٤] ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]. قال في الموضع الأول: ﴿إِمْرًا﴾، لأنه للعجب، والعجب كما يكون في الخير، يكون في الشرّ، وقاله بعد في قتل الغلام بلفظ: ﴿نُّكْرًا﴾؛ لأنه لا يكون إلا في الشرّ، وقتلُ النفس أعظمُ من مجرَّد خرق السفينة، فناسب كلٌّ ما هو فيه. [٧٢، ٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥]. في الآية الأولى قصد بها الخضر تذكير موسى عليه السلام بوصيته له وبما شرطه عليه، فخاطبه بلطف وأدب، وفي الآية الثانية كرر موسى الإنكار، لمّا رأى قتل الغلام، فشدد عليه الخضر، وأكد كلامه بقوله: ﴿لَّكَ﴾ زيادة في عتابه عليه بترك الوصية مرة ثانية.

[٦٤] ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]. ما الحكمة من إثبات ياء "نبغي" في سورة يوسف وحذفها في سورة الكهف؟ في سورة يوسف جاء إثبات الياء على الأصل، وذلك لبيان أن ذلك هو غاية ما يريدونه ويطلبونه، فالطعام الذي أحضروه من مصر هو المُراد لذاته، فناسب كمال تمام الحرف كمال تمام الغاية، أما في سورة الكهف فلم يكن فقدان الحوت هو الغاية والهدف الرئيس، لأن غايته هي الالتقاء بالخضر، فكان الفقدان وسيلة وليس غاية، فناسب نقصان تمام الحرف نقصان تمام الغاية. [٧١، ٧٤] ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ [الكهف: ٧٤]. ما السبب في تنكير الغلام وتعريف السفينة؟ الجواب حسب التفاسير: أن الخضر وموسى عليهما السلام لم يجدا سفينة لما جاءا إلى الساحل، ثم جاءت سفينة مارّة فنادوهما، فعرفا الخضر فحملوهما بدون أجرٍ، ولهذا جاءت السفينة معرّفة لأنها لم تكن أية سفينة، أما الغلام فهما لقياه في طريقهما وليس غلامًا محددًا معرّفًا. [٧١] ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]. بادر موسى عليه السلام بالإنكار؛ التهابًا وحمية للحق فقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، ولم يقل "لتغرقنا"، فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول: نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم.

= الأولى: (لِمُهْلَكِهِم) بضم الميم وفتح اللام على أنه مصدر ميمي من أهلك، أي: وجعلنا لإهلاكهم موعدًا. الثانية: (لِمَهْلَكِهِم) بفتح الميم واللام على أنه مصدر ميمي قياسي من هلك. الثالثة: (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم وكسر اللام على أنه مصدر ميمي قياسي من هلك، والمعنى عليهما: وجعلنا لهلاكهم موعدًا، ومثلها: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ "بالنمل: ٤٩" فيها هذه الثلاث. [٦٦] ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قوله تعالى: ﴿رُشْدًا﴾ قرئ: (رَشَدًا) بفتح الراء والشين على أنه مصدر رشد يرشد رشدًا من باب تعب. وقرئ: (رُشْدًا) بضم الراء وسكون الشين مصدر سماعي من رشد يرشد، وهما لغتان بمعنى واحد، والمعنى: أن تعلمني أمرًا ذا رشد وعلمًا ذا رشد مما علمته. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ قرئ: (تسألَنِّي) بتشديد النون على أنها =

[٥٦] ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، =

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

٧٦- ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: قد بلغت العذر في شأني. ٧٧- ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: استضافاهم، ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾: وكانوا أهل قرية لئاماً ﴿جِدَارًا﴾: حائطاً ﴿أَن يَنقَضَّ﴾: أن يسقط وأن ينهدم. ومعنى الانقضاض... السقوط بسرعة. وجعل الإرادة للجدار، ولا إرادة حقيقية له، إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت عليه كما تظهر أفعال المريدين القاصدين. فوُصف بالإرادة كما قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [سورة الأعراف ١٥٤] والغضب لا يسكت. ﴿فَأَقَامَهُ﴾: فسوّاه وعدّل ميله. ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: لو شئت لم تقمه، حتى يقرونا، فإنهم قد أبوا أن يقدموا لنا الطعام. ٧٨- ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ﴾: بما تؤول إليه عاقبة أفعالي التي أنكرتها، ولم تستطع السكوت عنها. ٧٩- ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم﴾: أمامهم، كقوله عز وجل: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ وهي بين أيديهم، و"وراء" من أسماء الأضداد ؛ وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في الرجوع عليه. ﴿مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: أي كل سفينة صالحة، وإنما عبتها لأرده عنها. ٨٠- ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾: يُغشيهما ﴿طُغْيَانًا﴾: هو الاستكبار على الله تعالى. ٨١- ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾: ولدا أبرّ بهما من المقتول ﴿زَكَاةً﴾: صلاحاً وديناً ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أبرّ بهما. ومعنى: الرُّحم: الرحمة، يقال: رحمه الله. ٨٢- ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾: كنز مال، والكنز هو المال المجموع أو المدفون. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يُذكر منهما صلاح. وقيل: كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء، وكان نسّاجاً. والله أعلم.

[٧٨، ٨٢] ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف : ٧٨]، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف : ٨٢]. سبب مجيء الفعل "تَسْتَطِع" في الأول، لأنه الأصل، وجاء في ختام القصة "تَسْطِع" على التخفيف، لأنه الفرع. وقد ذكر الألوسي أن الحذف للتخفيف لما تكرر في القصة فناسب ذلك، وذكر تعليلًا آخر للفظ "تَسْطِع" وهو: أنه لما خفّ على موسى عليه السلام ما لقيه ببيان سببه، خص بذلك. وهذا توجيه فيه تأمل وبعد نظر؛ لأنه بني على هذه الملاحظة اللطيفة، وهي أن موسى عليه السلام لما فسّر له الخضر ما كان مبهمًا، لا يعرف له وجهًا خفّ عنه ما كان يعانيه من أفعال غريبة عليه. وشيء آخر يهدينا إليه تعليل الألوسي، وهو أن اللفظ المخفف وقع عليه النفي، يعني نفى عنه الاستطاعة المخففة، أي: هو لم يصبر ولم يتحمل أي قدر من التحمل، لأنه عليه السلام كان يبادر الخضر بالاستنكار والتعجب: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ...﴾ [الكهف : ٧١]، ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾ [الكهف : ٧٤]، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ...﴾ [الكهف : ٧٧]، والخضر قد اشترط عليه إن صاحبه ألا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرًا، فيقول له في المرة الأولى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ...﴾ [الكهف : ٧٢]، وفي المرة الثانية: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٥]، وفي هذه المرة زاد حرف اللام للتوكيد، وهو فيها يكرر نفي الاستطاعة، وفي النهاية ذكر أنه لم يسطع أي قدر من الاستطاعة.

[٧٩] ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف : ٧٩]، ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف : ٨١]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا﴾ [الكهف:٨٢]. إن هذا حُسْنُ أدب من الخضر مع الله تعالى؛ أمَّا في الأول: فإنه لما كان عيبًا نسبه إلى نفسه، وأمَّا الثاني: فلما كان يتضمن العيب ظاهرًا وسلامة الأبوين من الكفر ودوام إيمانهما باطنًا قال: "أردنا"، كأنه قال: أردت أنا القتل وأراد الله سلامتهما من الكفر وإبدالهما خيرًا منه، وأمَّا الثالث: فكان خيرًا محضًا ليس فيه ما يُنكَرُ لا عقلًا ولا شرعًا؛ فنسبه إلى الله وحده فقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾. [٧٦] ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف : ٧٦]، ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد : ٣٧]. لماذا جاء الفعل بسورة محمد بصيغة المضارع وبسورة الكهف بصيغة الماضي؟ الجواب: جاء الفعل بسورة محمد ﷺ بصيغة المضارع؛ لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع الذي يدل على التكرار، وأما آية الكهف فالسؤال بها حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي الذي يدل على عدم التكرار .

= نون التوكيد كسرت لمناسبة الياء، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد. وقرئ: (تسألْني) بتخفيف النون وإسكان اللام على أن الفعل معرب والنون للوقاية، ويحذف الياء للتخفيف اكتفاء بكسرة ما قبلها، وبإثباتها على الأصل واتباعًا لخط المصحف إذ هي ثابتة في الخط. [٧١] ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرئ: (لتُغرِق أهلَها) بتاء مضمومة وكسر الراء، و(أهلها) بالنصب على أن الفعل مسند إلى ضمير المخاطب، وهو مضارع من أغرق، و(أهلها) مفعول. وقرئ: (ليَغرَق أهلُها) بياء وراء مفتوحتين و(أهلها) بالرفع على أنه مضارع من غرق الثلاثي، و(أهلُها) فاعل فهو بمنزلة مات زيد لأنه أمر دخل عليهم من غير اختيار منهم له. [٧٣] ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿عُسْرًا﴾ قرئ: (عسُرًا) بضم السين، وقرئ: (عسْرًا) بسكون السين، وهما لغتان. [٧٤] ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿زَكِيَّةً﴾ قرئ: (زاكية) بمد الزاي وبياء خفيفة اسم فاعل، وزكا يزكو بمعنى طهر. وقرئ: (زَكِيَّة) بدون مد وياء مشددة على وزن فعيلة صيغة مبالغة من الزكاة، بمعنى: الطهارة أيضًا، وقيل: زكية بمعنى: أنها لم تبلغ الخطايا، وقيل: مطهرة فزاكية، وزاكية بمعنى: صالحة تقية. قوله تعالى: ﴿نُّكْرًا﴾ في الموضعين: ٧٤، ٨٧، بالكهف والطلاق: ٨، قرئ: (نكُرا) بضم الكاف. وقرئ: (نكْرا) بسكون الكاف، وهما لغتان. [٧٦] ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَّدُنِّي﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: (لَدُنِّي) بضم الدال وتشديد النون على أنه الأصل في "لدن" من ضم الدال وسكون النون والإدغام للتماثل، وألحقت نون الوقاية بهذه الكلمة لتقي السكون الأصلي في البناء من الكسر. الثانية: (لَدُنِي) بضم الدال وتخفيف النون على الأصل في ضم الدال وحذف نون الوقاية اكتفاء بكسر النون الأصلية لمناسبة الياء. الثالثة: (لَدْنِي) بإسكان الدال مع الإشارة بالشفتين للمح الأصل، وتخفيف النون لما سبق من حذف نون الوقاية، واكتفاء بكسر النون الأصلية لمناسبة الياء. الرابعة: (لَدْنِي) كذلك لكن =

= إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧ أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

٨٤- ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: مما يتعلق بمطلوبه ﴿سَبَبٗا﴾: طريقاً يتوصل بها إلى ما يريده. والسبب: ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة. ٨٥- ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب. ٨٦- ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾: ذات حمأة وطين أسود. وقيل: في عين حارة. ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: يقول: إما أن تعذبه -قيل: بالقتل!- إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله تعالى، وما تدعوهم إليه من طاعته. ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾: أن تأسرهم وتبصرهم الرشاد، وتعلمهم الشرائع. ٨٧- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾: كفر ﴿فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: نعاقبه، وقيل: نقتله. ﴿عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾: عظيماً، وهو عذاب جهنم. ٨٨- ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: قيل: له الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾: معروفاً. وقيل: عنى بذلك: سنُعلِّمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يُقرِّبه إلى الله تعالى. ٨٩- ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾: طرقاً ومنازل. ٩٠- ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾: يسترهم من البيوت أو من اللباس، وقيل: هم حفاة عراة لا يأوون إلى شيء من العمارة، بل هم في أرض لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل البناء فيسكنوا في البيوت، فإذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب، فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معايشهم! ٩١- ﴿بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾: علماً. ٩٣- ﴿بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾: الجبلين. و«السَّدُّ» و«السُّدُّ» جميعاً: الحاجز بين الشيئين، وهما جبلان سد ما بينهما، فردم ذو القرنين حاجزاً ما بين يأجوج ومأجوج وما وراءه، ليقطع عبثهم وفسادهم عنهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾: يعني: قول قائل سوى كلامهم. ٩٤- ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾: أي جُعلاً وأجراً، نخرجه من أموالنا، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾: حاجزاً يمنعهم من الخروج إلينا. ٩٥- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾: ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خَرْجكم وأموالكم. ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفَعَلة وصُنّاع يُحسنون البناء ﴿رَدۡمًا﴾: حاجزاً. ٩٦- ﴿زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾: قطع الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾: بين الجبلين، والصدفان: جانبا الجبل إذا تحاذيا، لأنهما يتصادفان، أي يتقابلان، ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾: النار. ﴿قِطۡرٗا﴾: نحاساً مذاباً. ٩٧- ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾: يعلوه لارتفاعه. ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: لبعد عرضه وقوته.

[٨٥، ٨٩، ٩٢] ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩، ٩٢]. "الفاء" تفيد الترتيب والتعقيب، و"ثم" تفيد الترتيب والتراخي، وفي سورة الكهف الكلام عن ذي القرنين، ففي الآية الأولى ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾، لم يذكر قبلها أن ذي القرنين كان في حملة أو في مهمة معينة، وإنما جاء قبلها ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف: ٨٤]، هذا في الجملة الأولى ولم يكن قبلها شيء، وإنما حصل هذا الشيء بعد التمكين لذي القرنين مباشرة، أمّا في الجملة الثانية ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾، فهذه حصلت بعد الحالة الأولى بمدة، ساق ذو القرنين حملة إلى مغرب الشمس، وحملة أخرى إلى مطلع الشمس، وحملة أخرى إلى بين السدين، وهذه الحملات كلها تأتي الواحدة بعد الأخرى بمدة وزمن، ولهذا جاء استعمال "ثم" التي تفيد الترتيب والتراخي.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٧]. من قدر على أعدائه وتمكن منهم، فلا ينبغي له أن تسكره لذة السلطة بسوقهم بعصا الإذلال، وتجريعهم غصص الاستعباد والنكال، بل يعامل المحسن بإحسانه، والمسيء بقدر إساءته.

[٩٦] ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٦]. في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون وما هم عليه.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [الكهف: ٩٧] "استطاع" هو الأصل، وقد تحذف التاء أو الطاء تخفيفًا، فجيء أولًا بالفعل مخففًا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففًا مع الأخف.

= مع اختلاس حركة ضمة الدال، ووجهها: قصد التخفيف على ما سبق، مع الإشارة بالاختلاس إلى الأصل. [٧٧] ﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ قوله تعالى: ﴿لَتَّخَذۡتَ﴾ قرئ: (لَتَخِذت) بتاء خفيفة بعدها خاء مكسورة على أنه ماض على وزن فعل يفعل، يقال: اتخذ يتخذ من باب علم. وقرئ: (لَتَّخذت) بتاء مشددة بعد اللام بعدها خاء مفتوحة على أنه ماض على وزن افتعل من اتخذ، أدغمت تاء الافتعال في فائه للتماثل ومنها: إدغام الذال في التاء وإظهارها مع التخفيف. [٨١] ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ قوله تعالى: ﴿يُبۡدِلَهُمَا﴾ قرئ: (يُبْدِلها) بسكون الباء وتخفيف الدال مضارع من أبدل متعد بالهمزة. وقرئ: (يبَدِّلها) بفتح الباء وتشديد الدال مضارع من بدَّل متعد بالتضعيف، وكذا في "التحريم: ٥" في ﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ﴾، وفي سورة "القلم: ٣٢": ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا﴾ وفي "النور: ٥٥" ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾. قوله تعالى: ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ قرئ: (رحُمًا-رحْمًا) بضم الحاء وإسكانها وهما لغتان، الإسكان: لغة أسد وتميم وعامة قيس، والضم: لغة الحجازيين، وقيل: الضم هو الأصل والإسكان للتخفيف، وقيل: الإسكان هو الأصل والضم للإتباع. [٨٥] ﴿أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ قوله تعالى: ﴿أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ الثلاثة قرئ: (أَتْبع) بقطع الهمزة وسكون التاء ويلزمه التخفيف، ماض على وزن أفعل متعديًا بالهمزة؛ وهل يتعدى لواحد أو لاثنين؟ اختلف فيه: فعلى أنه متعد لواحد فـ"سببًا" مفعول، وعلى أنه متعد لاثنين فـ"سببًا" مفعول ثان، والأول محذوف تقديره: "وأتبع أمره سببًا" ليوصله إليه. وقرئ: (اتَّبع) بوصل الهمزة بعدها تاء مشددة مفتوحة ماض على وزن افتعل من اتبع، أدغمت تاء الافتعال في فاء الكلمة وهي بمعنى: أتبع فهما لغتان بمعنى واحد، وقيل: إن أتبع معناه اقتفى أثره إذا قصد اللحاق به. [٨٦] ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا﴾ قوله تعالى: ﴿حَمِئَةٖ﴾ قرئ: (حَمِئة) بميم مكسورة بعد الحاء وبعدها همزة على وزن فَعِلة صفة مشبهة من حمئت البئر إذا كان فيها الحمأ، وهو: الطين الأسود، أي: ذات حمأة، وقد سأل معاوية كعبًا فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال: تغرب في ماء وطين، فهو يدل على الهمز. وقرئ: (حامية) بألف بعد الحاء وياء بعد الميم من غير همز، على وزن فاعلة اسم فاعل من حمئت البئر أيضًا، وأصله: حامئة، أبدلت الهمزة ياء، فتتحد القراءتان، أو اسم فاعل من قولهم: حميت الشمس إذا اشتدت حرارتها، أو من: حمي يحمي، فمعنى كونها حامية: حارة، ولا تنافي بين القراءتين إذ لا مانع من أن تكون العين ذات طين أسود وفيها حرارة. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: "أتدري أين تغرب الشمس؟" فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم، فقال: "إنها تغرب في عين حامية"، أخرجه أبو داود وغيره، وصححه الألباني، وروى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه نظر إلى الشمس حين غابت فقال: "في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض"، أخرجه أحمد، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. [٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿جَزَآءً﴾ قرئت: بنصب (جزاء) مع التنوين على أنه حال من الحسنى، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٩٨- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: يوم القيامة. وقيل: الموعد الذي جعله ميقاتاً لظهور يأجوج ومأجوج، وخروجها منه ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: سوّاه بالأرض، ومعناه: مدكوكاً. ٩٩- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾: يعني تعالى: عباده يوم يأتيهم وعده ﴿يَمُوجُ﴾: بعضهم ﴿فِي بَعْضٍ﴾: أي كموج الماء، والمعنى: أنهم يضطربون ويختلطون. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: قيل: هو قرن ينفخ فيه النفخة الأولى نفخة الفزع، والنفخة الثانية نفخة الصعق، والنفخة الثالثة القيام لرب العالمين. ١٠١- ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾: لا ينظرون في آيات الله تعالى ولا يتفكرون فيها، يعني: الكافرين : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لا يُطيقون ان يسمعوا ما ذكرهم الله عز وجل به، ولا يعقلون. ١٠٢- ﴿أَفَحَسِبَ﴾: أفظن ﴿أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: يعني: من عبد عيسى والملائكة، وهم عِبادُ الله، لم يكونوا للكفار أولياء بل هم أعداء ﴿نُزُلًا﴾: منزلاً. ١٠٣- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾: نُخبركم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾: قيل هم الرهبان والقسيسون. وقيل: اليهود والنصارى. ١٠٤- ﴿صُنْعًا﴾: عملاً. ١٠٥- ﴿فَحَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: لا تثقل موازينهم، لأنها لا تثقل إلا بالأعمال الصالحة. ١٠٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: صدقوا بالله ورسوله وما جاء به ﴿جَنَّاتُ﴾: بساتين ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾: وسط الجنة وأفضلها. وقيل: هي سرة الجنة ﴿نُزُلًا﴾: منزلاً. ١٠٨- ﴿خَالِدِينَ﴾: باقين ﴿لَا يَبْغُونَ﴾: لا يريدون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾: متحولاً. ١٠٩- ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾: للقلم الذي يكتب به ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾: كلامه وحكمه. وتدل الآية على أن كلمات الله لا تنفد. ١١٠- ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: قيل: إنما يكون جاعلاً له شريكاً بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه لله عز وجل، وهو يريد به غيره. وهذا هو الرياء، أو الشرك الأصغر، علماً بأن الشرك الجلي الذي كان يفعله المشركون داخل تحت هذه الآية، والله أعلم.

[١٠٩] قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ الآية. أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال اليهود: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا فنزلت ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ الآية. [١١٠] قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه شيئًا حتى نزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أخرجه الحاكم في المستدرك موصولاً عن طاوس عن ابن عباس صححه على شرط الشيخين. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية، وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قال جندب بن زهير، إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس له، فنزلت في ذلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية.

[١٠٦] ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ [الإسراء : ٩٨]، ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الكهف : ١٠٦]. اقتصر في سورة الإسراء على الإشارة؛ لتقدّم ذكر جهنّم، ولم يقتصر عليها في الكهف وإن تقدم ذكر جهنّم، بل جَمَع بين الإشارة والعبارة لمّا اقترن بقوله: "جنّات" فقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الكهف : ١٠٦]، ثمّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف : ١٠٧]، ليكون الوعد والوعيد كلاهما ظاهرين.

= وجيء به تامًا مستوفى مع الأثقل فتناسب.. وأيضًا فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى... والله أعلم. [٨٨] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف : ٨٨]. انظر لعدله وعلمه بالله، قال: أما الظالمين فسنعذبهم لكن عذابنا ليس بشيء، أما العذاب النكر فيوم يلقون ربهم، وأما من آمن واتبع الصالحات، فلا نملك له إلا القول الطيب، ثم ينال يوم القيامة من عطاء الرحمن، وفيض المنان ما الله به عليم.

= على رأي سيبويه، أو حال من الضمير المستكن في الخبر العائد إلى الحسنى على رأي الجمهور، والتقدير: فله الحسنى حال كونها مجزيًا بها، أو حال من الضمير البارز المجرور باللام، والتقدير: "فلمن آمن وعمل صالحًا الحسنى حال كونه مجزيًا" ويجوز نصبه تمييزًا. وقرئ: (جزاءُ) برفع جزاء بلا تنوين على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله مضافًا إلى ما بعده وحذف التنوين للإضافة، و(الحسنى) إن كانت بمعنى الجنة فالإضافة للبيان، أي: فله جزاء هو الحسنى، وإن كانت صفة بمعنى الحسنة، فالإضافة من إضافة المسبب إلى السبب، وتقدير الكلام: "فله جزاء الحال الحسنة" أي: الحسنى، أو فله جزاء الكلمة الحسنى، وهي كلمة التوحيد. قوله تعالى: ﴿يُسْرًا﴾ قرئ: (يسُرًا) بضم السين، وقرئ: (يسْرًا) بإسكان السين، وهما لغتان. [٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قوله تعالى: ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وكذا: ﴿سَدًّا﴾ هنا وفي "يس : ٩" قرئ: (السُّدين-السَّدين) بضم السين وفتحها وهما لغتان، وقيل: بالفتح لفعل المخلوق، وبالضم: اسم لفعل الخالق، وعلل بأن المفتوح مصدر فهو دال على الحدوث، والمضموم اسم فهو نسبة لفعل الخالق، والصحيح: أنه لا فرق بينهما لتواتر القراءتين في فعل المخلوق والخالق، وقال أبو عبيدة: كل شيء من فعل الله جل ذكره كالجبال والشعاب فهو (سُد) بالضم، وما بناه الآدميون فهو (سَد) بالفتح. قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرئ: (يَفقَهون) بفتح الياء والقاف على أنه مضارع من فَقِه من باب عَمِيَ بمعنى لا يكادون يفقهون قولًا من غيرهم. وقرئ: (يُفقِهون) بضم الياء وكسر القاف على أنه مضارع من فَقَّه بمعنى: أفهم متعد لمفعولين، و(قولًا) هو المفعول الثاني، والأول: محذوف تقديره: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفقهون أحدًا قولًا، فالقراءة الأولى: تنفي قدرتهم على فهم الخطاب، والثانية: تنفي قدرتهم على الإفهام لغيرهم لعجمة الكلام. [٩٤] ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ (يأجوج): مَنْ هَمَزَه جعله عربيًا مشتقًا من (أجت النار إذا استعرت) أو من الأجاج وهو الماء الحار، أو من الأجة وهي شدة الحر، ووجه ترك الهمزة: أنه يجوز أن يكون أصله الهمز على الاشتقاق الذي ذكر ثم خفف همزه، ويجوز أن يكون لا أصل له في الهمز وهو من "يج" ولم يفسرها من قال ذلك، و(مأجوج) من مَجَّ الماء إذا ألقاه من فيه، و﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسمان لقبيلتين، وهما ممنوعان من الصرف للعجمة والعلمية. قوله تعالى: ﴿خَرْجًا﴾ قرئ: (خرْجًا-خرَاجًا) بسكون الراء ويلزم قصرها، وبفتحها مع المد لغتان بمعنى واحد، وقيل: المقصود مصدر خرج فهو الجعل، كأنهم قالوا له: نجعل لك جعلًا ندفعه إليك الساعة من أموالنا مرة واحدة على أن تبني بيننا وبينهم سدًا بما يخرج من المال، وقيل: المقصور ما يجعل من المال من غير قصد التكرار، والممدود ما يضرب =

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

١- ﴿كهيعص﴾: قال المفسرون: هو اسم من أسماء القرآن. وقيل: بل هو مثل «الٓمٓر»، و«الٓر» من حروف المعجم، وقد مضى القول فيه. ٢- ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: ارتفع «الذكر»، بإضمار «هذا» بمعنى: هذا ذكر رحمة ربك عبده، ﴿زَكَرِيَّا﴾: يعني: إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد. ٣، ٤- ﴿خَفِيًّا﴾: سراً. وقيل كان في جوف الليل. ﴿وَهَنَ﴾: ضعف ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: يقول: وانتشر الشيب في الرأس ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: يقول: وقد كنت تُعرِّفني الإجابة فيما مضى؛ اي لم تخيبني في دعائي في وقت من الأوقات. ٥- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾: خفت بني عمّي وعصبتي من بعدي أن يرثوني. وقيل: كان مواليه مهملين للدين، فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب وليًّا يقوم به من بعده ﴿عَاقِرًا﴾: لا تلد؛ يقال: رجل عاقر وامرأة عاقر، بلفظ واحد. ٦- ﴿يَرِثُنِي﴾: مالي من بعد وفاتي ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾: العلم والنبوة. ﴿رَضِيًّا﴾: في دينه وخلقه، وهو «فعيل» صرف إليه من «مفعول». ٧- ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: لم يُسم أحد بـ«يحيى» قبله. ٨- ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: من أي وجه يكون لي غلام وامرأتي لا تحمل، أبأن تجعل زوجي ولوداً -وأنت القادر على ذلك-، أم بأن أنكح غيرها؟ ﴿عِتِيًّا﴾: كل مُتناهٍ إلى غاية من كبر أو فساد فهو عاتٍ، وعاسٍ. ومعنى سؤاله: التعجب من قدرة الله وبديع صنعه؛ حيث يأتي ولد من امرأة عاقر وشيخ كبير. ٩- ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: كناية عن خلق الغلام. ١٠- ﴿آيَةً﴾: دليلاً ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: وأنت صحيح من غير مرض، فانتصاب «سوياً»: على الحال، وقيل: عوقب بحبس لسانه، إذ سأل الآية بعد مشافهته الملائكة بذلك مشافهةً. ١١- ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾: أوما وأشار.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٨]. الطبيعي أن ينظر المرء لعلة نفسه أولًا، لذلك قدم ذكر الكبر أولًا في آية آل عمران، وقدم ذكر المرأة وأخر الكبر في آية مريم، لأنه كان تقدم ذكر الكبر فيها قبل ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. [١٠] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]. ذكر في آل عمران ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي مريم ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها، وفي آل عمران ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾، والرمز يفهم منه الإشارة دون النطق، كالإشارة بالعين واليد، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل؛ لأن الرمز لا يكون واضحًا بالليل.

[٢-٣] ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٢ - ٣]. ما الفرق بين "النداء والدعاء"؟ الجواب: أولًا: النداءُ في القرآن: جاء "النداء" في القرآن على أحوال، هي: ١- إسناد النداء إلى الله. ٢- النداء بين العباد بعضهم لبعض. ٣- نداء من الملائكة للناس. ٤- نداء من الله تعالى للناس. ٥- طلب الإقبال إلى الصلاة سمّاهُ القرآنُ نداءً. ٦- طلب الإقبال للإيمان سمّاهُ القرآنُ نداءً. سؤال: لم كان النداء بـ(رب) دون اسم الجلالة (الله)؟ قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ وليس «ونادى نوحٌ الله». والجواب: أن المنادي راج لله، و«رب» هو عنوان الإنعام والتفضل ولذلك تعلّق به الدعاء، كما أن «رب» تتعلق بأفعال العباد كلهم من مؤمن وكافر، وكأن الله سبحانه بذلك يُقرر حقيقةً هامةً وهي دعوة المؤمن والكافر، كما أن المشركين يؤمنون بوجود الرب جل في علاه لكنهم يشركون به، ولفظة «رب» تشمل كل مظاهر الربوبية من خلق ورزق وتدبير وإحياءٍ وإماتةٍ ونفعٍ وضر. لم النداء وليس الدعاء؟!! ذكر تعالى أقوال الرسل والأنبياء، ومناداتهم ربهم، ولكن بلفظ «النداء» وليس «الدعاء». قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾، وليس «أيوب إذ دعا ربه» فكيف ذلك؟ وما تفسيره وحكمته؟!! والجواب: أن الرسل كلهم كانوا في مناداتهم ربهم جل جلاله يخضعون لظروفٍ واحدةٍ من الشدة والكرب العظيم والبلاء المبين، فنادى كلٌّ منهم ربه رافعًا صوته، وهذا هو الأصل في النداء (أي رفع الصوت) فهو أخصُّ من الدعاء، ورغم أن النداء يكون للبعيد واللهُ قريب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فالتباعدُ هنا هو تباعد رتبة وقدر ومكانة وعلوّ وليس تباعد مكان... ومن هنا نعرف!! أن النداء يختلف عن الدعاء وله خواصٌّ تختلف عن الدعاء، بل هو أخصُّ وأصفى وأخلص وأظهر تفاؤلًا وأنقى معنًى... رغم أن كلًّا من الدعاء والنداء عبادةٌ وفيه خيرٌ.

= على الرأس أو الأرض مع التكرار في كل عام، أي: فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت نتفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سدًا، وكذلك قرئ: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ بسورة "المؤمنين: ٧٢" ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾. [٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَكَّنِّي﴾ قرئ: (مكنني) بنونين خفيفتين على أن الأولى: لام الفعل، والثانية: نون الوقاية، والأصل: الإظهار لتحرك المثلين ولعدم لزوم الثاني منهما، ولأنها هكذا في مصحف المكيين. وقرئ: (مكنّي) بنون واحدة مشددة على إدغام لام الفعل في نون الوقاية لوجود مسوغ الإدغام وهو التماثل. [٩٦] ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ﴾ وكذا ﴿قَالَ آتُونِي﴾ قرئا: (ءاتوني) بقطع الهمزة مفتوحة بعدها ألف على أنه أمر من آتى بمعنى أعطى، فالفعل متعد لمفعولين: ضمير المتكلم، و﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. وقرئ: (ائتوني) بهمزة وصل تثبت في الابتداء مكسورة بعدها ياء مبدلة من فاء الفعل، وتسقط في الوصل، ويلزم كسر التنوين الذي قبلها في الكلمة الأولى وصلًا لالتقاء الساكنين، تقول: ائتوني، وبعد اللام في الكلمة الثانية همزة ساكنة تقول: قال: ائتوني على أنه أمر من أتى بمعنى جاء، فلم يعدَّ الفعل ائتوني إلى مفعول، و﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ معدى إليه بحرف جر مضمر تقديره: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾. قوله تعالى: ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ فيه ثلاث قراءات: الأولى: (الصَّدَفين) بفتحتين في الصاد والدال. والثانية: (الصُّدُفين) بضمتين. والثالثة: (الصُّدْفين) بضم فسكون، وكلها لغات، والفتح: لغة تميم، وضم الحرفين: لغة حمير كما في الألوسي، ونقل الفرّاء: أن الفتح: لغة الحجازيين، والضم: لغة القرشيين، والإسكان: لغة غيرهم. [٩٧] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿اسْطَاعُوا﴾ قرئ: (اسطّاعوا) بطاء خفيفة بعد السين على حذف تاء الافتعال وأصله=

نزول سورة مريم: نزلت بعد سورة فاطر، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة مريم: ألف ومائة واثنتان وتسعون. عدد حروف سورة مريم: ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان. أسماء سورة مريم: ولهذه السّورة اسمان: سورة كهيعص؛ لافتتاحها بها، وسورة مريم، لاشتمالها على قصّتها مفصّلة. مواضيع سورة مريم: مقصود السّورة

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

١٢- ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد وعزيمة ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: الفهم لكتاب الله عز وجل. وهو التوراة ١٣- ﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة ﴿وَزَكَوٰةً﴾: طهارة من الذنوب. ١٤- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾: مسارعاً في طاعتهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: مستكبراً ذا عصيان. ١٥- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾: سلم الله عز وجل عليه، في هذه الأحوال العصيبة ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: يقول عز وجل: وأمان من الله تعالى له من فتنة القبر، ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: يوم القيامة. وقيل إن عيسى عليه السلام قال له: «أنت خير مني، سلّم الله عليك، وسلّمتُ على نفسي». ١٦- ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾: اعتزلت ﴿شَرْقِيًّا﴾: قِبَل مشرق الشمس، قيل: فاتخذت النصارى الشرق لذلك قبلة. ١٧- ﴿رُوحَنَا﴾: جبريل عليه السلام ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾: في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق. ١٨- ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ﴾: أستجير ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾: ذا تقوى، أن تنال مني ما حرّم الله عز وجل. ١٩- ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: يقال: زاكٍ وزكيٌّ، وهو الطاهر من الذنوب، وجعل الهبة من قبله لكونه سبباً فيها، لأن الإعلام كان من جهته، أو لأنه قام بالنفخ، في الظاهر. وقرأ نافع وأبو عمرو: «ليهب لك»؛ أي ليهب لك الله. ٢٠- ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾: على وجه الحلال ﴿بَغِيًّا﴾ زانية. ٢١- ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾: لا يتعذر خلقه من غير سبب ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: لك، ولمن آمن بك ﴿مَّقْضِيًّا﴾: مقرًّا قد قدره الله تعالى. ٢٢- ﴿قَصِيًّا﴾: نائياً عن الناس. ٢٣- ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾: ألجأها واضطرها النفاس ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: أصلها. ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: كشيء ترك فلم يطلب، قالت ذلك استحياء. وقيل: «نسياً منسياً»: لم أكن في الأشياء. ٢٤- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: اختلف في أنه عيسى عليه السلام، أو أنه جبريل عليه السلام. وأصح الروايتين أنه عيسى عليه السلام ﴿سَرِيًّا﴾: قيل: نهر. وقيل: عنى نفسه. والسَّريّ: العظيم من الرجال. ٢٥- ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: حركيه. وقيل: كان جذعاً يابساً. وقيل: كان في الشتاء. ﴿جَنِيًّا﴾: مجنياً رطباً.

[١٤] ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم : ١٤]، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم : ٣٢]. الموضع الأول إخبار من الله تعالى ببركته وسلامه عليه، والثاني إخبار عيسى عليه السلام عن نفسه، فناسب عدم التزكية لنفسه بنفي المعصية أدبًا مع الله تعالى، وقال: ﴿شَقِيًّا﴾، أي: بعقوق أمي، أو بعيدًا من الخير. [١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم : ١٥]، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم : ٣٣]. قال الإمام أبو القاسم السهيلي إن إدخال الألف واللام على "سلام" تفيد ثلاثة أمور: ١- أن يقصد به التبرك بذكر الاسم الذي هو السلام، فهو يشعر بذكر الله سبحانه، لأن السلام اسم من أسمائه. ٢- أن يقصد به طلب معنى السلامة منه، لأنك متى ذكرت اسمًا من أسمائه، فقد تعرضت لطلب المعنى الذي اشتق ذلك الاسم منه. ٣- أن يقصد عموم التحية منه سبحانه، ومن غيره، فأنت ترى أنه ليس قولك: "سلام عليك" أي : سلام مني، بمنزلة قولك: "السلام" في العموم. أمّا سر تنكير اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾، فلأنه مستغن عن الفوائد الثلاث، لأن المتكلم ههنا هو الله تعالى فلم يقصد تبركًا بذكر الاسم الذي هو السلام، ولا تعرضًا وطلبًا كما يقصده العبد، ولا عمومًا في التحية منه ومن غيره؛ لأن سلامًا منه سبحانه كاف عن كل سلام، ومغن عن كل تحية ومُرْبٍ على كل أمنية، فلم يكن لذكر الألف واللام معنى ههنا... وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ﴾ في قصة عيسى عليه السلام، فإن للألف واللام معنى ومقصدًا: لأن هذا العبد الصالح، أي: عيسى بن مريم، يحتاج كلامه إلى هذه الفوائد الثلاث، وأوكدها كلها العموم، لأنه مستحيل أن يقع سلامه على نفسه خاصة، ويبعد أيضًا رغبته عن ذكر مولاه، وتركه التعرض لمعنى الاسم ومقتضاه. وعند تطبيق ما ذكره السهيلي على ماجاء في كتاب الله تعالى، نجد ذلك موافقًا لقوله، وكأنه رحمه الله استقصى ما في القرآن فذكر ما ذكر، ولذلك نجد أن تسليم المولى جل جلاله على أنبيائه جاء بلفظ التنكير كما في الصافات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٧٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [١٠٩]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [١٢٠]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [١٣٠]، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١]، وكذلك تحيته لأهل الجنة ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس : ١٠]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق : ٣٤]، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب : ٤٤]، وغير ذلك كثير في القرآن الكريم، بينما جاء السلام معرفًا في تسليم الأنبياء والرسل كقول موسى وهارون لفرعون: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه : ٤٧].

[٢٣] ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم : ٢٣]. لِمَ قالت مريم عليها السلام: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾، رغم أنها بشرت قبل ذلك بالولد عن طريق الملك، قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم : ١٩]. الجواب: أنها ما قالت مقولتها هذه وما تمنت الموت استنكارًا لما حدث ولا كراهة له، ولكن لخجلها وحيائها عند قومها لما يعلموا بحالها، وخشية الشك في عفتها وطهارتها.

= استطاعوا، حذفت منه تاء الافتعال تخفيفًا. وقرئ: (اسطّاعوا) بطاء مشددة بعد السين على إبدال تاء الافتعال طاء وإدغامها في الطاء التي هي فاء الكلمة، ويلزمه التقاء الساكنين، والحق جوازه، وإذا كان الساكن الثاني عارضًا للوقف أو للإدغام، فالوقف نحو: "القدر" و"الفجر" و"يسر" بالسكون غير ممتنع إجماعًا مع ما فيه من التقاء الساكنين واحتمل ذلك لعروضه، فكذا العارض للإدغام. [٩٨] ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ قوله تعالى: ﴿دَكَّآءَ﴾ قرئ: (دكاءَ) بالمد والهمز من غير تنوين بوزن حمراء من قولهم: ناقة دكاءُ، أي: منبسطة السنام غير مرتفعة، أي: أرضًا مستوية، وقرئ: (دكًا) بالتنوين بلا مد ولا همز مصدر واقع موقع المفعول به، أي: مدكوكًا مُفتتًا، قال ابن عباس: صار ترابًا، وقال الحسن: ساح في الأرض، وهو مفعول ثان لجعل على المشهور فيهما. [١٠٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَنفَدَ﴾ قرئ: (تنفد-ينفد) بالتاء وبالياء لأن الفاعل مؤنث مجازي يجوز تذكيره وتأنيثه، والتذكير على معنى جمع الكلمات، والكلمات أصلها: الكلام وهو مصدر، والمصدر مذكر، والتأنيث لمراعاة اللفظ. [٦] ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ﴾ قرئ: (يرثْني ويرثْ) بجزم الفعلين على أن الأول: مجزوم في جواب الدعاء وهو قوله: ﴿فَهَبْ لِى﴾ لقصد الجزاء، والثاني: بالعطف عليه، والمعنى: أن تهب لي من لدنك وليًا يرثني الخ. وقرئ: (يرثُني ويرثُ) بالرفع فيهما على أن الفعل =

ومعظم المراد منها على سبيل الإجمال: وَعْد الله العباد بالكفاية والهداية، وإجابة دعاءِ زكريًا، والمِنَّة عليه بولده: يحيى، وإعطاؤه علم الكتاب، وذكر عجائب ولادة عيسى وأمّه، والخبر عن أحوال القيامة، ونصيحة إبراهيم لأبيه ومناظرة أبيه له، والإشارة إلى قُربة موسى، وذكر صدق وعد إسماعيل، وبيان رفعة درجة إدريس، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾

٢٦- ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾: طيبي نفساً، ولا تغتمّي ولا تحزني، ﴿صَوۡمٗا﴾: من الطعام والشراب والكلام. ٢٧- ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ﴾: أي بعيسى تحمله إلى قومها من المكان القصيّ الذي انتبذت فيه. ﴿فَرِيّٗا﴾: عظيماً. ٢٨- ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾: يا شبيهة هارون في الصلاح، وكان هارون رجلاً صالحاً في بني إسرائيل. وليس هو هارون أخا موسى عليه السلام؛ لأن بين عيسى وموسى أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان!. ٢٩- ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ﴾: أن كلموه ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾: في الحِجر. ٣٠- ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي حكم لي بإيتائي الكتاب والنبوة في الأزل. ٣٣- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ﴾: الأمنة من الله عز وجل يوم ولدت، ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾: ذلك السلام الموجه إلى عيسى في المواطن الثلاثة السابقة موجه إلى أمه مريم. وفي هذا التعريف: «السلام» تعريض باللعنة على متهميها وأعدائها من اليهود. ٣٤- ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: يقول عز وجل: هذا الذي وصفت لكم صفته وأخبرتكم خبره، من الغلام الذي حملته مريم هو عيسى، وهذه صفته. و«الحق»: هو الله عز وجل : ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: يختصمون، يعني اليهود والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر كذاب، وزعمت النصارى أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وربّ. تعالى الله عن ذلك. وسمّي: قول الحق كما سمي: كلمة الله. ٣٦- ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾: إلى آخر الآية. قيل: عهد عليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده، وموته، وبعثه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾: طريق مستقيم من سلكه نجا. ٣٧- ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: المختلفون في عيسى عليه السلام، من فرق النصارى أنفسهم، من حيث الحمل به، ووجود (زمان) لم يكن موجودًا فيه، والخلاف حول طبيعته أو طبيعتيه، ومشيئته، ونحو ذلك، وهو كثير. ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: من شهودهم يوماً عظيماً. ٣٨- ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾: ما أسمعهم وأبصرهم، يوم قدومهم على ربهم حين لا ينفعهم ذلك. ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ﴾: أي في الدنيا.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران : ٥١]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [مريم : ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [الزخرف : ٦٤]. آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام، وآية كلامه في المهد مخبرًا عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الجليلة منسوقًا بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له، وتكريمه إيّاه في أحواله الثلاث حال الولادة والموت والبعث وبعده، وهذه أحوال تتنزه الربوبية عنها وتتعالى، ثم لما كان تمام إخبار عيسى عليه السلام وتكميل ما قصد به الإقرار لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، فلما كان الكلام متصلًا بما تقدم في معناه، وقد ورد فيه ما أظهر أن كلام عيسى عليه السلام تم وانقضى، وذلك في قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم : ٣٣]، ثم جاء بعد ذلك قضية أخرى من التعريف بحقيقة عيسى عليه السلام فقال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم : ٣٤-٣٥]، فورد هذا مورد الجمل، التي كأنها مفصولة عمّا قبلها مع الحاجة إلى اتصال ما بعدها بما قبلها، فلا بد من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فالوجه العطف عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين، فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعًا فيحتاج إلى الواو، وأمّا زيادة ﴿هُوَ﴾ بالزخرف فقد دعا إليها ما تقدم في الآية قبلها في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف : ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٨]، تعلق بها الكفار، وقالوا قد عُبدت الملائكة وعُبد المسيح، وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب، وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضينا وجادلوا بهذا، فلما كان قد تقدم في الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾ [الزخرف : ٥٨]، يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكيًا عن المسيح عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾، فكأن قد قيل: هؤلاء غيره، فأورد ﴿هُوَ﴾ ليؤكد المعنى، ولم يرد في آل عمران ومريم من ذكر آلهتهم ما ورد في الزخرف فلم يحتج إلى الضمير. [٣٧] ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم : ٣٧]، ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف : ٦٥]. الكفر أبلغ من الظُّلم، وقصّة عيسى في سورة مريم مشروحة، وفيها ذكر نسبتهم إيّاه إلى الله تعالى، حين قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖ﴾ [مريم : ٣٥]، فذكر بلفظ الكفر، والقصّة في الزّخرف مجمَلة، فوصفهم بلفظ دونه وهو الظُّلم. [٣٨] ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ [الكهف : ٢٦]، ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ [مريم : ٣٨]. قال في مريم: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ وعكَس في الكهف، لأن معناه في مريم أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعْها وتدبَّرْها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيبُ السماواتِ والأرض، فأجل بصيرتك بالتفكر في مخلوقاته، وتدبَّرها بحيثُ تصلُ إلى معرفته، واسمَع بصفاته، ووحِّدْهُ، فناسب تقديم السمع هنا، والبصرِ ثَمَّ.

= صفة لـ (وليًا) والمعنى: فهب بي من لدنك وليًا وارثًا لي ووارثًا من آل يعقوب. [٧] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ و﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ قرئ: (نَبْشُرك) بفتح النون وإسكان الباء، وضم الشين مخففة من البشر وهو البشارة، وقرئ: (نُبَشِّرك) بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة في الجميع من بشَّر المضعف: لغة الحجاز، والتخفيف: لغة غيرهم من البشر، واللغتان بمعنى واحد. [٨] ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ قوله تعالى: ﴿عِتِيّٗا﴾ قرئ: (عِتيًا) بكسر العين، على أن مفرده «عاتٍ» فجمع على «عُتُوي» على وزن «فعول» فأصل الحرف الثاني الضم، ثم كسر لمناسبة الياء التي بعده، والتي أصلها الواو؛ لأن الياء الساكنة يناسبها كسر ما قبلها، فلما كسر الحرف الثاني كسر الحرف الأول تبعًا له، ليعمل اللسان فيهما عملًا واحدًا. وقرئ: (عُتيًا) بضم العين، وحجة ذلك أن الحرف الثاني كسر لتصح الياء كما سبق بيانه، وترك الحرف الأول مضمومًا على أصله. [٩] ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقۡتُكَ﴾ قرئ: (خلقتُك) بتاء مضمومة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وحده لمناسبة قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾، وقرئ: =

= والشكوى من الولد الخَلْف، أي الرديء والطالح، وحكاية أهل الجنَّة، وذلّ الكفَّار في القيامة، ومرور الخَلْق على عَقَبَة الصِّراط، وابتلاء بعضهم بالعذاب، والرّد على الكفَّار في افتخارهم بالمال، وذلّ الأصنام، وعُبّادها في القيامةِ، وبيان حال أهل الجنّة والنّار، والمِنّة على الرّسول بتيسير القرآن على لسانه، وتهديد الكفّار =

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩- ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: يوم القيامة، وما فيه من حسرات الكفرة والظلمة والعصاة. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحكم ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: المشركون، غافلون في الدنيا الآن، عما الله فاعل بهم يوم يأتونه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصدِّقون بالقيامة والبعث. ٤١- ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: من أهل الصدق في حديثه ومواعيده. ٤٣- ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾: طريقاً مستوياً لا تضِلُّ فيه. ٤٤- ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: أي لا تطعه فإن عبادة الأصنام هي من طاعة الشيطان ﴿عَصِيًّا﴾: عاصياً، حين ترك ما أمره به من السجود لآدم. ٤٦- ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: عن ذكرها بسوء ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: بالحجارة كناية عن إنزال العقوبة به والنكال، أو لأشتمنَّك، ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: طويلاً. وقيل: اجتنبني سالماً لا تُصيبُك مني مَعَرَّةٌ. ٤٧- ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: لطيفاً يجيب دعائي إذا دعوته، والحفي: البليغ في البر والإلطاف. ٤٨- ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: عسى ألا أشقى بدعائه؛ ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله. ٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: يقول: الثناء الحسن. وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلوّ، لأن جميع أهل الملل يحسن الثناء عليهم. ٥١- ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: قرأ أهل الكوفة: «مُخلَصاً» بفتح اللام، أي جعلناه مختاراً وأخلصناه. وقرأ الباقون بالكسر، أي: يخلص لله عز وجل العبادة.

[٣٩] ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ [مريم: ٣٩]، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ...﴾ [غافر: ١٨]. اليوم المشار إليه يشتمل على موقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارة والأخبار لاختلاف المقاصد والمواطن... فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين لأهل النار بتأبيد خلودهم واستمرار عذابهم إلى غير نهاية، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك، فلا أشد فرحًا من أهل الجنة يومئذ، ولا أشد حسرة من أهل النار... وأمّا آية سورة المؤمن (غافر) فقد ورد قبلها قوله تعالى خطابًا للمؤمنين: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، ثم تابع الكلام معهم إلى الآية من قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾، فخوَّفوا بإسراع أمر الساعة وتعجيل وقوعها... [٤١] وُصف كل نبي بوصف يختلف عن الآخر في سورة مريم: فقال تعالى عن إدريس وإبراهيم: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١، ٥٦]، وعن موسى: ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، وعن إسماعيل: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]. فما وجه تخصيص كل منهم بما وصف به؟ الجواب: ١- أن إبراهيم عليه السلام جاء الوصف له بصيغة المبالغة "صديقًا" لعله ينفي ما توهم في الثلاثة التي وَرَّى فيها إبراهيم: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله عن سارة زوجه: "هي إختي" وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. ٢- وأما موسى، فلأنه أخلص لله في منابذة فرعون مع ملكه وجبروته. ٣- وأما إسماعيل فلصبره كما في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

= (خلقنَاك) بنون وألف بدل التاء على إسناد الفعل إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله قبل: إنا نبشرك، وقوله بعد: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. [١٩] ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ﴾ قرئ: (لأهب) بالهمزة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، وهو المَلَك القائل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ وإسناد الفعل إليه مجازي من إسناد الفعل إلى سببه المباشر؛ لأنه الذي باشر النفخ، أي: لأهب لك غلامًا بأمر ربك. وقرئ: (ليهب) بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير ربك السابق عليه في قول: "إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به مني ليهب لك ذلك الرب غلامًا زكيًا" والإسناد على هذا حقيقي. [٢٣] ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿نَسْيًا﴾ قرئ: (نِسيًا-نَسيًا) بكسر النون وفتحها وهما لغتان بمعنى واحد، و(النسي) بالكسر والفتح، هو الشيء الحقير الذي من حقه أن ينسى ولا يبالَى به، وقيل: النسي بالكسر مصدر نسي، وبالفتح الاسم. [٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾ قوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ قرئ: (مِن تحتِها) بكسر الميم وجر التاء على أن (من) حرف جر وما بعدها مجرور، وفاعل (ناداها) ضمير يعود على المولود عيسى المعلوم من المقام، والمعنى أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلمها وهو تحتها، أي: تحت ثيابها؛ لأن ذلك موضع ولادته، أو المَلَك، و(من) ابتدائية وهو متعلق بالفعل قبله لبيان مبدأ النداء، ومعنى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ أي: دونها، وعلى هذا يكون ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي: دونك نهرًا تستمتعين به، فليس المعنى إذا جعلنا الفاعل جبريل أنه تحت ثيابها، فيكون ناداها إذا عاد الضمير لعيسى أبين وأعظم في زوال وحشتها وتسكين نفسها. وقرئ: (مَن تحتَها) بفتح الميم ونصب التاء على أن (مَنْ) اسم موصول فاعل نادى و(تحت) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلته، والمراد بالموصول عيسى ـ عليه السلام ـ أو الملك على ما سبق. [٢٥] ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿تُسَاقِطْ﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: (تُسَاقِط) بتاء مضمومة وتخفيف السين وكسر القاف على أنه مضارع ساقط فاعله يعود على النخلة، و(رطبًا) مفعوله. الثانية: (تَسَاقَط) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين على أنه مضارع (تساقط) حذف منه إحدى التاءين، وأصله تتساقط. والثالثة: (تَسَّاقَط) كذلك لكن مع التشديد في السين وإبدال التاء الثانية سينًا وإدغامها في السين، وفاعله على هذه القراءة والتي قبلها ضمير يعود على النخلة، و(رطبًا) تمييز، أو الفاعل ضمير يعود على الثمرة المفهومة من المقام، و(رطبًا) حال منه. الرابعة: (يَسَّاقَط) بياء مفتوحة وسين مشددة وقاف مفتوحة مضارع (تساقط) أيضًا، وأصله يتساقط فأدغمت التاء في السين بعد إبدالها مثلها، وفاعله يعود على (الجذع) و(رطبًا) تمييز، أو على الثمر المفهوم من المقام، ورطبًا حال. [٣٤] ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرئ: (قولَ) بنصب (قول) على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله وعامله محذوف وجوبًا تقديره: "أقول الحق" هذا إن أريد بالحق معنى الصدق، فإن أريد أنه اسم من أسمائه تعالى فنصبه على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: "أمدح قول الحق" أي: قول الله وكلمته الذي هو عيسى. وقرئ: (قولُ) بالرفع على أنه خبر بعد خبر، أو بدل من عيسى أو صفة له، و(الحق) يحتمل فيه معنى الصدق، وكونه اسمًا من أسمائه تعالى إن قدر خبرًا بعد خبر، وبتقدير البدلية أو الوصفية يتعين الثاني وهو كونه اسمًا من أسمائه تعالى. [٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ﴾ قرئ: (إِن) بكسر الهمزة على الاستئناف أو على العطف على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ودليل الكسر كذلك أنها في قراءة ابن مسعود بغير واو، وحذف الواو لا يكون معه إلا الكسر على الاستئناف، ويدل على الاستئناف: أن الذي قبل و(إنَّ) رأس آية قد تم الكلام عليها، ثم وقع الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس الآية. وقرئ: (أَن) بفتحها على أنه مجرور بلام محذوفة والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده، =

= بعقوبة القرون الماضية، في قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

٥٢- ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾: من جانب الجبل الأيمن، ويعني بالأيمن: يمين موسى عليه السلام. ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾: أي أدنيناه بتقريب المنزلة حتى كلمناه وسمع مناجاة ربه. ٥٤، ٥٥- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾: يفي بالعهد ولا يُخلف ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾: عمله محموداً فيما كلفه. ٥٧- ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾: ذا علو وارتفاع. وفي الحديث أنه في السماء الرابعة، وقيل: المراد ما أعطيه من شرف النبوة. ٥٨- ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾: قيل: عنى بذلك إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾: من ذرية من حملنا مع نوح يعني إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب عليهم السلام. ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: موسى، وهارون، وزكريا، وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق عز وجل أنسابهم ولئن كان يجمع جميعهم آدم ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآ﴾: اصطفينا واخترنا، ﴿وَبُكِيّٗا﴾: جمع: باكٍ، كعِتيٍّ جمع عاتٍ. ٥٩- ﴿فَخَلَفَ﴾: حدث ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: يعني الأنبياء ﴿خَلۡفٌ﴾: خلف سوء خلفوهم في الأرض، يقال لعقب الخير، خلَف، بفتح اللام، ولعقب الشر: خلْف، بتسكينها، ﴿أَضَاعُواْ﴾: أخروها عن مواقيتها. وقيل: تركوها. وقيل: هي صفة قوم يكونون في آخر الزمان من أمة محمد عليه السلام ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾: خسراناً وشراً. ٦١- ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: بساتين عدن ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: لم يعاينوها ولم يروها. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾: «ووعده» في هذا الموضع: موعوده وهو الجنة. ﴿وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾: يأتيه أولياؤه وأهل طاعته، ومعناه: أنه هو الذي يأتي، ولم يقل: كان وعده آتياً لأن كل من أتاك فأنت تأتيه؛ كما تقول أتيتُ على خمسين سنة، وأتت عليَّ خمسون سنة. ٦٢- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾: هذراً وباطلاً ﴿إِلَّا سَلَٰمٗا﴾: تحية الملائكة إياهم بالسلام ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾: معناه: إن الذين بين غدائهم وعشائهم في الجنة بقدر ما كان في الدنيا لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار. وقيل: أراد دوام الرزق. ٦٤- ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾: قيل: إن رسول الله ﷺ استبطأ جبريل عليه السلام، فقال له إذ نزل عليه: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فقال جبريل عليه السلام: «وما نتنزل إلا بأمر ربك». أخرجه البخاري. ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾ يعني: الآخرة، ﴿وَمَا خَلۡفَنَا﴾: يعني: الدنيا ﴿وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: يعني: الدنيا والآخرة. وقيل: ما بين النفختين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾: ذا نسيان.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ ﴾: الآية. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يومًا، فذكر نحوه، وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل: «أي البقاع أحب إلى الله، وأبغض إلى الله؟» فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي موجدة، فقال ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ ﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس أن قريشا لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت، فذكره.

[٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ... ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ... ﴾ [مريم: ٥٩]. فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم أتباع سَوْء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها.. فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية مريم: فأتى من بعد هؤلاء المنعَم عليهم أتباع سَوْء تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها... [٦٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ﴾ [الفرقان: ٧٠]. أوجز في ذكر المعاصي في سورة مريم، فأوجز في التَّوبة، وأطال في الفرقان فأطال.

[٥٢، ٥٣] ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴾ [مريم: ٥٣]، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٣٥]. النبوة أعظم خصائص الأنبياء التي تساووا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم الصلاة والسلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم، أما اسم الوزارة والوصف بها فليس مما يخصهم، ولا مما أفردوا به، فلم يكن وصف هارون عليه السلام هنا بها ليناسب هذا القصد العلي، ولا ليلائمه، وأما قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾ فمرتب على سؤال موسى عليه السلام في سورة طه في قوله: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ [طه: ٢٩-٣٠]، فأعطي عليه السلام مطلبه، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾، ورد هذا على الترتيب المتقرر في المصحف، ثم إن ما اتصل بهذه الآية وآية سورة مريم مما قبلهما وبعدهما يستدعي التناسب في مقاطع الآي وفواصلها، فلم يكن ورود الآيتين في السورتين على غير ما ورد ليناسب، فجاء ذلك على ما يجب.

= والمعنى: ولوحدانيته تعالى في الربوبية أطيعوه، وقيل: إن قوله و(أن) بالفتح معطوف على الصلاة، أي: أوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم، أي: باعتقاد ذلك، وقيل: إن الفتح للعطف على سبحانه فتكون (أن) في موضع نصب لأن سبحانه في موضع نصب قاله الفرَّاء. وأجاز الفرَّاء أيضًا أن تكون (أن) في موضع رفع على الخبر، والمبتدأ مضمر تقديره: "عنه" وذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي﴾ وتقدم جواز فتحها على إضمار اللام، أي: ولأن الله ربي فتكون (أن) في موضع نصب على حذف الخافض، أو في موضع خفض على إعمال الخافض لكثرة حذفه مع (أن). [٥١] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ قوله تعالى: ﴿مُخۡلَصٗا﴾ حيث جاء بأل، وفي (المخلصين). قرئ: (مخلَصًا) بفتح اللام منهما اسم مفعول، ومعناه: الذين أخلصهم الله لعبادته وكرامته. وقرئ: (مخلِصًا) بالكسر اسم فاعل، ومعناه: الذين أخلصوا أنفسهم ودينهم لله. [٥٨] ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩﴾ قوله تعالى: ﴿وَبُكِيّٗا۩﴾ وكذا ﴿جِثِيّٗا﴾ و﴿صِلِيّٗا﴾ و﴿عِتِيّٗا﴾ قرئت (بُكيًا-جُثيًا-صُليًا-عُتيًا) هذه الأربعة بضم أوائلها على الأصل، وقرئ: (بِكيًا-جِثيًا-صِليًا-عِتيًا) بالكسر على إتباع حركة الأول للثاني، وكلها على وزن فعول غير أن منها ما لامه ياء وهو (بكيًا) و(صليًا) أصله: بكويًا، وصلويًا، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء. ومنها: ما لامه واو وهو: (جثيًا) و(عتيًا) وأصله: جثوًا وعتوًا، لأن الأول من: جثا يجثو، والثاني من: عتا يعتو، والأول: جمع جاث، والثاني: مصدر، وإذا وقعت الواو لامًا لفعول جمعًا تقلب ياءً وجوبًا، وإذا وقعت لامًا لفعول مصدرًا جاز قلبها ياء حملًا على قلبها في الجمع فأبدلت لام جثوًا وعتوًا ياء، ثم قلبت الواو التي قبلها ياء كما قلبت بكيًا وصليًا، ثم أدغمت في الياء وقلبت الضمة كسرة للمناسبة. وهذه الكلمات الأربعة فيها جمعان ومصدران فالجمع منها: بكيًا، وجثيًا جمع باك وجاث؛ والمصدران: "صليًا وعتيًا" وقد علمت أن منها ما هو واوي ومنها ما هو يائي. [٦٠] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ قوله تعالى: ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ قرئ: (يُدخَلون) بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل. وقرئ: (يَدخُلون) بفتح الياء، وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو فاعل. [٦٣] ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ قرئ:

رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥، ٦٦- ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: مثلاً وشبهاً. ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ﴾: يعني: الكافر بالبعث ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: إنكاراً منه لذلك. ٦٨، ٦٩- ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾: هؤلاء الجاحدون يحشرهم الله مع شياطينهم الذين أضلوهم. ﴿جِثِيًّا﴾: جمع جاثٍ من قولهم: جثا على ركبتيه. ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾: لنأخذنَّ ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: الجماعة المتعاونون على الأمر ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: معصية في الشرك. والعتيّ ها هنا مصدر كالعتوّ، وهو التمرد في العصيان. ٧٠- ﴿صِلِيًّا﴾: مصدر: صَلِيَ، فلان النار، يصلي صِلِيًّا: احترق فيها. ٧١- ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: يعني: جهنم. واختلف في معنى الورود، فقيل: هو الدخول. وقيل: هو المرور في الصراط عليها. وقيل: عنى بقوله عز وجل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: الكفار دون المؤمنين ﴿حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: قسماً واجباً، قيل: قضاء مقضياً. ٧٢- ﴿جِثِيًّا﴾: بروكاً على ركبهم. ٧٣- ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أصحاب محمد ﷺ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: منا ومنكم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: أفضل مسكناً وأوسع عيشاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أحسن مجلساً، وأجمع عدداً! و«النديّ»: المجلس والمجتمع الذي كانوا يجتمعون فيه. والآية عامة في جمع الكفار وجماعة المؤمنين. ٧٤- ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: أمة، ﴿أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾: متاعاً ﴿وَرِئْيًا﴾: منظراً. ٧٥- ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: فليمل له فيها إملاء ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: بإزاء قولهم: (خيرٌ مقاماً) (وأضعف جنداً) بإزاء قولهم: (أحسن نديّاً): مسكناً. ٧٦- ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾: الذين آمنوا ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: كل عملٍ صالح يرفع الله به درجة عامله. قد ذكرنا ما جاء فيها في (سورة الكهف الآية ٤٦). ﴿ثَوَابًا﴾: جزاءً ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: عليهم، أي مرجعاً وعاقبة، من مقامات هؤلاء المشركين بالله عز وجل وأنديتهم التي يفخرون بها.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم : ٧٣]، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف : ٧]. وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلًا وأحسن مجلسًا؟ فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٧٤، ٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم : ٧٤]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم : ٩٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ...﴾ [ق : ٣٦]. وكثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك أيها الرسول من الأمم كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم الأولى، أمَّا الثانية: وكثيرًا أهلكنا أيها الرسول من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحدًا وما تسمع لهم صوتًا، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين، أمَّا آية قاف: وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أممًا كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة، فطوَّفوا في البلاد وعمَّروا ودمَّروا فيها، هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟ [٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم : ٧٥]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن : ٢٤]. قل أيها الرسول لهم: من كان ضالًا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى يقينًا ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم حينئذ مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الجن: حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: مَن أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟ [٧٦] ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف : ٤٦]، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم : ٧٦]. لو تدبرنا الآية السابقة في سورة الكهف لوجدنا أن المال والبنين مما يحرك في النفوس بواعث الأمل في الحياة، كما قال تعالى في صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف : ٣٥]، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف : ٣٦]، فجاءت ﴿أَمَلًا﴾ لمناسبة معنى الآية، والإقرار أن الباقيات الصالحات هي ما يؤمل به عند الله تعالى، وليس المال والبنون، أمَّا ﴿مَّرَدًّا﴾ فلأن السياق القرآني قبل هذه الآية يتحدث عن القيامة ومشاهدها... قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم : ٦٨]، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم : ٦٩]، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم : ٧١]، ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم : ٧٢]، إذًا فالآيات تتكلم عن مردِّ الناس إلى الله تعالى يوم القيامة، فجاءت الآية بلفظ ﴿مَّرَدًّا﴾ لمناسبة سياق الآيات.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ﴾ [مريم: ٦٥]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبر"؟ الجواب: وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات. فما حكمة التنويع بين الصيغ الثلاث؟ الجواب: أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة. قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذًا أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) =

= (نورِّث) بالتشديد على أنه مضارع من ورَّث متعد للثاني بالتضعيف. وقرئ: (نورِث) بالتخفيف على أنه مضارع من أورث متعد بالهمزة، ويقال: ورث المال متعد لواحد، ويتعدى للاثنين بالهمزة أو بالتضعيف، والمفعول الأول: الموصول وهو (من) والثاني محذوف وهو عائد الصلة، أي: نورثها المتقين.

[٦٧] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ﴾ قرئ: (يذْكر) بالتخفيف على أنه من الذكر الذي يكون عقب النسيان والغفلة. وقرئ: (يذَّكر) بالتشديد على أنه من التذكر الذي هو مبنى التدبر، فأصله يتذكر أدغمت التاء في الذال لأنه أبلغ في التدبر والاعتبار. [٧٣] ﴿مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قوله تعالى: ﴿مَّقَامًا﴾ قرئ: (مُقامًا) بضم الميم على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان من قام الثلاثي، أي: خير قيام أو مكان قيام فيه. وقرئ: (مَقامًا) بفتح الميم، والمقام بالفتح مثل القيام. [٧٤] ﴿أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَرِئْيًا﴾ فيها تحقيق على الأصل والإبدال مع الإظهار رعاية لأن أول المثلين أصله الهمزة، والإدغام رعاية لاجتماع المثلين، وعدم الاعتداد بالأصل، وتقدم في الأصول، فوجه من حقق أنه يحتمل أن يكون من (ريّ الشارب) فلا أصل له في الهمز، أي: أحسن أثاثًا =

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٧٧- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: نزلت في العاص بن وائل أبي عمرو بن العاص رضي الله عنه، وذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبونه بدين، فأتوه يتقاضونه فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا بلى. قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: ولأوتينَّ مثل كتابكم الذي جئتم به: فضرب الله مثله في القرآن. ٧٨- ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أعلم الغيب؟ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: يقول: أم آمن بالله عز وجل، وعمل بما أمره فاتخذ بذلك عنده عهداً؟ ٧٩- ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نزيده من العذاب في جهنم بكذبه. ٨٠- ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾: يقول عز وجل: يهلك هذا القائل، ويصير لنا ماله وولده دونه، وقيل: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة، ونعطيه من يستحقه، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: لا مال له ولا ولد. ٨١- ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: يمنعونهم من عذاب الله عز وجل. ٨٢- ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾: تكفر الآلهة بعبادة هؤلاء المشركين إياها يوم القيامة، ﴿ضِدًّا﴾: عونًا عليهم، وقيل: قرناء في النار يلعن بعضهم بعضاً. ٨٣- ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾: تُحركهم بالإغواء والضلال. وقيل: تُغريهم إغراء. ٨٤- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطلب العقاب، والهلاك، أي: لا تستبطئ عذابهم، وتحبَّ تعجيله ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾: نؤخرهم ليزدادوا إثماً، ونعُدُّ أعمالهم ونحصيها. ٨٥، ٨٦- ﴿وَفْدًا﴾: ركباناً: ﴿وِرْدًا﴾: عطاشاً. ٨٧- ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: يعني: الكافرين حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله عز وجل ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: بالإيمان، وتصديق رسله. ٨٩، ٩٠- ﴿شَيْـًٔا إِدًّا﴾: عظيماً مُنكراً. ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: الانفطار: الانشقاق ﴿هَدًّا﴾: سقوطاً وهدماً. ٩٥- ﴿فَرْدًا﴾: لا ناصر له من الله عز وجل، ولا دافع عنه.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقا لي عنده، فقال: لا أعطينك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت وحتى تبعث، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالاً وولدًا فأقضيك، فنزلت.

[٩٠] ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم: ٩٠]، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٥]. تكاد السماوات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم له الولد تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الشورى: تكاد السماوات يتشقَّقْنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

= وليس العكس. أما (اصطبر) فهي على وزن (افتعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصرفي وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاولة والتتابع والاستمرار. [٧١] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. كيف التوفيق بين آية مريم والأنبياء؟ الجواب: أن ورود المؤمنين هو الجواز على الصراط، لا الاقتراب من النار ولا سماع حسيسها، أما الكفار والعصاة فسيدخلونها. أو أن الخطاب لمن تقدم ذكرهم في الآيات ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ...﴾ [مريم: ٦٨-٧٠]. [٧٩] ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشَّرِّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. [٨١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]. ما الفرق بين: "عِزَّة، عِزًّا"؟ الجواب: وردت كلمة (عِزَّة) إحدى عشرة مرة. بينما وردت كلمة (عِزًّا) مرة واحدة في القرآن الكريم. كلمة (عِزَّة) هي المصدر الأصلي. عَزَّ يعزّ عِزًّا وعِزَّةً وعزازةً. لذا جاءت كلمة (عِزَّة) بكثرة (لأنها المصدر الأصلي المعروف) ولم تأت كلمة (عِزًّا) إلا مرة واحدة، وكأنها تشير إلى هؤلاء القوم الذين اتخذوا من دون الله آلهة، وتصفهم بأنهم غرباء غرابة هذه الصيغة الفريدة في القرآن (عِزًّا) التي تُعدُّ استثناء للصيغة الأصلية (عِزَّة)، كما يُعدُّ هؤلاء استثناء لكل المبادئ القرآنية والقيم الأخلاقية والفطر السوية. ثم إن كلمة (عِزًّا) جاءت فاصلة (خُتمت بها الآية)، وناسبت الفواصل التي أتت حولها واتسقت معها سياقيًّا وموسيقيًا (ولدًا، عهدًا، عدًّا، فردًا، عزًّا، ضدًّا، أزًّا، عدًّا، وفدًا). [٩٦] ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ١]. ما الفرق بين: =

= وأحسن شريًا، ويحتمل أن تكون من الرواء وهو ما يظهر من الزي في اللباس وغيره فيكون أصله الهمز، ولكن خُففت بالإبدال ياء، وأدغمت في الياء بعدها، وفيه قبح لتغيير الياء مرة بعد مرة، ولأن لفظ الياء الأولى عارض والهمزة منوية، وهي لا تدغم في الباء، فكذلك لا يدغم ما عوض منها، ووجه من همز: جعله من الرواء، وهي الزينة فأتى به على أصله. [٧٧] ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرئ: (وَوَلَدًا) بفتح الواو واللام. وقرئ: (وَوُلْدًا) بضم الواو وإسكان اللام، وهما لغتان بمعنى واحد، وقيل: الوُلد بالضم جمع وَلَد كالأُسد جمع أَسَد، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ... ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ ... ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ هنا، وفي "الزخرف: ٨١" ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ وفي "نوح: ٢١" ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ حكم الجميع واحد. [٩٠] ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هنا وفي "الشورى: ٥" قرئا: (تكاد-يكاد) بتأنيث الفعل وتذكيره؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي يجوز تأنيثه نظرًا لـ"اللفظ" وتذكيره نظرًا للحقيقة. قوله تعالى: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ هنا، وكذا ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ في سورة "الشورى: ٥" قرئا: (يتفطَّرن) بتاء مفتوحة بعد الياء وطاء مشددة مفتوحة على أنه مضارع "تفطر" بمعنى: تشقق، مطاوع فطَّره بالتشديد، إذا شققه مرة بعد مرة، وذلك ليدل على التكثير الذي هو أليق بهذا المعنى؛ لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوه: من أن لله ولدًا. وقرئ: (ينفطِرن) بالنون الساكنة بعد الياء وطاء مكسورة خفيفة على أنها مضارع "انفطر"، بمعنى انشق مطاوع فطره بالتخفيف إذا شقه.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٩٦- ﴿وُدًّا﴾: محبة في قلوب عباده في الدنيا. وقيل: إنه تعالى يؤنس المؤمنين في الآخرة بما يظله عليهم من نعمه وأمارات غفرانه. ٩٧- ﴿لُّدًّا﴾: ذوي جدل وشدة خصومة، يعني عز وجل قريشاً. ٩٨- ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: أمة وجماعة من الناس ﴿رِكْزًا﴾: صوتاً. وقيل: الركز: ما لا يفهم من صوت أو حركة.

سُورَةُ طه

١- اختلف في ﴿طه﴾: ومعناه كاختلافهم فيما تقدم من سائر السور «الم»، و«المر» و«الر» وغيرها. وقيل: إن (طه) اسم من أسماء محمد ﷺ. ٢- ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾: ما أنزلنا القرآن عليك لتُكلف ما لا طاقة لك به من العمل. وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر في قيام الليل. وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، والمعنى. ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن لا يؤمنوا. ٤- ﴿تَنزِيلًا﴾: يعني: نزلنا القرآن ﴿ٱلْعُلَى﴾: جمع عُليا. ٧- ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: ما أسره الإنسان في نفسه ﴿وَأَخْفَى﴾: ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن. وقيل السرّ: ما حدث به الإنسان غيره وأسرّه إليه. والأخفى: ما حدّث به الإنسان نفسه وخطر بباله. ١٠- ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾: لما سار موسى بأهله ضل الطريق، وكان في الشتاء، ورفعت لهم أنوارٌ، فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله عز وجل ﴿ءَانَسْتُ﴾: وجدت ﴿بِقَبَسٍ﴾: «القبس»: النار في طرف العود، أو القصبة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: من يدل على الطريق. ١١- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: يعني: النار؛ فإذا هي شجرة من العُلَّيق. ١٢- ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: قيل: أمره الله عز وجل بذلك، لأنه أبلغ في التواضع، وقيل: أمر بذلك ليباشر بقدميه بركة الأرض المقدسة ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: المطهر المبارك. ﴿طُوًى﴾: قيل: هو اسم الوادي. وقيل: هو مصدر أخرج من غير لفظه كأنه قال: طويتُ الوادي طُوى، وذلك أنه مر بالوادي ليلاً فطواه.

[٩٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين.[١] أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل الله عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ وأخرج عبد الله بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[مريم: ٩٧]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان: ٥٨]. فإنما يسّرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمّا آية الدخان: فإنما سهّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون. [٩-١٠] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩-١٠]، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٢٩]. هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النّار، وأمره أهلَه بالمكث، وإخباره إيّاهم أنه آنس نارًا، وإطماعهم أن يأتيهم بنار يَصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق التي ضَلُّوا عنها، لكنّه نقص في النّمل ذكر رؤية النّار، وأمرهم بالمكث؛ اكتفاء بما تقدّم، وزاد في القصص قضاء موسى الأجل المضروب، وسيرَه بأهله إلى مصر؛ لأنّ الشّيء قد يُجمَل ثمّ يفصَّل، وقد يفصّل ثم يجمل، وفي طه فصّل، وأجمل في النّمل، ثم فصّل في القصص، وبالغ فيه، وقوله في طه: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: مَن يخبرني بالطّريق فيهديني إليها، وإنّما أخّر ذكر الخبَر فيها وقدّمه فيهما مراعاة لفواصل الآي في السّور جميعًا، وكرّر ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ في القصص لفظًا، وفيهما معنًى؛ لأنّ ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ نائب عن ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ و﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ يتضمَّن معنى ﴿لَّعَلِّىٓ﴾، وفي القصص ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وفي النّمل ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ وفي طه ﴿بِقَبَسٍ﴾؛ لأن الجذوة من النّار خشبة في رأسها قبس به شِهاب، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد.

= "مَوَدَّة، وُد"؟ الجواب: وردت كلمة (مودة) ثماني مرات، بينما وردت كلمة (وُدًّا) مرة واحدة. في المرة التي وردت فيها كلمة (وُدًّا) كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. بينما في الثماني المرات التي وردت فيها كلمة (مودة) كان الفاعل البشر. (الودُّ) يكون منبعثًا من طرف إلى آخر، سواء أشركه الطرف الآخر أم لا. بينما (المودة) تكون متبادلة بين الطرفين. جاءت كلمة (ودًّا) مناسبة للسياق الذي وردت فيه، وقد خُتمت بها الآية (أي جاءت الكلمة كفاصلة للآية). ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ وهي في هذا الموضع أنسب من كلمة (مودة) حيث إنها وقعت (أي كلمة ودًّا) بين فواصل متناسقة (عدًّا، فردًا، ودًّا، لُدًّا). بينما جاءت كلمة مودة في وسط السياق، كما أنها تخلو من المدّ، لذا فلا يسوغُ أن تأتي كفاصلة مثل كلمة (وُدًّا).

[٩٧] ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ﴾ قرئ: (لتَبْشُر) بفتح التاء وإسكان الباء وضم الشين مع تخفيفها، من «البشر» وهو البشارة. وقرئ: (لتُبَشِّر) بضم التاء وفتح الباء وكسر الشين مع تشديدها، والقراءتان لغتان بمعنى واحد.

[١٠] ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ قوله تعالى: ﴿لِأَهْلِهِ﴾ قرئ: (لأهلِه) بكسر هاء الضمير لوقوعها بعد كسر، وقرئ: (لأهلُه) بضمها على الأصل في هاء الضمير، إذ الأصل في هاء الضمير الضم، وحسن ذلك هنا لمناسبة ضم الكاف التي بعدها، كذا موضع "القصص: ٢٩".

[٤] ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في القرآن. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في القرآن. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في القرآن. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في القرآن. [٢٧] ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة =

نزول سورة طه: نزلت بعد سورة مريم، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة طه: ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون. عدد حروف سورة طه: خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً. أسماء سورة طه: وللسّورة اسمان: طه لافتتاح السّورة، وسورة موسى؛ لاشتمالها على قصّته مفصّلة. مواضيع سورة طه: مقصود السّورة =

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

١٣- ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: اجتبيتك لرسالتي. ١٤- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾: تصليها حين تذكرها. وقيل: إذا صلى عبد ذكر ربه. ١٥- ﴿أُخۡفِيهَا﴾: قيل معناه: أكاد أخفيها حتى لا تظهر البتة تعبيرًا عن شدة خفاء وقت قيامها، ولكن لا بد من ظهورها ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾: لتُثاب بما تعمل من خير وشر. ١٦- ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾: لا يرُدُّنك عن التأهُّب لها، والإيمان بها ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾: فتهلك إن أنت انصددت. ١٧- ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: سأله عز وجل -وهو بها أعلم- ليقرره أنها خشبة فيريه فيها ما أراه! ١٨- ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أضرب بها الشجر فيسقط ورقها فترعاه غنمي. ﴿مَـَٔارِبُ﴾: حاجات ومنافع. وهي جمع مأربة. وقيل: «أخرى» ولم يقل «أُخر» كما قيل: «له الأسماء الحسنى». ٢١- ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ﴾: من هذه الحية. ﴿سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴾: عصا كهيئتها الأولى. ٢٢- ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: ضمها تحت عضدك. وقيل: «الجناحان» هما: اليدان. ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ : من غير عيب، قيل: كنّى به عن البرص. ٢٣- ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾: من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا. وقال «الكبرى» فوحد على معنى التقديم؛ كأن معناه: لنريك الكبرى من آياتنا. وقيل: على مثل قوله عز وجل: «له الأسماء الحسنى». ٢٤- ﴿طَغَىٰ﴾: تجاوز قدره وتمرد على ربه. ٢٥- ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾: لأعي عنك وحيك. ٢٦- ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾: وسهل لي القيام بما تُكلفني من الرسالة. ٢٧- ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾: قيل: عُجْمة، للجمرة التي أدخلها في فيه حين اختبره بها فرعون إذ أخذ بلحيته. ٢٩- ﴿وَزِيرٗا﴾: عوناً ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾: من أهل بيتي. ٣١- ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾: معناه: قوِّ به ظهري. يقال منه: أزر فلان فلاناً، إذا أعانه وشد ظهره. ٣٢- ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾: اجعله نبياً كما جعلتني، وأرسله معي إلى فرعون. ٣٣- ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيراً. ٣٦، ٣٧- ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾: قد أعطيت ما سألت. ﴿مَنَنَّا﴾: تطولنا، من الطول والإنعام والإحسان، قبل هذه المرة، وذلك حين أوحينا إلى أمك إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر ولد من قومك.

[١٥] ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ [طه: ١٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ [الحجر: ٨٥، غافر: ٥٩]. اللام التي تقع في خبر إن أو اسمها، إذا حلت محل الخبر تؤكد الكلام، والعرب تحرص على التوكيد في موضعه، وتركه في غير موضعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦]، وقال في سورة المؤمن: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فهذان من مواضع التوكيد وتحقيق الخبر، أن الساعة حق، وأنها آتية لا ريب فيها، والخطاب لقوم كفار ينكرونها، والتي في سورة طه خطاب لموسى عليه السلام، وهي ضمن كلام الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢]، وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ [طه: ١٤-١٥]، ولم يكن موسى عليه السلام ممن ينكر ذلك فيؤكد الكلام عليه توكيده على منكريه والجاحدين له. وقد ذكر البلاغيون أن الخبر يأتي مؤكدًا، ويأتي خاليًا من التأكيد حسب ما يقتضيه الحال، فإذا كان المخاطب خالي الذهن ألقي عليه الكلام بدون تأكيد، أما إذا كان شاكًا في الخبر فإنه يحسن أن تؤكد له الخبر حتى يزول ما في نفسه من شك، وأما إذا كان منكرًا فيجب أن تؤكد له الخبر على قدر درجة إنكاره. [٢٢] ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٢٢]، ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ ...﴾ [النمل: ١٢]، ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ ...﴾ [القصص: ٣٢]. واضمم يدك إلى جنبك تحت العَضُد تخرج بيضاء كالثلج من غير برص؛ لتكون لك علامة أخرى، فهذا ما دلت عليه آية طه، أمَّا آية النمل: وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كالثلج من غير بَرَص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به، وآية القصص: أدخل يدك في فتحة قميصك وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج مِن غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أرَيْتُكَهما يا موسى: مِن تحوُّل العصا حية، وجَعْل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه، إن فرعون وملأه كانوا قومًا كافرين. [٢٤] ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤، النازعات: ١٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي طه والنازعات، ومعناها: اذهب يا موسى إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرَّد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته.

[٢٤] ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]، ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠-١١]، ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ [القصص: ٣٢]. اقتصر في طه على فرعون، لأنه الأصل بالنسبة إلى قومه، مع سبق طه، واكتفى في الشعراء بذكره في الإضافة عن ذكره مفردًا، وجمع بينهما في القصص ليوافق قوله: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ في التَّعدد. [١٢] ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ﴾ قرئ: (إِني) بكسر همزة (إني) على تقدير القول، أو إجراء النداء مجرى القول، فعلى الأول: نودي يا موسى، فقيل: ﴿إِنِّيٓ﴾ وعلى الثاني: يكون نودي بمعنى: قيل فيأخذ حكمه، وهو مذهب كوفي. وقرئ: (أَني) بفتح الهمزة على تقدير حرف الجر، أي: نودي بأني أنا ربك، والجار والمجرور متعلق بنودي وهو يتعدى بالباء في بعض الأحيان كما تقول: ناديته باسمه، والأولى: أن يكون الفتح على تقدير: أن قوله: إني أنا، سدَّت مسد مفعولي اعلم مقدرًا وتقدير الكلام: يا موسى اعلم أني أنا ربك. قوله تعالى: ﴿طُوٗى﴾ قرئ: (طوىً) بالتنوين، ووجه من نوَّن جعله اسمًا للوادي فصرفه، وقرئ: (طوى) بترك التنوين ووجه من لم ينون أنه جعله اسمًا للبقعة أو للأرض فيكون قد سمَّى مؤنثًا بمذكر؛ فلا ينصرف لانتقاله من الخفة إلى الثقل والتعريف، وقيل: ممنوع من الصرف للعلمية والعدل فهو معدول عن طاوٍ كعمر عن عامر، ولأن بعض رؤوس الآي غير منونة فيجب أن تتبع رؤوس الآي بعضها بعضًا على مثال واحدة. [١٣] ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ قوله تعالى:

= وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

= ومعظم ما اشتملت عليه: تيسير الأمر على الرّسول ﷺ، وذكر الاستواء، وعلم الله تعالى بالقريب والبعيد، وذكر حضور موسى عليه السّلام بالوادي المقدس وإظهار عجائب عصاه واليد البيضاء، وسؤال شرح الصدر وتيسير الأمر، وإلقاء التابوت في البحر، وإثبات محبّة موسى في القلوب، واصطفاء الله تعالى موسى، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٩- ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾: هو ماهنا النيل. ﴿عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾: فرعون ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾: معناه: ألقى الله عز وجل محبته على موسى فحببه إلى آسية حتى ربته، وإلى فرعون حتى كف عنه عاديته، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾: قيل: لتُغذّى ولتُربّى على محبتي وإرادتي. وقيل: وأنت بعيني في أحوالك كلها. ٤٠- ﴿عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥ﴾: يضمه إليه ويحضنه ويربيه. ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾: يعني جل ثناؤه بذلك: قتله القبطي حين استغاثه عليه الإسرائيلي ﴿فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾: خلصناك من أن يصلوا إلى قتلك، قصاصًا به ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗا﴾: قيل: اختبرناك اختباراً. وقيل: هو البلاء على إثر البلاء. ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾: يقول عز وجل: جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون، ولمقداره. ٤١- ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾: انعمت عليك هذه النعم إحساناً مني إليك. ٤٢- ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: لا تبطئا ولا تضعفا عن ذكري، أو في تبليغ الرسالة. ٤٥- ﴿أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾: ان يعجل علينا. والإفراط: الإسراف والتعدي. ٤٧- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: السلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه، والسلام: السلامة. ٤٨- ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: كذب بكتاب الله، وتولى عن طاعته. ٥٠- ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾: يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقه من الإناث أزواجاً، وكذلك البهائم، وقيل: أعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته، أي أكمل ذلك له وأتقنه. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: أي: يسّر كل شيء لمنافعه ومرافقه. ٥١- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾: فما شان الأمم الخالية لم تقر بما تدعو إليه من العبادة، والتوحيد، بل عبدت الأوثان ونحوها.

[٤٠] ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ [طه: ٤٠]، ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ [القصص:١٣]. الرَّجْع إلى الشيءِ والرَّدّ إليه بمعنى واحد، والرَّدُّ عن الشيء يقتضي كراهة المردود، وكان لفظ الرّجع ألطف، فخصَّ به سورة طه، وخُصّ بسورة القَصَص قوله: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ﴾؛ تصديقًا لقوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ [القصص : ٧]، والله أعلم. [٤٧] ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه : ٤٧]، ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦]. السياق في سورة طه مبني على التثنية من قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه : ٤٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [طه : ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه : ٦٣]، أمّا سورة الشعراء فالسياق مبني على الإفراد والوحدة من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء : ١٨]، مع العلم أن أول السورة فيها تثنية من قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء : ١٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦]، ثم يُغيّب هارون، وتعود الوحدة، ويستمر النقاش مع موسى وحده ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء : ٢٧]، ثم يوجه فرعون الكلام إلى موسى عليه السلام مهددًا إياه وحده ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء : ٢٩]، ﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء : ٣٠]، ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ [الشعراء : ٣٤]، وكلمة رسول في اللغة تطلق على الواحد المفرد وعلى الجمع، فقد يقال في اللغة نحن رسول، وإنا رسول، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦]، ليس فيه مخالفة للغة، فجاءت الكلمة المناسبة في السياق المناسب، فالسياق في سورة طه قائم على التثنية، والسياق في سورة الشعراء قائم على الجانبين. قول آخر: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه : ٤٧]، وبعده ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٦]، لأنَّ الرّسول سُمّي به، فحيث وحّده حُمل على المصدر، وحيث ثنّى حمل على الاسم، ويجوز أن يقال: حيث وحّد حُمل على الرّسالة؛ لأنّهما أرسلا لشيء واحد، وحيث ثنّى حمل على الشّخصين.

[٣٩] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]. ما الفرق بين: "حُبّ، مَحَبَّة"؟ الجواب: وردت كلمة (حُب) تسع مرات، ووردت كلمة (محبة) مرة واحدة. (الحُبُّ) هو المصدر الأصلي. و(المحبة) المصدر الميمي وفعلها هو (حبّ)، و(أحبّ). ولأن (الحب) هو المصدركانت هي الأصل ووردت تسع مرات، بينما لم يرد المصدر الميمي (محبة) إلا مرة واحدة. (الحب) جاء في المرات التسع التي ورد فيها سلوكًا من البشرتجاه الله تعالى أو تجاه موضوعات في الحياة، أو تجاه بشر آخر. لذا عندما استعمل الله -سبحانه وتعالى- هذه المادة وأضافها إليه سبحانه، استعمل المصدر الميمي (المحبة) ولم يستعمل المصدر الشائع بين الناس (الحب) والذي يناسب الكثرة، = ﴿وَأَنَا﴾ قرئ: (أنا) بتخفيف النون من (أنا) على أنه ضمير منفصل مبتدأ، و(اخترتك) بتاء مضمومة بعد الراء على أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم وحده. وقرئ: (أنّا) بتشديد النون من أنا، وبنون بعدها ألف بدل التاء في (اخترتك) على أنها المشددة وهي المؤكدة، و(نا) اسمها، وأصله وأنّنا، حذفت إحدى النونات على التخفيف، قيل: هي الثانية، وقيل: هي الثالثة، واكتفى بالألف لدلالتها عليها، والفعل بعدها مسند إلى ضمير العظمة، والإجماع على فتح الهمزة في (أنا)، ووجه الفتح على قراءة تشديد النون: أنها مجرورة باللام المحذوفة والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده، أي: لأنا اخترناك فاستمع ... الخ. [٣١-٣٢] ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦ ... وَأَشۡرِكۡهُ﴾ قرئ: (أَشدد-وأَشركه) الأول: بهمزة وصل مضمومة، والثاني: بهمزة مفتوحة على أنهما فعلا أمر استعملا =

[٤٧] ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. = واختصاصه بالرّسالة إلى فرعون، وما جرى بينهما من المكالمة، والموعد يوم الزّينة، وحِيَل فرعون وسَحَرته بالحِبالِ والعِصِي، وإيمان السّحرة وتعذيب فرعون لهم، والمِنّة على بني إسرائيل بنجاتهم من الغرق، =

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

٥٢- ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: يعني: في أم الكتاب لا علم لي بها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يخطئ ربي في تدبيره. ٥٣- ﴿مَهْدًا﴾: هو مثل الفراش، قرأ الكوفيون: (مهدًا)، وقرأ الباقون (مهادًا) ﴿وَسَلَكَ﴾: نهج ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: ألواناً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: مختلفة الطعوم والأراييح والمنظر. ٥٤- ﴿أَنْعَٰمَكُمْ﴾: بهائمكم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لدلالات ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾: أهل العقول. ٥٥- ﴿مِنْهَا﴾: يعني من الأرض ﴿تَارَةً﴾: مرة. ٥٦- ﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: أي أرينا فرعون وعرّفناه. والآيات: هي الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ -راجع ص٢٩٣- أي أراه موسى كل ما جاء به من آيات، وأضاف الآيات إلى ضمير العظمة تشريفًا لها. ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾: كذب فرعونُ موسى، وأبى أن يجيبه إلى الإيمان. ٥٨- ﴿مَكَانًا سُوًى﴾: أي مكاناً منصفاً عدلاً بيننا وبينك. ٥٩- ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: يوم عيد كان لهم ولعلهم كانوا يتزينون فيه. ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: أن يساق الناس من كل ناحية. ٦٠- ﴿كَيْدَهُۥ﴾: جمع ما يكيد به من مكره وسحرته. ٦١، ٦٢- ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: يستاصلكم ويهلككم، وفيه لغتان: سحت وأسحت. ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟﴾: ترادُوا؛ أي ردُّ السحرة بعضهم على بعض وتناظروا ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: قال السحرة بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحراً فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر. وقيل: لما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: الآية.. قالوا: ما هذا بقول ساحر. واختلف في ذلك، «النجوى»: المناجاة. ٦٣- ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾: «المُثلى»: تانيث الأمثل، والطريق: السنة. والمراد: أهل طريقتهم، أي إنهما إن غلبا مال إليهما السادة والأشراف منكم. ٦٤- ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾: معناه: وجهوا واحكموا كيدكم ﴿صَفًّا﴾: صفوفاً ﴿مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: فلح وغلب على صاحبه اليوم.

[٥٣] ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه : ٥٣]، ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف : ١٠]. آية طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله عز وجل على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه : ٤٤]، فلما بني الكلام على هذا وأعقب بقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [طه : ٥٣-٥٤]، -ولا إشكال في أن هذا من التلطف والرفق في الدعاء- ناسب ذلك العبارة بـ"سلك" عما أنهج تعالى من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحهم، وهي منبئة عما تعطيه "جعل" في الآية الأخرى من زيادة الوضوح وكمال التهيئة، فهي أنسب لما قصد في هذه السورة، تقول: منهج سالك أي واضح، ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوضوح، أمّا آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥]، وقوله تعالى إخبارًا عن مكذبي الأمم: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزخرف : ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف : ٨]، أي: من هؤلاء الذين كذبوك يا محمد، فهذا كله توبيخ للجاحدين والمعاندين، وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف : ٣]، والتعقل لا يستلزم الاهتداء والإيمان، وقد اكتنف لفظ "جعل" في الزخرف قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف : ٣]، وقوله بعدها: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف : ١٢]، فناسب هذا ذكر "الجعل"، ولم يناسب هنا هذه المناسبة لفظ "سلك"، والله أعلم.

= والناس كثرة. أما المصدر الميمي فيناسب القلة والندرة، فاستعمل مع الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد. وإذا كان الحب حاصلًا من البشر جاء القرآن بكلمة (حب)، وإذا كان إلقاء من الله -تعالى- كان بكلمة (محبة). فجاءت كل كلمة متسقة ومنسجمة مع موسيقى السياق في كل المواضع التي وردت فيها. مثال قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. فكلمة (حُبًّا) منسجمة مع كلمة (جَمًّا) فكل منهما ثلاثي الأحرف منوَّن الآخر، ومشدد الوسط. مثال آخر مع كلمة (محبة): في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]. ولا يتسق أبدًا ورود كلمة (حُبًّا) بدل كلمة (محبة) هنا. [٥٣] ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه : ٥٣]. لماذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في هذه الآية؟ الجواب: التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع يسمى التفاتًا، ويستعمل لتطرية نشاط السامع، وقد ورد في القرآن كثيرًا، يلتفت من الغائب إلى الحاضر، ومن الجمع إلى الإفراد، ومن الغائب إلى المتكلم.

= في الدعاء، والمعنى: أن موسى سأل ربه أن يشد أزره بأخيه، وأن يشركه معه في النبوة. والأول: أمر من شَدَّ، والأمر من الثلاثي المضموم العين في المضارع يبتدأ بهمزة وصل مضمومة لضم ثالثه، والثاني: أمر من أشرك، والأمر مما كان على هذا الوزن مبدوء بهمزة قطع مفتوحة كأكرم من أكرم. وقرئ: (أُشدد-وأُشركه) في الأول: بهمزة قطع مفتوحة، والثاني: بضم الهمزة على أنهما مضارعان مجزومان في جواب الدعاء، والأول: مضارع من شَدَّ، والمضارع من غير الرباعي يفتح أوله، وفك الإدغام للجزم، والثاني: مضارع من أشرك ومضارع الرباعي يضم أوله. [٣٩] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ قرئ: (ولِتصنعَ) بكسر اللام ونصب آخره على أنها "لام كي" والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، والواو عاطفة على مقدر تقديره: "لتربى بعنايتي ولتصنع على عيني". وقرئ: (ولْتصنعْ) بسكون اللام وجزم الفعل بعدها على أنها "لام الأمر"، والفعل مجزوم بها، ويلزم إدغام العين فيما بعدها لسكون أول المثلين. [٥٣] ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قوله تعالى: ﴿مَهْدًا﴾ قرئ: (مِهادًا) بكسر الميم وفتح الهاء وبعدها ألف على أنها اسم لما يمهد، كالفراش لما يفرش، وقيل: المهاد جمع مهد كالكعاب جمع كعب. وقرئ: (مَهْدًا) بفتح الميم وسكون الهاء وحذف الألف لغة في المهاد، يقال: مهد ومهاد لما يمهد، وقيل: المهد مصدر مهد يُراد به اسم المفعول هنا بمعنى ممهودة، أو بتقدير المضاف، أي: ذات مهد، وكذا موضع "الزخرف". [٥٨] ﴿مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ قرئ: (لا نخلفُه) برفع الفعل على أنه مستأنف، أو في موضع نصب صفة لـ "موعد". وقرئ: (لا نخلفْه) بسكون الفاء على أنه مضارع مجزوم في =

= وتعجيل موسى، والمجيء إلى الطُّور، ومكر السّامري في صنعة العِجل، وإضلال القوم، وانفعال موسى على هارون بسبب ضلالتهم، وحديث القيامة، وحال الكفّار في عقوبتهم، ونَسف الجبال، وانقياد المتكبّرين في رِبْقة طاعة الله الحيّ القيّوم، وآداب قراءة القرآن. وسؤال زيادة العلم والبيان، وتعيير آدم بسبب النسيان، =

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٦- ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾: أمرهم بالإلقاء أولاً لتكون معجزته أظهر إذا ألقوا هم ما معهم، ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك، وإظهارًا لعدم المبالاة بسحرهم. ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ﴾: يتخيل على غير حقيقته. ٦٧- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾: أحس. ٦٩- ﴿تَلۡقَفۡ﴾: تبتلع. ٧١- ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾: أي إن موسى أسحركم، أو معلمكم وأستاذكم. وقد أراد فرعون بهذا أن يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لا صلة بينهم وبين موسى! ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾: مخالفاً بين ذلك، وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين. ﴿فِي جُذُوعِ﴾: أي: عليها ﴿أَيُّنَآ﴾: أنا أو موسى. ٧٢- ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾: فنتبعك، ونكذّب من أجلك موسى. ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾: بمعنى: ولن نختارك أيضاً، على الذي فطرنا. وقيل: هو قسم، أي: والله الذي فطرنا لن نؤثرك، وفطرنا: خلقنا. ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾: اعمل ما بدا لك ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾: إنما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا. ٧٣- ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾: جزاء منك لمن أطاعه ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: عذاباً لمن عصاه. وهذا جواب قوله: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾. ٧٤- ﴿مُجۡرِمٗا﴾: مكتسباً الجرم به، أي متلبساً بالكفر والمعاصي. ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾: فتستقرّ نفسه في مقرها، وقيل: ولا يحيا حياة ليس فيها ألم. ٧٥- ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾: درجات الجنة. ٧٦- ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهر من أدناس الذنوب.

[٦٥-٦٦] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ﴾ [الأعراف: ١١٥-١١٦]، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. كل آية من الآيتين جرت وفق فواصل تلك السورة ورؤوس آياتها، ففي الأعراف: "الغالبين، الملقين، عظيم، يؤفكون"، وفي طه: "النجوى، المثل، ألقى، تسعى". [٦٥-٦٦] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ [طه: ٦٥-٦٦]. أخبر الله تعالى عن سحرة فرعون وقولهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾، فكيف أمرهم موسى عليه السلام بإلقاء سحرهم مع أن السحر محرم، وهو كبيرة من الكبائر؟ الجواب: أنه لما كان إلقاؤهم سببًا لظهور معجزته، وصدق دعوى نبوته صار حسنًا بهذا الاعتبار، وخرج عن كونه قبيحًا، مع ملاحظة أنه ما أمرهم بالسحر على الإطلاق في كل الأحوال، بل في موقف ما لإظهار معجزته، وإبراز نبوته، وإعلامهم بصدق رسالته عليه السلام.

[٧٠] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢، الشعراء: ٤٧-٤٨]. أخّر موسى عن هارون عليهما السلام في سورة طه مع أنّ هارون كان وزيرًا له، لموافقة الفواصل. وقال صاحب التحرير والتنوير: الواو لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه، فهم عرفوا الله بأنه رب هذين الرجلين، فحكى كلامهم بما يدل على ذلك.

= جواب الأمر قبله، وهو قوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ على معنى: أن تجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه، و(لا) نافية في القراءتين على ما ذكرنا. قوله تعالى: ﴿مَكَانٗا سُوٗى﴾ قرئ: (سُوى-سِوى) بضم السين وكسرها وهما لغتان بمعنى: مكانًا مستويًا منصفًا بيننا وبينك، بحيث تستوي مسافة الجائي إليه من الطرفين وهو مثل: طوى في التصريف والتوجيه. [٦١] ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ قرئ: (فيُسحِتكم) بضم الياء وكسر الحاء على أنه مضارع من أسحته بمعنى: أستأصله، وهي لغة تميم. وقرئ: (فيَسحَتكم) بفتح الياء والحاء على أنه مضارع من سحت بمعنى: استأصله أيضًا، وهي: لغة الحجازيين، ومعنى يسحتكم: يسحقكم ويهلككم. [٦٣] ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم﴾ قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ فيها أربع قراءات: الأولى: (إنْ هذانِ) بتخفيف النون من (إن) و(هذان) بالألف، بعدها نون خفيفة، على أن (إن) مخففة من الثقيلة، و(هذان) مبتدأ، و(ساحران) خبر، و"اللام" هي الفارقة بين إن المخففة والنافية. والثانية: (إنْ هذانِّ) كذلك، لكن بتشديد النون من (هذان) ووجهه: أنه قصد بذلك التشديد التعويض عن ألف المفرد التي حذفت في التثنية فرقًا بينها وبين المعرب والمبني. الثالثة: (إنّ هذين) بتشديد النون من (إن) و(هذين) بالياء على أن (إن) هي المؤكدة العاملة، و(هذين) اسمها، و"اللام" للتأكيد، و(ساحران) خبرها، وهذه قراءة جيدة من حيث العربية، لكن أخذ عليها أنها مخالفة للرسم، ويمكن الجواب عنها بأن الرسم يحتملها، فإنها لم ترسم (هذان) بالياء ولا بالألف، فاحتمل أن يكون المحذوف الياء اختصارًا كما يختصر بحذف الألف. الرابعة: (إنّ هذان) بتشديد النون و(هذان) بالألف على أن (إن) هي الناصبة أيضًا، و(هذان) اسمها جاء على لغة من يلزم المثنى الألف في الأحوال الثلاثة، فقد حكى الكسائي عن بعض العرب قولهم: من يشتري مني خفان، وسُمع عن العرب قولهم: ضربت يدا أذناه، وحسن ذلك في هذا الموضع لبناء المفرد، ففيه حمل المثنى على المفرد في التزامه طريقة واحدة في الرفع والنصب والجر كما حمل أكثر العرب الذين جمعًا على المفرد، فألزموه الياء في الأحوال الثلاثة. [٦٤] ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾ قرئ: (فأَجمِعوا) بهمزة قطع مفتوحة وكسر الميم على أنه فعل أمر من أجمع أمره، أي: أحكمه. وقرئ: (فاجمَعوا) بهمزة وصل تسقط في الدرج فتلتقي الفاء بالجيم وميم مفتوحة على أنها فعل أمر من جمع، وهو الجمع بمعنى: الضم ويلزمه الإحكام، فتتحد القراءات في المعنى، فجمع وأجمع يتعديان بالواحد، قالوا: أجمع أمره وجمع أمره بمعنى واحد، وإن كان الثلاثي يتعدى للحسي والمعنوي، يقال: جمعت الأوراق، وجمعت أمري على كذا، بخلاف الرباعي، فإنه خاص بالمعنوي، يقال: أجمع أمره، ولا يقال: أجمع ورقه. [٦٦] ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ﴾ قرئ: (يخيل) بالياء على أنه مسند إلى المصدر المؤول من قوله: ﴿أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ فإن وما دخلت عليه في تقدير مصدر نائب فاعل، وهو مذكر، أي: يخيل إليه سعيها. وقرئ: (تخيل) بالتاء على أنها مسندة إلى ضمير مستتر يعود إلى الحبال والعِصِيّ، وهي مؤنثة، والمصدر المنسبك ﴿أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ بدل منها بدل اشتمال. [٦٩] ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلۡقَفۡ﴾ قرئ: (تلقفُ) برفع الفاء على الاستئناف. وقرئ: (تلقفْ) بسكون الفاء على أنها مجزومة في جواب الأمر وهو ألقِ، وتقدم وجه تشديد =

[٧٥] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة. وكذلك =

= وتنبيه على الوسوسة ومكر الشيطان، وبيان عقوبة نسيان القرآن، ونهي النبي عن النظر إلى أحوال الكفار، وأهل الطغيان، والالتفات إلى ما خُوِّلوا: من الأموال، والولدان، وإلزام الحجّة على المنكرين إرسال الرّسل بالبرهان، وتنبيه الكفّار على انتظار أمر الله في قوله: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ ...﴾ [طه: ١٣٥].

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

٧٧- ﴿أَنْ أَسْرِ﴾: ليلاً ﴿بِعِبَادِى﴾: يعني، بني إسرائيل، ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ﴾: اتخذ لهم ﴿يَبَسًا﴾: يابساً اي ان انحسار الماء كان معجزة لموسى عليه السلام. ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: من فرعون وجنوده، أن يدركوك من ورائك، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾: غرقاً من بين يديك. ٧٨- ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: غرق فرعون وجنوده جميعاً. ٧٩- ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾: تأكيد لإضلال فرعون، مقابل لقوله ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. ٨١- ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾: يقول عز وجل: ولا تظلموا، وقيل: لا تكفروا النعمة، وتعصوا المنعم سبحانه وتعالى، ﴿فَيَحِلَّ﴾: فيجب. ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾: تردى وشقى. ٨٢- ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: لم يشك في إيمانه، وقيل: استقام على ذلك حتى يموت. ٨٣- ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾: اي شيء عجلك، فتقدمت قومك وخلفتهم وراءك. ٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾: تابعون لأثري، واصلون بعدي، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ﴾: فسبقتهم لكيما ترضى عني بمسارعتي إلى امتثال أمرك. ٨٥- ﴿قَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾: بأن دعاهم إلى عبادة عجل. ٨٦- ﴿أَسِفًا﴾: متغيظاً على قومه، حزيناً بما أحدثوا بعده. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: بي وبجميل نعم الله عندكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: بترككم السير على أثري للموعد الذي كان وعدهم. ٨٧- ﴿بِمَلْكِنَا﴾: أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: لم نُطِق حمل أنفسنا على الصواب، وأن نملك أمرنا. ﴿أَوْزَارًا﴾: احمالاً وأثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: من حُلي آل فرعون، ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: نبذناها ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾: كذلك صنع، فأخذ من تربة فرس جبريل، فألقاه في الحلي التي نبذها في حفرة أو نحوها، فأخرج منها عجلاً جسداً له خوار.

[٧٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس: ٩٠]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. الآيتان في السورتين تحكيان قصة غرق فرعون، وفي يونس استخدم واو العطف في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ وهذا التعبير قطعي يعني أن فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى، أمَّا في سورة طه فاستخدم الباء في قوله: ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾، و"الباء" في اللغة تفيد المصاحبة والاستعانة، بمعنى أمدهم بجنوده، ولا يشترط ذهاب فرعون معهم، والتعبير في سورة يونس يوحي أن فرعون عازم بنفسه على البطش والتنكيل بموسى وقومه، لذا خرج مع جنوده لأن سياق الآيات يفرض هذا التعبير، فقد ذكرت أنهم مستكبرون ومجرمون، وذكرت أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على خوف من فرعون وملئه، وذكرت أيضًا أن فرعون عال في الأرض ومسرف، وأنه يفتن قومه، وأن موسى دعا على فرعون وقومه، فقوله: ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه. ولم يذكر في طه أن فرعون آذى موسى وقومه ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقًا، لذا فالسياق هنا مختلف، لذا اختلف التعبير. ولم يذكر ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ليناسب سياق الآيات في التعبير، وبعد أن ضاق قوم موسى ذرعًا بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولى أمر النجاة بنفسه، وكان غرق فرعون وإيمانه عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، أمَّا في طه فقد جاء الأمر وحيًا من الله تعالى لموسى ولم يتولَّ الله تعالى أمر النجاة بنفسه، وكل هذه الاختلافات بين المشهدين في القصة هي ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة. [٨٦] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا ...﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ...﴾ [طه: ٨٦]. ولما رجع موسى إلى قومه من بني إسرائيل غضبان حزينًا؛ لأن الله قد أخبره أنه قد فُتِن قومه..، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية طه: فرجع موسى إلى قومه غضبان عليهم حزينًا، وقال لهم: يا قوم ألم يَعِدكم ربكم وعدًا حسنًا بإنزال التوراة..

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]. ما فائدة قوله تعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ﴾؟ الجواب: أن في ذلك ردًا على كذب فرعون وادعائه بالهداية لما قال: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، كذلك فيه تهكمٌ به. [٨٢] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. الهداية تكون أولًا، ثم يكون الإيمان والتقوى، كما في آية محمد، لكنه قال في آية طه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، وليس معناه تأخير الهداية، وإنما معناه: دام على هدايته، كقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، أي: ثبتنا عليه وأدمنا.

= القاف وتخفيفها في "الأعراف: ١١٧". قوله تعالى: ﴿سَٰحِرٍ﴾ قرئ: (سَاحِر) بفتح السين وألف بعدها، وكسر الحاء على أنها اسم فاعل مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. وقرئ: (سِحر) بكسر السين من غير ألف على أنه مصدر بمعنى: اسم فاعل، أو على تقدير مضاف، أي: كيد ذي سحر، فتتحد القراءتان، إذ الإضافة بيانية، أي: كيد هو سحر، والكيد بمعنى: التخيل، والإضافة من إضافة المسبب إلى سببه، وقد أجمعوا على رفع "كيد" خبرًا لأن، و"ما" موصول "اسمي" أو "حرفي"، فعلى أنه "اسمي" فهو اسم "أن"، والجملة صلته، والعائد: محذوف، وعلى أنه "حرفي" فالموصول وصلته في تقدير المصدر هو اسم "أن" والمعنى على الأولى: أن الذي صنعوه كيد، وعلى الثاني: أن صنعهم كيد ساحر، أو سحر على القراءتين. [٧٥] ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتِهِۦ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يأتِهِ) كسر الهاء ممدود، ووجهه وقوع الهاء بعد كسرة، ووجه المد تقوية ما فيها من ضعف. الثانية: (يأتـهِ) بالكسر والقصر ووجه الكسر ما سبق، ووجه القصر: رعاية للأصل، وأصلها قبل دخول الجازم يأتيه، فوقعت بعد ساكن فتفوت بالاعتماد، ولم يعتد بالعارض في حالة الجزم، الثالثة: (يأتهْ) بإسكان الهاء، ووجهها: التخفيف، وتنزيلها منزلة الحرف المحذوف، أو إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد سبق نظيره. [٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ قرئ: (أَسر-اسر) بهمزة قطع مفتوحة، وبهمزة وصل مكسورة في الابتداء وتسقط في الدرج، وتكسر النون قبلها للساكن. يقال: سرى وأسرى للسير، وقيل: أسرى لأول الليل، وسرى لآخره، وأما سار فمختص بالنهار. قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ قرئ: (تخافُ) برفع الفاء من الفعل على الاستئناف، أو على أنها حال من فاعل اضرب، أو صفة لطريقًا مع حذف العائد، أي: فاضرب لهم طريقًا يبسًا لا تخاف فيها دركًا ولا تخشى. وقرئ: (تخفْ) بسكون الفاء على الجزم في جواب الأمر، وهو أسر أو فاضرب، أي: إن تسر بعبادي أو تضرب لهم طريقًا في البحر لا تخف، ويحتمل أن يكون الجزم "بلا" وهي ناهية، والجملة حينئذ: مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، أو في موضع نصب على =

= ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته)، و(الصبر بمشتقاته)، و(الدرجات بمشتقاته).

فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾

٨٨- ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾: فعكفوا عليه يعبدونه، وكان خواره بالريح إذا دخلته؛ لأنه كان جسد عجل لا روح فيه، ولكن كان له خوار. وهذا الصوت قد يوجد في الأجرام بالصنعة كما يقول ابن عطية. ويشير قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾: إلى أن طائفة من بني إسرائيل اشتركوا مع السامري في دعوة قومهم، أو باقي هؤلاء القوم إلى عبادة هذا العجل. ﴿فَنَسِيَ﴾: اختلف فيه، فقيل: عنى الله به السامري، بمعنى أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى. وقيل: بل قاله السامري لبني إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه فأضل موضعه. ٨٩- ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ﴾: لا يرد عليهم جواباً ولا يكلمهم إذا كلموه. ٩٠- ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾: من قبل رجوع موسى ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾: اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم. ٩١- ﴿عَٰكِفِينَ﴾: مقيمين على عبادته. ٩٤- ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾: تركت بعضهم وجئت ببعضهم ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾: تحفظ، وتعمل بوصيتي لك فيهم. ٩٥، ٩٦- ﴿فَمَا خَطۡبُكَ﴾: ما شأنك، وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾: يعني: فرس جبريل عليه السلام ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: تراباً من أثر حافر فرس جبريل ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾: ألقيتُها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ﴿سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾: حدثت، وزينت. ٩٧- ﴿لَا مِسَاسَ﴾: لا أَمَسُّ، ولا أُمَسُّ. وذكر ان موسى امر بني إسرائيل الا يؤاكلوه ولا يخالطوه. ﴿مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾: لن تغيب عنه، يعني موقف الحساب ﴿ظَلۡتَ عَلَيۡهِ﴾: اقمت عليه ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالنار. ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: لنذرونّه ﴿فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾: في البحر ذرواً. ٩٨- ﴿وَسِعَ﴾: احاط علمه بكل شيء.

[٩٤] ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓ﴾ [طه: ٩٤]. أن ذكر الحرف وعدم ذكره له دوافع، والقاعدة العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر حرف النداء، سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويحذف الحرف إذا لم يؤد ذلك إلى التباس في المعنى، ولم يكن المقام مقام التوكيد بالحرف، ففي سورة الأعراف حذف الحرف، لأن الموقف جاء ذكره باختصار: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أمَّا في طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة، وذُكرت فيها كل الجزئيات لذا اقتضى ذكر "يا" بداية من قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه: ٨٦]، حتى قوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٢-٩٣].

[٨٢] ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. ما الفرق بين: "كفَّر وغفَر"؟ الجواب: ١- اختصت (كفَّر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفَّر) إلى (الله)، بينما أُسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفَّر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ الجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوعٌ متعلقٌ بمعاصٍ في حق الله -تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبدًا. ٢- ونوعٌ يتعلق بمعاصٍ في حقِّ العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوبًا» أو «خطايا» والعفو عنها «غفرانًا» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيرًا)

[٩٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [طه: ٩٦]. قال ابن القيم: من أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها، شغلته بما يضره. ويقول أيضًا: دافع الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها. ويقول أيضًا رحمه الله تعالى: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

= الحال من فاعل اضرب، أو صفة لطريقًا بتقدير القول، بناء على أن الجملة الفعلية الطلبية لا تقع حالًا ولا صفة إلا بإضمار القول، أي: فاضرب كونك مقولًا لك: لا تخف. أو طريقًا مقولًا لك فيه: لا تخف دركًا ولا تخشى. [٨٠-٨١] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنجَيۡنَٰكُم - وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ و﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ قرئت: (أنجيناكم-واعدناكم-رزقناكم) هذه الأفعال الثلاثة: بنون بعدها ألف قبل الكاف على إسنادها إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله: (ونزلنا عليكم). وقرئت: (أنجيتُكم-واعدتُكم-رزقتُكم) بتاء مضمومة موضع النون والألف على إسنادها إلى ضمير المتكلم وحده لمناسبة قوله بعد: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾. [٨١] ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ - يَحۡلِلۡ﴾ قرئ: (فيحِل-يحلِل) بكسر الحاء في الأول واللام في الثاني على أنهما مضارعان من حل عليه الدَّيْنُ يحل بكسر الحاء، بمعنى: وجب، أي: "فيجب عليكم غضبي، ومن يجب عليه غضبي فقد هوى". وقرئ: (فيحُل-يحلُل) بضم الحاء في الأول واللام في الثاني على أنهما من حَلَّ بالمكان يَحُل بضم الحاء إذا نزل، والمعنى على هذه القراءة: "فنزل عليكم غضبي" وفك الإدغام في الثاني على القراءتين للجزم. [٨٤] ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ قوله تعالى: ﴿أَثَرِي﴾ قرئ: (أَثَري-إِثْري) بفتح الهمزة والثاء، وبكسر الهمزة وسكون الثاء، وهما لغتان بمعنى: بعدي، يقال: جاء على إثره وعلى أثره بمعنى: جاء بعده، ولم يتخلف عنه طويلًا. [٨٧] ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ قرئ: (بمَلكنا-بمِلكنا-بمُلكنا) بفتح الميم وكسرها وضمها وهي لغات في مصدر ملك، يقال: مَلَكَ بالحركات الثلاثة، والاستعمال يجعل المِلك بالكسر لحيازته لليد، والمُلك بالضم: للأمر والسلطان، وبالفتح: لغة في المصدر ترجع إلى معنى المكسور، والحق أن معانيها واحدة إذ هي متقاربة، والمعنى: ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكن أخلفنا بخطيئتنا. قوله تعالى: ﴿حُمِّلۡنَآ﴾ قرئت: (حُمِّلنا) بضم الحاء وكسر الميم المشددة على أنه فعل مزيد بالتضعيف مبني للمجهول متعد للاثنين، الأول: "نا" وهو نائب الفاعل، والثاني: أوزارًا، فأضاف الفعل إليهم؛ لأنهم ادعوا أن غيرهم حملهم على ما صاغوا منه العجل. وقرئ: (حَمَلنا) بفتح الحاء والميم مخففة على أنه فعل ثلاثي مجرد مبني للمعلوم، ومتعد لواحد هو "أوزارًا" و"نا" فاعله. [٩٤] ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا =

[٩٧] ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتهما مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

٩٩- ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾: كان قبلك ﴿مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: قرآناً، وقيل: شرفاً، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾. ١٠٠- ﴿وِزْرًا﴾: إثماً. ١٠١- ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾: بئس ما حملوا. ١٠٢- ﴿زُرْقًا﴾: يحشرون أول قيامهم سود الألوان، زرق العيون. وقيل: أو عُمياً. وقيل: هو كناية عن شخوص البصر من شدة الهول. ١٠٣- ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يتسارُّون، أي يقول بعضهم لبعض سراً، ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾: في الدنيا. ١٠٤- ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أوفاهم عقلاً، لأنهم ينسون من عظيم ما يعاينون من هول القيامة، مدة ما عاشوا في الدنيا، أو أنهم يستقصرونها. ١٠٥- ﴿يَنسِفُهَا﴾: يذروها تذرية. ١٠٦- ﴿قَاعًا﴾: أرضاً ملساء ﴿صَفْصَفًا﴾: مستوياً، قال ابن الأعرابي: القاع الصفصف: الأرض الملساء بلا نبات ولا ارتفاع ولا بناء. ١٠٧- ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: أودية ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: روابي ونشوزاً. ١٠٨- ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾: صوت داعي الله إلى موقف القيامة ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا عوج لهم عنه ولا انحرافًا ﴿هَمْسًا﴾: الهمس: الصوت الخفي، وهو هاهنا صوت وطء الأقدام إلى المحشر. وقيل: كلام الإنسان لا يُسمع وهو يحرك شفتيه ولسانه. ١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا﴾: ما يصيرون إليه من ثواب وعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: معناه: أنه عز وجل محيط بعباده علماً، ولا يُحيط عباده به علماً. ١١١- ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: سجدت. وقيل: هو وضع الوجوه واليدين وأطراف الأقدام على الأرض. وقيل: استأسرت واستسلمت لأن أصل «العَنْو»: الذل. ﴿لِلْحَىِّ﴾: الذي لا يموت ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾: على خلقه بتدبيره ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: لم يظفر بطلبته من حمل إلى موقف القيامة ظلماً، والظلم هاهنا: الشرك. ١١٢- ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: أن يُحمل عليه سيئات غيره ﴿وَلَا هَضْمًا﴾: أن يهضمه حسناته فيُنقصه ثوابه. ١١٣- ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: ورعاً. وقيل: شرفاً بإيمانهم به.

[١٠٥] قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية.

[١٠٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ﴾ [طه : ١٠٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ... قُلِ﴾. كل ما جاء من السؤال في القرآن أجيب عنه بـ"قُلْ" بلا فاء إلَّا في قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ﴾ فبالفاء، لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال، وفي طه قبله، إذْ تقديره: إن سئلتَ عن الجبال فقل. [١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه : ١١٢]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء : ٩٤]. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ بواو النسق ورد في مقابلة ما تقدمه من المعنى الحاصل من قوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١]، وقد خاب من حمل ظلمًا، لأن عنت الوجوه ذلتها في القيامة، فمن حمل ظلمًا خاب وخسر، ومن قدم خيرًا وعمل صالحًا فلا يخاف ظلمًا، أي: زيادة في سيئاته، ولا هضمًا، أي: نقصًا في حسناته، وهذا معنى الكلام والله أعلم، فهذا موضع الواو ولا مدخل فيه للفاء، أمَّا قوله في الأنبياء: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فافتتح تفصيل أحوال الفريقين لما قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٣]، والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والأديان، وأتبع ذلك تعالى ببيان حال المحسن والمسيء في افتراقهم، فاستؤنف تفصيل جزائهم فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ إلى ما بعده، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٥]، إلى ما يتلوه من بيان جزاء المسمى وحكمه، وربطت الفاء ما فصل من الجزاء بما وقع من الجزاء المفصل مربوطًا به ومنبهًا عليه، فالموضوع للفاء ولا مدخل للواو هنا، وأمَّا تعقيب آية طه بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، فإفصاح بالتأنيس المناسب لما بنيت عليه، ولم تبن آية سورة الأنبياء على ما ذكر فجيء فيها بما يناسب، والله أعلم. [١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد : ٣٧]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه : ١١٣]. سورة الرعد لم يتقدم فيها شيء من القصص الإخبارية، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف أحوال المكلفين جريًا على ما سبق من قضائه فيهم، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أزله وما حكم به عليهم، ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم، ثم أعقب بمآل الفريقين فتحدثت الآيات عمَّن هداهم الله تعالى وما أعد لهم، وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار، وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء =

= تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ قرئ: (يبنؤمَ-يبنؤمِ) بفتح الميم وكسرها. والكسرة بناء عند البصريين لأجل ياء المتكلم، ووجهه أنه لما لم يدخل الكلام تغيير، قيل: استُخف حذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكثرة الاستعمال، فهو نداء مضاف بمنزلة يا غلام غلام. وبفتحها فيهما لتركيبهما كـ(خمسة عشر) ويُسمى بالشبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافًا لأم، إنما هو مركب معها فجعل الاسمين اسمًا واحدًا، وبناه على الفتح، ففتحة ابن أم كفتحة: خمسة عشر. ومذهب الكوفيين: أن ابن مضاف لأم، وأم مضافة للياء، وقلبت الياء ألفًا تخفيفًا فانفتحت الميم كقوله: يا ابنة عمَّا لا تلومي واهجعي. ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها. [٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْصُرُوا۟﴾ قرئ: (يبصروا) بالياء على أن الفعل مسند إلى ضمير الغائبين وهم بنو إسرائيل. وقرئ: (تبصروا) بالتاء على إرادة الخطاب والمخاطب موسى وقومه، وخوطب موسى بالأصالة وقومه تبعًا له، كأنه يقول: بصرت، أي: علمت بما لم تعلم به أنت ولا قومك، فأجرى على الجميع حكم الخطاب تغليبًا للحاضر على الغائب، وقيل: إن المخاطب موسى وحده وجمعه للتعظيم كما في قوله: رب ارجعون. [٩٧] ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ قرئ: (تخلَفه) بفتح اللام على أنه مضارع مبني للمجهول من أخلفه الوعد إذا لم ينجزه إياه وهو يتعدى إلى مفعولين، أولهما: نائب الفاعل وهو ضمير المخاطب المستتر، والثاني: الهاء وهو ضمير (موعدًا) والأصل: لن تخلفه بل تنجز إياه، فحذف الفاعل للعلم به وأسند الفعل إلى المفعول الأول فارتفع واستتر، وغيرت صيغة الفعل بضم أوله وبفتح ما قبل آخره. وقرئ: (تخلِفه) بكسر اللام على أنه =

[١١١] ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن الكريم (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن الكريم (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن الكريم (٥) مرات. وبذلك يتساوى =

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

١١٤- ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾: كان النبي ﷺ يُبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على ما كان ينزل عليه منه، فنهاه الله عن ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦]. ١١٥- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: وصيناه بأن هذا عدو لك ولزوجك، فوسوس إليه الشيطان ﴿فَنَسِيَ﴾: فترك عهدي ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾: صبراً. وقيل: حفظاً لما أمر به. وأصل «العزم»: اعتقاد القلب على الشيء. ١١٧- ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾: فيكون عيشك من كد يدك. ١١٩- ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ﴾: لا تعطش في الجنة. ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾: يقول: لا تصيبك شمس الضحى فيؤذيك حرها، والمعنى: كفاه الاشتغال بأمر المعاش والكد في تحصيله. ١٢٠- ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ﴾: ألقى إليه وحدثه ﴿شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾: من أكل منها خُلِّد فلم يمت، ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾: لا ينقضي. ١٢١- ﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما ﴿وَطَفِقَا﴾: أقبلا ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا﴾: يوصِّلان ويُغطيان عليهما. ﴿فَغَوَىٰ﴾: تعدَّى إلى ما لم يكن له أن يتعدى إليه. ١٢٢- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اصطفاه بعد معصية. ﴿وَهَدَىٰ﴾: وفّقه للتوبة. ١٢٣- ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾: أنتما عدوُّ إبليس وذريته، وإبليس عدوكما وعدوّ ذريتكما. ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾: يعني: آدم وحواء وإبليس. ﴿هُدٗى﴾: بيان لسبيلي ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: لا يزول عن محجة الطريق، ولكنه يرشد في الدنيا، ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ﴾: في الآخرة. ١٢٤- ﴿أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾: أدبر معرضاً، وتولى عنه ولم يقبله ﴿مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾: ضيقةً. واختلف في أين يكون ذلك؟ فقيل: هو العذاب في القبر. وقيل: ما يصيبه في الدنيا من المتاعب وما يكابده فيها من الغمّ والهمّ. ﴿أَعۡمَىٰ﴾: عن حجته وقيل: أعمى البصر.

[١١٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، عن السدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الآية. وتقدم في سورة النساء سبب آخر، وهذا أصح.

= وقبضه عمن يشاء... ودارت الآي بعد على أن كل جارٍ في خلقه فبتقديره، وتناسب ذلك إلى الآية، وكل ما تقدم فهو حكمه السابق في خلقه، فأعقب هذا بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا﴾ [الرعد : ٣٧]، قال الزمخشري: حكمة عربية، أي: مترجمة بلسان العرب، ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى عليه السلام، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل السامري، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره إياهم، وما كان من عناد بني إسرائيل... ثم أتبع هذا بما يلائمه إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾، أي: قصصًا مقروءًا بلسان العرب، مذكرًا من وفق لاعتباره والاتعاظ به: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾، فناسب كل من العبارتين موضعه أتم مناسبة، والله أعلم. [١١٤] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه : ١١٤]، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون : ١١٦]. فتنزَّه الله سبحانه وارتفع، وتقدَّس عن كل نقص، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، المتصرف بكل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق. ولا تعجل أيها الرسول بمسابقة جبريل في تَلَقِّي القرآن قبل أن يَفْرَغ منه، وقل: ربِّ زدني علمًا إلى ما علمتني، فهذا ما دلت عليه آية طه، أمَّا آية المؤمنون: فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق، وتَقَدَّس عن أن يخلق شيئًا عبثًا أو سفهًا، لا إله غيره، ربُّ العرشِ الكريمِ الذي هو أعظم المخلوقات. [١٢٣] ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة : ٣٨]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ [طه : ١٢٣]. سورة البقرة لم يرد فيها عن إبليس لعنه الله إلا ما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾، من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علة ولا كبير معالجة، فناسب هذا ﴿تَبِعَ﴾، ولما ورد في طه ذكر طريقة إغوائه بقوله: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ فأفهمت الآية قوة كيد اللعينِ واستحكام حيلته، حتى احتنك الكثير من الذرية، وحملهم على عبادة الطواغيت، فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل، فناسبه ﴿ٱتَّبَعَ﴾، فورد كلٌّ على ما يناسب معنًى ونظمًا، وإيجازًا بإيجاز، وإطالة بإطالة، وزاد الإمام ابن جماعة: أن "فَعِلَ" لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و"افْتَعَلَ" يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم في البقرة لفعله، فجيء: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، وفي طه جاء بعد قوله: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، فناسب ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾، أي: جدد قصد الاتباع. [١٢٤] ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه : ١٢٤]، ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ [الكهف : ٥٣]، ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [الإسراء: ١٤]. كيف التوفيق بين الآيات؟ هل الكافر يكون في الحشر أعمى أو مبصرًا يرى النار ويقرأ كتابه ؟ الجواب: من وجهين: أن القيامة مواطن ففي بعضها يكون عمى، وفي بعضها إبصار، ويختلف ذلك باختلاف أهل الحشر فيه. قال مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير: المعنى أعمى الحجة يعني مع تحقق رؤيته للأشياء، بصير كالأعمى الذي لا يهتدي.

= مضارع مبني للمعلوم من خلف إذا وجد الوعد خلفًا، أي: مخلفًا فمعنى لن تخلفه أي: لن تجد موعدًا لله مخلفًا، ومن هذا قول الأعشى: أَثْوى وقصَّر لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ** فَمَضَى وَأَخْلفَ مِنْ قُتَيلةَ مَوْعِدًا. قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (لَنُحَرِّقنه) بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة على أنها مضارع من حرَّق بالتشديد فيه المبالغة في الحرق، والثاني: (لَنُحْرِقنه) بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء على أنها مضارع أحرق، قالوا: أحرقه بالنار إحراقًا وأحرقه تحريقًا، الثالثة: (لَنَحْرُقنه) بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء مخففة على أنها من "حَرَقَ" الثلاثي، يقال: حرق الحديد بفتح الراء يحرقه بضمها إذا برده بالمبرد. [١٠٢] ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنفَخُ﴾ قرئ: (يُنفخ) بياء مضمومة وفتح الفاء على أنها مضارع مبني للمجهول نائب فاعله الجار والمجرور بعده، وقرئت: (نَنفُخ) بنون مفتوحة في أوله وفاء مضمومة على أنها فعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة إسنادًا مجازيًا من إسناد الفعل إلى سببه، إذ النافخ في الحقيقة الملك إسرافيل أو غيره. [١١٢] ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ قوله تعالى: ﴿يَخَافُ﴾ قرئ: (يخافُ) برفع الفعل على أن "لا" نافية والفعل بعدها مرفوع لتجرده من العوامل، أي: الناصب أو الجازم، وجملة الفعل والفاعل: خبر لمبتدأ محذوف تقديره، فهو لا يخاف، وجملة: المبتدأ والخبر في موضع جزم جواب الشرط. وقرئ: (يخفْ) بجزم للفعل على أن "لا" ناهية، والفعل بعدها مجزوم بها، والجملة: في موضع جزم جواب الشرط.

= عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (٥) مرات في القرآن.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦- ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ﴾: هكذا أتتك ﴿ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تركتها وأعرضت عنها ﴿تُنسَىٰ﴾: تنساك فنتركك في النار. ١٢٧- ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾: من المعيشة الضنك في الدنيا. ١٢٨- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: يتبين لهم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات وعظات ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾: أهل العقول. وقيل: لأهل الورع والتُّقى. ١٢٩- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: يا محمد، أن كل من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغ أجله. ﴿لِزَامًا﴾: موتاً، وللازمهم الهلاك عاجلاً. ١٣٠- ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: إشارة إلى صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾: ساعات الليل. وقيل: عنى صلاة العشاء الآخرة ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: صلاة الظهر وصلاة المغرب، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين. والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: -بفتح التاء- بمعنى: إن الله يُعطيك حتى ترضى عطيته وثوابه. وقُرئ بضم التاء، بمعنى: لعل الله يرضيك من عبادتك وطاعتك له. ١٣١- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أبلغ من: (لا تنظر) لأن الذي يمد بصره إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه. ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً منهم، وأشكالاً. ﴿زَهْرَةَ﴾: زينة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنختبرهم ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: مما أمتع به هؤلاء في الدنيا. ١٣٣- ﴿بَيِّنَةُ﴾: بيان ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: التوراة والإنجيل. ١٣٤- ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل بعثة محمد ﷺ، أو من قبل إتيان البينة بنزول القرآن. ﴿لَقَالُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾: بدخول النار. ١٣٥- ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر لمن يكون الفلاح. ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: انتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: إذا جاء أمر الله عز وجل، وقامت القيامة. ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾: الطريق المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: من المهتدي منا ومنكم.

[١٣١] قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار وأبو يعلى: عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفًا فأرسلني إلى رجل من اليهود، أن أسلفني دقيقًا إلى هلال رجب، فقال: لا إلا برهن، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾.

[١٢٨] ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ [طه:١٢٨]، ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ [السجدة:٢٦]. ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفًا عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ، ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخبارًا عمن أعرض عما جاءت به الرسل فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾، إلى قوله: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١٢٤-١٢٧]، هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن، ثم ورد ما بعده مستأنفًا واردًا مورد ما يرد من الكلام التفاتًا، ثم ابتدأ توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، والضمير المجرور لكفار قريش ومن كان معهم...، وأمّا آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مقدر، لما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢]، كأن قد قيل: أفلا تذكروا ولم يعرضوا، فالواو هنا للعطف. أما عن زيادة "من" بالسجدة؟ فالجواب: أنه ورد في هذه الآي ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها، أو أكثر، أو تكرار التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها، والتأكيد بإثباتها، وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون آي التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في الآي الأخر، فسورة السجدة تتميز بالشدة والإشارة إلى نفاذ الوعيد، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢]، وكان ختم السورة بقوله: ﴿ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ [السجدة : ٣٠]، وقد وقعت الآية بين هذين الوعيدين والتهديدين، فناسب ذكر ﴿ مِن ﴾، وأمّا آيه طه فلم يرد فيها من التغليظ في الوعيد وتوالي التهديد ما في آية السجدة. [١٣١] ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨]، ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾ [طه : ١٣١]. الآيتان تدعوان النبي ﷺ أن لا ينظر بعينيه ويتمنّى ما متع الله به أصنافًا من الكفار مِن مُتَع الدنيا، وآية الحجر تبين له ﷺ أن لا يحزن على الكافرين، وأن يتواضع للمؤمنين، أمّا آية طه فتوضح أن هذه المتع زينة زائلة في هذه الحياة الدنيا، متعنا بها الكافرين؛ لنبتليهم بها...

[١١٤] ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ قرئ: (يُقضَى-وحيُهُ) بياء مضمومة وفتح الضاد والألف بعدها، و(وحيه) بالرفع على أن الفعل مبني للمجهول و(وحيه) نائب فاعل. وقرئ: (نَقضِيَ-وحيَه) بنون مفتوحة وكسر الضاد وبعدها ياء مفتوحة، و(وحيه) بالنصب على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة منصوب بالفتحة الظاهرة، و(وحيه) مفعول به. [١١٦] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ في جميع مواضعها. قرئ: (للملائكةِ) بكسر التاء على الجر، وهي قراءة الجمهور وذلك على الأصل، وقرأ أبو جعفر (للملائكةُ) بضم تاء الملائكة وصلًا، قيل في توجيهها: إنه نوى الوقف على التاء ساكنة، ثم تحركت بالضم إتباعًا لضم الجيم، إجراء للوصل مجرى الوقف، واستثقالًا للانتقال من الكسرة إلى الضمة، وقيل: لشبه التاء في الملائكة بهمزة الوصل، فالهمزة تسقط في الدرج، وتسقط التاء كذلك من الملائكة فقد قالوا: (ملائكة) كما قالوا: (ملائك). وقرئ: (للملائكةِ) بإشمام الكسرة بالضم مزجًا بين الحركتين. تنبيهًا على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمومة حال الابتداء، وذلك أتى في كل القرآن. [١١٩] ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّكَ ﴾ قرئ: (أَنك) بفتح الهمزة على العطف على اسم "أن" السابق، وهو: (أن لا تجوع) والكلام من عطف المفردات، وتقدير الكلام: أن لك عدم الجوع فيها، وعدم العري، وعدم الظمأ. وقرئ: (إِنك) بكسر الهمزة عطفًا على أن الكلام من عطف الجمل. [١٣٠] ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَرْضَىٰ ﴾ قرئ: (تَرضى) بفتح التاء على أنه مضارع رضي الثلاثي مبني للمعلوم، وفاعله ضمير المخاطب تقديره أنت. وقرئ: (تُرضى) بضم التاء على أنه مضارع من أرضى المزيد بالهمزة مبني للمجهول، وأصله: يرضيك الله، حذف الفاعل للعلم به، وأسند الفعل إلى المفعول، وهو ضمير المخاطب، فاستتر وغيرت صيغة الفعل بضم أوله وفتح ما قبل آخره. [١٣١] ﴿ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ زَهْرَةَ ﴾ قرئ: (زَهْرة-زَهَرة) بسكون الهاء وفتحها وهما لغتان بمعنى الزينة.

[١١٦] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (إبليس) بمشتقاته (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها (١١) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (إبليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (١١) مرة في القرآن الكريم.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

١- ﴿ٱقْتَرَبَ﴾: دنا ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾: وهم في هذه الدنيا غافلون ساهون عن الاستعداد ليوم الحساب. ٢- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾: ما يُحْدِث الله عز وجل من تنزيل القرآن ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾: يستمعونه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: لا يعتبرون به، ولا يتفكرون في وعده ووعيده! ٣- ﴿لَاهِيَةً﴾: غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى﴾: أسر هؤلاء الناس المناجاة بينهم، أي بالغوا في الإخفاء ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾؟: أفتقبلون السحر، يعنون بذلك: القرآن. ٥- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: لم يُصدقوا أنه من عند الله، وقالوا: بل هو أهاويل رآها في منامه. ﴿ٱفْتَرَاهُ﴾: اختلقه. ﴿كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: من الأنبياء بالمعجزات. ٦- ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾: إذ سأل هؤلاء الآيات فأوتوها فلم يؤمنوا بها، فلم يُنظَروا بالهلاك والعذاب، بل أهلكوا واستؤصلوا. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟: أفهؤلاء يصدقون إن جاءتهم آية؟! ٧- ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: قيل: أهل القرآن. وقال أكثر المفسرين: أهل التوراة والإنجيل. ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أن رسل الله من البشر. وقد كان أهل الكتاب لا يجهلون ذلك. ٨- ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾: يعني: الرسل، يقول عز وجل: لم نجعلهم ملائكة أو بشرًا ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: ولكن أجساداً فيها أرواح مثلك يأكلون الطعام. ووحَّد «الجسد» وهو من صفة الجماعة بمعنى المصدر، كما يقال: وما خلقتم خلقاً ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: يقول: لم نجعلهم أرباباً لا يموتون. ٩- ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين. ١٠- ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: حديثكم. وقيل: الذكر هاهنا: الشرف، لأنه شرف لمن اتبعه وعمل به. [٦] أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبًا، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان، ثم لم يؤمنوا، لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء : ٢]، ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء : ٥]. التوجيه والله أعلم: أن هذين الاسمين العظيمين وهما: الرب والرحمن تواردا في الكتاب العزيز كثيرًا، أول ذلك في الفاتحة، ثم إن اسمه سبحانه الرحمن يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان، والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس، وأما اسمه الرب فيعم وروده طرفي الترغيب والترهيب، أما الترغيب فبين، وأما الترهيب فحيث يرد معنى ملكيته سبحانه لهم، وانفراده بإيجادهم، وإدرار أرزاقهم، وبيان انفراده تعالى بذلك، ثم هم بعد ذلك على كفرهم، ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار ما طيه وعيد وترهيب، مع تلطفه سبحانه بهم بتذكيرهم - لم يكن ليناسب ذلك ورود اسمه الرحمن، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء : ١]، أشد تخويفًا للمخاطبين، ثم إن لفظ الناس لفظ لا يخص به المؤمنون، إنما يرد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر حيث يراد الوعيد والإنذار والتخويف، أمَّا آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي ﷺ وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان إنما هو بقدرته تعالى عليهم، ولو شاء لأراهم آية تبهرهم كرفع الجبل فوق بني إسرائيل، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء : ٤]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا ﷺ، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قُدِّر له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا وناسبه اسمه الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء : ٥]، فقد وضح ورود كل من الآيتين في موضعه على ما يجب ويناسب، والله أعلم. [٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء : ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ [يوسف : ١٠٩، النحل : ٤٣]. آية سورة يوسف قد تقدمها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦]، وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف : ١٠٨]، وقوة السياق في هذه الآي يدل على معنى القسم، فناسب ذلك زيادة ﴿مِن﴾ المقتضية الاستغراق، وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل : ٤١]، يؤكد ذلك المعنى، فناسبه زيادة ﴿مِن﴾ لاستغراق ما تقدم من الزمان، أمَّا قوله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء، فتقدم قبله إنكار الكفار كون الرسل من البشر في قوله: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء : ٣]، واقتراحهم الآيات ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء : ٥]، فلما تقدم هذا أتبع ببيان الطرف الآخر، وهو التعريف بأن الرسل إنما كانوا رجالًا، فقيل هنا: =

[٨] ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة : ٢٤٧]، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء : ٨]، ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. ما الفرق بين: "جِسْم وجَسَد وبَدَن"؟ الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. أمثلة قرآنية: الجسم: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. الجسد: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٨]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. بدن: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

[١٣٣] ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْتِهِم﴾ قرئ: (تأتهم) بتاء أول الفعل نظرًا إلى لفظ (بينة)، وللإجماع على تأنيث الفعل في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾. وقرئ: (يأتهم) بالياء نظرًا إلى المعنى فإنه بمعنى البيان، أو يقال: إن تأنيث (بينة) مجازي يجوز تأنيثه وتذكيره، والله تعالى أعلى وأعلم.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ قرئ: (قَال) بفتح القاف واللام بينهما ألف على أن الفعل ماض مسند إلى ضميره صلى الله عليه وسلم، والكلام إخبار من الله تعالى حكاية عما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم الطاعنين في رسالته وفيما جاء به. وقرئ: (قُل) بضم القاف وسكون اللام على أنه أمر من الله تعالى لنبيه أن يجيب الطاعنين بقوله: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ﴾ الآية. [٧] ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نُّوحِي﴾ قرئ: (نوحِي) بنون في أوله وكسر الحاء على أنه =

نزول سورة الأنبياء: نزلت بعد سورة إبراهيم، وهي مكيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة الأنبياء: ألف ومائة وثمانية وستون. عدد حروف سورة الأنبياء: أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون. أسماء سورة الأنبياء: ما لها اسم سوى سورة الأنبياء، وسمِّيت سورة الأنبياء لاشتمالها على قصصهم، ففيها قصص إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، =

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١، ١٢- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: كسرنا. ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾: عاينوا ﴿بَأْسَنَا﴾: عذابنا ﴿يَرْكُضُونَ﴾: يهربون سراعاً. ١٣- ﴿إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: من عيشكم، وإلى مساكنكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾: تفقهون. وقيل: لعلكم تسالون شيئاً من دنياكم: استهزاء بهم. ١٥- ﴿دَعْوَاهُمْ﴾: دعاؤهم، دابهم وديدنهم، ﴿حَصِيدًا﴾: حُصدوا بالسيوف كما يُحصد الزرع ويستأصل بالمناجل. همودأ قد سكنت حركاتهم. وقيل: هم الذين بُعث عليهم بُختنصَّر. ١٦- ﴿لَاعِبِينَ﴾: عبثاً وباطلاً. ١٧- ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: صاحبة وولداً ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾: من أهل السموات، ولم نتخذ نساء وولداً من أهل الأرض، وفي ذلك رَدٌّ على زعمهم في مريم والمسيح وعزير. ١٨- ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يهلكه، كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، فإذا بلغت ذلك فلا حياة له. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: مضمحل هالك ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾: مما تشركون وتكذبون. ١٩- ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾: هم الملائكة ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يملُّون ولا يَعيَوْن. ٢٠- ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: لا ينقطعون، أي إن تسبيحهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر. وقيل: جُعل لهم التسبيح كما جُعل لهم النَّفَسَ، فلا يؤذيهم ذلك. ٢١- ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: يحيون الموتى، وينشئون الخلق. ٢٢- ﴿لَفَسَدَتَا﴾: لفسد أهل السماوات والأرض. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً لله من البهتان الذي يصفون. ٢٣- ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لا يُرَدُّ عليه حكمه، ولا يقال له لم فعلت كذا؟ ٢٤- ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حجتكم ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾، هذا القرآن فيه خبر من معي، بما لهم من ثواب الآخرة وعقوبة المعصية ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾: خبر الأمم السالفة قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا، وما هو فاعل بهم في الآخرة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: يعني: المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: الصواب فيما يقولون وما يذرون. ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عنه جهلاً.

[٢٢] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٢٢] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

= ﴿قَبْلَكَ﴾ كما قيل في نظيرتها: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم﴾ [الأنبياء: ٦]، وذلك لإحراز التناسب والتحام الجملة المنطوية على طرفي مقصدهم.

[١٤] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]. فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية الأنبياء: فلم يكن لهم من جواب عند نزول العذاب بهم إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا. [١٤] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١]. فلم يكن لهم من جواب عند نزول العذاب بهم إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمَّا آية القلم فهي تتحدث عن أصحاب الجنة حين منعوا الفقراء حقهم فعاقبهم الله، فلما رأو ما نزل بهم من العذاب قالوا: ويلنا إنَّا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء، ومخالفة أمر الله.

[١٨] ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ما الفرق بين: "زاهق، زهوق"؟ الجواب: وردت كلمة (زاهق) مرة واحدة وكذلك وردت كلمة (زهوقًا) مرة واحدة. (زاهق) اسم فاعل، و(زهوقًا) صفة مشبهة. جاءت كل كلمة في سياقها متسقة معه، فقد جاءت كلمة (زهوقًا) فاصلة لما فيها من مدٍّ في الحرف قبل الأخير (الواو) ولا يمكن أن تحل مكانها -هنا- كلمة زاهق التي لا تصلح أن تكون فاصلة. ثم إن كلمة (زهوقًا) قد سُبقت بكلمة (زهق)، فلو ذُكرت كلمة زاهق بعدها (أي مكان كلمة زهوقًا) لكان تكرارًا للمعنى وزيادة لا فائدة منها في الآية، لذا جاءت كلمة فيها معنى أبلغ وأكثر تأكيدًا، هي (زهوقًا) التي على وزن (فعول). وأتت (زاهق) في سياق كان الهدف منه الإخبار بأن الباطل (زاهق) دون مبالغة في المعنى، فناسب ذكر (زاهق) عن (زهوق). [٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. أخبر تعالى عن إدريس وعيسى، أنه رفعهما إليه فهما حيَّان عنده تعالى، وهما من البشر، فكيف التوفيق بين الوجهتين؟ الجواب: أن المراد من الخلد هو الخلد في الدنيا التي هي عالم الفناء المعهود عندهم، وإدريس وعيسى عليهما السلام في عالم آخر غير المعهود عندهم.

= مبني للمعلوم، وفاعله ضمير العظمة والمصدر المنسبك من "أن واسمها وخبرها" مفعول. وقرئ: (يُوحَى) بالياء بدل النون وفتح الحاء، ويلزمه قلب يائه ألفًا على أنه فعل مبني للمجهول والمصدر المنسبك من "أن واسمها وخبرها" نائب الفاعل، أي: إلا يوحى إليه كونه لا إله إلا أنا ... إلخ.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ﴾ قرئ: (أولم) بواو بعد الهمزة على أنها عاطفة، وفي المعطوف عليه مذهبان: أحدهما: مذهب الزمخشري وهو: أنه مقدر بعد همزة الإنكار محذوف يدل عليه الكلام السابق، وهو هنا أنهم اتخذوا من دونه آلهة، عطف إنكار جهلهم بالدلائل الكونية على توبيخهم على عبادة غيره، والعدول عن عبادته وحده. وأصل الكلام: وألم، فقدمت الهمزة لأن لها الصدارة وأخرت الواو عنها، والتقدير: أعموا عن الحق ولم ير الذين كفروا؟ وقيل: فيه رد الكلام بالواو على ما قبله، وكذلك هو بالواو في جميع المصاحف إلا مصحف أهل مكة. وقرئ: (ألم) بترك الواو بعد الهمزة على أن الكلام مستأنف لتوبيخهم على تقصيرهم بعدم التدبر في الدلائل الكونية الدالة على وحدانيته وأن جميع الكون وما فيه خاضع لمشيئته ومسخر لإرادته، فلا ينبغي العدول عن عبادته، ومن كانت هذه صناعته فلا ينبغي الإعراض عنه إلى عبادة حجارة لا تضر ولا تنفع.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

= ونوح، وسليمان، وداود، وأيوب، وإسماعيل، وصالح، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى. مواضيع سورة الأنبياء: مقصود السّورة: ما اشتملت عليه مجملاً من التنبيه على الحساب في القيامة، وقرب زمانها، ووصف الكفّار بالغفلة، وإثبات النبوّة، واستيلاء أهل الحقّ على أهل الضّلالة، وحُجّة الوحدانيّة، والإخبار عن =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٢٦- ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾: قالوا اتخذ ولداً من الملائكة، ويصح أن تحمل الآية على كل من جعل لله ولدًا؛ فتنزّه الله عن ذلك، وقال: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾: بل هم عباد أكرمهم الله عز وجل. ٢٧- ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. ٢٨- ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾: لمن رضي الله عنه يوم القيامة ﴿مُشۡفِقُونَ﴾: حذرون. ٢٩- ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ ﴾: المعنى: من يقل منهم كذا لو قاله. وليس منهم من قال هذا. ٣٠- ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا ﴾: وَحّد «الرتق» وهو من صفة السموات والأرض لأنه مصدر مثل الصوم والفطر. وقيل: «كانتا رتقاً» كانت السماوات لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾ أحيينا بالماء الذي نُنزله من السماء كل شيء، والنباتَ والشجر وإن كان مما لا حياة له في معنى ذوات الأرواح؛ فليس شيء إلا له حياة وموت. ٣١- ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً راسية ثابتة. ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ ﴾: الا تتكفأ بهم وتضطرب، ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا ﴾: في الجبال، أو في الأرض لأن الجبال من الأرض ﴿فِجَاجٗا ﴾: أعلاماً ومسالك. قال الزجاج: كل مخترق بين جبلين فهو فجٌ، ﴿سُبُلٗا ﴾: طرقاً ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾: ليهتدوا السير فيها. ٣٢- ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا ﴾: السقف: ما علاه أي فوقكم ﴿مَّحۡفُوظٗاۖ ﴾: عامّ في الحفظ من الشياطين ومن الوهي والسقوط، ونحو ذلك من كل شيطان رجيم ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾: عن حجج الله عليهم، ودلالات ربوبيته في خلقها وشمسها، وقمرها ونجومها، مُعرِضُون عن الفكر فيها والاعتبار. ٣٣- ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ﴾: يعني: في فلك السماء، وأصل الكلمة من الدوران، ومنه: فلك المغزل لاستدارتها، ﴿يَسۡبَحُونَ ﴾: يَجرون. ٣٥- ﴿وَنَبۡلُوكُم ﴾: نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ ﴾: بالشدة والرخاء لننتظر شكركم وصبركم ﴿فِتۡنَةٗ ﴾: بلاء واختباراً.

[٢٦] معنى اسم الله الرحمن: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[٣٤] وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه فقال: يا رب فمن لأمتي؟ فنزلت ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ ﴾ الآية.

[٣١] ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣١]، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح : ١٩-٢٠]. قدم الفجاج على السبل في الآية الأولى وأخر في الثانية، وذلك أن الفجّ في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال، قدم الفجاج لذلك، بخلاف آية نوح، فإنه لم يرد ذكر للجبال فأخرها، فوضعت كل لفظة في الموضع الذي تقتضيه.

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٨٥]، ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]، ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧]. زاد في آية العنكبوت ﴿ ثُمَّ ﴾ الدالة على التراخي، لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار، وجاء بالواو في آية الأنبياء لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي.

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]. أي: أجسادها، إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت في حال موتها؛ لأن الحياة شرط في الرزق، وسائر الإدراكات، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢]، معناه: حين موت أجسادها. [٣٦] ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [الكهف : ٣٦]. وفي ذكر اسمه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ هنا، بيان لقباحة حالهم، وكيف أنهم قابلوا الرحمن – مُسْدي النعم كلها ودافع النقم، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا هو – بالكفر والشرك.

[٣٠] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]. نشأة الكون: وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو تقريرها بأن نشأة الكون بدأت إثر الانفجار العظيم بعد أن كان كتلة واحدة متصلة، وهذا ما أوضحته وأكدته دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين. [٣٠] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]. الماء والحياة: الآية الكريمة تبين أن أجساد الكائنات الحية خلقت من ماء، وأن الوظائف الحيوية لا تتم في غيبة الماء، وأن الحياة خلقت أصلًا في الماء، ثم بعد ذلك اليابسة، فهي آية دقيقة مبهرة محكمة تتحدث عن حقيقة كونية لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة. [٣٢] ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٢]. الغلاف الجوي: إن أحدث شيء يقرره العلماء وآخر وصف يصفون به هذا الغلاف هو أنه كالسقف الذي يحمينا في وسط هذا الكون المظلم والبارد، فهو يقوم بما يلي: يحفظ حياة الكائنات على ظهر الأرض، ففيه الأكسجين اللازم لاستمرار الحياة. يقوم بحفظ وتخزين الحرارة القادمة من الشمس، والمحافظة على حرارة معتدلة ومناسبة للحياة. ولولا هذه الميزة لأصبح كوكب الأرض كالقمر، درجة الحرارة على أحد وجهيه أكثر من مائة درجة، وعلى الوجه الآخر أقل من مائة درجة تحت الصفر. يتصدى لجميع الإشعاعات الضارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض لأحرقت من عليها. فلا يصل من هذه الإشعاعات للأرض إلا الجزء الضروري واللازم لاستمرار الحياة. يتصدى لملايين الأحجار النيزكية التي تهوي على الأرض كل يوم، فتحترق بسبب احتكاكها معه قبل أن تصل إلى الأرض إلا القليل منها. كما أن الأرض تتمتع بحزام مغنطيسي قوي لأكثر من ألفي كيلو متر فوق سطحها، هذا الحزام يقي الأرض من كثير من الجسيمات الأولية السابحة في الفضاء. فسبحان القائل: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴾.

= الملائكة وطاعتهم، وتخليق الله السماواتِ والأرض بكمال قدرته، وسير الكواكب ودَوْر الفَلَك، والإخبار عن موت الخلائق وفنائهم، وكَلاءِ الله تعالى وحفظه العبدَ من الآفات، وذكر ميزان العَدْل في القيامَة، وذكر إبراهيم بالرّشد والهداية، وإنكاره على الأصنام وعُبَّادها، وسلامة إبراهيم من نار نُمرود وإيقادها، ونجاة =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: أي: ما يتخذونك إلا مهزوءاً بك. والهزء: السخرية، وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾: يعنون: بالسوء، تعجباً منهم. ٣٧- ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: يعني: آدم عليه السلام خلقه ﴿مِنۡ عَجَلٖ﴾، وقيل: المراد بالإنسان الجنس، جُعل لفرط استعجاله كأنه مخلوق من العجل. وقيل: نزلت الآية في قريش لأنهم استعجلوا العذاب. وقيل: خُلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من نهار الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح. ٣٨- ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾: الذي تعدُنا به من العذاب. ٣٩- ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: التقدير: لو عرفوا ذلك الوقت لما استعجلوا الوعيد، أو: لعلموا صدقه. ٤٠- ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾: فتحيرهم، أو فتفجؤهم، أي النار. ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون ويؤخرون لتوبة أو اعتذار. ٤١- ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾: وجب ونزل بهم. ٤٢- ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم﴾: يحرسكم ويحفظكم ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: من أمره وعذابه إن حل بكم. ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾: عن مواعظه. ٤٣- ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾: يجارون وينصرون. ٤٤- ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾: يعني: أهل مكة بما أنعم عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ﴾: فاغتروا بذلك وظنوا أنهم لا يزالون كذلك، فرد عليهم سبحانه بقوله ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآ﴾: بانحسار الشرك وظهور المسلمين، وتحول القرى والمدائن من أرض الشرك إلى دار الإسلام. والتعبير بالمضارعة (ننقصها) يدل على أن هذا قائم ومستمر، والله أعلم. ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾؟! تقريع من الله عز وجل بجهلهم يقول الله عز وجل: أفيظنون أنهم يغلبون محمداً، وقد قهر من ناواه من أهل الأطراف في الأرض؟

[٣٦] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل، وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعهما النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه، وقال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب من غير عهده، فنزلت ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء : ٣٦]، ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان : ٤١]. الآيتان نزلتا في الكفار المعاصرين لرسول الله ﷺ ولم يتقدم قبل آية الأنبياء أو فيما يليها خطاب يعنيهم ويخصهم، وإنما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، وهذا يتناول كل الكفار بدون تخصيص، فلهذا تعين إظهار الفاعل في الآية، أمّا آية الفرقان فإن قبلها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[الفرقان : ٣٢]، فلما تقدم ذكر الكفار المعاصرين، وعنوا بالذكر، واحتيج إلى الإخبار عنهم أتى بضميرهم إذ هو أوجز. وأمّا عمّا أعقبت به آية الأنبياء ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾، فإنه لما تقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٢١]، وقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢]، وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ [الأنبياء : ٢٤]، فتكرر ذكر مرتكبهم في اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم ناسبه قولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾. وأمّا آية الفرقان فقد تقدمها قوله: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان : ٧]، فأنكروا كون الرسول من البشر، فجرى مع ذلك وناسبه قولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ تعجبًا واستبعادًا أن يكون الرسل من البشر، وقد رد ذلك عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان : ٢٠]، فوضح التناسب فيها. قول آخر: ماقبل الآية في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٥]، فلم يجر للكفار ذِكر في الآية التي قبل هذه -أي التصريح بهم- فكان الاختيار الإظهار، وأمّا في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان : ٤٠]، أي: ألم ير الكفار في زمانك القرية التي أمطرت مطر السّوْء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدّمًا في أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار. [٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس : ٤٨، الأنبياء : ٣٨، النمل : ٧١، سبأ : ٢٩، يس : ٤٨، الملك : ٢٥]. يقول الكافرون والمشركون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟ [٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام : ١٠، الأنبياء : ٤١]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام والأنبياء ومعناها: ولقد استهزئ برسل مِن قبلك أيها الرسول، فحلّ بالذين كانوا يستهزئون العذاب الذي كان مَثار سخريتهم واستهزائهم.

[٤٥] ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ قرئ: (يَسمَعُ الصمُّ) بفتح الياء والميم ورفع الصم على أنها الفاعل، وأن الفعل مضارع من سمع الثلاثي، يقال: سمع يسمع كعلم يعلم، والكلام عليه يحتمل أن يكون من تتمة ما أمر صلى الله عليه وسلم أن يقوله للمعرضين، على أنه تذييل مقرر لكمال المنذر به لإفادة أن عدم إيمانهم ليس لنقص في المنذر به، وإنما لعبث في نفوسهم، هو إعراضهم الذي صيرهم بمنزلة (الصم)، والمعنى عليه: قل إنما أنذركم بالوحي الصادق الناطق بالحق الثابت، وإنما عد إيمانكم به لسكونكم بمنزلة الصم، ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون، ويحتمل أن يكون كلامه

[٤٤] ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآ﴾ [الأنبياء : ٤٤]. نقصان الأرض: آراء العلماء في ظاهرة نقصان الأرض: ١ـ أن الأرض تنكمش بسبب هروب ملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والمواد السائلة والصلبة من فوهات البراكين مما يؤدي إلى إنقاص الأرض من أطرافها. ٢- نتيجة دوران الأرض حول محورها فقد انبعجت قليلًا عند خط الاستواء وتفلطحت قليلًا عند القطبين مما يؤدي إلى إنقاصٍ للأرض من أطرافها. ٣ـ عوامل التعرية تأكل من قمم الجبال، وتلقي في المنخفضات، وهذا إنقاص للأرض من أطرافها. ٤ـ إن في طغيان البحار على اليابسة إنقاصًا للأرض من أطرافها. وقد جمعت الآية هذه المعاني =

= لوط من قومه أُولي العُدْوان، ونجاة نوح ومتابعيه من الطوفان، وحُكم داود، وفهم سليمان، وذكر تسخير الشيطان، وتضرّع أيوب، ودعاء يونس، وسؤال زكريّا وصلاح مريم، وهلاك قُرى أفرطوا في الطغيان، وفتح سدّ يأجوج ومأجوج في آخر الزّمان، وذلّ الكفّار والأوثان، في دخول النيران، وعِزّ أهل الطّاعة والإيمان. =

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٤٥- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾: أي أحذركم وأخوفكم بالقرآن، وذلك شأني وما أمرني الله به. ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾: أي إن من أصم الله سمعه وختم على قلبه لا يسمع الدعاء، أي لا ينتفع بما يسمع فاشبه الأصم. ٤٦- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: نصيب وحظ وعقوبة ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: بعبادتنا الآلهة والأنداد. ٤٧- ﴿ٱلْقِسْطَ﴾: العدل. وجعل «القسط» -وهو موحَّد- نعتاً للموازين، وهو جمع، لأنه في معنى: عدل ورضاً. ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لأهله ومن يرد على الله عز وجل فيه ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: حَسْبُ من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين، لأنه لا أحد أعلم بهم وبأعمالهم منه. ٤٨- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: المراد به هنا: التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام. وقيل: الفرقان هنا هو النصر على الأعداء. ٤٩، ٥٠- ﴿مُشْفِقُونَ﴾: حذرون. ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: يعني: القرآن. ٥١- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: هديناه صغيراً، قيل: أعطيناه هداه من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال لما جنَّ عليه الليل. وقيل: أعطي رشده قبل إيتاء موسى وهارون التوراة. ٥٢- ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: يعني: الأصنام لأنها كانت على صورة الإنسان من خشب. ﴿عَٰكِفُونَ﴾: مقيمون عليها. ٥٦- ﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهن. ٥٧- ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾: حلف بهذه اليمين سراً. وقيل: سمعه رجل منهم، أو قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ معناه: إلى عيدهم.

[٤٤] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]. قد اغترَّ الكفار وآباؤهم بالإمهال لِمَا رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرحونه، وظنوا أنهم لا يُعذَّبون وقد غَفَلوا عن سُنَّة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين مِن بأس في كل ناحية ومِن هزيمة، أيكون بوسع كفار "مكة" الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟ فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمَّا آية الزخرف: بل متعتُ أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم مِن قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبيِّن لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم. [٥٢، ٥٣] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣]، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤]. جوابهم في الموضعين ليس جوابًا لسؤال واحد، وإنما ورد جوابًا لسؤالين، فاختلف بحسبهما، فسؤاله في آية الأنبياء سؤال مطلع على معبوداتهم، بعد أن شاهد عبادتهم لها، ولزومهم إياها، وكيفية صورها، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، أي: ملازمون، فلم يجدوا جوابًا إلا اعترافهم بتقليد آبائهم في عبادتها، فجاوبوه بقولهم: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾، وحصل اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، فأقروا بالعجز عن جواب مقنع، فوقع جوابهم على ما تقدم، وأمَّا آية الشعراء فإن سؤال إبراهيم عليه السلام إياهم بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ورد مورد سؤال عن ماهية معبوداتهم وكيفيتها، وكأنه عليه السلام لم يشاهدها، وعلم أنهم يعبدون ما لا يعبد، فسألهم عن ماهيته، فجاوبوه: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، فجاوبوه معترفين بماهية معبوداتهم على ما أمرهم عليه، وطابق جوابهم سؤاله، فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصدًا تعجيزهم والقطع بهم، فقال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾، أي: إذا كانوا هكذا فهل يستجيبون دعاءكم، أو يملكون نفعكم أو ضركم، فيكون لكم عذر في عبادتكم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عدلوا عن الجواب، إلى تقليد الآباء، وقالوا: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، وهذا يفيد أن آلهتهم لا تنفع ولا تضر.

[٥١] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]. ما الفرق بين: "الرُّشد والهُدى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمُّ، وورودها في الشر لم يتعد موضوعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى =

= تعالى جاء لتسليته صلى الله عليه وسلم على كفرهم وعدم إيمانهم، أي: قل إنما أنذركم بالوحي، ولا عليك أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا، فعدم إيمانهم ليس لقصور فيك، ولا فيما جئت به، ولكن لكونهم بمنزلة الصم ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون. وقرئ: (تُسمِع الصمَّ) بتاء مضمومة وكسر الميم ونصب "الصم" على أن الفعل مضارع من أسمع مسند إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، و"الصم" مفعول أول، و"الدعاء" مفعول ثانٍ، وهذه القراءة تؤيد الاحتمال الثاني في القراءة الأولى. [٤٧] ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ﴾ قرئ: (مثقالَ) بنصب (مثقال) على أنه خبر كان واسمها ضمير يعود على العمل المفهوم من قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأنه يدل على وزن العمل. وقرئ: (مثقالُ) برفع (مثقال) على أنه فاعل لكان وهي "تامة" بمعنى "وجد" فلا تحتاج إلا لمرفوع فقط. = وغيرها، ومن يدري فقد يرى العلماء غدًا في هذه الآية ما لا نراه اليوم.

[٥٧] ﴿أَصْنَٰمَكُم﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. =

= من الأزل إلى الأبد في جميع الأزمان، على علالي الجِنان، وطيّ السّماوات في ساعة القيامة، وذكر الأمم الماضية، والمنزل من الكتب في سالف الأزمان، وإرسال المصطفى ﷺ بالرأفة والرحمة والإحسان، وتبليغ الرسالة، على حكم السّويّة من غير نقصان ورجحان، وطلب حكم الله تعالى على وَفْق الحقّ، والحكمة في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الأنبياء: ١١٢].

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: يعني: الأصنام، كسَّرها ﴿جُذَٰذًا﴾: قطعاً. و«المجذوذ»: المكسور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: أعظم أصنامهم، فإنه لم يكسره، وعلق فأساً في عنق الصنم أو يده. ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾: إلى إبراهيم فيحاجهم، أو إلى الصنم الكبير فيسألونه عن الكاسر. ٦٠- ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعيبها ويستهزئ بها، لم نسمع ذلك من غيره. ٦١- ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: عليه أنه فعل ذلك. وقيل: يشهدون ما يُصنع به من العقوبة. ٦٣- ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾: يعني: صنمهم العظيم، لأنه غضب من أن يعبدوا هذه الصغار معه! ٦٤- ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لهذا الرجل في مسألتكم إياه، وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها. ٦٥- ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: نُكسوا في الفتنة. ونَكْس الشيء: قلبه على رأسه فيصير أعلاه أسفله، وإنما نُكست حجتهم فاحتجوا بما كان حجة لإبراهيم عليه السلام. وقيل: إنهم رجعوا إلى جهلهم وعنادهم. ٦٧- ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾: قبحاً لكم. ٦٨- ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: للنصر، أي إن كنتم ناصريها. ٦٩- ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾: لما ألقوه في النار قيل: لم تحرق النار منه يومئذ إلا وثاقه، وروي أن جبريل جاء إليه وهو يوثق ليلقى في النار، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. ٧١- ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾: الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ﷺ، وفيها يُهلك الدجال. ٧٢- ﴿نَافِلَةً﴾: نافلة له. قيل: عنى به ابن ابنه يعقوب. وقيل: سأل واحداً بأن قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة الصافات ١٠٠] فوهب الله له واحداً، وزاده يعقوب نافلة. و«النافلة»: العطاء والفضل من الشيء يصير إلى الرجل، من أي شيء كان.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨]. في سورة الأنبياء كادهم إبراهيم؛ لقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وهم كادوا إبراهيم لقوله: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الأنبياء: ٧٠]، فجرت بينهم مكايدة، فغلبهم إبراهيم؛ لأنَّه كسر أصنامهم، ولم يغلبوه؛ "لأنَّهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم" فكانوا هم الأخسرين، وفي الصَّافَّات: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، فأجّجوا نارًا عظيمة، وبنوا بنيانًا عاليًا، ورفعوه إليه، ورمَوه منه إلى أسفل، فرفعه الله، وجعلهم في الدّنيا سافلين، وردَّهم في العقبى أسفل سافلين، فخُصت الصَّافَّات بـ"الأسفلين". [٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ...﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ...﴾ [العنكبوت: ٢٧]. الآيات الثلاث تتحدث عن منّة الله على إبراهيم عليه السلام بأن رزقه الله إسحاق ابنًا ويعقوب حفيدًا، وآية الأنعام تبين أن الله قد وفق كلًا منهما لسبيل الرشاد ...، أمّا آية الأنبياء فتوضح أن كلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحًا مطيعًا له، وأمّا آية العنكبوت فتبين أن الله جعل في ذرية إبراهيم الأنبياء والكتب...

= حقٍّ كان أو إلى باطل، إلى صوابٍ كان أو إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (الهدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٥٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عن نفسه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر عنها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]. [٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. قال تعالى عن تحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾، تأمل هذا الاحتراز العجيب! فإن كل ممقوت عند الله لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: إلى عظيم الفرس، إلى عظيم الروم، ونحو ذلك، ولم يقل إلى العظيم، وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾، ولم يقل كبيرًا من أصنامهم، فهذا ينبغي التنبه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه.

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿جُذَٰذًا﴾ قرئ: (جُذاذًا-جِذاذًا) بضم الجيم وكسرها وهما لغتان في مصدر جَذَّ، بمعنى: قطع وهي مصدر بمعنى اسم مفعول، ولكونه مصدرًا لا يثنى ولا يجمع، وقيل: المضموم جمع جذاذة كزجاج وزجاجة، والمكسور جمع: جذيذ ككريم وكرام، والجذاذ، والجذيذ بمعنى المجذوذ أي: المقطوع، والمعنى: "فجعلهم قطعًا" وعليه قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع.

[٦٦] ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته)، وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله. [٦٨] ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتهما (١٥٤) مرة. أولًا: لفظة =

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: أي رؤساء يُقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ٧٤- ﴿تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: القرية هي سدوم، وكان أهلها يأتون الذكران ويعملون بعض الخبائث الأخرى. ٧٨- ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾: حرث الأرض، وجائز أن يكون زرعاً وكرماً. ﴿نَفَشَتْ﴾: دخلت ليلاً فَرَعَتْهُ وأفسدته. ٧٩- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾: يعني عز وجل: القضية في ذلك. وذلك أن داود عليه السلام قضى بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: يا نبي الله يدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان، دُفع الكرمُ إلى صاحبه، والغنم إلى صاحبها ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير مع داود في أم الكتاب. ٨٠- ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾: «اللبوس» عند العرب: السلاح كله كان درعاً أو جوشناً، أو سيفاً، أو رمحاً. وهو في هذا الموضع: الدرع، وهو بمعنى الملبوس، وقيل: كان داود عليه السلام أول من سرد الدروع ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: لتحرزكم إذا لقيتم فيها أعداءكم. و«البأس»: القتال. ٨١- ﴿عَاصِفَةً﴾: شديدة ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: هي أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع ملكه. وقيل: الأرض التي يسير إليها سليمان كائنة ما كانت، وذلك أنه لم يكن يسير إلى أرض إلا أثبت فيها الإيمان، وبث فيها العدل، ولا بركة أعظم من هذا.

[٧٦] ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس: ٧٣، الأنبياء: ٧٦، الشعراء: ١٧٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾. أنجينا ونجينا للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة.

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ...﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ...﴾ [سبأ: ١٢]. سخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه، تجري بأمره إلى أرض بيت المقدس بـ"الشام" التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أما آية سبأ: وسخَّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخَّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه...

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]. فما فائدة الاختلاف بين الآيتين، وما الحكمة من ذلك؟ والجواب من وجهين: أن ذلك ربما اختلف باختلاف حال العاصفة في كل الموضعين، فعبّر عن كلٍ بما يناسبها في موضعها، والأمر الثاني أن العاصفة ربما كانت رخوة طيبة في نفسها، عاصفة مدمرة في مرورها، كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨]. ما الفرق بين: "الريح والرياح"؟ الجواب: أولًا: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترن بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبه. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان- عليه السلام- «عاصفة» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرِّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. أمثلة: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحدٍ: مثال: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (لتحصنكم) بالتاء على أنه مضارع مسند إلى ضمير الصنعة وهي مؤنثة، أو إلى ضمير اللبوس، وأنث الفعل لتأويل اللبوس بالدروع وهي مؤنثة، وإسناد الفعل إلى الصنعة أو اللبوس مجاز من إسناد الفعل إلى سببه. الثانية: (ليحصنكم) بالياء على أن الفعل مسند إلى ضمير اللبوس، أو إلى داود، أو إلى العلم المفهوم من علمناه إسنادًا مجازيًا من إسناد الفعل إلى سببه أيضًا، وقيل: يعود على الله والإسناد إليه حقيقي، وفي الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة. الثالثة: (لنحصنكم) بالنون على أن الفعل مسند إلى ضمير العظمة إسنادًا حقيقيًا لمناسبة السياق السابق في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾. [٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ قرئ: (الرياح-الريح) جمعًا وإفرادًا في مواضع وروده، ووجه قراءة الجمع نظرًا لاختلاف أنواع الرياح في هبوبها جنوبًا وشمالًا، ودبورًا وصبًا، وغير ذلك، وفي أوصافها: حارة وباردة، ولينة وعاصفة، وعقيمًا ولواقح ونكباء. ويطلق على واحد من الأنواع السابق ذكرها، هذا عدا قوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] فاتفق على قراءته جمعًا، ونظرًا لجمع (مبشرات)، كما اتفق على القراءة بالإفراد في (الريح العقيم) [الذاريات: ٤١] لإفراد (العقيم)، ووجه الإفراد في مواضع الجمع أنه جنس فمعناه الجمع كقولهم: جاءت الريح من كل مكان. ووجه تخصيص هذه المواضع: التنبيه على جواز الأمرين. (والريح) بالإفراد أكثر ما تقع في العذاب، والعقوبات، والرياح بالجمع تأتي في الرحمة والنعم.

= (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة في القرآن، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات في القرآن، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة. ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة. [٦٩] ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن، كما ورد لفظ (الحرّ بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن، وبذا يكون قد تساوى عدد ورود لفظ (البرد بمشتقاته) مع لفظ (الحر بمشتقاته)، وقد ورد كُلٌّ منهما (٤) مرات في القرآن الكريم.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: في البحر ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: من البنيان والمحاريب والتماثيل ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: لا يؤودنا حفظ أعمالهم وأعدادهم. ٨٣- ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: اختلف في تفسير هذا الضر، ولا خلاف على إصابته بمرض أو وهن مما يصيب سائر الناس، أما أن يكون هذا المرض معديًا أو منفرًا فليس بصحيح؛ لأن الأنبياء ليسوا معصومين فقط عن الكبائر، ولكنهم متزهون كذلك عما ينفر؛ لأن كلا الأمرين يتعارضان مع التبليغ وإن عم. ٨٤- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: قيل: رد الله عليه أهله بأعيانهم وأحياهم له، وقد كان مات أهله جميعاً إلا امرأته، وزاد إليهم مثلهم. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾: وتذكرة لأولي الألباب، فأيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب، فليقل: قد أصاب من هو خير مني نبياً من الأنبياء. ٨٥- ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: قيل: لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً تكفل بعمل رجل صالح عند موته. وقيل: تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وألا يغضب، ويقضي بالعدل. ٨٧- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: يونس بن متى عليه السلام، يعني: صاحب النون، و«النون» الحوت ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾: غضب على قومه وخرج عنهم، وقد أمره الله عز وجل بالبقاء بين أظهرهم. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: ظن يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبةً له على مغاضبته. ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾: ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ٨٨- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إذا استغاثوا بنا ودعونا. ٨٩- ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾: لا ولد لي ولا عقب يرثني. ٩٠- ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾: كانت عقيماً، فجعلها له ولوداً حسنة الخلق. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: في طاعة الله تعالى وما يقربهم منه ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾: «الدعاء» في هذا الموضع: العبادة. ﴿رَغَبًا﴾: فيما يرجون عند الله عز وجل ﴿وَرَهَبًا﴾: إشفاقاً وخوفاً.

[٨٤] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣]. ختمت القصة في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، وفي ص: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، لأنه بالغ في الأنبياء في التضرع بقوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، لأنَّ "عند" حيث جاء دلَّ على أنَّ الله سبحانه تولَّى ذلك من غير واسطة. وفي ص لمَّا بدأ القصة بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ﴾ [ص: ٤١] ختم بقوله "منَّا" ليكون آخِرُ الآية ملتمًا بالأوَّل.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]. واذكر أيها الرسول عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمَّا آية ص: واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل. [٩١] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]. الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو "التي"، وهي مريم بنة عمران المفتتح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير في سورة الأنبياء إليها، وذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام بالذكر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾، ولم يقع في آية سورة التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود في سورة الأنبياء بذكر من لم يذكر في سورة التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم: "فيه" لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، ولم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين. وأمَّا عن وجه تخصيص آية الأنبياء بالتشريف دون الآية الأخرى، فإن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل =

[٩٠] ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. القرآن يعبر عن الرجل بـ"الزوج" أحيانًا وبـ"البعل" أحيانًا أخرى، وعن المرأة بـ"الزوج" وبـ"المرأة" في بعض المواضع، فما السر في ذلك؟ الجواب: معنى "الزوج" يقوم على الاقتران القائم على التماثل والاتفاق والانسجام التام، فالزوج فرد انضم إليه مماثل له من جنسه، ولهذا تستعمل للرجل والمرأة، ولذلك لا يطلق القرآن كلمة زوج على الرجل أو المرأة إلا إذا كانت الحياة الزوجية متفقة ومستقرة، وأما إذا حدث خلل في الحياة الزوجية مثل: عدم الإنجاب، أو خلافات في الحياة الزوجية، أو عند حدوث نزاع، أو عند الاختلاف في الدين، فإن القرآن يطلق على كل منهما، بعل وامرأة.

[٨٧] ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿نَّقْدِرَ﴾ قرئ: (نَقْدِر) بنون مفتوحة وكسر الدال على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة. وقرئ: (يُقْدَر) بياء مضمومة مع فتح الدال على أن الفعل مبني للمجهول والجار والمجرور بعده في محل رفع نائب فاعل. [٨٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿نُۨجِى﴾ قرئ: (نُنجِي) بنونين وجيم مخففة على أنه مضارع "أنجى" مسند إلى ضمير العظمة حذفت منه نونه الثانية رسمًا لكونها مخفاة. وقرئ: (نُجِّي) بنون واحدة بعدها جيم مشددة على أنها مضارع نجا، وأصله: ننجي، فأدغمت النون في الجيم بعد قلبها جيمًا للتخفيف، ولتجانس النون والجيم في الجهر والاستفال والانفتاح ومع ذلك إدغام غير مقيس، أو مضارع نجَّى وأصله: نُنَجِّي، حذفت نونه الثانية لاجتماع المثلين كما حذفت التاء الثانية في نحو: (تظاهرون)، ورجح حذف الثانية لسكون الأولى، والثقل إنما حصل بالثانية، وأيد هذا الوجه قراءة الجمهور و"كذلك ننجي المؤمنين" بإظهار النونين وتخفيف الجيم، وقراءة التشديد مع حذف النون الثانية أوفق للرسم لموافقتها صريح الرسم. [٩٥] ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قرئ: (وحَرَام) بفتح الحاء والراء بعدها ألف. وقرئ: (وحِرْم) بكسر الحاء وسكون الراء وحذف الألف، وهما لغتان في وصف الفعل الذي وجب تركه، يقال: هذا حرام وحرم، كما يقال فيما أبيح فعله: هذا حلال وحل، وأصل الحرام: مصدر سمي به الممنوع منه تسمية بالمصدر، والحرم لغة فيه.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩١- ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ﴾: حفظت، ومنعت ﴿فَرْجَهَا﴾: مما حرم الله، يعني مريم عليها السلام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾: نفخ جبريل في جيب درعها، أي جيب -فتحة- القميص، وهو المراد بالفرج، أي أنها طاهرة الأثواب. وأضاف سبحانه الروح إليه -روحنا- وهو للمَلَك تشريفاً وتعظيماً. ٩٢- ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾: ملتكم ودينكم. ٩٣- ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: تفرق الناس في دينهم الذي أمرهم به فصاروا أحزاباً، وقيل: المقصود بالآية المشركون، ذمهم الله تعالى بمخالفة الحق، واتخاذهم آلهة من دون الله. ٩٤- ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾: يشكر له عمله الذي عمله ﴿كَاتِبُونَ﴾: نكتب أعماله الصالحة لنجيزه بها. ٩٥- ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: قيل: «حرام» بمعنى: مُحرَّمٌ من الله. وقيل: حرام: وجب علينا ألا يرجع منهم راجع، ولا يتوب منهم تائب. ٩٦- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ﴾: فتح عن ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: وهما أمتان ﴿وَهُم﴾: يعني: يأجوج ومأجوج ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾: من كل شَرَف ونَشْز وأكمة: يخرجون مشاة مسرعين فيغشون الأرض، روي أن ذلك يكون على عهد عيسى عليه السلام إذا أهبطه الله إلى الأرض، وأنه الذي يدعو عليهم فيُهلكهم الله. ٩٧- ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: اقترب يوم القيامة، يقول عز وجل: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تأويله: فإذا الأبصار شاخصةٌ، أبصارُ الذين كفروا عند مجيء الحق وقيام الساعة ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لمعصية ربنا. ٩٨- ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: حطبها. وذُكر أن الحصب بلغة اليمن: الحطب. ٩٩- ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: الآلهة ومن عبدها. ١٠٠- ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: قيل: لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول. وقيل: لا يسمعون شيئًا لأنهم يحشرون صمًّا؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: ١٠١، ١٠٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾: السعادة بأن يكون عن النار مبعداً. وقال عليٌّ رضي الله عنه وهو يخطب، وقد قرأ هذه الآية عثمان رحمه الله منهم. ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتها إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

[٩٨-١٠١] أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ قال ابن الزبعري: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

= موصوفين بخصائص عليّة وآيات نبوية، أولهم إبراهيم عليه السلام، ثم ابنه إسحاق، ثم ابنه يعقوب، ثم نوح ولوط وداود.. فلما ذكر هؤلاء العلية عليهم السلام بخصائص ومنح ناسب ذلك ذكر مريم وابنها بما منحا عليهما السلام.. [٩٢] ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٣]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون : ٥٣]. إن ما بعد الواو في آية الأنبياء لم يكن جوابًا لما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٩٢]، فالخطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل، ولم تخلص العبادة لله، فأمرهم بالعبادة "فاعبدون" التي هي توحيد الله، ثم جاء التعبير بقوله: "وتقطعوا" بالعطف بالواو، لأن التقطّع كان منهم قبل أن يخاطبوا بهذا القول، فيكون ما بعد الواو خبرًا غير متعلق بما قبلها، وإن ما تعلّق به هو قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء : ٩٤]، فجاء العطف فيها بالفاء دون الواو، أمّا آية سورة المؤمنون فالخطاب للرسل عليهم السلام بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون : ٥١]، والأنبياء والمؤمنون مأمورون بالتقوى فقال: "فاتقون"، ثم قال: "فتقطعوا" بالعطف بالفاء، لأن التقطع ظهر منهم بعد هذا القول، فلما كان خطابًا للرسل وأممهم صار المعنى: أمرتهم بالائتلاف والاتفاق في الدين فتقطعوا أمرهم فيه قطعًا، وافترقوا فيه فرقًا، فما بعد الفاء متعلق بما قبلها تعلق الجواب بالابتداء. [٩٤] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه : ١١٢]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء : ٩٤]. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾، بواو النسق ورد في مقابلة ما تقدمه من المعنى الحاصل من قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١]، وقد خاب من حمل ظلمًا، لأن عنت الوجوه ذلتها في القيامة، فمن حمل ظلمًا خاب وخسر، ومن قدم خيرًا وعمل صالحًا فلا يخاف ظلمًا، أي: زيادة في سيئاته، ولا هضمًا، أي: نقصًا في حسناته، وهذا معنى الكلام، والله أعلم، فهذا موضع الواو ولا مدخل فيه للفاء، أمّا قوله في الأنبياء: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾، فافتتح تفصيل أحوال الفريقين لما قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٣]، والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والأديان، وأتبع ذلك تعالى ببيان حال المحسن والمسيء في افتراقهم، فاستؤنف تفصيل جزائهم، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ إلى ما بعد، وفي قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٥]، إلى ما يتلوه من بيان جزاء المسمى وحكمه، وربطت الفاء ما فصل من الجزاء بما وقع من الجزاء المفصل مربوطًا به ومنبهًا عليه، فالموضوع للفاء ولا مدخل للواو هنا، وأمّا تعقيب آية طه بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، فإفصاح بالتأنيس المناسب لما بنيت عليه، ولم تبن آية سورة الأنبياء على ما ذكر، فجيء فيها بما يناسب، والله أعلم.

[٩٤] ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]. ما الفرق بين: "كفر، كفور، كفران"؟ الجواب: وردت كلمة (كفر) خمسًا وعشرين مرة. ووردت كلمة (كفور) ثلاث مرات. بينما وردت كلمة (كفران) مرة واحدة. (الكفر) ضد الإيمان، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها، و(الكفور) أكثر =

[٩٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ قرئ: (فُتِّحت - فُتِحت) بالتشديد والتخفيف وتقدم في "الأنعام"، قوله تعالى: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ مَنْ هَمَزَه جعله عربيًا مشتقًا من (أجت النار إذا استعرت) أو من الأجاج وهو الماء الحار، أو من الأجّة وهي شدة الحر، ووجه ترك الهمزة: أنه يجوز أن يكون أصله الهمز على الاشتقاق الذي ذكر ثم خفف همزه، ويجوز أن يكون لا أصل له في الهمز، وهو من "يجّ" ولم يفسرها من قال ذلك، و(ماجوج) من مَجّ الماء إذا ألقاه من فيه، و﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ اسمان لقبيلتين، وهما ممنوعان من الصرف للعجمة والعلمية.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

١٠٣- ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أهوال يوم القيامة. وقيل: إذا أطبقت النار على أهلها. ١٠٤- ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾: السجل: اسم الصحيفة التي يكتب فيها. أي كطي الصحيفة على الكتاب. واللام بمعنى «على»، والتقدير: نطوي السماء كما تطوى الصحيفة على ما فيها من الكتاب. وقيل: التقدير: كطي الصحيفة من أجل ما كتب فيها. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾: انقضى الخبر عن صلة قوله عز وجل: «لا يحزنهم الفزع الأكبر»، ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ، ومعناه: نعيد الخلق عراة حفاة غُرلاً، كما خلقناهم في بطون أمهاتهم. ١٠٥- ﴿فِي الزَّبُورِ﴾: كتب الأنبياء كلها ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: الذي أنزل الله عليهم، و«الذكر» هاهنا: أم الكتاب الذي عنده عز وجل في السماء ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾: يعني: أرض الجنة. وقيل: هي أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ. ١٠٦- ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾: يعني: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾: إلى رضوان الله عز وجل وإدراك الطلب عنده ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: قيل: هم أمة محمد ﷺ أصحاب الصلوات الخمس. ١٠٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم: بل لجميع العوالم من خلق الله تعالى؛ لأن شريعته إنسانية، وقامت على تكريم بني آدم، والرفق بجميع الخلائق. ١٠٩- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أدبروا ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: يقول عز وجل، أعلم قومك من قريش أنك وهم على علم أن بعضكم لبعض حرب لا صلح بينكم ولا سِلْمَ ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾: ما الوقت الذي يحل بكم فيه عقاب الله تعالى الذي وعدكم به ﴿أَقَرِيبٌ﴾: ترونه ﴿أَم بَعِيدٌ﴾؟ ١١١- ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لعل تأخير ذلك عنكم لفتنة يريدها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل مسمى قد جعله لعقابكم. ١١٢- ﴿احْكُم بِالْحَقِّ﴾: فحكمك الحق ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تقولون فيما أتيتكم به.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. لما تقدم في سورة الأنبياء إثبات كون الرسل عليهم السلام من البشر فيما حكاه تعالى من قول الكفار بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣]، ثم قال ردًا لقولهم مثبتًا كون الرسل من البشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، ثم تتابع في هذه السورة ذكر الرسل من البشر في عدة مواضع إفصاحًا وإشارة... لم يحتج هنا أن يذكر كونه عليه السلام من البشر إذ قد تولى ذلك جملة وتفصيلًا. أمَّا سورة الكهف فلم يتقدم فيها هذا فكان مظنة الإعلام بكونه ﷺ من البشر إرغامًا لأعدائه، ولما في ذلك من تلطفه تعالى بالخلق ورحمته إياهم... فكون الرسل من البشر من أعظم إنعامه سبحانه على الخلق، ويقال في موضع سورة فصلت مثل ما قيل في موضع الكهف.

= توكيدًا ومبالغة في الكفر، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها أيضًا، عندما يتنكب المرءُ الحقَّ على معرفةٍ وعلمٍ. أو يأبى استماع الحق والإذعان إليه. و(الكفران) متعلق بالحقوق والنعم التي تخصُّ المؤمن، وفيها توكيدٌ (ويمكن أن تأتي في غير القرآن بمعنى الكفور). جاءت كلمة (الكفر) في معظم المرات في سياق ذُكر فيه (الإيمان) فكانت كلمة (الكفر) مقابل كلمة (الإيمان). أما كلمة (الكفور) فقد سُبقت في المرات الثلاث التي وردت فيها بكلمة (أبى)، ولم تستعمل كلمة (أبى) ولو مرة واحدة مع كلمة (كفر) أو (كفران). أما كلمة (كفران) فهي خاصة بجحود النعمة أو جحود السعي الطيب للإنسان. [١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. كيف يكونون مبعدين عن جهنم، وقد قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وورودها يقتضي القرب منها؟ الجواب: معناه مبعدون عن ألمها وعذابها مع ورودهم لها، أو معناه مبعدون عنها بعد ورودها بالإنجاء المذكور بعد الورود. يوجد قول آخر انظر مريم: ٧١.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قوله تعالى: ﴿نَطْوِي﴾ قرئ: (نَطوِي السماءَ) بنون مفتوحة وكسر الواو، ونصب (السماء) على أن الفعل مبني للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة، و(السماء) مفعوله. وقرئ: (تُطوَى السماءُ) بتاء مضمومة وفتح الواو، ورفع (السماء) على أن الفعل مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، و(السماء) نائب فاعل؛ لأن الفاعل في الحقيقة هو: الله سبحانه وتعالى. قوله تعالى: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ قرئ: (للكُتُب) بكاف مضمومة وتاء مضمومة على أنه جمع كتاب بمعنى الصحف، ومعنى: "طي السجل لها كطي الكاتب للصحف" والإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله، قال في القاموس في مادة السجل: والسجل: الكاتب والرجل بالحبشية، و(اللام) للتقوية، و(السماء) مفرد أريد به الجمع؛ لأن السموات كلها تطوى ليس تطوى سماء واحدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، والمعنى على ذلك: يوم نطوي السماوات كطي الملك للكتب، فأنث الكتب بالجمع كالسماوات. وقرئ: (للكِتَاب) بكسر الكاف وفتح التاء بعدها ألف على الإفراد بمعنى الصحيفة، و(اللام) بمعنى (على) أي: كطي الصحيفة على المكتوب فيها. وقيل: إن السجل هو الرجل، والتقدير: كطي الرجل الصحيفة، وقيل: إن السجل ملك يطوي الكتاب، فيكون على هذين القولين: (طي) مصدر مضاف إلى الفاعل، و(اللام) في الكتاب زائدة، وقال قتادة: السجل هي الصحيفة بعينها، والمعنى: كطي الصحيفة فيها الكتب، والتقدير: "كطي الطاوي السجل فيه الكتب" وتوحيد الكتاب لتوحيد السماء. [١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ قوله تعالى: ﴿الزَّبُورِ﴾ هنا، و"الإسراء: ٥٥، النساء: ١٦٣" قرئ: (الزُّبور) بضم الزاي. وقرئ: (الزَّبور) بفتح الزاي، والضم والفتح لغتان في اسم الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام. [١١٢] ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ... عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ قرئ: (قَالَ) بقاف ولام مفتوحتين بينهما ألف على أنه فعل ماض مسند إلى ضميره صلى الله عليه وسلم، والكلام إخبار عما قاله صلى الله عليه وسلم. وقرئ: (قُلْ) بضم القاف وسكون اللام على أنه فِعْلُ أمرٍ وُجِّهَ إلى النبي ﷺ تعليمًا له أن يدعو بهذا الدعاء. قوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ قرئ: (ربِّ) بكسر الباء على أنه منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والكسرة لمناسبة الياء المحذوفة، وهي لغة مشهورة في المنادي المضاف لياء المتكلم. وقرئ: (ربُّ) بضم الباء على أنها ضمة بناء مع قطع النظر عن =

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. طي السماء: بعد أن أثبت العلماء أن الكون في توسع مستمر، قالوا لن يستمر هذا التوسع للأبد، بل سيأتي اليوم الذي يقف عنده هذا التوسع، ويعود الكون ليتقلص ويصغر حجمه وينتهي عند النقطة التي بدأ منها، هذا ما تدل عليه بعض الدراسات اليوم عن مستقبل الكون من خلال دورة كونية بدأها الكون من كتلة ثقيلة انفجرت وشكلت كل ما نراه اليوم في هذا الكون من كواكب ومجرات وإشعاعات وغازات وغيرها، وسوف تنطوي هذه الأجزاء على بعضها؛ لتعود مرة أخرى فتقترب من بعضها، وتشكل واحدة من جديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)

سورة الحج

١- ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: أشراطها، وبدؤها قبل يوم القيامة. والزلزلة: شدة الحركة. ٢- ﴿تَذْهَلُ﴾: تنسى وتترك. ﴿وَتَضَعُ﴾: تسقط جنينها من شدة الهول. ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: «ما» بمعنى المصدر؛ أي تذهل عن الإرضاع، ولهذا قال: (مرضعة) أي التي تقوم بإرضاع ولدها. أما (المرضع) فهو اسم فاعل للمؤنث ولا تلحقه التاء. ٣- ﴿مَنْ يُجَادِلُ﴾: مَن يخاصم ويزعم أن الله لا يقدر أن يُحيي من قد بَلِيَ وعادَ تراباً، ونحو ذلك من المزاعم في الله تعالى وصفاته. ﴿مَرِيدٍ﴾: مارد، وهو العاصي لله عز وجل. ٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: يعني: الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾: اتبعه من خلق الله عز وجل. ٥- ﴿فِي رَيْبٍ﴾: في شك ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾: يعني آدم عليه السلام أبا البشر ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: من ماء الرجل ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: من دم ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾: «الْمُضغةُ»: القطعة من اللحم نحو ما يمضغ الماضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾: مُصوَّرة خلقاً تاماً ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: لم يستبن خلقها ولا ظهر تصويرها. وقيل: سقطٍ قبل تمام خلقه ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: قدرتنا على ما نشاء، وابتداءنا خلقكم ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾: ممن كتبنا له بقاء وحياة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى أمد وغاية، فلا تسقطه أمه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله ووقت خروجه ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: كمال عقولكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: يموت قبل أن يبلغ أشده ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: يُعمر حتى يهرم ولا يعقل، فيعود كهيئته في حال صباه ﴿هَامِدَةً﴾: دارسة يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾: المطر ﴿اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾: نمت وزادت وحسنت ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: من كل نوع ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن.

[٣] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال: نزلت في النضر بن الحرث.

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾ [النساء : ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج : ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ...﴾ [لقمان : ٣٣]. الآيات الثلاث تدعو الناس إلى أن يخافوا الله ويلتزموا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، وآية النساء تبين أن الله هو الذي خلقهم من نفس واحدة، هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالًا كثيرًا ونساء كثيرات...، وآية الحج توضح أهوال يوم القيامة، وماذا يحدث في هذا اليوم العظيم من زلزلة للأرض، وأمَّا آية لقمان فتحذرهم من يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا. والفرق بين الآيات واضح وبيِّن. [٥] ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [الحج : ٥]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر : ٦٧]. آية سورة الحج مقصود فيها إقامة البرهان على البعث الأخروي وبسط الدلالات على كيفية إرغام منكريه، ألا ترى أن هذه الأحوال والانتقالات على ما وضح من التدريج لا تكون إلا من فاعل قادر مختار عليم حكيم، وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده إيضاحًا قوله تعالى في تعقيب آية الحج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)﴾ [الحج : ٥]، فهذا إحياء بعد الموت، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج : ٦]، فتأمل هذا التعقيب، وافتتاح الآية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾، واعتبر ما انطوت عليه هذه الآي يَلُحْ لك ما تقدم من مقصودها. أمَّا آية سورة المؤمن (غافر) فلم تتعرض لهذا الغرض وإن تضمنت ذلك بالإيجاز، وإنما بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وانفراده بالخلق والأمر، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، ونفي ما عبد من دونه تعالى، وتأمل ما تقدم من لدن قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر : ٥٧]، الآية المذكورة وما بعدها يظهر لك ما قصد بهذه الآية، وإنما اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا، واختصت تلك بما تقدم، فلذلك زيد فيها من التفصيل ما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم.

= ياء المتكلم المحذوفة، وهي أيضًا في المنادي المضاف لياء المتكلم والكسر أكثر، وحرف النداء محذوف في القراءتين. قوله تعالى: ﴿تَصِفُونَ﴾ قرئ: (تصفون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾. وقرئ: (يصفون) بالغيبة على الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم عن درجة الاعتبار.

[٢] ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ﴾ قوله تعالى: ﴿سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ قرئ: (سُكَارى) بضم السين فيهما وكاف مفتوحة بعدها ألف على أنه جمع تكسير على وزن فعالي، واحده: سكران، فقد أتى به على لفظ لا يشبه الواحد وهو الأصل في جمع سكران، ككسلان وكسالى. وقرئ: (سَكْرى) بفتح السين فيهما بعدها كاف ساكنة على وزن فعلى، واحده: سكران أيضًا؛ ويطرد هذا الوزن في كل وصف على وزن فعيل وفعل دالًّا على علته أو زمانه كمريض ومرضى، وجريح وجرحى، وزمن وزمني؛ وألحق به ما دَلَّ على الهول نحو: ميت وموتى، وهالك وهلكى، كما ألحق به نحو: سكران للدلالة على علة هي ستر العقل، أي: تغطيته، كما قالوا: رويان وروبى للذين يسكرون من شرب اللبن الرائب، ويحتمل أن يكون سكرى جمع سَكِرٍ على وزن زَمِنٍ فيكون مقيسًا فيه.

[٥] ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَبَتْ﴾ قرئ: (وربت) بدون همز بين الباء والتاء على أنه فعل معتل حذفت لامه لالتقاء الساكنين، =

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج : ٥].

مراحل خلق الإنسان: عندما تجتمع نطفة الرجل مع بويضة المرأة تبدآن بالتكاثر لتشكلا مجموعة ضخمة من الخلايا بعد أيام قليلة. هذه الخلايا تعلَّقُ في جدار الرحم، وهذه هي المرحلة الثانية "مرحلة العلقة"، وتبدأ هذه العلقة بالتغذي من جدار الرحم ليزداد حجمها ويكبر، ثم يزداد تكاثر هذه العلقة بشدة وبشكل متسارع حتى تشكل كتلة من الخلايا، وبالتصوير الملوَّن لهذه الكتلة تظهر وكأنها قطعة لحم ممضوغة وعليها آثار مضغ الطعام! وهذه هي المرحلة الثالثة وهي "مرحلة المضغة"، وبعد اكتمال هذه المضغة تبدأ العظام بالتخلُّق من داخل هذه المضغة وهنا بدايات تخلق الهيكل العظمي للجنين، وهذه هي المرحلة الرابعة =

نزول سورة الحج: نزلت بعد سورة النور، وهي مكيَّة بالاتِّفاق، سوى ستِّ آياتٍ منها، فهي مَدَنِيَّة: من قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾. عدد كلمات سورة الحج: ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة. عدد حروف سورة الحج: خمسة آلاف وخمسة وسبعون. أسماء سورة الحج: ما لها اسم سوى سورة الحج، وسمِّيت =

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٦، ٧- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ...﴾: الآيتان: هذا الذي نصّت عليه الآية السابقة من مراحل خلق الإنسان، ومن إحياء الأرض بعد موتها دليل على أنه تعالى هو الحق الغني المطلق، وأن البعث والنشور وإعادة الخلق والإحياء آت لا ريب فيه. ٨- ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: ينير عن حجته. ٩- ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾: عطفا الرجل: جانباه من يمين وشمال. والمراد: من يلوي عنقه مستكبراً في نفسه، معرضاً عما يُدعى إليه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ليصد المؤمنين بالله عن دينهم ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: ذلّ وهوان بأيدي المؤمنين، كما فُعل بأهل بدر. ١١- ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على شك كالذي هو على حرف الجبل يضطرب ويضعف قيامه، وذلك بخلاف المؤمن لأنه يعبد الله على يقين وثبات، وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: سعة في العيش، وما يشتهيه ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: استقر في الإسلام وثبت ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: ضيق ومكروه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾: ارتد إلى الكفر ﴿ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: يتبيَّن لمن فكر فيه وتدبر أنه خسر الدنيا والآخرة. ١٣- ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾: يدعو آلهة لضرُّها في الآخرة أقرب من نفعها ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصاحب المعاشر. ١٥- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾: يحسب ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾: أن لن ينصر نبيه محمداً ﷺ. وقيل: أن لن يرزق الله محمداً ﷺ فيوسع عليه من فضله ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: فليربط ﴿بِسَبَبٍ﴾: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: سماء البيت: سقفه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: ثم ليختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾: اختناقه ﴿مَا يَغِيظُ﴾: غيظه. وكذلك استعجال نصر الله محمداً ﷺ لن يُتعجل، ولن يؤخر عن حينه. وقيل المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا حتى يظهره على الدين كله، فليمت غيظًا وكمدًا لأن الله تعالى ناصره.

[١١] قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة (فيسلم) فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلد امرأته ولدًا ذكرًا ولم تُنتج خيله قال: هذا دين سوء، فأنزل الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده، فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيرًا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية.

[٥] ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل : ٧٠]، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج : ٥]. ذكر في سورة النحل الجملة التي فصلت في سورة الحج وكانت لفظة بعد لجملة الزمان المتأخر عن الشيء، قال: "والله خلقكم"، فأجمل ما فصل في السورة الأخرى، وبعده: ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [النحل : ٧٠]. فكان هذا موضع جمل لا تفصيل معها ولا تحديد، ولم يكن كذلك الأمر في الحج، لأنه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج : ٥]... فذكر تفصيل الأحوال ومباديها فقال: من كذا ومن كذا الابتداء، كل ينتقل منه إلى غيره، فبنى ذكر الحال التي ينتقل فيها من العلم إلى فقده على الأحوال التي تقدم ذكرها، فكما حدد أوائلها بمن، كذلك حدد الحال الأخيرة المنتقلة عما قبلها بمن، فقال: ﴿ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾، أي: فقد العلم بعد أن كان عالمًا فباين الموضع الأول لذلك. [٥] ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [الحج : ٥]، ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [فصلت : ٣٩]. وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، فهذا ما دلت عليه الآيتان. [٨] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج : ٨، لقمان : ٢٠]. ما في سورة الحج وافق ما قبلها من الآيات، وهي: "نذير، القبور"، وكذلك في لقمان وافق ما قبلها وما بعدها وهي "الحمير، السّعير، الأمور". [١٠] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج : ١٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٢، الأنفال : ٥١]. آية سورة الحج نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي جهل فوحده، وفي غيرها نزلت في الجماعة الَّذين تقدم ذكرهم.

= وأصله من أربى يربو إذا زاد. وقرئ: (وربأت) بهمزة مفتوحة بين الباء والتاء على أنه فعل مهموز، يقال: ربأ يربأ بنفسه عن كذا إذا ارتفع، وكذا موضع "فصلت : ٣٩". [١٥، ٢٩] ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾، ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ ﴾، ﴿ وَلْيُوفُوا۟ ﴾، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ قرئ: (لْيقطع-لْيقضوا-لْيوفوا-لْيطوفوا) بسكون اللام في هذه الكلمات على التخفيف، وذلك أن أصل هذه اللام البناء على الكسر إذ هي "لام الأمر" فإذا وقعت بعد واو أو فاء أو ثم توالي ثلاث متحركات حاصلة من العطف واللام وَأَوَّلَ الفعل بعدها، فخفف بسكون اللام، كما خفف بسكون هاء هو بعد الواو والفاء وثم، والإسكان بعد الفاء أقرب لشدة اتصالها بما بعدها، فإنها تتصل به لفظًا وخطًا والاتصال لانفصالها عن اللفظ خطًا، ولكنها تصل بما بعدها لفظًا، ولا يمكن استقلالها لكونها على حرف واحد؛ ولهذا أجمع القراء على إسكان اللام بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ و﴿فَلْيَنظُرْ﴾ وقد منع المبرد إسكان اللام مع (ثم) بحجة أنها كلمات مستقلة يمكن الوقف عليها دون الفاء والواو. واختلفوا فيما بعد الواو، والإسكان بعد (ثم) أبعد من الإسكان بعد الفاء والواو لاستقلالها وانفصالها لفظًا وخطًا، فمن أسكن بعدها فيحملها على الواو والفاء لاشتراكها معهما في كون كل منها حرف عطف. وقرئ: (لِيقطع-لِيقضوا-لِيوفوا-لِيطوفوا) بالكسر على الأصل لأنها لامات أمر.

= " مرحلة العظام "، ثم تأتي المرحلة الخامسة وهي "مرحلة اللحم" حيث يكسو الله تعالى بقدرته هذه العظام باللحم ويغلفها تغليفًا، إذًا العظام تُخلق أولًا ثم تُكسى باللحم ثانيًا، ثم تأتي المرحلة السادسة والأخيرة وهي المرحلة التي يتميز بها الجنين ويأخذ معالمه الأساسية، وهي مرحلة "الخلق الآخر"، أي تشكل الملامح الخارجية للجنين، وهذه المراحل الستة يقررها علم الأجنة، بل إن هذا التقسيم لمراحل تطور الجنين متوافق تمامًا مع العلم الحديث، فسبحان الخالق. [٥] ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥]. اهتزاز الأرض: يقول علماء النبات إن الأرض عند جفافها تكون يابسة قاحلة ساكنة، ويكون كل ما فيها ساكنًا لا يتحرك .. فالبكتريا الموجودة في الأرض وكذلك الفطريات والطحالب والبذور، وأيضًا حويصلات الديدان وبويضات الحشرات، هذه كلها تعيش في الأرض الجافة القاحلة في سبات عميق، وكأن كل ما فيها ميت .. ثم ينزل عليها الماء، فإذا بملايين الكائنات =

= سورة الحج؛ لاشتمالها على مناسك الحجّ، وتعظيم الشّعائر، وتأذين إبراهيم للنَّاس بالحج. مواضيع سورة الحج: مقصود السورة على طريق الإجمال: الوصيّة بالتّقوى، والطّاعة، وبيان هَوْل السّاعة، وزلزلة القيامة، والحجّة على إثبات الحشر والنشر، وجدال أهل الباطل مع أهل الحقّ، والشكاية من أهل النفاق بعد الثبات، =

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

١٧- ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: قوم يعظمون النجوم والملائكة، ويقرؤون الزبور، وما زال لهم وجود بالعراق: حرّانيين ومندائيين. ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يعدل في قضائه بينهم يوم القيامة ﴿شَهِيدٌ﴾: لا يغيب عنه شيء من ذلك. ١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من الخلق أي: يخضعون وينقادون لله ﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾: تسجد ظلالها، أو السجود الخاص بها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: يعني: المؤمنين من عباده ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: وجب عليه الشقاء، وهو يسجد مع ظله ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: يشقيه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: يسعده بالسعادة. ١٩- ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾: المراد بـ«الخصمين»: جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا، وجميع المؤمنين. واختصامهم: معاداة كل فريق منهم الفريق الآخر، ومحاربته على دينه، أو ادعاء كل فريق منهم أنهم أفضل دينًا ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: قيل: إن النار مشتملة عليهم كاشتمال الثياب. قال مجاهد: الكافر قطعت له ثياب من نار، والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾: ماء مغلي. ٢٠- ﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب. ٢١- ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾: ضرب مقامع أي مطارق ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ على رؤوسهم.

[١٩-٢٢] قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابًا، ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد ونبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

[١٤، ٢٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾ [الحج : ١٤، ٢٣]. هذه الآية مكرّرة بنفس السورة مرتين، وموجِب التكرار قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج : ١٩]، لأنه لمّا ذكر أحَدَ الخَصْمين وهو: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج : ١٩]، لم يكن بُدّ من ذِكر الخَصْم الآخر فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. [١٨] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد : ١٥]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل : ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج : ١٨]. في سورة الرعد تقدّم آية السّجدة ذكرُ العُلْويّات من البرق والسّحاب والصواعق، ثمّ ذِكر الملائكة وتسبيحهم، وذَكر بأخرة، أي: أخيرًا، الأصنام والكفّار، فبدأ في آية السّجدة بذكر من في السّماوات لذلك، وذَكَر الأرض تبعًا، ولم يذكر مَن فيها استخفافًا بالكفار والأصنام.. وأمّا في النّحل فقد تقدّم ذكرُ ما خلق الله على العموم، ولم يكن فيه ذكر الملائكة، ولا الإنس بالتصريح، فاقتضى سياق الآية ما في السّماوات وما في الأرض؛ وأمّا في الحجّ فقد تقدّم ذكر المؤمنين وسائر الأديان، فقدّم ذكر مَن في السّماوات؛ تعظيمًا لهم ولها، وذكر مَن في الأرض؛ لأنهم هم الّذين تقدّم ذكرهم، فقد قال في كل آية ما ناسبها. [١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة : ٦٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة : ٦٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [الحج : ١٧]. النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في آية البقرة، ولكن الصابئين مقدمون على النصارى في الزمان فقدمهم بعد ذلك في آية الحج، ثم جمع بين المعنيين في آية المائدة حيث قدم الصابئين إشارة إلى تقدمهم في الزمان، ثم رفعها ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بين منصوبات دلالة على نية تأخيرهم، وكأن تقدير الكلام: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون كذلك.

[٢٢] ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج:٢٢]، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السجدة:٢٠]. السياق المتقدم لآية الحج يقتضي زيادة اللفظ، فالغم هو الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسًا، وقبل الآية قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج : ١٩-٢١]، فاشتمل العذاب عليهم وأحاط بهم إحاطة الثوب للجسد، فبلغ بهم الغم والكرب غايته، أعاذنا الله منها، فناسب الآية الزيادة، أمّا آية السجدة فلم يتقدمها ما تقدم آية الحج فناسبها الحذف، فزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى. وخصت سورة الحج بالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟﴾، لطُول الكلام بوصف العذاب، وخصّت سورة السّجدة بالإظهار في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟﴾، موافقة للقول قبله في مواضع منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [السجدة : ٣]، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة : ١٠] و﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة : ١١] و﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة : ١٣]، وليس في الحجّ منه شيء.

= أصلها الكسر كما لو ابتدأ بها لم تكن إلا مكسورة، فأجراها مع حرف العطف مجراها بغير حرف، هذا: ومما تقدم يُعلم وجه من سَكَّن في الجميع، وكَسَر في الجميع، ووجه من سَكَّن في البعض دون البعض. وخلاصة ما تقدم: أن من القراء من أسكن اللام في المواضع الأربعة تخفيفًا وإجراء لـ"ثم" مجرى (الواو والفاء) وفيهم: من كسر في الجميع اعتبارًا بالأصل، ومنهم: من أسكن بعد الواو وكسر لام ليقضوا بعد ثم، وذلك للتفرقة بين المستقبل وغيره في ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟﴾ وحملًا للمستقبل على غيره في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ جمعًا بين المذهبين، ولمناسبة ما قبلها فإن التي قبلها هي: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ خففت بالإسكان، وكان الحمل أقرب، بخلاف: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟﴾ فإنها لما لم تسبق بنظير تحمل عليه رجع إلى الأصل. [٢٣] ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرئ: (لؤلؤًا) بالنصب على أنه معطوف على محل الجار والمجرور، وهو ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ لأن محله النصب، ويجوز: الإتباع لمحله لأنه يظهر في الفصيح كما =

= الموجودة بها تدب فيها الحياة، ويظهر فيها النشاط وتمتلئ بالحركة، وتأخذ الديدان في شق الأنفاق في التربة وتفكيكها، فتهتز الأرض، وتزيد التربة في حجمها، وذلك كما يحدث عند وضع الخميرة في العجين، ثم تبدأ عمليات الانقسام، وتنبت البذور وتكبر الجذور .. وهكذا تحيا الأرض بعد موتها.

= وعَيْب الأوثان وعبادتها، وذكر نُصْرة الرّسول ﷺ، وإقامة البرهان والحُجّة، وخصومة المؤمن والكافر في دين التوحيد، وتأذين إبراهيم على المسلمين بالحجّ، وتعظيم الحُرُمات والشعائر، وتفضيل القربان في الموسم، والمِنّة على العباد بدفع فساد أهل الفساد، وحديث البئر المعطّلة، وذكر نسيان رسول الله ﷺ وسهوه حال =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤- ﴿وَهُدُوٓاْ﴾: هداهم الله في الدنيا ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: إلى طريق ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾: الدين الحميد المحمود. ٢٥- ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن «المسجد الحرام الذي جعلناه للناس» كافة ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾: «العاكف»: المقيم به، و«الباد»: الواصل من البادية، والمراد به: الطارئ عليه والمنتاب إليه من غيره. ليس أحد أحق بمنزله فيه من أحد، إلا أن يكون سبق إلى منزل ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِ﴾: يقول عز وجل: ومن يرد إلحاداً، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم، وأدخلت الباء في «إلحاد» كما أدخلت في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [سورة المؤمنين ٢٠] ﴿بِظُلۡمٖ﴾: بشرك، وهو أن يعبد فيه غير الله. وقيل: هو استحلال الحرام. وقيل: كل ما كان منهياً عنه من الفعل. وقيل: هم المحتكرون الطعام بمكة. والوعيد في الآية على النية والإرادة؛ لعظيم حرمة الحرم. ٢٦- ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا﴾: وطّأنا، وبيّنا، ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾: من الشرك وعبادة الأوثان، والدماء وسائر النجاسات ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: بالبيت ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾: المصلين. ٢٧- ﴿وَأَذِّن﴾: ناد في الناس أن حُجُّوا البيت ﴿رِجَالٗا﴾: مشاة على أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾: ركباناً على ضوامر الإبل، وهي المهازيل. ورُوي أن من حج اليوم فقد أجاب إبراهيم يومئذ (فجّ): مكان ومسلك. وأصل الفج: الطريق الواسع ﴿عَمِيقٖ﴾: بعيد. ٢٨- ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾: أسواقهم وتجاراتهم، والأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل ﴿فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾: أيام التشريق، وقد مضى ما جاء في ذلك في سورة البقرة ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾: من هدي بهيمة الأنعام، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ [سورة المائدة ٢] ﴿وَأَطۡعِمُواْ﴾: منها ﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾: الذي يبسط إليك يده للعطية. ٢٩- ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾: أي ليؤدوا، ما عليهم من مناسك حجهم من حلق وطواف ورمي جمرة وموقف وغيرها، وأصل معنى التفث: الوسخ، فكان المعنى: الخروج من الإحرام إلى الإحلال، ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾: الهدي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾: يطوفوا. وقيل: هو طواف الزيارة يوم النحر ﴿بِٱلۡبَيۡتِ﴾: بيت الله الحرام ﴿ٱلۡعَتِيقِ﴾: لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى هدمه وتخريبه. ٣٠- ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه، تعظيماً لحدود الله عز وجل أن يواقعها أو يستحل منها شيئاً ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما لم يُذكر اسم الله عليه ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾: اتقوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان.

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِ﴾ الآية. [٢٧] قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

[٢٦] ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦]. الأمر في آية الحج بعد بناء الكعبة، ولذلك جاء فيها: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بالبيت من غير أهل مكة، ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾، أي: المقيمين بها، أي: بعد ما صارت عامرة. [٢٨] ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]. ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ كرره، لأنّ الأول مرتب على ذبح بهيمة الأنعام الشاملة للبدن والبقر والغنم، والثاني مرتب على ذبح البدن خاصة، وإن وافقه في الحكم ذبح الآخرين. [٣٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. ذلك الذي أمر الله به مِن قضاء التفث والوفاء بالنذور والطواف بالبيت، هو ما أوجبه الله عليكم فعظِّموه، ومن يعظم حرمات الله، ومنها مناسكه بأدائها كاملة خالصة لله، فهو خير له في الدنيا والآخرة.. فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، أمّا الآية الثانية: ذلك ما أمر الله به مِن توحيده وإخلاص العبادة له. ومن يمتثل أمر الله ويُعَظِّم معالم الدين، ومنها أعمال الحج وأماكنه، والذبائح التي تُذْبح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم مِن أفعال أصحاب القلوب المتصفة بتقوى الله وخشيته.

= في قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ﴾، وقوله: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ متعلق بـ (يُحلّوْن) إن كان الفعل متعديًا لواحد، ويحتمل أن يكون متعديًا لاثنين، الأول: نائب الفاعل و﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ متعلق بمحذوف صفة لمحذوف هو المفعول الثاني، وعلى ذلك يكون (لؤلؤًا) معطوف على المفعول المحذوف؛ ويحتمل أن يكون معطوفًا على (أساور) بناء على زيادة "من" في الإثبات على مذهب الأخفش، والتقدير: "ويحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤ" كما يجوز: أن يكون مفعولًا لمحذوف يدل عليه المقام نحو: ويؤتون لؤلؤًا، هذا ما قالوه في توجيه نصب (لؤلؤًا). ويجوز أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ على المعنى إذ هو منصوب على التمييز لأساور، فإنك إذا قلت: (عندي خاتم) جاز لك في بيان نوعه الإضافة تقول: خاتم ذهب، أو الجر بمن، أو النصب على التمييز، (فلؤلؤًا) منصوب بالعطف على ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ على المعنى لأنه في موضع التمييز، وقد صرح المفسرون في قوله تعالى: (وبشرى للمحسنين) بجواز اعتبار (بشرى) منصوبًا على أنها معطوف على قوله: (لينذر) قبلها بحسب المعنى، فهي مفعول لأجله بحسب المعنى. وقرئ: (ولؤلؤٍ) بالجر عطفًا على لفظ ذهب بناء على أن الأساور من ذهب مرصع باللؤلؤ، أو أساور من لؤلؤ خالص، وتقدم تخفيف الهمز عند الحديث عن الهمز المفرد، ومثله موضع "فاطر: ٣٣". [٢٥] ﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ قوله: ﴿سَوَآءً﴾ قرئ: (سواءً) بالنصب على أنه مفعول ثان لجعلنا التي بمعنى: صيرنا، وللناس متعلق بجعل، أو هو المفعول الثاني، و(سواء) حال، و(العاكف فيه و(الباد) فاعل (لسواء) لأنه اسم مصدر بمعنى مستويًا. وقرئ: (سواءٌ) بالرفع على أنه خبر مقدم (والعاكف فيه)، (والباد) مبتدأ مؤخر، والجملة في موضع النصب على المفعول الثاني لجعل، أو على الحال بناء على جواز وقوع الجملة الاسمية حالًا اكتفاء بالضمير، ويكثر فيها أن تقع بالواو والضمير، أو بالواو فقط.

= تلاوة القرآن، وأنواع الحجّة على إثبات القيامة، وعجز الأصنام وعُبّادها، واختيار الرّسول مِن الملائكة والإنس، وأمر المؤمنين بأنواع العبادة والإحسان، والمِنّة عليهم باسم المسلمين، والاعتصام بحفظ الله وحياطته في قوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

٣١- ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مستقيمين لله عز وجل على الإخلاص بالتوحيد له. ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾: فيهلك، ويتفرق مِزَعاً ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد، من قولهم: أبعده الله وأسحقه. ٣٢- ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: استسمان البدن، التي تُهدي إلى البيت الحرام، واستجادتها، وأداء مناسك الحج. والشعائر: جمع شعيرة وهي ما جعله الله عملاً لخلقه. ﴿مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: من خشية الله وتعظيمه والإخلاص له. ٣٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في ألبانها وظهورها إذا احتجتم واضطررتم إليها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى أن تُقلَّد ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾: قيل: محل الشعائر. وقيل: عنى البدن، أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: إلى أن تبلغ مكة، وهي التي بها البيت العتيق. ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: ذبحاً يهرقون دمه ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾: المتواضعين لله المطمئنين إلى الله عز وجل. ٣٥- ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خشعت ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في الزكاة، ونفقة العيال، وسبيل الله. ٣٦- ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع «بَدَنة» و«البدن»: الضخم من الرجال ومن كل شيء. وهي هاهنا: البقر والبعير ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام أمر الله في مناسك حجهم ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: أجر في الآخرة وركوب وصدقة في الدنيا، وشُرب من لبنها ﴿صَوَافَّ﴾: هو أن تُعقل، أي تُربط قائمة واحدة، وتُصَفُّها على ثلاث فتنحرها كذلك. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: إذا نُحرت. ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾: قيل: هو الذي يقنع بما أعطي وبما عنده ولا يسأل ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: هو الذي يتعرض لك ولا يسألك. ٣٧- ﴿لَن يَنَالَ﴾: لن يصل ﴿التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: ما أردتم به وجهه ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: على ذبحها في تلك الأيام. ٣٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾: غائلة المشركين. وقيل: عنى بذلك: دفع الله كفار قريش عمن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل الهجرة. ﴿خَوَّانٍ﴾: يخون الله فيخالف أمره ﴿كَفُورٍ﴾: جحود لنعمة ربه عز وجل.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: «فنحن أحق أن نضمخ» فأنزل الله ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا﴾ الآية.

[٣٠] ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ [الحج: ٣٠]. الأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم، وإذا وضح أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أن غيرها من الوحشي الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام في عمله، قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، ولما كانت آية سورة الحج مناطة بما أمر به الحاج في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وصل بها ما يحل أكل لحمه للمحرم حال إحرامه فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، ولم يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾، لأن المراد ببهيمة الأنعام الوحشي، قال الإمام القرطبي: "بهيمة الأنعام: وحشيها" وقال الزمخشري في أحد تفسيريه: "الظباء وبقر الوحشي" ووجه وقوعها في آية المائدة، أن آية المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمنت متممات من الأحكام كآية الوضوء والتيمم، وتفاصيل الصيد واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات، وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة: وفيها ورد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فناسب هذا ذكر حِلِّية بهيمة الأنعام إلحاقًا لها بالأنعام، إذ لم يذكره الله في غيرها على ما ورد في تحرير ذلك، وبيان العوارض التي قد تحرم لأجلها، وذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾، ثم أتبع بقوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾، لأن هذه العوارض تكثر في الوحشي، وإن عكس الوارد في الآيتين لم يكن ليناسب، والله أعلم. [٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧]. الآية الأولى تقدمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحسن فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدمها ما يناسبها، فجاءت ابتدائية، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨]، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

[٢٧] ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ فوائد الحج: ١- الفوز بالجنة. ٢- مغفرة الذنوب. ٣- مرضاة الله. ٤- التقوى وتزكية النفس. ٥- تنمية الشعور لدى الحاج بالعزة والفخر للانتماء إلى هذه الأمة. ٦- تواصل بين المسلمين وتقوية أواصر الأخوة والمحبة بينهم. ٧- تعظيم شعائر الله. ٨- تربية المسلم على تحمل المشاق والسعي لمرضاة الله. ٩- سياحة إيمانية جميلة.

[٢٩] ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قوله: ﴿وَلْيُوفُوا﴾ قرئ: (وليْوفوا) بسكون الواو وتخفيف الفاء على أنه مضارع أوفى ومتعد بالهمزة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾. وقرئ: (وليوَفّوا) بفتح الواو وتشديد الفاء على أنه مضارع من وفي المتعدي بالتضعيف، يقال: أوفى نذره ووفّاه ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾. [٣١] ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ قوله: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ قرئ: (فتخْطَفه) بسكون الخاء وفتح الطاء مخففة على أنه مضارع خطِف بالكسر من باب فهم فالتاء في (فتخطفه) للاستقبال. وقرئ: (فتخَطَّفه) بفتح الخاء وتشديد الطاء مفتوحة على أنه مضارع تخطَّف حذف منه إحدى التاءين تخفيفًا، وأصله تتخطف. [٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قوله: ﴿مَنسَكًا﴾ قرئ: (مَنسكًا- مِنسكًا) بفتح السين وكسرها وهما لغتان، وهذا الوزن يصلح أن يكون مصدرًا ميميًا ومعناها: النسك، والمراد به هنا الذبح، ويصلح للمكان، أي: موضع النسك أو الزمان والمراد به: وقت النسك، والفتح هو القياس فيه، والكسر سماعي. [٣٧] ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ قوله: ﴿يَنَالَ - يَنَالُهُ﴾ قرئ: (ينال- يناله) بتذكير الفعلين على أن الفاعل مؤنث مجازي وهو لحومها في الأول و"التقوى" في الثاني، وهو منصوب من عامله، والفصل وحده يجيز التذكير، كما أن مجازية التأنيث من مسوغات التذكير، وقرئ: (تنال- تناله) بتأنيث الفعلين لتأنيث الفاعل مجازًا. [٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ قوله: ﴿يُدَافِعُ﴾ قرئ: (يُدَافِع) بضم الياء وفتح الدال ممدودة وكسر الفاء على أنه مضارع دافع، والمفاعلة فيه ليست على بابها بل هي جانب واحد، ويحتمل أن تكون المفاعلة لقصد المبالغة في الدفع، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ فيدافع محمول على تكرير الفعل، أي: يدافع عنهم مرة بعد مرة، فالفعل من واحد وليس من اثنين، لكن العرب تخرج (فاعل) من واحد نحو: (سافر زيد). وقرئ: (يَدْفَع) بفتح الياء وسكون الدال بعدها فاء مفتوحة على أنه مضارع دفع، فجعل الفعل مع واحد، وهو الله عز وجل يدافع عمن يشاء.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾: إلى آخر الآية.. يعني: النبي ﷺ وأصحابه، إذ خرجوا من مكة إلى المدينة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: قد فعل، وهي أول آية نزلت في القتال. والباء في «بأنهم ظلموا» للسببية. والآية عامة في كل مظلوم أن الله سيتولى نصره ولو بعد حين. ٤٠- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: دفع المشركين بالمسلمين، أي: لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض، ﴿صَوَٰمِعُ﴾: صوامع الرهبان. ﴿وَبِيَعٌ﴾: بيع النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: لليهود وهي كنائسهم. وقيل: مواضع الصلوات. ٤١- ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾: فيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: آخر أمور الخلق إليه مصيرها. ٤٤- ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهلت ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي فانظر كيف كان إنكاري عليهم، وتغيير ما كانوا فيه من النعم وإهلاكهم. والنكير: اسم من المنكر. ٤٥- ﴿فَكَأَيِّن﴾: فكم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: خربة ليس فيها أحد، تساقطت ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها وبنائها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: لا وارد لها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيع بالصخور والجص. و«الشِّيد» في كلام العرب: الجِصُّ بعينه، يقولون: شاد القصر: إذا بناه بالشيد؛ اي الجص. والمعنى: وكم من قصر مشيد متروك مهمل بعد أن حاق بأهل القرية الهلاك بسبب ظلمهم. وهكذا تسقط الأمم والحضارات وتبقى الآثار. ٤٦- ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾: عن إبصار الحق ومعرفته، أي أن العمى الحقيقي هو عمى القلوب؛ لأنه عمى البصائر لا الأبصار. [٣٩] قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية. أخرج أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ...﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ...﴾ [الحج: ٤٠]. ولولا أن يدفع الله بعض الناس -وهم أهل الطاعة له والإيمان به- بعضًا، وهم أهل المعصية لله والشرك به، لفسدت الأرض بغلبة الكفر، وتمكُّن الطغيان، وأهل المعاصي، ولكن الله ذو فضل على المخلوقين جميعًا، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمَّا آية الحج: ولولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم والباطل بالقتال لَهُزِم الحقُّ في كل أمة، ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها، ويذكرون اسم الله فيها كثيرًا... [٤٤] ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢]، ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. العقاب أشد موقعًا من النكير، لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما فيه العقاب بالفعل، وأما مسمى العقاب فإنما يراد به في الغالب أخذ بعذاب مناسب لحال المجرم إثر معصيته وعقيب جريمته، وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، والاستهزاء "أمر" مرتكب زائد على التكذيب من التهاون، والاستخفاف بجريمة مرتكبة هو أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح بالعقاب، أمَّا آية الحج فإن الوعيد بها للمذكورين بالتكذيب، ولم يذكر منهم استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]، فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب وليس كالاستهزاء، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله، أما المستهزئ فلا =

= ١٠- القيام بأحد أركان الإسلام التي لا يتم إلا بها، وهذا يدل على أهميته ومحبة الله له. ١١- نوع من الجهاد في سبيل الله. ١٢- الثواب الجزيل والأجر العظيم لمن قام به على الوجه المشروع. ١٣- ما يحصل فيه من إقامة ذكر الله وتعظيمه وإظهار شعائره مثل التلبية، والطواف... ١٤- تهييج المشاعر الإيمانية عند الحاج. ١٥- ظهور المسلمين بهذا المظهر الموحد في الزمان والمكان والعمل والهيئة، فكلهم يقفون في المشاعر بزمن واحد، وعملهم واحد، وهيئتهم واحدة إزار ورداء، وخضوع، وذلك بين يدي الله عز وجل. ١٦- ما يحصل في الحج من مواسم الخير الديني والدنيوي وتبادل المصالح بين المسلمين. ١٧- ما يحصل من الهدايا الواجبة والمستحبة من تعظيم حرمات الله، والتنعم بها أكلاً وإهداء وصدقة للفقراء، فمصالح الحج وحكمه وأسراره كثيرة. ١٨- تكفير كبائر الذنوب وتطهير النفس من الخطايا ومن شوائب المعاصي. ١٩- تطهير النفس وعودتها إلى الصفاء والإخلاص. ٢٠- تجديد حياة الحاج ورفع معنوياته. ٢١- تقوية الأمل وحسن الظن بالله عند الحاج. ٢٢- تجديد العهد مع الله سبحانه وتعالى. ٢٣- يساعد على التوبة من الذنوب والمعاصي والكبائر. ٢٤- تهذيب النفس وترقيق المشاعر والإحساس. ٢٥- يذكر الحج بالماضي التليد للمسلمين وبالسلف الصالح وآثارهم. ٢٦- يعين النفس على الصبر والتجلد لما فيه من المشاق. ٢٧- تعلم النظام والإنضباط والالتزام بالأوامر وتجنب المحظورات. ٢٨- في الحج يظهر جلياً شكر النعمة الإلهية سواء نعمة المال أو نعمة الصحة، فالحج =

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ قوله تعالى: ﴿أُذِنَ﴾ قرئ: (أَذِن) بفتح الهمزة على أنه فعل مبني للمعلوم فاعله ضمير يعود على الله و(للذين) في موضع نصب متعلق بأذن، وقرئ: بضم الهمزة على أنه مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، و(للذين) في موضع رفع نائب الفاعل. قوله تعالى: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ قرئ: (يقاتَلون) بفتح التاء على أنه مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل، أي: يقاتلهم الكافرون. وقرئ: (يقاتِلون) بكسر التاء على أنه مبني للمعلوم والواو فاعل، أي: يقاتلون الكافرين. ولا تعارض في القراءتين لأن كل مقاتِل بالكسر مقاتَل بالفتح وعكسه لاقتضاء المفاعلة وقوع الفعل من الجانبين، غير أن القراءة الأولى أصرح في بيان اعتداء الكفرة وبدئهم بالعدوان على المؤمنين، وإن كان في القراءة الثانية ما يفيد ذلك وهو قوله: ظلموا، فهذا القول على =

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. العقل في القلب: وإن كانت الحقائق العلمية ما زالت في طور التجدد والاكتشاف إلا أن ما وصلنا منها يشير إلى صحة القول بأن العقل هو في القلب وليس في الدماغ، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمات بمجموعها، وإن كان بعضها أدل من بعض بهذا الخصوص، ولا أدل من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، على أن العقل الذي هو مناط التكليف وسيد الجسد وقائده إنما هو في القلب، فقوله: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ﴾، لا يحتاج إلى كثير تأمل في أن القلب هو محل العقل. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: تكذيبًا لوقوعه! ويعني: مشركي قريش ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بعذابهم في الدنيا والآخرة. وقيل: فوفّي بقتلهم يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: وعيدٌ لهم بامتداد عذابهم في الآخرة. وقيل: المراد بيان كمال حلمه تعالى؛ كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦] . ٤٨- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كم من أمة أمهلناها وأخرنا عنها العذاب. ٥١- ﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: صدُّوا عن اتباع رسلنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: متشاقّين. وعاجَزَه: سابقه، ظنوا أنهم يغلبون في تحريض الناس على الكفر بآيات الله. ٥٢- ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: يعني بالتمني التلاوة والقراءة. وقال ابن عباس تمنى: تحدّث، اي: ما من نبي يتلو وحيًا أنزل عليه، أو يحدث عن ربّه، إلا قام في وجهه رافضون ومشاغبون يجادلون فيما يتلوه عليهم عن المراد منه، ويتقولون عليه ما لم يقل ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾: فينسخ الله تلك الشبهة ويجتثها من أصولها: ويثبت آياته ويقررها. وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليميز الخبيث من الطيب، فإن الذين يفتنونك بهذه الشبهة والوساوس: هم الذين في قلوبهم مرض من المنافقين وأصحاب القلوب القاسية من المعاندين. ٥٣- ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: المنافقون ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: في خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾: من الحق. ٥٤- ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: أصحاب محمد ﷺ وسائر العلماء الموصوفين بالمعرفة الحقّة إلى يوم الدين. ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أن القرآن الذي أنزل عليه هو الحق الذي لا مرية فيه. ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾: ويصدقوا به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ﴾: تخضع للقرآن وتُذعن بالتصديق وتخشع وتنقاد. ٥٥- ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾: في شك ﴿مِّنْهُ﴾: القرآن، أو الرسول ﷺ ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: ساعة حشر الناس لموقف الحساب ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يوم لا ليلة له أو لا يوم بعده. وقيل: هو يوم بدر.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير قال: «قرأ النبي ﷺ بمكة: ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ فلما بلغ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم: ١-١٩] ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجي، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾ الآية. وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه، وقال: لا يروى متصلًا إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور. وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي. وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس. وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب، وموسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وابن جرير عن محمد بن قيس، وابن أبي حاتم، عن السدي. كلهم بمعنى واحد. وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى. قال الشيخ الألباني في (نصب المجانيق) عن روايات قصة الغرانيق: «وهي كلها كما رأيت معلّة بالإرسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به لاسيما في مثل هذا الأمر الخطير، ثم إن مما يؤكد ضعفها بل بطلانها ما فيها من الاختلاف والنكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة». وقد وسم القصة بالبطلان جمع من الأئمة منهم: ابن العربي، والقاضي عياض، وفخر الدين الرازي، والقرطبي، والعيني، والشوكاني، وغيرهم.

= يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم، قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[الحجر: ٩٤-٩٥]، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب من قدم، والله أعلم. [٤٥، ٤٨] ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج: ٤٥]، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨]. "الفاء" في الآية الأولى بدل من قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: ٤٤]، فهو كالتفسير للنكرة، و"الواو" في الثانية عطف على الجمل قبلها، ولما قال قبل الأولى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ ﴾[الحج: ٤٤]، أغنى عن ذكر الإملاء فيما بعد، ولأن الإهلاك إنما كان بعد الإملاء المذكور، ولما تقدم في الثانية: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ [الحج: ٤٧]؛ ناسب ﴿ أَمْلَيْتُ لَهَا ﴾، أي: لم أعجل عليهم عند استعجالهم العذاب. [٥٠، ٥٦] ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٠]، ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الحج: ٥٦]. لما تقدم ذكر الإنذار في الآية الأولى وهو في الدنيا، ذكر جزاء إجابته في الدنيا وهي: ﴿ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾، ولما تقدم في الثانية ذكر العقاب بقوله تعالى: ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٥]، وهو يوم القيامة، ناسب ذلك: ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، أي: في يوم القيامة.

= من العبادات البدنية المالية. ٢٩- تحريك شعور المساواة بين المسلمين حاكمهم ومحكومهم فقيرهم وغنيهم أبيضهم وأسودهم، لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى. ٣٠- يساهم الحج في نشر الدعوة الإسلامية ودعم نشاط الدعاة في أنحاء المعمورة اقتداء بالرسول الكريم في بداية دعوته حيث كان يدعو وفود الحجاج كل عام. ٣١- تسهيل المخاطبة المباشرة لوفود المؤمنين الذين يجتمعون في مؤتمر شعبي على صعيد واحد. ٣٢- الحج فرصة لاجتماع أهل الخبرة والحل والعقد من جميع الأوطان الإسلامية لمناقشة قضايا المسلمين وإيجاد الحلول لمشاكلهم. ٣٣- في الحج والعمرة إظهار التذلل لله تعالى، وذلك لأن الحاج والمعتمر يترك أسباب الترف والتزين، ويلبس الإحرام، ويظهر فقره لربه...

= احتمال أن يكون الفعل من اثنين، والفعل بحذفها لا يحتمل ذلك، فجاء على الأرجح. [٤٠] ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ ﴾ قرئ: (لهدّمت) بتشديد الدال على أنه مضعف من التهديم للمبالغة، وقصده وقوع الهدم، وتخليص الفعل للتكثير والتهديم كثير لوقوعه في الصوامع والبيع والصلوات والمساجد، فالتشديد يدل على التكثير لهذا المعنى. وقرئ: (لهدِمت) بتخفيف الدال على أنه فعل ثلاثي مجرد من هدم يهدم، فهو يقع للتقليل والتكثير. [٤٥] ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ قرئ: (أهلكناها) بإسناد الفعل إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وللدلالة على تعظيم هذا الفعل وتهويله. وقرئ: (أهلكتُها) بتاء بين الكاف والهاء على أنه مسند إلى ضمير المتكلم لمناسبة قوله تعالى: (فأمليت)، قبله وحمله على لفظ التوحيد بعده في قوله: (ثم أخذتها)، فحمل الكلام على ما قبله وما بعده أليق وأحسن. [٤٧] ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَعُدُّونَ ﴾ قرئ: (تعدون) بالتاء في أوله على أنه خطاب للمؤمنين، فالواو في قوله: ﴿ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ضمير يعود على المؤمنين، وفي الكلام التفات عن خطاب الواحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطابه مع المؤمنين، إذ هو التفات عن الغيبة إلى الخطاب لشدة التوبيخ، والضمير يعود على الكافرين =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٦- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾: إذا جاءت الساعة لا ينازعه فيه منازع، وقد كان في الدنيا من ينازعه الألوهية والربوبية بالقوة والفعل. ٥٧- ﴿عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: مذل لهم في جهنم. ٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: فارقوا أوطانهم وعشائرهم في رضا الله عز وجل وجهاد عدوه، وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، ويتبعهم ويضاف معهم الذين هاجروا في سبيل الله مثلهم إلى يوم الدين. ٥٩- ﴿مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾: الجنة. ٦٠- ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾: أي من جازى الظالم فاقتصّ منه بمثل ما ظلمه ولم يزد عليه. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ﴾: أي: عاوده الظالم بظلم آخر أو بُدِئ بالقتال وهو له كاره ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾: عمن انتصر من بعد ظلمه ممن ظلمه. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في الشهر الحرام، فأبى المؤمنون قتالهم، وأبى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلوا جدّ المؤمنون، ونصرهم الله تعالى، فنزلت الآية فيهم. ٦١- ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ يدخل ما نقص من ساعات هذا في ساعات هذا، وما نقص من طول هذا، زاد في طول هذا. ٦٢- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾: على كل شيء وفوقه ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: الذي كل شيء دونه. ٦٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، وغير ذلك من ابتداع ما شاء.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ، فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام، فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام؛ فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]. الآية الأولى وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة في ستة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾، فاللام والنون مؤكدتان، وبعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، واللام مع "هو" مؤكّدتان، وبعده: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾، واللام والنون سبيلهما تلك السبيل، وبعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: ٥٩]، واللام التي في خبر "إن" كذلك، وبعده: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ [الحج: ٦٠]، فلما ترادفت التوكيدات جاء في هذا الموضع مؤكدًا بقوله: "هو" في الآية... وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان، لأنه لم تتقدمه التوكيدات التي تستتبع أمثالها كما تقدمت في الأولى.

قول آخر: سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه، وهو تكرر الإشارة إلى آلهتهم والإفصاح بذكرها تعريفًا بوهن مرتكبهم وشنيع حالهم، وأوضح هذا المتكرر وأشده ملاءمة الإتيان بهذا الضمير المعد فصلًا أو مبتدأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١]، وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فهذه الآية والتي ذكرنا قبلها أنسب شيء لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ...﴾ [الحج: ٦٢]، تمهيدًا وتوطئة لما وبخوا به بعدها وقرعوا مما لا يجدون عليه جوابًا... ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا لم يرد فيها التأكيد. [٦٤] ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]. الزيادتان في سورة الحج للتأكيد، لا تدخل اللام الخبرَ لغير ذلك، وتكرار الموصول أيضًا لذلك، فدخلتا في آية الحج لما قامت الآيات قبلها في السورة على مقصود التأكيد، والله أعلم.

[٥٦] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النِّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «ماديةً» أم «معنويةً». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة أيضًا في القرآن الكريم... إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨] لمَ جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النِّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. [٦٠] ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ [الحج: ٦٠]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ تعريض بالحث على العفو والمغفرة. فإنه تعالى مع كمال قدرته، لما كان يعفو ويغفر، فغيره أولى بذلك، وتنبيه على قدرته على النصر؛ إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده. فظهر سر مطابقة (العفو الغفور) بهذا الموضع.

= المستعجلين للعذاب. وقرئ: (يعدون) بالياء على إسناد الفعل إلى ضمير الغائبين للمناسبة في قوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ والواو في (يعدون) عائدة إلى ما عاد إليه الضمير في قوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾. [٥١] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قرئ: (معاجزين) بمد العين وتخفيف الجيم على أنه من المعاجزة بمعنى المغالبة والمسابقة، وأصله يستعمل في مسابقة الخيل لأن كل واحد من المتسابقين يحاول سبق غيره وإظهار عجزه عن اللحاق به، ثم استعمل في المتخاصمين يحاول كلٌّ إعجاز الآخر وإبطال حجته، ومعنى مفاخرين: محاولين إبطال ما نطقت به الآيات من الحجج. وقرئ: (معجّزين) بقصر العين وتشديد الجيم على أنه اسم فاعل من عجّزه إذا ثبطه، ومعنى معجّزين: مثبطين للمؤمنين عن الإيمان بالآيات وإظهار عجزها، ومثله موضعا "سبأ: ٥، ٣٨".

[٦٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالياء على إرادة الغيبة وهو ظاهر السياق إن كانت الكاف في قوله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كما هو الظاهر. وقرئ: (تدعون) بالتاء على إرادة خطاب المشركين الحاضرين التفاتًا لخطابهم؛ لأنه أدعى إلى التبكيت، ومناسبة لقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٧- ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: قيل: منسكاً: عيداً، وقيل: كتاباً وشريعة، وقيل: عنى بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: إهراقه دم الهدي، أو: متبعوه، والمعنى: أنا شرعنا لكل امة من القرون الماضية أحكامًا ونسكًا خاصة بها، تصلحها أو تصلح لها، ومن هذه الأحكام ما ذكر من إراقة الدم والذبائح تقربًا لله تعالى، أو وفق ما شرع لأمة الإسلام. ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾: هؤلاء المشركون ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: في الذبح ولإتمام لحم هديك، لقول المشركين: إنما تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله. والمعنى: لا تجعلهم يجادلونك أو يحتجون عليك بما قد يكون في شرع رسول سابق؛ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا. ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: منازعيك من المشركين، وإن جاهدوك في شريعتك ونسكك. ٧٠- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: في أم الكتب. ٧١- ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: حجة في كتاب من كتبه المنزلة على رسله بأنها آلهة ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾: ينصركم يوم القيامة. ٧٢- ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني مشركي قريش، والآية عامة في المشركين. ﴿الْمُنكَرَ﴾: ما ينكره أهل الإيمان من تغيُّر وجوههم بسماعهم القرآن، وقيل: التجبُّر والترفُّع. ﴿يَسْطُونَ﴾: يبطشون ويقعون بمن ذكَّرهم بآيات الله ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: بأكره إليكم من هؤلاء الذين تكرهون قراءتهم القرآن عليكم؟

[٦٢] شرح اسم الله العلي: العَلِيُّ، الأعْلَى، المُتَعَالِ: وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه. فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [٦٢] شرح اسم الله الكبير: وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل.

[٦٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧]. الآية الأولى تقدمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحسن فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدمها ما يناسبها، فجاءت ابتدائية، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٢٨]، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾. [٦٨] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ...﴾ [يونس: ٤١]، ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]. وإن كذَّبك أيها الرسول هؤلاء المشركون فقل لهم: لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم.. فهذا ما دلت عليه آية يونس، وأمّا آية الحج: وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]. والجمع بين ذكر إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل للإيماء إلى تقلب أحوال الزمان فقد يصير المغلوب غالبًا، ويصير ذلك الغالب مغلوبًا. مع ما فيه من التنبيه على تمام القدرة بحيث تتعلق بالأفعال المتضادة. وفيه إدماج التنبيه بأن العذاب الذي استبطأه المشركون منوط بحلول أجله، وما الأجل إلا إيلاج ليل في نهار ونهار في ليل.
[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١]. بعض آثار الظلم ومضاره: الظلم يجلب غضب الرب سبحانه، ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، وبسببه تنهار الدول، والظالم يُحْرَمُ شفاعة رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وذلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، وما دُمرت الممالك إلا بسبب الظلم، وما أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة إلا بسبب ظلمهم. وندم الظالم وتحسره بعد فوات الأوان لا ينفع، والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعدٍ للغير، وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال الله عزَّ وجلَّ: "وعزَّتي وجلالي لأنصُرنَّكِ ولو بعد حين" أخرجه الترمذي وصححه الألباني. قال بعض السلف: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: أن يظلم الناس فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس. الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه. [٧٢] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]. ما الفرق بين: "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسُّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكُّرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا- (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. مثال: أ- إسنادها لله تعالى (الخالق): ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]. ب- إسنادها للمخلوق: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]. ٣- لم تأت كلمتا «علاَّم، عليم» إلا وصفًا لله -سبحانه وتعالى- ولم تطلق على خلقه قطُّ. مثال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]. ثانيًا- (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعل الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم، عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل، وأعظم قدرًا من المعرفة.

[٦٠] ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟
رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤْمِنُون

٧٣- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: صرفوهم عن عبادة الله ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾: يأخذ منهم ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾: أي إذا أخذ منهم الذباب شيئًا، لا يقدرون على تخليصه منه؛ لكمال عجزهم وفرط ضعفهم، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه منهم فهم عن غيره أعجز وأضعف. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: الأصنام ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: الذباب. ٧٤- ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: ما عظموه حق تعظيمه، ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا به غيره. ٧٥- ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾: يختار. ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: إلى الأنبياء وغيرهم، ويصطفي أيضًا رسلاً ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم الأنبياء. ٧٦- ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من قبل أن يخلقهم وبعد فنائهم. ٧٨- ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾: لا تخافوا في الله لومة لائم، واستفرغوا الطاقة فيه ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختاركم وهداكم للجهاد في سبيله ﴿جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: الذي تعبدكم به ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾: ضيق جعله، وشرع من المرخص ما يسهل عليكم الالتزام به كالفطر للمريض، والتيمم والصلاة قعودًا أو اضطجاعًا للعاجز، ونحو ذلك. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: الله سماكم المسلمين ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الذكر، وفي الكتب كلها ﴿وَفِى هَٰذَا﴾: يعني: القرآن ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أن الرسل قد بلغوا أممهم ما أرسلوا به ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: تقووا به وتوكلوا عليه ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: الوليُّ الله لمن فعل ذلك منكم ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: الناصر.

[٧٨] معنى اسم الله المولى: ((المولى)) اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الربُّ، والمالكُ، والسَّيدُ، والمُنعمُ، والمُعتِقُ، والناصرُ، والمُحبُّ، والتابعُ، والجارُ، وابنُ العم، والحليفُ، والصِّهرُ، والعبدُ، والمنعمُ عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحدٍ إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاهُ، ووَليُّهُ، وقد تختلف مصادر هذه الأسماء: فالوَلايةُ -بالفتح- في النسب، والنصرة، والعِتق. والوِلاية -بالكسر- في الإمارة، والوَلاءُ للمُعتق، والمُوالي من والى القوم. فالله هو المولي المأمول في النصر والمعونة، وهو الذي يتولى نصر المؤمنين، وإرشادهم كما يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم. [٧٨] معنى اسم الله النصير: النصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول؛ لأن كل واحد من المتناصرين ناصرٌ ومنصورٌ، وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدّ منه. والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله.

[٧٨] ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول بالبقرة لأن الكلام المسوق بها لتقرير عدالة الأمة، وكونها شاهدة على الأمم، أمَّا شهادة الرسول عليها فهي تزكية لها لقبول شهادتها، والتزكية تكون بعد أداء الشهادة نفسها، إذ هي أصل، والتزكية تابعة لها، ولولا ذلك لما قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول، لتباين المنزلتين، وأمَّا سورة الحج فقد جاء الترتيب فيها على الأصل بتقديم شهادة الرسول على شهادة الأمة، وذلك لأن معنى أن يشهد الرسول على أمته بأنه بلغها ما أنزل إليه من ربه، وأن تشهد الأمة على الأمم السابقة بأن رسلهم قد بلغتهم ما أنزل إليهم من ربهم، أن موضوع الشهادتين واحد هو التبليغ. [٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ...﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ [الزمر: ٦٧]. الآيات تبين أنه ما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ وآية الأنعام توضح أنهم أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه...، أمَّا آية الحج فتبين أنهم جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب، وآية الزمر توضح أنهم عبدوا معه غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة...

[٧٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. بدأت الآية بذكر الركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهي أعمّ، ثم فعل الخير، فيتدرج في الآية من القلة إلى الكثرة. وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

[٧٨] ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال" الجواب: الجهادُ معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالًا. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، يشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل كل قولٍ أو عمل خير يعمله المؤمن في سبيل الله.

[٧٧] ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله)، أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله -تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى- لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قرئ: (تدعون) بالتاء على الخطاب لمناسبة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ وقرئ: (يدعون) بالغيبة على الالتفات لإسقاطهم عن درجة الاعتبار كذلك.

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. إنقاذ ما يسلبه الذباب: يقول العلم البيلوجي الحديث: إن الذباب إذا وقف على أي طعام، بحيث تعلق بأرجله جزيئات منه، فإنه يصب في الحال على هذه الجزيئات عصارات هاضمة بواسطة خرطومه، فتزيد ما علق بأرجله، ثم يمتصه الذباب، بحيث لا يستطيع أحد أن ينقذ أو يسترد ما سلبه الذباب، فسبحان الله الخالق الذي أعلم محمدًا ﷺ، بهذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنًا.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: قد فازوا وأدركوا طِلبتهم من عند ربهم. ٢- ﴿خَٰشِعُونَ﴾: متذللون لله عز وجل. وقيل: نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون إلى السماء أبصارهم، فنهوا بهذه الآية عن ذلك، وكانوا بعد ذلك لا تجاوز أبصارهم مُصلَّاهم. ٣- ﴿ٱللَّغْوِ﴾: كل باطل ولهو وهزل ومعصية، وما لا يجمل من القول والفعل. ٤- ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾: مؤدُّون. ٧، ٨- ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: مَنْكحاً سوى زوجته ومِلْك يمينه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام. ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظون. ٩- ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: على وقتها. ١٠- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد منكم إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة مكانه، وذلك قوله عز وجل: «أولئك هم الوارثون»- أخرجه سعيد بن منصور وابن ماجه وابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهم. ويحتمل أن يسمِّي الله تعالى الجنة وراثة، من حيث حصولهم عليها دون غيرهم ١٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: يعني آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: أي كائنة من طين. والمعنى أنه سبحانه خلق جوهر الإنسان أولاً من طين. ١٣- ﴿فِي قَرَارٍ﴾: حيث استقرت نطفة الرجل في رحم المرأة ﴿مَّكِينٍ﴾: مُكن بذلك وهُيِّئ له. ١٤- ﴿عَلَقَةً﴾: قطعة من دم. ﴿مُضْغَةً﴾: قطعة من اللحم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: نفخْهُ الروحَ فيه، فيصير حينئذ إنساناً ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: خير الصانعين. والعرب تسمي كل صانع: خالقاً، فلذلك قال الله عز وجل «أحسن الخالقين». ١٧- ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾: سبع سموات. والعرب تسمي كل شيء فوق شيء: طريقة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾: الذي تحت السماوات ﴿غَٰفِلِينَ﴾: بل كنا لهم حافظين وبمصالحهم قائمين.

[٢] قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾. أخرج الحاكم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ فطأطأ رأسه، وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة، وأخرجه سعيد بن منصور، عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ: كان يقلب بصره، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلًا: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت. [١٢] وأخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ الآية، فلما نزلت قلت: أنا ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩]، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج : ٣٤]. إن التعبير في آية المؤمنين مناسب لما اكتنف هذا الوصف، فلما كان ذكر محافظتهم على صلاتهم قد اكتنفه ما تقدمه وما تأخر عنه من تفخيم الوصف في المتقدم، وتفخيم الجزاء في المتأخر ناسب ذلك تفخيم العبارة عن فعلهم، فورد بلفظ الجمع في قراءة الأكثرين، فقيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾. أمَّا تفخيم الوصف المتقدم فذكرهم بالفلاح وهو الظفر بالمراد، والبقاء في الخير، وذكرهم بالخشوع في صلاتهم وإعراضهم عن اللغو، ولم يقع في متقدم وصفهم في سورة المعارج ما يوازن هذه الأوصاف.. وأمَّا نعتهم الوارد في جزائهم فوصفهم بأنهم الوارثون، ثم تخصيصهم بإرث الفردوس، وهو أعلى الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة، ووصفهم بالخلود فيها، ولا يوازن هذا بقوله عقب آية المعارج: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج : ٣٥]، فالجمع يفيد التفخيم، فجاء مع الآيات التي فيها تفصيل في فضائلهم، والجزاء الذي أعد لهم. [١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٦]، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣١]. ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء، فهذا ما دلت عليه آية المؤمنون، أمَّا الزمر: ثم إنكم جميعًا أيها الناس يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف.

= العلم) يحتاج إلى تفكرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره، واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيرُه)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ قرئت: (أمانتهم) هنا و"المعارج : ٣٣" بدون ألف بين النون والتاء على التوحيد؛ لأنه مصدر في الأصل يدل على القليل والكثير، يقال: أمنه على كذا يأمنه إذا استحفظه إياه، والمصدر لا يجمع أو لإرادة الجنس، فيصدق بالواحد والمتعدد. وقرئت: (أماناتهم) بألف بين النون والتاء لإرادة الأنواع، وهي أنواع مختلفة متعددة ولذلك يحسن جمعها؛ لأن الأمانات التي يلزم الناس مراعاتها مختلفة وكثيرة، فجمع لكثرتها. [٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾ قرئ هنا: (صلاتهم) بالإفراد على قصد الجنس. وقرئ: (صلواتهم) بالجمع على إرادة الأنواع وهي أنواع بين فرض ونفل، والفرض: صبح وغيره. [١٤] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ قرئ: (عَظْمًا)، بفتح العين وسكون الظاء فيهما وحذف الألف على الإفراد لقصد الجنس. وقرئ: (عِظَامًا) بكسر العين وفتح الظاء بعدها ألف على الجمع لقصد الأنواع، والعظام أنواع مختلفة بين دقيقة وغليظة ومستديرة ومستطيلة وغير ذلك.

[١٤] ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤]. مراحل خلق الإنسان: عندما تجتمع نطفة الرجل مع بويضة المرأة تبدآن بالتكاثر لتشكلا مجموعة ضخمة من الخلايا بعد أيام قليلة. هذه الخلايا تعلَقُ في جدار الرحم وهذه هي المرحلة الثانية "مرحلة العلقة"، وتبدأ هذه العلقة بالتغذي من جدار الرحم ليزداد حجمها وتكبر، ثم يزداد تكاثر هذه العلقة بشدة وبشكل متسارع =

نزول سورة المؤمنون: نزلت بعد سورة الأنبياء، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة المؤمنون: ألف ومائتان وأربعون. عدد حروف سورة المؤمنون: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد. أسماء سورة المؤمنون: وسميت سورة المؤمنون لافتتاحها بفلاح المؤمنين. مواضيع سورة المؤمنون: مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه: =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨- ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾: ماء الأرض هو ماء السماء. ٢٠- ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾: انتصاب «شجرة» عطفاً على «الجنات» يعني بها: شجرة الزيتون ﴿مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بمصر مبارك نودي منه موسى عليه السلام، واختلف فيه ﴿تَنبُتُ﴾: تُثمر ﴿بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾: ما يأتدمون به. أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دُهناً يدهن به، وكونه صبغاً يؤتدم به، وهو الزيت. ٢١- ﴿الْأَنْعَامِ﴾: هي الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿لَعِبْرَةً﴾: يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم قدرة الله تعالى. ﴿مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وغير ذلك. ٢٢- ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن. ٢٤- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: أشراف قوم نوح ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أن يكون متبوعاً وأنتم له تبع. ٢٥- ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: تلبّثوا ﴿بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى وقت ما، لم يعنُوا وقتاً معلوماً. وقيل: عنوا: حتى يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو يموت فتستريحوا منه. ٢٧- ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾: بحفظنا، وأمرنا، وتعليمنا إياك لكيفية صنعها ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: التنور هو بيت النار الذي ينضج فيه الخبز، جعل فوران الماء فيه علامة ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: فادخل في الفلك ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾: لا تسألني ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: فإني قد حتمت عليهم الغرق.

[١٩] ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣]. ذكر الواو في الأولى "ومنها" وحذف الواو في الثانية "منها" لماذا؟ الجواب: في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال: "ومنها تأكلون"، فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط، فمنها ما هو للإدخار والبيع والمربّيات والعصائر، فكأنه تعالى يقصد بالآية: ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون، ومنها تأكلون، وهذا ما يُسمّى عطف على محذوف، أما في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة، والفاكهة في الجنة كلها للأكل ولا يُصنع منها أشياء أخرى، والله أعلم. [٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [المؤمنون: ٢١]. الأنعام في سورة النحل، وإن أطلق لفظ جميعها فإن المراد به بعضها، ألا ترى أن الدَّر لا يكون لجميعها، وأن اللبن لبعض إناثها، فكأنه قال: وإن لكم في بعض الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه... وليس كذلك ذكرها في سورة المؤمنون، لأنه قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١-٢٢]، فأخبر عن النِّعم التي في أصناف النَّعَم إناثها وذكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأول ذلك. [٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ...﴾ [هود: ٢٧]، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ...﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فقال رؤساء الكفر من قوم نوح عليه السلام: إنك لست بمَلَك ولكنك بشر، فكيف أُوحي إليك مِن دوننا...، فهذا ما دلت عليه آية هود، أمّا آية المؤمنون: فقال رؤساء الكفر من قوم نوح: إن نوحًا إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلًا عليكم...

[٢٤] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]. آية سورة المؤمنون تقدّم قبلها ذكر الله، وليس فيه ذكر الرّب، وفي فصلت تقدّم ذكر "ربّ العالمين" سابقًا على ذكر لفظ الله، فصرّح في هذه السورة بذكر الله، وهناك بذكر الرّب؛ لإضافته إلى العالمين وهم من جملتهم، فقالوا إمّا اعتقادًا وإمّا استهزاء: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾، فأضافوا الربّ إليهم.

[٢٧] ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠]، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]. لفظ "احمل" أوسع مواقعًا في اللغة وأكثر تصرفًا في الكلام تقول: حملت الشيء إلى فلان، وحملته على كاهلي،.. ولا تقول في شيء من هذا: سلك، إلا أن يكون المحصور فيه حسبما أُعقِبَ "سلك أو حمل" إن لم يعرض في المعنى ما يمنع، وأما سلك فإن العرب تقول سلكت الشيء في الشيء وأسلكته، أي: أدخلته... وقليلًا ما تخرج كلمة "سلك" عن هذا المعنى من الدخول حقيقة ومجازًا، ففيها من حيث معناها خصوص، وأما "حمل" ففيها اتساع لا يكون في سلك. فوجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى لما اقترن بها من لفظ: "قلنا"، فطال الكلام لفظًا مع ما أشرنا إليه من سعة المحامل، وإن لم يرد جميعها هنا، لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من =

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيْنَاءَ﴾ قرئ: (سِيناء-سَيناء) بكسر السين وفتحها على وزن فعلاء، جعل الهمزة بدلًا من ياء وليست للتأنيث إذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر أوله وهمزته للتأنيث، إنما يأتي هذا في الأسماء الملحقة به نحو: علباء وحرباء، فالهمزة فيه: بدل من ياء لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة، فسيناء لم ينصرف لأنه اسم للبقعة، فلم ينصرف للعلمية والتأنيث، فهما لغتان، والكسر لغة كنانة، والفتح: لغة أكثر العرب جاءت على وزن فعلاء كحمراء فلم يصرفه للوصفية والتأنيث. قوله تعالى: ﴿تَنبُتُ﴾ قرئ: (تَنبُت) بفتح أوله وضم ثالثه على أنه مضارع نبت اللازم وفاعله يعود على الشجرة، والجار والمجرور بعده حال منه، والباء فيه للملابسة، وتقديره: تنبت هي ـ أي الشجرة ـ حال كونها متلبسة بالدهن. وقرئ: (تُنبِت) بضم أوله وكسر ثالثه على أنه مضارع أنبت المزيد بالهمزة، فيحتمل أن يكون بمعنى تنبت فيكون لازمًا، وفاعله ضمير الشجرة، و(بالدهن) حال من الفاعل كما في القراءة الأولى، ويحتمل أن يكون متعديًا كما هو الكثير في استعماله، ومفعوله محذوف والجار والمجرور حال منه، أي: تنبت ثمرتها حالة كونها متلبسة بالدهن.

= حتى تشكل كتلة من الخلايا، وبالتصوير الملوّن لهذه الكتلة تظهر وكأنها قطعة لحم ممضوغة، عليها آثار مضغ الطعام! وهذه هي المرحلة الثالثة وهي "مرحلة المضغة"، وبعد اكتمال هذه المضغة تبدأ العظام بالتخلُّق من داخل هذه المضغة، وهنا بدايات تخلق الهيكل العظمي للجنين، وهذه هي المرحلة الرابعة "مرحلة العظام"، ثم تأتي المرحلة الخامسة وهي "مرحلة اللحم" حيث يكسو الله تعالى بقدرته هذه العظام باللحم ويغلفها تغليفًا، إذًا العظام تُخلق أولًا ثم تُكسى باللحم ثانيًا، ثم تأتي المرحلة السادسة والأخيرة وهي المرحلة التي يتميز بها الجنين ويأخذ معالمه الأساسية، وهي مرحلة "الخلق الآخر"، أي تشكل الملامح الخارجية للجنين، وهذه المراحل الستة يقررها علم الأجنة، بل إن هذا التقسيم لمراحل تطور الجنين متوافق تمامًا مع العلم الحديث، فسبحان الخالق.

= الفتوى بفلاح المؤمنين، والدّلالة على أخلاق أهل الإسلام، وذكر العجائب في تخليق الأولاد في الأرحام، والإشارة إلى الموت والبعث، ومِنّة الحق على الخلق بإنبات الأشجار، وإظهار الأنهار، وذكر المراكب، والإشارة إلى هلاك قوم نوح، ومَذَمّة الكفّار، وأهل الإنكار، وذكر عيسى ومريم، وإيوائهما إلى رَبْوة ذات قرار، =

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

٢٨- ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾: استقرَّ بك وعلوت على الماء. ٢٩- ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ -بضم الميم-: إنزالاً مباركاً. قيل: أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخوله السفينة. وقيل: عند خروجه منها، ولا مانع من الجمع بين الأمرين. ٣٠- ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: لمختبرين بآياتنا قبل نزول عقوبتنا بهم. ٣١- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾: أحدثنا ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾: أمة أخرى، وهم عاد قوم هود. ٣٣- ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: نعَّمناهم في حياتهم بما وسَّعنا عليهم من المعايش، وبسطنا لهم في الرزق. ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أنكروا أن يكون الرسول من البشر، وقد رد القرآن على هذه الشبهة في غير آية. ٣٦- ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: بمعنى: بعيد بعيد. ٤٠- ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾: عن قليل. ٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التي أهلكهم الله بها فماتوا جميعًا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل مما لا يُنتفع به ﴿فَبُعْدًا﴾: يقول: فأبعد الله القوم الكافرين. ٤٢- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أي من بعد إهلاكهم ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾: هم قوم صالح ولوط وشعيب؛ كما وردت قصصهم على هذا الترتيب في سورتي الأعراف وهود. وقيل: هم بنو إسرائيل. والقرون: الأمم.

= إستيفاء قصة نوح عليه السلام، وطول الكلام بذلك، وأمَّا آية المؤمنون ففي قصة نوح فيها إيجاز وإجمال، ألا ترى أنها -أعني آية هود- على الضِّعف أو أطول مما في سورة المؤمنون، فلذلك ورد في سورة المؤمنون لفظ "اسلك" لإيجازه من حيث معناه مما يحرز الطول، بخلاف ما في سورة هود، ومما يعضد هذا المقصود ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل تنظير "حتى" وهي على أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنون في قوله: "فإذا"، وإنما الفاء على حرف واحد، فنوسب بالفاء موضعها المبني على الإيجاز، وبـ"حتى" موضعها المبني على الاستيفاء والطول، والله سبحانه أعلم. [٢٧] ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. سورة هود فيها تفصيل وتعميم بدليل قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾، ويقصد بـ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، أي: امرأته وابنه لأنهما كانا كافرين، ثم زاد ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾، أي: من آمن من غير أهلك، وكأنما التركيز في سورة هود على المؤمنين، أمَّا سورة المؤمنون فقد أكد ألا يركب معك في السفينة ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بزيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ مع ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾، وكأن التركيز هنا على الكافرين، وهذه فيها خصوصية عما جاء في سورة هود من العموم. [٢٤، ٣٣] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [المؤمنون: ٣٣]. قُدِّم ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ في الآية الثانية، وأُخر في الأولى؛ لأنَّ صلة "الذين" في الأولى اقتصرتْ على الفعل وضمير الفاعل، ثمَّ ذكر بعده الجارّ والمجرور، ثم ذكر المفعول وهو المَقُول، وليس كذلك في الثانية، فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مَرّة بعد أُخرى، فقدّم الجارّ والمجرور؛ لأنَّ تأخيره يلتبس، وتوسيطه ركيك، فخُصَّ بالتقدم. [٣٨] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨]. الآية الأولى تبين مقالة قوم نوح له، حيث قالوا ما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانتظروا حتى يُفيق، فيترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه، أمَّا الآية الثانية فتوضح مقالة قوم هود له حيث قالوا: وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذبًا، ولسنا بمصدقين ما قاله لنا. [٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦، ٣٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، وفي سياق قصة نوح وهود عليهما السلام حين طلبا النصرة من الله بسبب تكذيب قومهما لهما. [٤١، ٤٤] ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١]، ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤]. لماذا جاءت كلمة (قوم) في الآية الأولى معرفة والثانية منكرة؟ الجواب: أن القرن الأول معروف أنهم قوم هود لقوله تعالى: ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١]، فأول قرن بعد نوح: قوم هود، وقوله تعالى: ﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢]، غير معروفين بأعيانهم، فجاء بلفظ التنكير بقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، لأن عدم الإيمان هي الصفة العامة لجميعهم. وإذا نظرت للآيتين تجد أنهما تحكيان نهاية أولئك الأقوام، وما آل إليه حالهم من تكذيب الرسل، ولهذا قال: ﴿فَبُعْدًا﴾، والبعد هو اللعن والطرد، وإذا تتبعت ما جاء في كتاب الله لاحظت أن ما جاء بعد لفظ "بعدًا"، جاء بالتعريف، وفي قصص معلومة أيضًا، كالآيات التي وردت في سورة هود، ففي قوم نوح: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، بينما لم يرد التنكير بعد "بعدًا" إلا في موضع واحد، وهو الذي بين أيدينا في هذه المسألة.

[٢٩] ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ قوله تعالى: ﴿مُنزَلًا﴾ فيها قراءتان: الأولى: (مُنزَلًا) بضم الميم وفتح الزاي على أنه مصدر أنزل، مفعول مطلق بمعنى إنزالًا، أو اسم مكان منه، ظرف لأنزلني بمعنى مكان إنزال. الثانية: (مَنزِلًا) فتح الميم وكسر الزاي على أنه مصدر نزل المجرد، أو اسم مكان منه، وهو مفعول مطلق على الأول، وظرف على الثاني، والمعنى: "أنزلني منزلًا مباركًا، أو مكان نزول مباركًا". [٣٦] ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ قرئتا: (هيهاتِ-هيهاتَ) بكسر التاء وفتحها وهما لغتان، والكسر لغة تميم وأسد، وهو اسم فعل مبني، والكسر أصل في التخلص من التقاء الساكنين، والفتح للتخفيف.

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]. الماء الساكن في الأرض: يقول الجيولوجيون: إن مياه الأمطار تتسرب إلى باطن الأرض عبر الشقوق الموجودة في القشرة الأرضية، وكذلك عبر مسام الصخور الرسوبية، ثم تتجمع في آبار ضخمة في تراكيب جيولوجية تعمل كخزانات هائلة للمياه الجوفية .. وهذه التراكيب الجوفية قد تتصدع أثناء حدوث أحد الزلازل، فتنتقل المياه منها دون أن نشعر لتهاجر إلى مكان آخر.

[١٩] ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله.

= وإمهال الكُفَّار في المعاصي والمخالفات، وبيان حال المؤمنين في العبادات والطَّاعات، وبيان حُجَّة التَّوحيد وبرهان النبوّات، وذلّ الكفّار بعد الممات، وعجْزهم

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣- ﴿أَجَلَهَا﴾: الوقت الموقوت لفنائها. ٤٤- ﴿تَتْرَا﴾: متواترة، يتبع بعضها بعضاً، من المواترة، وهو اسم لجمع بمنزلة شيء. قال الأصمعي: واترتُ كتبي عليه: أتبعتُ بعضها بعضا إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة. ٤٦- ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾: على أهل ناحيتهم من بني إسرائيل وغيرهم: قاهرين. ٤٧- ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: يعنون: بني إسرائيل ﴿عَٰبِدُونَ﴾: مطيعون متذللون. ٥٠- ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسى عليه السلام وقصتهما كلها آية عظمى بمجموعها، وهي آيات مع التفصيل. ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾: ضممناهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: الربوة: المكان المرتفع. وهي الغوطة بدمشق. وقيل: بيت المقدس ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مكان مستو. وقيل: ذات ثمار يستقر فيها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماء جار ظاهر. ٥٢- ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: دينكم دين واحد. ٥٣- ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾: فتفرق القوم عن أمة عيسى، الذين أمرهم الله بالاجتماع على الملة الواحدة ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾: فرقوا كتب الله قطعاً، فكل فرقة معجبون برأيهم ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾: كل فريق منهم بما اختاروه. ٥٤- ﴿فَذَرْهُمْ﴾: دعهم ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾: في ضلالتهم. ٥٦- ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾: نزيدهم ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: أنه إملاء لهم، أي تأخير وإمهال واستدراج.

[٥٢] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٤٣] ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [الحجر : ٥، المؤمنون : ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر والمؤمنون، ومعناها: لا تتجاوز أمة أجلها فتزيد عليه، ولا تتقدم عليه، فتنقص منه. [٥١] ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون : ٥١]، ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ : ١١]. قال في المؤمنون بلفظ ﴿عَلِيمٌ﴾، وفي سبأ بلفظ ﴿بَصِيرٌ﴾ مناسبةً لما قبلَهما؛ إذ ما في المؤمنون تقدَّمه إيتاء الكتاب، وجعل مريم وابنها آية، والعلمُ بهما أنسبُ من بصرهما، وما في سبأ تقدَّمه قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ : ١٠]، والبصرُ بإلانة الحديد أنسبُ من العلم بها. [٥٣] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٣]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون : ٥٣]. إن ما بعد الواو في آية الأنبياء لم يكن جوابًا لما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٩٢]، فالخطاب للفرق التي تفرقت في طرق الباطل، ولم تخلص العبادة لله، فأمرهم بالعبادة "فاعبدون" التي هي توحيد الله، ثم جاء التعبير بقوله: "وتقطعوا" بالعطف بالواو، لأن التقطّع كان منهم قبل أن يخاطبوا بهذا القول، فيكون ما بعد الواو خبرًا غير متعلق بما قبلها، بل إن ما تعلّق به هو قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء : ٩٤]، فجاء العطف فيها بالفاء دون الواو، أمّا آية سورة المؤمنون فالخطاب للرسل عليهم السلام بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون : ٥١]، والأنبياء والمؤمنون مأمورون بالتقوى فقال: "فاتقون"، ثم قال: "فتقطعوا" بالعطف بالفاء، لأن التقطع ظهر منهم بعد هذا القول، فلما كان خطابًا للرسل وأممهم صار المعنى: أمرتهم بالائتلاف والاتفاق في الدين فتقطعوا أمرهم فيه قطعًا، وافترقوا فيه فرقًا، فما بعد الفاء متعلق بما قبلها تعلق الجواب بالابتداء.

[٤٣] ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [المؤمنون : ٤٣]. ما الفرق بين (تَأَخَّر، استأخر)؟ الجواب: وردت كلمة (تأخر) مرتين في القرآن بصيغة الماضي. كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وجاءت مرة واحدة بصيغة المضارع.. في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]. ووردت كلمة (تستأخرون) للمخاطب مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وللغائب خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]. (يتأخرون) معناها أنهم هم يفعلون التأخر بإرادتهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: ومن فعل التأخير بإرادته. ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. أما (يستأخرون) فمعناها أن عدم التأخر ليس بإرادتهم، وإنما يكون خارجًا عن إرادتهم؛ أي هو بإرادة الله، ففي قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يسمح لهم الحق -تعالى- بالتأخر ولا بالتقدم، ومثلها في المواضع الأخرى التي وردت فيها. كما أن (تأخر) منسجمة موسيقيًا مع سياقها... و(استأخر) كانت كذلك مع سياقها. (تأخر) في آية البقرة تجاوبت مع (تعجل) من حيث الوزن... و(يتأخر) في المدثر تجاوبت مع (يتقدّم). و(يستأخرون) في سبأ تجاوبت (السين) فيها مع (السين) في (ساعة) في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. والمد في (تستأخرون) تجاوب مع المدّ في (ميعاد).

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَتْرَا﴾ قرئ: (تترًا) بالتنوين وصلًا على أنها منصوب على الحال من رسلنا، أي: ثم أرسلناهم متواترين، ويحتمل أن تكون ألفه للإلحاق فهو على وزن فعلى إلحاقًا بجعفر. وقرئ: (تترا) بترك التنوين وصلًا على أنه فعلى، وألفه للتأنيث كدعوى وتقوى، وهو ممنوع من الصرف ويمال عند من يميل، وأما من ينون فإن جرينا على أنه بدل من التنوين فلا إمالة نحو: صبرًا منصوب، وإن جرينا على أنها للإحاق فتحتمل الإمالة عنده. [٥٢] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (إِنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف أو العطف على قوله: ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. الثانية: قرئت: (أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير حرف الجر قبلها، أي: ولأن هذه أمتكم، والجار والمجرور متعلق باتقون، وهاتان القراءتان في موضع نصب اسم "إن" أو "أن" وأمتكم خبرها. الثالثة: (أَن) بفتح الهمزة وتخفيف النون على تقدير اللام أيضًا، و"أن" هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و(هذه) في موضع رفع مبتدأ، و"أمتكم" خبره، والجملة:

في جهنّم حال العقوبات، ومكافأتهم في العقبى على حسب المعاملات، في الدّنيا في جميع الحالات، وتهديد أهل اللّهو، واللّغو، والغَفَلات، وأمر الرّسول بدعاء الأمّة، وسؤال المغفرة لهم والرّحمات، في قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون : ١١٨].

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: يعطون ما أعطوا من صدقاتهم، وحقوق الله في أموالهم ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة الا يتقبل منهم. ٦١- ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يُبادرون في الأعمال الصالحة ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾: اي من اجلها سباقون. وقيل: سبقت لهم السعادة من الله، قبل مسارعتهم في الخيرات. ٦٢- ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: ما يسعها ويصلح لها من العبادة ﴿وَلَدَيْنَا﴾: عندنا كتاب بأعمال الخلق. ٦٣- ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في عميً، وعنى بـ«الغمرة»: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم مواعظ الله عز وجل ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: من القرآن أو من كتاب الإحصاء ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: أعمال لا يرضاها الله عز وجل من دون أعمال أهل الإيمان بالله عز وجل. وقيل: أعمال لم يعملوها سيعملونها. ٦٤- ﴿مُتْرَفِيهِم﴾: عظماؤهم أو الذين أمدهم الله بما تقدم ذكره من المال والبنين ﴿يَجْأَرُونَ﴾: يضجُّون ويستغيثون. وقيل: أخذنا مُترفيهم بالسيوف يوم بدر. ٦٦- ﴿تَنكِصُونَ﴾: ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، يعني: أهل مكة. ٦٧- ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: بحُرُم البيت، يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد ﴿سَامِرًا﴾: يسمرون حول البيت، يقولون المنكر، والسامر: الجماعة يسمرون بالليل ﴿تَهْجُرُونَ﴾: قيل: تهجرون ذكر الله والحق؛ أي تعرضون عنهما. وقيل: عنى بهما الهُجْر، وهو السيئ من القول في القرآن. ٦٨- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: تنزيل الله عز وجل وكلامه، ويعرفوا حججه. ٦٩- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: بالصدق والأمانة. ٧٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون يتكلم بما لا معنى له. ٧١- ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾: الحق: الصواب والمستقيم ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: بشرفهم، لأنه نزل على رجل منهم. ٧٢- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾: اجراً على ما جئتهم به ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: فاجر ربك لك خير. ٧٤- ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾: عن محجة السبيل عادلون.

[٨٥] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف، به ويفتخرون به فأنزل الله ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾.

[٦٦] ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون :٦٦]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٥]. الآية الأولى في الدنيا عند نزول العذاب وهو الجَدْب عند بعضهم، ويومُ بدر عند البعض، والثانية في القيامة، وهم في الجحيم؛ بدليل قوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون : ١٠٧]. وأخرج البخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن قريشًا أبطأت عن الإسلام فدعا عليهم النبى ﷺ، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بطاعة الله وصلة الرحْم، وإن قومك هلكوا، فادع الله، فقرأ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، فاستسقى لهم فسقوا، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان :١٦]، يعني: يوم بدر.

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٦٠]. والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن. ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن.

[٦١] ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[المؤمنون : ٦١]. هذا دليل على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة، من صلاة في أول الوقت – وغير ذلك من العبادات – هو الأفضل، ومدح الباري أدل الدليل على صفة الفضل في الممدوح على غيره. [٧٥] ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]. ما الفرق بين: "العَمَى والعَمَه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائر فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العَمَهُ) للحيرة والتردد النفسي. [٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف:٩٤]، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ =

= خبر "أن" والجار والمجرور متعلق (باتقون) أيضًا، و(أمة) على القراءات الثلاثة منصوبة على الحال من الخبر، والعامل من تلك الحال معنى الإشارة.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قرئت: (تَهجُرون) بفتح التاء وضم الجيم على أنه مضارع هجر بمعنى هَذَى، كقولهم هجر في القول إذا هذى فيه، أو هجر من الهجران بمعنى الترك. وقرئ: (تُهجِرون) بضم التاء وكسر الجيم مضارع أهجر، يقال: أهجر يهجر بمعنى أفحش في القول.

[٧٢] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خَرْجًا - فَخَرَاجُ﴾ هنا و﴿خَرْجًا﴾ بالكهف: ٩٤، قرئ (خراجًا - فخراج) بفتح الراء، وإثبات ألف بعدها. وقرئ: (خرْجًا - فخرج) بإيكان الراء، وحذف الألف، والخرج والخراج لغتان في مصدر «خرج».

[٧١] ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله. [٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في القرآن.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر لفظ الأفئدة ومشتقاته مع لفظ الألباب وقد ورد كل (١٦) مرة. أولًا: وردت كلمة الألباب (١٦) مرة في كتاب الله، ثانيًا: وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى. [٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة في القرآن الكريم.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٧٥- ﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: من جوع وقحط وضيق ﴿لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: لتمادوا في عتوهم وضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون. ٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: بالجوع والقحط، وقتل سَراتِهم ببدر، ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: خضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: وما يتذللون. ٧٧- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: الجاعة التي أصابت قريشاً. وقيل: هو ما نزل بهم يوم بدر ﴿مُبْلِسُونَ﴾: حزانى نادمون على ما سلف لهم من تكذيبهم بآيات الله تعالى. والمبلس: الذي قد نزل به شر ويئس من زواله ونسخه بخير. ٧٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾: أحدث لكم ﴿ٱلسَّمْعَ﴾، مصدر فلذلك وُحّد ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب التي تفقهون بها. جعل العقل والإدراك وراء حاستي السمع والبصر؛ لأنه العنصر الفاعل والأهم في تحصيل المعرفة عند الإنسان. ٧٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم. ٨٣- ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما سطره الأولون في كتبهم من الأخبار التي لا صحة لها ولا حقيقة. ٨٥- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك، قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم. ٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: جعل الجواب عن المعنى فقيل: لله، ولم يقل: الله، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو. ٨٨- ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: خزائن كل شيء ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: من أراد ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: لا أحد يمنع من أراده الله عز وجل بسوء. ٨٩- ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: معناه: فمن أي وجه يُخيَّل لكم الكذب حقاً، فتُصرفون عن الإقرار بالحق.

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية. وأخرج النسائي، والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز -يعني الوبر والدم- فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أن ابن اياز الحنفي لما أُتي به للنبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم، فلحق بمكة، ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين: قال: «بلى»، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون : ٨٣]، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل : ٦٨]. ذهب الإمام الزمخشري إلى أن التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، يقول: "فإن قلت: قدّم في هذه الآية "هذا" على "نحن وآباؤنا"، وفي آية أخرى قدّم "نحن وآباؤنا" على "هذا"؟ قلت: إن المقدّم هو الغرض المعتمد بالذكر، لأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على اتخاذ المبعوثين بذلك الصدد". وحين نتأمل توجيه الزمخشري، ثم نعود لسياق الآيات التي تقدمت الآيتين نلحظ الحالة النفسية التي كان عليها منكرو البعث، فآية النمل جاء قبلها: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل : ٦٧]، فالإنكار قوي، فلما قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾، أبْعدَ احتمال وقوع البعث عندهم، كما لم يكن في قولهم ذكر للموت؛ فلهذا تقدم اسم الإشارة الدال على ذلك، لكونه محل إنكارهم، وحتى يكون حاضرًا في أذهانهم، أمَّا آية المؤمنين فجاء قبلها: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ [المؤمنون : ٨٢]، فهم أقروا بالموت، وأنهم سيصبحون ترابًا وعظامًا، فالإنكار هنا أضعف، وذلك لذكر العظام وذكر الموت، فتقدم "نحن وآباؤنا" وتأخر اسم الإشارة؛ لأنه موضع الاستغراب والإنكار. [٨٥، ٨٧، ٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٥]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٧]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٩]. الأوّل جواب لقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ [المؤمنون : ٨٤]، جواب مطابق لفظًا ومعنًى لأنّه قال في السّؤال: "قل لمن" فقال في الجواب: "لله" وأمَّا الثاني والثالث فالمطابقة فيهما في المعنى؛ لأنَّ القائل إذا قال لك: مَنْ مالِك هذا الغلام؟ فلك أن تقول: زيدٌ، فيكون مطابقًا لفظًا ومعنى. ولك أن تقول لزيد، فيكون مطابقًا للمعنى. ولهذا قرأ أبو عمرو الثّاني والثّالث: "الله" "الله"؛ مراعاة للمطابقة.

= [المؤمنون:٧٦]. ما الفرق بين: "يتضرعون ويضَّرعون"؟ الجواب: وردت كلمة (يتضرعون) مرتين؛ في سورة [الأنعام: ٤٢، المؤمنون: ٧٦]. بينما وردت كلمة يضَّرَّعون مرة واحدة؛ في سورة [الأعراف: ٩٤]. لم جاءت (يتضرعون) في موضع، وجاءت (يضَّرَّعون) في موضع آخر؟ الجواب: أن كلمة (يتضرعون) جاءت في سورة الأنعام (غير مدغمة) لأسباب، هي: ١- بُنيت سورة الأنعام من بدايتها على التطويل في الآيات وفي الكلمات وفي تكرار بعض الآيات وتكرار بعض الحروف، فناسب ذلك أن تأتي الصيغة غير المدغمة (يتضرعون). ٢- جاءت هذه الصيغة في آية خوطب بها النبي ﷺ وأُريد بها التسرية عنه، والتسرية هنا يناسبها بسط الحديث وإطالة الكلمات دون إدغام، فأتت كلمة (يتضرعون)، ولم تأت كلمة (يضَّرَّعون). ٣- سُبقت كلمة يتضرعون بكلمة (أرأيتكم) وليس (أرأيتم) في الآية رقم [٤٠] من سورة الأنعام، فناسب بسط الكلمة الأولى وعدم إدغامها (أرأيتكم) بسط الكلمة التالية وعدم إدغامها (يتضرعون). ٤- سُبقت كلمة (يتضرعون) بكلمتي: (يمسسك) وليس (يمسَّك) في الآية رقم [١٧]. وبكلمة (يُضلله) وليس (يُضلَّه) في الآية رقم [٣٩]. فناسب إظهار الكلمتين وعدم إدغامهما إظهار كلمة (يتضرعون) وعدم إدغامها. ٥- وافق وناسب ذكر الكلمة المظهرة (يتضرعون) ذكر الفعل الماضي التالي لها في الآية التالية رقم [٤٣] بصورة مظهرة أيضًا (تضرعوا) وليس (اضَّرعوا). ٦- وناسب الإظهار في كلمة (يتضرعون) الإظهار في كلمة (تضرعًا) التي أتت بعدها في الآية رقم [٦٣]. هذا =

[٨٧، ٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه والتي بعدها قراءتان: الأولى: (الله) بإسقاط اللام التي قبل لفظ الجلالة ورفع الهاء على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجواب على هذا مطابق للسؤال لفظًا ومعنى، فإن من سأل وقال: من رب الدار؟ فالجواب المطابق لفظًا زيد، أي: ربها زيد. الثانية: (لله) بزيادة اللام مكسورة قبل لفظ الجلالة وجر الهاء على أنه جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، ومطابقة الجواب السؤال على هذه القراءة وقع بحسب المعنى، فالعرب تجيز في الجواب عن قولك: من رب هذه الدار؟ أن يقال: هي لزيد، فإن اللام تفيد الملك.

[٨٨] ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٩١- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ﴾: «من» في الموضعين لتأكيد النفي ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: أي لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه واستبد به. ٩٢- ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: الله تعالى وحده هو عالم الغيب والشهادة، ولا يعلم أحد سواه غير نزر يسير من عالم الشهادة. ٩٣- ﴿إِمَّا تُرِيَنِّى﴾: في هؤلاء المشركين ما تعدهم به من عذابك، فلا تُهلكني بما تُهلكهم، ونجني من عذابك. ٩٦- ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بالخَلَّة التي هي أحسن، وذلك: الإغضاء والصفح والصبر ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أذى المشركين إياه وتكذيبهم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: من الفرية والتكذيب. ٩٧- ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: غمزهم وحنقهم. أو نزغاتهم ووساوسهم؛ يقال: همزه ولمزه ونخسه: أي دفعه. والنزغات وسورات الغضب من الشيطان. قيل: وهو المتعوذ منها في الآية. ٩٨- ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾: في شيء من أموري، لأنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة والإغراء على الشر، والصرف عن الخير. ٩٩- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: عند المعاينة قبل ذوق الموت. ١٠٠- ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: في الدنيا قبل اليوم وفرطت فيه ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: لابد أن يقولها، قيل: إنها كلمة لا تعني أكثر من أن يقولها، ولا نفع فيها ولا غوث ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: يعني: من أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حاجز، وهي الفترة بين البعث والموت. ١٠١- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: النفخة الأولى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: يتواصلون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً، عن أحوالهم. ١٠٤- ﴿تَلْفَحُ﴾: تسفع وجوههم ﴿كَـٰلِحُونَ﴾: الكُلُوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، كالرأس المشيط بالنار، قد قَلَصَت شفتاه، وبدت أسنانه.

= بالنسبة لسورة الأنعام، أما سورة المؤمنون، فقد جاءت فيها صيغة (يتضرعون) بصورة الإظهار أيضًا لأسباب هي: ١- أن سورة المؤمنون أيضًا ابتدأت بالبسط (كما في وصف المؤمنين بعدة صفات في عشر آيات متتالية)؛ لذا فإن البسط في البداية يناسبه البسط في كلمة (يتضرعون). ٢- أن كلمة (يتضرعون) جاءت بعد وصف تفصيلي لعناد المكذبين من أهل مكة وتكذيبهم للنبي ﷺ، وإصرارهم على العناد والاستكبار والإباء، فناسب هذا البسط إظهار الصيغة (يتضرعون) وليس إدغامها. ٣- جاءت كلمة (يتضرعون) في سورة (المؤمنون) مناسبة لوصف حال المعاندين الذين لا يخشون رب العالمين ولا يخافون عذابه، فما تطلب الأمر هنا إظهار حرصهم على التضرع؛ لأنهم معاندون مستكبرون، لا يرجون الله ولا يخافون عذابه، لذا ناسب ذلك الإتيان بكلمة (يتضرعون) لا (يضَّرَّعون). أما كلمة (يضَّرَّعون) فقد جاءت على صورة الإدغام لا الإظهار في سورة الأعراف، وذلك للأسباب الآتية: ١- أن الكلام هنا في سورة الأعراف لم يكن خطابًا للنبي ﷺ، وما احتيج معه إلى بسط الكلمات بل هو تقريرٌ وإخبارٌ، فناسبه الإتيان بالكلمة في صورة الإدغام (يضَّرعون). ٢- جاءت أكثر كلمات السورة (من الكلمات التي يمكن إدغامها أو فك إدغامها) جاءت على الصورة المدغمة. ككلمات: (يذَّكرون) في الآية رقم [٢٦]. (ادَّاركوا) في الآية رقم [٣٨]. (يذَّكرون) في الآية رقم [١٣٠]. (يطَّيَّروا) في الآية رقم [١٣١]. (يضَّرعون) في الآية [٩٤]. فناسب ذلك الإتيان بكلمة (يضَّرَّعون) أي في الصورة المدغمة لا الصورة المظهرة. بينما لم تأت إلا ثلاث كلمات في صورة مظهرة غير مدغمة: ككلمات: (يتطهرون) في الآية رقم [٨٢]. (فاقصص) في الآية رقم [١٧٦]. (يضلل) في الآية رقم [١٨٦]. ٣- جاءت صيغة (يضَّرعون) بعد الحديث عن عذاب قوم شعيب، حيث أخذتهم الرجفة، وهي حالة شديدةٌ تدل على شدة الضراعة وذلك يناسبه كلمة (يضَّرعون) بصورتها المدغمة. [٩٤] ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٩٤]. بعض آثار الظلم ومضاره: الظلم يجلب غضب الرب سبحانه، ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، وبسببه تنهار الدول، والظالم يُحْرَمُ شفاعة رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وذلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، وما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم، وما أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة إلا بسبب ظلمهم. وندم الظالم وتحسره بعد فوات الأوان لا ينفع، والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعدٍ للغير وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال الله عزَّ وجلَّ: "وعزَّتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين" أخرجه الترمذي وصححه الألباني. قال بعض السلف: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: أن يظلم الناسُ فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. الثاني: ظلم بينه وبين الناس. الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه. [٩٧] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧]. ومادام الشيطان هو الذي يهمز الإنسان كما يهمز الراكب الدابة لتسرع، فليحذر المسلم من الأمور التي يرى نفسه مندفعًا إليها بقوة شديدة خشية أن تكون من همز الشيطان.

[١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١]، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات : ٢٧]. لا تعارض بين الآيتين؛ لأن في القيامة مواقف متعددة، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كلٌ بنفسه، وفي بعضها الآخر يتساءلون. [١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤]. الكالح: هو الذي تقلصت شفتاه حتى بدت أسنانه، والنار والعياذ بالله تحرق شفاههم حتى تتقلص من أسنانهم، كما يشاهد مثله في رأس الشاة المشوي في نار شديدة الحر. [١١٠] ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]. ما الفرق بين "سِخريًّا، سُخريًّا"؟ الجواب: وردت كلمة (سِخريًّا) بكسر السين: مرتين. بينما وردت كلمة (سُخريًّا) بضم السين مرة واحدة. السِّخري (بكسر السين) هو الهزء والسخرية. والسُّخري (بضم السين) هو بمعنى السُّخرة والتسخير. وهذا المعنى الأخير يتضح في قوله تعالى: ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢]. [١١٦] ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٦]. من فوائد التوحيد: ١- التوحيد سبب في انشراح الصدر. =

[٩٢] ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمِ ﴾ قرئ: (عالِمِ) بخفض الميم من عالم على أنه بدل من لفظ الجلالة أو صفة، فإنه معرفة بالإضافة على أن المراد منه الثبوت والاستمرار. وقرئ: (عالمُ) بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجملة: مقررة لكمال تنزيهه عن الشريك والولد إذ هي بمثابة برهان آخر على وحدانيته لتفرده بكمال العلم. [١٠٦] ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾ قرئت: =

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

١٠٦- ﴿عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: أي غلبت علينا لذّاتنا وشهواتنا؛ فسمى ذلك شقوة؛ لأنها آلت إليها، ولهذا قالوا: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾. ١٠٨- ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾: أي ابعدوا في النار. وهي كلمة زجر. وقال المبرد: الخسء: إبعاد بمكروه. روي أن الله عز وجل إذا قال ذلك لأهل النار يئسوا من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثّبور. وقيل: صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار. ١٠٩- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ﴾: جماعة، وهم أهل الإيمان. ١١٠- ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾: هزءاً ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾: انساكم استهزاؤكم بهم ذكري. ١١٢- ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: من عدد سنين. ١١٣- ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾: الذين يعدون الشهور والسنين من الملائكة الحفظة وغيرهم فقد نسينا. ١١٥- ﴿عَبَثًا﴾: لعباً وباطلاً. ١١٦- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: أي تنزه عن أن يخلق شيئًا عبثًا. ١١٧- ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: لا بيّنة ولا حجة عند ربه إذا قدم عليه، وليس هناك ربٌّ غير الله عليه برهان! فقوله (لا برهان له به) ليست قيدًا أو شرطًا؛ بل هي وصف لحال كل مَن عبد من دون الله أنه كذلك، فهو في حكم الجملة المعترضة. والله تعالى أعلم.

[٣] قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها: أم مهزول، وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأخرج أبو داود والترمذي، والنسائي، والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له: مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتيهم، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها: عناق، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئًا حتى نزلت ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ يا «مزيد» ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، فلا تنكحها. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزنا، فكان زوانٍ عندهن جمال، فقال الناس: لينطلقن فليتزوجن، فنزلت. [٦-٩] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ الآية. أخرج البخاري من طريق عكرمة، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ «البينة أو حد في ظهرك» فقال =

= ٢- من حقق التّوحيد دخل الجنّة بغير حساب ولا عذاب. ٣- يمنع الخلود في النّار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبّة من خردل، وأنّه إذا كمل في القلب يمنع دخول النّار بالكليّة. ٤- به تغفر الذّنوب وتكفّر السّيّئات. ٥- هو السّبب الأعظم لتفريج كربات الدّنيا والآخرة. ٦- يُحترز به من الشّيطان. ٧- يدفع شرّ الحاسد. ٨- الموحّدون يشفع لهم الرّسول ﷺ. ٩- الموحّدون يشفعون بإذن اللّه لذويهم يوم القيامة، ممّا يدلّ على عظيم مكانتهم عند اللّه. ١٠- يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التّامّ في الدّنيا والآخرة. ١١- السّبب الأساسيّ لنيل رضا اللّه وثوابه. ١٢- أنّ جميع الأعمال والأقوال الظّاهرة والباطنة متوقّفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثّواب عليها على التّوحيد. ١٣- أنّه يسهّل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصيبات. ١٤- بالتّوحيد يحرم مال الموحّد ودمه. ١٥- إذا كمل في القلب حبّب اللّه لصاحبه الإيمان وزيّنه في قلبه وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان. ١٦- أنّه يخفّف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام. ١٧- يحرّر العبد من رقّ المخلوقين والتّعلّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العزّ الحقيقيّ والشّرف العالي. ١٨- إذا تحقّق تحقّقًا كاملًا تتضاعف به الأعمال. ١٩- تكفّل اللّه لأهله بالفتح والنّصر في الدّنيا، والعزّ والشّرف وحصول الهداية والتّيسير لليسر وإصلاح الأحوال. ٢٠- يدفع اللّه تعالى عن الموحّدين شرور الدّنيا والآخرة، ويمنّ عليهم بالحياة الطّيّبة والطّمأنينة بذكره. ٢١- التّوحيد الخالص يدفع الرّياء والغلّ وغيرهما من كبائر الباطن. ٢٢- الصّلاة والصّدقة من الأبناء لا تنفع سوى الموحّدين. [١١٧] ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فيه ضرب من رد العجز على الصدر، إذ افتتحت السورة بـ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وختمت بـ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [١١٨] ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. هذه الآية فيها حذف لكي تفيد العموم، فقد حذف المفعول به لكلمة ﴿ٱغْفِرْ﴾ والمفعول به لكلمة ﴿وَٱرْحَمْ﴾ فلم يقل: رب اغفر الذنوب للعباد، وارحم الناس، بل أطلقها إطلاقًا ليكون طلب المغفرة عامًا لجميع الذنوب وليكون الدعاء عامًا لجميع الخلائق. وفيه دليل على أن ذلك الفريق الذين كانوا يقولون: ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، موفقون في دعائهم ذلك، ولذلك أثنى الله عليهم به، وأمر به نبيه صلى الله عليه وسلم لتقتدي به أمته في ذلك.

= (شِقْوتنا) بكسر الشين وسكون القاف وإسقاط الألف، مصدر شقي شقوة، كقسوة وفطنة وردة. وقرئت: (شَقَاوتنا) بفتح الشين والقاف بعدها ألف وهما مصدران لشقي كرضي، قالوا: شقي يشقو شقوة وشقاوة: ضد سعد. [١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سِخْرِيًّا﴾ قرئ: (سِخريًا-سُخريًا) بكسر السين وضمها بمعنى هزؤاً، اسمان من سخر به إذا استهزأ، والضم والكسر لغتان فيه بهذا المعنى، هذا هو الصحيح، وبعضهم خص الضم بالاستخدام بغير أجرة، والكسر بمعنى الاستهزاء. وترده قراءة الضم هنا، وقال يونس: إذا أريد منه معنى الاستهزاء جاز الكسر والضم، وإذا أريد معنى التسخير فالضم فقط، وعبارة القاموس: تفيد ورود الضم والكسر في المعنيين، وكذلك الخلاف في قوله: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بـ(ص)، قرئت: بالكسر والضم كما سبق. [١١١] ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ﴾ قرئت: (إنهم) بكسر الهمزة على الاستئناف، ومفعول جزيتهم الثاني محذوف، أي -إني جزيتهم اليوم بما صبروا النعيم في الجنة- إنهم هم الفائزون: جملة مستأنفة. وقرئ: (أنهم) بفتح الهمزة على أنه مفعول ثان لجزيتهم، أي: إني جزيتهم اليوم بما صبروا فوزهم الكامل بالنعيم، أو على أنها مجرورة بحرف جر محذوف هو "لام العلة"، ومفعول جزيتهم الثاني محذوف كما في القراءة الأولى، أي: إني جزيتهم اليوم بما صبروا الجنة لأنهم هم الفائزون. [١١٢] ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ﴾، [١١٤] ﴿قَٰلَ إِن﴾ فيهما قراءتان: الأولى: (قَالَ) فتح القاف واللام بينهما ألف على أنه فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله أو الملك، واستعمال الماضي مكان المضارع الدال على الاستقبال لتحقق وقوعه، فكأنه بمنزلة الذي وقع. الثانية: (قُل) بضم القاف بعدها لام ساكنة على صيغة الأمر من القول، والمخاطب بهذا الأمر المَلَك الموكل بهم والله أعلم. [١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (تَرجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم على إضافة الفعل إلى المخاطبين. وقرئ: (تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله، لأنهم لا يَرجِعُون حتى يُرجَعُوا، إذ لا يبعثون أنفسهم من القبور حتى يُبعَثُوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة النور

١- ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ معنى ذلك: هذه السورة أنزلناها ﴿وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا﴾: فرائض مختلفة. ٢- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: يقام حد الله عز وجل ولا يُعطل، الرأفة: الرقّة والرحمة. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: تصدقون بأن الله ربكم ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: بأنكم فيه مبعوثون ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: جلدهما ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الطائفة: رجل واحد إلى الألف. وقيل: أقله رجلان. ٣- ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: إلى آخر الآية. قيل: نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات. وعنى بـ«النكاح» في هذا الموضع: العقد، أو الوطء، أي: الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا تزني إلا بزان. وزاد ذكر المشركة والمشرك لكون الشرك أعم في المعاصي من الزنا. ومقصود الآية: تشنيع الزنا وتشنيع أهله، وأنه محرم على المؤمنين. ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾: يعني الزنا. ونكاح الزواني ٤- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفائف من حرائر المسلمين بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾: على ما رموهن به ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: عدول ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الذين خالفوا أمر الله عز وجل وطاعته ففسقوا عنها. ٥- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: قيل: من تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته فيما استقبل، حُدَّ أو لم يحد. وقيل: لا تقبل شهادته لأن الله قد وصل ذلك بالأبد. ٨- ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: يدفع عنها الحد. ١٠- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: إلى آخر الآية، أي لولا ذلك لفضح أهل الذنوب منكم، ولكنه ستر عليكم. وقيل: ولولا فضل الله لنال الكاذب منها عذاب عظيم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: يعود على من تاب إليه ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه والمغفرة له. حكيم: فيما شرع لعباده من اللعان، وفرض عليهم من الحدود.

= يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج إمرأة قط ثم طلقها فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق، وأنها من الله، ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاعًا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهن حتى يقضي حاجته، قال: فما لبثوا إلا يسيرًا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء، فوجد عند أهله رجلًا فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يهجه حتى أصبح، فغدا إلى رسول الله ﷺ، وقال له: إني جئت أهلي عشاءً فوجدت عندها رجلًا فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه، واجتمعت الأنصار، فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية، ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله اني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجًا، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، فأنزل الله عليه الوحي، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس. وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل لي رسول الله ﷺ، أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فقتله، أيقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ السائل، فلقيه عويمر، فقال: ما صنعت؟ =

[٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٨٩، النور : ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي آل عمران والنور، وهي تتحدث عن التوبة والرجوع إلى الله عز وجل. [٧، ٩] ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور : ٧]، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور : ٩]. لماذا قال: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ثم قال: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾؟ الجواب: إما ليتفنن في الخطاب لكراهة التكرار، أو لأن الغضب أشد من اللعن لأنه مقدمة الانتقام، واللعن: الإبعاد المجرد، وقد لا ينتقم. وخصَّها بذلك لاحتمال كذبها؛ لقلة عقلها ودينها.

[٢، ٣] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]، ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور : ٣]. لماذا قدم الزانية أولًا والزاني ثانيًا؟ الجواب: أن المرأة هي الأصل في الزنا غالبًا لتزينها وتطميع الرجل بها، وقيل: لأن شهوة النساء أشد من الرجال، فلذلك قدمها أولًا، وقدَّم الرجل ثانيًا، لأن الرجل هو الأصل في عقد النكاح لأنه الخاطب، فناسب ما ذكرناه تقديم النساء أولًا، والرجال ثانيًا. [٢] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور:٢]. انعطاف القلوب على أهل الفواحش والرأفة بهم، يدخل كثيرًا من الناس في الديانة وقلة الغيرة، وقد يظن أن هذا من رحمة الخلق، ولين الجانب بهم، ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك مهانة، وعدم دين وضعف إيمان. وتدخل النفس به في الديانة، كما دخلت عجوز السوء مع قومها في استحسان ما كانوا يتعاطونه من إتيان الذكران، والمعاونة لهم على ذلك.

[١] ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرئت: (وفرَضناها) بتخفيف الراء على أنها من الفرض بمعنى الإيجاب، وأصل الفرض القطع، والمعنى: وأوجبنا أحكامها، ففي الكلام مضاف محذوف. وقرئت: (وفرَّضناها) بتشديد الراء للمبالغة في الإيجاب والإلزام والإشارة إلى كثرة الأحكام المفروضة في هذه السورة، كحد الزنا والقذف وكاللعان والاستئذان وغض البصر إلى غير ذلك، والتشديد للإشارة إلى زيادة التفصيل والبيان، قال أبو عمر: وفرضناها أي: فصَّلنا أحكامها، وقد أجمعوا على قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾. وقيل: التخفيف على معنى أوجبنا أحكامها بالفرض عليكم. [٢] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿رَأْفَةٌ﴾ قرئت: (رأْفة-رأَفة) بإسكان الهمزة وفتحها وهما لغتان في مصدر رأف، يقال: رأْفة بالإسكان، ورأَفة بالفتح، ومعناها: شدة الرحمة. [٦] ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَرْبَعُ﴾ قرئت: (أربعُ) بالرفع على أنه خبر (شهادة أحدهم) أي: فشهادة أحدهم المعتبرة لدرء الحد عنه أربع شهادات بالله إلى آخره. وقرئت: (أربعَ) بالنصب على أنه مفعول مطلق، وناصبه قوله: (فشهادة) مبتدأ على هذه القراءة، وخبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير على الأول: فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله واجبة، وعلى الثاني: فالواجب شهادة أحدهم ... إلخ. واتفقوا على نصب (أربعَ) في الموضع الثاني، وهو قوله: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ﴾ على أنه مفعول مطلق منصوب بالفعل قبله كما اتفقوا على رفع قوله سبحانه وتعالى: =

نزول سورة النور: نزلت بعد سورة الحشر، وهي مدنيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة النور: ألف وثلاثمائة وست عشرة. عدد حروف سورة النور: خمسة آلاف وستمائة وثمانون. أسماء سورة النور: سميت سورة النُّور، لكثرة ذكر النور فيها "الله نور ... مثل نوره ... نور على نور.. يهدي الله لنوره ... ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ
عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾: بالكذب، والآيات نزلت في عائشة رضي الله عنها وأهل الإفك الذين افتروا عليها. ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: وهم المنافقون ومن صدقهم من المؤمنين في الافتراء على أم المؤمنين رضي الله عنها، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فيحصل به الثواب، ويميز الله بين الناس، وتظهر البراءة لأم المؤمنين في آيات تتلى ليوم الدين، فيكون فيه إكرام لها رضي الله عنها: وبيان شرع الله فيما يشبهه من الحوادث لو وقع ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾: معظم ذلك القول، وبدأ بالقول فيه وهو رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ. ١٢- ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: لأن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن تفجر بابنها، لأن عائشة كانت أمًا، والمؤمنون بنين لها. ومعنى ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: بإخوانهم وأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة. ١٤- ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾: خضتم من أمرها ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: عاجل في الدنيا. ١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾: تتلقون الإفك، ويرويه بعضكم عن بعض. ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي تتداوله الألسنة دون تبصُّر وتفكُّر، ولو نظرت فيه العقول والأفهام أو لو مرّ عليها مرور الكرام، لعلمت وأيقنت أنه حديث كاذب مفترى، وأكد هذا بقوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ فهو حديث «أفواه»! ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: أي شيئًا يسيرًا يمكن أن تتحدث به الألسنة والأفواه بدون عقل وعلم. ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾: أي عظيم ذنب هذا الحديث وعقابه. ١٦- ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيه لك يا رب، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء. ١٧- ﴿يَعِظُكُمُ﴾: يُذكركم وينهاكم. ١٩- ﴿أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: أن يذيع الزنا وينتشر. والآية عامة في المنافقين وغيرهم، وفي جميع أنواع الفواحش.

= قال: ما صنعت، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل، فقال عويمر: فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه، فسأله فقال: «إنه أنزل فيك وفي صاحبتك. الحديث. قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذه المواضع، فمنهم، من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال: فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله: قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلًا به؟» قال: كنت فاعلًا به شرًا، قال: «وأنت يا عمر؟» قال: كنت أقول لعن الله الأعجز، وإنه لخبيث، فنزلت. قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

[١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ الآيات. أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه، ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل أن يُضرب علي الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي في الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، =

[١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور : ١٠]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٠]. الآية الأولى لما انبنت على آية التلاعن، وفيها من الستر على المسلمين ممن امتحن بتلك البلية، ومن إخفاء الحكمة في حكم التلاعن وشرعيته على ما استقر عليه أمره، مما يعجز عن فهمه كل معتبر، أعقبت بالصفتين المناسبتين لما ذكرنا مما هو غير خاف، فقيل: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ...﴾ [النور : ١٩]، وجرى بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه، أعقب ذلك بصفتين مبقيتين رجاء المؤمنين، ومشعرتين بأن هذا العذاب إن نفذ الوعيد به ليس الخلود في النار، وما لم يكن من فاعل ذلك كفر باعتقاد حِلِّيَّة تلك المعصية أو التكذيب بالوعيد أو التلبس بما هو كفر، وأنه إذا لم يكن شيء من هذا، فلا قاطع عن التوبة، فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فقد وضح أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب.

=(والخامسةُ) في الموضع الأول على أنه مبتدأ وما بعده خبر، واختلفوا في الثاني وسيأتي. [٧] ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (أنَّ لعنةَ) تشديد النون من أن ونصب لعنة، ووجه التشديد أنه الأصل في "أن"، ووجه النصب في (لعنة) أنه اسمها وخبرها الجار والمجرور بعده. الثانية: (أنْ لعنةُ) تخفيف النون من (أن) ورفع (لعنة) ووجه هذه القراءة أنَّ: (أنْ) بسكون النون هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لعنة) بالرفع مبتدأ، والجار والمجرور بعده خبر، والجملة خبر (أن) المخففة. [٩] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ قرئت: (والخامسةُ) بالرفع على الابتداء وما بعدها خبر، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ الخامسة، أو بالعطف على أربع إن كان ممن يقرأ أربع شهادات بالرفع. وقرئت: (والخامسةَ) بالنصب على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: وتشهد الخامسة، أو على العطف على أربع شهادات بالنصب، فيستغنى عن تقدير فعل آخر. قوله تعالى: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (أَنَّ غضبَ اللهِ) بتشديد النون وفتح الضاد من غضب، ونصب الباء وجر الهاء من لفظ =

= نور". مواضيع سورة النور: مقصود السّورة ومعظمُ ما اشتملت عليه: بيان فرائض مختلفَة، وآداب حدّ الزّاني والزّانية، والنّهي عن قَذْف المحصنات، وحكم القذف، واللِّعان، وقصّة إفك الصّدّيقة، وشكاية المنافقين، وخوضهم فيه، وحكاية حال المخلصِين في حفظ اللِّسان، وبيان عظمة عقوبة البهتان، وذمّ إشاعة =

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)﴾

٢١- ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: آثاره وسبله ﴿مَا زَكَىٰ﴾: ما تطهَّر ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: من دنس ذنوبه وشركه. ٢٢- ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: لا يحلف بالله ﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾: ذوو التفضل والجِدَة، والسعة في المال ﴿أَن يُؤْتُوا﴾: يعطوا، وعَنَى بذلك أبا بكر رضي الله عنه لأنه حلف ألا يُنفق على مِسْطَح، وهو ابن خالته، وكان ممن هاجر من مكة إلى المدينة وشهد بدراً، لما كان أشاع من الإفك، فرجع ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. ٢٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: يعني: العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾:عن الفواحش. قيل: هذه الآية في أزواج رسول الله ﷺ خاصة. وقيل: وفيمن كان من النساء بالصفة التي وصفها الله عز وجل. ٢٥- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: «الدين» -هاهنا-: الجزاء والحساب ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: الذي يُبين لكم حقائق ما كان يحذرهم في الدنيا من العقاب، ويزول حينئذ الشك. ٢٦- ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾: يعني: الكلمات الخبيثات من القول ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾: من الناس، أي لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء. وقيل المعنى: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: من الناس وقيل: الطيبات من النساء للطيبين من الرجال. وعلى كلا التفسيرين فالآية ذم للذين قذفوا عائشة رضي الله عنها، ومدح للذين برؤوها، وفيها بيان واضح أن عائشة رضي الله عنها طيبة؛ لأن زوجها رسول الله ﷺ طيب، بل هي حبيبته وزوجته في الدنيا والآخرة ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾: يعني: الطيبين. وقيل: عنى بذلك: عائشة وصفوان بن المُعطَّل ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: أهل الإفك من خبيثات القول. ٢٧- ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: «حتى تستاذنوا وتسلموا» وهي قراءة تفسيرية، وليست قراءة قرآنية، وقيل: «الاستئناس»: أن يؤذنهم أنه داخل فيانسوا إلى استئذانه.

= حتى خرجت بعدما نقهت، وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، تسبين رجلًا شهد بدرًا قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي، فلما دخل عليَّ رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فجئت أبوي، فقلت لأمي، يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قلت: سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا! فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما علي فقال: لن يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. فدعا بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» قالت: «والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء، فتشهد ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم =

[٢٢] ﴿أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [النور : ٢٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾. لما أنزل الله تعالى براءة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها في حادثة الإفك قال الصديق، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ...﴾ [النور : ٢٢]، فقال أبو بكر: والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كانت عليه وقال: لا أنزعها منه أبدًا، رواه البخاري ومسلم، فتأمل في هذه القصة حتى تعلم لماذا لم يذكر لفظ "اليتامى" بالآية، فقد كان مسطح رضي الله عنه رجلًا، ولم يكن طفلًا، فتأمل وتدبر في ألفاظ القرآن. [٣٥] ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم : ٢٥]، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٥]. ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليتذكروا ويتعظوا، فيعتبروا، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمَّا آية النور: ويضرب الله الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٢]. عطف على جملة ﴿تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ عطف خاص على عام للاهتمام به لأنه قد يخفي أنه من خطوات الشيطان، فإن من كيد الشيطان أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير، إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة، وأنه ممن يتعذر عليه ترويج وسوسته عنده إذا كانت مكشوفة. قال أحد العلماء تعليقا على هذه الآية: لا تكن سببًا في منع أرزاق الناس، إذا أردت أن تؤدب أخا أدّبه بأي طريقة كانت إلا أن تمنعه رزقه، لأنه لو كان منع الرزق سائغًا لساغ في حق مسطح، لكن الله جل وعلا عاتب الصدِّيق فيه.

= الجلالة، ووجه التشديد أنه الأصل في (أن) المؤكدة، ووجه فتح الضاد أنه مصدر غضب غضبًا، ووجه الجر في الهاء: أنه مجرور بالإضافة. الثانية: (أَنْ غَضَبُ اللهِ) (أن) بسكون النون وفتح الضاد ورفع الباء مع جر الهاء من لفظ الجلالة، ووجه هذه القراءة: أنَّ (أن) هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن و(غضب) بالرفع مبتدأ على لفظ المصدر مضافٌ إلى لفظ الجلالة كما في القراءة الأولى، والجار والمجرور بعده خبر، والجملة خبر (أن). الثالثة: (أَنْ غَضِبَ اللهُ) كالثانية: في تخفيف النون من (أن) إلا أنها بكسر الضاد وفتح الباء، ورفع لفظ الجلالة على أنه فاعل غضب الذي هو فعل ماض، و(أن) كما سبق هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة الفعلية، ولم تفصل عنها بفاصل من الأمور المعينة في النحو لكونها دعائية. [١١] ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿كِبْرَهُ﴾ قرئ: (كِبره-كُبره) بكسر الكاف وضمها على أنهما مصدران لكبر بمعنى عظم، يقال: كبر كبرًا بالكسر والضم، أي: عظم عظمًا، أي: والذي تولى عظم هذا الإفك ـ أي: =

= الفاحشة، والنهي عن متابعة الشيطان، والمِنَّة بتزكية الأحوال على أهل الإيمان، والشفاعة لِمسْطح إلى الصّديق، في ابتداءِ الفضل والإحسان، ومدح عائشة بأنَّها حَصَان رَزَان، وبيان أنّ الطيّبات للطيّبين، ولعن الخائضين في حديث الإفك، والنَّهي عن دخول البيوت بغير إذن وإيذان، والأمر بحفظ الفروج، وغضّ =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾: في البيوت ﴿أَحَدًا﴾: يأذن لكم بالدخول إليها. ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أطهر لكم عند الله عز وجل. ٢٩- ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾: قيل: هي البيوت التي على ظهر الطريق ليس فيها ساكن، يعرفون أنها بُنيت لمارة الطريق، ولمن أوى إليها. وقيل: هي الخِرَب. و«المتاع»: قضاء الحاجة من الخلاء. والمتاع في اللغة المنفعة؛ فيكون المعنى: فيها منفعة لكم. وقال جابر بن زيد: وليس المراد بالمتاع: الجهاز، ولكن ما سواه من الحاجة. ٣٠- ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: يكفوا من نظرهم إلى ما لا يحل لهم النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: يستروها باللباس لئلا يراها من لا يحل له، ويحفظوها كذلك عما يحرم عليهم. ٣١- ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: قيل: الزينة الظاهرة: الثياب. وقيل: الخاتم والكحل والوجه والكفان. واختلف في ذلك. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: وليلقين ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾: جمع: خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: ليسترن شعورهن وأعناقهن وقرطهن، والجيوب: جمع جيب، وهو فتحة الصدر من الثوب. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: الخفية التي ليست بالظاهرة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: ومن ذكر الله معهم ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾: من نساء المسلمين، لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها، إلا أن تكون أمة لها ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: من الإماء المشركات ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾: الذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء ولا حاجة به إليهن، كالشيخ العاني، والزَّمن الموقوذ بزمانته، ونحو ذلك ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾: اسم جنس بمعنى الجمع، ويسمى «طفلاً» من لم يراهق الحلم. ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: لم يكشفوا على عوراتهن بجماعهن، لصغرهم. وقيل: الذين لم يبلغوا حد الشهوة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: لا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين علم الناس بحركة ما يُخفين من ذلك ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾: راجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم.

= توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى مقالته قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول؟ فقلت وأنا جارية حديثة السن: والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، وفي رواية: ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، واني والله لا أجد لي ولكم مثلًا، إلا كما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه وخرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلما سرى عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك» فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ عشر آيات. [٢٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ ...﴾ قال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئًا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ ...﴾ قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه. وفي الباب عن ابن عباس، وابن عمر، عند الطبراني، وأبي هريرة، عند البزار، وأبي اليسر، عند ابن مردويه. [٢٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبير، أيما أشد، الزنا أو القذف قال: الزنا، قلت: إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف. وأخرج أيضًا عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ ضاحية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة. وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ أوحي إليه ثم استوى جالسًا فمسح وجهه، وقال: «يا عائشة أبشري» فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ: أولئك مبرؤون مما يقولون. [٢٦] قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: الخبيثات للخبيثين الآية. قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك. وأخرج الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس قال نزلت الخبيثات للخبيثين الآية، للذين قالوا في زوج النبي ﷺ =

[٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. **فوائد غض البصر**: قال ابن القيم: وفي غض البصر فوائد: ١- تخليص القلب من ألم الحسرة، فمن أطلق نظره دامت حسرته. ٢- أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح. ٣- أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته. ٤- أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته. ٥- أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه. ٦- أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير أسير الشهوة. ٧- أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة.

= معظمه ـ له عذاب عظيم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْتَلِ﴾ قرئ: (يأتل) بالهمز الساكن بعد الياء، وبعدها تاء مفتوحة ثم لام مكسورة مخففة على أنه مضارع ائتلى يأتلي، بمعنى حلف يحلف، والياء محذوفة للجازم. وقرئ: (يتألَّ) بتاء بعد الياء ثم همزة مفتوحة بعدهما لام مفتوحة مشددة على أنها مضارع تألى بمعنى حلف أيضًا، فتتحد القراءتان في المعنى، والألف محذوفة للجازم، والمعنى: ولا يحلف أولو الفضل والغنى على أن لا يؤتوا أولي القربى، ففي الكلام لا، مقدرة بين أن والفعل. ولا يأتل، أي: لا يقصر أولو القربى على أن يؤتوا، وأتلى كما تجيء بمعنى حلف تجيء بمعنى قصر. [٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَشْهَدُ﴾ قرئ: (تشهد) بالتأنيث، نظرًا لأن الفاعل مؤنث مجازي. وقرئ: (يشهد) بالتذكير نظرًا لأن الفاعل جمع تكسير يجوز تذكيره وتأنيثه ومفرده مذكر للفصل بينه وبين فعله. [٣١] ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ... أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ... أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ قرئ: (جُيوبهن) بضم الجيم على الأصل، لأنه جمع على وزن فعول وهو الأصل. وقرئ: (جِيوبهن) بكسر الجيم لمناسبة الياء لأن الانتقال من الضم إلى الياء فيه ثقل لعدم المناسبة. قوله تعالى: ﴿غَيْرِ﴾ قرئ: (غيرِ) بالجر على أنه بدل من (التابعين). وقرئ: (غيرَ) بالنصب على الحال، أي: كون التابعين غير... إلخ. قوله تعالى: ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هنا و﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ الزخرف: ٤٩، و﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الرحمن: ٣١، قرئ: (أيُّهُ) بضم الهاء وصلًا، وإسكانها وقفًا. وقرئ: (أيَهَ) بفتح الهاء وحذف الألف وصلًا، وإسكانها وقفًا. وقرئ: (أيها) بإثبات الألف وقفًا.

= الأبصار، والأمر بالتَّوبة لجميع أهل الإيمان، وبيان النكاح وشرائطه، وحرمة الإكراه على الزِّنا، وتشبيه المعرفة بالسِّراج والقنديل، وشجرة الزيتون، وتمثيل أعمال الكفار، وأحوالهم، وذكر الطُّيور، وتسبيحهم، وأورادهم، وإظهار عجائب صُنع الله في إرسال المطر، وتفصيل أصناف الحيوان، والانقياد لأمر الله تعالى =

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿وَأَنكِحُوا﴾: زوجوا ﴿الْأَيَامَى﴾: من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، وهو جمع «أيم» ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: أهل الصلاح من عبيدكم وإمائكم. ٣٣- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: وليتعفف ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: ما ينكحون به، عن إتيان ما حرم الله من الفواحش ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾: يلتمسون المكاتبة، وهي أن يتفق الرجل مع عبده على مال يؤديه مقسَّطاً، فإذا أدّاه فهو حر، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: أمر من الله أذن فيه، وليس بواجب على الناس، وقيل: بل هو واجب بالشرط المذكور بعده. وهو: القدرة على أداء ما كُوتب عليه وإن لم يكن له مال. ﴿وَآتُوهُم﴾ أعطوهم ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: من مال الكتابة أن يحط عنهم منه، واختلف في قدر ذلك، وقيل: أن يُعطوا سهمهم من الصدقات المفروضة على الأغنياء. قال تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة:٦٠] ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾: إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾: الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعففاً ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ لتلتمسوا بإكراههن على الزنا ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ما تعرض لهم إليه الحاجة من مالها ورياشها ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لهن، والوزر على من أكرههن. ٣٥- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره يهتدون إلى الحق ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: قيل: مثل نور من آمن به. وقيل مثل نور محمد ﷺ. وقيل: نور القرآن ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾: المشكاة: كل كُوةٍ لا منفذ لها. وقيل: هي الحدائد التي يُعلق بها القناديل. وهو مثل ضربه الله عز وجل لقلب محمد ﷺ. وقيل: مثل ضربه للقرآن في قلوب أهل الإيمان ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: وهو السراج، وجعل المصباح مثلاً لما في قلوب المؤمنين من القرآن والآيات البينات ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: يعني: القنديل، وهو الزجاجة، ضربها مثلاً لصدر المؤمن ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مثل صدر المؤمن في خلوصه من الكفر بالزجاجة، وشبه الزجاجة في صفائها وحسنها بالكوكب الدري، وهو المضيء الحسن الصافي ﴿يُوقَدُ﴾: بمعنى: يوقد المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾: من دُهن شجرة ﴿مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾: قيل: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالغداة من قبل المشرق دون العشي ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية وإنما وصف الله عز وجل الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، وإذا كان شجره شرقياً غربياً كان زيته أصفى وأضوأ. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: من صفائه وحُسنه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: فكيف إذا مسته؟ ومعنى ذلك تكاد حجج الله تعالى من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر، أو أعرض عنها، ولها ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: النار على الزيت. وهو مثل القرآن أنه نور على نور الله، وحججه التي كانت منصوبة قبل مجيء القرآن ونزوله. ٣٦- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: أن تُبنى. قيل: هذه المساجد ﴿يُسَبِّحُ﴾: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: صلاة الغداة وصلاة العصر. وقيل: الصلاة المفروضة.

= ما قالوا من البهتان. وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتيبة. قال: لما خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إلى عائشة فقال: يا عائشة، ما يقول الناس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور، ثم قرأ حتى بلغ: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ الآية، مرسل صحيح الإسناد. [٢٧] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا ﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت إمرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان فنزلت ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ الآية. [٣١] قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله، حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتزرات فيبدو ما في أرجلهن، يعني: الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله في ذلك ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن حضرمي: أن إمرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جزعًا، فمرت على قوم فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع فصوّت، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾. [٣٣] قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ ﴾ =

[٣٤، ٤٦] ﴿آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ [النور : ٣٤، ٤٦] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾. "مبينات" تعني مُوضحات، أي: دلائل على غيرها، أمّا "بينات" فتعني واضحات، أي: دلائل على نفسها. [٣٣] ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ [النور : ٣٣]. العفة: هي الكف عن محارم الله كافة. وقد جاء لفظ الاستعفاف في القرآن الكريم، وأريد به طلب العفة عن أسباب الفساد والبعد عن الزنا وفتنة النساء. والاستعفاف من أسمى الأخلاق وأكرمها وأحبها إلى الله جل وعلا، وهو من صفات عباد الله الصالحين، الذين استحضروا عظمة الله وخافوا سخطه وعذابه، وطلبوا رضاه وثوابه، وصبروا وخافوا واعتبروا، وحبسوا النفس عن الهوى، والتزموا الورع والتقوى، فنالوا بذلك المنزلة والقربى عند الله سبحانه، بل إن الله جل و علا ليعجب من صنيع الشاب العفيف، فقد قال ﷺ "ليعجب ربك من الشاب ليست له صبوة" رواه أحمد، والحديث حسن لغيره. من مظاهر العفة: ١- غض البصر. ٢- البعد عن الزنا. ٣- اجتناب مصافحة النساء. ٤- اجتناب الخلوة بالأجنبية. ٥- البُعد عن مواطن الفتنة. ومن وفوائد العفة: ١- النجاة من الفاحشة. ٢- النجاة من أضرار الفواحش. ٣- العفة صوان للأسرة. ٤- الاستعفاف برهان على الصبر. ٥- العفة كرامة في الدنيا ونجاة من النار في الاخرة. ٦- العفة تحقق الإيمان. ٧- العفيف مضاعف الأجر. ٨- العفيف في ظل الله يوم القيامة. ٩- قوة الإرادة. ١٠- طهارة الفرد ونقاء المجتمع. ١١- تفريج الهموم والكربات. ١٢- الشرف والرفعة في الدنيا. ١٣- الفوز بالثواب العظيم.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿مُّبَيِّنَاتٍ﴾ و﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ "النساء : ١٩، والأحزاب : ٣٠، الطلاق:١" و﴿مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بالنور : ٣٤، ٤٦، ﴿آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بالطلاق : ١١، قرئ: (مبيَّنات - مبيِّنات) بالكسر والفتح فيهما، فالفتح فيهما على أنه اسم مفعول من (بيَّن) المتعدي، فمعنى الواحد منها: بيَّنها من يدعيها، ومعنى الجمع: أن الله بيَّنها، وبالكسر اسم فاعل إما من (بيَّن) المتعدي، والمفعول محذوف، أي: (مبيِّنة) حال مرتكبيها، أو من اللازم، يقال: =

= بالتَّواضع والإِذْعان، وخلافة المؤمنين، وصلابة الإِخوان، وبيان استئذان الصِّبيان، والعُبْدان، ورفع الحَرَج عن العُمْيان، والزَّمْني، والعُرْجان، والأمر بحرمة سيِّد الإِنس والجانّ، وتهديد المنافقين، وتحذيرهم من العصيان، وخَتم السّورة بأَن لله المُلْك والملكوت بقوله: "أَلا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" إِلى قوله: "عَلِيمٌ".

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٣٧- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾: لا تشغلهم ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: من هوله، بين طمع بالنجاة وحذر من الهلاك، وهو يوم القيامة. ٣٩- ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: السراب: ما لصق بالأرض نصف النهار حين يشتد الحر. و«الآل»: ما كان منه كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار. ﴿بِقِيعَةٍ﴾: جمع: قاع، كجيرة جمع: جار. و«القاع»: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب ﴿يَحْسَبُهُ﴾: يظنه ﴿الظَّمْآنُ﴾: العطشان من الناس ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾: جاء الظمآن السراب مستغيثاً به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾: أي بالمرصاد له. وقيل وجد حكمه وقضاءه ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: يعني: يوم القيامة وفّاه حساب أعماله وجزاه بها، وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله جزاء فلا يجده. ٤٠- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: مَثَل آخر ضربه الله عز وجل لأعمال الكفار في أنها عُملت على خطأ وضلالة ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: نُسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء. ولُجّة البحر: معظمه ﴿يَغْشَاهُ﴾: يغشى البحر ﴿مَوْجٌ﴾: من فوق الموج موج آخر، من فوق الموج الثاني ﴿سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ﴾: وجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجي لقلب الكافر. يقول عز وجل: عمله بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلالة كما يغشى هذا البحر ما ذكره من الظلمات: الموج والسحاب ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾: لم يرها إلا من بعد يأس وشدة. وقيل: بمعنى لم يرها، نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام، كقوله عز وجل: ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: من لم يرزقه هدىً ولا إيماناً ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾: من هدى ولا معرفة بكتابه. ٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾: إلى آخر الآية: الصلاة لبني آدم، والتسبيح صلاة غيرهم من الخلق ، ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾: تصف أجنحتها في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾: كل من ذُكر من الخلق قد علم ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: الذي كلفه وألزمه. وقيل: كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه. ٤٣- ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾: يسوق سحاباً، والإزجاء: السوْق قليلاً قليلاً، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: يجمع كل مفترقه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: متراكماً بعضه على بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: الودق: المطر، «من خلاله»: من خلال السحاب ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من عالٍ ﴿مِن جِبَالٍ﴾ قِطَعِ عِظام تشبه الجبال، ﴿مِن بَرَدٍ﴾: مِنْ من برد، كما يقال: جبال من طين ﴿فَيُصِيبُ﴾: يُعذب به ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾: ضوء برقه.

= الآية. أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكًا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتابة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾.[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئًا، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية، وأخرج أيضًا من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبيﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية، وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كانت مسيكة جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية، فلما حرم الزنا، قالت: لا والله لا أزني أبدًا، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة، وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيرًا فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية.

[٣٩] ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ...﴾ [إبراهيم:١٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ...﴾ [النور:٣٩]. صفة أعمال الكفار في الدنيا كالبر وصلة الأرحام كصفة رماد اشتدت به الريح في يوم ذي ريح شديدة، فلم تترك له أثرًا...، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية النور: والذين كفروا بربهم وكذّبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهَد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أتاه لم يجده ماء...

= بان الشيء، وأبان واستبان، وبيّن، وتبيّن بمعنى واحد، أي: ظهر. [٣٥]﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿دُرِّيٌّ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (دِريءٌ) بكسر الدال والياء ساكنة مدية بعدها همزة على وزن فعيل، من الدرء بمعنى الدفع كفسيق وسكير، يقال: الكوكب شديد الضوء دريء لشدة ضوئه، كأنه لذلك يدفع الظلمة أو يدفع بعض ضوئه بعضًا لشدة لمعانه ولألأته. الثانية: (دُريءٌ) بضم الدال وياء ممدودة بعدها همزة على وزن فعيل، وهو وزن نادر لم يثبت منه إلا مريق لحب العصفر، ولهذا أنكر بعضهم هذا البناء، واعترض على هذه القراءة، ووجهه بعضهم بأن أصله فعول كسبوح وقدوس، وهو كثير في الصفات إذا أريد المبالغة قلبت ضمة الراء كسرة لتوالي ضمتين، ثم قلبت الواو ياءً فصارت دريء كما قالوا في عتوًا عتيًا، ويحتمل على هذا أن تكون القراءة الأولى من هذا: أتبعت فيها الفاء للعين كما ترى في (عتيًا) بالكسر، فكسرت الدال تبعًا لكسرة الراء. الثالثة: (دُريٌّ) بضم الدال وياء مشددة بعد الراء، فيحتمل أن تكون هذه الياء ياء النسب، أي: منسوب إلى الدر لشدة ضوئه ولمعانه، فوزنه فعليّ وهو من الدرء بمعنى الدفع في القراءتين كما سبق. قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يُوقَد) بياء مضمومة بعدها واو ساكنة وقاف مفتوحة مخففة ودال مضمومة، على أنه مضارع مبني للمجهول من أوقد، ونائب فاعله ضمير يعود على المصباح. الثانيَة: (تُوقَد) كذلك إلا أنها بتاء مضمومة على أنه مضارع مبني للمجهول نائب فاعله ضمير مستتر يعود على (الزجاجة). الثالثة: (تَوَقَّد) بتاء مفتوحة وواو مفتوحة وقاف مشددة مفتوحة ودال مفتوحة على وزن تفعل، وفاعله مستتر يعود على المصباح في المعنى، وعلى الزجاجة في اللفظ =

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور : ٤٠]. ظلمات البحار: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو تصريحها بوجود ظلمات في أعماق البحار متراكمة فوق بعضها البعض، ووجود أمواج داخلية في البحار والمحيطات العميقة، والتي غالبًا ما تغطيها سحب ركامية تحجب قدرًا مهمًا من أشعة الشمس، وهذا ما كشفت عنه دراسات علماء البحار في أواخر القرن التاسع عشر. [٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ =

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

٤٥- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾: يعني: أن خِلقة كل حيوان فيها ماء، كما خُلق آدم من الماء والطين. قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾: كالحيات وما أشبهها. ٤٦- ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾: تبين وتميز الهدى من الضلال. ٤٧- ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: إلى آخر الآية. يعني: المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول، والطاعة لله ولرسوله بمجرد اللسان لا عن اعتقاد صحيح. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي من بعد ما صدر عنهم ما نسبوه إلى أنفسهم من دعوى الإيمان والطاعة. ٤٨- ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: عن الرضا بحكم رسول الله ﷺ. ٤٩- ﴿مُذْعِنِينَ﴾: مُقرِّين به طائعين. ٥٠- ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك ﴿أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ﴾: أن يجور الله ﴿عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾: المعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، مثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: فأفرد الرسول بالحكم، ولم يقل: ليحكما. ٥٣- ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أغلظ أيمانهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: بالخروج إلى الجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾: معك ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾: لا تحلفوا ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾: بمعنى: فإن هذه طاعة معروفة منكم، فيها التكذيب. أي أن الآية فيها النهي عن القسم الكاذب؛ إذ عُرف أن طاعتهم دغلة، مراوغة، فكأنه يقول: لا تغالطوا فقد عرف ما أنتم عليه.

[٤٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة، فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدُعي إلى النبي ﷺ أعرض، فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور : ٣٤]، ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور : ٤٦]. الآية الأولى بعدما قدم قبلها من المواعظ والآداب والأحكام، ناسب العطف عليها "بالواو" و"إلى"، ثم ابتدأ كلامًا مستأنفًا بعد ما قدَّمه من عظيم آياته بإرسال الرياح والمطر وإنزال الماء والبرد، وقوله تعالى: "إليكم" في الآية الأولى دون الثانية، لأنه عقيب تأديب المؤمنين وإرشادهم، فكأنها خاصة بهم، والثانية عامة لأن آيات القدرة للكل غير خاصة، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور : ٤٦].
[٤٧] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران : ٢٣]، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]. آية آل عمران فيها دعوة لليهود للتحاكم للقرآن ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فلم يوافق أهواءهم، فأبى كثير منهم حكم الله؛ لأن من عادتهم الإعراض عن الحق، وأمَّا آية النور فتتحدث عن المنافقين الذين يقولون: صَدَّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تُعْرِضُ طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول ﷺ، ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور : ٥٢]. جاء أحد دهاقين الروم مسلمًا عند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال عمر: ألهذا سبب؟ قال: نعم! إني قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيرًا من كتب الأنبياء، فسمعت أسيرًا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب المتقدمة، فعلمت أنه من عند الله، فأسلمت. قال: ما هذه الآية؟ قال: قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾: في الفرائض ﴿وَرَسُولَهُ﴾: في السنن ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: فيما مضى من عمره ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما بقي من عمره ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، والفائز من نجا من النار، وأدخل الجنة، فقال عمر: قال النبي ﷺ: "أوتيت جوامع الكلم". رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

= كذلك أنثه، لكن لما التبس المصباح بالزجاجة حمل التأنيث على الزجاجة، وجعل الفعل ماضيًا. [٣٦] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿بُيُوتٍ - والْبُيُوتَ﴾ قرئ: (بُيوت) حيث وقع في القرآن بضم الباء، وذلك في جمع "فعل" على وزن "فُعول". وقرئ: (بِيوت) حيث وقع في القرآن بكسر الباء، وذلك لمجانسة الياء، من هذا تبين أن الضم والكسر لغتان. قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾ قرئ: (يسبَّح) بفتح الباء على أنه مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله الجار والمجرور بعده، ورجال مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف يدل عليه المقام، كأن سائلًا سأل فقال: من الذي يسبح له الرجال؟ وقرئ: (يسبِّح) بكسر الباء على أنه مبني للمعلوم، ورجال فاعله. [٤٠] ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ قوله تعالى: ﴿سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: بترك تنوين (سحابُ) وجر (ظلماتٍ) على إضافة (سحابُ) إلى (ظلماتٍ)، إما أن تكون الإضافة للبيان، أو أن تكون من إضافة السبب إلى المسبب كسحاب مطر وسحاب رحمة. الثانية: بتنوين (سحابٌ) وجر (ظلماتٍ) على أنه بدل من (ظلمات) الأولى. الثالثة: كذلك إلا أنها برفع (ظلماتٌ) على أنه خبر المبتدأ المحذوف تقديره: هي ظلماتٌ، أو شدة ظلمات... إلخ. [٤٣] ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَذْهَبُ﴾ قرئ: (يَذهَب) بفتح الهاء والياء على أنه مضارع ذهب الثلاثي المجرد، و(الباء) في قوله: بالأبصار هي للتعدية. وقرئ: (يُذهِب) بضم الياء وكسر الهاء على أنه مضارع أذهب المزيد بالهمزة والباء زائدة و(الأبصار) مفعول بناء على جواز زيادة الباء في الإثبات، كما قيل به في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وقيل: (الباء) أصلية لكنها بمعنى (من) ومفعوله محذوف تقديره يذهب النور من الأبصار، والفاعل في القراءتين يعود على ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي: لمعانه. [٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (خلَقَ كلَّ) بلام مفتوحة بعد الخاء ثم قاف مفتوحة و(كل) بالنصب على أن (خلق) فعل ماض، وفاعله يعود على لفظ الجلالة و(كلَّ) مفعول. وقرئ: (خالِقُ كلِ) بزيادة ألف بعد الخاء ثم لام مكسورة، وبقاف مرفوعة على وزن فاعل، و(كل) بالجر من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، و(خالق) خبر المبتدأ وهو لفظ الجلالة. [٥٥] ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ قوله تعالى: ﴿اسْتَخْلَفَ﴾ قرئ: (استُخلِف) بضم =

= ﴿عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور : ٤٣]. السحاب: رحلة تشكل الغيوم تبدأ بدفع ذرات بخار الماء من البحار باتجاه الأعلى بواسطة الرياح. ثم يتم التأليف بين هذه الذرات من البخار لتشكل غيوماً. ثم تتراكم هذه الغيوم فوق بعضها حتى تصبح جاهزة لإنزال الماء منها، يتابع البيان الإلهي: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ والودق هو المطر الذي يخرج من خلال هذه السُّحُب. ثم يأتي تصوير شكل هذه السُّحب على أنها جبال، يقول تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ فالبَرد الذي نراه هو في الحقيقة من الغيوم العظيمة كالجبال، ولا يمكن أن ينْزل البرد من غيوم صغيرة. لذلك نجد أن البيان الإلهي دقيق جدًا، فجاء الحديث عن البَرد، وقبله حديث عن جبال من الغيوم للدلالة على أن البَرد لا يتشكل إلا في حالةٍ خاصة من حالات تشكل الغيوم، وهي الغيوم على شكل الجبال "التراكمية" والباردة جدًا. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [٥٥] ﴿دِينَهُمُ﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاتهما) مع (المساجد والسجود بمشتقاته)، (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا وأدبروا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: من تبليغ الرسالة إليكم ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾: أن تفعلوا ما أمركم الله به. ٥٥- ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها، وهذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض،و أئمته هداة للناس وولاة عليهم، وقيل: المراد بالأرض: البلاد والأصقاع التي قضى بامتدادهم إليها. ومعنى استخلافهم فيها هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها؛ كما جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب. ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: بني إسرائيل، وسائر الأمم ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾: في الأرض، ليوطئن ﴿دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: ملتهم التي ارتضاها لهم ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بهذه النعمة، ولم يَعْنِ الكفر بالله عز وجل. ٥٧- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: يقال: أعجزالرجل إذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه. ومعنى الآية لا تظن أنهم يفوتونني إذا أردتُ بهم العذاب. ٥٨- ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾: في الدخول عليكم ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قيل: عنى بذلك: الرجال دون النساء، وقيل: عنى النساء خاصة، وسبيل الرجال أن يستأذنوا في كل وقت. وقيل: عنى الرجال والنساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾: أي هي ثلاث أوقات يختل فيها الستر وقد تظهر العورة. ﴿جُنَاحٌ﴾: حرج. ﴿طَوَّافُونَ﴾: يدخلون ويخرجون على مواليهم وأقربائهم بغير إذن.

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبيٍّ بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون الا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية، ونحن في خوف شديد.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. زاد "منكم" بسورة النور؛ لأنهم المهاجرون، وقيل: عامّ، و"مِن" للتبيين. [٥٨، ٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩]. الآية الأولى جاء فيها ذكر الأوقات التي يُستأذن فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ...﴾[النور: ٥٨]، فلما قدَّم الأوقات التي يستأذن فيها، والاستئذان من أفعال العباد، ورد اللفظ بالتعريف فقال: "الآيات"، أي: العلامات على أحكامه تعالى، أمّا الآية الثانية فجاء فيها ذكر بلوغ الأطفال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]، وهو من فعله تعالى وأمره لا من فعل العبد، فناسب ذلك مجيء اللفظ بالإضافة لاختصاص المولى به. قول آخر: إن سبب الاختلاف بين الآيتين المتجاورتين في التعريف والتنكير هو أن العرب لا تكرر اللفظ الواحد، لكراهة استثقال اللفظ، ما لم يُحمل على معنًى من المعاني، وهو ضرب من التفنن في لغتهم.

= التاء وكسر اللام على أنه مبني للمجهول حذف فاعله للعلم به، والموصول بعده في موضع رفع نائب فاعل. وقرئ: (اسْتَخْلَفَ) بفتح التاء واللام على أنه مبني للمعلوم، وفاعله مستتر يعود على لفظ الجلالة قبله الذي في قوله "وعد الله" الخ، ومعلوم أن همزة (استخلف) همزة وصل تسقط في الدرج، وتثبت في الابتداء مضمومة على القراءة الأولى ومكسورة على القراءة الثانية كما هي قاعدتها. قوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ قرئ: (وليُبْدِلنهم) بالتخفيف على أنه من أبدل. وقرئ: (وليُبَدِّلنهم) بالتشديد على أنه من بدَّل وفي التشديد معنى التكثير. [٥٨] ﴿مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ثَلَاثُ﴾ قرئت (ثلاثُ) بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه ثلاث عورات، أي: الأوقات السابقة عورات لكم. وقرئ: (ثلاثَ) بالنصب على أنه بدل من (ثلاث مرات) المنصوبة على الظرفية، وبدل المنصوب منصوب، والتقدير: "أوقات ثلاث عورات".

[٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. إعجاز تشريعي: دعائم الشريعة الإسلامية في القرآن: من أهم دعائم الشريعة الإسلامية كما جاء في القرآن الكريم: ١- أنها شريعةٌ سمحةٌ لا تكلفُ الناس فوق طاقاتهم، لأن تكاليفها كلها مُيسرةٌ لا مشقَّة فيها، فهي في حدود استطاعة كل مسلم، فقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ٢- أنها جاءت شريعة عامة لا نظر فيها إلى حالات فردية أو جزئية أو شخصية، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]. ٣- أنها سنَّت للناس رُخصًا عند الضرورة دفعًا للضرر ورفعًا للمشقة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. ٤- قلةُ تكاليف الشريعة، لتكون في استطاعة الجميع، كبيرهم، وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم. فإن تتبعت القرآن والسنة وجدت الأوامر فيها قليلة وبسيطة. فقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وفرض تعالى الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وأمر تعالى بطاعة الله والرسول وأولي الأمر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وأمر تعالى بالدعوة والحسبة والجهاد.. فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأمر تعالى بالاعتصام بحبله وعدم التفرق، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وأمر تعالى بالجهاد فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وأمر تعالى بتوحيده ونهي عن الشرك وأمر بالإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد خشية الإملاق، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونهى عن قتل النفس بغير حق، وعن قرب مال اليتيم إلا بالحُسنى، وأمر بالوفاء بالكيل والميزان، والعدل في الأقوال، والوفاء =

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦٠- ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾: اللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر، واحدتهن قاعد: ﴿ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾: قد يئسن من البعولة فلا يطمعن في الأزواج ﴿ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾: يعني: جلابيبهن، وهي القناع فوق الخمار، والرداء فوق الثياب، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾: إذا لم يُردن بوضع ذلك أن يُبدين ما عليهن من الزينة للرجال. والتبرج: أن تُظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾: أن يَعْفِفن عن جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها ولا يضعنها ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾. ٦١- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾: أن تأكلوا من بيوت مَن ذكَر الله عز وجل فيها. وروي أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم مع رسول الله ﷺ، وتخلف أهل الزمانة منهم، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلِّف منهم، وأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله، فكان المتخلف يتخوف من ذلك، فأعلمهم الله عز وجل أنه لا حرج عليهم. ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾: من البيوت التي ملكتم مفاتحها، و«المفاتح»: الخزائن. ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾: إذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم. وكان قتادة يقول: لو أكلت من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس. ﴿ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾: وُحداناً ومجتمعين: وقيل: كان قوم من العرب لا يأكل أحدهم شيئاً وحده دون غيره، فأذن له الله عز وجل في ذلك وأباحه ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾: بيوت أنفسكم ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾: على عيالكم وأهليكم. وقيل: بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾: بمعنى: تُحيُّون أنفسكم تحية، لأن السلام تحية ﴿ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾: لما فيها من الأجر والثواب.

[٦١] قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكانت الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ تحرج المسلمون: وقالوا الطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فنزل ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ الآية. وأخرج عن الضحاك قال: كان أهل المدينة قبل ان يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج، لأن الأعمى لا يبصر طيب الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم. وأخرج عن مقسم قال: «كانوا يتقون أن ياكلوا مع الأعمى والأعرج» فنزلت. وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحرث غازيًا مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد، فحرج أن يأكل من طعامه، وكان مجهودًا فنزلت. قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ الآية. أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زمناهم، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما أحببتم، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا، إنهم أذنوا عن غير طيب نفس فأنزل الله ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه سئل عن قوله: ليس على الأعمى حرج، ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا، فقال: أخبرني عبد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرجون من ذلك، ويقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم. وأخرج عن قتادة قال: نزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ في حي من العرب، كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم.

= بعهد الله، واتباع الصراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وأمر تعالى بذكره فقال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣]. وأمر تعالى بقراءة ما تيسَّر من القرآن، وإقراض الله قرضًا حسنًا، واستغفاره سبحانه، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [المزمل: ٢٠]. وأمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين والأقربين والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت اليمين. فقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]. وهذه أمثلةٌ من الأوامر في الكتاب... أما في السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحَدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياءَ، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيانٍ، فلا تبحثوا عنها» رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الأرنؤوط. قال أبو بكر السمعاني: هذا الحديث أصلٌ كبيرٌ من أصول الدين وفروعه، فمن عمل به فقد حاز على الثواب، وأمن العقاب، فكل من أدّى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى بحقوق الدين؛ لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في الحديث. ٥- التدرج في الأحكام: لأن الشريعة عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئًا فشيئًا من غير تشديدٍ ولا تعقيدٍ في النهي عنها وتحريمها. فمثلًا: في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجةً في تحريمها بأسلوبٍ حكيمٍ لم يشعر الناسُ معه بحرجٍ أو مشقةٍ. التدرجُ في تحريم الخمر: روى الإمام أحمدُ رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حُرِّمت الخمرُ ثلاث مراتٍ، قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر =

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٦٢- ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: يجمع جمعهم، من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نازل ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: لبعض حاجاتهم. ٦٣- ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾: إن أسخطتموه، أي: لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم بإسخاطه، فإن دعوته موجبة. وقيل: لا تجعلوا دعوته إياكم كالدعاء من بعضكم لبعض في التساهل عن الإجابة أو الرجوع بغير استئذان أو رفع الصوت. وقيل: لا تجعلوا مخاطبتكم للرسول كمخاطبة بعضكم لبعض؛ فإنهم كانوا يتنادون بالأسماء على سبيل المثال، فأمرهم الله تعالى بأن يدعوا محمدًا بـ نبي الله أو يا رسول الله، قال قتادة: أمرهم أن يشرّفوه ويفخموه ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾: الذين ينصرفون عن نبي الله بغير إذنه تسترًا وخفية. و«اللواذ»: هو أن يلوذ القوم بعضهم بعضاً، يستتر هذا بهذا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: قيل: «الفتنة» هاهنا: الكفر.

سُورَةُ الفُرْقَانِ

١- ﴿تَبَارَكَ﴾: مأخوذ من البركة، والبركة: الكثرة من كل ذي خير. ولا تستعمل هذه اللفظة إلا في حق الله سبحانه، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي، وهو كقول القائل: تقدس ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: الفصل بين الحق والباطل، والمراد به القرآن، ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: محمد ﷺ ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾: لجميع الإنس والجن ﴿نَذِيرًا﴾: داعياً ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه. ٢- ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾: سوّى كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له، فلا خلل ولا تفاوت. [٦٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة (بئر بالمدينة)، قائدها أبو سفيان، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه، وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل، فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك هو لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾. [٦٣] قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟﴾ الآية. أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ...﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ...﴾ [الحجرات: ١٥]. إنما المؤمنون حقًا هم الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه...، فهذا ما دلت عليه آية النور، أمَّا آية الحجرات: إنما المؤمنون الذين صدَّقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم.

[١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ...﴾ [الفرقان: ١٠]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. "تبارك" هذه لفظة لا تستعمل إلاَّ لله تعالى، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي، وجاءت في هذه السّورة في ثلاثة مواضع تعظيمًا لذكر الله، وخُصّت هذه المواضع بالذكر؛ لأنَّ ما بعدها عظائم: الأولى: ذكر الفرقان، وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله، والثانية: ذكر النبي وما خاطبه به ربه، والثَّالثة: ذكر البروج والسيّارات، والشمس والقمر، واللَّيل والنَّهار، ولولاها ما وجد في الأرض حيوان، ولا نبات. [٢] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وقل أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية الفرقان فتبين أن الله هو الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوَّاه على ما يناسبه من الخلق وَفْق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.

= ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٦] إلى آخر الآية. فقال الناسُ: ما حُرِّمَا علينا، إنما قال: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يومًا من الأيام صلى رجل من المهاجرين، وقد أمَّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آيةً أغلظ منها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدُهم الصلاة وهو مغبقٌ، ثم أنزلت آيةٌ أغلظ من ذلك ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا. حسَّنه الأرنؤوط. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل تحريمُ الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما صَحُوا جعل الرجلُ منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلانٌ، وكانوا إخوةً ليس في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] فقال ناسٌ من المتكلفين: هي رجسٌ وهي في بطن فلانٍ قُتل يوم بدر وقُتل فلانٌ يوم أحدٍ، فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ...﴾ [المائدة: ٩٣]. أخرجه النسائي وغيره، وقال الذهبي: على شرط مسلم. وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كنتُ ساقي القوم في منزل أبي طلحة، =

نزول سورة الفرقان: نزلت بعد سورة يس، وهي مكيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة الفرقان: ثمانمائة واثنتان وسبعون. عدد حروف سورة الفرقان: ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة الفرقان: سميت سورة الفرقان؛ لأنَّ في فاتحتها ذكرَ الفرقان. مواضيع سورة الفرقان: مقصود السّورة ومعظمُ ما =

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣- ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: «النشور» مصدر نشر الله الموتى نشوراً، وهو بعثهم بعد الموت. ٤- ﴿إِفْكٌ﴾: كذب وبهتان ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه، والإشارة بقوله «هذا» إلى القرآن ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: يعنون اليهود وقد سمّى المشركون ثلاثة من اليهود، وجميعهم من الموالي. وهذا ونحوه من الطعن في القرآن يكرر فيه المستشرقون اليوم طعون أسلافهم من المشركين. ﴿فَقَدْ جَآءُو﴾: أتوا بهذه المقالة ﴿ظُلْمًا﴾: أن نسبوا كتاب الله وتنزيله إلى الإفك. و«الظلم» معناه: وضع الشيء في غير موضعه ﴿وَزُورًا﴾: كذباً. ٥- ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أحاديث الأولين من الأمم الذين كانوا يُسطِّرونها في كتبهم، وكان النضر بن الحارث يقول هذا ، ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾: استكتبها محمد من اليهود ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: يعنون: الأساطير ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بالغداة والعشي. ٦- ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: ليس القرآن-لمن نظر وعقل ما فيه- مما يفتعل ويفترى! أيا كان «المعينون» عليه. ولكنه أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة. والسر: الغيب، أي أنه تعالى يعلم الغيب في السموات والأرض. وقيل: يعلم ما يُسِرُّ أهل الأرض وأهل السماء. ٧- ﴿وَقَالُوا۟﴾: يعني: مشركي قريش ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾: كما نأكله ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: كما نمشي ﴿لَوْلَآ﴾: هلّا. ٨- ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المشركون للمؤمنين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: له سَحر، وهي الرئة، أي بشراً له رئة لا ملكاً. وقيل: سُحِر فغُلب على عقله. ٩- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى الهدى، إذ التمسوه في غير ما بُعث به. ١١- ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿سَعِيرًا﴾: ناراً تسعَّر عليهم وتتقد. [١] قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن خيثمة قال: «قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها، لا ينقصك ذلك عندنا شيئًا في الآخرة، وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة، قال: «بل اجمعهما لي في الآخرة» فنزلت ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ الآية.

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان : ٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم : ٨١، يس : ٧٤]. آية الفرقان تقدمها آيتان جاء فيهما ذكر المولى سبحانه، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢]، فحسن الإضمار على طريقة العرب في فصيح الكلام، أمّا آية مريم ويس فقد صرح بلفظ الجلالة كيلا يؤدي إلى مخالفة الضمير قبله، فإنه في السورتين بلفظ الجمع تعظيمًا، ففي سورة مريم الضمائر التي في الآيات السابقة مباشرة للغائب المفرد، وتعود على الذي كفر بآيات الله، فلو لم يصرح بعدها لالتبس، فقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾، وفي سورة يس أول ضمير غائب مفرد سبق قوله: "واتخذوا" يعود على سيدنا رسول الله ﷺ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس : ٦٩]، فكان المقام مقام التصريح بلفظ الجلالة.

[٣] ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد : ١٦]، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٣]. آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشركة في الإعراب والمعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾، وقدم قبلها ما عطفت عليه بالواو أيضًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين، ففي الأولى عدم الخلق في قوله: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ﴾ مقابلًا للخلق والإيجاد في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وفي الثانية الضر مقابلًا بالنفع، وفي الثالثة الموت والحياة، وبني مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين، ففي الأولى الإشارة إلى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وكذا في الثانية الضر والنفع والنفع أشرف، وفي الثالثة الموت والحياة والحياة أشرف، فروعي تناسب الآي على ما أوضحنا، فقدم الضر على النفع في آية الفرقان، أمّا آية الرعد فلم يعرض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من حيث أفردت على ما يجب من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل، وكأن قد قيل فيها: إذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم؟ ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع، فجاء كلٌّ على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه، والله أعلم. [٩] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٤٨، الفرقان : ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الإسراء والفرقان، ومعناها: انظر أيها الرسول كيف قال المكذبون في حقك تلك الأقوال العجيبة التي تشبه لغرابتها الأمثال؛ ليتوصلوا إلى تكذيبك؟ فبَعُدوا بذلك عن الحق، فلا يجدون سبيلًا إليه؛ ليصححوا ما قالوه فيك من الكذب والافتراء.

[٨] ﴿جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُ﴾ قرئ: (يأكل) بالياء على أن الفاعل ضمير يعود على الرسول بمعنى: أنهم اقترحوا عليه جنة يأكل منها النبي ودل على ذلك قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ﴾ وقوله: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾. وقرئ: (نأكل) بالنون على أن ضمير المتكلمين هو الفاعل على معنى "أنهم اقترحوا جنة يأكلون منها". [١٠] ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل﴾ قرئ: (يجعلُ) بالرفع على الاستئناف والقطع، أي: "وهو يجعل لك قصورًا أو سيجعل لك قصورًا" وفيه معنى الحتم، ليس بموقوف على المشيئة، أي: لا بد أن يجعل لك يا محمد قصورًا. وقرئ: (يجعلْ) بالجزم على العطف على محل الجزم وهو: "إن شاء جعل لك جنات" فهو داخل في المشيئة، أي: إن شاء الله فعل ذلك بك يا محمد، وهو فاعله بلا شك.

= وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسولُ الله ﷺ مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد حُرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة، فقال بعضُ القوم قد قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]». متفق عليه. ٦- مسايرةُ مصالح الناس: وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات المواريث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة. [٣] ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ إعجاز عددي: تساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= اشتملت عليه: المِنّة بإنزال القرآن، ومنشور رسالة سيّد ولد عدنان، وتنزيهُ الحقّ تعالى من الولد، والشّريك، وذمُّ الأوثان، والشكاية من المشركين بطعنهم في المرسلين، بأكل الطَّعام في أخسّ مكان، واستدعائهم مُحالات المعجِزات من الأنبياءِ كلّ أوان، وذُلّ المشركين في العذاب والهوان، وعِزّ المؤمنين في ثوابهم =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾: جهنم، حقيقة. وقيل: المعنى صارت جهنم قدر ما يرى الرائي من البعد. وقيل: إذا رأتهم خزنتها. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾: يقال: فلان يتغيظ على فلان، إذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب، وتبين في كلامه، بمعنى: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد ﴿وَزَفِيرًا﴾: هو: صوت النار. ١٣- ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: قد قُرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿ثُبُورًا﴾: ويلاً وهلاكاً. و«الثبور» في كلام العرب: انصراف الرجل عن الشيء، يقال ما ثبرك عن هذا الأمر؟ أي صرفك، وهو هاهنا: دعاء القوم بالندم. ١٦- ﴿خَالِدِينَ﴾: لابثين فيها ماكثين أبداً ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾: سأل المؤمنون ربهم ذلك في الدنيا، إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤] وقيل: بمعنى: وعداً واجباً. ١٧- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: يعني: المشركين المكذبين بالساعة ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ما عبدوا من الملائكة والجن والإنس ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾: ازللتموهم عن طريق الهدى ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: أم هم أخطؤوا طريق الرشد. ١٨- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أن نتولى غيرك ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾: بالمال والصحة ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾: ذكرك ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان. ١٩- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾: أخبر عز وجل عما هو مقول للمشركين عند ذلك، أي عند تبرّي من كان يعبدونه منهم ﴿صَرْفًا﴾: لعذاب الله عنهم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾: يقول عز وجل: ومن يظلم منكم أيها المؤمنون، يعني بشركٍ. وقيل: هو خطاب للكفار. ٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: امتحنا بعضكم ببعض، خصصنا هذا بالرسالة، وهذا بالمُلك، وهذا بالدنيا وسعتها، وهذا بالفقر وبالصحة وبالبلاء، لنختبر شكر المنعم عليه، وصبر المُبتلى، ونختبر طاعتكم ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: أي أم لا تصبرون؟ وقيل: المعنى اصبروا. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بمن يجزع ويصبر.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة، وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ، فنزل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ويوم يعض الظالم على يديه إلى قوله خذولًا، وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم.

[١٥-١٦] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ [الفرقان: ١٥-١٦]. يقول ابن القيم في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي منادٍ يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيى على زيارته، فيقولون سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء- على كثبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ - فَيَقُولُ﴾ قرئ: (يحشرهم-فيقول) بالياء فيهما على أن الفاعل ضمير يعود على ربك في قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾. وقرئ: (نحشرهم-فنقول) بالنون فيهما على الالتفات وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة وهو مناسب لقوله قبل: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ وقوله بعد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ الخ، وقرئ: بالنون في الأول على الالتفات، وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة، وبالياء في الثاني على الأصل، أي: عود الضمير إلى ربك.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَّتَّخِذَ﴾ قرئ: (نَتخِذ) بفتح أوله وكسر ثالثه على أنه مبني للمعلوم، هو إما متعد لواحد و(من) زائدة، و"أولياء" مفعوله و(من دونك) حال منه أو متعلق بنتخذ، وإما متعد لاثنين "ومن دونك" هو المفعول الثاني "وأولياء" هو المفعول الأول. وقرئ: (نُتخَذ) بضم أوله وفتح ثالثه على بناء الفعل للمجهول، وهو متعد أيضًا للواحد ونائب فاعله هو ضمير المتكلمين وهو المفعول في الأصل، و"من" زائدة و"أولياء" حال من المفعول، و"من دونك" متعلق به أو للاثنين: أولهما: نائب الفاعل، وثانيهما: "أولياء" بناء على جواز زيادة "من" في المفعول الثاني. [١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ =

[١٣] ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ إعجاز عددي: وردت مشتقات كلمة (الضيق) (١٣) مرة في كتاب الله، كما وردت مشتقات كلمة (الطمأنينة) (١٣) مرة في كتاب الله. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة في القرآن الكريم.

= بفراديس الجِنَان، وخطاب الحق مع الملائكة في القيامة تهديداً لأهل الكفر والطُّغيان، وبشارة الملائكة للمجرمين بالعقوبة في النِّيران، وبطلان أعمال الكفار يوم يُنصب الميزان، والإخبار بمقرّ المؤمنين في درجات الجِنَان، وانشقاق السّماوات بحكم الهَوْل وسياسة العُبْدان، والإخبار عن ندامة الظَّالِمين يوم الهيبة ونطق

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

٢١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يأملون لقاء ما وعدنا. وقيل: لا يخافون ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: تعظموا ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: تجاوزوا في الكفر والاستكبار. ٢٢- ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: تقول الملائكة: حراماً محرماً عليكم اليوم البشرى. ٢٣- ﴿وَقَدِمْنَا﴾: عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾: الهباء: الذي كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة، يحسبه الناظر غباراً وليس تقبض عليه الأيدي، ولا يُرى ذلك في الظل. وقيل: ما تذروه الرياح من حطام الشجر وغيره. ٢٤- ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: في منازلهم من الجنة من مستقر هؤلاء المشركين -الذي يفخرون بما أوتوا من عرض الدنيا- في الدنيا والآخرة ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: معنى ذلك: في أوقات قائلتهم في الدنيا، والقائلة والقيلولة: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وذُكر أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وإنهم ليقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ الله من الناس. ٢٥- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: بمعنى: تتشقّق ﴿السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: عن الغمام، وقيل: هو غمام أبيض كالذي ظُلّل على بني إسرائيل. وقيل: عنى به قوله عز وجل ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠] ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾: نُزّلت إلى الأرض. ٢٦- ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: بطلت الممالك يومئذ، فلا ملك إلا لله ﴿عَسِيرًا﴾: صعباً شديداً. ٢٧- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾: المشرك ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: ندماً وأسفاً ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى النجاة. ٢٨- ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾: دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضله في الدنيا. و«فلان» كناية عن الأعلام. ٢٩- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي﴾: صدني ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾: الإيمان ﴿خَذُولًا﴾: مسلماً له لما نزل به من البلاء، غير مغيث ولا منقذ. ٣٠- ﴿مَهْجُورًا﴾: لا يريدون أن يسمعوه ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٦]. ٣٢- ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: هلّا نُزّل عليه كما أُنزلت التوراة على موسى جملةً واحدةً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: لِنُصحّح عزيمة قلبك ونفسك ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: علّمناكه شيئاً بعد شيء حتى حفظته. و«الترتيل في القرآن»: هو الترسُّل والتثبت.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾الآية. أخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والضياء في المختارة، عن ابن عباس قال: قال المشركون إن كان محمد كما يزعم نبيًا فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾.

[٣١] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان:٣١]. الآيتان تبينان أن للأنبياء أعداء، وآية الأنعام تبين نوع هؤلاء الأعداء أنهم من الجن والأنس...، أمَّا آية الفرقان فتصف هؤلاء الأعداء بالمجرمين...، وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ.

[١٥] ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الفرقان: ١٥]، ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤]. ما الفرق بين: "الخُلْد، الخلود"؟ الجواب: وردت كلمة (الخلد) ست مرات، بينما لم ترد كلمة (الخلود) إلا مرة واحدة في القرآن الكريم. هناك فرقان بين (الخلد) و(الخلود): ١- فرق سياقي: وهو أن كلمة (الخلود) جاءت فاصلة في المرة التي وردت فيها (أي خُتمت بها الآية) وهي تناسب ختام الآية لما فيها من مد، بالإضافة إلى انتهائها بحرف الدال فهي مزيتان: أ- تناسبه مع معظم النهايات (الفواصل) في الآيات المجاورة (بعيد، حفيظ، منيب، الخلود، مريد، محيص، شهيد، لغوب). ب- القلقلة التي في حرف الدال حين الوقوف عليه، مما يجعله مناسبًا للقلقلة الحاصلة بالفواصل المجاورة (بعيد، منيب، مزيد، شهيد، لغوب). ٢- فرق خاص بالمعنى (فرق معنوي): هو أن كلمة (الخلود) فيها توكيد ليس في كلمة (الخلد) لذلك استعملت مع كلمة (يوم) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ [ق: ٣٤] لتجعل له معنى يختلف دائمًا عن معنى اليوم العادي.. وليس هذا في كلمة (الخلد). [٣٠] ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]. وفي هذه الشكوى من التخويف والتحذير ما لايخفى، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا. وهذه الآيات وإن كانت في المشركين إلا أن العبرة بعموم لفظها، فنظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل بالقرآن، والأخذ بآدابه. لذا ينبغي على مسلم يخاف العرض على ربه أن يتأمل هذه الآية الكريمة، ويمعن النظر فيها مرارًا؛ وتكرارًا؛ ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى والطامة الكبرى التي عمت جل بلاد المسلمين من هذه المعمورة وهي هجر القرآن الكريم.

= عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ قوله تعالى: ﴿نَقُولُونَ - تَسْتَطِيعُونَ ﴾ قرئ: (تقولون-تستطيعون) بتاء الخطاب فيهما على: أن المخاطبين هم العبدة، و(الباء) بمعنى في بعدها، و"ما" مصدرية أو موصولة، و"الواو" في "كذبوكم" عائدة على المعبودين، والمعنى: فقد كذبوكم أيها المشركون من عبدتموهم بما تقولون، أي: فيما تقولون، أي: في قولكم بمعنى مقولكم، أو في الذي تقولونه من أنهم آلهة، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصرًا لها. وقرئا: (يقولون-يستطيعون) بالياء فيهما على أن الكاف للمشركين أيضًا، وضمير الغيبة في الفعلين للمعبودين، و(الباء) في قوله: "بما يقولون" للملابسة أو للاستعانة والمعنى: "فقد كذبوكم أيها المشركون بما يقولون، وهو ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، فلا يستطيعون صرف العذاب عنكم ولا نصرًا لكم". وقرئ: (تقولون-يستطيعون) بالخطاب في الفعل الأول، والغيبة في الثاني، والمخاطبون هم العبدة، وضمير الغيبة للمعبودين "والباء" بمعنى "في" كما في الوجه الأول. [٢٥] ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَشَقَّقُ ﴾ قرئ: (تَشَقق) بتخفيف الشين على أنه مضارع تشقق، وأصله تتشقق بتاءين التاء الأولى للغائب، لأن الفاعل مؤنث مجازي حذفت إحدى التاءين من أول الفعل تخفيفًا. وقرئ: (تشَّقق) بتشديد الشين على أن أصله تتشقق أيضًا خففت بإبدال الثانية شينًا وإدغامها في الشين فصارت تشَّقق، وكذا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾ بقي فيها تشديد الشين وتخفيفها كما علمت هنا. قوله تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ قرئ: (ونُزِّلَ الملائكةُ) بنون واحدة بعدها زاي مشددة ثم لام مفتوحة، ورفع التاء من "الملائكة" على أن الفعل ماض مبني للمجهول مزيدٍ بالتضعيف و(الملائكة) نائب فاعل. وقرئ: (ونُنْزِلُ الملائكةَ) بنونين في أول الفعل أولاهما مضمومة وثانيهما ساكنة، ثم زاي مخففة وبعدها لام مرفوعة و"الملائكة" بالنصب على أن الفعل مضارع من "أنزل" مسند إلى ضمير العظمة، و"الملائكة" بالنصب مفعوله.

= الأركان، وذكر الترتيب والترتيل في نزول القرآن، وحكاية حال القُرُون الماضية، وتمثيل الكفَّار بالأنعام، أخسّ الحيوان، وتفضيل الأنعام عليهم في كلِّ شان، وعجائب صنع الله في ضمِّ الظلّ والشَّمس وتخليق اللَّيل، والنَّهار، والآفات، والأزمان، والمِنَّة بإنزال الأمطار، وإنبات الأشجار في كلِّ مكان، وذكر الحُجّة في =

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

٣٣- ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾: يعني: المشركين ﴿ بِمَثَلٍ ﴾: يضربونه لك، أو بسؤال واقتراح، ﴿ جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾: بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤوا به أو يجيب عنه ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾: تفصيلاً، وبياناً. ٣٥- ﴿ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾: مُعيناً وظهيراً. ٣٦- ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ﴾: هم فرعون وملؤه من القبط ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾: إذ كذبوهما. ٣٧- ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾: عظةً ﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾: أعددنا. ٣٨- ﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾: بئر كانت تسمى الرسُّ كان ينزلها قوم ذكر الله عز وجل أنه دمرهم مع سائر القرون. وأتت في ذلك روايات واختلاف. قال ابن عباس: هم قوم من ثمود. وقال قتادة: أصحاب الرس وأصحاب الأيكة قومان أرسل إليهم شعيب عليه السلام. و«الرس» عند العرب: كل محفور، مثل البئر والقبر ونحو ذلك ﴿ وَقُرُونًا ﴾: أمماً. ٣٩- ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾: أعذرنا إليه، وأنذرنا وأقمنا الحُجَّة ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾: استأصلناهم بالعذاب وأبدناهم. والتّبار: الهلاك. ٤٠- ﴿ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾: قريةُ قوم لوط، و«مطر السوء»: الحجارة. ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ﴾: فيعتبرون بها ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾: لا يوقنون بالبعث والثواب والعقاب. ٤٢- ﴿ كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾: يصرفنا، ﴿ لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾: أي حبسنا أنفسنا على عبادتها، ولم نطعه في اجتنابها. ٤٣- ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾؟: تعجب ممن أطاع هواه طاعةً كطاعة الإله. وقال الحسن: معنى الآية: لا يهوى شيئاً إلا اتبعه.

[٤١] ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣٦]، ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان : ٤١]. الآيتان نزلتا في الكفار المعاصرين للرسول الله ﷺ ولم يتقدم قبل آية الأنبياء أو فيما يليها خطاب يعنيهم ويخصهم، وإنما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، وهذا يتناول كل الكفار بدون تخصيص، فلهذا تعين إظهار الفاعل في الآية، أمّا آية الفرقان فإن قبلها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان : ٣٢]، فلما تقدم ذكر الكفار المعاصرين غير متناول غيرهم، وعنوا بالذكر، واحتيج إلى الإخبار عنهم أتى بضميرهم إذ هو أوجز. وأمّا عمّا أعقبت به آية الأنبياء: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾، فإنه لما تقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢١]، وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢]، وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [الأنبياء : ٢٤]، فتكرر ذكر مرتكبهم في اتخاذهم معبوادات لا تغني عنهم - ناسبه قولهم: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾. وأمّا آية الفرقان فقد تقدمها قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧]، فأنكروا كون الرسول من البشر، فجرى مع ذلك وناسبه قولهم: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾، تعجبًا واستبعادًا أن يكون الرسل من البشر، وقد رد ذلك عليهم بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠].
قول آخر: ماقبل الآية في سورة الأنبياء: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥]، فلم يجر للكفار ذِكر في الآية التي قبل هذه، أي: التصريح بهم، فكان الاختيار الإظهار، وأمّا في سورة الفرقان فإن قبل الآية: ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٠]، أي: ألم ير الكفار في زمانك القرية التي أمطرت مطر السّوْء فيحذروا، فلما كان الذكر متقدّمًا في أقرب الكلام إليها كان الاختيار الإضمار.

[٤٣] ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣]، ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣]. انظر أيها الرسول متعجبًا إلى مَن أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظًا حتى تردَّه إلى الإيمان؟ فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمّا آية الجاثية: أفرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًا مرشدًا؟ والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفرقان: ٤٠]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المَطر والغَيْث"؟
الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيثُ) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ [لقمان:٣٤]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ [الحديد: ٢٠].

[٥٠] ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٠].
ما الفرق بين: "كفر، كفور، كفران"؟ الجواب: وردت كلمة (كفر) خمسًا وعشرين مرة. ووردت كلمة (كفور) ثلاث مرات. بينما وردت كلمة (كفران) مرة واحدة. (الكفر) ضد الإيمان، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها، و(الكفور) أكثر توكيدًا ومبالغة في الكفر، وهو متعلق بالوحدانية ومقتضياتها أيضًا، عندما يتنكب المرءُ الحقَّ على معرفةٍ وعلمٍ. أو يأبى استماع الحق والإذعان إليه. و(الكفران) متعلق بالحقوق والنعم التي تخصُّ المؤمن، وفيها توكيدٌ (ويمكن أن تأتي في غير =

= المياه المختلِفة في البحار، وذكر النَّسب، والصهر، في نوع الإنسان، وعجائب الكواكب والبروج، ودَوْر الفلك، وسير الشمس والقمر، وتفصيل صفات العباد، وخواصّهم بالتّواضع، وحكم قيام اللّيل، والاستعاذة من النّيران، وذكر الإقتار، والاقتصاد في النفقة، والاحتراز من الشرك والزّنا وقتل النّفس بالظّلم والعدوان، =

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٥- ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: لا يزول، ممدوداً، لا تُذهبه الشمس ولا تُنقصه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: دللناكم عليه بالشمس عند طلوعها، بأنه خلق من خلق ربكم؛ يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد. ٤٦- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾: يعني الظل، بالشمس التي يأتي بها فينسخه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: خفياً سهلاً، من «اليُسر». ٤٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ستراً تستترون به، كما تستترون بالثياب التي تلبسونها ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحة للأبدان والجوارح ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: يقظة وحياة. ٤٨، ٤٩- ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: أمام الحيا والغيث، ﴿أَنْعَامًا﴾: من البهائم ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾: جمع، واحده: إنسيّ. ٥٠- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾: يعني: قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء بين عبادي ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: نعمتي عليهم ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلا جحوداً لنعمتي عليهم. ٥٢- ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾: فيما يدعونك إليه ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾: يعني بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: حتى ينقادوا له طوعاً وكرهاً. ٥٣- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾: خلط. وأصل «المرج»: الخلط، ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: مرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة. يقال: هذا ماءٌ فرات؛ أي شديد العذوبة، يعني: مياه الأنهار والأمطار ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: مُر، يعني: ماء البحر ﴿بَرْزَخًا﴾: حاجزاً يمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا. ٥٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾: من النُّطَفَ ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: قيل: النسب سبع: وهو قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ والصِّهْرُ خمس: وهو قوله عز وجل: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٣] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: على خلق ما يشاء. ٥٥- ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: معيناً للشياطين، مُظاهراً لهم على معصية ربه.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف : ٥٧]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان : ٤٨]. أما عن مجيء الفعل مضارعًا للمستقبل في آية سورة الأعراف؛ فلأن قبلها قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥-٥٦]، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعمة، فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين وأدعى لهم إلى الدعاء. وأمّا في سورة الفرقان ومجيء هذا فيها بلفظ الماضي، فلأن قبل الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٤٥- ٤٧]، فلما عدد أنواع ما أنعم به، وكان إرسال الرياح في جملته، عدّه بعدما تقدمه وأخبر منه عما فعله وأوجده. فالآيات التي تقدمت آية الأعراف كلها أفعال إما طلب فعل في الحاضر أو المستقبل، أو كف عن فعل في الحال والاستقبال، بينما جاءت الآيات التي تقدمت آية الفرقان بأفعال ماضية، لأن سياق الآيات يحكي ذلك الواقع. [٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ...﴾ [الفرقان : ٥٣]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ ...﴾ [فاطر : ١٢]. والله هو الذي خلط البحرين: العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزًا يمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر، ومانعًا مِن أن يصل أحدهما إلى الآخر، فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمّا آية فاطر: وما يستوي البحران: هذا عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمكًا طريًّا شهيَّ الطَّعم.. أما عن زيادة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ في آية فاطر؛ فلأن سياق الآيات فيها بيان لقدرة الله في خلقه لهذه المخلوقات المتباينة المختلفة وفي كل منها حكمة، فاقتضى السياق بيان شدة هذا الاختلاف فزاد ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾.

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ [يونس : ١٨]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٥]. لما تقدم آية يونس قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس : ١٥]، ناسب تقديم الضر، أي: لا يضرهم إن عصوه ولا ينفعهم إن أطاعوه، وفي الفرقان تقدم ذكر النعم وعدها، فناسب تقديم النفع، أي: ما لا ينفعهم بنعمة من النعم.

القرآن بمعنى الكفور). جاءت كلمة (الكفر) في معظم المرات في سياق ذُكر فيه (الإيمان) فكانت كلمة (الكفر) مقابل كلمة (الإيمان). أما كلمة (الكفور) فقد سُبقت في المرات الثلاث التي وردت فيها بكلمة (أبى)، ولم تستعمل كلمة (أبى) ولو مرة واحدة مع كلمة (كفر) أو (كفران). أما كلمة (كفران) فهي خاصة بجحود النعمة أو جحود السعي الطيب للإنسان. [٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولًا بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. [٤٩] ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان : ٤٩]، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ : ١٥]. لماذا ذكَّر وصف البلدة في الآية الأولى وأنّث في الثانية؟ الجواب: أن التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة يكون باعتبار المعنى، كقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل : ١٨]، وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار : ١]، وأيضًا فما لا روح فيه يقال: "مَيْت"، وما فيه روح يقال: "مَيْتة"، "وبلدة" لا روح فيها، فناسبها كلمة "ميتًا".

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٥٣]، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠]. التقاء البحرين: لقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن لكل بحر صفاته الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من البحار كشدة الملوحة والوزن للماء حتى لونه الذي يتغير من مكان إلى آخر بسبب التفاوت في درجة الحرارة والعمق وعوامل أخرى ، والأغرب من هذا اكتشاف الخط الأبيض الدقيق الذي يرتسم نتيجة التقاء مياه بحرين ببعضهما، وهذا تمامًا ما ذكر في الآيتين السابقتين. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية أنها تتحدث عن بحرين متجاورين متداخلين ويحتفظ كل منهما بخصائصه، وكأن بينهما حاجزًا يمنعهما من الاختلاط وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

والإقبال على التَّوبة، والإعراض عن اللَّغو والزُّور، والوعد بالغُرَف للصَّابرين على عبادة الرَّحمن، وبيان أنَّ الحكمة في تخليف الخَلْق التضرّع والدّعاء

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

٥٧- ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: بما يقربه إليه، من الصدقة والنفقة في سبيله. ٥٨- ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾: اعبده شكراً منك له. ٥٩- ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾: يقول لمحمد ﷺ: إذا أخبرتك شيئاً فاعلم أنه كما أخبرتك، فإنه سبحانه الخبير بعلم دقائق تلك المخلوقات. والمعنى: فاسأل الله عن كل أمر. ٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: يعني: الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾: خالصاً دون الآلهة. ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾: بُعداً وفراراً. ٦١- ﴿تَبَارَكَ﴾: تقدّس ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾: هي بروج النجوم. وقيل: هي النجوم الكبار. ﴿سِرَٰجٗا﴾: يعني: الشمس قال تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح:١٦] وسميت الشمس بالسراج، والسراج الوهاج؛ لأنها تجمع بين الضوء والحرارة. ٦٢- ﴿خِلۡفَةٗ﴾: كل شيء واحد منهما خَلَفٌ من الآخر، إن فات رجلاً من النهار عمل يعمله فيه لله، أدركه في الليل، فإن فاته في الليل أدركه في النهار. وقيل: يخلف هذا هذا إذا ذهب ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾: أن يتذكر أمر الله عز وجل ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾: شكراً لله على نعمته في اختلاف الليل والنهار. ٦٣- ﴿هَوۡنٗا﴾: بالسكينة والوقار والتواضع والحلم ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾: بما يكرهون من القول ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾: أجابوهم بالمعروف والسداد من القول. ٦٥- ﴿كَانَ غَرَامًا﴾: هلاكاً ملحًا دائماً، غير مفارق من عُذّب به. ومنه قيل: الغريم، لإلحاحه في حقه. ٦٧- ﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ﴾: لم يتجاوزوا الحد الذي أباحه الله إلى ما فوقه، و«الإقتار»: ما قصّر فيه عن أمر الله عز وجل و«القَوام» ما بين ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء:٢١٧]. أشار في سورة الفرقان إلى الصفة التي يدوم معها نفع المتوكل عليه وهي في دوام الحياة؛ لأن من يموت ينقطع نفعه، وأشار في آية الشعراء إلى الصفتين اللتين ينفع معهما التوكل، وهي العزة التي يقدر بها على النفع، والرحمة التي بها يوصله إلى المتوكل، وخص آية الشعراء بختمها بذلك مع ما ذكرناه، أي: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي تقدَّم وصفه مرة بعد مرة في إنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم. [٥٩] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الفرقان : ٥٩، السجدة : ٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الأعراف : ٥٤، يونس : ٣، هود : ٧، الحديد : ٤]. يجوز أن يكون "الَّذي" في السّورتين مبتدأ، و"الرّحمن" خبره في الفرقان، "وما لكم من دونه" خبره في السّجدة، وجاز غير ذلك.

[٥٢] ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢]. ما الفرق بين "الجهاد والقتال"؟ الجواب: الجهادُ معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال جهادٌ، وليس كل جهاد قتالًا. فالجهاد معناه واسع يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، ويشمل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل كل قولٍ أو عمل خير يعمله المؤمن في سبيل الله. [٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [النور : ٦٣]. أضاف عبودية أنبيائه وأوليائه إلى اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته. وتأمل كيف جمعت الآية وصفهم في حركتي الأرجل والألسن بأحسنها وألطفها وأحكمها وأوقرها. [٦٨] ﴿جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة : ١٨٢]، ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ [الفرقان : ٦٨]، ﴿لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ [الواقعة : ٢٥]، ما الفرق بين "إثم وأثام وتأثيم"؟ الجواب: الإثم: هو مصدر الفعل (أَثِمَ) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يُعاقب عليه مرتكبه. والأثام: هو الإثم المضاعف، وتأثيم: مصدرُ الفعل الرباعي المشدَّد (أثَّمَ)، ومعناه: سبَّب له الإثم.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ قوله تعالى: ﴿تَأۡمُرُنَا﴾ قرئ: (يأمرنا) بالياء على الإخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به محمد. وقرئ: (تأمرنا) بالتاء على الخطاب منهم للنبي ـ عليه السلام ـ لأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله فقالوا: أنسجد لما تأمرنا يا محمد؟. [٦١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ قوله تعالى: ﴿سِرَٰجٗا﴾ قرئ: (سِراجًا) بكسر السين وبعدها راء مفتوحة ثم ألف على الإفراد، على أن المراد بالسراج الشمس لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ ولاقترانها بالقمر. وقرئ: (سُرُجًا) بضم السين والراء وإسقاط الألف التي قبل الجيم على الجمع، على أن المراد به الكواكب السيارة والثوابت، ويمكن اتحاد القراءتين بحمل الأولى على إرادة الجنس فتتحد مع الثانية، أو حمل الجمع في الثانية على التعظيم فتتحد مع الأولى. [٦٧] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (يُقتِروا) بضم الياء وكسر التاء على أنه من أقتر يقتر بمعنى مضيق على نفسه، الثانية: (يَقتِروا) بفتح الياء وكسر التاء على أنه من قتر من باب ضرب يضرب، الثالثة: (يَقتُروا) كذلك إلا أنها بضم التاء على أنه من قتر من باب قتل يقتل، وهما لغتان في الثلاثي، قالوا: قتر يقتُر، ويقتِر بمعنى ضيق. [٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ قوله تعالى: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ قرئ: (يذْكُر) بتخفيف الذال مسكنة، وتخفيف الكاف مضمومة، على معنى الذكر لله تعالى. وقرئ: (يذَّكَّر) بتشديد الذال والكاف مفتوحتين، على معنى: التذكر.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله ـ تعالى ـ دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا اللهُ سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثًا عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ =

= والابتهال إلى الله الكريم المنّان، بقوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان : ٧٧].

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٦٨- ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: بكفر بعد إيمان، أو زنًا بعد إحصان، أو قتل نفس فيُقتل بها. ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾: عقاباً، ومعنى: آثمه الله: جزاه جزاء الإثم. ٧٠- ﴿ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾: ينقلهم عما يُسخط الله من العمل إلى ما يرضاه من الأعمال. ٧٢- ﴿ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾: الزور: اسم جامع للباطل والكذب. وأصل «الزُّور»: تحسين الشيء ووصفه الشيء بخلاف صفته. ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾: اللغو: كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل. ٧٣- ﴿ ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾: ذكرهم مُذكّر بحجج الله عز وجل ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا ﴾: لم يقعوا ويسقطوا على تلك الحجج ﴿ صُمًّا ﴾: لا يسمعونها ﴿ وَعُمْيَانًا ﴾: لا يُبصرونها، ولكنهم أكبُّوا على تلك الحجج سامعين لها مبصرين، ويفقهون عن الله ما يذكّرون به ويَعُون مواعظه. ٧٤- ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾: ما تقرُّ به أعيننا من أن تُريناهم يعملون بطاعتك، وأن يكونوا من المؤمنين بك وأن يكونوا على خير ما نرجوه لهم، ونؤمله فيهم. ﴿ إِمَامًا ﴾: أئمةً يُقتدى بنا في التقوى والإيمان. ٧٥- ﴿ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾: منزلةً من منازل الجنة رفيعةً ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾: تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية والسلام. ٧٧- ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾: يقول عز وجل: أي شيء يصنعُ بكم ربكم ﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾: لولا عبادة من يعبده منكم. أخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم، إذ لم يكونوا مؤمنين ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ﴾: يقول الله عز وجل لمشركي قريش. فقد كذبتم رسول الله إليكم ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ ﴾: تكذيبكم وخلافكم ﴿ لِزَامًا ﴾: هلاكاً وعذاباً ملازماً لكم.

[٦٨] قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الآية. أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾. وأخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ونزل ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. [٧٠] قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي ﴾ الآية. قال مشركو أهل مكة: «قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلها آخر، وأتينا الفواحش، فنزلت ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ الآية».

[٧٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]. أوجز في ذكر المعاصي في سورة مريم، فأوجز في التوبة، وأطال في الفرقان فأطال، والله أعلم. [٧٠، ٧١] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]، ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧١]. ما فائدة التكرار؟ الجواب: أن التكرار لتأكيد التوبة، وقطع الصلة بين العبد وبين معاصيه السابقة بالندم عليها والعمل الصالح.

[٧١] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧١]، ﴿ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [غافر: ١ - ٣]. ما الفرق بين: "التوبة والتوب والمتاب"؟ الجواب: وردت كلمة (توبة) سبع مرات، بينما وردت كلمة (التوب) مرة واحدة، ووردت كلمة (متاب) مرتين. (التوبة) و(التوب) مصدران، غير أن التوبة أقوى وأشد معنًى من (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١- اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنًى بالتوبة وحسًّا بالمعاد). ٢- مفعول مطلق (يتوب متابًا). كما أن (متابًا) اتسقت مع الفواصل التي اكتنفتها (سلامًا- قيامًا- غرامًا- مقامًا- قوامًا- مهانًا- متابًا- كرامًا- إمامًا- سلامًا- مقامًا- لزامًا).

[٦٩] ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ ﴾ قرئ: (يضاعفُ- يخلدُ) بالرفع على الاستئناف أو على الحال من فاعل يلق أثامًا. وقرئ: (يضاعفْ- يخلدْ) بالجزم على أن الأول بدل من يلق بدل اشتمال، والثاني: معطوف عليه، ولأن لقياه جزاء الآثام تضعيف لعذابه، فلما كان إياه أبدله منه، وذلك ليتصل بعض الكلام ببعض، وتقدم في سورة "البقرة" الخلاف في قصر يضاعف مع تشديد عينه ومده وتوجيه ذلك.

[٧٤] ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾ قرئ: (وذريّاتنا) بفتح الياء بعدها ألف على الجمع لإرادة الإفراد. وقرئ: (وذريّتنا) بحذف الألف على التوحيد لإرادة الجنس. [٧٥] ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ قرئ: (ويَلْقَون) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف على أنه مضارع لقي المجرد و"تحية" مفعوله. وقرئ: (ويُلَقَّون) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف على أنه مضارع لقي مبنيًا للمجهول تعدى بالتضعيف إلى مفعولين، أولهما: الواو الواقع نائب فاعل، وثانيهما: "تحية"، للمبالغة في كثرة تحيتهم من الملائكة، ومن الله، ومن بعضهم لبعض، والله تعالى أعلم.

=مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل اللهُ تعالى للفقير حقًّا في مال الغني، وليس تفضلًا من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء

١- ﴿ طسٓمٓ ﴾: كسائر أوائل ما تقدم في فواتح السور من حروف الهجاء. ٣- ﴿ بَٰخِعٌ ﴾: مهلك. و«البخعُ» في كلام العرب: الهلاك والقتل، ومعناه: لعلك مُهلِك نفسك عليهم حرصاً على إيمانهم! ٤- ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ ﴾: فظلوا خاضعين يُذلُّون بها، لا يلوي أحد عنقه إلى معصية الله تعالى و﴿خَٰضِعِينَ ﴾: خبر عن الهاء والميم في «أعناقهم»؛ لأنه لم يقل: «خاضعة» لأن الأصل: فظلوا لها خاضعين، فاقحمت الأعناق لزيادة التقرير والتصوير. ٥، ٦- ﴿مُحْدَثٍ﴾: مما يُحدثه الله إليك، ويتنزل تباعاً، أي محدث الإتيان ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ ﴾: أخبار الأمر الذي كانوا به يسخرون. ٧- ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾: من نبات الأرض مما تأكل الناس والأنعام والزوج: النوع والصنف. ومعنى «كريم»: حسن، يقال: للنخلة الطية الحمل: كريمة، وللناقة إذا غَزُر لبنها. ٨- ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾: دلالة للمشركين على قدرته عز وجل أن ينشر الموتى أحياء من قبورهم. ٩- ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾: الذي لا يمتنع عليه أحد ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾ ذو الرحمة لمن تاب إليه وأناب. ١١- ﴿أَلَا يَتَّقُونَ ﴾: بمعنى: فقل لهم ألا تتقون. وقد جمع في هذه العبارة نفي التقوى عنهم وأقرهم بها. ١٣- ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾: من تكذيبهم ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾: للعُقلة، الحبسة التي كانت بلسانه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾: لِيُؤازرني ويعينني. ١٤- ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ ﴾: يعني: قتله النفس التي قتلها منهم خطأ. ١٥- ﴿ قَالَ كَلَّا ﴾: أي: لن يقتلك ﴿إِنَّا مَعَكُم ﴾: جعل الاثنين جمعًا. وقيل: أرادهما والمبعوث إليهم وبني إسرائيل. ﴿مُّسْتَمِعُونَ ﴾: ما يُجيبكم به. ١٨- ﴿ قَالَ ﴾: فرعون ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾: مولوداً صغيرًا. ١٩- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾: قتل النفس ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: كفرت نعمتنا، وما كان منّا لك.

[١] ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء : ٢، القصص : ٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والقصص، وهي تبين أن هذه آيات القرآن الموضِّح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال. لتفسير الحروف المقطعة انظر الرعد آية : ١. [٣] ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء : ٣]. فلعلك أيها الرسول مُهْلِك نفسك غمًّا وحزنًا على أثر تولِّي قومك وإعراضهم عنك، إن لم يصدِّقوا بهذا القرآن ويعملوا به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، أمَّا آية الشعراء: لعلك أيها الرسول من شدة حرصك على هدايتهم مُهْلِك نفسك؛ لأنهم لم يصدِّقوا بك ولم يعملوا بهديك ، فلا تفعل ذلك. [٥] ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢]، ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء : ٥]. إنَّ هذين الاسمين العظيمين وهما: الرب والرحمن تواردا في الكتاب العزيز كثيرًا، أول ذلك في الفاتحة، ثم إن اسمه سبحانه الرحمن يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس، وأما اسمه الرب فيعم وروده عند الترغيب والترهيب، أمّا الترغيب فبيِّنٌ، وأما الترهيب فحيث يرد معنى ملكيته سبحانه لهم، وانفراده بإيجادهم، وإدرار أرزاقهم، وبيان انفراده تعالى بذلك، ثم هم بعد ذلك على كفرهم، ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار التي طيُّها وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه بهم بتذكيرهم - لم يكن ليناسب ذلك ورود اسمه الرحمن، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١]، أشد تخويفًا للمخاطبين، ثم إن لفظ الناس لفظ لا يُخَص به المؤمنون، إنما يرد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر حيث يراد الوعيد والإنذار والتخويف، أمَّا آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي ﷺ وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان إنما هو بقدرته تعالى عليهم، ولو شاء لأراهم آية تبهرهم كرفع الجبل فوق بني إسرائيل، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٤]، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا ﷺ، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قُدِّر له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا وناسبه اسمه الرحمن، فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، فقد وضح ورود كل من الآيتين في موضعه، والله أعلم. [٦] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ٥]، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء : ٦]. سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله تعالى: ﴿ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾، ثم قال: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ ﴾ على التمام، وذكر في الشعراء: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ ﴾ مطلقًا، لأن تقييده في هذه السورة يدل عليه، ثم اقتصر على السين هنا بدل من ﴿ فَسَوْفَ ﴾ ليتفق اللفظان فيه على الاختصار. [٨] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء : ٩]. تكررت في ثمانية مواضع: أولها في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم في ذكر نبينا محمد ﷺ وإن لم يذكر صريحًا. [١٦] ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه : ٤٧]، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ =

[١٠] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ ﴾ [آل عمران:٦٤]، ﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ [يوسف:٧١]، ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أَقْبِلْ - تَعَالَ- ائتِ- هاؤم"؟ الجواب: (أقبل) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيًا عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) -راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذًا، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبل) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل =

[١] ﴿طسٓمٓ ﴾ قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴾قرئ: بإظهار النون من السين بناء على أنها مفعوله حكمًا، وإن اتصلت رسمًا، لأن من حق حروف الهجاء أن يوقف عليها مبينًا لفظها، ولهذا وردت غير مركبة بل مقطعة، وأفردت عن العامل، فسكنت كما تسكن أسماء عديدة عند تجردها، وتقدم أن بعض القراء يقرأ بالسكت على فواتح السور كلها تحقيقًا لهذا الغرض. وقرئ: بإدغام نون سين في ميم بناء على أنها نون ساكنة بعدها ميم للتخفيف والتقارب، وتقدم الكلام على الإمالة في "طا" من =

نزول سورة الشعراء: نزلت بعد سورة الواقعة، وهي مكيَّة، إلا آية واحدة: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء:٢٢٤]. عدد كلمات سورة الشعراء: ألف ومائتان وسبع وسبعون. عدد حروف سورة الشعراء: خمسة آلاف وخمسمائة وثنتان وأربعون. أسماء سورة الشعراء: وسميت سورة الشعراءِ لاختتامها بذكرهم في قوله: =

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠، ٢١- ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾: الجاهلين، فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك قبل أن يأتيه العلم والوحي الذي علمه الله. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾: نبوةً. أي النبوة وحكمتها. ٢٢- ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾: يقول: أتمُنُّ علي بأن ربيتني وليدًا، وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي!!. قال بعض المفسرين، وفيه تبكيت للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم، فكأنك تمن عليَّ ما كان بلاؤك سببًا له. ٢٣- ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: أيُّ شيء رب العالمين؟ ٢٤- ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: أن ما تُعاينونه كما تعاينونه، وقيل: إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان، وهو أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما. ٢٧- ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: لمغلوب على عقله. ٢٩- ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾: مع من في السجن من أهله. ٣٠- ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: يُبين لك صدق ما أقول. ٣٢- ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾: الثعبان: أعظم ما يكون من الحيّات. ٣٣- ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه ﴿ بَيْضَاءُ ﴾: تلمع ﴿ لِلنَّاظِرِينَ ﴾. ٣٥- ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾: تشيرون به. ٣٦- ﴿ أَرْجِهْ ﴾: أخِّر موسى ﴿ وَأَخَاهُ ﴾: وأنظِره، أي أخِّره وأمهله ﴿حَاشِرِينَ﴾: يحشرون إليك السحرة. ٣٨- ﴿لِمِيقَاتِ ﴾: لوقتٍ، واعَدَ فرعونُ موسى الاجتماع معه فيه من ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾: هو يوم الزينة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾ [طه:٥٦].

= [الشعراء : ١٦]. السياق في سورة طه مبني على التثنية من قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه : ٤٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣]، أمّا سورة الشعراء فالسياق فيها مبني على الإفراد والوحدة من قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]، مع العلم أن أول السورة فيها تثنية من قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[الشعراء:١٥]، إلى قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]، ثم يُغيّب هارون وتعود الوحدة، ويستمر النقاش مع موسى وحده: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء : ٢٧]، ثم يوجه فرعون الكلام إلى موسى مهددًا إياه وحده: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾، ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء:٢٩-٣٠، ٣٤]، وكلمة رسول في اللغة تطلق على الواحد المفرد وعلى الجمع، فقد يقال في اللغة نحن رسول، وإنا رسول، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]، ليس فيه مخالفة للغة، بل جاءت الكلمة المناسبة في السياق المناسب، فالسياق في سورة طه قائم على التثنية، والسياق في سورة الشعراء قائم على الجانبين. قول آخر: ﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه:٤٧]، وبعده: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الشعراء:١٦]، لأنَّ الرّسول سُمّي به، فحيث وحّده حُمل على المصدر، وحيث ثنى حمل على الاسم، ويجوز أن يقال: حيث وحّد حُمل على الرّسالة؛ لأنّهما أرسلا لشيء واحد، وحيث ثنى حمل على الشّخصين. [٢٨] ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران : ١١٨، الشعراء : ٢٨] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾. خوطب المؤمنون في آيات عديدة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، ولم يخاطبهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إلا في آية آل عمران تنبيهًا على خطورة اتخاذ المؤمنين بطانة من غيرهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾، فكأنه جعل: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ للفصل بين ما يستحقه العدو والولي، والمقصود بعثهم على استعمال العقل في تأمل هذه الآية وتدبر هذه البينات، وأمّا آية الشعراء فالخطاب فيها من موسى عليه السلام لفرعون وقومه. [٣٢] ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٧، الشعراء: ٣٣]. تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأعراف والشعراء، وهي تبين المعجزات التي أعطاها الله عز وجل لموسى. [٣٤] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا ﴾ [الأعراف : ١٠٩]، ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا ﴾[الشعراء : ٣٤]. التقدير في هذه الآية: قال الملأُ من قوم فرعون وفرعونُ بعضُهم لبعض، فحذف فرعون لاشتمال الملأ من قوم فرعون على اسمه؛ كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأنفال : ٥٤]، أي: آل فرعون وفرعون، فحذف فرعون، لأنَّ آل فرعون اشتمل على اسمه. فالقائل هو فرعون نفسه بدليل الجواب، وهو ﴿ أَرْجِهْ ﴾ [الأعراف : ١١١] بلفظ التوحيد، والملأ هم المقول لهم؛ إذ ليس في الآية مخاطبون بقوله: ﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف : ١١٠] غيرهم. فتأمّل فيه فإنّه برهان للقرآن شاف. [٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٠]، ﴿ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء : ٣٥]. آية الأعراف بنيت على الاقتصار وليس كذلك آية الشعراء؛ ولأن لفظ السّاحر يدل على السّحر. قول آخر: آية الأعراف من كلام الملأ، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدهم في رد أمر موسى صرح بأنه سحر، ويؤيده: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ ﴾ [طه:٥٧] قاصدًا بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى عليه السلام. [٣٦] ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾ [الأعراف : ١١١]، ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ ﴾[الشعراء : ٣٦]. الإرسال يفيد معنى البعث، ويتضمّن نوعًا من العُلُوّ؛ لأنه يكون من فوق؛ فخُصّت سورة الأعراف به لما الْتُبِسَ؛ ليعلم أنَّ المخاطَب به فرعون دون غيره. [٣٧] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٢]، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٣٧]. لأنَّه =

= لموسى عليه السلام: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، إذًا فرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعالَ). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ؛ لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. = "طسم". [١٣] ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ - يَنطَلِقُ ﴾ قرئ: (ويضيقُ-ينطلقُ) برفع الفعلين على الاستئناف، أو العطف على أخاف قبل. وقرئ: (ويضيقَ-ينطلقَ) بنصبهما على العطف على "يُكَذِّبُونِ" المنصوب بأن.

= ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٤]. مواضيع سورة الشعراء: مقصود السّورة وجُلّ ما اشتملت عليه: ذكر القَسم ببيان آيات القرآن، وتسلية الرّسول عن تأخُّر المنكِرين عن الإيمان، وذكر موسى وهارون، ومناظرة فرعون الملعون، وذكر السّحرة، ومكرهم في الابتداء، وإيمانهم وانقيادهم في الانتهاء، وسَفَرِ موسى بيني =

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٤٠- ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾: بمعنى: كي نتبع السحرة. ٤١- ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: جزاء ومثوبة. ٤٢- ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: منا. ٤٥- ﴿تَلْقَفُ﴾: تزدرد ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يأتون به من الفرية والسحر. ٤٦- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: خرُّوا ﴿سَٰجِدِينَ﴾: لله قد أيقنوا أنه من عند الله، ليس بسحر. ٤٩- ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أن تقطع اليمنى من يديه واليسرى من رجليه، أو اليمنى من رجليه واليسرى من يديه. ٥٠- ﴿لَا ضَيْرَ﴾: أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، أو لا يضيرنا هذا الأمر، فإن ذلك يزول وننقلب بعده إلى ربنا سبحانه وتعالى. ٥١- ﴿أَن كُنَّآ﴾: بمعنى: لأن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدقين بما جاء به موسى. ٥٢، ٥٣- ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾: سر ببني إسرائيل ليلاً. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: أي أرسل فرعون من يحشر له جنده ويجمعهم. ٥٤- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني: بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة وعُصبة باقية من عُصبٍ كثيرة. وشرذمة كل شيء: بقيته الخسيسة. و«الشرذمة»: الجمع القليل المحتقر. ٥٥- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: بخلافهم الأمر، وخروجهم من غير إذن من فرعون، وبما حملت بنو إسرائيل من ذهبهم وحُليهم، والغيظ: الغضب. ٥٦- ﴿حَٰذِرُونَ﴾: مُعِدُّون، للسلاح وأداة الحرب. وأصل «الحذر»: التيقظ. ٥٨- ﴿وَكُنُوزٍ﴾: هي الخزائن، وقيل: الدفائن. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: المنازل الحسان، وقيل: مجالس الرؤساء والأمراء. ٦٠- ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: فاتبع فرعونُ بني إسرائيل ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: حين أشرقت الشمس.

= راعى ما قبله في سورة الأعراف وهو قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وراعى في الشُّعراءِ الإمام -أي المصحف الإمام المعتمد رسمه في كتابة المصحف- فإنَّ فيه: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾، بالألف. وقرئ في سورة الأعراف ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ أيضًا طلبًا للمبالغة، وموافقة لما في الشعراءِ، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. [٤١] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا﴾ [الشعراء: ٤١]. القياس في سورة الأعراف، فلما جاءَ السّحرة فرعون وقالوا، أو فقالوا، لا بدّ من ذلك. لكنه أضمر فيه ﴿فَلَمَّا﴾ فحسُن حذف الفاء، وخصّ هذه السّورة بإضمار ﴿فَلَمَّا﴾، لأنَّ ما في هذه السّورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق. و أمّا تقديم فرعون وتأخيره في الشعراءِ فلأنَّ التّقدير فيهما: فلمّا جاءَ السّحرة فرعون قالوا لفرعون، فأظهر الأول في هذه السّورة لأنّها الأولى، وأضمر الثّاني في الشّعراءِ؛ لأنّها الثانية. [٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤]، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢]. ﴿إِذًا﴾ في سورة الأعراف مضمرة مقدّرة؛ لأن "إِذًا" جزاء، ومعناه: إن غَلبتم قربتكم ورفعتُ منزلتكم، وخصّ هذه السّورة بالإضمار اختصارًا. [٤٧] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الإعراف: ١٢١-١٢٢، الشعراء: ٤٧-٤٨]. تكررت هذه الآيات مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأعراف والشعراء، وهي تبين حال السحرة عندما علموا الحق الذي جاء به موسى عليه السلام. [٥٠] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]، ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]. قوله تعالى في الشعراء بزيادة: ﴿لَا ضَيْرَ﴾، لأنَّ سورة الأعراف اختُصِرَتْ فيها القِصَّة، وأشبعت في الشعراءِ، وذكر فيها أوّل أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها، فبدأ بقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] وختَمَ بقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦]، فلهذا وقعت زوائد لم تقع في الأعراف وطه، فتأمّل وتدبر تعرف إعجاز التنزيل. [٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]. بنو إسرائيل تركوا الزرع والثمار كليهما، لأن مصر ذات زروع، والكنوز، قيل: ما كانوا يدخرونه من الأموال، وقيل: هي كنوز في جبل المقطم، "وفيه نظر"، والله أعلم. [٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]. حيث قال: "بنى إسرائيل" فلعله أراد: لما سكنوها بعد مدة طويلة من غرق فرعون، وذلك لما تهود ملك مصر، وقيل: إن الضمير في "أورثناها" راجع إلى النعم المذكورة، أي: أورثهم إياها في الشام لا في مصر، وحيث قال: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، فهم قوم ملكوا مصر بعد فرعون وقومه، وهذا هو الجواب الظاهر، فإنه لم يُنقل قط أنهم بعد غرق فرعون رجعوا إلى مصر، بل دخلوا في التيه ثم دخلوا الأرض المقدسة. =

[٦٩-٧٤] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٣]، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤]. جوابهم في الموضعين ليس جوابًا لسؤال واحد، وإنما ورد جوابًا لسؤالين، فاختلف بحسبهما، فسؤاله في آية الأنبياء سؤال مطلع على معبوداتهم ما هي؟ بعد أن شاهد عبادتهم لها، ولزومهم إياها، وكيفية صورها، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، أي: ملازمون، فلم

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ قرئ: (نعِم) بكسر العين. وقرئ: (نعَم) بفتح العين، وهما لغتان. [٤٥] ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ﴾ قرئ: (تَلْقَفُ) بسكون اللام وتخفيف القاف في الثلاثة من لَقِفَ كعلم يعلم، يقال: لقفت الشيء أخذته بسرعة فأكلته وابتلعته، وقرئ: (تلَقَّفُ) بفتح اللام وتشديد القاف فيهن من تَلَقَّفَ، جعلوه مستقبلًا فهي تتلقف وحذفت إحدى التاءين استخفافًا. [٥٢] ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ و﴿أَنْ أَسْرِ﴾ حيث جاءت، قرئ: (اسر) بهمزة وصل تثبت ابتداء مكسورة مع كسر نون "إن" للساكنين. وقرئ: (أسر) بهمزة قطع مفتوحة تثبت درجًا وابتداء، يقال: سرى وأسرى للسير، وقيل: أسرى لأول الليل، وسرى لآخره، وأما سار فمختص بالنهار. [٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ قوله: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ قرئ: (حاذرون) بألف بعد =

[٧١] ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في =

= إسرائيل من مصر، وطلب فرعون إيَّاهم، وانفلاق البحر، وإغراق القِبْط، وذكر الجَبل، وذكر المناجاة، ودعاءُ إبراهيم الخليل، وذكر استغاثة الكفَّار من عذاب النيران، وقصّة نوح، وذكر الطُّوفان، وتعدّي عاد، وذكر هود، وذكر عقوبة ثمود، وذكر قوم لوط، وخُبْثهم، وقصّة شُعيب، وهلاك أصحاب الأيكة، لعبثهم، =

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

٦١- ﴿تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه، ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾: أي: سيلحقنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم. ٦٢- ﴿سَيَهۡدِينِ﴾: أي يدلني على طريق النجاة. ٦٣- ﴿فَٱنفَلَقَ﴾: أي فضرب موسى فانفلق البحر بإذن الله تعالى حتى بدا قاع البحر يابسًا يمكن المشي فيه ﴿كُلُّ فِرۡقٖ﴾ الفرق: القطعة من البحر ﴿كَٱلطَّوۡدِ﴾: كالجبل ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾. ٦٤- ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: قرّبنا هنالك قوم فرعون من البحر، وقدمناهم إليه. ٧١- ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾: مقيمين على عبادتها وخدمتها. ٧٧- ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾: بمعنى: فإني بريء منهم لا اعبدهم، اي لا اعبد هذه الأصنام، لأنه إن عبدهم كانوا له عدواً يوم القيامة، و«العدو» يطلق على الواحد والجماعة. ٨٢- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾: قال إبراهيم: هذا هضمًا لنفسه؛ لأن المراد بالخطيئة اسم جنس. وقيل: أن الطمع هنا بمعنى اليقين في حقه. ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب والمجازاة. ٨٣- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾: الحكم الذي دعا به إبراهيم عليه السلام هو الحكمة والنبوة، وهو في معنى التثبيت والدوام ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: اجعلني من عداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وأدخلني معهم جنتك ودار كرامتك.

= وقيل: إنه لما بسط ذكر القصة في الشعراء، وسمّى موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بني إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر، ولما اختصر القصة في الدخان ولم يسم موسى عليه السلام فيها بل قال تعالى: ﴿رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [الدخان : ١٣]، فأتى باسمه مبهمًا، ناسب ذلك الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهمًا بقوله تعالى: ﴿قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾، وهذا على رأي من يجعل الضمير "لجنات" مصر وزروعها وكنوزها، "وفيه نظر كما تقدم". [٦٦] ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الصافات : ٨٢، الشعراء : ٦٦]. ثم أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه، فهذا ما دلت عليه آية الشعراء، أما آية الصافات: ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين تَطْرِف، والآية تتحدث عن قوم نوح عليه السلام. وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والصافات. [٧٠] ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء : ٧٠]، ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الصافات : ٨٥]. "ما" لمجرّد الاستفهام، فأجابوا فقالوا: ﴿نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾ [الشعراء : ٧١]، و"ماذا" فيها مبالغة، وقد تضمّن في الصّافّات معنى التوبيخ، فلمّا وبّخهم ولم يجيبوا، زاد في التوبيخ فقال: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات : ٨٦]، فجاءَ في كل سورة ما اقتضاه ما قبله وما بعده.

= يجدوا جوابًا إلا اعترافهم بتقليد آبائهم في عبادتها، فجاوبوه بقولهم: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾، وحصل اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، فأقروا بالعجز عن جواب مقنع، فوقع جوابهم على ما تقدم. وأمّا آية الشعراء فإن سؤال إبراهيم عليه السلام إياهم بقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾، ورد مورد سؤال عن ماهية معبوداتهم وكيفيتها، وكأنه عليه السلام لم يشاهدها، وعلم أنهم يعبدون ما لايعبد، فسألهم عن ماهيتها فجاوبوه: ﴿نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، فجاوبوه معترفين بماهية معبوداتهم على ما أمرهم عليه، وطابق جوابهم سؤاله، فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصدًا تعجيزهم والقطع بهم فقال: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾، أي: إذا كانوا هكذا لا يسمعون، ولا يملكون النفع أو الضر، فما عذركم في عبادتكم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عدلوا عن الجواب، إلى تقليد الآباء وقالوا: ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾، وهذا يفيد بأن آلهتهم لا تنفع ولا تضر. [٧٦] ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ [الشعراء : ٧٦]، ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات : ١٢٦]. وصف الآباء بالأقدمين لم يرد إلا في آية الشعراء، وذلك في سياق التأنيب والتوبيخ، فكان هذا الوصف إيغالاً في قلة الاكتراث بتقليدهم؛ لأن عرف الناس عمومًا أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم آكد، فكأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يؤكد أن الباطل لا ينقلب حقًا لمجرد قدمه. [٧٨-٨١] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء : ٧٨-٨١]. كرر "هُوَ" مع "يَهۡدِينِ" و "يُطۡعِمُنِي" و "يَسۡقِينِ" و "يَشۡفِينِ"؛ لأن الهداية والإطعام والسقي والشفاء قد تضاف إلى الإنسان، فيقال: فلان يطعم فلانًا و يسقيه، فأراد أن الله تعالى هو الفعال حقيقة لذلك كله، فأكد الحصر بقوله "هُوَ"، أما الخلق والموت والحياة فلا يدعيهما مدع فأطلق. [٧٧-٨١] ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء : ٧٧-٨١]. تأمل كيف أسند إبراهيم عليه السلام الخلق والهداية والإطعام والسقاية والشفاء والإماتة والإحياء لرب العالمين جل جلاله، وتأدب وهو يخبر عن المرض فأسنده عليه السلام لنفسه فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾، مع يقين إبراهيم عليه السلام أنه لن يكون إلا بقدر الله، لكنه هدي الخليل عليه السلام في التأدب مع ربه عز وجل. [٨٢] ﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. ما الفرق بين: "المخطئ والخاطئ"؟ الجواب: أخطأ، مخطئٌ، إخطاء، وخَطَأ. خطئ، خاطئٌ، خِطأ. أخطأ: تعني جَانَبَ الصواب: سواء أكان الخطأ مقصودًا أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما خَطِئ: فتعني دائمًا مجانبة الصواب عمدًا، لذا فإنها تأتي دائمًا بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خَطِئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقًا، وسيرة.

= الحاء على أنه اسم فاعل بمعنى خائفون من حذر الشيء إذا خافه. وقرئ: (حَذِرون) بحذف الألف على أنه صفة مشبهة من حذر واحترز إذا تيقظ، وهو من باب فرح، أي: إنا لجميع من عادتنا التيقظ والحزم، ويحتمل أن تكون صيغة مبالغة على وزن فَعِل، أي: شديد الحذر والخوف، فيرجع إلى معنى القراءة الأولى.
[٥٧، ١٤٧] ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾، ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ قوله تعالى: ﴿وَعُيُونٖ﴾ قرئ: (وعِيون) بكسر العين في الموضعين. وقرئ: (وعُيون) بضم العين، وهما لغتان.

= القرآن الكريم. [٧٣] ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن الكريم. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته) وورد كُلّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله تعالى. [٨١] ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. فتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= وتنزيل جبريل على النبي بالقرآن العربي، وتفصيل حال الأمم السّالفة الكثيرة، وأمر الرّسول ﷺ بإنذار العشيرة، وتواضعه للمؤمنين، وأخلاقه اللّينة، وبيان غَوَاية شعراءِ الجاهلية، وأنَّ العذاب منقلَب الذين يظلمون في قوله: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٧].

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

٨٤- ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ذكراً حسناً، وثناءً جميلاً ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: في القرون التي تأتي بعده. ٨٦- ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: اي من المشركين الضالين عن طريق الهداية. وكان أبوه قد وعده أنه يؤمن به، فاستغفر له، فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه. راجع الآية ١١٤ من سورة التوبة ص٣٠٥. ٨٩- ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الموت. وقيل: سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم أحد منها. ٩٠- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أدنيت وقُرِّبت. ٩١- ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الذين غووا فضلُّوا. ٩٢، ٩٣- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: يعني: للغاوين. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الأنداد. ٩٤- ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ :رُمي بعضهم على بعض في الجحيم مُنكبِّين على وجوههم. وقيل: تأويل الكلام: فكُبت هؤلاء الأنداد فيها ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الشياطين والكفار. ٩٥- ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: تُبّاعه، من ذرِّيته او ذرية آدم. ٩٨- ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾: نَعدِلُكم - يخاطبون الأنداد-، ونعبدكم من دون الله. ٩٩- ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يعنون: إبليس، وولد آدم الذي سنَّ القتل. ١٠٠-١٠٢- ﴿مِن شَٰفِعِينَ﴾: يشفعون لنا. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾: قريب النسب شفيق. ﴿كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا. ١٠٧- ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على وحي الله إليّ. ١٠٩- ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من ثواب ولا جزاء. ١١١- ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: دون ذوي الشرف، وأهل البيوتات! والرذالة: الخسة والذلة، استرذلوهم لقلة أموالهم وجاههم. وقيل: لأنهم كانوا من ذوي الصناعات الخسيسة.

[١٠٦-١٠٩] ﴿تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٠٦-١٠٩]. قوله: ﴿... أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿... رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مذكور في خمسة مواضع: في قصّة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشُعيب عليهم السّلام، ثمّ كرّر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في قصّة نوح، وهود، وصالح تأكيدًا فصارت ثمانية مواضع، وليس في ذكر النبي ﷺ، قوله: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ لذكرها في مواضع أخرى في سور أخرى، وكذلك ليس في قصّة موسى؛ لأنّه ربّاه فرعون حيث قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء : ١٨]، ولا في قصة إبراهيم، لأن أباه في المخاطبين حيث يقول: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ [الشعراء : ٧٠]، وهو ربّاه، فاستحيا موسى وإبراهيم أن يقولا: ما أسألكم عليه من أجر، وإن كانا متزّهَين عن طلب الأجر.

[٨٥] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النُّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «ماديةً» أو «معنويةً». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨]. لمَ جاءت كلمة «النعيم» في هذه الآية دون «النُّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة: أولًا- النعمة: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ٢٣١]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثانيًا- النعيم: قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١١١] ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ قرئ: (وأتباعُك) بهمزة قطع بعد الواو بعدها تاه ساكنة، وألف بعد الباء، ورفع العين على أنها جمع تابع مبتدأ وما بعده خبر، والجملة: حال مما قبله. وقرئ: (واتَّبعَك) بهمزة وصل بعد الواو ثم تاء مشددة مفتوحة وإسقاط الألف التي بعد الباء وفتح العين على أنه فعل ماض و" الأرذلون" فاعله، والجملة: حال من الكاف كما في القراءة الأولى وهي بإضمار قد، أي: وقد اتبعك الأرذلون، أو بدون إضمار على الخلاف في مجيء الماضي حالًا، هل يتعين اقترانه بقد أو لا؟

[٨٤] ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن الكريم (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة في كتاب الله. [٩٥] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (إبليس) بمشتقاته في كتاب الله (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها في كتاب الله (١١) مرة. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر لفظ (إبليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (١١) مرة في كتاب الله.

[١٢٨-١٣٥] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ... إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٢٨_١٣٥]. إعجاز تاريخي: أشارت الآيات إلى أن قوم عادٍ كانوا مشهورين ببناء الصروح العظيمة والقصور الفارهة، ولما عصوا رسولهم أنزل الله ـ تعالى ـ عليهم العذاب، وذلك بأن أرسل عليهم ريحًا عاصفةً محمولةً بغبار وأتربة، غمرتهم وقضت عليهم ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. وأهم النقاط التي تطرَّق القرآنُ لذكرها في قصة هود: ١- أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، والأحقاف هي الأرض الرملية، ولقد حددها المؤرخون بين اليمن وعمان. ٢- كان لقوم عاد بساتين وأنعام وينابيع. ٣- أن قوم عادٍ بنوا مدينة عظيمة تُسمى (إرم) ذات قصور شاهقة لها أعمدة ضخمة لا نظير لها في تلك البلاد. ٤- أنهم كانوا يبنون القصور المترفة والصروح الشاهقة ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾. ٥- أُرسلت عليهم ريحٌ صرصرٌ عاتيةٌ لما كذبوا رسولهم هودًا عليه السلام. حقائقُ ومعجزاتٌ: ١- في بداية عام ١٩٩٠م امتلأت الجرائد العالمية الكبرى بتقارير صحفية تعلن عن اكتشاف مدينة عربية خرافية مفقودة» «اكتشاف مدينة عربية أسطورية» «أسطورة الرمال «عبار» » والأمر الذي جعل هذا الاكتشاف مثيرًا للاهتمام هو الإشارة إلى تلك المدينة في القرآن الكريم، ومنذ ذلك الحين، فإن العديد من الناس الذين كانوا يعتقدون أن عادًا التي روى عنها القرآنُ الكريمُ أسطورة، وأنه لا يمكن اكتشافها، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم أمام ذلك الاكتشاف، وقد اكتشف عالم الآثار «نيكولاس كلاب» تلك المدينة الأسطورية (كما اعتقدوا) التي ذُكرت في القرآن الكريم، وقد ألَّف الباحث الإنجليزي «بيرترام توماس» كتابًا عام ١٩٣٢م عنوانه (أربيا فيليكس) وهذا الاسم هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من عمان، وأطلق اليونان على تلك المنطقة اسم «العرب السعيد». وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطى اسم «اليمن السعيدة». وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر الناس =

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

١١٢- ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إنما لي ظاهر أمرهم، وعلى الله حسابهم، أي: إني لم أكلف العلم بأعمالهم، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، فهو المعتبر وليس عندي اعتبار للحرف والصنائع، أو الغني والفقير. ١١٤- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من آمن بالله، واتبعني على التصديق بما جئت به. ١١٦- ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: لنشتمنّك، أو لنرجمنّك بالحجارة. ١١٨- ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: احكم بيني وبينهم حكماً تهلك به المُبطِل، وتنتقم ممن كفر بك. ١١٩- ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: في السفينة الموقرة المملوءة. ١٢٨- ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾: الرِّيع: كل مكان مُشرف من الأرض مرتفع؛ طريق أو وادٍ. ويقال بفتح الراء أيضاً. ﴿آيَةً﴾: علماً وتبياناً ﴿تَعْبَثُونَ﴾: تلعبون. والمعنى: أنكم تبنون بكل مكان مرتفع أبنية وأبراجًا تشرفون منها على الطريق فتؤذون المارّة، وتسخرون منهم. ١٢٩- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: قصوراً مشيدة. والعرب تسمي كل بناء: «مَصْنَعة» ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: بمعنى: كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾: تبقون في الأرض فلا تموتون. ١٣٠- ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾: سطوتم، البطش: السطوة والأخذ بالعنف. ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: قتلاً بالسيوف، وضرباً بالسياط. ١٣٢- ﴿أَمَدَّكُم﴾: أعانكم. ١٣٦- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: أي إن وعظك وعدم وعظك لدينا سواء لا نبالي به، ولا نلتفت إلى ما تقوله!

[٩٤] ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء : ٩٤]. لم يقل (فكُبّوا)، وإنما كرر الكلمة دليلاً على التكرير في المعني، كأن الواحد منهم إذا أُلقي في جهنم ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها.

[١٠٠-١٠١] ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء : ١٠٠-١٠١]. وإنما جمع الشافع لكثرة الشافعين، ووحد الصديق لقلته. وقال الحسن: ما اجتمع ملأ على ذكر الله، فيهم عبدٌ من أهل الجنة إلا شفعه الله فيهم، وإن أهل الإيمان ليشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفَّعون.

[١٣٢] ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]. ما الفرق بين: "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشَّرّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. أمثلة: أولًا- (مدّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨، وطه: ١٣١]، ثانيًا- (أمدّ): ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ١٣٢]، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦]، ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢]، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

= في عصورهم حظًا، وأسهب الباحث الإنجليزي «توماس» في وصف تلك القبائل، وكان قد اكتشف آثارًا لمدينة قديمة أسستها واحدةٌ من تلك القبائل، أطلق عليها العرب اسم «عُبار»، وبعد أن راجع «كلاب» ما كتبه الباحث الإنجليزي، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة، واستخدم طريقتين لإثبات وجود «عُبار». أ- عندما وجد الآثار التي ذكرها البدو بالفعل، قدم طلبًا للالتحاق بوكالة «ناسا» الفضائية ليتمكن من الحصول على صور لتلك المنطقة بالقمر الصناعي، وبعد عناءٍ طويلٍ نجح في إقناع السلطات بأن يلتقط صورًا للمنطقة. ب- قام «كلاب» بدراسة المخطوطات والخرائط القديمة بمكتبة «هانتيجتون» بولاية كاليفورنيا. بهدف الحصول على خريطة المنطقة، وبعد فترة من البحث وجد خريطة رسمها «بطلمي» عام ٢٠٠ ميلادية، وهو عالم جغرافي يوناني مصري، وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتُشفت بالمنطقة، والطرق التي تؤدي إلى تلك المدينة. وفي الوقت نفسه تلقَّى أخبارًا بالتقاط وكالة ناسا الفضائية للصور التي جعلت بعض آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة. وبمقارنة تلك الصور بالخريطة القديمة التي حصل عليها، توصَّل «كلاب» أخيرًا إلى النتيجة التي كان يبحث عنها، ألا وهي أن الآثار الموجودة في الخريطة القديمة تتطابق مع تلك الصور التي التقطها القمر الصناعي، وأخيرًا تمَّ اكتشاف مكان المدينة الأسطورية التي ظلت طويلًا موضوعًا للقصص التي تناقلتها ألسنُ البدو، وبعد فترة وجيزة بدأت عمليات الحفر، وبدأت الرمال تكشف عن آثار المدينة القديمة، ولذلك وُصفت بأنها «أسطورة الرمال (عبار)». ٢- قال الدكتور «زارينز»، وهو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر: إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعدُّ من العلامات المميزة لمدينة «عبار» وحيث إن مدينة «إرم» وُصفت في القرآن الكريم ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي الأعمدة الضخمة فإن ذلك يُعدُّ دليلًا على أن المدينة التي اكتُشفت هي مدينة «إرم» التي ذكرت في القرآن الكريم، والتي أُنشئت لتكون فريدةً حيث يظهر العديد من الأعمدة التي غُطيت بالذهب أو صُنعت من الفضة رائعة المنظر. ٣- إن الذي يسافر إلى جزيرة العرب يلاحظ انتشار الصحاري بكثرةٍ في معظم المناطق باستثناء المدن والمناطق التي زُرعت لاحقًا، ولكن القرآن الكريم يذكر أن هذه الصحاري كانت يومًا ما جنات وعيونًا، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾. ولقد كشفت السجلات التاريخية أن هذه المنطقة تعرضت إلى تغيرات مناخية حولتها إلى صحاري، والتي كانت قبل ذلك أراضي خصبة منتجة، فقد كانت مساحات واسعة من المنطقة مغطاةً بالخضرة، كما أخبر القرآن، ولقد كشفت صور الأقمار الصناعية التي التقطها أحد الأقمار الصناعية التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» عام ١٩٩٠م عن نظامٍ واسعٍ من القنوات والسدود القديمة التي استُعملت في الري في منطقة قوم عادٍ، والتي وُصفت بأنها كانت قادرةً على توفير المياه لـ ٢٠٠.٠٠٠ شخص. ٤- كما تمَّ تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عادٍ، وقال أحد الباحثين: لقد كانت المناطق التي حول مدينة مأرب خصبةً جدًّا، ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة. ٥- كما وصف الكاتب اليوناني «بليني» pliny هذه المنطقة أنها كانت ذات أراضٍ خصبة جدًّا، وكانت جبالها تكسوها الغابات الخضراء، وكانت الأنهار تجري من تحتها. ٦- ولقد وُجدت نقوشٌ في بعض المعابد القديمة قريبًا من حضرموت تُصوِّر بعض الحيوانات مثل الأسود التي لا تعيش في المناطق الصحراوية، وهذا يَدُلُّ دلالةً قاطعةً على أن المنطقة كانت جناتٍ. ٧- أما سبب اندثار حضارة عادٍ، فقد فسرته مجلة M'Interesse الفرنسية التي ذكرت أن مدينة «إرم» أو «عُبار» قد تعرضت إلى عاصفة رملية عنيفة أدت إلى غمر المدينة بطبقة من الرمال، وصل سمكُها إلى حوالي ١٢ مترًا، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ...﴾ [فصلت: ١٦].

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٧- ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: عادتهم وسيرتهم. وقيل: دين الأولين وأخلاقهم. ١٣٨- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: وما الله بمعذبنا على هذا. ١٤٦، ١٤٧- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ﴾: في هذه الدنيا. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾: ماء. ١٤٨- ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: حملها قد أينع ونضج، فهو هضيم. وقيل: «المضيم»: الرطب اللين. ١٤٩- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾: تتخذون منها ﴿بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾: حاذقين بنحتها. وقيل: متجبرين. واللفظة مأخوذة من الفراهة، وهي جودة منظر الشيء وقوة كماله في نوعه. ١٥٣، ١٥٤- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: قيل: من المسحورين. وقيل معناه: من المخلوقين الذين يُعلَّلون بالطعام والشراب ﴿مِّثْلُنَا﴾: لستَ برب ولا ملك فنطيعك، لأن كل من كان من إنسان أو دابة فهو مسحور، من «السَّحر» بفتح السين، وهي الرئة، أي أنت ابن آدم مثلنا، لا يصح أن تكون رسولاً عن الله تعالى.. ١٥٥- ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾: شرب يوم ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ﴾: آخر ﴿مَّعْلُومٍ﴾: ليس لها أن تشرب في يومكم من شربكم، ولا لكم أن تشربوا في يومها من شربها؛ ويعني بـ«الشرب»: الحظ والنصيب من الماء. ١٥٦- ﴿بِسُوٓءٍ﴾: بعقر، أو ما يؤذيها من قتل أو نحوه ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾: فيحل بكم. ١٥٧- ﴿فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾: على عقرها، لما عرفوا أن العذاب نازل بهم. ونسب عقر الناقة إلى جيعهم مع أن الذي فعله واحد منهم، من حيث اتفقوا على ذلك رأيًا وتدبيرًا.

[١٤٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٤٠] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١- عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢- وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣- وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [١٤٠] معنى اسم الله الرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

[١٤٩] ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وكانوا ينحتون الجبال، فيتخذون منها بيوتًا، وهم آمنون من أن تسقط عليهم أو تخرب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمّا آية الشعراء: وتنحتون من الجبال بيوتًا ماهرين بنحتها، أشِرين بَطِرين.

[١٥٣] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣، ١٨٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة في قصة صالح وشعيب عليهما السلام، وهي تبين ما ادّعاه قومهما من أن صالحًا وشعيبًا من الذين أصابهم السحر إصابة شديدة، فذهب بعقولهما. [١٥٤] ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]. قوله في قصّة صالح: ﴿مَآ أَنتَ﴾ بغير واو، وفي قصّة شعيب: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾، لأنه في قصّة صالح بَدَل من الأول، وفي الثانية عطف، وخُصّت الأولى بالبدل؛ لأنَّ صالحًا قلّل في الخطاب، فقللوا في الجواب، وأكثر شعيب في الخطاب، فأكثروا في الجواب. [١٥٦] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦]. في سورة الأعراف بالغ في الوعظ، فبالغ في الوعيد، فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي هود لمّا اتّصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وصفه بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وزاد في الشعراءِ ذكر اليوم لأنَّ قبله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، والتقدير: لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم، فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟ الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾

[١٣٧] ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قرئ: (خَلْق) بفتح الخاء وسكون اللام على أنه بمعنى الكذب والاختلاق واسم الإشارة راجع إلى ما أخبرهم به من البعث وغيره، أي: ما هذا الذي أخبرتنا به إلا كذب الأولين واختلاقهم من غير أن يكون له حقيقة، كما قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقرئ: (خُلُق) بضم الخاء واللام بمعنى العادة والطبيعة، أي: ما هذا الذي نحيا عليه من الحياة في الدنيا؟ ثم المصير إلى الممات إلا عادة الأولين يعيشون ما يعيشون ثم يموتون، ولا بعث ولا نشور. [١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قرئ: (فارهين) بإثبات ألف بعد الفاء على أنه

[١٤٨] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

١٦٥- ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هم بنوا آدم، أو كل حيوان. ١٦٦- ﴿قَوْمٌ عَادُونَ﴾: تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وتعتدون. ١٦٧- ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾: عن نهينا عما نأتيه ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: من بين أظهرنا وبلدنا. ١٦٨- ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المبغضين المنكرين. ١٧١- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأة لوط عليه السلام. ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين، لأنها لم تهلك مع قومها في القرية، وإنما أصابها الحجر بعدما خرجت عن القرية مع قوم لوط عليه السلام. ١٧٢- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾: من قوم لوط بإمطار الحجارة. قال ابن عطية: وبذلك جرت السِّيَر في رجم من يعمل عمل قوم لوط. ١٧٣- ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: فبئس ذلك المطر مطر المنذرين، الذين أنذرهم نبيهم فكذَّبوه. ١٧٦- ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾: أصحاب الغيضة والشجر الملتف، وهي واحدةُ «الأيك»، وكل شجر ملتف فهو أيكة. وهم أهل مدين فيما ذكر. ١٨١- ﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: ممن ينقص الناس حقوقهم. ١٨٢- ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾: بالميزان ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: الذي لا بخس فيه. ١٨٣- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾: لا تنقصوا. ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾: حقوقهم. ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾: لا تُكثروا في الأرض الفساد. يقال: «عثا» إذا أفسد.

[١٧٠] ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [يونس : ٧٣، الأنبياء : ٧٦، الشعراء : ١٧٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾. أنجينا ونجينا للتعدي، لكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة.

[١٧١-١٧٢] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧١-١٧٢، الصافات : ١٣٥-١٣٦]. تكررت هذه الآيات في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصافات، وهي تبين حال المهلكين من قوم لوط، والعجوز الهَرِمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها، ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه. [١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧٣، النمل : ٥٨]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والنمل، ومعناها: وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم، فقَبُحَ مطرُ من أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أُنزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير. [١٧٦-١٧٧] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٧٦-١٧٧]. لماذا لم يثبت أُخوَّة شعيب في سورة الشعراء؟ الجواب: أحسن ما قيل في هذا أنه لما نسب القوم إلى موطنهم وقبيلتهم "مدين" عد شعيبًا عليه السلام أخًا لهم فهو يشترك معهم في الجد الذي إليه ينتسبون، أما عندما تحدث القرآن عن المعتقد الذي كان عليه قوم شعيب عليه السلام وهو عبادة الأيكة، والأيكة هي عبادة الأشجار، أعرض القرآن عن ذكر وصف شعيب بأنه أخ لهم، لأنه عليه السلام وإن كان أخًا لهم نسبًا فهو من القبيلة نفسها، إلا أنه بريء كل البراءة مما يعبدون، فلما نسب القوم إلى معتقدهم وآلهتهم الباطلة قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، فلم يثبت له الأخوة هنا؛ لأنه لا إخاء عقدي يجمعه مع عبدة الشجر، والله أعلم.

= [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيثُ) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]. [١٩٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٢]. تأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة خرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين. [٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]. إشارة إلى أن يبدأ الإنسان في كل دعوة خير بأهل بيته وأقاربه، لعل الله أن يهديهم فيشتد بهم أزره ويقوي أمره. [٢٢١-٢٢٢] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]. ما الفرق بين: "تتنزَّل وتنزّل"؟ الجواب: ورد الفعل (تتنزل) ثلاث مرات، كما ورد الفعل (تنزّل) ثلاث مرات أيضًا. ورد الفعل (تتنزل) لسببين: ١- توالي التاءين في الفعل (تتنزل) يدل على الهدوء والترتيب، مما يناسب ذكره مع التنزل على المؤمنين بهدوء ورحمة. ٢- سبق في مطلع سورة فصلت قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، فالمصدر (تنزيل) فعله المضارع (يتنزل) أو (تتنزل) فناسب هذا الفعل ذلك المصدر (الذي هو مصدر الفعل نفسه). أما الفعل (تنزَّل) فقد ورد لأسباب: ١- في سورة الشعراء: أ- الآيات قصيرة، ويناسب الآيات القصيرة الألفاظ المختصرة؛ لذا كان ذكر كلمة (تنزَّل) أنسب هنا من (تتنزل). ب- كثرة مادة (نزل) في السورة؛ إذ وردت خمس مرات في الآيات: الرابعة (تنزّل)، والثانية والتسعين بعد المائة (تنزيل)، والثامنة والتسعين بعد المائة (نزلناه)، والعاشرة بعد المائتين (تنزلت)، ولكثرة ورود هذه المادة في سورة الشعراء، ناسب ذلك ذكر الفعل المختصر (تنزل). جـ- حذف التاء من أول الفعل (تتنزل) والعدول عنه إلى الفعل (تنزل) يدلُّ على السرعة والخفة والخفاء، وهذه الحالة =

= اسم فاعل من فره ككرم بمعنى حذق. وقرئ: (فرهين) بدون ألف على أنه صفة مشبهة من فره بمعنى: بطر وأشر. [١٧٦] ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. قوله تعالى: ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾ هنا وص: ١٣، قرئ (لَيكةَ) في الموضعين بلام وتاء مفتوحة، ومن قرأها بهذه الطريقة جعلها اسمًا للبلد. وقرئ: (الأيكةِ) بإسكان اللام، وهمزة وصل قبلها، وهمزة قطع مفتوحة بعدها وجر التاء. والأيكة: البقعة ذات الشجر الملتف. [١٨٢] ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ قرئ: (بالقُسطاس - بالقِسطاس) بضم القاف وكسرها وهما لغتان، والضم لغة الحجازين، والكسر لغة غيرهم.

[١٦٠] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة النذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٨٤- ﴿ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: الخلق الأولين. ١٨٥- ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾: معلَّل تُعلَّل بالطعام والشراب كما تُعلَّل نحن بهما، ولست ملكاً. ١٨٧- ﴿كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: قطعاً من السماء، وناحية من السماء. ١٨٩- ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾: أصابهم حر أقلقهم في بيوتهم، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظُلَّة فابتدروها، فلما تتامُّوا تحتها التهبت عليهم ناراً فأحرقتهم. ١٩٢- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: يقول: وإن هذا القرآن لتنزيل رب العالمين. ١٩٣- ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾: جبريل عليه السلام. ١٩٤- ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾: تلاه عليك حتى وعاه قلبك ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾: من رسل الله. ١٩٦- ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾: يعني: القرآن ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: يعني: إن ذكره في بعض ما نزل من كتب الله تعالى على بعض رسله. ١٩٧- ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ﴾: حُجَّة ودلالة على أنك رسول من رب العالمين ﴿ أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾: أن يعلم حقيقته وصحته عبد الله بن سلام ومن أشبهه، ممن كان آمن برسول الله ﷺ في عصره، وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين؛ لأنهم كانوا يرجعون إليهم ويعتدون بقولهم. ١٩٨- ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾: على رجل من الأعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية. ١٩٩- ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم ﴾: يعني: على كفار قريش ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾: ولقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه. ٢٠٠- ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾: أدخلناه، أي سلكنا القرآن حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه معجز. وقيل: في تفسير بعيد: سلكنا التكذيب والكفر ٢٠٢- ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾: فجأة. ٢٠٣- ﴿ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾: مؤخَّرون ومُمهلون حتى نتوب. ٢٠٤- ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾: لقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [سورة الإسراء: ٩٠-٩٢]. ٢٠٥- ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ ﴾: أخرنا في آجالهم، ومتعناهم بالحياة ﴿سِنِينَ ﴾. ٢٠٦- ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾: من العذاب والهلاك على كفرهم بآيات الله.

[٢٠٥-٢٠٨] قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ... ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال: رُئي النبي ﷺ كأنه متحير فسألوه عن ذلك، فقال «ولم ؟ وأريت عدوي يكون من أمتي بعدي»، فنزلت ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ... ﴾ فطابت نفسه.

[١٩٠-١٩١] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٩٠-١٩١]. تكررت الآيتان هنا وبعد كل قصة في السورة تنبيهًا على أن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم، وكل قصة جديرة بأن تختم بما اختتمت به صاحبتها؛ ولأن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات للحق، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يفتق ذهنًا. [٢٠٠] ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ١٢]، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]. سورة الحجر تناولت من أولها أخبار المكذبين من كفار قريش وما يحملونه من عداوة للرسول ﷺ ورسالته، فجاء التعبير في الآيه بلفظ المضارع المشعر باستمرار عداوتهم، أمَّا آيه الشعراء فتقدمها ذكر أحوال الأنبياء مع أقوامهم، كنوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، بعد ذلك جاء الحديث عن القرآن الكريم، وأنه تنزيل من رب العالمين، ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فالكتب السابقة تصدقه، وهو كائن فيها باسمه ووصفه، ثم جاءت الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾، فلأجل ذلك ناسب ذكر الماضي في الآية. [٢٠١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٣]، ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [الشعراء: ٢٠١]. إن كفار قريش لا يُصَدِّقون بالذكر الذي أُنزل إليك، وقد مضت سنَّة الأولين بإهلاك الكفار، وهؤلاء مِثْلهم، سَيُهْلك المستمرون منهم على الكفر والتكذيب، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية الشعراء فتبين أنه لا سبيل لكفار قريش إلى أن يتغيروا عمَّا هم عليه من إنكار القرآن، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذي وُعِدوا به. [٢٠٤] ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٤، الصافات: ١٧٦]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصافات، ومعناها: أَغَرَّ هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟.

= تناسب حال نزول الشياطين على الأفاكين في خفة وسرعة وخفاء؛ لذا ناسب ذلك ورود الفعل (تنزل). ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. ٢- في سورة القدر: أ- ورد في أول السورة الفعل (أنزلناه)، والسورة قصيرة، وليس ثمة فاصل بين هذا الفعل وفعل التنزيل التالي: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [القدر: ٤]، لذا ناسب الإتيان بهذه الصيغة المختصرة التي تناسب الآيات القصيرة من ناحية، وفيها تنويعٌ وعدم تكرار من ناحية أخرى. ب- الفعل (تنزل) كما سبق يدلُّ على الخفاء والسرعة، ويناسب ذلك تنزل الملائكة ليلة القدر.

[٢٢٤] ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[الشعراء: ٢٢٤]. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ يدل على أن أتباع الشعراء من أتباع الشيطان؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله =

[١٨٧] ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿كِسَفًا ﴾ قرئ: (كِسَفًا) بفتح السين على أنه جمع كسفة، كقطعة وقطع. وقرئ: (كِسْفًا) بإسكان السين على أنه اسم جمع كسفة كسدْرة وسدر، أو هو مفرد كالقطعة، وكأنهم طلبوا أن يسقط السماء عليهم طبقًا واحدًا يظلّلهم، ونصب (كسفًا) على الحال من السماء، فالمعنى: أو تسقط السماء علينا قطعة أو قطعًا. [١٩٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ قرئ: (نزَل الروحُ الأمينُ) بتخفيف الزاي ورفع الروح والأمين، على أنه فعل ثلاثي مجرد، والروح فاعله، والأمين صفته. وقرئ: (نزَّل الروحَ الأمينَ) بتشديد الزاي، ونصب الروح والأمين على أن الفعل مزيد بالتضعيف، فاعله ضمير يعود على الله و" الروح" بالنصب مفعوله، و"الأمين" صفته. [١٩٧] ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ﴾ قرئ: (أولم يكن لهم آيةً) بالياء ونصب "آية" على أن "يكن" فعل مضارع متصرف من كان الناقصة، و"آية" خبرها مقدم، والمصدر المنسبك من أن وما بعدها اسمها مؤخر، والجار والمجرور حال من "آية" والأصل" أو لم يكن علم علماء بني إسرائيل آية لهم". وقرئ: (أولم تكن لهم آيةٌ) بتأنيث "يكن" ورفع "آية" على أنها تامة، و"آية" فاعلها، والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله، والمصدر بعده بدل من "آية" أو عطف بيان، أو خبر لمبتدأ محذوف وقع بيانًا للآية، ولأنها كذلك =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

٢٠٧- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾: «ما» استفهامية، والمعنى: هل زادهم تمتيعنا إياهم إلا خبالاً؟ وهل ينفعهم شيئاً؟ ويمكن أن تكون «ما» نافية، والمعنى: لم يغن عنهم تمتيعهم شيئًا. ٢٠٨- ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: إلا بعد إرسالنا إليهم الرسل، ينذرونهم. ٢٠٩- ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: تذكرة وتنبيهاً ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: لهم، إذ عذبناهم بعد أن عتوا وتمادوا بعد الإعذار إليهم. ٢١٠- ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ﴾: يعني: القرآن. ٢١١- ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ﴾: وما يصلح ذلك لهم ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾: أن يتنزلوا به. ٢١٢- ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾: عن استماعه في المكان الذي هو به من السماء ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾: لا يصلون إلى استماعه. ٢١٤- ﴿عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾: أكثر الناس إليك قرابةً من قومك. وقيل: إنه بدأ ﷺ لما نزلت هذه الآية ببني جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم، وقال: «يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب: اتقوا النار ولو بشق تمرة». وروي أنه قال ﷺ لهما: «إني لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم» رواه مسلم. ٢١٥- ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾: ألِنْ جانبك. ٢١٦- ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾: يعني: عشيرته الأقربين. ٢١٨- ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: إلى صلاتك، وأينما كنت. ٢١٩- ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: ويراك إن صليت في الجماعة، راكعاً وقائماً، وساجداً وجالساً. ٢٢١، ٢٢٢- ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾: أخبركم ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: من الناس. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: قلب ﴿أَفَّاكٍ﴾: كذاب من الناس ﴿أَثِيمٖ﴾: آثم. ٢٢٣- ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾: يلقي الشيطان السمع، وهو ما يستمعون مما استرقوا سمعه من خبر حدث في السماء، إلى كل أفاك أثيم من أوليائهم من بني آدم ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾: فيما يخبرون، يزيد إلى الكلمة مما يُلقى إليه، أكثر من مائة كذبة. ٢٢٤- ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾: قيل: أهل الغي، لا أهل الرُّشد والهُدى. ٢٢٥- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ﴾: يعني: الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾: يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد، وإنما هو مثل ضربه الله في افتنانهم فيما يفتنون فيه، فيمدحون بالباطل قوماً، ويهجون آخرين بالكذب والزُّور، عنى بذلك: شعراء المشركين، وبذلك أتت الروايات. ٢٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يعني: من الشعراء، وهم شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾: في شعرهم وكلامهم ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾: ممن هجاهم من شعراء المشركين ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أنفسهم بشركهم من أهل مكة ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم.

[٢١٤] قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الآية. [٢٢٤] قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ الايات. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه. وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ ﴾ الآية. جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا، فأنزل الله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ، فتلاها عليهم.

[٢٠٨] ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الحجر : ٤]، ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٨]. وما أهلكنا مِن قرية إلا ولإهلاكها أجل مقدَّر، لا نُهلكهم حتى يبلغوه، مثل مَن سبقهم، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية الشعراء: وما أهلكنا مِن قرية من القرى في الأمم جميعًا، إلا بعد أن نرسل إليهم رسلًا ينذرونهم. [٢١٥] ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨]، ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥]. لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق بمن آمن، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨]، ولم يحتج في سورة الحجر إلى زيادة، ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك تعالى تلطفًا وإنعامًا على من آمن من عشيرته عليه الصلاة والسلام وغيره، بقوله: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، فقيل هنا: ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾، ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقًا من العشيرة وغيرهم...

= صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يَرِيه خير من أن يمتلئ شعرًا" متفق عليه. [٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾[الشعراء : ٢٢٦]. هذا الذي ذكره هنا عن الشعراء من أنهم يقولون ما لا يفعلون، بين في آية أخرى أنه من أسباب المقت عنده جل وعلا، وذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]. [٢٢٧] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[الشعراء : ٢٢٧]. ذكر ابن إسحاق: أنه لما نزلت: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء. فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾، قال: "أنتم". والآية فيها تهديد شديد، ووعيد أكيد لما في ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ﴾ من تهويل. وفي ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ من إطلاقٍ وتعميم، وفي ﴿ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ من إيهام وتهويل. كأنه لا يمكن معرفته، وقد رأوا ما لحق بهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

= في مصحف أهل الكوفة والبصرة ومكة. [٢١٧] ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ ﴾ قرئ: (وتوكل) بالواو على أنه عطف على قوله: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ وقرئ: (فتوكل) بالفاء على أنه واقع في جواب شرط مقدر يعلم من السياق، أي: فإذا أنذرت عشيرتك فعصوك فتوكل، أو معطوف على فعل قبله مرتب عليه بدون حذف، ولأنها كذلك في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، والله أعلم. [٢٢٤] ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمۡ ﴾ في سورة الأعراف : ١٩٣، و﴿ يَتَّبِعُهُمُ ﴾ هنا، قرئ: (يتْبَعهم) بسكون التاء وفتح الباء الموحدة فيهما. وقرئ: (يتَّبِعهم) بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة فيهما، وهما لغتان، وقال أهل اللغة: تبعه مخففًا إذا مضى خلفه ولم يدركه، واتبعه مشددًا إذا مضى خلفه فأدركه.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سورة النمل

١- ﴿طسٓ﴾: قد تقدم القول في مثله. ٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: إنا جعلنا جزاءهم على كفرهم أنَّا زيّنا لهم ما هم فيه ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون فيها حيارى. ٥- ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: في الدنيا، ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: الأوضعون تجارة باشترائهم الضلالة بالهدى. ٦- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾: لتُحفَّظُ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: وتُعلَّمُه يا محمد ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾: إن القرآن ليس من تلقاء محمد ﷺ ولكنه يتلقاه من الله تعالى. ٧- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: بمعنى: حين قال موسى ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لزوجته وهي بنت شعيب، وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم، ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أبصرتها وأحسستها ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: على الإضافة، بمعنى: شعلة نار اقتبسها منه، ومن قرأ بتنوين «شهابٍ» فـ«قبس» بدل منه أو صفة له، لأنه بمعنى مقبوس. ٨- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾: أتاها ﴿نُودِىَ﴾: يا موسى ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾: قُدِّس من في النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: وكانت النار نور رب العالمين في الشجرة، فعنى بذلك: نفسه عز وجل «ومن حولها» حول النار من الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهاً له عز وجل. ٩- ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: معنى «الهاء» هاهنا بمعنى: إن الشأن والأمر. ١٠- ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: كأنها حية عظيمة. و«الجان»: جنس من الحيات معروف ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: هارباً خوفاً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يرجع، من قولهم. عقَّب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ ﴿لَدَىَّ﴾: عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: رسلي وأنبيائي. ١١- ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: منهم فعمل بغير الذي أذن له في العمل به. والمعنى: لكن من ظلم، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾: يقول: فمن أتى ظلماً وركب مأثماً من خلق الله، ثم تاب من ظلمه ذلك وأناب ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فإن الله ساتر عليه بعفوه، رحيم به. ١٢- ﴿فِى جَيْبِكَ﴾: في مِدْرَعَةٍ كانت عليه من صوف ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: من غير برص ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾: يقول: فهي آية من تسع آيات أنت بها مرسل ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾. ﴿فَٰسِقِينَ﴾: كافرين بالله عز وجل. ١٣- ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: أدِلَّتنا وحُجَّتنا ﴿مُبْصِرَةً﴾: يبصرها من نظر إليها، ويرى حقيقتها.

[١] ﴿طسٓ﴾ [النمل : ١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿طسٓمٓ﴾. انظر سورة الرعد آية : ١، عن قول العلماء في الحروف المقطعة. [١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر : ١]، ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:١]. لماذا قدم الكتاب على القرآن في الحجر والعكس في النمل؟ الجواب: قدم الكتاب على القرآن في الحجر لأنه جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر : ٤]، أمَّا في النمل فيأتي بعد الآية ذكر آية أهل القرآن: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل : ٢]، فتأمل. [٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل : ٣، لقمان : ٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل ولقمان، وهي تبين حال المؤمنين، وأنهم يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون. [٦] ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [الأنعام : ٨٣، ١٢٨، ١٣٩، الحجر : ٢٥، النمل : ٦] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. متى تذكر ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ و﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟ الجواب: انظر سورة الأنعام آية : ١٢٨. [٧] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طـه:١٠]، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل : ٧]، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:٢٩]. هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النَّار، وأمرِه أهلَه بالمكث، وإخباره إيَّاهم أنه آنس نارًا، وإطماعهم أن يأتيهم بنار يَصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق التي ضَلُّوا عنها، لكنَّه نقص في النَّمل ذكر رؤية النَّار، وأمرهم بالمكث؛ اكتفاءً بما تقدَّم، وزاد في القصص قضاءَ موسى الأجل المضروب، وسيرَه بأهله إلى مصر؛ لأنَّ الشَّيء قد يُجمَل ثمَّ يفصَّل، وقد يفصَّل ثم يجمل، وفي طه فصَّل، وأجمل في النَّمل، ثم فصَّل في القصص، وبالغ فيه، وقوله في طه: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾، أي: مَن يخبرني بالطَّريق فيهديني إليها، وإنَّما أخَّر ذكر الخَبَرِ فيها وقدَّمه فيهما مراعاة لفواصل الآي في السّور جميعًا، وكرّر ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ في القصص لفظًا، وفيهما معنًى؛ لأن ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ نائب عن ﴿لَّعَلِّىٓ﴾ و﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ يتضمَّن معنى ﴿لَّعَلِّىٓ﴾، وفي القصص ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، وفي النَّمل: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، وفي طه: ﴿بِقَبَسٍ﴾؛ لأن الجذوة من النَّار خشبة في رأسها قبس به شِهاب، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد. [٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ [النمل:٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾.

[٤] ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]، ما الفرق بين: "العَمى والعَمَه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العَمَه) للحيرة والتردد النفسي.

[٧] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ قرئ: (بشهابٍ) بالتنوين على أن "قبس" بدل أو صفة بتأويله بمقبوس، قال أبو عبيدة: الشهاب: النار، والقبس ما اقتبس منه، فعلى هذا يصح البدل، وهو مذهب الأخفش، كما تقول: "هذه دارٌ للآخر" و"سوارٌ ذهب" فأما إن جعلت "القبس" صفة "لشهاب" فهو اسم المقتبس، فوضع الاسم موضع المصدر، ووصف به، ودليل الصفة قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كما قالوا: درهمٌ ضرب الأمير. وقرئ: (بشهابِ) بترك التنوين على أن الإضافة كإضافة (ثوب خز - ودار أجر - وسوار ذهب).

[١] ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

نزول سورة النمل: نزلت بعد سورة الشعراء، وهي مكّية بالاتّفاق. عدد كلمات سورة النمل: ألف ومائة وتسع وأربعون. عدد حروف سورة النمل: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة النمل: وسميت سورة النَّمل؛ لاشتمالها على مناظرة النَّمل سليمان عليه السلام. مواضيع سورة النمل: مقصود السّورة ◄

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١٤- ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: علموا يقيناً أنها من عند الله، فعاندوا وجحدوا الحق ﴿ظُلْمًا﴾: اعتداءً ﴿وَعُلُوًّا﴾: تكبراً. ١٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾: بكلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهما به ﴿ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾: بما خصنا به. ﴿مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من بني آدم في زماننا هذا. ١٦- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾: عِلْمه الذي كان آتاه الله في حياته، والملك على قومه بعده ﴿عُلِّمْنَا﴾: فُهِّمنا ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: تدعو إليه الحاجة، كالعلم والنبوة، والحكمة، والمال، وتسخير الجن والإنس والطير والرياح والوحش... ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: الظاهر. ١٧- ﴿وَحُشِرَ﴾: جمع له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُحبس ويُردُّ أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف، يزع من تقدم منهم. ١٨- ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسرنكم، وقد يشير هذا الفعل إلى أن أجسام النمل زجاجية. والله أعلم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنهم يحطمونكم. ١٩- ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني وحرِّضني. ٢٠- ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾: فيما غاب من سائر أجناس الطير. ٢١- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: كان تعذيبه للطير، فيما ذُكر، أن يحبسه مع أضداده ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بعذر بيِّن. ٢٢- ﴿فَمَكَثَ﴾: سليمان ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: غير طويل من حين تفقُّده ﴿فَقَالَ﴾: الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: علمت ما لم تعلم ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: أدركت مُلكًا لم يبلغه مُلكك. و«سبأ» اسم لمدينة كانت تحكمها بلقيس بنت شرحيل.

= [طه: ١١، القصص: ٣٠]. قوله تعالى في النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾، وفي القصص وطه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾، قال في هذه السورة: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]، فكرّر ﴿ءَاتِيكُم﴾، فاستثقل الجمع بينهما وبين ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾، فعدل إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾، بعد أن كانا بمعنى واحد، وأمّا في السورتين -طه والقصص- فلم يكن "إلا سآتيكم" "فلمّا أتاها".

[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]. قوله تعالى في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾؛ لأنّ في هذه السورة ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل: ١٠]، فحيل بينهما بهذه الجملة فاستُغني عن إعادة "أن"، وفي القصص: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣٠-٣١]، فلم يكن بينهما جملة أخرى عُطِف بها على الأولى، فحسُن إدخال "أن". أمّا قوله تعالى في النمل: ﴿لَا تَخَفْ﴾، وفي القصص: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾، بزيادة ﴿أَقْبِلْ﴾، لأنّ ما في النمل بُني عليه كلامٌ يناسبه، وهو: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، فناسبه الحذفُ، وما في القصص لم يُبنَ عليه شيء، فناسبه زيادة ﴿أَقْبِلْ﴾ جبرًا له، وليكون في مقابلة ﴿مُدْبِرًا﴾، أي: أقبلْ آمنًا غير مدبر ولا تخف.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]. جاءت النمل بلفظ "أدخل" وفي القصص بلفظ "اسلك"، لأن الإدخال أبلغُ من السلوك، وماضيه أكثر حروفًا من ماضي السلوك، فناسبَ "أدخل" كثرة الآيات في قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾، أي: معها مرسلًا إلى فرعون، وناسب "اسلك" قلّتها، وهي سلوك اليد وضمُّ الجناح، المعبَّر عنهما بقوله: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾. أمّا قوله تعالى في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾، وفي القصص ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾، فلأن الملأ أشراف القوم، وكانوا في سورة النمل موصوفين بما وصفهم الله به من قولهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ [النمل: ١٤]، فلم يسمّهم ملأً، بل سمّاهم قومًا، وفي القَصص لم يكونوا موصوفين بتلك الصّفات، فسمّاهم ملأً، وعقبه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. [١٩] ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. آية النمل في سياق قصة سليمان عليه السلام حين استشعر نعمة الله عليه، فتوجَّه إليه داعيًا: ربِّ ألهِمْني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملا صالحًا ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم، وأمّا الأحقاف: فهي تتحدث عن الإنسان حين يبلغ نهاية قوته البدنية والعقلية، وهي بلوغ الأربعين سنة، دعا ربه قائلًا: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ، واجعلني أعمل صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

[٢١] ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ قرئ: (ليأتينّني) بنونين: الأولى مشددة مفتوحة، والثانية مكسورة خفيفة على أن النون الأولى للتوكيد، والثانية نون الوقاية. وقرئ: (ليأتينّي) بنون واحد مشددة مكسورة على أنها نون التوكيد كسرت لمناسبة الياء، وحذفت "نون الوقاية" للتخفيف.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ... وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ﴾ قرئ: (فمكَث-فمكُث) بفتح الكاف وضمها وهما لغتان، والفتح أكثر وأشهر، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿سَبَإٍ﴾ فيها ثلاث قراءات: هنا وفي "سبأ: ١٥" قرئ: (سبإٍ) بالجر مع التنوين بناءً على أنه علم على الحي، الثانية: (سبأَ) بفتح الهمزة وترك التنوين بناءً على منعه من الصرف للعلمية والتأنيث، إذ هو علم على قبيلة معينة. الثالثة: (سبأْ) بالسكون بناءً على إجراء الوصل مجرى الوقف، أو أنه سكن تخفيفًا لتوالي سبع متحركات، وإن كان الإسكان في الوصل بعيد غير مختار.

[١٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. النملة تتحطم: في زمن نزول القرآن لم يكن لأحد قدرة على دراسة تركيب جسم النملة أو معرفة أي معلومات عنه، ولكن وبعد دراسات كثيرة تأكد العلماء أن للنمل هيكلًا عظميًّا =

= ومعظم ما تضمّنته: بيان فضل القرآن، وما منه نصيب أهل الإيمان، والشكاية من مكر أهل الشرك والعصيان، وإشارة إلى ذكر الوادي المقدّس وموسى بن عمران، وذكر خبر داود وسليمان، وفَضْل الله تعالى عليهما بتعليمهما منطق الطَّير وسائر الحيوان، وقصّة النَّمل، وذكر الهدهد وخبر بلْقِيس، ورسالة الهدهد إليها =

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٣- ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾: يعني: تملك سبأ ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾: يُعطاه الملوك في الدنيا. ٢٤- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا﴾: من سبأ ﴿فَصَدَّهُمۡ﴾: منعهم بتزيينه عن الطريق المستقيم، وهو دين الله تعالى. ٢٥- ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾: بمعنى: زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله. ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾: المخبوء ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: من غيث السماء ونبات الأرض. ٢٦- ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: الذي كل عرش -وإن عظم- لا يشبهه. وهذا كله كلام الهدهد من قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ إلى هاهنا. ٢٨- ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: كن قريباً منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾: ماذا يكون من مراجعة المرأة قومها. ٢٩- ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾: من أشراف قومها. ٣١- ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾: أي: لا تتكبروا كما يفعله جبابرة الملوك. وكانت بأرض يقال لها: «مارب» من صنعاء على ثلاثة أيام، ومعنى (مسلمين): مُذعنين لله بالوحدانية والربوبية. ٣٢- ﴿أَفۡتُونِي﴾: أشيروا عليَّ ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾: حتى تحضروا عندي، فأشاوركم فيه. ٣٣- ﴿أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾: على القتال ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾: في الحرب. ٣٤- ﴿إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾: عنوة، أو غزاة طاعين ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾: خرّبوها ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾: هو من قول الله عز وجل، ليس من قول بلقيس يومئذ. ٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم﴾: يعني: إلى سليمان ﴿بِهَدِيَّةٖ﴾: لتختبره بها، فإن كان ملكاً قبِلها وانصرف، وإن كان نبياً لم يقبلها، ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه. ويدل هذا الذي حكاه الله تعالى من أقوال بلقيس ومواقفها وأعمالها على أنها كانت تتصف بالحصافة، وأنها حكمت قومها بالشورى.

[٣٠] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٣٠، ٤٠] معنى اسم الله الرحمن والرحيم والكريم: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، =

[٢٤] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. آية النمل تتحدث عن قوم سبأ، وتبين أن الشيطان قد حسَّن لهم أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده، وأمّا آية العنكبوت فتتحدث عن عاد وثمود وما حل بهم، وذلك بسبب تحسين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة، فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

[٢٥] ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (ألّا) بلام مشددة بعد الهمزة على أن أصله "أن لا" أدغمت النون في اللام"، و"يسجدوا" فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، و"أن" وما دخلت عليه بدل من (أعمالهم)، والتقدير: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا؛ لأن البدل على نية الطرح والرمي، أو مفعوله، ليهتدون، أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا، أو بدل من السبيل على زيادة "لا" فيها وفي الوجه الذي قبلها، والتقدير: وصدهم عن السجود، ولا يحسن في هذه الوجوه الوقف على ما قبل "ألا" ولا الابتداء "بألا" لأنك تفرق بين الفاعل والمفعول فيه. الثانية: (ألا) بتخفيف اللام على أن "ألا" حرف تنبيه و"يا" هي حرف النداء والمنادي محذوف، وبقيت "يا" تدل عليه، وذلك جائز في لغة العرب، قد جاء ذلك في أشعارها وكلامها، فيكتفون بـ "يا" عن الاسم المنادي أو يحذفونه لدلالة الكلام، و"يا" عليه، يقولون: "ألا يا انزلوا" أراد: "ألا يا هؤلاء انزلوا" فتقدير الآية على ذلك: "ألا يا هؤلاء اسجدوا"، فلذلك قلنا: يقف على "يا" ويبتدئ: اسجدوا في هذه القراءة، وإنما حذف ألف "يا" من اللفظ لسكونها وسكون السين بعدها، فصارت الياء في اللفظ متصلة بالسين كياء الاستقبال، وعلى ذلك جاء: فقالت: ألا اسمع نَعِظْكَ بخطة ** فقلت سميعًا فانطقي وأصيبي. يريد ألا يا هذا اسمع. واسجدوا فعل أمر، ولهذا إذا أريد الاختيار فإنه يوقف على "ألا" وعلى "يا". ويبدأ "اسجدوا" بهمزة وصل مضمومة لضم ثالثها، وقد حذف في الوصل ألف يا، وهمزة الوصل كما حذف من يا بنؤم، وعلى هذه القراءة يتم الكلام، إذ لا تعلق له بما بعده من حيث الإعراب بخلافه على القراءة الأولى. إذ إن قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ بدل مما قبله، والرسم يحتملها، فعلى قراءة التشديد حذف النون للإدغام، وعلى قراءة التخفيف حذف همزة الوصل من اسجدوا، وألف يا للساكن. قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ قرئ: (تخفون-تعلنون، يخفون-يعلنون) بالخطاب وبالغيبة فيهما، ومن قرأ بالخطاب فمنهم: من قرأ بتخفيف اللام من =

= خارجيًّا صلبًا جدًا، ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم، ولذلك قال تعالى على لسان النملة: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ وبالتالي فإن كلمة "يَحْطِمَنَّكُمْ" دقيقة جدًا من الناحية العلمية، فسبحان الله! [٢٤] ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما رود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن. [٢٤] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن.

= من سليمان، ومشاورتها أركانَ الدّولة، وبيان أثر الملوك إذا نزلوا في مكان، وإهداء بِلْقيس إلى سليمان، وتهديده لها، ودعوة آصَف لإحضار تخت بِلْقِيس في أسرع زمان، وتغيير حال العرش لتجربتها، وإسلامها على يدي سليمان، وحديث صالح ومكر قومه في حقّه، وطَرَف من حديث قوم لوط أولي الطغيان، والبرهان في =

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾: يعني: رسول بلقيس. ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: أعطاني ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾: يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتُم إليَّ، بل أنتم تفرحون بما يُهدَى إليكم لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله قد ملَّكني ما لا يُملِّك أحداً. ٣٧- ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾: لا طاقة على دفعهم ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: إن لم يأتوني مسلمين، والصَّغار: الذلة. وقيل: المراد به هنا: الأسر والاستعباد. ٣٨- ﴿قَالَ﴾: سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾: وهو سرير ملكها ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾: طائعين. ٣٩- ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: رئيس منهم: ﴿مِن مَّقَامِكَ﴾: مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم. ٤٠- ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: رجل من الإنس. وقيل: هو آصف بن برخيَا، وكان صدِّيقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾: قبل أن يرجع إليك طرفك، أي بصرك، من عند منتهى نظرك. ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾: ليختبرني. ٤١- ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾: غيِّروه وزيدوا فيه وانقصوا منه ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾: أتعرف عرشها الذي هو لها؟ وقيل: أتهتدي إلى الإيمان بالله. ٤٢- ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾: شكَّت فيه ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾: قال سليمان: وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: به من قبلها. ٤٣-﴿وَصَدَّهَا﴾: ومنع هذه المرأة ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: منعتْها عبادتها الشمس أن تعبد الله. ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ﴾: كافرةً ﴿مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾. ٤٤- ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾: ذكر أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا له صرحاً كهيئة السطح من زجاج، وأجرى من تحته الماء، وسخَّر فيه دوَّاب البحر والحيتان والضفادع، ثم وضع له فيه سريره، وجلس فيه، وعكف عليه الطير والجن و الإنس، ثم قال: «ادخلي الصرح» ليختبر عقلها، ويرى ما كان قد زعمت الجن، وقالت إن رجلها كحافر الحمار. ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾: بحراً ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾: لتخوضه إلى سليمان ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾: بناء مُمَاس مُشيَّد من قوارير، فعلِمَتْ أنها قد غُلبت. = وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. قال ابن تيمية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]: سمّى ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق ليتبين أنه ينعم على المخلوقين، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، فالخلق يتضمن الابتداء، والكرم يتضمن الانتهاء. كما قال في سورة الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثم قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه... والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها. فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فإنه لا يدل على الحصر. وقوله: ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ يدل على الحصر، ولم يقل: ((الأكرم من كذا)) بل أطلق الاسم، ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيّد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه. معنى اسم الله الحكم: والله سبحانه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصَّل إليه حقه. وهو العدل في تقديره، وتدبيره، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، وأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة كما قدمنا. [٤٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٤٠] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً، كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحَّاء اللَّيل والنَّهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانيَّة.

= "ألا" ومنهم من قرأ بالتشديد فيها، وكذلك من قرأ بالغيبة، فمن قرأ بالخطاب وهو يقرأ بتخفي "ألا" فهو لمناسبة النداء والأمر، والمخاطب مَنْ حُكِيَتْ لهم القصة، وهم المؤمنون والنبي صلى الله عليه وسلم. ومن قرأ بالخطاب مع التشديد فللالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن قرأ بالغيبة مع التشديد فعلى أصل أسلوب الكلام نحو: "لا يهتدون، يسجدوا" فالضمائر كلها للغيبة. [٣٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ قرئ: (أتمدونّ) بنون مشددة على الإدغام لاجتماع المثلين فيمد الواو لالتقاء الساكنين. وقرئ: (أتمدونن) بنونين على الأصل: نون الرفع، ونون الوقاية. [٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَاقَيۡهَا﴾ قرئ: (ساقيها) بألف بعد السين. وقرئ: (سأقيها) بهمز ساكن بعد الألف، وهما لغتان. وتقدم إبدال الهمز وتحقيقه في بابه، وقال أبو محمد: إن همز هذه الكلمة ونظائرها بعيد في العربية إذ لا أصل لها في الهمز، فحجة من همز أنه قال: الهمز على توهم الضمة قبل الواو، فكأنه همز الواو، وإذا انضم ما قبلها فيهمزها كأنها لغة، وهي قليلة خارجة عن =

[٣٤] ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (النفع بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن، كما وردت كلمة (الفساد بمشتقاتها) (٥٠) مرة في القرآن. إذاً تساوى عدد مرات ذكر لفظ (النفع بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفساد بمشتقاته)، وورد كُلٌّ منهما (٥٠) مرة في كتاب الله.

= الحدائق، والأشجار، والبحار، والأنهار، وإجابة الحق دعاءَ أهل التَّضرّع، والابتهال إلى الرّحمن، وهداية الله الخَلْقَ في ظلمات البرّ، والبحر، واطلاع الحق تعالى على أسرار الغيب، وتسلية الرّسول ﷺ في إعراض المنكرين من قبول القرآن، وقبول الإيمان، وخروج الدَّابَّة، وظهور علامة القيامة، والإخبار عن حال الجبال في =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٤٥- ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فريق مؤمن يُصدِّق صالحاً، وفريق كافر يكذبه «يختصمون»: يختلفون.
٤٦- ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالعذاب قبل العافية والرحمة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: هلاّ تتوبون إلى الله ليرحمكم. ٤٧- ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: اي تشاءمنا بك وبمن معك، من أتباعك، زجرنا الطير بأنا ستُصيبنا بك وبهم المكاره ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾: علمكم عنده، وما زجرتم من الطير بما يصيبكم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: يختبركم ربكم، أتطيعونه أم تعصونه؟ ٤٨- ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: التي فيها صالح وهي حِجْر ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: تسعة أنفس ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يكفرون بالله ويعصونه، وخص الله التسعة بالخبر عنهم دون الكفار من قومهم، لأنهم أصحاب «قدار بن سالف» عاقر الناقة. ٤٩- ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾: تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾: لنُبيِّتَنَّ صالحاً بغتةً في وقت البيات ﴿وَأَهْلَهُ﴾: فلنقتلنَّه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾: لولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: اي: ما حضرنا قتلهم، ولا ندري مَن قتله وقتل أهله. فأتوه ليلاً ليُبيِّتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة! ٥٠- ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾: بمصيرهم إليه ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾: عجّلنا لهم العذاب. ٥١- ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ يعني: التسعة رهط المذكورين ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك لم يشذ منهم أحد. ٥٢- ﴿خَاوِيَةً﴾: خالية منهم. ٥٤- ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أنها فاحشة لم يسبقكم إليها أحد.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] الوحيدة في القرآن الكريم وباقي المواضع ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]. ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا: أن وحِّدوا الله، ولا تجعلوا معه إلهًا آخر، فلما أتاهم صالحٌ داعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده صار قومه فريقين: أحدهما مؤمن به، والآخر كافر بدعوته، وكل منهم يزعم أن الحق معه، فهذا ما دلت عليه آية النمل، أمَّا باقي المواضع: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا لمَّا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى، فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة... [٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]. خُصّت سورة النمل بـ"أنجينا" موافقة لما بعده وهو: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٥٧]، وبعده: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل: ٥٨]، كلّه على لفظ "أفعل"، وخصّ حم بـ"نجينا" موافقة لما قبله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾ [فصلت: ١٢]، وبعده: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وكلّه على لفظ "فعّل"، والتضعيف في ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ يفيد التكثير. [٥٤] ﴿الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤] الوحيدة في القرآن الكريم، وباقي المواضع ﴿الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم﴾ [الأعراف: ٨٠، العنكبوت: ٢٨]. اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم إنما هو لاختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى، وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب فيراعى نبيهم ذلك في دعائهم، وقد يخاطب ملأهم الأعظم في مواطن، والفئة القليلة منهم في موطن آخر، وربما أطال في موطن وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يرونه عليهم السلام أجدى وأنفع، ولاختلاف مجاوبة أممهم لهم. وقد تقدم في سورة النمل قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣]، أي: بينة واضحة، جحدوا بها، فلما تقدم هذا ناسبه في قصة لوط عليه السلام قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، ولقبح هذا التعامي أعقب بقوله بعد: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. [٥٥] ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ هنا بلفظ الاسم، وفي النَّمل ﴿تَجْهَلُونَ﴾ بلفظ الفعل، لأنَّ كلّ إسراف جهل وكلَّ جهل إسراف، ثمّ ختم آية الأعراف بلفظ الاسم؛ موافقة لرؤوس الآيات المتقدّمة، وكلها أسماءٌ: "للعالمين، الناصحين، جاثمين".. وفي النَّمل وافق ما قبلها من الآيات، وكلها أفعال: "تبصرون، يتَّقون، يعملون".

[٤٧] ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل: ٤٧]، ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨]. ما الفرق بين: "تطيّرنا واطّيرنا"؟ الجواب: وردت كلمة (تطيّرنا) وأيضًا كلمة (اطيرنا) مرة واحدة في القرآن الكريم. لعل إدغام حرف التاء في الطاء في كلمة (اطيرنا) (من غير ضرورة صوتية) يشير إلى الضيق المشعور به. على العكس من الصيغة الأخرى (تطيرنا) التي لا إدغام فيها، فهي تعبير طبيعي عن المعنى دونما شعور بالضيق. كما أن إدغام التاء في الطاء في كلمة (اطيرنا) فيه تضخيم للصوت وضغط على نطق الحرف ليكون ذلك أقوى تعبيرًا عن الضيق. لَم جاءت كلمة (اطّيرنا) في موضعها؟ جاءت هذه الكلمة التي تعبر عن حالة الضيق في موقعها مناسبة جدًا، حيث إن قوم صالح كانوا فريقين يختصمون، والقوم الذين يختصمون فيما بينهم وهم على ملة واحدة هم أشد خصومة مع النبي الذي أتاهم ليدعوهم إلى تغيير اعتقادهم الفاسد وسلوكهم الخاطئ إلى الوحدانية والإيمان برب البرية، فناسب ما هم فيه من ضيق الإتيان بكلمة تُعبر عن ضيقهم وحالهم (اطّيرنا).

= القياس، ويقال: من همز في ساقيها وسوقه، فلجواز همزه في الجمع في قولك: سؤق وهو أيضًا ضعيف؛ لأنه يلزم منه جواز همز (دار) فنقول في الجمع: (أدؤر)، وهمز دار لا يجوز. ووجه من لم يهمز فعلى الأصل لأن كل من ليس له أصل في الهمز فلا يهمز إلا لعلة نحو: أن تكون فيه واو مضمومة. [٤٩] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ - لَنَقُولَنَّ﴾ قرئ: (لنبيتَنه-لنقولَن) بنون في أول الفعلين وفتح ما قبل نون التوكيد على أن كلًا منهما فعل مسند إلى ضمير جماعة المتكلمين، وهو حكاية لما قالوه، وبناء الفعلين على الفتح لمباشرتهما نون التوكيد لفظًا وتقديرًا. وقرئ: (لتبيتُنه-لتقولُن) بتاء في أول الفعلين وضم ما قبل نون التوكيد، ووجه هذه القراءة أنه قصد حكاية ما قال بعضهم لبعض، أي: قال بعضهم لبعض: واحلفوا بالله لتبيتنه... إلى آخره، فبعضهم يخاطب بعضًا بهذا الكلام، وأما ضم الفعلين لانفصالهما عن نون التوكيد تقديرًا، إذ الأصل: "لتبيتوننه ثم لتقولوننه" حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الجماعة لالتقاء الساكنين اكتفاء بالضمة التي قبلها. قوله تعالى: ﴿مَهْلِكَ﴾ قرئ: (مَهلَك) بفتح الميم واللام على أنه مصدر هلك فمهلك وهلاك، مصدران لهلك، و"الأهل" فاعلون في المعنى لأن هلك لا يتعدى في أكثر اللغات، وقد حكي أن بني تميم يقولون: (هلكني الأمر) =

= ذلك اليوم، وبيان جزاء المجرمين، وإعراض الرّسول ﷺ عن المشركين، وإقباله على القرآن الكريم، وأمر الله له بالحمد على إظهار الحجة، أعني القرآن في قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٥٦- ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: عما نفعله من إتيان الذكور في أدبارهم، قالوا ذلك استهزاءً بهم وكراهية للطهارة والمتطهرين. ٥٧- ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾: جعلناها، وقدرنا كونها ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين للعذاب. ٥٨- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حجارة من سجيل ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: ساء ذلك المطر مطراً لقوم أنذرهم الله عز وجل عقابه. ٥٩- ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نعمه علينا بالهدى ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: أمَنَةٌ منه ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اختارهم لمحمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: يقول عز وجل: قل لمشركي قومك: الذي أنعم على أوليائه بما قصَّه عليكم خير، أم ما تشركون به من أوثانكم التي لا تنفع ولا تضر؟! ٦٠- ﴿حَدَآئِقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان عليه حائطٌ مُحوَّط، فإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: منظر حسن، والبهجة على الحسن الذي يبتهج به من رآه ﴿يَعْدِلُونَ﴾: عن الحق، ويجورون عنه عن عمد، ومع علمهم بأنهم على خطأ. ٦١- ﴿قَرَارًا﴾: يستقرُّون عليها لا تميد بهم ﴿خِلَٰلَهَآ﴾: بينها ﴿رَوَٰسِيَ﴾: ثوابت الجبال ﴿حَاجِزًا﴾: بين العذب والملح أن يُفسد أحدهما صاحبه. ٦٢- ﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: تخلفون موتاكم فيها، وذلك توارثهم سُكناها، والتصرف فيها قرناً بعد قرن. ٦٣- ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: إذا ضللتم وأظلمت عليكم السبل. ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾: أي بين يدي المطر. وقرئ: «نُشْراً» -بالنون- أي: نشراً لموَتان الأرض.

[٥٦] ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف : ٨٢]، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ [النمل : ٥٦]. ما في الأعراف كناية فسّرها ما في السورة الَّتي بعدها، وهي النَّمل، ويقال: نزلت النَّمل أوّلًا، فصرّح في الأولى، وكنَّى في الثانية. [٥٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف : ٨٣]، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر : ٦٠]، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل : ٥٧]. ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ يعطي من المعنى ما يعطيه ﴿كَانَتْ﴾ من غير فرق، لأن المراد إلحاقها بالهالكين وإخراجها من الناجين، وهذا المعنى هو المراد بـ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ مشددًا، وكذلك قوله في الحجر: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا﴾، وأمَّا وجه اختصاص ﴿كَانَتْ﴾ بآية الأعراف فليناسب إيجازًا قوله: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ [الأعراف:٨٢]، وقوله في النمل: ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ ليناسب: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ [النمل : ٥٦]، وقوله في الحجر: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا﴾ ليجرى مع ما وكد قبل بأن، ويناسبه كقوله: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر : ٥٨]، وقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٥٩]، فقيل مناسبًا لذلك: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا﴾ [٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء : ١٧٣، النمل : ٥٨]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والنمل، ومعناها: وأنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر أهلكتهم، فقبُح مطرُ من أنذرهم رسلهم ولم يستجيبوا لهم؛ فقد أُنزل بهم أشدُّ أنواع الهلاك والتدمير. [٦٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم : ٣٢]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ [النمل:٦٠]. آية إبراهيم قد تقدمها قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم:٣١]، وقد علم المؤمنون أن الله غني عن العالمين، وأن المنزل من ماء السماء إنما هو رحمة للعباد وإحياء للأرض بعد موتها، ليخرج ما بث فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات، وغير ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم معاشهم، ولم يغب عن المؤمنين المذكورين قبل أن ربهم غني عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به، فلم يحتج هنا إلى تنبيههم بأن ذلك لهم، إذ حالهم التذكر وموالاة الاعتبار لا الغفلة، وأخر ذكر ذلك إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف : ٣٢]، أمَّا آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل : ٥٩]، فلما تضمنت تعنيفًا للمشركين على سوء مرتكبهم وعماهم عن التفكير والاعتبار، قصد تحريكهم وإيقاظهم من رقدة الغفلة، فقيل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾، فحصل تنبيههم وإعلامهم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم، وأنه لا حاجة به سبحانه إليه، فاستوجب الكلام تعنيفهم، ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل : ٦٠]، أي: يعدلون بربهم غيره، ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره، وكل هذا شرك لا فلاح معه، فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور، وشأنه أبدًا إذا قدم إحراز معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لذي غفلة، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى على الصفة التي يحرزه متقدمًا، والله أعلم. قول آخر: زيادة "لكم" في النَّمل؛ لأنَّ "لكم" في إبراهيم مذكور في آخر الآية: ﴿رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم:٣٢]، فاكتُفِيَ بذكره، ولم يكن في النَّمل في آخرها، فذكر في أوّلها، وليس قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾=

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [النمل : ٥٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]. ما الفرق بين: "المَطَر والغيث"؟

الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠].

= بمعنى أهلكني. وقرئ: (مَهلِك) بفتح الميم وكسر اللام على أنه اسم مكان كالمجلس. [٥١] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّا﴾ قرئ: (أنا) بفتح الهمزة على أن المصدر المنسبك منها ومن الفعل بدل من عاقبة، أو خبر لمبتدأ محذوف، و"عاقبة" فاعل: "كان" إن كانت تامة، أو اسمها إن كانت "ناقصة"، و"كيف" حال على الأول وخبر مقدم على الثاني. وقرئ: (إنا) بكسر الهمزة على الاستئناف و"كان" ناقصة. [٥٩] ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ قرئ: (يشركون) بالغيبة رعاية لحال الحكاية، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر =

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٦٤- ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: ينشئه من غير أصل ويبتدعه، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حجتكم على أن شيئاً غير الله يفعل ذلك. ٦٥- ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من خلقه ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: الذي قد استأثر الله بعلمه ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: فهو عالم الغيب وحده لا شريك له ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ما يدري من في السموات والأرض من خلقه ﴿أَيَّانَ﴾: متى هم ﴿يُبْعَثُونَ﴾: من قبورهم لقيام الساعة؟ ٦٦- ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾: بمعنى: تتابع، وتكامل. وأصلها: تدارك، أدغمت التاء في الدال، وجيء بهمزة الوصل؛ ليمكن الابتداء بالساكن. ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي بعلم الآخرة؛ اي لم يتتابع علمهم بذلك ولم يعلموه، بل غاب عليهم علمه فلم يدركوه ولم يبلغوه. وقيل المعنى: كمل علمهم في الآخرة مع المعاينة! وذلك حين لا ينفعهم العلم؛ لأنهم كانوا مكذبين. ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾: بل المشركون السائلون عنها في شك من قيامها لا يوقنون بها. ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: فلا يدركون شيئًا من دلائلها؛ لاختلال بصائرهم. و«عمون» جمع «عمٍ»، والمراد عمى القلب. ٦٨- ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأكاذيبهم. أو ما سطروا في كتبهم وتحدثوا به، عن غير حقيقة. ٧١- ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: من العذاب. ٧٢- ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: عسى أن يكون قد اقترب لكم ودنا ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: من عذاب الله. ٧٥- ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾: من مكتوم سر، أو شيء يغيب عن أبصار الناظرين. ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾: في أم الكتاب ﴿مُّبِينٍ﴾ ذي بيان.

= [النمل : ٦٠]، يكفي عن ذكره؛ لأنه نفي لا يفيد معنى الأول. [٦٠-٦٤] ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [النمل : ٦٠-٦٤]. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ في خمس آيات، وختم الأولى بقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، ثم قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، أي: عَدَلوا، وأوّل الذنوب العدول عن الحقّ، ثم لم يعلموا، ولو علموا ما عَدَلوا، ثم لم يَذكَّروا فيَعْلموا بالنَّظر والاستدلال، فأشركوا من غير حُجّة وبرهان، قل لهم يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. [٦٨] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون : ٨٣]، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل : ٦٨]. ذهب الإمام الزمخشري إلى أن التقديم يعود إلى أهمية المقدم بالنسبة للغرض المسوق له الكلام، يقول: "فإن قلت: قدّم في هذه الآية "هذا" على "نحن وآباؤنا"، وفي آية أخرى قدّم "نحن وآباؤنا" على "هذا"؟ قلت: إن المقدّم هو الغرض المعتمد بالذكر؛ لأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمّد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوثين بذلك الصدد". وحين نتأمل توجيه الزمخشري، ثم نعود لسياق الآيات التي تقدمت الآيتين نلحظ الحالة النفسية التي كان عليها منكرو البعث، فآية النمل جاء قبلها ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل : ٦٧]، فالإنكار قوي، فلما قالوا ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ أبعد احتمال وقوع البعث عندهم، كما لم يكن في قولهم ذكر للموت، فلهذا تقدم اسم الإشارة الدال على ذلك، لكونه محل إنكارهم، وحتى يكون حاضرًا في أذهانهم، أمّا آية المؤمنون فجاء قبلها: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ [المؤمنون : ٨٢]، فهم أقروا بالموت، وأنهم سيصبحون ترابًا وعظامًا، فالإنكار هنا أضعف، وذلك لذكر العظام وذكر الموت، فتقدم "نحن وآباؤنا" وتأخر اسم الإشارة، لأنه موضع الاستغراب والإنكار. [٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل : ١٢٧]، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن﴾ [النمل : ٧٠]. في النمل: ﴿وَلَا تَكُن﴾ بإثبات النون، وهذه الكلمة كثر دَوْرها في الكلام فحذفت النون فيها تخفيفًا من غير قياس بل تشبُّهًا بحروف العلَّة. ويأتي ذلك في القرآن في بضعة عشر موضعًا تسعة منها بالتاء، وثمانية بالياء، وموضعان بالنون، وموضع بالهمزة، وخصّت هذه السورة بالحذف -النحل- دون النمل موافقة لما قبلها وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : ١٢٠]، والثاني أن هذه الآية نزلت تسلية للنبي ﷺ حين قتل حمزة ومثّل به فقال عليه السلام: لأفعلنّ بهم ولأصنعنّ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل : ١٢٦-١٢٧]، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاءَ في النمل على القياس، ولأن الحزن في النحل دون الحزن في النمل. [٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس : ٤٨، الأنبياء : ٣٨، النمل : ٧١، سبأ : ٢٩، يس : ٤٨، الملك : ٢٥]. يقول الكافرون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟. [٧٣] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس : ٦٠، النمل : ٧٣] ليس في القرآن الكريم غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٣، يوسف : ٣٨، غافر : ٦١]. في سورة يونس تقدم قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : ٥٥]، فوافق قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، وكذلك في النَّمل تقدم: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فوافقه، وفي غيرهما جاءَ بلفظ التصريح. [٧٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء : ٩]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ ...﴾ [النمل : ٧٦]. إن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد يرشد الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملة الإسلام...، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية النمل: إن هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها.

= الرسول أن يحكي عنهم قائلًا : آلله خير أما يشركون؟ أورده على لفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ وقرئ: (تشركون) بالخطاب رعاية لحال المحكي، وهو ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم وهو حال القول يخاطبهم، وهكذا في كل أمر به إنسان يبلغه للغير يجوز فيه اعتبار الحكاية واعتبار المحكي، تقول: قل لفلان كذا وكذا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾. [٦٢] ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قرئ: (تذكرون) بتاء الخطاب لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾. وقرئ: (يذكرون) بياء الغيبة على الالتفات، ولمناسبة قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والالتفات لإسقاطهم عن درجة الاعتبار، وسبق في "الأنعام" أن فيها تخفيف الذال وتشديدها مع بيان وجه ذلك. [٦٦] ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (بلْ أدْرَك) بإسكان لام =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

٧٧- ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾: يعني: القرآن. ٧٨- ﴿يَقْضِي بَيْنَهُم﴾: بين المختلفين من بني إسرائيل، فيُجازي المُحِقَّ والمبطل. ٨٠- ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: إلى آخر الآية: لا تُفهم من طبع الله على قلبه ومن كان حاله كحال الموتى أو حال الأصم في عدم الفهم وعدم السماع ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾: معرضين لغلبة الكفر والشقاء على قلوبهم. ٨١- ﴿بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ﴾: عن الهدى ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: فإن أولئك يسمعون منك ما تقول، ويتدبرونه وينتفعون به. ٨٢- ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: الأرض التي تخرج منها الدابة: مكة تخرج من صَدع في الصفا، وجمهور المفسرين على أن المراد بالقول الواقع- على الناس-: ما نطق به القرآن من مجيء الساعة وما فيها من الأهوال، وأن خروج الدابة من أشراطها، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: تحدّثهم وتخبرهم ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: يعني: الناس، على العموم، فيدخل في ذلك كل مكلف. وقيل: المراد أنها تكلم الكفار في وقت انقطاع التكليف، وقد مضى زمن السماع من الأنبياء والإيمان والتصديق بآيات الله. ٨٣- ﴿فَوْجًا﴾: جماعة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: ترد الوَزَعة أوّلهم على آخرهم، والوزعة: جمع وازع، وهو الذي يحشر الناس ويسوقهم. ٨٥- ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب السخط والغضب من الله يوم يحشرون ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾: بتكذيبهم آيات الله ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾: بحجة. ٨٧- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: «الصور»: قرن ينفخ فيه إسرافيل، قيل: هو كهيئة البوق. ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: له ثلاث نفخات، النفخة الأولى: نفخة الفزع، كما ذكر الله عز وجل، والنفخة الثانية: نفخة الصعق، والنفخة الثالثة: نفخة القيام لرب العالمين. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: الشهداء ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾: صاغرين. ٨٨- ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: قائمة، ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: أي: وهي تسير سيراً حثيثاً كسير السحب التي تسيّرها الرياح، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: أحسنه، واستدل به بعضهم على أن ذلك في الدنيا، وليس في الآخرة.

[٨١] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[النمل : ٨١، الروم : ٥٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل والروم، وهي تبين أن النبي ﷺ ليس بهاد عن الضلالة مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنه أن يُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه. [٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الأنعام : ٦، الأعراف : ١٤٨، النحل : ٧٩، النمل : ٨٦، يس : ٣١]. ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾. ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في بعض المواضع بغير واو كما في هذه السورة، وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين: أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة فذكره بالألف والواو لتدل الألف على الاستفهام والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالًا بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو والفاء لتجري مجرى الاستئناف. [٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل : ٨٧]، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٦٨]. آية النمل في نفخة البعث، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾، وآية الزمر في نفخة الموت، ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾.

= "بل" وصلًا، وهمزة قطع مفتوحة بعدها دال ساكنة على وزن أفعل بمعنى بلغ، والحق أن تقول: أدرك علمي هذا، أي: بلغه، فالمعنى فيه الإنكار، وبل بمعنى هل. الثانية: (بَلِ ادَّارَكَ) بكسر لام "بل" وصلًا وهمزة وصل تحذف في الدرج بعدها دال مشددة مفتوحة ثم ألف قبل الراء، على أن أصله: تدارك أبدلت التاء دالًا وأدغمت في الدال، واجتلبت همزة الوصل توصلًا إلى النطق بالساكن، ومعناه تتابع وتلاحق على إرادة استحكام أسباب العلم عندهم وتمكنهم من الوصول إليه بتلك الأسباب، ومع ذلك لم يعلموا الآخرة بل هم في شك منها عمون، أو يكون الكلام واردًا على وجه التهكم بهم كما يقال للجاهل: ما أعلمه، استهزاء.

[٨١] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ﴾ فيها قراءتان: الأولى: (تهدي العميَ) بدل (بهادي) والعمل بالنصب على أن تهدي فعل مضارع مسند إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، و"العمى" مفعول. الثانية: "بهادي العمي" بياء الجر الزائدة و"هادي" اسم فاعل خبر "ما" و"العمي" بالجر مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله. [٨١] ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُسْمِعُ﴾ قرئ: (يَسمَعُ الصمُّ) بفتح الياء والميم ورفع الصم على أنها الفاعل، وأن الفعل مضارع من سمع الثلاثي، يقال: سمع يسمع كعلم يعلم، والكلام عليه يحتمل أن يكون من تتمة ما أمر صلى الله عليه وسلم أن يقوله للمعرضين، على أنه تذييل مقرر لكمال المنذر به لإفادة أن عدم إيمانهم ليس لنقص في المنذر به، وإنما لعبث في نفوسهم، هو إعراضهم الذي صيرهم بمنزلة (الصم)، والمعنى عليه: قل إنما أنذركم بالوحي الصادق الناطق بالحق الثابت، وإنما عد إيمانكم به لسكونكم بمنزلة الصم ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون، ويحتمل أن يكون كلامه تعالى جاء لتسليته صلى الله عليه وسلم على كفرهم وعدم إيمانهم، أي: قل إنما أنذركم بالوحي ولا عليك أن يؤمنوا، أو لا يؤمنوا فعدم إيمانهم ليس لقصور فيك، ولا فيما جئت به، ولكن لكونهم بمنزلة الصم ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون. وقرئ: (تُسمِع الصمَّ) بتاء مضمومة وكسر الميم ونصب "الصم" على أن الفعل مضارع من أسمع مسند إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، و"الصم" مفعول أول، و"الدعاء" مفعول ثانٍ، وهذه القراءة تؤيد الاحتمال الثاني في القراءة الأولى. [٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّ﴾ قرئ: (إن-أن) بكسر الهمزة على الاستئناف، وبفتحها على تقدير حرف الجر، والحرف المقدر إما باء التعدية، أي: تكلمهم بأن الناس إلخ، أي: تحدثهم بذلك، إلخ، وإما باء السببية أي تكلمهم بسبب أن الناس إلخ. [٨٧] ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ =

[٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل : ٨٨]. حركة الأرض: كلنا يعلم أن الجبال ثابتات في مكانها، ولكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيدًا عن جاذبيتها وغلافها الجوي فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة "١٠٠ ميل في الساعة" وعندها سنرى الجبال وكأنها تسير سير السحاب، أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تمامًا كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح، وهذا دليل على حركة الأرض، فمن أخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بهذا ؟ أليس الله ؟؟ وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو أنها أشارت لدوران الأرض من خلال دلالة قوله تعالى: "وهي تمر مر السحاب" على ذلك، وهو ما كشف عنه العلم في القرن السابع عشر الميلادي.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

٨٩- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: من جاء الله بتوحيد الإيمان به، وقول «لا إله إلا الله» موقناً به ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: فله من هذه الحسنة خير يوم القيامة أن يثيبه بالجنة، ويؤمّنه من فزع الصيحة الكبرى، وهي النفخ في الصور. ٩٠- ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: بالشرك وجحود وحدانيته. ٩١- ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: يعني بالبلدة: مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾: على خلقه أن يسفكوا فيها دماً حراماً، أو يظلموا فيها أحداً، أو يصطادوا صيدها وما حرم الله من حرمها ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أي المنقادين لأمر الله، المستسلمين له بالطاعة والعبادة. والمراد بقوله «أن أكون» أن أثبت على ما أنا عليه. ٩٢- ﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: أنذركم من عقاب الله، وأبلّغكم ما أمرت به. ٩٣- ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: في الآفاق وفي أنفسكم.

سُورَةُ القَصَصِ

١- ﴿طسٓمٓ﴾: قد تقدم ذكر ما قيل في مثله. ٢- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: هذه آيات القرآن، المشتمل على بيان الحق من الباطل، والحلال من الحرام. ٣- ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾: من خبرهما ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بهذا الكتاب، ليعلموا أنما نتلو عليك من نبئهم سُنّتنا فيمن خالفك وعاداك، وفيمن آمن بك وصدّقك. ٤- ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تجبّر وبغى في أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾: من بني إسرائيل ﴿شِيَعًا﴾: فرقاً متفرقين ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾: يستعبد ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: الذكور ﴿وَيَسْتَحْىِۦ﴾: يستبقي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾: الإناث من أبنائهم. ٥- ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: ولاة وملوكاً ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: لآل فرعون، وللأرض من بعدهم.

[٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل : ٨٩]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [القصص : ٨٤]. الآيتان تبينان أنه من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وآية النمل تبين أنهم يوم الفزع الأكبر آمنون، وأمّا آية القصص فتوضح أنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

[١-٢] ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الشعراء : ١-٢، القصص : ١-٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والقصص، وهي تبين أن هذه آيات القرآن الموضّح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال. أما عن قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ فقد تكررت هذه الآية مرتين، فهي من المتشابه لفظًا، و ذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٤]. الظلم إذا عمّ وطمّ فإنه يؤذن بزواله وهلاك الظالم ودولته، وقد قال شيخ الإسلام: (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة). فمع أن فرعون قد جمع الموبقات، وادعي الألوهية وأنكر رب البريّة إلا أن الله عز وجل علل زوال ملكه ونصر المستضعفين بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ...﴾.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص : ٧]. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية هي من معجزات باب الإيجاز لاشتمالها على أمرين ونهيين وخبرين متضمنين بشارتين في أسهل نظم، وأسلس لفظ، وأوجز عبارة. فإن قيل: ما فائدة وحي الله تعالى إلى أم موسى بإرضاعه مع أنها ترضعه طبعًا، وإن لم تؤمر بذلك؟ الجواب: أمرها بإرضاعه ليألف لبنها، فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به، ربما كانت تسترضع له مرضعة، فيفوت المقصود. [٨] ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص : ٨]. إن إصابة قوم فرعون بغتة من قِبَل من أمّلوا منه النفع أشد عبرة للمعتبر وأوقع حسرة على المستبصر وأدل على أن انتقام الله يكون أعظم من انتقام العدو، كما قال ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ مع قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾

[٨] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. ما الفرق بين "الحُزْن والحَزَن"؟ الجواب: وردت كلمة (الحُزْن) مرتين، بينما وردت كلمة (الحَزَن) ثلاث مرات. الحُزْنُ (بضم الحاء): ضد الفرح. وهي حالةٌ تتجمدُ فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبُها بالشكوى، ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحُزن، فيبدو للناظر كأنه غير حزين، مع أن الحُزن يُقطِّعُ نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابيضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف عليه السلام، ولم يُرسل بكاءً ولا دموعًا، وإنما كظم ...

... دَٰخِرِينَ﴾ قرئ: (آتُوه) بألف بعد الهمزة وتاء مضمومة قبل الواو على أن "آت" اسم فاعل و"الواو" علامة الرفع حذفت نونه للإضافة. وقرئ: (أتَوه) بإسقاط الألف وفتح التاء التي قبل الواو على أنه فعل ماض مسند إلى واو الجماعة حذفت لامه وبقي فتح ما قبلها للدلالة عليها، وأصل: أتوه أتيوه تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقي فتح ما قبلها دليلًا عليه. [٨٨] ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ قرئ: (يفعلون) بالغيبة على الأصل لمناسبة قوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾. وقرئ: (تفعلون) بالخطاب على الالتفات، أو ردوه على الخطاب الذي قبله في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ فهو خطاب للنبي، وأمته داخلون في الخطاب، لكن غلب لفظ الخطاب على لفظ الغيبة.

نزول سورة القصص: نزلت بعد سورة النمل، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة القصص: ألف وأربعمائة وواحدة. عدد حروف سورة القصص: خمسة آلاف وثمانمائة. أسماء سورة القصص: سميت سورةَ القَصَص؛ لاشتمالها عليها في قوله: ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ [القصص : ٢٥]، أي قصّ موسى على شُعَيب. مواضيع سورة القصص: مقصود السورة: بيانُ ظلم فرعون بني إسرائيل، وولادة موسى، ومحبة آسية له، وردّ موسى على أمّه، وحديث القبطي، والإسرائيلي، وهجرة ...

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٦- ﴿وَنُمَكِّنَ﴾: نوطئ ﴿لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض الشام، وأرض مصر ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾: ما كان يحذر فرعون وقومه، من تأويل رؤيا كان فرعون رآها في منامه، فأولت له أن سيولد في بني إسرائيل غلام، يكون هلاك فرعون وقومه، وذهاب مُلكهم به. ٧- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: ألهمناها وقذفنا في قلبها ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: من فرعون بأن يبلغ خبره إليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾: في النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الغرق أو الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾: لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾: عن قريب. ٨- ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾: أصابوه وأخذوه، وأصله من اللقطة، وهو ما وجد ضالاً، فأخذ، والالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: لما هو كائن في عاقبة أمرهم. وتسمّى لام «ليكون» هذه لام العاقبة. ٩- ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾: أي: هذا قرة عين ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بما هو كائن من أمره، وأمرهم. ١٠- ﴿فَارِغًا﴾: خالياً من كل شيء سوى ذكر ابنها موسى وهمّه. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: أن تقول هو ابني، أو يا ابناه ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: ثبّتناها وعصمناها ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بوعد الله فيه. ١١- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾: لأخت موسى: اتبعي أثره فانظري كيف يصنع به؟ ﴿فَبَصُرَتْ﴾: أخت موسى ﴿بِهِ عَن جُنُبٍ﴾: عن بُعد لم تدن منه؛ لئلا يُعلم أنها منه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته. ١٢- ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾: معناه: أن يرتضع منهن، وهو تحريم تبغيض ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: يضمُّونه ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾: أي مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. قيل: إنها أخذت حين قالت ذلك، وقالوا قد عرفته، قالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون يبتغون مسرته.

[١٣] ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [طه: ٤٠]، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القصص: ١٣]. الرَّجْع إلى الشيءِ والرَّدّ إليه بمعنى واحد، والرَّدُّ عن الشيء يقتضي كراهة المردود، وكان لفظ الرّجع ألطف، فخُصَّ به سورة طه، وخُصّ بسورة القَصَص قوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ﴾؛ تصديقًا لقوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧]، والله أعلم.

حزنه، وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. والحَزَنُ (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله -تعالى- حالة الذين أصابهم الحَزَنُ من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنه لم يجدوا ما ينفقون.

[٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]. ما الفرق بين: "المخطئ والخاطئ"؟ الجواب: أخطأ، مخطئٌ، إخطاء، وخَطأ. خطئ، خاطئٌ، خِطأ. أخطأ: تعني جَانَبَ الصواب: سواء أكان الخطأ مقصودًا أم غير مقصود، والخطأ المقصود إثم وذنب. أما خَطِئَ: فتعني دائمًا مجانبة الصواب عمدًا، لذا فإنها تأتي دائمًا بمعنى الإثم والذنب. تختص (أخطأ) بمقام التشريع المدني والجنائي، أما (خَطِئ) فتختص بمقام السلوك الإنساني عقيدة، وأخلاقًا، وسيرة. [٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. في قول آسية امرأة فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فضل الفأل الحسن، وقد نالها ما رجت من النفع: أما في الدنيا فهداها الله به وجعل لها أحسن ثناء في الآخرين بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم ١١]. فاستعملها الله سبحانه وتعالى بطاعته وصيرّها إلى فسيح جنته. وقولها (قرة عين) كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدها، وهو سخنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن، فلما كنَّوا عن الحزن بسخنة العين أتبعوا ذلك بأن كنوا عن السرور بضد هذه الكناية فقالوا: قرة عين. [١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠]. إن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك على أن استمرار الجزع مع العبد دليل على ضعف إيمانه.

[٦] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ فيها قراءتان: الأولى: (ونُرِيَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما) بنون مضمومة بعدها راء مكسورة ثم ياء مفتوحة ونصب "فرعون وهامان وجنودهما" على أن الفعل وهو نُري مضارع أرى المزيد بالهمزة وهو رباعي، أصله: أرأى، حذفت عينه بعد نقل حركتها إلى الفاء تخفيفًا، والمضارع من الرباعي ضُمَّ أوله ونصب بفتحة ظاهرة على الياء عطفًا على نمنَّ المنصوب بأن، وأسند إلى ضمير العظمة لمناسبة ما قبله وهو "نريد أن نمن" وبعده "وأوحينا" وفرعون مفعوله، و"هامان وجنودهما" معطوفان عليه. الثانية: (ويَرَى فرعونُ وهامانُ وجنودُهما) بياء مفتوحة بعدها راء مفتوحة بعدها ألف، و"فرعون وهامان وجنودهما" بالرفع على أن الفعل مضارع (رأى) الثلاثي منصوب بفتحة مقدرة للتعذر و"فرعون" فاعل، و"هامان وجنودهما" معطوفان عليه. [٨] ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَحَزَنًا﴾ قرئ: (حَزَنًا-حُزْنًا) بفتح الحاء والزاي، وبضم الحاء وإسكان الزاي وهما لغتان، يقال: حزن من باب تعب يتعب تعبًا، ويقال: حزن بفتح الزاي يحزن بضمها حزنًا بضم الحاء وسكون الزاي، بمعنىً، والأول: لازم، والثاني: متعدٍ، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وقد جاء غير هذا الموضع مجمعًا عليه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ وقال: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ فهما لغتان كما سبق كالعَرَب والعُرْب.

[١٠، ١١] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما)(١٤٨)مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كلٌ (١٤٨) في كتاب الله تعالى.

موسى من مصر إلى مَدْيَن، وسَقْيه لبنات شُعيب، واستئجار شعيب موسى، وخروج موسى من مَدْين، وظهور آثار النبوّة، واليد البيضاء، وقلب العصا، وإمدادُ الله تعالى له بأخيه هارون، وحيلة هامان في معارضة موسى، وإخبار الله تعالى عمّا جرى في الطُّور، ومدح مؤمني أهل الكتاب، وقصّة إهلاك القرون الماضية،

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾: قيل: بلغ أربعين سنة. واختلف في عدد «الأشُدِّ»، و«الاستواء». قيل: الأشدّ: ما بين الثمانية عشرة إلى الثلاثين، والاستواء: من الثلاثين إلى الأربعين ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾: نُبُوَّةً. ١٥- ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾: مدينة «مَنْف» من مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ﴾: عند القائلة نصف النهار مُتَّبعاً أثر فرعون؛ لأن فرعون ركب، وموسى غير شاهد ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾: من أهل دين موسى، ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾: من القبط، ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾: فلكزه ﴿مُوسَىٰ﴾: في صدره بجُمْع كَفِّه، أي وأصابع كفه مجتمعة لا منشورة أو متفرّقة ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾: قتله ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: بأن هيج غضبي حتى ضربت هذا فهلك، ولم يتعمّد قتله. قال ابن عطية: وكان فضل قوته عليه السلام بما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقصد. ١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾: من القوة ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾: فلن استعملها إلا في مظاهرة ومناصرة أوليائك وأهل طاعتك. ١٨- ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾: الأخبار من فعلته ﴿يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾: يستغيثه على فرعوني آخر، فألفَى موسى نادماً على ما سلف منه، فـ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ﴾: ذو غِواية ﴿مُّبِينٞ﴾: قد بانت غوايتك بقتالك أمس رجلاً، واليوم آخر، فخافه الإسرائيلي؛ إذ تبين الغضب في وجهه. ١٩- ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ﴾: بالفرعوني ظن الإسرائيلي أنه يريده، فـ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ﴾: إلى آخر الآية. ﴿جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: تسير بسيرة الجبابرة. ٢٠- ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ﴾: الأشراف من قوم فرعون ﴿يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون، ويرتؤون ليقتلوك، لما علموا من قتلك القبطي. وقيل: كان بحضرة موسى إذ قال له الإسرائيلي: «كما قتلت نفساً بالأمس» قبطياً، فأفشى الخبر، وأعلم به أهل القتيل. ٢١- ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر ويتوقع التعرض له في الطريق.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف : ٢٢]، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [القصص : ١٤]. يوسف عليه السلام نُبّه على مايراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤيا الكواكب والوحي حين ألقي في الجب، وما ألهمه الله من علم التأويل، أمّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه، ولا نبّه عليه قبل بلوغ الأربعين فناسبه "واستوى" ولا سيما على قول الأكثر أن الاستواء بلوغ الأربعين، لأنها كمال العقل. [٢٠] ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص : ٢٠]، ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس : ٢٠]. الذي يفاد به المخاطب أن يعرف أنه -أي الرجل- جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة، ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة، فقدَّم ما تبكيت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر، فقال: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ﴾، ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه..، وأمّا آية سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورًا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة، كما كان ذلك في آية يس. قول آخر: سر تقديم الجار على المجرور في آية يس، أن ما قبل هذه الآية دال على سوء معاملة أهل المدينة للرسل، فكان ذلك مظنة أن يسأل سائل: أكانت هذه المدينة كلها بهذه الصفة، أم أن فيها موطنًا هو منبت خير؟ لذلك قدّم ما يشتمل على المدينة، لأنها أهم عند المخاطب. قول آخر: الرجل في آية القصص كان ناصحًا، فجاء الترتيب على الأصل، أمّا في آية يس فالرجل جاء يدعو للإيمان، وفي هذا اهتمام، وثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد من الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط. قول آخر: لماذا قدم الـ﴿رَجُلٞ﴾ على ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ بالقصص والعكس في يس؛ الجواب: موافقة في القصص لقوله قبل: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ﴾ [القصص:١٥]، واهتمامًا ثَمَّ بتقديم ﴿مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ لما رُوي من أن الرجل -واسمه حذقيل، وقيل: شمعون، وقيل: حبيب- كان يعبد الله في جبل، فلما سمع خبر الرُّسل سعى مستعجلًا. والآيتان تشملان جميع التوجيهات، وهذا من أسرار كتاب الله.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص : ٢٢]. قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وفيه تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به إذا لم يترجح عنده أحد القولين فإنه يستهدي ربه ويسأله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين، ولا يدري الطريق المعين إليها قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد هداه الله وأعطاه ما رجاه وتمناه. [٢٣] ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة: ١١]. ما الفرق بين استخدام كلمة "امرأة وزوج وبعل" في القرآن؟ الجواب: ١- يُطلِقُ القرآن الكريم كلمة (امرأة) في حالة الإفراد على (الزوجة) إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلالٌ بين الزوجين: أ- كالنزاع بين الزوجين (سواء أدّى إلى طلاق أم لا): مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾ [النساء: ١٢٨]. أو لاختلاف الدين بين الزوجين: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ [هود: ٨١]، لأن امرأة لوط كانت على دين قومها. جـ- أو كانت العلاقة الزوجية على دين غير صحيح: مثل قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. د- أو كانت الحياة الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: ٨]. ٢- ويطلق القرآن كلمة (امرأة) على المرأة غير المتزوجة: مثل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ [القصص: ٢٣]. ٣- ويُطلِقُ القرآن كلمة (امرأة) حينما لا يكون للزوج دخل في المعنى المراد: مثل قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن

[١٩] ﴿أَن تَكُونَ جَبَّارٗا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات الجبر مع مشتقات القهر مع مشتقات العتو، وقد ورد كلٌ (١٠) مرات. أولًا: وردت مشتقات كلمة (الجبر) في كتاب الله (١٠) مرات. ثانيًا: وردت مشتقات كلمة (القهر) (١٠) مرات في كتاب الله. ثالثًا: وردت مشتقات كلمة (العتو) (١٠) مرات في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر مشتقات كلمة (الجبر) مع مشتقات كلمة (القهر) مع مشتقات كلمة (العتو)، وقد ورد كُلٌّ (١٠) مرات في كتاب الله.

ومناظرة المشركين يوم القيامة، واختيار الله تعالى ما شاء، وإقامة البرهان على وجود الحق، ووعد الرسول ﷺ بالرجوع إلى مكة، وبيان أنَّ كلَّ ما دون الحقِّ فهو في عُرْضة الفناء والزَّوال، وأنَّ زمام الحكم بيده تعالى في قوله: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص : ٨٨].

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٢- ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: نحو مدين قاصداً نحوها، ماضياً إليها ﴿أَن يَهْدِيَنِى﴾: يبين لي ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: قصد الطريق إلى مدين، لأنه لم يكن يعرف الطريق. ٢٣- ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾: مواشيهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تحبسان غنمهما أن تشذَّ وتذهب، فيردَّانِها عن الماء، حتى تصدر مواشي الناس، ويُفرغ من سقيها ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾: لا نستطيع أن نسقي ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: يرجعوا بمواشيهم، وينصرفوا عن الماء، حذراً من مخالطتهم، أو عجزاً عن السقي معهم، والرعاء: جمع راعٍ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يطيق أن يسقي. ٢٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: ظل شجرة ﴿إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: أي: لما ترزقني من رزق ﴿فَقِيرٌ﴾: محتاج إلى ذلك. قيل: أراد بذلك الطعام. ٢٥- ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾: اي خَفِرَةً قد سترت بثوبها وجهها. ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾: قصصه مع فرعون وقومه من القبط. ٢٦- ﴿ٱلْقَوِىُّ﴾: على حفظ ماشيتك ﴿ٱلْأَمِينُ﴾: وروي أن أباها أحفظته الغَيْرَة، فقال لها: وما يُدريك أمانته؟ قالت: إنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوَّب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إليَّ حتى بلَّغتُه رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي، وانعتي الطريق، أي صفيه لي ودليني عليه، فلم يفعل ذلك إلا وهو أمين. ٢٧- ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾: تثيبني من تزويجكها: رعي ماشيتي ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾: ثماني سنين: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾: أتممتها عشر حجج ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾: فإحسان من عندك، ليس فيما أشترطه عليك ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: باشتراط الثماني الحجج عشراً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في حسن الصحبة، والوفاء بما قلتُ. ٢٨- ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾: الثماني الحجج، أو العشر ﴿قَضَيْتُ﴾: وفيت به وفرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾: ليس لك أن تعتدي على مطالبتي بأكثر منه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شهيد..

[٢٧] ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. ما في سورة القصص من كلام شعيب، والمعنى: ستجدني من الصالحين في حسن العشرة، والوفاءِ بالعهد، وفي الصَّافات من كلام إسماعيل حين قال له أبوه: ﴿أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، فأجاب: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، أي: على الذبح.

= تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٤- أطلق القرآن الكريم كلمة (بعل) على (الزوج الذكر)، إذا أصاب العلاقات الزوجية اختلال بين الزوجين: أ- كالنزاع والشقاق: مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]. ب- مخالفة الزوجات لأزواجهن بإبداء زينتهن لغير أزواجهن: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. جـ- أو كانت العلاقات الزوجية لا إنجاب فيها: مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]. ٥- يُطلِق القرآن كلمة (زوج) إفرادًا لا جمعًا، في كل الأحوال التي لا يُعكر صفو الحياة الزوجية فيها شيءٌ. ٦- في حالة جمع الزوجات يُؤثر القرآن كلمة (أزواج) دون (امرآت) لأن (امرآت: جمع امرأة) جمع غير مستعمل لغةً فضلًا عن ثقله وخشونة جرسه. مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: ١١]. [٢٣] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]. ما الفرق بين: "كبير، كُبَّارًا"؟ الجواب: وردت كلمة (كبير) ستًّا وثلاثين مرة. ووردت كلمة (كبّارًا) مرة واحدة في القرآن الكريم. قال الزمخشري: الكُبّار أكبر من الكبير، والكُبَّار أكبر من الكُبار. (كبير) صفة مشبهة من الفعل (كَبِرَ) لذا كثر ورودها في القرآن. أما (كبّارًا) فهي صفة مشبهة تبلغ الغاية في المبالغة والتوكيد. اتسقت كل منهما كفاصلة مع الفواصل التي جاءت معها: فكلمة (كبير) اتسقت مع (السبيل)، و(فقير) في سورة القصص. أيضًا: اتسقت كلمة (كبارًا) مع الفواصل التي جاورتها مثل (سراجًا، نباتًا، إخراجًا، بساطًا، فجاجًا، خسارًا، كبارًا، ضلالًا، أنصارًا، ديارًا، كفارًا، تبارًا) في سورة نوح. [٢٥] ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ [القصص: ٢٥]. تعريف الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به... ويقال: خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق... من فوائد الحياء: ١-من خصال الإيمان وحسن الإسلام. ٢- هجر المعصية خجلًا من الله سبحانه وتعالى. ٣- الإقبال على الطاعة بوازع الحب لله تعالى. ٤- يبعد عن المرء فضائح الدنيا والآخرة. ٥- أصل كل شعب الإيمان. ٦- يكسو المرء الوقار، فلا يفعل ما يخل بالمروءة والتوقير، ولا يؤذي من يستحق الإكرام. ٧- هو دليل على كرم السجية وطيب المنبت. ٨- صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين. ٩- يعد صاحبه من المحبوبين من الله ومن الناس. [٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. قال الزمخشري: كلام حكيم جامع لا يزاد عليه. لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة في القائم، فقد فرغ بالك وتم مرادك. [٢٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ما الفرق بين (العَداوة، العدوان، العَدْو)؟ الجواب: وردت كلمة (العداوة) ست مرات. وكلمة (العدوان) ثماني مرات. وكلمة (العدو) مرة واحدة. (العداوة) تتعلق بالقلوب. ولذلك ارتبطت هذه الكلمة بكلمة البغضاء (وكلاهما قلبي)، و(العدوان) يتعلق بتجاوز العدالة (ويتعلق بالجوارح). و(عدوًا) تتعلق بتجاوز العدالة تجاه الله -تعالى- خاصة. وقد جاءت هذه الكلمة على هذه الصورة الغريبة؛ لأن الاعتداء على حقٍّ من حقوق الله تعالى سلوكٌ شاذٌ وغريبٌ عن الفطرة السوية، لذا كانت الصيغة المعبرة عن ذلك شاذة غريبة، ولها من الظلال ما لها، فهي في سياقها تعني (الركض) والركض: هو العدو. ويعني تجاوز الاعتدال في المشي، فجُسِّد به المعنى تجسيدًا.

[٢٣] ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿يُصْدِرَ﴾ قرئ: (يَصدُر) بفتح الياء وضم الدال على أنه مضارع صدر الثلاثي تقول: صدر يصدر من باب نصر بمعنى يرجع. وقرئ: (يُصدِر) بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر المزيد بالهمزة وهو متعد قد حذف مفعوله؛ لأنه لم يتعلق بذكره غرض، وتقديره: حتى يصدر الرعاء مواشيهم من السقي، والمعنى: حتى يَرُدَّ الرعاء مواشيهم عن الماء، فهو من باب، أصدرت الإبل إذا رددتها من السقي.

[٢٩] ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ قرئت: (جَذوة-جِذوة-جُذوة) بفتح الجيم وكسرها =

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩- ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ﴾: فرغ من الأجل الأوفى والأتم: العشر الحجج ﴿ ءَانَسَ ﴾: أحس ﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾: قال ابن عطية: وكان ذلك نورًا من أنوار الله تعالى قد التبس بشجرة. ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾: قطعة غليظة من الحطب فيها نار ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾: تستدفئون بها، وكانوا في شتاء! ٣٠- ﴿ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ﴾: شاطئ الوادي، وشطُّه: جانبه وعدوته ﴿ ٱلْأَيْمَنِ ﴾: من وصف الشاطئ، عن يمين موسى عليه السلام ﴿ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾: منه ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾: التي نودي بها، وكانت من العوسج. قال ابن عطية: وقوله تعالى «من الشجرة» يقتضي أن موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة، وسمع وأدرك غير مكيَّف ولا محدد. ٣١- ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾: تتحرك وتضطرب ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾: واحد الجن، وهو نوع من الحيات ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾: هارباً ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾: لم يلتفت من الفَرَق والخوف. ٣٢- ﴿ ٱسْلُكْ ﴾: أدخل ﴿ فِى جَيْبِكَ ﴾: في جيب قميصك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾: خرجت كالمصباح ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾: من غير برص ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾: الذراع، والعضد: هو الجناح، والكف: اليد ﴿ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾: من الخوف والفَرَق الذي قد نالك ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ ﴾: يعني: تحويل العصا حية، ويده بيضاء، هما برهانان وآيتان. ٣٤- ﴿ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾: معيناً يصدقني، وزيادة في تصديقي. ٣٥- ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴾: نقويك ونعينك ﴿ سُلْطَٰنًا ﴾: حجة ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾: بآياتنا.

[٢٩] ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ٩-١٠]، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل: ٧]، ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩]. هذه الآيات تشتمل على ذكر رؤية موسى النَّار، وأمرِه أهلَه بالمكث، وإخباره إيَّاهم أنه آنس نارًا، وإطماعهم أن يأتيهم بنار يَصطلون بها، أو خبر يهتدون به إلى الطريق التي ضَلُّوا عنها، لكنَّه نقص في النَّمل ذكر رؤية النَّار، وأمرهم بالمكث؛ اكتفاءً بما تقدّم، وزاد في القصص قضاءَ موسى الأجل المضروب، وسيرَه بأهله إلى مصر؛ لأنَّ الشَّيء قد يُجْمَل ثمَّ يفصَّل، وقد يفصّل ثم يجمل، وفي طه فصّل، وأجمل في النَّمل، ثم فصَّل في القصص، وبالغ فيه، وقوله في طه: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾، أي: مَن يخبرني بالطَّريق فيهديني إليها، وإنَّما أخَّر ذكر الخَبَرِ فيها وقدَّمه فيهما مراعاة لفواصل الآي في السّور جميعًا، وكرّر ﴿ لَّعَلِّىٓ ﴾ في القصص لفظًا، وفيهما معنًى؛ لأن ﴿ أَوْ ﴾ في قوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ نائب عن ﴿ لَّعَلِّىٓ ﴾ و﴿ سَـَٔاتِيكُم ﴾ يتضمَّن معنى ﴿ لَّعَلِّىٓ ﴾، وفي القصص: ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾، وفي النَّمل: ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾، وفي طه: ﴿ بِقَبَسٍ ﴾؛ لأن الجذوة من النَّار خشبة في رأسها قبس به شِهاب، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد. [٣١] ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠]، ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]. قوله تعالى في النمل: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾، وفي القصص: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾؛ لأنَّ في سورة النمل: ﴿ نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [النمل: ١٠]، فحيل بينهما بهذه الجملة فاستُغني عن إعادة "أن"، وفي القصص: ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [القصص: ٣١]، فلم يكن بينهما جملة أخرى عُطِف بها على الأولى، فحسُن إدخال "أن". أمّا قوله تعالى في النمل: ﴿ وَلَا تَخَفْ ﴾، وفي القصص: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾، بزيادة ﴿ أَقْبِلْ ﴾، لأنَّ ما في النمل بُني عليه كلامٌ يناسبه، وهو: ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠] فناسبه الحذفُ، وما في القصص لم يُبنَ عليه شيء، فناسبه زيادة ﴿ أَقْبِلْ ﴾ جبرًا له، وليكون في مقابلة ﴿ مُدْبِرًا ﴾، أي: أقبِلْ آمنًا غير مدبر ولا تخف. [٣٢] ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢]، ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢]. جاءت النمل بلفظ "أدخل" وفي القصص بلفظ "اسلك"؛ والإدخال أبلغُ من السلوك، لأن =

[٣١] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١]، ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبل- تعالَ- ائتِ- هاؤم"؟ الجواب: (أقبلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيًا عن الإدبار الملتبس به المخاطب، أما (تعالَ) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة) -راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذًا، (أقبلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي، و(أقبلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم.

= وضمها، وهي لغات ثلاث بمعنى القبس من النار، أي: القطعة الغليظة من الحطب فيها نار وليس فيها لهب. [٣٢] ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ فيها ثلاث قراءات: الأولى: (الرَّهْب) بفتح الراء وإسكان الهاء، والثانية: (الرَّهَب) بفتح الراء والهاء، الثالثة: (الرُّهْب) بضم الراء وإسكان الهاء، وهي لغات في مصدر رهب يرهب من باب تعب يتعب، والرهب والرهبة: الخوف، وجناحا الرجل يداه، وقيل: عضداه. [٣٤] ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ قرئ: (يصدقْني) بالجزم في جواب الأمر فأرسله، كأنه قال: إن ترسله معي يصدقني. وقرئ: =

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)

٣٦- ﴿سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مختلق مكذوب - كسائر أنواع السحر - أي: وليس بمعجزة من عند الله ﴿بِهَٰذَا﴾: الذي جئت به من دعوى النبوة. ٣٧- ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العقبى المحمودة في الآخرة. ٣٨- ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾: أي اطبخ لي الطين حتى يصير آجرًا وقيل: هو أول من صنعه ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾: ابنِ لي بالآجر بناء، وكل بناء مُسطَّح فهو صرح، كالقصر. ٤٠- ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾: أي: طرحناهم في البحر. ٤١- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: يأتمُّ بهم أهل العتو والكفر ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: إلى أعمال أهل النار. ٤٢- ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: الذين قبحهم الله، فأهلكهم بكفرهم. ٤٣- ﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: ضياء لبني إسرائيل، وكتاب موسى، وسائر كتب الله تعالى بصائر للناس يبصرون بها الحق، ويهتدون إليه، وينقذون أنفسهم به من الضلالة.

= ماضيه أكثر حروفًا من ماضي السلوك، فناسبَ "أدخل" كثرة الآيات في قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾، أي: معها مرسلًا إلى فرعون، وناسب "اسلك" قلَّتها، وهي سلوك اليد وضم الجناح، المعبَّر عنهما بقوله: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾. أمَّا قوله تعالى في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾، وفي القصص ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾، لأن الملأ أشراف القوم، وكانوا في سورة النمل موصوفين بما وصفهم الله به من قولهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ [النمل: ١٣-١٤]، فلم يسمّهم ملأً، بل سمّاهم قومًا، وفي القَصَص لم يكونوا موصوفين بتلك الصّفات، فسمّاهم ملأً، وعقبه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. [٣٧] ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [القصص: ٣٧]، ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [القصص: ٨٥]. الآية الأولى جاءت على الأصل، والثانية جاءت بالحذف اكتفاء بدلالة الأولى عليه. [٣٨] ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]. جاءت آية القصص بحذف: ﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وفي غافر بذكره، لأن ما في القصص تقدَّمه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، من غير ذكر أرض وغيرها، فناسبَه الحذفُ، وما في غافر تقدَّمه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، فناسبه مقابلته بالسماء في قوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.
أمَّا عن قوله في سورة القصص: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، وفي سورة غافر: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، لأن التقدير في سورة القصص: وإني لأظنه كاذبًا من الكاذبين، فزيد: ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لرؤوس الآي، ثم أضمر ﴿كَٰذِبًا﴾، لدلالة ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ عليه، وفي غافر جاءَ على الأصل، ولم يكن فيه موجب تغيير.

= (يصدقُني) بالرفع على الاستئناف أو صفة لـ(ردءًا)، أو حال من المفعول وهو الضمير في أرسله، وكذلك الأفعال لا تكون صفة إلا لنكرة، وتكون حالًا لمعرفة، والتقدير: ردءًا مصدقًا لي، والردء المعين، وتقدم الكلام على (ردءًا) في الهمزة المفردة. [٣٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ قرئ: (قال) بحذف الواو على أن الجملة مستأنفة وقعت جوابًا عن سؤال يعلم من الجملة السابقة، كأنه لما قضى ردهم للحق الذي جاءهم به موسى، وطعنهم فيه بأنه سحر مفترى انساق الذهن إلى سؤال عما قال موسى جوابًا لهذا الطعن، فقال: قال موسى: ربي أعلم... الخ. وقرئ: (وقال) بالواو على العطف على قولهم: قالوا، وكأن القصد الجمع بين مقالتهم ومقالة موسى ـ عليه السلام ـ ومقالة فرعون، وكذلك هي بالواو في غير مصحف مكة، وبغير الواو فيه.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. إعجاز تاريخي: تشير هذه الآية إلى معجزاتٍ عديدةٍ منها: الإعجاز الأول: تأليهُ فرعون نفسه، في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾. والأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله (رع) الذي يمثل (إله الشمس) عندهم، والذي كان يعبده قدماء المصريين، بل إن اسم (رع) دخل في ألقاب الفراعنة، مثل (رع نب) أي الرب الذهبي، ولعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول (بريستد) عالمُ الآثار، والذي حفظته نصوصُ الأهرام هو أنشودة الشمس التي تردد فيها هوية الملك: إله الشمس، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر، في كلام طويل تحت حماية وسيادة إله الشمس (الذي يزعمون)، فعلى ذلك يُمنح فرعون مصر المنافع نفسها، ولهذا يجب أن يتسلّم نفس الهبات من مصر، والأنشودة بأكملها تُعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء كاسم (رع) أو (حورس) في الأنشودة الأصلية. الإعجاز الثاني: هو استعمال الفراعنة الآجر في بناء الصروح، فقد طلب فرعونُ من هامان أن يبني له من الطين المحروق (الآجر) صرحًا، وهذا يُعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم، فقد ظلَّ الاعتقادُ سائدًا عند المؤرخين أن الآجر لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني، وظلَّ هذا هو رأيَ المؤرخين حتى عثر عالمُ الآثار (بتري) على كمية من الآجر المحروق بُنيت به قبور، وأقيمت به بعض المنشآت، ترجع إلى عصور الفراعنة (رمسيس الثاني، ومرنبتاح، وسيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشرة) وكان عثوره عليها في موقع أثري غير بعيدٍ من (بي رعمسيس أو قنطير)، عاصمة هؤلاء الفراعنة في شرق الدلتا. أما الإعجاز الثالث: فهو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه «هامان»، قال الدكتور «موريس بوكاي»: يذكر القرآنُ الكريمُ شخصًا باسمه: «هامان» وهو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أن يبني له صرحًا عاليًا يسمحُ له (كما يقول ساخرًا من موسى أن يبلغ ربَّ عقيدته، وأردت أن أعرف إن كان هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفي، من المحتمل أنه محفوظٌ في وثيقة من وثائق العصر الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابةٍ عن ذلك إلا إذا كان مصدرها رجلًا حجة فيما يخص اللغة الهيروغليفية، وهو يعرف اللغة العربية الفصحى بشكلٍ جيدٍ، فطرحت السؤال على عالم للمصريات وهو فرنسي يتوافر فيه الشرطان المذكوران تمامًا، لقد كتبت الاسم العلم العربي أي (هامان)، ولكنني لم أفصح عن إخبار مخاطبي بحقيقة معنى النص، واكتفيتُ بإخباره أن هذا النص يعود تاريخه بشكل لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي. وكان جوابه الأول =

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤- ﴿وَمَا كُنتَ﴾: أي: وما كنت يا محمد ﷺ ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ الجبل الغربي. ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾: فرضنا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: فيما ألزمناه وقومه، وعهدنا إليهم من عهد. قيل: المراد بالأمر: التوراة التي بعث بها. ٤٥- ﴿أَنشَأْنَا﴾: خلقنا ﴿قُرُونًا﴾: أمماً ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: مقيماً ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: ولكن كنا نفعل ذلك، ونُرسل الرسل. قال ابن عطية: معنى الآيات لم تحضر يا محمد هذه الغيوب التي نخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا؛ أي فإن الواجب أن يسارَع إلى الإيمان بك. ٤٦- ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: الجبل ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾. روي أن الله عز وجل نادى: يا أمة محمد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجيب لكم قبل أن تدعوني. أخرجه النسائي والحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: ابتعثناك بما أنزلنا عليك رحمة لك، وللخلق ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ يعني: العرب. وقيل: هم أهل مكة؛ فإنه لم يأتهم نذير ينذرهم قبله ﷺ وقد كان أهل مكة مع عشيرة النبي الأقربين أول من دعاهم النبي إلى الإسلام، وأنذرهم به. ٤٧- ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾: المصيبة -ها هنا- العذاب والنقمة. ومعنى الآية: أنا لو عذّبناهم لقالوا: طال العهد بالرسل، ولم يرسل الله إلينا رسولاً. ويظنون أن ذلك عذر لهم ولا عذر لهم بعد أن بلغتهم أخبار الرسل. و«لولا» الثانية بمعنى: هلاّ. يقول الله تعالى: ولكنّا أكملنا الحجة وأزحنا العلّة بإرسال محمد ﷺ الذي جاءهم بالحق. ٤٨- ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: هو محمد ﷺ وما أنزل عليه من القرآن الكريم، ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾: أو لم تكفر اليهود الذين أعلَموا هذه الحجة قريشاً والمشركين، بما أوتي موسى من قبلك ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾: يعنون: كتاب موسى وهو التوراة، وكتاب عيسى وهو الإنجيل. وقرئ «ساحران تظاهرا» قالوا ذلك في موسى وهارون عليهما السلام، «تظاهرا»: تعاونا، أي تعاونا على السحر. وقيل: إن الضمير في «لم يكفروا» لكفار قريش، وأن المراد بالساحرين؛ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ٤٩- ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ﴾: معني الآية: قل لهم يا محمد: فأتوا بكتاب هو أهدى ﴿مِنْهُمَآ﴾: التوراة والقرآن.

[٤٦] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

[٤٦] ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٦]، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣]. الآيتان خطاب للنبي ﷺ أنه أرسل لإنذار قوم لم يأتهم مِن قبله من نذير؛ وآية القصص معناها: لعلَّ هؤلاء القوم يتذكرون الخير الذي جئتَ به أيها الرسول به فيفعلوه، والشرَّ الذي نَهيتَ عنه فيجتنبوه، وأمَّا آية السجدة فمعناها: لعلَّ هؤلاء القوم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك. [٤٧] ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [القصص : ٤٧]. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ظاهره جواز عذابهم بما قدمت أيديهم قبل إرسال الرسل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : ١٥]؟ الجواب: أن جواب "لولا" مقدر محذوف تقديره: لولا أنا إذا عذّبناهم بمعاصيهم قبل الرسل، يقولون ذلك لعذَّبناهم بها قبل الرسالة، لكن يؤخر العذاب إلى ما بعد إرسال الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، أي: بعد إبراهيم كما أرسلت إلى بني إسرائيل وفرعون، فألزمهم الحجة بقوله: أولم يكفر الذين أرسل إليهم موسى به، وقالوا: ساحران، والله أعلم. [٥٠] ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود : ١٤]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص : ٥٠]. عُدّت هذه الآية من المتشابه في فصلين: أحدهما حذف النّون من "فَإِلَّم" في سورة هود وإثباتها في غيرها، وهذا من خواص كتابة المصاحف، والثّاني جمع الخطاب فيها، وتوحيده في القصص؛ لأنَّ ما في سورة هود خطاب للكفَّار، والفعل لمن استطعتم، وما في القصص خطاب للنّبي ﷺ، والفعل للكفار.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص : ٤٤]. لماذا كرر ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بآخر الآية؟ الجواب: لأن معنى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾، أي: ما كنتَ يا محمد حاضرًا حين أحكمنا إلى موسى الوحي، ومعنى: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، أي: الحاضرين قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، فاختلفت القصتان. [٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص : ٥٢]. من صفات المؤمن: قال ابن القيم في صفات المؤمن الراغب بالآخرة: ١- هو في وادٍ والناس في واد. ٢- خاضع متواضع سليم القلب سريع القلب إلى ذكر الله. ٣-زاهد في كل شيء سوى الله تعالى. ٤-راغب في كل ما يقرب إلى الله. ٥-لا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود. ٦- لا يدخل فيما لا يعنيه ولا يبخل بما لا ينقصه.

[٤٨] ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سِحْرَانِ﴾ قرئ: (سِحْران) بكسر السين وسكون الحاء تثنية سحر على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هما سحران والضمير عائد على ما جاء به محمد وهو القرآن، وما جاء به موسى وهو التوراة، أو عائد على محمد وموسى ـ عليهما السلام ـ والكلام بتقدير مضاف، أي: ذو سحر، أو أخبر عنهما بالمصدر للمبالغة، أو بتأويله باسم الفاعل. وقرئ: (سَاحِرن) بفتح السين بعدها ألف ثم حاء مكسورة تثنية ساحر اسم فاعل من السحر، أي: هما محمد وموسى ساحران تظاهرا، فيرجع إلى معنى القراءة الأولى.

= أن هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يوجد نصٌّ يحتوي على اسم علمٍ من اللغة الهيروغليفية وله جرسٌ هيروغليفي، ويعود إلى القرن السابع الميلادي، وهو غير معروفٍ حتى الآن، والسبب أن اللغة الهيروغليفية نُسيت منذ زمن بعيدٍ جدًّا، بيد أنه نصحني بمراجعة معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة، والبحث فيه إن كان الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودًا فيه حقًّا، لقد كان يفترض ذلك، وعند البحث، وجدتُه مسطورًا في هذا المعجم كما توقعته، ويا للمفاجأة، ها أنا فضلًا عن ذلك أجد أن مهنته كما عُبِّر عنها باللغة الألمانية «رئيس عمال المقالع» ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة، إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيها زمن موسى، وتشير المهنة المذكورة في الكتابة إلى أن المذكور كان مهتمًّا بالبناء. مما يدعو إلى التفكير بالمقاربة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره «فرعون» في القرآن، وبين هذا التحديد في الكتابة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝٥٥ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝٥٩ ﴾

٥١- ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا ﴾: بينا وفصّلنا، وأتبعنا بعضه بعضاً، وبعثنا رسولاً بعد رسول، ﴿ لَهُمُ ﴾: لقومك من قريش، واليهود من بني إسرائيل، بيّن لهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع؟ ٥٢- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ ﴾: يعني: قوماً من أهل الكتاب آمنوا برسول الله ﷺ. ٥٣- ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾: مؤمنين بما جاءت به الأنبياء من الكتب، وبمبعث محمد ﷺ وصفته في كتبهم. ٥٤- ﴿ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم ﴾: يُعطون ثواب عملهم ﴿ مَّرَّتَيْنِ ﴾: بصبرهم، وثباتهم، على الكتاب الأول، وبإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، وباتّباعهم إياه حين بُعث ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾: يدفعون بحسان أعمالهم سيئاتها ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: في سبيل الله وطاعته. ٥٥- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴾: الباطل من القول. وقيل: ما ألحقه أهل الكتاب في كتاب الله؛ مما ليس منه ﴿ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾: لم يصغوا إليه ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾: أَمَنَةٌ لكم منّا، لن تسمعوا منّا ما لا تحبون ﴿ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾: مجاوبة الجاهلين ومُسابّتهم. ٥٧- ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ ﴾: يعني: كفار قريش ﴿ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾: باجتماع الناس على خلافنا، فتتخطفنا العرب، ولا طاقة لنا بهم. وهذا من جملة أعذارهم الباطلة. وأصل معنى «التخطف»: الانتزاع بسرعة، ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن ﴾: نوطّئ ﴿ لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾: بلداً حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه. ٥٨- ﴿ بَطِرَتْ ﴾: أشِرَت وطغت وكفرت بربها، «والمعيشة» منصوبة على التفسير، كما تقول: أبطرك مالُك. وقيل: المعنى: بطرت في معيشتها. والبطر: الطغيان عند النعمة، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: لم تعمر منها إلا أقلها ، وأكثرها خراب ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾: زالوا ولم يبق من نسلهم أحد. ٥٩- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾: من سنن الله تعالى أنه لا يهلك أمّة من الأمم إلا بعد بعث الرسل، وأنه لا يأخذها بسنة الهلاك هذه إلا إذا كان «أهلها» ظالمين؛ أي عمّ فيها الظلم. ولهذا قال بعض العلماء إن الظلم مؤذنٌ بفساد العمران.

[٥٦] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

[٥١] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي قال: نزلت: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ في عشرة أنا أحدهم. وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم رفاعة يعني أباه، إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا. فنزلت ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمدًا ﷺ فآمنوا، منهم عثمان وعبد الله بن سلام. [٥٢] قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الآية سيأتي سبب نزولها في سورة الحديد. [٥٦] قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية. أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني نساء قريش، يقلن: إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ وأخرج النسائي وابن عساكر في تاريخ دمشق بسند جيد عن أبي سعيد بن رافع قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أفي أبي جهل وأبي طالب؟ قال: نعم. [٥٧] قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن أناسا من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن نتبعك تخطفنا الناس، فنزلت. وأخرج النسائي: عن ابن عباس: أن الحارث بن عامر ابن نوفل هو الذي قال ذلك.

[٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود : ١١٧]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [القصص : ٥٩]. صيغة الفعل جاءت في هود مضارعًا دخلت عليه لام الجحود التي تقع بعد كون منفي، وهذا آكد في النفي من وجوه: أولًا أنه يفيد النفي في الأزمنة كلها، فإذا قلت: "ما كان محمد ليقول هذا"، دل ذلك على أن هذا ليس من شأنه لا فيما مضى ولا الآن ولا المستقبل، وإنما احتاج البيان في سورة هود إلى التوكيد، لأن الحديث عن البقية الصالحة في الأرض، والتي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود : ١١٦-١١٧]، واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالمًا لها تنزيهًا لذاته عن الظلم، وهذا بخلاف آية القصص فقد جاءت في سياق الهلاك: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص : ٥٩]، وهو سياق مغاير للسياق الأول وعلى النقيض منه، ولهذا جاءت صيغة الاسم التي تدل على الثبات والدوام، وليس في الآية صريح لفظ الظلم ينسب إلى الله سبحانه كما في هود، لذلك جاء معنى التأكيد والجحود في آية هود من أجل الظلم المذكور فيها تنزيهًا للحق جل جلاله، وليس هذا مذكورًا في القصص فلم يحتج إلى هذا التأكيد.

= ٧- صفته الصدق والعفة والإيثار والتواضع والحلم والوقار. ٨- لا يعاتب ولا يخاصم ولا يطالب ولا يرى له على أحد حقاً. ٩- مقبل على شأنه، مكرم لإخوانه، بخيل بزمانه، حافظ للسانه. [٥٤] ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فضائل وفوائد الإنفاق والصدقة: ١- تطفىء غضب الله سبحانه. ٢- تمحو الخطيئة، وتذهب نارها. ٣- وقاية من النار. ٤- المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة. ٥- في الصدقة دواء للأمراض البدنية. ٦- فيها دواء للأمراض القلبية. ٧- الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء. ٨- العبد إنما يصل حقيقة البر بالصدقة. ٩- المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك. ١٠- صاحب الصدقة يبارك له في ماله. ١١- لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما أنفقه في الخير. ١٢- الله يضاعف للمنفق أجره. ١٣- صاحب الصدقة يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة. ١٤- متى ما اجتمعت الصدقة مع الصيام واتباع الجنازة وعيادة المريض في يوم واحد إلا أوجب ذلك لصاحبها الجنة. ١٥- فيها انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته. ١٦- المنفق إذا كان من العلماء فهو بأفضل المنازل عند الله. ١٧- النبي جعل الغنى مع الإنفاق بمنزلة =

[٥٧] ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُجْبَىٰ ﴾ قرئ: (يجبى) بالتذكير لأن فاعله مؤنث مجازي، والفصل بينهما بالجار والمجرور. وقرئ: (تجبى) بالتأنيث نظرًا لتأنيث الفاعل مجازًا.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠- ﴿وَمَا أُوتِيتُم﴾: أعطيتم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: من الأموال والأولاد ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: هو متاع تمتّعون به من زينتها. ٦١- ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾: الجنة ﴿لَاقِيهِ﴾: مدركه لا محالة ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: من أهل النار الذين أحضروها. ٦٣- ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب، وهم الشياطين والغواة من بني آدم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: من ولايتهم ونصرهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾: لم يكونوا يعبدوننا. ٦٤- ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: الأنداد الذين كانوا يُعبدون في الدنيا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: يقول: يودون حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين. ٦٥- ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾: فيما أرسلوا به إليكم. ٦٦- ﴿فَعَمِيَتْ﴾: فخفيت ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ﴾: الحجج فلم يدروا بم يحتجُّون ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يسأل بعضهم بعضاً، بالأنساب، ولا ينطقون بحجة. ٦٧- ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾: «عسى» من الله واجبة على ما هو عادة الكرام، فكيف بأكرم الأكرمين سبحانه. وهي في الأصل للرجاء. ٦٨- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: يخلق الله تعالى من عباده وسائر مخلوقاته ما يشاء، ويختار لرسالته من يريد. قيل: إن سبب الآية ما تكلمت به قريش من استغرابها أمر النبي ﷺ، وقول بعضهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزخرف:٣١]. وقيل: الآية جواب لليهود حيث قالوا لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به. ٦٩- ﴿مَا تُكِنُّ﴾: تُخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يُظهرون.

[٦١] قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الآية. قال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام. وأخرج من وجه آخر عنه: أنها نزلت في حمزة وأبي جهل.

[٦٠] ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠]، ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى : ٣٦]. قوله تعالى بالقصص: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ بالواو، وفي الشورى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ بالفاءِ؛ لأنه لم يتعلق في هذه السّورة بما قبله أشدّ تعلّق، فاقتُصر على الواو؛ لعطف جملة على جملة، وتعلّق في الشُّورى بما قبلها أشدّ تعلق؛ لأنَّه عقَّب ما لهم من المخافة بما أُوتوه من الأَمَنة، والفاء حرف التّعقيب، أمّا قوله: ﴿وَزِينَتُهَا﴾ بالقصص، وحذفها في الشُّورى؛ لأنه في سورة القصص ذكر جميع ما بسط من الرزق، وأعراض الدّنيا، كلّها مستوعبة بهذين اللفظين، فالمتاع: ما لا غِنى عنه في الحياة: من المأكول، والمشروب، والملبوس، والمسكن، والمنكوح، والزينة: ما يتجمّل به الإنسانُ، والأطعمة الملينة بالدسم، وأمّا في الشورى فلم يقصد الاستيعاب، بل قصد إلى ما هو مطلوبهم في تلك الحالة: من النجاة، والأمن في الحياة، فلم يحتج إلى ذكر الزينة. قول آخر: سورة القصص ورد فيها قصة قارون الذي أعطاه الله المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، فاغتر بها، وجحد واستكبر، فناسب الآية ذكر الزينة لتحذير المؤمنين من الدنيا وغرورها، وخير شاهد ما حصل لقارون من الخسف والعذاب، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أمّا آية سورة الشورى فقد تقدمها آيات نعم الله على عباده المؤمنين، وهم لإيمانهم بالآخرة لا يغترون بزينة الدنيا، فناسب عدم ذكر الزينة وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

= القرآن مع القيام به. ١٨- العبد موفٍ بالعهد الذي بينه وبين الله، ومتممٌ للصفقة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله. ١٩- الصدقة دليلٌ على صدق العبد وإيمانه. ٢٠- الصدقة مطهرة للمال، تخلصه من الدَّخن الذي يصيبه من جراء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة... [٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ خطورة الجهل بالدين وآثاره السيئة: ١- أن الجهل بالدين وبأحكامه آفة خطيرة، وداء عظيم، يحجب عن معرفة الحق، ويبعد عن سنن الهدى. ٢- أنه يؤدي إلى الضلال، ويوقع في البدع المتعددة. ٣- أنه عامل أساس من عوامل الانحرافات التي يقع فيها المسلمون عامة، وهو سبب لكثير من مصائب الناس في دينهم، يسرعون به إلى أنواع من الضلالة. وهو الذي جعل أصحاب موسى -عليه السلام- بعد إذ نجاهم الله تعالى يطلبون من موسى أن يجعل لهم إلهًا كما للمشركين آلهة. ٤- أن الجهل إذا ساد في مجتمع من المجتمعات يصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة.
[٦٠] ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص : ٦٠]. دل ذلك على أنه بحسب عقل العبد يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله. [٦٦] ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٥]، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ﴾

[٦٠] ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قرئ: (تعقلون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم﴾. وقرئ: (يعقلون) بالغيبة على الالتفات لإسقاط المخاطبين عن درجة الاعتبار.

[٧٦] ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (الفحشاء) في القرآن (٢٤) مرة، كما ذكر لفظ (البغي) في القرآن (٢٤) مرة، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الفحشاء) مع عدد مرات ذكر (البغي)، وقد ورد كُلٌّ (٢٤) مرة في كتاب الله تعالى.
[٧٧] ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١- مبدأ التوحيد: فقد جمع الله ـ تعالى ـ أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله ـ تعالى ـ دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثًا عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ =

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٧٥) ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ (٧٦) وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧)

٧١- ﴿سَرْمَدًا﴾: دائماً لا ينقطع. ٧٣- ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: اي في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: اي في النهار بالسّعي في المكاسب. وقيل: إن الآية تعبير عن الزمان. ومعناها: أنه في هذا الوقت الذي هو ليل ونهار يقع السكون فيهما وابتغاء الفضل. ٧٤- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: ينادي الله المشركين. ٧٥- ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أحضرنا من كل أمة شهيدها، وهو نبيها الذي يشهد عليها بما اجابته امته ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حجتكم على إشراككم بالله مع إعذار الله إليكم بالرسل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: اضمحل وذهب ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون ويكذبون. ٧٦- ﴿۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: كان ابن عمه ابن اخي ابيه لأبيه وامه ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: تجاوز حده في التكبُر والتجبُر عليهم ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾: كنوز الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع: مِفْتَح؛ وهو الذي يفتح به الأبواب، ويحتمل أن يريد بها الخزائن والأوعية الكبار؛ لأن «المفتح» في كلام العرب: الخزانة والكنز ﴿لَتَنُوءُ﴾: لتثقل أو تنهض بتحامل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، وقال ابن عباس: العصبة ثلاثة: وقيل: أحد عشر حملًا على إخوة يوسف. والمعنى: أن العصبة تنوء بها ﴿تَفْرَحْ﴾: لا تبطر ولا تبغ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾: الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. ٧٧- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾: التمس بما أعطاك من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: خيرات الآخرة بالعمل بطاعة الله عز وجل ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال، ونظرك إلى عاقبة دنياك ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أحسن في الإنفاق لمالك على وجهه كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه. وأبواب الإحسان – فيما وراء المال – كثيرة.

[٦٢، ٧٤] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢، ٧٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، ومعناها: ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟ [٧١-٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢]. لماذا قدم "الليل" على "النهار" في الآية الأولى، والعكس في الثانية، وختمت الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، والثانية: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؟ الجواب: تقديم الليل على النهار جار على ما بنت العرب عليه حساب شهورها من تقديم الليل وجعل النهار تابعًا له، ولم يرد في كتاب الله تعالى على كثرة ترداده إلا ذلك، وأمّا قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، فمناسب للمدرك ليلًا من ضرب ما يعتبر به من المسموعات ، إذ الليل حائل دون المبصرات، وإنما تدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها، فجيء بما يناسب، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضًا، فقيل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، لأن المبصرات تدرك نهارًا ولا تدرك ليلًا، فجيء مع كل بما يناسب، والله أعلم. قول آخر: ختم آية الليل بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وآية النهارِ بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، لمناسبة الليل المظلم الساكنِ للسّماع، ومناسبة النهار النيِّر للإبصار، وإنَّما قدَّم "الليل" على "النهار"؛ ليستريح الإنسان فيه، فيقوم إلى تحصيل ما هو مضطر إليه من عبادةٍ وغيرها بنشاط وخفَّة، ألَا ترى أن الجنة نهارُها دائمٌ، إذْ لا تعب فيها يحتاج إلى ليل يستريح أهلُها فيه؟

= ﴿لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص:٦٦]، ما الفرق بين: "العَمَى والعَمَهُ"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاصٌّ بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبَّةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العمه) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العَمَه) للحيرة والتردد النفسي. [٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧]. التائب من الذنب كما يُسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه، فإن الله تعالى يحبه ويودُّه، ولا عبرة بقول من يقول: (إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود) فإن الله تعالى قال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. من فوائد التوبة: ١- سبب الفلاح، والفوز بسعادة الدارين. ٢- تكفر السيئات. ٣- تبدل السيئات حسنات. ٤- سبب للمتاع الحسن، ونزول الأمطار، وزيادة القوة، والإمداد بالأموال والبنين. ٥- أن الله يحب التوبة والتوابين. ٦- أن الله يفرح بتوبة التائبين. ٧- توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدون التوبة. ٨- تطهر قلوب التائبين. ٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة. ١٠- سبب في سعة الرزق...

= [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقًا في مال الغني، وليس تفضلًا من الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. [٧٧] ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن، ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة (٦٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨- ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾: يعني: الكنوز ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾: عَلِمَه الله مِنّي فرضي بذلك عني، وفضلني به عليكم لعلمه بفضلي عليكم. وقيل: على علم عندي بوجوه اكتسابه وتحصيله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: لا يسالون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها. وقيل: إن الملائكة لا تسال عن ذنوبهم؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم، والآية تهديد وتخويف. ٧٩- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: خرج قارون على قومه ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾: أكثر المفسرون في تحديد زينة قارون، وما فيها من الجواري وزينة اللباس، والمراد أنها زينة اغتر بها الأغمار، وربما انبهر بها كثير من الناس. ﴿لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: لذو نصيب من الدنيا عظيم! ٨٠- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: بالله. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: لا يوفق لقيل هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾: عن زينة الحياة الدنيا، الجدين في طاعة الله عز وجل. ٨١- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: به وبأهل داره ومن كان معه من جلسائه. وروي في خبر طويل: أنه افترى على موسى عليه السلام، فأخذه الله بعقوبة ذلك. ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾: جند يرجع إليهم. ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: يمنعونه من عذاب الله عز وجل. ٨٢- ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: تفضل الله علينا، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾: معناه: ألم تر أنه؟ ٨٣- ﴿عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تكبراً عن الخلق ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: ولا ظلماً للناس بغير الحق، وعملاً بالمعاصي ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾: الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: الخائفين الله عز وجل. ٨٤- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: بإخلاص التوحيد يوم يلقى الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ذلك الخير: الجنة ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: الشرك. ومعنى الآية عام في جميع الحسنات والسيئات، وفي جزاء الدنيا وجزاء الآخرة.

[٨٤] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]. الآيتان تبينان أنه من جاء بتوحيد الله والإيمان به وعبادته وحده، والأعمال الصالحة يوم القيامة، فله عند الله من الأجر العظيم ما هو خير منها وأفضل، وهو الجنة، وآية النمل تبين أنهم يوم الفزع الأكبر آمنون، وأمّا آية القصص فتوضح أنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون. [٨٤] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ...﴾ [القصص: ٨٤]. إنه من لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة، فهذا ما دلت عليه آية الأنعام، أمّا آية القصص: إنه من جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون.

[٨٠] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٦٧]. فضل العلم والعلماء: ١- العلم مهذب للنفوس. ٢- العلم نور البصيرة. ٣- العلم يورث الخشية من الله تعالى. ٤- طلب الاستزادة من العلم. ٥- العلم أفضل الجهاد. ٦- التنافس في بذل العلم. ٧- العلم و الفقه في الدين أعظم منة. ٨- العلم مقدم على العبادة. ٩- العلماء هم الثقات. ١٠- مديح الله تعالى للعلماء. ١١- العلماء ورثة الأنبياء. ١٢- رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة. ١٣- لا ينقطع عمل العالم بموته. ١٤- رحمة الله تتنزل على العالم والمتعلم. ١٥- بالعلم يكثر أجر العامل. ١٦- الاستغفار للعالم. ١٧- طلبة العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. ١٨- إشراقة وجوه العلماء ونضارتها. ١٩- منة الله على أنبيائه بالعلم. ٢٠- شرف الانتساب إليه. [٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]. "ويكأنَّ" أعاده بعد لاتصال كلٍّ منهما بما لم يتّصل به الآخر، و"وَيْ" قال سيبويه -كغيره-: إنها صلةٌ، وهي كلمة تدلُّ على النَّدم، وقال الأخفش: أصلها "ويكَ" و"أَنَّ" بعده منصوبٌ بإضمار "اِعْلَمْ"، أي: اِعلَمْ أنَّ الله، فعلى الأول يُوقف على "وَيْ"، وبه قرأ الكسائي، وعلى الثاني يوقف على "وَيكَ"، وبه قرأ أبو عمرو، والجمهور يقفون على "ويكأنَّ" تبعًا للرَّسم، ويجوِّزون الوقف عليه بهاء السكت. [٨٣] ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. روى ابن جرير عن علي قال: (إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾، وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به. [٨٠] ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٦٧]. من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا". رواه أحمد وصححه الألباني.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ قرئ: (لَخُسِف) بضم الخاء وكسر السين على بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل للعلم به وإقامة الجار والمجرور مقامه. وقرئ: (لَخَسَف) بفتح الخاء والسين على بناء الفعل للمعلوم وإسناده إلى ضمير الجلالة والجار والمجرور بعده في موضع نصب. قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ روي عن أبي عمرو: أنه يقف (ويك)، ويبتدئ (أنه)، وروى عن الكسائي أنه يقف (وي) على معنى التنبيه على التعجب مما عاينوا من خسف الله تعالى، ويبتدئ (كأنه)، والمشهور عنهما مثل الجماعة، ومعنى "ويكأن" أما ترى؟ ألم تعلم؟. وقيل: معناها ويلك، قال الفراء: هي كلمة استعملت للتقرير غير مفصولة بمعنى ترى، وقال الأخفش: معناه أولا ترى؟ ألم تر؟ أصلها عند الخليل (وي) منفصلة عن كأن، كأنهم كانوا في غفلة فانتبهوا فقالوا: وي كأنَّ الله، قال قطرب: العرب تقول: وي ما أعقله، والصواب فيها اتباع الخط، وأن لا يفصل بعضها عن بعض.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٨٥- ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أعطاكه وأنزله عليك، وقال الزجاج: فرض عليك العمل بما يوجبه القرآن. وتقدير الكلام: فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: لمصيرك إلى الجنة. وقيل: إلى الموت. وقيل: باعثك بعد الموت. ٨٦- ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: أن يُنزل عليك هذا القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليكم ﴿ظَهِيرًا﴾: عوناً لمن كفر. ٨٧- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾: يَصْرِفُنَّك عن تبليغ آيات الله وحُججه؛ أي بأقوالهم وكذبهم وأذاهم، فلا تلتفت نحوه وامض لشأنك.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

١، ٢- ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾: أظن الذين جزعوا من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء، بأن قالوا: آمنا ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا يبتلون! كلا لنختبرنهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب. وقد نزلت الآية في بعض المسلمين الذين عذبوا في الله تعالى. وقال ابن عطية: ولكن حكمها موجود بقية الدهر؛ وذلك أن الفتنة باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو، وغير ذلك من وجوه الفتنة في ديار المسلمين. ٣- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من المؤمنين مع الأنبياء في سالف الدهر؛ أي أن هذه هي سنة الله تعالى في عباده. ٤- ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذين يشركون بالله ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أن يفوتونا بأنفسهم، ويُعجزونا، فلا نقدر عليهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء حكمهم الذي يحكمون به. ٥- ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾: الذي أجّله لبعث خلقه. ٦- ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: أي: ثواب ذلك له لا لغيره، وليس بالله عز وجل إلى فعله ذلك حاجة.

[٨٨] **معنى اسم الله الإله**: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أنَّ ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٨٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾. [١-٢] قوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ الآية. قال أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية فكتبوا إليهم: أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحدٌ قاتلناه. =

[٨٥] ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ [القصص:٣٧]، ﴿رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾ [القصص : ٨٥]. الآية الأولى جاءت على الأصل، والثانية جاءت بالحذف اكتفاء بدلالة الأولى عليه. [١] ﴿الم﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. تكررت هذه الآية ﴿الم﴾ في أوائل ست سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت : ٤]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية : ٢١]. بل أظنَّ الذين يعملون المعاصي من شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم؟ بئس حكمهم الذي يحكمون به، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الجاثية: بل أظنَّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذَّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله، وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونساويَهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار في الآخرة.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٨٨]. **من فوائد التوحيد**: ١- التوحيد سبب في انشراح الصدر. ٢- من حقق التّوحيد دخل الجنّة بغير حساب ولا عذاب. ٣- يمنع الخلود في النّار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبّة من خردل، وإذا كمل في القلب يمنع دخول النّار بالكليّة. ٤- به تغفر الذّنوب وتكفّر السّيئات. ٥- هو السّبب الأعظم لتفريج كربات الدّنيا والآخرة. ٦- يحترز به من الشّيطان. ٧- يدفع شرّ الحاسد. ٨- الموحّدون يشفع لهم الرّسول ﷺ. ٩- الموحّدون يشفعون بإذن اللّه لذويهم يوم القيامة، ممّا يدلّ على عظيم مكانتهم عند اللّه. ١٠- يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التّامّ في الدّنيا والآخرة. ١١- السّبب الأساسيّ لنيل رضا اللّه وثوابه. ١٢- أنّ جميع الأعمال والأقوال الظّاهرة والباطنة متوقّفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثّواب عليها على التّوحيد. ١٣- أنّه يسهّل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، ويسلّيه عن المصيبات. ١٤- بالتّوحيد يحرم مال الموحّد ودمه. ١٥- إذا كمل في القلب حبّب اللّه لصاحبه الإيمان وزيّنه في قلبه وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان. ١٦- أنّه يخفّف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام. ١٧- يحرّر العبد من رقّ المخلوقين والتّعلّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العزّ الحقيقيّ والشّرف العالي. ١٨- إذا تحقّق تحقّقًا كاملًا تضاعف به الأعمال. ١٩- تكفّل اللّه لأهله بالفتح والنّصر في الدّنيا، والعزّ والشّرف وحصول الهداية والتّيسير لليسر وإصلاح الأحوال. ٢٠- يدفع اللّه تعالى عن الموحّدين شرور الدّنيا والآخرة، ويمنّ عليهم بالحياة الطّيّبة والطّمأنينة بذكره. ٢١- التّوحيد الخالص يدفع الرّياء والغلّ وغيرهما من كبائر الباطن. ٢٢- الصّلاة، والصّدقة من الأبناء لا تنفع سوى الموحّدين. [٥] ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت : ٥]. لما علم الله سبحانه أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلقائه ضرب لهم أجلًا للقاء تسكينًا لقلوبهم فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾.

نزول سورة العنكبوت: نزلت بعد سورة الروم، وهي مكيَّة إجماعاً. **عدد كلمات سورة العنكبوت**: تسعمائة وثمانون. **عدد حروف سورة العنكبوت**: أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون. **أسماء سورة العنكبوت**: سمّيت سورة العنكبوت؛ لتكرُّر ذكره فيها ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ =

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: اي: باحسن جزاء اعمالهم، وقيل: بجزاء احسن اعمالهم، والمراد بـ«احسن» مجرد الوصف لا التفضيل. وقيل: يعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن منه. ٨- ﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: بمعنى: أن يفعل حسناً. ﴿جَاهَدَاكَ﴾: طلبا منك والزماك أن تشرك بي. ٩- ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: في مدخل الصالحين. وذلك: الجنة. ١٠- ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: آذاه المشركون، لأجل إيمانه بالله، والعمل بما أمر به. ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: أذاهم وإضرارهم به، فارتد عن دينه ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: في الآخرة. ١١- ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: اي: ليميزن الله بين الطائفتين، ويظهر إخلاص المخلصين، ونفاق المنافقين. ١٢- ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: كونوا على ما نحن عليه. فإن كان عليكم شيء فهو علينا، تكذيباً منهم بالبعث والثواب والعقاب! ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾: اي: إن كان اتباع سبيلنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور!! فلنحمل ذلك عنكم، فنؤاخذ به دونكم. ١٤- ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: بقي نوح يدعو قومه هذه المدّة المديدة. ولم يقل: تسعمائة سنة وخمسين، لأن في الاستثناء تحقيق العدد، بخلاف الثاني فقد يطلق على ما يقرب منه. وفيه إشارة إلى معاناة نوح الشديدة من قومه، لأن من معاني «السنة» في كلام العرب الجدب والقحط، يقال: أصابتهم سنة. ومنه حديث النبي ﷺ في الدعاء على قريش: «واجعلها عليهم سنين كسنيٍّ يوسف» متفق عليه. فأُخذوا بالجوع.

= فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠] الآية. واخرج عن قتادة قال: انزلت ﴿الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ في اناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون، فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا، فقتل من قتل، وخلص من خلص. فنزل القرآن ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية. واخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد عن ابن عمير قال: نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ الآية. [٨] قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ الآية. اخرج مسلم والترمذي، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا اطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، فنزلت ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية. [١٠] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية. تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. الجمهور على أنَّ الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "وهو سعد بن أبي وقَّاص" وأنَّها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسنًا"؛ لأنَّ قوله بعده: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حمله" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٧]، فإنَّه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾، أي: ألزمناه "حسنًا" في حقِّهما، وقيامًا بأمرهما، وإعراضًا عنهما، وخلافًا لقولهما إن أمرَاهُ بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حمله ووضعه. [٨] ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ [العنكبوت: ٨]، ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ [لقمان: ١٥]. ما في سورة العنكبوت وافق ما قبله لفظًا، وهو قوله: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأنَّ التقدير: وإن حملاك على أن تشرك.
[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ ...﴾ [العنكبوت: ١٢]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ ...﴾ [الأحقاف: ١١]. وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدَّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمَّا آية الأحقاف: وقال الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمدًا على ما جاء به خيرًا ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق، فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. من فوائد بر الوالدين: ١- كمال الإيمان وحسن الإسلام. ٢- من أفضل العبادات وأجل الطاعات ٣- طريق موصل إلى الجنة. ٤- الزيادة في الأجل والنماء في المال والنسل. ٥- رفع الذكر في الآخرة وحسن السيرة في الناس. ٦- من بر آباءه بره أبناؤه والجزاء من جنس العمل. ٧- من حفظ ود أبيه لا يطفئ الله نوره. ٨- برالوالدين من أحب الأعمال إلى الله. ٩- رضا الله فى رضا الوالدين. ١٠- الوالدان أحق الناس بالمعاملة الحسنة. ١١- بر الوالدين أفضل من الجهاد. ١٢- إذا كنت باراً فأنت حاج ومعتمر ومجاهد. ١٣- الجنة تحت اقدام الأمهات. ١٤- بر الوالدين يجعل لك بابين مفتوحين من الجنة.١٥- انشراح الصدور. ١٦- إجابة الدعاء. ١٧- تقبل العمل. ١٨- كفارة عظيمة للذنوب. ١٩- تفريج الكربات. ٢٠- الدعاء الصالح المستجاب من الوالدين. [٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩]. ومن لطيف مناسبة هذا الظرف في هذا المقام أن المؤمن لما أُمر بعصيان والديه إذا أمراه بالشرك، كان ذلك مما يثير بينه وبين أبويه جفاء وتفرقة، فجعل الله جزاء عن وحشته تلك التفرقة أنسًا يجعله في عداد الصالحين يأنس بهم. [١٤] ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: ١٤]. ما الفرق بين كلمة "سنة" و"عام" و"حول". الجواب: كلمة "سنة" تستعمل في القرآن الكريم أحيانًا للقحط والتعب والشدة وطول المدة، مثلما جاء في آية الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ويقال أسنت الناس أي أصابهم قحط، وكذلك في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فالآية تعني ألف سنة فيها شدة وتعب، وارتاح منها خمسين سنة فقط، أمَّا كلمة "عام" فهي بمعنى الخصب والرخاء وقصر المدة، مثلما جاء =

= [العنكبوت: ٤١]. مواضيع سورة العنكبوت: معظم مقصود السّورة: توبيخُ أهل الدّعوى، وترغيبُ أهل التّقوى، والوصيّة ببرِّ الوالدين للأبرار، والشكاية من المنافقين في جُرأتهم على حَمل الأوزار، والإشارة إلى ابتلاء نوح والخليل، لتسلية الحبيب، وهجرة إبراهيم من بين قومه إلى مكان غريب، ووعظ لوط قومَه باختيار =

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

١٥- ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: من معه في السفينة من أولاده وأتباعه. ١٧- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾: مُثُلاً وأصناماً لا تضر ولا تنفع ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تصنعون كذباً. سمّى نحت الأصنام وصنعها «إفكاً» توسعاً، من حيث يُفترى بها الإفك في أنها آلهة. ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: أي اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله، فهو الذي عنده الرزق كله، فاسألوه من فضله، ووحدوه دون غيره. ١٩- ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾؟: كيف يستأنف الله خلق ابن آدم طفلاً صغيراً، ثم غلاماً يافعاً، ثم رجلاً مجتمعاً، ثم كهلاً؟ «ثم يعيده» بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً. ٢٠- ﴿كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾؟: كيف أنشأ الأشياء. وأحدثها ابتداءً؟ وكذلك لا يتعذّر عليه إنشاؤها مُعيداً ﴿يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: الحياة بعد الموت. ينبه سبحانه بهذه الآية على أن من أوجد الحياة من عدم قادر على إعادتها مرة أخرى. وآفاق النظر الذي دعت إليه الآية، على صعيد الجغرافية والتاريخ أوسع ما يطمح إليه عالم. ٢١- ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تُرَدُّون. ٢٢- ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: بمعنى: ولو كنتم في السماء، وقيل: ولا من في السماء بمعجزين الله فيها، أي: إن عصوه. ٢٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آياته التنزيلية أو التكوينية، أو جميعهما ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾: كفروا بلقاء الله، أي أنكروا البعث وما بعده.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت : ٢١]. لماذا قدم ذكر العذاب على الرحمة في هذه الآية؟ **الجواب**: الآية في سياق إنذار إبراهيم عليه السلام لقومه، ومخاطبة النمرود وأصحابه، وأن العذاب وقع بهم في الدنيا، فناسب تقديم العذاب هنا.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت : ٢٢]. قدّمت الأرض على السماء في هذه المواضع: [آل عمران : ٥، يونس : ٦١، إبراهيم : ٣٨، طه : ٤، العنكبوت : ٢٢]، وعَكَسَ الغالب في سائر الآيات؛ لأن المخاطبين في الخمس كائنون في الأرض فقط، بخلافهم في غيرها، كذا قيل.

[٢٢] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت : ٢٢]، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى : ٣١]. "ما" في سورة العنكبوت خطاب للنمرود حين صعد الجو موهِمًا أنه يحاول السّماءَ، فقال إبراهيم له ولقومه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: من في الأرض: من الجنّ، والإنس، ولا مَن في السّماءِ: من الملائكة، فكيف تُعجزون الله. وقيل: ما أنتم بفائتين عليه، ولو هَرَبتم في الأرض، أو صعدتم في السّماءِ فقال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها، وما في الشورى خطاب للمؤمنين، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يدل عليه، وقد جاء: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر : ٥١] من غير ذكر الأرض ولا السّماءِ.

= في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف : ٤٩]، وكلمة "حول" يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع، فمعناه يختلف عن معنى السنة، ويختلف كذلك عن معنى العام، لأن السنة والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث أو الفعل، وليس شرطًا أن يكون الحدث أو الفعل مستمرًا خلالها، أما الحول فيكون الحدث أو الفعل فيه مستمرًا بدون انقطاع، مثلما جاء في سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة : ٢٤٠]، وهي تعني أن يكون المتاع طوال العام مستمرًا بدون انقطاع. [١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]. إن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر من يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليخلص النفوس بكِير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص، ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة. [١٩] ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس : ٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [العنكبوت : ١٩]. ما الفرق بين: "يبدأ ويُبدئ"؟ **الجواب**: وردت كلمة (يبدأ) ست مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤]. بينما لم ترد كلمة (يُبدئ) إلا مرة واحدة.. في مثل هذا السياق، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٩]. فما الحكمة من ورود الصيغتين معًا في القرآن الكريم؟ إذا نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه كلمة (يبدأ) وجدنا أنه يُشير إلى الخلق الأول.. لأنه يذكر فيه خلق السماوات والأرض. ففي سورة يونس ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] وقد سبقت هذه الآية كلمة (يبدأ) في الآية التالية.. مما دلَّ على أن المقصود منها الخلق الأول... وهكذا في المواضع الخمسة الأخرى. أما السياق الذي وردت فيه كلمة (يُبدئ) فنجد أن المعاني التي سبقتها تشير إلى الخلق الثاني، كما في قوله =

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ قرئ: (تروا) بالخطاب لمناسبة قوله قبل: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ وقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وكذا ما بعده، فجرى ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟﴾ على الخطاب لأنه في سياق خطاب مقرر، والمخاطب بذلك قوم إبراهيم لتقدم خطابه لهم، وقيل: هو خطاب للمشركين، والمعنى: "قل لهم يا محمد أولم تروا كيف يبدئ الله الخلق؟" ولا يحسن أن يكون خطابًا للمؤمنين لأنهم لم يكونوا في شك من البعث؛ والمخاطب هم أهل مكة. وقرئ: (يروا) بالغيبة على أن الضمير عائد إلى الأمم السابقة في "قوله" فقد كذب أمم من قبلكم، أي: أو لم ير هؤلاء المكذبون كيف يبدئ الله الخلق... إلى آخره؟ ويمكن أن يكون التقدير: أو لم يروا ما قصصنا عليهم من قصص الأمم السالفة كيف يبدئ الله الخلق؟ [٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ في لفظ النشأة هنا وحيث وقع قراءتان، الأولى: (النشْأة) بسكون الشين بعدها همزة. الثانية: (النشَاءة) بفتح الشين ثم ألف بينها وبين الهمزة، وهما لغتان في مصدر نشأ ينشأ نشأة ونشاءة كالرأفة والرآفة، والكأبة والكآبة، وقيل: النشأة من غير مد اسم المصدر كالعطاء، والنشاءة بالمد المصدر كالإعطاء يدل على المدة الثانية في الخلق.

= الخُبْث، أي اختيار الذكران وإتيانهم، وعدم اتِّعاظهم، وإهلاك الله إيَّاهم، والإشارة إلى حديث شُعيب، وتعيير عُبَّاد الأصنام، وتوبيخهم، وتمثيل الصَّنم ببيت العنكبوت، وإقامة حُجَج التوحيد، ونهي الصّلاة عن الفحشاءِ والمنكر، وأدب الجدال مع المنكرين، والمبتدعين، وبيان الحكمة في كون رسولنا ﷺ أميًّا، والخبر عن =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٥- ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: يتحابُّون على عبادتها، ويتواصلون عليها. ٢٦- ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ آمن لوط بإبراهيم وصدّقه فيما جاء به. ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾: من دار قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: منازل أرض الشام وهو قول إبراهيم عليه السلام. وقيل: هو قول لوط وقد هاجرا من قريتهما في أرض بابل. ٢٧- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾: ثواب بلائه فينا بالثناء الحسن، والولد الصالح. ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾: لم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من صلبه، والكتاب: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن. ٢٩- ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: طريق المسافرين عليهم. ذُكر أنهم كانوا يفعلون بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء الفاحشة. ﴿فِى نَادِيكُمُ﴾: بمجالسكم ومجتمعكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾: قيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم. وقيل: كانوا يحذفون من مرَّ بهم في الطرق، يضربونهم بالحصباء ويستخفون بهم. وقيل: كانوا يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم!

[٢٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٢٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت:٤٤]. الآية الأولى في سياق قصة إبراهيم عليه السلام وهي آية لقومه، وللأمم من بعده، فناسب الآية الجمع: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ولهذا قال: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، فجعل الفعل مضارعًا ليدل على تجدد الإيمان، وأمّا إفراد: ﴿لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فلأن المراد أمة محمد ﷺ، وهي آخر الأمم، فجاءت الآية واحدة لأمة واحدة. قول آخر: الآية الأولى إشارة إلى إثبات النبوّة، وفي النَّبيِّين صَلوات الله وسلامه عليهم كثرة فجمع، والآية الثَّانية إشارة إلى التَّوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له. [٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ...﴾ [الأنعام : ٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٢]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ...﴾ [العنكبوت : ٢٧]. الآيات الثلاث تتحدث عن منَّة الله على إبراهيم عليه السلام بأن رزقه الله إسحاق ابنًا ويعقوب حفيدًا، وآية الأنعام تبين أن الله قد وفق كلًّا منهما لسبيل الرشاد..، أمّا آية الأنبياء فتوضح أن كلاً من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعله الله صالحًا مطيعًا له، وأمّا آية العنكبوت فتبين أن الله جعل في ذرية إبراهيم الأنبياء والكتب... [٢٨] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ [العنكبوت : ٢٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ﴾ [الأعراف : ٨٠، النمل : ٥٤]. قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف : ٨٠] بالاستفهام، وهو استفهام تقريع وتوبيخ وإنكار، وقال بعده: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [الأعراف : ٨١]، فزاد مع الاستفهام "إنَّ"، لأن التقريع والتَّوبيخ والإنكار في الثاني أكثر، ومثله في النَّمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ﴾ [النمل : ٥٤]، وبعده: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [النمل : ٥٥]، وخالف في العنكبوت فقال: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ [العنكبوت : ٢٨]، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت : ٢٩]، فجمع بين "إنَّ" و"أئن" وذلك لموافقة آخر القصّة، فإنَّ في الآخر: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت : ٣٣]، و﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٣٤].

= تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٩]. وهكذا... دلّت كل كلمةٍ من الكلمتين على معنى خاص في موضعها... فكانت أفضل من أي كلمةٍ أخرى في موضعها.. ولا يسوغ تبديل أي منهما مكان الأخرى... [٣٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. ما الفرق بين: "نَجَّى وأنجى"؟ الجواب: وردت كلمة (نجّى) سبعًا وثلاثين مرة، بينما وردت كلمة (أنجى) عشرين مرة. يرجع الفرق بين (نجّي) و(أنجى) إلى سببين: ١- أن التشديد في كلمة (نجّى) يدل على الكثرة والمبالغة (أي التوكيد) مثال: قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. فهذا الموضع لا يستدعي توكيدًا، فالإخبار هنا عن إنجاء الله تعالى للوط وأهله عندما عزم قومُه على إخراجه وأهله من قريتهم، فهو إخبارٌ عامٌّ لا يلزمه التوكيد. أما في سورة العنكبوت: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. فهنا أتى التعبيرُ طمأنة لإبراهيم عليه السلام (الذي خاف عليه السلام) عندما أخبرته الملائكة أنهم مرسلون لإهلاك قرية قوم لوط، فجاء التعبير مؤكدًا لهذا باللام والتشديد في كلمة (لننجينه). ٢- تأتي (أحيانًا) كلمة نجّى مسبوقة أو متبوعة بكلمات مشددة مثلها. كقوله تعالى: في سورة فصلت ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية ١٨] سبق كلمة (نجّى) بكلمات (فُصِّلت-زيَّنا) وبعدها (فزيّنوا). - كما تأتي =

[٢٥] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ فيه ثلاث قراءات: الأولى: (مودةً بينكم) بنصب "مودة" وتنوينه، ونصب "بينكم" ووجههما أن مودة مفعول لأجله أو مفعول ثان للفظ اتخذوا، والأول: أوثانا، و"بين" بالنصب ظرف مكان متعلق بمودة أو بمحذوف، وجعل "ما" كافة "لإن" عن العمل فلم يحتج إلى إضمارها، والمعنى: (اتخذتم الأوثان للمودة). الثاني: (مودةَ بينِكم) بالنصب كذلك لكن بدون تنوين وخفض "بين"، ووجه ترك التنوين في "مودة" والخفض في "بين" الإضافة على التوسع. الثالثة: (مودةُ بينِكم) برفع "مودة" وخفض "بين" على أن "ما" في (إنما) اسم "إن" وأضمر ها مع اتخذتم، والخبر: هو مودة بينكم، وجملة الاسم والخبر صفة لـ (أوثانًا)، وإن اعتبرت "ما" الموصولة اسمًا لإن "فمودة" خبر بتقدير مضاف، أي: ذات مودة، وأما وجه ترك التنوين وخفض "بين" فكما سبق، على الاتساع في الإضافة.

[٢٥] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

[٢٥] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة. وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن الكريم. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم.

= استعجال الكفار العذاب، وأن كلَّ نفس بالضرورة مَيِّتة، ووعد المؤمنين بالثواب، وضمان الحقِّ رزق كلِّ دابة، وبيان أنَّ الدنيا دارُ فناءٍ وممات، وأن العُقبى دار بقاءٍ وحياة، وبيان حُرمة الحَرَم وأمنه، والإخبار بأنَّ الجهاد بثمن الهداية، وأن عناية الله مع أهل الإحسان، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ...﴾ [العنكبوت : ٦٩].

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٣١- ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: أي البشارة بالولد، وهو إسحاق، وبولد الولد، وهو يعقوب. ﴿ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾: قرية سدوم التي كان فيها قوم لوط. ٣٢- ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: من الذين أبقتهم الدهور، وتطاولت أعمارهم، فإنها هالكة مع قومها. و«الغابر» لفظ مشترك بين الماضي والباقي. ٣٣- ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾: من الملائكة ﴿لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾: ساءه أن يُضيِّفهم، مخافةً عليهم من شرّ قومه. و«أن» للتأكيد. ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ أي عجز عن تدبيرهم وحزن وضاق صدره. ٣٤- ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: عذاباً ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾: يأتون من معصية الله عز وجل. ٣٥- ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾: عبرة وموعظة، وقيل: المراد: الآثار التي بها من الحجارة التي رُجموا بها وخراب الديار. ٣٦- ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾: لا تكثروا في الأرض معصية الله تعالى، ولا تقيموا عليها. ٣٧- ﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾: رجفة العذاب، أي الزلزلة ﴿جَٰثِمِينَ﴾: جثوماً، بعضهم على بعض موتى. ٣٨- ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾: خرابها، وخلاؤها، لوقائعنا بهم ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن الهدى ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾: في دينهم وضلالتهم معجبين بها، يحسبون أنهم على هدى، ويرون أن أمرهم حق. وقيل: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم.

[٢٦] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٢٦] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله، خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك، ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٦] شرح اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات، وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟...

[٣٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. "لمّا" تقتضي جوابًا، وإذا اتصلت بها "أن"، دل ذلك على أن الجواب اكتمل ووقع في الحال من دون تراخ، وهذا ما حصل في آية العنكبوت، فالجواب قوله: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾، ومثل هذه الآية ما ورد في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]، أمّا آية هود فالحديث فيها متصل آية بعد آية إلى خمس آيات، فبَعُد عن الجواب، فحسن الحذف. [٣٦] ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: ٣٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤]. قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾ هو عطف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ﴾ [العنكبوت: ١٤]. [٣٧] ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨، ٩١، العنكبوت: ٣٧] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ أي: الزَّلزلة الشَّديدة، وأمّا ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل التي أهلكتهم. [٣٨] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. آية النمل تتحدث عن قوم سبأ، وتبين أن الشيطان قد حسَّن لهم أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله وتوحيده، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده وعبادته وحده، وأمّا آية العنكبوت فتتحدث عن عاد وثمود وما حل بهم، وذلك بسبب تحسين الشيطان لهم أعمالهم القبيحة، فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.

= ((أحيانًا) كلمة (أنجى) مسبوقة أو متبوعة بأفعال متعدية بالألف، مثال: في سورة النمل [الآية ٥٧] ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أُتبعت كلمة (أنجى) بالأفعال (أمطرنا- أنزل- أنبتنا). إلا أن السبب الثاني (هذا الذي نحن بصدده) ليس مطّردًا في القرآن كله؛ لذا يمكن الاستئناس به في بعض ألوان السياق، لا في كل ألوان السياق. [٣٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. ما الفرق بين: "مبصرون، مستبصرين"؟ الجواب: وردت كلمة (مبصرون) =

[٣٨] ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩- ﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾: سابقينا بأنفسهم، فيفوتوننا، بل كنا عليهم قادرين. يقال: سبق طالبه: إذا فاته. وقيل: وما كانوا سابقين في الكفر، بل قد سبقهم فيه أناس من أمم شتى. ٤٠- ﴿حَاصِبٗا﴾: يعني: قوم لوط، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار والثلج والبَرَد: حاصباً ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: ثمود وقوم شعيب ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾: قارون وأصحابه ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: بتصرُّفهم في نعمِ الله، وعبادتهم غيره. ٤١- ﴿ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا﴾: كيما يكنّها، فلم يغن عنها شيئاً، لا في حر ولا قر ولا مطر كذلك ما اتخذوه ولياً من دون الله، فإنه لا ينفعهم ولا يغني عنهم شيئاً.﴿أَوۡهَنَ﴾: أضعف. ٤٢- ﴿مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾: يعني أن الله يعلم الذين تدعونهم من دونه. ٤٣- ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾: بالله وآياته. ٤٤- ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالعدل والقسط، وليدل على سلطانه، وينصب لعباده الدلائل ويصنع لهم الشرائع. ٤٥- ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾: الفحشاء: ما قبح من العمل، والمنكر: ما لا يعرف في الشريعة. والمعنى أن الصلاة سبب للمنع عن معاصي الله، والابتعاد عنها. ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾: معناه: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه، لأنه عز وجل يقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]. وقال ابن عطية: وعندي أن المعنى: ولذكر الله أكبر على الإطلاق، أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة. لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكرٍ لله مراقب له. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾: في صلاتكم، من إقامة حدودها وترك ذلك، وغيره من أموركم. الآية عامة.

[٣٩] ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [العنكبوت : ٣٩]، ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر : ٢٤]. ما سبب اختلاف ترتيب ذكر فرعون وهامان وقارون في الآيتين؟ الجواب: أنه لما قال: ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [العنكبوت : ٣٩]، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراه، وقرابة موسى، ومعرفته، فناسب تقديم ذكره واسمه عليهم، وفي سورة غافر كان سياق الرسالة إلى قارون، ولمخالفته وعداوته ذكر بعد فرعون وهامان وهلاكهما. [٤٣] ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٣]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١]. وهذه الأمثال نضربها للناس؛ لينتفعوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمَّا آية الحشر: وتلك الأمثال نضربها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. [٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٤٤]، ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ ...﴾ [الجاثية : ٢٢]. خلق الله السماوات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرده بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين؛ لأنهم الذين ينتفعون بذلك، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمَّا آية الجاثية: وخَلَق الله السماوات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر... [٤٥] ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف : ٢٧]، ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ...﴾ [العنكبوت : ٤٥]. واتل أيها الرسول ما أوحاه الله إليك من القرآن، فإنه الكتاب الذي لا مبدِّل لكلماته لصدقها وعدلها، ولن تجد من دون ربك ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به، فهذا ما دلت عليه آية الكهف، أمَّا آية العنكبوت: اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات...

= وكذلك كلمة (مستبصرين) مرة واحدة. (مبصرون) جمع لاسم الفاعل من الفعل أَبْصَر يُبصِرُ فهو مبصرٌ وهم مبصرون. والفعل أبصر: من الإبصار (أي بالعين) بينما الفعل بَصُر: من البصيرة (لا من البصر). جاءت كل من الكلمتين متسقة مع الفواصل المجاورة: فكلمة (مبصرون) جاءت مع الفواصل (صادقين- تنظرون- الصالحين- يبصرون- الجاهلين- عليم- (مبصرون)- يقصرون- يؤمنون- ترحمون). وكلمة (مستبصرين) جاءت مع الفواصل: (يفسقون- يعقلون- جاثمين- (مستبصرين)- سابقين- يظلمون).

[٤٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالغيبة على الأصل لعود الضمير على الموصول في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ وقرئ: (تدعون) بالخطاب للمشركين على الالتفات لأنه أشد في التوبيخ، وحسن ذلك لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد، فإذا جرى الكلام على لفظ الخطاب كان أبلغ في الوعظ والزجر لهم.

[٤٠] ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [٤١] ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ بيت العنكبوت: هذه الآية أثارت فضول بعض العلماء فقام بإجراء دراسة على خيوط العنكبوت فوجد أن خيوطه أقوى من الفولاذ لو كان بحجمه، فما هو سبب الوهن إذًا؟ قام هذا العالم بدراسة طبيعة البيت العنكبوتي من الداخل، فوجد أن الذكر بعد أن يقوم بتلقيح الأنثى تقوم الأنثى بافتراسه، وتتغذى على لحمه طيلة فترة الحضانة للبيض، وبعد أن يفقس البيض تتغذى اليرقات على أضعفها، ثم بعد أن يقوى ويشتد عود ما تبقى من الصغار تقوم بأكل أمها؛ لأنها أصبحت أضعف الموجودين، ثم يلقح الذكر الأنثى ثم تقوم بأكله، وهكذا دواليك، ومن هنا فإن الضعف في بيت العنكبوت في ضعف الترابط الأسري بين أعضائه.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ (٤٨) بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٩) وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥١) قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٥٢) ﴾

٤٦- ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: أي المجادلة بالحسنى وبالجميل من القول والدعاء إلى الله عز وجل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: استثنى من ظلم منهم المؤمنين، إما بفعل أو بقول، وإما بإذاية محمد ﷺ -والسورة مكية- فهؤلاء لا بأس بالإغلاظ عليهم، والتخشين في مجادلتهم. ٤٧- ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: من قبلك من بني إسرائيل ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾: يصدقون به، أي بالقرآن. ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾: الذين بين ظهرانيك اليوم، منهم من يؤمن به، كعبد الله بن سلام، ومن آمن برسول الله ﷺ من بني إسرائيل ﴿وَمَا يَجۡحَدُ﴾: ينكر. والجحود: إنما يكون بعد المعرفة. وقيل: المراد بـ«الذين آتيناهم الكتاب» الذين كانوا بمكة من اليهود والنصارى. وبقوله: «ومن هؤلاء» مشركو قريش. وهذا معناه أن أهل الكتاب الذين كانوا في مكة قد دخلوا جميعاً في الإسلام. وكان عددهم قليلاً. ٤٨- ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾: لشك ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: القائلون: إنه سجع وكهانة، والمعنى: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط، أو القراءة والكتابة، لقالوا: لعله أخذ ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة، أو من الكتب المدوّنة في أخبار الأمم. ٤٩- ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾: يعني القرآن ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: أي المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهد النبي ﷺ، وبعده كذلك. وقيل: عنى به النبي ﷺ فمعنى الكلام: بل معرفة أهل الكتاب من كتبهم: أن محمداً لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أميّ: آيات بينات على نبوته في صدورهم. ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله. ٥٠- ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: قد أبان لكم إنذاره.

[٥١] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي ﷺ «كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم، إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم» فنزلت ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

[٤٧، ٤٩] ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٧]، ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٩]. الظلم وإن كان يطلق على الكفر، وعلى ما دونه قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٤]، فإنه إذا ذكر بعد الكفر ووصف به من قد وصف بالكفر، فهو زيادة مرتكب على الكفر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴾ [النساء : ١٦٨]، وعلى هذا ورد في القرآن. [٥٠] ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام : ٣٧]، ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العنكبوت : ٥٠]. لما تقدم قبل آية الأنعام ذكر دلائل من خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، والتنبيه بحال من كذب وعاند، إلى ما تبع ذلك من الآيات التي يحتاج فيها إلى النظر، وإعمال الفكر والاعتبار، وكان مظنة لتغييظ الجاحد، فطلبوا آية تبهر.. فافتتحوا فيما ذكره سبحانه عنهم بأداة لولا التحضيضية حرصًا على ما طلبوه، وأتوا بالفعل مضعفًا لما أرادوه من التأكيد، فقالوا: نزّل، وأفردوا آية لما قصدوه من أنه ﷺ ما جاءهم بآية واحدة من الضرب الذي طلبوه، وهذا مناسب. أمّا آية العنكبوت فلم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف. أمّا جمع آيات فلأنه تقدمها ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾[العنكبوت : ٤٩]، وتأخر بعدها: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ٥٠]، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف هذه الجموع توحيد آية. [٥٢] ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء : ٩٦]، ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٢]. في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته فقال عز وجل: ﴿ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾، لذا اقتضى أن يُقدّم صفته ﴿ شَهِيدَۢا ﴾ على ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾، لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾، على ﴿ شَهِيدٗا ﴾.
قول آخر: جاءت آية الإسراء بتقديم ﴿ شَهِيدَۢا ﴾ على ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾، وفي العنكبوت بالعكس؛ لأن آية الإسراء جاءت على الأصل من تقديم المفعول، وما في العنكبوت جاء على خلاف الأصل، ليتّصل وصف الشهيد به، وهو قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. كان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه بكى، ويقول لست من العالمين. ضرب الأمثال في القرآن: ضرب الله الأمثال للناس في القرآن ليبرز لهم المعاني في صور حسية متمثلة في أشخاص بعينهم، وإخراج الألفاظ الخفية إلى الجلية، وتقريبها إلى الأذهان في صورة قريبة، كتحقيق أمر أو إبطاله، أو تأتي مشتملة على بيان تفاوت الأجر بالمدح والذم، والثواب والعقاب، فتزيد المعاني دقة ووضوحاً في الأذهان... فائدة ضرب الأمثال في القرآن: ١- إن الأمثال تكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر كما في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[الأنبياء:١٨]، فهنا صوّر القرآن للذهن الحق بقذيفة ثقيلة تُرمى على الباطل الهشّ الواهي فيرديه جثة هامدة. ٢- القرآن يستعمل أسلوب التشبيه للترغيب أو الترهيب، وذلك ليقرر الأمر المرغب فيه كي تُقبل النفس عليه، ويبين المرهب منه كي تنفر النفس منه، استمع إليه وهو يرغب المؤمنين كي تلتئم وتلتحم صفوفهم في الجهاد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[الصف:٤]، ولم يكتف بذكر كلمة "بنيان" فحسب، وإنما هو بنيان قد رُصّ بعضه فوق بعض، لئلا تبقى فيه ثغرات تتسلل من خلالها الأهواء، وتعشش في داخله الحيّات. ٣- استقباح صفة في الممثل به، مثلما جاء في ذم اليهود، واستقباح صفاتهم الخسيسة كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥]، والمقصود بها هنا صورة من يُتعب نفسه، ويجهدها بكل نفيس دون أن يحصل من ذلك على طائل. ٤- والأمثال أبلغ في الوعظ، وأوقع في النفس، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع.

[٥٠] ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قرئ: (آية) بالإفراد على إرادة الجنس؛ لأن الواحد في هذا النوع يدل على الجمع. وقرئ: (آيات) بالجمع على إرادة الأنواع؛ لأنهم اقترحوا آيات تنزل عليهم.
[٥٥] ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ﴾ قرئ: (ويقول) بالياء لإسناد الفعل إلى ضمير الجلالة المتقدم في قوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ =

العنكبوت ٢٩

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣- ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾: سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه. ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عاجلاً ﴿بَغْتَةً﴾: فجاة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بوقت مجيئه، لأن قريشاً كانت تقول: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]. وغير ذلك من استعجالهم على جهة التعجيز والتكذيب. ٥٦- ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾: إذا عُمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره، فاخرجوا منه. وقيل: إن رحمتي واسعة ورزقي لكم واسع فابتغوه في الأرض. ٥٨- ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لنُنزلنهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: علالي. ٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مشاق التكليف الإلهي، بإلزام النفس بالطاعات وحجبها عن الشهوات والمنهيات، والصبر: حبس النفس على ما تكره. ٦٠- ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: غذاءها، فترفعه من يومها لغدها، لعجزها عن ذلك، وإنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم. ٦١- ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يعدلون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن الإخلاص له. ٦٢- ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: يُضيّق ويُقتّر على من شاء منهم. ٦٣- ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي احمد الله على أن الحق معك، وأظهر حجتك عليهم.

[٦٠] قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الآية. أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمير قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» قلت: لا أشتهيه، قال: «لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعامًا ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قومًا يخبئون رزق ستهم، ويضعف اليقين»؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا عنه حتى نزلت ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا، ولا أخبأ رزقًا لغد».

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]. زاد في آية العنكبوت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على التراخي؛ لأن الرجوع في آل عمران إلى الجنة أو النار، وجاء بالواو في آية الأنبياء لأنه حيل فيها بين الكلامين بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فقامت هذه الجملة المعترضة مقام التراخي. [٥٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [العنكبوت:٥٨]. آية آل عمران فيها خبر بعد خبر فناسب العطف بالواو، فكأنه قيل: جزاؤهم مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، والخلود فيها، وذلك كله تشريف وكرامة للعاملين، وأمّا آية العنكبوت فمبنية على جملة واحدة وخبر واحد، فناسبها حذف الواو. [٥٩] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢، العنكبوت: ٥٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والعنكبوت، وهي تصف المؤمنين الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في كل شؤونهم. [٦٢] ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: ٦٢، سبأ: ٣٩]، [القصص: ٨٢، بحذف ﴿لَهُ﴾] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. أحوال الناس في الرزق ثلاثة: الأول: من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، وهو يفهم من آية العنكبوت بقوله تعالى: "له"، والثاني: يوسع على قوم مطلقًا ويضيق على قوم مطلقًا، ويفهم من سورة القصص، والثالث: الإطلاق من غير تعيين بسط ولا قبض، فأطلق من غير ذكر "عباد"، وخصت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ثم فصل حالهم في بسطه تارة وقبضه تارة، وآية سبأ سبقها قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦]، والمراد بهم الكفار، ثم ذكر بعد قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ لأنهم المؤمنون، وأمّا آية القصص فتقدمها قصة قارون، فناسب الحال الثاني أنه يبسط الرزق لمن يشاء مطلقًا لا لكرامته كقارون، ويقبضه عمن يشاء لا لهوانه كالأنبياء الفقراء منهم، وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين؛ كأنواع بعض المخلوقات من الآدميين وغيرهم. [٦٣] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عدا [البقرة: ١٠٠] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في البقرة، وفي سائر المواضع ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وموضع واحد في العنكبوت ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، لأن أكثر الموصوفين بهذا بين ناقض عهد وجاحد حق إلا القليل منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه، ولم يأت المعنيان معًا إلا في موضع سورة البقرة فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [٦٣] ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع بحذف ﴿مِنْ﴾. زيادة "من" في قوله تعالى في العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾، زيادة بيان وتأكيد نوسب به ما تقدم من قوله: ﴿مَنْ نَزَّلَ﴾، فصيغة "فعّل" للمبالغة والتكثير، وذلك مما يستدعي البيان والتأكيد فنوسب بينهما، ولما لم يقع في آية البقرة وغيرها سوى لفظ "أنزل" ولا مبالغة فيها ولا تأكيد، ولا انجر في الكلام ما يعطيه، لم يوجد ما يستدعي زيادة "من" ليناسب بها.

= بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أو قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ ويجوز أن يكون إخبارًا عن قول الموكل بعذابهم، والتقدير: ويقول الموكل بعذابهم لهم ... الخ. وقرئ: (ونقول) بالنون لإسناد الفعل إلى ضمير العظمة. [٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (ترجعون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والمخاطب هم المؤمنون، وهو وعد لهم بحسن مجازاتهم. وقرئ: (يرجعون) بالياء، وعليه يحتمل أن تكون الواو عائدة على الكافرين المعادين للمؤمنين، والكلام وعيد لهم، ويحتمل أن تكون عائدة على كل نفس فيكون وعدًا للمؤمنين ووعيدًا لغيرهم. [٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ قرئ: (لنبوّئنهم) بباء موحدة بعدها واو مشددة مكسورة ثم همزة مفتوحة، على أنه مضارع بوأه، كذا إذا أنزله فيه، و"غرفًا" مفعول ثان، والأول الضمير. وقرئ: (لنثوينهم) بثاء مثلثة ساكنة بدل الباء، بعدها واو مخففة ثم ياء مفتوحة على أنه مضارع من أثواه بالمكان: أقامه به وأنزله فيه، يقال: ثوى بالمكان إذا أقام به، وأثواه غيره إذا جعله يقيم فيه، وأثوى يتعدى لواحد ولا يتعدى لاثنين فنصب "غرفًا" على هذه القراءة على تضمين نُثْوِيَنَّ معنى ننزله، أو على الحذف والإيصال، والأصل: لَنُثْوِيَنَّهم من الجنة في غرفٍ، فحذف الجار وهو في، وأوصل =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٦٤- ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: تعليل النفوس بما تلتذُّ به، ثم هو مُنقضٍ، ذاهبٌ، عن قريب ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: لهي الحياة: لا موت فيها. ٦٥- ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لا يستغيثون بالآلهة والأوثان. ٦٦- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم بالخلاص من الغرق في البحر، وغير ذلك من إنعامه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: ماذا يلقون من عذاب الله تعالى. ٦٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعني: مشركي قريش ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: حرَّمناه على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، وأنه يأمن فيه ساكنه من القتل والسلب والنهب. ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾: تُسلب الناس ﴿مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: قتلاً وسلباً، وهم آمنون ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالشرك ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون. ٦٨- ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: بما بَعث به محمداً ﷺ ﴿مَثْوًى﴾: منزل ومسكن. ٦٩- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾: أي: في مرضاتنا وبغية ثوابنا. والآية مكيّة، فهو جهاد عام في دين الله تعالى. وقيل: قاتلوا هؤلاء المفترين على الله ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾: لنوفقنَّهم ﴿سُبُلَنَا﴾: لإصابة الطريق المستقيم. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بالنصر والعون، ومن كان معه لم يُخذل.

سُورَةُ الرُّومِ

١، ٢- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: غلبت فارسُ الرومَ. ٣، ٤، ٥- ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾: في أقرب أرضهم من أرض العرب، أو في أقرب أرض العرب منهم. قيل: على ريف الشام، وكان قد شق على رسول الله ﷺ والمسلمين غلبة فارس لأنهم كانوا مجوساً، على الروم لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس. ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾: فالتقت الروم وفارس، فنصر الله الروم على فارس، وكان ذلك في يوم لقاء رسول الله ﷺ المشركين ببدر ففرح رسول الله ﷺ والمسلمون بنصرهم على المشركين، وبنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ﴾.

[٦٧] قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ الآية. أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقتلنا، وإن الأعراب أكثر منا، فمتى ما بلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا، فكنا أكلة رأس، فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾.

[١-٢] قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غَلَبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم فيه كما غلب فارس الروم، فأنزل الله ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة. فالرواية الأولى على قراءة: غَلَبت - بالفتح - لأنها نزلت يوم غلبتهم يوم بدر. والثانية: على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غلبهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

[٦٤] قدم " اللهو على اللعب " [الأعراف:٥١، العنكبوت:٦٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع قدم " اللعب على اللهو ". قدم اللَّعب في أكثر المواضع، لأنَّ اللعب زمانه الصبا، واللهو زمانه الشباب، وزمان الصبا مقدّم على زمان الشباب، يُبيِّنه ما ذكر في الحديد: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [الحديد : ٢٠] كلعب الصبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الشبَّان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌۢ﴾ كتفاخر الإخوان، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر السُّلطان، وقريب من هذا في تقديم لفظ اللعب على اللَّهو قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء : ١٦-١٧]، وقدّم اللَّهو في الأعراف، لأنَّ ذلك في القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالتين، أمَّا العنكبوت فالمراد بذكرها زمانُ الدُّنيا، وأنَّه سريع الانقضاءِ، قليل البقاءِ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، أي: الحياة الَّتي لا أمد لها، ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر اللهو لأنَّه في زمان الشَّباب. [٦٥] ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس : ٢٢]، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥]، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ...﴾ [لقمان : ٣٢]. الآيات تبين حال الكفار عند الشدائد وتضرعهم إلى الله بكل إخلاص حتى يكشف عنهم ما حل بهم من الكرب. [٦٦] ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. آيتا النحل والروم للمخاطبين فجاءت بغير "لام"، وفي العنكبوت للغائبين؛ فناسب ذكر "اللام" فيها. [٦٧] ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢]، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٧]. الكلام في سورة النحل نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم، وهو قوله سبحانه وتعالى: =

[٦٤] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ما الفرق بين: "الحياة، والحيوان"؟ الجواب: وردت كلمة (الحياة) (معرفة ونكرة) إحدى وسبعين مرة. بينما وردت كلمة (الحيوان) مرة واحدة. (الحياة) ضد (الموت). أما الحيوان: فهي الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها. والحيوان: مصدر حَيِيَ، وقياسه (حَيَيَان) فقلبت الياء الثانية واوًا. وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليس في بناء (الحياة). و(حيوان) على وزن (فعلان) الذي فيه معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان.. وما أشبه ذلك. و(الحيوان) فيها مبالغة وتوكيد، لذلك لم تطلق إلا على الحياة الآخرة؛ لأنها الدائمة فليس لها فناء، والنظيفة فليس فيها رجسٌ ولا وباء، وهي الحق فليس فيها باطل ولا مراء، وهي الباقية فليس لها انتهاء.

= الفعل إلى المجرور، فانتصب به، وهو معنى قولهم منصوب على نزع الخافض. [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ قرئ: (ولِيتمتعوا-ولْيتمتعوا) بكسر اللام وإسكانها، وهما وجهان جائزان في "لام الأمر" بعد العاطف، وقد تقدم تفصيل ذلك في سورة "الحج".

[١-٤] ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم : ١-٤]. أخفض مكان: إن سبب نزول هذه الآيات الكريمات هو وقوع معركة بين مملكتي فارس والروم في منطقة بين أذرعات وبصرى قرب =

نزول سورة الروم: نزلت بعد سورة الانشقاق، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الروم: ثمانمائة وسبع. عدد حروف سورة الروم: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون.

أسماء سورة الروم: وسميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم. مواضيع سورة الروم: معظم مقصود السورة: غلبة الروم على فارس، وعَيْب الكفار في إقبالهم =

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

٦- ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: يريد الكفار من قريش والعرب ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن ذلك كذلك، وأنه لا يكون في وعد الله إخلاف. وأن ما يورده نبيّه حقّ. ٧- ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يعني: المكذبين بحقيقة خبر الله عز وجل يعلمون معايشهم وما يصلحهم. وقيل: كل ما يعلم بأوائل الرؤية فهو الظاهر. وربما كان المراد: معارف الحواس أو ما أدّته إليه حواسهم. ٨- ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معطوف على الحق، أي: وبأجل مسمى للسماوات والأرض وما بينهما تنتهي إليه، وهو يوم القيامة. ٩- ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: حرثوها وملكوها. ١٠- ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾: بذلك من فعلهم ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: أي: الخلّة التي هي أسوأ من فعلهم، بالهلاك في الدنيا، والنار في الآخرة. قال ابن عباس: «أساؤوا» هنا بمعنى كفروا و«السوءى»: النار. ١١- ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: انشأ جميعه منفرداً من غير شريك ولا ظهير ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: بعدما فني. ١٢- ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: ييأس الذين أشركوا بالله وعصوا الله من كل خير، ويكتئبون ويندمون. يقال: أبلس الرجل: إذا سكت وانقطعت حجته. ١٤- ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: يتفرق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به. ١٥- ﴿فِى رَوْضَةٍ﴾: شيء أحسن منظراً، وأطيب نشراً من الرياض، والمراد بها هنا: الجنّة. ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يسرُّون ويغبطون. والحَبْرة والحبور: السرور والنعيم.

= ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، ثم انتقل الكلام من الخطاب العام إلى الإخبار الخاص، فقال: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، فأكدّ الكلام بقوله: ﴿هُمْ﴾ لئلا يتوهّم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت، لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عمّا يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥-٦٧]، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده، بما يحصره على الخبر، وذلك واضح لمن تدبّره.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. انظر سورة العنكبوت آية : ١. [٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ...﴾ [الأعراف : ١٨٤]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...﴾ [الروم : ٨]. أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون...، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمّا آية الروم: أولم يتفكر هؤلاء المكذّبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئًا... [٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم : ٩، فاطر : ٤٤، أول غافر : ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف : ١٠٩، الحج : ٤٦، غافر : ٨٢، محمد : ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤديًا إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ...﴾ [يوسف : ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالًا أرسلوا إليهم فخالفوهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم، لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٥]، فكأنه قال: إذا كان كذا، فسيروا في الأرض واعتبروا، فأمّا قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه، إذا لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الروم : ٨]، فكان الموضع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة=

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ قوله تعالى: ﴿عَٰقِبَةَ﴾ قرئت: (عاقبةُ) بالرفع على أنها اسم كان وخبرها السوءى، أي: كان عاقبتهم أسوأ عاقبة، "وأن وما دخلت عليه" في "أن كذبوا" مجرور بحرف جر محذوف، أي: ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى لتكذيبهم... إلخ. ويحتمل أن يكون أن كذبوا، خبر كان و"السوءى" مفعول مطلق لأساؤوا من غير لفظه لأنه مصدر كالبشرى، أو يكون مفعولًا به يجعل "أساؤوا" بمعنى: اقترفوا، و"السوءى" صفة لمحذوف هو المفعول به على الحقيقة، أي: اقترفوا الفعل السوءى. وقرئت: (عاقبةَ) بالنصب على أنها خبر كان مقدم، والاسم "السوءى" وأن كذبوا مجرور بحرف جر محذوف، أو هو الاسم، والسوءى مفعول لأساؤوا على ما سبق. [١١] ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (ترجعون) بالخطاب على الالتفات لمكافحة المشركين بالوعيد. وقرئ: (يرجعون) بالغيبة على مناسبة الكلام السابق واللاحق.

= البحر الميت حيث انتصر فيها الفرس، وكان ذلك سنة ٦١٩م. ولقد أصاب المسلمين الحزن نتيجة لانهزام الروم لأنهم أهل كتاب وديانة سماوية بينما الفرس مجوس وعبّاد للنار، فوعد الله تعالى المسلمين بأن الفرس ستُغلب في المعركة الثانية بعد بضع سنوات، وأن نصر الروم سيتزامن مع نصر المسلمين على المشركين. وبضع سنوات هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة العربية، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات أي ضمن المدة التي حددها من قبل، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٦م، وانتصر فيها الروم وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى. إن المتأمل في الآية القرآنية يلاحظ أنها قد وصفت ميدان المعركة الأولى بين الفرس والروم بأنه أدنى الأرض، وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ٣٩٢ مترًا، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة.

= على الدنيا، وأخبار القرون الماضية، وذكر قيام الساعة، وآيات التوحيد، والحجج المترادفة الدالّة على الذات والصفات، وبيان بعث القيامة، وتمثيل حال المؤمنين والكافرين، وتقرير المؤمنين على الإيمان، والأمر بالمعروف، والإحسان إلى ذوي القربى، ووعد الثواب على أداء الزكاة، والإخبار عن ظهور الفساد في البر والبحر، =

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

١٦- ﴿مُحْضَرُونَ﴾: قد أحضرهم الله العذاب ليذوقوه. ١٧- ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: يقول الله عز وجل: فسبحوا الله أيها الناس، أي نزّهوه عما لا يليق به. وقيل: صلُّوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاة الصبح. ١٨- ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: من سكان السماء من الملائكة، وأصناف الخلق في الأرض- قال ابن عطية: وهذه الجملة اعتراض في الكلام بين وقوع تعظيم الله تعالى والحضّ على عبادته- ﴿وَعَشِيًّا﴾: وسبحوه عشياً، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: تدخلون في وقت الظهيرة. ١٩- ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. والطيب من الخبيث، والخبيث من الطيب [راجع تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران: ص٥٣]. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: بعد خرابها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم إلى موقف الحساب. ٢٠- ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: من أبيكم آدم، الذي خُلق من تراب ﴿تَنتَشِرُونَ﴾: تنصرفون، فيما هو قوام معاشكم. ٢١- ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾: تألفوها وتميلوا إليها. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: أي وداداً وتودداً وتراحماً. وقيل: المودة هي الحبّ بين الزوجين في حال الوئام الدائم، والرحمة هي العطف والتذمم في حال الشقاق العارض. وقيل: الرحمة: خشية كلٍ من الزوجين على الآخر أن يصيبه سوء. ٢٣- ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: مواعظ الله فيعتبرون. ٢٤- ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: خوفاً للمسافرين أن يتأذوا به، وطمعاً للمقيم في الخصب. وقيل: خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث. وهذا التفسير أولى.

= فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أن يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو... [٩] ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١]. قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوٓاْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخبارٌ عمَّا كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصّت سورة الروم بهذا النسق لما يتّصل به من الآيات بعده، وكلّه إخبار عمَّا كانوا عليه، وهو: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ﴾ بزيادة الواو، لأنَّ التَّقدير: فينظروا كيف أُهلكوا وكانوا أشدَّ منهم قوّة، وخصّت سورة فاطر به لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وفي سورة غافر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، فأظهر "كان" العامل في "من قبلهم" وزاد "هم"؛ لأنَّ هذه السورة وقعت فيها أوائل قصّة نوح، وهي تتِمُّ في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، وفي آخر المؤمن: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢] فلم يبسط القول؛ لأن أوّل السّورة يدلّ عليه.

[٢١-٢٤] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ وختم الآية بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ لأنَّ الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني التي خُلِقن لها، من التآنس والتجانس، وسكون كلّ واحد منهما إلى الآخر. قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وختم بقوله: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾، لأن الكل تظلّهم السّماء، وتُقِلهم الأرض، فكل واحد منفردٌ بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيره؛ حتى لا ترى اثنين في ألف يتشابه صوتاهما، ويلتبس كلامهما؛ وكذلك ينفرد كلّ واحد بدقيقة في صورته، يتميّز بها من بين الأنام، فلا ترى اثنين يشتبهان، وهذا يشترك في معرفته الناس جميعًا؛ فلهذا قال: ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾. قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وختم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾، فإنَّ مَن سمع أنَّ النوم مِن صنع الله الحكيم لا يقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع، ولا على دفعه إذا ورد، تيقَّن أنَّ له صانعًا مدبّرًا، ومعنى "يسمعون" ههنا: يستجيبون إلى ما يدعوهم إليه الكتاب. قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ وختم بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن العقل مِلاك الأمر في هذه الأبواب، وهو المؤدّي إلى العلم، فختم بذكره.

[٢٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ...﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ...﴾ [الشورى: ٢٩]. ومن دلائل القدرة الربانية: خَلْقُ السماوات وارتفاعها بغير عمد، وخَلْقُ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلافُ لغاتكم وتبـاينُ ألـوانكم، إن في هذا لَعبرة لكل ذي علم وبصيرة، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية الشورى: ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْـقُ السماوات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.

[٢٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ قرئ: (للعالِمين) بكسر اللام على أنه جمع عالِم اسم فاعل من العلم عند الجهل، وفيه إشادة بالعلم وأهله، وجعل الآيات المثبتة في خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان خاصة بالعلماء؛ لأنهم المنتفعون بها والواقفون على أسرارها، كما قال في موضع آخر ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ بعد التنبيه على آثار قدرته من إخراج ثمرات يختلف ألوانها، وما أوجد الله في الجبال من جدد بيض وحمر وغرابيب سود، وكذلك اختلاف ألـوان النـاس، فـالمنتفعون بالنظر والاستنباط في هذه الآيات هم العلماء وحدهم دون الجاهلين الذين هم في غفلة وسهو عن تدبر الآيات والاعتبار بهـا، وقـد قـال الله تعـالى في آيـة أخرى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ فأخبر أن الذين يعقلون الأمثال والآيات هم العالمون دون الجاهلين، ولو عقلها الجميع لم يكن للعالم فضل على الجاهل. وقرئ: (للعالَمين) بفتح اللام على أنه اسم جمع لعالَم بفتح اللام، وإنما كان اسم جمع لأمرين، أحدهما: أن عالَم ليس علمًا ولا صفة، وشرط هذا الجمع أن يكون مفرده إما علمًا أو صفة، الثاني: أن العالَم اسم لما سوى الله فيشمل العلماء وغيرهم، والجمع بالواو والنون إنما يكون للعقلاء فهو أخص من واحده، وهذا على خلاف طريقة الجموع، والمعنى عليه: إن في ذلك المذكور لآيات، أي: دلالات واضحات للعالمين لأنهم هم المنتفعون بها ولاعتبارهم وترتيبهم خلقت هذه الآيات؛ =

= وعن آثار القيامة، وذكر عجائب الصنع في السحاب والأمطار، وظهور آثار الرحمة في الربيع، وإصرار الكفار على الكفر، وتخليق الله الخلق مع الضعف والعجز، وإحياءُ الخلق بعد الموت، والحشر والنشر، وتسلية رسول الله ﷺ، وتسكينه عن جفاءِ المشركين وأذاهم في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

٢٥- ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾: اي قيامهما واستمساكهما بإرادته سبحانه وقدرته بلا عمد يعمدها. ٢٦- ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون لله فيما أراد من حياة أو موت، أو رزق أو قدرة، وإن عصاه بعضهم، فيما يكتسب بقواه. ٢٧- ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: ينشئه ويخرجه من العدم. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: معناه: وهو عليه هين، وقيل: أهون عليه بالنسبة إلى قدرتكم أو في عُرف المخلوقين، فكيف ينكرون الإعادة في حق الخالق؟ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: اي الوصف الأعلى، ليس كمثله شيء. ٢٨- ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: قال ابن عطية: ثم بين الله تعالى أمر الأصنام وفساد مُعتقَد من يشركها بالله تعالى، بضرب هذا المثل، ومعناه: إنكم أيها الناس إن كان لكم عبيد تملكونهم فإنكم لا تشركونهم في أموالكم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة. وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم أو يقاسموكم إياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض. فإذا كان هذا فيكم، فكيف تقولون إن من عبيده في مُلكه شركاء في سلطانه وألوهيته، وتثبتون في جانبه ما لا يليق عندكم بجانبكم؟ ٣٠- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: سدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك، وهو الدين ﴿حَنِيفًا﴾: اي مائلاً إليه، مستقيماً عليه، غير ملتفت إلى غيره من الأديان الباطلة، مسلماً لطاعته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: هي الإسلام ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدين الله ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم الذي لا عوج فيه. ٣١- ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: مطيعين راجعين عن الكفر إلى الإسلام. ٣٢- ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: احزاباً، فاحدثوا البدع التي احدثوها ليكفروا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما هم متمسكون به من مذهب. ﴿فَرِحُونَ﴾: مفتونون بآرائهم، معجبون بضلالهم.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الآية. [٢٨] قوله تعالى: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الآية. أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، فانزل الله ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الآية. واخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه.

=إذ الآيات والدلالات على توحيد الله عز وجل كما يشهدها العالم والجاهل آية للجميع، وحجة على كل الخلق فليست بحجة على العالم دون الجاهل كما في قراءة الكسر، فكان حملها على العموم أولى بذلك. [٣٩] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿لِّيَرْبُوَا۟﴾ قرئ: (ليربو) بياء مفتوحة، وآخره واو مفتوحة كذلك، على أنه مضارع ربا يربو الثلاثي، وفاعله يعود على الربا، وهو منصوب بفتحة ظاهرة على الواو لخفتها، وناصبه "أن" المضمرة بعد "لام التعليل"، والمعنى: وما أعطيتم من ربا ليزيد في أموال الناس فلا يربو ولا يبارك فيه في حكم الله وتقديره، ومعنى الربا في قوله: ﴿مِّن رِّبًا﴾ أنه "الربا" المبين عنه شرعًا، فإن الخطاب للمدينين، فالربا مراد به حقيقته، أي: وما دفعتم من زيادة ليزداد ذلك الربا في أموال الناس الدائنين فلا يربو عند الله، ويحتمل أن يكون الخطاب لأكلة الربا وهم الدائنون، فالمراد بالربا في الآية سببه، أي: وما أعطيتم من مال هو سبب في الربا ليزيد ذلك المال في أموال الناس بما تجرونه إليه من زيادة فلا يربو عند الله. وقرئ: (لتُربو) بتاء مضمومة في أوله وسكون الواو في آخره، على أنه مضارع أربى المزيد بالهمزة و"التاء" فيه "تاء الخطاب" و"الواو" التي في آخره هي "واو الجماعة"، والفعل منصوب بحذف النون والخطاب فيه على نسق قوله: وما أتيتم من ربا لتربوه، أي: لتزيدوه في أموال الناس، فلا يربو عند الله، فيكون المخاطب أكلة الربا أو الدافعين له على ما سبق، هذا هو الظاهر في معنى الآية، وذهب بعض المفسرين إلى حمل الربا في الآية على الهدية يهديها الرجل يريد من المُهدَى إليه أن يثيبه عليها بأكثر مما أهدى، وذلك في مد "آتيتم" جعلوه من باب الإعطاء، ومعناه: وما أعطيتم من عطية، لتعوضوا أكثر منها فلا ثواب لكم فيها عند الله، وذلك مثل الرجل يهدي الرجل هدية ليعوضه أكثر منها، وهذا مباح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وغير مباح للنبي ـ عليه السلام ـ لقوله:=

[٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]. إعجاز اقتصادي: وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرمَّ الربا: حكم الربا: محرمٌ في جميع الأديان السماوية في اليهودية والمسيحية والإسلام. أنزل الله دينه ليقيم العباد على منهج العبودية الحقة التي تعرج بهم إلى مراتب الكمال، وتسمُو بهم إلى المراتب العليا، وبذلك يتخلصون من العبودية الفاسدة، ويقصرون أنفسهم على عبادة رب الخلائق، ويتخلصون بذلك من الفساد الذي يخالط النفوس. إن الإسلام يريد أن يطهر العباد في نفوسهم الخافية المستورة، وفي أعمالهم المنظورة، وتشريعات الإسلام تعمل في هذين المجالين، والقرآن الكريم سمّاها بالتزكية والتطهير، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]. من آثار الربا: الربا واحدٌ من الأعمال التي تعمِّق في الإنسان الانحراف عن المنهج السوي، وذلك أن المرابي يستعبده المال، ويُعمي ناظريه بريقُهُ، فهو يسعى للحصول عليه بكل السُّبل، وفي سبيل ذلك يدوس على كل القيم، ويتجاوز الحدود، ويتعدى على الحرمات، إن الربا ينبتُ في النفس الإنسانية الجشع، كما يُنبت الحرص، والبخل، وهما مرضان ما أصابا نفسًا إلا أفسدا صاحبها. ومع الجشع والبخل، تجد الجبن والكسل، فالمرابي جبانٌ يكره الإقدام، لذلك شعار المرابين: إن الانتظار هو صنعة المرابين، فهو يُعطي ماله لمن يستثمره، ثم يجلس ينتظر إنتاجه لينال حظًّا معلومًا بدل انتظاره، وهو كسولٌ لا يقوم بعمل منتج نافع، بل تراه يريد من الآخرين أن يعملوا، ثم يحصل هو على ثمرة جهودهم، وأشارت الآيةُ القرآنيةُ إلى هذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. فالآية تُشير إلى أن المرابي يُعطي ماله للآخرين كي ينمو من خلالهم. كما أن الله ـ سبحانه ـ يُذهب بركة الربا، ويُصيبه بالهلاك والدمار، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. الربا يُحدِث آثارًا خبيثةً في نفس متعاطيه وتصرفاته، وأعماله وهيئته. ويرى بعضُ الأطباء أن الاضطراب الاقتصادي الذي يُولِّدُ الجشع، يُسبب كثيرًا من الأمراض التي تُصيب القلب، فيكون من مظاهرها ضغط الدم والذبحة الصدرية والجلطة الدموية والنزيف بالمخ، أو الموت المفاجئ، وقد قرر عميدُ الطب الباطني في مصر الدكتور/ عبد العزيز إسماعيل في كتابه «الإسلام=

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾: من مرض أو قحط، أو أي لون من ألوان الشدائد. ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي راجعين إليه ملتجئين. والإنسان بوجه عام يلجأ إلى الله في الشدّة وقد ينساه في الرخاء. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: جماعة منهم. ٣٤- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: إلى آخر الآية، وعيدٌ من الله لهم، ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما يَعقُبُ هذا التمتع الزائل من العذاب الأليم في الآخرة. ٣٥- ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾: حجة وكتاباً بتصديق ما يقولون. ٣٦- ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بما أسلفوا من سيئ أعمالهم؛ أي أن الله تعالى يمتحن الأمم، ويصيب منهم عند فشوّ المعاصي. ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: ييأسون من الفرج و«القنوط»: هو اليأس من الفرج. ٣٨- ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: أعطِ ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة. ٣٩- ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾: أعطيتم بعضكم بعضاً من عطية ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: لتثابوا عليها، وهو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه أفضل منها، لا لطلب أجر من الله عز وجل ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: هي الصدقة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾: الذين يتقبل الله منهم ويضاعف لهم الجزاء. ويحتمل أن يكون معنى الآية: النهي عن الربا في التجارات. والراجح أن الحكم في الآية: أخلاقي إيماني. ٤١- ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها. ومعناه: ظهرت معاصي الله في كل مكان، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾: بذنوبهم، وبما انتشر من الظلم فيهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم ومعصيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٥٥، الروم : ٣٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النحل والروم، وهي تبين أن المشركين يجحدون نعم الله عليهم، ومنها كَشْفُ البلاء عنهم، فاستمتعوا بدنياكم أيها المشركون، ومصيرها إلى الزوال، فسوف تعلمون عاقبة كفركم وعصيانكم. [٣٦] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ...﴾ [يونس:٢١]، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ...﴾ [الروم : ٣٦]. وإذا أذقنا المشركين يسرًا وفرجًا ورخاءً بعد عسر وشدة وكرب أصابهم، إذا هم يكذِّبون، ويستهزئون بآيات الله، قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين المستهزئين: الله أسرع مكرًا واستدراجًا وعقوبة لكم...، فهذا ما دلت عليه آية يونس، أمّا آية الروم: وإذا أذقنا الناس منا نعمة مِن صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرح شكر... [٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم:٣٧]، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر:٥٢]. بسط الرزق مِمَّا يشاهَد ويرى، فجاءَ في الروم على ما يقتضيه اللَّفظ والمعنى، وفي سورة الزمر اتَّصل بقوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ وبعده: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٤٩]، فحسن ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾. [٣٨] ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٦]، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم : ٣٨]. وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك، وأعطه حقه من الإحسان والبر، وأعط المسكين المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله وماله، ولا تنفق مالك في غير طاعة الله، أو على وجه الإسراف والتبذير، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمّا آية الروم: أعط أيها المؤمن قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله، الناجون مِن عقابه.

= ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي: لا تعط يا محمد عطية، لتأخذ أكثر منها. [٤١] ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ قرئ: (ليذيقهم) بالياء على أن الفعل مسند إلى ضمير لفظ الجلالة. وقرئ: (لنذيقهم) بالنون على الالتفات عن الغيبة إلى إسناد الفعل إلى ضمير العظمة.

= والطب الحديث» أن الربا هو السبب في كثرة أمراض القلب. **تخبُّطُ المُرَابي**: وصف القرآنُ الكريمُ الحالَ التي يكون عليها المرابي بحال الذي أصابه الشيطانُ بمسٍّ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. قال النووي: التخبط: الضرب على غير استواءٍ. يُقال: خبط البعير إذا ضرب بأخفافه. ويُقال للرجل الذي يتصرف تصرفًا رديئًا ولا يهتدي فيه، هو يخبط خبط عشواء، وهي الناقة الضعيفة النظر. ولأن الشيطان يدعو إلى طلب اللذات والشهوات والاشتغال بغير الله، فهذا هو المراد بالمسِّ (مسِّ الشيطان)، ومن كان كذلك كان في أمر الدنيا متخبطًا، فتارة يَجُرُّهُ الشيطانُ إلى النفس والهوى، وتارةً يَجُرُّه المَلَك إلى الدين والتقوى، فتحدث حركاتٌ مضطربة، وأفعالٌ مختلفةٌ، فهذا هو التخبطُ الحاصلُ بفعل الشيطان. **أثر الربا على المجتمعات**: لا يمكن أن تقوم المجتمعاتُ الإنسانيةُ ما لم يترابط الناسُ فيما بينهم براويط الود والمحبة القائمة على التعاون والتراحم والتكافل، بين أبناء الأمة الواحدة، والأفرادُ في المجتمعات أو القطاع من الأمة الذين لا تؤرقهم آلامُ إخوانهم وأوجاعهم ومصائبهم كالعضو المشلول الذي انعدم فيه الإحساسُ، وانقطعت روابطُهُ بباقي الجسد، ومثله كمثل الحمار الذي يدور حول الرحى، ذلك لأن اهتماماته وتطلعاته وغاياته تدور حول أمرٍ واحدٍ هو مصالحه الذاتية، فلا تراه متأثرًا بدموع الثكالى، ولا بأنَّات الحزانى، ولا بأوجاع اليتامى، يرى البؤساء والفقراء فلا يعرفُ من حالهم إلا أنهم صيدٌ يجب أن تُمتصَّ البقيةُ الباقيةُ من دمائهم، استعبدوا أولئك المعسرين الذين لم يستطيعوا أن يفوا بديونهم وما ترتب عليها من ربا خبيث، ألم يُخرج أبو لهب العاصي بن هشام إلى بدرٍ لأن العاصي مدينٌ لأبي لهب، ففرض عليه الخروج إلى المعركة بدلًا عنه. كيف ينعم مجتمعٌ إذا انبث في جنباته أكلةُ الربا الذين يقيمون المصائد والحبائل لاستلاب المال بطريق الربا وغيره من الطرق (غير المشروعة)؟! وكيف يتآلف مجتمعٌ يسود فيه النظام الربوي الذي يسحقُ القويُّ فيه الضعيفَ؟ وكيف نتوقع أن يحبَّ الذين نُهبت أموالُهم وسُلبت خيراتُهم ناهبيهم وساليبهم؟! إن الذي يسود في هذه المجتمعات هو الحقدُ والكراهيةُ والبغضاءُ. يقول المراغي - رحمة الله -: الربا يؤدي إلى العداوة والبغضاء والمشاحنات والخصومات، إذ هو ينزعُ عاطفة التراحم عن القلوب، حتى إن الفقير ليموتُ جوعًا، ولا يجد مَنْ يجودُ عليه ليَسُدَّ رمقَهُ، ومن جرَّاء هذا مُنيت البلادُ ذاتُ الحضارة التي تعاملت بالربا بمشاكل اجتماعية. وقد بلغت خسَّةُ الطبع وفسادُ الخلق بالمرابية اليهود إلى أن يتآمروا على المجتمعات التي فتحت أبوابها لهم، بل على العالم بأسره، ويوقدوا نار الحروب، ويسعوا في الأرض الفساد، وقد نبأنا القرآن من خبرهم، وكشف لنا جرمهم عندما قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ =

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٣- ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: لا صارف له ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾: يتفرق الناس إلى الجنة وإلى النار. وأصله: «يتصدعون» والتصدع: التفرق. ٤٤- ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: وزر كفره ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوُّون المضاجع، ويوطئون لأنفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح. ٤٦- ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾: بالغيث والرحمة. ٤٧- ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات والحجج النيرات فكفروا. ٤٨- ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾: قيل: كل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع: «الرياح» وما كان بمعنى العذاب فهو موحد: «الريح» ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تنشر الرياح سحاباً ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: يجمعه ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: قطعاً، والكسف جمع كِسْفَة. وهي القطعة من السحاب. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: من بينه. ﴿أَصَابَ بِهِۦ﴾: أي: بالمطر. ٤٩- ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: مكتئبين حزنين، أو آيسين من نزول المطر. ٥٠- ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾: الناشئة عن إنزال المطر، من النبات والثمار التي يكون بها الخصب ورخاء العيش. أي انظر نظر اعتبار لتستدل بذلك على توحيد الله، وتفرده بهذا الصنع العجيب. وعلى أنه تعالى قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، كما أحيا الأرض الميتة بالمطر.

[٤٣] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم : ٤٣]، ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى : ٤٧]. آية الروم أعقبت بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، تمهيدًا لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم : ٤٤]؛ لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم : ١٤]، فالمراد يومئذ يصدعون إلى ما أعد لكل منهم بحسب مرتكبه وحاله في كفره وإيمانه، وأمَّا آية الشورى فقد سبقها تحذير منه سبحانه لعباده من حال الظالمين في عدم الولي والناصر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى : ٤٦]، وأمر الله عباده بالاستجابة قبل التورط وانقطاع الطمع والرجاء في التخلص، وعدم جدوى الإنكار لمن ظن التعلق به، فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾، فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن. [٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم : ٤٦]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية : ١٢]. آية الروم جاء في أولها ذكر الرياح وأنها تبشر بالمطر وإذاقة الرحمة، ثم قال: ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾، أي: بالرياح بأمر الله تعالى، ولم يتقدم ذكر البحر، فلم يذكر القيد؛ لأنه ليس للضمير عائد يعود إليه، أما آية الجاثية فجاء فيها ذكر البحر: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فجيء بالضمير العائد إليه على ما يجب.

[٥٠] ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿ءَاثَٰرِ﴾ قرئ: (أثر) بهمزة غير ممدودة، وإسقاط الألف التي بعد الثاء على التوحيد لقصد الجنس. وقرئ: (آثار) بألف قبل الثاء وألف بعدها على الجمع بقصد الأنواع، نظرًا إلى تنوع أثر المطر، وكثرة تلك الأنواع.

= ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقد نبَّه كثيرٌ من الكُتاب المحققين إلى أن أباطرة المال اليهود هم الذين كانوا وراء إشعال نيران الحروب في القرن الماضي. كما أنهم هم الذين أوقدوا نيران الحربين العظيمتين في القرن الماضي، لقد سالت الدماءُ أنهارًا، وأهدرت ملايين من الأموال، كل ذلك ليربو مالُ اليهود وتعظم سيطرةُ اليهود في العالم. إذا أصبح المالُ دولةً بين الأغنياء، شقي أغنياءُ ذلك المجتمع وفقراؤه، والربا يُركز المال في أيدي فئةٍ قليلةٍ من أفراد المجتمع الواحد، ويحرم منه المجموع الكثير، وهذا خللٌ في توزيع المال. قال الدكتور (شاخت) الألماني مدير بنك الرايخ الألماني (سابقًا) في محاضرة ألقاها في سوريا عام ١٩٥٣م : إنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جميع المال صائر إلى عددٍ قليل جدًّا من المرابين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائمًا في كل عملية، بينما المدين معرضٌ للربح والخسارة، ومن ثمَّ فإن المال كله في النهاية لا بد بالحسابِ الرياضي أن يصير إلى ربح دائمًا. وقد اعترف رجال الاقتصاد الكبار في العالم الغربي، ومن هؤلاء (شارل رست) اعترف بعجزه التام عن حل المشكلات في العالم الذي يعيش فيه، بعد أن بلغ قمة النضج، يقول: إنني وقد قاربت سنَّ التقاعد أريد أن أوصي الجيل الأصغر مني سنًّا، في هذا القضية، لقد أصبحنا الآن بعد هذه الجهود الطويلة في بلبلةٍ مستمرةٍ، فكلنا يشقى بسبب توزيع الثروة، وتوزيع الدخل، سواءً منها ما كان جزئيًّا، مثل قضية الفائدة والربا، أو ما كان مثل تفاوت الطبقات، تعبنا ولم نصل إلى شيء. إنه الشقاءُ حقًّا، شقاءُ الحياة الدنيا وشقاءُ الآخرة أدهى وأمَرّ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧]. ١- تعطيل الطاقة البشرية: الربا يعطل الطاقات البشرية المنتجة، ويُرغب في الكسل وإهمال العمل، والحياة الإنسانية ترقى وتتقدم ببذل الطاقات في التنمية والإعمار، أما المرابي فيجد المجال رحبًا لإنماء ماله بالربا بسهولة، فيألف الكسل ويمقت العمل ولا يشتغل بشيءٍ من الحِرف والصناعات الشاقة، مما يُفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارب والعمارات. ٢- تعطيل المال: كما يُعطِّل الربا جزءًا من الطاقات البشرية العاملة كذلك يُعطِّلُ الأموال عن الدوران والعمل، المالُ للمجتمع يُعدُّ بمثابة الدم الذي يجري في عروق الإنسان، وتوقف المال عن الدوران يصيب المجتمعات بأضرار فادحة، مثله كمثل انسداد الشرايين، أو الحواجز التي تقف في مجرى الماء، وقد رهَّب الله ـ تبارك وتعالى ـ الذين يكنزون المال، وتهددهم بالعذاب الأليم الموجع ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]، وقد شرع الله من الأحكام ما يكفل استمرار تدفق المال إلى كل أفراد المجتمع، بحيث لا يصبح المالُ دُولةً بين الأغنياء دون غيرهم. ٣- التضخم: التضخم يقصد به وجود اتجاه صعودي في الأثمان بسبب وجود طلب زائد أو فائض بالنسبة إلى إمكانية التوسع في العروض، والتضخم له أسبابٌ طبيعية وأسبابٌ غير طبيعية، ومن الأسباب غير الطبيعية الربا، فالمرابي بما يفرضه من فائدة مرتفعة يُجبر أصحاب السلع والخدمات على رفع أثمان هذه السلع والخدمات، ولا شكَّ أن التضخم =

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥١- ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: مفسدة للنبات والزرع ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: قد فسد بتلك الريح ﴿لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ﴾: من بعد استبشارهم ﴿يَكْفُرُونَ﴾: بربهم. وفي هذا دليل على سرعة تقلبهم وعدم صبرهم. ٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾: الآية: استعارة للكفار. (راجع تفسير الآية ٨٠ من سورة النمل). ٥٣- ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: خاضعون لله متذللون لمواعظ كتابه. ٥٤- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: من ماء مهين أي: من ذي ضعف. وقيل: المراد بيان مدى ضعف الإنسان، حتى كأنه أساس خلقه، أو خلق منه. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: من بعد الضعف قوة لكم على التصرف بعد الصغر والطفولة، وهي مرحلة الشباب، أو قوّة الشباب. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾: الهرم والكبر. ٥٥- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، وسميت ساعة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يحلفون على الكذب وهم يعلمون. ٥٦- ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيما كتب الله مما سبق في علمه. ٥٧- ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترجعون عما كانوا يكذبون به في الدنيا. ٥٨- ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: فيما تجيؤوننا به من هذه الأمور. وتدل الآية على قسوة قلوب هؤلاء الكفار وعجرفة طباعهم! وأنهم عند رؤية الآية المعجزة يعمهون! ويقولون في الذين آمنوا: إنهم مبطلون. ٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾: يختم الله. ٦٠- ﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم وعداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بنصرك وإظهار دينك على الدين كله ﴿حَقٌّ﴾: لا خُلف فيه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: يستخفنّ حلمك ورأيك ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: بالمعاد، ولا يُصدِّقون بالبعث. أو الذين لا يوقنون بالدين، ولا يصدقون بالكتب والرسل والنبيين.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل : ٨١، الروم : ٥٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل والروم، وهي تبين أن النبي ﷺ ليس بهاد عن الضلالة مَن أعماه الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنه أن يُسمع إلا مَن يصدِّق بآياتنا، فهم مسلمون مطيعون، مستجيبون لما دعوتهم إليه. [٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ [الروم : ٥٨]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر : ٢٧]. ولقد بيّنَّا للناس في هذا القرآن مِن كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتهم أيها الرسول بأي حجة تدل على صدقك ليقولَنَّ الذين كفروا بك: ما أنتم أيها الرسول وأتباعك إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية الزمر: ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفًا وتحذيرًا؛ ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. [٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم : ٦٠]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾ [غافر : ٥٥]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾ [غافر : ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي ﷺ إلى الصبر وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تحثه على أن لا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء، وأمّا آية غافر فتدعوه إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عمّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نرينَّك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفينَّك قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]. الحيوان البهيم يتأمل العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر. ما تكاد تهتم بمؤونة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤونة الصيف حتى يقوى الحر، والذر يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء. وهذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، فهلا تأهبت للرحيل، وعملت لضجعة القبر ويوم الحساب: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾. [٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ...﴾ قوله تعالى: ﴿ضَعْفٍ﴾ في الثلاثة مواضع قرئ: (ضَعف - ضُعف) بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان. [٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا يَنفَعُ﴾ قرئ: (تنفع) الفعل بتاء في أوله على أنها تاء التأنيث، نظرًا إلى أن فاعله وهو معذرة مؤنث مجازي. وقرئ: (ينفع) بالياء لكون ذلك التأنيث مجازيًا، ولفصل الفعل من الفاعل.

= يُسيء إلى الناس كثيرًا خاصة أصحاب الدخول الثابتة كالموظفين والعمال، ومن ثمَّ تنخفض دخولهم الحقيقية. ٤- الكساد والبطالة: إذا ارتفعت أثمانُ الأشياء ارتفاعًا عاليًا فإن الناس يكفون عن الإقبال على السلع والخدمات المرتفعة الأثمان، إما لعدم قدرتهم على دفع أثمانها، أو لأنها ترهق ميزانيتهم، وإذا امتنع الناسُ عن الشراء كسدت البضائعُ في المخازن والمتاجر، وبسبب ذلك تُقلل المصانعُ من الإنتاج، وقد تتوقف عنه، ولا بد في هذه الحالة من تخفيض إنتاجها، والاستغناء عن عددٍ من عمالها وموظفيها، أو الاستغناء عن جميع عمالها وموظفيها إذا توقفت عن الإنتاج. ٥- توجيه الاقتصاد وجهةً منحرفة: ومن بلايا الربا أنه يوجه الاقتصاد وجهةً منحرفة، فالمرابي يدفع لمن يعطيه ربحًا أكثر، والمرابي لا يُوظِّفُ المال الذي اقترضه إلا في مجالات تعود عليه بربح أكثر مما فرضه عليه المرابي، إذًا القضية تكالبٌ على تحصيل المال، وفي سبيل ذلك تُتجاوز المشروعات النافعة التي تعود بالخير على المجتمع، ويوظَّفُ المالُ في المشروعات الأكثر إدرارًا للربح. ٦- تشجيع المُرابي على المغامرة والإسراف: إن الحصول على المال بالربا سهل ميسور، ما دام المرابي يضمن عودة المال إليه، ولذا فإن الذين ليس لهم تجربة، وليس عندهم خبرة يُغويهم الطمع، فيأخذون القروض بالربا، ثم يشرعون في أعمال ومشروعات قد يكون محكومًا عليها بالفشل، أو يدخلون في أعمالٍ هي أقرب إلى المقامرة منها إلى الأعمال الصالحة، ومتى كثر هذا النوعُ من الأعمال فإنه يضر باقتصاد الأمة، والمرابي لا يمتنع عن إمداد هؤلاء بالمال، لأنه لا يشغل ذهنه وفكره بالطريقة التي يوظفُ المال بها، وكل ما يَشغله عودة المال برباه، وقد أوجب علينا الإسلامُ منعَ السفيه من التصرف في ماله حفاظًا على ثروة الأمة من الضياع ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]. حقائق صحفية: ١- ذكرت مجلة التايمز الأمريكية في الدراسة التي قامت بها عن ديون العالم الثالث في مطلع هذا العام أن دولة «ليبيريا» انغمست في الدين الربوي من أجل استضافة اجتماعات منظمة الوحدة الإفريقية. ٢- كما ذكرت أن جمهورية (أفريقيا الوسطى) قامت بإنفاق خمسين مليون دولار أمريكي «نصف الميزانية السنوية لتلك الدولة تقريبًا»، وذلك عام ١٩٧٧م، على حفل تتويج الإمبراطور (بوكاسا). يقول المراغي: يسهلُ على المقترضين أخذ المال من غير بدلٍ حاضرٍ، ويزين الشيطانُ لهم إنفاقه في وجوه الكماليات التي كان يمكن الاستغناء عنها، ويغريهم بالمزيدِ من الاستدانة، ولا يزالُ يزدادُ ثِقَلُ الدَّيْن، ولا يزالون يماطلون ويؤجلون، ويزداد دَيْنُهم يومًا بعد يوم =

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان

١، ٢- ﴿الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: هذه آيات الكتاب الحكيم بياناً وتفصيلاً. و«الحكيم» بمعنى ذي الحكمة، أو الحكيم قائله. ٦- ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: قيل: الغناء والاستماع له. وقيل: كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله، مما نهى الله ورسوله عن استماعه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ليضل لهوُ الحديث عن دين الله وطاعته، وقراءة القرآن وذكره. وقال ابن عباس: إنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنِّية، وفي رواية: لتغني بهجاء رسول الله ﷺ. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث اشترى أحاديث الأعاجم، وكان يكتب الكتب من الحيرة إلى الشام، ويكذب بالقرآن ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذِلّ مُخز في نار جهنم. ٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: هذا الذي اشترى لهو الحديث ﴿وَقْرًا﴾: ثقلاً. ١٠- ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: قال ابن عباس: لعلها بعمد لا ترونها! وقال جمهور المفسّرين: «ترونها» في موضع نصب على الحال، والضمير في «ترونها» يعود على السماء، فيكون المعنى: إن السماء بغير عمد، وأنها تُرى كذلك. ﴿رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثابتة ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: لئلا تضطرب بكم ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: من كل نوع من النبات ﴿كَرِيمٍ﴾: حسن. وقال بعض المفسّرين: وصفه بكونه كريماً لحسن لونه وكثرة منافعه. ١١- ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: من الهتكم التي تعبدونها. والاستفهام في الآية للتقريع والتوبيخ.

[٦] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية. قال نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه، واسقيه، وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه، فنزلت.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. انظر سورة العنكبوت آية : ١. [٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس:١، لقمان:٢] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف : ١، الشعراء : ٢، القصص : ٢]. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبيَّنه لعباده، أمَّا ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، أي: هذه آيات الكتاب البيِّن الواضح في معانيه وحلاله وحرامه وهداه. [٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل : ٣، لقمان : ٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النمل ولقمان، وهي تبين حال المؤمنين، وأنهم يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون. [٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥، لقمان : ٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي البقرة ولقمان، وهي تدل على أن المتصفين بالصفات السابقة على بيان من ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة. [٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان : ٧]، ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية : ٨]. إن هذا الكافر أخبر الله عنه في سورة لقمان بأنه يُعرض عن القرآن إذا سمعه غير منتفع به، حتى كأنه لم يسمعه، ويستمر به الحال، كما يستمر بمن به صمم، وقوله في الجاثية: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية : ٨]، يدل على مادل عليه ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان : ٧]؛ لأن الإصرار عزم لا يتهم معه بإقلاع، فإذا أصر على التصامم فهو كمن في أذنيه وقر، فصار أحد اللفظين يغنى عن الآخر ويقوم مقامه، ويؤدي من المعنى أداءه، فلذلك لم يجمع بينهما، وكان الموضع الذي ذكر فيه: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أحق بقوله: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، والموضع الذي ذكر فيه الإصرار على ترك الاستماع أغنى عن ذكر كأن في أذنيه وقرًا. [١٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ...﴾ [الرعد : ٢]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ...﴾ [لقمان : ١٠]. الله تعالى هو الذي رفع السماوات السبع بقدرته من غير عمد كما ترونها، ثم استوى، أي: علا وارتفع، على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وذلَّل الشمس والقمر لمنافع العباد... فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أمَّا آية لقمان: خلق الله السماوات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبالاً ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم...

[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾ قرئ: (رحمةٌ) برفع "رحمة" لعطفه على "هدى" المرفوع تقديرًا على أنه خبر ثان لاسم الإشارة قبله، وهو تلك، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو والضمير يعود على الكتاب. وقرئ: (رحمةً) بالنصب لعطفه على "هدى" المنصوب تقديرًا على أنه حال من آيات المضاف لكتاب، أو من الكتاب المضاف إليه، وشرط مجيء الحال من المضاف إليه مخفف؛ لأن المضاف جزء من المضاف إليه، والعامل في الحال ما في اسم الإشارة من معنى الفعل. [٦] ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قرئ: (ويتخذُها) بالرفع على العطف على "يشتري" الواقع صلة لمن. وقرئ: (ويتخذَها) بالنصب على عطفه على قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ المنصوب بأن مضمرة جوازًا بعد "لام التعليل".

= حتى يستولي الدائنون قسرًا على كل ما يملكون، فيُصبحوا فقراء معدمين، وصدق اللهُ حيث قال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾. ٧- سيطرة اليهود على رؤوس أموال المسلمين، إذ أودع المسلمون الفائض من أموالهم في البنوك الربوية في دول الكفر، وهذا الإيداعُ يُجرِّدُ المسلمين من أدوات النشاط الاقتصادي، ومن القوة القاهرة في المبادلات، ثم يضعها في أيدي أباطرة المال اليهودي، الذين أحكموا سيطرتهم على أسواق المال، وهذه الفوائد الخبيثة التي يدفعها لنا المرابون هي ثمن التحكم في السيولة الدولية. نهاية المرابين وعاقبتهم: اليوم تعاني أمريكا ـ زعيمة العالم الرأسمالي ـ من أزمة بطالة مُخيفة، إن تكبيل الأمة بهذه القيود الرهيبة يجعلها تعمل وتعمل، ولا تستفيد شيئًا من عملها، كل عملها يذهب إلى خزانة المرابين، وعند ذلك لا يستطيع الأفراد الحصول على حاجتهم، ومع ذلك فإن الدولة تفرض المزيد من الضرائب، وترفع الأسعار فتقوم الثورات، وتحصل الاضرابات، وتزهق الأرواح، وقد يصل الأمر إلى درجة تعجز الدولة فيه عن سداد ديونها، وعند =

نزول سورة لقمان: نزلت بعد سورة الصافات، وهي مكيَّة، سوى آيتين: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان : ٢٨]. عدد كلمات سورة لقمان: خمسمائة وثمانٍ وأربعون. عدد =

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٢- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: العقل والفقه في الدين، والإصابة في القول. وقيل: كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً، وقيل: كان نبياً. ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: لأن الله يجزل له على شكره الثواب، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾: عن خلقه لا يزيد شكرهم في سلطانه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود على كل حال. ١٣- ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: خطأ من الفعل عظيم. ١٤- ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: ضعفاً على ضعف، وشدة على شدة، وقيل: عنى: وهن الولد على وهن الوالدة في حمله ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: فطامه ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾: على نعمتي عليك ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾: على ما عالجا من المشقة فيك حتى استحكمت قواك ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: مصيرك، وأنا سائلك عما كان منك. ١٥- ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: بالطاعة لهما، فيما لا تبعة عليك، ولا إثم بينك وبين ربك ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾: طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، وهذا الخبر من الله، عن وصيته عباده، اعتراض بين وصيتيّ لقمان لابنه. ١٦- ﴿إِنَّهَآ﴾: اي الخصلة من الإساءة او الإحسان ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: زنة حبّة من خردل، من خير او شر عَمِلتَه ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾: اي في اخفى مكان واحرزه ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يوم القيامة حتى يوفّيه جزاءه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت، لأنه لا تخفى عليه خافية ﴿خَبِيرٌ﴾: بموضعها. ١٧- ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: مما عزم الله عليه من الأمور، وأمر به. أو إن تنفيذ هذه الوصايا والأحكام يحتاج إلى عزيمة وقوة راسخة في الإرادة. ١٨- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: معناه: لا تُعرض بوجهك عمّن كلّمتَه، تكبراً واستحقاراً لمن تُكلمه. وأصل «الصَّعَر»: داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها، فشبّه بذلك الرجل المتكبر على الناس ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: بالخيلاء ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متكبر ﴿فَخُورٍ﴾: يُعدِّد ما أُعطي وهو لا يشكر الله عز وجل. ١٩- ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: لا تستكبر ولا تعجل، ولكن اتَّئِد ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: اخفض، واجعله قصداً إذا تكلمت ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أوحَشَها وأقبحها.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان : ١٢]. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ بصيغة المضارع لأن الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله، أما ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فجاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط. قاعدة: الفعل الماضي بعد أداة الشرط مع المستقبل يفترض الحدث مرة واحدة، أما الفعل المضارع فيدلّ على تكرار الحدث. [١٢] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٨]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان : ١٢]. آية إبراهيم آكد لأنه ذكر اللام في قوله: ﴿لَغَنِىٌّ﴾، وأمّا آية لقمان فقد ذكرت صنفين من الخلق وهما من شكر ومن كفر، وآية إبراهيم افترضت كفر أهل الأرض جميعًا؛ لذا جاء قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾، أعم وأشمل، وكذلك ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾، تحتاج إلى الاستمرار وتحتاج إلى التوكيد. [١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ [لقمان : ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف : ١٥]. الجمهور على أنّ الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "وهو سعد بن أبي وقّاص"، وأنّها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسنًا"؛ لأنّ قوله بعده: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان : ١٤]، قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حمله" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت : ٧]، فإنّه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، أي: ألزمناه "حَسنًا" في حقّهما، وقيامًا بأمرهما، وإعراضًا عنهما، وخلافًا لقولهما إن أمرَاهُ بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حمله ووضعه. [١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [العنكبوت : ٨]، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ [لقمان : ١٥]. ما في سورة العنكبوت وافق ما قبله لفظًا، وهو قوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت : ٦]، وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأنّ التقدير: وإن حملاك على أن تشرك.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قوله تعالى: ﴿تُصَعِّرْ﴾ فقرئ: (تصاعِر) بألف بعد الصاد وتخفيف العين بعدها، كما قرئ: (تصعَّر) بتشديد العين وحذف الألف. والأول: من صاعر، والثاني: من صعَّر المزيد بالتضعيف، والمعنى: لا تمل خدك عن الناس تكبرًا، وأصله: من الصعر، مرض يصيب الإبل والبقر فيلوي رقابها، فأطلق على كل من أعرض عن الناس تكبرًا، فيقال: فلان يصعر خده أو يصاعره، أي: يتكبر على الناس فيعرض عنهم. وحكى سيبويه أن صاعر وصعر بمعنىً، وقال الأخفش: لا تصاعر بالألف: لغة أهل الحجاز، وبغير ألف مشددة: لغة بني تميم. قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ حيث جاءت، قرئ: (يابنيَّ) بفتح الياء في الستة، وذلك لأن أصل ابن "بنو" صغر على "بنيو" فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها، ثم لحقتها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقلبت ألفًا، ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة. وقرئ: (يابنيْ) بسكون الياء للتخفيف. وقرئ: (يابنيِّ) بكسر الياء مشددة فيها، قيل: إن الأصل في هذه الكلمة ثلاث ياءات: الأولى: للتصغير، والثانية: لام الفعل في ابن؛ لأن أصله بني على فعل، والتصغير يردُّ المصغرات إلى أصلها فردت إليها لأنها أصلية، وامتنعت ياء التصغير عن دخول الحركات فيها، والثالثة: ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة التي ينكسر ما قبلها أبدًا، فأدغمت ياء التصغير في الثانية، وفي لام الفعل، وكسرت لأجل ياء الإضافة، وحذفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة تدل على ياء الإضافة؛ وكلها لغات.

= ذلك تلغي الدولةُ ديونها كما حدث في كوبا سنة ١٩٦١م، وكوريا الشمالية عام ١٩٧٤م. وشهد شاهدٌ من أهلها: يقول ستيروارت جرينيوم ـ أستاذ البنوك والتمويل بجامعة (نورث وسترين): تصوَّر نفسك أحد الحكام الديكتاتوريين في أمريكا اللاتينية، وقد غرقت في الديون، فإذا ما وافقت على شروط صندوق النقد الدولي، وخفضت مثلًا من حجم الواردات، فسوف تواجه بمظاهرات الاحتجاج، وحركات التمرد في الشوارع، وإذا ما عجزت عن سداد الديون، وتوقفت عن الدفع سوف تُنبذ من المجتمع الدولي مشنوقًا على فرع شجرة ـ قطعًا، ستسلك الطريق الثاني وهو التوقف عن السداد. [٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١]. ظهور الفساد: ظهور الفساد الذي يشمل البر والبحر، وقد عبّر القرآن عن ذلك =

= حروف سورة لقمان: ألفان ومائة وعشرة. أسماء سورة لقمان: سمّيت سورة لقمان لاشتمالها على قصّته. مواضيع سورة لقمان: معظم مقصود السّورة: بشارة المؤمنين بنزول القرآن، والأمر بإقامة الصّلاة، وأداءِ الزّكاة، والشكاية من قوم اشتغلوا بلَهْو الحديث، والشكاية من المشركين في الإعراض عن الحقّ، وإقامة الحجّة =

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

٢٠- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: شهادة أن لا إله إلا الله ظاهرة على الألسن، وباطنة في القلوب اعتقاداً أو معرفة، وقيل: النعم الظاهرة: كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بالتفكير والتدبر. ومعنى «أسبغ»: أتم وأكمل ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: يخاصم في توحيد الله والعبادة له ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: بغير علم من عقل أو نقل، وليس معه من الله برهان ولا كتاب. ٢١- ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: النار التي تستعر وتتلهب. ٢٢- ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: متذللاً له بالعبودية مقراً بالألوهية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في أعماله، أي لغيره. وقيل: مطيع لله في أمره ونهيه ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يَخاف انقطاعه مَن تمسك به ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: مرجع كل أمر خير وشر، وهو المجازي عنه. ٢٤- ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: نُمهلهم في هذه الدنيا، مدة قليلة يتمتعون بها. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: نلجئهم إلى عذاب النار؛ الذي لا أثقل منه على من وقع فيه. ٢٥، ٢٦- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على اعترافكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: انه يجب له الحمد والشكر، لا يُعبد معه غيره. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عن عبادة هؤلاء، المستحق للحمد وإن لم يحمدوه. ٢٧- ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾: لنفدت الأقلام والبحور، ولم ينفد علم الله وحكمته وعجائبه. وكان المشركون يقولون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فأنزل الله هذه الآية. ٢٨- ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: كخلق نفس واحدة وبعثها، إنما قوله في القليل والكثير ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلًا، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلًا عنيت: قالوا: فإنك تتلو إنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل» فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾. وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.

[٢٩] ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. معنى قوله: ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، معناه: لا يزال جاريًا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، وإنما خص ما في سورة لقمان بإلى التي للانتهاء، واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وبعدها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس، وتنكدر فيه النجوم كما أخبر الله تعالى، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السماوات والأرض وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، وكذلك قوله في سورة فاطر إنما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر، إذ يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، فاختص ما =

[٢٠] ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قوله تعالى: ﴿نِعَمَهُ﴾ قرئ: (نِعَمَهُ) بفتح العين وضم الهاء على أنه جمع نعمة، مضاف إلى ضمير يعود على الله، وذلك لتنوع "نعمه" وكثرتها، ومما يدل على إرادة الأنواع من النعم قوله بعد "ظاهرة وباطنة". وقرئ: (نِعْمَةً) بسكون العين وتاء بعد الميم بعدها تنوين على أنها مصدر أريد به الجنس. [٢٧] ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ قرئ: (والبحرُ) بالرفع على أنه معطوف على المصدر المنسبك من أن وما بعدها، وهذا المصدر فاعل لفعل محذوف عند سيبويه تقديره: ولو ثبت كون ما في الأرض من شجر إلى آخره، ومبتدأ عند المبرد، بناء على أن لو يجوز دخولها على الجمل الاسمية، وهذا بناء على أن الكلام من عطف المفردات، وأن الواو للعطف، ويجوز أن تكون الواو على هذه القراءة للحال، و"البحر" مبتدأ، والجملة بعده خبر. وقرئ: (والبحرَ) بالنصب على أنه معطوف على محل ما في الأرض؛ لأن محله النصب، فهو اسم "أن" وجملة: يمده معطوفة على "أقلام".

= بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الروم: ٤١]، ووصفها بالماضي؛ لأن القرآن لا ينطق إلا بالحق فالمستقبل بالنسبة لله هو حقيقة واقعة لا مفر منها، وكأنها وقعت في الماضي وانتهى الأمر، ولذلك جاء التعبير عن هذه الحقيقة العلمية بالفعل الماضي. وكذلك تحدثت الآية عن المسؤول عن هذا الفساد البيئي، وحددت الفاعل وهو الإنسان، وتحدثت عن إمكانية الرجوع إلى العقل والمنطق، وإلى العمل على إعادة التوازن للأرض. [١٤] ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. أقل مدة للحمل: سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهي حولين أي: (٢٤) أربع وعشرون شهرًا من (٣٠) ثلاثين شهرًا، والتي هي مدة الحمل والإرضاع، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيًّا إذا ولد بتمامها. وهذا ما كشفت عنه الأبحاث العلمية. وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم، إذ روي أن رجلًا تزوج امرأة فولدت لستة أشهر، فهمَّ عثمان بن =

= عليهم، والمِنَّة على لقمان بما أُعطي من الحكمة، والوصيّة برّ الوالدين، ووصية لقمان لأولاده، والمِنّة بإسباغ النعمة، وإلزام الحجّة على أهل الضّلالة، وبيان أنَّ كلمات القرآن بحور المعاني، والحجّة على حَقِّيَّة البَعْث، والشكاية من المشركين بإقبالهم على الحقّ في وقت المِحْنة، وإعراضهم عنه في وقت النعمة، وتخويف الخَلْق =

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢٩- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ..﴾: يدخل الليل في النهار، فما قَصُرَ من أحدهما زاد في الآخر. (وانظر الآية ٦١ سورة الحج). ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يجري بأمره إلى وقت معلوم، إذا بلغه كُوِّرت الشمس والقمر. ٣١- ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾: أي بنعم الله مما تحمله السفن من الطعام والأرزاق والتجارات. وقيل: «الباء» للسببية؛ أي أن السفن تجري بالريح وبسنّة التسخير الإلهي في الكون. ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن محارم الله ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمة الله عز وجل. و«صبّار» صيغة مبالغة، أي كثير الصبر؛ قيل: إن فيها إشارة إلى ما يحتاج إليه العاملون في البحر على ظهر السفن. ٣٢- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾: يعني: الذين يدعون من دون الله آلهة ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: جمع «ظلة»، شُبّه به الموج في شدة سواده وكثرة الماء يركب بعضه بعضاً ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: دون الأنداد، ولا يستغيثون بغيره ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: مُقِرٌّ بربه، وهو كافر مع ذلك؛ أي مضمر للكفر في نفسه. وقيل «مقتصد»: موفٍ بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين، باقٍ على ذلك بعد أن نجاه الله من هول البحر، وأخرجه إلى البر سالماً ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدّار، و«الخَتْرُ» عند العرب: أقبح الغدر ﴿كَفُورٍ﴾: لنعم الله عز وجل غير شاكر. ٣٣- ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ﴾: لا يُغني ﴿الْغَرُورُ﴾: بفتح الغين: وهو ما غرّ الإنسان من شيء، شيطاناً كان أو إنساناً أو غيره. ٣٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره لقوله: «عنده». ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: متى شاء، وعلى من شاء، وبالقدر الذي يشاء، وهو الذي يحدد له الزمان والمكان. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: جميعها لا يحصيها إلا هو، كما يعلم مصيرها، وما تؤول إليه. ﴿مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: تعمل من خير أو شر، أو تكسب في موازين الدنيا والآخرة.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ما تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

= عند ذكر النهاية بحرفها، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها. [٣٠] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]. الآية الأولى وقعت في مكان تقدمت فيه توكيدات مترادفة في ستة مواضع، وهي: قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، فاللام والنون مؤكدتان، وبعده: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، واللام مع "هو" مؤكدتان، وبعده: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾، واللام والنون سبيلهما تلك السبيل، وبعده: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩]، واللام التي في خبر "إن" كذلك، وبعده: ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، فلما ترادفت التوكيدات جاء في هذا الموضع مؤكدًا بقوله: "هو" في الآية.. وليس كذلك ما جاء في سورة لقمان، لأنه لم تتقدمه التوكيدات التي تستتبع أمثالها كما تقدمت في الأولى. قول آخر: سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه، وهو تكرر الإشارة إلى آلهتهم والإفصاح بذكرها تعريفًا بوهن مرتكبهم وشنيع حالهم، وأوضح هذا المتكرر وأشده ملاءمة الإتيان بهذا الضمير المعد فصلًا أو مبتدأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]، فهذه الآية والتي ذكرنا قبلها أنسب شيء لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ...﴾ [الحج: ٦٢]، تمهيدًا وتوطئة لما وُبِّخوا به بعدها وقُرِّعوا مما لا يجدون عليه جوابًا.. ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا لم يرد فيها التأكيد. [٣٢] ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ...﴾ [لقمان: ٣٢]. الآيات تبين حال الكفار عند الشدائد وتضرعهم إلى الله بكل إخلاص حتى يكشف عنهم ما حل بهم من الكرب. [٣٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ...﴾ [لقمان: ٣٣]. الآيات الثلاث تدعو الناس إلى أن يخافوا الله ويلتزموا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، وآية النساء تبين أن الله هو الذي خلقهم من نفس واحدة، هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالًا كثيرًا ونساء كثيرات.. وآية الحج توضح أهوال يوم القيامة، وماذا يحدث في هذا اليوم العظيم من زلزلة للأرض، وأمّا آية لقمان فتحذرهم من يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا، والفرق بين الآيات واضح وبيّن.

[١٩] ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيرًا ما جعله لله للحمير. وفي هذه الآية تأديب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونًا بهم، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، فنهي الله سبحانه وتعالى عن هذه الخُلق الجاهلي. [٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١]. ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا، أنهما أنسب لمقام السير في البحر إذ راكب البحر بين خطر وسلامة، وهما مظهر الصبر والشكر. [٣٤] ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. تأمل: قال سبحانه وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، ولم يقل وماتدري نفس ماذا تعمل غدًا، فلماذا؟ لأن النفوس تعلم ماذا ستعمل في غدها، لكن هل تكسبه أو لا؟ هذا في علم الله.

[٣٠] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ: (يدعون) بالياء على إرادة الغيبة، وهو ظاهر السياق إن كانت الكاف في قوله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كما هو الظاهر. وقرئ: (تدعون) بالتاء على إرادة خطاب المشركين الحاضرين التفاتًا لخطابهم؛ لأنه أدعى إلى التبكيت.

= عفان رضي الله عنه بتطبيق حد الزنا عليها ظنًا منه أن بداية حملها قبل الزواج، فقال ابن عباس رضي الله عنه: أما إنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم، قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال أيضًا: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر، فبرئت المرأة.

= بصعوبة القيامة وهَوْلها، وبيان خمسة علوم مما يختص به الرّبّ الواحد تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ...﴾ [لقمان: ٣٤].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ السَّجۡدَةِ

١، ٢- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الذي نزل على محمد ﷺ ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا شك ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: رب الجن والإنس، وسائر العوالم من خلق الله تعالى. ٣- ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾: لم يأت هؤلاء القوم من قريش نذير يُنذرهم قبلك. ٤- ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: الله تعالى أعلم بها، لأن «اليوم» أو اليوم والليلة في العُرف الإنساني لا ينطبق عليها. وقد تسمى هذه الأيام بأيام الدنيا، ولكنها ليست هي. ﴿مِن وَلِيّٖ﴾: يلي أمركم، وينصركم منهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾: يشفع لكم عنده. ٥- ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، وبين الأرض والسماء مثل ذلك، فذلك ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: من أيام الدنيا. وقيل: المعنى: ثم يرجع إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره- لو سير فيه السير المعروف عند البشر- ألف سنة. ٧- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: أتقنه وأحكمه. ٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: يعني جعل عز وجل ذرية آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾: من الماء الذي انسل منه فخرج ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: من نطفة ضعيفة، يقال: مَهُنَ الإنسان: إذا ضعف وذلّ. ٩- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: عدل خلقه وسوّى شكله وجعله معتدلاً. ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: أكرم الله تعالى بني آدم بنفخة الروح هذه، وبما زوّدهم به من أسباب الحياة الكريمة والضرب في الأرض، ووسائل تحصيل العلم والمعرفة. ١٠- ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض، تقول العرب: قد ضل الماء في اللبن، إذا غلب اللبن عليه حتى لا يتبين الماء فيه. ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾: أنبعث خلقاً جديداً؟! كفراً منهم بالبعث.

١١- ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يستوفي أجلكم بقبض أرواحكم.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تكررت في أوائل ست سور: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة]. انظر سورة العنكبوت آية : ١. [٣] ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٤٦]، ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة : ٣]. الآيتان تتحدثان إلى النبي ﷺ، وتبينان أنه أرسل لإنذار قوم لم يأتهم من قبله من نذير؛ وآية القصص مُذيَّلة برجاء: لعل هؤلاء القوم يتذكرون الخير الذي جئتَ أيها الرسول به فيفعلوه، والشرَّ الذي نَهيتَ عنه فيجتنبوه، وأمَّا آية السجدة فمختومة برجاء: لعل هؤلاء القوم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك. [٤] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الفرقان : ٥٩، السجدة : ٤] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾. يجوز أن يكون "الَّذي" في السورتين مبتدأ، و"الرّحمن" خبره في الفرقان، "وما لكم من دونه" خبره في السّجدة، وجاز غير ذلك. [٥] ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة : ٥]، ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج : ٤]. المراد بآية سورة السجدة: ما ينزل به الملك من السماء، ثم يصعد إليها، وتكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا عن سماء الدنيا، والمراد بآية سأل سائل: يوم القيامة، لما فيه من الأهوال والشدائد، وقوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ﴾ [المعارج : ٤] راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾، أي: واقع ليس له دافع ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:٤].

[٧] ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]. فإنك إذا تأملت الأشياء رأيتها مصنوعة على ما ينبغي، فصلابة الأرض مثلًا للسير عليها، ورقة الهواء ليسهل انتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق لأنها لو كانت مثل الماء يمينًا وشمالًا لكثرت الحرائق فأما الهواء فلا يقبل الاحتراق.

[١٢] ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾ [الكهف:٢٦]، ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ [السجدة:١٢]. لماذا قدم البصر على السمع في الآيتين؟ الجواب: الكلام في سورة الكهف عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد، ولجؤوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم، إذًا مسألة البصر هنا أهم من السمع، فاقتضى السياق تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعونه كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه، لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر "عين اليقين" والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال، ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

[١٦] ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة.

[٧] ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ قرئ: (خلَقه) بفتح اللام على أنه فعل ماضٍ، والجملة: في موضع نصب صفة "لكل" أو موضع جر صفة "لشيء" أي: الذي أحسن كل شيء مخلوقًا له. وقرئ: (خلْقه) بسكون اللام على أنه مصدر، وهو بدل من (كل) بدل اشتمال، والضمير بعده في موضع جر بالإضافة، والتقدير: (أحسن خلق كل شيء)، أي: أتقنه وأحكمه.

[٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة : ٥]. حساب سرعة الضوء في الفراغ: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو أنها اعتبرت الحد الأقصى للسرعة الكونية في الفراغ تعادل دوران القمر حول مداره اثنتي عشرة ألف دورة، ومن ثم استنبط الدكتور محمد دودح المعادلة التي تعطي الرقم الصحيح لحساب سرعة الأمر الإلهي، وقد توصل الدكتور محمد دودح إلى أن الرقم القرآني ينطبق تمامًا مع الرقم الذي أعلنه المؤتمر الدولي للمعايير في باريس سنة ١٩٨٣ وهو ٢٩٩٧٩٢.٤٥٨ كم/ ثانية. [١١] ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) =

نزول سورة السجدة: نزلت بعد سورة المؤمنون، وهي مكيّة بالاتفاق، سوى ثلاث آيات، فإنها مدنيّة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ =

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾: حياء من ربهم للذي سلف منهم في الدنيا، من الشرك والعصيان، ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾: ما كنّا نُخبر به في الدنيا. وكانوا به مكذّبين. حتى كأنهم كانوا في الدنيا عمياً لا يبصرون، وصماً لا يسمعون. ﴿فَٱرْجِعْنَا ﴾: فارددنا إلى الدنيا. ١٣- ﴿هُدَىٰهَا ﴾: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾: وجب العذاب مني لهم. ١٤- ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾: تركناكم اليوم في النار، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾: العذاب الدائم الذي لا ينقطع. ١٥- ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾: نزّهوه في سجودهم مما يصفه به أهل الكفر ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾: عن السجود والتذلل. ١٦- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾: تتنحّى عن مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم فيها، فلا ينامون، وهم المتهجّدون بالليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش. وقيل: عنى به الصلاة فيما بين المغرب والعشاء. وقيل: نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: أي: من الذي رزقناهم، او من رزقهم. والآية عامة في الزكاة الواجبة وصدقة التطوع، وغيرهما كذلك في سبيل الله. ١٧- ﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾: يعني: الذين تتجافى جنوبهم، عند الله عز وجل، مما لم تره عين، ولا سمعت به اذن، ولا خطر على قلب بشر. ١٨- ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾: إلى آخر الآية. الاستفهام للإنكار، أي: ليس المؤمن كالفاسق. وفصّلت الآيات التي بعدها ثواب المؤمن. وعقوبة الفاسق. قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أبي مُعيطٍ في كلام كان بينهما، افتخر فيه الوليد وتطاول. ١٩- ﴿ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾: بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة، ويأوون إليها ﴿ نُزُلًۢا ﴾: أنزلهموها الله. ٢٠- ﴿فَسَقُوا۟﴾: أشركوا، وتمردوا على الله ورسله.

[١٦] قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ الآية. أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ وفي إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف. وأخرج الترمذي وصححه أنس أن هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. [١٨] قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ الآية. أخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا احد منك سنانًا، وابسط منك لسانًا، واملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله. وأخرج ابن عدي، والخطيب في تاريخه، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس مثله وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط وذلك في سباب كان بينهما، كذا في هذه الرواية، أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، لا الوليد.

[٢٠] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢]، ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [السجدة : ٢٠]. السياق المتقدم لآية الحج يقتضي زيادة اللفظ، فالغم هو الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسًا، وقبل الآية قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ١٩-٢١]، فاشتمل العذاب عليهم، وأحاط بهم إحاطة الثوب للجسد، فبلغ بهم الغم والكرب غايته، أعاذنا الله منها، فناسب الآية الزيادة، أمّا آية السجدة فلم يتقدمها ما تقدم آية الحج فناسبها الحذف، فزيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى. وخصت سورة الحج بالإضمار في قوله تعالى: ﴿ وَذُوقُوا۟ ﴾، لطُول الكلام بوصف العذاب، وخصّت سورة السّجدة بالإظهار في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ ﴾، موافقة للقول قبله في مواضع منها: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [السجدة : ٣]، ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ١٠]، و﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١]، و﴿ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة : ١٣]، وليس في الحجّ منه شيء. [٢٠] ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠]، ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٢]. سبب الاختلاف بين الآيتين هو أن لفظ "النار" في آية سورة السجدة اسم ظاهر وقع موقع الضمير، والضمير لا يوصف فوُصف العذاب، فحسن التذكير، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠]، أمّا آية سورة سبأ فإنه لم يتقدم ذكر النار في الآية، فحسُن وصف النار، فجاءت الآية بالتأنيث، يقول الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٢]. قول آخر: آية السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة : ٢١]، فلما تفصل ذكر العذاب إعلامًا بإلحاق العذاب الأدنى دون الأكبر بمن جرى الوعيد لهم، والعذاب مذكر، وقد تكرر، فتأكد رعيه، فناسبه عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكرًا؛ ليجري ذلك كله مجرى واحدًا، ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك، أعيد الضمير إلى النار مؤنثًا، والله أعلم.

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أُخْفِىَ ﴾ قرئ: (أخفيْ) بسكون الياء على أنه مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، والضم فيه مقدر على الياء للثقل، وماضيه أخفى فهو رباعي، ولهذا ضم أوله، والفعل مسند إلى ضمير المتكلم فهو إخبار من الله عز وجل عن نفسه بأنه أخفى عن أهل الجنة ما تقر به أعينهم بدخول الجنة ونعيمها، والسلامة من النار وعذابها، ويقويه أن قبله: ﴿ لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ ﴾. وقرئ: (أخفيَ) بفتح الياء على أنه ماضٍ مبني للمجهول، ونائب فاعله ضمير يعود على "ما"، وقد حذف فيه الفاعل للعلم به (وما) في هذه القراءة موصولة في موضع نصب بـ(تعلم)، والجملة سدت مسدّ المفعولين.

= مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨ مرة). [١١] ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة.

= عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ١٨-٢٠]. عدد كلمات سورة السجدة: ثلاثمائة وثلاثون. عدد حروف سورة السجدة: ألف وخمسمائة وتسعة وتسعون. أسماء سورة السجدة: لها ثلاثة أسماء: الأول: سورة السّجدة، لاشتمالها على سجدة التلاوة، الثاني: سجدة لقمان؛ للتميز عن حم السّجدة، الثالث: المضاجع: =

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: قيل: مصائب الدنيا في الأنفس والأموال. وقيل: الحدود. وقيل: قتلهم يوم بدر. ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ﴿يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون. ٢٣- ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: في شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: قيل: من أنك لقيت موسى، أو تلقاه ليلة الإسراء بك ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: يعني: موسى عليه السلام ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: رشاداً يرشدون باتباعه. ٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾: أي أنبياء يُهتدى بهديهم. ٢٦- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: يُبيِّن لهم فيتعظوا. ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: عاد وثمود ونحوهم. ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾: يمشون في مساكن هؤلاء الأقوام المهلكين، ويشاهدون ما فيها من الآثار والعبر.. ولا يعتبرون! ٢٧- ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: اليابسة الغليظة التي لا نبات عليها. ٢٨- ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾: كان المشركون يقولون: متى مجيءُ هذا الفتح الذي تنتظرون؟! يعنون به القضاء والفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذي يقضي الله فيه بين عباده. ٢٩- ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾: يوم الحكم ومجيء العذاب ﴿يُنظَرُونَ﴾: يُؤخرون. ٣٠- ﴿وَٱنتَظِرْ﴾: ما الله صانع بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾: يوم القيامة، أو العذاب.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن قتادة قال الصحابة: إن لنا يومًا يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فنزلت.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ [السجدة: ٢٢]. الفاء للتعقيب وثم للتراخي، وما في سورة الكهف في الأحياء من الكفار، أي: ذُكِّروا فأعرضوا عقيب ما ذكّروا، ونَسُوا ذنوبهم، وهم بعدُ متوقَّع منهم أن يؤمنوا، وما في السّجدة في الأموات من الكفار؛ بدليل قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، أي: ذُكِّروا مرَّة بعد أخرى، وزمانًا بعد زمان بآياتِ ربِّهم ثم أعرضوا عنها بالموتِ، فلم يؤمنوا، وانقطع رجاءُ إيمانهم. [٢٣] ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣]. وكما كرَّم الله محمدًا ﷺ بالإسراء، كرَّم موسى عليه السلام بإعطائه التوراة، وجعلها بيانًا للحق وإرشادًا لبني إسرائيل، متضمنة نهيهم عن اتخاذ غير الله تعالى وليًا أو معبودًا يفوضون إليه أمورهم، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية السجدة: ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك أيها الرسول القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم. [٢٦] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ [طه: ١٢٨]، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ [السجدة: ٢٦]. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفًا عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ، ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخبارًا عمن أعرض عما جاءت به الرسل، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]، هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن، ثم ورد ما بعد مستأنفًا واردًا مورد ما يرد من الكلام التفاتًا، ثم ابتدأ توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، والضمير المجرور لكفار قريش ومن كان معهم... وأمَّا آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مقدر، لما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، كأن قد قيل: أفلا تذكروا ولم يعرضوا، فالواو هنا للعطف. أما عن زيادة "من" بالسجدة؟ فالجواب: ورد في هذه الآي ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها، أو أكثر، أو تكرار التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون آي التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد، فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في الآي الأخرى، فسورة السجدة تتميز بالشدة والإشارة إلى نفاذ الوعيد، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وكان ختم السورة بقوله: ﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]، وقد وقعت الآية بين هذين الوعيدين والتهديدين، فناسب ذكر ﴿مِن﴾، وأمَّا آية طه فلم يرد فيها من التغليظ في الوعيد وتوالي التهديد ما في آية السجدة. [٢٦] ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الأنعام: ٦، السجدة: ٢٦، ص: ٣] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾. ﴿مِن﴾، إنما تزاد في هذه الآيات حيث يراد تأكيدها لما تحويه من وعيد وتخويف، فقد ورد في هذه الآيات تفصيل وعيد في أمة بعينها أو أكثر، أو تكرر التهديد وشدة التخويف، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، أمَّا حين لم يتقدم الآيات وعيد أو تخويف، فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ قرئ: (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها جارة معللة متعلقة بجعل، و"ما" مصدرية"، أي: جعلناهم أئمة هادين لصبرهم. وقرئ: (لَمَّا) بفتح اللام وتشديد الميم كلمة واحدة تضمنت معنى المجازاة، وهي التي تقتضي جوابًا، أي: "لمَّا صبروا جعلناهم" إلخ، أو ظرفية، أي: جعلناهم أئمة حين صبروا. [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في القرآن. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في القرآن. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

= لقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾. مواضيع سورة السجدة: مقصود السورة: تنزيل القرآن، وإنذار سيِّد الرُّسل، وتخليق السماءِ والأرض، وخَلْق الخلائق، وتخصيص الإنسان من بينهم، وتسليط ملك الموت على قبض الأرواح، وفعل ما يسوء العاصين يوم القيامة، ومَلْءُ جهنَّم من أهل الإنكار، والضَّلالة، وسجود خواصّ العِبَاد في أجواف اللَّيالي للعبادة، وإخبارهم بما ادُّخر لهم في العُقْبى: من أنواع الكرامة، والتفريق بين الفاسقين والصادقين في الجزاءِ، والثواب، في يوم المآب، وتسلية النبي ﷺ بتقرير أحوال الأنبياء الماضين، وتقرير الحُجَّة على المنكرين للوحدانية، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة أهل الكفر، وأمره بانتظار النصر بقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠].

سُورَةُ الأَحۡزَابِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾

١ - ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: دُمْ على ذلك وازدد منه. قال ابن عطية: ومتى أمر أحدٌ بشيء هو به متلبّس، فإنما معناه: الدوام في المستقبل على مثل الحالة الماضية. ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾: في قولهم: اطرُد عنا ضعفاء المسلمين. وفيما يُظهرون من النصيحة، وقيل: لا تقبل لهم رأياً ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين. ٣- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: فوض أمرك إليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: حسبك الله حفيظاً لك. ٤- ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾: كذّب الله قوماً من أهل النفاق كانوا يقولون في النبي ﷺ بأنه ذو قلبين. وقيل: كان الرجل، من المنافقين، يقول: لي نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فنزلت الآية لرد النفاق، وبيان أنه لا يجتمع مع الإسلام، كما لا يجتمع قلبان، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾: الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي. والمعنى: ما جعل الله نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا القول كأمهاتكم في التحريم، ولكنه منكر من القول وزور. ٥- ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾: يعني: أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم، وهم ليسوا أبناءكم ﴿هُوَ أَقۡسَطُ﴾: هو أصدق وأعدل. ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ﴾: حرج ولا وزر، فيما وقع منكم خطأ في نسبة هؤلاء. ٦- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أحق بالمؤمنين ﴿مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾: أي: يحكم فيهم بما يشاء من حُكم فيجوز ذلك عليهم. وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً، أو ضَياعاً، أي عيالاً، فليأتني فأنا مولاه». متفق عليه ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾: يعظم بذلك حقهن، وأنهن محرمات عليهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾: أولوا الأرحام، أي القرابات، أحق بعضهم ببعض من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة. ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾: قيل: إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينكم وبينهم من المهاجرين والأنصار، ﴿مَّعۡرُوفٗاۚ﴾: من النصرة والوصية لهم، والعَقل عنهم، بدفع الدية، وما أشبه ذلك، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾: يعني: أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴿مَسۡطُورٗا﴾: في اللوح المكتوب. أو في القرآن مكتوباً.

[١] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾. أخرج ابن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة، دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾. [٤] قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يومًا يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين، قلبًا معكم، وقلبًا معه؟ فأنزل الله ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين، فنزلت. وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد: وكان يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني. وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له جميل بن معمر. [٥] قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

[٦] ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال:٧٥]، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]. وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين، إن الله بكل شيء عليم، يعلم ما يصلح عباده مِن توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحِلْف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمَّا آية الأحزاب: وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة "وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نُسخ ذلك بآية المواريث" إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفًا بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدَّرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]. لماذا لم يقل في ندائه: "يا محمد" كما قال في نداءِ غيره: "يا موسى، يا عيسى، يا داود"؟ الجواب: عَدَل إلى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ إجلالًا له وتعظيمًا، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١، ٦٧]، وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه في الإخبار عنه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ليعلم الناس أنه رسول الله، ليُلقّبوه بذلك ويدعوه به. [٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]. قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾، أي: في الحرمةِ والاحترام، وإنما جعلهن الله كالأمهات، ولم يجعل نبيّه كالأب، حتى قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ لأنه تعالى أراد أن أمته يدعون أزواجه بأشرف ما تُنادى به النساء وهو الأم، وأشرفُ ما يُنادى بِهِ النبيُّ ﷺ لفظُ الرسول لا الأب، ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات، إجلالًا لنبيّه، لئلا يطمَع أحدٌ في نكاحهن بعده، ولو جعله أبًا للمؤمنين، لكان أبًا للمؤمناتِ أيضا فيحرُمْن عليه، وذلك يُنافي إجلالَه وتعظيمه، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا، وذلك أعظم من الأبِ في القرب والحرمة، إذ لا أقربَ لِلإنسان من نفسه، ولأن من الآباءِ من يتبرأ من ابنه، ولا يمكنه أن يتبرأ من نفسه.

[٢، ٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ قوله تعالى: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون) بياء الغيبة فيهما على أن الواو للكافرين والمنافقين، والتقدير: لا تطعهم يا محمد فهو في الظاهر أمر للنبي ومعناه لأمته، أي: لا تطيعوهم، إن الله كان بما يعملون. وقرئ: (تعملون) بالخطاب بإسناده المؤمنين وأمره ﷺ بالتقوى تفخيمًا لشأنه، أو الخطاب له صلى الله عليه وسلم لفظًا ولأمته معنى، أو الخطاب للجميع فالكل داخل في المخاطبة، وهو أبلغ. [٤] ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ قرئ: (تَظَّهَّرون) بفتح الهاء وتشديدها مع تشديد الظاء بلا ألف هنا، ووجهه: أنه مضارع تظهَّر وأصله تتظهَّر، فأدغم. =

نزول سورة الأحزاب: نزلت بعد سورة آل عمران، وهي مدنية بالاتفاق. عدد كلمات سورة الأحزاب: ألف ومائتان وثمانون. عدد حروف سورة الأحزاب: خمسة آلاف وسبعمائة وستّة وتسعون. أسماء سورة الأحزاب: سمّيت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصّة حزب الأحزاب في قوله: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

٧- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾: عهدهم، بالتبليغ وأن يصدق بعضهم بعضاً ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾: خصّ هؤلاء الخمسة لأنهم أصحاب الكتب والشرائع الكبرى، ولكونهم من أولي العزم من الرسل. ٨- ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: كما يسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، وعما فعل قومهم فيما بلّغوهم. ٩- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾: إلى آخر الآية. عنى بها حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾: جنود الأحزاب، قريش وغطفان، ويهود بني النضير، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾: هي الصَّبا، أرسلت عليهم حتى ألقت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. ١٠-﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: من جهة المشرق، من أعلى الوادي، جاء عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾: من الجهة المقابلة، من ناحية مكة جاء أبو سفيان ومن تبعه ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾: عدلت عن مقرها وشخصت طامحة، ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾: من الرعب والخوف ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾: المختلفة، فظن المؤمنون أنه النصر، وظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون. ١١- ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾: مُحِّصُوا واختبروا، وعرف المؤمن من الكافر ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾: حُركوا بالفتنة تحريكاً شديداً. ١٣- ﴿ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾: جماعة ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾: اسم أرض. يقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾: أمروهم بالهروب عن رسول الله ﷺ وعسكره ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾: أي ضائعة سائبة، ليست بحصينة، أي نخشى عليها السرقة، وقال ذلك بنو حارثة. ١٤- ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ ﴾: يعني: بيوتهم أو المدينة ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾: من نواحيها، جميعاً لا من بعضها ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴾: والحرب لمحمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ﴿ لَـَٔاتَوْهَا ﴾: لطاروا إليها وأتوها ملبّين! ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾: لم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها إلا يسيرًا، قيل: قدر ما يأخذون سلاحهم. ١٥- ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: يعني: بني حارثة ﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾: ألا يعودوا بعد الذي كان منهم بـ«أحد» مع بني سلمة حين همّا بالفشل. [٩] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودًا، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة، ولا أشد ريحًا منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون، إذ استقبلنا النبي ﷺ رجلًا حتى أتى عليٌّ فقال: ائتني بخبر القوم. فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، الريح تضربهم بها، وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم، وأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. [١٢] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه، عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء =

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ ... ﴾ [المائدة : ١١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ... ﴾ [الأحزاب : ٩]. آية المائدة تدعو المؤمنين أن يذكروا نعمة الأمنِ لهم، وإلقاءِ الرعب في قلوب أعدائهم الذين أرادوا أن يبطشوا بهم... أمّا آية الأحزاب فتدعو المؤمنين لأن يذكرو نعمة الله تعالى التي أنعمها عليهم في "المدينة" أيام غزوة الأحزاب، حين اجتمع عليهم المشركون من خارج "المدينة"، واليهود والمنافقون من "المدينة" وما حولها... [١٢] ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ... ﴾ [الأنفال : ٤٩]، ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢]. واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينُهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، لأن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمّا آية الأحزاب: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلًا من القول وغرورًا، فلا تصدقوه. [٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧]. الآية فيها عطفُ الخاصّ على العامّ، وقُدِّمَ النبيُّ ﷺ في الذكر على مشاهير الأنبياء، لبيان شرفه وفضله عليهم، صلّى الله وسلم عليهم أجمعين، وإنما قُدِّم نوحٌ في آية: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى : ١٣]؛ لأنها سيقت لوصف ما بُعث به نوح من العهد القديم، وما بُعث به نبيُّنا من العهد الحديث، وما بُعث به من توسَّطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح فيها أشدَّ مناسبةً للمقصود. [٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ... وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧]. قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ فائدةُ إعادته التأكيدُ، أو المرادُ بالميثاقِ الغليظِ: هو اليمينُ بالله تعالى على الوفاء بما حُمّلوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقين. [٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧]. بدأت الآية بذكر الرسول ﷺ لأنه أفضل الأنبياء. [٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ [الأحزاب: ٩]. ما الفرق بين "الريح والرياح". أولًا: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترن بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: ٢٢]، =

= وقرئ: (تَظَّاهَرون) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وبعده ألف، على أنه مضارع تظاهر، والأصل: تتظاهرون أدغم التاء في الظاء. وقرئ: (تُظَاهِرون) بضم التاء وفتح الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخففة بوزن تقاتلون، على أنه مضارع ظاهر. وقرئ: (تَظَاهَرون) بفتح التاء وتخفيف الظاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة، والأصل: تتظاهرون حذفت منه إحدى التاءين. [١٠، ٦٦، ٦٧] ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ قوله تعالى: ﴿ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾-﴿ ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾-﴿ ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ قرئ: بالألف =

= [الأحزاب : ٢٠]. مواضيع سورة الأحزاب: معظم مقصود السّورة الذي اشتملت عليه: الأمر بالتّقوى، وأنه ليس في صدرٍ واحد قلبان، وأنَّ المتبنَّى ليس بمنزلة الابن، وأنَّ النبي ﷺ للمؤمنين بمكان الوالد، وأزواجه الطاهرات بمكان الأمهات، وأخذ الميثاق على الأنبياءِ، والسؤال عن صدق الصّادقين، وذكر حَرْبِ =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

١٦- ﴿ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ ﴾: في هذه الدنيا إن فررتم ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: إلى الوقت الذي كُتب لهم أن تنقضي فيه آجالهم. ١٨- ﴿ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾: الذين يُعوِّقون عن رسول الله ﷺ فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: لا يشهدون القتال إن شهدوا إلا تعذيراً، ودفعاً عن أنفسهم. ١٩- ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾: بُخلاء عليكم بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله ﴿ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾: أي كعيون من نزل به الموت وغشيته أسبابه. وذلك إعظاماً للخوف وفَرَقاً من الحرب ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾: وانقطعت الحرب ﴿ سَلَقُوكُمْ ﴾: استقبلوكم بما تكرهون ﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾: ذرِبَةٍ، سليطةٍ، طلباً للغنيمة والقسمة ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾: على الغنيمة، إذا ظفر المؤمنون ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾: لم يُصدِّقوا بالله ورسوله ﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾: أبطلها وأذهب أجرها. ٢٠- ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾: يحسب المنافقون لجبنهم وهلعهم أن الأحزاب لم ينصرفوا. وإن كانوا قد تفرقوا، ﴿ يَوَدُّوا ﴾: يتمنَّوا من الخوف والجبن ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴾: غُيَّب عنكم في البادية، خوفاً من القتل. يقال: قد بدا فلان؛ إذا صار في البدو. ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾: يستخبر هؤلاء المنافقون عن أخباركم بالبادية: هل هلك محمد وأصحابه؟ يتمنون ذلك ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ ﴾: ولم يرجعوا إلى المدينة، وكان قتال ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: تعذيراً، وتَعِلَّةً، أو رياءً وسمعة. ٢١- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾: عتاب من الله عز وجل للمتخلفين في رسول الله ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾: أن تتأسوا به، وتكونوا معه، حيث بذل نفسه للقتال، وخرج إلى الخندق. والآية عامة في الاقتداء برسول الله ﷺ. ٢٢- ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾: فيما أنزل عليهم في سورة البقرة من قوله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ إلى قول الله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢١٤]: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا ﴾: ما أصابهم من الشدة والبلاء إلا تصديقاً لما وعدهم الله ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾: لقضائه.

= ما بين لابيتها، فكبر وكبر المسلمون، فسُئل عن ذلك فقال: «ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل: أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل: أن أمتي ظاهرة عليها». فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾. وأخرج ابن جويبر عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في متعب بن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة. وأخرج ابن إسحاق والبيهقي أيضًا عن عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي، وغيرهما، قال: قال متعب بن قشير: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. وقال أوس بن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة، وهي خارجة من المدينة، ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا، فأنزل الله على رسوله حين فرغ منهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم، وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ الآية.

= وهي الريح اللينة. ب- ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان- عليه السلام- «عاصفةٌ» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرِّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. أمثلة: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحدٍ: مثال: ﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الفرقان: ٤٨]. [١٢] ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]. قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها، فانظر إلى الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو .. حامض .. عذب .. أجاج .. وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه.

= بعد النون واللام وصلًا ووقفًا في الثلاثة للرسم، لأنها هكذا ثابتة في خط المصحف، وأيضًا هذه الألف تشبه هاء السكت. وقرئ: بإثباتها في الوقف دون الوصل إجراءً للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق، وقرئ: بحذفها في الحالين لأنها لا أصل لها، أي: للألف فيها كلها. [١٣] ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَا مُقَامَ ﴾ قرئ: (مُقام) بضم الميم اسم مكان من أقام، أي: لا مكان إقامة. وقرئ: بالضم في ثاني "الدخان: ٥١" كذلك، وقرئ: (مَقام) بالفتح فيها مصدر قام، أي: لا قيام، أو اسم مكان منه، أي: لا مكان قيام. [١٤] ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ قوله تعالى: ﴿ لَآتَوْهَا ﴾ قرئ: (لأتوها) بقصر الهمزة أي بحذف الألف من الإتيان المتعدي لواحد بمعنى: جاءها. وقرئ: (لآتوها) بمدها من الإيتاء المتعدي لاثنين بمعنى أعطوها، وتقدير المفعول الثاني: السائلين، أي: لو قيل لهم كونوا على المسلمين لفعلوا ذلك ولم يمتنعوا منه. [٢٠] ﴿ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ قرئ: (يسَّائلون) بتشديد السين المفتوحة وألف بعدها وأصلها يتساءلون، فأدغمت التاء في السين، أي: يسأل بعضهم بعضًا. وقرئ: (يسألون) بسكون السين بعدها همزة بلا ألف، من سأل يسأل. [٢١] ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أُسْوَةٌ ﴾ قرئ: (أُسوةٌ) بضم الهمزة في الثلاثة هنا و"الممتحنة: ٤، ٦"، وهي: لغة قيس وتميم. وقرئ: (إِسوةٌ) بكسر =

= الأحزاب، والشِّكاية من المنافقين، وذمّ المعرضين، ووفاء الرِّجال بالعهد، وردّ الكفّار بغيظهم، وتخيير أمّهات المؤمنين، ووعظهنَّ، ونصحهنَّ، وبيان شرف أهل البيت الطَّاهرين، ووعد المسلمين والمسلمات بالأجور الوافرات، وحديث تزويج زيد وزينب، ورفع الحَرَج عن النَّبي ﷺ، وختم الأنبياءِ به عليه السَّلام، والأمر =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣- ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: فرغ من العمل الذي كان أوجبه لله عز وجل على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وفي غيرهما من المواطن. و«النحبُ» في كلام العرب؛ النَّذر، ووجوه غير ذلك، منها: الموت ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: الفراغ من الوفاء لله بعهده وإدراك فضل الشهادة، أو النصر والظفر منه. ٢٥- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بالريح وجنوده من الملائكة. ٢٦- ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾: يعني: بني قريظة وهم من يهود، أعانوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: من حصونهم، جمع: صيصيَة. ٢٧- ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: ما فتح الله على رسوله، وعلى المسلمين بعد ذلك من الأرض. ٢٨- ذكر المفسّرون وكتّاب السيرة أن زوجات رسول الله ﷺ سألنَه الزيادة في النفقة، وهو عليها قادر، ولكن رسول الله كان يؤثر الشظف وخشونة العيش، فأمهلهنّ شهراً.. فأنزل الله تعالى آية التخيير هذه، فقرأها عليهن واحدة واحدة، فاخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة، رضي الله عنهن وأرضاهن. وكنّ يومئذ تسعاً، خمسٌ منهن من قريش: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أميّة. وأربع غير قرشيات: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حُييّ بن أخطب، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. رضي الله عن أزواج رسول الله ﷺ أجمعين. ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: بما أوجب الله على الرجال لنسائهم من المتعة عند الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾: أطلقكن. ٣٠- ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: قيل: ظاهرة القبح، واضحة الفحش وهي ما يجب فيه الحد. وقد عصمهن الله عن ذلك، وبرأهن وطهرهن. وقال قوم: (الفاحشة) إذا وردت معرَّفة، فهي الزنا واللواط. وإذا وردت منكرة (فاحشة) فهي سائر المعاصي وكل مستفحش. وإذا وردت منعوتة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك نصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها، أما الزنا ونحوه فإنه يُتستَّر به. ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾: في الآخرة ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: وذلك لشرفهن، وعلو منزلتهن. [٢٣] قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ الآية.

أخرج مسلم، والترمذي، وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر، فكبر عليه فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع، فشهد يوم أحد، فقاتل حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخرها. [٢٨] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية. أخرج مسلم وأحمد والنسائي، من طريق أبي الزبير عن جابر قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يُؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يُؤذن له، ثم أذن لهما، فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفًا، فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: «هن حولي يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده، وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: «إني ذاكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك»، قالت: ما هو؟ فتلا عليها: يا أيها النبي قل لأزواجك الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي، بل أختار الله ورسوله.

[٢٦] ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ...﴾ [الأحزاب: ٢٦]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهُزموا، تقتلون منهم فريقًا، وتأسرون فريقًا آخر، فهذا ما دلت عليه آية الأحزاب، وأمّا آية الحشر: هوسبحانه الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاوروا بها المسلمين حول "المدينة"، وذلك أول إخراج لهم من "جزيرة العرب" إلى "الشام"، ما ظننتم أيها المسلمون أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان؛ لشدة بأسهم وقوة منعتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله، ولا يقدر =

[٢٨] ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. ما الفرق بين: "سراح، تسريح"؟ الجواب: وردت كلمة (سراح) مرتين، بينما وردت كلمة (تسريح) مرة واحدة. (سراح) هو اسم المصدر، بينما (تسريح) هو المصدر. أسئلة هامة: لماذا وردت كلمة (سراح) أكثر من كلمة (تسريح)؟ ولماذا وصف (سراح) بـ(جميل) ولم يحدث مثل هذا مع (تسريح)؟ والإجابة: ناسبت كلمة (تسريح) الموضع الذي أتت فيه، حيث جاء قبلها مصدر (إمساك) في قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فناسب ذلك ذكر المصدر (تسريح) وليس (سراح). وردت كلمة (سراح) أكثر من كلمة (تسريح) لسببين: ١- أنها أخفُّ في النطق من كلمة (تسريح). ٢- أنها أنسب في موضعيها من كلمة (تسريح) لعلتين: أ- أنها أخف في النطق من كلمة (تسريح) فناسبها الوصف بكلمة (جميلًا) في الموضعين اللذين أتت فيهما. ب- أنها جاءت تعبيرًا عن معاملة إنسانية خاصة. هي معاملة الرجل زوجته أو مخطوبته (كما ورد في الموضعين اللذين أتت فيهما) وحيث إنها أخفُّ نطقًا فقد ناسبت هذين الموضعين أكثر من كلمة (تسريح) (الأثقل نطقًا، والأطول والأكثر حروفًا).

[٣٠- ٣١] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣١]. المراد بالفاحشةِ: النشوزُ وسوءُ الخُلُق. فإن قيل: لم خصَّ الله تعالى نساء النبي ﷺ =

= الهمزة: لغة الحجاز، والأسوة: الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، وهو الائتساء كالقدوة من الاقتداء. [٣٠] ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ﴾ قرئ: (نضعِّف) بنون العظمة وتشديد العين مكسورة بلا ألف قبلها على البناء للفاعل، والعذاب بالنصب مفعولًا به، وفي التشديد معنى التكثير. وقرئ: (يضعَّف) بالياء من تحت وتشديد العين وفتحها بلا ألف قبلها على البناء للمفعول، والعذاب بالرفع على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (يضاعَف) بالياء من تحت وتخفيف العين وألف قبلها مبني للمفعول، العذاب بالرفع نائب الفاعل أيضًا. [٣١] ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا﴾ قوله =

= بالذكر الكثير، والصّلوات والتسليمات على المؤمنين، والمخاطبات الشريفة لسيدنا المصطفى ﷺ، وبيان النكاح، والطّلاق، والعدّة، وخصائص النبي ﷺ في باب النكاح، وتخييره في القَسْم بين الأزواج، والحجر عليه في تبديلهنّ، ونهي الصحابة عن دخول حُجْرة النّبي ﷺ بغير إذن منه، وضَرْب الحجاب، ونهي المؤمنين =

﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٣١- ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: تُطع الله ورسوله ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مِثلَيْ ثواب غيرها من نساء الناس. ٣٢- ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: من نساء هذه الأمة ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: الله وأطعتُنَّه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا تُلِنَّ بالقول، عند مخاطبة الناس، مما يدخل قلوب الرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نفاق وشهوة للفواحش ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: في الخير. ٣٣- ﴿وَقَرْنَ﴾: بمعنى: واقررْنَ إي الزمن ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: إذا خرجتن من بيوتكن. «والتبرج»: إظهار الزينة ومحاسن المرأة للرجال ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: ما كان قبل الإسلام. ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: السوء والفحشاء ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: يعني عز وجل: بيت محمد ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: من معاصي الله. والمراد بأهل بيته ﷺ: زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لأن الآية فيهن، وكذلك الآيات الخمس التي قبلها، والآية التي بعدها.. كلها في سياق واحد. وإنما أفردت هذه الآية وحدها دون هذه الآيات بالجمع المذكّر «ويطهركم تطهيراً» لأن هذا الحكم ليس خاصاً بالزوجات، ولكنه يعمّ ليشمل الزوج أو صاحب البيت، مع زوجاته أهل هذا البيت، وحكمُ الطهارة فيه وفيهن واحد، لأن الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبات. أما حديث الكساء الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد اتسع النبي فيه بهذا التطهير، وجعل بيت علي وفاطمة رضي الله عنهما مشمولاً بهذه الآية الكريمة، أو مضافاً إلى بيته الشريف الطاهر، تكريماً وتشريفاً وتطهيراً كذلك. فصارت الآية عند العلماء المحققين شاملة لزوجات النبي، ولعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين. أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق الآيات، ولكونهن الساكنات في بيوته وبيوتهن، وهذه البيوت في حكم البيت الواحد بحق صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام. وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فلأنهم أقرب الناس إليه في النسب، وبخاصة السيدة فاطمة ابنته رضي الله عنها، فصار (أهل البيت) في الكتاب والسنّة: زوجات النبي وبنته وابناها وزوجها. ٣٥- ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المتذللين لله عز وجل، والمتذللات، بالعبادة والطاعة. [٣٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية: أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شئ إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشئ، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت: النساء يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية، وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران. وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قالت النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية.

= عليها أحد، فأتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال، وألقى في قلوبهم الخوف والفزع الشديد، يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم. [٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ...﴾ [الأحزاب : ٢٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ...﴾ [الأحزاب : ٥٩]. يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبِلْنَ أمتعكنَّ شيئًا مما عندي من الدنيا، وأفارقكنَّ دون ضرر أو إيذاء، فهذا ما دلت عليه الآية الأولى، وأمَّا الآية الثانية: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميَّزن بالستر والصيانة، فلا يُتعَرَّض لهن بمكروه أو أذى، وكان الله غفورًا رحيمًا، حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.

= بتَضعيف العقوبة على الذنبِ، والمثوبةِ على الطاعة؟ فالجواب لأمرين: أما الأول: فلأنهن يُشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهنَّ، ولأنَّ في معصيتهنَّ أذىً لرسول الله ﷺ، وذنبُ من آذى رسول الله ﷺ أعظمُ من ذنب غيره. وأمَّا الثاني: فلأنهنَّ أشرف من سائر النساء لقربهنَّ من رسول اللّه ﷺ، فكانت الطاعة منهنَّ أشرف، كما أن المعصيةَ منهنَّ أقبح. تأمل كيف عبر هنا عند إيتاء الأجر بقوله: ﴿نُّؤْتِهَآ﴾ للتصريح بالمؤتي وهو الله، وفي الآية التي قبلها عبر عند العذاب بقوله: ﴿يُضَٰعَفْ﴾ فلم يصرح بالمعذب، إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، ولأن الكريم عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضر لا يذكر نفسه. [٣٠] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب : ٣٠]. إن العبد كلما كملت نعمة الله عليه ينبغي أن تكون طاعته له أكمل، وشكره له أتم، ومعصيته له أقبح. وشدة العقوبة تابعة لقبح المعصية، ولهذا كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالمًا لم ينفعه الله بعلمه.

= تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ قرئ: (ويعمل) بياء التذكير فيهما على إسناد الأولى إلى لفظ "من"، والثاني: لضمير لفظ الجلالة لتقدمها. وقرئ: (وتعمل) بتاء التأنيث في عمل على إسناده لمعنى: من، وهن النساء، ونؤتها بالنون مسندًا للمتكلم العظيم حقيقة. [٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ﴾ قرئ: (وقَرن) بفتح القاف أمر من قرِرن بكسر الراء الأولى في الماضي، يقرَرن بفتحها في المضارع، فالأمر منه اقررن، حذفت الراء الثانية الساكنة لاجتماع الراءين، ثم نقلت الأولى وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار: قرن، فوزنه حينئذ (فعن) فالمحذوف: اللام، وقيل: المحذوف الأولى، لأنها نقلت حركتها إلى القاف فبقيت ساكنة مع سكون الراء بعدها، فحذفت الأولى للساكنين، فوزنه (فلن) لأن أصل قرن: اوقرن، فحذف الواو على ما عللنا، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف، وقيل: إن قراءة فتح القاف مشتقة من قررت به عينًا أقر، وليس على هذا المعنى، لم يؤمرن بأن تقرَّ أعينهن على بيوتهن، إنما أمرن بالقرار، والسكون في البيوت وترك التبرج. وقرئ: (وقِرن) بالكسر من قرَّ بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع، وهي الفصيحة، ويجيء فيها الوجهان من حذف الراء الثانية أو الأولى، وأصله: واقرِرن فتحذف، ويجيء فيها الوجهان من حذف الراء الثانية أو الأولى، وأصله: واقررن فتحذف الراء الأولى استثقالًا للتضعيف بعد أن تلقى حركتها على القاف، فتكسر القاف فيستغنى بحركتها عن ألف الوصل، فيصير اللفظ "قرن". وقيل: إنهم أولوا من الراء الأولى ياء كما فعلوا في قيراط ودينار، فصارت الياء مكسورة كما كانت الراء مكسورة، واستثقلت الكسرة عليها، فألقيت على القاف، وحذفت الياء لسكونها، وسكون الراء بعدها، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف.

= عن تزوّج أزواجه بعده، والموافقة مع الملائكة في الصلاة على النبي ﷺ، وتهديد المؤذين للنّبي وللمؤمنين، وتعليم آداب النساءِ في خروجهن من البيوت، وتهديد المنافقين، وذلّ الكفار في النار، والنّهي عن إيذاءِ الرّسول ﷺ، والأمر بالقول السّديد، وبيان عَرْض الأمانة، وعذاب المنافقين، وتوبة الله على المؤمنين.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح ولا استقام ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾: في أنفسهم أو بوجه عام ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: أن يتخيّروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، بل يجب عليهم اتباع ما اختاره لهم وأمرهم به. ٣٧- ﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: يعني: زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالهداية، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: كان رسول الله ﷺ قد أعلمه الله تعالى بأن زينب بنت جحش زوجة زيد سوف تكون من أزواجه، وقد ساءت العشرة بين زيد وزينب، فلما أراد فراقها ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له عليه السلام: «أمسِك عليك زوجك واتق الله». وهو يعلم بأنها سوف تَبِينُ منه لينكحها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾: أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها حين طلقها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجته منها، ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾: أي تزوجها النبي ﷺ بتزويج الله إياها. ﴿لِكَىْ لَا﴾: لئلا ﴿حَرَجٌ﴾: إثم ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾: في نكاح نساء من تبنّوْهُ بعده ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾: كان قضاء الله عز وجل في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كائناً. ٣٨- ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: من إثم ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: أحلّ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾: من الرسل الذين مضوا قبله. ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءً مقضياً. ٣٩- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسباً لخلقه على أعمالهم. ٤٠- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: الذين لم ينجبهم محمد، فيحرم عليه نكاح أزواجهم بعد فراقهم لهن ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: بكسر التاء، بمعنى: إنه ختم النبيين، ومن قرأ بالفتح، فبمعنى: آخر النبيين. ٤٢- ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾: غُدْوَةً؛ وهو صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾: عشياً، يعني: صلاة العصر. وقيل: المراد: التسبيح طرفي النهار. ٤٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾: يشيع عليكم الذكر الجميل في عباده إن أنتم فعلتم ذلك، وقيل: الصلاة من الله تعالى على العباد: رحمته لهم، وبركته عليهم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: من الضلالة أو الضلالات إلى الهدى.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآيات. أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية فرضيت وسلّمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسبًا، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية كلها. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت. [٣٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ الآيات. أخرج البخاري عن أنس: أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في بنت جحش وزيد بن حارثة. وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك» فنزلت: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وأخرج مسلم، وأحمد، والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذهب فاذكرها علي»، فانطلق فأخبرها، فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نسائه، ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقي الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية. [٤٠] قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية. [٤٣] قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ الآية. أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾، قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرًا إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.

[٣٧] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. انفرد زيد بن حارثة رضي الله عنه بأنه الصحابي الوحيد الذي ذكر باسمه الصريح في القرآن الكريم فما السر في ذلك؟ الجواب: لربما كان لإثبات إبطال عادة التبني أثر في ذلك كما تفرضه النظرة الفقهية للمسألة، لكن الذي يبدو والعلم عند الله أن زيدًا رضي الله عنه قد عاش دهرًا لا ينادى إلا بزيد بن محمد، وهو شرف لا يضاهى دينًا ودنيا، فعن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن. ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] رواه البخاري وغيره. ولعل ذلك أحدث في زيد وحشة، بل يقينًا كان ذلك، فقد مضت سنة الله ألا يضيع أجر المحسنين، وكان لزيد رضي الله عنه من قبل اختيار رسول الله ﷺ عوضًا عن أبيه وإخوته وأعمامه، فأكرم الله هذا الصحابي الجليل بذكر اسمه في القرآن، ليصبح لفظ اسمه في آية الأحزاب، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ...﴾ [الأحزاب: ٣٧]، أصبح قرآنًا يتلى في المساجد والمحاريب، وتحفظه القلوب المؤمنة، وتتلوه الأفواه الطاهرة، فما أجل العطاء، وما أكرم المنزلة.. وتأمل كيف عوض الله زيدًا رضي الله عنه ما فقده من شرف المناداة بزيد بن محمد، فهنيئًا له الاقتران بالحبيب رسول الله ﷺ هذه المنزلة الرفيعة والذكر الخالد، وصدق الله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، والعلم عند الله. [٤٣] ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن يَكُونَ﴾ قرئ: (يكون) بالياء؛ لأن التأنيث غير حقيقي. وقرئ: (تكون) بالتاء لتأنيث لفظ الفاعل وهو «الخيرة». [٤٠] ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ﴾ قرئ: (وخاتَم) بفتح التاء اسم للآلة كالطابع والقالب على معنى أن النبي صلى الله عليه وسلم خُتم به النبيون، أي: لا نبي بعده، فلا فعل له في ذلك، فمعناه آخر النبيين. وقرئ: (وخاتِم) بكسر التاء اسم فاعل فهو فاعل الختم. [٤١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا﴾ قرئ: (كبيرًا) بالباء الموحدة من الكبر، أي: أشد الذِّكر أو أعظمه لأنه لما كان الكبر مثل العظم في المعنى وكان كل شيء كبيرًا عظيمًا، دلّ العظم على الكثرة وعلى الكبر فتضمنت القراءة بالباء المعنيين جميعًا. وقرئ: (كثيرًا) بالمثلثة من الكثرة، أي: مرة بعد أخرى، أي: إنهم يذكرون الله مرة بعد مرة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٤- ﴿سَلَٰمٌ﴾: أمَنةٌ لنا ولكم، وهي تحية أهل الجنة، و«يوم يلقونه» عند الموت، أو عند البعث، أو عند دخول الجنة. ٤٥- ﴿شَٰهِدًا﴾: على أمتك بإبلاغك إياهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: من النار. ٤٦- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى دين الله وشهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: قال ابن عطية استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه، فكأن المهتدين به والمؤمنين، يخرجون بنوره من ظلمة الكفر. قلت: لقد جمع الله تعالى لنبيِّه الكريم في هذه الآية بين صفتي الشمس والقمر، لأن «السراج» في القرآن اسم ووصف للشمس. و«المنير» والنور اسم ووصف للقمر (انظر سورة الفرقان ٦١-٦٢. وسورة نوح: ١٥-١٦. وسورة النبأ: ١٣) وفي هذا الجمع دلالة على أن النبي الكريم يقوم في حياة الناس المعنوية مقام الشمس والقمر في معاشهم وحياتهم المادية، ولهذا خاطبه في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ٤٨- ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾: أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك. ٤٩- ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أمر الله تعالى بتمتيع المطلقة قبل البناء، على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره. والسراح الجميل: هو الطلاق يتبعه عشرة حسنة وكلمة طيبة دون أذى. ٥٠- ﴿ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، أي تزوَّجتهن بصَدَاقٍ مُسمًّى ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: من النساء السراري ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾: من غير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إنما ذلك للنبي ﷺ لا يحل لأحد من أمته غيره أن تهب نفسها له. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: ما فرض الله على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن، الا يحل لهم عقد نكاح على حرة مؤمنة إلا بولي وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق في نكاح من أباح الله لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية ممن خصَّك الله به.

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت. ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قال رجال من المؤمنين: هنيئًا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الفتح: ٥] الآية، وأنزل في سورة الأحزاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾. وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ نزل بعدها: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقالوا: يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ قال: الفضل الكبير، الجنة. [٥٠] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم، وصححه، من طريق السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح عن أم هانئ قالت: نزلت فيَّ هذه الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني؛ إذ لم أهاجر. قوله تعالى ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ الآية. أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ الآية قال: نزلت في أم شريك الدوسية. وأخرج ابن سعد، عن منير بن عبد الله الدؤلي: أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حيث تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة، فقال: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ فلما نزلت الآية قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

[٥٠] ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. لماذا أفرد الذكور وجمع الإناث؟ الجواب: أن إفراد الذكور لإرادة الجنس، وعُلِمَ من إضافة الجمع إلى المفرد أن المراد جنس الأعمام والأخوال، لا عم معين أو خال معين، فكان الإفراد مع إرادة الجنس أخف لفظًا وأفصح، لما فيه من المقابلة بين الإفراد والجمع والذكور والإناث، أما جمع الإناث لفظًا فلتعذر الإتيان بمفرده بقيد الجنس، إذ لو قيل: بنت عمك أو بنات عمتك، وبنت خالك أو بنات خالتك، لاحتمل إرادة بنت معينة أو عمة معينة، أو خال معين أو خالة معينة، والآية إنما سيقت لبيان المنة على رسول الله ﷺ والتوسعة عليه، والإفراد يفوت به التصريح له بهذا المعنى المقصود. [٥٠] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ما الفرق بين: "ينكح ويستنكح" الجواب: وردت كلمة ينكح (أربع عشرة) مرة، بينما وردت كلمة (يستنكح) مرة واحدة. قال الزمخشري (استنكاحها: طلب نكاحها والرغبة فيه). وثمة فرق آخر بين الفعلين، وهو أن الاستنكاح في الآية التي ورد فيها يدلُّ على شيئين: ١- تأكيد الرغبة في النكاح، كأن الأحرف الزائدة في الفعل (يستنكح) جاءت لزيادة معنى، وللتأكيد الذي لا يحمله فعل (ينكح). ٢- الدلالة على معنى القبول؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فكلمتا (إن أراد) تحمل معنى الاحتمالية، لا للتأكيد على الإرادة والرغبة، وكذلك لا تقوى كثيرًا هذه الاحتمالية إن أضيف إليها الفعل (ينكح)، ولكن حينما أُضيف إليها الفعل (يستنكح) كان المعنى قويًا، وحمل السياق معنى القبول، خاصة أن ذلك سُبق بقوله تعالى: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ومعلوم أن الهبة إما أن تقبل وإما أن ترد، ولكي يكون المعنى قويًا في القبول، جاء الفعل (يستنكح) الذي يحمل معنى الإرادة والرغبة، وكذلك القبول من جهة النبي ﷺ. [٥٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فوائد الصلاة على النبي ﷺ: ١- امتثال أمر الله سبحانه وتعالى. ٢- موافقته سبحانه في الصلاة عليه وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف. ٣- موافقة ملائكته فيها. ٤- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة. ٥- أنه يرفع عشر درجات. ٦- أنه يكتب له عشر حسنات. ٧- أنه يمحى عنه عشر سيئات. ٨- أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين. ٩- أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها. ١٠- أنها سبب لغفران الذنوب. ١١- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمّه. ١٢- أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة. ١٣- أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة. ١٤- أنها سبب لقضاء الحوائج. ١٥- أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه. ١٦- أنها زكاة للمصلي وطهارة له. ١٧- أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته. ١٨- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة. ١٩- أنها سبب لرد النبي الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه. ٢٠- أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

٥١- ﴿تُرْجِي﴾: تُؤخر ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾: تضم. وقيل: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك فلا تقبلها ولا تنكحها، وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: معنى ذلك: من استبدلت ممن ارجيت، أخرت، فخليْتَ سبيله من نسائك، أو بمن مات منهن، ممن أحللت لك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾: من تفضيل في قسم، أو نفقة، أو إيثار، إذا هنَّ علمن أنه من رضًا منك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: من ميل قلوب الرجال إلى بعض من عندهم من النساء دون بعض. والآية عامة في كل ما يضمرونه. ٥٢- ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: من بعد نسائك اللاتي خيرتَهُنَّ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وهن التسع. ونُهي رسول الله ﷺ أن يتزوج من بعد نسائه الأول شيئاً. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾: أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ﴾: من أجناس الإماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾: حفيظاً يعلم كل شيء. ٥٣- ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: إلا أن تُدعوا ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: تطعمونه ﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾: مُنتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾: إدراكه وبلوغه ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ تفرقوا، واخرجوا من منزله ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾: ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام، إيناساً من بعضكم لبعض ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: يعني: نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج. ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾: أي من وراء ستر بينكم وبينهن. ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾: من عوارض الفتن، أو من الخواطر التي تعرض في شأن النساء والرجال. ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾: حرّم الله تعالى نكاح أزواج النبي بعده، وجعل لهن حكم الأمهات.

[٥١] قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ﴾ أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها؟ فأنزل الله ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ﴾ الآية. فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك. وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: همّ رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن، يؤثر من يشاء على من يشاء، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية. [٥٢] قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خير رسول الله ﷺ أزواجه، فاخترن الله ورسوله، فأنزل الله ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾. [٥٣] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ﴾ الآية. تقدم حديث عمر في سورة البقرة. وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة ثم انطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾. وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرّس بها، فإذا عندها قوم، فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل، فأرخى بيني وبينه ستراً، فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء، فنزلت آية الحجاب. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب، فمر عمر، فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: أوه، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال للرجل: لعلك آذيت النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لقد قمت ثلاثا لكي يتبعني فلم يفعل»، فقال له عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجابًا فإن نساءك لسن كسائر النساء، وذلك أطهر لقلوبهن، فنزلت آية الحجاب، قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب، فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب لهذا السبب، ولا مانع من تعدد الأسباب. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه، فأخذوا المجالس، فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم، فعوتبوا في ذلك، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية. قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلًا يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة. وأخرج عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا، لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة. وأخرج جويبر عن ابن عباس: أن رجلًا أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي ﷺ: «لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا»، فقال: يا رسول الله، إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً، ولا قالت لي. قال النبي ﷺ: «قد عرفت ذلك، أنه ليس أحد أغير من الله، وأنه ليس أحد أغير مني»، فمضى، ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي، لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس: فأعتق ذلك الرجل رقبة، وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله، وحج ماشيا توبة من كلمته.

= ٢١- أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة. ٢٢- أنها سبب لنفي الفقر. ٢٣- أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلّى عليه عند ذكره. ٢٤- أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها. ٢٥- أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله، ويحمد ويثنى عليه فيه، ويصلي على رسوله. ٢٦- إنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله. ٢٧- أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط. ٢٨- أنه يخرج بها العبد عن الجفاء. ٢٩- إنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك. ٣٠- أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي يدعو ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه. ٣١- أنها سبب لنيل رحمة الله له. ٣٢- أنها سبب لدوام محبته للرسول وزيادتها وتضاعفها. ٣٣- أن الصلاة عليه سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلى عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه. ٣٤- أنها سبب لهداية =

[٥٢] ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ قرئ: (تحل) بالتاء من فوق؛ لأن الفاعل حقيقي التأنيث. وقرئ: (يحل) بالياء من تحت للفصل.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

٥٥- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾: لا إثم عليهن، يعني عز وجل نساء رسول الله ﷺ وسائر النساء ﴿فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾: إلى آخر الآية: ألا يحتجبن منهم. وقيل: ذلك في وضع الجلباب وإبداء الزينة. ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: يعني: نساء المؤمنين.٥٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: يُبرِّكون على النبي؛ أما صلاة الرب فالمغفرة، وصلاة الملائكة الاستغفار، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾: سُئل رسول الله ﷺ، فقيل له: كيف الصلاة عليك؟ فقال: قل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». أخرجه البخاري والترمذي، وغيرهما. ٥٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾: بمعصيتهم إياه، قال المفسرون: هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله بالولد، وكذبوا رسوله، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حُيَيّ بن أخطب زوجة له. ٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: يَعيبونهم؛ بأي وجه من قول أو فعل ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: بغير ما عملوا ﴿بُهْتَٰنًا﴾: وزر كذب وفرية. و«البهتان»: أفحش الكذب.٥٩- ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: إذا هُنَّ خرجن من بيوتهن لحاجتهن، والجلباب: هو الثوب الخارجي الذي يشمل ما تحته من ثياب، حتى لا يتكشف من أبدانهن قليل ولا كثير. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: ممن مررن بهم أنهن عفيفات متصوِّنات، فتنقطع وساوس الإثم عنهن، أي من الآخرين. أما المرأة نفسها فقد تكون عفيفة متصوِّنة في جميع الحالات، فيكفُّ عن إيذائهن بقول مكروه، أو تعرُّض بريبة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لتركهن ذلك فيما سلف. ٦٠- ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قوم كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه. وقيل: هم الزناة وأهل الفجور. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: أهل الإرجاف بالكذب والباطل، كانوا يشيعون أخبار السوء عن سرايا النبي ﷺ ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنسلطنك عليهم، فتستأصلهم بالقتل والتشريد، فلا يجاورونك في «المدينة» إلا قليلاً حتى يهلكوا أو ينفوا.٦١- ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مشتومين. ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾: أُخذوا وأصيبوا.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي. وقال جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة، فخطب النبي ﷺ وقال: «من يعذرني من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني» فنزلت. [٥٩] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية. وأخرج البخاري عن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقلت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن». وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾. ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.

[٦٢] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. الآية الأولى معقب بها قصة زينب أم المؤمنين وزيد بن حارثة رضى الله عنهما، وما جرى في ذلك إلى أن تزوجها رسول الله ﷺ "فهذه الآية تأنيس لرسول الله ﷺ"، وإعلام له أن تلك سنته سبحانه في عباده التي شاءها وقدرها حكمًا ثابتًا فيمن تقدم من الرسل والأنبياء ومن اهتدى بهديهم، فلا حرج عليك يا محمد، فلا تصغ إلى قول منافق يقول: تزوج محمد حليلة ابنه، فإن زيدًا ليس ابنك، فهذه الآيات تأنيس للنبي ﷺ، وتسلية له عن خوض المنافقين، وتنزيه لقدره العلي، وتبرئته من أدنى نقص بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فقيل له عليه السلام، لا تخش أحدًا فإنك إنما جريت في ذلك كله على ما بين الله لك من الشرع الذي جعله سبحانه سبيلك ودينك الذي تدعو إليه، وطريق من تقدمك من الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحدًا إلا الله، فالله أحق أن تخشاه أنت يا محمد، ولا تصغ إلى أحد، ولا تستحي منه، فإنك على صراط مستقيم، فقد وضح ما أخفاه في نفسه، وهذا الذي أبداه الله تعالى، ولمجموع ما ذكرنا أعقبت بقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقد أُتبعت الآية بذكر من سنَّ سبحانه حكم هذه الآية لهم، وأنهم الرسل عليه السلام، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فتأمل هذا التعقيب، وأمَّا الآية الثانية فإنه سبحانه لما قال: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]، أتبع تعالى بالإخبار أن تلك سنته الجارية في الذين خلوا من قبل، وهذا كقوله: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥]، فاعلم أنها سنته الجارية فيهم: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقد تكرر هذا في مواضع من كتاب الله سبحانه، ووضح هذا التناسب في كل منها، والله أعلم.

= العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره، واستولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه. ٣٥- أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه وذكره عنده. ٣٦- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه؛ لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي وفيه: (ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته علي، فأقامته على قدميه وأنقذته). أخرجه الطبراني بإسناد ضعيف. ٣٧- أن الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه. ٣٨- أنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده =

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

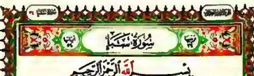
٦٧- ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾: أزالونا عن طريق الهدى. ٦٨- ﴿آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: عذبهم من العذاب بمثلي عذابنا الذي تعذبنا ﴿وَالْعَنْهُمْ﴾ أخزهم. ٦٩- ﴿آذَوْا مُوسَىٰ﴾: رموه بعيب كذباً وباطلاً ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذا وجه ومنزلة عنده، مُشفَّعاً فيما يسأل. ٧٠- ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصداً غير جائر، حقاً غير باطل. ٧١- ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظفر بالكرامة العظمى. ٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إلى آخر الآية، قيل: عنى بها: فرائض الله عز وجل؛ من الوضوء والغسل والصلاة والزكاة والصيام والحج، وغيرها من فرائضه، على أنها، أي السماوات والأرض، إن أحسنت أثيبت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها إشفاقاً من ألا تقوم بذلك، وقيل: هي في هذا الموضع: أمانات الناس. والذي عليه جمهور المفسّرين: أن المراد بالأمانات: كل شيء يؤتمن الإنسان عليه، من أمرٍ ونهي، وشأن دينٍ ودنيا، فالشرع كله أمانة. قال ابن عطية: «ويحتمل أن يكون هذا العرض بإدراك يخلقه الله تعالى فيها، ويحتمل أن يكون على من فيها من الملائكة» وقيل: إن الغرض من هذا العرض: بيان أنها لم تُهيأ للنهوض بأعباء التكليف. ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾.. آدم عليه السلام، أي التزم بحقها، أو صار مستعداً لها بالفطرة ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾: لنفسه ﴿جَهُولًا﴾: بالذي له فيه الحظ. ٧٣- ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾: هذه لام العاقبة لأن الإنسان لم يحمل الأمانة ليقع العذاب، لكن حين حملها.. آل الأمر إلى أن يعذب من نافق أو كفر أو أشرك.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾. الآيات تبين حال المشركين وسؤالهم عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا لها. [٦٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. آية الأحزاب بزيادة "تكون" مراعاة للفواصل.

= بإرساله. ٣٩- أن الصلاة عليه من العبد هي دعاء، ودعاء العبد سؤاله من ربه... وأما صفة الصلاة التي نصلي بها على رسول الله فأي لفظ تحصل به الصلاة على رسول الله ما لم يكن فيه محذور شرعي، وأفضل صيغة للصلاة على رسول الله ﷺ ما رواه البخاري وغيره من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يرد ما بينهما. [٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ...﴾ [الأحزاب: ٥٧]. أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبدًا. وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه. [٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فتح لباب الرجاء والأمل لكل المتبرجات وذوات الألبسة الضيقة والقصيرة، بأنها مجرد أن تعود عن عاداتها الخطرة، وتتشبه بالمؤمنات المتعففات، فإن الله جل جلاله يقبلها في ظلال مغفرته ورحمته، ويعفو عنها ما سلف من الغفلات والتقصير. [٦٠] ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠]. في الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم. [٧٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١]. وعد -عزَّ وجلَّ- بأنه يجازي على القول السديد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب، وحسبك بذلك درجة ورفعة ومنزلة. [٦٦] ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]. بمد (الرسول) و(السبيل)، وهو لم يمد (السبيل) في أول السورة وإنما قال: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ والفرق بينهما: أن آيتي المد هما من قول أهل النار، وهم يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء، كما أخبر عنهم ربنا بقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴿٣٧﴾﴾ (فاطر: ٣٧)، فالمقام هنا مقام صراخ ومد صوت فناسب المد. في حين أن الآية الأخرى ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقررًا حقيقة عقلية معلومة. [٧٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. ما الفرق بين: "ظلوم، ظلَّام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلوم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلَّام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعول) والثانية على وزن (فعَّال). وردت كلمة (ظلوم) وصفًا للإنسان، بينما وردت كلمة (ظلَّام) وصفًا منفيًا عن الله تعالى. لم اختصاص كلٍّ بما ذُكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسبًا أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلوم وجهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أُمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلوم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصفٌ آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلوم موسيقيًّا، كما أنها شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كليهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلَّام) فقد جاءت وصفًا منفيًا عن الذات الإلهية، ولعلَّ ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلَّام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلَّام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالبًا. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استُخدمت كلمة (ظلَّام) كما قال القاضي الباقلاني: إن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حدٍّ للظلم وهو (ظلَّام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا على ذنب، فهو ليس بظلَّام أبدًا.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُونُ﴾ قرئ: (يكون) بالياء من تحت لأن تأنيث الخبر مجازي، وللفصل، أو تؤول بالإخبار. وقرئ: (تكون) بالتاء من فوق مراعاة للفظ. [٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ قوله تعالى: ﴿سَادَتَنَا﴾ قرئ: (ساداتِنا) بالجمع بالألف بعد الدال مع كسر التاء جمع سادة. وقرئ: (سادتَنا) بفتح التاء بلا ألف على التكسير جمع سيِّد.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سُورَةُ سَبَإٍ

١- ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾: كالذي هو أهله في الدنيا، والحمد الذي له في الدنيا: عبادة، وفي الآخرة: سرور وابتهاج لأنه قد انقطع فيها التكليف ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾: في أمره ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾: بخلقه. ٢- ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ويغيب ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾: يصعد إليها. ٣- ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾: ما يغيب عن أبصار الخلق، وما هو كائن ﴿لَا يَعۡزُبُ﴾: لا يغيب ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾: هو مثبت في اللوح المحفوظ. ٤- ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: الجنة. ٥- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾: في إبطال أدلتنا، وحجتنا المنزلة على الرسل، وقدحوا فيها، وصدُّوا الناس عنها «مُعاجزين»: محاولين تعجيز قدرة الله فيهم، أي يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم، فيفوتوننا، ولا يُدركون، ﴿مِّن رِّجۡزٍ﴾: من سوء العذاب. ﴿أَلِيمٞ﴾: موجع. ٧- ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ﴾: يعنون النبي ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمۡ﴾: يخبركم ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: بَليتم وكنتم عظاماً وتراباً ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾: تعودون كهيئتكم، قالوا ذلك تكذيباً منهم بالبعث!

[٢] ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ : ٢] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. لم يتقدم آية سبأ ما يخص المكلفين أبدًا، والمغفرة لا تأتي إلا للمكلفين والمذنبين الذين يغفر الله تعالى لهم، وإنما جاء ذكرهم بعد الآيتين الأولى والثانية، لذا اقتضى تأخير "الغفور" لتأخر المغفور لهم في سياق الآية، أمَّا في باقي سور القرآن الكريم فقد ورد "الغفور الرحيم" لأنه تقدم ذكر المكلفين فيذنبون فيغفر الله تعالى لهم، فتطلب تقديم المغفرة عل الرحمة، وسبب تقديم "الغفور" على "الرحيم" أيضا أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ : ٢]، لأن الرحمة شملتهم جميعًا، والمغفرة تخص بعضهم، والعموم قبل الخصوص بالرتبة، ولإيضاح ذلك فإن جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم، وأمَّا المغفرة فتخص المكلفين، فالرحمة أعم. [٢] ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ : ٢]، ﴿...يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد : ٤]. الآيتان تبينان أن الله تعالى يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق، وآية سبأ توضح أنه سبحانه هو الرحيم بعباده، فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه، وأمَّا آية الحديد فتبين أن الله سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها. [٣] ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١]، ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ:٣]، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ : ٢٢]. إنما قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ؛ لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سبأ : ١] فقدم ذكر السماوات؛ لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطانًا... وأمَّا التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس : ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتمه بقوله: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

[٦] ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]. وهذا دليل ظاهر على أن الذي نراه معارضًا للعقل، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير، ولا قليل ولا كثير.

[٣] ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ﴾ قرئ: (عالمُ) بوزن فاعل ورفع الميم، أي: هو عالم، أو مبتدأ خبره لا يعزب؛ لما تقرر من أن كل صفة يجوز أن تتعرف بالإضافة إلى الصفة المشبهة. وقرئ: (عالمِ) بوزن فاعل، وخفض الميم "صفة" لربي "أو بدل منه"، وإذا جعل: صفة فلا بد من تقرير تعريفه، وقد تقرر جواز ذلك آنفًا. وقرئ: (علَّامِ) بتشديد اللام بوزن فَعَّال للمبالغة في العلم وغيره، كما قال: ﴿يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ وخفض الميم على ما مر من أنه نعت لله. قوله تعالى: ﴿يَعۡزُبُ﴾ قرئ: (يعزِب) بكسر الزاي. وقرئ: (يعزُب) بضم الزاي، لغتان مضارع عزب يعزب، أي: غاب. [٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلِيمٞ﴾ هنا و"الجاثية : ١١" قرئ: (أليمٌ) برفع الميم فيها نعتًا لعذاب على تقدير: عذاب أليم من رجز، والرجز هو العذاب، فيصير التقدير: عذاب أليم من عذاب، فهو معنى غير متمكن. وقرئ: (أليمٍ) بخفضه فيها نعتًا لرجز، وهو العذاب، فهو أصح في التقدير إذ تقديره "لهم عذاب من عذاب أليم" أي: من هذا الصنف من أصناف العذاب؛ لأن العذاب بعضه آلم من بعض.

[٣] ﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس : ٦١]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ : ٣]. مثقال الذرة: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن للذرة ثقلًا يمكن تقديره بالجرامات، وأبلغ من ذلك أن آية سورة يونس يقول الحق فيها: ﴿مِن مِّثۡقَالِ﴾ ومن للتبعيض والتجزئة، أي أن ثقل الذرة هذا يمكن تقسيمه لأثقال أقل يمكن حسابها وتقديرها بالجرامات أيضًا. وكان العرب وقت نزول القرآن لا يعرفون شيئًا عن الذرة، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا عن هذه الحقيقة في القرن العشرين.

نزول سورة سبأ: نزلت بعد سورة لقمان، وهي مكّية بالاتفاق. عدد كلمات سورة سبأ: ثمانمائة وثمانون. عدد حروف سورة سبأ: أربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر. أسماء سورة سبأ: سمِّيت سورة سبأ، لاشتمالها على قصّة سبأ. مواضيع سورة سبأ: مقصود السّورة: بيان حجّة التوحيد، وبرهان نبوّة الرسول ﷺ، ومعجزات داود، وسليمان، ووفاتهما، وهلاك سبأ، وشؤم الكفران، وعدم الشكر، وإلزام الحجّة على عُبّاد الأصنام، ومناظرة مادّة الضَّلالة، وسَفَلتِهم، ومعاملة الأُمم الماضية مع النَّبيِّين، ووعد المنفقين والمصدّقين بالإخلاف، والرّجوع بإلزام الحجّة على منكِري النبوّة، وتمني الكفّار في وقت الوفاة الرّجوعَ إلى الدّنيا.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٨- ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: هو قول المشركين في رسول الله ﷺ ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: جنون ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: في الذهاب البعيد عن الحق. ٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعني المشركين ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فيعلمون أن أرضي وسمائي محيطة بهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: أي قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾: لدلالة ﴿مُّنِيبٍ﴾: راجع إلى ربه بالتوبة. ١٠- ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾: سبّحي معه ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: نُوديت الطير كما نوديت الجبال، وأمرت بما أمرت به ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: جعلناه ليّناً، فكان يُصرِّفه في يده كيف شاء. ١١- ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: دروعاً كوامل توامّ ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: قيل: قدر في الحَلَق وثقبها. و«السَّرْدُ»: نسج الدروع. وأصل معنى السرد: إتباع الشيء بالشيء من جنسه. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾: بطاعة الله. ١٢- ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: بمعنى: وسخرنا لسليمان الريح ﴿غُدُوُّهَا﴾: إلى انتصاف النهار مسيرة شهر ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: من انتصاف النهار إلى الليل، فكان يسير في كل يوم مسيرة شهرين ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أجرينا، كما يسيل الماء ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: عين النحاس ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يطيعه ويعمل بين يديه ما يأمره ﴿وَمَن يَزِغْ﴾: يزلّ ويعدل ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: الذي أمرنا به من طاعته لسليمان ﴿نُذِقْهُ﴾: في الآخرة ﴿مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: نار جهنم المتوقدة. ١٣- ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾: جمع محراب، و«المحراب»: مُقدَّم كل مجلس ومُصلّى وبنيان ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جمع تمثال، وهو كل شيء مثّلته بشيء، أي صورته بصورته من نحاس وزجاج، ورخام، وغير ذلك، وقيل: كانت هذه التماثيل صور الأنبياء والملائكة والصلحاء. ﴿وَجِفَانٍ﴾: ينحتونها له، والجفان جمع «جفنة»، وهي القصعة الكبيرة، ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: جمع جابية، و«الجابية»: الحوض الذي يجبى فيه الماء ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثابتات في أماكنهن لا يُحوَّلن لعظمهن ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: اشكروا ربكم بطاعتكم إياه. ١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: على سليمان ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: الأرَضَة وقعت في منسأته، وهي عصاه التي كان يتوكأ عليها فأكلتها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: سليمان ساقطاً بانكسار منسأته ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾: الذين كانوا يدّعون علمه ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: من الخدمة والنصب في العمل حولاً كاملاً بعد موت سليمان.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [سبأ: ٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾. قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بالفاءِ ليس غيره؛ لأنَّ الاعتبار فيها بالمشاهدة على ما ذكرنا، وخصّت بالفاءِ لشدّة اتّصالها بالأوّل، لأنَّ الضّمير يعود إلى الذين قسّموا الكلام في النبي ﷺ، وقالوا: محمّد إمّا غافل كاذب، وإما مجنون هاذٍ، وهو قولهم: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨]، فقال الله: بل تركتم القِسم الثالث، وهو إمّا صحيح العقل صادق. [٩] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]. المراد بالأوّل: لآية على إحياءِ الموتى، فخُصّت بالتوحيد، وفي قصّة سبأ جمع؛ لأنّهم صاروا اعتبارًا يضرب بهم المثل، تفرقوا أيادي سبأ، وفُرِّقوا كلَّ مفرّق، ومُزّقوا كلَّ ممزق، فرفع بعضهم إلى الشام، وبعضهم ذهب إلى يَثْرِب، وبعضهم إلى عُمان، فختم بالجمع، وخُصَّت به لكثرتهم، وكثرة من يعتبر بهنّ، فقال: ﴿لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الجنة، ﴿شَكُورٍ﴾ على النِّعمة، أي: المؤمنين. [١١] ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]. قال في المؤمنون بلفظ: ﴿عَلِيمٌ﴾، وفي سبأ بلفظ: ﴿بَصِيرٌ﴾ مناسبةً لما قبلَهما؛ إذْ ما في المؤمنون تقدَّمه إيتاء الكتاب، وجعل مريم وابنها آية، والعلمُ بهما أنسب من بصرهما، وما في سبأ تقدَّمه قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، والبصرُ بإلانة الحديد أنسبُ من العلم بها. [١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ...﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ...﴾ [سبأ: ١٢]. سخَّرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تحمله ومَن معه، تجري بأمره إلى أرض "بيت المقدس" بـ"الشام" التي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمنا بجميع الأشياء، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، وأمَّا آية سبأ: وسخَّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء...

[١٠] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]. ذكر ابن العربي من معاني الفضل في هذه الآية: حسن الصوت، وقال: (والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى، وزيادة في الخَلْق ومنّة. وأحق ما لُبّست هذه الحلة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله، فنِعم الله إذا صرفت في الطاعة فقد قضي بها حق النعمة). [١٣] ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. فيه وجوب الشكر وأنه يكون بالعمل ولا يختص باللسان، لأن حقيقة الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله. ﴿ٱلشَّكُورُ﴾ المتوفِّر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفّي حقه؛ لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرًا آخر لا إلى نهاية، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

[٩] ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾ - و﴿نُسْقِطْ﴾ قرئ: (يشأ-يخسف-يسقط) بالياء من تحت في الثلاثة إسنادًا لضمير الله تعالى. وقرئ: (نشأ-نخسف-نسقط) بنون العظمة، ولمراعاة ما بعد: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا﴾. [١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ قرئ: (الريحُ) بالرفع على الابتداء، والخبر في الظرف قبله وهو لسليمان، أي: تسخير الريح؛ لأنها لما سخرت له كانت كأنها في قبضته تسير عن أمره، فأخبر عنها أنها في ملك يده. وقرئ: (الريحَ) بالنصب على إضمار فعل، أي: وسخرنا لسليمان الريح؛ لأنها سخرت له وليس بمالكها على الحقيقة، فملك تسخير فقط. [١٤] ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ قرئ: (منساته) بألف بعد السين من غير همزة لغة أهل الحجاز، وهذه الألف بدل من الهمزة، وهي مسموعة على غير قياس لغة حكاها سيبويه، فأصله الهمز من نسأه؛ يقال: نسأت الغنم، أي: سقتها. وقرئ: (منسأْته) بهمزة ساكنة تخفيفًا، وهو ثابت مسموع خلافًا لمن طعن فيه، وإنما يجوز الإسكان للاستثقال لطول الكلمة، وهو غير مشهور في اللغات، وإنما يوجد في الشعر. وقرئ: (منسأَته) بالهمزة المفتوحة؛ لأنها مفعلة كمكنسة، فمن همز أتى به على الأصل، والمنسأة: هي العصا، وقد قالوا في جمعها: مناسئ بالهمز لأن التصغير والجمع يرد الأشياء إلى أصولها في أكثر الكلام. انتهى. قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ قرئ: (تُبُيِّنت) بضم التاء الأولى والموحدة، وكسر الياء التحتية المشددة على البناء للمفعول، والنائب "الجن". وقرئ: (تَبَيَّنت) بفتح الثلاثة على البناء للفاعل مسندًا إلى الجن، أي: علمت الجن بعد التباس الأمر، ويحتمل أن يكون من "تبين" بمعنى بان، أي: =

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: يعني: لولد سبأ، و«سبأ»: رجل من العرب. روي ذلك عن رسول الله ﷺ، في مساكنهم التي كانوا يسكنون فيها، ونعيمهم الذي أنعم به عليهم ﴿ءَايَةٌ﴾: عبرة وعلامة على فضل الله وقدرته ﴿جَنَّتَانِ﴾: بستانان بين جبلين ﴿عَن يَمِينٍ﴾: عن يمين من أتاهما وشماله. ١٦- ﴿فَأَعْرَضُوا﴾: عن طاعة الله عز وجل، وروي عن وهب بن مُنَبِّهٍ، أن الله بعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، وكذبوهم ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: بعثنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على سدِّهم الذي كان يحبس عنهم السيل، و«العرم»: السدُّ يبنى لحجز ماء السيل أو النهر. وقيل: «العرم» اسم واديهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾: من الفواكه ومن الثمار بساتين من ثمار الأراك. و«الأراك»: هو «الخَمْطُ» وقيل: الخمط: كل شجرة مرّة ذات شوك. ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾: أي ثمر ﴿وَأَثْلٍ﴾: شجر الطَّرْفاء، أو ما يشبه الطرفاء. ١٧- ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾: إذا أراد الله بعبد كرامة عجّل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد به هواناً أمسك عنه ذنوبه، حتى يوافيه بها يوم القيامة. ١٨- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين بلدهم ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: يعني: الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متصلة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: جعلنا السير مقدراً من منزل إلى منزل، لا ينزلون إلا في قرية، ولا يغدون إلا في قرية. ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾: بمعنى: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا من أحد ظلماً. ١٩- ﴿بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: بطروا، فدعوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام، مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر، فلوات ومفاوز، وتمنوا أن يركبوا فيها الرواحل، ويتزودوا الأزواد ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: للناس يضربون بهم المثل في التشتت، فيقال: «تفرقوا أيدي سبأ» ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾: قطعناهم في البلاد كل تقطيع ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: إذا امتحنه ربه ببلاء ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمه. ٢٠- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: بمعنى: إذ قال ظناً منه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧] وفي قوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر: ٣٩-٤٠] وكان ذلك ظناً منه بغير علم، فحققوه باتباعهم إياه. ٢١- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾: من حجة يُضلُّهم بها. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾: لنعلم مَن يُصدِّق بالبعث والثواب والعقاب ﴿حَفِيظٌ﴾: لا يعزب عنه علم شيء منها. ٢٢- ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا منفردين بملكه، ولا على وجه الشركة ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم﴾: ما لله من شريك، ولا له ممن يدعون من دون الله ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: من عون بشيء.

[١٥] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أمرت فيهم بشيء بعد»، فأنزلت هذه الآية ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ الآيات.

[٢٢] ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٦]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. اختير الإضمار في سورة بني إسرائيل لقوة الذكر قبل، ألا ترى أنه يكون في عشرة مواضع مضمرًا ومظهرًا، لقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٤] إلى قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، فكان الإضمار تلو الإضمارات أولى بهذا المكان، فلذلك قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وأمّا في سورة سبأ فإن الذي تقدمه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]، فالذكر تقدم في ثلاثة مواضع، وهناك أكثر من عشرة مواضع، فحسن الإظهار هنا، وقوي الإضمار هناك، فلذلك اختلفا. [٢٢] ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. إنما قدم ذكر السماوات على الأرض في سورة سبأ، لأن هذه الآية مبنية على مفتتح السورة وهو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] فقدم ذكر السماوات، لأن ملكها أعظم شأنًا وأكبر سلطانًا... وأمّا التي في سورة يونس، فإنها جاءت عقيب قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فكان القصد إلى ذكر علمه بما يتصرف فيه العباد من خير أو شر، وذلك في الأرض، فأتمه بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، واستوعب جميع ما في الأرض، ثم أتبعه ذكر السماء؛ لأن الابتداء وقع بما يتعلق بها، وما يعمل العباد فيها، فلذلك قدمت الأرض عليها.

[١٧] ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. ما الفرق بين: "نجزي ونجازي"؟ الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة. مثل قوله تعالى ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] فلماذا وردت (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)؟ والجواب: إن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافئ) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلَّ على معنييهما في المرتين هو السياق، فقد =

= ظهرت الجن، "وأن" وما في حيزها بدل من "الجن" أي: ظهر عدم علمهم الغيب للناس. [١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ قوله تعالى: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ قرئ: (مسْكَنهم) بسكون السين وفتح الكاف بلا ألف على الإفراد بمعنى المصدر، أي: في سكناهم أو موضع السكنى. وقرئ: (مسْكِنهم) بالتوحيد وكسر الكاف: لغة فصحاء اليمن، وإن كان غير مقيس: موضع السكنى أو الموضع أيضًا، وقيل: الكسر للاسم والفتح للمصدر. وقرئ: (مساكِنهم) بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع وهو الظاهر لإضافته إلى الجمع، فلكل واحد منهم مسكن. [١٦] ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قوله تعالى: ﴿أُكُلٍ﴾ قرئ: (أُكْلٍ) بسكون الكاف وبالتنوين على قطع الإضافة، وجعله عطف بيان على مذهب الكوفيين القائلين بجواز عطف البيان في النكرة على النكرة، والبصريون يشترطون التعريف فيها. وقرئ: (أُكْلِ) بضم الكاف مع التنوين أيضًا. وقرئ: (أُكُلِ) بضم الكاف من غير تنوين على إضافته إلى "خمط" من إضافة الشيء إلى جنسه كثوب خز، أو ثمرة نبق، أي: ثمرة شجرتين. [١٧] ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ قرئ: (يُجازَى الكفورُ) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنيًا للمفعول، ورفع "الكفور" على النيابة لمن لم يسم فاعله، فالناس كلهم يجازون بأعمالهم لكن المؤمن =

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٣- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: يقول الله عز وجل: حتى إذا جُلي عن قلوبهم، وكشف عنها الفزع والخوف. ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾: أي القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. وقيل: المعنى أنهم يقرّون بأن الحق هو ما قاله الحق سبحانه، ولكن حين لا ينفعهم الإقرار. وقال ابن عطية: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ -فيما رواه البخاري وغيره- أن هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل بالأمر يأمر الله به، سمعت كجَرّ سلسلة الحديد على الصفوان (الحجر الأملس)، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة- وقيل: خوف أن تقوم الساعة- فإذا فَرَغ ذلك فُزّع عن قلوبهم -أي أُطير الفزع عنها وكشف- فيقول بعضهم لبعض ولجبريل: (ماذا قال ربكم؟) فيقول المسؤولون: قال الحق (وهو العليّ الكبير). ٢٤- ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: قيل: قال ذلك أصحاب رسول الله ﷺ للمشركين: والله ما نحن وأنتم على أمر واحد، وإن أحد الفريقين مُهتد. وهم لا يَشُكّون أنهم على هدى وأولئك على ضلال، وهو كقول المرء المتبصّر في الحجة لصاحبه: أحدنا كاذب! وهو لا يشك في أنه الصادق المصيب، وأن صاحبه هو المخطئ، وتقدير العطف في الآية: أنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ تلطّف في الدعوة والمحاورة. ٢٥- ﴿عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾: ركبنا من إثم إن كنتم تظنون ذلك! ومقابلة دعوة الإجرام بالعمل من أبلغ درجات الإنصاف في الحوار لحملهم على الدخول فيه. ٢٦- ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يقضي بيننا بالعدل ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾: القاضي العليم بالمحق والمبطل. ٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾: فصيّرتموهم له شركاء، أروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [سورة الأحقاف: ٤]. ٢٨- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾: إلى جميع البشر. بيان واضح لعموم رسالة النبي ﷺ. ٢٩- ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: كان المشركون يقولون ذلك إذا سمعوا وعيد الله الكفار، وما أعد لهم في معادهم. ٣١- ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: تقدّمه وسبقه من الكتب والأنبياء.

[٢٣] شرح اسم الله العلي: (العَلِيُّ، الأَعْلى، المُتَعَالِ): وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه. فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتَفَع. وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا تماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [٢٣] شرح اسم الله الكبير: وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي =

[٢٤] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]. آية يونس وردت في سياق الاحتجاج عليهم بما أقروا به، ولم يمكنهم إنكاره من أنه سبحانه هو رازقهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، فلما كانوا مقرين بهذا كله حين الاحتجاج عليهم، فكيف يعبدون معه غيره، ويجعلون له شركاء من دونه، ولهذا قال بعد ذلك "فسيقولون الله" والمخاطبون بهذه الآية كانوا مقرين بنزول الرزق من السماء التي يشاهدونها، ولم يكونوا مقرين بنزوله من سماء إلى سماء حتى ينتهي الأمر إليهم، ولم يكونوا مقرين بنزول الأرزاق العظيمة على القلوب والأرواح، وأعظمها الوحي، فأفرد لفظ السماء في هذه الآية، فهم لا ينكرون مجيء الرزق منها، لا سيما والرزق ها هنا إن كان هو المطر، فمجيئه من السماء التي هي السحاب، فذلك يسمى سماء لعلوه، فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا إفراد السماء، أمّا آية سبأ فالأمر فيها مختلف، ولهذا أرى سبحانه نبيه أن يتولى الجواب فيها، فلم ينتظم ذكر إقرارهم بما ينزل من السماوات، ولهذا قال في الجواب "قل الله" ولم يقل: سيقولون الله، كما في آية يونس، فالله سبحانه هو وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السماوات السبع. [٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تُعِد به؟ [٣١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ...﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ ...﴾ [سبأ: ٣١]. آية الأنعام تبين حال الظالمين عند الموت وما يلاقون من العذاب...، أمّا آية سبأ فتوضح حال هؤلاء الظالمين يوم القيامة والعرض للحساب...

= وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد... وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي) وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة؛ لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباطٌ بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثًا بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة.

= يكفر الله عنه سيئاته الصغائر باجتنابه الكبائر، والكافر لا تكفير لسيئاته الصغائر لأنه لم يجتنب الكبائر، إذ هو على الكفر والكفر أعظم الكبائر؛ فلذلك خص الكافر بذكر المجازاة في هذه الآية. وقرئ: (نُجازِي-الكفورَ) بنون العظمة وكسر الزاي ونصب "الكفور" مفعولًا به، وذلك لمناسبة ما بعده من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ﴾ وقوله: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾. [١٩] ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾ قرئ: (ربَّنا بعِّدْ) بنصب "ربنا" على النداء، وبعِّدْ بكسر العين المشددة بلا ألف وسكون الدال، وعليه صريح الاسم، فعل طلب، اجتراءً منهم وبطرًا. وقرئ: (ربُّنا باعَدَ) بضم الباء على الابتداء، وباعد بالألف، وفتح العين =

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

٣٢- ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: مؤثرين للكفر على الإيمان. ٣٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: التُّباع من الكفرة وسائر من يجري استضعافهم أو التسلط عليهم في كافّة وجوه الحياة. وإن لم يكونوا في أنفسهم، أو من حيث مواهبهم ومواردهم من «الضعفاء». ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: لرؤسائهم ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: بل مكرهم بنا في الليل والنهار، حتى أزلتمونا عن عبادة الله. وأضيف «المكر» إلى الليل والنهار على اتساع العرب فيما عرف معناه من الكلام، كقولهم للرجل: نهارك صائم، وليلك قائم: والمراد: المكر الدائم الذي لا يتوقف. ﴿وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: أمثالاً وأشباهاً في العبادة. ٣٤- ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: رؤساؤهم، وأغنياؤهم، وقادتهم في الضلالة. ٣٥- ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: منكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: في الآخرة، لأن الله لو لم يكن راضياً عمّا نحن فيه من الملة والعمل لم يُخوِّلنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق. ٣٦- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: من خلقه فيوسعه عليه، تكرمةً له وغير تكرمة ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُقتّر على من يشاء فيضيّقه، إهانة وغير إهانة. ٣٧- ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: قُربى، والزلفة: القُربة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾: بالواحدة عشراً، وفي سبيل الله سبعمائة ﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾: غرفات الجنان. ٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾: يعملون ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: في إبطال حجتنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: يحسبون أنهم يُعجزوننا، ويفوتوننا بأنفسهم، فلا تقدر عليهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ﴾: في عذاب جهنم ﴿مُحْضَرُونَ﴾: من الإحضار والإعداد، أي: تُحضرهم الزبانية يوم القيامة.

= هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل. [٢٦] شرح اسم الله الفتاح: الفاتح: الحاكم، والفتاح من أبنية المبالغة. فالفتّاح هو الحكم المحسن الجواد، وفَتْحهُ تعالى قسمان: القسم الأول: فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي. القسم الثاني: الفتاح بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله جميعَ ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم. وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعِهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفّى كل عامل ما عمله. وأما فتحه القدَري فهو ما يُقدِّرُه على عباده من خير وشر ونفع وضرّ وعطاء ومنع، فالربّ تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله. [٢٦] شرح اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٣٤] قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان، عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر، فلما بُعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه، وكان يقرأ بعض الكتب، فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا وكذا، فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: وما علمك بذلك؟ قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم. فنزلت هذه الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ فأرسل إليه النبي ﷺ: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت. [٣٣] ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ...﴾ [يونس: ٥٤]، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ [سبأ: ٣٣]. الآيتان تبينان حال الكافرين، وإسرارهم الحسرة حين رأوا العذاب الذي أُعدَّ لهم في الآخرة، وآية يونس تبين أن الله يقضي بينهم بالعدل، وهم لا يُظلَمون؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحدًا إلا بذنبه، وأمّا آية سبأ فتعرض صورة من صور العذاب الذي أعد لهم... [٣٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ ولم يقل: "من قبلك" ولا "قبلَك"، خُصّت السورة به، لأنه في هذه السّورة إخبار مجرّد، وفي غيرها إخبار للنبي ﷺ وتسلية له، فقال: "من قبلك" أو "قبلَك". [٣٩] ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٦٢، سبأ: ٣٩]، [القصص: ٨٢، بحذف ﴿لَهُۥ﴾] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾. أحوال الناس في الرزق ثلاثة: الأول: من يبسط رزقه تارة ويضيق عليه أخرى، وهو يفهم من آية العنكبوت بقوله تعالى: "له"، والثاني: يوسع على قوم مطلقًا، ويضيق على قوم مطلقًا، ويفهم من سورة القصص، والثالث: الإطلاق من غير تعيين بسط ولا قبض، فأطلق من غير ذكر "عباد"، وخصت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ثم فصل حالهم في بسطه تارة وقبضه تارة، وآية سبأ سبقها قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦]، والمراد بهم الكفّار، ثم ذكر بعد قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ لأنهم المؤمنون، وأمّا آية القصص فتقدمها قصة قارون، فناسب الحال الثاني أنه يبسط الرزق لمن يشاء مطلقًا لا لكرامته كقارون، ويقبضه عمن يشاء لا لهوانه، كالأنبياء الفقراء منهم، وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين؛ كأنواع بعض الحيوانات من الآدميين وغيرهم.

= والدال، خبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطًا في الترفه، وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم. وقرئ: (ربَّنا باعِدْ) بالنصب، وباعد بالألف وكسر العين وسكون الدال، وهذه كالأولى، وعلى هذا (فبين) مفعولٌ به لأنهما فعلان متعديان وليس ظرفًا. [٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿صَدَّقَ﴾ قرئ: (صدَّق) بتشديد الدال على التضعيف، فنصب "ظنه" على أنه المفعول به، والمعنى: أن ظنَّ إبليس ذهب إلى شيء فوافق، فصدق هو على المجاز، ومثله كذبت ظني ونفسي، وصدقتهما وصدقاني وكذباني، وكذّب هو ظنه مجاز شائع. وقرئ: (صدَق) بتخفيفها، فظنه منصوب على المفعولية أيضا كقولهم: أصبت ظني أو على المصدر بفعل مقدر، أي: يظن ظنه، أو على نزع الخافض، أي: في ظنه. [٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿أَذِنَ﴾ قرئ: (أُذن) بضم الهمزة مبنيًا للمفعول، و"له" نائب الفاعل. وقرئ: (أَذن) بفتح الهمزة مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى. قوله تعالى: ﴿فُزِّعَ﴾ قرئ: (فَزَع) بفتح الفاء والزاي مبنيًا للفاعل، والضمير لله تعالى، أي: أزال الله تعالى الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن أو الملائكة؛ وقرئ: (فُزِّع) بضم الفاء وكسر الزاي مشددة مبنيًا للمفعول، والنائب الظرف بعده. [٣٧] ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ قوله تعالى: =

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤١- ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾: تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد. ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾: قيل: المراد الشياطين أو إبليس وجنوده. وعبادتهم لهم: طاعتهم إياهم، وسماعهم من وسوستهم وإغوائهم، فهذا نوع من العبادة. وقد يجوز أنه كان في الأمم الكافرة من عَبد الجن. ٤٣- ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ ﴾: يصرفكم ﴿إِلَّا إِفْكٌ ﴾: كذب ﴿مُّفْتَرًى ﴾: مختلق ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهر لمن تأمله أنه سحر. ٤٤- ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُم ﴾: يقول عز وجل: وما أنزلنا على هؤلاء المشركين من قومك القائلين لما جئتهم به: هذا سحر مبين، من ﴿كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾: أي: يقرؤونها ﴿مِن نَّذِيرٍ ﴾: ينذرهم بأسنا، فليس لتكذيبهم بالقرآن أي شبهة يتشبثون بها، كما قال أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتب وشرائع!! ٤٥-﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: من الأمم رسلنا ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾: يقول عز وجل: ولم يبلغ قومك المكذبون لك عُشر ما أعطينا الذين من قبلهم؛ من القوة والأيد والبطش، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾؟: النكير: مصدر كالإنكار في المعنى و«كيف» تعظيم للأمر، وليست استفهاماً مجرداً. والمعنى: كيف إنكاري لهم بالعذاب والعقوبة. ٤٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ﴾: بخصلة واحدة: أن تتصادقوا على المناظرة، وأن تقوموا لله بالنصيحة، وترك الهوى ﴿مَثْنَىٰ ﴾: اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَىٰ ﴾ فرداً فرداً، هل علمتم بمحمد جنوناً قط!؟ ٤٧- ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾: على إنذاركم عذاب الله، ونصحي لكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾: أي مطّلع لا يغيب عنه منه شيء. ٤٨- ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾: يُنزّل الوحي من السماء، فيلقيه إلى محمد ﷺ، وقيل: يرمي الباطل بالحق فيدمغه، ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾: ما يغيب عن الأبصار، وما لم يكن.

[٢٧] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٢٧] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللّائق به، بل أعطى كلّ جزء من أجزاء المخلوقات وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا؟... [٣٩] معنى اسم الله الرازق: الرَّزَّاقُ، الرَّازِقُ: وهو مبالغة من: رازق للدلالة على الكثرة، والرزاق من أسمائه سبحانه. وقال النبي ﷺ: ((إنَّ الله هوَ المسَعِّرُ القابضُ الباسطُ الرَّازِقُ)) أخرجه أبو داود والترمذي، وغيرهما، وصححه الألباني. ورزقه لعباده نوعان: عام، وخاص. ١ - فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهّل لها الأرزاق، ودبّرها في أجسامها، وساقَ إلى كل عضوٍ صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبرِّ والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. ٢ - وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد الرسول ﷺ، وهو نوعان: النوع الأول: رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألّهة لله متعبّدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها. النوع=

[٤٢] ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ٢٠]، ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤٢]. سبب الاختلاف بين الآيتين هو أن لفظ "النار" في آية سورة السجدة اسم ظاهر وقع موقع الضمير، والضمير لا يوصف فوُصف العذاب، فحسن التذكير، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ٢٠]، أمّا آية سورة سبأ فإنه لم يتقدم ذكر النار في الآية، فحسُن وصف النار، فجاءت الآية بالتأنيث، يقول الله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ: ٤٢]. قول آخر: آية السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١]، فلما تفصل ذكر العذاب إعلامًا بإلحاق العذاب الأدنى دون الأكبر بمن جرى الوعيد لهم، والعذاب مذكر، وقد تكرر، فتأكد رعيه، فناسبه عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكرًا ليجري ذلك كله مجرى واحدًا. ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك، أعيد الضمير إلى النار مؤنثًا، ليحصل=

= ﴿جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ قرئ: (جزاءً الضعفُ) بالنصب على الحال من الضمير المستقر في الخبر المقدم من التنوين وكسره وصلًا، ورفع "الضعف" بالابتداء كقولك: في الدار قائمًا زيد، والتقدير: لهم الضعف جزاء. وقرئ: برفع جزاء وخفض الضعف بالإضافة. قوله تعالى: ﴿الْغُرُفَاتِ﴾ قرئ: (الغرْفة) بسكون الراء بلا ألف على التوحيد مرادًا به الجنس؛ لأنه يدل على الجمع وهو أخف، وقد أجمعوا على التوحيد في قوله تعالى: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ في "الفرقان: ٧٥". وقرئ: (الغرُفات) بضم الراء وجمع السلامة لغرفة؛ لأن أصحاب الغرف جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة فالجمع أولى به في اللفظ والمعنى. [٤٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾=

[٤٠] ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) =

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣)

٤٩- ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: القرآن ووحي الله عز وجل ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾: قال أهل التأويل: «الباطل» هاهنا: إبليس. فمعناه: وما يُنشئ إبليس خلقاً، ولا يعيده حياً بعد فنائه. وقيل: مُحِقَ الباطل، وذهب ذهاباً لم يبق منه إبداء ولا إعادة. ٥٠- ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾: عن الهدى ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾: أي: ضرر ذلك عليَّ ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾: فبوحي الله إليَّ، وتوفيقه لي. ٥١- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾: قيل: من عذاب الدنيا. وقيل: المراد فزعهم عند نزول الموت بهم. وقيل: إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا هرب ﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: لم يبعدوا عن الله وأمره. ٥٢- ﴿وَقَالُوا آمَنَّا﴾: بالله وبكتابه ورسوله. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾: التناول، يقول عز وجل: من أي وجه لهم التناوش، والمعنى: وأنى لهم التوبة والرجعة التي قد بعدت عنهم أن يتناولوها ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: في القيامة، والتوبة المقبولة إنما تكون في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا وبعدت عن الآخرة. ٥٣- ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾: بالإيمان بمحمد، وما جاء به ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يرجمونه بالظنون، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم: شاعر. ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: يرجمون بالظن. ٥٤- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: حينئذ من الإيمان ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾: على كفرهم بالله من كفار الأمم قبلهم. ﴿مُّرِيبٍ﴾: يوجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه.

سُورَةُ فَاطِرٍ

١- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبتدعها وخالقها ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: إلى من شاء من عباده ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾: أصحاب أجنحة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ يعني: في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر وقيل: إن هذه الزيادة في الخلق ليست خاصة بالملائكة. وأما ما يتفاضل به الناس في الخلق والمواهب فهو كثير يزيد. ﴿مَا يَشَاءُ﴾: وينقص ما يشاء. ٢- ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾: من خير ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: لا مغلق لها، ولا يقدر أن يمنعها أحد. ٣- ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أي وجه عن خالقكم ورازقكم تصرفون؟ = الثاني: رزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه؛ فإنَّ الرزق الذي خصَّ به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فمعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة، ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيّ الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه. [٤٦] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء. واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٥٠] شرح اسم الله السميع: كثيراً ما يقرن الله بين صفة السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة، والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. [٥٠] شرح اسم الله القريب: من أسماء الله تعالى: ((القريب))، وقربه نوعان: النوع الأول: قربٌ عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو بمعنى المعيَّة العامة. النوع الثاني: قرب خاص: بالداعين، والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين. = في السورتين ورود الوجهين الجائزين كما تقدم مع التناسب، والله أعلم. [٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ ... إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ : ٤٣]، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف : ٧]. وإذا تتلى على كفار مكة آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا كذب مختلق، جئتَ به من عند نفسك، وليس مِن عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح، فهذا ما دلت عليه آية سبأ، أما آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر : ٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. آية فاطر تدعو الناس أن يذكروا نعمة الله عليهم، فإنه لا خالق لهم غير الله يرزقهم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصْرَفون عن توحيده وعبادته؟ وأما موضعا سورتي المائدة والأحزاب فالنداء فيهما للمؤمنين بأن يذكروا نعمة الله عليهم حين نجاهم من أعدائهم.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]. شرب عبد الله بن عمر ماءً باردًا فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: ذكرت آية في كتاب الله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[الأعراف: ٥٠]. [٥٤] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]. عن قتادة: (إياكم والشك والريبة فإن من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه).

= قوله تعالى: ﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾ قرئ: (يحشرهم-يقول) بالياء على الغيبة والإفراد الذي قبله والذي بعده، وهو قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ وقوله: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ و﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾. وقرئ: (نحشرهم-نقول) بالنون بلفظ الجمع للتعظيم والتفخيم، فأجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بلفظ الجماعة فهو خروج من غيبة إلى إخبار، وخروج من مفرد إلى جمع. [٥٢] ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ قوله تعالى: ﴿التَّنَاوُشُ﴾ قرئ: (التناؤش) بالهمز المضموم =

= مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضا (٨٨ مرة). [٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة.

نزول سورة فاطر: نزلت بعد سورة الفرقان، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة فاطر: سبعمائة وسبعون. عدد حروف سورة فاطر: ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة فاطر: لها اسمان: سورة فاطر لما في أولها من قوله: فاطر السماوات، وسورة الملائكة لذكرهم بها. مواضيع سورة فاطر: معظم مقصود السّورة: بيان تخليق =

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

٥- ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾: هو الشيطان. ومعنى الآية: لا يغرنكم الشيطان بالله تعالى، فيقول لكم: إن الله يغفر لكم لفضله أو لسعة رحمته. ٦- ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾: يدعو من أطاعه إلى ما يوجب عليه العذاب ﴿السَّعِيرِ﴾: في نار جهنم التي تتوقد. ٨- ﴿أَفَمَن زُيِّنَ﴾: حسَّن ﴿لَهُ﴾: الشيطان ﴿سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أعماله السيئة من المعاصي. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾: لا تغتم لهم، ولا تحزن عليهم. ٩- ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُنشئ سحاباً بالحياة والغيث ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: مجدب لا نبات فيه، فيُحييه ويُخصبه ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾: كذلك ينشر الله الموتى، ويبعثهم، بعد بلاهم في قبورهم. ١٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: بعبادة الأوثان، وقيل: من كان يطلب العزة فليتعزز بطاعة الله. وقوله ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: دعاء إلى طاعة من له العزة سبحانه وتعالى. ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: ذكر العبد ربه، وثناؤه عليه. روي أن عبد الله بن مسعود قال: إذا حدَّثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله: إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله، لا إله إلا الله والله أكبر، تبارك الله، أخذهنّ مَلَك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جميع الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحيّيَ بها وجه الرحمن تعالى، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: يعملون ويكسبون السيئات ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ﴾: عمل أولئك ﴿هُوَ يَبُورُ﴾: يبطل، لأنه لم يرد به وجه الله. وقيل: هم أصحاب الرياء. ١١- ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: زوّج الذكر من الأنثى، أو جعلكم ذكراناً وإناثاً ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: المراد: شخص واحد، وعليه يعود الضمير في «عمره». وما مضى من عمره فهو النقص، وما يُستقبل فهو الذي يعمّره. وقيل غير ذلك. [٨] قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أخرج جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ الآية حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام»، فهدى الله عمر وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

[٩] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [فاطر: ٩]. الفارق بين الموضعين هو أن قوله تعالى في الأعراف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ كلام يستدعي جوابًا وليس مما يجاب بالفاء، وإنما جواب مثل هذا مجرد فيه الفعل عن الفاء، وغيرها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، فالجواب هنا قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، أمّا قوله تعالى في فاطر: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب، ليطابق اللفظ ما تحته من المعنى، فلزمت الفاء هنا لبيان معناها، ولما استدعى لفظ ﴿سُقْنَاهُ﴾ المكان المسوق إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر أو بإلى، قيل: ﴿لِبَلَدٍ﴾ ليناسب المجرور فعله في الوجازة، ولما طال الفعل في الآية الأخرى ناسبه تعديته بإلى إسهابًا.

[١-٤] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]. ما الفرق بين: "كُذِّب وكُذِّبت"؟ الجواب: وردت كلمة (كُذِّب) مبنية للمجهول مع كلمة (الرسل) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (كُذبت) مرتين مع كلمة (الرسل)!! ناسبت كل كلمة منهما الموضع الذي أتت فيه كالآتي: سُبقت كلمة (كُذب) في موضعها في الآيات [١٨١-١٨٤ من سورة آل عمران] بالكلمات المذكرة (الله- الذين- أغنياء- الأنبياء- العبيد- عذاب- الحريق- قربان)، فناسب ذكر تذكيرها؛ أي عدم إضافة حرف التاء (تاء التأنيث) إلى كلمة (كُذب). أيضا سبقت كلمتا (كُذب رسلٌ) في الآية [١٨٤] بكلمتي (جاءكم رسلٌ) وليس (جاءتكم رسلٌ) في الآية [١٨٣]، فناسب التذكير التذكير. وأتبعت جملة ﴿كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ بجملة: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ في نفس الآية [١٨٤]، فناسب التذكير (جاؤوا) التذكير (كُذب). أما الكلمة الثانية (كُذبت): فقد سُبقت كلمتا ﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ في سورة الأنعام [الآية ٣٤] بكلمة (جاءتهم الساعة) فناسب التأنيث (جاءتهم) التأنيث (كُذبت). أما في سورة فاطر: فقد سُبقت كلمتا (كُذبت رسلٌ) في الآية [٤] بكلمات مؤنثة (السماوات، الأرض، الملائكة، أجنحة، رحمة، السماء، الأرض، نعمة)، فناسب التأنيث التأنيث. [٩] ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق بين: "الريح والرياح"؟ الجواب: أولًا: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترن بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء=

= مصدر تناوش من ناش: تناول من بعد. وقرئ: (التناوُش) بواو مضمومة بلا همز مصدر ناش أجوف، أي: تناول، وقيل: الهمز مقلوب عن الواو كوقتت وأقتت، قال الزجاج: كل واو مضمومة ضمة لازمة فأنت فيها بالخيار، إن شئت همزتها، وإن شئت تركت همزها، والمعنى: من أين لهم تناول ما طلبوه من الإيمان بعد فوات وقته، وذلك أنهم آمنوا في موضع لا ينتفعون بالإيمان فيه. [٣] ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ﴾ قرئ: (غيرِ) بالجر نعتًا لخالق على اللفظ. وقرئ: (غيرُ) بالرفع صفة على المحل، و"من" مزيدة للتأكيد، و"خالق" مبتدأ، يرزقكم صفة أخرى، والخبر مقدر، أي: موجود لكم. [٨] ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ قرئ: (تُذهِب نفسَك) بضم التاء وكسر الهاء من أذهب، و"نفسك" بالنصب مفعول. وقرئ: (تَذهَب نفسُك) بفتح التاء والهاء مبنيًا للفاعل من ذهب، و"نفسك" فاعل. [١١] ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنقَصُ﴾ قرئ: (يَنقُص) بفتح الياء التحتية وضم القاف مبنيًا للفاعل وهو ضمير المعمر. وقرئ: (يُنقَص) بضم الياء وفتح القاف مبنيًا للمفعول، والنائب مستتر يعود على المعمر.

= الملائكة، وفتح أبواب الرّحمة، وتذكير النّعمة، والتحذير من الجِنّ، وعداوتهم، وتسلية الرّسول ﷺ، وإنشاءِ السحاب، وإثارته، وحوالة العزّة إلى الله، وصعود كلمة الشهادة، وتحويل الإنسان من حال إلى حال، وذكر عجائب البحر، واستخراج الحِلْية منه، وتخليق اللّيل والنّهار، وعجز الأصنام عن الرُّبوبيّة، وصفة الخلائق بالفقر والفاقة، واحتياج الخَلْق في القيامة، وإقامة البرهان والحجة، وفضل القرآن، وشرَفُ التلاوة، وأصناف الخَلْق في ميراث القرآن، ودخول الجنّة من =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٢- ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: «الفرات» أعذب العذب ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: مُرّ، وهو أشد المياه ملوحة ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السفن ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء بصدرها، وهو خرقها وشقُّها إياه. ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: بالتجارة والحج والسفر.. ١٣- ﴿مِن قِطْمِيرٍ﴾: من قشر نواة فما فوقها، وهي الجلدة البيضاء التي تكون على النواة. ١٤- ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: لأنها لا سمع لها، يعني: الأصنام الآلهة ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: أيضًا ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعجزها عن ذلك، ولأنها ليست ناطقة. ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من أنها كانت لله عز وجل شركاء في الدنيا ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: يقول عز وجل: لا يُخبرك عن المشركين وآلهتهم، وما يكون من أمرهم يوم القيامة مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم. و«الخبير»: هو الله تعالى. فإنه لا أحد أخبر بخلقه منه، وهو الخبير الصادق الخبر. ١٧- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: وما إفناؤكم والإتيان بآخرين بممتنع ولا متعسر على الله. ١٨- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحمل نفس آثمة إثم أخرى عليها. ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: إن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلبه، لم تجد ولو كان الذي سألته ذا قرابة، كأب أو ابن أو أخ. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: يخافون عقاب الله يوم القيامة، من غير معاينة لذلك في الدنيا ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّر من دنس الكفر والذنوب، ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾: لحظّها ونفعها، أي أن ثواب الطاعة مختص بفاعلها.

[١٢] ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ... ﴾ [الفرقان: ٥٣]، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ ... ﴾ [فاطر: ١٢]. والله هو الذي خلط البحرين: العذب السائغ الشراب، والملح الشديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزًا يمنع كل واحدٍ منهما من إفساد الآخر، ومانعًا مِن أن يصل أحدهما إلى الآخر، فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمَّا آية فاطر: وما يستوي البحران: هذا عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمكًا طريًّا شهيَّ الطَّعم... أما عن زيادة ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾ في آية فاطر؛ فلأن سياق الآيات فيها بيان لقدرة الله في خلقه لهذه المخلوقات المتباينة المختلفة، وفي كل منها حكمة، فاقتضى السياق بيان شدة هذا الاختلاف، فزاد ﴿ سَائِغٌ شَرَابُهُ ﴾. [١٢] ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤]، ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢]. في هذا الموضع نرى أن آية النحل جاءت على الأصل في الترتيب، فمواخر حال، ثم جاء بعدها الظرف ﴿ فِيهِ ﴾، أما تقديم ﴿ فِيهِ ﴾ في فاطر، فجاء على خلاف الأصل، وقد أجاب الإسكافي عن سر التقديم بمناسبتين الأولى معنوية، وهي تعلق قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ به، فالتقدير: وترى الفلك فيه تمخر الماء أي تشقه لتبتغوا من فضله، فأخر ﴿ مَوَاخِرَ ﴾ ليجاور معموله ﴿ لِتَبْتَغُوا ﴾، والأصل عدم الفصل، ولهذا حذفت واو العطف في قوله: ﴿ لِتَبْتَغُوا ﴾، بينما لم تحذف في الموضع الأول، والسر في أن آية النحل بدأت بقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ ﴾، ما عطف عليه من استخراج الحلية، وجري السفن، وابتغاء الفضل، وليس في آية فاطر ما يصلح لعطف الابتغاء عليه، وإنما هو متعلق بمواخر كما عرفنا، أمَّا المناسبة اللفظية التي اقتضاها تقديم الضمير المجرور، فهي أنه تقدم في الآية تقديم الجار والمجرور على الفعل نفسه في قوله: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾. قول آخر: تقدم الكلام في النحل عن وسائط النقل فذكر الأنعام، وأنها تحمل الأثقال، وذكر الخيل والبغال والحمير وهي مما يركب، ثم ذكر الفلك وهي من وسائط النقل، فقدم المواخر في النحل لأنها من صفات الفلك، وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل، وليس السياق كذلك في فاطر، وإنما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١] ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر:١٢]، فالكلام هنا عن البحر وأنواعه وما أودع الله فيه من نعم، فلما كان الكلام عن البحر قدم ضمير البحر على المواخر، ولما كان الكلام عن وسائط النقل والفلك قدم حالة الفلك. [١٧] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي إبراهيم وفاطر، ومعناها: وما إهلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله، بل هو سهل يسير.

= الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان -عليه السلام- «عاصفة» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. أمثلة: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحدٍ: مثال: ﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الفرقان: ٤٨]. [٩] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ [النحل: ١١٥]، ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ [فاطر: ٩]. ما الفرق بين: "المَيِّت والمَيْت"؟ الجواب: استعمل القرآن الكريم كلمة (ميِّت) بتحريك الياء وتشديدها، للدلالة على: ١- ما كان له روحٌ نشأت عنها الحياة، وسيموت يومًا ما، مثل قوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، فلقد أطلق القرآن كلمة (ميِّت) و(ميتون) على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو حيٌّ وهم أحياء، وكلمة (ميِّتون) تشمل كل حيٍّ بعد صحابة رسول الله ﷺ من الناس جميعًا، = = أهل الإيمان، وخلود النار لأهل الكفر والطغيان، وأن عاقبة الكفر الخسران، والمِنَّة على العباد بحفظ السَّماءِ والأرض عن تخلخل الأركان، وأنَّ العقوبة عاقبة المكر، والإخبار بأنَّه لو عَدَلَ رَبُّنا في الخَلْقِ لم يسلم من عذابه أحد من الإنس والجانّ.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾: عن دين الله الذي ابتعث به نبيه ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: الذي قد أبصر فيه رشده. ٢٠- ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: ولا ظلمات الكفر، ولا نور الإيمان. ٢١- ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾: قيل: الجنة ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: قيل: النار. وقيل: «الحرور»: شدة حر الشمس، وهو لا يكون إلا بالنهار مع الشمس، والسموم يكون بالليل. ٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: المؤمنون والكافرون؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] يريد: أفمن كان كافراً فهديناه إلى الإسلام، والكافر ميت القلب أعمى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾: فكما لا تقدر على ذلك، فكذلك لا يقدر أن ينتفع بمواعظ الله من كان ميت القلب. ٢٤- ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: كان لها رسول، واقتصر على ذكر «النذير» دون البشير لأنه الصق بسياق الآيات. ٢٥- ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ﴾ البينات: المعجزات والدلالات الظاهرة. والزبر: الكتب المكتوبة، كصحف إبراهيم. ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: البين نوره. ٢٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: تغييري لهم وحلول عقابي بهم. ٢٧- ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾: طرائق، وهي الجدد من الجبال: بيض وحمر وسود كالطرق، واحدها جُدّة ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: ألوان الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: هو من المقدم الذي بمعنى التأخير، تقول العرب: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، أي الذي لونه لون الغراب. ٢٨- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: الناظرون في هذه السنن والدلائل، والعارفون بهذه العلوم والمعارف. والآية عامّة في علماء الدين والدنيا، وإن كان سياقها خاصاً بعلماء النبات والبيئة والجغرافية الطبيعية ونحو ذلك. ٢٩- ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك. ٣٠- ﴿شَكُورٌ﴾: بحسنات عباده، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾: تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة، أي غفور لذنوبهم، شكور لطاعتهم.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾ أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس: أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، نزلت فيه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية.

[٢٤] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة:١١٩]، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤]. الآيتان تتحدثان عن النبي ﷺ، وتبين آية البقرة أن النبي ﷺ ليس مسؤولًا عن كفر مَن كفر وأن مآلهم إلى الجحيم، وآية فاطر توضح أنه ما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذرها عاقبة كفرها وضلالها. [٢٥] ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥]. آية فاطر مكية، فهي متقدمة على آية آل عمران المدنية في النزول، والاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان يختلف فيما بين أهل مكة وأهل المدينة، فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة، فعلى هذا فالمقام مع أهل مكة يقتضي التأكيد في المعاني لتقريرها ورسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها، فأشعر تكرار حرف الجر بتكرار المتعلق، وخلا التعبير المدني المتمثل في آية آل عمران من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه.

= فالموت سُنّةٌ من سُنَنِ الله في الأحياء من خلقه. ٢- ما ليس له روح، كالأرض الميتة، كما قال تعالى: ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [فاطر: ٩]. واستعمل القرآن الكريم كلمة (مَيْت) بتسكين الياء، للدلالة على مَن كان حيًّا حياةً حقيقية ثم مات موتًا حقيقيًا وفارقت روحُه بدنه. وقد جاءت كلمة (مَيْت) في القرآن إحدى عشرة مرة، وجاءت وصفًا مجازيًا خمس مرات، والموصوف هو (بلدة) في ثلاثة مواضع و(الأرض) في موضع واحد و(الجاهل أو الضال أو الكافر) في موضع واحد. - وُصفت (الأرض) أو (البلدة) بـ(مَيْت) تشبيهًا لهما بالمَيِّت الحقيقي في عدم النفع على سبيل الاستعارة التصريحية، التي حُذف فيها المشبه وذُكر المشبه به. وَوُصِفَ الجاهلُ أو الضالُّ أو الكافر بـ(مَيْت)، وهي استعارة، والجامع بين الموت موتًا حقيقيًا وبين الجاهل والضال والكافر هو عدم الاعتداد بالحياة مع الجهل والضلال والكفر. سؤال: الأصلُ هو وصف (البلد) بالمَيْت، فلمَ وُصفت بالميِّت أحيانًا؟ والجواب من وجهين: ١- أن يكون المراد بالبلد في الآيتين أهل البلد لا نفسها وهم قطعًا (أي أهل البلد) أحياء سيموتون، وهنا يناسب وصفه بكلمة (ميِّت). كما أطلق اللهُ المكان وقصد أهل المكان في قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤]. ٢- أن الآيتين اللتين وُصف فيهما (البلد) بـ(ميِّت) اتفقتا في أمرين: أ- أن السحاب مسوقٌ في كلتا الآيتين: ب- أن السَّوق للسحاب قد عُدِّي بحرف الجر (لـ) (لبلد) أو (إلى) (إلى بلدٍ)، وهذا معناه أن مسافةً ممتدةً بين منشأ السحاب وبين البلد الذي سيق إليه السحاب، فلا يبعد أن يكون في (البلد) آثارٌ من حياةٍ، ريثما يصلُ إليها السحابُ، فيُجدد أسباب الحياة فيها، فعُومل (البلد) معاملة الحي الذي سيموت، والله أعلم. [٢١] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١]، ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [فاطر: ٢١]. ما الفرق بين: "الحَرّ والحَرُور"؟ الجواب: وردت كلمة (الحَرّ) ثلاث مرات. بينما لم ترد كلمة (الحرور) إلا مرة واحدة. (الحَرُّ): ضدُّ البرد. بينما (الحرور): ريحٌ حارةٌ بالليل (كما أن السموم: ريح حارةٌ بالنهار). ويدلُّ على كونها ريحًا حارةً بالليل قولُ الله- تعالى: ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [فاطر: ٢١] أي: ولا المكان الذي حُجبت عنه الشمسُ وكان هادئًا لا ريح فيه، ولا الذي حُجبت عنه الشمس (لغيابها بالليل) وكانت تهبُّ عليه ريحٌ حارة. [٢٢] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]. شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور قلوبهم، فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم. [٢٨] ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ =

[٢١] ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (البرد بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن الكريم، كما ورد لفظ (الحرّ بمشتقاته) (٤) مرات في القرآن، وبذا يكون قد تساوى عدد مرات ورود لفظ (البرد بمشتقاته) مع لفظ (الحر بمشتقاته)، وقد ورد كُلٌّ منهما (٤) مرات في القرآن. [٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧]. ألوان الجبال: ورد اختلاف الألوان في ثلاث صفات في الآية. كتب أحد الباحثين بحثًا علميًا مطولًا، ملخصه أن ألوان الصخور هي نتاج ألوان المعادن المكونة لها.. وأن ألوان المعادن نتاج تركيبها العنصري وبيئتها وتفاعلها مع الماء.. فالماء هو العامل الحاسم في تلوين صخور الجبال. وقد يعجب الإنسان من علاقة إنزال الماء من السماء باختلاف ألوان الجبال. ففي هذا البحث عن الماء «هذا العنصر الحيويّ» الذي يُعدُّ من العناصر المذيبة والفعالة تبيَّن أنه هو العامل الحاسم في تلون الجبال التي تأخذ ألوانها من ألوان =

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)

٣١- ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما مضى أمامه من الكتب التي أنزلت إلى الرسل قبلك. ٣٢- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾: قيل: كل كتاب أنزله الله قبل القرآن. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾: اخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: يعني: أمة محمد ﷺ قال ابن عطية رحمه الله: والمراد بـ«الكتاب» هنا: معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده، فكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن- وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله- فكأنه ورَّث أمة محمد ﷺ الكتاب الذي كان في الأمم قبلهم. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: يغفر لهم ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: يحاسبهم حساباً يسيراً ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: يدخلهم الجنة بغير حساب، وأتت في ذلك روايات كثيرة. ومعنى المقتصد: هو من يتوسط في أمر الدين ولا يميل إلى جانب الإفراط أو التفريط. ٣٣- ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: «من» الأولى للتبعيض، والثانية بيانية، أي يحلّون بعض أساور ذهبية. والأساور: جمع أسوِرة جمع سوار. ٣٤- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار. وقيل: التعب الذي كانوا فيه في الدنيا. ٣٥- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا ﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الجنة التي لا نقلة عنها. ﴿نَصَبٌ﴾: تعب ولا وجع ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: عناء وإعياء. ٣٦- ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾: بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾: لأنهم لو ماتوا لاستراحوا! ٣٧- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يضجُّون ويستغيثون. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾: أولَم نعمركم عمراً يتمكن من التذكر فيه من تذكر، قيل: أربعون سنة. وقيل: ستون. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: محمد ﷺ. ٣٨- ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: خلقها وما فيها من المعتقدات والمعاني. وقيل: بما تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانيته، ونبوة نبيه.

[٣٥] قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحارث، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت». قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: «ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة» فنزلت.

[٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر : ٣١]، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى : ٢٧]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ بالتصريح وبزيادة اللاَّم، وفي الشُّورى: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، لأن الآية المتقدمة في سورة فاطر لم يكن فيها ذكر الله فصرّح باسمه سبحانه وتعالى، وفي الشورى متّصل بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ [الشورى : ٢٧] فخُصّ بالكناية، ودخلت اللام في الخبر موافقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر : ٣٤]، ولم تدخل اللام في الخبر في الشورى موافقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى : ٢٣]. [٣٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ [الرعد : ٢٣]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [النحل : ٣١]، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر : ٣٣]. الآيات الثلاث تتحدث عن الجنة ومن هم أهلها، وعن النعيم الذي أعده الله لهم. [٣٤] ﴿... وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف : ٤٣]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر : ٣٤]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر : ٧٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن أهل الجنة وشكرهم لله على هذه النعمة العظيمة. [٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر : ٣٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات : ١٨]. إن الله مطّلع على كل غائب في السماوات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطّلع عليكم، وأنتم تُضمِرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تَعْصوه بما دون ذلك، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الحجرات: إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

= غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨] قال ابن القيم: ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة لكفى به شرفًا وفضلًا، فكيف وعزّ الدنيا والآخرة منوط به مشروط بحصوله، وكل ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكل ما كان فيه من ذم فهو من ثمرة الجهل. [٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر : ٣٢]. تقدم بالآية ذكر الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، جاء في الكشاف في هذه الآية فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل، ألا ترى كيف قال الله تعالى في السابقين: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ١٤]، إشارة إلى ندرة وقلة وجودهم؟ [٣٤] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. ما الفرق بين: "الحُزْن والحَزَن"؟ الجواب: وردت كلمة (الحُزْن) مرتين، بينما وردت كلمة (الحَزَن) ثلاث مرات. الحُزْنُ: (بضم الحاء): ضد الفرح. وهي حالةٌ تتجمدُ فيها المشاعر فلا ينطلق صاحبُها بالشكوى ولا تجري في عينيه الدموع، بل ينطوي على إحساس عميق بالحُزن، فيبدو للناظر كأنه غير حزين، مع أن الحُزن يُقطِّعُ نياط قلبه، كذلك كانت حالة يعقوب عليه السلام، فقد ابيضت عيناه من كظم حزنه على فقد ولده يوسف، ولم يُرسل =

[٣٣] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ قرئ: (يُدخَلونها) بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول والواو نائب فاعل. وقرئ: (يَدخُلونها) بفتح الياء وضم الخاء بالبناء للفاعل، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد، لأنهم إذا أدخلوا دخلوا، ولأنهم لا يدخلون حتى يؤذن لهم بالدخول. قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ قرئ: (ولؤلؤًا) بنصب الهمزة الأخيرة على أنه معطوف على محل الجار والمجرور، وهو «من أساور» لأن محله النصب، والتقدير: يحلون في الجنة أساور من ذهب ولؤلؤًا. وقرئ: (ولؤلؤٍ) بخفض الهمزة الأخيرة، على أنه معطوف على «ذهب» والمعنى: يحلون في الجنة أساور من ذهب، وأساور من لؤلؤ. [٣٦] ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ قوله تعالى: ﴿نَجْزِي كُلَّ﴾ قرئ: (تُجزَي كلُّ) بتاء مضمومة وفتح الزاي على لفظ الغيبة ورفع (كل) على النيابة عن الفاعل، ويقوي ذلك أن قبله فعل مبني للمجهول وهو ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾. وقرئ: (نَجزِي كلَّ) بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب "كل" على البناء للفاعل وهو الله جل ذكره، على أنه إخبار منه عن نفسه، ويقويه قوله بعده: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾.

= المعادن التي تشترك في بيئتها، والمعادن تتلون بقدر أكسدتها. حيث إن الماء له علاقة بهذه الأكسدة. لذلك تجد أن أحد عوامل تلوينها، واختلاف ألوانها، من جبال كالغرابيب السُّود وجبال جدد بيض، وحُمِر مختلف ألوانها تعود إلى الماء.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

٣٩- ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: خلفتم الأمم الماضية في ديارهم ومساكنهم ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾: بعداً من رحمة الله ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: هلاكاً. ٤٠- ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: شركة في خلقها أو التصرف فيها مع الله -تعالى الله عن ذلك- ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: انزلنا عليهم ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: على برهان منه، على الإشراك. ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: إلا خداعاً، لقولهم: ما نعبد آلهتنا ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر: ٣]. ٤١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: بقدرته وما وضع لها من نظام ﴿أَن تَزُولَا﴾: لئلا تزولا. ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: اي: لا يقدر احد غيره تعالى على إمساكهما لو قُدِّر إشرافهما على الزوال. ٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أشد الأيمان. والمراد: قريش، أقسموا قبل أن يبعث الله محمدًا ﷺ بهذا القسم، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذّبوا رسلهم، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني إسرائيل. ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: هرباً. ٤٣- ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾: تكبراً ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾: المكر هاهنا: الشرك، وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [سورة الواقعة: ٩٥] ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: معناه: لا يحيق مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم، و«يحيق»: معناه يحيط، أي: لا تنزل عاقبة السوء إلا بمن أساء. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: سنة الله تعالى في الذين مضوا قبلهم من أشكالهم من الأمم. وكانت هذه السنة: عذابه الذي نزل فيهم. وسنن الله تعالى في الأمم والأقوام مطّردة لا تتبدل ولا تتحول. [٤٢] قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال: انه بلغه أن قريشًا كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبيًا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكًا بكتابها منا، فأنزل الله ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الانعام:١٥٧] ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وكانت اليهود تستفتح به على النصارى، فيقولون: إنا نجد نبيا يخرج.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ [فاطر: ٤٠]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ [الأحقاف:٤]. قل أيها الرسول للمشركين: أخبروني أيَّ شيء خَلَق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السماوات، أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟ بل ما يَعِدُ الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الأحقاف: قل أيها الرسول لهؤلاء الكفار: أرأيتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السماوات؟ ائتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقيَّة من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون. [٤٣] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. التبديل تغيير الشيء عما كان عليه، مع بقاء مادته، والتحويل نقله من مكان إلى آخر، فكيف قال ذلك، مع أنّ سنة الله لا تُبدَّل ولا تُحوَّل؟ الجواب: أراد بالأول أنّ العذاب لا يُبدّل بغيره، وبالثاني أنه لا يحوَّل عن مستحقه إلى غيره، وجمع بينهما هنا تتميمًا لتهديد المسيء؛ لقبح مكره في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾. قول آخر فيه تفصيل: قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] كرّر، وقال في الفتح: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال في الإسراء: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]، التبديل تغيير الشيء عمّا كان عليه قبلُ مع بقاء مادة الأصل؛ كقوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وكذلك ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، والتحويل: نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله لا تبدل ولا تحوّل، فخصّ هذا الموضع بالجمع بين الوصفين لمّا وصف الكفار بوصفين، وذكر لهم عَرَضين، وهو قوله، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]، وقوله: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقيل: هما بدلان من قوله: ﴿نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فكما ثنّى الأوّل والثّاني ثنّى الثالث؛ ليكون الكلام كلّه على غِرار واحد. وقال في الفتح: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فاقتصر على مرّة واحدة لمّا لم يكن التكرار موجبًا، وخصّ سورة الإسراء بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾ لأنّ قريشًا قالوا لرسول الله ﷺ: "لو كنت نبيًّا لذهبت إلى الشام؛ فإنّها أرض المبعث والمحشر، فهمّ النبي ﷺ بالذهاب إليها، فهيّأ أسباب الرّحيل والتحويل، فنزل جبريل عليه السّلام بهذه الآيات، وهي: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦]، وختَم الآيات بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾ تطبيقًا للمعنى. [٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩، فاطر: ٤٤، أول غافر: ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذلك مؤديًا إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [يوسف: ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالًا أرسلوا إليهم فخالفوهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ =

= بكاءً ولا دموعًا وإنما كظم حزنه، وليس أدل على ذا من قول الله تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. والحَزَنُ: (بفتح الحاء): هو حالة من تحرك المشاعر بالانفعال مع انطلاق الدمع (وربما رفع الصوت بالشكوى) وليس أدل على ذا من قول الله تعالى: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، حيث وصف الله -تعالى- حالة الذين أصابهم الحَزَنُ من جرّاء تخلفهم عن رسول الله ﷺ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون.

[٤٠] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ قوله تعالى: ﴿بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ قرئ: (بينة) بلا ألف على الإفراد على غرار ما في كتاب الله، أو ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم من البراهين. وقرئ: (بينات) بالألف على الجمع؛ لكثرة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والبراهين على صحة صدقه ونبوته من القرآن.
[٤٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ قرئ: (السيئْ) بسكون الهمزة وصلًا إجراء له مجرى الوقف، وقد استثقل الكسرة على الياء المشددة، والكسر على الهمز ثقيل، فأسكن للتخفيف، وهو ضعيف لعدم علامة الإعراب. وقرئ: (السيئِ) بالهمزة المكسورة على الأصل.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٥- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾: لو يُعاقبهم بما عملوا من الذنوب ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: يعني: على ظهر الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: تدُبُّ عليها، كما فعل بهم في زمان نوح، فأهلك ما على ظهرها إلا ما حمل نوح في السفينة. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلوم عنده. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾: بمن يستحق الثواب والعقاب.

سُورَةُ يسٓ

١- ﴿يسٓ﴾: قد تقدم القول في نظائر ذلك من فواتح السور. ٢- ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: قسم أقسم الله به ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المحكم بما فيه من أحكامه، وبينات حججه، فلا تناقض في شيء من ذلك ولا اختلاف. ٣، ٤- ﴿إِنَّكَ﴾: يخاطب محمداً ﷺ. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على طريق من الهدى لا اعوجاج فيه. ٥- ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: معنى الكلام: إنك من المرسلين يا محمد إرسال العزيز الرحيم، أو: نـزّل الله القرآن تنزيل العزيز الرحيم. و«العزيز» هو الذي لا يُغلب. ٦- ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: قيل: ما أنذر الله قبلهم من آبائهم. وقيل: لم يُنذر آباؤهم حتى جاءهم محمد ﷺ ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾: عما الله فاعل بالمشركين، أو لأنه لم يُنذر آباؤهم. ٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾: وجب العذاب عليهم في أم الكتاب. ٨- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾: يعني: الكفار ﴿أَغْلَٰلًا﴾ يقول عز وجل: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة، أي مقيدة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تنبسط إلى شيء من الخيرات ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم. و«الأذقان»: جمع ذقن، ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: أي: رافعون رؤوسهم، غاضُّون أبصارهم، و«المُقْمَحُ»: أن يجذب الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه. ٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: حاجزاً عن الرشد، فزين لهم سوء أعمالهم ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: فأعشى أبصارهم، غطاها غشاوة ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: هُدى، ولا ينتفعون به. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل. ١٠- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾: الآية: معناها أن إنذارك إياهم وعدمه، بعد هذا الإضلال، سواء. ١١- ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: آمن بالقرآن واتبع ما فيه ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خاف الله إذ غاب عن أبصار الناظرين. ١٢- ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾: في الدنيا من عمل ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: وآثار خُطاهم بأرجلهم، إلى المساجد. والآية عامة في كل ما يبقيه الإنسان من الحسنات والسيئات بعد موته. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: كان أو هو كائن ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: أثبتناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: في أم الكتاب، أي اللوح المحفوظ. [١، ٢] قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة، حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد. [٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن، فأنزل الله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قوله ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾، فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ ولا يبصر. [١٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: «إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا». وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

= [الحج : ٤٥]، فكأنه قال: إذا كان كذا فسيروا في الأرض واعتبروا، فأمّا قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فإنه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه، إذا لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الروم : ٨]، فكان الموضع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أن يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو...
[٤٤] ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم : ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ [فاطر : ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر : ٢١]. قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخبارٌ عمّا كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصّت سورة الروم بهذا النسق لما يتّصل به من الآيات بعده، وكلّه إخبار عمّا كانوا عليه وهو: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟﴾ بزيادة الواو، لأنَّ التّقدير: فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشدَّ منهم قوّة، وخصّت سورة فاطر به لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وفي غافر ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأظهر "كان" العاملة في "من قبلهم"، وزاد "هم"؛ لأنَّ في هذه السّورة وردت أوائل قصّة نوح، وهي تَتِمُّ في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، وفي آخر المؤمن ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر : ٨٢] فلم يبسط القول؛ لأن أوّل السّورة يدلّ عليه. [٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل : ٦١]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر : ٤٥]. آية النحل جاءت بعد أوصاف الكفار بأنواع كفرهم في اتخاذهم إلهين اثنين، وكفرهم وشركهم في عبادة غير الله سبحانه، وجعلهم للأصنام نصيبًا من مالهم، ووأد البنات، وغير ذلك، وكل ظلم منهم، والسبب في قوله تعالى: ﴿بِظُلْمِهِم﴾، ولم يتقدم مثل ذلك في فاطر، أنه شائع مستعمل كثير في لسان العرب لظهور العلم به بينهم، ولكراهية أن يجتمع ظاءان في جملتين معًا، مع ثقلها في لسانهم، لأن الفصاحة تأباه، ولم يتقدم في فاطر ذلك، فقال: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ مع ما فيه من تفنن الخطاب.

[٥] ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَنزِيلَ﴾ قرئ: (تنزيلَ) بالنصب على المصدر، ونُصب بفعل من لفظه. وقرئ: (تنزيلُ) بالرفع خبر لمقدر، أي: ذلك أو القرآن تنزيل. [٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَدًّا﴾ هنا وكذا: =

نزول سورة يس: نزلت بعد سورة الجن، وهي مكّيّة بالإجماع. عدد كلمات سورة يس: سبعمائة وتسع وعشرون. عدد حروف سورة يس: ثلاثة آلاف. أسماء سورة يس: وللسّورة اسمان: سورة يس؛ لافتتاحها، وسورة حبيب النجار؛ لاشتمالها على قصّته. مواضيع سورة يس: معظم مقصود السّورة: تأكيد أمر القرآن الكريم، =

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣- ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: عن ابن عباس وأهل التفسير: أنها أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: رسل عيسى بن مريم عليهما السلام. ١٤- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: ذُكر أن عيسى عليه السلام بعث رجلين من الحواريين إليها. وأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه لأن عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه. وقيل: بل هؤلاء أنبياء أرسلهم الله تعالى بعد رفع عيسى عليه السلام. وهذا يرجحه قولهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فإن هذا إنما يقوله الكفار لمن أدى الرسالة من الله. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: شددناهما وقوّيناهما. ١٨- ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾: عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا. ١٩- ﴿قَالُوا﴾: يعني: الرسل ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: أعمالكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم ليس من شؤمنا إن أصابكم سوء ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: أي: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاص لله، وآثام قد غلبت عليكم. ٢٠- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾: ذكر أن أهل هذه المدينة عزموا على قتل هؤلاء الرسل، فجاء رجل مؤمن كان في أقصى المدينة اسمه «حبيب»، يسعى إليهم يُذكرهم الله عز وجل ويدعوهم إلى اتباع المرسلين. ٢١- ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾: مالاً ولا ثواباً على ما جاءكم به من الهدى. ٢٢- ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني- إلى قوله ﴿فَاسْمَعُونِ﴾: هو قول الرجل المؤمن مخاطباً أصحاب القرية. ٢٣- ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾: الآية: جعل الإنكار متوجهاً إلى نفسه، وهم المرادون به: وقفهم على جهل وفساد اتخاذ الآلهة من دون الله، لأنها لا تردّ عنهم المقادير التي يريدها الله بهم، لا بقوّة منها ولا بشفاعة. ٢٦- ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: قال له الله عز وجل إذ قتلوه: ادخل الجنة، فدخلها فلما عاين ما فيها ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾: الآية.

[١٤، ١٦] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس : ١٤]، ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس : ١٦]. قاله تعالى في الآية الأولى: ﴿مُّرْسَلُونَ﴾ بغير تأكيد باللام، لأنه ابتداء إخبار، وقاله في الآية الثانية: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ باللام، لأنه جواب بعد إنكار وتكذيب، فاحتيج إلى التأكيد.

[١٥] ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [إبراهيم : ١٠]، ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ [يس : ١٥]. قال الكافرون لرسلهم ما نراكم إلا بشرًا صفاتكم كصفاتنا، لا فضل لكم علينا يؤهلكم أن تكونوا رسلًا، تريدون أن تمنعونا من عبادة ما كان يعبده آباؤنا من الأصنام والأوثان، فأتونا بحجة ظاهرة تشهد على صحة ما تقولون، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية يس: قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي، وما أنتم أيها الرسل إلا تكذبون. [٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ [القصص : ٢٠]، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس : ٢٠]. تفيد آية يس أنه -أي الرجل- جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة، ولا يحضر موضع الدعوة، ومشهد المعجزة، فقدم ما تبكيت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر، فقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾، ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم، مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه، ولم يشهد من كلام الأنبياء ما يشهدونه... وأما آية سورة القصص فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورًا لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل، إذًا لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة، كما كان ذلك في آية يس. قول آخر: سر تقديم الجار والمجرور في آية يس، أن ما قبل هذه الآية دال على سوء معاملة أهل المدينة للرسل، فكان ذلك مظنة أن يسأل سائل: أكانت هذه المدينة كلها بهذه الصفة، أم أن فيها موطنًا هو منبت خير؟ لذلك قدّم ما يشتمل على المدينة، لأنها أهم عند المخاطب. قول آخر: الرجل في آية القصص كان ناصحًا، فجاء الترتيب على الأصل، أمّا في آية يس فالرجل جاء يدعو للإيمان، وفي هذا اهتمام، وثناء على أهل أقصى المدينة، وأنه قد يوجد من الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط. قول آخر: لماذا قدم الـ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ بالقصص، والعكس في يس؟ الجواب: موافقته في القصص لقوله قبل: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ﴾ [القصص : ١٥]، واهتمَّ ثَمَّ بتقديم ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ لما رُوي أن الرجل -واسمه حذقيل، وقيل: شمعون، وقيل: حبيب- كان يعبد الله في جبل، فلما سمع خبر الرُّسُل سعى مستعجلًا. والآيتان تشملان جميع التوجيهات، وهذا من أسرار كتاب الله عز وجل. [١٨] ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٦]، ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨]. ما الفرق بين: "تطيّرنا واطّيرنا"؟ الجواب: وردت كلمة (تطيّرنا) وأيضًا كلمة (اطيرنا) مرة واحدة في القرآن الكريم. ولعل إدغام حرف الدال في الطاء في كلمة (اطيرنا) (من غير ضرورة صوتية) يشير إلى الشعور بالضيق. على العكس من الصيغة الأخرى (تطيرنا) التي لا إدغام فيها، فهي تعبير طبيعي عن المعنى دونما شعور بالضيق. كما أن إدغام التاء في الطاء في كلمة (اطيرنا) فيه تضخيم للصوت وضغط على نطق الحرف؛ ليكون ذلك أقوى تعبيرًا عن الضيق. لَمَ جاءت كلمة (اطّيرنا) في موضعها؟ جاءت هذه الكلمة التي تعبر عن حالة الضيق في موقعها مناسبة جدًا، حيث إن قوم صالح كانوا فريقين يختصمون، والقوم الذين يختصمون فيما بينهم وهم على ملة واحدة هم أشد خصومة مع النبي الذي أتاهم؛ ليدعوهم إلى تغيير اعتقادهم الفاسد وسلوكهم الخاطئ، ويحثهم على =

= ﴿السَّدَّيْنِ﴾ "الكهف" قرئ: (سُدًّا-سَدًّا) بضم السين وفتحها وهما لغتان، وقيل: بالفتح لفعل المخلوق، وبالضم: اسم لفعل الخالق، وعلل بأن المفتوح مصدر فهو دال على الحدوث، والمضموم اسم فهو نسبة لفعل الخالق، والصحيح: أنه لا فرق بينهما لتواتر القراءتين في فعل المخلوق والخالق، وقال أبو عبيدة: كل شيء من فعل الله جل ذكره كالجبال والشعاب فهو (سُد) بالضم، وما بناه الآدميون فهو (سَد) بالفتح. [١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرئ: (فعزَزنا) بتخفيف الزاي من عزَّ: غلب فهو متعدٍ، ومفعوله محذوف، أي: فغلبنا أهل القرية بثالث، ومنه: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ والمفعول محذوف، وهو المرسل إليه، والتقدير: "فعززناهم بثالث" أي: "فغلّبناهم بثالث. وقرئ: (فعزّزنا) بتشديد الزاي من عزَّ يعزّ =

= والرسالة، وإلزام الحجّة على أهلِ الضَّلالة، وضرب المَثَل في أهل أنطاكية، وذكر حَبِيب النّجار، وبيان البراهين المختلفة في إحياءِ الأرض الميتة، وإبداءُ اللَّيل والنهار، وسير الكواكب، ودَوْر الأفلاك، وَجَري الجواري المنشآت في البحار، وذلَّة الكفار عند الموت، وحَيْرتهم ساعة البَعْث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشُغُلهم =

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٢٨، ٢٩- ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: قوم المؤمن المقتول ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد مهلكه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: قال ابن مسعود: ما كاثرناهم بالجموع، لقتالهم، ولكن عجّل الله لهم العذاب بصيحة أنزلها عليهم من السماء، فأهلك الله الملِك وأهل أنطاكية، فلم يبق منهم باقية ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾: هالكون. ٣٠- ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾: معناه: يا حسرة العباد على أنفسهم وتندُّمهم على استهزائهم برسل الله، وما فرطوا فيه من الإيمان. وقيل: المعنى: يا ويلاً للعباد. والحسرة: شدة التلهُّف والحزن. ٣١- ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: من الأمم الخالية. ٣٢- ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: معناه: وإن كل هذه القرون التي أهلكنا، والذين لم نهلكهم، وغيرهم عندنا يوم القيامة، جميعهم محضرون. ٣٦-﴿ سُبْحَٰنَ﴾: تنزيهاً للذي ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: من نبات الأرض، ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: وخلق من أولادهم ذكوراً وإناثاً ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: مما لم نطلعهم عليه. ٣٧- ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾: ننزع ونُذهِب عنه النهار. ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: قد صاروا في ظلمة. ٣٩- ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾: للنقصان بعد تناهيه وتمامه ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾: كالعِذق اليابس، وإنما شبهه بالعرجون اليابس لأن ذلك لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنياً. ٤٠- ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾: لا يصلح لها أن تدركه، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً. ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: فتكون الأوقات كلها ليلاً ﴿وَكُلٌّ﴾: كل ما ذكرناه من الشمس، والقمر، والليل، والنهار ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾: يجرُون. أي لكلٍّ فلكه ودورته الخاصة في هذا النظام الكوني المحكم.

[٢٩] ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس : ٢٩]، ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس : ٥٣]. تكررت مرتين؛ لأنَّ الأولى هي النفخة التي يموت بها الخَلْق، والثانية التي يحيا بها الخَلْق. [٣١] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ [الأنعام : ٦، الأعراف : ١٤٨، النحل : ٧٩، النمل :٨٦، يس :٣١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾. ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ في بعض المواضع بغير واو كما في هذه السورة، وفي بعضها بالواو، هذه الكلمة تأتي في القرآن على وجهين: أحدهما متصل بما كان الاعتبار فيه بالمشاهدة، فذكره بالألف والواو، لتدل الألف على الاستفهام، والواو على عطف جملة على جملة قبلها، وكذا الفاء لكنها أشد اتصالًا بما قبلها، والوجه الثاني متصل بما الاعتبار فيه بالاستدلال، فاقتصر على الألف دون الواو والفاء لتجري مجرى الاستئناف. = الوحدانية والإيمان برب البرية، فناسب ما هم فيه من ضيق الإتيان بكلمة تُعبر عن ضيقهم وحالهم (اطَّيرنا). [٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٧] ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ٢٠]، ثم قال: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس : ٢٥]، فكان جزاءه من قومه القتل، فقيل له عند موته: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦-٢٧]. في هذه الآيات تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأسرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه .ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام؟

[٢٢] ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٢٢]. قائله الجائي من أقصى المدينة. إن قيل: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع -الذي هو البعث- إليهم، مع علمه بأنّ الله فطرهم وإياه، وإليه يرجع هو وهم، فلم يقل: الذي فطرنا وإليه نرجع؟ أو فطركم وإليه ترجعون؟ الجواب: لأنّ الخلق والإيجاد نعمة من الله توجب الشكر، والبعث بعد الموت للجزاء وعيد من الله يوجب الزجر، فأضاف ما يقتضي الشكر إلى نفسه؛ لأنه أليق بإيمانه، وما يقتضي الزجر إليهم، لأنه أليق بكفرهم.

[٢٧] ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٧]. قال قتادة: لا تلقي المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا، لما عاين ما عاين من كرامة الله ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله.

= فهو لازم عُدِّيَ بالتضعيف، ومفعوله أيضا محذوف، أي: فقوينا الرسولين وهما يحيى وعيسى برسول ثالث، فعزَّزَ بمعنى: قوَّى. [١٩] ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ قرئ: (آأن) بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينهما على حذف لام العلة، أي: لئن ذُكِّرتم عِلته فتطيرتم. وقرئ: (أئن) بهمزتين، الأولى: للاستفهام، والثانية: مكسورة همزة "إن" الشرطية. قوله تعالى: ﴿ ذُكِّرْتُم ﴾ قرئ: (ذكِرتم) بتخفيف الكاف، أي: طائركم معكم حيث جرى ذكر، وهو نائب الفاعل، وهو أبلغ. وقرئ: (ذكَّرتم) بتشديدها للمبالغة في التذكر. [٢٩] ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ "في الموضعين" قرئ: (صيحةٌ واحدةٌ) برفعهما فيهما على أن "كان" تامة، أي: "ما حدثت أو وقعت إلا صيحة" وكان الأصل عدم لحوق التاء في كانت نحو: ما قام إلا هند، فلا يجوز ما قامت إلا في الشعر، لكن جوزه بعضهم نثرًا على قلة. وقرئ: (صيحةً واحدةً) بالنصب في الموضعين على أنها ناقصة واسمها مضمر، أي: إن كانت الأخذة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل ـ عليه السلام ـ. [٣٢] ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ =

[٣٦] ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [يس : ٣٦]. النبات: لقد كان معلومًا للناس قديما إن الذكورة والأنوثة لا توجد إلا في الإنسان والحيوان، أما في النباتات فلم يدر الناس حقيقة هذا الأمر إلا في الوقت الراهن بعلم النبات، وتقدم علم التشريح للنبات، وقد ذكر القرآن ذلك: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ ... ﴾، كما كان الناس قديمًا يجهلون حقيقة النباتات وتكوينها، وكشفت العلوم الحديثة أن النباتات تتكون من مواد أساسية واحدة هي: "كربون، وهيدروجين، ونتروجين، وكبريت أو فسفور" وبعض المواد الضئيلة الأخرى، غير أن سبب اختلاف نسبة التراكيب الكيمياوية في النبات يرجع إلى اختلاف أوزان النبات في كل منها، وأن جذر كل نبات لا يمتص من المواد في الأرض إلا بمقادير موزونة محددة، وبهذا تكلم القرآن عن هذه الحقيقة العلمية: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر :١٩]. = في الجنَّة، وميْز المؤمن من الكافر في القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصي بمعاصيهم، والمِنَّة على الرّسول ﷺ بصيانته من الشِّعْر ونظمِه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون، وكمال مُلْك ذي الجلال على كلّ حال.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤١- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾: ودليل لهم ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: يعني: من نجا من ذرية آدم ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾: في سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء. ٤٢- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾: يعني: هؤلاء المشركين ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: من مثل ذلك الفلك الذي نُجِّيَ به نوحٌ ومن معه ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من المراكب والسفن الصغار. ٤٣- ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: فلا مغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: منا إن أغرقناهم. ٤٤- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾: من ربك في إنجائه لهم من الغرق ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى حين الموت. ٤٥- ﴿ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: احذروا ما مضى من نقم الله في الأمم قبل أن يحل بكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم. ٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾: من حجة وعلامة على توحيده، وتصديق رسله ﴿مُعْرِضِينَ﴾: لا يتفكرون فيها. ٤٧- ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾: كانوا يقولون: أنطعم أموالنا من لو يشاء الله أطعمه وأعطاه؟! ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: ممكن أن يكون من قول الكافرين. أي: من تمام قولهم وكلامهم، والمعنى: إنكم أيها المسلمون في سؤالنا المال وأمرنا بإطعام الفقراء لفي ضلال واضح! ويمكن أن يكون من قول الله للمشركين. ٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: الذي تذكرونه من قيام الساعة والبعث. ٤٩- ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: نفخة الفزع عند قيام الساعة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بمعنى: يختصمون. ٥٠- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أن يوصوا في أموالهم أحداً، ولا يستطيع من كان خارجاً عن أهله أن يعود إليهم، لأنهم لا يُمهلون، ويُعجلون بالهلاك. ٥١- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: يعني بهذه النفخة: نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: من القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يخرجون سراعاً. ٥٢- ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا﴾: هذا قول المشركين يومئذ ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾: من أيقظنا ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾: من الرقدة بين الصيحتين ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: قال أهل الهدى والإيمان: هذا ما وعد الرحمن ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فيما أخبرونا أنا نُبعث.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام ويس، وهي تبين أن هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله جل وعلا وصِدْقِ محمد ﷺ في نبوته، وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها. [٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟ [٥٢] ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]. ما في سورة يس من كلام الكفار حين البعث ومعاينتهم ما كذبوا به من قبل، وما في الصافات من قول الله تعالى ردًا على الكفار وتأييدًا لرسالة النبي ﷺ.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]. كيف نفى تعالى الإدراك عن الشمس للقمر دون عكسه؟ الجواب: لأنّ سير القمر أسرع، فهو يقطع فلكه في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلاّ في سنة، فكانت جديرة بأن توصف بنفي الإدراك لبطء سيرها، والقمر خليق بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره. [٤٩] ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]. ما الفرق بين: "يختصمون ويخصمون"؟ الجواب: وردت كلمة (يختصمون) أربع مرات. ووردت كلمة (يخصّمون) مرة واحدة، في سورة [يس: ٤٩]، فلماذا وردت كلمة (يخصّمون) مع وجود (يختصمون). والجواب: يختصمون: يتنازعون، وقد جاءت على الأصل، ولا تحتاج إلى دليل وتعليل. أما يخصّمون: فأصلها يختصمون وأدغمت فيها التاء بالصاد على غير المعهود في قواعد الإدغام فأصبحت (يخصّمون). قال الدكتور عودة الله منيع: أرى أن ذلك لسببين: ١- شدة الخصومة التي كانت بين هؤلاء، فإنها لم تكن خصومة بين أصحاب ملةٍ واحدةٍ، وإنما كانت خصومة بين أنصار الحق وأعداء الحق. وشدة الخصومة يرافقها انفعالٌ شديدٌ، والانفعالُ الشديدُ يحول بين المرء وبين التعبير الدقيق، وبين إتمام الحروف، كأنهم لشدة انفعالهم يحكُّون ألفاظهم ويدغمون كلماتهم، فسقطت =

= لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمَّا﴾ قرئ: (لما-لمّا) بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف على أن "ما" زائدة، و"اللام" للتأكيد دخلت على خبر "إن" للتفريق بين الخفيفة بمعنى "ما"، والخفيفة من الثقيلة، والتقدير: "وإن كلًا لجميع لدينا محضرون"، ومن شدد جعل "لمَّا" بمعنى "إلا وإن" والتقدير: وما كل إلا جميع لدينا محضرون"، فهو ابتداء وخبر، وقد قال الفراء في القراءة: إن "لمَّا" أصلها (لمن ما) أدغمت النون في الميم، فاجتمع ثلاث ميمات، حذفت ميم استخفافًا وشبهة كقولهم: (علماء بنو فلان) يريدون (على الماء) فأدغمت اللام في اللام، ثم حذفوا إحدى اللامين استخفافًا. [٣٥] ﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿عَمِلَتْهُ﴾ قرئ: (عملت) بغير هاء موافقة لمصاحف أهل العراق لطول الاسم وهي مرادة مقدرة. وقرئ: (عملته) بالهاء موافقة للمصاحف غير العراقية و"ما" موصوفة، أو موصولة، أو نافية، فإن كانت موصولة فالعائد محذوف في القراءة الأولى، وكذا إن كانت موصوفة، أي: ومن الذي عملته، أو أي شيء عملته، فالهاء لـ "ما"، إن كانت نافية، فعلى الأولى: لا ضمير، وعلى الثانية: الضمير يعود على ثمر في قوله: ﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾. [٣٩] ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ قرئ: (والقمرُ) بالرفع على الابتداء. وقرئ: (والقمرَ) بالنصب بإضمار فعل الاشتغال والتقدير: وقدرناه. [٤٩] ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ قرئ: (يخْصِّمون) بفتح الياء وإسكان الخاء وتشديد الصاد، فيجمع بين ساكنين =

[٣٧] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. انسلاخ النهار: حسبما تشير إليه الآيتان الكريمتان فإن الكون غارق في الظلام الداكن، وإن كنا في وضح النهار على سطح الأرض، و لقد شاهد العلماء الأرض وباقي الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية مضاءة في وضح النهار، بينما السماوات من حولها غارقة في الظلام، فمن كان يدري أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الظلام هو الحالة المهيمنة على الكون؟ وأن هذه المجرات والنجوم ليست إلا مصابيح صغيرة واهنة لا تكاد تبدد ظلام الكون الدامس المحيط بها، فبدت كالزينة والمصابيح لا أكثر؟ وعندما قُرِئَت هذه الآيات على مسمع أحد العلماء الامريكيين بهت وازداد إعجابه إعجابًا ودهشته دهشة بجلال وعظمة هذا القرآن، وقال فيه: لا يمكن أن يكون هذا القرآن إلا كلام مصمم هذا الكون، العليم بأسراره ودقائقه. ولقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل =

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

٥٥- ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾: فرحون بما هم فيه من نعيم. وقيل: في شغل عما هم فيه أهل النار. ٥٦- ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾: حلائلهم من أهل الجنة ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾: لا يضحون لشمس، كأهل الدنيا، لأنه لا شمس في الجنة. ٥٧- ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: يتمنون. ٥٨- ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾: من الله عز وجل، يسلم الله عليهم، فيردون عليه السلام. ٥٩- ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾: انعزلوا وتميزوا من المؤمنين ﴿أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فإنكم واردون غير مواردهم. ٦٢- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾: صدَّ الشيطان عن طاعتي ﴿جِبِلًّا﴾: خلقاً. ٦٤- ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: احترقوا بها ورِدُوها. ٦٥- ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يعني: يوم القيامة ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: نطبع على أفواه المشركين فلا تنطق ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: في الدنيا من الآثام. ٦٦- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: فتركناهم عمياً يترددون، و«الطمس» على العين: ألا يكون بين جفني العين شق ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾: فأي وجه يبصرون أن يسلكوه من الطريق، وقد طمسنا على أعينهم؟ ٦٧- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: لبدّلنا خِلقتهم لتصير كالقردة والخنازير ونحوه مما تقدم في بني إسرائيل وغيرهم. وقيل: المعنى: لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾: أمامهم، ولا رجوعاً وراءهم. ٦٨- ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: نمد له في العمر ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾: نرده في الهرم والكبر إلى مثل حاله في الصبا، فلا يعلم شيئاً بعد ما كان يعلمه من العلم، وهو النكس. ٦٩- ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: أن يكون شاعراً؛ لأنه ليس لقبيلة من قبائل العرب شاعراً، ولكنه للإنسانية جمعاء رسولٌ نبيٌّ. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: يعني عز وجل: ما جاءكم به محمد يتبين من تدبره أنه تنزيل من الله. ٧٠- ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: حي القلب بفعل ما يقال ﴿وَيَحِقَّ﴾: يجب ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: العذاب.

= بعضُ حروفها.. وأدغمت بعضُ حروفها.. ٢- أن الصيحة داهمتهم وهم يختصمون فأُرتِجَ عليهم لشدة وقعها عليهم ومفاجأتها لهم فالتثت ألسنتهم، واضطربت ألفاظهم... وتداخلت حروف كلماتهم. فقالوا: (يخصّمون) بدل أن يقولوا (يختصمون). فكان الإدغام في كلمة (يخصّمون) يحكي إشارةً عما صاروا إليه من اضطراب في الأصوات، وتداخل بينها، سواءً في حالتهم الأولى (حالة الانفعال الشديد)، أو الحالة الثانية (حالة الإرتاج عليهم التي زادت الانفعال انفعالًا، وقادت إلى الاضطراب التام، وعدم استيفاء الحجج). [٥٦] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس : ٥٦]. كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك، والظل إنما يكون لما تقع عليه الشمس، ولا شمس في الجنة، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾ [الإنسان : ١٣]؟ الجواب: ظل أشجار الجنة من نور قناديل العرش، أو من نور العرش لئلا تبهر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس. [٦٥] ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥]. قوله: ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، سمى نطق اليد كلامًا، ونطق الرِّجل شهادة؛ لأنّ الغالب في اليد كونها فاعلة، وفي الرِّجل كونها حاضرة، وقول الفاعل على نفسه إقرار لا شهادة، وقول الحاضر على غيره شهادة. [٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨]. قال بعض السلف: خلق الله الملائكة عقولًا بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم. = وعليه العراقيون قاطبة. وقرئ: باختلاس فتحة الخاء تنبيهًا على أن أصلها السكون مع تشديد الصاد، وهو الذي أجمع عليه المغاربة لأبي عمرو. وقرئ: (يَخَصِّمون) بفتح الياء مع تشديد الصاد وأصلها في هذه القراءة. وقرئ: بفتح الياء، واختلاس فتحة الخاء مع تشديد الصاد، وأصلها في هذه القراءة ﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أدغمت التاء في الصاد، ثم حذفت حركتها، فالتقى ساكنان فكسر أولهما. وقرئ: (يِخِصِّمون) بكسر الياء والخاء معًا؛ لأنه لما أدغم التاء في الصاد لقرب المخرج اجتمع ساكنان الخاء وتشديد الصاد فكسر الخاء لالتقاء الساكنين ولم يلق حركة التاء على الخاء؛ وكسر الياء تبعًا لكسر الخاء. وقرئ: (يَخْصِمون) بفتح الياء وسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم، أي: يخصم بعضهم بعضًا فالمفعول محذوف. [٥٢] ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ قرئ: بالسكت على ألف مرقدنا وعدمه، وتقدم الكلام عليها في باب السكت على الساكن قبل الهمزة وغيره. [٥٥] ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ و﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ هنا و"الدخان : ٢٧" و"الطور : ٢٨" و"المطففين: ٣١" قرئ: (فكهون-فكهين) بلا ألف بعد الفاء فيها كلها صفة مشبهة من فكه بمعنى فرح أو عجب أو تلذذ أو تفكه. وقرئ: (فاكهون-فاكهين) بالألف في الجميع اسم فاعل بمعنى أصحاب فاكهة كلَابِنٍ، وتَامِرٍ، ولاَحِمٍ، أي: أصحاب لبن، وتمر، ولحم. [٥٦] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فِى ظِلَٰلٍ ﴾ قرئ: (ظُلَل) بضم الظاء وحذف الألف جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل. وقرئ: (ظِلال) بكسر الظاء والألف جمع ظلّ كذئب وذئاب، أو جمع ظلة كقلة وقلال. [٦٢] ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ جِبِلًّا ﴾ قرئ: (جِبِلًّا) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام على أنه جمع جبلة، وهي الخلق، جعله جمعًا بينه وبين واحده الهاء. وقرئ: (جُبُلًا) بضمتين وتخفيف اللام: جمع جبيل وهو كرغيف ورغف. وقرئ: (جُبُلًّا) بضمها =

= مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي تتكون بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزئيات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران سَلْخُ النهار من الليل. [٣٨] ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس : ٣٨]. جريان الشمس: أثبت العلم الحديث أن الشمس تسير بسرعة ٤٣٢٠٠ ميل في الساعة، وبما أن المسافة بيننا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل، فإننا نراها ثابتة لا تتحرك، وقد دهش بروفيسور أمريكي لدى سماعه تلك الآية القرآنية، وقال: إني لأجد صعوبة بالغة في تصور ذلك العلم القرآني الذي توصل إلى مثل هذه الحقائق العلمية التي لم نتمكن منها إلا منذ عهد قريب. وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو تقريرها بأن الشمس في حالة جريان وسَبْح في الكون، وهذا ما كشف عنه علم الفلك الحديث بعد قرون من نزول القرآن الكريم. [٣٩] ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩]. منازل القمر: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن القمر يتنقل في منازل معلومة حتى يعود هلالًا وهو المعبر عنه في الآية بـ"العرجون القديم" والعرجون القديم: هو سباطة النخلة إذا قدمت ويبست واعوجت، وهي بشكلها هذا تشبه الهلال الذي ينتهي إليه القمر، "وقدر القمر منازل" فأول ما يبدو يبدو صغيرًا ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته في تمام شهر. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

٧١- ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾: مما خلقنا من الخلق وأبدعناه من غير واسطة ولا شريك. وإسناد العمل إلى «الأيدي» مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق. ﴿أَنْعَامًا﴾: الأنعام: جمع نَعَم، وهي البقر والإبل والغنم. ٧٢- ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: سخّرناها ذليلة. ٧٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: في أصوافها وأوبارها وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾: من ألبانها. ٧٤- ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: طمعاً أن تنصرهم تلك الآلهة إن حزبهم أمر، أو نزل بهم عذاب. ٧٥- ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: المشركون جند للأصنام يحضرونهم في الدنيا ويدفعون عنهم، وقيل: يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم شراً. ٧٧- ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: ذو خصومة ﴿مُّبِينٌ﴾: لمن سمع خصومته، وقوله ذلك أنه نخاصم ربه الذي خلقه! ٧٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: قيل: نزلت في أبي بن خلف، أتى إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، فَفَتّه بين يديه، ثم ذرّاه في الريح، فقال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله يحييه، ثم يميتك، ثم يدخلك النار». وقيل: إن العاص بن وائل كان القائل ذلك. ٨٣- ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ﴾: تنزيه للذي بيده ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ملكه وخزائنه.

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال: يا محمد أيبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: «نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم». فنزلت الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن: مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي نحوه، وسمّوا الإنسان أبي بن خلف».

[٧٦] ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥]، ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦]. تشابهَا في الوقف على ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ في السّورتين؛ لأنَّ الوقف عليه لازم، و"إنَّ" فيهما مكسورة بالابتداءِ بالحكاية، ومحكي القول محذوف، ولا يجوز الوصل؛ لأنَّ النبيّ ﷺ منزّه من أن يخاطَب بذلك.

[٧١] ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [يس: ٧١]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة، ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله، أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل العلم) يحتاج إلى تفكرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيرُه)، والله غني عن العالمين. ٣- العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. [٧٣] ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧٣]. من ثمرات الشكر: ١- الزيادة من الله عز وجل. ٢- حفظ النعم ودوامها، ومن المأثورات التي يتناقلها الناس، وبالشكر تدوم النعم. ٣- الجزاء الّذي ادخره الله تعالى للشاكرين. ٤- شكر الله تعالى لهم سعيهم. ٥- الشاكرون خاصة الله وأحباؤه؛ لأنهم في عالم العباد قليل. ٦- فرح الشاكرين وشوقهم لما خبئ لهم من عظيم الجزاء وشوقهم لنيله. ٧- إكثارهم من صنائع المعروف في العباد، فشكرهم نفع لمن حولهم من الناس. ٨- لا يجحدون معروفًا وفد إليهم من أحد، بل تلهج ألسنتهم بشكر من فعله معهم. ٩- الصبر والحلم خلق الشاكرين، فتراهم يسعون في حاجة الخلق من حولهم، ويتحمّلون ما يصدر عنهم من إساءة، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة. تخلقًا بأخلاق الله. ١٠- الكرم والسخاء دأب الشاكرين، تخلقًا بخلق الله وتأسّيًا برسوله ﷺ. أركان الشكر: الشكر مبني على ثلاثة أركان: ١- الاعتراف بالنعمة باطنًا. ٢- التحدث بها ظاهرًا. ٣- تصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها، فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها. = وتشديد اللام، وقرئ: بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وكلها لغات معناها: الخلق، وهو الجماعة من الناس. [٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ نُنَكِّسْهُ ﴾ قرئ: (نُنَكِّسه) بضم الأول وفتح الثاني وتشديد الثالث وكسره، مضارع نكّس، والتكثير تنبيهًا على تعدد الرد من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى الهرم. وقرئ: (نَنْكُسه) بفتح الأول وإسكان الثاني وضم الثالث وتخفيفه، مضارع نكَسه كنصره، أي: ومن يطل عمره نرده من قوة الشباب ونضارته إلى ضعف الهرم ونحولته، وهو أرذل العمر الذي فيه تضعف قواه حتى يعدم الإدراك، وقيل: المخفف أكثر استعمالاً من المشدد. [٧٠] ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ ﴾ هنا، و"الأحقاف" قرئ: (لتنذر) بالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم في الموضعين. وقرئ: (لينذر) بالغيب، والضمير للقرآن أو للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه نذير لمن أنزل إليهم. [٨١] ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ قوله تعالى: ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ هنا، و"الأحقاف: ٣٣" قرئ: (يَقدِرُ) بياء تحتية مفتوحة وإسكان القاف بلا ألف وضم الراء فيها مضارعًا من قَدَرَ كضرب. وقرئ: (بِقَادِرٍ) بباء موحدة مكسورة وفتح القاف وألف بعدها، وخفض الراء منونة اسم فاعل. [٦] ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ بِزِينَةٍ ﴾ قرئ: (بزينةٍ) منونًا ونصب "الكواكب" فيحتمل أن تكون الزينة مصدرًا و" الكواكب" مفعولاً به، فأعملها في "الكواكب" كقوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ﴾ والفاعل محذوف، أي: بأن زين الله سبحانه وتعالى الكواكب في السماء في كونها مضيئة حسنة في أنفسها، أو أن الزينة اسم لما يزان به، =

[٧٩] ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها؛ مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الصافات

١- ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾: هي الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع صَافَّة، فالصافات: جمع جمع ﴿صَفّٗا﴾: صفوفاً في السماء. ٢- ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾: قيل: الملائكة تزجر السحاب فتسوقه، أو تزجر عن المعاصي. ٣- ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: القارئات كتاباً. وقيل: هي الملائكة، التي تتلو القرآن. وهذه أقسام أقسم الله بها. ٥- ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾: مدبِّر مشارق الشمس في الشتاء والصيف، ومغاربها. وقيل: مشارق النجوم والكواكب. واستغنى بذكر «المشارق» عن «المغارب» لدلالة الكلام عليها. ٧- ﴿وَحِفۡظٗا﴾: لها ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾: عات خبيث، خارج عن الطاعة. ٨- ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾: يستمعون. ﴿إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: إلى جماعة الملائكة التي هي أعلى ممن هم دونهم ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ﴾: من جوانب السماء. ٩- ﴿دُحُورٗا﴾: مصدر «دحرتُه» أي دفعته وأبعدته وطردته، يدحرونها عن الاستماع ﴿وَلَهُمۡ﴾: يعني: الشياطين المسترقة للسمع ﴿عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾: دائم. ١٠- ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾: إلا من استرق السمع منهم، والخطف: الاختلاس مسارقة، وأخذ الشيء بسرعة، ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ﴾: من نار ﴿ثَاقِبٞ﴾: متوقد. ١١- ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾: يعني فاستفت المشركين المنكرين للبعث ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا﴾: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والسماوات والأرض؟ ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾: لاصق، وُصف باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق عز وجل آدم. ١٢- ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾: بل عجبت يا محمد مما أعطاك الله من الفضل بهذا القرآن، وهم يسخرون به. ١٣- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾: بحُجج الله عليهم ﴿لَا يَذۡكُرُونَ﴾: لا ينتفعون بالتذكير. ١٤- ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾: يستهزئون بها، ويبالغون في السخرية. ١٧- ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي: أو مبعوثون هم أيضاً. ١٨- ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون أشد الصُّغر. ١٩- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾: النفخ في الصور ﴿فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ﴾: يعاينون ما كانوا يوعدون من قيام الساعة. ٢٠- ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم المجازاة والمحاسبة بالأعمال. ٢١- ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾: القضاء بين أهل الجنة وأهل النار. ٢٢- ﴿ٱحۡشُرُواْ﴾: اجمعوا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفروا بالله في الدنيا وعصوه ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: أشياعهم، المتابعين لهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾: من دون الله من الآلهة. ٢٣- ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾: وجِّهوهم. ٢٤- ﴿وَقِفُوهُمۡ﴾: احبسوهم، أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾: أي: قفوهم للحساب، ثم سوقوهم إلى النار بعد ذلك. قال الكلبي: إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم.

[١٦] ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]. الموضع الأول حكاية كلام الكافرين، وهم ينكرون البعث، والموضع الثاني قول أحد القرينين لصاحبه عند وقوع الحساب والجزاء، وحصوله فيه: كان لي قرين ينكر الجزاءَ وما نحن فيه، فهل تطلعونني عليه، فاطَّلع فرآه في سواءِ الجحيم. قالَ: تالله إِن كدت لتُرْدِين. قيل: كانا أخوين، وقيل: كانا شريكين، وقيل: هما بطورس الكافر، ويهوذا المسلم. وقيل: القرين هو إبليس. قول آخر: الموضع الأول لم يتقدمه شيء يوجب عدولهم عن التعبير عن معتقداتهم في إنكار الإحياء بعد الموت، فورد على ما يطابق معتقدهم، وأما الآية الأخرى فقد تمهد قبلها ذكر الجزاء الأخروي وذكر السؤال، فأول ذلك ذكر ما يقال لهم إذا حشروا، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقوله تعالى بعد: ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٩]، وقوله بعد: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، وهذا في الآخرة، إلى قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾ [الصافات: ٥١]، وهذا قول الكافر وقد باشر العذاب، فأخبر عن قرينه الذي قيض له المشار إليه بقوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: ٣٦]، فأخبر عنه سبحانه أنه كان يقول له في دنياه: ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]، أي: لمجزيون بأعمالنا وما اجترحناه في دنيانا، وفي طي قولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ إنكار للبعث لإنكارهم ما ينبني عليه ويترتب بعده من الجزاء، وقد تقدم ذكر الجزاء فناسبه ذكر تعجبهم منكرين وقوعه، ولم يكن ليحسن وقوع ﴿لَمَدِينُونَ﴾ =

[١٤] ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢١٢]، ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤]. ما الفرق بين: "يسخرون ويستسخرون"؟ الجواب: وردت صيغة (يسخرون) ثلاث مرات في القرآن، ولم ترد صيغة (يستسخرون) إلا مرة واحدة في سورة الصافات. فلماذا أتت كلمة (يستسخرون) مع ورود كلمة (يسخرون)؟ والجواب: أن الله تعالى قال: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، قبل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤]. فقد كان النبي ﷺ يتحدث لهم عن البعث والنشور، فكانوا ينكرون ويسخرون من قوله، وقد اكتفوا بالسخرية دون مبالغة فيها، لذا ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾ وليس (يستسخرون)، فلما جاءهم النبي ﷺ بآيةٍ للتحدي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ اهتزت قناعتهم بصحة موقفهم القائم على أن الإنسان لا يُبعث بعد الموت، فلما حدث ذلك لجؤوا إلى المبالغة في السخرية ليثبتوا على عنادهم وتكذيبهم، فناسب ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ وليس (يسخرون). = فالكواكب حينئذ بدل منها على المحل، أو نصب بأعني، أو بدل من السماء الدنيا بدل اشتمال، أي: الكواكب السماء. وقرئ: (بزينةٍ) بالتنوين وجر "الكواكب" على أن المراد بالزينة ما يتزين به وقطعها عن الإضافة، و"الكواكب" عطف بيان أو بدل بعض من كل، ويجوز أن تكون مصدرًا، وجعلت "الكواكب" نفس الزينة مبالغة. وقرئ: (بزينةِ) بحذف التنوين على إضافة "زينة" للكواكب من إضافة الأعم إلى الأخص فهي للبيان كثوب خزٍّ، أو من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: بأن زينا الكواكب فيها، كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ كما مَرَّ أولًا، أو إلى فاعله، أي: بأن زينته الكواكب. [٨] ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ قرئ: (يسَّمَّعون) بتشديد السين والميم وفتحهما، والأصل: يتسمعون فأدغمت التاء في السين بعد قلبها سينًا وهو مستقبل تسمع، الذي هو مطاوع سمع، ويقال: سمعت الكلام وأسمعته. وقرئ: (يسْمَعون) بسكون السين وفتح الميم وبتخفيفها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ ولم يقل: عن التسمع فهم يسمعون، ولكن لا يستمعون شيئًا، بينما قال تعالى: ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ وهذا يدل على أنهم يستمعون الآن فيطردون. =

نزول سورة الصافات: نزلت بعد سورة الأنعام، وهي مكيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة الصافات: ثمانمائة واثنتان وستون. عدد حروف سورة الصافات: ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون. أسماء سورة الصافات: سمِّيت بالصافات؛ لافتتاحها بها. مواضيع سورة الصافات: معظم مقصود السورة: الإخبار عن صَفِّ =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٢٥- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضاً. ٢٦- ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: لقضاء الله تعالى فيهم، موقنون بعذابه. ٢٧، ٢٨- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: أقبل بعض الكفار على بعض يسأل سؤال تقريع ومخاصمة. وقيل: أقبل الإنس على الجن، قائلين: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: من قبل الدين والحق، فتصدوننا عنه وتخدعوننا بأقوى الوجوه. ٢٩، ٣٠- ﴿قَالُوا﴾: قالت الجن للإنس. ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾: من حجة نحول بها بينكم وبين الإيمان. ٣١- ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: وجب علينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾: عذاب ربنا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾- نحن وأنتم- العذاب. ٣٢- ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾: أضللناكم عن سبيل الله ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾: ضالين. ٣٥، ٣٦- ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن القول، ويصرّون على البقاء على الشرك. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: يعنون النبي ﷺ. وهذا الجمع يدل على مدى حقدهم وتخبطهم والتياث عقولهم. ٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم الله لتوحيده وطاعته ورحمته. ٤٥- ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: من خمر جارية ظاهرة لأعينهم. وقيل: كل «كأس» في القرآن فهو خمر. ٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: ليس في هذه الخمر غول تغتال عقول شاربيها، أي تذهبها كخمر الدنيا، ولا يلحقهم منها أذى ﴿يُنزَفُونَ﴾: بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم، يقال: رجل منزوف: إذا ذهب عقله من السكر، و«ينزفون» بكسر الزاي، ولا هم عن شربها ينفد شرابهم. ٤٨- ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: نساء قصرن أبصارهن وعقولهن على بعولتهن، فلا يُردن غيرهم ﴿عِينٌ﴾: نُجل العيون عظامها، وهي جمع «عيناء». ٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: شبههن بباطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر. وقيل: عنى بالبيض اللؤلؤ، وبه شبههن في بياضه وصفائه. ﴿مَّكْنُونٌ﴾: تقول العرب لكل مصون: مكنون. ٥٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: بعض أهل الجنة على بعض. ٥١- ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحب من بني آدم.

= في الآية الأولى، والله أعلم. [١٧] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات : ١٧، الواقعة : ٤٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والواقعة، والآية تبين جحود الكفار للبعث وقولهم: أنبعث نحن وآباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابًا، قد تفرّق في الأرض؟ [٢١] ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات : ٢١]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات : ٣٨]. فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرونه، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية المرسلات: هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية. [٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧، الطور : ٢٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والطور، وآية الصافات في حق الكافرين يوم القيامة، وأنه يقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون في هذا اليوم، وآية الطور في حق أهل الجنة وأنهم يسألون بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه. [٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات : ٣٤]، ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات : ١٨]. ما في سورة الصافات حِيل بين الضمير وبين "كذلك" بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات : ٣٣] فأعاد، وفي المرسلات متَّصل بالأول، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات : ١٨] فلم يحتج إلى إعادة الضَّمير. [٣٧] ﴿... هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢]، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧]. ما في سورة يس من كلام الكفار=

[٢٧] ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧]. لا تعارض بين الآيتين؛ لأن في القيامة مواقف متعددة، ففي بعضها لا يتساءلون لاشتغال كل بنفسه، وفي بعضها الآخر يتساءلون. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [تكررت بالصافات ٤ مرات]. ما الفرق بين كلمة "المخلَصين" بفتح اللام وكلمة "المخلِصين" بكسر اللام؟ الجواب: كلمة "المخلَصين" بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما "المخلِصين" بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته. [٤٥] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥]. ما الفرق بين: "يطوف- يُطاف"؟ الجواب: وردت صيغة (يطوف) فعلًا مضارعًا مبنيًا للمعلوم (ثلاث مرات). ووردت صيغة (يُطاف) فعلًا مضارعًا مبنيًا للمجهول. فما فائدة كل منهما في موضعه؟ ولماذا اختلفت الصيغة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول مع أن المطوف عليهم هم الأبرار في الحالتين؟ ولماذا تقدمت صيغة المبني للمجهول في سورة الإنسان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] على صيغة المبني للمعلوم في نفس السورة ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]. والمعهود أن يأتي المبني للمعلوم قبل=

= ولا يسمعون شيئًا. [١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَجِبْتَ﴾ قرئ: (عجبتُ) بتاء المتكلم المضمومة، أي: قل يا محمد: بل عجبت، أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول: عجبت؛ لأن العجب لا يجوز عليه تعالى على الحقيقة، فهو انفعال النفس من أمر عظيم خفي سببه، وإسناده له تعالى في الأحاديث مؤول بصفة تليق بكماله مما يعلمه هو كالضحك والتبشيش ونحوهما، فاستحالة إطلاق ما ذكر عليه تعالى محمولة على تشبيهه بصفات المخلوقين، وحينئذ فلا إشكال في إبقاء التعجب هنا على ظاهره مسندًا إليه تعالى على ما يليق به منزهًا عن صفات المحدثين كما هو طريق السلف الأسلم. وقيل: إن ضم التاء على رد العجب إلى كل من بلغه إنكار المشركين للبعث من المقرين بالبعث، وعلى ذلك أتى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾ أي: فعجب قولهم عندكم وفيما تفعلون، وقد أنكر شريح وهو مقرئ الشام هذه القراءة، وتأوَّلها على رد الإعجاب إلى الله، ورأى أن الأمر ليس على ذلك، وإنما الإعجاب في القراءة بالضم إنما هو للمؤمنين مضافًا لكل واحد منهم. وقرئ: (عجبتَ) بفتحها والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم، أي: بل عجبت من قدرة الله تعالى أو من إنكارهم البعث مع اعترافهم بالخالق. [١٧] ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَآبَاؤُنَا﴾ قرئ: (أوْ آباؤنا) بإسكان الواو فيها على أنها العاطفة التي لأحد الشيئين. وقرئ: (أوَ آباؤنا) بفتحها فيها على أن العطف بالواو وأعيدت معها همزة الإنكار، و"آباؤنا" عليهما مبتدأ خبره محذوف، أي: مبعوثون، لدلالة ما قبله عليه، والزمخشري: جعله عطفًا على محل "إن واسمها" أو على ضمير "مبعوثون". = الملائكة والمصلِّين للعبادة، ودلائل الوحدانية، ورَجْم الشياطين، وذُلّ الظَّالمين، وعِزّ المطيعين في الجِنَان، وقهر المجرمين في النِّيران، ومعجزة نوح، وحديث إبراهيم، وفداء إسماعيل في جزاءِ الانقياد، وبشارة إبراهيم بإسحاق، والمنَّة على موسى وهارون بإيتاء الكتاب، =

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٣- ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: محاسبون ومجزيون. ٥٤- ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: أئنك لمن المصدقين» ٥٥، ٥٧- ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في وسط الجحيم، فلما رأى قرينه في النار ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾: عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: معك في عذاب الله. ٥٨، ٥٩- ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: يقول هذا المؤمن: أفما نحن بميتين غير ﴿مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: في الدنيا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: بعد دخولنا، وقوله هذا على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع. وأنهم مخلدون. ٦٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي أعطانا الله ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: لهو النجاء العظيم. ٦٢، ٦٣- ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾: يقول الله تبارك وتعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين خير؟-و«النُّزُل»: الرزق والفضل- ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟! فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة الشجرة. ٦٥- ﴿طَلْعُهَا﴾: أي ثمرها وما تحمله، في قبحه وسماجته ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: مَثَلٌ يقال في تقبيح الشيء: كأنه شيطان. ٦٧- ٦٨- ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: وهو الخلط، من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه، إذا مزجه. «من حميم»: من ماء محموم، وهو الذي قد سُخِّن فانتهى حره ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾: مآبهم ومصيرهم. ٦٩، ٧٠- ﴿أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾: وجدوهم ﴿ضَآلِّينَ﴾: سالكين غير محجة الحق. ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون ويستعجلون إليه. ٧٥- ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾: أجابه الله، أي: فلنعم المجيبون له كنا.

[٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أخرج ابن جرير، عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا، إن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ الآية. وأخرج نحوه عن السدي.

= حين البعث ومعاينتهم ما كذبوا به من قبل، وما في الصافات من قول الله تعالى ردًا على الكفار وتأييدًا لرسالة النبي ﷺ. [٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [تكررت بالصافات ٤ مرات]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورة الصافات أربع مرات، وهي تبين أن عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، قد اختصهم الله برحمته؛ وإنهم ناجون من العذاب الأليم. [٤٣] ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات : ٤٣، الواقعة : ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والواقعة، والآية تتحدث عن أهل الجنة، وأنهم مكرمون فيها بكرامة الله لهم في هذا النعيم الدائم. [٤٨] ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات:٤٨]، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص : ٥٢]. وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية ص: وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات : ٥٩]، ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان : ٣٥]. أحقًا أننا مخلَّدون منعَّمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذَّبين بعد دخولنا الجنة؟ إنَّ ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَر العظيم، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية الدخان: إن هؤلاء المشركين مِن قومك أيها الرسول ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.

= المبني للمجهول. والإجابة: أن المبني للمجهول (يُطاف) كان المقصود به الشيء المطوف به ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أما عن البناء للمعلوم (ويطوف) فكان المقصود به الطائف ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾. وأيضًا: السياق الذي ورد فيه الفعل المبني للمجهول (يُطاف) كان في تعداد النعم التي يتمتع بها المؤمن في الجنة، فالله -تعالى- جزاهم جنةً دانية ظلالُها، وذُلِّلت قطوفها تذليلًا، يلبسون فيها حريرًا ويتكئون على الأرائك فيها، فناسب ذلك أن تذكر آنية الفضة والأكواب والقوارير التي كانوا يشربون فيها فهي من جملة النعم.. فإذا انتهى من تعداد ذلك، كان لائقًا ومناسبًا التعقيب بذكر هؤلاء الغلمان الذين يقومون بخدمة المؤمنين في الجنة ويقدمون لهم من ألوان النعم ما ذُكر. وإنه لمن المعقول -حقًا- أن يتقدم تعداد النعم على مَنْ يقومون بتقديمها؛ لأن من طبيعة الأشياء ألا يكون للمرء خدمٌ وحشمٌ إلا إذا كان صاحب نعمة. [٤٣-٤٩] ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ...﴾ [الصافات : ٤٣-٤٩]. يقول ابن القيم في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي منادٍ يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيَّ على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء - على كثبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة =

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُنزَفُونَ﴾ هنا، و"الواقعة : ١٩" قرئ: (يُنزِفون) بضم الياء وكسر الزاي في الموضعين من أنزف الرجل: ذهب عقله من السكر وأنفد شرابه. وقرئ: (يُنزَفون) بضم الياء وفتح الزاي فيهما من نزف الرجل ثلاثيًا مبنيًا للمفعول، بمعنى: سكر وذهب عقله أيضًا، أو من قولهم: نزفت الركية: نزحت ماؤها، أي: لا تذهب خمورهم بل هي باقية أبدًا. [٥٥] ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. [٥٨] ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرر لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة. [٦٥] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة=

= وحكاية النَّاس في حال الدَّعوة، وهلاك قوم لوط، وحبْس يونس في بطن الحوت، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات النسبة، ودرجات الملائكة في مقام العبادة،=

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

٧٧- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: فالناس كلهم من ذرية نوح، أو ذرية من معه دون ذرية من كفر، لأن الله أهلكهم بدعائه ولم يُبْقِ منهم باقية. ٧٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أبقينا على نوح ذكراً جميلاً. ٨٣- ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾: من أتْباع نوح، على منهاجه وملته. ٨٤- ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: من الشرك مخلص بالتوحيد. ٨٦- ﴿أَئِفْكًا﴾: يقول: أكذباً معبوداً غير الله تريدون؟ ٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره؟ ٨٨- ٩٠- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾: ذكر أن قومه ﷺ كانوا أهل تنجيم، فرأى نجماً قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مطعون ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: عنه خوفاً من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به. وقيل: إن إبراهيم عنى أنه سقيم النفس من أمورهم وكفرهم. ٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾: أقبل على الأصنام يُكسِّرُهُنَّ بفأس في يده. ٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: معناه: يمشون ويستعجلون. ٩٥- ﴿قَالَ﴾: إبراهيم لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: بأيديكم من الأصنام. ٩٧- ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: بُني له شبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب وأوقدوا عليه ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: «الجحيم» عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار. ٩٨- ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾: ما كانوا أرادوا من إحراقه، والكيد: المكر والحيلة ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: الأذلين حجة، وغلَبْنا إبراهيم. ٩٩- ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الأرض المقدسة، أرض الشام. ١٠٠- ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ولداً صالحاً من الصالحين. ١٠١- ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾: ذي حِلم إذا هو كبر. ١٠٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾: العمل، أي شبَّ وأدرك سعيُه سعيَ إبراهيم.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٨، ١٠٨، ١٢٩]. وتعني أننا –والضمير لرب العزة جلَّ وعلا– أبقينا له ذِكْرًا جميلًا وثناءً حسنًا فيمن جاء بعده من الناس يذكرونه به. وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة ثلاث مرات.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الصافات : ٨٢، الشعراء : ٦٦]. ثم أغرقنا فرعون ومن معه بإطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه، فهذا ما دلت عليه آية الشعراء، أما آية الصافات: ثم أغرقنا الآخرين المكذبين من قومه بالطوفان، فلم تبق منهم عين تَطْرِف، والآية تتحدث عن قوم نوح عليه السلام. وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والصافات. [٩١] ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات : ٩١]، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات : ٢٧]. ما في سورة الصافات جملة اتَّصلت بخمس جمل كلّها مبدوءة بالفاء على التوالي، وهي: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات : ٨٧-٩١] الآيات، والخطاب للأوثان تقريعًا لمن زعم أنّها تأكل وتشرب، وفي الذاريات متَّصل بمضمر تقديره: فقرّبه إليهم، فلم يأكلوا فلمّا رآهم لا يأكلون، ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، والخطاب للملائكة. فجاءَ في كلِّ موضع بما يلائمه. [٩٨] ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء : ٧٠]، ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات : ٩٨]. في سورة الأنبياء كادهم إبراهيم؛ لقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء : ٥٧]، وهم كادوا إبراهيم لقوله: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ [الأنبياء : ٧٠]، فجرت بينهم مكايدة، فغلبهم إبراهيم؛ لأنه كسر أصنامهم، ولم يغلبوه؛ "لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم" فكانوا هم الأخسرين. وفي الصَّافَّات ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات : ٩٧]، فأجَّجوا نارًا عظيمة، وبنوا بنيانًا عاليًا، ورفعوه إليه، ورمَوه منه إلى أسفل، فرفعه الله، وجعلهم في الدّنيا سافلين، وردَّهم في العقبى أسفل سافلين، فخُصت الصَّافَّات بـ"الأسفلين". [١٠١] ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر : ٥٣، الذاريات : ٢٨]. إنما وصفه في سورة الصافات بالحلم وهو إسماعيل والله أعلم وهو الأظهر، لما ذكر عنه من الانقياد إلى رؤيا أبيه مع ما فيها من أمرِّ الأشياء على النفس وأكرهها عندها، ووعده بالصبر وتعليقه بالمشيئة، وكل ذلك دليل على تمام الحلم والعقل، وأما في الذاريات فالمراد والله أعلم إسحاق، لأن تبشير إبراهيم بعلمه ونبوته فيه دلالة على بقائه إلى كبره، وهذا يدل على أن الذبيح إسماعيل. [١٠٢] ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص : ٢٧]، ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢]. ما في سورة القصص من كلام شعيب، والمعنى: ستجدني من الصالحين في حسن العشرة، والوفاءِ بالعهد، وفي الصَّافَّات من كلام إسماعيل حين قال له أبوه: ﴿أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، فأجاب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢]، أي: على الذبح.

= سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد؟ فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جلَّ جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَزِفُّونَ﴾ قرئ: (يُزفون) بضم الياء من أزف. وقرئ: (يَزفون) بفتح الياء من زف، ومعناه: الإسراع. [١٠٢] ﴿أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ﴾؟ قرئ: (تُرِي) بضم التاء وكسر الراء وبعدها ياء، أي: ماذا تريه من صبرك؟ أو أي شيء الذي تريه؟ أي: ماذا تحملني عليه من الاعتقاد؟ فالمفعولان محذوفان، أي: ماذا ترينا؟. وقرئ: (تَرى) بفتح التاء والراء وألف بعدها من رأى، أي: اعتقد أو أمر، لا من "رأى" أبصر، ولا علم، ويتعدى لواحد (فما) استفهام سبكت مع "ذا" مفعوله، أو بمعنى: "أي شيء" مبتدأ و"ذا" بمعنى "الذي" خبره "وترى" صلته، والعائد محذوف، أي: أي شيء الذي تراه؟ وقيل: معنى فتح التاء: ماذا تأمر به؟ ومعنى ضمها: ماذا تشير به؟.

= ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضا (٨٨ مرة).

= وما مَنَح الله الأنبياء من النُّصرة والتأييد، وتنزيه حضرة الجلال عن الضدِّ والنديد.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

١٠٣- ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: أمرهما لله، وفوضاه إليه، واتفقا عليه كلاهما، لأن الابتلاء والتكليف كان لهما جميعاً؛ لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. أسلم إبراهيم ابنه، وأسلم الابن نفسه. ﴿وَتَلَّهُۥ﴾: ووضعه بقوة ﴿لِلْجَبِينِ﴾: «الجبينان»: ما عن يمين الجبهة وشمالها، والجبهة بينهما. ١٠٥- ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾: التي أريناكها في منامك. ١٠٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾: الاختبار الشديد. ١٠٧- ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾- يعني ولده من الذبح ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: بجزاء عظيم وفدية، وهو الكبش الذي فُدي به. و«الذِّبح» اسم لما يذبح. ووصفه بالعظم لأنه مُتقبَّل يقيناً، وقيل: لجري السنّة به، وكونه ديناً باقياً آخر الدهر. ١٠٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾: فيمن بعده إلى يوم القيامة، ثناء جميلاً، وذكراً حسناً. ١١٣- ﴿مُحْسِنٌ﴾: مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: كافر بالله. ١١٤- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: فضلناه عليهما بالنبوة وغيرها من النعم العظيمة. ١١٥- ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: مما كانوا يلقونه من فرعون وقومه، ومما أهلك به فرعون. ١١٧- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: المبين هَدْيُ ما فيه وتفصيله وأحكامه. ١١٨- ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: دين الإسلام الذي ابتعث الله به أنبياءه. ١٢٣- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. وقيل: إنه إدريس عليه السلام. ١٢٥- ﴿أَتَدْعُونَ﴾: أتعبدون ﴿بَعْلًا﴾: اسم صنم.

[١١٠] ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١١٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. لم يقل: ﴿ إِنَّا ﴾، لأنه تقدّم في قصة إبراهيم: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٥]، وقد بقي من قصته شيء، وفي سائرها وقع بعد الفراغ، ولم يقل في قصّتي لوط ويونس: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠-٨١]؛ لأنه لمّا اقتصر من التسليم على ما سبق ذكره اكتفى بذلك.

[٩٤] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات: ٩٤]، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبلْ - تعالَ - ائتِ - هاؤم"؟ الجواب: (أقبلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيٌ عن الإدبار الملتبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة) -راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذًا، (أقبلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعال)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. أمثلة قرآنية: أولًا- (أقبل): ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٧، والطور: ٢٥]. ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات: ٢٩]. ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢]. ثانيًا- (تعال): ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ثالثًا- (ائت): ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]. رابعًا- (هاؤم): ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩].

[١١٧] ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ [الصافات: ١١٧]. ما الفرق بين: "مبين، مستبين"؟ الجواب: وردت كلمة (مبين) تسع عشرة مرةً ومائةً. جاء منها وصفٌ للكتاب في تسع مرات بينما وردت كلمة (مستبين) مرةً واحدةً. الكتاب (المبين): هو: كتابٌ يحفظ كل شيء، ولذلك فهو مبين (في أحد معانيه)، وهو (القرآن) (في المعنى الآخر له). أما الكتاب (المستبين): فهو التوراة. وبان الشيء: ظهر دفعةً واحدةً. واستبان الشيء: ظهر شيئًا فشيئًا. قال الفخر الرازي: إنما وُصف القرآن بأنه مبينٌ لوجوه: ١- أن القرآن معجزة «ظاهرة» وآيةٌ بينةٌ لمحمد ﷺ. ٢- أنه بُيِّنَ فيه الهدى والرشدُ والحلالُ والحرامُ، ولما بُيِّنت فيه هذه الأشياء كان الكتاب مبينًا لها. ٣- أنه بُينت فيه قصصُ الأولين وشُرحت فيه أحوالُ المتقدمين. أما التوراة: فكل إصحاح منها يعالج جانبًا من قضيةٍ واحدةٍ. وعلى هذا فهو يظهر بالتدرج والتتابع.

[١٢٣] ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ قرئ: (الْياس) بوصل همزة "إلياس" فيصير اللفظ بلام ساكنة بعد إن، ويبتدئ بهمزة مفتوحة. وقرئ: (إلياس) بقطع الهمزة مكسورة بدءًا ووصلًا، ووجهها: أن إلياس اسم أعجمي سرياني تلاعبت به العرب فنطقت همزته تارة ووصلتها أخرى، والأكثر على وجه الوصل، قالوا: إن أصله (ياس) دخلت عليه (أل) المعرفة كما دخلت على اليسع، وينبني على الخلاف حكم الابتداء، فعلى الأول يبتدئ بهمزة مفتوحة وهو الصواب كما في "النشر" قال: لأن وصل همزة القطع لا يجوز إلا ضرورة، ولنصهم على الفتح دون غيره. [١٢٦] ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ﴾ قرئ: (اللهَ ربكم وربَّ) بنصب الأسماء الثلاثة: فالأول: بدل من أحسن، و"ربكم" نعته، و"رب" عطف عليه. وقرئ: (اللهُ ربكم وربُّ) برفع الثلاثة على أن لفظ الجلالة الكريمة مبتدأ، و"ربكم" خبره، و"رب" عطف عليه، أو خبر هو.

[١٠٢] ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا رد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [١١٨] ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

١٢٧- ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: في عذاب الله فيشهدون. ١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصهم للإيمان والفوز من العذاب. ١٣٠- ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾: قيل: إلياس، وإلياسين، مثل إبراهيم وإبراهام. ١٣٥- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾: الهالكين. ١٣٦- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: قذفناهم بالحجارة، فأهلكناهم. ١٣٧- ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾: إذا أصبحتم نهاراً، لأن من سافر من المدينة إلى الشام يمر على سدوم قرية لوط. ١٤٠- ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: حين فرَّ ﴿إِلَى الْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿الْمَشْحُونِ﴾: الموقر، المملوء. ١٤١- ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارع، من القرعة، إذ احتُبست السفينة، وعلم القوم أنه مِن حَدَثٍ أحدثوه، فتساهموا ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: من المسهومين المقروعين المغلوبين، فرمى بنفسه في البحر. ١٤٢- ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: مكتسب اللوم مذنب. ١٤٣- ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: المصلين لله قبل البلاء والعقوبة التي نزلت به. ١٤٤- ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ﴾: في بطن الحوت محبوساً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: يبعث الله خلقه. ١٤٥- ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: فقذفناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: لما ناله في بطن الحوت من الضرر. ١٤٦- ﴿شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾: تُظلل عليه، واليقطين: كل شجر لا يكون على ساق، كالدُّبَّاء والبطيخ ونحو ذلك. وقيل: كانت شجرة القرع فأظلته. ١٤٧- ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾: من قومه ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: قيل: بمعنى بل يزيدون، وهم أهل نينوى من أهل الموصل. ١٤٨- ﴿فَآمَنُوا﴾: فوحَّدوا الله، وصدقوا يونس، وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما أحسُّوا به فرَّقوا بين البهائم وأولادها، وعجُّوا إلى الله بالدعاء، فرفع عنهم العذاب ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت. ١٤٩- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: سَلْهُم، يعني: مشركي قريش ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: لأنهم كانوا يقولون ذلك ويزعمون أن الملائكة بنات الله! ١٥٠، ١٥١- ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: فيشهدوا بما عاينوا، أي: كيف جعلوهم إناثاً وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم، ﴿مِنْ إِفْكِهِمْ﴾: كذبهم. ١٥٣- ﴿أَصْطَفَى﴾: اختار.

[١٣٥-١٣٦] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١-١٧٢، الصافات: ١٣٥-١٣٦]. تكررت هاتان الآيتان في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الشعراء والصافات، وهما تبينان حال المهلكين من قوم لوط، والعجوز الهَرِمة، هي زوجته، هلكت مع الذين هلكوا من قومها لكفرها، ثم أهلكنا الباقين المكذبين من قومه. [١٤٥] ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]. فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: لولا أن تداركه نعمة من ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لَطُرِح مِنْ بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه. [١٤٢] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٢]. ما الفرق بين: "مَلُوم، مُلِيم"؟ الجواب: وردت كل من الكلمتين (ملوم، مُليم) مرتين في القرآن الكريم. (الملوم) هو الذي أتى فعلًا يستحق اللوم عليه، ولِيم عليه. أما (المُليم) فهو الذي أتى فعلًا يستحق اللوم عليه، ولم يُلم عليه. (هذا في القرآن) لكن معناهما واحدٌ في اللغة. ويوضح المعنى الثاني ما ورد عن فرعون حيث نُبِذ وقومُه في اليم وهو مُليم، فقد غرق هو وقومه ولم يبق منهم من يلومه على قبيح فعله، وتكذيبه لنبي الله موسى عليه السلام. ويونس- عليه السلام- حين التقمه الحوت ما وُجد معه مَنْ يلومه. [١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤]. عن ميمون بن مهران قال: سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس كان عبدًا لله ذاكرًا، فلما أصابته الشدة دعا الله، فقال الله ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ فذكره الله بما كان منه، وكان فرعون طاغيًا باغيًا ﴿۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. فلم يذكر الله إلا بعد أن أدركه الغرق.

[١٣٠] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ قرئ: (آلِ) بفتح الهمزة وكسر اللام وألف بينهما، وفصلها عما بعدها لأنها مفصولة في المصحف، فأضافوا "آل" إلى "ياسين" فيجوز قطعها وقفًا، والمراد ولد ياسين وأصحابه، وهو اسم نبي، فسلَّم على أهله لأجله، فهو داخل في السلام، وأهله هم أهل دينه ومن آمن به. وقرئ: (إِلْ) بكسر الهمزة وسكون اللام بعدها على أنها كلمة واحدة فتكون (إلياسين) اسمَ واحدٍ جُمِع منسوبًا إلى إلياس المتقدم باعتبار أصحابه، كالمهالبة في المهلب وبنيه، أو جعله اسمًا للنبي المذكور صلى الله عليه وسلم، وهي لغة: كطور سيناء، وسينين، وهي حينئذ كلمة واحدة، وإن انفصلت رسمًا فلا يجوز قطع إحداهما عن الأخرى، ويمتنع إتباع الرسم فيها وقفًا، إذ لم يقع لها نظير. [١٥٣] ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى﴾ قرئ: (اصطفى) بوصل الهمزة في الوصل على حذف همزة الاستفهام للعلم بها، والابتداء في القراءة بهمزة مكسورة. وقرئ: (أصطفى) بهمزة مفتوحة في الحالين على الاستفهام الإنكاري.

[١٥٠] ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضا (٨٨ مرة). [١٨١] ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. =

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ ص

١٥٤- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: أن تكون البنات لله، وأنتم لا ترضون بها لأنفسكم، ولكم البنون؟! فبئس الحكم حكمكم. ١٥٦- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: حجة ظاهرة على هذا الذي تقولونه. ١٥٧- ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾: بحجة من كتاب جاءكم من عند الله. ١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: قال بعض المفسرين: إن أعداء الله قالوا: إن الله وإبليس أخوان -جل الله عن ذلك، ولُعن إبليس- ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: يشهدون الحساب والعقاب، أو يُحضَرون النار ويُعذبون فيها. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. ١٥٩- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً لله. ١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعني: المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة. ١٦٢، ١٦٣- ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾: يقول: ما أنتم على ما تعبدون من ذلك بمضلين أحداً، إلا من سبق في علم الله أنه ﴿صَالِ الْجَحِيمِ﴾. ١٦٤- ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾: هذا خبر من الله عن قول الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم. ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» أخرجه الطبراني وصححه الألباني. فذلك قول الملائكة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾. ١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾: لله، صفوفاً لعبادته. ١٦٧، ١٦٨- ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾: يعني: المشركين ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾: كتاباً أُنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبياً، وذلك قبل أن يُبعث إليهم محمد ﷺ. ١٧٠- ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: يقول: فلما جاءهم الذكر بمحمد ﷺ من عند الله، من التنزيل والكتاب جحدوه وكفروا به، «فسوف يعلمون» إذا وردوا على الله، عاقبة كفرهم، وهذا وعيد لهم. ١٧٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: إلى حين نزول عذابه بهم في الدنيا والآخرة. ١٧٥- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: وعدٌ للنبي ﷺ ووعيد لهم، أي سوف يرون ما يحل بهم من عذابنا حين لا ينفعهم البصر. أو: سوف يرون عُقبى طريقتهم. ١٧٦- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: يقول عز وجل: أفبنزول عذابنا يستعجلون، لقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يس: ٤٨] ١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾: بهم، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ﴾: القوم الذين أنذرتهم بالعذاب، أو أنذرتهم فلم يصدقوا. ١٨٠- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾: تنزيهاً لربك يا محمد ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: العزة: الغلبة والقوة، والمراد: تنزيهه سبحانه عن كل ما يصفونه به مما لا يليق به سبحانه وتعالى، ١٨٢- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رب الثقلين: الجن والإنس وسائر العوالم من خلق الله.

[١٥٨] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: وأخرج جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجهينة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الآية. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجنة، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾. [١٦٥] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ الآية، فأمرهم أن يصفوا. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت، فذكره نحوه. [١٧٦] قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أخرج جويبر عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجله لنا، فنزلت ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الآية. صحيح على شرط الشيخين.

[١٥٩] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، الصافات: ١٥٩] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. تنزَّه الله عن كل ما لا يليق به ممَّا يصفه به الكافرون، فهذا ما دل عليه موضعا المؤمنون والصافات، أما باقي مواضع القرآن: تنزَّه وتعالى عما يشركون، فليس له شريك في الملك، ولا شريك في الوحدانية والعبادة. [١٨٠] ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. تنزَّه الله وتعالى رب العزة عما يصفه هؤلاء المفترون عليه، فهذا ما دل عليه موضع الصافات، أما باقي مواضع القرآن: تنزَّه الله رب العرش، وتقدَّس عمَّا يصفه الجاحدون الكافرون، من الكذب والافتراء وكل نقص. [١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤، القلم: ٣٦]. بئس الحكم ما تحكمونه أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: أفنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟ ما لكم كيف حكمتم هذا الحكم الجائر، فساويتم بينهم في الثواب؟ وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والقلم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٥]، ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٩]. جاء ذكر الضمير المتصل في قوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وبعد هذه الآية بأربع آيات وردت آية مشابهة محذوف منها الضمير، والعلة في الحذف في الآية الثانية؛ لأنه في الآية الأولى ذكر الضمير، وأوضح أن المراد من الحين الأول هو الدنيا، وهو الوقت الذي ينصر فيه المسلمون على أعدائهم، والحين الثاني يوم القيامة حيث يحل بهم العذاب والخزي العظيم. قول آخر: "الحين" في الآية الأولى يوم بدر، ثم: وأبصرهم كيف حالهم عند نصرك عليهم وخذلانهم، و"الحين" الثاني يوم القيامة، ثم قال تعالى: وأبصر حال المؤمنين وما هم فيه من النعم، وما هؤلاء فيه من الخزي العظيم، فلما كان الأول خاصًا بهم أضمرهم، ولما كان الثاني عامًا أطلق الإبصار والمبصرين، والله أعلم.

[١٧٦] ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤، الصافات: ١٧٦]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في الشعراء والصافات، ومعناها: أَغَرَّ هؤلاء إمهالي، فيستعجلون نزول العذاب عليهم من السماء؟.

[١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]. ذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقرب الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا بلبه وقشره أيضًا. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء، ويتتبعه من حواشي الصَّحْفة. أخرجه البخاري. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. كيف تكون "أو" للشك، وهو على الله محال؟! الجواب: "أو" بمعنى "بل"، أو بمعنى الواو، والمعنى: أو يزيدون في نظركم، فالشك إنما دخل في قول المخلوقين. [٤] ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]، ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]. ما الفرق =

= وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، ونذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

سورة ص

١- ﴿صٓ﴾: هذه الفواتح للإعجاز (راجع تفسير الآية الأولى من سورة البقرة المتقدمة). ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: قسم أقسم ربنا عز وجل به ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: ذي الشرف الباقي المُخلَّد. وقيل: معناه: ذي التذكرة للناس والهداية لهم. ٢- ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يعني: من مشركي قريش ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: حميَّة وإباء ﴿وَشِقَاقٍ﴾: فراق لمحمد وعداوة. ٣- ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: من الأمم الذين كانوا قبلهم، المكذبين برسلهم ﴿فَنَادَوا۟﴾: عجُّوا وضجُّوا إلى ربهم، حين رأوا عذاب الله نزل بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: وليس حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، لأن كلمة العذاب قد حقت عليهم. ٤- ﴿وَعَجِبُوٓا۟﴾: يعني: مشركي قريش ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: محمد ﷺ. ٥- ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: قالوا: أجعل المعبودات كلها معبوداً واحداً، يسمع دعاء جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد منا؟! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾: عجيب. ٦- ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾: امضوا على دينكم، وعبادة آلهتكم. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾: يريده منا محمد؛ استعلاءً علينا، ونكون له أتباعاً. ٧- ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: يعنون: ملة النصرانية. وقيل: أرادوا ملَّتهم ونحلتهم التي عليها العرب. ٨- ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: يقول عز وجل: هؤلاء المشركون في شك من وحينا إليه، وذكرنا المنزل عليه، أنه من عندنا ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: بل لما ينزل عليهم بأسي، فيذوقوا وبال تكذيبهم رسولي!. ٩- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾: يقول: أعند هؤلاء مفاتيح رحمة ربك، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، فيمنعونك يا محمد ما خصك الله به من الكرامة والرسالة؟! ١٠- ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: فليصعدوا في أبواب السموات وطرقها، فإنه من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه! ١١- ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: يقول عز وجل: هم جند من أحزاب إبليس وأتباعه مهزوم يوم بدر. ١٢- ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾: قال الضحاك: أراد المباني العظام الثابتة. وقيل: المراد بالأوتاد: الجموع والجنود الكثيرة. ١٣- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: الجماعات المتحزبة على معاصي الله عز وجل. ١٤- ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾: وجب عليهم عقابي. ١٥- ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: ما ينتظر ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: من فتور ولا انقطاع. ١٦- ﴿وَقَالُوا۟﴾: يعني: المشركين من قريش ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: أنزل علينا كتبنا بحظوظنا من الخير والشر، التي نرى في الآخرة، قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاء بوعيد الله. و«القِطّ» عند العرب: الصحيفة المكتوبة. ويطلق كذلك على الحظ والنصيب.

[٩] معنى اسم الله العزيز: العَزيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقتَدِرُ، القوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزَّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله =

[١] قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أخرج أحمد والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي ﷺ، فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ قال: «أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية»، قال: كلمة واحدة؟ قال: «نعم»، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقالوا: إلهًا واحدًا؟ إن هذا لشيء عجاب! فنزل فيهم ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إلى ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ الآية.

[٣] ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الأنعام: ٦، السجدة: ٢٦، ص: ٣] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾. ﴿مِن﴾، إنما تزاد في هذه الآيات حيث يراد تأكيدها لما تحويه من وعيد وتخويف، فقد ورد في هذه الآيات تفصيل وعيد في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف، فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها، أمّا ما لم يتقدم الآيات وعيد أو تخويف فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها. [٤] ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]. آية سورة ص وردت مورد الإخبار بمرتكبات من أفعال كفار العرب وأقوالهم، فجيء بتلك الجمل منسوقًا بعضها على بعض، فأخبر تعالى أنهم في عزة وشقاق، وأنهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم، فلما قصد في ص الإخبار بجملة مرتكباتهم جاءت منسوقًا بعضها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وأما آية ق فمقصود بها التعريف بتعجبهم من البعث الأخروي واستبعادهم إياه، ولم يقصد هناك غير ما قصده، ألا ترى إقامة الدلالة عليهم باعتبار خلق السماوات وتزيينها بالنجوم وإحكام صنعتها، ومد الأرض وإرسائها بالجبال وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء.. فلما كان قولهم: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ مبنيًا على ما جاءهم به عليه السلام، وأعلمهم من البعث بعد الموت جعل الأول-أعني: مجيئه عليه السلام، مخبرًا بذلك- سببًا في تعجيزهم فربط فيه بالفاء... قول آخر: آخر آية ق مرتبط بأولها لفظًا ومعنى، فجاء العطف بالفاء، أما آية ص فخبر عن عجبهم =

= بين: "كاذب وكذَّاب"؟ الجواب: وردت كلمة (كاذب) أربع مرات، بينما وردت كلمة (كذَّاب) خمس مرات. وردت كلمة (كذَّاب) وهي من صيغ المبالغة على وزن (فعَّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الكذب، على العكس من كلمة (كاذب)، وهي اسم فاعل، والتي تستخدم في الإخبار-فقط- عن صفة الكذب دونما مبالغة. مثال: قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، فجاءت كلمة (كذَّاب) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فجاؤوا بوصف النبي ﷺ الذي أرسل إليهم بهذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كذَّاب) وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥]. [١٥] ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَوَاقٍ﴾ قرئ: (فُواق) بضم الفاء وهي: لغة تميم، وأسد، وقيس. وقرئ: (فَواق) بفتح الفاء: لغة الحجاز، وهو الزمان بين حَلْبَتَي الحالب، ورَضْعَتَي الراضع، وقيل: الفتح بمعنى الإفاقة، والضم ما بين الحلبتين.

نزول سورة ص: نزلت بعد سورة القمر، وهي مكّيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة ص: سبعمائة واثنتان وثلاثون. عدد حروف سورة ص: ثلاثة آلاف وسبعة وستون. أسماء سورة ص: لها اسمان سورة ص؛ لافتتاحها بها، وسورة داود؛ لاشتمالها على مقصد قصّته. مواضيع سورة ص: معظم مقصود السورة: بيان تعجّب الكفّار

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

١٧- ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: من الاستهزاء، كما صبرت الرسل قبلك، فمنهم ﴿عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله عز وجل، والصبر على طاعته. ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجّاع مما يكرهه الله إلى ما يُرضيه. ١٨- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾: كان إذا سبّح أجابته الجبال ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: حين تُشرق الشمس وتضحي. ١٩- ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مجموعة له تسبح معه إذا سبح ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: مطيع. ٢٠- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: قوّاه الله وعضّده. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة. وقيل: الفهم في الدين وجودة النظر. ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: علم القضاء. وقيل: القدرة على الإيضاح والبيان. ٢١- ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾: خبر الخصم، وهما ملكان. ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: دخلوا من غير باب. و«المحراب»: مقدّم كل بيت ومجلس، وأشرفه، وهو موضع التعبد. ٢٢- ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: لأنهما دخلا عليه ليلاً، في غير وقت نظره بين الناس ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: لما رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب ﴿خَصْمَانِ﴾: بمعنى: نحن خصمان ﴿بَغَىٰ﴾: تعدّى بغير حق ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾: لا تَمِلْ ولا تُحِفْ ﴿وَٱهْدِنَآ﴾: احملنا على الحق ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: أعدله وأخيره. «والصراط»: الطريق. ٢٣- ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾: يعني: على ديني ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾: مثل ضربه الخصم المتسوِّر على داود. ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: أنزل لي عنها، وخلِّ سبيلها لأضمها إليَّ ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾: غلبني، لأنه أبْيَنُ مني إن تكلم، وإن بطش كان أشد مني فقهرني. ٢٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: إلى قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾: يقول داود: لقد ظلمك بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه. وكنى بالنعجة هاهنا عن المرأة، والعرب تفعل ذلك. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: من الشركاء ﴿لَيَبْغِى﴾: ليتعدى. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾: بمعنى: وقليل هم، و«ما» صلة. ٢٥- ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: لقربة منا يوم القيامة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: حسن منقلب. ٢٦- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: استخلفناك حكماً بين أهلها من بعد من كان قبلك من رسلنا ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: في قضائك بينهم ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فتجور عن الحق الذي هو سبيل الله. = كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. [٩] معنى اسم الله الوهاب: من أسمائه تعالى: ((البرّ الوهّاب)) الذي شمل الكائنات بأسرها ببِرِّهِ وهِباته وكرمه، فهو مولى الجميل ودائم الإحسان وواسع المواهب، وصفُه البرُّ وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة والباطنة، فلا يستغني مخلوق عن إحسانه وبرِّه طرفة عين. وإحسانه عام وخاص: ١- فالعامّ المذكور في قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وهذا يشترك فيه البرُّ والفاجر وأهل السماء وأهل الأرض والمكلّفون وغيرهم. ٢- والخاصّ رحمته ونعمه على المتقين حيث قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي دعاء سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهذه الرحمة الخاصة التي يطلبها الأنبياء وأتباعهم، تقتضي التوفيق للإيمان، والعلم، والعمل، وصلاح الأحوال كلها، والسعادة الأبدية، والفلاح، والنجاح، وهي المقصود الأعظم لخواص الخلق. وهو سبحانه المتصف بالجود: وهو كثرة الفضل والإحسان، وجوده تعالى أيضا نوعان: النوع الأول: جودٌ مطلق عمَّ جميع الكائنات وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة. النوع الثاني: جودٌ خاص بالسائلين بلسان المقال أو لسان الحال من برٍّ وفاجرٍ ومسلم وكافرٍ، فمن سأل الله أعطاه سؤله وأناله ما طلب، فإنه البرّ الرحيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾. ومن جوده الواسع ما أعدَّه لأوليائه في دار النعيم مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

= قولًا وفعلًا، فبدأت الآية بقوله: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم﴾ وختمت بقولهم: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، فما بعد الواو لا يرجع إلى أول الآية، فاقتضى الواو. [٨] ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص : ٨]، ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر : ٢٥]. قال تعالى في ص "أأنزل"، وفي القمر "أألقي"؛ لأنّ ما في ص حكاية عن كفار قريش، فناسب التعبير به لوقوعه إنكارًا لِما قرأه عليهم النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وما في القمر حكاية عن قوم صالح، وكانت الأنبياء تُلقَى إليهم صحف مكتوبة، فناسب التعبير بـ"أألقي"، وقدّم الجار والمجرور على الذكر، موافقة لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعكس في القمر جريًا على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة. [٩] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ [الطور : ٣٧]. أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟ فهذا ما دلت عليه آية ص، أما آية الطور: أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء. [١٢-١٣] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ [ص : ١٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ [ق : ١٤]. سورة ص بُنيت فواصلها على رَدْف أواخرها بالألف؛ وسورة ق على رَدْف أواخرها بالياءِ والواو. فقال في هذه السّورة: "الأوتاد، الأحزاب، عقاب"، وجاء بإزاء ذلك في ق: "ثمود، وعيد"، ومثله في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات:٤٨]، وفي ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص : ٥٢]، فالقصد إلى التَّوفيق بين الألفاظ مع وضوح المعاني.

= حيث وصف قوم ثمود نبيهم صالحًا بهذه الصفة البذيئة مبالغين ومؤكدين بصيغة المبالغة (كذَّاب) بدل (كاذب)، وهكذا أتت (كذَّاب) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلى على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]. [١١] ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص : ١١]. آية رهيبة، وهي آية تعد نبوءة عظيمة، فقد رأت قريش فيما بعد أمرًا ما، وشيئًا ما، وخبرًا ما، وجندًا ما. [١٧] ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص : ١٧]. إن العبد إذا رزقه الله نعمة فاستعملها في طاعة الله بارك الله له فيها، وزاده =

= من نبوّة المصطفى ﷺ، ووصف المنكرين رسول الله ﷺ بالاختلاق والافتراءِ، واختصاص الحقِّ تعالى بمُلْك الأرض والسّماءِ، وظهور أحوال يوم القضاءِ، وعجائب حديث داود وأوريا، وقصّة سليمان في حديث المَلك، على سبيل المِنَّة والعطاءِ، وذكر أيوب في الشفاءِ والابتلاءِ، وتخصيص إبراهيم وأولاده من =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٢٧- ﴿بَاطِلًا﴾: عبثاً ولعباً. ٣٠- ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجّاع إلى طاعة الله، تواب إليه. ٣١- ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: جمع «الصافن» من الخيل. والأنثى: «صافنة». و«الصافن» منها. الواقف: الذي يجمع بين يديه، ويثني سُنْبُك إحدى رجليه. والسُّنبك: طرف الحافر. وقيل: الذي يجمع يديه ﴿الْجِيَادُ﴾: السِّرَاعُ. ٣٢- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾: إني أحببت حباً الخير، ثم أضيف الحب إلى الخير. وعنى بـ«الخير» في هذا الموضع: الخيل، والعرب تسمِّيها به. ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: عن صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾: تغيبت الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾: في مغيبها. وقيل: المراد الخيل، أي دخلت اصطبلاتها. ٣٣- ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾: ردوا الخيل عليَّ، التي عُرضت عليَّ فشغلتني عن الصلاة ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾: يقول عز وجل: فجعل يمسح منها السوق والأعناق: ضرب أعناقها وكسف عراقيبها. و«طفق» معناه: دام يفعل. وقال ابن عباس: إن هذا المسح لم يكن بالسيف، بل بيده تكريماً لها ومحبة. ٣٤- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾: أي ابتليناه واختبرناه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾: «الجسد»: الولد الذي ولد لسليمان حين أقسم ليطوفنّ على لسانه لم يستثن في قسمه، فلم تلد له منهن سوى واحدة جاءت بولد غير تام الخلقة، فسمّاه القرآن جسداً. ٣٦- ﴿رُخَاءً﴾: رخوة لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث أراد. ٣٧- ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: وسخرنا الشياطين، وسلطناه عليها ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾: يبني له ما يشاء ﴿وَغَوَّاصٍ﴾: يغوص في البحر يستخرج له الحلي من البحر. ٣٨- ﴿وَآخَرِينَ﴾: يعني مردة الشياطين ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مجموعي الأيدي إلى أعناقهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: في السلاسل والأغلال. ٣٩- ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا﴾: هذا الذي أعطيناك من الملك وسخرنا لك ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: أعط من شئت مما أعطيناك، أو امنع من شئت لا حساب عليك. ٤١- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾: شر وبلاء في جسده ﴿وَعَذَابٍ﴾: في ماله وولده. ٤٢- ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أمره الله عز وجل أن يضرب برجله الأرض، فنبع له عينان، شرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى، فذهب بلاؤه.

[٢٩] ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم : ٥٢]، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩]. كلا الموضعين حاصل فيه التناسب، أمَّا آية ص ففي قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما الباء والدال وثانيهما مضعف، فنسق عليهما قوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾، وفيه أيضا حرفان من حروف الشدة وهما الكاف والتاء وثانيهما مضعف، والتناسب بهذا واضح، وأمَّا آية إبراهيم فورد فيها: ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾، وقد عريت الكلمتان من حروف الشدة، وإنما جميعها من الرخوة وهي ضد الشديدة، فناسبها عطفًا عليها قوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾، إذ ليس فيه من الحروف الشديدة غير الكاف، وأيضًا فإن يذَّكر ويتذكر معناهما واحد، والأصل للمدغم مفكوكه، فلفظ يذَّكر ثان عن يتذكر، وهو أكثر استعمالًا وأخف لفظًا، فقدم في سورة إبراهيم، وأخر الأثقل في سورة ص.

= من خيرها، فداود عليه السلام لما استعمل قوته في إعزاز الدين وكثرة العبادة والطاعة ألان الله عز وجل له الحديد. [٢٩] ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩]. قال الحسن البصري رحمه الله: وما تدبر آياته إلا اتبعه وعمل به، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآن في خلق ولا عمل حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟! لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء. [٣٤] ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. ما الفرق بين: "جِسْم وجَسَد وبَدَن"؟ الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت. [٤١] ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ [ص: ٤١]. ما الفرق بين: "المَس واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلٌ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم. أمثلة: أولًا- اللمسُ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦]، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]. كل الآيات السابقة استعمل فيها (اللمس) مرادًا منه المعنى اللغوي الحقيقي أي ملاقاة جسم لآخر، لكن هناك سؤال هام؟ لمَ كُنّي (باللمس) عن الطلب في آيتي الجن والحديد (الأخيرتين) المذكورتين، وما كُنّي بالمس أو المسح؟ والجواب: أن طلب الشيء يُفضي إلى ملاقاته وأخذه، لذلك ساغت الكناية باللمس دون المس أو المسح. ثانيًا- المسُّ: وردت صيغ (المسّ) على اختلافها في أربع عشرة آية (في صيغ مختلفة بين الأفعال الماضية والمضارعة والاسم والمصدر)، ووردت هذه الصيغ المختلفة بصور مختلفة بين الحقيقة والكناية والمجاز كما يلي: ١- ثلاثة مواضع منها أُريد بها المعنى الحقيقي للمسّ (من جسم لآخر مسًّا خفيفًا)، وهي: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٨ - ٧٩]. ٢- ثلاثة مواضع أخرى كناية عن مباشرة النساء، =

[٢٩] ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ قرئ: (لتدَبروا) بالتاء من فوق وتخفيف الدال على حذف إحدى التاءين على الخلاف فيها، أهي تاء المضارعة أم التالية لها؟ والأصل: لتتدبروا. وقرئ: (ليدَّبروا) بياء الغيب وتشديد الدال، والأصل: ليتدبروا أدغمت التاء في الدال بعد قلبها. [٤١] ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ﴾ قرئ: (بنُصُب) بضم النون والصاد. وقرئ: (بنَصْب) بضم النون وإسكان الصاد، وكلها لغات بمعنى واحد، وهو التعب والمشقة. [٤٥] ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قوله تعالى: ﴿عِبَادَنَا﴾ قرئ: (عبدنا) بغير ألف على التوحيد والمراد الجنس، أو الخليل، و"إبراهيم" بدل منه، أو عطف بيان. وقرئ: (عبادنا) بالجمع على إرادة الثلاثة، وإبراهيم وما عطف عليه بدل أو بيان. [٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ =

= الأنبياء، وحكاية أحوال ساكني جَنّةِ المأوى، وعجز حال الأشقياءِ في سقر ولَظَى، وواقعة إبليس مع آدم وحوّاء وتهديد الكفّار على تكذيبهم للنبي المجتبى ﷺ.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

٤٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: قيل: أحياهم الله بأعيانهم وولد له الأولاد، حتى زاد مثلهم. ٤٤- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: وهو ما يُجمع من الشجر، أو الحشيش أو الشماريخ مما قام على ساق، كملء الكفّ ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾: زوجك لتبرّ في يمينك التي حلفت عليها أن تضربها، لئلا تحنث، وكان قد نذر بذلك أيوب عليه السلام في بلائه، لأنها كانت عرضت عليه كلاماً قاله إبليس لما حملها عليه الجزع. ٤٥- ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾: أهل القوة على عبادة الله عز وجل وطاعته ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: أبصار القلوب، أي هم أولو عقول وبصر في الدين. ٤٦- ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة، هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه. ٤٩- ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾: هذا القرآن يا محمد ذكر لك ولقومك ذكّرناهم وإياك به ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: حسن منقلب. ٥٢- ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قصرن طرفهن، أي عيونهن، وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن، فلا يُردن غيرهم ﴿أَتْرَابٌ﴾: أسنان أعمار واحدة، لا يتغايرن ولا يتعادين، وقيل: متساويات في الحسن. ٥٤- ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾: انقطاع ولا فناء. ٥٥، ٥٦- ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾: المتمردين على ربهم العاصين أمره ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾: لشر مرجع. ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش. ٥٧- ﴿حَمِيمٌ﴾: هو الذي أغلي حتى انتهى حرُّه ﴿وَغَسَّاقٌ﴾: ما يسيل من صديدهم. ٥٨- ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾: ألوان بمعنى: هذا حميم غساق فليذوقوه، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع. ومعنى «من شكله»: من ضربه ونحوه، ومثله. ٥٩- ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: فرقة وجماعة مقتحمة معكم النار أيها الطاغون ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾: لا اتسعت بهم مداخلهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾: واردوها وداخلوها. ٦٠- ﴿قَالُوا۟﴾: أي: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾: لا اتسعت بكم أماكنكم ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان بإضلالكم إيانا، ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: فبئس المكان المستقر فيه جهنم. ٦١- ﴿قَالُوا۟﴾: المقتحمون على الطاغين، وهم أتباع الطاغين في الدنيا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾: بدعائهم لنا في الدنيا إلى العمل الذي أوجب علينا النار ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾: أضعف له العذاب إلى العذاب الذي هو فيه.

[٤٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٤٣]. ختمت القصّة في سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، وفي ص: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾، لأنّه بالغ في الأنبياء في التضرّع بقوله: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣]، فبالغ سبحانه في الإجابة، وقال: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، لأنّ "عند" حيث جاءَ دلَّ على أنَّ الله سبحانه تولَّى ذلك من غير واسطة. وفي ص لمَّا بدأ القصة بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ﴾ [ص:٤١]، ختم بقوله "منّا" ليكون آخرُ الآية ملتئمًا بالأوّل. [٤٨] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٥]، ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص : ٤٨]. واذكر أيها الرسول عبادنا وأنبياءنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ فإنهم أصحاب قوة في طاعة الله، وبصيرة في دينه، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية ص: واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل، كل هؤلاء من الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معاصيه، وعلى أقداره، فاستحقوا الذكر بالثناء الجميل. [٥٢] ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات : ٤٨]، ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص : ٥٢]. وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية ص: وعندهم نساء قاصرات أبصارهن على أزواجهن متساويات في السن.

= هي: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ٣- تسعة مواضع جاء فيها المس مجازًا بمعنى (الإصابة) وهي: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢]، ﴿مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤]، ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ثالثًا- المسح: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾.. ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

[٤٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]. ما الفرق بين: "صابر وصبّار"؟ الجواب: وردت كلمة (صابر) مرتين، بينما وردت كلمة (صبّار) أربع مرات. وردت كلمة (صبّار) وهي صيغة مبالغة على وزن (فعّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الصبر. مثال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلقد كابد موسى ومن معه من اضطهاد فرعون ومطاردته لموسى عليه السلام، وصابر موسى، وظلَّ يدعو قومه ويذكرهم بالله، وجديرٌ بمن تحمل هذا البلاء، وصبر على كل المصاعب والمشاق التي لاقاها من الطاغوت (فرعون) وجنده، وثابر على دعوتهم ونصحهم، أن يوصف (بالصبّار)؛ لذا جاءت الصيغة التي تحمل معنى التوكيد والمبالغة ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. [٤٤] ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص : ٤٤]. أن الله تعالى يمن على العبد بأكثر مما فقد إذا صبر واحتسب، لأن أيوب عليه الصلاة والسلام وهب الله له أهله ومثلهم معهم، فاصبر، تظفر.

= قوله تعالى: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ قرئ: (بخالصةِ) بغير تنوين مضافًا للبيان لأن "الخالصة" تكون ذكرى وغير ذكرى، كما في ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ ويجوز أن تكون مصدرًا كالعاقبة بمعنى الإخلاص، وأضيف لفاعله، أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار الآخرة، أو لمفعوله والفاعل محذوف، أي: بأن أخلصوا ذكرى منصوبًا به، أو خبرًا لمحذوف، أو منصوبًا بأعني. وقرئ: (بخالصةٍ) بالتنوين على أن "ذكرى" بدلٌ منها على أن التقدير: إنا أخلصناهم بذكرى الدار، أي: بذكرهم لمعادهم، وقيل: بمعنى إنا أخلصناهم بأن يذكروا. [٥٣] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ قرئ: (يوعدون) بالياء على الغيبة لتقدم ذكر المتقين وهو غيب. وقرئ: (توعدون) بتاء الخطاب للمؤمنين على معنى: قل لهم يا محمد، هذا ما توعدون. [٥٧] ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ هنا، و"النبأ: ٢٥" قرئ: (وغسّاق) بتشديد السين فيهما صفة كالضراب مبالغة؛ لأن فعّالًا في الصفات أغلب منه في الأسماء، فموصوفه محذوف، أي: "شراب غساق" والغسّاق: هو ما يجتمع من صديد أهل النار. وقرئ: (وغسَاق) بالتخفيف فيهما اسم للصديد لا صفة له؛ لأن فَعَالًا مخففًا في الأسماء كالعذاب أغلب منه في =

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٦٢- ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾: يقول الطاغون: أبو جهل وأمية بن خلف، وأهل القليب ومن جرى مجراهم: أين سلمان وبلال وخباب ومثلهم؟! وقيل: ارادوا أصحاب محمد على العموم. ٦٣- ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾: كنا نهزأ بهم فيها ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾: أم هم في النار لا نرى مكانهم. ٦٤- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: يقول عز وجل: إن هذا الذي أخبرتكم ايها الناس عن تراجع أهل النار، ودعاء بعضهم على بعض وتخاصمهم لحق يقين. ٦٧، ٦٨ - ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: الإشارة إلى القرآن وجميع ما تضمنه من التوحيد والوعد والوعيد مما شأنه العناية به، وليس الإعراض عنه ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾. ٦٩- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾: من الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في شأن آدم عليه السلام، وفي ذلك دليل على أن هذا القرآن وحي الله عز وجل وتنزيله. ٧٢- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: أي من الروح التي لا يملكها ولا يعرف كنهها أحد سوى الله تعالى. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾: سجود تحيّة لا عبادة. ٧٤- ﴿اسْتَكْبَرَ﴾: تعاظم وتكبر ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: اي صار من الكافرين بمخالفته لأمر الله تعالى واستكباره عن طاعته. ٧٥- ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾: ام كنت كذلك من قبل، ذا علوّ وتكبر على ربك؟ ٧٦- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾: لأن النار تأكل الطين وتحرقه. ٧٧- ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مرجوم بالقول، مشتوم. ٧٨- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾: طردي لك عن الرحمة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم مُجازاة العباد. ٧٩- ﴿فَأَنظِرْنِي﴾: اخّرني في الأجل، لا تهلكني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: إلى يوم بعثك خلقك من قبورهم. ٨٠- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾: ممن أنظرته اي امهلته. ٨١- ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: الذي جعله الله اجلاً لهلاكه. ٨٢- ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: لأضِلّنّهم: يعني بني آدم. ٨٢- ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: من أخلصتَه منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي.

[٧١-٧٣] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣]. تكررت هذه الآيات بالحجر وص وهي تتحدث عن قصة آدم مع إبليس عليه لعنة الله، وما كان منه من كفر واستكبار حين أُمر بالسجود لآدم، أمّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾، أي: إني خالق إنسانًا من طين يابس، وهذا الطين اليابس من طين أسود متغيِّر اللون. [٧٥] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢]، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥]. قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ في الأعراف، وفي ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾، وفي الحِجر: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ بزيادة ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ في السورتين؛ لأن خطابه قَرُب من ذكره في هذه السورة، وهو قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، فحسن حذف النّداء والمنادى، ولم يقرب في ص قربَه منه في هذه السّورة؛ لأن في ص: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، بزيادة ﴿اسْتَكْبَرَ﴾، فزاد حرف النّداء والمنادى، فقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾، وكذلك في الحِجر فإنَّ فيها: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١] بزيادة ﴿أَبَىٰ﴾، فزاد حرف النّداء والمنادى فقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾. وأمّا قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ بالأعراف، وفي ص: ﴿أَن تَسْجُدَ﴾، وفي الحِجر: ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فزاد في الأعراف "لا"، وللمفسّرين في "لا" أقوال: قال بعضهم: "لا" صِلَة، كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩]، وقال بعضهم: الممنوع من الشيء مضطرّ إلى ما مُنِع منه، وقال بعضهم: معناه: من قال لك لا تسجد. والذي يليق بهذا الموضع ذكرُ السبب الذي خصَّ هذه السّورة بزيادة "لا" دون السّورتين. قال تاج القرّاء: لمّا حُذِف منها ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾، واقتُصر على الخطاب، جمع بين لفظ المنع ولفظ "لا" زيادة في النفي، وإعلامًا أنَّ المخاطب به إبليس؛ خلافًا للسّورتين؛ فإنه صرّح فيهما باسمه. وإن شئت قلت: جمع في هذه السّورة بين ما في ص والحِجْر، فقال: ما منعك أن تسجد، مالك ألّا تسجد، فحذف "أن تسجد" وحذف "مالك" لدلالة الحال، ودلالة السّورتين عليه، فبقي: "ما منعك ألّا تسجد". [٧٧] ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨١]. تكررت هذه الآيات بالحجر وص، وهي تتحدث عن طرد إبليس من الجنة وإنظاره إلى يوم القيامة، أمّا عن سبب مجيء التعريف بالألف واللام في آية الحجر: ﴿اللَّعْنَةَ﴾، فإن أول القصة في هذه السورة جرى على اسم الجنس المعرّف بالألف واللام، فذكر الإنسان، والجن والملائكة، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ =

[٤٤] ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. سئل سفيان عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء، لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناءً واحدًا، فقال في وصف أيوب: ﴿نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾، وقال في وصف سليمان: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

[٥٠] ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠]. تأمل قوله سبحانه في سورة ص: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً ...﴾، كيف تجد تحته معنى بديعًا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم، بل تبقى مفتحة كما هي، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، ففي تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، وأيضًا إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا.

=الصفات، وهو الزمهرير، أو صديد أهل النار، أو القيح يسيل منهم فيسقونه. [٥٨] ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَآخَرُ﴾ قرئ: (أُخر) بضم الهمزة مقصورة على جمع أخرى، كالكبرى والكبر لا ينصرف للعدول عن قياسه والوصف، وهو مبتدأ، و"من شكله" في موضع الصفة، و"أزواج" بمعنى: أجناس خبر، أو صفة، والخبر محذوف، أي: لهم "أزواج" مبتدأ" و"من شكله" خبره، والجملة: خبر "أُخَر". وقرئ: (آخر) بالفتح والمد على الإفراد اسم لا ينصرف أيضًا للوزن الغالب والصفة. [٦٣] ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ قرئ: (اتخذناهم) بوصل الهمزة بما قبلها، ويبتدأ لهم بكسر همزته على الخبر، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لـ (رجالًا)، و"أم" منقطعة، أي" بل أزاغت، كقولك: إنها "لا" بل "أم" شاء، أي "بل" شاء، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

٨٤- ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ﴾: من قرأه بالرفع، فبمعنى: أنا الحق، أو فالحقُّ منّي، ومن قرأه بالنصب، فبمعنى: حقاً. ٨٦- ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾: على تبليغ الوحي، كما يدل السياق، أو على هذا الذكر، «من أجر»: من جزاء ولا ثواب ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾: لا أتخرّص ولا أتكلّف ما لم يأمرني الله به. ٨٨- ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: شأن هذا الذكر أو القرآن وخبره من وعده ووعيده، والخطاب لجميع الكفار ﴿بَعۡدَ حِينِۭ﴾: يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وفشوه وانتصاره.

سُورَةُ الزُّمَرِ

١- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: يقول عز وجل: تنزيل هذا الكتاب عليك يا محمد، وجائز أن يكون رفع «تنزيل» بإضمار «هذا». ٢- ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: اخشع له بالطاعة، وأفرده بالعبادة. ٣- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ﴾: العبادة والطاعة ﴿ٱلۡخَالِصُ﴾: لا شريك لأحد معه فيها، ولا ينبغي ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾: يتولونهم، ويعبدونهم من دون الله ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾: أي الملائكة وعيسى والأصنام، يقولون: ما كنا نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾: إلا ليقربونا إلى الله تقريباً، وليشفعوا لنا عنده. ٤- ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ﴾: لاختار ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: الذي لا شريك له ولا ولد ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾: لخلقه بقدرته. ٥- ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾: يُغشي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال: «يولج»، والآية قد تكون واضحة الدلالة على كروية الأرض، لأن معنى «تكوير الشيء إدارته ككور العمامة» أو جعله على شكل كرة. وقد أدار -مثلاً- قماشاً أو لفّه على كرة، يقول: كوّرت القماش. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: لمصالح عباده ﴿كُلّٞ يَجۡرِي﴾: يعني: الشمس والقمر ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾: إلى قيام الساعة وانكدار النجوم. [٣] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ الآية. أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء: عامر، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: الملائكة بناته، فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

= [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ﴾ [الحجر: ٢٧]، وقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الحجر: ٣٠]، أمّا آية ص فلم يتقدم مثل ذلك، وإنما تقدم قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فخصصه بالإضافة إليه، فأجرى اللفظ على ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾. [٨٢] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. قوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ في الأعراف، وفي ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾، وفي الحِجْر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، لأنّ ما في سورة الأعراف موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء، وما في الحِجْر موافق لما قبله في مطابقة النِّداء، وزاد في سورة الأعراف الفاء التي هي للعطف ليكون الثاني مربوطًا بالأوّل، ولم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء لامتناع النداء منه؛ لأنه ليس بالذي يستدعيه النداء؛ فإن ذلك يقع مع السّؤال والطلب، وهذا قَسَمٌ عند أكثرهم، بدليل ما في ص، وخَبَرٌ عند بعضهم، والذي في ص على قياس ما في الأعراف دون الحِجْر؛ لأنّ موافقتهما أكثر على ما سبق، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، وهو قسم عند الجميع، ومعنى ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ يؤول إلى معنى ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، والله أعلم. [٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠، ص: ٨٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر وص، ومعناها: إلا عبادك الذين هديتهم فأخلصوا لك العبادة وحدك دون سائر خلقك. [٨٧] ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧، التكوير: ٢٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي ص والتكوير، والآية تبين أن هذا القرآن ما أنزل إلا تذكيرًا للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم. [٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]. غالب المواضع التي خوطب فيها النبي ﷺ بالإنزال أو التنزيل أو النزول إنْ عُدّي بـ"إلى" ففيه تكليف له، أو بـ"على" ففيه تخفيف عنه، فما في الآية الأولى تكليف له بالإخلاص في العبادة بدليل قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا﴾، وما في الآية الثانية تخفيف عنه بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾، أي: لست بمسؤول عنهم. [١] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سور الزمر والجاثية والأحقاف، وهي تبين أن هذا القرآن إنما هو منزّل من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه. [٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ...﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ...﴾ [الزمر: ٢]. =

[٦٣] ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [ص: ٦٣]، ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢]. ما الفرق بين: "سِخريًّا، سُخريًّا"؟ الجواب: وردت كلمة (سِخريًّا) بكسر السين: مرتين. بينما وردت كلمة (سُخريًا) بضم السين مرة واحدة. السِّخري (بكسر السين) هو الهزء والسخرية. والسُّخري (بضم السين) هو بمعنى السُّخرة والتسخير. (وهذا المعنى الأخير يتضح في قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢].

= وقيل: إن "أم" إذا جعلت (اتخذناهم) وما بعده صفة لرجال - تكون معادلة لمضمر محذوف تقديره، أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟. وقرئ: (أَتخذناهم) بقطع الهمزة مفتوحة وصلًا وابتداء على الاستفهام و"أم" متصلة لتقدم الهمزة. [٧٠] ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ﴾ قرئ: (إِنما) بكسر الهمزة على الحكاية، أي: ما يوحى إليّ إلا هذه الجملة، أو على أن يوحى فيها معنى القول دون حروفه، وتكسر "إن" بعد القول. وقرئ: (أَنما) بفتحها على أنها وما في حيزها نائب الفاعل، أي: ما يوحى إليّ إلا الإنذار، أي: إلا كوني نذيرًا مبينًا، ويحتمل أن يكون نُصِبَ أو جُرَّ بعد إسقاط لام العلة ونائب الفاعل حينئذ الجار والمجرور أي ما يوحى إلي إلا للإنذار. [٨٤] ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ قرئ: (فالحقُّ) بالرفع على الابتداء و"لأملأن" خبره، أو قسمي أو يمين أو على الخبرية، أي: أنا الحق، أو قوله الحق. وقرئ: (فالحقَّ) بنصبها، فالأول: إما مفعول مطلق، أي: أحق الحق، أو مقسم به حذف منه =

نزول سورة الزمر: نزلت بعد سبأ، وهي مكيّة، إلا ثلاث آيات: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ =

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: من آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء (راجع تفسير الآية ١٨٩ من سورة الأعراف). ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: هي الضأن والمعز والإبل والبقر. وجعلها ثمانية أزواج لأن كل واحد فيه زوج للذكر من نوعه. وقوله: «وأنزل لكم» معناه أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها. وقيل: المعنى: خلَق، لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء. ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يُنشئه خلقاً آخر. ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: فكيف تنصرفون وتنقلبون أيها الناس عن عبادة ربكم. ٧- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى. والمعنى: لا يُؤاخذ أحد بذنب أحد ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: يُخبركم. ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما تضمره القلوب وتستره، فكيف بما تُظهره وتُبديه؟ ٨- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾: مرض أو بلاء في جسمه، أو شدة ﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾: استغاث ربه وحده ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: تائباً إليه مما كان عليه من إشراك الآلهة به في عبادته ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾: منحه وأعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: عافية من بلاء، ورخاء من شدة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالاً وأشباهاً ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: ليرد من أراد أن يوحد الله ويؤمن به ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: إلى أن تستوفي أجلك! وعيد من الله تعالى وتهديد. ٩- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: معنى الكلام: أهذا كالذي جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله؟ و«القانت»: المطيع. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاته. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: ما لهم في طاعة ربهم، وما عليهم في معصيته؟ ١٠- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: قيل: صحة وعافية. وقيل: الجنة أي أن الذين يحسنون في الدنيا لهم حسنة في الآخرة. ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾: إنما يُعطى الصابرون، على ما لقوا في ذات الله في الدنيا، أجرهم في الآخرة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

[٩] قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ الآية. قال: نزلت في عثمان بن عفان. وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود، وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حذيفة. وأخرج جويبر عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

= إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن مشتملًا على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعًا بما أوحى الله إليك، ويَبَصِّرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -بكتمان الحق- مدافعًا عنهم بما أيدوه لك من القول المخالف للحقيقة...، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية الزمر: إنا أنزلنا إليك أيها الرسول القرآن يأمر بالحق والعدل، فاعبد الله وحده، وأخلص له جميع دينك... [٦] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩]، ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر : ٦]. عطف في آية الزمر بـ"ثم" الدالة على التراخي الرتبي؛ لأن مساقها الاستدلال على الوحدانية وإبطال الشريك بمراتبه، فكان خلق آدم دليلًا على عظيم قدرته تعالى، وخلق زوجه من نفسه دليلًا آخر مستقل الدلالة على عظيم قدرته، فعطف بحرف "ثم" الدال في عطف الجمل على التراخي الرتبي إشارة إلى استقلال الجملة المعطوفة بها بالدلالة، مثل الجملة المعطوفة هي عليها، فكان خلق زوج آدم منه أدل على عظيم القدرة من خلق الناس من تلك النفس الواحدة ومن زوجها، لأنه خلق لم تجر به عادة، فكان ذلك الخلق أجلب لعجب السامع من خلق الناس، فجيء له بحرف التراخي المستعمل في تراخي المنزلة لا في تراخي الزمن؛ لأن زمن خلق زوج آدم سابق على خلق الناس، فأمّا آية الأعراف فمساقها مساق الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد، فذُكر الأصلان للناس معطوفًا أحدهما على الآخر بحرف التشريك في الحكم.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] من فوائد وثمار الصبر: ١- مضاعفة الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]. ٢- تعليق الإمامة في الدين على الصبر، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤]. ٣- معية الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]. ٤- صلاة الله ورحمته وهدايته، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦]. =

= حرف القسم فانتصب، و"لأملأن" جواب القسم ويكون قوله: والحق أقول معترضًا أو على الإغراء، أي: الزموا الحق، والثاني: منصوب بأقول بعده. [٩] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ ﴾ قرئ: (أَمَنْ) بتخفيف الميم على أنها موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام التقديري، ويقدر معادل عليه: هل يستوي؟ أي: أمن هو قانت كمن جعل لله أندادًا؟ ولا بد من هذا الإضمار لأن التسوية تحتاج إلى اثنين وجملتين. وقرئ: (أَمَّن) بالتشديد فهي "أم" المتصلة دخلت على "من" الموصولة أيضًا، والاستفهام المعادل محذوف قبلها، أي: هذا الكافر خير أم الذي هو قانت؟ لكن تعقبه أبو حيان: بأن حذف المعادل الأول يحتاج إلى سماع، ولذا قيل: إنها منقطعة، والتقدير: بل أم من هو قانت كغيره؟.

[٦] ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦]. الظلمات الثلاث: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن الجنين في بطن أمه يكون محاطًا بثلاثة أغشية. يقول علم الأجنة: إن الجنين في بطن أمه يكون محاطًا بثلاثة أغشية صمّاء لا تنفذ الماء ولا الضوء ولا الحرارة، وهي الأغشية التي تعرف باسم المنبارية والأمنيونية والخوربونية، هذا الغشاء الذي لا ينفذ منه الضوء والحرارة ولا الماء، ألا يسمى باللغة العربية ظلمة؟! [٩] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاتها) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتهما)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن.

= بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣-٥٥]. عدد كلمات سورة الزمر: ألف ومائة وسبعون. عدد حروف سورة الزمر: أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية. أسماء سورة الزمر: وللسورة اسمان: سورة الزُّمَر، وسورة الغُرَف، قال وَهْب: من أراد أن يعرف قضاءَ الله في خَلْقه فليقرأ سورة الغُرَف. مواضيع سورة الزمر: =

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

١١، ١٢- ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: مفرداً له سبحانه، بالطاعة. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: من هذه الأمة، واللام للتعليل؛ أي: أمرت بما أمرت به لأجل أن أكون كذلك. وقيل: إنها مزيدة للتأكيد. ١٥- ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾: أيها المشركون، من الأوثان والأصنام التي تعبدون ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم. ١٦- ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: كهيئة الظُّلل المبنيّة، والمراد: أطباق من النار تلتهب عليهم ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللاً. ١٧- ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الشيطان، وكل ما عُبد من دون الله. ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تابوا ورجعوا، وأقبلوا إليه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ في الدنيا بالجنة في الآخرة. ١٨- ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: أرشده وأحسن ما يؤمرون به، فيعملون به. ١٩- ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾: وجبت عليه ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: في سابق علم الله ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: معناه: أفأنت تهديه إلى الإيمان فتنقذه من النار بالإيمان، لست على ذلك بقادر! قيل: يريد بذلك أبا لهب وولده ومن تخلّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان. ٢٠- ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾: عِالية في الجنة بعضُها فوق بعض ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: المتقين، يفي لهم بوعده. ٢١- ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾: فأجراه عيوناً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، واحدها: ينبوع ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بذلك الماء الذي أنزله من السماء، فجعله في الأرض عيوناً ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أنواعاً مختلفة ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: متكسراً فتاتًا، بعدما صار يابساً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: لتذكرة وموعظة لأصحاب العقول.

[١٧] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية أخرج جويبر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ الآية، أتى رجلٌ من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة مماليك، وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكًا، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

[١١، ١٢] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]. زاد مع الثاني لامًا؛ لأنَّ المفعول من الثاني محذوف، تقديره: وأُمرت أن أعبد الله لأن أكون، فاكتفى بالأول. قول آخر: أن متعلق "أُمِرْتُ" الثاني غير الأول؛ لاختلاف جهتيهما؛ فالأول أمره بالإخلاص في العبادة، والثاني أمره بذلك لأجل أن يكون أول المسلمين بمكة. [١١] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]. قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ بالإضافة، والأول ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ إخبار عن المتكلم؛ فاقتضى الإضافة إلى المتكلم، وقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ ليس بإخبار عن المتكلم، وإنما الإخبار "أُمرت"، وما بعده فضلة ومفعول. [١٣] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأنعام والزمر، ومقصدها: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، فخالفت أمره، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة. [١٥] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]. قل أيها الرسول: إن الخاسرين حقًّا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البيِّن الواضح، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: إن الخاسرين حقًّا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين يوم القيامة في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول. [٢٠] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ...﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ ...﴾ [الزمر: ٢٠]. الآيتان تتحدثان عن المتقين الذين خافوا ربهم، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وآية آل عمران تبين ما أعدَّ الله لهم من جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار..، وأمَّا آية الزمر فتوضح أن لهم في هذه الجنات غرفًا مبنية بعضها فوق بعض... [٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ﴾ [الحديد: ٢٠]. قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾، وفي الحديد: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ لأنَّ الفعل الواقع قبل قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾، في هذه السّورة مسند إلى الله تعالى، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾، فكذلك الفعل بعده: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ﴾. وأمَّا الفعل قبله في الحديد فمسند إلى النبات وهو: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾، فكذلك ما بعده وهو: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾، ليوافق في السّورتين ما قبل وما بعد.

= ٥- توقف النصر على الصبر، قال ﷺ: "اعلم أن النصر مع الصبر و أن الفرج مع الكرب و أن مع العسر يسراً" أخرجه الخطيب والديلمي، وصححه الألباني. ٦- محبة الله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ٧- اجتماع خصال الخير في الصابر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

[٩] ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة (الألباب) (١٦) مرة في كتاب الله،، كما وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها)، وكلٌ قد ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.

[١٤] ﴿دِينِي﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة، كما رود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاتهما) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتهما)، وقد ورد كلٌ (٩٢) مرة في القرآن الكريم. [٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]. المطر وماء الأرض: المطر من السماء مصدر لكل مصادر المياه في الأرض، فهو مصدر الأنهار ومصدر المياه الجوفية. ومصدر الينابيع، هذه الحقيقة التي لم يعرفها العلم الحديث إلا مؤخرًا.. على يد «بليسي» عام ١٥٧٠م، وسبق بها القرآن الكريم. ولم تعرف دورة المياه في الطبيعة=

- معظم مقصود السّورة: بيان تنزيل القرآن، والإخلاص في الدّين، والإيمان، وباطل عُذْر الكفّار في عبادة الأوثان، وتنزيه الحقّ تعالى عن الولَد بكلمة سُبْحَان، وعجائب صنع الله في الكواكب والأفلاك بلا عَمَد وأركان، والمِنَّة على العباد بإنزال الإنعام من السّماء في كلّ أوان، وحفظ الأولاد في أرحام الأمهات بلا أنصار -

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٢- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾: فسح قلبه لمعرفته والإقرار بربوبيته ووحدانيته ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: على بصيرة مما هو عليه. وتقدير الآية: أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه فلم يهتد لقسوته. ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾: الذين جفت قلوبهم، بَعُدت وأعرضت، عن ذكر الله، وهو القرآن. ٢٣- ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يشبه بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه ولا تضاد ﴿مَّثَانِيَ﴾: ثُنى فيه، كرر الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج، وردد فيه قصص الأنبياء في أمكنة كثيرة. وقيل: يُثنّى في التلاوة فلا يَمَلُّ سامعه، ولا يسأم قارئه. ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾: خوفاً من ربهم، إذا تُلي كتابه عليهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾: إلى التصديق به والعمل بما فيه. قال قتادة: هذا نعت أولياء الله، نعتهم بأنهم تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. ٢٤- ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: قيل: هو أن يُرمى به في جهنم مكبوباً على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه، ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من يتنعم في الجنان؟ ٢٧- ﴿مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: من كل شيء يحتاجون إليه، كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾. ٢٨- ﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾: غير ذي لبس ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: يقول عز وجل: جعلناه قرآناً عربياً، إذ كانوا عرباً، فيفهمون ما فيه من المواعظ، كي يتقوا ما حذرهم الله منه. ٢٩- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾: مثَّل الله مثلاً للكافر بالله، الذي يعبد آلهة شتى ويُطيعُ جماعة من الشياطين، وللمؤمن الذي لا يعبد إلا الله وحده. فضرب الله مثلاً للكافر: ﴿رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ﴾: يقول: هذا بين جماعة مالكين ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾: يعني: مختلفين متنازعين سيئةً أخلاقهم، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه فيه، وملكه فيه ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا﴾: خالصاً، يعني المؤمن الموحِّد ﴿لِّرَجُلٍ﴾ واحد ليس لأحد فيه شيء غيره، يعني: أن المؤمن لا يعبد غير الله، ولا يدين لشيء سواه ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾: هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئةً أخلاقهم، والذي يخدم واحداً لا يُنازعه فيه منازع، إذا أطاعه عرف له موضع إطاعته، ورضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه، فأي هذين أحسن حالاً، وأروح جسماً!؟ ٣١- ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾: فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ﴾ الآية تقدم سببها في سورة يوسف. [٣٦] قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق، عن معمر قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا، أو لنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ﴾ الآية.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]. فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعد لهم عذابًا أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلَّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لاتَّعظوا، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية فصلت: لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشد ذلًا وهوانًا، وهم لا يُنصَرون بمنع العذاب عنهم، وذلك بسبب كفرهم. [٢٧] ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الروم: ٥٨]، ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]. ولقد بينًا للناس في هذا القرآن من كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتهم أيها الرسول بأي حجة تدل على صدقك ليقولنَّ الذين كفروا بك: ما أنتم أيها الرسول وأتباعك إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية =

[٢٢] ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]. من أسباب قسوة القلب: ١- البعد عن طاعة الله والاشتغال بمعصيته. ٢- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل. ٣- نسيان الآخرة وما فيها من النعيم. ٤- الاشتغال بما يفسد القلب، ومفسدات القلب خمسة هي: كثرة المخالطة، والأماني الباطلة، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم. ٥- التكاسل عن أداء الطاعات وإضاعتها. ٦- عدم التأثر بآيات القرآن، لا بوعده ولا بوعيده. ٧- الغفلة، وهي داء وبيل، ومرض خطير. ٨-مصاحبة أصدقاء السوء والجلوس في الأجواء الفاسدة. ٩- نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله. ١٠- الإكثار من الفضوليات، فضول الأكل، والشرب، والكلام بغير ذكر الله، والنظر، والسمع، والنوم، والمخالطة، والاهتمام بما لا يعني المرء.. ١١- كثرة الضحك. ١٢- كثرة الذنوب. ١٣- نقض العهد والميثاق مع الله عز وجل. ١٤- عدم الرحمة بالخلق والإحسان إليهم. ١٥- التعصب للرأي وكثرة الجدال. ١٦- الابتداع في الدين. ١٧- ظلم الضعفاء وأكل المال الحرام وعدم التورع عن الشبهات. ١٨- كبر النفس واحتقار الآخرين. علاج قسوة القلب: ١- الدعاء والتضرع، وسؤال الله عز وجل. ٢- الإكثار من ذكر الله عزو جل. ٣- الإكثار من زيارة القبور للرجال. ٤- الإكثار من ذكر هادم اللذات. ٥- الإحسان لليتامى والأرامل والمساكين. ٦- أكل الحلال الطيب. ٧- ملازمة الاستغفار. ٨- النظر في آيات القرآن والتفكر في وعده ووعيده، وأمره ونهيه. ٩- تذكر الآخرة والتفكر في القيامة وأهوالها والجنة والنار. ١٠- الخلوة بالنفس ومحاسبتها ومجاهدتها. ١١- البعد عن مخالطة أصدقاء السوء، والحرص على مجالسة الصالحين. [٢٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت = [٢٩] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَجُلٗا سَلَمٗا﴾ قرئ: (سَالِمًا) بالألف وكسر اللام اسم فاعل، أي: خالصًا من الشركة. وقرئ: (سَلَمًا) بفتح السين واللام بلا ألف، مصدر وُصِفَ به مبالغة في الخلوص من الشركة.

= إلا حديثًا، حيث إن الفكرة التي كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول: إن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتيًا إليه من حفر وآبار في قيعان البحار، وقديمًا قال المفسرون في تفسير الآية: وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر. [٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ إعجاز عددي: =

= وأعوان، وجزاءُ الخَلْق على الشكر والكفران، وذكر شرف المتهجّدين في الدّياجير بعبادة الرّحمن، وبيان أجر الصابرين وذلّ أصحاب الخسران، وبشارة المؤمنين في استماع القرآن بإحسان، وإضافة غُرف الجنان لأهل الإخلاص والعِرفان، وشرح صدر المؤمنين بنور التوحيد والإيمان، وبيان أحوال آيات الفرقان، وعجائب =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٢- ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾: يعني بالقرآن ﴿مَثْوًى﴾: مأوى ومسكن. ٣٣- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: هو رسول الله ﷺ «بالصدق»: قول لا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أيضًا رسول الله. وقال علي بن أبي طالب وأبو العالية وجماعة: الذي جاء بالصدق: محمد، والذي صدق به: أبو بكر. وقيل: المصدقون به: المؤمنون كافة، وحمل الآية على هذا العموم أولى. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: اتقوا الشرك، وخافوا عقاب الله. ٣٥- ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا مما يُرضي الله عنهم، دون أسوئها. ٣٦- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: يعني محمداً ﷺ، ما يخوفه به المشركون، فيعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: يقول ويخوّفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين يعبدون من دون الله من الأوثان والآلهة، أن تصيبك بسوء!! وروي أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى كسر «العُزّى»، فقال سادنها: يا خالد إني أخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيء، فأخذ خالد الفأس فهشم به وجهها وانصرف. ٣٨- ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾: به أكتفي، وإياه أعبد، وإليه أفزع في أموري. ٣٩- ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على تمكنكم من العمل الذي تعملون ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على ما سلف من عمل أنبياء الله عز وجل قبلي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إذا جاءكم بأس الله. ٤٠- ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أي يهينه ويذلّه في الدنيا، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يفارقه أبداً في الآخرة.

= الزمر: ولقد ضربنا لهؤلاء المشركين بالله في هذا القرآن من كل مثل من أمثال القرون الخالية تخويفًا وتحذيرًا؛ ليتذكروا فيتزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. [٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:١٦]، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر : ٣١]. ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء، فهذا ما دلت عليه آية المؤمنون، أمّا الزمر: ثم إنكم جميعًا أيها الناس يوم القيامة عند ربكم تتنازعون، فيحكم بينكم بالعدل والإنصاف. [٣٥] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٩٦]، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر : ٣٥]. المراد من آية النحل التي افتتحت بـ"ما" الموصولة في قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ الإطلاق والعموم، فكانت في هذا الموضوع أولى من "الذي"... فالإطلاق أملك بها، وهو المقصود في النحل.. وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد.. ثم ناسبها ووافقها ورودها في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وأمّا آية الزمر فواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها، ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]، والمراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذي صدّق به متقدمو الصحابة ممن سبق وحسن تصديقه، كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره، وهؤلاء مخصوصون لا يشاركهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، وإليهم ترجع الضمائر من قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر : ٣٤]، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ [الزمر : ٣٥]، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية، فجاء بـ"الذي" في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

= نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف : ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف : ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف : ٦١].

[٣٥] ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥]. ما الفرق بين: "كَفَّرَ وغَفَرَ"؟ الجواب: ١- اختصت (كفّر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفّر) إلى (الله)، بينما أُسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفّر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ والجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوعٌ متعلقٌ بمعاصٍ في حق الله-تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه =

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ قوله تعالى: ﴿عَبْدَهُۥ﴾ قرئ: (عباده) بالألف على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين. وقرئ: (عبده) بغير ألف، أي: كافيك يا محمد أمر الكفار؛ فالمفعول الثاني فيهما محذوف. [٣٨] ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ قرئ: (كاشفاتٌ-وممسكاتٌ-ضرَّه-رحمتَه) بتنوين "كاشفات، وممسكات" ونصب "ضره" و"رحمته" اسم فاعل بشرطه، فيعمل عمل فعله، ويتعدى لواحد بنفسه وإلى آخر بعن، أي: عني. وقرئ: (كاشفاتُ-وممسكاتُ-ضرِّهِ-رحمتِهِ) بغير تنوين فيهما وجر "ضره" و"رحمته" على الإضافة اللفظية.

= تكرر كلٌّ من الدنيا والآخرة (١١٥)، مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا. [٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

= القرآن، وتمثيل أحوال أهل الكفر وأهل الإيمان، والخطاب مع المصطفى بالموت والفناءِ وتحلُّل الأبدان، وبشارة أهل الصّدق بحسن الجزاءِ والغفران، والوعد بالكِفاية والكِلاءَة للعُبدان، وبيان العجز عن العون، والنّصرة للأصنام والأوثان، وعجائب الصنع في الرّؤيا والنوم وماله من غريب الشان، ونُفرة الكفّار من =

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

٤١- ﴿لِلنَّاسِ﴾: أي: لأجلهم ولبيان ما كُلِّفوا به. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم بل ليس عليك إلا البلاغ، وقد فعلت. ٤٢- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾: إلى آخر الآية: ذُكِر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل الأرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى انقضاء مدة حياتها. وفي تفسير الآية اختلاف كثير. ٤٣- ﴿أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: معنى الكلام: قل لهم يا محمد: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء، ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً، ولا يعقلون شيئاً؟! ٤٤- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. ٤٥- ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت من توحيد الله عز وجل وانقبضت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: الآلهة التي كانوا يعبدون ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون. وهذه القلوب والعقول والنفوس والأفهام التي تشمئز من التوحيد، وتسرّ وتفرح وتستبشر بكل ما سوى الله - أمرها عجيب غريب، وأعجب ما فيها أنها لم تنقطع عبر عصور التاريخ! ٤٦- ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾: تجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، فيظهر بذلك من هو المحق ومن هو المبطل فيما كانوا فيه يختلفون. ٤٧- ﴿وَبَدَا لَهُم﴾: ظهر لهم ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾: ظهر لهم من عقاب الله وشدة عذابه ما لم يكن في حسبانهم. وفي هذا تهديد بالغ ووعيد عظيم.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن مجاهد: أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة، وفرحهم عند ذكر الآلهة، كما زُعم في الرواية الباطلة.

[٤١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]. غالب المواضع التي خوطب فيها النبي ﷺ بالإنزال أو التنزيل أو النزول إنْ عُدّي بـ"إلى" ففيه تكليف له، أو بـ"على" ففيه تخفيف عنه، فما في الآية الأولى تكليف له بالإخلاص في العبادة بدليل قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾، وما في الآية الثانية تخفيف عنه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾، أي: لست بمسؤول عنهم. [٤١] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الزمر: ٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾. سورة الزمر لم يذكر فيها "إنما يهتدي"؛ لأنها متأخرة عن تلك السّور؛ فاكتفى بذكره فيها. قول آخر: قال: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ في يونس والإسراء والنمل بصيغة قصر الاهتداء على نفس المهتدي؛ لأن الأمر فيها بمخاطبة المشركين، فكان المقام فيها مناسبًا لبيان أن فائدة اهتدائهم لا تعود إلا لأنفسهم، أي: ليست لي منفعة من اهتدائهم، خلافًا لآية الزمر، فإنها خطاب موجه من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ليس فيها حال من ينزل منزلة المدل باهتدائه. [٤٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. إن الذين جحدوا وحدانية الله، وشريعته، لو أنهم سلكوا جميع ما في الأرض، وملكوا مثله معه، وأرادوا أن يفتدوا أنفسهم يوم القيامة من عذاب الله بما ملكوا، ما تَقبَّل الله ذلك منهم، ولهم عذاب مُوجع، فهذا ما دلت عليه آية المائدة، أمّا آية الزمر: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله ما في الأرض جميعًا مِن مال وذخائر، ومثله معه مضاعفًا، لَبذلوه يوم القيامة؛ ليفتدوا به من سوء العذاب، ولو بذلوا وافتدوا به - ما قُبِل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئًا، وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم.

= بالندم، والإقلاع عن المعصية، والعزم على عدم العودة إليها أبدًا. ٢- ونوعٌ يتعلق بمعاصٍ في حقّ العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوبًا» أو «خطايا» والعفو عنها «غفرانًا» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيرًا). أمثلة: أولًا- (كفر): ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٥]. ثانيًا- (غفر): ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟﴾ [التغابن: ١٤]. [٣٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦]. قال ابن القيم رحمه الله: (الكفاية على حسب العبودية). فكلما ازدادت طاعتك لله ازدادت كفاية الله لك. [٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]. قال مجاهد: (عملوا أعمالًا توهّموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات). وقال سفيان الثوري: (ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم، وقصتهم). [٥٤] ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]. قال ابن القيِّم: الإِنَابَةُ هِيَ عُكُوفُ القَلْبِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَاعْتِكَافِ البَدَنِ فِي المَسْجِدِ لَا يُفَارِقُهُ، وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ عُكُوفُ القَلْبِ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَذِكْرِهِ بِالإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَعُكُوفُ الجَوَارِحِ عَلَى طَاعَتِهِ بِالإِخْلَاصِ لَهُ وَالمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْكُفْ قَلْبُهُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، عَكَفَ عَلَى التَّمَاثِيلِ المُتَنَوِّعَةِ، كَمَا قَالَ إِمَامُ الحُنَفَاءِ لِقَوْمِهِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

[٤٢] ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ قرئ: (قُضِيَ-الموتُ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء مبنيًا للمفعول، و"الموت" بالرفع نائب الفاعل. وقرئ: (قَضَى-الموتَ) بفتح القاف والضاد مبنيًا للفاعل، و"الموت" بالنصب مفعوله.

= سماع ذكر الواحد الفَرْد الديّان، والبشارة بالرّحمة لأهل الإيمان، وإظهار الحسرة والنّدامة يوم القيامة من أهل العصيان، وتأسفهم في تقصيرهم في الطّاعة زمان الإمكان، وإضافة المُلك إلى قبضة قدرة الرّحمن، ونفْخ الصُور على سبيل الهيبة، والسّياسة، وإشراق العَرَصات بنور العدل، وعظمة السلطان، وسَوْق الكفّار بالذلّ والخزي إلى دار العقوبة والهوان، وتفريح المؤمنين بالسّلام عليهم في دار الكرامة، وغُرف الجنان، وحكم الحقّ بين الخَلْق بالعدل، وختمه بالفضل والإحسان.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٨- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: وجب عليهم ولزمهم عذاب الله، الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا. ٤٩- ﴿مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أصابه. والمراد بالإنسان هو: جنس الإنسان وقيل: الكفار فقط. ﴿ضُرٌّ﴾: بؤس وشدة ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾: أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: فرجاً وسعةً ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أعطيته: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي من الله عز وجل بأني له أهل لشرفي، ورضاه بعملي. وقيل: على علم منّي بوجوه المكاسب، ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾: اختبار اختبرناهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأي سبب أعطوا ذلك. فقد يكون استدراجاً وامتحاناً.. ٥٠- ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي: لم يُغن عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من أعمالهم، وعبادتهم الأوثان، لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولا شفعت لهم. ٥١- ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من مشركي مكة، أو من هؤلاء المعاصرين. ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ لا يفوتون ربهم، ولا يسبقونه هرباً. ٥٢- ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيّق الرزق على من يشاء من عباده. ٥٣- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عنى بذلك: جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك. والمراد بالإسراف: اقتراف المعاصي والآثام. ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ لا تيأسوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: يسترها كلها بعفوه ورحمته سبحانه. ٥٤- ﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: اقبلوا إلى ربكم بالتوبة، وراجعوه بالطاعة ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُۥ﴾: اخضعوا له بالطاعة، والإقرار بالحنيفية. ٥٥- ﴿وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: يعني القرآن، يقول: أحلّوا حلاله، وحرموا حرامه، والقرآن كله حسن، فهو كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾. ﴿بَغْتَةً﴾: فجاة. ٥٦- ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: لئلا تقول نفس: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾: يا ندماً. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: ضيعت ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: في أمر الله وطاعته ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: المستهزئين بأمر الله عز وجل.

[٥٣] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الآية تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة. وأخرج الحاكم، والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول: ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الآية. وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلق أثامًا، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مُهانًا؟ وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية. فقال وحشي: هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحًا، فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا ادري أيغفر لي ام لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قال وحشي: هذا نعم، فأسلم.

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر:٤٨]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الجاثية : ٣٣]. ﴿مَا كَسَبُوا﴾ في سورة الزمر وقع بين ألفاظ الكسب، وهو قوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر : ٢٤]، وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٨]، و﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الجاثية : ٣٠]، وبعده: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾، فخُصّت كلّ سورة بما اقتضاه طرفاها. [٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم : ٣٧]، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر:٥٢]. بسط الرزق مِمَّا يشاهَد ويرى، فجاءَ في سورة الروم على ما يقتضيه اللفظ والمعنى، وفي سورة الزمر اتّصل بقوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ وبعده: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٤٩]، فحسن ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا﴾. [٥٥] ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ [الأعراف : ٣]، ﴿وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ...﴾ [الزمر : ٥٥]. اتبعوا أيها الناس ما أُنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء...، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، أمَّا آية الزمر: واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم، وهو القرآن العظيم، وكله حسن، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه...

[٦٦] ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر : ٦٦]. ولم يقل (بل اعبد الله) لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة له دون غيره. [٦٦] ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر : ٣٦]. فكما أنه تعالى يُشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكر ويُثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نِعَمُ الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين بسبب جهلهم، وإلا فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب لنعمة تستحق عليه زيادة الشكر. [٧٢] ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر : ٧٢] تعريف الكبر: الكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره. أسباب الكبر: ١- الكبر بالعلم. ٢- الكبر بالعمل والعبادة. ٣- الكبر بالحسب والنسب. ٤- الكبر بالجمال. ٥- التكبر بالمال. ٦- التكبر بالقوة وشدة البطش والكبر به على أهل الضعف. ٧- التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة والأقارب. آثار الكبر: ١- المتكبر إن سمح بممشاه مع الناس يكون متقدمًا عليهم حريصًا جدًا أن يكونوا كلهم خلفه. ٢- المتكبر إن جلس مع الناس ورضي أن يكونوا جلساءه، تجده محتفظًا بصدر المجلس مستقلًا به، ويستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، ويسره أن يصغوا إلى كلامه، ويؤلمه كلام غيره، وتجده ينتظر من الناس أن يتلقوا كلامه بالقبول والتصديق. ٣- ومن آثاره تصعير الخد، والنظر شزرًا، وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه. ٤- ومن آثاره ما يظهر في صوت المتكبر ونغمته وصيغة كلامه. ٥- ومن آثاره ما يظهر في مشية المتكبر وتبختره وحركاته. ٦- ومن آثاره أن لا يتعاطى المتكبر شغلًا في بيته. وهو خلاف التواضع، وقد كان النبي ﷺ كما روت عائشة "في مهنة أهله" يعني خدمتهم. أخرجه البخاري. ٧- ومن آثاره أن لا يحمل

[٥٦] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ قرئ: (ياحسرتايَ) بألف بعد التاء وياء بعدها مفتوحة، واختلف في إسكان الياء وفتحها وكلاهما صحيح كما في "النشر"، جمعًا بين المعوض والمعوض عنه، أو أنه تثنية "حسرة" مضاف لياء المتكلم، وعوض: بأنه كان ينبغي أن يقال: حسرتيّ بإدغام ياء النصب في ياء الإضافة، ويجوز: أن يكون رَاعَى لغة من يقول: رأيت الزيدان. وقرئ: (ياحسرتَا) بالتاء المفتوحة وبعدها ألف بدلًا من ياء الإضافة.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٥٧- ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾: أرشدني إلى دينه لكنت ممن يتقي الشرك والمعاصي. وهذا من جملة ما يحتج به المشركون ويتعلّلون بالباطل. ٥٨- ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا. ٥٩- ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾: حججي، وكتابي ورسولي. ٦٠- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾: كذبوا عليه بادّعاء الشريك والولد، أو قالوا إنه يأمر بالفحشاء ونحو ذلك ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾: لما أحاط بهم من العذاب، وشاهدوه من غضب الله ونقمته. أما الذين يكذّبون الله- والعياذ بالله تعالى- كمن نسبوا كتابه الكريم إلى التحريف والتبديل والتغيير، وقد تكفل الله تعالى بحفظه بقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فإن هؤلاء أشد كفراً وضلالاً وعاقبةً من أولئك الذين كذبوا على الله. ﴿مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: مأوى ومسكن. ٦١- ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: بفوزهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: أي: لا يمسهم من أذى جهنم شيء ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فاتهم من شيء من الدنيا. ٦٢- ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: قيم بالحفظ والكلاء، أي هو القائم سبحانه، على حفظ كل شيء ورعايته وتدبيره، من غير مشارك له. ٦٣- ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مفاتيح خزائن السماوات والأرض. ٦٥- ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: ليبطلن ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من الهالكين. وهذا من باب التعريض لغير الرسل، لأن الله سبحانه قد عصمهم من الشرك، وفيه تحذير وإنذار للعباد من الوقوع فيه. ٦٧- ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: ما عظّموا الله حق عظمته، إذ يدعونك إلى عبادة الأوثان ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له. [٦٤] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ الآية: سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون. وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. [٦٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مر يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه، والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية. والحديث في الصحيح بلفظ: فتلا، دون، فأنزل. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة، فلما فرغوا أخذوا يقدرونه، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب، فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله هذه الآية. وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قالوا: يا رسول الله، هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية.

[٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر : ٦٣]، ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ...﴾ [الشورى: ١٢]. لله مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يعطي منها خَلْقَه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخِذْلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسّع رزقه على مَن يشاء من عباده ويضيّقه على مَن يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه. [٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ...﴾ [الأنعام : ٩١]، ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٧٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ...﴾ [الزمر :٦٧]. الآيات تبين أنه ما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه؛ وآية الأنعام توضح أنهم أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه..، أمّا آية الحج فتبين أنهم جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب، وآية الزمر توضح أنهم عبدوا مع الله غيره مما لا ينفع ولا يضر، فسوَّوا المخلوق مع عجزه بالخالق العظيم، الذي من عظيم قدرته أن جميع الأرض في قبضته يوم القيامة...

= متاعه إلى بيته ولو كان لا يثقله. ٨- ومن آثاره إمالة غطاء رأسه إلى الجبهة أو إلى جانب الرأس فخرًا وتكبرًا وبطرًا. ٩- ومن آثاره إسبال الثياب مع التفاخر بها، والتزين والتجمل بذلك للشهرة والمخيلة. ١٠- ومن آثاره أن المتكبر يحب قيام الناس له أو بين يديه. ١١- ومن آثاره أن لا يتواضع بالاحتمال إذا سُب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. ١٢- ومنها أن لا يزور غيره، وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين، وهو ضد التواضع. ١٣- ومنها أن المتكبر لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه. ١٤- ومنها أن المتكبر يعامل غيره معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف. ١٥- ومنها أنه لا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم. علاج الكبر: ١- أن يعرف الإنسان ربه ويعرف نفسه. ٢- التواضع لله بالفعل، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين المتبعين لطريقة سيد المرسلين. ٣- التأمل في عاقبة الكبر السيئة. ٤- معرفة ما أعده الله للمتكبرين في الآخرة من الوعيد الشديد. ٥- أن صاحب الكبر لا يحبه الله. ٦- الدعاء بأن يعيذك الله تعالى من الكبر والتعاظم والخيلاء. [٧٣] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر : ٧٣]. تأمل في سوق الفريقين إلى الدارين زمرًا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة، كل مشتركين في عمل متضامنين فيه على زمرتهم وجماعتهم، مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضًا، ويفرح بعضهم ببعض وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرًا، يلعن بعضهم بعضًا، ويتأذى بعضهم ببعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة من أن يساقوا واحدًا واحدًا، فلا تهمل تدبر قوله: زمرًا. [٦١] ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ قرئ: (بمفازاتهم) بالألف على الجمع؛ لاختلاف أنواع ما ينجو منه المؤمن يوم القيامة، ولأنه ينجو بفضل الله وبرحمته من شدائد وأهوال مختلفة، وقرئ: (بمفازتهم) بغير ألف على التوحيد؛ لأن المفازة والفوز واحد، فوحد المصدر لأنه يدل على القليل والكثير بلفظه. [٦٤] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ قرئ: (تامروني) بنون خفيفة على حذف النونين لاجتماع المثلين، وهو ضعيف، يأتي في الشعر؛ لأنه إن حذف الأولى حذف علامة الرفع، وإن حذف الثانية حذف الفاصلة بين الفعل والياء، أي: نون الوقاية التي تقي الفعل من الكسر، والمختار مذهب سيبويه: أنها نون الرفع، وقيل: نون الوقاية، وعلى كل حال هو ضعيف كما تقدم. وقرئ: (تامرونَني) بنونين خفيفتين مفتوحة فمكسورة على الأصل. وقرئ: (تامرونّي) بنون مشددة، أدغمت نون الرفع في نون الوقاية.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: الصور: هو القَرْن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وهذه هي النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾: مات ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: حين يبعثون. وروي أن ما بين النفختين أربعون سنة. ٦٩- ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: اضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾: بعدله وحكمه سبحانه ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب أعمالهم، لمحاسبتهم ومجازاتهم ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: إلى الموقف فسئلوا عما أجابتهم به أممهم. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: الشهود من أمة محمد، ليستشهدهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله إلى أممها. ٧١- ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جماعات، جماعةً جماعةً، وحزباً حزباً ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾: وجبت. ٧٢- ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مسكنُ. ٧٣- ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أمنةٌ من الله لكم، أن ينالكم بعدها مكروه او أذى ﴿طِبْتُمْ﴾: طاب أعمالكم، وطاب مثواكم ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: ماكثين، لا تتحولون عنها أبداً. ٧٤- ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: ارض الجنة، وحظَّ أهل النار منها لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: نتخذ ونسكن منها حيث نُحب ونشتهي. وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درّيٍّ في السماء إضاءةً».

[٦٨] ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل : ٨٧]، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ [الزمر : ٦٨]. آية النمل في نفخة البعث، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾، وآية الزمر في نفخة الموت، ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾. [٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر : ٧١]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر : ٧٣]. لماذا ذكرت "ربهم" و"الواو" في صفة أهل الجنة؟ والجواب والله أعلم: أن عدم ذكر كلمة "ربهم" مع الذين كفروا هو لسببين: الأول: أنهم يساقون إلى النار، والثاني: أنهم لا يستحقون أن تذكر كلمة ربهم معهم، فلا نقول: وسيق الذين كفروا ربهم إلى جهنم، لأن كلمة الرب فيها نوع من التكريم، فالربوبية رعاية ورحمة، ولا تنسجم مع السوق للعذاب، ولا يراد لهم أن يكونوا قريبين من ربهم، لكنها منسجمة مع سوق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة، فهي في هذه الحالة مطلوبة ومنسجمة ومحببة إليهم. أما عن ذكر الواو في الآية الثانية، فلأن الواو واو الحال، وذلك أن الأكابر الأجلاء الأعزاء تفتح لهم أبواب الأماكن التي يقصدونها قبل وصولهم إليها إكرامًا لهم وتبجيلًا وصيانة عن وقوفهم منتظرين فتحها، والمهان لا يفتح له الباب إلا بعد وقوفه وامتهانه؛ فذكر أهل الجنة بما يليق بهم، وذكر أهل النار بما يليق بهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص : ٥٠]. [٧٤] ﴿... وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف : ٤٣]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر : ٣٤]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر : ٧٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن أهل الجنة وشكرهم لله على هذه النعمة العظيمة.

[٧٤] ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر : ٧٤]. يقول ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة: وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهَّرها من كل عيب وآفة ونقص. فإن سألت عن أرضها وتربتها: فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها: فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاطها: فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبائها: فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها: فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن أشجارها: فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب. وإن سألت عن ثمرها: فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها: فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. ويقول ابن القيم أيضًا في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي منادٍ يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحيى على زيارته، فيقولون سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء- على كثبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.

[٧١] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ﴾ معًا هنا و"النبأ : ١٩" قرئ: (فتِحت) بتخفيف التاء من فتح الثلاثي يفتح. وقرئ: (فتّحت) بالتشديد على التكثير من فتّح المضعف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٧٥- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾: مُحدقين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: عرش رب العالمين. ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فتح الله عز وجل أول الخلق، بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة الأنعام الآية: ١]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

سُورَةُ غَافِرٍ

هذه السورة أول الحواميم السبع، وقد روي فيها أنها ديباج القرآن، وجميعها نزلت بمكة.
١- ﴿حمٓ﴾: نظير ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾. ٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: معنى الكلام: تنزيل هذا الكتاب ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. ٣- ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾: يقبل التوبة من عباده. و«التوب»: مصدر بمعنى التوبة، من تاب يتوب توبةً وتوباً. وقيل هو جمع توبة. ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذي الفضل والنعمة المبسوطة على خلقه. ٤- ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾: يخاصم بالإنكار. وقيل: يجادل بالباطل لدحض الحق. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في حججه وأدلته على وحدانيته ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾: لا يخدعك ﴿تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: بقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم، فتحسب أنهم أمهلوا لأنهم على شيء من الحق، إنما ذلك ليبلغ الكتاب أجله. ٥- ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾: الكفار ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: فيقتلوه، ووجهت «الهاء والميم» إلى الرجال دون لفظ «الأمة». ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: ليُبطلوا بخصومتهم من الباطل الحق الذي جاءهم به. ٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾: وجبت. ٧- ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يُصلون لربهم بحمده ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: لأهل لا إله إلا الله، ويقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: علمت كل شيء من خلقك فلم يخفَ عليك، ورحمت خلقك فوسعتهم برحمتك ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: من الشرك بك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾: طريق عبادتك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: احفظهم منه. [٤] قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي. [١] ﴿حمٓ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حمٓ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٦] ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦]. آية غافر تقدمها قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤]، ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب، وهمّ كل أمة برسولهم ليأخذوه، وأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذهم الله وأهلكهم، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فلما تقدم في هذه السورة ذكر من حقت عليه كلمة العذاب عطف عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾، أمّا آية يونس فلم يتقدم قبلها فيما اتصل بها مقال عمّن ذكر ممن حقت عليه كلمة العذاب، فأتى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾، بصورة الاستئناف غير المعطوف، إذ لم يتقدم ما يعطف عليه. [٧] ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. ما هو وجه تخصيص سؤال الاستغفار للمؤمنين في غافر وتعميمه في الشورى؟ الجواب: أن ذلك جار بحسب المناسبة، ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر من ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٤]،=

[٧٥] ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حذف فاعل القول، لأنه غير معين، بل كل أحد يحمده على ذلك الحكم الذي حكم فيه، فيحمده أهل السماوات وأهل الأرض، والأبرار والفجار، والإنس والجن، حتى أهل النار، قال الحسن أو غيره: (لقد دخلوا النار، وإن حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلا). [٣] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. ما الفرق بين: "كفّر وغفر"؟ الجواب: ١- اختصت (كفّر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفّر) إلى (الله)، بينما أُسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفّر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا؟ والجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوعٌ متعلقٌ بمعاصٍ في حق الله- تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبدًا. ٢- ونوعٌ يتعلق بمعاصٍ في حقِّ العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة، إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوبًا» أو «خطايا» والعفو عنها «غفرانًا»، وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيرًا). أمثلة: أولًا- (كفّر): ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزمر: ٣٥]. ثانيًا- (غفر): ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟﴾ [التغابن: ١٤]. [٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ ...﴾ [غافر: ٧]. في هذه الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم، فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي، ولا بين ملك وبشر، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى. قال أحد السلف: ما أكرم المؤمن على الله! نائمٌ على فراشه، والملائكة يستغفرون له. وقال آخر: علمت الملائكة أن الله عز وجل يحب عباده المؤمنين فتقربوا إليه بالشفاعة فيهم، وأحسن القرب أن يُسأل المُحب إكرام حبيبه، فإنك لو سألت شخصًا أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده، حيث تحثه على إكرام محبوبه.

نزول سورة غافر: نزلت بعد سورة الزمر، وهي مكيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة غافر: ألف ومائة وتسع وتسعون. عدد حروف سورة غافر: أربعة آلاف وتسعمائة وستون. أسماء سورة غافر: لها ثلاثة أسماء: سورة المؤمن؛ لاشتمالها على حديث مؤمن آل فرعون. وسورة الطَّوْل. وسورة حم الأولى؛ لأنها أولَى ذوات حم. =

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٩- ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم. وقيل: قهم العقوبات، أو جزاء السيئات. ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: أي يوم القيامة. ١٠- ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم، فنودوا: لمقت الله إياكم في الدنيا اكبر ﴿إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾: أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم إذ عاينتم النار. ١١- ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم فيها، ثم أحياهم للبعث ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾: إلى كرَّة، رجعة، إلى الدنيا. ١٢- ﴿ذَٰلِكُم﴾: معناه: هذا الذي لكم من العذاب ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾: القضاء اليوم لله دون غيره. ١٣- ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: إلا من يرجع إلى توحيد الله عز وجل، وقيل: إلى طاعته. ١٤- ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الطاعة. ١٥- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: يقول تعالى: هو رفيع الدرجات ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾: يُنزِّل الوحي ﴿لِيُنذِرَ﴾: من ألقي الروح إليه من عباده من أمر الله عز وجل بإنذاره، عذاب ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يوم يلتقي أهل السموات وأهل الأرض في الحشر، وهو يوم القيامة. وقيل: معناه: تلاقي الناس مع بارئهم سبحانه. ١٦- ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: ظاهرون لعيون الناظرين ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: ذكر أن الرب جل جلاله يقول ذلك يومئذ، فلا يدعي الملك أحد غيره فيُجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾. وقيل: هو حكاية لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم، لانقطاع دعاوى المبطلين. قال ابن عطية رحمه الله تعالى: «وإذا تأمل المؤمن أنه لا حول لمخلوق ولا قوة إلا بالله، فالزمان كلّه وأيام الدهر أجمع إنما الملك فيها للواحد القهار، لكن ظهور ذلك للكفرة والجهلة يتضح يوم القيامة».

[١٢] معنى اسم الله العلي: (العَلِيُّ، الأعْلَى، المُتَعَالِ): وذلك دالّ على أن جميع معاني العلوّ ثابتة لله من كل وجه. فله علوّ الذات؛ فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى: أي علا، وارتفع. وله علوّ القدر: وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، وبذلك يُعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته. وله علوّ القهر؛ فإنه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكنْ، فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأْهُ الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته، وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه. [١٢] معنى اسم الله الكبير: وهو ﷻ الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى. وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه. قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه سبحانه عز وجل. [١٦] معنى اسم الله الواحد: وهو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده، عقداً، وقولاً، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرّده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة. والأحد، يعني: الذي تفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال وحمد، وحكمة ورحمة، وغيرها من صفات الكمال. فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه. فهو الأحد في حياته وقيّوميّته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته، من كل صفة من هذه الصفات. ومن تحقيق أَحَدِيَّتِهِ وتفرّده بها أنه ((الصمد))، أي: الرب الكامل، والسيد العظيم، الذي لم يبقَ صفة كمال إلا اتّصف بها. ووُصف بغايتها وكمالها، بحيث لا تُحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تُعبّر عنها ألسنتهم. [١٦] معنى اسم الله القهار: هو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت =

= إلى ختام السورة، ثم تبع ذلك قوله تعالى في مطلع سورة غافر: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ [غافر: ٣]، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين بصفات المذكورين، ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبرًا عن ملائكته بقولهم داعين: ﴿ فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى أثناء هذه الآية: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [غافر: ٥]، فتأنيس للمؤمنين، وباعث على شكر النعمة على ما منَّ به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذب وعاند، فبان التناسب في هذا كله. وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة فصلت: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت: ٥٢] إلى قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: ٥٤]، ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥]، فناسب هذا استغفارهم لمن في الأرض لعظيم ما تقدم منهم مما أشار إليه قوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ ﴾، فلولا حلمه تعالى لعجّل هلاكهم، فاستغفار الملائكة إبقاء منه سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة منهم، فقد وضح مناسبة الوارد في الموضعين لما بني عليه، وأن عكس الوارد غير مناسب.

[٣] ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣]، ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقان: ٧١]. ما الفرق بين: "التوبة والتوب والمتاب"؟ الجواب: وردت كلمة (توبة) سبع مرات، بينما وردت كلمة (التوب) مرة واحدة، ووردت كلمة (متاب) مرتين. (التوبة) و(التوب) مصدران، غير أن التوبة أقوى وأشد معنًى من (التوب) لذا وردت كل منهما في موضعها المناسب. أما (متاب) فلها معنيان: ١- اسم مكان من التوبة: أي مرجعي (معنىً بالتوبة وحسيًّا بالمعاد). ٢- مفعول مطلق (يتوب متابًا). كما أن (متابًا) اتسقت مع الفواصل التي اكتنفتها (سلامًا- قيامًا- غرامًا- مقامًا- قوامًا- مهانًا- متابًا- كرامًا- إمامًا- سلامًا- مقامًا- لزامًا). [١١] ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ [غافر: ١١]. أي: إماتتين وإحياءتين، لأنهم كانوا نطفًا أمواتًا فأحيوا ثم أُميتوا، ثم أُحيوا للبعث، وهذا كقوله: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٨].

= مواضيع سورة غافر: معظم مقصود السّورة: المِنَّة على الخَلْق بالغفران، وقبول التوبة، وخطبة التوحيد على جلال الحقّ، وتقلب الكفار بالكسب والتجارة، وبيان وظيفة حَمَلة العرش، وتضرّع الكفَّار في قَعْر الجحيم، وإظهار أنوار العَدْل في القيامة، وذكر إهلاك القرون الماضية، وإنكار فرعون على موسى وهارون، ومناظرة =

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

١٧- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لأنه سبحانه لا يحتاج إلى عدٍّ وفكر، لأنه أحاط بكل شيء علماً، فلا يعزب عنه مثقال ذرة. وقيل: إن الله تعالى يفرغ من حساب عباده والقضاء بينهم قبل أن ينتصف اليوم. ١٨- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يوم القيامة، سُميت بذلك لقربها، من: أزف الشيء: إذا قرب. والتقدير: يوم الساعة الأزفة. ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: أي: عند الحناجر، قد شخصت من صدورهم فتعلقت من حلوقهم، وذلك من الخوف والغم والكرب، وهذا قد يكون حقيقة يوم القيامة، ويحتمل أن يكون تجوّزاً، عبّر به عما يجده الإنسان من الجزع بصعود القلب. ﴿كَـٰظِمِينَ﴾: يرومون ردَّها إلى أماكنها فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتون. وقيل: المعنى: مغمومين مكروبين ممتلئين غماً. ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾: للكافرين بالله ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريب ينفعهم ويعنيه أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: يشفع لهم. ١٩- ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: يعلم الله ما خانت أعين عباده إذا نظرت، وما تُريد من نظر تنظره، وتنوي فيه. ٢٠- ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾: يجازي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة. ٢١- ﴿مِن وَاقٍ﴾: من دافع يقيم بأس الله، ويدفع عنهم العذاب. ٢٢- ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: عاقبهم جزاء صنيعهم. ٢٣- ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حجة مبينة، واضحة، وهي التوراة. ٢٤- ﴿فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾: رؤساء المكذبين بموسى، والذين قالوا عنه إنه ساحر كذاب: هم فرعون ووزيره وصاحب الأموال والكنوز. ٢٥- ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾: استبقوهم، على قيد الحياة، للخدمة ﴿وَمَا كَيْدُ﴾: احتيال ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾: جور عن سبيل الحق.

= لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالَم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره مستلزم: لحياته، وعزته، وقدرته، فلا يتم قهره للخليقة إلا بتمام حياته، وقوة عزّته واقتداره. إذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان.

[١٨] ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم : ٣٩]، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ [غافر : ١٨]. اليوم المشار إليه يشتمل على مواقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة، وبحسب ذلك تختلف العبارة والأخبار لاختلاف المقاصد والمواطن... فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين لأهل النار بتأبيد خلودهم واستمرار عذابهم إلى غير نهاية، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك، فلا أشد فرحًا من أهل الجنة يومئذ، ولا أشد حسرة من أهل النار...، وأمّا آية سورة المؤمن فقد ورد قبلها قوله تعالى خطابًا للمؤمنين: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر : ١٤]، ثم تابع الكلام معه إلى الآية من قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾، فخوّفوا بإسراع أمر الساعة وتعجيل وقوعها... [٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم : ٩، فاطر : ٤٤، أول غافر : ٢١] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف : ١٠٩، الحج : ٤٦، غافر : ٨٢، محمد : ١٠]. كل موضع تقدم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه في المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار، فيكون ذاك مؤديًا إليه، وإنما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية من الأولى، فقوله في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ [يوسف : ١٠٩]، أي: لم يكونوا إلا رجالًا أرسلوا إليهم فخالفوهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم لتجتنبوا ما يجلب عليكم مثل حالهم، وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو بعد قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٥]، فكأنه قال: إذا كان كذا فسيروا في الأرض واعتبروا، فأمّا قوله في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه لم يتقدمه ما يصير هذا كالجواب عنه، إذ لم يجر ذكر حال أمة من الأمم خالفت نبيها فعوقبت على فعلها، بل الآية التي قبلها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الروم : ٨]، فكان الموضع موضع الواو، وهذا مع أنه معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟﴾ وهو بالواو، فكان حمله على ذلك مع اقتضاء المعنى للواو هو الواجب، وكذلك ما جاء في سورة فاطر، وسورة غافر... فالآيات التي تقدمت هذا ليس فيها ما يقتضي أنْ يكون هذا كالجواب له، فلذلك جاء بالواو... [٢١] ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم : ٩]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ [فاطر : ٤٤]، ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر : ٢١]. قوله تعالى في الروم: ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ إخبارٌ عمّا كانوا عليه قبل الإهلاك، وخصّت سورة الروم بهذا النسق لما يتّصل به من الآيات بعده، وكلّه إخبار عمّا كانوا عليه وهو: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾، وفي فاطر: ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟﴾ بزيادة الواو؛ لأنَّ التقدير: فينظروا كيف أهلكوا =

[٢٩] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. ما الفرق بين: "الرُّشد والهُدَى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمّ، ووردوها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٣ - ٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير بخلاف ما جاء مع =

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ﴾ قرئ: (تدعون) بالخطاب للكفار، أو على الالتفات، أو إضمار قل. وقرئ: (يدعون) بالغيب لمناسبة ما قبله: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾، ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ﴾. [٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ قرئ: (منكم) بالكاف موضع الهاء للالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وقرئ: (منهم) بضمير الغيب لمناسبة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾.

= مؤمن آل فرعون لقوم فرعون نائباً عن موسى، وعَرْض أرواح الكفّار على العقوبة، ووعد النّصر للرّسل، وإقامة أنواع الحجّة والبرهان على أهل الكفر والضّلال، والوعد بإجابة دعاءِ المؤمنين، وإظهار أنواع العجائب من صنع الله، وعجز المشركين في العذاب، وأنَّ الإيمان عند اليأس غير نافع، والحكم بخسران الكافرين والمبطلين.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾: الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أن يُغيِّر دينكم الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾: الخلاف، والفتنة! وكذلك حال فرعون، يعدّ العدل والهداية فساداً، ويعدّ فساد الطغاة وإفسادهم وإذلالهم للعباد عدلاً وحرية! وشرُّ خلق الله في الأرض من ينطبق على أقواله وأفعاله: المثل العربي: رمتني بدائها وانسلّت. ٢٧- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ﴾: استجرت بالله ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾: على ربه. ٢٨- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: كان قد آمن بموسى، وكتم إيمانه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي﴾: لا يُوفِّقُ للحق ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: متعدٍّ إلى ما ليس له، والمسرف: المقيم على المعاصي. المستكثر منها. ﴿كَذَّابٌ﴾: على الله. ٢٩- ﴿ظَٰهِرِينَ﴾: على بني إسرائيل قاهرين ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: من سطوته وعقوبته ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾: من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: لنفسي صلاحاً وصواباً، يريد حملهم على ما يريد، والاستبداد دونهم بالرأي. وقيل: ما أرى في أمر موسى، وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة. ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾: أدعوكم ﴿إِلَّا سَبِيلَ﴾: طريق ﴿ٱلرَّشَادِ﴾: الحق.! ٣٠، ٣١- ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أي مثل يوم عذاب الأمم الماضية، الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح. ثم فسَّر الأحزاب فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾: مثل سُنَّته في ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾: أو مثل حالهم في العذاب. والدأب: العادة. ٣٢- ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: يوم ينادي أهلُ الجنة أهلَ النار، في قوله عز وجل: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [سورة الأعراف: ٤٤] إلى آخر الآية. وقيل: "يوم التناد": يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً من فزع نفخة الفزع. ٣٣- ﴿مُدْبِرِينَ﴾: فارِّين غير معجزين ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: ناصر.

= وكانوا أشدَّ منهم قوّة، وخصّت سورة فاطر به لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وفي غافر ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، فأظهر "كان" العاملة في "من قبلهم"، وزاد "هم"؛ لأنَّ أوائل سورة نوح وقعت في هذه السورة، وهي تتمُّ في ثلاثين آية، فكان اللائق به البسط، وفي آخر غافر ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر : ٨٢] فلم يبسط القول؛ لأن أوّل السّورة يدلّ عليه. [٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [غافر : ٢٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟﴾ [التغابن : ٦]. آية غافر خصت بالجمع؛ لأن هاءَ الكناية إنما زيدت لامتناع "أنَّ" عن الدّخول على كان، فخُصّت هذه السّورة بكناية المتقدّم ذكرهم؛ موافقة لقوله: ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، وخُصّت سورة التغابن بضمير الأمر والشأن توصّلًا إلى كان. وضمير الشأن في الكلام يكسبه نبلًا وفخامة، لأنه يفسره ما بعده، فيتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فالسامع إذا لم يفهم من الضمير معنى، بقي منتظرًا لعقبى الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه أفضل تمكن، ولذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني أن من خصائص "أن" أنك ترى في ضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لاتراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [هود : ٩٦، غافر : ٢٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وغافر، والآية تبين أن الله قد أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على حقيقة ما أُرسل به، وحجة واضحة بيِّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه مَن أرسل إليهم. [٢٤] ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت : ٣٩]، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر : ٢٤]. ما سبب اختلاف ترتيب ذكر فرعون وهامان وقارون في الآيتين؟ الجواب: أنه لما قال: ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [العنكبوت : ٣٩]، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقرابة موسى، ومعرفته، فناسب تقديم ذكره واسمه عليهم، وفي سورة غافر كان سياق الرسالة إلى قارون ولمخالفته وعداوته ذكر بعد فرعون وهامان وهلاكهما. [٢٥] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ [غافر : ٢٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾. الوحيدة في سورة غافر فحسْبُ، لأنَّ الفعل لموسى، وفي سائر القرآن الفعل للحقّ. [٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر : ٢٨]، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر : ٣٤]. لما قال تعالى في الأولى: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، ولما قال تعالى في الثانية: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾؛ ناسب ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

= الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضع واحدٍ هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أم إلى باطل، إلى صوابٍ كان أم إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أم إلى شر. (الرُّشْد) في القرآن أخصُّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٢٩، ٣٨] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]. ما الفرق بين: "رَشَدًا، رُشْدٌ، رشادٌ"؟ الجواب: وردت كلمة (رَشَدًا) خمس مرات. بينما وردت كلمة (رُشْدٌ) ست مرات. ووردت كلمة (رشاد) مرتين. تحمل الكلمات الثلاث معنى واحدًا: هو الصلاح، لكن لكلٍ منها خصوصية في المعنى =

[٢٦] ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾ قرئ: (وأن يُظهِر) بواو النسق و"يظهر" بضم الياء وكسر الهاء من أظهر معدًّى ظهر بالهمزة، وفاعله ضمير موسى ـ عليه السلام ـ والفساد: بالنصب على المفعول به. وقرئ: (وأن يَظهَر) بواو النسق أيضًا، و"يظهر" بفتح الياء والهاء من ظهر لازم، فالفساد بالرفع فاعله. وقرئ: (أو أن يُظهِر) أو أن بحرف (أو) وهو للعطف أيضًا، إلا أنه للتردد بين أمرين، أما الواو فللجمع بينهما.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالواضحات من حجج الله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾: حتى إذا مات يوسف ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاك في حقيقة إخبار الرسل. ٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾: يخاصمون ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: بغير حجة أتتهم من عند الله يدفعون بها حقيقة حجج الرسل ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾: معناه: كبر ذلك الجدال مقتاً عند الله، ومقت الله لهم: لعنه إياهم، وغضبه عليهم. ﴿جَبَّارٍ﴾: متعظِّم عن اتباع الحق. ٣٦، ٣٧- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾: - لما وعظه المؤمن- لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: اي قصراً مشيداً ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: قيل: عنى طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها ﴿وَصُدَّ﴾: أعرض، قُرئ: «وصُدَّ» بضم الصاد؛ اي فُعل ذلك به، وزُين له سوء عمله بمعنى: منع وصُرف. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، بفتح الصاد. وقرأ الكوفيون ويعقوب بضمها، على ما لم يسمّ فاعله، معطوفاً على قوله: «زُيِّن» و(السيل): سبيل الشرع والإيمان. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾: احتياله ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: خسران وضلال. ومنه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]. ٣٩- ﴿مَتَٰعٌ﴾: تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تنقطع ﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: أي الاستقرار، لكونها دائمة لا تنقطع. ٤٠- ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، يستوي في ذلك الذكور والإناث. ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي بغير تقدير ومحاسبة، في مقابل الذين عملوا السيئات، فهؤلاء لا يجازون إلا على قدر أعمالهم.

[٣٧] ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧]. جاءت آية القصص بحذف ﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وفي غافر بذكره؛ لأن ما في القصص تقدَّمه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، من غير ذكر أرض وغيرها، فناسبه الحذفُ، وما في غافر تقدَّمه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، فناسبه مقابلته بالسماء في قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. أمّا عن قوله في سورة القصص: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، وفي سورة غافر ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾؛ لأن التقدير في سورة القصص: وإني لأظنه كاذبًا من الكاذبين، فزيد ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لرؤوس الآي، ثم أضمر ﴿كَٰذِبًا﴾، لدلالة ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ عليه، وفي غافر جاءَ على الأصل، ولم يكن فيه موجب تغيير. = لاختلاف السياق الواردة فيه. كلمة (الرشاد) خُصِّصت بكلمة (سبيل) في المرتين اللتين وردت فيهما في قوله: ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. وجاءت كلمة (الرشاد) فاصلة (ختامًا للآية) ومعروف أن الفاصلة تعني الوقف (أي على رأس الآية)، والوقف يحسن أن يسبقه مدٌّ، وهذا موجودٌ في كلمة (الرشاد) لذا ناسبت أن تكون فاصلة أكثر من كلمتي (رُشْدٌ)، و(رَشَدًا). وجاءت الفاصلة بكلمة الرشاد متسقة مع الفواصل المجاورة لها في الآيات التي وردت فيها: كما في الآية [٢٩] من سورة غافر حيث الفواصل (الحساب، كذاب، الرشاد، الأحزاب، للعباد). وفي الآية [٣٨] من سورة غافر، حيث الفواصل: (الأسباب، تباب، الرشاد، القرار، حساب). أما كلمة (رُشد) فلها معنيان: ١- حال الصلاح التي تكون ضد الغيّ (حينما تأتي معرفة (الرُّشد) كما في قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ٢- حال الصلاح التي تدلُّ على التعقُّل حينما تأتي نكرة (رشد) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]. أما كلمة (رَشَدًا) فقد جاءت- أيضًا- متسقة مع الكلمات التي جاورتها كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] حيث الكلمات (عسى، أقرب، هذا) وكلها مفتوحة. كما جاءت كلمة (رُشد) متسقة مع الكلمات التي جاورتها كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فترى التناسق والانسجام بين كلمتي (عُلمت، رُشدًا) فكلاهما مضموم الحرف الأول. وكلمة (رَشَدًا) لم ترد إلا نكرة منونةً، وليس كذلك (رُشد) كما جاءت كلمة (رَشَدًا) دائمًا فاصلة، ولم تأت كلمة (رُشد) فاصلةً إلا مرة واحدة. [٣٧] ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١]، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]. ما الفرق بين: "تباب وتتبيب"؟ الجواب: تباب: هلاك وخسارٌ. قال الطبري: «في تباب»: أي في ضلال وخسار، وهي آتيةٌ من الفعل الثلاثي اللازم (تبَّ)، وتتبيب: إهلاك وإخسار. قال أبو عبيدة: «غير تتبيب»: أي تدمير وإهلاك. وهي آتيةٌ من الفعل الرباعي المتعدي (تبَّب). وقد جاءت كلمة (تباب) مع كيد فرعون، على معنى الفاعلية، فالمعنى (تبَّ كيدُ فرعون)، وجاءت كلمة (تتبيب) مع أهل القرى الذين اتخذوا آلهةً غير الله- تعالى-، على معنى المفعولية، فالمعنى (تبَّب الآلهةُ أهل القرى). وقد جاءت كل صيغة مناسبة لفواصل الآيات التي وقعت بينها: أ- فكلمة (تباب) وقعت بين الفواصل (مرتاب، وجبار، والأسباب، والرشاد، والقرار، والحساب). ب- وكلمة (تتبيب) وقعت بين الفواصل (رشيد- أُنيب- بعيد- ودود- عزيز- رقيب- ثمود- رشيد- المورود- المرفود- حصيد- شديد- مشهود).

[٣٥] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قوله تعالى: ﴿قَلْبِ﴾ قرئ: (قلبٍ) بالتنوين في الباء الموحدة على قطع قلب عن الإضافة، وجعل التكبر والجبروت صفته إذ هو منبعهما، ولأنه ـ أي: القلب ـ مدير الجسد، والنفس مركزه لا القلب خلافًا لمدعيه؛ لأنه إذا تكبر صاحب القلب تكبر القلب، والمعاني متداخلة غير متغايرة. وقرئ: (قلبِ) بغير تنوين بإضافة قلب إلى ما بعده، أي: على كل قلب شخص متكبر، ففي الأول أضاف التكبر إلى القلب، وفي الثاني: أضاف التكبر إلى صاحب القلب. [٣٧] ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ...زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ قرئ: (فاطلعَ) بنصب العين بتقدير: (أن) بعد الأمر في ابْنِ لِيّ، وقيل: في جواب الترجي في "لعلي" حملًا على التمني على مذهب الكوفيين؛ أما البصريون: فيمنعون. وقرئ: (فاطلعُ) بالرفع عطفًا على أبلغ. قوله تعالى: ﴿وَصُدَّ﴾ قرئ: (وصُد) بضم الصاد على ما لم يسم فاعله. وقرئ: (وصَد) بالفتح على البناء للفاعل وهو فرعون.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، =

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٣- ﴿ لَا جَرَمَ ﴾: معناه: حقاً. و«جرم» فعل ماض بمعنى: حقّ، و«لا» الداخلة عليه لنفي ما ادّعوه، وردّ ما زعموه. ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: أي: حقّ ووجب بطلان دعوته. يقول: هذا الصنم جماد لا يستجيب لأحد في الدنيا، ولا ينفع فيها ولا في الآخرة ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مرجعنا ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: المشركين المتعدِّين حدوده، القاتلين الأنفس بغير حق. ٤٤- ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ ﴾: إذا عاينتم عقاب الله ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾: أسلِّمه واجعله إليه. ٤٥- ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾: دفع الله عن هذا المؤمن ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾: ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، وكان قبطياً فنجاه الله مع موسى ﴿وَحَاقَ﴾: نزل وحلّ ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: تُبّاعه وأهل طاعته ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: ما ساءهم من عذاب الله. ٤٦- ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾: لما هلك فرعون وقومه جعل الله أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين غدوة وعشية ما دامت الدنيا، فيقال لهم: هذه منازلكم. وقيل: أراد الله تعالى أنهم يُعرضون في الآخرة على النار، على تقدير ما بين الغدوّ والعشيّ؛ إذ لا غُدوّ ولا عَشيٌّ في الآخرة، وإنما ذلك على التقدير بأيام الدنيا. وجمهور المفسرين على أن هذا العرض هو في البرزخ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾. ٤٧- ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ ﴾: يتخاصمون، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي هل تدفعون عنا نصيباً منها أو تحملونه معنا؟ ٤٩- ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: الملائكة الموكلون بالقيام على النار وتعذيب أهلها.

[٤٧] ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ٢١]، ﴿ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر : ٤٧]. يقول الأتباع لقادتهم يوم القيامة إنَّا كنَّا لكم في الدنيا أتباعًا، نأتمر بأمركم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئًا كما كنتم تَعِدوننا...، فهذا ما دلت عليه آية إبراهيم، أمّا آية غافر: يقول الأتباع المقلدون لرؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم.. هل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار بتحملكم قسطًا من عذابنا؟

[٣٨] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٣٨]. تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعروف: هو كل ما عرفه الشرع وأقره من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة، والباطنة. المنكر: هو كل ما أنكره الشرع ومنعه. حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب وفرض كفاية، إذا قام به من يكفي حصل المقصود، وإذا لم يقم به من يكفي؛ وجب على جميع المسلمين. مراتب تغيير المنكر: أولًا: يجب الإنكار باليد، بأن يزيل المنكر ويذهب أثره، كتكسير آلات اللهو والغناء، وإقامة الجالسين وقت الصلاة، وتوجيههم إلى المساجد. وهذا لأهل القدرة وهو السلطان أو من ينوب عنه أو رب الأسرة في بيته. ثانيًا: إذا لم يقدر على ذلك وخاف الضرر ومنع من الإنكار والتغيير باليد، فإنه يغير بلسانه وذلك بمواجهة العاصي ومخاطبته، وإنكار ما هو متلبس به، وذلك بعد النصح والتوجيه والإقناع. ثالثًا: إذا خاف الضرر، أو عرف عدم القبول، أو زيادة المنكر بالرد الشنيع والسخرية بالآمر والناهي، اقتصر على الإنكار بالقلب، وذلك بإظهار الكراهية لأهل الذنوب، والبعد عنهم والتحذير من شرورهم وهجرهم وبغضهم، ولو كانوا أقارب. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور: ١- أن يكون الإنسان عالماً بالمعروف والمنكر، وقد يتسرع كثير من إخواننا الغيورين، فينهون عن أمور مباحة يظنونها منكرًا فيضيقون على عباد الله. ٢- أن تعلم بأن هذا الرجل تارك للمعروف أو فاعل للمنكر، و لا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن. ٣- الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون رفيقًا في وأمره في نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقًا أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، فأنت إذا عنَّفت على من تنصح ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا ينقاد لك، ولكن إذا جئته بالتي هي أحسن فإنه ينتفع. ٤- أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه، زال إلى ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهى عنه، درءًا لكبرى المفسدتين بصغريهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان، وكانت إحداهما أكبر من الأخرى؛ فإننا نتقي الكبرى بالصغرى. ٥- الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع وإن كان لا يفعله، وأن ينهي عما نهى عنه الشرع، وإن كان لا يتجنبه؛ لأن كل واحد منهما واجب منفصل عن الآخر، وهما متلازمان. ٦- ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه. ٧- وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، ولكن في حقول النساء، ليس في مجامع الرجال وفي أسواق الرجال. نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته ومغفرته. من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ١- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا. ٢- رفع العقوبات العامة. ٣- شد ظهر المؤمن وإرغام أنف المنافق. ٤- القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٥- سبب للنصر على الأعداء. ٦- تحقيق وصف الخيرية. ٧- التجافي عن صفات المنافقين. ٨- من مكفرات الخطايا. ٩- له ثواب كبير مما يزحزح الله القائم به عن النار. ١٠- من أسباب التوفيق للدعاء والإجابة. ١١- البشارة لهم. ١٢- الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المفلحين. ١٣- البعد عن عقاب الله تعالى وعذابه فترك المنكر بدون إنكار سبب للعقوبة. ١٤- التعاون على فعل الخير=

[٤٦] ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ قرئ: (ادخُلوا) بوصل همزة ادخلوا، وضم الخاء أمرًا من دخل الثلاثي، و"الواو" ضمير آل فرعون، ونصب "آل" على النداء، والابتداء بهمزة مضمومة. وقرئ: (أدخِلوا) بقطع الهمزة المفتوحة في الحالتين، وكسر الخاء، أمرٌ للخزنة من أدخل رباعيًا معدىً لاثنين، وهما آل وأشد.

= إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٤٣] ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) مرة في القرآن.

قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٠- ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: لا يُجاب دعاؤهم ولا ينفعهم. ٥١- ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: منهم من نصره الله بالملك والسلطان كسليمان وداود، ومحمد وأمته ومنهم من نجاه الله وانتقم من أمته، كنوح وقومه، وموسى وفرعون، ومنهم من انتقم الله للرسل من بعد وفاتهم، كقتلة يحيى بن زكريا بأن سلط الله عليهم بُخْتَنَصَّر. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، بالشهادة أن الرسل قد بلّغت أممها، وأن أممهم كذبتهم. ٥٢- ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: لأنها معذرة باطلة وشبهة داحضة ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البعد من رحمة الله عز وجل، ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم. ٥٣- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة. ٥٥- ﴿وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ بالشكر منك لربك ﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾: وذلك من زوال الشمس إلى الليل، ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. ٥٦- ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: يخاصمونك، ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في حججه وبيِّناته، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: بغير حجة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾: جاءتهم من عند الله تعالى، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ﴾: بمعنى: ما في قلوبهم، ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾: يتكبرون من أجله عن اتباعك؛ حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله، ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾: يقول عز وجل: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركين ولا نائلين وهو النبوة، وقيل: مُنعوا أن يغلبوه ﷺ، وما هم ببالغي ذلك، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: استجِرْ به من شرهم. ٥٨- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: مَثَلٌ للكافر والمؤمن.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ واخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره وقالوا يصنع كذا، فانزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فامر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. قال: لخلق السماوات والأرض اكبر من خلق الناس. واخرج عن كعب الأحبار في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ قال: هم اليهود، نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

[٥٥] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾ [غافر: ٥٥]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾ [غافر: ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي إلى الصبر، وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تبين له أن لا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء، وأمَّا آية غافر فتدعوه إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عمَّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نرينَّك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفينَّك قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

= والمعروف. ١٥- أمن المجتمع وطمأنينته، إذ به يندفع الشر، ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. ١٦- به تقليل الشر وإزالة للمظاهر السيئة في المجتمعات التي تدعو للفساد وتزينه حتى عند من لا يفكر فيه. من عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه سبب للعن من الله تعالى وغضبه ومقته وحلول عقابه في الدنيا والآخره. [٤٠] ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلُّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله- تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل العلم) يحتاج إلى تفكُّرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره، واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله-سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيرُه)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغني الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل. [٤٦] ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]. قال ابن سيرين: كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار. [٤٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠]، ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]. تفيد آية الأنبياء أن أهل النار لا يسمعون فيها، وتفيد آية غافر وغيرها أن لهم سماعًا ومخاصمة ومحاجة، ولا تعارض بينهما؛ لأن السماع يكون قبل اليأس من الخلاص من النار، وأما بعد اليأس فتوصد عليهم النار ولا يسمعون.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ قرئ: (تنفع) الفعل بتاء في أوله على أنها تاء التأنيث، نظرًا إلى أن فاعله وهو معذرة مؤنث مجازي. وقرئ: (ينفع) بالياء لكون ذلك التأنيث مجازيًا ولفصل الفعل عن الفاعل. [٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قرئ: (تتذكرون) بتاءين من فوق على الخطاب التفاتًا لإظهار العنف الشديد والإنكار البليغ. وقرئ: (يتذكرون) بالياء من تحت، وتاء من فوق على الغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾.

[٥٦] ﴿إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (إبليس) بمشتقاته في كتاب الله (١١) مرة. وورد ذكر الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها في كتاب الله (١١) مرة. وبذلك يتساوي عدد مرات ذكر لفظ (إبليس) بمشتقاته مع الأمر (بالاستعاذة) بمشتقاتها، وقد ورد كلٌّ (١١) مرة في كتاب الله.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

٦٠- ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾: اخلصوا لي العبادة ووحدوني أجب دعائكم، واغفرْ عنكم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾: يتعظمون عن إفرادي بالعبادة والخضوع لأوامري ﴿دَاخِرِينَ﴾: ذليلين صاغرين. ٦٢- ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: يقول تعالى: فأي وجه تأخذون؟ وإلى أين تذهبون عنه متعبدين سواه؟ ٦٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ..﴾: أي: كذاهبكم الذي ذهبتم، ومثل انصرافكم عن الرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين من قبلكم من الأمم، فسلكتم أنتم مسلكهم في الضلال. ٦٤- ﴿قَرَارٗا﴾: تستقرون عليها، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾: فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها. ٦٥- ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾: الدائم الحياة الذي لا يموت، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: روي عن ابن عباس أن من قال: لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. ٦٦- ﴿لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: الآيات الواضحات، وقيل: هي الأدلة العقلية والنقلية، فإنها توجب التوحيد، ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أن أذلّ وأخضع لربّ كل شيء ومالك كل شيء جلّ وعلا.

[٦٦] قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأخرج جويبر عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد ارجع عما تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

[٥٧، ٥٩، ٦١] ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر : ٥٧]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [غافر : ٥٩]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [غافر : ٦١]. لماذا اختلفت خواتم الآيات الثلاث؟ الجواب: أن من علم أن الله تعالى خلق السماوات والأرض مع عظمها؛ اقتضى ذلك علمه بقدرته على خلق الإنسان وإعادته ثانيًا، لأن خلق الإنسان أضعف من ذلك وأيسر؛ فلذلك ختمه بقوله تعالى: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ولما ذكر الساعة، وأنها آتية لا ريب فيها قال: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بها لاستبعادهم البعث، ولما ذكر نعمه على الناس وفضله عليهم؛ ناسب ختم الآية بقوله: ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾. [٦٢] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام : ١٠٢]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر : ٦٢]. لما تقدم في الأنعام ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ﴾ [الأنعام : ١٠٠]، ناسب تقديم كلمة التوحيد النافية للشرك ردًا عليهم، ثم ذكر الخلق، ولما تقدم في غافر كونه خالقًا بقوله تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر : ٥٧]، ناسب تقديم كلمة الخلق ثم كلمة التوحيد. [٦٤، ٦٥، ٦٦] ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر : ٦٤، ٦٥، ٦٦]. سبب تكرار ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثلاث مرات والله أعلم هو: تأكيد ربوبية الله للعالمين على أسماع الكفار جميعًا، لا سيما أهل التثليث ثلاث مرات. [٦٦] ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ ...﴾ [الأنعام : ٥٦]، ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ...﴾ [غافر : ٦٦]. الآيتان فيهما توجيه للنبي ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل نهاه أن يعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وآية الأنعام تبين أنه لو اتبع أهواءهم ضل عن الصراط المستقيم...، أمّا آية غافر فتوضح أنه قد جاءته الآيات الواضحات من عند ربه عز وجل...

[٥٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [غافر : ٥٥]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفرادى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصة لله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفيافي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان ٩- المستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، ويرزقهم رزقًا رغيدًا، وعيشًا هنيئًا، فيهنؤون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس وأخفهم أوزارًا. ١١- الاستجابة لنُصوص الكتاب والسنَّة. ١٢- المتاع الحسَن في الدُّنيا، وإيتاء كلِّ ذي فضْلٍ فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممَّن شملَتْهم رحمة الله ووده. ١٥- به تُجلَب النِّعَم وتُدفَع النِّقَم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نُزول المَصائب. ١٧- ومن فوائده أنَّه سببٌ في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تَحُلُّ المشاكل الصعبة والعَوِيصة. ١٩- أنَّه سببٌ لانشراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبَّد لربِّه عزَّ وجلَّ، ويقرُّ له بصفة الغفَّار. ٢١- ومن أهمِّ فوائد الاستغفار وثمراته أنَّه دَواء الذنوب.. وغير ذلك من الفوائد والثمرات.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر : ٦٠]. الدعاء من أشرف العبادات وأجلّ الطاعات لا يستغني عنه العبد في حال من الأحوال، وهو صلة بين العبد وربه، وكلما كثر رجاؤه بالله وحسن ظنه به كثر دعاؤه، وأعرف الخلق بالله أكثرهم دعاءً له. وهو دليل على كمال افتقار العبد لربه واستغنائه به، ولذلك أمر به الشرع. من آداب الدعاء: ١- الطهارة. ٢- استقبال القبلة. ٣- رفع اليدين إلا في المواضع التي ورد الشرع بعدم الرفع فيها. ٤- الأدعية الجامعة الواردة في القرآن والسنة. ٥- مناسبة الدعاء للحاجة المدعو بها. ٦- الإلحاح في الدعاء. ٧- الابتداء بالحمد والثناء على الله تعالى. ٨- تقديم الصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء. ٩- الثقة بالله وحسن الظن به. ١٠- الدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى. من فوائد الدعاء: ١- دفع غضب الرب سبحانه. ٢- انشراح الصدر. ٣- نزول الرحمة ودفع البلاء. ٤- تفريج الهموم. ٥- تيسير الأمور. ٦- الداعي محبوب لله عز وجل. ٧- دليل على الإيمان بالله والتوكل عليه. ٨- الدعاء سلاح المؤمن. ٩- امتثال لأمر الله تعالى. ١٠- إدراك الحاجات ورفع الدرجات. ١١- لا يرد القدر إلا الدعاء. أمور تمنع من إجابة الدعاء: ١- الشرك في الدعاء.

[٦٠] ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَدۡخُلُونَ﴾ وفي "النساء : ١٢٤، مريم : ٦٠، غافر : ٤٠ ﴿يَدۡخُلُونَ﴾، وفي فاطر: ٣٣ ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾." قرئ: (يُدخَلون) بضم الياء وفتح الخاء مبنيًا للمفعول من أدخله، والواو نائب فاعل. وقرئ: (يَدخُلون) بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل، والواو هي فاعل.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧- ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: أطفالاً، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل الشيخوخة. ٦٨- ﴿قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراده، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: تعبير عن سرعة نفاذ قدرته تعالى وأن الأمور بيده يقلبها كيف يشاء. ٦٩- ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾: أيُّ وجه يصرفون عن الحق. ٧١- ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾: جمع غِلّ ﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرون. ٧٢- ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: هو ما قد انتهى حره، وبلغ غايته، ﴿يُسْجَرُونَ﴾: تُسْجر بهم جهنم، أي توقد بهم فصاروا وقودها. ٧٤- ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا وتركونا في هذا البلاء، ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: أي: لم نكن نعبد في الدنيا شيئاً. ٧٥- ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: هذا العذاب الذي أنتم فيه، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: به من الباطل والمعاصي في الدنيا، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: المرح: هو الأشَرُ والبَطر، أو الفخر والخيلاء. والمعنى: أن هذا العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما اخترتموه لأنفسكم من عدم قبول الإيمان، وعدم المبالاة بالعواقب، واكتفائكم بالدنيا الفانية. ٧٦- ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: فذل المتكبرون في الدنيا على الله تعالى، بئس مأواهم اليوم جهنم. ٧٧- ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب والنقمة أن يحل بهم في الدنيا، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: يا محمد قبل أن يحل ذلك بهم.

[٦٧] ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ... ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ...﴾ [الحج : ٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر : ٦٧]. آية سورة الحج مقصود فيها إقامة البرهان على البعث الأخروي وبسط الدلالات على كيفيته وإرغام منكريه، ألا ترى أن هذه الأحوال والانتقالات على ما وضح من التدريج لا تكون إلا من فاعل قادر مختار عليم حكيم، وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده إيضاحًا قوله تعالى في تعقيب آية الحج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥]، فهذا إحياء بعد الموت، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج : ٦]، فتأمل هذا التعقيب وافتتاح الآية بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾، واعتبر ما انطوت عليه هذه الآي يلح لك ما تقدم من مقصودها. أمَّا آية سورة المؤمن فلم تتجرد لهذا الغرض، وإن تضمنت ذلك بالإيجاز، وإنما بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وتعالى، وانفراده بالخلق والأمر وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، ونفي ما عبد من دونه تعالى، وتأمل ما تقدم من لدن قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر : ٥٧]، الآية المذكورة وما بعدها يتبيَّنْ لك ما قصد بهذه الآية، وإنما اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا، واختصت تلك بما تقدم، فلذلك زيد فيها من التفصيل ما تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم. [٧٧] ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم : ٦٠]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...﴾ [غافر : ٥٥]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ...﴾ [غافر : ٧٧]. الآيات الثلاث تدعو النبي ﷺ إلى الصبر، وتوضح له أن وعد الله حق لا شك فيه، وآية الروم تبين له أن لا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء، وأمَّا آية غافر فتدعوه إلى الاستغفار لذنبه، وأن يداوم على تنزيه ربه عمَّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله، وآية غافر الثانية: فإما نرينَّك أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفينَّك قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

= ٢- الدعوة بالإثم والقطيعة. ٣- الاستعجال في حصول المطلوب. ٤- أكل الحرام . ٥- الاعتداء في الدعاء. مثل: أن يسأل الله منزلة لاتحل له كمنازل النبيين.

أوقات وأحوال يستجاب فيها الدعاء: ١- ليلة القدر. ٢- جوف الليل الآخر ووقت السحر. ٣- بين الأذان والإقامة. ٤- عند التأمين في الصلاة. ٥- ساعة من كل ليلة. ٦- الدعاء في شهر رمضان. ٧- عند نزول الغيث. ٨- عند زحف الصفوف في سبيل الله. ٩- ساعة من يوم الجمعة، وهي على الأرجح آخر ساعة من ساعات العصر قبل الغروب. ١٠- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة. ١١- أثناء السجود في الصلاة. ١٢- عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها. ١٣- عند رفع الرأس من الركوع وقول: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. ٢١- عند الدعاء بـ "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". ٢٢- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير. ٢٣- عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. ٢٤- دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب. ٢٥- دعاء يوم عرفة في عرفة. ٢٦- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر. ٢٧- عند الدعاء في المصيبة بـ : " إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها". ٢٨- الدعاء في حالة إقبال القلب على الله واشتداد الإخلاص. ٢٩- دعاء المظلوم على من ظلمه. ٣٠- دعاء الوالد لولده. ٣١- دعاء الوالد على ولده. ودعاء المسافر. ٣٢- دعاء الصائم عند فطره. ٣٣- دعاء المضطر. ٣٤- دعاء الإمام العادل. ٣٥- دعاء الولد البار بوالديه. ٣٦- الدعاء عقب الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك . وهو " أشهد ان لا إله إلا الله ... ". ٣٧-الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى. ٣٨- الدعاء داخل الكعبة، ومن صلى داخل الحجر فهو من البيت. ٣٩- الدعاء في الطواف. ٤٠- الدعاء على الصفا والمروة وبينهما. ٤١- الدعاء في الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان. ٤٢- الدعاء في العشر الأول من ذي الحجة. ٤٣- الدعاء عند المشعر الحرام.

[٦٤] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. ما الفرق بين: "الجمالُ والحُسْنُ"؟ الجواب: رغم أن أئمة اللغة كسيبويه وغيره يسوون بين (الجمال) و(الحُسْن) في المعنى، إلا أن الكلمتين مختلفتان في القرآن الكريم، ولكل منهما مواضع خاصة. ١- لم يرد في القرآن الكريم إلا المصدر (الجمال)، والصفة المشبهة (جميل). ٢- ولم يستعمل القرآن الكريم (جمال) أو (جميل) إلا في الأمور المعنوية لا الحسية. ٣- وردت كلمة (جميل) سبع مرات كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ٤- وردت كلمة (جمال) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦]. ٥- يُطلِق القرآن كلمة (الحُسْن)=

[٦٧] ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ قوله تعالى: ﴿شُيُوخًا﴾ قرئ: (شِيوخا – شُيوخا) بكسر الشين وضمها، وهما لغتان.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

٧٨- ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾: فاصلة بينه وبينهم، والمراد: المعجزة الدالة على نبوته. ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: قضاؤه، ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل، وهو أن ينجّي رسله والذين آمنوا معهم، ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: المفترون على الله تعالى. ٨٠- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾: أخر غير الركوب والأكل، من الوبر والصوف والزبد والسمن وغير ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾: لم تكونوا تبلغونها لولا هي إلا بشق أنفسكم، يعني أنها تحمل أثقالكم، ﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفن. ٨١- ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾: صحتها وحقيقتها.٨٢- ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾: أي: إن الأمم المهلكة قبلهم بالظلم والتكذيب وكفران النعم، ونحوه من سنن هلاك الأمم، كانت أكثر من العرب وقريش عددا ومتاعاً، وأكثر معالم وآثاراً بالبناء والحرث، فلم ينفعهم عمرانهم ولا قوة بأسهم. ٨٣- ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم، وقالوا: لن نُبعث، ولن يُعذبنا الله. وقيل: اغترّوا بعلمهم بالدنيا والمعايش. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: من عذاب الله عز وجل ﴿مَّا كَانُوا۟﴾: يستعجلون رسلهم ﴿بِهِۦ﴾: استهزاء به. ٨٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾: عاينوا عقاب الله الذي وعدتهم الرسل. ٨٥- ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿وَخَسِرَ﴾: هلك ﴿هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: قال الزجّاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكن يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾، تكررت مرتين بالرعد وغافر، وقال فيهما ابن عباس رضي الله عنهما: عيّروا رسول الله ﷺ باشتغاله بالنّكاح والتّكثر منه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾، فكان المراد من الآية قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾، بخلاف ما في غافر؛ فإنّ المراد منه: لست ببدْع من الرسل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾. [٧٨، ٨٥] ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨]، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥]. الأوّل متصل بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٨]، ونقيض الحق الباطل، والثاني متصل بإيمان غير مُجْدٍ، ونقيض الإيمان الكفر، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

= على الأمور المعنوية والأمور المادية، فكل جميل حسن، وليس كل حسن جميلًا. ومثال المعنوي: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]. ومثال المادي: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. عن النعمان بن البشير رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدعاء هو العبادة"، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أخرجه أبو داود وغيره وصححه الألباني. وتدل الآية على أن ترك العبد دعاء ربه يعد من الاستكبار، وتجنب ذلك لاشك في وجوبه. [٦٥] ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]. قال ابن جرير: وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال (لا إله إلا الله) أن يتبع ذلك (الحمد لله رب العالمين) تأولاً منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بِقِيل ذلك. ثم أسنده عن ابن عباس وابن جبير. [٦٥] ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]. تعريف الإخلاص: أن يقصد المسلم بأقواله وأفعاله وجه الله تعالى؛ فيرجو الثواب، ويخشى العقاب، ويحذر الرياء والسمعة بين الناس، فلا يكون قصده إلا ابتغاء وجه الله ورضاه سبحانه وتعالى. فالإخلاص الصادق لله تعالى سجل للمخلصين ثواب المجاهدين رغم بقائهم في منازلهم. قال أحد السلف: إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي. وقال آخر من السلف: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك. من ثمرات الإخلاص: ١- نصر الأمة. ٢- السكينة وطمأنينة القلب والشعور بالسعادة والرضا، فيتحرر الإنسان من جميع هموم الدنيا. ٣- قبول الدعاء واستجابة الله لعبده المخلص. ٤- حب أهل السماء للمخلص وبعدها وضع القبول في الأرض. ٥-عون الله تعالى في المحن وتأييده لعبده المخلص وكفايته له. ٦- سبب للنجاة من المحن. ٧-التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص. ٨- حسن الخاتمة. ٩- رفع درجات المسلم في الدنيا والآخرة. من الأسباب المُعينة على الإخلاص: ١- ملازمة تقوى الله. ٢- الحرص على نيل الأجر من الله والإكثار من العمل الصالح. ٣- الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى فهو المعين والملجأ سبحانه وتعالى، والدعاء سلاح المؤمن. كيف تحصل الإخلاص: ١- العلم: بأن يعرف العبد أهمية الإخلاص وثمراته دنيا وآخرة. ٢- المجاهدة: يسلك ذلك الطريق صاحب الإرادة القوية.. ٣- مصاحبة المخلصين والتأسي بهم والتخلق بأخلاقهم، وقال أحد السلف: "حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل" يعنون بحاله: سلوكه وخُلُقه وعمله. ٤- قراءة سير السلف ومن بعدهم من الصالحين... دلائل الإخلاص: للمخلص علامات يُعرف بها: ١- حب العمل في صمت. ٢- الزهد في الشهرة: قال الفضيل بن عياض: "إن قدرت على ألا تُعرف فافعل، وما عليك ألا تُعرف وما عليك أن يُثنى عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله تعالى. ٣-الحذر من تزكية النفس. ٤- الفرح والترحيب بكل من يبرز في مجاله: وخاصة في مجال الدعوة، فالمخلص من يتنحى عند وجود من هو أفضل منه. ٥- ألا يبخل بمدح من يستحق المدح والتزكية. ٦- ألا يطلب المدح ولا يغتر به: قال ابن عطاء الله في حكمه: الناس يمدحونك لما يظنونه فيك، فكن أنت ذامًا لنفسك لما تعلمه منها. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس. ولا يُنكر بشر جميل ستر الله تعالى على عباده، فكم من عيوب وذنوب سترها سبحانه تعالى بينه وبينهم.. ولو بدت لمن حوله لكان له شأن آخر بينهم.. لكنه أرحم الراحمين.. الستار.. العفو الغفار.. التواب!!. ٧- السلامة والنجاة من آفة العُجب. كيف نعالج الإعجاب بالعمل: ١- أن تعلم أن وعد الله حق. ٢- الحياء من الله. ٣- الثقة بأن الذي وفقك لهذا العمل الله وحده فإنما هو منة من الله، وليست منة من نفسك.. ٤- عدم ترك الأعمال الصالحة إن خيف عليه الاختلاط، فكثير من الناس يهجر الأعمال الصالحة خشية دخول العُجب أو الرياء عليها، ومن الخطأ الجسيم ترك العمل من أجل الناس، ففي ذلك جهل... ٥- لا يضر فساد النية عند بدء العمل؛ فقد يعتقد البعض أن ذلك مبرر لترك العمل.. لكن الكيّس من يصحح نيته فلا يخسر ولا يحبط عمله. ٦- جواز إظهار بعض الأعمال الصالحة بنية حسنة... ٧- إن للإخلاص الخالص صعوبة لا تخفى، فهو صعب المنال يخفى على الكثيرين، لذا كان السلف كثيري الدعاء في طلبه.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ فُصِّلَتْ

٢- ﴿تَنزِيلٌ﴾: يقول: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم. ٣- ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بُينت، أو جُعلت أساليب متنوعة. ٤- ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: استكبروا عن الإصغاء له، وهم مشركو قريش. ٥- ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾: عليها أغطية كالجُعْبة للنبل، فهي لا تفقه عنك ما تقول، ولا يصل إليها قولك. ﴿وَقْرٌ﴾: ثِقل وصَمَم ﴿حِجَابٌ﴾: سِتر لا نجتمع من أجله نحن ولا أنت، وهو اختلافهم في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾: أنت يا محمد بدينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾: بديننا. ٦- ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: بالطاعة. ٧- ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: قيل: هي الزكاة بعينها أو الصدقة، لأن السورة مكية. وقيل: الذين لا يشهدون ان لا إله إلا الله، لأنها زكاة الأنفس وتطهيرها. ٨- ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾: ثواب يأجرهم به على أعمالهم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص، أو غير مقطوع عنهم. ٩- ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: أكفاء من الرجال تُطيعونهم في معاصي الله عز وجل. ١٠- ﴿رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت في الأرض ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: انبت شجرها ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾: يعني: أقوات أهلها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: فرغ من خلق الأرض، وجميع منافعها وأسبابها في أربعة أيام، منها اليومان اللذان خلق فيهما الأرض ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾: معناه: من سأل عن ذلك، فهو كما قال الله عز وجل. ١١- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: عمد وقصد نحوها قصداً سوياً، ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: الدخان: ما ارتفع من لهب النار، ويستعار لما يرى من بخار الأرض، قال المفسرون: هذا الدخان هو بخار الماء. وقيل: هو الغاز والسديم، ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أي: طائعين أو مكرهين. قال الله عز وجل للسماوات: أطلعي شمسي وقمري ونجومي، وقال للأرض: شَقِّقي انهارك وأخرجي ثمارك ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾: أي: أتينا أمرك ﴿طَآئِعِينَ﴾: منقادين. وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء. والمعنى أنه لما أراد تكوينهما لم يمتنعا، ووُجدتا كما أرادهما سبحانه.

[١] ﴿ حمٓ ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿ حمٓ ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم.. فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [١١] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١]. ما الفرق بين: "الكَرْه، الكُرْه، الإكراه" الجواب: ١- الكَرْه استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليل على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْه استعملها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معًا، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثَمَّ لا يمكن ولا يُساغ أن تأتي إحداهما مكان الأخرى. ٣- الإكراه هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكَرْه»، و«الكُرْه» أن الإكراه فعلُ المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكَرْه» و«الكُرْه» فعل المُكرَه (اسم مفعول). أمثلة: أولاً: «الكَرْهُ» بفتح الكاف: قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [النساء:١٩]، ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [التوبة:٥٣]، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد:١٥]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١]. ثانيا: «الكُرْهُ» بضم الكاف: قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثالثًا: «الإكراهُ»: قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٤] ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ [فصلت: ١٤]. ما الفرق بين: "جاءتهم رسلنا، جاءكم رسلٌ"؟ الجواب: وردت (جاءتهم رسلُنا) ثماني مرات. كما في سورة [فصلت: ١٤]. ووردت (جاءكم رسل) مرة واحدة. في قوله تعالى: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. فما فائدة قوله: ﴿ جَآءَكُمْ رُسُلٌ ﴾ مع ورود قوله: ﴿ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ ﴾؟ والجواب: أن (جاءتهم رسلنا) أو (جاءتهم رسلهم) أو (جاءتهم الرسل)، جاء الفعل فيها متصلًا بتاء التأنيث (جاءت)؛ لأن كلمة الرسول جمع تكسير، وقد تضمن معنى الجماعة، أي كأنه قال: «جاءتهم جماعةُ الرسل». أما قوله: (جاءكم رسلٌ) فجاء فيها الفعل (جاء) دون تاء تأنيث؛ لأن كلمة الرسل هنا في الآية الثانية لم تتضمن معنى الجماعة، ولذلك جاء معها الفعل مجردًا من تاء التأنيث في قوله تعالى: ﴿ جَآءَكُمْ رُسُلٌ ﴾. [١٠] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سَوَآءً ﴾ قرئ: (سواءٌ) بالرفع خبرًا لمبتدأ مضمر، أي: هي سواء. وقرئ: (سواءٍ) بالجر صفة للمضاف أو المضاف إليه. وقرئ: (سواءً) بالنصب على المصدر بفعل مقدر، أي: استوت استواء، أو على الحال من ضمير أقواتها. [١١] ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١]. أصل الكون: تشير دراسات الفيزياء النظرية في أواخر القرن العشرين إلى أن جرمًا بمواصفات الجرم الابتدائي للكون عندما ينفجر يتحول إلى غلالة من الدخان الذي تخلقت منه الأرض وكل أجرام السماء، وقد سبق القرآن الكريم بألف وأربعمائة سنة كل المعارف الإنسانية، وذلك بإشارته إلى مرحلة الدخان. [١٢] ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ١٢]. مصابيح السماء: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن الله عز وجل قد زين السماء بهذه النجوم وجعلها لها كالمصابيح، وهذا ما كشف عنه العلماء عندما التقطوا صورًا رائعة للنجوم شديدة اللمعان أو الكوازرات، وأدركوا أن هذه النجوم تضيء الطريق الذي يصل بيننا وبينها. لذلك أطلقوا عليها اسمًا جديدًا وهو =

نزول سورة فصلت: نزلت بعد سورة غافر، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة فصلت: سبعمائة وست وتسعون. عدد حروف سورة فصلت: ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون. أسماء سورة فصلت: وللسّورة ثلاثة أسماء: فصلت، حم السّجدة؛ لاشتمالها على السجدة، وسورة المصابيح. مواضيع سورة فصلت: معظم مقصود =

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾: فأوجدهنّ أو فرغ من خلقهن ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: من أيام الله عز وجل ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾: خلقها، من الملائكة والشمس والقمر والنجوم، وما لا يعلمه إلا هو، وقال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [٣٠] أي: كوّرها، فالأرض متقدمة خلقاً متأخرة دَحْواً، والله أعلم. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بالكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾: كأنه قال: وحفظناها حفظاً من الشياطين. ١٣- ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾: وقيعة، وعذاباً مهلكاً، ومعنى «الصاعقة»: كل ما أفسد الشيء وغيّره عن هيئته. قال ابن عطية: والمعروف في الصاعقة: أنها الوقعة الشديدة من صوت الرعد، وتكون معها في الأحيان قطعة نار، فشبّهت هنا وقعة العذاب بها، لأن عاداً لم تعذّب إلا بريح، وإنما هذا تشبيه واستعارة. ١٤- ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: أتوهم من كل جانب، واجتهدوا بهم، وأعملوا فيهم كل حيلة. ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾: لأرسلهم إلينا، ولم يرسل إلينا بشراً من جنسنا. ١٦- ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: متتابعات مشائيم، ذوات نُحوس. ١٧- ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: بيّنا لهم سبل النجاة ودللناهم على الطريق الحق بإرسال الرسل إليهم، ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: أي: اختاروا الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة. ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: من الهوان، أي عذاب مُذل. ١٩- ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ﴾: يجمع ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾: هم الكفرة المخالفون لأمره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: تُحبَس أولاهم على أخراهم، ليتلاحقوا ويجتمعوا. ٢٠- ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا من المعاصي، تنطق الجوارح بما كتمت الألسن.

[١٤] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]. آية سورة المؤمنون تقدّم قبلها ذكر الله، وليس فيها ذكر الرّب، وفي السّجدة تقدّم ذكر "ربّ العالمين" سابقًا على ذكر لفظ الله، فصرّح في المؤمنين بذكر الله، وفي فصلت بذكر الرَّب؛ لإضافته إلى العالمين وهم من جملتهم، فقالوا إمّا اعتقادًا وإمّا استهزاء: ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، فأضافوا الربّ إليهم. [١٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]. فأذاق الله الأمم المكذبة العذاب والهوان في الدنيا، وأعد لهم عذابًا أشد وأشق في الآخرة، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ما حلّ بهم؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم لاتّعظوا، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية فصلت: لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشد ذلّا وهوانًا، وهم لا يُنصَرون بمنع العذاب عنهم، وذلك بسبب كفرهم. [١٨] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]، ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت:١٨]. خُصّت سورة النمل بـ"أنجينا" موافقة لما بعده، وهو: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [النمل: ٥٧] وبعده: ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل: ٥٨]، كلّه على لفظ "أفعل"، وخصّتْ حم بـ"نجينا" موافقة لما قبله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾ [فصلت: ١٢] وبعده: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وكلّه على لفظ "فعّل"، والتضعيف في ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ يفيد التكثير. [٢٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ [فصلت: ٢٠] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾. إذا قصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنه "إذا" لقوة معنى الجزاء، استعملت "ما" بعدها، وإذا لم يقصد ذلك لقرب معنى الجزاء من الشرط لم يستعمل "ما" بعدها، فقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ [فصلت: ٢٠]، شهادة السمع وسائر الجوارح من المعاني القوية التي لا يقتضيها الشرط الذي هو المجيء.. وليس كذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]؛ لأن المجيء يقتضى فتح الأبواب، فصار المكان مكان اختصار وحذف لما لا بد للكلام منه، فكيف يزاد فيه ما يستغنى عنه.

[٩-١٢] ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت: ٩]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢]. هذا يدل على أنّ السماوات والأرض وما بينهما خلقت في ثمانية أيام، وهو مناف لما ذكره في الفرقان وغيرها أنها خلقت في ستة أيام! الجواب: أنه أضاف اليومين اللذين دحا فيهما الأرض، وأخرج ماءها ومرعاها إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فصارت أربعة أيام، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] إلى آخره، معطوف على خَلق الأرض، تقديره: خلق الأرض وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام. [١٧] ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. ما الفرق بين: "الرُّشْد والهُدَى"؟ الجواب: يستعمل القرآن (هُدى) في الخير والشر معًا، بيد أن ورودها في الخير هو الأصل والأعمّ، وورودها في الشر لم يتعد موضعين: كان فاعل (الهدى) في الأول هو الشيطان: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٣-٤]، وفاعل (الهدى) في الثاني هو فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. بينما لم يستعمل القرآن كلمة (رُشْد) أو (رَشَد) إلا في الخير =

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ قرئ: (نحِسات) بكسر الحاء لأنه صفة لأيام، وهو قياسه، فحمله على معنى النسب، كأنه في التقدير: ذوات نحوس. وقرئ: (نحْسات) بإسكان الحاء مخففة من فعل المكسور، و"النحسات" الشديدة البرد، أو هي المشؤومة عليهم. [١٩] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُحْشَرُ﴾ قرئ: (نحشر) بنون العظمة المفتوحة وضم الشين مبنيًا للفاعل، و"أعداء" بالنصب مفعول به، أي: نحشر نحن. وقرئ: (يُحشَر) بياء الغيب مضمومة مع فتح الشين مبنيًا للمفعول، و"أعداء" بالرفع على النيابة.

= «المصابيح»، وسبحان الذي سبقهم إلى هذا الاسم، فقال عن النجوم التي تزين السماء: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢]. [٢٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ =

= السّورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفّار عن قبوله، وكيفيّة تخليق الأرض والسّماء، والإشارة إلى إهلاك عاد وثمود، وشهادة الجوارح على العاصين في القيامة، وعجز الكفّار في سجن جهنّم، وبشارة المؤمنين بالخلود في الجنان، وشرف المؤذّنين بالأذان، والاحتراز من نزغات الشيطان، والحجّة والبرهان على وحدانيّة =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)

٢٢- ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: قيل: معناه: ما كنتم تستخفُون. وقيل: معناه: ما كنتم تظنون. وقيل: ما كنتم تتقون. ٢٣- ﴿أَرْدَاكُمْ﴾: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾: من الهالكين. ٢٤- ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾: لم ينفعهم الصبر، ولم ينفكُوا به من أن تكون النار مسكنهم ومنزلهم، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾: يسألوا العتبى، وهي: الرجعة لهم إلى الذي يُحبون، من تخفيف العذاب عنهم. والعُتبى: الرّضا، تقول: استعتبته فأعتبني، أي: استرضيتُه فأرضاني. ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: من الذين يرجع بهم إلى محبوبهم وما يرغبون فيه، لأنهم لا يستحقون ذلك. ٢٥- ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾: بعثنا لهم ﴿قُرَنَاءَ﴾: نُظراء من الشياطين جعلهم بمنزلة الأخلاّء لهم. وقرناء جمع قرين. ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمر الدنيا، حيث آثروها على الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: التكذيب بالمعاد بعد مماتهم ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: وجب عليهم ﴿الْقَوْلُ﴾: العذاب ﴿خَاسِرِينَ﴾: مغبونين هالكين. ٢٦- ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه، كيلا تسمعوه ولا تفهموا ما فيه. بل حتى لا يستمع إليه أحد فيتأثر به، أو يسلم حين سماعه. وهذه طريقة في الغَلَب عجيبة وغريبة! لا تسمعوا لمتحدث! وربما كان هذا آخر ما يطلقه مهزوم في حوار أو دعوة أو نقاش. ٢٨- ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾: دار المكث واللبث. ٢٩- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بعدما أدخلوا جهنم يوم القيامة. ﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: من الجن: إبليس. والذي من الإنس: ابن آدم الذي قتل أخاه. لأنه هو الذي سَنَّ القتل والمعصية من البشر. وقيل: إن «الذي» -في قولهم: اللذين- إنما هو للجنس، أي: أرنا كلَّ مُغوٍ من الجن والإنس. ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: في الدرك الأسفل من النار، وهو أشدها. [٢٢] قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية. أخرج الشيخان والترمذي، وأحمد وغيرهم، عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا؛ فأنزل الله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية.

= بخلاف ما جاء مع الهدى. كما اختصت كلمة (رُشد) بمقامات الدعاء إلا في موضعٍ واحدٍ هو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. يراد بـ(هدى) في القرآن مطلق البيان: إلى حقٍّ كان أو إلى باطل، إلى صوابٍ كان أو إلى خطأ، إلى خيرٍ كان أو إلى شر. (الرُّشْدُ) في القرآن أخصُّ من (هدى) بدليل الجمع بينهما في قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وجعل الهدى وسيلةً للرشد. الرشدُ: هو الهداية مع التوفيق للعمل الصالح، لذا غلب على استعماله الجملة الاسمية (لدلالة الاسم على الثبات والدوام)، أما مجرد الهداية ومعرفة الحق من الباطل، فقد يتردّد العباد فيها بين الاستقامة والزيغ، لذا ناسبها التنويع بين الجملة الاسمية والفعلية كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. أما مطلق الهداية فلا يلزم منها (التوفيق)، والهداية من الله: هي نصب الدلائل العلمية أو العقلية الفارقة بين: الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والنفع والضرر. [٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ...﴾ [فصلت: ٣٠]. قال ابن رجب الحنبلي: يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلًا من ماء العيون وقد طهرت، ذكّروها مدحة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ لعلها تحن إلى الاستقامة، عرفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربه ونظره. [٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]. استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية "تنزّل" لماذا؟ الجواب: الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشّره بمآله إلى الجنة، أما الثانية فهي في ليلة القدر، والتنزّل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة؛ لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض، فالملائكة في مثل هذه الحالة تتنزّل في كل لحظة وكل وقت، أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر، إذًا التنزّل الأول أكثر استمرارية من التنزّل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملًا غير مقتطع "تتنزّل"، أما في الآية الثانية في الحدث المتقطع فقد اقتطع الفعل "تنزّل". [٣٠] ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. ما الفرق بين: "تتنزّل وتنزّل"؟ الجواب: ورد الفعل (تتنزل) ثلاث مرات، كما ورد الفعل (تنزّل) ثلاث مرات أيضًا. ورد الفعل (تتنزل) لسببين: ١- توالي التاءين في الفعل (تتنزل) يدل على الهدوء والترتيب، مما يناسب ذكره مع ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ﴾ [فصلت: ٣٠] على المؤمنين بهدوء ورحمة. ٢- سبق في مطلع سورة فصلت قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، فالمصدر (تنزيل) فعله المضارع (يتنزل) أو (تتنزل) فناسب هذا الفعل ذلك المصدر (الذي هو مصدر الفعل نفسه). أما الفعل (تنزَّل) فقد ورد لأسباب: ١- في سورة الشعراء: أ- الآيات قصيرة، ويناسب الآيات القصيرة الألفاظ المختصرة؛ لذا كان ذكر كلمة (تنزل) أنسب هنا من (تتنزل). ب- كثرة مادة (نزل) في السورة؛ إذ وردت خمس مرات في الآيات الرابعة (تنزّل)، والثانية والتسعين بعد المائة (تنزل)، والثانية والتسعين بعد المائة (نزلناه)، والعاشرة بعد المائتين (تنزلت)، ولكثرة ورود هذه المادة في سورة الشعراء، ناسب ذلك ذكر الفعل المختصر (تنزل). جـ- حذف التاء من أول الفعل (تتنزل)، والعدول =

= (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتها) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتها) وقد ورد كلٌّ (١٤٨) في كتاب الله تعالى.
[٣٥] ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [٣٧] ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ =

= الرّحمن، وبيان شرف القرآن، والنفع والضرّ، والإساءة والإحسان، وجزع الكفّار عند الابتلاء والامتحان، وإظهار الآيات الدّالة على الذّات والصّفات الحسان، وإحاطة علم الله بكلّ شيء من الإسرار والإعلان.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: وحّدوه وبرئوا من غيره ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: أي على قولهم: ربّنا الله، وبقوا على التوحيد، ولم يُشركوا به شيئاً، حتى لحقوا بالله عز وجل. ﴿تَتَنَزَّلُ﴾: تتهبّط ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: من عند الله، عند نزول الموت بهم ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾: ما تُقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: على ما خلّفتم من دنياكم. وقال ابن عطية: أمَنَةٌ عامّة في كل همٍّ مستأنف، وتسلية تامّة عن كل فائت ماض. ٣١- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾: تقول الملائكة: نحن الذين كنا نتولاكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. وذُكر أنهم الحفظة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: كما كنا لكم في الدنيا. ٣٢- ﴿نُزُلًا﴾: يقول: أعطاكم ذلكم ربكم نزلاً لكم. ٣٣- ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: ممن خضع لله بالطاعة، وذلّ له بالعبودية. ٣٤- ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها ويثيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: ادفع بحلمك وعفوك جهل من أساء إليك ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ﴾: لك من بني أعمامك، قريب النسب بك و«الحميم»: هو القريب. ٣٥- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: وما يعطى دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: ذو نصيب وجَدٍّ سابق في الخيرات عظيم. ٣٦- ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: يلقي الشيطان في نفسك وسوسة وغضباً، إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، والنزغ شبيه النخس، شبه به الوسوسة لأنها تبعث على الشر. ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: استجر واعتصم بالله. ٣٧- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: من حججه على خلقه ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾: واختلافهما ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنهما مُسخّران لكم، لا يستطيعان لكم نفعاً ولا ضراً. وهما مخلوقان من مخلوقات الله، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته. ٣٨- ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: يعني مشركي قريش وسواهم عن أن يسجدوا لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: يعني: الملائكة ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا يملون الصلاة ولا يفترون.

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾ [فصلت : ٣٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف : ١٣]. إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها، فهذا ما دلت عليه آية فصلت، أما آية الأحقاف: إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا. [٣٦] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف : ٢٠٠]، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت : ٣٦]. آية فصلت تقدمها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤]، فالحسنة لا تستوي مع السيئة وكذلك العكس، فالإيمان لا يساوى بالكفر، والتقوى لا تساوى بالفجور، وكذا العدل لا يساوى بالظلم، فما يشق على الإنسان فعله هو أن يدفع السيئة بالحسنة، ويقابل غلظة عدوه بالملاينة، استنكافًا لشره وأذاه، حتى يعود إلى اللطف في المقال الجميل من الفعل، فيصير وإن كان عدوًا كأنه صديق قريب القربى، وهذه لا تكون إلا لذوي الأخلاق الفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة، فلما كان هذا الأمر من الأمور الشاقة العسيرة قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فصلت : ٣٥]، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٥]، فناسب الآية التوكيد بالضمير المنفصل والتعريف بالألف واللام، فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أمّا آية الأعراف فلم يتقدمها مثل ما تقدم آية فصلت، فقبلها قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩]، ففيها الحث على أحسن الأخلاق التي أمر بها الشرع، ولم يكن فيها من المشاق ما في السورة الأخرى، فجاء اللفظ على الأصل ولم تحصل المبالغة.

= عنه إلى الفعل (تنزل) يدلُّ على السرعة والخفة والخفاء، وهذه الحالة تناسب حال نزول الشياطين على الأفاكين في خفة وسرعة وخفاء؛ لذا ناسب ذلك ورود الفعل (تنزل). ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. ٢- في سورة القدر: أ- ورد في أول السورة الفعل (أنزلناه)، والسورة قصيرة، وليس ثمة فاصل بين هذا الفعل وفعل التنزيل التالي: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [القدر: ٤]، لذا ناسب الإتيان بهذه الصيغة المختصرة التي تناسب الآيات القصيرة من ناحية، وفيها تنويعٌ وعدم تكرار من ناحية أخرى. ب- الفعل (تنزل) كما سبق يدلُّ على الخفاء والسرعة، ويناسب ذلك تنزل الملائكة ليلة القدر. [٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤]. سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال: الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك. [٣٤] ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ما الفرق بين (العَدَاوَة، العدوان، العَدْو)؟ الجواب: وردت كلمة (العداوة) ست مرات. وكلمة (العدوان) ثماني مرات. وكلمة (العدو) مرة واحدة. (العداوة) تتعلق بالقلوب. ولذلك ارتبطت هذه الكلمة بكلمة البغضاء (وكلاهما قلبي)، و(العدوان) يتعلق بتجاوز العدالة (ويتعلق بالجوارح). و(عدوًا) تتعلق بتجاوز العدالة تجاه الله -تعالى- خاصة. وقد جاءت هذه الكلمة على هذه الصورة الغريبة؛ لأن الاعتداء على حقٍّ من حقوق الله تعالى سلوكٌ شاذٌّ وغريبٌ عن الفطرة السوية، لذا كانت الصيغة المعبرة عن ذلك شاذة غريبة، ولها من الظلال ما لها، فهي في سياقها تعني (الركض) والركض: هو العَدْو. ويعني تجاوز الاعتدال في المشي، فجُسِّد به المعنى تجسيدًا.

= إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن. [٣٧] ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت : ٣٧]. شموس وأقمار: اكتشف العلم الحديث وجود شموس أخرى غير شمسنا، وأقمارًا أخرى غير قمرنا بعد إرسال سفن الفضاء، وإطلاق الأقمار الصناعية، والتقاط الصور المعبرة عن هذه الحقيقة القرآنية الخالدة... هل عرفت الآن... لم قال الله: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾؟ وما المقصود بها؟

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)

٣٩- ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: غبراء مُتهشِّمة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: الغيث ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخت. ٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الحق، ويعدلون عنه بالكذب ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: في حججنا وأدلتنا. والإلحاد: الميل والعدول، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: نحن بهم عالمون، وهذا وعيد لهم على تحريف آيات الله ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾: وعيد من الله تعالى خُرِّج مخرج الأمر. ٤١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: جحدوا ﴿بِٱلذِّكْرِ﴾: بالقرآن ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾: لأنه كلام الله، فهو عزيز عن أن يعارض، أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب. ولهذا سقطت وما تزال تسقط وتُفضح ظنون وجهالات الملاحدة والمنافقين. ٤٢- ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: لا يستطيع الشيطان - وهو الباطل - أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً، وقيل: لا يأتيه الخطأ والتكذيب من الكتب والوقائع قبله، ولا يجيء من بعده كتاب أو علم يخطئه أو يبطله ﴿تَنزِيلٌ﴾: هو تنزيل. ٤٣- ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾: يقول: ما يقول المشركون لك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾: إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك، فاصبر على ما نالك من أذاهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: لمن أصر على كفره. ٤٤- ﴿لَّقَالُوا۟﴾: يعني: مشركي قريش ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾: هلَّا بُيِّنت آياته بلغتنا؟ ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾: لقالوا: - أكتاب عجمي، والمكتوب إليه عربي؟ ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: من الجهل. ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقل على أسماعهم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: عموا وصمُّوا عنه، فلا يبصرون حججه ولا ينتفعون به. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: تشبيه من الله لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لتنادى من مكان بعيد! ٤٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: يعني: التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي: في العمل بما فيه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾: لولا ما سبق من قضاء الله وحكمه في تأخير عذابه، أو أن الفصل إنما يكون يوم القيامة، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لعجل الفصل بينهم بإهلاك المبطلين ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: يعني: الفريق المُبطِل ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾: أي من كتابك المنزل عليك وهو القرآن، ﴿مُرِيبٍ﴾: يريبهم بقولهم فيه. وقيل: إن المراد اليهود، وإنهم في شك من التوراة شديد الريبة.

[٤٢] معنى اسم الله الحميد: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أنَّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأوَّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدَّراً حيثما تَسَلْسَلَتِ الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنَّ الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويَّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام.

[٤٠] قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر. [٤٤] قوله تعالى: ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا فأنزل الله ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان، قال ابن جرير: والقراءة على هذا: «أعجمي» بلا استفهام.

[٣٩] ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]. وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، فهذا ما دلت عليه الآيتان.
[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠، فصلت: ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي هود وفصلت، والآية تبين أن الله قد آتى موسى الكتاب وهو التوراة، فاختلف فيه قومه، فآمن به جماعة وكفر به آخرون كما فعل قومك بالقرآن. ولولا كلمة سبقت من ربك بأنه لا يعجل لخلقه العذاب، لحلَّ بهم في دنياهم قضاء الله بإهلاك المكذِّبين ونجاة المؤمنين، وإن الكفار من اليهود والمشركين لفي شك من هذا القرآن مريب. [٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]. الآيتان تشيران إلى أنه من عمل صالحًا فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله، وآية فصلت تبين أن ربك ليس بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيِّئة، وأما آية الجاثية فتوضح أنكم أيها الناس إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

[٤٤] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. معجزة الشفاء بالقرآن: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا، فجاءت جاريةٌ فقالت: إن سيد الحي سليم - لديغ -، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبنه برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا: أكنت تُحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تُحدثوا شيئًا، حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: «وما كان يَدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم» رواه البخاري ومسلم. وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم (يعني اللديغ). قام فريق عمل طبي يبحث في (أكبر) عيادات في مدينة بنماسيتس بولاية فلوريدا، وقُدِّم هذا البحث في المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في إستانبول بتركيا، وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات أثر استماع القرآن باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عددٍ من المتطوعين الصُّمِّ أثناء استماعهم لتلاوة القرآن، وقد تم تسجيل أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين، بعدما تُليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية، ثم تُليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية، =

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

٤٧- ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: لا يعلم متى قيامها غير الله ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها التي هي مُغَيَّبة فيها، فتخرج منها بارزة ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: بعلم الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يوم ينادي الله المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام ﴿ءَاذَنَّـٰكَ﴾: قالوا: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: على أن لك شريكاً. ٤٨- ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: بطل عنهم وذهب ﴿وَظَنُّوا۟﴾: -في هذا الموضع-: أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: أنه ليس لهم ملجأ. ٤٩- ﴿لَّا يَسْـَٔمُ﴾: لا يملُّ ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾: يعني: الكافر ﴿مِن دُعَآءِ﴾: ربه في مساءلته، وطلب ﴿ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: إن ناله الضر ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه ﴿قَنُوطٌ﴾: من رحمته، ومن أن يكشف الشر النازل به. وقال بعض المفسرين: الأولى حمل الآية على العموم، باعتبار الغالب على الإنسان. ٥٠- ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾: أي بعملي، وأنا محقوق به ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: ما أحسب القيامة تقوم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: يقول: ولئن قامت القيامة أيضاً ورُدِدت إلى الله حياً، أو: لئن رُددت إليه، على صدق ما يخبرنا به الأنبياء من قيام الساعة، وحصول البعث والنشور، ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾: إن لي عنده مالاً وغنى. ٥١- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾: قيل: الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾: عما دعونا إليه من طاعتنا ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تباعد عنا ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في «الكثرة» مجازاً. ٥٢- ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ﴾: فراق لأمر الله ﴿بَعِيدٍ﴾: من الرشاد. ٥٣- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾: بوقائع محمد ﷺ في نواحي المشركين ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: يعني: فتح مكة. وقيل: سنريهم الأدلة والبراهين على صدق القرآن والإسلام في آفاق الكون، وفي أنفسهم وذواتهم. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: حتى يعلموا حقيقة ما أنزل الله على محمد ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: معناه: أو لم يكف بربك أنه شاهد على كل شيء، مما يفعله خلقه. ٥٤- ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ﴾: يعني: المكذبين ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾: في شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾: أحاط علماً بجميع ما خلق، وقدَره عليهم.

[٤٩، ٥١] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾، لا ينافي قوله بعد: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾؛ لأنّ المعنى: قنوط من الصنم، دعَّاء لله، أو قنوط بالقلب، دعَّاء باللسان، أو الأول في قوم، والثاني في آخرين. [٥٠] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ [هود: ١٠]، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠]. لم يرد في هود ما يستدعي تلك الزيادة، وأمَّا سورة فصلت فتقدم فيها قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت: ٤٧]، تنبيهًا على سوء مرتكبهم، فلما تقدم ذكر الشركاء قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾، ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله: "مِنَّا"، وأمَّا زيادة: "مِن" في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، فمناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة، فناسب ذلك الزيادة، ولإيجاز هذا القصد في سورة هود ناسبه سقوط "مِن"، فجاء كل على ما يناسب ويجب، ولم يكن ليلائم كلًا من الموضوعين إلا ما ورد فيه، والله أعلم. [٥٠] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا﴾ [الكهف: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ﴾ [فصلت: ٥٠]. بعد تنويع الخطاب: إن في لفظ "الرد" من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ "الرجوع"، فلما كان في آية صاحب الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقته لها أشد على النفس من مفارقة صاحب "فصلت" لما كان فيه؛ لأنه لم يبالغ في وصف ما كان فيه كما بالغ صاحب آية الكهف؛ فناسب ذلك لفظ "الرد" في الكهف ولفظ "الرجوع" في فصلت. [٥١] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. وإذا أنعمنا على الإنسان من حيث هو بمال وعافية ونحوهما، تولَّى وتباعد عن طاعة ربه، وإذا أصابته شدة من فقر أو مرض كان قنوطًا؛ لأنه لا يثق بفضل الله تعالى، إلا من عصم الله في حالتي سرَّائه وضرَّائه، فهذا ما دلت عليه آية الإسراء، أمَّا آية فصلت: وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترفَّع عن الانقياد إلى الحق، فإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء. [٥٢] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ...﴾ [الأحقاف: ١٠]. "ثم" في الآية الأولى تقتضي المهلة، فبعد أن جاءهم العلم والهدى كان عاقبة أمرهم الكفر فلا نظر ولا تأمل، أما الآية الأخرى فالخبر فيها متصل، ولم تكن نهاية القصة بل عطف عليها أفعالًا فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

[٥٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. ما الفرق بين: "شاهد وشهيد"؟ الجواب: وردت كلمة (شاهدًا) سبع مرات، وكلمة (شهيد) خمسًا وثلاثين مرة. كلمة (شاهد) اسم فاعل، بينما كلمة (شهيد) صفة مشبهة على وزن (فعيل) تستخدم في ألوان السياق التي تستدعي توكيدًا، وقد جاءت بمعانٍ عدَّة: ١- شهادة على المعاملات في الدنيا، وهذا يقتضي توكيد الشهادة ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ٢- شهادة عيسى -عليه السلام- لينفي عن نفسه أن يكون قد قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، ويقتضي المعنى تأكيد نفي التهمة عن نفسه حتى قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. ٣- شهادة الرسول ﷺ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩]. ٤- شهادة الله -سبحانه وتعالى- وقد وردت خمسًا وعشرين مرة من مجموع خمس وثلاثين مرة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وناسب خطاب الله هنا للناس التوكيد؛ لأن منهم المؤمن والمكذب الذي يقتضي خطابه التوكيد ليُصدِّق. أما (شاهد) وهي اسم فاعل، فتأتي في السياق الذي لا يستدعي توكيدًا، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

[٤٧] ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ قرئ: (ثمرات) بالألف على الجمع لاختلافها وتنوعها. وقرئ: (ثمرة) بغير ألف على التوحيد على إرادة الجنس. = وأثبتت التجارب أن كلمات القرآن بذاتها، وبغض النظر عن مفهوم معناها، لها أثرٌ فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الشُّورَىٰ

١، ٢- ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾: نظير ما تقدم فيما افتتحت به السور من حروف الهجاء. والراجح في تفسير هذه الفواتح أن «فيها إشارة إلى بعد الغاية في الإعجاز، لأن القرآن المنزل مؤلف من هذه الحروف، والناس فيها سواء! ولكن التفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف» على حد قول ابن خلدون الذي عزاه إلى بعض المفسرين. ٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾: هكذا يوحي إليك ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الأنبياء والرسل. ٥- ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾: يَتَشققن من فوقهن من عظمة الله وجلاله. وقيل: من فوق الفرق والجماعات الملحدة، التي من أجل أقوالها تكاد السماوات يتفطرن؛ إشارة إلى أن الطبيعة الخاضعة لسنن الله، لا تطيق خروج الإنسان عن أوامر الله. ﴿لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾: من أهل الإيمان بالله. وقيل: الآية عامة، ومعنى استغفار الملائكة للكفار: طلب الهداية التي تؤدي إلى الغفران، قال ابن عطية: وكأن الملائكة تقول: اللهم اهد أهل الأرض واغفر لهم. ٦- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: آلهة يتولونها، أو أحباراً ورهباناً ونحوهم يطيعونهم على عماية وضلال. ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: يحفظ أعمالهم، ويحصي أفعالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بحفظ أعمالهم، إنما أنت مُنذر. ٧- ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾: مكة وما حولها من سائر الناس. وهذا الإنذار كان أحد مراحل تبليغ دعوة الإسلام العالمية. ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: ولتنذر بيوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾: أهل السعادة ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: أهل الشقاء، والمعنى: فريق منهم. ٨- ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على دين واحد. ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾: في الدين الحق، وهو الإسلام ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾: يتولاهم يوم القيامة، فينصرهم أو يدفع عنهم العذاب. ١٠- ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: ارجع في اموري، واتوب من ذنوبي.

[١] ﴿حمٓ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حمٓ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم.

[٥] ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم : ٩٠]، ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الشورى : ٥]. تكاد السماوات يتشققن مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم له الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الشورى: تكاد السماوات يتشقَّقنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم. [٥] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥]. ما وجه تخصيص سؤال الاستغفار للمؤمنين في غافر وتعميمه في الشورى؟ الجواب: والله أعلم: أن ذلك جار بحسب المناسبة، ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر من ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر : ٧٣]، وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣]، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الزمر : ٧٤]، إلى ختام السورة، ثم تبع ذلك قوله تعالى في مطلع سورة غافر: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر : ٣]، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين بصفات المذكورين، ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبرًا عن ملائكته بقولهم داعين: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر : ٧]، وأما قوله تعالى أثناء هذه الآية: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ﴾ [غافر : ٤]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر : ٥]، فتأنيس للمؤمنين وباعث على شكر النعمة على ما منَّ به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذب وعاند، فبان التناسب في هذا كله. وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في خاتمة سورة فصلت: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت : ٥٢] إلى قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت : ٥٤]، ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ =

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُوحِيٓ﴾ قرئ: (يوحَى) بفتح الحاء مبنيًا للمفعول، فيوقف في قراءته على (قبلك)، ويُبتدأ (الله العزيز)، والنائب إما "إليك" وإما ضمير يعود إلى ذلك لأنه مبتدأ، أي: مثل ذلك الإيحاء يوحى هو إليك، كذا في "الدر"، وجعله ضمير المصدر المقدر ضعيف، واسم الله تعالى فاعل بمقدر مفسر كأنه قيل: من يوحي؟ قيل: يوحي الله، وتالياه صفتاه. وقرئ: (يوحِي) بكسر الحاء مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى، فلا يوقف إلا على (الحكيم)؛ لأنهم أسندوا الفعل دون فاعله، ولا على الفاعل دون نعته، و"إليك" في محل النصب، أي: مثل ما أوحي إلى الأنبياء المتقدمين ـ صلوات الله على نبينا وعليهم ـ وقيل: في هذه السورة: أُوحِيتْ إلى كل نبي قبله. [٥] ﴿تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ هنا وفي سورة "مريم : ٩٠" قرئا: (تكاد-يكاد) بتأنيث الفعل وتذكيره لأن الفاعل =

[٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى : ٧]. مركز الأرض: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة أنها تبين أن مكة المكرمة مركز الأرض، وقد أجريتْ الأبحاث الحديثة، فتبين من خلالها أن مكة تتوسط اليابسة.

نزول سورة الشورى: نزلت بعد سورة فصلت، وهي مكيَّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الشورى: ثمانمائة وستٌّ وستّون. عدد حروف سورة الشورى: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون. أسماء سورة الشورى: ولها اسمان: عسق؛ لافتتاحها بها، وسورة الشورى. مواضيع سورة الشورى: معظم مقصود السّورة: بيان حُجّة =

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

١١- ﴿فَاطِرُ﴾: خالق ومبدع، ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾: ذكوراً وإناثاً من كل جنس ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ﴾: الذرء: البث، أي: يكثركم بما جعل لكم من الأزواج، ويُعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام. ١٢- ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح خزائن ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يوسع ﴿وَيَقۡدِرُ﴾: يُقتّر. ١٣- ﴿شَرَعَ لَكُم﴾: ربكم ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: الذي أرسل به محمداً ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾: أن يعمله و﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾: اعملوا به على ما شرع لكم وفرض ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾: تختلفوا ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾: عَظُم عليهم ما دُعوا إليه من شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ﴾: يصطفي ويختار لنفسه وولايته من أحب ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾: يوفق ﴿إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾: من أقبل إلى طاعته وراجع التوبة. ١٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾: اختلفوا، يعني المشركين في أديانهم فصاروا أحزاباً ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾: بأن الذي أمرهم الله عز وجل به، وبعث به نوحاً هو الدين الحق، أو: ما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، ففعلوا ذلك التفرق للبغي بينهم بطلب الرياسة وشدة الحمية. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾: وهي تأخير العقوبة، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: يعني: اليهود والنصارى ﴿مُرِيبٖ﴾: يريبهم، ويوقعهم في الحيرة والشك. ١٥- ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: معناه: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم ﴿فَٱدۡعُ﴾: عباد الله إليه ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾: على العمل به ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: يعني الذين شكوا في دين الله: في الحق ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ﴾: صدقت ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾: كائناً ما كان ذلك الكتاب، توراة أو إنجيلاً، أو غيرهما، لا كالذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض! ﴿لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾: لأسير فيكم بالحق ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾: لا خصومة بيننا وبينكم.

= [الشورى : ٥]، فناسب هذا استغفارهم لمن في الأرض لعظيم ما تقدم منهم مما أشار إليه قوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾، فلولا حلمه تعالى لعجل هلاكهم، فاستغفار الملائكة إبقاء سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة منهم، فقد وضح مناسبة الوارد في الموضعين لما بني عليه، وأن عكس الوارد غير مناسب، والله أعلم.

[٧] ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ ...﴾ [الأنعام : ٩٢]، ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ ...﴾ [الشورى : ٧]. الآيتان تبينان أن الله ما أرسل محمدًا ﷺ إلا لينذر أهل "مكة" ومَن حولها مِن سائر الناس، وآية الأنعام توضح أن الذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها، أمّا آية الشورى فتبين أن يوم القيامة، لا شك في مجيئه... [١٢] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر : ٦٣]، ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ...﴾ [الشورى : ١٢]. لله مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يعطي منها خَلْقَه كيف يشاء. والذين جحدوا بآيات القرآن وما فيها من الدلائل الواضحة، أولئك هم الخاسرون في الدنيا بخِذْلانهم عن الإيمان، وفي الآخرة بخلودهم في النار، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسّع رزقه على مَن يشاء مِن عباده ويضيّقه على مَن يشاء... [١٤] ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى : ١٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ لموافقته ثم مبدأ كفر الذين تفرقوا في الدين، وهو مجيء العلم بالتوحيد في قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ [الشورى : ١٤]، فناسب ذكر النهاية التي انتهوا إليها، ليكون محدودًا من الطرفين، بخلاف باقي المواضع. قاله في الشورى بزيادة: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾. [١٥] ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود : ١١٢]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ...﴾ [الشورى : ١٥]. فاستقم أيها النبي كما أمرك ربك أنت ومن تاب معك، ولا تتجاوزوا ما حدَّه الله لكم، إن ربّكم بما تعملون من الأعمال كلها بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها، فهذا ما دلت علية آية هود، أمّا آية فصلت: فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع أيها الرسول عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين...

[١٣] ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران : ١٠٣]، ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣]. في آية الشورى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء ﷺ، فجاء الفعل "تتفرقوا"، أما آية آل عمران فهي خاصة بالمسلمين، لذا جاء الفعل "تفرّقوا"، والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى، لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة "تفرّقوا"، وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة "تتفرقوا". [١٣] ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا﴾ [الشورى : ١٣]. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، لماذا اختار الاسم الموصول "الذي" عندما ذكر شريعة محمد ﷺ، ولم يقل "وما أوحينا إليك"؟ الجواب: لأن "الذي" أعرف وأخصّ من "ما" التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وقد بيّن تعالى شريعتنا وعرفناها، فجاء بالأعرف "الاسم الموصول الذي"، ولا نعلم على وجه التفصيل ما وصّى الله تعالى نوحًا وعيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام، لذا اختار سبحانه "ما" اسم الموصول غير المعرّف. = مؤنث مجازي يجوز تأنيثه نظرًا لـ"اللفظ" وتذكيره نظرًا للحقيقة. قوله تعالى: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ هنا، وكذا ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ في سورة "مريم : ٩٠" قرئا: (يتفطّرن) بتاء مفتوحة بعد الياء، وطاء مشددة مفتوحة على أنه مضارع "تفطر" بمعنى: تشقق، مطاوع فطّره بالتشديد، إذا شققه مرة بعد مرة، وذلك ليدل على التكثير الذي هو أليق بهذا المعنى؛ لأنه موضع مبالغة واستعظام لما قالوه: من أن لله ولدًا. وقرئ: (ينفطِرن) بالنون الساكنة بعد الياء وطاء مكسورة، خفيفة على أنها مضارع "انفطر" بمعنى انشق، مطاوع فَطَره بالتخفيف إذا شقه.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

= التوحيد، وتقرير نبوّة الرّسول ﷺ، وتأكيد شريعة الإسلام، والتّهديد بظهور آثار القيامة، وبيان ثواب العاملين دنيا وأخرى، وذلّ الظّالمين في عَرَصات القيامة، واستدعاء الرّسول ﷺ من الأمّة محبّة أهل البيت العِترة الطّاهرة، ووعد التّائبين بالقبول، وبيان الحكمة في تقدير الأرزاق وقسمتها، والإخبار عن شؤم الآثام =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾: يخاصمون في دين الله عز وجل الذي ابتعث به محمداً ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: من بعد ما استجاب له الناس فدخلوا فيه ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة ذاهبة. قيل: هم أهل الكتاب الذين كانوا يجادلون المسلمين، ويصدونهم عن الهدى. وقال ابن عباس: إن الآية نزلت في طائفة من بني إسرائيل همّت بردّ الناس عن الإسلام وإضلالهم ومجادلتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، وديننا أفضل.. ١٧- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: الكتاب هنا اسم جنس يعمّ جميع الكتب المنزلة. وقيل: المراد به: القرآن ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾: يقول عز وجل: وأنزل الميزان، وهو العدل ليقضي بين الناس بالإنصاف. ١٨- ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾: يخاصمون في قيام الساعة، مخاصمة شك وريبة، ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ﴾: لفي جور عن طريق الهدى ﴿بَعِيدٍ﴾: من الصواب. ٢٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يقول عز وجل: من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾: نجعل له بالحسنة عشراً إلى ما شاء الله، والحرث في اللغة: الكسب، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله الدنيا ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ما قسمنا له منها. ٢١- ﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾: يعني: المشركين ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾: في شركهم وضلالتهم ﴿شَرَعُواْ﴾: سنّوا وابتدعوا لهم ﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾: ما لم يُبح لهم ابتداعه ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾: ما سبق من الله أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، وأنه أخرهم إلى قيام الساعة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾: لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيل العذاب لهم في الدنيا ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: موجع. ٢٢- ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ﴾: وَجِلين خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾: في الدنيا من أعمالهم ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾: أي: وجزاء ما كسبوا نازل بهم. ﴿رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾: الروضات: جمع رَوضة. وروضة الجنة: أطيب مساكنها.

[١٩] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [١٩] معنى اسم الله اللطيف: ((اللطيف)) من أسمائه الحسنى، وهو الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر. وهذا من آثار علمه، وكرمه، ورحمته؛ فلهذا كان معنى اللطيف نوعين: النوع الأول: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار والبواطن والخبايا والخفايا، ومكنونات الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودقَّ من كل شيء. النوع الثاني: لطفه بعبده ووليّه الذي يريد أن يُتمَّ عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويُرقّيه إلى المنازل العالية، فييسّره لليُسرى ويجنّبه العُسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه، وهي عين صلاحه والطريق إلى سعادته، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله، وكما ذكر الله عن يوسف ﷺ، وكيف ترقّت به الأحوال ولطف الله به وله، بما قدّره عليه من تلك الأحوال التي حصل له في عاقبتها حسن العُقبى في الدنيا والآخرة، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه؛ ليُنيلهم ما يُحبّون. فكم لله من لُطفٍ وكرمٍ لا تدركه الأفهام، ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية، أو رياسة، أو سبب من الأسباب المحبوبة، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمةً به لئلاّ تضره في دينه، فيظل العبدُ حزيناً من جهله وعدم معرفته بربّه، ولو علم ما ادُّخِرَ له في الغيب، وأُريد إصلاحه فيه، لحمد الله وشكره على ذلك؛ فإنّ الله بعباده رؤوفٌ رحيم، لطيف بأوليائه. [١٦] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجًا، فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا، فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق، عن قتادة في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم.

[١٧] ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى: ١٧]. آية الأحزاب بزيادة "تكون" مراعاة للفواصل.

[١٨] ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾ [الفيل: ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضَلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف: ٦١].

[٢٥] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَفۡعَلُونَ﴾ قرئ: (تفعلون) بالتاء من فوق على المخاطبة فهي تعم الحاضر والغائب، وقرئ: (يفعلون) بالياء.

[٢٠] ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلُّ عدد (١٤) مرة في كتاب الله.

- والذنوب، والمدح والثناءِ على العافين من النَّاس ذنوبَ المجرمين، وذلّ الكفّار في مَقَام الحساب، والمِنَّة على الخَلْق بما مُنحوا: من الأولاد، وبيان كيفيّة نزول الوحي على الأنبياءِ، والمنّة على الرّسول بعطيّة الإيمان، والقرآن، وبيان أن مرجع الأُمور إلى الله الدّيان.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾

٢٣- ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على دعائكم إلى ما أدعوكم إليه، من الهداية والدين ﴿أَجۡرًا﴾: جزاء ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: قال ابن عباس: إلا أن تودُّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. قال المفسرون: والمراد قريش، فإنه لم يكن فيها بطن إلا ولرسول الله ﷺ فيه نسب أو صهر. وقال مجاهد: إلا أن تصلوا رحمي باتباعي. ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾: يعمل عملاً صالحاً. و«الاقتراف»: العمل ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾: خيراً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: لذنوب عباده ﴿شَكُورٌ﴾: لحسناتهم. ٢٤- ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾: فينسيك القرآن، يقول عز وجل: لو حدثت نفسك أن تفتري عَلَيَّ كذباً لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي آتيتك من وحي، لأني أمحو الباطل فأذهبه، وأحق الحق، فما بال هؤلاء الكفار يتهمونك بالكذب على الله؟! وهذا الأسلوب معناه ومؤداه: استبعاد الافتراء من مثله ﷺ واستحالته عليه. وفيه دلالة على أن النبي ﷺ في مقام التلقي عن الله تعالى، لا في موضع التقوّل عليه. ٢٦- ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾: معناه: يجيب، والعرب تقول: أجاب واستجاب بمعنًى. ٢٧- ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾: فوسَّعه وكثَّره عندهم ﴿لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: فتجاوزوا الحد الذي حده الله لهم ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ﴾: لكفايتهم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾: بما يُصلح به عباده ويفسدهم، من غنًى وفقر. ٢٨- ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾: من بعد ما يئس الناس من نزوله. وأتى رجل عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين قَحط المطر، وقَنِط الناس. فقال: مُطرتم «وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته» ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾: الذي يليكم بإحسانه وفضله ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد، بأياديه عندكم. ٢٩- ﴿وَمَا بَثَّ﴾: فرّق ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ﴾: على جمع ما بث فيهما، قيل: والمراد: الحشر يوم القيامة. ٣٠- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾: بسبب ما اجترمتم من الآثام بينكم وبين ربكم. ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾: من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها، وقال ابن عباس: يُعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم في الدنيا، ولا يؤاخذون بها في الآخرة. ٣١- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: ربكم حتى لا يقدر عليكم.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ اخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً، فأنزل الله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ فعرض لهم التوبة، إلى قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾.
[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفة: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا. وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله.

[٢٣] ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ...﴾ [الشورى: ٢٣]. الآيتان تبينان أن النبي ﷺ لا يسأل المشركين عوضًا من أموالهم عن الحق الذي جاءهم به، وإنما أجره على الله، وآية الأنعام تبين أن الإسلام هو دين الحق...، وأمَّا آية الشورى فتوضح أن النبي ﷺ لا يسأل المشركين شيئًا إلا أن يوَدُّوه في قرابته منهم، ويصِلوا الرحم التي بينه وبينهم... [٢٥] ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ...﴾ [التوبة: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ...﴾ [الشورى: ٢٥]. ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها...، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمَّا آية الشورى: فتعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر... [٢٩] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ ...﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ ...﴾ [الشورى: ٢٩]. ومن دلائل القدرة الربانية: خَلْقُ السماوات وارتفاعها بغير عمد، وخَلْقُ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلافُ لغاتكم وتباينُ ألوانكم، إن في هذا لَعبرة لكل ذي علم وبصيرة، فهذا ما دلت عليه آية الروم، وأمّا آية الشورى: ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْقُ السماوات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء. [٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم﴾ [العنكبوت: ٢٢]، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم﴾ [الشورى: ٣١]. "ما" في سورة العنكبوت خطاب للنمرود حين صعد الجو موهمًا أنه يحاول السّماءَ، فقال له ولقومه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: من في الأرض: من الجنّ، والإنس، ولا مَن في السّماءِ من الملائكة، فكيف تُعجزون الله! وقيل: ما أنتم بفائتين عليه، ولو هَرَبْتم في الأرض، أو صعدتم في السّماءِ: فقال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها، و«ما» في الشورى خطاب للمؤمنين، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ يدل عليه. وقد جاءَ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١] من غير ذكر الأرض ولا السّماءِ.

[٢٨] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [الشورى: ٢٨] ما الفرق بين: "المطَر والغيْث"؟ الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿أَذٗى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيث) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: ٣٤].

= من تحت على الغيبة لمناسبة ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ ... ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾. [٣٠] ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا﴾ قرئ: (بما) بغير فاء على جعل "ما" في ما أصابكم، موصولة مبتدأ، و(بما كسبت) خبره، وعلى جعلها شرطية تكون الفاء محذوفة نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ﴾، ولأنها كذلك في مصحف أهل المدينة والشام. وقرئ: (فبما) بالفاء لأنها كذلك في مصاحف غير المدينة والشام، فهي شرطية وهو الأظهر، أي: فهي بما كسبت، أو موصولة، والفاء تدخل في حيز الموصول إذا أجري مجرى الشرط، لما فيها من الإبهام الذي يشبه الشرط.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (٤٣) وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤)

٣٢- ﴿ٱلْجَوَارِ﴾: جمع جارية، وهي السفن السائرة في البحر ﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: كالجبال. ٣٣- ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾: أي السفن ﴿رَوَاكِدَ﴾: يَبْقَيْنَ سواكن في موضع واحد على ظهر البحر لا يجري ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: كثير الصبر على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمه، وقيل: الصبار الشكور: الذي إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر. ٣٤- ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: يعني: السفن فيهلكهن بالغرق يقال: أوبَقتُ الرجل: إذا أنشبتُه في أمر يهلك فيه. ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾: بذنوب أهلها. ٣٥- ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾: يخاصمون رسوله ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: ملجأ من عقاب الله إذا أراد عقابهم. ٣٦- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾: أعطيتم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾: من رياش الدنيا من مال وولد ﴿فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تتمتعون بها، ليس من زاد الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم. ٣٧، ٣٨، ٣٩- ﴿كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: الكبائر من الذنوب وقد تقدم ذكرهما في (سورة النساء، الآية ٣١). ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الفواحش هي من الكبائر. ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها، وذلك كالقتل والزنا. وقال مقاتل: الفواحش موجبات الحدود. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: يقوم مجتمع المؤمنين على الشورى في جميع أمره. فهي لذلك سلوك ومنهج حياة. ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: ممن بغى عليهم، من غير أن يعتدوا، لأن إقامة الظالم على سبيل الحق تقويم له وصلاح للناس؛ ولأنه ليس من صفات المؤمن قبول المذلّة أو الرضا بالمهانة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين». ٤٣- ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: لمن الأمور التي ندب الله إليها عباده، وعزم عليهم العمل بها، أو مما يحتاج إلى عزيمة وقوة راسخة في الإرادة. ٤٤- ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: إلى الدنيا.

[٣٦] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]، ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]. قوله تعالى بالقصص: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ بالواو، وفي الشورى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ بالفاء؛ لأنه لم يتعلق في القصص بما قبله أشدّ تعلّق، فاقتُصر على الواو؛ لعطف جملة على جملة، وتعلّق في الشُّورى بما قبلها أشدّ تعلق؛ لأنّه عقّب ما لهم من المخافة بما أُوتوه من الأَمَنة، والفاء حرف التّعقيب، أمّا قوله: ﴿وَزِينَتُهَا﴾ بالقصص وحذفها في الشُّورى؛ لأنه في سورة القصص ذكر جميع ما بسط من الرزق، وأعراض الدّنيا، كلّها مستوعبة بهذين اللفظين، فالمتاع: ما لا غِنى عنه في الحياة: من المأكول، والمشروب، والملبوس، والمسكن، والمنكوح، والزينة: وما يتجمّل به الإنسانُ، والأطعمة الملبّقة، أي: المليئة بالدسم، وأمّا في الشورى فلم يقصد الاستيعاب، بل ما هو مطلوبهم في تلك الحالة: من النجاة، والأمن في الحياة، فلم يحتج إلى ذكر الزينة. قول آخر: سورة القصص ورد فيها قصة قارون الذي أعطاه الله المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، فاغتر بها، وجحد واستكبر، فناسب الآية ذكر الزينة لتحذير المؤمنين من الدنيا وغرورها، وخير شاهد ما حصل لقارون من الخسف والعذاب، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أمّا آية سورة الشورى فقد تقدمها آيات نعم الله على عباده المؤمنين، وهم لإيمانهم بالآخرة لا يغترون بزينة الدنيا، فناسب عدم ذكر الزينة، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. [٣٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]. والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على مَن أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلبًا لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق، فهذا ما دلت عليه آية الشورى، أما آية النجم: والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة... [٤٣] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾. الصّبر على وجهين: صبر على مكروه ينال الإنسان ظلمًا؛ كمن قُتل بعضُ أعِزّته، وصبر على مكروه ليس بظلم؛ كمن مات بعضُ أعِزّته، فالصّبر على الأوّل أشدّ، والعزم عليه أوكد، وكان ما في هذه السّورة من الجنس الأوّل؛ لقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فأكّد الخبر باللاّم، وأما في باقي المواضع فمن الجنس الثاني، فلم يؤكده.

[٣٣] ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣]. ما الفرق بين: "صابر وصبّار"؟ الجواب: وردت كلمة (صابر) مرتين، بينما وردت كلمة (صبّار) أربع مرات. وردت كلمة (صبّار) وهي صيغة مبالغة على وزن (فعّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الصبر. مثال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، فلقد عانى موسى ومن معه من اضطهاد فرعون ومطاردته لموسى عليه السلام، وصابر موسى، وظلّ يدعو قومه ويذكرهم بالله، وجديرٌ بمن تحمل هذا البلاء، وصبر على كل المصاعب والمشاق التي لاقاها من الطاغوت (فرعون) وجنده، وثابر على دعوتهم ونصحهم - أن يوصف (بالصبّار) لذا جاءت الصيغة التي تحمل معنى التوكيد والمبالغة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ قرئ: (ويعلمُ) بضم الميم على القطع، والاستئناف بجملة "فعلية"، لأن الجزاء وجوابه تم قبله فاستأنف ما بعد ذلك، ويجوز أن يكون (يعلم) خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره، وهو يعلم. وقرئ: (ويعلمَ) بنصب الميم، قال أبو عبيد، والزجاج: على الصرف، أي: صرف العطف على اللفظ إلى العطف على المعنى، وذلك أنه لما لم يحسن عطف و"يعلم" مجزومًا على ما قبله إذ يكون المعنى: إن يشأ يعلم، وهو جلّ ذكره عَلِمَ بكل شيء، فلم يحسن العطف على الشرط وجوابه، لأنه غير واجب، وعِلْمُ الله واجب؛ لذلك عدل إلى العطف على مصدر الفعل الذي قبله بإضمار أن، ليكون في تأويل مصدر، والكوفيون يجعلون الواو نفسها ناصبة، وجعله القاضي ـ تبعًا للزمخشري ـ: عطفًا على علة مقدرة مثل لينتقم ويعلم، وعلى هذا أجازوا: إن تأتني وتعطيَني أكرمك، فنصبوا "وتعطيني" على الصرف المذكور. [٣٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿كَبَـٰٓئِرَ﴾ هنا، و"النجم: ٣٢" قرئ: (كبير) بكسر الباء بلا ألف ولا همز بوزن قدير على التوحيد في الموضعين على إرادة الجنس. وقرئ: (كبائر) بفتح الباء وألف بعدها ثم همزة مكسورة فيهما جمع كبيرة؛ لأنه لما رأى الله تبارك وتعالى ضمن غفران السيئات الصغائر باجتناب الكبائر، قرأ بالجمع في الكبائر إذ ليس باجتناب كبيرة واحدة يغفر الصغائر، وأيضًا فإن بعده الفواحش بالجمع.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. إعجاز تشريعي: مبادئ الشريعة الإسلامية في القرآن: ١ - مبدأ =

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

٤٥- ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: على النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾: خاضعين متذللين ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: معناه: من طرف ذليل، وقيل: يسارقون النظر من شدة الخوف. ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: لأنهم قد أسلموا أنفسهم للعذاب بما اقترفوه من العصيان ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: لأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم ﴿عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم لا ينقطع. ٤٦- ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: من طريق يسلكها إلى الهداية والنجاة. ٤٧- ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾: أجيبوا داعيه ورسوله ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾: لا شيء يرد مجيئه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾: تعتصمون به ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: من ناصر ينصركم، أو: ما لكم من إنكار يومئذ، بل سوف تعترفون بذنوبكم. ٤٨- ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظ عليهم أعمالهم؛ حتى تحاسبهم عليها. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: أي: ما عليك إلا البلاغ لما أمرت بإبلاغه من الرسالة والبيان. ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾: جحود لنعم الله عليه، غير شكور له عليها. ٥٠- ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾: يخلط بينهم، فتلد المرأة غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية. ومعنى الآية أنه سبحانه يهب لبعض خلقه إناثاً، ويهب لبعض ذكوراً، ويجمع لبعض بين الذكور والإناث ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: لا يولد له. يقال: رجل عقيم وامرأة عقيم. وقال ابن عطية: بدأ تعالى بذكر الإناث تأنيساً بهنّ وتشريفاً لهن، وليهتم بصونهن والإحسان إليهن. وقال واثلة بن الأسقع: من يُمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث. ٥١- ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: يوحي إليه كيف شاء، إما إلهاماً، وإما غيره ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾: حين يسمع كلامه ولا يراه، كما كلَّم موسى عليه السلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: إليه من ملائكته.

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]، ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى : ٤٥]. قل أيها الرسول: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك بإغوائهم في الدنيا وإضلالهم عن الإيمان. ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة هو الخسران البيِّن الواضح، فهذا ما دلت عليه آية الزمر، أما آية الشورى: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين يوم القيامة في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول. [٤٧] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم : ٤٣]، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [الشورى : ٤٧]. آية الروم أعقبت بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، تمهيدًا لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم : ٤٤]؛ لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤]، فالمراد: يومئذ يصَّدَّعون إلى ما أعد لكل منهم بحسب مرتكبه وحاله في كفره وإيمانه، وأمَّا آية الشورى فقد سبقها تحذير منه سبحانه لعباده من حال الظالمين في عدم الولي والناصر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى : ٤٦]، وأمر الله عباده بالاستجابة قبل التورط وانقطاع الطمع والرجاء في التخلص، وعدم جدوى الإنكار لمن ظن التعلق به، فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾، فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن. [٤٩] ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى : ٤٩]. بدأ سبحانه بذكر الإناث، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدونهن، فقال الله: هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندي عن الذكر، وتأمل كيف نكَّر سبحانه الإناث وعرَّف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير للذكور بالتعريف، فإن التعريف تنويه، والله تعالى أعلم بالمراد من ذلك. [٥١] ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ﴾ قرئ: (يرسلُ-فيوحي) برفع اللام من "يرسل" وسكون الياء من "فيوحي"، و"يرسل": خبر، أي: هو يرسله، أو مستأنف، أو حال عطفًا على متعلق: من ورائي، ووحيًا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المتعلق، والتقدير: إلا موحيًا أو مسمعًا من وراء حجاب أو مرسلًا، "فيوحي" رفع تقديرًا بالعطف عليه. وقرئ: (يرسلَ-فيوحيَ) بنصبهما بأن مضمرة، وهي ومدخولها عطف على "وحيًا" وهي حال، أي: إلا موحيًا أو مرسلًا، و"فيوحي" عطف عليه. = التوحيد: فقد جمع اللهُ ـ تعالى ـ أهل الكتاب كلهم على التوحيد، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. ٢- مبدأ الاتصال المباشر بالله ـ تعالى ـ دون وساطة: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]. ٣- مبدأ الدعوة إلى التفكير والاعتبار: فقال تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. ٤- مبدأ إحاطة الشريعة بالأخلاق الفاضلة والآداب الزاكية: مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ٥- مبدأ التوفيق بين الدين والدنيا: فقد دعا اللهُ سبحانه وتعالى إلى ابتغاء الدار الآخرة، وفي نفس الوقت عدم نسيان الإنسان لنصيبه من الدنيا، قال تعالى متحدثًا عن قارون، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ٦- مبدأ العدل والمساواة بين الناس، والفرق بينهم عند الله التقوى: فأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. ٧- مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيهما صلاح البلاد والعباد: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. ٨- مبدأ الشورى: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. ٩- مبدأ الرحمة واللين والرأفة والتسامح والعفو: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ١٠- مبدأ الحرية: قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ١١- مبدأ التكافل الاجتماعي: فقد جعل الله تعالى للفقير حقًا في مال الغني، وليس تفضلًا من =

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٥٢- ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾: وحياً ورحمة من أمرنا، والمراد به القرآن وهدى الشريعة، سمّاه روحاً من حيث يُحيي به البشر والعالم، كما يُحيي الجسد بالروح. ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: كان ﷺ لا يعلم تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، لأنه كان أمياً لم يقرأ كتاباً قط. والمراد بالإيمان: الصلاة، وقد سمّاها الله تعالى إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: أراد جميع أركان الإيمان، لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به سبحانه. وقيل: المراد بالإيمان: دين الإسلام.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

١، ٢- ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: أقسم الله بهذا الكتاب المنزل على نبيه محمد. ٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾: انزلناه. وقال ابن عطية: سمّيناه وصيّرناه. ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: بلسان عربي ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لتعقلوا معانيه وما فيه. ٤- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: يعني: الكتاب المبين ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي نُسخ منه هذا الكتاب ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾: ذو عُلوٍ ورفعة ﴿حَكِيمٌ﴾: قد أحكمت آياته، فليس فيها اختلاف ولا تناقض. ٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قيل: معناه: أفنُعرض عنكم ونترككم أيها المشركون فيما تحسبون، فلا نُذكّركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون؟ ٨- ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: عقوبة الأولين وسنّتنا فيهم. والمَثَل: الوصف والخبر. وفي هذا تهديد شديد. ١٠- ﴿مَهْدًا﴾: قرأ الجمهور: «مهاداً» وقرأ الكوفيون «مهداً» والمعنى واحد: أي يُتمهَّد ويُتصرّف فيها، وذلك بجعلها صالحة للتسخير، أو للعيش عليها، أو السير فيها. ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم.

[١] ﴿حمٓ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. انظر سورة فصلت آية : [١]. [٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف : ٢، الدخان : ٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والدخان، والآية يقسم الله فيها بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى. [٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]. آية سورة يوسف لما كانت توطئة لذكر قصصه عليه السلام، ولم تتضمن السورة غير ذلك إلا ما أعقب به في آخرها مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان غيبًا عند قريش والعرب، مستوفيًا ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه، فأنزل الله هذه السورة موفية من ذلك أتمه، ومعرِّفة من قصصه العجيب، ومؤدية أكمله وأعمَّه، ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب والجميع أن نبينا محمداً ﷺ لم يتلق ذلك القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم منه نبأ، ولا رحل في تعرفه إلى أحد، فكان قصصًا وآية معلمًا بصحة رسالته ﷺ، وعظيم تلك العناية، فالتعبير بالإنزال هنا "بيّن"، وأمَّا آية الزخرف فلم تبن على أخبار، بل أعقبت بآي الاعتبار والتلطف في التنبيه والتذكار، قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥]، وهذا أعظم التلطف، وقال تعالى بعد: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف : ٩]، ثم مضت أكثر آي هذه السورة على نحو الاعتبار وما يناسبه. وقد ذكر سيبويه رحمه الله، في أقسام "جعل" كونها بمعنى صيَّر، ملحقًا لها بظنَّ وأخواتها، ومنه قولهم: جعل الطين خزفًا، وذلك انتقال وتصيير، فالمراد بالآية جعل الكتاب معتبرًا هدى ونورًا، والمنبهون به والمعتبرون بآياته المخاطبون به مخلوقون تقدمهم العدم، وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم، فصح بانتقال حالهم التصيير، وجل عن التغيير والحدوث كلام الحكيم الخبير، فكرمه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، فقد وضح معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غير ذلك، ولا يناسب الآية الأخرى غير "أنزل"، فجاء كلٌّ على ما يجب، والله أعلم. [١٠] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه : ٥٣]، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف : ١٠]. آية سورة طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله عز وجل على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه : ٤٤]، فلما بني الكلام على هذا، أعقب بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [طه : ٥٣-٥٤]، -ولا إشكال في أن هذا من التلطف والرفق في الدعاء- ناسب ذلك العبارة بـ"سلك" عما أنهج تعالى من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحهم، وهي منبئة عما تعطيه "جعل" في الآية الأخرى مع زيادة الوضوح وكمال التهيئة، فهي أنسب لما قصد في هذه السورة، تقول: منهج سالك، أي: واضح، ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوضوح، أمّا آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥]، وقوله تعالى إخبارًا عن مكذبي الأمم: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزخرف : ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف : ٨]، أي: من هؤلاء الذين كذبوك يا محمد، فهذا كله توبيخ للجاحدين والمعاندين، وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف : ٣]، والتعقل لا يستلزم الاهتداء والإيمان، وقد اكتنف لفظ "جعل" في الزخرف قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف : ٣]، وقوله بعدها: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف : ١٢]، فناسب هذا ذكر "الجعل"، ولم يناسب هنا هذه المناسبة لفظ "سلك"، والله أعلم. [٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَن﴾ قرئ: (إِن) بكسر الهمزة على أنها شرطية، وإن كان إسرافهم مخففًا على سبيل المجاز، كقول الأجير: إن كنت عملت كذا فوفني حقي، مع علمه وتحققه من عمله، وجوابه مقدر يفسره: أفنضرب؟ أي: إن أسرفتم نترككم، فهو أمر منتظر لم يقع، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وقد مضى شرحها في "المائدة : ". =

= الأغنياء على الفقراء... قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٣].

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في =

نزول سورة الزخرف: نزلت بعد سورة فصلت، وهي مكيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الزخرف: ثمانمائة وثلاث وثلاثون. عدد حروف سورة الزخرف: ثلاثة آلاف وأربعمائة. أسماء سورة الزخرف: تسمّى سورة الزّخرف؛ لذكره بها. مواضيع سورة الزخرف: معظم مقصود السّورة: بيان إثبات القرآن في اللّوح المحفوظ، وإثبات =

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١- ﴿ مَآءَۢ بِقَدَرٍ ﴾: بمقدار حاجتكم إليه ﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾: فأحيينا ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾: مجدبة لا نبات بها ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾: من بعد فنائكم في الأرض للبعث. ١٢- ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾: خلق كل شيء فزوَّجه، خلق إناثاً للذكور، وذكوراً للإناث ﴿ مِّنَ ٱلْفُلْكِ ﴾: السفن ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾: البهائم. ١٣- ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾: كي تستووا على ظهور ما تركبون. ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾: تحمدوه على ما سخر لكم من ذلك ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾: تنزيهاً لله ﴿ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾: أي ذلل لنا هذا المركب ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾: ما كُنّا له مطيقين ولا ضابطين. والمُقرن: الغالب الضابط المستولي على الأمر المطيق له. ويقال: فلان مُقرن لفلان: أي ضابط له مطيق. ١٥- ﴿ جُزْءًا ﴾: نصيباً؛ وذلك قولهم للملائكة: بنات الله! ١٦- ﴿ وَأَصْفَىٰكُم ﴾: أخلصكم ﴿ بِٱلْبَنِينَ ﴾: بالذكور. وهذا توبيخ من الله عز وجل للمشركين. ١٧- ﴿ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾: بما مثَّل لله، وجعل له من الولد ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ ﴾: بما بُشّر من البنات ﴿ مُسْوَدًّا ﴾ من سوء ما بُشّر به ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾: حزين، كثير الكرب، مملوء منه. أي تغيّر وساء ظاهره وباطنه جميعاً. ١٨- ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ ﴾: قرأ الجمهور: «يَنْشأ» بفتح الياء وإسكان النون. والمعنى: يَنْبُت ويُربى ﴿ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾: ويُزيَّن بها، من الجواري والنساء ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ ﴾: في مخاصمة من خاصمه ﴿ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾: غير قائم بحجة ولا برهان لعجزه وضعفه؛ جعلتموه نصيباً لله؟ وقيل: الذي ينشأ في الحلية: أصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة. و«الحلية»: الحليّ من الذهب والفضة والأحجار. ١٩- ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾: أي: أحضروا خلق الله إياهم! وفي هذا تجهيل لهم، وتهكم بهم. ٢٠- ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾: يعني: المشركين ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾: يعنون آلهتهم وأوثانهم، لأنه لو لم يرضَ ذلك منا لعاقبنا ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾: متخرصون في هذا القول، يقولون ظناً وحسباناً. ٢٢- ﴿ عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾: على ملّة، يعنون في عبادتهم الأوثان. والآية تعيب عليهم التقليد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ أخرج ابن المنذر، عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾.

[١٤] ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٤] الوحيدة، وباقي المواضع ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾. لماذا زيادة اللام في آية الزخرف؟ الجواب: أن هذا المحكيَّ إرشاد من الله تعالى لعبيده أن يقولوه في كل زمان؛ فناسب التوكيد باللام حثًا عليه، وباقي المواضع خبر عن قوم مخصوصين مضوا؛ فلم يكن للتأكيد معنًى. [١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ [النحل : ٥٨]، ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ [الزخرف : ١٧]. الآيتان تبينان أن هؤلاء المشركين إذا جاء مَن يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودَّ وجهه؛ كراهية لما سمع، وامتلأ غمًّا وحزنًا، وزادت آية الزخرف أنه إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى... وأتت هذه الزيادة في الزخرف لأن الحديث فيها عن الملائكة قبل وبعد الآية. [٢٠] ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٠]، ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤]. آية الزخرف في جعلهم الملائكة بنات الله وذلك كذب محض قطعًا؛ فناسب: ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾، وآية الجاثية في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعًا؛ فناسب: ﴿ يَظُنُّونَ ﴾.

= وقرئ: (أَن) بالفتح على العلة مفعولًا لأجله، أي: لأن كنتم، فقد جعله أمرًا كان وانقضى، أي: من أجل أن كنتم. [١٨] ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُنَشَّؤُا۟ ﴾ قرئ: (يُنَشَّأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مضارع نشَّأ معدىً بالتضعيف مبنيًا للمفعول، أي: يربى، وهو يتعدى في الأصل، لكن عدَّاه إلى المضمر الذي قام مقام الفاعل، ومعناه: أو من يربى في الحلية، أي: في الحلي يعني النساء، جعلوهن أولاد الله تعالى الله عن ذلك؛ فالمعنى: أجعلتم من يربى في الحلي وهو لا يبين في الخصام بنات الله؟ لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وهو قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾. وقرئ: (يَنْشَأ) بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، من نشأ لازم مبني للفاعل من نشأ الغلام. [١٩] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ عِبَٰدُ ﴾ قرئ: (عبادُ) بالألف بعد الموحدة المفتوحة ورفع الدال، جمع عبد، لقوله تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ يعني: الملائكة وفي ذلك تسوية بين الملائكة والآدميين في أن كلًا عباد الله. وقرئ: (عِندَ) بالنون الساكنة وفتح الدال بلا ألف ظرفًا. وعند: ليس يراد بها قرب المسافة، فالله في كل مكان يعلمه كما قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾، ولكن معنى (عند) في قراءة من قرأ ﴿ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أراد بها عندية شرف ورفعة، ومن جعله جمع عبد دلَّ بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله؛ لأنه يخبر أنهم عباده، والوالد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل على تكذيب من ادعى ذلك، ورد لقوله. قوله تعالى: ﴿ أَشَهِدُوا۟ ﴾ قرئ: (أَأُشْهِدوا) بهمزتين الأولى مفتوحة مخففة، والثانية مضمومة مسهلة، مع إسكان الشين، والمعنى: هل حضروا خلق الله الملائكة إناثًا، حتى ادَّعوا ذلك وقالوه؟ وقرئ أيضًا بإدخال ألفٍ بين الهمزتين. وقرئ: (أَشَهِدوا) بهمزة واحدة مخففة مع فتح الشين.

= القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [١٩] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة في القرآن الكريم. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» عدد (٦٨) مرة =

= الحُجّة والبرهان على وجود الصانع، والرد على عبّاد الأصنام الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والمنّة على الخليل ﷺ بإبقاءِ كلمة التوحيد في عَقِبه، وبيان قسمة الأرزاق، والإخبار عن حسرة الكفار، وندامتهم يوم القيامة، ومناظرة فرعون وموسى، ومجادلة المؤمنين مع ابن الزِّبَعْرَى بحديث عيسى، وبيان شرف الموحّدين في القيامة وعجز الكفّار في جهنّم، وإثبات إلهيّة الحقّ في السماءِ والأرض، وأمر الرّسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة الكفّار.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٣- ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾: أغنياؤها ورؤساؤها. ﴿مُّقْتَدُونَ﴾: متبعون. وخصّ المترفين؛ تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر، وللإشارة إلى أنهم أصحاب الهوى والمصالح في بقاء هذه الحال. ٢٤- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: أجابوه عليه السلام بما أجابت به الأمم المكذبة رسلها. ٢٦، ٢٧- ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾: بمعنى: بريء- وُضع المصدر موضع النعت، للمبالغة ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: إلا من الذي فطرني، أي خلقني. ٢٨- ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾: لا إله إلا الله والتوحيد ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾: لم يزل في ذريته من يقولها ولا يزال ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون أو يذّكرون. ٢٩- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾: أمهلت ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين من قومك فلم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: محمد ﷺ. ٣١- ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: من مكة والطائف، لما تكررت حجج الله على قريش قالوا: فإذا بعث الله بشراً رسولاً، فهلا بعث غير محمد، كالوليد بن المغيرة المخزومي، وعتبة بن ربيعة المخزومي من أهل مكة، وعُروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف، فكانوا أحق بالرسالة منه. قال ابن عطية: «وإنما قصدوا إلى من عَظُم ذكره بالسنّ والقِدَم، وإلا فرسول الله كان حينئذ أعظم من هؤلاء، لكن لما عظُم أولئك قبل مدّة النبي ﷺ وفي صباه، استمر ذلك لهم». ٣٢- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: يعني النبوة، أو ما هو أعم منها، يقول عز وجل: أنا أفعل ما شئت ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾: فتلقى أحدهم ضعيف الحيلة عييّ اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وآخر شديد الحيلة سليط اللسان، وهو مقتور عليه ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: أي ليستخدم بعضهم بعضاً، فيستسخر هذا في خدمته، سبباً للمعاش في الدنيا ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾: الجنة ودخولها ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الأموال في الدنيا. ٣٣- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: لولا أن يجتمعوا على الكفر، فيصير جميعهم كفاراً ويميلون إلى الدنيا، ويرفضون الآخرة ﴿وَمَعَارِجَ﴾: مراقيَ. و«المعارج»: هي الدَّرَجُ نفسها ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يصعدون إلى الغرف.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ تقدم في سورة يونس سبب قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ الآيتين.

[٢٢، ٢٣] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. الأول لقريش الذين بُعث إليهم النبي ﷺ فادعوا أنهم وآباؤهم على هدى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤]؟، والثاني خبر عن أمم سالفة لم يدَّعوا بأنهم على هدى بل متبعين آباءهم؛ ولذلك قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، ولم يقولوا: إنا على هدى كما قالت قريش. [٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ...﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]. قد اغترَّ الكفار وآباؤهم بالإمهال لِمَا رأوه من الأموال والبنين وطول الأعمار، فأقاموا على كفرهم لا يَبْرحونه، وظنوا أنهم لا يُعذَّبون وقد غَفَلوا عن سُنَّة ماضية، فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين مِن بأس وهزيمة في كل ناحية. أيكون بوسع كفار "مكة" الخروج عن قدرة الله، أو الامتناع من الموت؟ فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمَّا آية الزخرف: بل متعتُ أيها الرسول هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم مِن قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبيِّن لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. ما الفرق بين: "بريء وبَرَاء"؟ الجواب: وردت كلمة (بريء) عشر مرات، بينما لم ترد كلمة (براء) إلا مرة واحدة. وردت كلمة (بريء) ثلاث مرات غير مؤكدة، وست مرات مؤكدة بـ(إنَّ)، ومرة واحدة مؤكدة بـ(إنني). أما كلمة (براء) فقد وردت مؤكدة بـ(إنني). وغير المؤكدة تُعتبر خبرًا ابتدائيًا. والمؤكدة بمؤكد تُعتبر خبرًا طلبيًا، والمؤكدة بمؤكدين، تعتبر خبرًا إنكاريًا. (براء) المصدر من بريء، و(بريء) الصفة المشبهة، والمصدر أقوى توكيدًا من الصفة المشبهة (حيث إن المصدر أعلى الصفات توكيدًا). وردت كلمة (بريء) مع كلمة (تشركون)، ووردت كلمة (براء) مع كلمة (تعبدون). والشرك أخف درجة في البعد عن الله من الكفر. فجاءت صيغة (بريء) الأقل توكيدًا مع صيغة (تشركون) الأقل بعدًا عن الله، وجاءت صيغة (براء) الأكثر توكيدًا مع صيغة (تعبدون) الأكثر بعدًا عن الله، (حيث إن العبادة من دون الله كفر، وهذا هو المقصود من قوله: ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

[٢٤] ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿قَٰلَ﴾ قرئ: (قَالَ) ماضيًا على الخبر، أي: قال لهم المتقدم ذكره في قوله: ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ ثم أخبر الله جل ذكره بجوابهم، فقال عنهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾. وقرئ: (قُلْ) بغير ألف على الأمر على الحكاية، أي: حكاية ما مر به النذير، أي: قل لهم كذا. قوله تعالى: ﴿جِئْتُكُم﴾ قرئ: (جئناكم) بالنون موضع التاء وألف بعدها على الجمع، أي: أنا ومن قَبْلِي من الرسل. وقرئ: (جئتكم) بتاء المتكلم له صلى الله عليه وسلم وحده.

[٣٣] ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿سُقُفًا﴾ قرئ: (سَقْفًا) بفتح السين وإسكان القاف بالإفراد على إرادة الجنس على معنى أن لكل بيت سقفًا. وقرئ: (سُقُفًا) بضمها على الجمع لمناسبة لفظ البيوت، ولكل بيت سقف، فالجمع على اللفظ والمعنى كذلك.

= في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» ٢٠ مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة. [٣٢] ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا رد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى. [٤٣] ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٤٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٣٤- ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾: أي: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وسرراً من فضة. ٣٥- ﴿وَزُخْرُفًا﴾: «الزخرف»: الذهب أو: أثاث البيت وما يتخذ له من الستور والنمارق ونحوه. وقيل: الزخرف: التزاويق والنقش ونحوه من التزيين. ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما كل ذلك إلا شيء يُتمتع به في الدنيا. ٣٦- ﴿وَمَن يَعْشُ﴾: يُعرض، فلا يخاف سطوة الرحمن، ولا يخشى عقابه. وأصل «العشو»: النظر بغير ثبْت لعلّة في العين ﴿نُقَيِّضْ﴾: نجعل ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: أي ملازم له لا يفارقه. ٣٧- ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء عن سبيل الحق. ٣٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾: أي الكافر، أو جاء كل واحد منهما. وقرأ الجمهور: «جاءانا»، أي: هو وقرينه. ٣٩- ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة، ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا، ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، فلن يخف الخطب لعموم البلوى كما في الدنيا، وذلك لعظم المصيبة وطول العذاب. ٤٤- ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: يقول جَلّ ثناؤه: وإن هذا القرآن الذي أمرناك أن تستمسك به، لَشرف لك ولقومك من قريش ثم العرب. ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾: عما جعله الله لكم من الشرف، لأن المزايا تكليف وأعباء. ٤٥- ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾: قيل: جُمعوا له -عليه وعليهم السلام- ليلة أسري به في بيت المقدس، فأمَّهم وصلى بهم، وكان ﷺ أشد يقيناً بما جاء من الله من أن يسألهم. وقيل: معناه اسأل كتب الذين أرسلنا قبلك من الرسل، واستغنى بذكر الكتب عن الرسل إذ كان معلوماً. وقال ابن عباس: المراد: اسأل أتباع من أرسلنا وحملة شرائعهم، لأن المفهوم أن لا سبيل له إلى سؤاله الرسل إلا بالنظر في آثارهم وكتبهم، وسؤال من حفظها.

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقًا أنزل عليَّ هذا القرآن، أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشًا قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلًا يأخذه فقيضوا لأبي بكر: طلحة، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فأنزل الله ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ [الزخرف: ٤٦] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾. ما الفرق بين الآيات والسلطان المبين؟ الجواب: الآيات هي الأمارات التي يُكتفى بها في صدق الرسول عليه السلام، وتقوم الحجة بها على من يبعث إليهم، أما السلطان المبين فالمراد به الحجج القاهرة التي تقهر القوم، كأنواع العذاب التي أنزلت على قوم موسى عليه السلام، والمراد في آيتي هود وغافر ذكر حال أولئك القوم وبيان خبرهم إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الهلاك والعذاب الأليم، والآيات التي بعدها تحكي هذا الواقع، فلما كان القصد بيان حالهم في الدنيا ومصيرهم يوم القيامة، ناسب الآيتين الزيادة، أما آية الزخرف فالمراد منها بيان حالهم في الدنيا إلى أن أغرقهم الله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦]، فلما قصد ذلك لم يناسب ذكر السلطان المبين. قول آخر: الزيادة الواقعة في سورة هود وغافر بسبب سوء رد المرسل إليهم وقبح جوابهم، فالتأييد بالسلطان المبين في مقابلة بشاعة إجابتهم وسوء ردهم، ولم يكن ذلك في الزخرف.

[٣٢] ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: ٦٣]، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. ما الفرق بين "سِخريًّا، سُخريًّا"؟ الجواب: وردت كلمة (سِخريًّا) بكسر السين: مرتين. بينما وردت كلمة (سُخريًا) بضم السين مرة واحدة. السِّخري (بكسر السين) هو الهزء والسخرية. والسُّخري (بضم السين) هو بمعنى السُّخرة والتسخير. (وهذا المعنى الأخير يتضح في قوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

[٤٠] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]. ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١].

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَمَّا مَتَٰعُ﴾ قرئ: (لمَّا) بتشديد الميم بمعنى: "إلا" و"إن" نافية. وقرئ: (لمَا) بتخفيفها، "فإن" هي المخففة و"اللام" فارقة كما مَرَّ، و"ما" مزيدة للتأكيد. [٣٦] ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ﴾ قرئ: (يقيض) بالياء من تحت لمناسبة ﴿وَمَن يَعْشُ﴾. وقرئ: (نقيض) بنون العظمة إخبار من الله جَلَّ ذكره عن نفسه. [٣٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ قوله تعالى: ﴿جَآءَنَا﴾ قرئ: (جاءانا) بألف بعد الهمزة على التثنية، أي: العاشي، أي: الكافر. وقرئ: (جاءنا) بغير ألف، والضمير يعود على لفظ "من" وهو العاشي وحده.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٨- ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: لشدّة موقعها في نفوسهم بجدّة أمرها وحدوثه. ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: بالجدب ونقص الثمرات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون. ٤٩- ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾: قال فرعون وملؤه لموسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ وعنوا بالساحر في هذا الموضع: العالم؛ إذ لم يكن عندهم السحر ذماً ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بعهده الذي عهد إليك أنا إن آمنا بك واتبعناك كُشف عنا العذاب. ٥٠- ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: يغدِرون ويصِرُّون على ضلالتهم. ٥١- ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾: من تحت قصري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: ما أنا فيه من النعيم والملك، وما فيه موسى من الفقر وعيّ اللسان. ٥٢- ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾: بل أنا خير بما وصفتُ به نفسي من الملك والبيان ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: لا شيء له من المُلك والمال، يعني موسى عليه السلام ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: في كلامه، لما في لسانه من العقدة. ٥٣- ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾: وهو جمع سوار، وهو الذي يُجعل في اليد؛ أي: فهلّا حُلّي بأسورة الذهب إن كان عظيماً، وكان الرجل فيهم إذا سوّدوه سوّروه بسُوار من ذهب، وطوّقوه بطوق من ذهب. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: متتابعين يمشون معاً، ليعينوه على أمره، ويشهدوا له بالنبوة. ٥٤- ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: فقبلوا ذلك منه. ٥٥- ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أغضبونا. ٥٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾: مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قريش، والكفار لهم بالأثر ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾: عبرة وعظة، لمن يأتي بعدهم. ٥٧- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: يقول: لما شبّه الله عيسى في إنشائه إياه من غير أب، ومثّله بآدم الذي خلقه من تراب ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: يَضِجُّون، ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهاً نعبده، كما عبدت النصارى المسيح! ٥٨- ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾: أي: أم محمد، فنعبد محمداً، ونترك آلهتنا؟! ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾: يقول تعالى: ما مثّلوا لك هذا المثل إلا جدالاً وخصومة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: يلتمسون الخصومة بالباطل، ورُوي عنه ﷺ أنه قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». رواه الترمذي وغيره، وحسّنه الألباني. ٥٩- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: بالإيمان والتوفيق، يعني: عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: آية لهم وحجة عليهم. ٦٠- ﴿فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يقول: لو نشاء أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم فيها.

[٥٧] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لقريش: إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا صالحًا، وقد عبد من دون الله، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠]. فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدَّم لهم من الإمهال وكَشْفِ العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم، فهذا ما دلت عليه آية الأعراف، والقصة في سورة الأعراف فيها تفصيل، أمّا القصة في الزخرف فموجزة، وآية الزخرف تبين أنه لما دعا موسى عليه السلام برفع العذاب عنهم، فرفعه الله عنهم إذا هم يغدرون، ويصرُّون على ضلالهم.

[٥٨] ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. ما الفرق بين: "الجدل والجدال"؟ الجواب: (الجدل والجدال) كلاهما يحمل معنى المراء والخصومة، إلا أن كلمة (الجدال) مشتقة من الفعل الرباعي (جادل)، وهذا الفعل ومصدره يدلان على المشاركة، فكلمة (الجدال) وردت في موضعين كان النقاش فيهما يجري بين طرفين، قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والجدال في الحج يكون بين طرفين (مُجادِل ومُجادَل معه)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، فنوحٌ عليه السلام كان يجادلهم بأدلة الإيمان وكانوا هم يجادلونه بادعاءات الكفر. أما (الجدل) فمشتقة من الفعل الثلاثي (جدل)، وقد جاءت في القرآن بمعنى الانفرادية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وكان النظرُ هنا في الآية للإنسان من حيث كونه إنسانًا، ونُظر إلى موضوعه كقضية واحدة ليس فيها طرف آخر، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فهذا وصف لهؤلاء القوم باعتبارهم وحدةً واحدةً لا باعتبارهم طرفًا في خصومة، لأن الرسول ﷺ (وهو الطرف الآخر) لا يجادل، وإنما يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. [٥٣] ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ قرئ: (أَسْورة) بسكون السين بلا ألف، جمع سوار كأخرة وخمار. وقرئ: (أَساورة) بفتح السين والألف وفتح الراء... وبتاء التأنيث على جعله جمع الجمع كأسقية وأساقي جمع أساور بمعنى إسوار، والأصل: أساوير كإعصار وأعاصير، ويجوز أن يكون أساور جمع أسورة كأسقية وأساقي، ودخلت الهاء كما دخلت في: قشعم وقشاعمة، وعوِّض عن الياء تاء التأنيث. [٥٦] ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿سَلَفًا﴾ قرئ: (سُلُفًا) بضم السين واللام جمع سليف كرغيف ورُغُف، أو جمع سَلَف كأسَد وأُسُد. وقرئ: (سَلَفًا) بفتحها جمعًا لسالف كخادم وخَدَم، وهو في الحقيقة اسم جمع لا جمعٌ، إذا ليس في أبنية التكسير صيغة فعل، أو على أنه مصدر يطلق على الجماعة من سلف الرجل يسلف سلفًا تقدم، وسلف الرجل أباؤه المتقدمون جمعه أسلاف وسلاف. [٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَصِدُّونَ﴾ قرئ: (يصُدون) بضم الصاد من صد يصُدُّ كمدَّ يمُد، أعرض. وقرئ: (يصِدون) بكسرها كحد يحِد وهما لغتان كما ورد في راء "يعرشون"، ومعنى الضم: يعدلون عما جئتم به، ومعنى الكسر يضِجُّون أو يعجُّون.

[٥٣] ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٦١- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾: معنى الكلام: وإن ظهور عيسى علم يُعلم به مجيء الساعة، لأن نزوله في الأرض من أشراطها. وقال بعض المفسرين: الإشارة في الآية إلى محمد ﷺ وليس إلى المسيح عليه السلام. ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ ﴾: لا تشكن في مجيئها ﴿ وَٱتَّبِعُونِ ﴾: واطيعوني فيما آمركم به وأنهاكم عنه. ٦٢- ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: لا يَعدِلنّ بكم عن طاعتي. ٦٣- ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾: بالنبوة ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾: من أحكام التوراة. ٦٥- ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وقيل: هم فرق النصارى اختلفوا في أمر عيسى. و«الأحزاب» هي الفرق المتحزبة. ﴿ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾: كفروا ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾: يوم القيامة. ٦٧- ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾: المتخالّون، المتصادقون على معاصي الله في الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍۭ ﴾: يوم تقوم الساعة . ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: كل خلة يومئذ عداوة، إلا خلة المتقين لله. ٦٨، ٦٩- ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾: ذكر أن الناس يُنادون هذا النداء يوم القيامة فيطمع فيها من ليس من أهلها، حتى يسمع قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾: فييأس منها غير المسلمين. «وكانوا مسلمين» أي على دين إبراهيم حنفاء، لا يشركون بالله شيئاً. قال ابن جرير: لا يهود ولا نصارى. ٧٠- ﴿ تُحْبَرُونَ ﴾: تُنعمون وتُكرمون. ٧١- ﴿ بِصِحَافٍ ﴾: قِصاع، جمع صحفة، وهي القصعة الواسعة العريضة. ﴿ مِّن ذَهَبٍ ﴾: فيها طعامهم ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾: فيها شرابهم، جمع: كوب. ٧٢- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا ﴾: أي صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث، بما كنتم تعملون. وقيل: أورثكموها الله عز وجل عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم.

[٦٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٦٤]. آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام، وآية كلامه في المهد مخبرًا عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الجليلة منسوقًا بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له، وتكريمه إيّاه في أحواله الثلاث، حال الولادة والموت والبعث وبعده، وهذه أحوال تتنزه الربوبية عنها وتعالى، ثم لما كان تمام إخبار عيسى عليه السلام، وتكميل ما قصده به الإقرار لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾، وكان الكلام متصلًا بما تقدم في معناه، وقد ورد فيه ما ظهر أن كلام عيسى عليه السلام تم وانقضى، وذلك في قوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣]، ثم جاء بعد ذلك قضية أخرى من التعريف بحقيقة عيسى عليه السلام، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٣٤-٣٥]، فورد هذا مورد الجمل التي كأنها مفصولة عمّا قبلها مع الحاجة إلى اتصال ما بعدها بما قبلها، كان لابد من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فالوجه العطف عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين، فهذا وجه ورود الواو في سورة مريم، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعًا فيحتاج إلى الواو، وأمّا زيادة ﴿ هُوَ ﴾ بالزخرف فقد دعا إليها ما تقدم في الآية قبله في قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧]، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨]، تعلق بها الكفار، وقالوا قد عُبدت الملائكة وعُبد المسيح، وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب، وأن الملائكة عباد مقربون، فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد رضينا، وجادلوا بهذا، فلما كان قد تقدم في الزخرف ذكر آلهتهم وقولهم: ﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ﴾ [الزخرف : ٥٨]، يعنون المسيح، ناسبه ما أعقبه به من قوله تعالى حاكيًا عن المسيح عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، فكأن قد قيل: هؤلاء غيره، فأورد ﴿ هُوَ ﴾ ليؤكد المعنى، ولم يرد في آل عمران ومريم من ذكر آلهتهم ما ورد هنا، فلم يحتج إلى الضمير. [٦٥] ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم : ٣٧]، ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٦٥]. الكفر أبلغ من الظُّلم، وقصّة عيسى في سورة مريم مشروحة، وفيها ذكر نسبتهم إيّاه إلى الله تعالى، حين قال: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [مريم : ٣٥]، فذكر بلفظ الكفر، والقصّة في الزّخرف مجمّلة، فوصفهم بلفظ دونه وهو الظُّلم. [٧٣] ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٩]، ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٣]. ذكر الواو في الأولى "ومنها" وحذف الواو في الثانية "منها" لماذا؟ الجواب: في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال: "ومنها تأكلون"، فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط، فمنها ما هو للادخار والبيع والمربّيات والعصائر، فكأنه تعالى يقصد بالآية: ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون، ومنها تأكلون، وهذا ما يُسمّى عطف على محذوف، أما في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة، والفاكهة في الجنة كلها للأكل، ولا يُصنع منها أشياء أخرى، والله أعلم.

[٧١] ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تَشْتَهِيهِ ﴾ قرئ: (تشتهيه) بهاء بعد الياء تعود على "ما" الموصولة. وقرئ: (تشتهي) بحذفها؛ لأنه مفعول وعائده جائز الحذف، كقوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ﴾؟ أي: بعثه الله رسولًا.

[٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل. [٧٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن الكريم (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن الكريم (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن الكريم (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن الكريم (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ عدد (١٤) مرة في كتاب الله.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٧٤- ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكفّار. ٧٥- ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفف عنهم ذلك العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من النجاة، قد استسلموا للعذاب. وقيل: ساكنون سكون يأس. ٧٧- ﴿وَنَادَوْا۟﴾ يعني: المجرمين ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾: دعوا خازن جهنم ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: ليمتنا، ليستريحوا من العذاب، فيقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: أي مقيمون في العذاب. ٧٩- ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾: يقول عز وجل: أم أبرم هؤلاء المشركون أمراً فاحكموه، يكيدون به الحق الذي جئتهم به. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: فإنا مُحكِمون لهم ما يُخزيهم من النكال والعذاب. ٨٠- ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾: يعني الحفظة عندهم، يكتبون جميع ما يصدر عنهم. ٨١- ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾: قيل: معنى «العابدين»: الأنفين المنكرين، من عَبِد الرجل إذا أنفَ وأنكر الشيء. وقيل: هو من العبادة. والمعنى: قل يا محمد لمن زعم أن الملائكة بنات الله: إن كان لله ولد فأنا أول من يعبده وينقاد له منكم، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد، فأنا أعبده عز وجل وحده. وفي هذا الأسلوب مبالغة في نفي الولد. قال الطبري: وهذا إلطاف في الخطاب. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ٨٢- ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من الكذب ويضيفون إليه من الولد، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يضاف إليه. ٨٣- ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾: في دنياهم. ٨٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾: يُعبد في السماء ويُعبد في الأرض. ٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: قيل: عنى به عيسى وعزيراً، والملائكة الذين يعبدهم المشركون ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾: إلا من شهد لله بالحق، فوحّده وأطاعه وصدق رسله. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة ما شهدوا به، وأنهم على علم ويقين أنهم لا يملكون الشفاعة عندهم إلا بإذنه لهم بها. ٨٧- ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: فكيف ينقلبون ويصرفون عن عبادة خالقهم. ٨٨- ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾: «وقيله» بجر اللام: معطوف على لفظ «الساعة»، أي: وعنده علم الساعة، وعلم قيله، والقيل والقول بمعنى واحد، والمراد قول محمد ﷺ وشكواه إلى ربه تعالى ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. ٨٩- ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أعرض عن آذاهم، ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾: أي: ولكم سلام. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وعيد من الله عز وجل للمشركين.

[٧٧] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [٨١] معنى اسم الله الرحمن: قال الشيخ السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، البرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى ⇐

[٨٠] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ الآية... أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال: واحد منهم: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال آخر: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، فأنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآية.

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف : ٧٤]، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر : ٤٧]. إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية القمر: إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب. [٨٣] ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف : ٨٣، المعارج : ٤٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والمعارج، والآية تدعو النبي ﷺ أن يترك هؤلاء المفترين على الله ليخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما معًا.
[٨٨] ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف : ٨٨]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان : ٢٢]. وقال محمد ﷺ شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذّبوه: يا ربِّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية الدخان: فدعا موسى ربه -حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلًا: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرون.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف : ٧٥]. كيف وصف أهل النار فيها بأنهم مبلسون، والمبلس هو الآيس من الرحمة والفرج مع قوله بعده: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف : ٧٧]، الدال على طلبهم الفرج بالموت؟ الجواب: وقع كل منهما في زمن؛ لأنّ أزمنة يوم القيامة متعددة. [٨٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف : ٨٤]. هذا يقتضي تعدد الآلهة؛ لأنّ النكرة إذا أعيدت نكرة تعددت، كقولك: أنتِ طالق، وطالق! الجواب: الإله هنا بمعنى المعبود، وهو تعالى معبود فيهما، والمغايرة إنما هي بين معبوديته في السماء، ومعبوديته في الأرض؛ لأنّ المعبودية من الأمور الإضافية، فيكفي التغاير فيها من أحد الطرفين، فإذا كان العابد في السماء غير العابد في الأرض، صدق أنّ معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض، مع أنّ المعبود واحد.

[٨١] ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَدٌ﴾ قرئ: (وُلْد) بضم الواو وسكون اللام. وقرئ: (وَلَد) بفتحهما، وهما لغتان في الولد، وقيل: الولد بالفتح الابن والابنة، وبالضم: الأهل. [٨٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قرئ: (ترجعون) بالخطاب التفاتًا، أو على معنى قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون. وقرئ: (يرجعون) بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾.
[٨٨] ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ قرئ: (وقيلِهِ) بخفض اللام وكسر الهاء مع الصلة بياء، عطف على الساعة، أي: وعنده علم قيله، أي: قول محمد أو عيسى ـ عليهما السلام ـ والقول والقال والقيل مصادر بمعنى واحد. وقرئ: (وقيلَهُ) بفتح اللام وضم الهاء وصلتها بواو عطفًا على محل الساعة، أي: وعنده أن يعلم الساعة، ويعلم قيله كذا، أو عطفًا على سرهم ونجواهم، أو على مفعول يكتبون المحذوف، أي: يكتبون ذلك ويكتبون قيله، كذا أيضًا، أو على مفعول يعلمون ذلك، ويعلمون قيله: على أنه مصدر، أي: قال: قيلَه، أو بإضمار فعل، أي: الله يعلم قيل رسوله محمد ﷺ. [٨٩] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ قرئ: (تعلمون) بالتاء على الخطاب التفاتًا، أو لمناسبة لفظ قل قبله، والتقدير: قل لهم يا محمد سلام. وقرئ: (يعلمون) بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الدُّخَانِ

١، ٢- ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: القرآن، أقسم ربنا بهذا الكتاب. ٣- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: الجمهور على أنها ليلة القدر، والمعنى: أن ابتداء نزوله كان في هذه الليلة. وقالت فرقة: بل أنزله الله تعالى جملةً ليلة القدر إلى البيت المعمور، ومن هنا كان جبريل يتلقاه. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: خلقنا بهذا القرآن. ٤- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: يُقضى فيها أمر السنة كلها، من معايش الناس ومصائبهم وموتهم وحياتهم، إلى مثلها من السنة الأخرى ﴿حَكِيمٍ﴾: محكم. ٥- ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: رسولنا محمداً ﷺ إلى عبادنا. ٦- ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: أنزلناه للرحمة. وقيل: مرسلين رحمة. ٩- ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: إضراب قبله نفي مقدّر، كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن، بل هم في شك يلعبون في أقوالهم وأعمالهم. ١٠- ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: انتظر لهم يا محمد ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: الدخان الذي ذكر في هذا الموضع حين دعا رسول الله ﷺ على قريش أن تأخذهم سنين كَسِنِيِّ يوسف، فأُخذوا بالجدب وإمساك المطر، حتى كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك جئتنا تأمرنا بالطاعة وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. ١١- ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾: يشملهم ويحيط بهم، كان الرجل لا يرى ما بينه وبين السماء إلا دخاناً من شدة الجهد. ١٢- ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾: دعا المشركون بذلك، والمراد بالعذاب: الجوع. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: إنك إن كشفته عنا آمنّا بك وعبدناك. ١٣- ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: كيف لهم، ومن أي وجه التذكُّر بعد نزول البلاء. ١٤- ﴿مُعَلَّمٌ﴾: عُلِّم هذا الكلام. ١٥- ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾: إلى الكفر والتكذيب، فعادوا. ١٦- ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: في الدنيا، وهي يوم بدر. وقيل: المراد بها: عذاب النار. ١٧- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: رفيع عند الله مكانه، وهو موسى. ١٨- ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: بمعنى: ادفعوا إليَّ وأرسلوا معي بني إسرائيل.

= من شاء من خلقه. [٦] **معنى اسم الله السميع**: كثيراً ما يقرن الله بين صفتي السمع والبصر، فكل من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة،والباطنة، فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها، وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء. وسَمْعُه تعالى نوعان: النوع الأول: سَمْعُه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفيّة والجليّة، وإحاطته التامّة بها. النوع الثاني: سَمْعُ الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم. [٦] **معنى اسم الله العليم**: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٨] **معنى اسم الله الإله**: اسم الإله: هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى؛ ولهذا كان القول الصحيح أنَّ ((الله)) أصله ((الإله))، وأن اسم ((الله)) هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم.

[١٠] قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فأتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى فسقوا، فنزلت. [١٥، ١٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر.

[١] ﴿حمٓ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. تكررت هذه الآية ﴿حمٓ﴾ في أوائل سبع سور، فهي من المتشابه لفظًا، وذهب كثير من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]، يراد به هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، فهي أيضًا من المتشابه لفظًا ومعنى. قول آخر: المراد بالحروف المقطعة أول السور هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر، وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر، ومع ذلك فقد أعجزهم... فهذا أبين في الإعجاز، لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعًا، لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس، ومع هذا فقد أعجزهم. [٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف:٢، الدخان:٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والدخان، والآية يقسم الله فيها بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى.

[٧] ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ قرئ: (ربِّ) بالخفض على البدل من ربك. وقرئ: (ربُّ) بالرفع على الابتداء قطعوه مما قبله، والخبر الجملة، وهي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

[١٧] ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ **إعجاز عددي**: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة **الرسل** بمشتقاتها، **والنبي** بمشتقاتها، **والبشير** بمشتقاتها، **والنذير** بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة **الرسل** (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة **النبي** (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة **البشير** (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة **نذير** (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة الدخان: نزلت بعد سورة الزخرف، وهي مكّيّة إجماعاً. **عدد كلمات سورة الدخان**: ثلاثمائة وست وأربعون. **عدد حروف سورة الدخان**: ألف وأربعمائة وواحد وثلاثون. **أسماء سورة الدخان**: سمّيت سورة الدّخان؛ لذكره بها. **مواضيع سورة الدخان**: معظم مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفّار، وحديث موسى وبني إسرائيل وفرعون، والرّد على منكري البعث، وذلّ الكفار في العقوبة، وعزّ المؤمنين في الجنّة، والمنّة على الرّسول بتيسير القرآن على لسانه.

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١٩- ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أن لا تطغوا وتبغوا، بالكفر بالله وعصيانه ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه. ٢٠- ﴿وَإِنِّى عُذْتُ﴾: اعتصمت، واستجرت ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾: بالحجارة. وقيل: بالقول السيء. ٢١- ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾: إن لم تُصدقوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾: فخلُّوا سبيلي. ٢٢- ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: أي: مشركون بالله كافرون. ٢٣- ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾: أجابه الله بهذا وأمره به، وعنى بعبادي: الذين صدَّقوا موسى، دون الذين كذبوه ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: إن فرعون وقومه من القبط متَّبعوكم. ٢٤- ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾: يقول عز وجل: إذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه رهواً، أي ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخله موسى وقومه، ولا تأمره أن يرجع كما كان. ٢٦- ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: شريف حسن. ٢٧- ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ -بفتح النون-: غضارة العيش ولذاذة الحياة. ﴿فَٰكِهِينَ﴾: ناعمين. ٢٩- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾: روي أنه ليس أحد من المؤمنين إلا له باب في السماء ينزل منه رزقه ويصعد فيه عمله، فإذا فقد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها في الأرض، والباب الذي كان يصعد منه عمله، ولا يبكيان على كافر. وقيل: الآية بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم، لأن المعنى: أنه لم يُصَبْ بفقدهم أحد من أهل السماء، ولا أحد من أهل الأرض، لأنه ليس لهم عمل صالح. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾: مؤخرين بالعقوبة. ٣٠، ٣١- ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: إذ كان يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾: جباراً مستعلياً ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: في الكفر وارتكاب المعاصي. ٣٢- ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾: يعني: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منا بهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على عالَم زمانهم يومئذ، ولكل زمان عالَم. ٣٣- ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾: من العبر والعظات ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾: اختبار ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر بيِّن. ٣٤، ٣٥- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مشركي قريش. ﴿بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين. ٣٧- ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾: يعني: مشركي قريش ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: يعني: تُبعاً الحميري. وروي أنه كان مؤمناً صالحاً. يقول عز وجل: أهؤلاء المشركون من قومك خير أم قوم تُبّع ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل قوم تُبع، أهلكناهم جميعهم. ٣٩- ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلا للحق الذي لا يصلح التدبير إلا به.

[٢٢] ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [الدخان: ٢٢]. وقال محمد ﷺ شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذَّبوه: يا ربِّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية الدخان: فدعا موسى عليه السلام ربه -حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلًا: إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرون. [٢٦] ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]. إن بني إسرائيل تركوا الزرع والثمار كليهما؛ لأن مصر ذات زروع، والكنوز، قيل: ما كانوا يدخرونه من الأموال، وقيل: هي كنوز في جبل المقطم. [٢٨] ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]، ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]. حيث قال: "بني إسرائيل" فلعله أراد: لما سكنوها بعد مدة طويلة من غرق فرعون، وذلك لما تهود ملك مصر، وقيل: إن الضمير في "أورثناها" راجع إلى النعم المذكورة، أي: أورثهم إياها في الشام لا في مصر، وحيث قال: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، فهم قوم ملكوا مصر بعد فرعون وقومه، هذا هو الجواب الظاهر، فإنه لم يُنقل قط أن بني إسرائيل بعد غرق فرعون رجعوا إلى مصر، بل دخلوا في التيه، ثم دخلوا الأرض المقدسة، وقيل: إنه لما بسط ذكر القصة هنا وسمى موسى وهارون عليهما السلام، ناسب تعيين بنى إسرائيل وتسميتهم في وراثة مصر، ولما اختصر القصة في الدخان، ولم يسم موسى عليه السلام فيها، بل قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]، فأتى باسمه مبهمًا، ناسب ذلك الإتيان بذكر بني إسرائيل مبهمًا بقوله تعالى: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، وهذا على رأي من يجعل الضمير "لجنات" مصر وزروعها وكنوزها، "وفيه نظر كما تقدم". [٣٥] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٩]، ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]. أحقًا أننا مخلَّدون منعَّمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذَّبين بعد دخولنا الجنة؟ إنَّ ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَر العظيم. فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية الدخان: إن هؤلاء المشركين من قومك أيها الرسول ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب. [٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]. ذكر لفظ "السماوات" بالجمع بالدخان لموافقة أول السورة: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدخان: ٧].

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]. قال علي وابن عباس: (إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض – يعني المؤمن – ومصعد عمله من السماء). [٤٤] ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٤]. ما الفرق بين: "آثم، أثيم"؟ الجواب: وردت كلمة (آثم) ثلاث مرات. ووردت كلمة (أثيم) سبع مرات. قال ابنُ القوطية: أَثِمَ إثمًا: أذنب، فهو آثمٌ. فإذا أكثر فهو الأثيمُ والأثوم. (فالآثم) هو الذي يقترف الإثم دون مبالغةٍ أو تدبيرٍ أو تعمُّدٍ. وإنما دفعته الإغراءات والمغريات فزلَّ بالإثم. أما (الأثيم) فهو المقترف للإثم عن قصدٍ وتدبير وإصرار، ومعاودة للإثم مرةً بعد مرةٍ. لذلك نهى الله عن طاعة الآثم والكفور، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ

[٤٥] ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْلِى﴾ قرئ: (يغلي) بالياء على التذكير وفاعله يعود إلى الطعام. وقرئ: (تغلي) بالتأنيث والضمير يعود على الشجرة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ قرئ: (فاعتُلوه) بضم التاء. وقرئ: (فاعتِلوه) بكسرها، لغتان في مضارع عتله: ساقه بجفاء وغلظة. [٤٩] ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ﴾ قرئ: (أنك) بفتح الهمزة على العلة، أي: لأنك أنت العزيز عند نفسك وهو تعريض به، ومعناه: الذليل المهين. وقرئ: (إِنك) بكسرها على الاستئناف المفيد للعلة فيتحدان، أو محكي بالقول المقدر، أي: اعتلوه، وقولا له ما كان يقوله عن نفسه في الدنيا من أنه عزيز كريم، والمخاطب بهذا هو أبو جهل اللعين، روي أنه كان يقول: أنا أَعَزُّ أهل الوادي وأمنعهم، فجاء التنزيل على حكاية ما كان يقوله في الدنيا، وما يقال له.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)

سُورَةُ الجَاثِيَة

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: يعني: يوم يقضي الله بين خلقه ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾: ميقات اجتماعهم. ٤١- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾: لا يدفع ابن عم عن ابن عم، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله عز وجل ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ولا ينصر بعضهم بعضاً. ٤٢- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾: إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عنده، وقيل: المعنى: لكن من رحم الله. ٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾: التي اخبر عز وجل عنها أنها تنبت في أصل الجحيم [سورة الصافات: ٦٢]. ٤٤- ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾: ذي الإثم، وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه، دون غيره من الآثام. ٤٥- ﴿كَالْمُهْلِ﴾: قيل: كالرصاص المذاب، أو الفضة، أو ما أذيب في النار. وقيل: كمهل الزيت، وهو دُرْدِيُّهُ أي: رواسبه، وعكره. ٤٦- ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾: الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره، وبلغت أوجها. ٤٧- ﴿خُذُوهُ﴾: يعني: الأثيم ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: سوقوه بالدفع والجذب والسحب. ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: إلى وسط النار. ٤٨- ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: من الماء المسخن الذي وصفنا. ٤٩- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: في قومك ﴿الْكَرِيمُ﴾: عليهم بزعمك في الدنيا. وروي أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل عمرو بن هشام، قال يوماً: ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم مني! ٥٠- ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تشكون. ٥١- ﴿فِي مَقَامٍ﴾: في مكان أمين من المكاره ومما كان يخاف في مقامات الدنيا. ٥٣- ﴿مِن سُندُسٍ﴾: وهو ما رقّ من الديباج. و«الإستبرق»: ما غَلُظ منه. ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾: يقابل بعضهم بعضاً. ٥٤- ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: النافيات البياض، وهو جمع: حوراء. و«عين» جمع عيناء، وهي الواسعة العينين من النساء. ٥٥- ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: بكل نوع منها اشتهوه ﴿آمِنِينَ﴾: من غائلتها ونفادها، وقيل: آمنين من الموت والوصب والشيطان. ٥٦- ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾: أي بعد الموتة التي ذاقوها في الدنيا. وقيل: «إلا» بمعنى: سوف. ٥٧- ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾: تفضلاً عليهم وإحساناً إليهم، إذ لم يُعاقبهم بما سلف منهم في الدنيا. ٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾: إنما أنزلنا القرآن بلغتك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ليتذكر هؤلاء المشركون بعبره وحججه. ٥٩- ﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر الفتح من ربك، والنصر عليهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: منتظرون -عند أنفسهم- قهرك وغلبتك، والمعنى: انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم.

[٤٣، ٤٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا، فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾. [٤٩] قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ قال: فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، ونزل فيه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]. إن يوم القضاء بين الخلق بما قدَّموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية النبأ: إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين.
[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: ٤٦]. يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئًا، ولا ينصر بعضهم بعضًا، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: وفي ذلك اليوم لا يَدْفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئًا، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله. [٥٦] ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذِّ المختلفة، ونجّاهم الله من عذاب النار. [٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]. فإنما يسَّرنا هذا القرآن بلسانك العربي أيها الرسول؛ لتبشر به المتقين من أتباعك، وتخوِّف به المكذبين شديدي الخصومة بالباطل، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الدخان: فإنما سهَّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون.

= لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] لأن النهي عن طاعة الآثم يشمل (ضمنيًا) النهي عن طاعة الأثيم، وليس العكس، فإن كان النهي عن طاعة الأثيم، فربما ظنَّ الجاهل أن طاعة الآثم جائزة (وليس الأمر كذلك). جاءت كلمة (أثيم) فاصلة، لما فيها من مدٍّ في الحرف قبل الأخير (وليس الأمر كذلك مع آثم). وجاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفواصل حولها كالآتي: ١- فكلمة (أثيمًا) في سورة النساء جاءت متسقة موسيقيًا ووزنًا مع الفاصلة التي قبلها (رحيمًا). ٢- وفي سورة الشعراء جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي قبلها (الشياطين). ٣- وفي سورة الدخان: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الميم الأخيرة في كلمة الزقوم (وهي الفاصلة التي قبلها)، وجاءت متسقة مع النون في الفاصلة التي بعدها (البطون). ٤- وفي سورة الجاثية: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الفاصلة التي تلتها وهي (أليم). ٥- وفي سورة القلم: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (حميم) والفاصلة التي لحقتها (زنيم) زنة وصوتًا. ٦- وفي سورة المطففين: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (الدين) والفاصلة التي لحقتها (الأولين) صوتًا. [٥٣] ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣]. وصف نعيم نفوسهم بعضهم مع بعض في مجالسهم ومحادثاتهم بقوله ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾؛ لأن الحديث مع الأصحاب والأحبة نعيم للنفس، فأغنى قوله ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ عن ذكر اجتماعهم وتحابهم وحديث بعضهم مع بعض، وأن ذلك شأنهم أجمعين، بأن ذكر ما يستلزم ذلك وهو صيغة متقابلين.

[٥١] ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿مَقَامٍ﴾ قرئ: (مُقام) بضم الميم اسم مكان من أقام، أو مصدر على تقدير حذف مضاف في موضع إقامة بمعنى الإقامة. وقرئ: (مَقام) بالفتح اسم مكان من قام، كأنه اسم للمجلس أو المشهد، ووصفه بالأمن يدل على أنه اسم مكان؛ لأن المصدر لا يوصف بذلك.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن الكريم. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ذكر (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

٢- ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾: معناه: هذا تنزيل القرآن. ﴿الْعَزِيزِ﴾: قال ابن عطية: معناه عامّ في شدّة أخذه إذا انتقم، ودفاعه إذا حَمَى ونصر، وغير ذلك. ٣، ٤- ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات وحججاً ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾: يُفرّق في الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾: الدابّة: كل حيوان يدبّ أو يمكن فيه أن يدب، ويدخل في ذلك الطير والحوت. ٥- ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: شمالاً مرة، وجنوباً مرة، وصَباً ودبوراً، ورحمة مرة، وعذاباً أخرى. ٦- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ﴾: أي: بعد حديث الله وبعد آياته. ٧، ٨- ﴿وَيْلٌ﴾: عذاب وهلاك، وقيل: «ويل» اسم واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره. ﴿أَفَّاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم ﴿يُصِرُّ﴾: يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: أي لا يُذعن لأمر ربه ﴿أَلِيمٍ﴾: موجع. ٩- ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾: إذا وصل إليه علم شيء من آيات الله. ﴿مُّهِينٌ﴾: مُذل. ١٠- ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾: يعني: من بين أيديهم. ١١- ﴿هَٰذَا هُدًى﴾: يعني القرآن، لأنه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: من عذاب موجع. ١٢- ﴿الْفُلْكُ﴾: السفن. ١٣- ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾: يقول عز وجل: جميع ما ذكرت لكم فضل منه تفضل به عليكم، لم يُشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك. والتسخير: التذليل والتسهيل، ويقال: سخّره: كلّفه عملاً بلا أجر. وتسخير ما في السموات: هو تسخير الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ونحو ذلك.

[١] ﴿حمٓ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. انظر سورة الدخان آية: ١. [١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سور الزمر والجاثية والأحقاف، وهي تبين أن هذا القرآن إنما هو منزّل من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه. [٣، ٤، ٥] ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]، ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥]. لم ختم الآية الأولى بـ"الْمُؤْمِنِينَ"، والثانية بقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾ والثالثة بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾؟ الجواب: لأنه تعالى لمّا ذكر العالَم ضمنًا، ولا بدّ له من صانع موصوف بصفات الكمال، ومن الإيمان بالصانع، ناسب ختم الأولى بالمؤمنين، ولمّا كان الإنسان أقرب إلى الفهم من غيره، وكان فكره في خلقه وخلق الدواب مما يزيده يقينًا في إيمانه، ناسب ختم الثانية بقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾، ولمّا كانت جزئيات العالم؛ من اختلاف الليل، والنهار، وما ذكر معهما، مما لا يدرك إلاّ بالعقل ناسب ختم الثالثة بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾. [٥] ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الجاثية: ٥]. المراد "بالرزق" الماء؛ لأنه سببه وأصله وبه نبات الأرزاق؛ تسمية للسبب باسم المسبب، وخص لفظ "الرزق" بالجاثية لتقدم قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ﴾ [الجاثية: ٤]، لحاجة الخلق جميعًا للرزق. [٦] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]. الآيات تبين أن تلك حجج الله وبراهينه، نقصُّها عليك أيها الرسول بالصدق واليقين، وتوضح آية البقرة أن محمدًا ﷺ من المرسلين الصادقين، وأمّا آية آل عمران فتبين أن الله ليس بظالم أحدًا من خلقه، ولا بمنقص شيئًا من أعمالهم؛ لأنه الحاكم العدل الذي لا يجور، وآية الجاثية تتساءل بأي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟ [٨] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٨]. إن هذا الكافر لما أخبر الله عنه في سورة لقمان بأنه يعرض عن القرآن إذا سمعه غير منتفع به، حتى كأنه لم يسمعه، ويستمر به الحال، كما يستمر بمن به صمم، وقوله في الجاثية: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية: ٨]؛ يدل على مادل عليه ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧]، لأن الإصرار عزم لا يتهم معه بإقلاع، فإذا أصر على التصادم فهو كمن في أذنيه وقر، فصار أحد اللفظين يغنى عن الآخر ويقوم مقامه، ويؤدي من المعنى أداءه، فلذلك لم يجمع بينهما، وكان الموضع الذي ذكر فيه: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أحق بقوله: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾، والموضع الذي ذكر فيه الإصرار على ترك الاستماع أغنى عن ذكر كأن في أذنيه وقرًا. [١٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]، ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢]. آية الروم جاء في أولها ذكر الرياح وأنها تبشر بالمطر وإذاقة الرحمة، ثم قال: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ بالرياح بأمر الله تعالى، ولم يتقدم ذكر البحر، فلم يذكر القيد؛ لأنه ليس للضمير عائد يعود إليه، أما آية الجاثية فجاء فيها ذكر البحر: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾، فجيء بالضمير العائد إليه على ما يجب.

[١٨] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الجاثية: ١٨]. ما الفرق بين: "شِرْعةً، شريعةً"؟ الجواب: وردت كلمة (شرعة) مرة واحدة، ووردت كلمة (شريعة) مرة واحدة أيضًا. كلمة (شريعة) بها زيادة المبني التي تدل على زيادة المعنى. فكلمة (شريعة) تعني العقيدة والمنهاج، في حين لا تعني كلمة (شرعة) إلا العقيدة فقط. ومما يدل على المعنى السابق أيضًا أنه قد سبق عبارة (شرعة ومنهاجًا) عبارة (هدى ونور) ⇐

[٤، ٥] ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ - ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قرئ: (آياتٍ) بكسر التاء اسم منصوب فيهما عطف على اسم "إن" أي: (وإن في خلقكم)، (وإن في اختلاف)، والخبر قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ وفي ﴿وَاخْتِلَافِ﴾ أو كرر "آيات" تأكيدًا للأول، أي: "إن في السماوات، وفي خلقكم، وفي اختلاف الليل لآيات" ويكون "وفي خلقكم" عطفًا على في السماوات، كرر معه حرف العطف توكيدًا لمّا طال الكلام. وقرئ: (آياتٌ) برفعهما على الابتداء، والظرف قبل: هو الخبر، وهو حينئذ جملة معطوفة على جملة مؤكدة بأن، ويحتمل أن تكون "آيات" عطفًا على محل "أن ومعموليها" وهو رفع بالابتداء، إن عطفت عطف المفرد وبتقدير: إن، إنْ عطفت عطف الجمل. [٦] ﴿وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ قرئ: (يؤمنون) بالغيبة، أي: كفار مكة، ولمناسبة قوله تعالى قبله: ﴿لِقَوْمٍ ⇐

نزول سورة الجاثية: نزلت بعد سورة الدخان، وهي مكيّة بالإجماع. عدد كلمات سورة الجاثية: أربعمائة وثمانون. عدد حروف سورة الجاثية: ألفان ومائة وتسعون.

أسماء سورة الجاثية: لها اسمان: سورة الجاثية، وسورة الشريعة؛ لذكرها بها. مواضيع سورة الجاثية: معظم مقصود السّورة: بيان حُجّة التّوحيد، والشكّ من الكفار ⇐

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٤- ﴿يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: للذين لا يخافون بأسه ونقمه، إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه. ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾: يعني: هؤلاء المشركين الذين يؤذونهم، في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من أذاهم أهل الإيمان بالله. قيل: ونُسخت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥] وقيل: المراد بالقوم في قوله: «ليجزي قوماً». المؤمنون. والمعنى: أنهم أمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة، التي منها: الصبر على أذى الكفار، بكظم الغيظ واحتمال المكروه. ١٦- ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:يعني التوراة والإنجيل ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الفهم بالكتاب ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على أهل زمانهم. ١٧- ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أي شرائع واضحات، من أمرنا بتنزيلنا التوراة ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: طلباً للرياسات. اي أنهم لم يختلفوا اجتهاداً في طلب الصواب. ١٨- ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: على طريقة وسُنَّة ومنهاج ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: من الأوامر والنواهي. وقيل: على منهاج واضح من أمر الدين يوصلك إلى الحق. ١٩- ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: بعضهم أنصار لبعض وأعوان. ٢٠- ﴿هَٰذَا﴾: اي هذا القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: يُبصرون به الحق من الباطل، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: بحقيقة صحة هذا القرآن. ٢١- ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: ام ظن ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: اكتسبوا سيئات الأعمال في الدنيا بعبادة غير الله، وتكذيب رسله، ومخالفة أمره ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: قيل: بمعنى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء في حال الحياة والموت، بمعنى: أنهم لا يستوون. ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس الحكم ما يحكمون.

[١٥] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الجاثية: ١٥]. الآيتان تشيران إلى أنه من عمل صالحًا فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله، وآية فصلت تبين أن ربك ليس بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وأما آية الجاثية فتوضح أنكم أيها الناس إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. [١٧] ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾ [يونس: ٩٣]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾ [الجاثية: ١٧]. آية يونس تقدم قبلها دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، فأجاب سبحانه دعاء نبيه وطمس على أموال آل فرعون وملئه وأغرقه وآله، ونجى بني إسرائيل من الغرق وقطع دابر عدوهم، وأورث بنى إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوؤن منها حيث شاؤوا، فقال سبحانه معرفًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، أي: مكناهم ومهدنا لهم أمرهم بإهلاك عدوهم، وبما أورثناهم بعد ضعفهم من مشارق الأرض ومغاربها، فبعد تمكن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم بما شاهدوه من الآيات وعظيم البراهين المعقبة لمن شاهدها اليقين - اختلفوا جريًا على ما سبق لهم ولغيرهم ممن أشار إليهم قوله تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، ويناسب هذا كله تناسبًا لا توقف في وضوحه، ولم يتقدم في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا، أمَّا آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدلالة والبراهين من لدن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]، إلى ما تبع هذا من التنبيه بخلقهما وما بث سبحانه فيهما من أصناف المخلوقات، واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها بما ينزل من الرزق إليها، وتصريف الرياح، ثم ذكر سبحانه أن هذه الآيات إنما يعتبر بها ويهتدي بأنوارها من منحه الله تعالى العقل وهداه إلى الاعتبار، ولما كان الاستدلال بهذه الجمل المفصلة أوضح، شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦]، ولكونه أبسط ما ذكر به من خوطب بالقرآن، ثم لم يجد في حق من سبق له الشقاء منهم إلا المنافرة والمخالفة، أعقبت بذكر من ترادفت وتوالت عليه الآيات، وكثرت في حقه الشواهد، ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف والعدول عن سلوك المنهج الواضح، وهم الممتحنون بالاختلاف من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾، فاقتضى ذلك ما قدم من بسط الآيات، وواضح ما خصه تعالى من =

= وصفًا للتوراة والإنجيل. في حين أن كلمة (شريعة) سُبقت بكلمة (هدى). فجاءت كلمة (شرعة) لتناظر كلمة (هدى) وجاءت كلمة (منهاجًا) لتناظر كلمة (نور). إذًا (الشرعة) تعني أصول الدين والعقيدة (الهدى)، و(المنهاج) يعني الطريقة العملية التي يُوجّه الدينُ البشر إلى سلوكها، والتمسك بها والاهتداء بهداها. أما (الشريعة) فتمثل الدين كله: عقيدةً ومنهاجًا؛ لأن كلمة (الهدى) جاءت تُشير في موضوعها إلى هذين المعنيين معًا، حيث قال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ [الجاثية: ١١] أي القرآن هدى، ومعروف أن القرآن: عقيدة ومنهاج معًا. وعندما كان التعبير مشيرًا إلى التوراة والإنجيل، عُبّر عن العقيدة بكلمة، وعن الطريق بكلمة أخرى؛ لأن التوراة والإنجيل لم يكونا على مستوى الكمال الذي عليه القرآن، وإن كانت العقيدة فيهما قبل التحريف كاملة، إلا أن الطريقة (المنهاج) لم تكن كاملة، لذا خولف بينهما بكلمتين (شرعةً ومنهاجًا). أما عندما جاء التعبير خاصًا بالقرآن وحده، فقد عُبّر عن العقيدة والطريقة بكلمةٍ واحدةٍ (شريعة)؛ لأن العقيدة والطريقة في القرآن كاملتان ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والله أعلم. = ﴿يُوقِنُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وقرئ: (تؤمنون) بالخطاب لمناسبة قوله: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ على معنى: "قل لهم يا محمد" فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون؟". [١١] ﴿رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أَلِيمٌ﴾ قرئ: (أليمٌ) برفع الميم نعتًا. وقرئ: (أليمٍ) بالجر نعتًا لـ "رجز". [١٤] ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ قرئ: (ليَجزِيَ) بالياء التحتية مبنيًا للفاعل، أي: ليجزي الله. وقرئ: (ليُجزَى) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنيًا للمفعول مع نصب "قومًا" أي: ليجزى الخير والشر، أو الجزاء، أي: ما يجزى به المصدر، فإن الإسناد إليه لا سيما مع وجود المفعول به ضعيف، قال القاضي: وقيل: النائب الظرف، وهو مما قال السمين، وفي هذه حجة للأخفش، والكوفيين: حيث يجوزون نيابته عن المفعول به مع وجوده. وقرئ: (لنَجزِيَ) بنون العظمة مبنيًا للفاعل، على معنى الإخبار من الله عز وجل عن نفسه بالجزاء فهو المجازي كلًّا بعمله. = والمتكبرين، وبيان النفع والضرّ، والإساءة والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان، وذَمّ متابعي الهوى، وذلّ الناس في المحشر، ونَسْخ كُتُب الأعمال من اللَّوح المحفوظ، وتأبيد الكفَّار في النَّار، وتحميد الرّب المتعال بأوجز لفظ، وأفصح مقال.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣- ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: هو الكافر اتخذ دينه بهوى نفسه، لا يهدي من الله وبرهان، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، لأنه لا يؤمن بالله، ولا يُحرِّم ما حرم الله، ولا يحل ما أحل الله ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: خذله عن سبيل الرشاد، على علم قد علمه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾: أن يسمع مواعظ الله فيعتبر بها، وطبع على قلبه فلا يعقل شيئاً ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: غطاء، أن يبصر حُجج الله. ٢٤- ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: لا حياة سواها، تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات ﴿نَمُوتُ﴾: أي نموت نحن ﴿وَنَحْيَا﴾: بمعنى: وتحيا أبناؤنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياةً لهم لأنهم منهم، نظير قول الناس: ما مات من خلَّف ابناً مثل فلان ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: أي: ما يُفنينا إلا مر الليالي والأيام، وطول العمر، وكان هذا قول أهل الجاهلية، وهو كذلك قول الدهريّين القائلين بقدم المادة، وأزلية العالم. ٢٥- ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: انشُرهم أحياء. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنَّا نبعث بعد الموت: أي ما كان لهم حجة إلا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء، وإنما سمّاه حجة لظنهم ذلك، أو تهكمًا بهم. ٢٧- ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: المكذبون المتعلقون بالأباطيل. أو الذين أبطلوا في أقوالهم ودعواهم لله عز وجل شركاء. ٢٨- ﴿وَتَرَىٰ﴾: يعني: يوم القيامة ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾: الأمّة: الجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها. وقيل: الأمة: الملة. والمعنى: كل -أهل- ملة ودين جاثيةً على الركب مجتمعة مستوفزة، من الخوف وانتظار الحساب. ﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: المنزل عليها. وقيل: إلى حسابها. ٢٩- ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: تكتب حفظتنا أعمالكم، فتثبتها في الكتب وتكتبها. والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فكان المعنى: أن الملائكة يأتون بصورة من أعمالكم. ٣١- ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن استماعها والإيمان بها ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: مكتسبين للآثام.

[٢٣] قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ﴾ أخرج ابن المنذر، وابن جرير، عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حينًا من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ﴾. [٢٤] قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار فأنزل الله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

= واضح الدلالات في صدر هذه السورة، من بسط ما مُنِحَهُ بنو إسرائيل.. ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثل ما بسط في سورة الجاثية من الاعتبار لما يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجاز بالإيجاز والإطناب بالإطناب، وجاء كل على ما يجب ويناسب مع اتحاد المقصود في السورتين. [١٩] ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، إنَّ أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به، الذين آمنوا به وصدقوا برسالته واتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد ﷺ والذين آمنوا به، والله وليُّ المؤمنين به المتبعين شرعه، فناسب آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأمّا آية الجاثية فيقال فيها للنبي ﷺ: إن هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك من عقاب الله شيئًا إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. [٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. بل أظنَّ الذين يعملون المعاصي مِن شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم؟ بئس حكمهم الذي يحكمون به، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الجاثية: بل أظنَّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذَّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات... [٢٢] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ...﴾ [الجاثية: ٢٢]. خلق الله السماوات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرده بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين؛ لأنهم الذين ينتفعون بذلك، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الجاثية: وخَلَق الله السماوات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت مِن خير أو شر... [٢٣] ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. انظر أيها الرسول متعجبًا إلى مَن أطاع هواه كطاعة الله، أفأنت تكون عليه حفيظًا حتى تردَّه إلى الإيمان؟ فهذا ما دلت عليه آية الفرقان، أمّا آية الجاثية: أفرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه.=

[٢١] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]. ما الفرق بين: "جرح و اجترح"؟ الجواب: أن الأصل اللغوي للصيغتين واحدٌ، غير أن (اجترح) فيها زيادة معنى لزيادة المبنى (بالهمزة والتاء). وبالنظر إلى السياق الذي وردت فيه كلٌ منهما، نلاحظ أن (جرح) استعملت لتعني الخير والشر، فقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي ما فعلتم من خيرٍ ومن شرٍّ؛ لأن أفعال العباد إما خيرٌ وإما شرٌّ، أما كلمة (اجترح) فاستعملت بمعنى الشر وحده؛ لأنها خُصصت بفعل السيئات في المرة الوحيدة التي وردت فيها، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. إذًا (جرح) تعني: كسب (خيرًا كان أو شرًّا). و(اجترح) تعني: اكتسب (الشر دون الخير).

[٢٣] ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ﴾ قوله تعالى: ﴿غِشَٰوَةً﴾ قرئ: (غَشْوة) بفتح الغين وسكون الشين بلا ألف. وقرئ: (غِشَاوة) بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها، لغتان بمعنى غطاء. [٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قوله تعالى: ﴿كُلُّ﴾ قرئ: (كلَّ) بنصب "كل" الثانية على البدل من "كل" الأولى بدل نكرة موصوفة من مثلها. وقرئ: (كلُّ) بالرفع على الابتداء، و"تدعى" خبرها. [٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ قرئ: (والساعةَ) بالنصب عطفًا على وعد الله. وقرئ: (والساعةُ) بالرفع على الابتداء، وخبره "لا ريب فيها"، أو عطفًا على "محل إن واسمها" أو على المرفوع في حق.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌ منها (٤) مرات في القرآن الكريم.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

٣٣- ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾: ظهر للكافرين بآيات الله ﴿ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾: قبائح أعمالهم وشرارها في كتب الحفظة ﴿ وَحَاقَ ﴾: نزل وحلّ، وأحاط. ٣٤- ﴿ وَقِيلَ ﴾: لهؤلاء الكفرة ﴿ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ ﴾: نترككم في عذاب جهنم ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾: تركتم العمل لهذا اليوم، وأضاف اللقاء إلى اليوم توسعاً. ﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ﴾: منازلكم التي تأوون إليها. ٣٥- ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: يُسترضَون ويُردُّون إلى الدنيا ليتوبوا عما عوقبوا عليه. ٣٧- ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾: العظمة والسلطان ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾: العزيز في سلطانه فلا يغلبه مغالب، الحكيم في فعله وتدبيره سبحانه وتعالى.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

٣- ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾: إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: يقول عز وجل: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده، يُفنيه إذا هو بلغه. وقيل: هذا الأجل هو يوم القيامة. ٤- ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: بل ألهم شركة مع الله فيها؟! والاستفهام للتوبيخ والتقريع ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ ﴾: جاء من عند الله ﴿ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾: يعني: القرآن ﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾: أو بقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون. ٥- ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾: يعني عز وجل: آلهتهم وأصنامهم ﴿ وَهُمْ ﴾: يعني آلهتهم التي لا تسمع ولا تنطق ﴿ عَن دُعَآئِهِمْ ﴾: عن دعاء الداعين لها ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾: في غفلة لأنها لا تسمع ولا تنطق.

= فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله... [٢٣] ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧]، ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣]. قدمت القلوب على الأسماع في البقرة، والعكس في الجاثية، وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة، فقدم القلوب لذلك، وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقدم الأسماع لذلك، ثم إن آية البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين: من هم أشد ضلالًا وكفرًا ممن ذكرتهم آية الجاثية، وأخبر تعالى في آية البقرة أن هؤلاء الكفار ميؤوس من إيمانهم، ولم يخبر بذلك في الجاثية، ثم كرر حرف الجر (على) مع القلوب والأسماع في آية البقرة، مما يفيد توكيد الختم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، ثم قال في البقرة: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا، وإنما هذا شأنهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام، في حين قال في الجاثية: ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث، ثم ختم آية البقرة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية، وذلك يدل على أن صفات الكفار في البقرة أشد تمكنًا فيهم، ولذلك قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم، فإن القلب هو محل الهدى والضلال، وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر. [٢٤] ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠]، ﴿ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]. آية الزخرف في جعلهم الملائكة بنات الله، وذلك كذب محض قطعًا؛ فناسب: ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾، وآية الجاثية في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعًا؛ فناسب: ﴿ يَظُنُّونَ ﴾. [٣٠] ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الأنعام: ١٦]، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الجاثية: ٣٠]. لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥]، ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، والمراد من يصرف عنه العذاب في الآخرة فقد رحمه، وعطف عليه قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، وكأنه يقول فقد رحم وفاز، أمّا آية الجاثية فقد ورد قبلها قوله تعالى مخبرًا عن قوم منكري البعث: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فأفهم قوله: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾، أن هذه الحياة هي الحاصلة لهم ولا حياة وراءها، فمن تنعَّم فيها فذاك فوزه، فأخبروا أن الأمر ليس كما ظنوه، وذكر تعالى أمر الساعة وتفصيل الأحوال فيها فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الجاثية: ٣٠]، ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾، لا الحياة التي هي لهو ولعب، كما لم يتقدم في آية الجاثية ما يستدعي العطف. [٣٣] ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزمر: ٤٨]، ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الجاثية: ٣٣]. ﴿ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ في سورة الزمر وقعت بين ألفاظ كَسَب، وهو قوله: ﴿ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤]، وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، و﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الجاثية: ٣٠]، وبعده: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾، فخُصّت كلّ سورة بما اقتضاه طرفاها. [١] ﴿ حمٓ ﴾ تكررت في أوائل سبع سور: [غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف]. انظر سورة الدخان آية: ١. [١] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سور الزمر والجاثية والأحقاف، وهي تبين أن هذا القرآن إنما هو منزّل من الله العزيز في قدرته وانتقامه، الحكيم في تدبيره وأحكامه. [٤] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا ... ﴾ [فاطر: ٤٠]، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ ... ﴾ [الأحقاف: ٤]. قل أيها الرسول للمشركين: أخبروني أيَّ شيء خلق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السماوات، أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟ بل ما يَعِدُ الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الأحقاف: قل أيها الرسول لهؤلاء الكفار: أرأيتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله تعالى نصيب من خلق السماوات؟ ائتوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن، أو ببقيّة من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

نزول سورة الأحقاف: نزلت بعد سورة الجاثية، وهي مكّيّة بالاتّفاق. **عدد كلمات سورة الأحقاف:** ثلاثمائة وأربع وأربعون. **عدد حروف سورة الأحقاف:** ألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون. **أسماء سورة الأحقاف:** سمّيت سورة الأحقاف، لذكر الأحقاف بها. **مواضيع سورة الأحقاف:** معظم مقصود السّورة: إلزام الحجّة على عبادة الأصنام، الإخبار عن تناقض كلام المتكبّرين، وبيان نبوّة سيّد المرسلين، وتأكيد ذلك بحديث موسى، والوصيّة بتعظيم الوالدَيْن، وتهديد المتنعّمين، والمترفّهين، والإشادة بإهلاك عاد العادين، والإشارة إلى الدّعوة، وإسلام الجنّيين، وإتيان يوم القيامة فجأة، واستقلال لبث اللابثين.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦- ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾: كانت آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا أعداء لهؤلاء المشركين ﴿وَكَانُوا﴾: يعني: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: بعبادة المشركين لهم جاحدين، يقولون: ما شعرنا بعبادة هؤلاء! ٨- ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: اي لا تقدرون أن تدفعوا عني عقابه على افترائي عليه ﴿بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: بما تقولون بينكم في هذا القرآن، وتخوضون فيه من التكذيب. ٩- ﴿بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾: يقول: لست بأول الرسل، يقال: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه: إذا كان فيه أولاً ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: اي ما يُفعل في المستقبل، هل ابقى في مكة او اخرج منها؟ وهل اموت او أُقتل؟ وهل تُعجّل لكم العقوبة أم تُمهلون؟ وما ادري بم تعاقبون؟ وكيف تُهلكون؟ وهذا إنما هو في الدنيا. أما في الآخرة فقد علم انه وأمته في الجنة، وأن الكافرين في النار. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾: معناه: الاستسلام والتبرّي من علم الغيبيات، وأن أفعاله مقصورة على الوحي. ١٠- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هو موسى بن عمران عليه السلام، وقيل: هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾: يعني: على مثل القرآن وهو التوراة، وتلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبي، كما هو مكتوب في القرآن إنه نبي. ١١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من يهود بني إسرائيل ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: به: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾: يعنون: لو كان تصديقكم محمداً خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به. وقيل: إنه قول المشركين من قريش ﴿هَذَا إِفْكٌ﴾: كذب ﴿قَدِيمٌ﴾: من أكاذيب الأولين. ١٢- ﴿إِمَامًا﴾: يأتمون به ﴿وَرَحْمَةً﴾: لمن أنزلناه عليهم ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾: أي: هذا القرآن مصدّق للتوراة، أو لكتاب موسى بأن محمداً نبي ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: قيل: نصب اللسان والعربي لأنه من صفة الكتاب، على الحال، أو على فعل مضمر، كأنه قال: أعني لساناً عربياً. ١٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: الذي لا إله إلا هو ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: على تصديقهم، فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من فزع يوم القيامة. و«الخوف» هو الهمّ بما يستقبل. و«الحزن» هو الهمّ بما مضى. [١٠] قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيس اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه»، فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف، فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه، وقالوا فيه شرًا، فأنزل الله ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ الآية. وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾. وأخرج ابن جرير عن عبد الله ابن سلام قال: فيَّ نزلت. [١١] قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا ﴾ وأخرج أيضًا عن قتادة قال: قال أناس من المشركين: نحن أعز، ونحن... فلو كان خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان، فنزل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾. وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها – زنين – فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيرًا ما سبقتنا إليه زنين، فأنزل الله في شأنها ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا ﴾ الآية. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن.

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ [مريم : ٧٣]، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٧]. وإذا تتلى على الناس آياتنا المنزلات الواضحات قال الكفار بالله للمؤمنين به: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلًا وأحسن مجلسًا؟ فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ ... إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [سبأ : ٤٣]، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٧]. وإذا تتلى على كفار "مكة" آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد إلا كذب مختلق، جئتَ به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح، فهذا ما دلت عليه آية سبأ، أما آية الأحقاف: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر. [٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ... ﴾ [هود : ٣٥]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ... ﴾ [الأحقاف : ٨]. بل أيقول هؤلاء المشركون من قوم نوح: افترى نوح هذا القول؟ قل لهم: إن كنتُ قد افتريتُ ذلك على الله فعليَّ وحدي إثم ذلك...، فهذا ما دلت عليه آية هود، أمَّا آية الأحقاف: بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن؟ قل لهم أيها الرسول: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرون أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئًا، إن عاقبني على ذلك... [١٠] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٥٢]، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾ [الأحقاف : ١٠]. "ثم" في الآية الأولى تقتضي المهلة، فبعد أن جاءهم العلم والهدى كان عاقبة أمرهم الكفر فلا نظر ولا تأمل، أما الآية الأخرى فالخبر فيها متصل ولم تكن نهاية القصة، بل عطف عليها أفعالًا فقال: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠]. [١١] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ... ﴾ [العنكبوت : ١٢]، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ... ﴾ [الأحقاف : ١١]. وقال الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدَّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم...، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمَّا آية الأحقاف: وقال الذين جحدوا نبوته ﷺ للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمدًا على ما جاء به خيرًا ما سبقتمونا إلى التصديق به... [١٢] ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ... ﴾ [هود : ١٧]، ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا ... ﴾ [الأحقاف : ١٢]. الآيتان تبينان أن الله أنزل من قبل هذا القرآن التوراة إمامًا لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وآية هود تبين جزاء المؤمنين والكافرين =

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٥) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (١٦) وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٧) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)

١٥- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: قال ابن عطية: يريد النوع، أي: هكذا مضت شرائعي وكتبي لأنبيائي، فهي وصية من الله تعالى في عباده. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾: يعني: حملته في بطنها مشقة، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: فطمها إياه شرب اللبن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: بلغ استحكام قوته وعقله. قيل: ثلاث وثلاثون سنة. وقيل: ست وثلاثون، وقيل: اربعون. ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾: في الهدى بالإقرار بك، والعمل بطاعتك ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾: بأن تجعلهم مؤمنين بك، تابعين لمرضاتك. ١٦- ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾: يقول عز وجل: يفعل بهم مثل فعله في أصحاب الجنة الذين هم أهلها. أو كائنون في عداد أهلها، منتظمون في سلكهم. ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾: يقول عز وجل: وعدهم الله هذا الوعد وعد الحق، لا شك فيه أنه مُوفٍ لهم به، كما وعدهم به في الدنيا. ١٧- ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾: اخبر الله عزّ وجلّ عن ضال كافر به، عاقٍّ لوالديه، وهما مجتهدان في دعائه إلى الله عز وجل، وفي نصيحتهما له ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾: «اف»: كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يَرِد عليه. ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾: ان أبعَث بعد الموت ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: وقد مضت امم من قبلي، هلكوا فلم يُبعث منهم احد ﴿وَهُمَا﴾: يعني: والديه. ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾: اي يقولان له: ويلك، وليس المراد به الدعاء عليه، بل الحث له على الإيمان. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: اباطيلهم التي سطرها الأوّلون في كتبهم. ١٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب. ١٩- ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾: من صالح وسيء، فدرج أهل الإيمان في الجنة تذهب علواً، ودرك أهل النار تذهب سفلاً. ٢٠- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾: هذا العرض هو بالمباشرة، كما تقول: عرضت الجاني على السوط. ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: بمعنى: التوبيخ ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾: فلم تؤدوا حق الله فيها ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾: تُثابون ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: الهوان ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبرون عن طاعة ربكم.

[١٧] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ اخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ في عبد الرحمن بن ابي بكر قال لأبويه، وكانا قد أسلما وأبى هو ان يُسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما، ويقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن، إلا ان الله أنزل عذري. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي، أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان وسمّت رجلًا، قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصحُّ إسنادًا وأولى بالقبول.

= بهذا القرآن..، وأمّا الأحقاف فتوضح أن هذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب... [١٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾ [فصلت : ٣٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف : ١٣]. إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده...، فهذا ما دلت عليه آية فصلت، أما آية الأحقاف: إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا. [١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ [لقمان : ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف : ١٥]. الجمهور على أنَّ الآيات الثلاث نزلت في سعد بن مالك "وهو سعد بن أبي وقّاص" وأنها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه، ولم يذكر في لقمان "حسنًا"؛ لأنَّ قوله بعده: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان : ١٤] قام مقامه، ولم يذكر في سورة العنكبوت "حمله" ولا "وضعه"، موافقة لما قبله من الاختصار، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت : ٧]، فإنَّه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام، وأحسن نظام، ثم قال بعده: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، أي: ألزمناه "حسنًا" في حقّهما، وقيامًا بأمرهما، وإعراضًا عنهما، وخلافًا لقولهما إن أمراهُ بالشرك بالله، وذكر في لقمان والأحقاف حاله في حمله ووضعه. [١٥] ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل : ١٩]. =

[١٥] ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: "الكَرْه- الكُرْه- الإكراه"؟ الجواب: ١- الكَرْهُ: استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النفسية فقط، والدليل على ذلك مقابلة «الكره» «بالطوع» في قوله ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. ٢- الكُرْهُ: استعملها القرآن في بيان المعاناة النفسية والجسدية معًا، لذا فإن الكلمتين غير مترادفتين، ومن ثَمَّ لا يمكن ولا يُساغ أن تأتي إحداهما مكان الأخرى. ٣- الإكراهُ: هو مصدر الفعل «أكره»، والفرق بين «الإكراه»، و«الكَرْه»، و«الكُرْه» أن =

[١٢] ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قرئ: (لتنذر) بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ وقال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾. وقرئ: (لينذر) بالياء على الغيب أي: لينذر به محمد، لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ويجوز: رده بالياء على الكتاب لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كما قال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ يريد به الكتاب المتقدم ذكره. =

[١٥] ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف : ١٥]. أقل مدة للحمل: سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتقريره أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف : ١٥] فإذا حذفنا مدة الإرضاع الكاملة وهي حولين أي: (٢٤) أربعة وعشرون شهرًا من (٣٠) ثلاثين شهرًا، والتي هي مدة الحمل والإرضاع، فإنه يبقى ستة أشهر للحمل، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيًا إذا ولد بتمامها. وهذا ما كشفت عنه الأبحاث العلمية. وقد اعتمد الصحابة على هذا الفهم، إذ روي أن رجلًا تزوج امرأة فولدت لستة أشهر، فهمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه بتطبيق حد الزنا عليها ظنًا منه أن بداية حملها قبل الزواج، فقال ابن عباس رضي الله عنه: أما إنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم، قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف : ١٥] وقال أيضًا: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤] فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر، فبرئت المرأة.

۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢١- ﴿أَخَا عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام، وهذه الأخوّة هي أخوّة القرابة، لأن هودًا عليه السلام كان من أشراف قبيلة عاد. ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: هي ديار عاد، و«الأحقاف» عند العرب: الرمال التي تكون كهيئة الجبال، واحدها: حقف. وقيل: هو وادٍ بين عُمان إلى حضرموت. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضت الرسل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: بعده. ٢٢- ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾: تصرفنا عن عبادة آلهتنا. ٢٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: لما جاءهم عذاب الله الذي يستعجلونه ﴿عَارِضًا﴾: سحاباً عارضاً في ناحية من نواحي السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: متوجهاً نحو أوديتهم. ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: طلع عليهم هذا السحاب على الهيئة والجهة التي كانوا يمطرون فيها عادةً، وكانوا قد قحطوا مدّة. ٢٥- ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾: إلا مساكن قوم هود بعد هلاك أنفسهم وذهاب أموالهم. ٢٦- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾: يعني: عاداً في الدنيا ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: يقول عز وجل لمشركي قريش: فيما لم نمكنكم فيه، وأعطيناهم من كثرة الأموال وبسطة الأجسام ما لم نُعطكم ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: من استعجالهم العذاب. ٢٧- ﴿مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾: كَحِجْر ثمود وأرض سَدوم، ومارِب ونحوها ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: وعظناهم بأنواع العظات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عما كانوا عليه مصرين. ٢٨- ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾: فهلَّا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوها قرباناً ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: أخذت غير طريقهم، ودعوها فلم تُغثهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾: معناه: وهذه الآلهة هي كذبهم التي كانوا يُكذّبون ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أي: هو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي تُقرّبنا إلى الله، وهي شفعاؤنا عنده!!

= ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ...﴾ [الأحقاف : ١٥]. آية النمل في سياق قصة سليمان عليه السلام حين استشعر نعمة الله عليه، فتوجّه إليه داعيًا: ربِّ ألهِمني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ، وأن أعمل عملًا صالحًا ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم، وأمَّا آية الأحقاف: فهي تتحدث عن الإنسان حين يبلغ نهاية قوته البدنية والعقلية، وهي بلوغ الأربعين سنة، فيدعو ربه قائلًا: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ، واجعلني أعمل صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة، والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك.

[١٩] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٣٢]، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف : ١٩]. الآيتان تبينان أن لكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلِّغه الله إياها، ويجازيه عليها، وآية الأنعام تخاطب النبي ﷺ، وتُبيِّن وأن ربه ليس بغافل عما يعمل عباده، أمَّا آية الأحقاف فتوضح أن الله يوفيهم جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم. [٢٠] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣]، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف : ٢٠]. الآيتان تبينان جزاء الظالمين والكافرين يوم القيامة، وآية الأنعام توضح أنه في هذا اليوم يهان الظالمون غاية الإهانة..، أمَّا آية الأحقاف فتبين أن هؤلاء الكفار يُجْزَون عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كانوا يخرجون عن طاعة الله.

= الإكراه فعلُ المُكرِه (اسم فاعل)، و«الكَرْه» و«الكُرْه» فعل المُكرَه (اسم مفعول). أمثلة: أولًا: «الكَرْه» بفتح الكاف: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]. ثانيًا: «الكُرْه» بضم الكاف: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثالثًا: «الإكراه»: قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [١٥] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النِّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «مادية» أم «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾. لِمَ جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النِّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا. أمثلة قرآنية: أولًا- النعمة: قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. ثانيًا- النعيم: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الحج: ٥٦]، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢]، وقال تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤].

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ قوله تعالى: ﴿إِحْسَانًا﴾ قرئ: (إِحْسَانًا) بزيادة همزة مكسورة فحاء ساكنة وفتح السين وألف بعدها، مصدر، حذف عامله، أي: وصيناه أن يحسن إليهما إحسانًا، وقيل: مفعول به على تضمين وصيناه معنى "ألزمنا"، فيتعدى لاثنين إحسانًا ثانيهما. وقرئ: (حُسْنًا) بضم الحاء وسكون السين بلا ألف، مفعول به على تقدير مضاف وموصوف أي: أمرًا ذا حسن، أي: ليأتي الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وأقام النعت مقامه، وهو "ذا" ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهو حسن. قوله تعالى: ﴿كُرْهًا﴾ هنا وفي، "النساء : ١٩، التوبة : ٥٣"، قرئ: (كُرها-كَرها) بضم الكاف وفتحها، وهما لغتان، وعن الفراء: الفتح بمعنى: الإكراه، والضم "ما يفعله الإنسان كارهًا من غير إكراه بفعل ما فيه مشقة". قوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ﴾ قرئ: (وفَصْله) بفتح الفاء وسكون الصاد بلا ألف. وقرئ: (وفِصَاله) بكسر الفاء وفتح الصاد =

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٢٩- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾: وجّهنا إليك نفرًا من الجن، وبعثناهم إليك، رأوا رسول الله ﷺ بنخلة عند سوق «عكاظ» يصلي بأصحابه الفجر، فاستمعوا القرآن يتلوه النبي ﷺ، حتى إذا فرغ ولّوا إلى قومهم منذرين لهم من مخالفة القرآن ومحذّرين. ٣٠- ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي لما قبله، من كتب الله عز وجل. ٣١- ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾: يعنون محمدًا ﷺ أو القرآن. ٣٢- ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: ليس يُعجز ربه بهربه إن أراد الله تعالى عقوبته على تكذيبه. ٣٣- ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: لم يَعْيَ بإنشائهن، ولا عجز عن اختراعهن، يقال: عَيَّ بالأمر: إذا لم يهتد لوجهه، وتدل الآية على أن الله تعالى قصد لفعل ما فعل، وأراد خلق ما خلق، وأن الخلق لم يصدر عنه صدورًا، كما قال بعض الفلاسفة، وتدل على أنه سبحانه حين قصد ما خلق لم يعجزه ذلك، بل كان أيسر شيء عليه. والله أعلم. ٣٥- ﴿أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾: الذين صبروا على عظم ما لقوا من المكاره والأذى والشدائد من قومهم، فلم تزدهم المحن إلا جداً في أمر الله، كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ. ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: أي: كأنهم يوم يشاهدون العذاب في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من نهار، لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم. ﴿بَلَاغٌ﴾: بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾: قيل: هذه أقوى آية في الرجاء؛ قال الزجاج: تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

[٣١] ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠، الأحقاف: ٣١، نوح: ٤] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. عندما يكون الخطاب على لسان الرسل إلى قومهم لعبادة الله تأتي الآية: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعض ذنوبكم، وعندما يكون الخطاب من الله تعالى في حق المؤمنين يكون متسمًا بالكرم الواسع: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: جميع ذنوبكم. [٢٥] ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ما الفرق بين: "نجزي، نجازي"؟ الجواب: وردت (نجزي) تسع عشرة مرة.. مثل قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]. ووردت كلمة (نجازي) مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. فلماذا وردت (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)؟ والجواب: إن كلمة (نجزي) لها معنيان: الأول: (نكافئ) أو (نثيب)، كقوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. والثاني: (نعاقب)، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]. والذي دلَّ على معنييهما في المرتين هو السياق، فقد وردت الأولى مع (الشاكرين)، والشاكرون يثابون، ووردت الثانية مع (كفور) والكافرون يعاقبون. أما (نجازي) فليس لها إلا معنى واحد.. وهو المعاقبة: ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]. لماذا وردت كلمة (نجازي) مع ورود كلمة (نجزي)، وكان في ذكر الأخيرة كفاية؟! والجواب: أن (نجزي) جاءت في مجال الثواب والعقاب. أما في الثواب: فجاءت في ذكر ثواب الدنيا (٣ مرات) وفي ذكر ثواب الآخرة (٩ مرات) وفي العقاب: جاءت في ذكر عقاب الآخرة (٧ مرات). وفي الحالتين (الثواب والعقاب) ليس للمثاب أو المعاقب رد فعل معاكس يقتضي المشاركة، لذا كانت (نجزي) هي الأفضل والأنسب لحال الفعل من جانب واحد. أما (نجازي) فقد وردت مرة واحدة في مجال العقوبة في الدنيا، وقد ذكر الطبري والرازي والزمخشري أنها جاءت للمفاعلة، فإن الله تعالى يكافئ المجرمين على أعمالهم، ولا يزيد عليها ولا يضاعف ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ناحية أخرى فإن صيغة المشاركة لها ارتباطٌ بصيغة الاستفهام في السياق؛ لأن الاستفهام يتضمن حديثًا بين طرفين، وذلك يقتضي المشاركة. [٣١] ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢]. دعوا قومهم بالترغيب والترهيب، ولهذا نجع في كثير منهم، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودًا وفودًا. [٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية.

= وألف بعدها، قيل: هما مصدران كالعظام والعظم، وهما لغتان. [١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ﴾، ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾، ﴿أَحْسَنَ﴾ قرئ: (يُتقبل-يُتجاوز-أحسنُ) بياء مضمومة في الفعلين على البناء للمفعول، ورفع أحسن على النيابة عن الفاعل. وقرئ: (نَتقبل-نَتجاوز-أحسنَ) بالنون المفتوحة فيهما مبنيين للفاعل، و"أحسن" بالنصب على المفعول به. [١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ قوله تعالى: ﴿أَتَعِدَانِنِي﴾؟ قرئ: (أتعدانِّي) بنون واحدة على إدغام نون الرفع في نون الوقاية. وقرئ: (أتعدانِنِي) بنونين مكسورتين خفيفتين، نون الرفع فنون الوقاية. [١٩] ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ قرئ: (وليوفيهم) بياء من تحت، وفاعله ضمير يعود على الله، وليناسب قوله: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، وقرئ: (ولنوفيهم) بنون العظمة على الإخبار من الله ذِكْرُهُ عن نفسه.
[٢٥] ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ قرئ: (يُرى- مساكنُهم) بياء من تحت مضمومة على البناء للمفعول "مساكنُهم" بالرفع نائب فاعل. وقرئ: (تَرى- مساكنَهم) بفتح التاء، ومساكنَهم بالنصب مفعولًا به.

[٢٦] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.
[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)

سورة محمد ﷺ وتسمى سورة القتال

١- ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: جعلها في ضلال على غير هدى. وقيل: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. ٢- ﴿كَفَّرَ﴾: محا ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: التي عملوها فيما مضى، وغفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حالهم وشأنهم. ٣- ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾: نضرب لهم الأمثال، ونُشبّه لهم الأشياء. ٤- ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: غلبتموهم، وقهرتموهم، والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحى. ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾: يقول: فشدوهم في الوثاق، حتى لا يهربوا منكم، ويقتلوكم، والوثاق: اسم الشيء الذي يوثق به، كالرباط ﴿فَإِمَّا مَنًّا﴾: إما أن تمنوا عليهم فتطلقوهم، بعد الأسر بغير عوض ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾: أن تأخذوا فداءً منهم عن إطلاقهم ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها. وقيل: حتى لا يكون شرك. ﴿ذَٰلِكَ﴾: يقول الله عز وجل: هذا الذي أمرتكم به من قتل المشركين. ﴿لِّيَبْلُوَ﴾: ليختبر ﴿بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: فيعلم المجاهدين والصابرين ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: لا يضيع الله سبحانه أجرهم. ٥- ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: سيوفقهم للعمل برضاه ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم في الدنيا والأخرة. ٦- ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال. ٧- ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: حتى لا تُولُوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقل عددكم. ٨، ٩- ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾: شقاءً لهم وبلاء. ﴿فَأَحْبَطَ﴾: أبطل ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: التي عملوها في الدنيا، لأن عمل الكافر لا يُقبل قبل إسلامه. ١٠- ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: خرّب عليهم منازلهم، وأهلك أهلها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾: يعني وللكافرين من قريش مثل ما دُمرت به القرون الأولى، وعيد من الله لهم. ١١- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وليٌّ من آمن به وناصره ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: لا ناصر، يدفع عنهم، ولا وَليٌّ لهم.

[١] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال: هم أهل مكة نزلت فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: هم الأنصار. [٤] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أخرج عن قتادة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذ: أُعلُ هُبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. إن القتلى مختلفة، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففي النار يعذبون».

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ...﴾ [النحل : ٨٨]، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : ١]. الآيتان تبينان عاقبة الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وآية النحل توضح أن الله قد زادهم عذابًا على كفرهم وعذابًا على صدِّهم الناس عن اتباع الحق...، وأمَّا آية محمد فتبين أن الله أذْهَبَ أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسبب جحودهم وصدهم عن سبيل الله عز وجل.
[٩، ٢٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [محمد : ٩]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ [محمد : ٢٦]، المتقدم من أول هذه السورة إلى قوله بعد الآية المتكلم فيها: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد : ١١]، يقصد من تضمنته هذه الآي الكفار من مشركي العرب من قريش وغيرهم، ولا شك أن كفرهم منسحب على كل المنزّل من القرآن، وما تقدم نزوله من التوراة وغيرها من الكتب. فلم يكن ليلائم ذلك عبارة "نزّل" المبينة عن تنجيم المنزل، ولم ينزّل كذلك غير القرآن، وهم ينكرون كل الكتب المنزلة ويكرهونها.. أما الآية الثانية فالمراد بها ذوو النفاق والمرتدون على أدبارهم، ويبين ذلك ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد : ٢٠]، وهؤلاء هم المنافقون.. إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم﴾ [محمد : ٢٥]، وإنما هؤلا قوم كفروا بعد إسلامهم... ولهؤلاء اطلاع على المنزّل من القرآن، وخصوص كراهية له، وهي المهيجة لنفاقهم، فهو الذي كرهوه حقيقة، فقيل هنا: ﴿كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ بلفظ التضعيف...

[١١] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام : ٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد : ١١]. آية الأنعام تبين أن الله مولىً لجميع الخلق، وهذا لا ينافي قوله في آية محمد: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾؛ لأن المراد بالمولى في آية الأنعام المالك، أو الخالق، أو المعبود، والمراد بالمولى في آية محمد الناصر. [٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد : ٥٣]. قال مجاهد: يهتدي أهل الجنة إلى بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم.

[٤] ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ قرئ: (قُتِلوا) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنيًا للمفعول، فأخبر بذلك عمن قتل في سبيل الله، أنه سيهديه إلى جنته ويصلح حاله بالنعيم المقيم الدائم، وأنه لا يذهب عمله باطلًا، وفي هذه القراءة قوة وزيادة معنى، وذلك أن من قُتِل في سبيل الله لم يُقتَل حتى قَاتَل فقد اجتمع له القتال في سبيل الله ثم قُتِلَ. وقرئ: (قَاتَلوا) بفتح القاف وتخفيف التاء وألف بينهما من المفاعلة، فهو إخبار كذلك عمن قاتل في سبيل أن الله لا يحبط عمله، وأنه يهديه ويصلح حاله في الدنيا، ويدخله الجنة بعد =

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌ منها (٤) مرات في القرآن الكريم. [٤] ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الحرب بمشتقاته) (٦) مرات في كتاب الله، كما ورد ذكر لفظ (الأسرى بمشتقاته) (٦) مرات أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الحرب بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الأسرى بمشتقاته)، وقد ورد كلٌ (٦) مرات في كتاب الله تعالى.

نزول سورة محمد: نزلت بعد سورة الحديد، وهي مَدَنِيَّة بالاتِّفَاق. عدد كلمات سورة محمد: خمسمائة وتسع وثلاثون. عدد حروف سورة محمد: ألفان وثلثمائة وتسعة وأربعون. أسماء سورة محمد: ولها اسمان: سورة محمّد؛ لذكره بها، وسورة القتال؛ لذكره بها. مواضيع سورة محمد: معظم مقصود السّورة: الشكاية من الكفَّار في إعراضهم عن الحقِّ، وذكر آداب الحرب والأسرى وحكمهم، والأمر بالنُّصرة والإيمان، وابتلاء الكفَّار في العذاب، وذكر أنهار الجنة: من ماء، ولبن، وخمر، =

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

١٢- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: في هذه الدنيا بحطامها ورياشها ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾: كأنهم أنعام ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة، لاهُون بما هم فيه. ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: مسكن لهم يصيرون إليه بعد مماتهم. «والمثوى»: موضع الإقامة. ١٣- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: بمعنى: وكم من قرية. ونسب الإخراج إلى القرية. وقال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: حملاً على المعنى. وقيل: إن الآية نزلت إثر خروج النبي ﷺ من مكة في طريق المدينة. ١٤- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أي: لا يستوي من كان عنده حجة من الله وبرهان، مع من زين له سوء عمله، وهو الإشراك بالله وعبادة الأوثان ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾: بدون بينة أو حجة أو تعقل. ١٥- ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾: «مثل» بمعنى: صفة. ﴿مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغير الريح، يقال: أسِنَ ماءُ البئر، إذا تغيرت ريح مائها فانتنت ﴿مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾: يلتذون بشربها. ١٦- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: يعني: المنافقين ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: للذين حضروا مجلس رسول الله ﷺ من أهل العلم والإيمان ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾: أي: ماذا قال الساعة، أو قبل قليل؟ يقولون ذلك على جهة الاستهزاء، لعنهم الله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: فلم ينتفعوا بما سمعوا ولا وعوه، تهاوناً منهم بما يُتلى عليهم من كتاب الله تعالى. ١٧- ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾: الله بما استمعوا ﴿هُدًى﴾: إيماناً إلى إيمانهم. وعلمًا إلى علمهم، وبصيرة في الدين. ١٨- ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: قد دنت الساعة وأدلتها ومقدماتها. وفي الحديث الصحيح، قال ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين». وأشار بإصبعيه. متفق عليه. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾: الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ﴾: أن يتذكروا ويتوبوا؟! ١٩- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتصرَّفكم في يقظتكم ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم، وقيل: متقلبكم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم في الدار الآخرة.

[١٣] قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ الآية، واخرج ابو يعلى عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إلي ولولا ان أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك. فأنزل الله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ الآية. [١٦] قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ الآية... أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيستمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفا، فنزلت: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ الآية.

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ ...﴾ [محمد: ١٢]. الآيات الثلاث تبين أن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على ذلك، وعملوا الصالحات، جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، والآية الأولى بالحج توضح أن الله يفعل ما يريد من ثواب أهل طاعته تفضلًا، وعقاب أهل معصيته عدلًا، وأمَّا الآية الثانية فتبين أنهم يُزيَّنون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة الحرير رجالًا ونساءً، وأمَّا آية محمد فتبين أن مثل الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا همَّ لها إلا في الاعتلاف دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى. [١٤] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ...﴾ [هود: ١٧]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ...﴾ [محمد: ١٤]. أفمَن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام.. كمن ضلَّ وكفر، فهذا ما دلت عليه آية هود، أمَّا آية محمد: أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته، كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله... [١٥] ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ ...﴾ [محمد: ١٥]. صفة الجنة التي وعد الله بها الذين يخشونه أنها تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول ولا ينقص...، فهذا ما دلت عليه آية الرعد، أمَّا آية محمد: صفة الجنة التي وعدها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيِّر، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ بها الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفِّي من القذى، ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها... [١٦] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ...﴾ [الأنعام: ٢٥]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ ...﴾ [محمد: ١٦]. آية الأنعام تتحدث عن بعض المشركين الذين يستمعون للقرآن، أمَّا آية محمد ﷺ فتتحدث عن المنافقين.

[١٥] ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]. ما الفرق بين: "مغفرة وغفران"؟ الجواب: مغفرة: وردت هذه الكلمة ثمانيًا وعشرين مرة، بينما وردت كلمة (غفران) مرة واحدة. وللفعل (غَفَرَ) خمسة مصادر هي: غَفْرًا، وغفيرًا، وغفيرةً، وغفرانًا، ومغفرةً. والمصدر الميمي (مغفرةً) هو الأكثر شيوعًا، لذا كثر ذكره في القرآن، بينما لم يرد المصدر الآخر (غفران) إلا مرة واحدة. عدل القرآن الكريم عن (مغفرة) إلى (غفران) في مجال الدعاء حيث إن: ١- الدعاء يصاحبه فقدُ صوت الداعي، لأنه يفرِّغ في الدعاء طاقة نفسية وصوتية، فناسب هذا المصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) عن جميع المصادر الأخرى. ٢- الداعي يحتاج إلى تكرار دعائه وتوكيده والتذلل فيه إلى مَنْ يدعوه، والمصدر المنتهي بالألف والنون (غفران) يدلُّ على التوكيد المطلوب. ويلاحظ أن (مغفرة) موجهة من الله تعالى إلى البشر، (كما يلاحظ أن المعصية المذكورة في القرآن كانت في سياقٍ مع الرسول ﷺ)، أما الغفران فهو مطلب البشر من الله (في دعائهم) (وكذلك تلحظ أن العصيان موجَّهٌ من البشر إلى الله تعالى).

= ذلك، ويقوي ذلك أن الإخبار بهذا لا يكون إلا عن حَي لم يقتل فقاتل، أو أنه ممن قتل. [١٥] ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ قوله تعالى: ﴿آسِنٍ﴾ قرئ: (أسِن) بالقصر للحال بغير مد بعد الهمزة صفة مشبهة من أسِن الماء بالكسر كحذر، يأسن فهو أسن كحذر: تغير. وقرئ: (آسن) بالمد على وزن ضارب اسم فاعل من أسَن الماء بالفتح يأسن بالكسر والضم، وهي: لغات، والمعنى: لم يتغير كذلك. [١٦] ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ قوله تعالى: ﴿آنِفًا﴾ قرئ: (أنِفا) بقصر الهمزة. وقرئ: (آنفا) بمد الهمزة، وهما لغتان بمعنى واحد.

= وعسل، وذكر طعام الكفَّار وشرابهم، وظهور علامة القيامة، وتخصيص الرّسول ﷺ بأمره بالخوض في بحر التوحيد، والشكاية من المنافقين، وتفصيل ذميات خِصالهم، وأمر المؤمنين بالطاعة والإحسان، وذمّ البخلاءِ في الإنفاق، وبيان استغناءِ الحقِّ تعالى، وفقر الخَلْق.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾

٢٠- ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾: بالبيان والفرائض ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾: اي: أمر فيها بقتال المشركين ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شك ونفاق ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾: جبناً وخوفاً من الجهاد، و«المغشي»: الذي قد صُرِع ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾: وعيد من الله عز وجل لهم، كأنه قال: العقاب أولى لهم. ٢١- ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾: يخبر عز وجل عن قول المنافقين -من قبل ان تُنزل سورة محكمة بذكر القتال- أنهم إذا قيل لهم: إن الله مُفترض عليكم الجهاد، قالوا: سمع وطاعة، فقال الله لهم: إذْ أنزلت سورة فُرض فيها القتال عليهم، فشق ذلك عليهم وكرهوه: أولى لكم «طاعة وقول معروف» قبل وجوب الفرض عليكم، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾-اي جَدَّ القتال ووجب- كرهتموه وشق عليكم ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾: ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال. ٢٢- ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾: معناه: فلعلكم، والخطاب للذين في قلوبهم مرض ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: عن تنزيل الله عز وجل، وأعرضتم عن الإسلام ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أن تعصوا الله وتسفكوا فيها الدماء ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾: وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق. ٢٤- ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾: بل على قلوب أقفالها، فهم لا يعقلون ما في القرآن من المواعظ والعبر. والأقفال: استعارة للرَّين الذي منعهم من الإيمان. ٢٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾: أي: رجعوا كفاراً. قيل: عنى به المنافقين. وقال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي ﷺ بعدما عرفوا صفته عندهم ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾: زين لهم الارتداد على أدبارهم. ٢٦- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾: للمنافقين الذين ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: من الأمر بقتال أهل الشرك ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾: الذي هو خلاف لأمر الله ورسوله. ٢٧- ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: كيف يعملون وما حيلتهم حينئذ، والله يعلم إسرارهم في جميع أحوالهم ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾: تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنعه. وعن ابن عباس: لا يُتوفى أحد على معصية الله، إلا ويُضرب من الملائكة في وجهه ودبره. ٢٨- ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: كرهوا ما يرضاه الله من الإيمان والطاعة ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: أبطلها. ٢٩- ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾: معناه: أن لن يظهر الله ما في قلوبهم من الأضغان للمؤمنين والكفر والنفاق، حتى يعرفوا نفاقهم.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ﴾ [محمد : ٢٠]. إن المؤمنين هم الذين يودون نزول السورة، وطلبهم نزولها إنما هو على ما اعتادوه جاريًا في غيرها من التنجيم وتفصيل النزول، فالملائم هنا عبارة التضعيف. وقوله: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ﴾، إنما المراد تحميلها بجملتها بعد كمالها، وذلك مفهوم من سياق الكلام، والملائم لما تحصّل وتم، عبارة الإنزال من غير تضعيف، والله أعلم. [٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء : ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد : ٢٤]. أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، فهذا ما دلت عليه آية النساء، أمّا آية محمد: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ القرآن ويتفكرون في حججه؟ بل هذه القلوب مغلَقة لا يصل إليها شيء من هذا القرآن، فلا تتدبر مواعظ الله تعالى وعبره.

[٢٥، ٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد : ٢٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [محمد : ٣٢]. الآية الأولى نزلت في اليهود، والثانية نزلت في قوم ارتدّوا. [٢٣] ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٣]،ما الفرق بين: "العَمَى والعَمَه"؟ الجواب: (العمى) حقيقة خاص بفقد البصر (وفقد البصر ليس مسبةً ولا نقصًا) ويُستعار (العمى) لضلال المذهب والرأي. أما (العَمَهُ) فخاصٌّ بفقد البصيرة، ويُستعمل حقيقةً في السير في الأرض الواسعة التي لا يرى السائرُ فيها طريقًا يطمئن إليه للخروج منها، ويُستعار (العَمَهُ) للحيرة والتردد النفسي. [٢٢] ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد : ٢٢]. قال النبي ﷺ: "ما من ذي رحم يأتي رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه، إلا أخرج له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها: شجاع يتملظ -(لمظ): تتبع بلسانه -، فيطوق به" رواه الطبراني، وصححه الألباني. فوائد صلة الرحم: ١- سبب لصلة الله للواصل. ٢- سبب لدخول الجنة. ٣- امتثال لأمر الله. ٤- تدل على الإيمان بالله واليوم الآخر. ٥- من أحب الأعمال إلى الله. ٦- تنفيذ لوصية النبي ﷺ. ٧- الرحم تشهد للواصل بالوصل يوم القيامة. ٨- سبب لزيادة العمر وبسط الرزق. ٩- تعجل الثواب، وقطيعتها تعجل العقاب. ١٠- تدفع ميتة السوء. ١١- أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة. ١٢- تثمر الأموال وتعمر الديار. ١٣- سبب لمحبة الأهل للواصل. ١٤- قاطع الرحم لا يدخل الجنة. ١٥- قاطع الرحم لا يقبل عمله. ١٦- الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم. صور من مظاهر صلة الرحم: ١- الزيارة. ٢- الاستضافة. ٣- تفقدهم والسؤال عنهم والسلام عليهم. ٤- إعطاؤهم من مالك سواء كان هذا الإعطاء صدقة إذا كان الموصول محتاجاً، أو هدية إن لم يكن محتاجاً. ٥- توقير كبيرهم ورحمة ضعيفهم. ٦- إنزالهم منازلهم التي يستحقونها وإعلاء شأنهم. ٧- مشاركتهم في أفراحهم بتهنئتهم ومواساتهم في أحزانهم بتعزيتهم. ٨- عيادة مرضاهم. ٩- إتباع جنائزهم. ١٠- إجابة دعوتهم، إذا وجهوا لك الدعوة فلا تتخلف إلا لعذر. ١١- سلامة الصدر نحوهم. ١٢- إصلاح ذات البين بينهم. ١٣- الدعاء لهم، وهذا يملكه كل أحد ويحتاجه كل أحد. ١٤- دعوتهم إلى الهدى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب المناسب.

[٢٢] ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ قرئ: (تُوُلِّيتم) بضم التاء والواو وكسر اللام مبنيًا للمفعول، أي: وإن وليتم أمور الناس. وقرئ: (تَوَلَّيتم) بالفتح فيهن، وهي إما بالمعنى الأول، وإما بمعنى الإعراض. قوله تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ قرئ: (وتَقْطَعوا) بفتح التاء وسكون القاف وفتح الطاء مخففة. وقرئ: (وتُقَطِّعوا) بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على التكثير. [٢٥] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَمۡلَىٰ﴾ قرئ: (وأُمْلِيَ) بضم الهمزة، وكسر اللام وفتح الياء مبنيًا للمفعول، ونائب الفاعل يعود على الله، وقيل: ضمير الشيطان. وقرئ: (وأملِيْ) كذلك لكنه بسكون ياء المضارع، أي: وأملي أنا لهم، أو ماضيًا سكنت ياؤه تخفيفًا. وقرئ: (وأَملَى) بفتح الهمزة واللام وبالألف مبنيًا للفاعل وفاعله ضمير الشيطان، وقيل: للباري تعالى. [٢٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿إِسۡرَارَهُمۡ﴾ قرئ: (إِسرارهم) بكسر الهمزة مصدر أَسَرَّ. وقرئ: (أَسرارَهم) بالهمزة المفتوحة جمع سِرّ.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: لَعرّفناكَ بهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: بعلامات النفاق الظاهرة منهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾: في معنى قولهم، ومغزاه، وما يعرِّضون به. ٣١- ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾: نظهرها ونكشفها امتحانًا لكم، ليظهر الصادق منكم من الكاذب. ٣٢- ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: خالفوه وحاربوه من بعد ما علموا أنه لله نبي مبعوث. ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: اي يبطلها. ٣٣- ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، أو بأي سبب من الأسباب، كالرياء والمنّ وغير ذلك. ٣٥- ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: لا تضعفوا أيها المؤمنون، عن القتال ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: إلى الصلح والمسالمة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: العالون عليهم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: لن يُنقصكم أجور أعمالكم. ٣٦- ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾: يقول عز وجل: لا يسألكم ربكم أموالكم، ولكنه يُكلفكم توحيده. وقيل: لا يأمركم بإخراجها جميعاً، بل أمركم بإخراج القليل منها، وهو الزكاة. أو ربع العشر، فطيبوا بها نفسًا. ٣٧- ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾: الإحفاء هو أشد السؤال، وهو المخجل الذي يستخرج ما عند المسؤول كرهًا والمعنى: يجهدكم بالمسألة، ويُلح عليكم بطلبها منكم تبخلوا بها وتمنعوها ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾: التي في صدوركم من مشقة إخراجكم أموالكم. ٣٨- ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾: تعرضوا عن طاعة الله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يُهلككم ويجيء بقوم غيركم بدلاً منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾: أي: ثم لا يبخلوا ولا يُضيعوا شيئاً من حدود دينهم. وما قيل في «تعيين» المخاطبين في هذه الآية، من أنهم قريش، أو من حضر المدينة، وأن القوم الغير هم أهل المدينة أو أهل اليمن؛ فإن معنى الاستبدال ينفيه! وكذلك ما ورد من «الروايات» في هذا التعيين. وكلها روايات واهية أو موضوعة، والآية على سبيل الوعيد والتخويف، وفحواها أن هذا الاستبدال لم يكن، بل تدل على عدم وقوعه في المستقبل، والله أعلم.

[٣٨] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٣٨] معنى اسم الله الغني: فهو تعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً، فإنّ غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها، فهي مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأن يده سحَّاء الليل والنهار، وخيره على الخلق مدرار. والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، وهو المغني لجميع خلقه، غنىً عاماً، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانيَّة. [٤] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما ⇐

[٣٣] قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

[٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ...﴾ [محمد: ٣٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾ [محمد: ٣٤]. الآيات الثلاث تتحدث عن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، وآية النساء تبين أن هؤلاء قد بعدوا عن طريق الحق بعدًا شديدًا، وآية محمد الأولى توضح أن هؤلاء خالفوا رسول الله ﷺ، فحاربوه من بعد ما جاءتهم الحجج والآيات أنه نبي من عند الله، وهم لن يضروا دين الله شيئًا، وسيبطل ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم لم يريدوا بها وجه الله تعالى، وأمّا آية محمد الثانية فتبين أنهم لو ماتوا على ذلك، فلن يغفر الله لهم، وسيعذبهم عقابًا لهم على كفرهم، ويفضحهم على رؤوس الأشهاد.

[٣٧] ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧]. لماذا جاء الفعل بسورة محمد بصيغة المضارع، وبسورة الكهف بصيغة الماضي؟ الجواب: جاء الفعل بسورة محمد ﷺ بصيغة المضارع؛ لأن سؤال الأموال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع الذي يدل على التكرار، وأما آية الكهف فالسؤال بها حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي الذي يدل على عدم التكرار.

= أسباب عدم صلة الرحم: ١- الجهل بفضل صلة الرحم وعاقبة قطيعتها. ٢- ضعف الدين. ٣- الكِبر. ٤- التقليد للوالدين. ٥- الانقطاع الطويل ٦- العتاب الشديد. ٧- الشح والبخل. ٨- التكلف عند الزيارة. ١٠- رغبته عدم إطلاع أرحامه على حاله. ١١- تأخير قسمة الميراث. ١٢- الانشغال بالدنيا. ١٣- الخجل المذموم. ١٤- الاستغراب والتعجب الذي يجده الزائر من المزور. ١٥- بعد المسافة بين الأرحام. ١٦- قلة تحمل الأقارب وعدم الصبر عليهم. ١٧- نسيان الأقارب في دعوتهم عند المناسبات. ١٨- الحسد. ١٩- عدم الاحترام المتبادل بين أفراد العائلة. ٢٠- سوء الظن. ٢١- السعي بالنميمة. ٢٢- قد يكون السبب من بعض الزوجات. ٢٣- قد يكون من الأسباب المعاملات المالية. [٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]. ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره على وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدوًّا خفيًا يراه الله، ثم يقوي حتى يصير صفة في الوجه يراها أصحاب الفراسة، ثم يقوي حتى يظهر لجمهور الناس، ثم يقوي حتى يمسخ الوجه على طبيعة الحيوان الذي هو على خلقه من قرد أو خنزير، كما جرى على كثير من الأمم قبلنا يجري على بعض هذه الأمة، كما وعد به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ - ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾ قرئ: (وليبلونكم-يعلم-ويبلو) بالياء التحتية في الثلاثة، والفاعل ضمير يعود على الله لمناسبة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾. وقرئ: (ولنبلونكم-نعلم-ونبلو) بنون العظمة. [٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ قرئ: (السِّلم-السَّلم) بكسر السين وفتحها، وهما لغتان، يراد بهما الصلح.

سُورَةُ الفَتْح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سُورَةُ الفَتْح

١- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾: حكمنا لك حكماً بيناً لمن شهده أو بلغه، أنا قضينا لك بالنصر والظفر على من خالفك وناصبك من كفار قومك . وقال جمهور المفسرين: عنى به فتح الحديبية، وكان الفتح المبين فيها أن بويع بيعة الرضوان، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محله، وأُطعِمُوا نخل خيبر. وفي صحيح مسلم عن قتادة أن أنس بن مالك حدّثهم قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾: إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾: مرجعه من الحديبية. وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحرَ الهدْي بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت عليَّ آية هي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعًا». ٤- ﴿السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة، وقيل: الرحمة ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾: ليزدادوا يقيناً مع يقينهم. ٦- ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾: ظنهم أن الله لا ينصر نبيه والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: دائرة العذاب، أي ما يظنونه بالمؤمنين دائر عليهم. ٨- ﴿شَاهِدًا﴾: على أمتك بما أجابوك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: من عقاب الله. ٩- ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتُجلُّوا رسول الله ﷺ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: الهاء في «تسبحوه» من ذكر الله وحده دون الرسول، يقول: «وتسبحوا لله، وتصلوا له». ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي غدوة وعشيّة.

= اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٤] معنى اسم الله العليم: أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. [٤] معنى اسم الله الحكيم: الحكيم هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجَّه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وحكمته نوعان: النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتَّبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللَّائق به، بل أعطى كلَّ جزء من أجزاء المخلوقات، وكلَّ عضو من أعضاء الحيوانات خِلْقَتِهِ وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً... النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأي حكمة أجلّ من هذا؟ وأيّ فضل وكرم أعظم من هذا...؟ [٧] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزَّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسَب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزَّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزَّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به.

[١-٢٩] أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. [٢] قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض»، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئًا مريئًا لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

[٤، ٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٤]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٧]. لما ذكر ذلك النصر وما يترتب عليه من فتح مكة ومغفرة له، وتمام لنعمته عليه، وهدايته مع ظهور صدهم، وما لقوا من عنت الكفار، ختم الآية بقوله تعالى: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، أي: عَلِيمًا بما يترتب على ذلك الصد من الفتح وصلاح الأحوال، حَكِيمًا فيما دبره لك من كتاب الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح، وأما الثانية: فلما ذكر ما أعده للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات وتعذيب المنافقين والمشركين ختمها بقوله تعالى: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، أي: قادرًا على ذلك، حَكِيمًا فيما يفعله من إكرام المؤمن، وتعذيب الكافر. [١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾[الفتح : ١١]، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الفتح : ١٥]، وجه إفراد النبي بالخطاب في الأولى أن المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه ﷺ الاستغفار لهم لتخلفهم عنه، وأفردوه بخطابهم إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره، فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب. وأعلم تعالى نبيه ﷺ بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح : ١١]. وأما الآية الثانية فليس قولهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح:١٥]، خطابًا خاصًا له ﷺ، بل هو خطاب له وللمؤمنين، والسياق يفصح بذلك، وما أمره به عليه السلام من مجاوبتهم في قوله لهم: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح : ١٥]، فلم يرد هنا إفراده ﷺ بخطابهم له كما ورد في الأولى، وجاء كلٌّ على ما يناسب. فإن قيل: إن خطابهم له خاص كالأول ولكن خاطبوه مخاطبة التعظيم بقولهم: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح : ١٥]، فالجواب: وعلى فرض هذا فمراعاة الألفاظ في التعظيم أكيلة جدًا وبها إحرازه، وعلى هذا لا يلائم هنا الخطاب =

[٩] ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ قرئ: (ليؤمنوا-ويعزره ويوقروه ويسبحوه) بالياء التحتية في الأربعة على لفظ الغيبة، أي: ليؤمن المرسل إليهم ويفعلوا كيت وكيت؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يدل على أن ثم مرسلًا إليهم، وهو غيب، فأتى بالياء إخبارًا عن الغيب المرسل، وقرئ: (لتؤمنوا-وتعزره وتوقروه وتسبحوه) بالخطاب فيها، وهو ظاهر.

نزول سورة الفتح: نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية، بعد سورة الجمعة، وهي مدنيّة إجماعاً. عدد كلمات سورة الفتح: خمسمائة وستّون. عدد حروف سورة الفتح: ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون. أسماء سورة الفتح: وسميت سورة الفتح؛ لذكره بها. مواضيع سورة الفتح: معظم مقصود السّورة؛ وَعْد الرسول =

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: يعني: من بايعه من أصحابه بالحديبية على أن لا يفروا من لقاء العدو ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: لأنه عز وجل ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك، وقيل: المعنى أن صفقتهم إنما يمضيها الله تعالى ويمنح الثمن، وأن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله سبحانه، من غير تفاوت. ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض ما بايع عليه ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: بأنه يخرج بفعله ذلك من وعد الله بالجنة. ١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: الذين تخلفوا في أهليهم عن رسول الله ﷺ حين خرج عام الحديبية. وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾: يعني به قولهم: ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: لأنهم قالوا ذلك تقية ومصانعة، من غير توبة ولا ندم. ١٢- ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: بل ظننتم ان العدو يستأصل المؤمنين فلا يرجع منهم أحد إلى أهله، فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة، ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾: هلكى لا يصلحون لشيء من الخير. وهو جمع «بائر». ١٥- ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: إلى خيبر، فنشهد معكم قتال اهلها ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: ان يغيروا وعده الذي وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل مرجعنا إليكم، من الحديبية، فإن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة وقول الأعراب ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: قال ابن عطية: معناه: بل يعزّ عليكم أن نصيب مغنمًا ومالاً، فردَّ الله تعالى على هذه المقالة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:أي: لا يفقهون من الأمور مواضع الرشد، وذلك هو الذي خلّفهم عن رسول الله ﷺ حتى كان ذلك سببًا لمنعهم من غزوة خيبر.

= كيفما قدر إلا بصورة ما للجميع، والله أعلم. [١١] ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ بآل عمران ينبئ عن مبالغة واستحكام وتمكن في اعتقاد أو قصد لا يحصل منه قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾، ولما كان المراد بآية آل عمران الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أبي وأصحابه ممن استحكم نفاقه وتقرر، فناسب المبالغة في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ ما انطووا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر، وأمّا آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن قال الله فيهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين، وإنما أخل بهم قرب عهدهم بالكفر، وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين، فعبر ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ إشعارًا بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آل عمران. [١١] ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الفتح: ١١]. آية سورة الفتح نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير عذر وتأخروا عن الجهاد، وقالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا، ثم سألوه ﷺ أن يستغفر لهم، يكتمون بذلك نفاقهم ويظهرون وفاقهم، وقصدهم استمالته كيلا تضرهم عداوته، فقال عز وجل: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، فلما كان في قوم مخصوصين احتيج إلى "لكم" للتبيين. فأما في هذه السورة -المائدة- فإنها لم تنزل لفريق مخصوص دون فريق، بل عم بها، ودليله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فلما سيقت الآية إلى العموم لم يحتج إلى "لكم" التي للخصوص. [١١] ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح: ١١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]. قد تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] فناسب هذا وصفه تعالى بالخبير؛ لأن الخبير هو العليم بما خفي وبطن، فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾. وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، وليس في هذا إبطان شيء أظهر خلافه، فكان إيراد وصفه سبحانه ببصير أنسب، وورد كلٌّ على ما يجب.

[١٠] ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ قرئ: (فسيؤتيه) بالياء التحتية على الغيب لمناسبة ما قبله، وهو قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ وقرئ: (فسنؤتيه) بنون العظمة على الإخبار من الله جل ذكره نفسه، وهو خروج من الغيبة إلى الإخبار، ومن الإخبار عن واحد إلى الإخبار عن جمع؛ لأن النون للجمع. [١١] ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ قوله تعالى: ﴿ضَرًّا﴾ قرئ: (ضُرًّا) بضم الضاد على أن المراد به سوء الحال كما قال: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] فالمعنى: إن أراد بكم سوء حال أو حسن حال. وقرئ: (ضَرًّا) بفتحها على أن الضر الذي هو خلاف النفع، ودل عليه: أنه أتى بعد بنقيضه وهو قوله: ﴿نَفْعًۢا﴾ وقيل: هما لغتان، كالضَّعف والضُّعف. [١٥] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿كَلَٰمَ﴾ قرئ: (كلِم) بكسر اللام بلا ألف، جمع كلمة، اسم جنس من الجمع الذي بين واحده وجمعه "الهاء" كتمر وتمرة، وبسر وبسرة، وحسن ذلك لأنهم قد نزلت فيهم كلمات، فأرادوا أن يفعلوا خلافها، فكان الجمع أولى. وقرئ: (كلَام) بفتح اللام وألف بعدها على جعله اسمًا للجملة، أي: مصدرًا يدل على الكثرة من الكلام، وهو قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] ثم أخبر عنهم في هذه السورة، أنهم أرادوا الخروج معه ليبدلوا الكلام الذي قد أخبر الله به نبيه أنهم لن يخرجوا معه، ولن يقاتلوا معه عدوًا، فالكلام أولى به لهذا المعنى.

[١١] ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة بمشتقاته) ٢٥ مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٢٥) مرة. [١٥] ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) =

= ﷺ بالفتح والغفران، وإنزال السَّكينة على أهل الإيمان، وإيعاد المنافقين بعذاب الجحيم، ووعد المؤمنين بنعيم الجِنان، والثناءُ على سيِّد المرسلين، وذكر العهد، وبَيْعة الرِّضوان، وذكر ما للمنافقين من الخِذلان، وبيان عُذْر المعذورين، والمنَّة على الصَّحابة بعدم الظفر عليهم من أهل مكة ذوي الطغيان، وصدق رؤيا سيِّد المرسلين.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١٦- ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قيل: عنى بذلك أهل فارس والروم. وقال أكثر المفسّرين: عنى بني حنيفة -أهل اليمامة- أصحاب مسيلمة. وأهل الردّة. ويرجّح هذا: أن الآية ليس فيها إلا القتال او الإسلام، ولا ذكر فيها للجزية – وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة. وعلى هذا، فإن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما دَعَوا إلى قتال أهل الردة. ١٧- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾: ضيق وإثم أن يتخلف عن الجهاد، وكذلك من ذُكر معه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يُعرض عن الطاعة. ١٨- ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: بالحديبية، وهي بيعة الرضوان، وكانت بسبب عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ أرسله رسول الله ﷺ إلى مكة فأبطأ، وظن المؤمنون أن قد قتل، فبايعوه تحت شجرة كانت بالحديبية على مناجزة قريش الحرب، وألا يفروا ولا يولوهم الأدبار. ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: من الهمّ بسبب الانصراف عن المشركين ولمّا يحكم الله بين المسلمين وبينهم. وحتى قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟.. ﴿فَأَنزَلَ﴾: الله ﴿ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: الوقار والصبر ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾: عوّضهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: فتح خيبر. ١٩- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾: يأخذونها من أموال اليهود. ٢٠- ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: هي سائر الغنائم التي غنِمْتُمُوها الله. غنّمهم إياها بعد خيبر، من هوازن وغطفان وفارس والروم، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾: غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾: كفاهم قتال أهل مكة عام الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً﴾: عبرة ودلالة على حياطة الله لهم. ٢١- ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾: يقول الله عز وجل: وعدكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها. قال ابن عباس: عنى بها ما افتتح المسلمون من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: أعدها وجعلها كالشيء الذي أحيط به من جميع جوانبه حتى يفتحها عليكم.

[١٨] قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله ﷺ: «أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس»، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

[١٧] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ...﴾ [النور: ٦١]، ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ ...﴾ [الفتح: ١٧]. ليس على أصحاب الأعذار من العُميان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرون على القيام بها، كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض، وليس على أنفسكم أيها المؤمنون حرج في أن تأكلوا من بيوت أولادكم، أو من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وُكِّلتم بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم، أو من بيوت الأصدقاء، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتًا مسكونة أو غير مسكونة، فليسلِّم بعضكم على بعض بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا لم يوجد أحد، وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تُنمِي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع، وبمثل هذا التبيين يبيِّن الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها، وتعملوا بها، فهذا ما دلت عليه آية النور، أمَّا آية الفتح: ليس على الأعمى منكم -أيها الناس- إثم، ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم، في أن يتخلَّفوا عن الجهاد مع المؤمنين؛ لعدم استطاعتهم. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري مِن تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ومن يعص الله ورسوله، فيتخلَّف عن الجهاد مع المؤمنين، يعذبه عذابًا مؤلمًا موجعًا.

[٢٤] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. ما الفرق بين "النَّصْرُ والظَّفَرُ"؟ الجواب: أولًا: (النصر): وردت كلمة النصر بمشتقاتها في القرآن الكريم عدد (١٤٤) مرة. ثانيًا: (الظفر): جاءت هذه الكلمة كفعل متعدٍ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] مرةً واحدةً في القرآن الكريم. الفرق بين الكلمتين: ١- (النصرُ) يأتي في القرآن الكريم وصفًا عامًّا لكل غلبٍ أو فوزٍ حققه المؤمنون، أما (الظفرُ) فهو مقصورٌ على (الغلب) الذي يحدث بدون قتالٍ يُذكر بين المؤمنين وعدوهم، ولقد عبر عن نصر المسلمين بفتح مكة المبين بالظفر دون النصر، وقد تمَّ فتحها بدون قتالٍ وإراقةٍ للدماء، وكان فتحًا مبينًا ونصرًا سهلًا ميسورًا. ٢- بين (النصر) و(الظفر) في الاستعمال القرآني عمومٌ وخصوص، فكل (ظفرٍ) نصرٌ، وليس كل (نصرٍ) ظفرًا. ٣- الظفر يلحظ فيه المعنى اللغوي الذي هو (نشب الأظافر) في الفريسة وهو أيسرُ وسيلة في الحصول على المطلوب، فالعرب كانوا يخصون الظفر بالفوز والغلب الذي يتم بسهولةٍ ويسرٍ، واللغويون ذكروا أن (الظفر) مشتقٌ من (نشب الأظفار)، ونشب الأظفار أيسرُ وسيلةٍ للحصول على المطلوب.

[١٧] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ في النساء: ١٣-١٤، ﴿يُدْخِلْهُ - يُعَذِّبْهُ﴾ في الفتح: ١٧، و﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ﴾ ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾ في التغابن: ٩، ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الطلاق: ١١، قرئت: (ندخله – نعذبه – نكفر) بنون العظمة في السبعة، وقرئ: (يدخله – يعذبه – يكفر) بالياء فيهن على الغيبة ردًا لآخر الكلام على أوله؛ لأن أوله لفظ غيبة في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ليتألف الكلام على نظام واحد. [٢٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قرئ: (يعملون) بياء الغيبة ردوه على لفظ الغيب وهم الكافرون؛ لتقدم ذكرهم وصدهم المؤمنين عن المسجد الحرام، وقرئ: (تعملون) بتاء الخطاب للمؤمنين؛ لتقدم ذكرهم في قوله وصدوكم، وقوله: ﴿عَنكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ و﴿أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ فكله خطاب للمؤمنين. [٢٩] ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾ قوله تعالى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ قرئ: (شطَأه) بفتح الطاء. وقرئ: (شطْأه) بإسكانها، وهما أختان كالسَّمَع والسَّمْع، يقال: أشطأ =

= و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [١٨] ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. [٢٥] ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن، كما ورد لفظ (المساجد والسجود ومشتقاتهما) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتهما)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾

٢٤- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾: إلى آخر الآية: كانت قريش قد بعثت أربعين أو خمسين رجلاً منهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ويصيبوا منه، ففعلوا ذلك ورموا في عسكره بالحجارة والنَّبل، فبعث رسول الله ﷺ في إثرهم، فأخذوا أجمعون، وأُتي بهم إليه، فمنَّ عليهم وخلَّى عنهم. وفي صحيح مسلم وغيره: أن الآية نزلت في نفر أسرهم سلمة بن الأكوع يوم الحديبية، وهي المراد ببطن مكة. ٢٥- ﴿وَصَدُّوكُمۡ﴾: منعوكم عن دخول المسجد الحرام، ومنعوا الهدى ﴿مَعۡكُوفًا﴾: محبوساً ﴿أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: عن أن يبلغ، ومحل الهدي: حيث يحلُّ نحره بعد دخوله الحرم ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾: كانوا بمكة قد حبسهم المشركون عن الخروج إلى المسلمين ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾: بمكة ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: معناه: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات بخيلكم ورجلكم، وتصيبوا منهم أحداً ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: قيل: «المعرَّة»: الإثم. وقيل: غُرْم الدية. وقيل: كفارة الخطأ ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء، قبل أن تدخلوها ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: لو تميز المؤمنون الذين كانوا بمكة محبوسين من المشركين، ففارقوهم وخرجوا عنهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: موجعاً. والمراد به القتل والأسر والقهر. ٢٦- ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾: وحالوا بين رسول الله ﷺ وبين البيت عام الحديبية ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: الصبر والطمأنينة. ٢٧- ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ﴾: إلى آخر الآية: كان رسول الله ﷺ رأى في منامه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام ﴿ءَامِنِينَ﴾: لا يخافون أهل الشرك ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾: مقصراً بعضهم من شعره، ومحلقاً بعضهم، فعرف بذلك أصحابه، فلما صُدَّ عام الحديبية عن البيت طعن المنافقون في ذلك، وقالوا: أين رؤياه؟ فأدخله مكة -كما أراه الله- في العام الثاني ﴿فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾: من وجوه المصالح في الصلح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾: جعل صلح الحديبية قبل دخوله مكة في السنة المقبلة. ٢٨- ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: إعلام بأن الإسلام يظهر على جميع الأديان. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾: حسبك بالله شهيداً أنه سيظهر الدين الذي ابتعثك به. [٢٤] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ الآية أخرج مسلم، والترمذي، والنسائي عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ، فأُخذوا فأعتقهم، فأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم﴾ الآية. وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع. وأحمد، والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني، وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس. [٢٥] قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾ أخرج الطبراني، وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سُبع قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة، وفينا نزلت: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾. [٢٧] قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا﴾ الآية وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قالوا: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا﴾ الآية. [٢٤] ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾ [الفتح: ١١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]. قد تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الفتح: ١١]، فناسب هذا وصفه تعالى بالخبير؛ لأن الخبير هو العليم بما خفي وبطن، فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾. وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٢٤]، وليس في هذا إبطان شيء أظهر خلافه، فكان إيراد وصفه سبحانه ببصير أنسب، وورد كل على ما يجب، والله أعلم. [٢٦] ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الفتح: ٢٦]. ما فائدة قوله: ﴿وَأَهۡلَهَا﴾ بعد قوله: ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾؟ الجواب: الضمير في ﴿بِهَا﴾ لكلمة التوحيد، وفي ﴿وَأَهۡلَهَا﴾ للتقوى. [٢٧] ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]. قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ما فائدة ذكره بعد قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾؟ الجواب: المعنى آمنين في حال الدخول، لا تخافون عدوكم أن يخرجكم منه في المستقبل. = الزرع، أي: أخرج فراخه، وهو سنبل يخرج حول السنبلة الأصلية، وأشطأت الشجرة إذا أخرجت أغصانها. قوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قرئ: (فآزره) بالمد وهما لغتان، ووزن المقصور (فَعَلَه) والممدود (أفعَله) عند الأخفش، وفاعَله عند غيره، ومعنى: آزره ساواه، آزر الشطء الزرع أي ساواه، أي: كثرت فراخه حتى استوت معه في الطول والقوة، ففي (آزر) ضمير الشطء والهاء للزرع. وقيل: معنى فآزره: قوَّاه وأعانه، أي: أعان الزرع الشطء وقوَّاه، وكما سبق أن الأخفش جعله على وزن أفعله، وغيره يقول: إنه على وزن (فاعله) ولكن أفعل فيه أبين، فيكون منقولًا بالهمز على قراءة من قرأ، فأزره بالقصر على وزن: ففعله، وليست الهمزة للتعدية، إنما هي كما في ألته وآلته، إذا نقصه، والشطء في هذا كناية عمن دخل في الإسلام فيقوى الإسلام به، وهو: مَثَل ضربه الله لنبيه فقد بعث مفردًا كما تخرج السنبلة مفردة، ثم قوَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصحابة كما تقوى السنبلة بفراخها. [٢٩] ﴿مَّثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]. مؤازرة الزرع للشطء: قال رئيس قسم النبات بإحدى جامعات مصر: تتبع علماء التفسير ما في الأناجيل، فبينوا أن في الأناجيل خبرًا بأن أمة ستأتي، وتنبتُ كالزرع مع نبيٍّ ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾... الشطء: هو الفرخ، مثل الدجاج تُخرج فراخًا. وتحدث الدكتور عن النباتات النجيلية من العائلة النجيلية كالبُرِّ والأرز، وقصب السكر والشعير وما شابهها، قال: هذا الزرع كزرع أخرج شطأه، وقال: إذا نبتت الحبة وظهر الزرع، يخرج الفرخ من إبط الأوراق، فيخرج الفرخ من الزرع لا من الحبة، لذلك قال تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ ثم قال: في السنوات الأخيرة بعد الثلاثينيات درس العلماء من أين يأتي الغذاء لهذا الشطء عندما يخرج.. فوجدوا أنه يأتيه ويُصنع له من الزرع نفسه، فالزرع يؤازره ويمدُّه بالغذاء ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فلما آزره تأتي عملية أخرى، هي تكوين عقد تحت آباط الأشجار والزرع، وتكون العقد متقاربة، ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ بهذه العقدة، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ حيث تستطيل المسافة بين العقدة والعقدة حتى مسافة عالية، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، قال: وهذه هي النباتات النجيلية، يبدأ النبات يخرج من الزرع ويُؤازره، ويستغلظ، ويستوي على سوقه، ويُثمر ويُعجب الزُّراع؛ ليغيظ بهم الكفار.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٢٩- ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: إشارة إلى جميع الصحابة رضي الله عنهم عند الجمهور. وقيل: إن الإشارة إلى من شهد الحديبية. ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: قيل: علامتهم من أثر السجود في صلاتهم نور يَغشى الله به وجوهَهم يوم القيامة. وقيل: تظهر علامتهم في جباههم من أثر السجود والتعبُّد. ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: الشَّطء: فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: يقول: فقوَّى الزرعَ شَطْؤه، أي فراخه وأولاده، وأعانه. ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: غلظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: فتلاحق، و«السُّوق»: جمع «ساق» وإنما مثَّلهم بالزرع المُشْطِئ؛ لأنهم ابتدؤوا في الدخول في الإسلام وهم عدد قليل، ثم جعلوا يتزايدون، ويدخل الجماعة بعد الجماعة، حتى كثروا وقووا. كما يحدث في أصل الزرع بالفرخ منه، ثم الفرخ، حتى يكثر وينمى. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: معناه: أن الله تعالى كثَّر أصحاب نبيّه وقوّاهم ليكونوا غيظًا للكافرين. وكان أول غيظهم. قول عمر رضي الله عنه في كلمة: «لا نعبد الله عز وجل سرًّا بعد اليوم». وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم﴾: لبيان الجنس، وليست للتبعيض. ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى عن غير المؤمنين، وأن من رضي الله عنه لا يسخط عليه أبدًا. وفي رواية عن الإمام مالك رضي الله عنه أنه حكم بتكفير من يبغض الصحابة؛ لأنهم يغيظونهم.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

١- ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لا تُعجّلوا بقضاء أمر حتى يقضيه الله على لسان نبيه، وأمر رسوله. أي: لا تقطعوا أمراً إلا بعد أن يحكما به، ويأذنا فيه، فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل، وإما مقتدين برسول الله ﷺ. ٢- ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا تنادوه كما يُنادي بعضكم بعضاً باسمه، ولكن قولاً ليناً، وخطاباً بتعظيم وتوقير: يا نبي الله، يا رسول الله ﴿أَن تَحْبَطَ﴾: ان تبطل. ٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾: يكُفُّون رفع أصواتهم، وأصل الغضّ: النقص من كل شيء ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: اخلصها للتقوى كما يُمتحن الذهب بالنار فيخلص جيده ويبطل خبثه. ٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾: عنى بذلك قوماً - من جُفاة بني تميم - أتوا رسول الله ﷺ فنادوه من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا.

[١] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ الآيتين. أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾. وأخرج ابن المنذر عن الحسن: أن أناسًا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر، فأمرهم أن يعيدوا ذبحًا، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ: ذبح رجل قبل الصلاة فنزلت. وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: أن ناسًا كانوا يتقدمون الشهر فيصُومون قبل النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وأخرج ابن جرير عن قتادة: قال: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، فأنزل الله ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. [٢] قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية. أخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية. [٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ الآية. أخرج أيضًا عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي، فمر به عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما يبكيك؟ قال: هذه الآية، أتخوف أن تكون نزلت فيَّ، وأنا صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا به فقال: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتُقتل شهيدًا، وتدخل الجنة»، قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ الآية. [٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآيتين. أخرج الطبراني، وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن مدحي زين وإن شتمي شين، فقال النبي ﷺ: ذاك هو الله، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآية [مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية]. وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن. وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من رواء الحجرات فلم يجبه، فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال: «ذلكم الله». وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضًا أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فنزلت.

[٢٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]. آية سورة المائدة عامة غير مخصوصة بقوم بأعيانهم، وآية الفتح خاصة بأصحاب النبي ﷺ، وكان من جملة من صحبه منافقون، فقال: ﴿مِنْهُم﴾ تمييزًا وتفصيلًا ونصًا عليهم بعد ما ذكر من جميل صفاتهم، وأيضًا آية المائدة بعد ما قدم خطاب المؤمنين مطلقًا بأحكام، فكأنه قال: من عمل بما ذكرناه له مغفرة وأجر عظيم، فهو عام غير خاص بمعنيين. [١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحجرات: ١، ٢، ٦، ١١، ١٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [الحجرات: ١٣]. قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مذكور في السّورة خمس مرات، والمخاطبون المؤمنون، والمخاطب به أمر ونهي، وذكر في السّادس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فعمّ المؤمنين والكافرين، والمخاطب به قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾؛ لأن النّاس كلّهم فى ذلك سواء.

[٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ ما فائدة ذكره بعد قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾، الجواب: للنهي عن الجهر في مخاطبته، وإن لم يتضمن رفع أصواتهم على صوته، وقيل: المراد به النهي عن مخاطبته ﷺ باسمه. [٢] ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]. قوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾، أي: مخافة حبوطها. فإن قيل: كيف قال ذلك، مع أنّ الأعمال إنما تحبط بالكفر، ورفع الصوت على صوت النبي ﷺ ليس بكفر؟ فالجواب: المراد به الاستخفاف بالنبي ﷺ؛ لأنه ربما يؤدي إلى الكفر، وقيل: حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة، وانحطاط الرتبة. [١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ قرئ: (تَقَدَّموا) بفتح التاء والدال على =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

٦- ﴿فَاسِقٌ﴾: الفسق: الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلها مظنّة الكذب، وموضع تثبّت وتبيّن. ﴿فَتَبَيَّنُوٓا﴾: من التبيّن. وقرأ حمزة والكسائي ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ من التثبت. والمراد من التبين.. التعرّف والتفحص. ومن التثبت: الاناة وعدم العجلة. ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا﴾: كيلا تصيبوا قوماً بُرءاء مما قذفوا به. ٧- ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: لنالكم عنت، يعني: شدة ومشقة بطاعته إياكم، لو أطاعكم في كثير من الأمر ﴿وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: حَسَّنه بتوفيقه وألطافه سبحانه وتعالى. وقيل: حبّب الإيمان بما وعد من الثواب عليه، وكرّه الثلاثة المقابلة للإيمان بما توعّد من العقاب عليها. ٩- ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾: إن أبت الإجابة إلى حكم كتاب الله عز وجل فيما لها وعليها ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: ترجع وترضى بحكم الله ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾: الباغية منهما، فرجعت. ﴿وَأَقْسِطُوٓا﴾: اعدلوا في حُكمكم بين من حكمتم بينهم. ١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: بعد أن وصف الطائفتين بالإيمان، اي أن اقتتالهما لم يخرج أيا منهما إلى الكفر أو الفسوق، أكّد ذلك في هذه الآية بأن المؤمنين أخوة في الدين والاعتقاد. وأن الإصلاح بين الأخوة أمر واجب. ١١- ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾: السخرية: الاستهزاء، وقيل عنى به: سخرية الغني من الفقير. و«القوم»: الرجال لا نساء فيهم. وقد يطلق عليهم مع وجود النساء معهم، من باب التغليب. ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾: أفرد النساء بالذكر تأكيدًا، وقيل: لأن السخرية منهن أكثر، أو لأنها من نوع مختلف. ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾: لا يطعن بعضكم على بعض ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾: نهى أن يدعى الرجل باسم يكرهه، أو صفة ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾: من سخر من المؤمنين ونبزهم بالألقاب، وخالف أمر الله عز وجل، فقد استحق بهذه المعصية اسم الفسق. وقيل: المعنى: بئس ما يقول الرجل لأخيه: يا فاسق! بعد إيمانه. ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾: من السخرية بالمؤمنين، ونبذهم ولمزهم. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: ظلموا من لقبوه، وظلموا أنفسهم بما لزمها من الإثم.

[٦] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحرث بن ضرار الخزامي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فأقررت به ودخلت فيه، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل إلي لإبان كذا وكذا؛ ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحرث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأته، فظن الحرث أنه قد حدث سخطة، فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتًا يرسل إلي رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده، فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحرث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحرث، فأقبل الحرث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما دخل علي رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي»، قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ رجال إسناده ثقات. وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله، وعلقمة بن ناجية، وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة. [٩] قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية أخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حمارًا وانطلق إلى عبد الله بن أبي فقال: إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فنزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾. وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحى رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، وأنزل الله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد، وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها في علية له، وأن المرأة بعثت إلى أهلها، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها، وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله، فجاء بنو عمه، ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال، فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم، وفاؤوا إلى أمر الله. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين، فيدعون إلى الحكم، فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا، وحتى تناول بعضهم بعضًا بالأيدي والنعال، ولم يكن قتالًا بالسيوف.

[٧] ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات : ٧]. ما فائدة الجمع بين الفسوق والعصيان؟ الجواب: الفسوق الكذب، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعصيان بقية المعاصي، وإنما أفرد الكذب بالذكر؛ لأنه سبب نزول الآية، وقيل: الفسوق الكبيرة، والعصيان الصغيرة. = حذف إحدى التاءين؛ وأصله تتقدموا. وقرئ: (تُقدِّموا) بضم التاء وكسر الدال من قدم يقدِم. [٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قرئ: (الحجَرات) بفتح الجيم. وقرئ: (الحجْرات) بضمها وهما لغتان في جمع حجرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط. [١٠] ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ قرئ: (إِخْوتكم) بكسر الهمزة وسكون الخاء وتاء مثناة من فوق مكسورة بالإضافة، جمع تكسير، يشمل الأخ والأخت جميعًا. وقرئ: (أَخَويْكم) بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة بعد الواو تثنية أخ، وخص الاثنين بالذكر، لأنهما أقل من يقع بينهما الشقاق، وبلفظ المذكر للتغليب. نزول سورة الحجرات: نزلت بعد سورة المجادلة، وهي مَدَنِيّة. عدد كلمات سورة الحجرات: ثلاثمائة وثلاث وأربعون. عدد حروف سورة الحجرات: ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون. أسماء سورة الحجرات: سمّيت سورة الحُجُرات؛ لذكرها بها. مواضيع سورة الحجرات: معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحقّ تعالى، ومراعاة حُرْمة الأكابر، والتُّؤدة في الأُمور، والاجتناب عن التَّهور، والعوْن في إِغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخَلْق، والحذر عن التجسّس والغِيبة، وترك الفخر بالأَحساب والأَنساب، والتحاشي عن المنَّة على الله بالطَّاعة، وإِحالة علم الغَيْب إِلى الله تعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

١٢- ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾: نهى الله عز وجل المؤمن أن يظن بالمؤمن شراً، وقال أكثر العلماء: إن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وإنه لا حرج في ظن السوء بمن ظاهره قبيح. قالوا: والبعض المشار إليه في الآية، هو ظن السوء بأهل الخير. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: لا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه احمدوا أو ذمُّوا ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: أي: إذا لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرمه عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فإن الله عز وجل قد حرم غيبته. ١٣- ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾: هذا الخلق أو الجعل والتقسيم يشير إلى مزية كل شعب من الشعوب، وقبيلة من القبائل، والغاية من ذلك التعارف أي أن تُكمِّل البشرية بعضها بعضًا، لا أن يفخر بعضهم بذلك على بعض، أما مقياس التفاضل فهو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾: اخوفكم له، واعملكم بطاعته. ١٤- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: صدَّقنا بالله ورسوله ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، لأن الإسلام قول وعمل. وكان القوم صدَّقوا بألسنتهم، ولم يصدِّقوا بفعلهم وعملهم، فقيل لهم ذلك: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يعني: ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان، وحقائق معانيه في قلوبكم ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾: لا يظلمكم من ثواب أعمالكم شيئاً. يقال: لاته حقًا: إذا انقصه منه. ١٥- ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لم يدخل قلوبهم شيء من الريب، ولا خالفهم شك من الشكوك. وقيل: لم يشكُّوا في وحدانية الله، ونبوة نبيه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: في قولهم إنا مؤمنون، لا من يدَّعي أنه مؤمن، ولم يطمئن قلبه بالإيمان، ولا عمل بأعمال أهله. وهم الأعراب الذين تقدم ذكرهم وسائر أهل النفاق. ١٦- ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: التعليم هنا بمعنى الإعلام، أي: أتخبرون الله بطاعتكم وإيمانكم؟ ١٧- ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾: قيل: نزلت في أعراب من بني أسد امتنوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنا بغير قتال، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا. ١٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب عنكم، واستتر فيهما ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: لا يخفى عليه من ذلك شيء.

[١١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ الآية. اخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها، فعسى أن يكرهه، فنزلت ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قال الترمذي: حسن. وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضًا قال: كانت الألقاب في الجاهلية، فدعا النبي ﷺ رجلاً منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت. [١٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ، فذكر رجلٌ أكله ورُقاده، فنزلت. [١٣] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية. وقال ابن عساكر في مبهماته: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا، فنزلت الآية. [١٧] قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله ابن أبي أوفى أن ناسًا من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن، وأن ذلك لما فتحت مكة. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع، وفيهم طليحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثًا، ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ...﴾ [النور: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ...﴾ [الحجرات: ١٥]. إنما المؤمنون حقًا هم الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، وإذا كانوا مع النبي ﷺ على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه؟...، فهذا ما دلت عليه آية النور، أمَّا آية الحجرات: إنما المؤمنون الذين صدَّقوا بالله وبرسوله وعملوا بشرعه، ثم لم يرتابوا في إيمانهم، وبذلوا نفائس أموالهم وأرواحهم في الجهاد في سبيل الله وطاعته ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم. [١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]. إن الله مطَّلع على كل غائب في السماوات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطَّلع عليكم، وأنتم تُضمِرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تَعصوه بما دون ذلك، فهذا ما دلت عليه آية فاطر، أما آية الحجرات: إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، والله بصير بأعمالكم وسيجازيكم عليها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

[٩] ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]. ما الفرق بين: "القاسطون والمقسطون"؟ الجواب: قال صاحب اللسان: أقسطَ يقسطُ فهو مقسطٌ، إذا عدل. وقسط يقسطُ فهو قاسطٌ: إذا جار. فكأن الهمزة في أقسط للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه. إذًا أقسط: عدل. وقسط: جار. [١٤] ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَلِتْكُم﴾ قرئ: (يألتكم) بهمزة ساكنة بعد الياء وقبل اللام من ألته بالفتح يألته بالكسر، كصَدَق يصدق لغة غطفان، وقرئ: (يلتكم) بكسر اللام من غير همز من لاته يليته كباعه يبيعه لغة الحجاز، وعليها صريح الرسم، وكلها بمعنى: لا ينقصكم من أعمالكم شيئًا. [١٨] ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون) بياء الغيبة لتقدم ذكره في قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ وقرئ: (تعملون) بتاء المخاطب لتقدم ذكرها في قوله: ﴿تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ وقوله: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾.

سُورَةُ قٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

سورة ق

١- ﴿قٓ﴾: كسائر ما تقدم من السور التي أوائلها حروف المعجم ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: أقسم الله عز وجل به ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الكريم الأوصاف، أو ذو المجد والشرف على كل كتاب سواه. ٢- ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾: يعني الكفار، أو مشركي مكة ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: ولم يأتهم مَلك من الملائكة. ٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي البعث والنشور ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: أي غير كائن، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا! أو: رجع بعيد عن العقول والأفهام، أو العادة والإمكان. ٤- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: ما تأكل الأرض من أجسامهم، بعد مماتهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: ولدينا كتاب، مع علمنا بذلك، حافظ لذلك كله. ٥- ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مُختلط ملتبس، وهذه هي حال أهل الباطل في كل زمان، في اختلاط أفكارهم، والتباس عقائدهم. ٦- ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾: صُدوع وفتوق. ٧- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: النص على مدّ الأرض وبسطها يأتي في سياق الحديث عن تسخيرها والانتفاع بها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾: من كل نوع من نبات حسن. ٨- ﴿تَبْصِرَةً﴾: تُبصّركُم قدرة ربكم ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة وتنبيهاً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: مقبل بقلبه إلى الله عز وجل، راجع إليه بالتوبة. ٩- ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: حب الزرع المحصود، من البُرّ والشعير وغيره. ١٠- ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾: طوالاً ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: متراكب بعضه على بعض، والطلع: هو أول ما يخرج من ثمر النخل. ١١- ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾: أي: كما أحيينا بذلك الماء بلدة ميتاً لا ثمار فيها ولا زرع، كذلك نخرجكم يوم القيامة من قبوركم من بعد بلاكم، وفنائكم. ١٢- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ «الرس»: هو البئر، قتل أهلها نبيهم فيها، فأهلكهم الله. وهم قوم شعيب عليه السلام. ١٤- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: أهل مدين، والأيكة: الشجر الملتف ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ الحميري، كانوا أهل أوثان ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجب عليهم الوعيد الذي أوعدهم الله به من العذاب، فأهلكهم. ١٥- ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: يقول عز وجل: أعجزنا بابتداع الخلق أولاً، ولم يكن شيئاً، فنعيا بإعادتهم آخراً؟ ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾: في شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: من البعث.

[٢] ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص : ٤]، ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق : ٢]. آية ص وردت مورد الإخبار بمرتكبات من أفعال كفار العرب وأقوالهم، فجيء بتلك الجمل منسوقًا بعضها على بعض، فأخبر تعالى أنهم في عزة وشقاق، وأنهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم، فلما قصد في ص الإخبار بجملة مرتكباتهم جاءت منسوقًا بعضها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وأما آية ق فمقصود بها التعريف بتعجبهم من البعث الأخروي واستبعادهم إياه، ولم يقصد هناك غير ما قصده، ألا ترى إقامة الدلالة عليهم باعتبار خلق السماوات وتزيينها بالنجوم وإحكام صنعتها، ومد الأرض وإرسائها بالجبال وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء.. فلما كان قولهم: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ مبنيًا على ما جاءهم به عليه السلام، وأعلمهم من البعث بعد الموت جعل الأول -أي: مجيئه عليه السلام، مخبرًا بذلك- سببًا في تعجيزهم فربط فيه بالفاء... [٧] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر : ١٩]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق : ٧]. والأرض مددناها متسعة، وألقينا فيها جبالًا تثبتها، وأنبتنا فيها من كل أنواع النبات ما هو مقدَّر معلوم مما يحتاج إليه العباد، فهذا ما دلت عليه آية الحجر، أمَّا آية ق: والأرض وسَّعْناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت؛ لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يَسُرُّ ويبهج الناظر إليه. [١٢-١٤] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [ص : ١٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق : ١٤]. سورة ص بُنيت فواصلها على رَدْف أواخرها بالألف؛ وسورة ق على رَدْف أواخرها بالياءِ والواو. فقال في سورة ص: "الأوتاد، الأحزاب، عقاب"، وجاءَ بإزاءِ ذلك في سورة ق: "ثمود، وعيد"، ومثله في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات : ٤٨]، وفي ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص : ٥٢]، فالقصد إلى التَّوفيق بين الألفاظ مع وضوح المعاني.

[١٠] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ١٠]. من فوائد الإصلاح بين الناس: ١- الإصلاح بين المؤمنين إذا تنازعوا واجب لا بدّ منه لتستقيم حياة المجتمع ويتّجه نحو العمل المثمر. ٢- بالإصلاح تحلّ المودّة محلّ القطيعة، والمحبّة محلّ الكراهية، ولذا يستباح الكذب في سبيل تحقيقه. ٣- الإصلاح بين النّاس يغرس في نفوسهم فضيلة العفو. ٤- الإصلاح منبعه النّفوس السّامية، ولذا كان النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم يخرج بنفسه ويسعى للإصلاح بين النّاس. ٥- اكتساب الحسنات والثّواب الجزيل من جرّاء الإصلاح بين النّاس. ٦- إصلاح ذات البين أفضل من نافلة الصّيام والصّلاة والصّدقة. ٧- يثمر المغفرة للمتخاصمين عند المصالحة. ٨- عدم الإصلاح يؤدّي إلى استشراء الفساد وقسوة القلوب، وضياع القيم الإنسانيّة الرّفيعة. ٩- الإصلاح بين النّاس عهد أخذ على المسلمين. ١٠- بالإصلاح يتم تماسك المجتمع الإسلامي وترابطه ووحدته في وجه الشيطان وأوليائه الذين يدعون إلى الفرقة والاختلاف. [١١] ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات : ١١]. بعض آثار الظلم ومضاره: الظلم يجلب غضب الرب سبحانه، ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وهو يخرب الديار، وبسببه تنهار الدول، والظالم يُحْرَمُ شفاعة رسول الله ﷺ بجميع أنواعها، وعدم الأخذ على يده يفسد الأمة، والظلم دليل على ظلمة القلب وقسوته، ويؤدي إلى صغار الظالم عند الله وذلته، وما ضاعت نعمة صاحب الجنتين إلا بظلمه، وما دمرت الممالك إلا بسبب الظلم.

نزول سورة ق: نزلت بعد سورة المرسلات، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة ق: ثلاثمائة وخمس وسبعون. عدد حروف سورة ق: ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون. أسماء سورة ق: سمّيت بقاف، لافتتاحها بها. مواضيع سورة ق: مقصود السّورة: إثبات النبوّة للرّسول ﷺ، وبيان حُجّة التّوحيد، والإخبار عن إهلاك القرون الماضية، وعلم الحقّ تعالى بضمائر الخَلْق وسرائرهم، وذكر الملائكة الموكّلين على الخَلْق، المشرفين على أقوالهم، وذكر بَعْث القيامة، وذُلّ العاصين يومئذ، ومناظرة المنكرين بعضهم بعضاً في ذلك اليوم، وتَغَيُّظ الجحيم على أهله، وتشرّف الجنّة بأهلها، والخبر عن تخليق السّماءِ والأرض، وذكر نداءِ إسرافيل بنفخة الصُّور، ووعظ الرّسول ﷺ الخَلْق بالقرآن المجيد.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)

١٦- ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: تحدثه وتضمره ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: هو حبل العاتق، والآية تعبير عن قدرة الله تعالى على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة والعلم، كما يقول ابن عطية. ١٧- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾: الملكان ﴿قَعِيدٌ﴾: أي: رصيد، يكتبان عليه الحسنات والسيئات. ١٨- ﴿رَقِيبٌ﴾: حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر مُعدّ. ١٩- ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدته وغلبته على فهم الإنسان ﴿بِالْحَقِّ﴾: بحقيقة الموت ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تهرب منه، وتروغ عنه. ٢٠- ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: الذي وعد الله الكفار أن يُعذبهم فيه. ٢١- ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾: يسوقها إلى الله ﴿وَشَهِيدٌ﴾: يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر. ٢٢- ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: الذي عاينتَ من الأهوال والشدائد ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾: أظهرناه لعينك حتى رأيته، فزالت الغفلة عنك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فأنت اليوم نافذ البصر بما كنت عنه غافلاً. ٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: سائقه الذي وُكّل به: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: أي هذا الذي هو عندي مُعَدٌّ محفوظ. ٢٤، ٢٥- ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾: هذا خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد، ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند عن الحق وسبيل الهدى. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: قيل: «الخير» في هذا الموضع: الزكاة المفروضة ﴿مُعْتَدٍ﴾: على الناس بلسانه بالبذاء، وبيده بالسطوة ظلماً ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاك في الحق أو وحدانية الله تعالى. ٢٧- ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: يقول: ما جعلته طاغياً كافراً بك ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: في طريق جائر عن الهدى جوراً بعيداً. ٢٩- ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: يقول عز وجل: ما يُغير القول الذي قلته لكم في الدنيا، ولا قضائي الذي قضيته عليكم، وقد قضى عليهم بالعذاب فلا تبديل له. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: بمعاقب أحداً من خلقي بغير ذنبه. ٣٠- ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: قيل: معناه: ما من مزيد، لشدة امتلائها وتضايق بعضها إلى بعض، وقيل: إن هذا الاستفهام بمعنى الاستزادة، أي أنها تطلب الزيادة على من صار فيها. ٣١- ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: أُدنيت وقُربت. ٣٢- ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: راجع من معصية الله عز وجل إلى طاعته، تائب من ذنوبه ﴿حَفِيظٍ﴾: مسبح لله تعالى ذاكر لذنوبه مستغفر منها. ٣٣- ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾: في الدنيا قبل أن يلقاه ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: تائب من ذنوبه. ٣٤- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾: بأمان من العذاب والنصب والهم.

[٢٣، ٢٧] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق : ٢٣]، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ﴾ [ق : ٢٧]. الآية الأولى خطاب لإنسان من قرينه ومتصل بكلامه، أما الآية الثانية فإنها منفصلة؛ لأن القول هناك ليس للإنسان، ولا ما بعده خطابٌ له، ألا ترى أنه للقرين، وأنه يخاطب الله تعالى بقوله: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾، فلما لم يكن القائل المخاطِب ولا المقول له المخاطَب صار كأنه مستأنف، فالآيات التي أجريت هذا المجرى بعده، هي: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق : ٢٨]، وكقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق : ٢٩]، فلما لم يكن في واحد منها واو عاطفة، كانت الأخرى كذلك. فالآية الأولى التي ورد فيها الوصل عطفت على جمل كلها عما يلقاه الإنسان من أهوال، وشدائد يوم القيامة، أما الآية الثانية التي استؤنف فيها الكلام، فقد جرى فيها الكلام على ما جرى فيما بعدها من آيات. = وما أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة إلا بسبب ظلمهم. وندم الظالم وتحسره بعد فوات الأوان لا ينفع، والظلم من المعاصي التي تعجل عقوبتها في الدنيا، فهو متعدٍ للغير، وكيف تقوم للظالم قائمة إذا ارتفعت أكف الضراعة من المظلوم، فقال الله عزَّ وجلَّ: "وعزتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين". قال بعض السلف: الظلم ثلاثة أنواع: الأول: أن يظلم الناس فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق. الثاني: ظلم بينه وبين الناس. الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه. [١٣] ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣]. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ليس في كتاب الله آية واحدة يُمدح فيها أحد بنسبه، ولا يُذم بنسبه، وإنما يُمدح بالإيمان والتقوى، ويُذم بالكفر والفسوق والعصيان. [٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق : ٤]. إشارة إلى أن الأرض لا تأكل كل الأجساد، فالأنبياء عليهم السلام حرّم الله على الأرض أكل أجسادهم، كما قال ﷺ: "إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" أخرجه أبو داود والنسائي، وغيرهما، وصححه الألباني، كما يبقى من جميع الأجساد عجب الذنب لا تأكله الأرض، منه يركَّب الإنسان، ويعاد خلقه. [٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ الله عز وجل حكم وقضى وأخبر أن المطر الذي ينزل من السماء مطرٌ مباركٌ؛ ولهذا كان ﷺ يسارع إليه، يحسر ثوبه عن ذراعه حتى يصيبه المطر ويقول (إنه حديث عهد بربه تعالى). رواه مسلم وأبو داود، وغيرهما. [٢٩] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]. ما الفرق بين: "ظلوم، ظلّام"؟ الجواب: وردت كلمة (ظلوم) مرتين. بينما وردت كلمة (ظلّام) خمس مرات. كلاهما صيغة مبالغة: الأولى على وزن (فعول) والثانية على وزن (فعّال). وردت كلمة (ظلوم) وصفًا للإنسان. بينما وردت كلمة (ظلّام) وصفًا منفيًا عن الله تعالى. لم اختصاص كل بما ذُكر؟! حيث إن الإنسان هو الذي يتمتع بالعقل والإرادة دون غيره من المخلوقات، فكان مناسبًا أن يوصف في مجالي الظلم والجهل بصيغة فيها مبالغة كـ(ظلوم وجهول) إن هو حاد عن الطريق المستقيم والهدف القويم الذي أمر به. ثم إنه في المرتين اللتين وردت فيهما كلمة (ظلوم) وهي صيغة مبالغة (على وزن فعول) كان هناك وصفٌ آخر فيه مبالغة (كفار، جهول)، واتسقت معهما كلمة ظلوم موسيقيًا، كما أنها شاكلت الكلمة الثانية (جهول) حيث إن كلاهما على وزن (فعول). أما كلمة (ظلّام) فقد جاءت وصفًا منفيًا عن الذات الإلهية، وأرى أن ذلك لسببين، والله أعلم: ١- أن كلمة (ظلّام) ربما أتت للنسب، بمعنى أن الله تعالى ليس ذا ظلم، ولا يتصف بأي ظلم كان. وقد جاءت صيغة المبالغة (ظلّام) للتوكيد على المعنى، ولأن الصفة العليا تشمل الصفة الدنية (الظلم) غالبًا. ٢- أن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وقد استُخدمت كلمة (ظلّام) كما قال القاضي الباقلاني: لأن الله سبحانه لو كان يعاقب على غير ذنب لكان يُوصف بأقصى حدٍّ للظلم وهو (ظلّام). ولكنه سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا على ذنب فليس بظلام أبدًا.

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ قوله تعالى: ﴿نَقُولُ﴾ قرئ: (يقول) بالياء على إخبار عن الله جَلَّ ذكره لتقدم ذكره؛ في قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ وقرئ: (نقول) بالنون على أنه إخبار من الله عزَّ عن نفسه؛ لتقدم لفظ الإخبار في قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ وقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.
[٣٢] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ قوله تعالى: ﴿تُوعَدُونَ﴾ قرئ: (يوعدون) بالياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الغيبة في قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقرئ: (توعدون) =

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٣٦- ﴿مِن قَرْنٍ﴾: من القرون، أي الأمم التي هلكت ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: يعني عز وجل: قريشاً ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾: ساروا فيها وتوغلوا إلى الأقاصي منها ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: يقول عز وجل: فهل كان لهم منجىً من الموت والهلاك إذ جاءهم أمرنا؟ ٣٧- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في هلاك القرون ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: يتذكر بها ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: واعٍ ينتفع به، قيل: والقلب في هذا الموضع: العقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: يقول عز وجل: أو أصغى لما يُخبر عن هذه القرون بسمعه فيسمع الخبر عنهم كيف فعلنا بهم؟ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: متفهِّم لما يُخبر به، شاهد له بقلبه، غير غافل عنه. ٣٨- ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: من نصب، ولا إعياء. ٤٠- ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾: يقول عز وجل: وسبح بحمد ربك، أعقاب الصلوات. ٤١- ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: بصيحة القيامة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: بحيث يصل النداء إلى كل فرد من أفراد أهل الحشر. ٤٢- ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: يوم خروج أهل القبور من قبورهم. ٤٥- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: وعيد للكفرة والمشركين ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: بمُسلَّط، يجبرهم ويقهرهم على الإيمان ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾: من يخاف الوعيد الذي أوعدته مَن عصاني وخالف أمري.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

١- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾: الرياح، يقال: ذرت الريح التراب، تذروه ذرواً. وفي الرياح التي أقسم الله تعالى بها مُعتبرٌ من شدتها حيناً ولينها حيناً، وكونها مرة رحمة ومرة عذاباً، إلى غير ذلك. ٢- ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾: السحاب التي تحمل وقرها، أي حملها من الماء. ٣- ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾: السفن التي تجري في البحر سهلاً يسراً. ٤- ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة التي تُقسِّم أمر الملكوت أو أمر الله عز وجل في خلقه من الأرزاق والأجال وغير ذلك. ٥- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم ﴿لَصَادِقٌ﴾: بمعنى: لكائن ولَصِدْق. [٣٨، ٣٩] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس: أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض، فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الأجال حتى يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة»، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. [٤٥] قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي، عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ثم أخرج عن عمر مرسلًا مثله. [٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ [مريم: ٧٤]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦]. وكثيرًا أهلكنا قبل كفار قومك أيها الرسول من الأمم، كانوا أحسن متاعًا منهم وأجمل منظرًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم الأولى، أمَّا الثانية: وكثيرًا أهلكنا أيها الرسول من الأمم السابقة قبل قومك، ما ترى منهم أحدًا، وما تسمع لهم صوتًا، فكذلك الكفار من قومك، نهلكهم كما أهلكنا السابقين من قبلهم. وفي هذا تهديد ووعيد بإهلاك المكذبين المعاندين، أمَّا آية ق: وأهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش أممًا كثيرة، كانوا أشد منهم قوة وسطوة... [٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]. ما الفرق بين "إدبار" و"أدبار"؟ الجواب: الأدبار جمع دُبر بمعنى خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة، أي: بعد انقضائها، وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦]، أما الإدبار فهو مصدر فعل أدبر، مثل أقبل إقبال، والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تدبر، أي: تغرُب عكس إقبال. [٥-٦] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٦]، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨]، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧]. ما موجب اختلاف العبارة عما وقع القسم عليه؟ وما جُووب به مع أن المراد بذلك كله الجزاء الأخروي؟ والجواب: أن سورة الذاريات تقدمها في سورة ق إخباره سبحانه بالعودة الأخروية، وإقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، إلى قوله: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ثم أعقب بذكر مكذبي الأمم، وما حق عليهم من الوعيد الأخروي بعد أخذ كل منهم في الدنيا بذنبه، ثم استمرت آي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث وحصر أعمال المكلفين، وكتبها عليهم، مع علمه سبحانه بما توسوس به نفوسهم ووقوع الجزاء على ذلك، وغفلة المكذب عن ذلك كله حتى يُكشف له الغطاء فيشاهد ما لم يكن يحتسبه، ثم أعقب بأمر نبيه ﷺ بالصبر والتزام ما أمره به، فلما اشتملت السورة على وعود ووعيد وجزاء أعقبت بالقسم على ذلك، من صدق وعده سبحانه ووعيده، ووقوع الحساب على الأعمال، فقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥-٦]، وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب. أما سورة الطور فالقسم فيها مرتبط بما اتصل به، ووقع عليه القسم من قوله تعالى خاتمة سورة الذاريات: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠]، فأتبع قسمًا على هذا بقوله: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٨]. وأما قوله في سورة=

= بالتاء على المخاطبة، أي: قل لهم يا محمد: هذا ما توعدون. [٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَارَ﴾ قرئ: (إِدبار) بكسر الهمزة على أنه مصدر أدبر مضى، ونصب على الظرفيَّة بتقدير زمان، أي: وقت انقضاء السجود. وقرئ: (أَدبار) بفتحها جمع دبر وهو آخر الصلاة وعقبها، وجمع باعتبار تعدد السجود. [٤٤] ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَشَقَّقُ﴾ قرئ: (تَشَقق) بتخفيف الشين على أنه مضارع تشقق، وأصلها تتشقق بتاءين، التاء الأولى للغائب؛ لأن الفاعل مؤنث مجازي، حذفت إحدى التاءين من أول الفعل تخفيفًا. وقرئ: (تَشَّقق) بتشديد الشين على أن أصله تتشقق =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾: ذات الطرائق، وعنى بذلك: الخَلْقَ الحسنَ المستوي، لأن كل شيء أحكمتَه فقد حبكتَه واحتبكته. ٨- ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ﴾: يعني: في القرآن، أو في النبي ﷺ، فمن مُصدِّق، ومن مكذب. ٩- ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾: يقول: يُصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صُرف ممن غَلبت شقاوته. ١٠- ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾: الخرّاص: المخمِّن القائل بظنِّه وتقديره، ويدخل فيه الكاهن والمرتاب ونحوه ممن لا يقين له. والإشارة إلى مكذّبي محمد ﷺ. ١١- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾: في ضلالة ﴿سَاهُونَ﴾: قد لَهَوْا عن الحق وسَهَوْا عنه. ١٢، ١٣- ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؟ متى يوم المجازاة؟ ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾: قيل: يُعذبون بالإحراق في النار. ١٤- ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾: عذابكم وحريقكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: في الدنيا. ١٧- ﴿مَا يَهۡجَعُونَ﴾: بمعنى: لا يهجعون، لأنهم كانوا يتيقّظون ويُصلُّون. وقيل «ما يهجعون» بمعنى: كانوا يهجعون قليلاً، والهجوع: النوم. ١٨- ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: قيل: يصلُّون. وقيل: يستغفرون الله. ١٩- ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾: الذي حرم الرزق فاحتاج. وقيل: المتعفف عن المسألة. ٢١- ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾: بمعنى: وفي خلق أنفسكم وجوارحكم دلالات على وحدانية صانعكم. ٢٢، ٢٣- ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾: أي: إن رزقكم عند الله تعالى يأتي به كيف شاء، لا ربّ غيره. وقيل: المراد: المطر والثلج اللذان بهما تُخرج الأرض أقواتكم، من الزرع والثمار ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: من خير وشر أيضاً في السماء ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾: بمعنى: كما أنكم تنطقون، فكما أن نُطق الآدمي لا شك فيه كذلك رزقه. ٢٥- ﴿قَالَ﴾: إبراهيم: ﴿سَلَٰمٞ﴾: عليكم ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾: أنتم قوم منكرون لا نعرفكم. ٢٦- ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾: عَدَلَ إلى أهله ورجع. ٢٨- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾: أضمر. ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾: بإسحاق عليه السلام و«عليم» بمعنى: عالم إذا كبر. ٢٩- ﴿فِي صَرَّةٖ﴾: في صيحة. أو في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾: ضربت في جبهتها تعجباً ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾: أتلد وهي عجوز عقيم؟! استبعدت ذلك لكبر سنها، ولكونها عقيماً لا تلد.

[١٩] قوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا، فنزلت: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾.

= المرسلات: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [المرسلات : ٧]، فمرتبط بما بنيت عليه سورة الإنسان، فإنها بجملتها درجت آياتها وجرت على ما به ختمت من قوله تعالى: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ [الإنسان : ٣١]، فتحصل مجرد وعد ووعيد، ولم تخرج السورة عن ذكر الفريقين ممن وعد وتوعد، فناسب ذلك قوله تعالى جوابًا للقسم: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾، فجاء كل من المواضع الثلاثة على ما يناسب، ولا يلائم النظم في ثلاثتها غير ما ورد عليه، والله أعلم. [١٥] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر : ٤٥، الذاريات : ١٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحجر والذاريات، ومعناها: إن الذين اتقوا الله بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى في بساتين وأنهار جارية. [١٥-١٦] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ [الذاريات : ١٦]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ [الطور : ١٨]. ما في سورة الذاريات متّصل بذكر ما به يصل الإنسان إليها، وهو قوله: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ [الذاريات : ١٦]، وفي الطّور متّصل بما ينال الإنسانُ فيها إذا وَصَل إليها، وهو قوله: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾ [الطور : ٢٠] الآيات. [١٩] ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات:١٩]، ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [المعارج : ٢٥]. آية المعارج قد تقدمها متصلًا بها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ٢٢]، والمراد بالصلاة هنا المكتوبة، وأيضًا يقرن بها في آي الكتاب الزكاة المفروضة، وبها فسر المفسرون الحق المعلوم في آية المعارج. قال الزمخشري: لأنها مقدرة معلومة. وليس في المال حق مقدر معلوم وقتًا ونصابًا ووجوبًا غيرها، فلما أريد بالحق هنا الزكاة أتبع بوصف يحرز المقصود، ولما قصد في آية الذاريات غير هذا المقصد، بدليل ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨]، فوصف هؤلاء بطول صلاتهم وتهجدهم ومداومتهم الاستغفار في الأسحار، فذكروا بزيادة من التطوع والنفل على ما فرض عليهم، ومن الزيادة في أعمالهم على ما فرض عليهم مما يعد تاركه إذا تركه مهملًا، فناسب هذا الإطلاق الوارد في إنفاقهم ليفهم الزيادة على ما فرض عليهم من الزكاة المقدرة، ولم يكن ليناسب هنا الإشارة إلى قدر المنفق. مما سبق يتبين أن المراد بآية الذاريات الصدقات النوافل لقرينة تقدم النوافل، وآية المعارج الزكاة لتقدم ذكر الصلاة؛ لأنها معلومة مقدرة. [٢٧] ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [الصافات : ٩١]، ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٧]. ما في سورة الصافات جملة اتّصلت بخمس جمل كلّها مبدوءَة بالفاءِ على التّوالى، وهي: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ٨٧-٩١] الآيات، والخطاب للأوثان تقريعًا لمن زعم أنّها تأكل وتشرب، وفي الذاريات متّصل بمضمر تقديره: فقرّبه إليهم، فلم يأكلوا، فلمّا رآهم لا يأكلون، ﴿ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ والخطاب للملائكة. فجاءَ في كلّ موضع بما يلائمه.

= أيضًا خففت بإبدال الثانية شينًا وإدغامها في الشين فصارت تَشّقق. [٢٣] ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مِّثۡلَ ﴾ قرئ: (مثلُ) بالرفع صفة لحق لأنه نكرة، ولا يضر تقدير إضافتها إلى معرفة لأنها لا تتعرف بذلك لإبهامها، أو خبر ثان أو أنه مع ما قبله خبر واحد نحو: "هذا حلو حامض". وقرئ: (مثلَ) بالنصب على أنّه حال من المتمكن في الحق، لأنه من المصادر التي لا توصف، والعامل فيها (حق) أو الوصف لمصدر محذوف، أي: أنه لحق مثل نطقكم، وقيل: هو نعت (لحق) وبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو "ما": إن كانت بمعنى: شيء "وأن وما في حيزها" -إن جعلت مزيدة- للتأكيد.

نزول سورة الذاريات: نزلت بعد سورة الأحقاف، وهي مَكّيّة. عدد كلمات سورة الذاريات: ثلثمائة وستّون. عدد حروف سورة الذاريات: ألف ومائتان وسبعة وثمانون. أسماء سورة الذاريات: سمّيت بالذّاريات لمفتتحها. مواضيع سورة الذاريات: معظم مقصود السّورة: ذكر القَسَم بحقّيّة البعث والقيامة، والإشارة إلى عذاب أهل الضّلالة، وثواب أرباب الهداية، وحُجّة الوحدانيّة، وكرامة إبراهيم في باب الضّيافة، وفي إسحاق له بالبشارة، ولقوم لوط بالهلاك، ولفرعون وأهله من الملامة، ولعاد وثمود وقوم نوح من الدمار والخسارة، وخَلْق السّماءِ والأرض للنّفع والإفادة، وزوجيّة المخلوقات؛ لأجل الدّلالة، وتكذيب المشركين لما فيه للرّسول ﷺ من التسلية، وتخليق الخَلْق لأجل العبادة، وتعجيل المنكرين بالعذاب.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)

٣١- ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: فما شأنكم. ٣٤- ﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعلَّمة بعلامات تُعرف بها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: للمتعدين حدوده. و«المسرف» الذي يتعدى الطَّور، فإذا جاء مطلقاً فهو لأبعد غايات الكفر فما دونه. ٣٥، ٣٦- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في سَدُوم قرية لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: لوطاً وابنتيه عليه السلام ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: بيت لوط. ٣٧- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾: عبرةً وموعظة. ٣٨، ٣٩- ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحجة بينة. ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض وادبر عمن أرسل به إليه ﴿بِرُكْنِهِ﴾: بقوته وجنده ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: في حق موسى عليه السلام، وهذا من فرعون -كعادة كل فرعون- اللعين مغالطة وإيهام لقومه. ٤٠- ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: يعني: فرعون، و«المليم»: الذي يأتي ما يلام عليه. ٤١- ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: الشديدة التي لا تُلقح شجراً، ولا تحمل مطراً. ٤٢- ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: ما يبس من نبات الأرض. أو ما دبس من هذا النبات، والرمّة: العظام البالية. ٤٤- ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: تكبروا وعلوا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: العذاب فجاة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: وذلك أن ثمود وعدت بالعذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين، منتظرين له. ٤٧- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾: رفعناها سقفاً ﴿بِأَيْدٍ﴾: بقوة وشدة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: معناه: وإنا لَذوو سعةٍ بخلقها، وخلق ما نشاء. لا نعجز عن ذلك، وقال ابن زيد: المعنى: لموسعون في بناء السماء. قلت: أو في الكون عامّة منذ أن خلقه الله تعالى؛ بمعنى أنه يتمدد ويتّسع، والله أعلم. ٤٨- ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: نحن. يقال: مهدت الفراش: بسطته ووطأته. ٤٩- ﴿زَوْجَيْنِ﴾: نوعين مختلفين، كالشقاء والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والجن والإنس، والذكر والأنثى، ونحو ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تعتبرون. ٥٠- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: ففرّوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به واتباع أمره. قال ابن عطية: فجمعت لفظة «فرّوا» بين التحذير والاستدعاء. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾: أنذركم عقابه.

[٣١-٣٢] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٧-٥٨، الذاريات: ٣١-٣٢]. تكررت هذه الآيات بالحجر والذاريات وهي تتحدث عن قصة هلاك قوم لوط وإنجاء المؤمنين منهم. [٥٠] ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١]. الفرار الأول من المعاصي إلى الطاعات، والإنذار فيه من عقوبة المعاصي، والإنذار الثاني من عقوبة الشرك، وللدلالة على أن الطاعات مع الشرك غير رافعة من العذاب عليه. [٢٩] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبِلْ - تَعالَ - ائتِ - هاؤم"؟ الجواب: (أقبِلْ) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال، ونهيًا عن الإدبار المتلبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هَلُمُّوا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) -راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذًا، (أقبِلْ) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبِلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبِلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. أمثلة قرآنية: أولًا- (أقبِلْ): ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، والطور: ٢٥]. ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف: ٧١]. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤]. ثانيًا- (تعال): ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥]. ثالثًا- (ائت): ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]. رابعًا- (هاؤم): ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. [٤٠] ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠]. ما الفرق بين "مَلُوم، مُليم"؟ الجواب: وردت كل من الكلمتين (ملوم، مُليم) مرتين في القرآن الكريم. (الملوم) هو الذي أتى فعلًا يستحق اللوم عليه، وليم عليه. أما (المُليم) هو الذي أتى فعلًا يستحق اللوم عليه، ولم يُلم عليه. (هذا في القرآن) لكن معناهما واحدٌ في اللغة. ويوضح المعنى الثاني ما ورد عن فرعون حيث نُبذ وقومُه في

[٤٤] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ قرئ: (الصعْقة) بحذف الألف وسكون العين على وزن فعلة: أراد بها الصوت الذي يصحب الصاعقة. وقرئ: (الصاعِقة) بالألف بعد الصاد وكسر العين، على إرادة النار النازلة من السماء للعقوبة. [٤٦] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ﴾ قرئ: (وقومِ) بجر الميم عطفًا على الهاء في ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ كالتوابع أو على أحدها، وجعل في الأصل عطفه على ثمود أولى لقربه. وقرئ: (وقومَ) بنصبها، أي: أهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه، ويجوز أن يكون عطفًا على مفعول وأخذناه، أو على معنى: فأخذتهم، أي: فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. بناء السماء وتوسع الكون: انظر إلى كلمة ﴿بَنَيْنَاهَا﴾ فهي تدل على أن السماء مبنيَّة، وهذا ما كشفت عنه آخر الأبحاث: أن الكون متماسك ومترابط لا وجود فيه للخلل، ولا وجود للفراغ كما كان يُظن في الماضي، بل هو بناء مُحكم. ثم تأمل معي كلمة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، التي تعطي معنى الاستمرار، فالكون كان يتوسع في الماضي، وهو اليوم يتوسع، وسيستمر هذا التوسع في المستقبل، وهذا ما كشفت عنه المشاهدات الفلكية عام ١٩٢٩م. [٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]. زوجية المخلوقات: كل شي في الوجود قد خلقه الله في زوجية واضحة، حتى يبقى ربنا تبارك وتعالى متفردًا بالوحدانية المطلقة، فوق جميع خلقه. والدراسات العلمية تؤكد الزوجية في جميع المخلوقات، من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٣- ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾: أي: أكان أوصى الأول الآخر بالتكذيب؟! ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾: متعدون، طغاة عن أمر ربهم، أي: لم يتواصَوا بذلك، بل جمعهم الطغيان. ٥٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾: أعرض عنهم واتركهم حتى يأتيك أمر الله فيهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾: لا يلومك ربك على تفريطٍ كان منك في الإنذار، فقد بلَّغت وأنذرت. ٥٦- ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾: ليقرُّوا بالعبودية طوعاً وكَرهاً. ٥٧- ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾: يرزقونه خلقي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾: قيل: أن يطعموا أنفسهم، أو يطعموا أحداً من خلقي. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق عيال الله. ٥٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: المتكفل بأقواتهم ﴿ٱلۡمَتِينُ﴾: الشديد. ٥٩ ﴿ذَنُوبٗا﴾: عنى به في هذا الموضع: حظاً ونصيباً، و«الذنوب»: الدلو العظيمة إذا مُلئت أو قاربت الملء ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾: مثل نصيب من كان على منهاجهم من الأمم قبلهم، من العذاب، فلا يستعجلونه.

سُورَةُ الطُّورِ

١- ﴿وَٱلطُّورِ﴾: والجبل الذي يُدعى الطور، وقيل: هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى. ٢، ٣- ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾: مكتوب ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾: في صحيفة. ٤- ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾: الذي يعمر بكثرة غاشيته، أي من يدخله ويتعبد فيه، قيل: المراد الكعبة، وقيل: إنه بيت في السماء بحيال الكعبة من الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً. ٥- ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾: يعني: السماء، سماها سقفاً لكونها كالسقف للأرض. ٦- ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾: المملوء المجموع ماؤه وقيل: البحر المسجور: الموقد المحمي. ٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾: كائن يوم القيامة لا محالة لمن يستحقه. ٩- ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا﴾: المور: الاضطراب والحركة. ١٠- ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾: عن أماكنها، فتصير هباءً منبثاً. ١٢- ﴿فِي خَوۡضٖ﴾: في فتنة واختلاط ﴿يَلۡعَبُونَ﴾: غافلون، لا يذكرون حساباً، ولا يخافون عقاباً ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ﴾: يُدفعون بإرهاق وإزعاج.

[٥٤] قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ أخرج ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا، فنزلت: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فطابت أنفسنا. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ الآية، اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾.

= اليم وهو مُليم، فقد غرق هو وقومه ولم يبق منهم من يلومه على قبيح فعله، وتكذيبه لنبي الله موسى عليه السلام. ويونس -عليه السلام- حين التقمه الحوت ما وُجد معه مَنْ يلومه. أمثلة: مَلُومٌ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. مُليم: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٢]. ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الذاريات: ٤٠]. [٥٦] ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. لماذا قدم الجن على الإنس بسورة الذاريات؟ الجواب: خلق الجن قبل خلق الإنس، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، فذكر الجن أولًا ثم ذكر الإنس بعدهم. [٤] ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور: ٤]. قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾، وهذا البيت هو كعبة أهل السماء، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل. [٢٢] ﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ [مريم: ٧٩]، ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢]. ما الفرق بين: "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمَدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشَّرِّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمَدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ قرئ: (واتَّبعتْهم) بوصل الهمزة وتشديد التاء وفتح العين بعدها تاء فوقية ساكنة وقرئت: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ بالتوحيد وضم التاء رفعًا على الفاعلية، أو (ذرياتهم) بالجمع وكسر التاء نصبًا على المفعولية. وقرئ: بالتوحيد في "ذريتهم" مع نصب التاء مفعولًا أيضًا. وقرئ: واتبعتهم كذلك وذرياتهم كلاهما بالجمع مع رفع الأول على مَا مَرَّ (ذرياتُهم) ونصب الثاني بالكسر مفعولًا ثانيًا كما مَرَّ. وقرئ: (وأَتبعْناهم) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان التاء والعين ونون فألف، بعدها ذرياتهم بالجمع فيهما مع كسر التاء نصبًا على المفعولية كما مَرَّ. قوله تعالى: ﴿أَلَتۡنَٰهُم﴾ قرئ: (أَلِتناهم) بكسر اللام من ألت يألت، كعلم يعلم. وقرئ: (لتناهم) بإسقاط الهمزة، واللفظ بلام مكسورة كـ "بعناهم" يقال: لاته يليته، كباعه يبيعه. وقرئ: (آلتناهم) بإثباتها مع فتح اللام، وكلها لغات ثابتة بمعنى: نقص. [٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ قرئ: (أَنه) بفتح الهمزة على التعليل، أي: لأنه هو. وقرئ: (إِنه) بالكسر على الاستئناف والابتداء، و"أن" حرف للتأكيد من الفتح لأن الكسر فيه معنى الإلزام أنه بَرٌّ رحيم على كل حال بالمؤمنين، والفتح فيه معنى فعل شيء لأجل شيء آخر، لأن دعاءهم إياه كان لأنه بَرٌّ رحيم بالمؤمنين.

[٦] ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور: ٦]. اشتعال قاع البحر: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن قاع البحر يشتعل بالنيران، وكلمة "الْمَسْجُورِ" تفيد الاستمرار. فالبحر لا يزال منذ ملايين السنين يشتعل قاعه بنار تصل حرارتها لآلاف الدرجات المئوية وعلى الرغم من ذلك لا يتبخر الماء ولا تنطفئ النيران. وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [١٣] ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظة (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة الطور: نزلت بعد سورة السجدة، وهي مكيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة الطور: ثلاثمائة واثنتا عشرة. عدد حروف سورة الطور: ألف وخمسمائة. أسماء سورة الطور: سمّيت سورة الطُّور، لمفتتحها. مواضيع سورة الطور: معظم مقصود السّورة: القَسَم على عذاب الكفَّار، والإخبار عن ذلِّهم في العقوبة، ومنازلهم من النار، وطرب أهل الجنة بثواب الله الكريم الغفَّار، وإلزام الحجّة على الكفرة الفجّار، وبشارتهم قبل عقوبة العُقبَى بعذابهم في هذه الدّار، ووصيّة سيّد رُسُل الأبرار بالعبادة والاصطبار.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

١٥- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟: يقال لهم إذا وردوا جهنم: أفسحر هذا اليوم الذي وردتموه الآن؟ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: توبيخاً لا استفهاماً. ١٦- ﴿اصْلَوْهَا﴾: ذوقوا حرَّها. ١٨- ﴿فَاكِهِينَ﴾: عندهم فاكهة كثيرة. نظير قول العرب: رجل تامرٌ: عنده تمر كثير ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: بإعطاء الله إياهم ذلك ﴿وَوَقَاهُمْ﴾: دفع عنهم. ١٩- ﴿هَنِيئًا﴾ الهنيء: ما لا تنغيص فيه، ولا نكد ولا كدر. ٢٠- ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: جمع حوراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة. و«العين» جمع عَيناء، وهي العظيمة العين في حسن وسعة. ٢١- ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم، تكرمةً لآبائهم المؤمنين ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾: لم نظلمهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: فننقصهم من أجور أعمالهم شيئاً فنجعله لأبنائهم، ولكنّا وفّينا أجورَهم، وألحقنا ذرياتهم بدرجاتهم، تفضلاً مِنّا عليهم ﴿بِمَا كَسَبَ﴾: بما عمل من خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾: مُرتهن لا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد. ٢٣- ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾: يتعاطون، ويتعاورون هم وجلساؤهم ﴿كَأْسًا﴾: من الشراب - ولا يقال في فارغ «كأس»- ﴿لَّا لَغْوٌ﴾: لا باطل ﴿فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: ولا فعل فيها يؤثم صاحبه. «والتأثيم» يلحق خمر الدنيا في نفس شربها، وفي الأفعال التي تكون من شُرّابها. ٢٤- ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ﴾: في بياضه وصفائه ﴿مَّكْنُونٌ﴾: مصون في الصدف لم تمسّه الأيدي. ٢٦- ﴿فِي أَهْلِنَا﴾: في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله. ٢٧- ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: تفضل علينا ﴿وَوَقَانَا﴾: دفع عنا ﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾: النار. ٢٩- ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾: فما أنت بإنعام الله تعالى عليك بالوحي والرسالة كاهن ولا مجنون، وكانت العرب قد عهدت ملابسة الجنُّ الإنسَ بهذين الوجهين. ٣٠- ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ﴾: ننتظر ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: أن تكفيناه حوادث الدهر بموت أو حادثة مُتلفة. ٣١- ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: من المنتظرين بكم حتى يأتي أمر الله فيكم.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس: أن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندرة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون، حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء، زهير، والنابغة، فإنما هو كأحدهم، فانزل الله في ذلك ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. ما في سورة الذاريات متَّصل بذكر ما به يصل الإنسان إليها، وهو قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وفي الطُّور متَّصل بما ينال الإنسانُ فيها إذا وَصَل إليها، وهو قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] الآيات. [٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾ [الطور: ٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾. الغلام هو الطار الشارب، وقيل باستصحابه هذا الاسم إلى أن يشيب، والجمع غلمان. وأما الوليد فاسم للمولود حين يولد، وهو فعيل وهي بنيه مبالغة، وفائدتها هنا استحكام الصغر، وجمعه ولدان، وعلى هذا لا يرادف أحد الاسمين الآخر. فإن ورد أحدهما في موضع الآخر فعلى المجاز والتوسع، والأصل ما مهد، وإذا تقرر هذا فوجه ورود الغلمان في سورة الطور والله أعلم مناسبة اللفظ باتساع مواقعه في أحد القولين، وهي استصحاب اسم الغلومية إلى المشيب، أو لاحتياج التوسع فيما يطوفون به ويستخدمون فيه بحسب سنين عمرهم لمن تقدم من صنفي المخدومين وهم الآباء والأبناء في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، فذكر هنا الآباء الداخلين الجنة مجازاة على أعمالهم، والأبناء من الذرية ممن لم يبلغ سن التكليف فدخل الجنة بغير عمل، فناسب الاتساع. وأما آية الواقعة فلم يقع فيها ذكر الأتباع فناسب ذلك ذكر الولدان الذين لا تحتمل أعمارهم مثل خدمة الغلمان، فناسب الاقتصار الاقتصار، والتوسع التوسع، ووضح أن العكس لا يناسب، والله أعلم. ووصَفَ الولدان بقوله: "مُخَلَّدُونَ" إعلامًا بأنهم باقون على مقتضى سن الوليدية لا تتغير أحوالهم عن ذلك، وإلا فالخلود الأخروي عام لهم ولغيرهم. قول آخر: وهو أنه لما ذكرت الذرية في سورة الطور بما كان يوهم ذكرهم من حيث دخولهم الجنة بغير عمل أنهم فيها خدام لمن اتبعوه بيَّن قوله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، أن الكل من تابع ومتبوع مخدومون، وقيل: "لهم" باللام المقتضية الملك مع كون الضمير في لهم للكل من متبوع وتابع إشعارًا بأنهم ملكهم غلمان لهم، يتصرفون في كلٍّ بما يؤمرون به وينهون عنه، ولما لم يقع في سورة الواقعة وسورة الإنسان ذكر الأتباع من الذرية لم يرد فيهما إلا اسم الولدان، وهم في الخدمة بمقتضى صغر عمرهم دون الغلمان، وتناسب هذا، والله أعلم. [١٨] ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذِّ المختلفة، ونجَّاهم الله من عذاب النار. [١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩، المرسلات: ٤٤]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الطور والمرسلات، وهي تبين نعيم المؤمنين في الجنة حين يقال لهم: كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا. [٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والطور، وآية الصافات في حق الكافرين يوم القيامة، وأنه يقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون في هذا اليوم، وآية الطور في حق أهل الجنة، وأنهم يسألون بعضهم بعضًا عن عظيم ما هم فيه وسببه.

[٢٣] ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]. ما الفرق بين: "إثم وآثام وتأثيم"؟ الجواب: الإثم: هو مصدر الفعل (أَثِمَ) وهو ناتج الفعل الخطأ الذي يُعاقب عليه مرتكبه. والآثام: هو الإثم المضاعف، وتأثيم: مصدرُ الفعل الرباعي المشدَّد (أثَّم)، ومعناه: سبَّب له الإثم. [٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]. قال تعالى في وصف خدم الجنة: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾، قيل هذا شأن الخادم، فما شأن المخدوم؟! [٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٤]. قال بعض السلف: (لأن تصحب أناسًا يخوفونك حتى تدرك الأمن، خير من أن تصحب أناسًا يؤمنونك حتى تدرك المخاوف). [٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

٣٢- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: عقولهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ هو شاعر! إشارة إلى أن هذا قول لا عقل فيه. ٣٣- ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾: اختلق القرآن، وافتعله من قبل نفسه! ﴿بَل﴾: هم ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي إنه لم يحملهم على كل هذه التناقضات إلا الكفر وعدم التصديق بالحق الذي جاءهم. ٣٤- ﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾: أي مثل القرآن في نظمه وحُسن بيانه. ٣٥، ٣٧- ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾: من غير آباء ولا أمهات، وقيل: أخلقوا على هذه الصنعة المحكمة من غير خالق لهم؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾: الجبارون المتسلطون. ٣٨- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: يرتقون فيه إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من أمر الله أن الذي هم عليه حق ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجة على حقيقة قوله وصدقه. ٤٠- ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: من ثقل ما حَمَّلتهم من المغرم ﴿مُّثْقَلُونَ﴾: لا يقدرون على إجابتك؛ أي: هل سألت هؤلاء القوم أجراً فجهدوا فلا يستطيعون الإسلام؟ ٤٢- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: مكراً ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾: الممكور بهم، المجزيُّون بكيدهم. ٤٤، ٤٥- ﴿كِسْفًا﴾: قطعاً ﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بعضه فوق بعض، أي: ولَمَّا انتهوا عن كفرهم! ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يُهلكون، وذلك عند النفخة الأولى. ٤٧- ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: قبل يوم الصعقة، وقيل: عنى بذلك عذاب القبر قبل يوم القيامة. وقيل: ما أصاب كفّار قريش من المصائب في أنفسهم وأموالهم. ٤٨- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: امض لأمره ونهيه ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: نراك ونرى عملك، ونحوطك ونحفظك، فلا يَصِلُ من أرادك بسوء ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: من نومك نوم القائلة، وعنى صلاة الظهر. وقيل: المعنى: سبّح الله حين تقوم من كل مجلس. ٤٩- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: قيل: عند صلاة المغرب والعشاء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: صلاة الصبح حين تُدبر النجوم للأفل عند إقبال النهار.

[٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص : ٩]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ [الطور : ٣٧]. أم هم يملكون خزائن فضل ربك العزيز في سلطانه، الوهاب ما يشاء من رزقه وفضله لمن يشاء من خلقه؟ فهذا ما دلت عليه آية ص، أما آية الطور: أم عندهم خزائن ربك يتصرفون فيها، أم هم الجبارون المتسلطون على خلق الله بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الضعفاء. [٤٠-٤١] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور : ٤٠-٤١، القلم : ٤٦-٤٧]. تكررت هذه الآيات بسورتي الطور والقلم، وهي تخاطب النبي ﷺ وتقول له: أتسأل أيها الرسول هؤلاء المشركين أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك، فإنه لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله. [٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور : ٤٥] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾. فدع أيها الرسول هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهْلكون، وهو يوم القيامة، فهذا ما دلت عليه آية الطور، وأما باقي المواضع: فدع أيها الرسول هؤلاء المشركين يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب. [٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان : ٤١]، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور : ٤٦]. يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئًا، ولا ينصر بعضهم بعضًا، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية الطور: =

= [الطور: ٢٨]. الدعاء من أرجى الأعمال عند الله، قال تعالى بعد ذكر أنه وقاهم عذاب السموم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾. وقد فتح المولى أبواب الرحمة للتائبين والعابدين، وبسط فضله وإحسانه للداعين والمتضرعين، ولهذا لما تبوأ أهل الجنة منازلهم في جنات النعيم قالوا مبينين السبب الذي أوصلهم إلى هذا الخير العميم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾. [٢٩] ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]. وينبغي أن يستلهم هذا المعنى الدعاة إلى الله والمربون والموجهون، فلا يثني عزائمهم نعيق الناعقين ولا تشكيك المبطلين. [٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلي عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه. وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدري؟

[٣٧] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ قرئ: (المسيطرون) بالسين. وقرئ: (المصيطرون) بإشمام الصاد زايًا، وكلها لغات، والأصل: السين كما سبق. [٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ هنا والزخرف: ٨٣، المعارج: ٤٢، قرئ: (يَلْقَوا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف مضارع «لقي» الثلاثي. وقرئ: (يُلاقُوا) بضم الياء وفتح اللام وضم القاف على أنه مضارع «لاقى» على وزن «فاعل» من الملاقاة. قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرئ: (يُصعقون) بضم الياء مبنيًا للمفعول إما من صعق ثلاثيًا معدىً بنفسه من قوله: صعقته الصاعقة، أو من أصعق رباعيًا، يقال: أصعقه فهو مصعق، والمعنى أن غيرهم أصعقهم. وقرئ: (يَصعقون) بفتحها مبنيًا للفاعل جعله مستقبل صعق كعلم، والصعق: العذاب، وهو عند النفخة الأولى أو يوم القيامة.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢]. حقيقة طبية: صرح الطبُّ الحديث بأن تناول الفاكهة قبل الوجبة الغذائية له فوائد صحية، لأن الفاكهة تحتوي على سكريات بسيطة سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، وتمتص الأمعاء هذه السكريات في مدة قصيرة (تُقدر بالدقائق) فيرتوي الجسم، وتزول أعراض الجوع ونقص السكر، في حين أن الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام المتنوع يحتاج إلى ما يقارب ثلاث ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في غذائه من سكر، وتبقى عنده أعراض الجوع لفترة أطول. كما أن السكريات البسيطة بالإضافة إلى أنها سهلة الهضم والامتصاص فإنها مصدر الطاقة الأساس لخلايا الجسد المختلفة. ومن هذه الخلايا التي تستفيد استفادةً سريعةً من السكريات البسيطة جدر الأمعاء والزغابات المعوية، حيث تنشط بسرعةٍ عندما تصلها السكريات الموجودة بالفاكهة، وتستعد للقيام بوظيفتها على أتم وجه في امتصاص مختلف أنواع الطعام التي يأكلها الشخص بعد الفاكهة. وربما كانت هذه هي الحكمة من تقديم الفاكهة على اللحم في الآيات القرآنية الكريمة وفي الأحاديث الشريفة. وتأمل من سنة النبي ﷺ في الإفطار: فعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يُصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسَا حسوات من ماءٍ» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني. [٤٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر لفظ (الصيام بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وأيضًا ورد ذكر لفظ (الصبر بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وكذلك ورد ذكر لفظ (الدرجات بمشتقاته) (١٤) مرة في كتاب الله عز وجل. وبذلك =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

سورة النجم

١- ﴿وَالنَّجْمِ﴾: المراد به: الثريّا، وهو اسم غلب عليها، وقيل: أراد به جنس النجوم. ٢- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾: ما حاد محمد صاحبكم عن الحق، ولا زال عن الاستقامة. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: ولا صار غوياً، ولكنه رشيد. ٣- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾: ما ينطق بهذا القرآن عن هوى نفسه. ٥، ٦- ﴿عَلَّمَهُ﴾: علّم محمداً هذا القرآن جبريل، وعنى بقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: شديد الأسباب. و«القوى» جمع قوة ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو منظر حسن: وقيل: ذو قوة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: أي: ارتفع واعتدل. والمعنى: أن جبريل عليه السلام استقام على صورته التي جُعل عليها، دون الصورة التي كان يتمثل بها كلّما هبط بالوحي. وذلك أن رسول الله أحب أن يراه في صورته التي يكون فيها في وسط السماء. فاستوى له وقد سَدَّ الأفق. ٧- ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾: الأفق: ناحية السماء. والمعنى: فاستوى عالياً. ٨- ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريل من محمد ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: إليه أي قَرُبَ وزاد في القُرب. ٩- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: على قدر قوسين ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: أي أقرب من ذلك. ١٠- ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾: أوحى الله إليه ما شاء، أي أوحى الله تعالى بواسطة جبريل، وهو على هذه الصورة، إلى عبده محمد ما أوحى، وفيه تفخيم للوحي الذي أُوحِيَ إليه. ١١- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أن ما رآه حق. ١٢- ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: أفتجادلونه؟ ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾: على ما رأى من آيات الله. ١٣، ١٤- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: رأى محمد جبريل: مرة أخرى، وذلك ليلة المعراج ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾: السدرة: شجرة النبق، وسميت «سدرة المنتهى» بذلك لأنه إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم أحد ما وراءها. ١٦- ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾: قيل: غشيها نور الله عز وجل، وفي قوله تعالى: ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾: تعظيم وتكثير وتفخيم لما يغشاها من أمر الله. ١٧- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾: ما مال بصر محمد عما رأى ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: ولا جاوز ما أمر به فطغى، وارتفع عن الحد الذي حُدَّ له. ١٩، ٢٠- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾: يخاطب المشركين، يقول عز وجل: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى، ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾: بنات الله؟!! ٢٢- ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: عوجاء، لأنهم جعلوا لربهم ما لا يرضونه لأنفسهم. ٢٤- ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾: أي ليس له ما تمنى، والمراد: طمعهم في شفاعة آلهتهم.

= وفي ذلك اليوم لا يَدْفع عنهم كيدهم من عذاب الله شيئًا، ولا ينصرهم ناصر من عذاب الله. [٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق : ٤٠]، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور : ٤٩]. ما الفرق بين "إدبار" و"أدبار"؟ الجواب: الأدبار جمع دُبر بمعنى خلف، كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة، أي: بعد انقضائها، وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال : ١٦]، أما الإدبار، فهو مصدر فعل أدبر، مثل أقبل إقبال، والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تدبر، أي: تغرُب عكس إقبال. [٢٣] ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [النجم : ٢٣]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم : ٢٨]. الآية الأولى بعد ذكر آلهتهم وتسميتها "آلهة" فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [النجم : ٢٣] بهواكم من غير دليل، والآية الثانية في تسمية الملائكة تسمية الأنثى، وإن الظن في أن الملائكة إناث لا يغني من الحق شيئًا، ولا يفيد قاصد علم، والله أعلم.

[١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ قوله تعالى: ﴿كَذَبَ﴾ قرئ: (كذَّب) بتشديد الذال، أي: ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم، و"ما" موصولة مفعول به، والعائد محذوف جعل الفعل متعديًا بنقله إلى التشديد، فتعدى إلى "ما" بغير تقدير حذف حَرْفَيْه، والتقدير: ما كذب فؤاده لما رأت عيناه، بل صدقه. وقرئ: (كذَب) بتخفيفها على جعله لازمًا معدىً بفي، و"ما" الأولى نافية، والثانية مصدرية، أو موصولة منصوبة بالفعل بعد إسقاط الجر، وقيل: متعد لواحد، أي: صدق قلب محمد صلى الله عليه وسلم. [١٢] ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ قرئ: (أفتَمْرونه) بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف من مريته إذا علمته وجحدته، وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة. وقرئ: (أفتُمَارونه) بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها من ماراه يماريه مراءً، أي: جادله، والمعنى: أفتجادلونه فيما علمه ورآه، كما قال: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ وقد تواترت الأخبار بمجادلة قريش النبي ﷺ في أمر "الإسراء" لأن من جادل في إبطال شيء فقد جحده. [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّاتَ﴾ قرئ: (اللاتّ) بتشديد التاء مع المد للساكنين، وجاء في "الدر" بأنه اسم فاعل في الأصل. وقرئ: (اللاتَ) بتخفيفها اسم صنم لثقيف بالطائف. [٢٠] ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ﴾ قرئ: (ومناءة) بهمزة مفتوحة بعد الألف فيمد مدًا متصلًا. وقرئ: (ومناة) بغير همزة وهما لغتان، وقيل: الأولى من النوء، وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركًا بها، فوزنها حينئذ مفاعلة، وألفها منقلبة عن واو وهمزتها أصلية، وميمها زائدة، والثانية: مشتقة من مَنى يَمْنَى، صَبَّ يَصُبُّ دماء النحائر عندها، وهي صخرة على ساحل البحر تعبدها هذيل وخذاعة. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿ضِيزَىٰ﴾ تقدم الكلام على همز "ضيزى" في بابه، حيث همزه البعض وتركه الآخر، والهمز وعدمه لغتان: فضأزه، أي: ظلمه؛ وضازه أي: نقصه.

= يتساوى عدد مرات ذكر (الصيام بمشتقاته) و(الصبر بمشتقاته) و(الدرجات بمشتقاتها)، وقد ورد كلٍّ (١٤) مرة في كتاب الله تعالى.

[١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم : ١]. موت النجوم: يقول العلماء في اكتشاف جديد من نوعه إنهم اكتشفوا نجمًا وقد تهاوى على نفسه وانفجر بشكل مروع. إنه نجم عملاق يبلغ وزنه ١٥٠ ضعف وزن الشمس، وقد بث كمية هائلة من الضوء لم يشهدها التاريخ من قبل، وقد سبق القرآن الكريم بذكر هذه الحقيقة.

[١١] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ إعجاز عددي: وردت كلمة الألباب (١٦) مرة في كتاب الله،، كما وردت كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) (١٦) مرة أيضًا في كتاب الله. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (كلمة الألباب) مع عدد مرات ذكر كلمة (الأفئدة بمشتقاتها) وكلٍّ ورد (١٦) مرة في كتاب الله تعالى.

نزول سورة النجم: نزلت بعد سورة الإخلاص، وهي مكّيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة النجم: ثلاثمائة وستون. عدد حروف سورة النجم: ألف وأربعمائة وخمسون. أسماء سورة النجم: سمّيت النجم؛ لمفتتحها. مواضيع سورة النجم: معظم مقصود السورة: القَسَم بالوحي، وهداية المصطفى ﷺ وبيان معراج الكرامة، وذكر قبيح أقوال الكفار، وعقيدتهم في حَقِّ الملائكة والأصنام، ومدح مجتنبي الكبائر، والشكوى من المعرضين عن الصَّدَقة، وبيان جزاءِ الأعمال في القيامة، وإقامة =

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٢٧- ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾: لأنهم يقولون: الملائكة بنات الله! ويصفون الملائكة بأوصاف الأنوثة. ٢٨- ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أي: ما يتبعون في هذه المقالة إلى مجرّد الظن والتوهم، وليس لهم في ذلك حجة ولا برهان. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: قيل: الحق هنا: العلم. والمراد: أن الغيبيات والمعتقدات لا تنفع فيها الظنون. ٢٩- ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: عن اتباع القرآن فلم يرضه حكماً ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي أنه لا يصدّق بغيرها، وسعيه وعمله إنما هو لدنياه. ٣٠- ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: اي إن قصْر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم، ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين والعاقبة. ٣٢- ﴿كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: الشرك بالله، وسائر السبع الموبقات. أو التي توعد الله عليها بالنار. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الزنا وما أشبهه مما أوجب فيه حداً ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: قيل: أن يُلمَّ بالذنب ثم ينزع عنه ويتوب. وقيل: اللمم: ما قَلَّ وصَغُر، والمراد: الصغائر من الذنوب. ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أحدثكم منها بخلق أبيكم آدم ﴿أَجِنَّةٌ﴾: حَمْل لم تولدوا ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لا تبرئوها من الآثام، وتثنوا عليها. ٣٣- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؟: أدبر عن الإيمان وأعرض. ٣٤- ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: من ماله صاحبه ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: عاسره، وقيل: قطع عطاءه. ٣٨- ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾: نفس حاملة ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: إثم حاملة أخرى، بل كل نفس إثمها عليها. وذكر الله تعالى أن هذا في صحف إبراهيم وموسى. ٣٩- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: لا يُجازى عامل إلا بعمله. ٤٠- ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾: أي يُعرض عليه ويكشف له يوم القيامة. ٤٢- ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: انتهاء جميع خلقه ومرجعهم، إليه سبحانه، لا إلى غيره، فيجازيهم بأعمالهم: ٤٣- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾: أهل الجنة بدخولهم إياها ﴿وَأَبْكَىٰ﴾: أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا، وأبكى من شاء أن يبكيه.

[٣٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أخرج الواحدي، والطبراني، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحرث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول: إذا هلك لهم صبي صغير هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد»، فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. [٣٣ - ٤١] قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه، فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئًا فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ الآيات. وأخرج عن دراج أبي السميع قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزينًا، فمر برجل رحاله منيخة بين يديه، فشكا إليه فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك فقال: نعم فركب، فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقيه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئًا وأنا أحمل كل عذاب كان عليك، فأعطاه شيئًا فقال: زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئًا وكتب كتابًا، وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾.

[٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى : ٣٧]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ...﴾ [النجم : ٣٢]. والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على مَن أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلبًا لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق، فهذا ما دلت عليه آية الشورى، أما آية النجم: والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة...

[٢٧] ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» عدد (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨ مرة). [٢٩] ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا. [٣٦] ﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، صالح (ناقة الله): ١٦، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي ومشتقاتها، والبشير ومشتقاتها، ونذير ومشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا، إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم. [٤٤] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكلٌّ منهما ورد (١٤٥) مرة.

- أنواع الحجّة على وجود الصّانع، والإشارة إلى أحوال مَن أُهلِكوا من القرون الماضية، والتخويف بسرعة مجيء القيامة، والأمر بالخضوع والانقياد لأمر الحقّ تعالى.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٤٦- ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: تخرج وتُصَب. وقيل: تُخلق وتُقدَّر. ٤٧- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: إعادتهم أحياء كما كانوا قبل مماتهم. ٤٨- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: من المال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أي أفقر. ٤٩- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: وهو كوكب خلف الجوزاء، وكان بعض أهل الجاهلية يعبده. ٥٠- ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: عاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: هي ثمود. ٥١- ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾: لم يبقها الله تعالى على طغيانها، ولكنه عاقبها وأهلكها كذلك. ٥٢- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ﴾: أعظم كفراً بربهم ﴿وَأَطْغَىٰ﴾: أشد تمرداً؛ أي: وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود. ٥٣- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾: الائتفاك: الانقلاب، يقول عز وجل: والمخسوف بها المقلوب أعلاها أسفلها - وهي قرية قوم لوط - أهوى، فأمر الله جبريل فرفعها، ثم أهواها، ثم أتبعها الحجارة. ٥٤- ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾: أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليها. ٥٥- ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾: نعمائه التي أنعمها عليك يا ابن آدم ﴿تَتَمَارَىٰ﴾: ترتاب وتشك وتُجادل؟ وقيل: المراد بالآلاء: الدلائل والفعال العجيبة وما فيها من العبر والمواعظ. ٥٦- ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾: هذا الذي أخبرنا به عن أخبار الأمم تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بها ما نزل بأولئك. ٥٧- ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾: دنت الدانية، يعني: القيامة القريبة منكم. ٥٨- ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها وكشفها، دون غيره، لأنه لم يُطلع عليها ملكاً ولا نبياً. ٥٩- ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: يعني: القرآن، أي كيف تعجبون منه تكذيباً. أو تعجبون أن نزل على محمد ﷺ. ٦١- ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: لاهون عما فيه.

سُورَةُ القَمَرِ

١- ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: انفلق، وكان ذلك على عهد رسول الله ﷺ بمكة قبل هجرته إلى المدينة.
٢- ﴿ءَايَةً﴾: حجة على صدق قوله. ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائم مطرد، وقيل: قوي شديد.
٣- ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾: كل شيء إلى غاية. ٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾: يعني مشركي قريش ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: من أخبار الأمم المكذبة قبلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ما يزجرهم ويردعهم عما هم فيه من التكذيب. ٥- ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: يعني، القرآن حكمة بلغت الغاية، ليس فيها نقص ولا خلل. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾: فليست تغني عنهم النذر. وقيل: أي شيء تغني النذر؟ ٦- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عنهم ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾: موقف القيامة.

[٦١] قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين فنزلت ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾. سورة النجم [٦١]. [١] قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقًا شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، فقالوا: سحر القمر، فنزل: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾. وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. [٥٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥]. أي تشك، والخطاب فيه للوليد بن المغيرة. فإن قيل: كيف قال تعالى ذلك بعد تعديد النقم، والآلاء: النعم؟ فالجواب: قد تقدم أيضًا تعديد النعم، مع أنَّ النعمة في طيها نقمة لِما تضمنته من المواعظ والزواجر، والمعنى فبأي نِعم ربك الدالة على وحدانيته تشك يا وليد بن المغيرة؟ [٧] ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]. ما الفرق بين: "خاشعة وخُشَّعًا"؟ الجواب: خاشعة: اسم فاعل. خُشَّعًا: جمع اسم الفاعل. وردت صيغة (خاشعة) مع (أبصار) مرتين في القرآن، قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]، ووردت صيغة (خُشَّعًا) مع كلمة (أبصار) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. لعل الفرق بين الجمع (خشَّعًا) والمفرد (خاشعة) يرجع إلى علتين: ١- (خُشَّعًا) وردت بعدها: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، فقد شبَّه عدد الناس يوم القيامة بعدد الجراد كثرة، فكانت كثرةُ الجراد تتطلب كثرة في الصفة الدالة على حال الناس يوم القيامة عن طريق الجمع، أما الصيغة المفردة فلم يرد معها ما يُوحي بالتكثير. ٢- السورة التي وردت فيها صيغة الجمع (خُشَّعًا) بُنيت على الجمع من مطلعها، كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢]. فقد جاء الضمير في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ دالًا على الجمع، دون أن يسبقه اسم مظهر للجمع، بما يُوحي أن الجمع أصلٌ في هذه السورة يقوم عليه بناؤها، فناسب ذلك صيغة الجمع (خُشَّعًا).

[٣] ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قوله تعالى: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ قرئ: (مستقرٍ) بخفض الراء على أنه صفة «الأمر» وخبر «كل» محذوف، تقديره: «بالغوه». والمعنى: وكل أمر من الأمور منتهٍ إلى غاية، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل الشر. وقرئ: (مستقرٌ) برفع الراء على أنه خبر «كل». [٧] ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ قرئ: (خَاشِعًا) على وزن فاعل (موحدًا)؛ لأنه لما رأى اسم الفاعل قد رفع فاعلًا بعده وهو ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أجراه مجرى الفعل المتقدم على فاعله، فوحده كما يوحد الفعل، ولم تلحقه علامة تأنيث الجمع؛ لأن التأنيث فيه ليس حقيقيًا. وقرئ: (خُشَّعًا أبصارهم) وحجته: أنه فرق بالاسم الرافع لما بعده وبين الفعل، فجمع مع الاسم، ووحد مع الفعل للفرق، وحسن فيه الجمع؛ لأن الجمع يدل على التأنيث فصار فيه دلالته على التأنيث بمنزلة قولك: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾. [١] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. انشقاق القمر: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن القمر قد انشق ... وقد حدث بالفعل أن القمر قد انشق أيام الرسول ﷺ، عندما طلب منه بعض المشركين أن ينشق القمر؛ لكي يكون ذلك دليلًا على أنه رسول من عند الله، وهذا ما كشف عنه علماء الفلك في القرن العشرين، أن القمر قد انشق في يوم من الأيام. نزول سورة القمر: نزلت بعد سورة الطارق، وهي مكيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة القمر: ثلاثمائة واثنتان وأربعون. عدد حروف سورة القمر: ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون. أسماء سورة القمر: وسمِّيت سورة القمر؛ لاشتمالها على ذكر انشقاق القمر. مواضيع سورة القمر: معظم مقصود السّورة: تخويف بهجوم القيامة، والشكوى من عبادة أهل الضّلالة، وذلّهم في وقت البعث وقيام السّاعة، وخبر الطُّوفان، وهلاك الأمم المختلفة، وحديث قوم عاد ونكبتهم بالنكباءِ، وقصة ناقة صالح، وإهلاك جبريل قومه بالصيحة، وحديث قوم لوط، وتماديهم في المعصية، وحديث فرعون، وتعدّيه في الجهالة، وتقرير القضاءِ والقدر، وإظهار علامات القيامة، وبروز المتقين في الجنة في مقعد صدق، ومقام القُرْبة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

٧- ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾: خاضعة ذليلة. ٨- ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: مسرعين بنظرهم قِبَل داعيهم ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صعب شديد، من شدة أهواله. ٩- ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: زجروه وأوعدوه عن تبليغ ما أرسل به. ١٣- ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾: على سفينة ذات ألواح ﴿وَدُسُرٍ﴾: مسامير، وهي التي تُدسر بها السفينة، أي تضرب فيها وتُشد بها. ١٤- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾: بأمرنا، أو: بمرأى منا وحفظ لها ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾: أي: عوقبوا بكفرهم بالله. وقيل: جزاءً لنوح، كأنه قيل: غرّقناهم لنوح ولصنيعهم به. ١٥- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾: أي السفينة، عبرة وعظةً لمن بعد نوح ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: من ذي تذكّر يتذكر. ١٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾: للكافرين من قوم نوح ﴿وَنُذُرِ﴾: إنذاري؟ ١٧- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: سهلناه بالتبيين والتفصيل ﴿لِلذِّكْرِ﴾: لمن أراد أن يتذكر أو يعتبر به. وقيل: الذِّكر: الحفظ عن ظهر قلب. ولم يُستظهر من كتب الله تعالى سوى القرآن الكريم. وقال ابن عطية: يُسِّر القرآن بما فيه من حُسن النظم وشرف المعنى. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ فاهم متّعظ ومعتبر. ١٩- ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة عَصوفاً ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾: في يوم شر وشُؤم لهم، استمر عليهم بنحوسه، وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم. ٢٠- ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تقتلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتندق رقابهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾: كأنهم أصول نخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾: منقطع من أصوله. والنخل تُذكّر وتؤنث. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]. ٢٤- ﴿وَسُعُرٍ﴾: أي عناء وعذاب. وقيل: هو جمع سعير، وهو لهب النار. ٢٥- ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾: الأشر: الذي لا يبالي ما قال. وقيل: الأشَر: البَطَر والتكبّر.

[١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [تكررت بالقمر ثلاث مرات آية كاملة]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص آية كاملة في سورة القمر، يقول فيها ربنا: فكيف كان عذابي ونذري لمن كفر بي وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به؟ إنه كان عظيمًا مؤلمًا. [١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [تكررت بالقمر أربع مرات]. تكررت هذه الآية أربع مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورة القمر، يقول فيها ربنا: ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟ [١٨] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر : ١٨، ٢١]. تكرر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ في قصة عاد مرتين، ولم يقع في قصة قوم نوح وقصة ثمود بعد إلا مرة واحدة، فما وجه تكرار ذلك في قصة عاد مرتين؟ الجواب: عن ذلك والله أعلم: أن عادًا لما كذبوا هودًا، عليه السلام، امتحنوا بالقحط ثلاث سنين، واشتد الأمر عليهم حتى بعثوا وجهاءهم إلى مكة ليستسقوا لهم، وقد اشتد الأمر عليهم، وهذا أشد تخويف لو وفقوا للتذكر، وقد خُوِّف بذلك آل فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٠]، فخوفت بذلك عاد، فلما لم يجد ذلك معهم مع أليم امتحانهم به أهلكوا بالريح العقيم، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، فامتحنوا بعذابين، وإنما كان أخذ قوم نوح قبلهم وهلاكهم بالطوفان، ولم يُعرف من الكتاب العزيز أنه تقدمهم قبله أخذ بغيره من ضروب العذاب التي أهلك بها غيرهم، وكذلك ثمود أخذوا بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والحجارة، وإنما تكرر الامتحان بعد عاد على آل فرعون فأخذوا بضروب من العذاب والامتحان إلى أن أغرق الله آخرهم مع فرعون، وممن أشار الكتاب العزيز إلى تنوع أخذهم قوم شعيب، ولم يقع ذكرهم في هذه السورة، فلما أخذت عاد بالسنين ثم استؤصلوا بالريح العقيم ورد متكررًا، فأشار قوله أولًا: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ إلى ما قدم لهم من منع المطر وشدة السنين عليهم وما أنذروا به من ذلك، وأشار قوله ثانيًا: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ إلى استئصالهم بالريح العقيم، ويجري مع ذكره، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف : ٧١]، والرجس هنا العذاب ومنه، أخذهم بالسنين، وأما الريح العقيم فمن غضبه سبحانه إلى ما يلحقهم منه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود : ٦٠]، فتكرر قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ مرتين مشيرًا إلى ما قدم لهم مما باشروه وشاهدوه من العذاب بالسنين وقطعه دابرهم واستئصالهم.

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر : ٩]. ما فائدة إعادة التكذيب فيه؟ الجواب: فائدته حكاية الواقع، وهو أنهم كذبوا تكذيبًا بعد تكذيب، أو الأول: تكذيبهم بالتوحيد، والثاني: بالرسالة، أو الأول: تكذيبهم بالله، والثاني: برسوله ﷺ. [٢٤] ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة : ١٦]، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل : ٢] ما الفرق بين: "ضلال، ضلالة، تضليل"؟ الجواب: وردت كلمة (ضلال) سبعًا وثلاثين مرة. وكلمة (ضلالة) سبع مرات. وكلمة (تضليل) مرة واحدة. كلمتا (ضلال) و(ضلالة) من الفعل الثلاثي (ضلَّ يضلُّ ضلالًا وضلالة). أما كلمة (تضليل) فهي من الفعل الرباعي (ضلَّل يضلِّل تضليلًا). والضلال والضلالة: ضد الرشاد. وتضليل الرجل: أن تنسبه إلى الضلال. كلمة (الضلال) وردت نكرة ثلاثًا وثلاثين مرة، ووردت معرفة أربع مرات فقط. بينما وردت كلمة (ضلالة) معرفة في ست مرات، ووردت نكرة مرة واحدة؛ لأن السياق والمعنى يقتضيان ذلك. حيث قال نوح لقومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف : ٦١]، لينفي عنه أي نوع من أنواع الضلالات، فالنكرة تفيد العموم والشمول. جاءت كلمة (ضلال) موصوفة بكلمة (مبين) أو (بعيد) أو (كبير) في ثلاثين مرة، وجاءت عارية عن مثل هذا الوصف في سبع مرات. بينما لم توصف كلمة (ضلالة) في أي مرة بمثل الوصف السابق. جاءت كلمة (ضلال) مسبوقة بحرف جر (إلى) في ثمانٍ وعشرين مرة، وعُريت من إضافة (إلى) في تسعة مواضع، أما كلمة (ضلالة) فلم

[١١] ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ هنا و"الأنعام : ٤٤، الأعراف : ٩٦، الأنبياء : ٩٦". قرئ: (فتَّحنا) بتشديد التاء في الأربعة للتكثير. وقرئ: (فتَحنا) بتخفيف التاء على الأصل من فتح الثلاثي. [١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

[٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٢- ذكر لفظ (الزرع بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٣- ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة، ٤- ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته) في القرآن (١٤) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر لفظ (الحرث بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الزرع ومشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (الفاكهة بمشتقاته)، مع عدد مرات ذكر لفظ (العطاء بمشتقاته)، وقد ورد كلٌّ (١٤) مرة في كتاب الله.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)

٢٨- ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: اخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: وذلك أن الناقة كانت ترد الماء يوماً، وتُغِبُّ يوماً، اي لا تشرب في اليوم التالي ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾: كل حظٌ من الماء يوماً، ومن لبن الناقة يوماً «محتضر» أي: كانوا يحضرون الماء إذا غبت . فإذا حضروها عمتهم لبناً. ٢٩- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾: عاقر الناقة، وحضُّوه على عقرها ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾: فتناول الناقة بيده فعقرها. او اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقر. وقيل: إن اسم عاقر الناقة: قُدار بن سالف. ٣١- ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يروى أن جبريل عليه السلام صاحها في طرف من منازلهم، فتفتتوا وهمدوا، وصاروا كهشيم المحتظر. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ﴾: كَيِس الشجر ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾: صاحب الحظيرة؛ يقال: احتظر على غنمه: إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض. ٣٤- ﴿حَاصِبًا﴾: حجارة حصبهم اي رماهم بها. ﴿بِسَحَرٍ﴾: السحر: آخر الليل. ٣٦- ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾: حذَّرهم عقابنا ﴿فَتَمَارَوْا﴾:شكُّوا في الإنذار ولم يصدِّقوا. ٣٧- ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾: صيَّرها ممسوحة لا يُرى لها شِقّ، فلم يروا الرسل، ورجعوا عنهم. وقيل: اذهب الله نور ابصارهم مع بقاء الأعين على صورتها. ٣٨- ﴿بُكْرَةً﴾: عند طلوع الفجر ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: استقر بهم إلى نار جهنم. ٤٣- ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ﴾: من عذاب الله معشر قريش أن يصيبكم بكفركم ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ في كتب الله. ٤٥- ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾: جمع كفار قريش ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: وكان ذلك يوم بدر. ٤٦- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: للبعث والعقاب ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾: عليهم من المزيمة التي يُهزمون بها، عند التقائهم مع المؤمنين ببدر. ٤٧- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكفار ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾: في حيرة وفقد هُدى في الدنيا، وفي احتراق وتسعّر في الآخرة. ٤٨- ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: قاسوا حَرَّ جهنم وشدَّة عذابها.

[٤٥] قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يوم بدر نحن جميع منتصر، فنزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. [٤٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أخرج مسلم، والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

= بالريح العقيم، وجاريًا مع هذا التنويع من امتحانهم في الدنيا والآخرة. ولما لم يذكر من حال قوم نوح وقوم صالح وقوم لوط مثل هذا التنويع لم يتكرر ما ورد في أعقاب قصصهم من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وتناسب ذلك كله أتم مناسبة. قول آخر: إن سبب تكرار الآية يحتمل وجوهًا: الأول: أن الأول: وعيد لهم بما تقدم لغيرهم من قوم نوح، والثاني: لهم ولغيرهم من بعدهم. الثاني: أن الأول: أريد به عذاب الدنيا، والثاني: أريد به عذاب الآخرة، وعبر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. الثالث: أن الأول: فيه حذف مضاف تقديره: فكيف كان وعيد عذابي، والثاني: أريد به نفس العذاب بعد وقوعه. [٢٥] ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص : ٨]، ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر:٢٥]. قوله تعالى في: ص: "أأنزل"، وفي القمر: "أألقي"؛ لأنّ ما في ص حكاية عن كفار قريش، فناسب التعبير به لوقوعه إنكارًا لما قرأه عليهم النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤]، وما في القمر حكاية عن قوم صالح، وكانت الأنبياء تُلقَى إليهم صحف مكتوبة، فناسب التعبير بـ"أألقي"، وقدّم الجار والمجرور على الذكر، موافقة لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعكس في القمر جريًا على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة على المفعول بواسطة. [٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف:٧٤]، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر :٤٧]. إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكثون، فهذا ما دلت عليه آية الزخرف، أما آية القمر: إن المجرمين في تيه عن الحق وعناء وعذاب.

= تأت مسبوقة بحرف جر إلا مرة واحدة بـ(في) من سبع مرات. كلمة (ضلالة) أخف من كلمة (ضلال). لذا عبر بها نوح عليه السلام حينما نفى عنه ذلك، لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف : ٦٠]، فرد عليهم قائلًا: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف : ٦١]. [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٧]. ما الفرق بين: "اصبروا وصابروا واصطبر"؟ الجواب: وردت كلمة (اصبروا) ست مرات في القرآن الكريم.. ووردت كلمة (صابروا) مرة واحدة فقط. ووردت كلمة: (اصطبر) ثلاث مرات. فما حكمة التنويع بين الصيغ الثلاث؟ الجواب: أن الصبر: هو الدرجة الطبيعية في التحمل. أما المصابرة: فهي درجة أعلى من التحمل تأتي بعد الترويض والمجاهدة. قال أبو السعود: المصابرة درجة أعلى من الصبر يبلغ بها المؤمنون في رياضة النفس ما لا يبلغه غيرهم من الناس. فمن الطبيعي إذًا أن تأتي صيغة (اصبروا) ثم بعدها (صابروا) وليس العكس. أما (اصطبر) فهي على وزن (افتعل) من صبر: أي فعل. وزيادة المبني تدل على زيادة المعنى. فالاصطبار هو درجة أعلى من الصبر. والفرق بين الاصطبار والمصابرة أن الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصرفي وفي صيغتها معاني التحمل، واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر مما تحمله الثانية في وزنها وصيغتها، فالافتعال فيه معنى الشدة، والمفاعلة فيها معنى المطاولة والتتابع والاستمرار. [٢٥] ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾ [هود: ٩٣]، ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥]. ما الفرق بين: "كاذب وكذّاب"؟ الجواب: وردت كلمة (كاذب) أربع مرات، بينما وردت كلمة (كذّاب) خمس مرات. وردت كلمة (كذّاب) وهي من صيغ المبالغة على وزن (فعّال) في المواطن التي اقتضت توكيد صفة الكذب، على العكس من كلمة (كاذب)، وهي اسم فاعل والتي تستخدم في الإخبار- فقط- عن صفة الكذب دونما مبالغة. مثال: قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

[٢٦] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ قرئ: (ستعلمون) بتاء الخطاب على معنى: قل لهم ستعلمون غدًا. وقرئ: (سيعلمون) بياء الغيبة لأن قبله لفظ غيبة وهو: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ وفي القراءتين معنى التهديد والتخويف والتهديد مع المخاطبة.

[٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣-ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في كتاب الله (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٠- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾: أي: إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها ولا تأخير. ٥١- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: من كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر. ٥٢- ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: في كتب الحفظة عليهم. وقيل: في أم الكتاب. ٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأشياء ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مُثبت في الكتاب مكتوب. ٥٥- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: في مجلس حقٍ لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة.

سورة الرحمن

٢-٤- ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾: قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان، إشارة إلى المنهج الذي يصلح له، والذي يجدر به أن يسير عليه، وليعلم الإنسان أنه إنما خلقه للدين، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان، وهو المنطق، فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: أي الكلام، وقيل: المراد به اللغات. ٥- ﴿بِحُسْبَانٍ﴾: بحساب، ومنازل يجريان لها ولا يعدوانها. ٦- ﴿وَالنَّجْمُ﴾: قيل: المراد به نجم السماء. وقيل: النجم: كل ما نجم من نبات الأرض فانبسط عليها، ولم يكن له ساق. ﴿وَالشَّجَرُ﴾: ما قام على ساق. ٧- ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: العدل بين خلقه في الأرض. ٩- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾: أقيموا الميزان بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: لا تنقصوا الوزن. ١٠- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: وطّأها للخلائق. ١١- ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: ذات الليف الذي يكون عليها. وقيل: الكِمّ: وعاء الطَّلْع وغطاء النَّور. ١٢- ﴿وَالْحَبُّ﴾: حب الشعير والبر، وسائر ما يقتات به من الحبوب ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: ذو الورق والتبن. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الحب الذي يُؤكل منه، عنى به الرزق. قيل: وهو اللب. وقيل: إنه الريحان الذي يُشم. ١٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: بأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. وقيل في تفسير «الآلاء»: إنها الدلائل والفعال العجيبة. وقيل: هي القدرة. ١٤- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾: آدم عليه السلام ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: من طين يابس لم يطبخ، فله من يُبسه صلصلة إذا حُرك. ١٥- ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: من لهب النار ولسانه وأحسنه.

[١٣] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [تكررت بالرحمن ٣١ مرة]. تكررت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة: ثمانٍ منها ذُكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعٌ منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها؛ لأنّ من جملة الآلاء دفع البلاء، وتأخير العقاب، وبعد هذه السبع ثمان في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة، وثمان أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين، أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٢]، فمن اعتقد الثماني الأولى، وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيين من الله، ووقاه السبع السابقة. ويُضاف إلى ما سبق ما قيل من أن المقصود بذلك التكرير التنبيه على شكر نعمة الله تعالى، والتوكيد له.

= فجاءت كلمة (كذَّاب) في هذا السياق على لسان الكافرين الذين لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فجاءوا بوصف النبي ﷺ الذي أُرسل إليهم بهذه الصفة مبالغين فيها ومؤكدين لمعناها بصيغة المبالغة (كذَّاب)، وليست (كاذب). كذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٣ – ٢٥]. حيث وصف قوم ثمود نبيهم صالحًا بهذه الصفة البذيئة مبالغين ومؤكدين بصيغة المبالغة (كذَّاب) بدل (كاذب)، وهكذا أتت (كذَّاب) الدالة على المبالغة وشدة التوكيد في كل المواضع القرآنية التي اقتضت ذلك. على العكس من الصيغة الأخرى (كاذب) التي لا تدل إلا على مجرد الإخبار عن هذه الصفة دون توكيد ولا مبالغة. مثال: قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]. [١-٣] ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن : ٣]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥]. لماذا قدم التعليم على الخلق في الرحمن، وقدم الخلق على التعليم في العلق؟ الجواب: سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن ولم يكن القرآن، معهودًا للنبي ﷺ ولا لغيره، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل لما نزل بها: لست بقارئ؛ وسورة الرحمن نزلت بعد معرفة القرآن وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة اقرأ أنسب من القرآن الذي لم يعهده، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه والمنة به في سورة الرحمن أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد. [٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]. ما الفرق بين : "حساب، حُسبان"؟ الجواب: وردت كلمة (حساب) بصورها (معرفة، ونكرة، ومنصوبة، ومجرورة، ومرفوعة) تسعًا وثلاثين مرة. بينما وردت كلمة (حُسبان) (منصوبة ومجرورة) ثلاث مرات. وردت كلمة (حساب) بثلاثة معان، هي: ١- الفصلُ والجزاءُ في أمر الإنسان على ما جاء به من خير وما ارتكبه من شر، كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقوله: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني أن حسابه واقع لا محالة، وأنه لا يَشغله حساب بشر عن حساب آخر. =

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قرئ: (والحبَّ-العصفَ-والريحانَ) بالنصب في الثلاثة على إضمار فعل، أي: أخص، أو خلق، أو عطفًا على الأرض و"ذو" صفة لحب. وقرئ: برفع الأولين، أعني: (والحبُّ-العصفُ) وجر (الريحانِ) عطفًا على العصف. وقرئ: (والحبُّ-العصفُ-والريحانُ) بالرفع في الثلاثة عطفًا على المرفوع قبله، أي: وفيها فاكهة وفيها "الحب" و"ذو" صفته.

نزول سورة الرحمن: نزلت بعد سورة الرعد، وهي مكّيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الرحمن: ثلاثمائة وإحدى وخمسون. عدد حروف سورة الرحمن: ألف وثلاثمائة وستّة وثلاثون. أسماء سورة الرحمن: سمّيت بسورة الرحمن؛ لمفتتحها. مواضيع سورة الرحمن: معظم مقصود السّورة: المِنَّة على الخَلْق بتعليم القرآن، وتلقين البيان، وأمر الخلائق بالعدل في الميزان، والمنَّة عليهم بالعَصْف والرّيحان، وبيان عجائب القدرة في طِينة الإِنسان، وبدائع البحر، وعجائبه: من استخراج اللؤلؤ والمَرْجان، وإِجْرَاءِ الفُلْك على وجه الماءِ أبدع جريان، وفناءِ الخَلْق وبقاءِ الرّحمن، وقضاءِ حاجات المحتاجين، وأن لا نجاة للعبد من الله إلاّ بحجّة وبرهان، وقهره الخلائق في القيامة بلهيب النّار والدُّخان، وسؤال أهل الطاعة والعصيان، وطَوْف الكفار في الجحيم، ودلال المؤمنين في نعيم الجنان. ومكافأة أهل الإحسان بالإحسان، ونشاط المؤمنين بأزواجهم من الحور الحِسان، وتقلبهم ووردهم في رياض الرضوان، على بساط الشاذَرْوان، وخطبة جلال الحقّ على لسان أهل التوحيد والإيمان.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

١٧- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: قيل: هما مشرق الشمس والقمر. و﴿الْمَغْرِبَيْنِ﴾: كذلك. ١٩، ٢٠- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ارسل وخلّى ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: أي يتجاور البحر الملح والبحر العذب لا فصل بينهما في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز وبعد، وكلُّ شيء بين شيئين عند العرب فهو برزخ. ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: لا يختلطان، ولا يُفسد أحدهما صاحبه. قال ابن عطية: وذكر الثعلبي في (مرج البحرين) ألغازاً وأقوالاً باطنة لا يجب أن يلتفت إلى شيء منها. ٢٤- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن الجارية في البحار ﴿الْمُنْشَآتُ﴾: المرفوعات القلاع اللاتي تُقبل بهن وتُدبر ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: كالجبال. ٢٧- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: الوجه: عبارة عن ذاته سبحانه. و«الجلال»: العظمة والكبرياء. ٢٩- ﴿يَسْأَلُهُ﴾: يفزع إليه بمسألة الحاجات. ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا غنى بأحد منهم عنه سبحانه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يعني عز وجل: في شأن خلقه، فيجيب داعياً، ويشفي سقيماً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين. ٣١- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سنحاسبكم، يا معشر الجن والإنس. وهو وعيد من الله عز وجل، ليس بالله شغل. ٣٣- ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾: تجوزوا وتخرجوا من جوانب السموات والأرض ونواحيهما فافعلوا. فإنكم لا تجوزون ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾: أي بقوة وقدرة. وهذا استبعاد لقدرتهم على النفاذ، ولكن لو وقع هذا على سبيل الفرض لأرسل عليكم. ٣٥- ﴿شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾: وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجج من غير دخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾: قيل: هو الدخان. وقيل: هو الصفر المذاب يُصب على رؤوسهم ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾: لا تقدران على الامتناع من عذاب الله. ٣٧- ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: كان لونها أحمر ﴿كَالدِّهَانِ﴾: المعنى: تصير السماء في حمرة الورد، وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من الحرارة، وتصير مثل الدهن لذوبانها. ٣٩- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾: لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يَسأل بعضُهم عن ذنوب بعض.

[١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. لِمَ كرر ذكر الـ"رب" هنا دون سورتي المعارج والمزمل؟ الجواب: كرره هنا تأكيدًا، وخصّ ما هنا بالتأكيد؛ لأنه موضع الامتنان، وتعديد النعم؛ ولأنّ الخطاب فيه مع جنسين: هما الإنس والجن، بخلاف ذينك. [٣٣] ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرحمن: ٣٣]. قدم في الأولى الإنس وقدم في الثانية الجن؛ لأن مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته. والإنس في هذا المجال هم المقدمون، وهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان، فإتيان ذلك من قبلهم أولى، ولذلك كان تقديمهم أولى ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم، أما الآية الثانية فإن الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية، وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في السماء للاستماع، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ﴾ [الجن: ٩]، فلذلك قدم الجن على الإنس؛ لأن النفاذ مما يناسب خواص الجن وماهية أجسامهم أكثر من الإنس. = ٢- الإحصاء والعدُّ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. ٣- نفي المحاسبة، حيث لا عدَّ ولا إحصاء. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ أي يُجري عليه الرزق متدفقًا، وكأنه لا يُعدُّ ولا يُحصى. أما كلمة (حسبان) فلها معنى واحد وهو الحساب الدقيق والمضبوط، كما قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي يجريان بحساب مضبوط ودقيق، وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠]؛ أي شيئًا مدمرًا محسوبًا حسابًا دقيقًا مضبوطًا. وكلمة (حسبان) أبلغ وأكمل (في باب العد والضبط) من كلمة (حساب). [٧-٩] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]. ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]. لماذا كرر لفظ "الميزان" في ختم الآيات الثلاث؟ الجواب: أن ذلك توكيد في إيفاء الحقوق وعدم التطفيف، لفرط الحاجة إليه في المعاملات الجارية بين الناس. [١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. يأتي الله بالشمس من المشرق، ويأذن لها سبحانه أن تغرب من المغرب بعد أن تسجد تحت العرش، ألا وإن مما وصف الله به نفسه وأثنى به على ذاته العلية أنه رب المشرق =

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾ قرئ: (يُخرَج) بضم الياء وفتح الراء مبنيًا للمفعول. وقرئ: (يَخرُج) بفتح الياء وضم الراء مبنيًا للفاعل على المجاز؛ لأنه إذا أخرج فقد خرج. [٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ قرئ: (المنشِئات) بكسر الشين اسم فاعل من أنشأ: أوجد، أي: منشيء الموج أو السير، أي: المنشِئات الموج أو السير على الاتساع، أو من أنشأ: شرع في الفعل، أي: المبتدآت أو الرافعات الشراع. وقرئ: (المنشَآت) بالفتح اسم مفعول، أي: أنشأ الله أو الناس، أي: فعل بها الإنشاء؛ لأنها لم تفعل شيئًا بل غيرها أنشأ. [٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ قرئ: (سيفرغ) بالياء على أنه مسند إلى ضمير اسم الله تعالى المتقدم في قوله ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وقرئ: (سنفرغ) بالنون على أنه مسند للمتكلم العظيم، إخبار من الله جل ذكره عن نفسه، ومعنى الفراغ في الآية: القصد؛ وليس معناه الفراغ من الشغل، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا. [٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ﴾ قرئ: (شِواظ) بكسر الشين. وقرئ: (شُواظ) بضمها وهما لغتان فيها، وهو: اللهب. قوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قرئ: (ونحاسٍ) بخفض السين عطفًا على نار. وقرئ: (ونحاسٌ) برفع السين عطفًا على شواظ. [١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠].

التقاء البحرين: لقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن لكل بحر صفاته الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من البحار كشدة الملوحة ووزن الماء، حتى لونه الذي يتغير من مكان إلى آخر بسبب التفاوت في درجة الحرارة والعمق وعوامل أخرى، والأغرب من هذا اكتشاف الخط الأبيض الدقيق الذي يرتسم نتيجة التقاء مياه بحرين ببعضهما، وهذا تمامًا ما ذكر في الآيتين السابقتين. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية أنها تتحدث عن بحرين متجاورين متداخلين، ويحتفظ كل منهما بخصائصه، وكأن بينهما حاجزًا يمنعهما من الاختلاط، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث. [٣٧] ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]. =

يَعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٤١- ﴿بِسِيمَٰهُمۡ﴾: باسوداد وجوههم، وزرقة عيونهم. ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾: الناصية: شعر مقدَّم الرأس، يقول: فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم، فتقذفهم في النار. ٤٤- ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا﴾: يطوف هؤلاء المجرمون بين أطباقها ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ﴾: ماء قد أُسخن واغلي ﴿ءَانٖ﴾: من نعت «حميم»، وهو ما اشتد غليانه، حتى بلغ غايته. ٤٦- ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: المقام: وقوف العبد بين يدي ربّه تعالى، يفسّره قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] وأضاف المقام إلى الله تعالى من حيث هو بين يديه. وقيل: هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي ربه، فيدّعه. ٤٨- ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾: ألوان، واحدها فَنٌّ. ويحتمل أن يكون جمع فَنَن، وهو الغصن، فكأنه تعالى مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها. ٥٤- ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾: من غليظ الديباج، فما ظنكم بالظواهر؟ ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾: ثمر الجنتين الذي يُجنى ﴿دَانٖ﴾: قريب. وقيل: إن الشجرة تدنو حتى يجنيها من يريد جناها. ٥٦- ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: نساء قد قصرت عفّتُهنّ طَرفَهنّ على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال، ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾: لم يمسَسْهنّ. ٦٢- ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: أي أقل من هاتين الجنتين المذكورتين في الدرج والفضل. ٦٤- ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾: مسودتان من شدة خضرتهما وَرِيِّهما. ٦٦- ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: فوارتان تنضخان بالماء.

[٤٦] قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي عليَّ بهيمة تأكلني، وأني لم أخلق، فنزلت: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

= والمغرب، وهذان اللفظان المخبران عن الجهتين العظيمتين المعروفتين جاءا في القرآن على صورة المفرد والمثنى والجمع، وكل سياق من ذلك كان قطعًا متفقًا مع نسق الآية الكريمة، ولنتأمل: لمّا ذكر الله في سورة المزمل وجوب الانقطاع إليه وحده، ووجوب التوكل عليه سبحانه دون سواه قال تباركت أسماؤه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٨-٩]، فانظر كيف أفرد وهو يتحدث جل شأنه عن مقام إفراده بالعبادة، لكن تأمل كيف ثنّى في قوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، فالخطاب هنا للثقلين الجن والإنس كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، ثم تأمل في سورة المعارج كيف تحدث الله أولًا عن اختلاف قريش في القرآن وأنهم أشتات فيما يدَّعونه، فقال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]، هنا جاء لفظ المشرق والمغرب مجموعًا ليتفق مع السياق العام للآيات، فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، فسبحان الله! مَنْ هذا قوله وتلكم كلماته، أيّد به خير نبي وأكرم رسول. [٢٩] ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال ابن القيم رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، يغفر ذنبًا، ويفرج همًّا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويُعلِّم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويرشد حيرانَ، ويغيث لَهفانَ، ويفك عانيًا، ويشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلىً، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. [٤١] ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤١]. ما الفرق بين: "عرف وعلم"؟ الجواب: في اللغة: لا تكاد تُحسُّ بالفرق بين الكلمتين لتقارب المعنى المراد منهما من حيث الظاهر، وإن كانت كتب اللغة قد ذكرت بعض الفروق بينهما مثل: ١- العلمُ يتناول كليات العلوم وجزئياته (يعني الإحاطة علمًا بالمعلوم، كليًا وجزئيًا)، أما المعرفة فمقصورة على الجزئيات. ٢- العلمُ لا يتوقف على سبق جهل بالمعلوم، أما المعرفة فيسبقها جهلٌ. ٣- العلمُ لا يكون عن تفكرٍ وتدبُّرٍ، والمعرفةُ لابد فيها من التفكر والتدبر. منهج القرآن في ذكر الصيغتين: أولًا- (علم): ١- كثيرة الورود في القرآن، وشملت الصيغ اللغوية من الأفعال والمصادر والصيغ المشتقة. ٢- كلمة (علم) ومشتقاتها، ترد وصفًا لفعل الخالق (الله سبحانه وتعالى) أو المخلوق. مثال: أ- إسنادها لله تعالى (الخالق): ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الأنفال: ٦٦]. ب- إسناده للمخلوق: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير: ١٤]. ٣- لم تأت كلمتا «علّام، عليم» إلا وصفًا لله -سبحانه وتعالى- ولم تطلق على خلقه قطُّ. مثال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. ثانيًا- (عرف): ١- ذُكرت بتصريفات أقل من تصريفات كلمة (علم). ٢- ذُكرت في القرآن وصفًا لفعل المخلوق، ولم ترد وصفًا لفعل الخالق قطُّ. ٣- بمقارنة الكلمتين في القرآن (علم- عرف) بمشتقاتهما، تجد أن (العلم) أشرف وأفضل وأعظم قدرًا من المعرفة. [٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وتلك الفرش لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم؟! [٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]. قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، ويدل عليه ما قاله عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من =

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ "في الموضعين" قرئ: الأول: (يطمُثهن- يطمِثهن) بالضم ثم بالكسر، والثاني: بالكسر ثم بالضم. وقرئ: (يطمِثهن) بكسرها فيهما، وهما لغتان في مضارع طمث كلمز، وأصل الطمث: دم الحيض، والمعنى: أن الإنسيات لم يمسهن إنس، والجنيات لم يمسهن جن، لأن الجن لهم قاصرات الطرف من نوعهم في الجنة، فنفى الافتضاض عن الإنسيات والجنيات، أي: لم يدمهن، وقال أبو عبيدة: معناه لم يمسسهن.

= وردة كالدهان: إذا كان يوم القيامة انصدعت السماء، وصارت في حمرة الورد، وذوبان الدهن، وهذا موقف من مواقف الآخرة، وهول من أهوالها تنشق فيه السماء، وتتصدع فتتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر، أو الأديم الأحمر أي الجلد الأحمر، من شدة الحرارة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ويأتي العلم الحديث ليكشف لنا صورة مصغرة من هذا المشهد العظيم بعرض صور لبعض النجوم عند انفجارها، ووصفها العلماء بأنها مثل الوردة الحمراء المدهنة، وكأنه التعبير القرآني فسبحان الله.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٧٢- ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ ﴾: قُصِرْنَ على أزاوجهن فلا يبغين بهم بدلاً. ٧٦- ﴿ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾: قيل: الرفرف: رياض الجنة، واحدتها: رفرفة: وقيل: هي الوسائد، ﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾: العبقري: الطنافس الموشية. واحدتها: عبقرية.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

١- ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾: إذا نزلت صيحة القيامة، وذلك حين يُنفخ في الصور لقيام الساعة، وسميت «واقعة» لأنها كائنة لا محالة. ٢- ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾: ليس لوقعة الواقعة تكذيب. و«الكاذبة» مصدر، كالعافية. ٣- ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾: تخفض أقواماً، وترفع أقواماً. والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة. ٤- ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ ﴾: إذا زلزلت الأرض فحرّكت تحريكاً. ٥- ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾: فتّت فتاً فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول، وقيل: هُدَّت هدًا. ٦- ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾: الهباء: شعاع الشمس الذي يدخل في الكوة كهيئة الغبار، وليس بشيء. «منبثاً»: متفرقاً، منتشراً. ٧، ٨- ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾: أنواعاً ثلاثة وضروباً، ثم أخبر عنهم عز وجل فقال: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾: يُعجّب محمداً ﷺ منهم، وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أو: هم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم. ٩- ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾: أصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. والعرب تسمي اليد اليسرى، الشُّؤمى. ومعنى التعجب من مآل الفريقين: أن أصحاب الميمنة في نهاية السعادة ورفعة الشأن، وأن أصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وسوء الحال. ١٠- ١٤- ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾: هم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأولون. وقيل: الذين صلّوا القبلتين. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾: يقربهم الله منه يوم القيامة، ﴿ ثُلَّةٌ ﴾: جماعة، أي هم جماعة ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: الأمم الماضية، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾: من أمة محمد ﷺ. وقيل لهم «الآخرون» لأنهم آخر الأمم. ١٥- ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾: منسوجة، قد أدخل بعضها في بعض، والوضن: النسج المضاعف. وإنما قيل لها «سرر موضونة» لأنها مشبكة بالذهب والجوهر. ١٦- ﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾: بوجوههم، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

[١٣، ١٤] قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ أخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ شق ذلك على المسلمين فنزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾. وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ وذكر فيها ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا، فأمسك آخر السورة سنة. ثم نزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله» ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً.

[١٢] ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الصافات:٤٣، الواقعة : ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والواقعة، والآية تتحدث عن أهل الجنة وأنهم مكرمون فيها بكرامة الله لهم في هذا النعيم الدائم. [١٣] ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الواقعة : ١٣، ٣٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورة الواقعة، والثلة هم الجماعة الكثيرة.

= ورائهن، ذلك بأن الله يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ ألا وأن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

[٦٠] ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠]. انظر إلى الفضل والكرم: هو الذي منّ علينا بالهداية ثم يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾، فكأننا نحن الذين أحسنا فأحسن إلينا بالجزاء مع أنه له الإحسان أولًا وآخرًا، هو الذي أحسن إلينا أولًا، وأحسن إلينا آخرًا، ولكن هذه منته سبحانه وتعالى، ومن شكره لسعي عبده. [١٠] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠]. ما فائدة تكرار "السابقون"؟ الجواب: فائدة التكرار فيه التأكيد في مقابلة التأكيد في: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة : ٨]، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩]، كأنه قال: هم المعروف حالهم، المشهور وصفهم، والمعنى: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمته وكرامته، ثم قيل: المراد بهم السابقون إلى الإيمان من كل أمّة، وقيل: الذين صلّوا إلى القبلتين، وقيل: أهل القرآن، وقيل: السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله، وقيل: هم الأنبياء. [١١-١٢] ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة: ١٢]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النُّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «ماديةً» أم «معنويةً». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾. لَمَ جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النُّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا.

[١٩] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٩]. ما الفرق بين: "يَصَّدَّعُون، يُصَدَّعُون"؟ الجواب: وردت صيغة =

[٧٨] ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ قوله تعالى: ﴿ ذِي ﴾ قرئ: (ذو) بالواو صفة للاسم، وهذا مما يدل على أن الاسم هو المسمى وهو مذهب أهل السنة، ودليله قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾، فكذلك هذا معناه هنا. وقرئ: (ذي) بالياء صفة للرب، فإنه هو الموصوف بذلك.

نزول سورة الواقعة: نزلت بعد سورة طه، وهي مَكِّيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الواقعة: ثلاثمائة وثمان وسبعون. عدد حروف سورة الواقعة: ألف وسبعمائة وثلاثة. أسماء سورة الواقعة: سمّيت بسورة الواقعة؛ لمفتتحها. مواضيع سورة الواقعة: معظم مقصود السورة: ظهور واقعة القيامة، وأصناف الخلق بالإضافة إلى العذاب والعقوبة، وبيان حال السّابقين بالطاعة، وبيان حال قوم يكونون متوسّطين بين أهل الطاعة وأهل المعصية، وذكر حال أصحاب الشِّمال، والغَرْقَى في بحار الهلاك، وبرهان البعث من ابتداءِ الخِلْقة، ودليل الحشر والنشر من الحَرْث والزّرع، وحديث الماءِ والنَّار، وما في ضمنها: من النّعمة والمِنَّة، ومَسّ المصحف، وقراءته في حال الطَّهارة، وحال المتوفَّى في ساعة السّكرة، وذكر قوم بالبشارة، وقوم بالخسارة، والخُطْبة على جلال الحقّ تعالى بالكبرياءِ والعظمة.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١٧- ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: صغار الخدم لا تكبر لهم سنٌّ. ١٨، ١٩- ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: جار ظاهر للعيون. وقيل: كل كأس في القرآن فهو خمر. ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾: لا تُصدع رؤوسهم من شربها كما تتصدع من شرب خمر الدنيا، وقيل: لا يتفرقون كما يتفرق الشُّرَّاب، ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾: لا تذهب عقولهم. والنزيف: السكران. ٢٢- ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: جمع عيناء، وهي النجلاء العين في حُسن. ٢٣- ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾: في صفاء بياضهن ﴿ٱلْمَكْنُونِ﴾: الذي قد صين، وحُفظ، في كِن. ٢٥، ٢٦- ﴿لَغْوًا﴾: اللغو: سقط القول من محسن وغيره. ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: ما يؤثم، أي لا يؤثم أحد هناك غيره ولا نفسه بقول. ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾: أي: يقول بعضهم لبعض: اسلم مما تكره. ٢٧- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: أيُّ شيء هم، وما أعد لهم. والمراد به: التفخيم والتعظيم. ٢٨- ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: هو الموقَر الذي لا شوك فيه. وقيل: هو شجر النبق. ٢٩- ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: قيل: هو الموز منضود بعضه على بعض. وقيل: بل هو شجر ظلّه بارد طيّب. ٣٠- ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: دائم لا تنسخه الشمس فتذهبه. ٣١- ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: مصبوب، جار في غير أخدود. وقيل: يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بدون عنت. ٣٤- ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: بعضها فوق بعض. وقيل: كُنّي بها عن النساء، وأنهن مرتفعات الأقدار في الحُسن والكمال. ٣٥- ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾: خلقناهن خلقاً، مبتدءاً، أو اللاتي أعيد خلقهن. ٣٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عذارى، بعد أن كن في الدنيا عجائز يعني بذلك: النساء من بني آدم عليه السلام. ٣٧- ﴿عُرُبًا﴾: مُتحببات إلى أزواجهن، واحدتهن: عَرُوب.. ﴿أَتْرَابًا﴾: على سنٍّ واحدة. ٣٩- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ. ٤٠- ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾: جماعة من أمة محمد ﷺ. ٤٢- ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾: أي: هم في سموم جهنم وحميمها. والسموم: حر النار، والحميم: الماء الشديد الحرارة. ٤٣- ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: من دخان شديد السواد. ٤٦- ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾: يقيمون ولا يُقلعون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾: على الذنب العظيم في الدنيا، وهو الشرك. وقيل: هو اليمين الغموس.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أخرج سعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمى لهم وفيه عسل ففعل، وهو وادي معجب، فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا، قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فأنزل الله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ الآيات. [٢٩] قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوجّ - واد في الطائف - وظلاله وطلحه وسدره، فأنزل الله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

[٤٨] ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات :١٧، الواقعة :٤٨]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والواقعة، والآية تبين جحود الكفار للبعث وقولهم أنُبعث نحن وآباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابًا، قد تفرَّقوا في الأرض؟

= (يَصَّدَّعون) مرة واحدة، كما ووردت صيغة (يَصَدَّعون) مرة واحدة أيضًا. والحكمة من تنويع الصيغتين هي أن معنى (يَصَّدَّعون): يتفرقون... كما قال الفراء. غير أنه تفرقٌ مع شدةٍ وسرعةٍ، وقد جاء الإيحاء بالشدة والسرعة من إدغام التاء في الصاد وتشديد الصاد، ومثلها (يضَّرعون) و(اطَّيرنا). أما (يَصَّدَّعون) ففيها أيضًا شدة وسرعة كذلك، ولكنهما أقلُّ في درجتهما مما هما عليه في الصيغة الأولى. وفرقٌ آخرُ بين الصيغتين: أن (يَصَّدَّعون) مبنيٌّ للمعلوم، فكأن الحركة تنطلق من داخل البشر، فيذهب أهلُ الجنة إليها مسرعين فرحين من شوق. ويذهب أهل النار مسرعين من حمقٍ، وزيادة في التبكيت والإهانة. أما (يُصدَّعون) فمبنيٌّ للمجهول، ليدلَّ على أن باعث الحركة (لو وقعت) فلن يكون من داخلهم، ولكن يكون من صدر خارجي ليعكر مزاجهم ويدفعهم إلى الحركة السريعة. ومعنى الآية أن هذه الحركة لن تحصل، وعلى هذا سيقيمون على ما هم فيه من التآم وانسجام. [٢٥-٢٦] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]. ما الفرق بين: "قولًا، قيلًا"؟ الجواب: وردت كلمة (قولًا) تسع عشرة مرة. بينما وردت كلمة (قيلًا) ثلاث مرات. صيغة القول هي الأصل، لذا كثر استعمال (قول) في القرآن، وقلَّ استعمال (قيلًا) التي تدل على البناء للمجهول. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. معناه: ليس من أحد أصدق من الله قولًا، أي أنه معدوم أن يكون أحدٌ أصدقَ من الله قولًا، ففعل القول الذي يدل على العدم يجب أن يكون مبنيًا للمجهول، والاسم المبني منه هو (قيلًا). وكما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، فإن الفاعل (القول) هنا غير محدد: أي مجهول. ففعله يجب أن يكون مبنيًا لمجهول، والاسم المبني عليه يأتي على صورته، لأن المهم هنا (ما قيل) وليس الفاعل.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرئ: (حورٍ عينٍ) بالجر فيهما عطفًا على جنات النعيم، كأنه قيل: هم في جنات وفاكهة ولحم وحور، أي: مصاحبة حور، أو عطفًا على بأكواب، إذ معنى يطوف إلخ: ينعمون بأكواب. وقرئ: (حورٌ عينٌ) برفعهما عطفًا على "ولدان" أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيهم، أو لهم، أو خبرًا لمضمر، أي: نساؤهم حور عين. [٣٧] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قرئ: (عرُبًا-عرْبًا) بالضم على الأصل، وبالإسكان للتخفيف، فالعرب: جمع عروب، والعَرُوبُ: هي الحسنة أو المتحببة لزوجها، وقيل: هي الغنجة كما هو في "الحجة" في القراءات السبع.

[٢٠] ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]. حقيقة طبية: صرح الطبُّ الحديث بأن تناول الفاكهة قبل الوجبة الغذائية له فوائد صحية، لأن الفاكهة تحتوي على سكريات بسيطة سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، وتمتص الأمعاء هذه السكريات في مدة قصيرة (تُقدر بالدقائق) فيرتوي الجسم، وتزول أعراض الجوع ونقص السكر، في حين أن الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام المتنوع يحتاج إلى ما يقارب ثلاث ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في غذائه من سكر، وتبقى عنده أعراض الجوع لفترة أطول. إن السكريات البسيطة بالإضافة إلى أنها سهلة الهضم والامتصاص فإنها مصدر الطاقة الأساس لخلايا الجسد المختلفة. ومن هذه الخلايا التي تستفيد استفادةً سريعةً من السكريات البسيطة جدر الأمعاء والزغابات المعوية، حيث تنشط بسرعةٍ عندما تصلها السكريات الموجودة بالفاكهة، وتستعد للقيام بوظيفتها على أتم وجه في امتصاص مختلف أنواع الطعام التي يأكلها الشخص بعد الفاكهة. وربما كانت هذه هي الحكمة من تقديم الفاكهة على اللحم في الآيات القرآنية الكريمة وفي الأحاديث الشريفة. وتأمل في سنة النبي ﷺ في الإفطار: فعن أنس رضي =

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥٥- ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾: «الهيم» عند العرب: الإبل التي يُصيبها داء فلا تروى، فيسمى ذلك الداء: الهُيام. ٥٧- ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: فهلا تصدقون بالخلق أو بأنه يبعثكم بعد مماتكم. ٦٠، ٦١- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾: المستأخِر والمستعجَل ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: في أنفسكم وآجالكم، ولا يُفتات علينا فيها، ولا يتقدم شيء منها أجلها، ولا يتأخر عنه ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: فنجيء بآخرين من جنسكم بعد مهلككم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: في أي خلق شئنا من الصور والهيئات. ٦٢- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: إذ لم تكونوا شيئاً، فخلقناكم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة. ٦٤، ٦٥- ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: يقول عز وجل: أأنتم تُصيِّرونه زرعاً، أم نحن ﴿حُطَامًا﴾: هشيماً لا ينتفع به ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: أي صرتم تعجبون مما نزل في زرعكم من المصيبة. وقيل: معناه: تتندَّمون وتتفجّعون. ٦٦، ٦٧- ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أي تقولون: إنا معذَّبون مُلقوْن للشر. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: ليس لنا جَدٌّ، أي حظٌّ، والمحروم: الممنوع من الرزق، الذي لا حظ له فيه. ٦٩، ٧٠- ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾: من السحاب. ﴿أُجَاجًا﴾: ملحاً، والأجاج من الماء: ما اشتدت ملوحته. ٧١- ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾: التي تستخرجون من زَندكم، أي تقدحونها. ٧٣- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾: يعني: النار ﴿تَذْكِرَةً﴾: لكم تتذكرون بها نار جهنم فتتعظون بها ﴿وَمَتَاعًا﴾: بلاغاً ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: المسافرين الذين ينزلون بالقواء، وهي الأرض القفر، أو الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام. ٧٥، ٧٦- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: قيل معناه: أقسم بمواقع النجوم: بمساقطها ومغايبها في السماء. ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾: ما هو وما قَدْرُه؟ والمعنى: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظَمه.

[٧٥-٨٢] قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا»، فنزلت هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئًا، ثم ارتحل، ونزل منزلًا آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبي ﷺ فأمطر الله علينا السماء؟ فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا..

[٥٨، ٦٣، ٦٨، ٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة : ٥٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة : ٦٣]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة : ٦٨]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة : ٧١]. بدأ بذكر خلق الإنسان، ثم بما لا غنى له عنه، وهو الحَبُّ الذي منه قُوته، ثم بالماء الذي به سوغه وعجنه، ثم بالنار التي بها نضجه وصلاحه، وذكر عقب كل من الثلاثة الأولى ما يفسده، فقال في الأولى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة : ٦٠]، وفي الثانية: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، وفي الثالثة: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة : ٧٠]، ولم يقل في الرابعة ما يفسدها، بل قال: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ يتعظون بها ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة : ٧٣]، أي: للمسافرين ينتفعون بها. [٦١] ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة : ٦١]، ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج : ٤١]. وما نحن بعاجزين على أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال، فهذا ما دلت عليه آية الواقعة، أما آية المعارج: على أن نستبدل بهم قومًا أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده. [٦٥، ٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة : ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة : ٧٠]. ذكر في جواب "لو" في الزرع اللام، عملًا بالأصل، وحذفها منه في الماء اختصارًا، لدلالة الأول عليه، أو أنّ أصل هذه اللام للتأكيد، وهو أنسب بالمطعوم؛ لأنه مقدم وجودًا ورتبة على المشروب. [٦٥، ٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة : ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة : ٧٠]. جعل الزرع حطامًا إذهاب له بالكلية صورة ومنفعة، وجعل الماء أجاجًا لم يذهب به صورة، وربما انتفع به في غير الشرب، والله أعلم. [٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة : ٦٧، القلم : ٢٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والقلم، والمقصد منها في سورة الواقعة: بل نحن محرومون من الرزق، أما آية القلم: بل نحن محرومون خيرها، -أي الحديقة-، بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٧٤، ٩٦، الحاقة : ٥٢]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يسبِّح باسم ربه العظيم، وينزِّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والخطاب في الآيات للأمة كذلك.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة : ٧٣]. أخبر سبحانه أنها تذكرة تذكر بنار الآخرة، ومنفعة للنازلين بالقواء وهم المسافرون، والسؤال: لماذا خص الله المقوين بالذكر مع أن منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؟ الجواب: تنبيهًا لعباده، والله أعلم بمراده من كلامه إلى أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا مقيمين ولا مستوطنين. [٧٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة : ٥٦]، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة : ٧٦]. ما الفرق بين "الحلف" و"القسم"؟ الجواب: كثيرًا ما يفسر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم، ولكننا نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم الموثق، فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما، جاءت مادة "ح ل ف" في ثلاثة عشر موضعًا كلها بغير استثناء في الحنث باليمين، أي: اليمين الكاذبة، وأما القسم: فيأتي في الأيمان الصادقة، سواء كانت حقيقة أم وهمًا، وهذا من الإعجاز البياني للقرآن.

[٥٥] ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿شُرْبَ﴾ قرئ: (شُرب) بضم الشين. وقرئ: (شَرب) بفتحها، وهما مصدر شرب، وقيل: الفتح المصدر، والضم الاسم. [٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّا﴾ قرئ: (أئنا) بهمزتين على الاستفهام الإنكاري، فمعناه: أنهم ينكرون العذاب والهلاك الذي نزل بهم لكفرهم. وقرئ: (إنا) بهمزة واحدة على الخبر، والمعنى: تقولون إنا لمغرمون، أي: تندمون على ما سلف من ذنوبكم، وتقولون إنا لمعذبون أو مهلكون، ونظيره ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. [٧٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمَوَاقِعِ﴾ قرئ: (بموْقع) بإسكان الواو بلا ألف مفرد، على أنه مصدر يدل على =

= الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يُصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني. [٧٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة : ٧٥]. مواقع النجوم: هنا نجد عمقًا في هذا القسم لم يكن يدركه السابقون، =

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٧٨، ٧٩- ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾: مصون عند الله تعالى، وهو اللوح المحفوظ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾: قيل: لا يمسه عند الله إلا الملائكة، وإن كانت هذه الجملة صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسه إلا من كان من الناس على طهارة. ٨١- ٨٢- ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾: المراد القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: قيل: مكذبون. ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾: أي: شكركم لله عز وجل على رزقه إياكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: التكذيب لكتابه ورسوله. وقيل: عنى به قولهم إذا نزل عليهم الغيث: مُطرنا بنَوء كذا وكذا. ٨٣- ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾: يقول: فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم حلاقيمكم. ٨٥- ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾: يقول: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم. ٨٦-، ٨٧- ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: يقول: فهلا إن كنتم غير محاسبين ﴿ تَرْجِعُونَهَآ ﴾: ترددون تلك النفوس إلى مستقرها من الأجساد. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾: ولن ترجعوها، فبطل زعمكم أنكم غير مربوبين، وغير مبعوثين أو محاسبين! ٨٨- ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾: يعني: الميت ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: أي السابقين الذين يُقربهم الله في جواره، ٨٩- ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾: أي: فله بَرْدٌ ورحمة، ومغفرة وراحة. وقيل: إن أرواح المقرّبين لا تخرج من الدنيا حتى تُؤتى بغُصنٍ من ريحان الجنة فتشمّه، وعند ذلك تُقبض. ٩١- ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾: بمعنى: تُسلم عليه الملائكة، وتقول له: سلمت مما تكره. ٩٣- ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾: من ماء قد أُغلي حتى انتهى حره، فهو شرابه. ٩٤- ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: وحريق النار يُحرق به. ٩٥- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي أخبر الله عز وجل به ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: لهو حقٌّ من الخبر اليقين الذي لا شك فيه.

سُورَةُ الحَدِيدِ

١- ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القادر الغالب الذي لا يمانعه أحد. ٣- ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: الذي يبقى بعد كل شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: على كل شيء ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: فلا شيء أقرب إلى شيء منه. أو: الظاهر بالأدلة الدالة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس.

[٨٠] ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٠، الحاقة : ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية تبين أن هذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه. [٩٦] ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤، ٩٦، الحاقة : ٥٢]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يسبِّح باسم ربه العظيم، وأن ينزِّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والخطاب في الآيات للأمة كذلك. [١] ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد : ١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. إعادة "ما" هو الأصل، وخُصّت هذه السّورة بالحذف؛ موافقة لما بعدها، وهو: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد:٢]، وبعدها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الحديد : ٤]؛ لأنَّ التَّقدير في هذه السّورة: سبّح لله خَلْق السماوات والأرض، ولذلك قال في آخر الحشر بعد قوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾، ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحشر : ٢٤]، أي: خَلْقُها.

[٩٥] ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة : ٩٥]، ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥]، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٧]. قال ابن تيمية: ﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر، و﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ ما شاهده وعاينه بالبصر، و﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار. فالأول: مثل من أُخبر أن هناك عسلًا، وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده. والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى. والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، فذلك حينئذ: حق اليقين. قال ابن القيم عن منزلة اليقين: هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافسَ المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعملُ القوم إنما كان عليه وإشاراتُهم كلُّها إليه، وإذا تزوَّج الصبر باليقين وُلد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤]، وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٠]، وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالَمين، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥]، وأخبر عن أهل النار أنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية : ٣٢]، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصِّدِّيقية، وهو قُطب هذا الشأن الذي عليه مداره. [٧٩] ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]. ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه، وأن يفهمه كما ينبغي.

= القليل والكثير. وقرئ: (بموَاقع) بفتح الواو وألف على الجمع، لأن مواقع النجوم كثيرة، وذلك حيث يغيب كل نجم، وقيل: معناه مواقع القرآن حيث نزل منجمًا شيئًا بعد شيء حسب الوقائع والحوادث. [٨٩] ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ قرئ: (فرُوح) بضم الراء، اسم مصدر بمعنى «الرحمة»، وقرئ: (فرَوح) بفتح الراء وهو مصدر. = فلماذا أقسم ربنا تبارك وتعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها على عظم شأنها؟ الجواب الذي أدركه العلماء منذ سنوات قليلة للغاية، أن الإنسان من فوق سطح هذه الأرض لا يمكن له أن يرى النجوم على الإطلاق، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم منذ مئات السنين وغادرتها إلى أماكن أخرى. فسبحان الله الخالق العليم. نزول سورة الحديد: نزلت بعد سورة الزلزلة، وهي مدنية، وقيل مكيّة. عدد كلمات سورة الحديد: خمسمائة وأربع وأربعون. عدد حروف سورة الحديد: ألفان وأربعمائة وستّة وسبعون. أسماء سورة الحديد: سمّيت سورة الحديد؛ لذكره بها. مواضيع سورة الحديد: معظم مقصود السّورة: الإشارة إلى تسبيح جملة المخلوقين والمخلوقات في الأرض والسّماوات، وتنزيهُ الحقّ سبحانه وتعالى في الذّات والصفات، وأمر المؤمنين بإنفاق النفقات =

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾

٤- ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يدخل فيها من مطر وغيره. ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾: يصعد إلى السماء من الملائكة وأعمال العباد وغير ذلك. ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾: شاهد لكم حيثما كنتم، يعلم أعمالكم ومُتَقلَّبكم. ٦- ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: قال ابن عطية: الآية تنبيه على العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطول والقِصر، وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأقطار والفصول الأربعة. وقيل: وفي الآية إشارة أو دلالة على كروية الأرض. ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما تُضمره الصدور، وتخفيه من الأسرار والمعتقدات. ٧- ﴿مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾: أي: جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، فإن المال مال الله، والعباد خلفاء الله في هذا المال، فعليهم أن يتصرفوا بحسب أوامره ونواهيه فيه. ٨- ﴿وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾: بأن الله ربكم لا إله لكم سواه. ١٠- ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: يقول: انفقوا قبل أن تموتوا. وتتركوا أموالكم، وتصير ميراثاً لمن له ميراث السموات والأرض. وقيل: المعنى: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، وكل ما في السموات والأرض راجع إلى الله كرجوع الميراث إلى الوارث؟ ﴿مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾: فتح مكة. وبه قال أكثر المفسرين. وقيل: فتح الحديبية ﴿وَكُلّٗا﴾: يعني: من أنفق وقاتل من قبل الفتح، وبعده ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: الجنة. وإنما كان الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا أعظم درجة عند الله تعالى، لأنهم قد نالهم من المشقة أكثر، ولأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف. وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى هذه الفضيلة بقوله -يصف أصحابه- فيما صحّ عنه: «لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». متفق عليه. ١١- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: يُنفق في سبيل الله في الدنيا محتسباً، مبتغياً ما عند الله.

[٢، ٥] ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]، ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحديد: ٥]. الموضع الأول للدلالة على قدرته بخلقها على البعث، ولذلك قال تعالى: ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وختمه بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، والثاني للدلالة على أن مصير الأمور كلها إليه، وأنه المجازي عليها على ما أحاط علمه من أحوال السماوات والأرض وأعمال الخلق، ولذلك قال بعد ذلك: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤]، وختمه بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾. [٤] ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، ﴿... يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤]. الآيتان تبينان أن الله تعالى يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق، وآية سبأ توضح أنه سبحانه هو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه، وأمّا آية الحديد فتبين أن الله سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها. [١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١]. من ذا الذي ينفق في سبيل الله إنفاقًا حسنًا احتسابًا للأجر، فيضاعفه له أضعافًا كثيرة لا تحصى من الثواب وحسن الجزاء؟ والله يقبض ويبسط، فأنفقوا ولا تبالوا؛ فإنه هو الرزاق، يُضيِّق على مَن يشاء من عباده في الرزق، ويوسعه على آخرين، له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه وحده ترجعون بعد الموت، فيجازيكم على أعمالكم، فهذا ما دلت عليه آية البقرة، أمّا آية الحديد: من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسبًا من قلبه بلا مَنٍّ ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة.

[٩] ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٩]. لماذا أفرد النور وجمع الظلمات؟ الجواب: لأن الكفر أنواع وملل مختلفة، ودين الحق واحد، فلذلك أفرده. [١٠] ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الواقعة: ١٠]. دليل على أن كل عمل يُسبق إليه أفضل مما يؤخر، من غير أن نلحق بالمتأخر تقصيرًا. [٢٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [الحديد: ٢٤]، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ما الفرق بين "الشح" و"البخل"؟ الجواب: "الشح": هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، و"البخل": منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه وإمساكه.

[٨] ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾ قرئ: (أُخِذَ ميثاقُكم) بالبناء للمجهول وميثاقكم نائب الفاعل. وقرئ: (أَخَذَ ميثاقَكم) بالبناء للمعلوم، والفاعل ضمير يعود على الله. [١٠] ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا﴾ قرئ: (وكلٌّ) برفع اللام على أنه مبتدأ، ووعد الله الخبر، والعائد محذوف، أي: وعده الله، قال أبو حيان: وقد أجازه الفراء وهشام، وورد في السنة فوجب قبوله، والبصريون: لا يجيزون هذا إلا في الشعر، قال السمين: لكن نقل ابن مالك إجماع الكوفيين والبصريين عليه إذا كان المبتدأ «كل» أو ما أشبهها في الافتقار والعموم. وقرئ: (وكلًّا) بالنصب مفعولًا أول (لوعد) تقدم على فعله، أو "وعد الله كلهم الحسنى" أي: الجنة. [١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ قرئ: (فيضاعفَه) بالنصب على حمل الكلام على المعنى، أي: "من ذا الذي يقرض الله" أي: أيقرض اللهَ أحدٌ فيضاعفه له؟ فنصب لأنه جواب الاستفهام بالفاء كما تقول: أتقوم فأحدثك؟، والمعنى: أيكون منك قيام فحديث مني لك؟ فوجب العطف على معنى الأول دون لفظه، وحمل في العطف على معناه ليصح الجواب، فعطف بالفاء، فلما حمل على معنى الأول وهو المصدر احتيج إلى إضمار أن بعد الفاء. وقرئ: (فيضاعفُه) بالرفع على "أن" الاستفهام في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾؟ إنما هو عن الأشخاص دون القرض، فلم يستقم نصب الجواب، إذ ألف الاستفهام لم تدخل على فعل فيقع الجواب بفعل، إنما دخلت على اسم فلا يجاوب الاسم بالفعل، لو قلت: أزيدٌ في الدار فتكرمه لم يحسن نصب تكرمه على جواب الاستفهام، فالرفع فيه على القطع بمعنى، فهو يقرضه، إذ الاستفهام فيه بمعنى الشرط، ورفعه على معنى الاستفهام الحقيقي على العطف على "يقرض". [١٣] ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ قرئ: (أَنظِرونا) بهمزة قطع مفتوحة وكسر الظاء، على أنه فعل أمر من «الإبطاء» وهو: التأخير، والإمهال. وقرئ: (انظُرونا) بهمزة وصل تسقط في الدرج، وتثبت مضمومة في الابتداء، على أنه فعل أمر من «النظر» وهو الإبصار بالعين أي: انظروا إلينا. [١٥] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ قوله تعالى: ﴿يُؤۡخَذُ﴾ قرئ: (تؤخذ) بالتاء من فوق لتأنيث فاعله لفظًا. وقرئ: (يؤخذ) بالياء من

والصّدقات، وذكر حيرة المنافقين في صحراءِ العَرَصَات، أي القيامة وساحتها، وبيان خِسّة الدّنيا وعزّ الجَنَّات، وتسلية الخَلْق عند هجوم النكبات والمصيبات، والتعريف بالمختال الفخور، والتعريف بما أرسل به الرسل والغاية منه، وذكر فسق أكثر الناس، وذكر الرهبانية، وتوجيه المؤمنين إلى تقوى الله سبحانه.

يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾

١٢- ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾: كتبهم قد أوتوها، من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء، يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم. فإذا ذُهب بهم إلى الجنة ومرّوا على الصراط يسعون، سعى بسعيهم ذلك النور أمامهم وعن أيمانهم. ١٣- ﴿ٱنظُرُونَا﴾: بمعنى: انتظرونا ﴿نَقۡتَبِسۡ﴾: نستصبح، ونستضيء ﴿مِن نُّورِكُمۡ﴾: و«القبس»: الشُعلة ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾: من حيث جئتم ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ﴾: اطلبوا لأنفسكم، وهذا على معنى التوبيخ لهم، أي أنكم لا تجدونه. ﴿نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾: بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٖ﴾: «السور»: الحاجز بين أهل الجنة وأهل النار ﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾: يعني: الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾: يعني: النار. ١٤- ﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾: يُنادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾: في الدنيا نصلي ونصوم، ونعمل أعمالكم؟ ﴿قَالُواْ﴾ قال المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: بالنفاق الذي كنتم تضمرونه ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾: تلبثتم بالإيمان وأبطأتم به، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: قضاء الله بمناياكم. ﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان. ١٥- ﴿فِدۡيَةٞ﴾: تفدون بها أنفسكم من النار، ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالله ظاهراً وباطناً، ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: إليها تأوون فهي منزلكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾: أي: هي أولى بكم. ١٦- ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾: ألم يحن ﴿أَن تَخۡشَعَ﴾: أن تلين. و«الخشوع»: الإخبات والتطامن. ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: بني إسرائيل، ويعني بالكتاب الذي أوتوه: التوراة والإنجيل ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾: الدهر ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: عن الخيرات، واشتدت على السكون إلى معاصي الله. ١٨- ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾: أي: المتصدقين والمتصدقات، ﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: القرض الحسن عبارة عن التصدق والإنفاق في سبيل الله مع خلوص النية واحتساب الأجر، نسبة إلى الله تعالى لتعظيم وبيان أهميته.

[١٦] قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك، فنزلت: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان أصحاب النبي ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح فأنزل الله ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج عن السدي عن القاسم قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدِّثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] ثم ملُّوا ملة فقالوا: حدِّثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج ابن المبارك في الزهد: أنبأنا سفيان، عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فنزلت ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الآية.

[١٦] ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الحديد: ١٦]. لولا عظم منزلة الخشوع وعلوّها، لما عاتب الله الصحابة أفضل القرون، الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة السامية التي يريدها الله لهم إلا بعد بضع سنين. قال ابن مسعود: (ما كان بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ إلا أربع سنين) رواه مسلم. ولكن لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا وتبلّد فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله، فالله يحي الأرض بعد موتها فتنبض بالحياة، وكذلك القلوب حين يشاء الله.

[١٨] ﴿ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ [الحديد: ١٨]. ما الفرق بين: "المتصدقين والمتصدقات والمصَّدقين والمصَّدقات"؟ الجواب: وردت كل من الصيغتين (المتصدقين والمتصدقات) و(المصَّدقين والمصَّدقات) مرة واحدة في القرآن الكريم. الصيغة الأولى (المتصدقين والمتصدقات) هي الأصل، ولا عجب فيها ولا تستلزم تفسيرًا. لكن الصيغة الثانية هي التي تحتاج إلى تفسير: ولعل ذلك يرجع إلى اختصار السياق الذي وردت فيه هذه الصيغة المدغمة: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾ [الحديد: ١٨]. فلم يذكر فيه إلا صفة واحدة من صفات المؤمنين والمؤمنات، فناسب الاختصار (في الآية) الاختصار (أي بذكر الصيغة المدغمة: المصَّدقين والمصَّدقات). على العكس من الآية الثانية حيث وردت عشر صفات، أي في الآية بسط وتطويل: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. فناسب البسط والتطويل (في الآية) الصيغة الطويلة (غير المدغمة: المتصدقين والمتصدقات).

[١٢] ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ﴾ [الحديد : ١٢]، ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [التحريم : ٨]. لماذا جاء النور تارة بعد الفعل وتاره قبله؟ الجواب: قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه. أما قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم، فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما تحصل في آية التحريم، إنما هذه بشارة، فناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى؛ ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء، فورد كلٌّ على ما يجب ويناسب. [١٨] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ [الحديد : ١٨]، ﴿ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. إن الأصل في كلمة المصَّدِّقين هي المتصدقين وأبدلت التاء إلى الصاد، وكلمة المصَّدِّقين فيها تضعيفان، تضعيف في الصاد، وتضعيف في الدال، أما المتصدِّقين ففيها تضعيف واحد في الدال، والتضعيف يفيد المبالغة =

= تحت لسكونه مؤنثًا مجازيًا. [١٦] ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَلَ ﴾ قرئ: (نزَل) بتخفيف الزاي ثلاثيًا لازمًا مبنيًا للفاعل وهو الضمير العائد لـ "ما" الموصولة وهو القرآن. وقرئ: (نزَّل) بتشديدها معدىً بالتضعيف مسندًا لضمير اسم الله تعالى. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ ﴾ قرئ: (ولا تكونوا) بتاء الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لأن المقام للغيبة، حيث المراد «المؤمنون». وقرئ: (ولا يكونوا) بياء الغيبة، جريانًا على السياق، لأن قبله قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾ [١٨] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ﴾ قرئ: (المصَدقين والمصَدقات) بتخفيف الصاد فيهما من التصديق، أي: صدَّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: آمنوا بما جاء به. وقرئ: (المصَّدقين والمصَّدقات) بالتشديد فيهما من تصدق: أعطى الصدقة، والأصل المتصدقين والمتصدقات أدغم التاء في الصاد. [٢٣] ﴿ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾ قرئ: (أتاكم) بقصر الهمزة من الإتيان، أي: بما جاءكم، وفاعله =

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩- ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: سمّاهم الله تعالى صدّيقين لأنهم آمنوا بالله وصدّقوا رسله. و«الصدّيق» بناء مبالغة من الصدق، أو من التصديق. ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: خبرٌ، أي كلام ابتداء الله عز وجل عن الشهداء منفصل عما قبله، فقال عز وجل ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله متصلاً به فيكون المعنى: كل من الصديقين والشهداء لهم الأجر والنور الموعودان. ٢٠- ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: أي يفتخر بعضكم على بعض بالأنساب والأحساب، أو بالخلقة والقوة، وغير ذلك. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾: أي كمثل مطر أعجب الزُرّاع نباته. والمراد بالكافر هنا الزارع ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: نبتاً يابساً متهشماً ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: أي: إما جنة، وإما نار. والتنكير فيهما: «عذاب» و«مغفرة» للتعظيم. و ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: معناه: الشيء الذي لا يُعظّم الاستمتاع به إلا مغترّ. وقيل: متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. ٢١- ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: إلى عملٍ يُوجب لكم مغفرة من ربكم. ٢٢- ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: إلا في أم الكتاب ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾: من قبل أن نبرأ الأنفس ونخلقها. ٢٣- ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾: لكيلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من الدنيا فلم تُدركوه ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: أي: أعطاكم وخوّلكم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿فَخُورٍ﴾: به على الناس. ٢٤- ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيما أعطاهم وخوّلهم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يُعرض عما أمره الله به.

= والتكثير مثل: كسر وكسّر -إذًا المصّدّقين فيها حث على الصدقة والتكثير فيها من حيث المعنى العام- وقد ذكر "المصّدّقين" في آية سورة الحديد، بينما استخدم المتصدقين في سورتي الأحزاب ويوسف؛ لأنه جاء في سورة يوسف في الآية: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، فناسب ذكر المتصدقين؛ حيث طلب إخوة يوسف التصدق فقط ولم يطلبوا المبالغة في الصدقة، وهذا من كريم خلقهم، فطلبوا الشيء القليل واليسير، هذا أمر، والأمر الآخر أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، فلو قال "يجزي المصّدّقين" لكان الجزاء للمبالغ في الصدقة دون غير المبالغ وهذا غير مقصود في الآية، وهذا ينطبق أيضًا على آية سورة الأحزاب -ولكن في سورة الحديد قال تعالى: "المصّدّقين"، وذلك لأن سياق الآيات في السورة اشتمل على المضاعفة والأجر الكريم، وهذا يتناسب مع المبالغة في التصدق، ويتناسب مع الذي يبالغ في الصدقة- ثم إن سورة الحديد فيها خط تعبيري واضح في دفع الصدقة والحث على دفع الأموال في السورة كلها، قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]، فجو السورة إذًا هو جو الإيمان وجو الإنفاق، فناسب أن يستعمل معها كلمة "المصّدّقين" لا "المتصدقين". [٢٠] ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الزمر: ٢١]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠]. قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾، وفي الحديد: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ﴾؛ لأنَّ الفعل الواقع قبل قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ في سورة الزمر مسند إلى الله تعالى، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ فكذلك الفعل بعده: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ﴾. وأمّا الفعل قبله في الحديد فمسند إلى النبات وهو: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ فكذلك ما بعده وهو: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ ليوافق في السورتين ما قبل وما بعد. [٢١] ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: ٢١]. أمر الله تعالى بالمسارعة إلى المغفرة في آية آل عمران، ثم شرح في آية الحديد كيفية تلك المسارعة، فكأنه قيل: سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في حلبة السباق، وجاءت آية الحديد بعد قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فجاء معنى ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه، بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، وقال في آل عمران: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وأفردها في الحديد ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأن معناها: أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة، =

[٢٠] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]. ما الفرق بين: "المطر والغيث"؟ الجواب: المطر والغيثُ كلاهما اسمٌ لنزول المطر من السحاب، لفظهما مختلفٌ ومعناهما واحدٌ، وهذا في معاجم اللغة العربية: المطر هو الغيث، والغيث هو المطر، أما في لغة البيان القرآني، فالأمر مختلف، كالآتي: ١- (المطر) لم يستعمله القرآن إلا في مقام العذاب والانتقام من المعرضين عن رسالات الله، ودعوة رسل الله. مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]. أما في سياق الحديث عن المؤمنين، فيرد في مقام الأذى والابتلاء مثل قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء: ١٠٢]. ٢- (الغيثُ) استعمله القرآن في مقام النعم والفضل والغوث والنجدة (أي يُستعمل في مقامات الخير دائمًا). ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠].

= ضمير "ما". وقرئ: (آتاكم) بالمد من الإيتاء، أي: بما أعطاكم الله إياه، ففاعله ضمير اسم الله المتقدم، والمراد الفرح الموجب للبطر والاحتيال، ولذا عقبه بقوله: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. [٢٤] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ قرئتْ الآية بغير لفظ (هو) كذلك ثبت إسقاطها في مصحف المدينة والشام، وقرئت: بزيادتها، وكذلك ثبتت في مصاحف أهل الكوفة والبصرة ومكة، وإثبات (هو) أبين في التأكيد، وأعظم في الأجر.

[٢٠] ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة في القرآن، ووردت كلمة (الدنيا) (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا (١١٥) مرة، وردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

٢٥- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة ﴿الْكِتَابَ﴾: المراد: جنس الكتاب، فيدخل فيه كتاب كل رسول. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: ليعمل الناس بينهم بالعدل ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: عبّر عن خلقه واتخاذه بالإنزال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: [الزمر: ٦] كما أن الأمر بكَوْن الأشياء لما كان يلقى من السماء جعل الكل نزولاً منها. وقيل: المراد بالحديد: جنسه من المعادن. قال ابن عطية: «وقال حذّاق من المفسرين: أراد به السلاح. ويترتب على معنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه أرسل رسلاً، وأنزل كتباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب به من عاند ولم يهتد بهدي الله، فلم يبق عذر. وفي الآية -على هذا التأويل- حضٌّ على القتال وترغيب فيه. وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾: يقوّي هذا التأويل». ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: قوة شديدة. ٢٦- ﴿فَمِنْهُم﴾: أي: فمن الذريّة من اهتدى بهدي نوح وإبراهيم. ٢٧- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾: أتبعنا ﴿رَأْفَةً﴾: الرأفة: أشدُّ الرِّقّة ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾: رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع، وغير ذلك مما ابتدعوا ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: إلا في عموم المندوبات، لأن ابتغاء رضوان الله تعالى بالقُرَب والنوافل مكتوب على كل أمّة. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾: صدّقوا ورعوا الرهبانية حق رعايتها. ٢٨- ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾: ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى والأنبياء قبل محمد، ثم لإيمانكم بمحمد ﷺ حين بعث. وأصل الكِفل: الحظ والنصيب. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: قيل «النور» في هذا الموضع: القرآن، واتباع محمد ﷺ. ٢٩- ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾: فيصرفونه عمن أراده به. [٢٨] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ الآية. أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحدًا، فكانت فيهم جراحات، ولم يُقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل مَيْسَرة، فأذن لنا نجئ بأموالنا نواسي بها المسلمين. فأنزل الله فيهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الآيات، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل لما نزلت ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ الآية، فخرَ مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب. [٢٩] قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، يعني بالفضل النبوة. = وهو قول لابن عباس رضي الله عنهما. [٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ...﴾ [الحديد : ٢٢]، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [التغابن : ١١]. فصّل في سورة الحديد، وأجمل في سورة التغابن؛ موافقة لما قبلها في سورة الحديد، فإنّه فصّل أحوال الدّنيا والآخرة فيها، بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الحديد : ٢٠]. ويجوز ألا يكون تكرارًا، لاتصال الأولى بالدنيا وخلقها، فالمصيبة مصيبة الدنيا، والثانية في الآخرة بدليل قوله قبلها: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن : ٩]، فقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن:١١]، يجيز أن يعفو الله عمّن يشاء ويعذب من باب الجواز العقلي. [٢٣] ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٣]، ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد : ٢٣]. آية آل عمران تتحدث عن غزوة أحد وحال المسلمين فيها، وما حدث لهم بها، لكي لا يحزنوا على ما فاتهم من نصر وغنيمة، ولا ما حلَّ بهم من خوف وهزيمة، والله خبير بجميع أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، أمّا آية الحديد فقد جاء قبلها أنه ما أصاب من مصيبة إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخلَق الخليقة، إن ذلك على الله تعالى يسير، لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر، والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. [٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء : ٣٧]، ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد : ٢٤]. الآيتان تتحدثان عن الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. وآية النساء تبين أنهم يجحدون نِعَمَ الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه، وأنه أعدَّ للجاحدين عذابًا مخزيًا، وأمّا آية الحديد فتبين أنه من يتولَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه. [٢٧] ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [المائدة : ٤٦]، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد : ٢٧]. آية المائدة تتحدث عن الإنجيل بعد ذكر التوراة، فناسب أن يقول مباشرة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أمّا آية الحديد فأتت بعد ذكر رسالتي نوح وإبراهيم عليهما السلام وذريتهما، فكأنه قيل: أتبعنا على آثار الذرية أو على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم إلى الأمم اللاحقة، كموسى وإلياس وداود وسليمان وغيرهم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى بن مريم، عليه السلام.

[٣] ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦]، ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. ما الفرق بين: "المَسّ واللمس والمَسْح"؟ الجواب: ١- كلٌّ من الكلمات الثلاث يراد بها ملاقاة جسم لآخر. ٢- الفرق بين اللمس والمسّ هو شدة الملاصقة في اللمس وخفتها في المس. ٣- المسح كاللمس والمس إلا أنه يفترق عنهما بتحريك الجسم الماسح على الجسم الممسوح. أما اللمس والمس فيكونان مع سكون الجسم اللامس أو الجسم الماس. والله أعلم.

[٢٥] ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد : ٢٥]. إنزال الحديد: وجه الإعجاز في الآية أن الحديد أُنزل إلى الأرض، ولم يتكون فيها، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

١- ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: كان أوسُ بن الصامت الأنصاري قد ظَاهرَ من زوجته خويلة بنة ثعلبة، أي حرّمها على نفسه بقوله: أنتِ عَليَّ كظهر أمي، فاتت رسول الله ﷺ تشتكي، فقالت: ظاهر مني زوجي حين كَبِرت سِنِّي ورَقَّ عظمي، قالت عائشة: «الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة إلى رسول الله ﷺ، وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، ما أسمع ما تقول! فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾: إلى آخر الآية ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾. رواه البخاري وغيره. تحاور رسول الله ﷺ والمجادلة خويلة، وكان الظِّهار في الجاهلية يوجب عندهم فُرقة مؤبّدة، فقال لها رسول الله ﷺ: ما عندي في أمرك شيء، فنزلت الآيات. ٢- ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا يُعرف ﴿وَزُورًاۚ﴾: كذباً. جعل الله تعالى القول بالظِّهار منكراً وزوراً، فهو محرّم، لكنه إذا وقع لزم، وتحريمه- كما يقول ابن عطية- تحريم المكروهات جداً. ٣- ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾: لتحليل ما حرّموا على أنفسهم، مما أحلّ الله لهم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: أي: فعليهم عتق رقبة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾: «المس»: النكاح. ٤- ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾: يقول: هذا الذي فرضتُ على مَن ظَاهرَ منكم كي تصدقوا بأمر الله، وتعملوا به، وتنتهوا عن قول الزور والكذب. ٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يخالفون أمر الله في فرائضه، وحدوده ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ﴾: خزُوا كما خزِيَ. يقال: كَبت الله فلاناً: إذا أذلَّه. والمردود بالذلّ يقال له: مكبوت. ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾: من مكذّبي الرسل ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذلّ في جهنم. ٦- ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾: في الدنيا ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: احصى ما عملوا ﴿وَنَسُوهُۚ﴾: نسيه عاملوه ﴿شَهِيدٌ﴾: شاهد، لا يعزب عنه شيء منه.

[١] قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وهو أوس بن الصامت.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة : ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة : ٣]. الآية الأولى الخطاب فيها للعرب؛ وكان طلاقهم في الجاهلية الظِّهار، فقيّده بقوله: ﴿مِنكُم﴾ وبقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، ثمّ بيّن أحكام الظِّهار للنّاس عامّة، فعطف عليه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ فجاءَ في كلِّ آية ما اقتضاه معناها. [٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [المجادلة : ٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة : ٢٠]. إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما خُذِلوا وأهينوا، كما خُذِل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادُّوا الله ورسله، وقد أنزلنا آيات واضحات الحُجَّة تدل على أن شرع الله وحدوده حق، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُذلٌّ في جهنم، فهذا ما دلت عله الآية الأولى، أما الآية الثانية: إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله، أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة. [٥] ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة : ٩٠، المجادلة : ٥] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. آية البقرة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ناسب شدة غضب الله تعالى عليهم ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾، وفي آية المجادلة ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ناسب كون الكفار ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، أي: يعادون ويشاقون مع وجود الآيات البينات، فكبتهم الله، أي: أذلهم كما أذل الذين من قبلهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. [٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [المجادلة : ٦]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة : ١٨]. الآية الأولى مطلقة في المؤمن والكافر، والثانية في المنافقين خاصة؛ لأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ لنفي ما يُنسب إليهم من النفاق وما يدل عليه.

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة : ١]. يؤخذ من الآية وجوب رفع الشكوى إلى المولى عز وجل الذي يكشف الضر ويرفع البلوى، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصابته فَاقَةٌ، فأنزلها بالناس؛ لم تُسَدَّ فَاقَتُه، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى: إما بِمَوْتٍ عاجلٍ، أو غِنيٍّ عاجل". أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. ولكن ينبغي عدم الخلط بين شكوى الحال إلى الغير، وبين ما كان من باب المشورة والاستئناس برأي صديق محب وناصح عاقل لبيب فيما يعرض للإنسان، فإن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، فهذا ليس من الشكوى المنهي عنها. [٤] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ [المجادلة:٤]. **فوائد وثمرات الصيام:** ١- طاعة لأمر الله وتقربٌ له سبحانه. ٢- إقامة ركن من أركان الإسلام. ٣- تحصيل التقوى. ٤- مغفرة الذنوب. ٥- نيل الشفاعة يوم القيامة. ٦- دخول الجنة من باب الريان. ٧- دعوة لا ترد. ٨- سبب سقيا يوم القيامة. ٩- استغفار الملائكة. ١٠- دخول الجنة التي يزينها الله للصائمين. ١١- له أجر عظيم من الله تعالى لا يعلمه إلا هو. ١٢- فرحة يحصلها الصائم عند الفطر وعند لقاء الله. ١٣- بُعد النار عن وجه العبد سبعين خريفًا. ١٤- وقاية من المعاصي. ١٥- حصن من النار. ١٦- مضاعفة الأجر. ١٧- العتق من النار. ١٨- نيل أجر الصابرين. ١٩- ينفع الله به العبد في الدنيا والآخرة. ٢٠- يضبط النفس ويطفئ شهوتها. ٢١- يبعث في الإنسان الرحمة والإحسان على الفقراء... ٢٢- يقي الجسم العديد من الأمراض. ٢٣- يربي النفس على الحلم والأناة والصبر... ٢٤- يهذب النفس ويطهرها من الأخلاق السيئة ويعودها على الطاعات وفعل الخيرات. ٢٥- يجعل القلب والذهن خاليين، فيرق القلب عند سماع القرآن وعند سماع المواعظ. ٢٦- يضيق مجاري الدم، التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم.

[٢،٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ قرئ: (يَظَّهَّرون) بفتح الهاء وتشديدها مع تشديد الظاء بلا ألف هنا، ووجهه: أنه مضارع تظهر وأصله تتظهر فأدغم. وقرئ: (يَظَّاهَرون) بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وبعده ألف على أنه مضارع تظاهر، والأصل: تتظاهرون أدغم التاء في الظاء. وقرئ: (تُظَاهِرون) بضم التاء أو الياء وفتح الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخففة بوزن تقاتلون على أنه مضارع ظاهر. وقرئ: (تَظَاهَرون) بفتح التاء وتخفيف الظاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة، والأصل: تتظاهرون حذف منه إحدى التاءين.

نزول سورة المجادلة: نزلت بعد سورة المنافقون، وهي مدنيّة بالاتّفاق. **عدد كلمات سورة المجادلة:** أربعمائة وثلاث وسبعون. **عدد حروف سورة المجادلة:** ألف وسبعمائة واثنان وتسعون. **أسماء سورة المجادلة:** سمّيت سورة المجادلة؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة المجادلة:** معظم مقصود السّورة: بيان حُكم =

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

٧- ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾: من خلقه مما يكتمونه من أحاديثهم ويُسِرُّون به. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: إذا هم تناجوا ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾: في اي موضع كانوا، هو شاهدهم بعلمه. ٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: وكانوا من اليهود، والمنافقين يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات. ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: بعد نهي الله إياهم عنها ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: كانت تحيتهم لرسول الله ﷺ: «السام عليكم» وكانوا يعنون بـ«السام»: الموت. ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: هلاّ يعذّبنا بذلك. قالوا: لو كان محمد نبياً لهلكنا بهذا الذي يسوؤه مما نقوله فيه. وجهلوا أن أمرهم مُؤخّر إلى عذاب جهنم، وأن النار كافيتهم. ٩- ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾: طاعة الله، وما يُقربكم منه. ١٠- ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾: المناجاة. ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليغيظهم ويكبر عليهم. ١١- ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾: توسعوا في المجلس: مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا إذا رأوا من جاء مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله، ﷺ، فأمروا أن يتفسحوا حتى يُصيب من أتى رسول الله ﷺ مجلساً منه ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾: منازلكم في الجنة، أو: يوسع عليكم في المكان والرزق وغيرهما. والآية عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء أكان مجلس حرب أم ذكر أم يوم الجمعة. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾: ارتفعوا، أي قوموا إلى قتال عدو، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرقوا عن رسول الله ﷺ فإن له حوائج ﴿فَانشُزُوا﴾: فقوموا.

[٨] قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ﴾ الآية. وأخرج أحمد، والبزار، والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾، وفي الباب عن أنس وعائشة. [١٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير، عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الآية. [١١] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا ﴾ الآية. وأخرج أيضًا عنه قال: كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم جمعة، وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق، فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم، فأقام ﷺ نفرًا بعدتهم، وأجلسهم مكانهم، فكره أولئك النفر ذلك، فنزلت.

[٨] ﴿ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة : ٨] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. جاءت آية المجادلة بالفاءِ؛ لما فيها من التعقيب، أي: فبئس المصِير ما صاروا إليه، وهو جهنَّم.

[٨] ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧]، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ [المجادلة : ٨]. ما الفرق بين: "معصية، عصيان" الجواب: وردت كلمة (معصية) مرتين في القرآن (في سورة المجادلة) بينما وردت كلمة (العصيان) مرة واحدة فقط. و(العصيان) يعني ترك الانقياد والمضي لما أمر به الله سبحانه وتعالى. فهو فعلٌ قلبيٌّ، وغالبًا ما ينتهي العصيان إلى نتائج كبيرة وخطيرة في عالم الواقع، أما المعصية فهي فعلٌ قلبيٌّ كذلك إلا أنها أقل ظهورًا وأثرًا في واقع الحياة. (العصيان) فيها زيادة مبني التي تعني زيادة في المعني، (فالعصيان) أشد توكيدًا من المعصية لسببين: ١- زيادة الألف والنون في كلمة (العصيان). ٢- اجتماع كلمة (العصيان) مع الكفر والفسوق. قال الفخر الرازي: الكفرُ ظاهرٌ، والفسوق هو الكبيرة، والعصيان هو الصغيرة، (يعني في قوله تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧]. [٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة:٩]. العاقل الموفق عند الله جل وعلا هو من يوفق للطاعة ويعصم من المعاصي، وإن وقع في شيء منها عاد تائبًامنيبًا إليه تبارك وتعالى، وأما الذي لا يعبأ الله عز وجل به فهو الذي يُسرِف على نفسه بالذنوب والخطايا ليلًا ونهارًا كيفما شاء؛ دون توبة يُصلِرها أو أوبَة يُحدِثها.. قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨]. يقول

[٧] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُونُ﴾ قرئ: (تكون) بالتاء للتأنيث. وقرئ: (يكون) بالياء للتذكير، وذلك لأن لفظ (النجوى) يصح تذكيره وتأنيثه لأنه ليس مؤنثًا حقيقيًا. قوله تعالى: ﴿أَكْثَرَ﴾ قرئ: (أكثرُ) بالرفع عطفًا على محل (نجوى)؛ لأنه مجرور بمن الزائدة للتأكيد. وقرئ: (أكثرَ) بالفتح مجرورًا عطفًا على لفظ "نجوى". [٨] ﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ قرئ: (ينتجُون) بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم بلا ألف على وزن ينتهون من النجوى، وهو: السر، وأصلها ينتجيون على وزن (يفتعلون) نقلت ضمة الياء لثقلها إلى الجيم ثم حذفت لسكونها مع سكون الواو. وقرئ: (يتناجون) بتاء ونون مفتوحتين وألف وفتح الجيم من التناجي، ومن النجوي أيضًا، وأصلها: يتناجيون على وزن (يتفاعلون) فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا، ثم حذفت لسكونها وسكون الواو بعدها، وبقيت فتحة الجيم لتدل على الألف المحذوفة، ولولا ذلك لكانت مضمومة: يفتعلون ويتفاعلون على وزن يختصمون ويتخاصمون ومعناهما واحد. و"النجوى" مصدر كالدعوى والتقوى؛ وهو بمعنى الجمع ليدلَّ على القليل والكثير، قال تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ و﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ وكله أتى مفرد اللفظ، والمعنى فيه الجمع. [٩] ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قوله تعالى: ﴿تَتَنَاجَوْا﴾ قرئ: (تنتجوا) بوزن (تنتهوا). وقرئ: (تتناجوا) بتاءين خفيفتين ونون وألف وجيم مفتوحة كما تقدم. [١١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ قوله تعالى: ﴿الْمَجَالِسِ﴾ قرئ: (المجالس) بالجمع لكثرة مجالس القوم، فهو وإن أريد به مجلس الرسول ﷺ

الظِّهار، وذكر النجوى والسّرار، والأمر بالتّوسع في المجالس، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين،والفرق بين حِزب الرّحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعضٍ بالفلاح، وعلى بعضٍ بالخسران.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

١٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: إلى آخر الآية: نُهُوا عن مناجاة رسول الله ﷺ حتى يتصدقوا، فلم يُناجه إلا علي رضي الله عنه، قدّم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة في ذلك ونُسخت، وقيل: لم يُعمل بهذه الآية، بل نسخت قبل العمل، كأمر إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام. ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾: ما تتصدقون به. ١٣- ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾: الإشفاق في كلام العرب: الخوف والحذر، ومعناه هاهنا: أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر؟ وجَمَع (الصدقات) هنا باعتبار المخاطبين. ١٤- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: هم المنافقون تولَّوا اليهود وناصحوهم ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ﴾: من أهل دينكم ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ يعني اليهود، لأنهم كانوا إذا لقوا المؤمنين قالوا: آمنا، وإذا لقوا اليهود قالوا: إنما نحن مستهزئون. ١٦- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾: يستجِنُّون بها من القتل، أي جعلوا ما كانوا يحلفون عليه- بأنهم من المسلمين- وقاية وسترة دون قتلهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الإسلام، ويُضعفون أمر المسلمين عندهم. و«الجُنَّة»: ما يُتستَّر ويُتقى به من المحذور. ١٨- ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾: من قبورهم أحياء ﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ كاذبين مبطلين ويحسبون ﴿أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾: من الحق، أو النفع، في حَلِفهم. ١٩- ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ﴾: غلب وتملّك من كل جهة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: جنده وأتباعه. ٢٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يخالفون أو يكونون في حدٍّ غير الحدّ الذي شرع الله تعالى. ﴿فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ في أهل الذلة، لأن الغلبة لله ورسوله. ٢١- ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: قضى وخطَّ في أم الكتاب ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾: من حادَّني وشاقَّني، وقيل: المراد غلبة الرسل بالحجة والبرهان. وقيل: وكذلك بالسيف والسِّنان.

[١٣،١٢] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية. أخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ الآية، فلما نزلت صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية. وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن عليٍّ قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ قال لي النبي ﷺ: «ما ترى، دينار؟» قلت: لا يطيقونه، قال: «فنصف دينار»، قلت: لا يطيقونه، قال: «فكم؟» قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ الآية، فيخفف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن.

[١٤] قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا﴾ الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل. [١٨] قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾ الآية. وأخرج أحمد، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: «إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه»، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتك بهم. فانطلق فدعاهم، فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ الآية.

[١٤] ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [المجادلة : ١٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [الممتحنة : ١٣]. ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ووالوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذبًا أنهم مسلمون، وأنك رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية الممتحنة: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يئس الكفار مِن بَعْث موتاهم -أصحاب القبور-؛ لاعتقادهم عدم البعث. [١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المجادلة : ١٥]، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ [الطلاق : ١٠]. أعدَّ الله لهؤلاء المنافقين عذابًا بالغ الشدة والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية الطلاق: أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين طغَوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذابًا بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة، الذين صدَّقوا الله ورسله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم أيها المؤمنون ذكرًا يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته.

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [المجادلة:١٦]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون:٢]. اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب ذلك صدُّوا أنفسهم وغيرهم عن =

= الإمام ابن القيم رحمه الله: مما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب أشد من ضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي...؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة..؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم..؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم...؟ **عقوبات المعاصي في الحياة الدنيا:** ١- حرمان نور العلم. ٢- حرمان الرزق. ٣- تعسير أموره عليه. ٤- توهن القلب والبدن. ٥- حرمان الطاعة. ٦- الثمار الخبيثة، أي: إن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضًا. ٧- وحيل بينهم وبين ما يشتهون، أي: المعاصي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله. ٨- إلف المعصية. ٩- هانوا على الله فعصوه. ١٠- ذل المعصية. ١١- الاستهانة بالعصيان. ١٢- تكاثر فطبع فغفلة فموت. ١٣- ليذيقهم بعض الذي عملوا، أي أنَّ الذنوب والمعاصي تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد. ١٤- دياثة العاصي. ١٥- ما لكم لا ترجون لله وقارًا، أي: أن المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله. ١٦- نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أي: أن المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده. ١٧- قيود الذل، أي: أن المعاصي تأسر القلب عن طاعة الله. ١٨- زوال النعم وحلول النقم. ١٩- جبن وخور وخوف. ٢٠- عيش المستوحشين مر. ٢١- سوء الخاتمة. = لكن لما كان لكل واحد ممن هو في مجلس الرسول مجلسٌ جُمِع. وقرئ: (المجلس) بالتوحيد مرادًا به مجلس الرسول ﷺ، وهو الأصل، لأن المعنى كذلك. قوله تعالى: ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قرئ: (انشُزوا) بضم الشين فيهما. وقرئ: (انشِزوا) بالكسر كذلك، وهما لغتان مثل عكِف ويعكُف، ويحرِص ويحرُص، ومعنى: انشزوا: قوموا أو انضموا أو ارتفعوا.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

٢٢- ﴿يُوَآدُّونَ﴾: يحبّون ويوالون ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: من عادى الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ﴾: يعني: قضى لقلوبهم ﴿ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم﴾: قوّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: ببرهان ونور ولطف وتوفيق إلهي. وقال ابن عطية: معنى «كتب في قلوبهم الإيمان»: أثبته وخلقه بالإيجاد. وقال أبو علي الفارسي: معناه: جعل في قلوبهم علامات تعرف الملائكة بها أنهم مؤمنون. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: أولياؤه وجنده، الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه.

سُورَةُ الحَشْرِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: صلّى وسجد له سبحانه. ٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾: يهود بني النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمّنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وأن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم، إلا الحَلَقة -وهي السلاح- ويُخلّوا لهم دورهم وأموالهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: أي: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر، والمعنى أن هذا أول حشرهم في الدنيا إلى الشام. ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾: يخاطب المؤمنين ﴿أَن يَخْرُجُوا۟﴾: أن يخرج هؤلاء من ديارهم، وكانوا أهل حصون مانعة، ونخيل واسعة، وأهل عَدَد وعُدّة ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: ظن بنو النضير. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾: من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾: مساكنهم، ومعنى تخريب بيوتهم أنهم عرضوها لذلك. وقيل: إنهم لما أيقنوا بالجلاء، جعلوا يخربون بيوتهم، حتى لا يسكنها المسلمون. وكان المسلمون يخربونها من خارج ليدخلوا. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾: أي اتعظوا وتدبروا فيما نزل بكم يا أهل العقول والبصائر. ٣- ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي. و«الجلاء»: مفارقة الأوطان.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: وأخرجه الطبراني، والحاكم في المستدرك بلفظ: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر في مكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أفعلت يا أبا بكر؟» فقال: والله لو كان السيف قريبًا مني لضربته به، فنزلت ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. [سورة الحشر]: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير. [١] قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، فحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح، فأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

= سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُذلّ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصدِّهم عن سبيله، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية المنافقون: إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون. [١٧] ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [المجادلة: ١٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾. قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ بغير واو، موافقة للجمل الَّتي قبلها، وموافقة لقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾. [٢٢] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. لماذا جاءت "أبدًا" زائدة في المائدة؟ الجواب: أنه لما تقدم وصفهم بالصدق، ونفعه إياهم يوم القيامة بالخلود في الجنة أكده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، وكذلك أكده بقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾. [٢٢] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿... رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. آية المائدة تتحدث عن الذين يجاهدون في سبيل الله، وأن الله وعد هؤلاء المؤمنين بأن وليهم الله ورسوله وأنه ناصرهم، فختمت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾، أما الآية الثانية التي في سورة المجادلة فنجد أنها تتحدث عن جزاء هؤلاء المؤمنين الذين لم يتخذوا الذين يحادون الله ورسوله أولياء وأحباء، فجزاؤهم أنه سبحانه يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ لأنه تحقق فيهم الفلاح بأن رضي الله عنهم وأدخلهم جناته، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا جميعًا منهم. [١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحشر والصف، ومعناها: نزَّه الله عن كل ما لا يليق به كل ما في السماوات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في قَدَره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها.

[٩] ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. أخبر أن إيثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وُقِيَ الرجل الشح به كان من المفلحين، وهذا إنما =

[٢] ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ قرئ: (يخَرِّبون) بفتح الخاء وتشديد الراء. وقرئ: (يخْرِبون) بسكون الخاء وتخفيف الراء، وهما بمعنًى، عدِّي بالتضعيف من خرِب، وغيره بالهمزة من أخرب، لكن حكي عن بعضهم أن خرَّب بالتشديد هدم وأفسد، وأخرب ترك الموضع خرابًا وذهب عنه.

[٢] ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، ٧- ذكر (الحسد) في القرآن (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب في القرآن (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في القرآن (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر كلٍّ من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله.

نزول سورة الحشر: نزلت بعد سورة البينة، وهي مدنيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الحشر: أربعمائة وخمس وأربعون. عدد حروف سورة الحشر: ألف وتسعمائة وثلاثة عشر. أسماء سورة الحشر: سمّيت سورة الحشر؛ لذكره بها. مواضيع سورة الحشر: معظم مقصود السّورة: الخبر عن جلاءِ بني النَّضير، وقَسْم الغنائم، =

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤- ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: خالفوا أمر الله وعصوا رسوله. ٥- ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: قيل: هي النخلة ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فبأمر الله قُطعت، لم تكن فساداً ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ليُذل الله بذلك أعداءه المخالفين أمره. وهم اليهود، ويغيظهم، لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاؤوا من القطع والترك ازدادوا ذلاً وغيظاً. ٦- ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: أي لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً، يقال: أوْضَعَ البعيرَ: إذا جعله مسرعاً في سيره، يقول: لم تقطعوا إليها وادياً، ولا سرتم إليها مسيراً، وإنما كانت حوائط لبني النضير أطعمها الله رسوله خاصة دون غيره. ٧- ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾: من أموال مشركي القرى. وقيل: عنى بذلك: الجزية والخراج. وقيل: الغنيمة التي يصيبها المسلمون من أهل الحرب بالقتال عنوة، وما أوجف عليه بخيل وركاب. ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾: ذلك الفيءُ ﴿دُولَةًۢ﴾: يتداوله الأغنياء منكم بينهم، دون الفقراء. والدُّولة: اسم للشيء يتداوله القوم بينهم، يكون لهذا مرة، ولهذا مرة. قال مقاتل: المعنى أنه يغلب الأغنياءُ الفقراءَ فيقسمونه بينهم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: أعطاكم رسول الله ﷺ مما أفاء الله من أهل القرى، فخذوه ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: من الغلول، أي الخيانة في الغنائم وغيره ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ والآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله من أمر أو نهي، أو قول أو فعل. ٩- ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾: اتخذوا مدينة رسول الله ﷺ فابتنوها منازل لهم، وهم الأنصار. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من ترك منزله وانتقل إليهم من غيرهم، وكانت الأنصار قد أسلموا في ديارهم، وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حسداً، وحزازة ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾: مما أوتي المهاجرون دونهم، من الفيء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: كانوا يُعطون المهاجرين أموالهم، إيثاراً لهم على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: فاقة وحاجة إلى ما آثروهم به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: «الشُّحُّ» في كلام العرب: البخل ومنع الفضل من المال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون المخلَّدون في الجنة.

[٥] قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية. أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل النضير، وقطع وهي البويرة فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم قطع النخل، ثم شدد عليهم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه؟ فأنزل الله ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية. وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت. وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله. [٩] قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: لا ولكن تكفونهم به المؤنة، وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم، قالوا: رضينا، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ الآية. وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئًا، فقال: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخرينه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وأخرج مسدد في مسنده، وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلاً من المسلمين... فذكر نحوه، وفيه: أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس بن شماس، فنزلت فيه هذه الآية. وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلانًا وعياله، أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ﴾ الآية.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ١٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر : ٤]. آية الأنفال صورت المواجهة الأولى في تاريخ الإسلام بين المسلمين والمشركين، وجاء فيها أنه سبحانه أمد المؤمنين بالملائكة ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال : ٩]، وأنه سبحانه أمر الملائكة بضرب أعناق المشركين، وضرب كل بنان، ثم علل ذلك بالمشاقة، فناسب الآية فك الإدغام الدال على وفرة هذه المسألة، أمَّا آية الحشر فهي في بني النضير من يهود المدينة، الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم كتب الله عليهم الجلاء، وهؤلاء لم تكن مشاقتهم كمشاقة أهل مكة سواء في العداء أو العدة أيضًا، ولذلك ناسب الآية الإدغام.

[٦، ٧] ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ [الحشر : ٦]، ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر : ٧]. الموضع الأول بواو والثاني بغير واو؛ لأنَّ الأوَّل معطوف على قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر : ٥]، والثَّاني استئناف ليس له به تعلُّق. نقل أبو حيان أن: ﴿مَّآ أَفَآءَ﴾، الثانية بيان للأولى، يبين لرسول الله ﷺ ما يصنع بهذا الفيء، وعن ابن عطية: أهل القرى المذكورون في الثانية هم أهل الصفراء وينبع ووادي القرى، وما هنالك قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النضير، ولم يحبس النبي ﷺ منها شيئًا، وهذا دليل على تزييف من قال: إنه بدل بيان.

= هو فضول الدنيا لا الأوقات المصروفة في الطاعات، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها. فمن لم يكن شحيحًا بوقته تركه الناس على الأرض عيانًا مفلسًا. [٧] ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَكُونَ﴾ قرئ: (تكون) بتاء التأنيث "دولة" بالرفع على أن "كان" تامة. وقرئ: (يكون) بالتذكير مع رفع "دولة" لكون الفاعل مجازي التأنيث. وقرئ: (يكون) بالتذكير مع النصب على الجمع.

[٢] ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولاً: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

= وتفصيل حال المهاجرين والأنصار، والشكاية من المنافقين في واقعة قُرَيظة، وذكر بَرْصِيصاء العابد، والنَّظر إلى العواقب، وتأثير نزول القرآن، وذكر أسماءِ الحقِّ تعالى وصفاته، وبيان أنَّ جملة الخلائق في تسبيحه وتقديسه سبحانه.

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

١٠- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد الذين تبوَّؤُوا الدار والإيمان ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: عداوة وضغناً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأحد من أهل الإيمان، بإطلاق؛ فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون سياق الآيات فيهم، فمن كان في قلبه غِلٌّ لهم فقد عصى الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه، فإن جاوزه إلى شتم أحد منهم فقد وقع في غضب الله وسخطه، نسأله تعالى العصمة والثبات على الإيمان. ١١- ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾: من أهل الكتاب، بَعَث المنافقون إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله ﷺ للحرب، أن اثبتوا وتمنَّعوا، وقالوا لهم ما ذكر الله من قولهم بعد هذا. ١٢- ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾: أي: لو قُدِّر وجود نصرهم إياهم لهربوا منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: بعد ذلك، أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم. ١٣- ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: لأنتم يا معشر المسلمين أشد رهبة، في صدور اليهود- من بني النضير- من الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: من أجل أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: قدر عظمة الله، فلا يرهبون عقابه! ١٤- ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: حيطان ﴿بَأْسُهُمْ﴾: عداوتهم ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: متفرقة، يعني: المنافقين واليهود. ١٥- ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني عز وجل: بني قينقاع. وقيل: كفار قريش يوم بدر ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عاقبة كفرهم بما أنزل الله بهم من العقوبة. ١٦- ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾: يقول عز وجل: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود بالنصر، كمثل الشيطان الذي غرَّ إنساناً، ووعده على الكفر بالله النصر عند حاجته إليه، فكفر، فلما احتاج إلى نصرته أسلمه، أي تركه وتخلّى عنه. قيل: وليس قول الشيطان إنه يخاف الله، على حقيقته، إنما هو على وجه التبرّي من الإنسان، فهو تأكيد لقوله إنه بريء منه. [١٠] معنى اسم الله الرب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. [١٠] معنى اسم الله الرؤوف والرحيم: قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: الرحمنُ، الرحيمُ، والبرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهابُ، هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدلّ كلُّها على اتصاف الرب، بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمَّ بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته. وخصَّ المؤمنين منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته. والرؤوف: هو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم. والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة، الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. [١٨] معنى اسم الله الخبير: الخبير هو العالم بما كان وما يكون، أي أن الله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي، والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء. والفرق بين العلم والخَبْر: أن الخَبْر هو العلم بكنه المعلومات على حقيقتها؛ ففيه معنى زائد على العلم. [١١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت هذه الآية فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾. [١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. لماذا ختم الموضع الأول بـ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ والثاني بـ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾؟ الجواب: الموضع الأول متّصل بقوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ لأنهم يرون الظّاهر، ولا يفقهون ما استتر عليهم، والفقه معرفةُ ظاهر الشيء وغامضه بسرعة فِطنة، فنَفَى عنهم ذلك، والموضع الثاني متّصل بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، أي: لو عقَلوا لاجتمعوا على الحقّ، ولم يتفرّقوا. [٩-١٠] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اعلم أن هذه الآيات قد استوعبت جميع المؤمنين لأنهم إما المهاجرون أو الأنصار، أو الذين جاؤوا من بعدهم، وبيّنت أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار أن يذكر السابقين وهم المهاجرون والأنصار بالدعاء والرحمة، فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء، كان خارجًا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية. [٩] ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ما الفرق بين "الشح" و"البخل"؟ الجواب: "الشح": هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، و"البخل": منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه وإمساكه. [١٤] ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿جُدُرٍ﴾ قرئ: (جُدْر) بضم الجيم والدال من غير ألف بالجمع. وقرئ: (جِدَار) بكسر الجيم وفتح الدال على الإفراد. والجمع والإفراد يرجعان إلى معنى واحد. [١٠] ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة: أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله. إذًا تساوى عدد مرات ذكر لفظ (البصر والبصيرة ومشتقاتهما) مع عدد مرات ذكر لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة في كتاب الله تعالى. [١٦] ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكررت مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) =

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمۡتَحَنَةِ

١٧- ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾: الشيطان والإنسان الذي كفر. ١٨- ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: أي يوم القيامة، قرّب الله تعالى القيامة حتى جعلها غداً، لأنها آتية لا محالة، أو تنبيهاً على قربها. ٢١- ﴿عَلَىٰ جَبَلٖ﴾: من حجر أصم ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا﴾: متذللاً ﴿مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾: على قساوته، حذراً أن لا يؤدي حق الله، وهذا تمثيل يقتضي عُلُوّ شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب والعقول، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ٢٣- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ﴾: الذي لا مَلِك فوقه، ولا شيء إلا دونه ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾: الطاهر المبارك و«تقدّس»: تطهّر. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: الذي سلم من كل نقص. وقيل: المسلِّم على عباده في الجنة. وهو مصدر وُصف به للمبالغة ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾: الذي يؤمِّن خلقه من ظلمه ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾: الشهيد على عباده بأعمالهم، الرقيب عليهم، وقيل: الأمين. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: في نِقَمه إذا انتقم. وقيل: الغالب غير المغلوب. ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: المصلح أمور خلقه. من: جَبَر: إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير. وقيل: جبروت الله: عظمته تعالى. ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾: عن كل شر ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهاً لله وتبرئة عن شرك المشركين. ٢٤- ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾: الذي برأ الخلق وأوجدهم، بقدرته ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾: خلقه كيف شاء من الصور والهيئات ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: هي هذه الأسماء التي سمى بها نفسه في هاتين الآيتين. وقد قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنّة». متفق عليه. وقيل: إن اسمه الأعظم هو الله.

[٢٣] معنى اسم الله المَلِكُ، المَلِيكُ، مَالِكُ المُلْكِ: فهو سبحانه الموصوف بصفة الملك. وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق، والأمر، والجزاء. وله جميع العالم، العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه. فهو الربّ الحقّ، الملك الحقّ، الإله الحقّ، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلاهيته، فتأملْ هذه الجلالةَ وهذه العظمةَ التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق. رب الناس، ملك الناس، إله الناس، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى. [٢٣] معنى اسم الله القدوس والسلام: ((القدوس السلام)) معناهما متقاربان؛ فإن القدوس مأخوذ من قدّس بمعنى: نزّهه وأبعده عن السوء مع الإجلال، والتعظيم، فالقدوس: هو المبارك والطاهر المنزه عن النقائص والعيوب وأن يكون له مثيل أو شبيه. والسلام مأخوذ من السلامة. فهو سبحانه السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله. والسلام: هو المسلِّم على عباده في الجنة وهو الذي سلم الخلق من ظلمه. [٢٣] معنى اسم الله المؤمن: هو الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين. وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدلّ على صدقهم وصحة ما جاؤوا به. [٢٣] معنى اسم الله المهيمن: هو المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً. وقال البغوي: الشهيد على عباده بأعمالهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء... [٢٣] معنى اسم الله الجبار: للجبار من أسمائه الحسنى ثلاثة معانٍ كلها داخلة باسمه ((الجبار)): ١- المعنى الأول: أنه الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويُيسّر على المعسر كل عسير... ٢- والمعنى الثاني: أنه القهَّار لكل شيء، الذي دان له كلُّ شيء، وخضع له كلُّ شيء. ٣- والمعنى الثالث: أنَّهُ العليُّ على كل شيء. فصار الجبار مُتضمناً لمعنى الرؤوف القهَّار العليّ. ٤- وقد يُرادُ به معنى رابع وهو المتكبر عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه وحقوقه. [٢٣] معنى اسم الله المتكبر: هو سبحانه المتكبر عن السوء، والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه. [٢٤] معنى اسم الله الخالق والبارئ والمصور والخلاق: هو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسوّاها بحكمته، وصوّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

[٢١] ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٣]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١]. وهذه الأمثال نضربها للناس؛ لينتفعوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه، فهذا ما دلت عليه آية العنكبوت، وأمّا آية الحشر: وتلك الأمثال نضربها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته. [٢٣] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر : ٢٣]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة : ١]. لم يرد اسمه سبحانه القدوس إلا مرتين في كتابه مقرونًا باسم الملك، وقال النبي ﷺ بعد صلاة الوتر: "سبحان الملك القدوس ثلاثًا" أخرجه النسائي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني. ولعل السر في اقتران الملك بالقدوس: أن من صفات هذا الملك أنه قدوس، إشارة إلى أنه سبحانه مع كونه ملكًا مدبرًا متصرفًا في كل شيء، فهو قدوس منزه عما يعتري الملوك من النقائص التي أشهرها الاستبداد والظلم والاسترسال مع الهوى والمحاباة.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠]. فكم من مصل قائم صائم، قلبه يغلي حقدًا وحسدًا على كثير من إخوانه المسلمين، وكم من إنسان يستطيع صيام النهار، وقيام الليل، وبذل المال، لكنه لا يستطيع علاج قلبه من هذا المرض. فمن كان في قلبه غل على إخوانه المسلمين فنصيبه من هذا الثناء من الله في الآية الكريمة يضعف بقدر ما عنده من هذا المرض العضال – إن كان له نصيب – نسأل الله السلامة والعافية. ففتش نفسك، فإنه قل من يسلم من هذا الداء، فإن وجدت عندها شيئًا من هذا فألزمها تقوى الله، وأعلمها بأن الجنة وعدت ملأها، وإن النار وعدت ملأها، وأن الناس لو كانوا كلهم في الجنة ما ضرك ذلك، ولو كانوا كلهم في النار ما نفعك ذلك، فعالج قلبك. [٢٤] ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾ [الحشر : ٢٤]. الخالق هو الذي قدَّر ما يوجده، والبارئ هو الذي يُميِّز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة، وقيل: الخالق المبدئ، والبارئ المعيد. [٢١] ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر : ٢١]. أي لو جعلناه في جبل، أي: على قساوته، تمييزًا كما في الإنسان، ثم أنزلنا عليه القرآن، لتَشقق، خشية من الله، وخوفًا ألّا يؤدي حقه، في تعظيم القرآن، والمقصود تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقِلة خشوعه، عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر زواجره.

= مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سُورَةُ المُمتَحنَة

١ - ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾: من المشركين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أنصاراً ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: لا تتولوهم وتوادوهم وهذه حالهم. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ بمعنى: ويُخرجونكم أيضاً من دياركم كما اخرجوا الرسول ﷺ ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: لأن آمنتم بالله، أي: يخرجونكم لإيمانكم ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: قيل: نزلت هذه الآيات في حاطب ابن أبي بلتعة، وكان ممن شهد بدراً، فكتب إلى قريش يُطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم، وهو تجهزه لفتح مكة، فأوحى الله بذلك إلى نبيه، واظهره على كتاب حاطب. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في شأن حاطب -من حديث- «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». ٢- ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: يقول عز وجل: إن يلقوكم، ويظفروا بكم، أي هؤلاء الذين تُسرُّون إليهم بالمودة ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾: وحرباً ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: تمنّوا أن تكونوا كفاراً مثلهم. ٣- ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرق ربكم بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. ٤- ﴿أُسْوَةٌ﴾: قدوة ﴿بُرَءَٰٓؤُا۟﴾: بريئون منكم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي بما آمنتم به من الأوثان أو انكرنا ما أنتم عليه ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾: أي هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: أي لكم أسوة حسنة في إبراهيم في جميع أقواله وأفعاله إلا قوله لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾: فلا تقتدوا به فيه فتستغفروا للمشركين، فإن ذلك كان من إبراهيم عن موعدةٍ وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب. ٥- ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بأن تُسلطهم علينا، فيروا أنهم على حق، وأنا على باطل، فتجعلنا بذلك فتنة لهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، فكأنه قال: لا تجعلنا مفتونين، فعبّر عن ذلك بالمصدر. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: استر علينا ذنوبنا بعفوك.

[١] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها فتأتوني به»، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يدًا ويحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر، فقال النبي ﷺ: صدق. وفيه أنزلت هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

[٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة : ٤]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الممتحنة : ٦]. قاله هنا بتأنيث الفعل مع الفاعل لقربه، وإنْ جاز التذكير، وأعاده بتذكيره مع الفاعل لكثرته، وإن جاز التأنيث، وإنما كرر ذلك؛ لأنّ الأول في القول، والثاني في الفعل، وقيل: الأول في إبراهيم، والثاني في محمد ﷺ. [١] ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة : ١]. بدأه هنا بـ"تلقون"، وبعده بـ"تسرّون"؛ تنبيهًا بالأول على ذم مودة الأعداء سِرًا وجهرًا، وبالثاني على تأكيد ذمها سرًا، وخصّ الأول بالعموم لتقدمه، وباء "بالمودة" زائدة، وقيل نسبية، والمفعول محذوف، والتقدير: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودة التي بينكم وبينهم. [١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم﴾ [الممتحنة: ١]. ما الفرق بين: "مَوَدَّة، وُدّ"؟ الجواب: وردت كلمة (مودة) ثماني مرات، بينما وردت كلمة (وُدًّا) مرة واحدة. في المرة التي وردت فيها كلمة (وُدًّا) كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. بينما في الثماني المرات التي وردت فيها كلمة (مودة) كان الفاعل البشر. (الودّ) يكون منبعثًا من طرف إلى آخر، سواء أشركه الطرف الآخر أم لا. بينما (المودة) تكون متبادلة بين الطرفين. جاءت كلمة (ودًّا) مناسبة للسياق الذي وردت فيه، وقد خُتمت بها الآية (أي جاءت الكلمة كفاصلة للآية). ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ وهي في هذا الموضع أنسب من كلمة (مودة) حيث إنها وقعت (أي كلمة ودًّا) بين فواصل متناسقة (عدًّا، فردًا، ودًّا، لُدًّا). بينما جاءت كلمة مودة في وسط السياق، كما أنها تخلو من المدّ، لذا فلا يسوغ أن تأتي كفاصلة مثل كلمة (وُدًّا). [٣] ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿يَفْصِلُ﴾ قرئ: (يُفْصَل) بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففًا مبنيًا للمفعول والنائب ضمير المصدر المفهوم من يفصل، أي: الفصل أو بينكم، لكنه مبني على الفتح لإضافته إلى مبني مثل ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ عند من فتح. وقرئ: (يُفَصَّل) بضم الياء وفتح الصاد مشددة مبنيًا للمفعول أيضًا. وقرئ: (يَفْصِل) بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد المخففة مبنيًا للفاعل، وهو الله تعالى، أي: يحكم أو يفرق وصلكم. وقرئ: (يُفَصِّل) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة مبنيًا للفاعل أيضًا، أي: يفرق بإدخال المؤمن الجنة والكافر النار، والتشديد فيه معنى التكثير، والتخفيف يحتمل التكثير والتقليل، والقراءة في هذا الحرف ترجع إلى معنى واحد وهو: أن الله هو الفاصل بينهم يوم القيامة. [٤، ٦] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾ قرئ: (أُسوة) بضم الهمزة في الثلاثة "الأحزاب : ٢١، الممتحنة : ٤، ٦" وهي: لغة قيس وتميم. وقرئ: (إِسوة) بكسر الهمزة: لغة الحجاز، والأسوة: الاقتداء، اسم وضع موضع المصدر، وهو الائتساء كالقدوة من الاقتداء. [١] ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌ منهما (١٦) مرة. نزول سورة الممتحنة: نزلت بعد سورة الأحزاب، وهي مدنيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الممتحنة: ثلاثمائة وأربعون. عدد حروف سورة الممتحنة: ألف وخمسمائة وعشرة. أسماء سورة الممتحنة: لها ثلاثة أسماء: سورة الممتحنة، وسورة الامتحان؛ لذكره بها. الثّالث سورة المَوَدّة؛ لذكره بها. مواضيع سورة الممتحنة: معظم مقصود السّورة: النهي عن موالاة الخارجين عن مِلّة الإسلام، والاقتداءُ بالسّلف الصّالح في طريق الطّاعة والعبادة، وانتظار المودّة بعد العداوة، وامتحان المدّعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرّسول بكيفيّة البَيْعة مع أهل السّتر والعفّة، والتّجنّب من أهل الزّيغ والضّلالة.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ..﴾: الخطاب لأمة محمد ﷺ. ٧- ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾: إلى آخر الآية، ففعل الله ذلك بهم بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخواناً. وعن أبي هريرة والزهري أن أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين: أبو سفيان بن حرب. قال الزهري: وهو ممن قال الله تعالى فيه ﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾. ٨- ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم﴾: من أهل مكة. وقيل: من جميع أصناف الملل ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾: تصلوهم. ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾: تعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم. وبركم بهم. ٩- ﴿وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾: عاونوا من أخرجكم. ١٠- ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾. من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: فاختبروهن: كان يَمتحِنُهنَّ بالله ما خرجت من بُغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض لأرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله. ﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾: يقول عز وجل: أعطوا المشركين إذا جاءكم نساؤهم مؤمنات الصَّداق، الذي أصدَقُوهن ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا حرج عليكم ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: أن تتزوجوا هؤلاء المهاجرات ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾: يقول جل ثناؤه للمؤمنين: لا تمسكوا بحبال النساء الكوافر، وأسبابهن. و«الكوافر» جمع: كافرة، و«العِصَم» جمع: عصمة، وهي ما اعتُصم به من عقد وسبب. وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن المقام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان، وأمر لهم بفراقهن. ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾: يقول: ما ذهب من أزواج أصحاب محمد ﷺ إلى الكفار، فليعطهم الكفار صَدُقاتهنّ، وليُمسكوهُنَّ. وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبي ﷺ فمثل ذلك. وكان ذلك في الصلح الذي كان بين محمد ﷺ وقريش. ١١- ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: قيل: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: بمعنى: أصبتم منهم عُقبى، بغنيمة تصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بكم ﴿فَآتُوا﴾: أعطوا ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾: منكم ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾: من الصداق.

[٨] قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة فسألت النبي ﷺ أأصلها؟ قال: «نعم»، فأنزل الله فيها: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وأخرج أحمد، والبزار، والحاكم، وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبلها منها، أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة: أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته: فأمرها أن تقبل هداياها، وتدخلها منزلها، فأنزل الله: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية. [١٠] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ أخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ، وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء، ومنع أن يُرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الامتحان. وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه: أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة. وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة، فقالوا: ردها علينا، فنزلت. وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية، وكان صالحهم أن من أتاه رد إليهم، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية. وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب، فتأخرت امرأته في المشركين، فأنزل الله ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾. [١١] قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الآية قال: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت، فتزوجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها.

[٤، ٦] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة : ٤]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة : ٦]. ما فائدة تكرار الآية مرتين؟ **الجواب:** الآية الأولى أريد بها التأسي بهم في البراءة من الكفار، ومن عبادة غير الله تعالى، وأريد بالثانية التأسي بهم في الطاعات واجتناب المعاصي، لقوله تعالى بعده: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يريد ثوابه وعقابه. قول آخر فيه توسع: أنه تعالى أمر المؤمنين ألا يتخذوا أعداءه وأعداءهم أولياء بإلقاء أسباب المودة والنصيحة لهم، وسبب نزول هذه السورة قصة حاطب بن أبي بلتعة، رحمه الله، في كتابة إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وما يريده فيهم، ودفعه ذلك إلى ظعينة، ونزول الوحي بذلك، فبعث رسول الله ﷺ عليًا والمقداد وأمرهما أن يأتيا روضة خاخ، وقال لهما: إن بها ظعينة معها كتاب إلى أهل مكة، فذهب علي والمقداد، رضي الله عنهما، فوجدا الظعينة كما أخبرهما ﷺ. وأنكرت الكتاب، فاشتد عليها علي، رضي الله عنه، وقال: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتى به علي، رضي الله عنه، رسول الله ﷺ فإذا الكتاب من حاطب، فدعاه رسول الله ﷺ، وتبرأ حاطب من أن يكون فعل ذلك نفاقًا، واعتذر بما قبله منه رسول الله ﷺ، فنزل القرآن بتصديقه في اعتذاره، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة : ١]، فأمر تعالى بالتبري منهم، وقبل تعالى توبة حاطب، وأمر بالاقتداء بإبراهيم، عليه السلام، حين تبرأ هو ومن معه من المؤمنين من قولهم إلا ما كان من موعدة إبراهيم لأبيه بالاستغفار إلى أن تبين له أنه عدو الله فتبرأ منه، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة : ٤]، فلما أوضح تعالى من ذلك ما فيه شفاء المؤمنين أتبعه تعالى بالقسم المؤكد لذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة : ٦]، أي المذكورون أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أي: عن=

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة : ٦]. كرر الحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرًا ومضطرًا إلى ذلك غاية الاضطرار. [١٠] ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ قوله تعالى: ﴿تُمْسِكُوا﴾ قرئ: (تُمْسِكوا) بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك. وقرئ: (تُمَسِّكوا) بفتح الميم وتشديد السين من مسَّك.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

١٢- ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾: بكـذب يكذبنه ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: فـلا يُلحقـن بأزواجهن غير أولادهم. قال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فـذلك البهتان المفترى، وليس المراد هنا أنها تنسب ولدها من زوجها إلى الزنا، لأن ذلك قد دخل تحت النهي عن الزنا. وقيل: كانت الحرّة تولد لها الجارية فتجعل مكانها غلاماً. ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: من أمر الله تأمرهن به. وفي بعض الروايات أن جماعة نساء بايعن النبي ﷺ -وكان ذلك يوم فتح مكة- فقلن: يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا.. الآية. فلما فرغن قال رسول الله ﷺ: فيما استطعتن وأطقتن، فقلن: الله ورسوله أرحم بنا منّا بأنفسنا. رواه الترمذي والنسائي وغيرهما، وصححه الألباني. ١٣- ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: من اليهود. وقيل: هم جميع طوائف الكفر ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: من ثواب الله لهم في الآخرة. أو: لا يوقنون بالآخرة البتة بسبب كفرهم ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: كما يئس الكفار الأحياء من موتاهم الذين في القبور، أن يُبعثوا أو يعودوا إليهم.

سُورَةُ الصَّفِّ

١- ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في سلطانه وقدرته ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله وتدبيره. ٢- ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: قيل: نزلت في قوم من المؤمنين تمنّوا معرفة أفضل الأعمال ليعملوا بها، فلما أُنزل الجهاد شقّ ذلك على أناس منهم، فعوتبوا بهذه الآية. والاستفهام للتقريع. ٣- ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: يقول عزَّ وجلَّ: عظم مقتاً عند ربكم، والمقت: البغض. ٤- ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾: قد رُصَّ بعضه إلى بعض، ورُصِف، فأُحكم بناؤه. ٥- ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾: بتعنتكم وعصيانكم. وقيل: بالشتم والانتقاص. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾: «قد» لتحقق العلم. وصيغة المضارعة للدلالة على الاستمرار. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: عدلوا وجاروا عن قصد السبيل ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أمال الله عنه قلوبهم.

[١٣] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أخرج ابن المنذر من طريق ابن إسحاق عن محمد، عن عكرمة، وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحرث يوادان رجالًا من يهود، فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾. [١، ٢] قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.

= الاقتداء والتأسي بمن أرشد سبحانه إلى التأسي به فيما ذكر: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، فالأولى تنبيه وإرشاد، والثانية تأكيد، وسبب كل آية منهما الذي به اتصالها وتعلقها بيّن، ولا يلائم كل واحدة ولا يناسبها غير موضعها، والله أعلم. [١٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]. ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء والوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذبًا أنهم مسلمون، وأنك رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية الممتحنة: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم؛ لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يئس الكفار مِن بَعْث موتاهم -أصحاب القبور-؛ لاعتقادهم عدم البعث. [١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحشر والصف، ومعناها: نزّه الله عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السماوات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في قَدَره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها. [٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾. لماذا جاءت كلمة "الكذب" معرفة بالألف واللام في سورة الصف، وباقي المواضع بالتنكير؟ الجواب: المراد بآية الصف كذب خاص، وهو جعلهم البينات سحرًا، والمراد في بقية المواضع أي كذب كان. [٨] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. حذف اللام من الآية الأولى؛ لأنَّ مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، وهو المفعول به، والتقدير: ذلك قولهم بأفواههم، ومرادهم إطفاء نور الله بأفواههم. والمراد الذي هو المفعول به في الصفّ مضمر تقديره: ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب يريدون ذلك ليطفئوا نور الله، فاللام لام العِلّة. وذهب بعض النحاة إلى أن الفعل محمول على =

[٦] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ قوله تعالى: ﴿ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ في "المائدة: ١١٠، يونس: ٢، هود: ٧، الصف: ٦" قرئ: (ساحر) بالألف بعد السين وكسر الحاء في الأربعة اسم فاعل. وقرئ: (سِحْر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف في الأربعة على المصدر، أي: ما هذا الخارق إلا سحر، أو جعلوه نفس السحر كرجل عدل مبالغة. [٨] ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ قرئ: (متمُّ نوره) «متمُّ» بغير تنوين "نوره" بالخفض من إضافة اسم الفاعل. وقرئ: (متمٌّ نورَه) بالتنوين والنصب على إعمال اسم الفاعل. [١٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تُنجِيكُم ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد في الجيم: (تُنْجِيكم - تُنَجِّيكم)، وهما لغتان، والأول من (أنجى)، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ والثاني: من (نجّى) قال تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ ﴾ وهما في القرآن كثير، غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل على معنى نجاة بعد نجاة.

نزول سورة الصف: نزلت بعد سورة التغابن، وهي مكيّة بالاتفاق. عدد كلمات سورة الصف: مائتان وإحدى وعشرون. عدد حروف سورة الصف: تسعمائة. أسماء سورة الصف: ولها اسمان: سورة الصّف؛ لذكره بها. وسورة الحَواريّين؛ لذكرهم بها. وقيل: تسمّى سورة عيسى. مواضيع سورة الصف: معظم مقصود السّورة: عتاب الذين يقولون أقوالاً لا يعملون بمقتضاها، وتشريف صفوف الغُزَاة والمصلّين، والتّنبيهُ على جفاءِ بني إسرائيل، وإظهار دِين المصطفى على سائر الأديان، وبيان التجارة الرّابحة مع الرّحيم الرّحمن، والبشارة بنصر أهل الإيمان، على أهل الكفر والخِذلان، وغلبة بني إسرائيل على أعدائهم ذوي العُدْوان.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: بُعث عيسى عليه السلام في بني إسرائيل، مثل أخيه موسى عليه السلام. و«إنجيله» مصدّق لتوراة موسى عليه السلام. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: محمد ﷺ. وقيل: لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا: هذا الذي جاءنا به سحر ظاهر. ٨- ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمداً، بقولهم: إنه ساحر، وأن الذي جاء به سحر. ٩- ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليجعله ظاهراً على كل دين سواه، عالياً عليه، غالباً له، ولو كره المشركون ذلك! قيل: قال مجاهد: عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام حتى تصير الملة واحدة، فلا يكون غير الإسلام. وقيل: المعنى: أن يظهره حتى لا يوجد دين إلا والإسلام أظهر منه. ١٠- ﴿تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾: جعل الأعمال المذكورة بعدها بمنزلة التجارة لأنها تشتمل على أعظم ربح في حياة الإنسان، وهو دخول الجنة، والنجاة من النار. ١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾: فكان منهم من بايعه ليلة العقبة، وهم اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار، بايعوه على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأن يمنعوا رسول الله ﷺ مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم، فإذا فعلوا ذلك فلهم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يعني: من أنصاري منكم إلى نصرة الله لي. وقيل: من أنصاري فيما يقرّب إلى الله. وقيل: «إلى» في الآية بمعنى «مع». ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: سُمّوا بـ«الحواريين»: لبياض ثيابهم. قيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثياب، أي يبيضونها. ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: على ما بعث به أنبياءه من الحق ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾: منهم به ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: أي: قوّينا مؤمنيهم على كفارهم فغلبوهم وظهروا عليهم. وقيل: أصبحوا ظاهرين: في إظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار. وقيل: أيدوا بمحمد ﷺ، فأصبحت حجة مَن آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد أن عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ﴾ أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ ﴾ الآية، فكرهوا الجهاد، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾. وأخرج ابن ابي حاتم من طريق علي، عن ابن عباس نحوه. وأخرج من طريق عكرمة، عن ابن عباس، وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

[١١]قوله تعالى: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين. فنزلت: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾. = المصدر. أي: إرادتهم لإطفاءِ نور الله. قول آخر: أن زيادة آية براءة مقابَل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى، قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٠]، فوقع في المحكي هنا طول اقتضى ما بني جوابًا عليه ليتناسب. وأمّا آية الصف فمقابَل بها قول عيسى عليه السلام لما قال لهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦]، ثم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، وإنما الجواب على المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وليس هذا في الطول وعدة الكلم المحكي في سورة براءة، ألا ترى أن الواقع في سورة براءة ست كلمات "عزير ابن الله - المسيح ابن الله"، وفي الصف ثلاث كلمات "هذا سحر مبين"، ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين منهم اليهود والنصارى مفصحًا به، والواقع في الصف مقالة طائفة واحدة، وهذا مراعًى، فقد وضح ورود كل من الآيتين مناسبًا لما اتصل به، وعلى ما يجب في السورتين، والله أعلم. [٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣، الصف : ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والصف، والآية تبين أن الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق، أي: الإسلام، وظهوره على الأديان. [١٢] ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢]، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصف : ١٢]. وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم، فهذا ما دلت عليه آية التوبة، أمّا آية الصف: إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده.

[٦] ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦]. كيف خصّ عيسى أحمد بالذكر دون "محمد" مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟ الجواب: خصّه بالذكر؛ لأنه في الإنجيل مسمّى بهذا الاسم، ولأنّ اسمه في السماء "أحمد"، فذكر باسمه السماوي؛ لأنه أحمد الناس لربه؛ ولأنّ حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لأمته، سابق على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيه ﷺ لهم. [٨] ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الصف : ٨]. وإنما خص الأفواه بالذكر – مع أنهم لم ولن يدخروا وسيلة لرد الحق بقول أو فعل إلا عملوها – إشارة لضعفهم ووهنهم، فهم في هذا أشد ضعفًا ووهنًا ممن يريدون إطفاء نور الشمس بأفواههم. [١٣] ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

[١٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قوله تعالى: ﴿أَنصَارَ﴾ قرئ: (أنصارَ) غير منون مضافًا إلى لفظ الجلالة بلا "لام" جر. وقرئ: أيضاً (أنصارًا) منوناً (لله) "بلام" الجر، و"اللام" إما مزيدة في المفعول للتقوية إذ الأصل: أنصار الله، أو غير مزيدة: ويكون الجار والمجرور نعتاً للأنصار.

[٨] ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ القرآن بمشتقاته مع ألفاظ النور والحكمة والتنزيل، وقد ورد كلٌّ (٦٨) مرة في القرآن الكريم. أولًا: ورد لفظ (القرآن) (٦٨) مرة في كتاب الله عز وجل. ثانيًا: تكرر لفظ (النور) (٣٣) مرة في كتاب الله عز وجل. ثالثًا: تكرر ذكر (الحكمة) (٢٠) مرة في كتاب الله عز وجل. رابعًا: تكرر ذكر (التنزيل) (١٥) مرة في كتاب الله عز وجل.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الجُمُعَةِ

١- ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾: الطاهر من كل عيب، المنزه عن كل نقص يضيفه إليه الضالُّون والمشركون ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب، في سلطانه وقدرته. ٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: يعني العرب، وسُموا بذلك لأنه لم ينزل عليهم كتاب. والأمي في الأصل: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب. ﴿يَتْلُواْ﴾: يقرأ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرهم من الشِّرك ودنس الكفر. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآن والسنة. وقيل: الحكمة: الفقه في الدين. ٣- ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: كل لاحق بأصحاب رسول الله ﷺ بإسلامهم، من أي الأجناس كانوا ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾: يقول: لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون، أي سيجيئون في وقت لاحق. والمعنى: أن النبي ﷺ بُعث نبياً ومُعلماً لمن كان في عصره ولمن يأتي بعدهم إلى يوم الدين.

٤- ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾: في هذه الآية والآيتين السابقتين تزكية للصحابة الكرام، وإشادة بعلمهم وفضلهم رضوان الله عليهم. ٥- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: من اليهود والنصارى، أي أُوتوها، وحُمِّلوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: كتباً من العلم على ظهره، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها. ٦- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾: يعني: اليهود ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾: لتستريحوا من كرب الدنيا وغمومها، وتصيروا إلى روح الجِنان، وإلى ما زعمتم من المكانة والكرامة!. ٧- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾: الآية: أخبر تعالى أنهم لا يتمنون الموت–ولا يلقونه إلا كرهاً– لعلمهم بسوء حالهم عند الله تعالى وبعدهم عنه. وروى كثير من المفسرين أن الله تعالى جعل هذه الآية معجزة لمحمد ﷺ، فقد أعلمه أنه إن تمنّى أحد منهم الموت في أيام معدودة مات وفارق الدنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «تمنّوا الموت» على جهة التعجيز وإظهار الدلالة والمعجزة؛ فما تمنّاه أحد، خوفاً من الموت، وثقة بصدق رسول الله ﷺ. وروى البخاري والترمذي وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «.. ولو أن اليهود تمنّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالاً».

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الجمعة :١، التغابن : ١] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. لما أخبر أولًا بأنه سبح له ما في السماوات وما في الأرض أخبر أن ذلك التسبيح دائم لا ينقطع، وبأنه باقٍ ببقائه، دائم بدوام صفاته الموجبات لتسبيحه. قول آخر: انظر سورة التغابن. [١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة : ١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن : ١]. الآيتان تبينان أنه ينزِّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السماوات وما في الأرض، وآية الجمعة توضح أن الله هو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزَّه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وصنعه، وأما آية التغابن فتبين أن الله سبحانه له التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير. [٧] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ٩٥]، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة : ٧]. لما كانت دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة أكد نفي ذلك بـ﴿لَن﴾، لأنها أبلغ في النفي من ﴿لَا﴾، لظهورها في الاستغراق، وفي الجمعة ادعوا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته، فأتى بـ﴿لَا﴾ النافية للولاية، وكلاهما مؤكد بالتأبيد، لكن في البقرة أبلغ، وأيضًا وردت آية البقرة بعد ما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء، فناسب حرف المبالغة في النفي لتمنيهم الموت لما يعلمون ما لهم بعده من العذاب؛ لأن ﴿لَن﴾ أبلغ في النفي عند كثير من أئمة العربية، وآية الجمعة لم يتقدمها ذلك، فجاءت بـ﴿وَلَا﴾ الدالة على مطلق النفي من غير مبالغة. قول آخر: الوارد في آية البقرة جواب لحكم أُخروي مستقبل، فناسبه النفي بما وضع من الحروف لنفي المستقبل، لأن "لن يفعل" جواب سيفعل. وأمّا آية الجمعة فهي جواب لزعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس، وذلك حكم دنيوي حالي لا استقبالي، فناسبه النفي بلا التي لنفي ما يأتي وغيره.

=﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف : ١٣]. ويؤخذ من هذا التعبير القرآني المحبب للنفوس ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه ينبغي أن نكون مبشرين. وهذا التعبير القرآني العظيم يذكر بكلمة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله، تلك العبارة الرقيقة التي تدخل إلى شغاف القلوب عندما يسأله سائل كثيرًا ما يختم إجابته له بقوله: (وأبشر بالخير). [٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾ [الجمعة : ٢]. ما وجه التقييد في بعث الرسول بكونه أميًا منهم؟ الجواب: مشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم له، أو انتفاء سوء الظن عنه، في أنّ ما دعاهم إليه تعلّمه من كتب قرأها، وحِكَم تلاها. [٥] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة : ٥]. شبَّه سبحانه من حُمِّلَ كتابًا ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبر، ولا تفهم، ولا اتباع له، ولا تحكيم له وعمل بموجبه - كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة : ١٠]. أمر بالجمع بين الابتغاء من فضله، وكثرة ذكره، ولهذا ورد فضلُ الذكر في الأسواق ومواطن الغفلة كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من دخل سوقًا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة" صححه الألباني. [١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة : ١١]. لماذا تقديم وتأخير "اللهو" على "التجارة" في آية سورة الجمعة؟ الجواب: نزلت هذه الآية بينما كان الرسول ﷺ يخطب بعد صلاة الجمعة، فجاءت العير بتجارة وكانت سنة شديدة، فانفضّ الناس بسبب التجارة وليس بسبب اللهو، فعندما نودي أن القافلة وصلت انفض=

نزول سورة الجمعة: نزلت بعد سورة الصف، وهي مَدَنِيَّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة الجمعة: مائة وثمانون. عدد حروف سورة الجمعة: سبعمائة وعشرون. أسماء سورة الجمعة: وتسمّى سورة الجمعة؛ لذكرها بها. مواضيع سورة الجمعة: معظم مقصود السّورة: بيان بَعْث المصطفى ﷺ، وتعْيير اليهود، والشكاية من قوم بإعراضهم عن الجمعة، وتقوية القلوب بضمان الرّزق لكلّ حَي. نزول سورة المنافقون: نزلت بعد سورة الحج، وهي مدنيّة بالاتِّفاق. عدد كلمات سورة المنافقون: مائة =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾

٩- ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾: هو النداء الذي يُدعى به إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له، واشتغلوا بأسبابه من الوضوء والتوجه إليه ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾: والشراء؛ أي اتركوهما، ويلحق بهما سائر المعاملات. ١٠- ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: إن شئتم. ذلك رخصة من الله لكم. ١١- ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: أي: أسرعوا إلى التجارة ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾: على المنبر. ذكر أن دِحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارة زيت من الشام -والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة- وكان من عُرفهم أن تدخل العير المدينة بالطبل من ورائها، فدخلت العير بمثل ذلك، فانفضّ أهل المسجد إلى رؤية ذلك وسماعه، وكان بأهل المدينة فاقة وحاجة، فنزلت هذه الآية. وقيل: لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ إلا اثنا عشر رجلاً، هم العشرة المشهود لهم بالجنة، وبلال، وعبد الله بن مسعود في إحدى روايتين، وفي الأخرى عمار بن ياسر رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك -لا ذهابكم عنها، وترككم للنبي ﷺ- يجلب لكم الرزق، لأن الرزق بيد الله يرزق من يشاء.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

١- ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾: كذّب الله ضمائرهم، لأنهم كانوا يضمرون النفاق. ٢- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾: حلِفَهم ﴿جُنَّةٗ﴾: وقاية وسترة يستترون بها، ويمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ﴾: فأعرضوا. ٣- ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: ختم عليها، بسبب كفرهم. ٤- ﴿تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾: لاستواء خلقهم، وحُسن صورهم ﴿وَإِن يَقُولُواْ﴾: يتكلموا ﴿تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾: تسمع كلامهم، لشبّه منطقهم بمنطق الناس، أو لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾: لا خير عندهم، ولا فقه لهم، وإنما هم صور بلا عقول ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾: يقول: يحسب هؤلاء المنافقون كل صيحة يسمعونها، واقعة عليهم، لأنهم على وجل وخوف، أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويُبيح للمسلمين قتلهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أخزاهم الله ولعنهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: إلى أي وجه يُصرَفون عن الحق؟ وكيف يميلون عنه إلى الكفر؟

[١١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾. أخرج الشيخان عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عير قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾. وأخرج ابن جرير عن جابر أيضًا قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبر والمزامير، ويتركون النبي ﷺ قائمًا على المنبر وينفضون إليها، فنزلت، وكأنها نزلت في الأمرين معًا، ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدوم العير معًا من طريق واحد، وأنها نزلت في الأمرين، فلله الحمد.

[٢] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [المجادلة: ١٦]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]. اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب ذلك صدُّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُذلٌّ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، وصدِّهم عن سبيله، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمَّا آية المنافقون: إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون. = الناس عن الرسول ﷺ ولهذا قدّم "التجارة" في أول الآية، ثم في نهاية الآية قدّم تعالى "اللهو" على "التجارة"؛ لأنه ليس كل الناس ينشغلون بالتجارة عن الصلاة، فكثير ينشغلون باللهو، وما عند الله تعالى خيرٌ من اللهو ومن التجارة، لذا قدّم "اللهو" على "التجارة". وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: التجارة مظنّة الرزق، فوضع التجارة بجانب قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، ولم يكن مناسبًا أن يُسبق قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ باللهو، وفي اللغة عادة يُترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فذكر الأدنى "اللهو" ثم الأعلى "التجارة". وهناك أمر آخر وهو تكرار "من" في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾؛ لأنه لو قال "من اللهو والتجارة" لأفاد أن الخيرية لا تكون إلا باجتماعهما، -أي اللهو والتجارة- أما قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ فهي تفيد أن الخيرية من اللهو على جهة الاستقلال، ومن التجارة على جهة الاستقلال أيضًا، فإن اجتمعا زاد الأمر سوءًا.

[١] ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، أي: في شهادتهم التي لا يعتقدونها، فالتكذيب للشهادة، لا للمشهود به.

[٤] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس: ٩٢]، ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ [المنافقون: ٤]. ما الفرق بين: "جِسْم وجَسَد وبَدَن"؟ الجواب: الجسم: يُطلق على العقلاء حال الحياة. والجسد: يُطلق على ما لا روح فيه. والبدن: يُطلق على العقلاء بعد الموت.

[٤] ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ [المنافقون: ٤]. شبه هيئة جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين على الجدار، يتحدثون، ويبدون الاستماع لحديث رسول ﷺ، شبه هذه الهيئة بالخشب، لأنها ذات أجسام طويلة بيّنة في الصورة، ولكنها خالية من العقل، بعيدة عن الفهم، وتأملوا وصف الخشب بقوله: ﴿مُّسَنَّدَةٞ﴾؛ لأن الخشب يمكن أن تفيد إذا سقف بها المكان، لكنها إذا سنّدت لم يستفد منها في تلك الحالة، والمنافقون مثل الخشب غير المفيدة.

[٥] ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٥]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩]. ما الفرق بين: "أقبلْ- تعالَ- ائتِ- هاؤم"؟ الجواب: (أقبل) أمرٌ متعين طلبًا للإقبال ونهيًا عن الإدبار المتلبس به المخاطب. أما (تعال) فلا يقصد بها الانتقال الحركي الحقيقي، بل المراد كما قال الزمخشري: (تعالوا: هلُمُّوا، =

[١١] ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ قرئ: (يعملون) بالغيب لمناسبة ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ﴾. وقرئ: (تعملون) بالخطاب لمناسبة ﴿مِّن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾.

[٤] ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ قوله تعالى: ﴿خُشُبٞ﴾ قرئ: (خُشُب) بضم الشين. وقرئ: (خُشْب) بسكون الشين. و(خُشُب-خُشْب) جمع خَشَبة، كأسَد في أُسُد وأُسْد. = وثمانون. عدد حروف سورة المنافقون: سبعمائة وستة وسبعون. أسماء سورة المنافقون: سمّيت سورة المنافقين؛ بمفتتحها. مواضيع سورة المنافقون: معظم مقصود السّورة: تقريع المنافقين وتبكيتهم، وبيان ذلّهم وكذبهم، وذكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزّهم وشرفهم، والنّهي عن

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

٥- ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾: حركوها وهزُّوها استهزاءً برسول الله ﷺ ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يُعرضون عما دُعوا إليه ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن المسير إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم. ٧- ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: إشارة إلى عبد الله بن أُبيّ ومن قال بقوله. ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: من أصحابه المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾: يتفرقوا عنه. ظن المنافقون أن إنفاقهم هو سبب رزق المهاجرين، وأنهم إذا حاربوهم في هذا الرزق تركوا رسول الله! يا لغباء المنافقين وتخلّفهم وفساد عقلهم حين قالوا هذا في المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم نصرةً لدينهم ونبيّهم. هذا، ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ٨- ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾: قيل: اقتتل رجلان، أحدهما من «جُهينة»، والثاني من «غِفار»، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، فظهر عليه الغفاري، فقال عبد الله بن أبي: عليكم صاحبكم وحليفكم، فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل: «سمِّن كلبَك يأكُلْك» والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذل، فبلّغ ذلكَ زيدُ بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وكان في سفر، فلما بلغ ابن أبيّ المدينة أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل» فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فأذن له ﷺ في دخولها. وروي أن عبد الله بن عبد الله بن أبيّ لما سمع الآية جاء إلى أبيه وقال له: أنت والله يا أبت الذليل، ورسول الله العزيز. ٩- ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: قيل: عنى الصلوات الخمس. ١٠- ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾: هلاّ أمهلتني وأخرت موتي إلى أمدٍ قصير. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أؤدّي زكاة مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: أعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك. ١١- ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾: حضٌ على المبادرة ومسابقة الأجَل بالعمل الصالح.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله. [٦] قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وأخرج عن عروة قال: لما نزلت: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال: النبي ﷺ «لأزيدن على السبعين» فأنزل الله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية. وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ: «وأنا أسمع أني قد رخص لي فيهم، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم» فنزلت. [٧، ٨] قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني وصدقه، فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله ﷺ، ومقتك، فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إليّ رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: إن الله قد صدقك. له طرق كثيرة عن زيد، وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك، وأن نزول السورة ليلاً.

[٧، ٨] ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. لما قالوا: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ختم بأنهم ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: لا يفهمون أن الأرزاق على الله تعالى، وأن منعهم ذلك لا يضرهم؛ لأن الله تعالى يرزقهم إذا منعوهم من جهة أخرى، فلما كان الفكر في ذلك أمرًا خفيًا يحتاج إلى فكر وفهم، وأن خزائن الله سبحانه مقدورة إذا شاءها قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، وأما ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فرد على عبد الله بن أبيّ حين قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾؛ لأن ذلك يدل على عدم علمه أن العزة لله وللرسول، يعزُّ من يشاء، ويُذل من يشاء، فمنه العِزة وهو مُعطيها لمن يشاء، وليس ذلك إلى غيره، وذلك من الأمور الظاهرة لمن عرف الله تعالى، فجهَّلَهم بقولهم ذلك مع ظهور دليله. = والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة) -راجع الآيات من (١٢-١٤) سورة الإنسان-. إذًا، (أقبل) يُراد منها الإقبال الحقيقي الحسي الحركي، و(تعال) يُراد منها الإقبال المعنوي المجازي. و(أقبلْ) تكون خطابًا لمن هو في حالة إدبار حسي متلبس به بالفعل، أما (تعال) فليست كذلك. لذا قيل لموسى عليه السلام: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١]، ولم يُقل له: (تعالَ)؛ لأنه كان في حالة إدبار، ويمكنك أن تستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١]. أما (ائت) فلم تأت في القرآن إلا بمعنى (اذهب) كقوله تعالى: ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] أي: اذهب إلى القوم الظالمين، ففرقٌ كبيرٌ بين كلمة (ائت)، وكلمتي (أقبلْ) و(تعال). أما (هاؤم) (فلم تأت إلا مرة واحدة في القرآن)، في قوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقد ذكر بعضُ اللغويين أن (هاؤم) جاءت لإجابة الداعي في حالة الفرح والنشاط، فإن فرح مَنْ يُؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة لا يُعادله فرحٌ، ونشاطه وخفة نفسه وبهجة مشاعره، ليس لها نظيرٌ، لأنها السعادة الأبدية والفوز العظيم. [٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. في ذلك تحذير من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله، فوقعوا في النفاق، فمن علامات النفاق قلة ذكر الله عز وجل، وكثرة ذكره أمان من النفاق، والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله تعالى. [٥] ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا﴾ قرئ: (لَوَوا) بتخفيف الواو الأولى من لوى مخففًا. وقرئ: (لوَّوا) بالتشديد على التكثير من لوَّى الرباعي، وسبق الكلام على خشب مع نظائرها. [١٠] ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَكُن﴾ قرئ: (وأكونَ) بالواو بعد الكاف ونصب النون عطفاً على "فأصدق" المنصوب بإضمار "أن" بعد جواب التمني، وهو ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ فهو محمول على مصدر أخرتني، والكلام فيه كالكلام على ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ في العلة والشرح، فلو عطفته على لفظ ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ لاستحال المعنى، ولصرت تتمنى أن تكون من الصالحين، وليس المعنى كذلك، إنما المعنى: أنه التزم أن يكون من الصالحين إن أُخِّرَ. وقرئ: (وأكنْ) بحذف الواو لالتقاء الساكنين وبجزم النون، قال الزمخشري: عطفاً على محل "فأصدق" المنصوب لأن موضعه قبل دخول الفاء فيه جزم كما يجزم جواب الشرط لأنه غير واجب، إذ يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن. وحكي عن سيبويه عن الخليل: أنه جزم على توهم الشرط =

= نسيان ذكر الحقّ تعالى، والغفلة عنه، والإخبار عن ندامة الكفّار بعد الموت، وبيان أنّه لا تأخير ولا إمهال بعد حلول الأجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

سورة التغابن

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنزه الله تعالى ويُعظمه. ٢- ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: أي: منكم من اختار طريق الإيمان ومنكم من اختار طريق الكفر. وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الكافر، وكفرُه فعلٌ له وكسب، مع أن الله خالق الكفر. وخلق المؤمن، وإيمانه فِعلٌ له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان. ٣- ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل، والحكمة البالغة. ٤- ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بضمائر الصدور، وما تنطوي عليه النفوس الذي هو أخفى من السر. ٥- ﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلكم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: فمسهم عقاب الله على كفرهم. ٦- ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: استكباراً عن الحق، من أجل أن بشراً مثلهم دعاهم إليه. ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: عنهم وعن إيمانهم وعبادتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن جميع خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود عند جميعهم بجميل أياديه عليهم، وكريم فعاله بهم. ٧- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الزعم: هو القول بالظن، ويطلق على الكذب؛ قال شريح: لكل شيء كنية، وكنية الكذب: زعموا. ٨- ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾: هو القرآن. ٩- ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يوم يجمع الخلائق للعرض على الله ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: يومُ غَبْن أهلِ الجنة أهلَ النار؛ لأنهم نزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهلَ النار تركوا النعيم إلى العذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك، يقال: غبنتُ فلاناً: إذا بايعته أو شاريته فكان النقص والغلبة عليه، فالمغبون: من غُبِن أهله ومنازله في الجنة ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: يمحها عنهم ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ﴾: النجاءُ.

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الجمعة :١، التغابن : ١] ليس في القرآن غيرهما، وباقي المواضع ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الحديد : ١، الحشر : ١، الصف : ١]. لما أخبر أولًا بأنه سبح له ما في السماوات وما في الأرض، أخبر أن ذلك التسبيح دائم لا ينقطع، وبأنه باق ببقائه، دائم بدوام صفاته الموجبات لتسبيحه. قول آخر: حين نتأمل سياق السور التي افتتحت بـ"سبح"، و"يسبح" نلحظ أمرًا ظاهرًا في سياق مبنى السورة، فالآية التي ورد فيها اسم السورة تمثل الغرض الأساس منها، ولهذا نجد التناسب بين مطلع السور المفتتحة بـ"سبح" و"يسبح"، والآية التي ورد فيها اسم السورة من حيث الدلالة على الماضي والحال والاستقبال، فآية الجمعة: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة : ٩]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة : ١٠]، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة : ١١]، فهذه أوامر تجري في المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. أما آية التغابن فهي: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن : ٩]، وهذا أمر مستقبل، فناسب السورتين الافتتاح بلفظ المستقبل "يسبح". أما سورة الحديد التي افتتحت بلفظ الماضي، ففيها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد : ٢٥]، فالآية مؤسسة على الماضي فجاء المطلع به، وكذلك سورة الحشر جاءت بلفظ الماضي، لمناسبة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر : ٢]، والله تعالى أعلم. [١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة : ١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن : ١]. الآيتان تبينان أنه ينزِّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السماوات وما في الأرض، وآية الجمعة توضح أن الله هو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزَّه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وصنعه، وأما آية التغابن فتبين أن الله سبحانه له التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير. [٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [غافر : ٢٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا﴾ [التغابن : ٦]. آية غافر خصت بالجمع؛ لأن هاءَ الكناية إنما زيدت لامتناع "أنَّ" عن الدخول على كان، فخُصّت سورة غافر بكناية المتقدّم ذكرهم؛ موافقة لقوله: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، وخُصّت سورة التغابن بضمير الأمر والشأن توصّلًا إلى كان. ضمير الشأن في الكلام يكسبه نبلًا وفخامة؛ لأنه يفسره ما بعده، فيتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فالسامع إذا لم يفهم من الضمير معنى، بقي منتظرًا لعقبى=

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [التغابن : ١]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [التغابن : ٤]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن : ٤]. لماذا جاءت "ما" في الموضع الأول والثالث ولم تأت في الثاني؟ الجواب: لما كان تسبيح أهل السماوات يختلف عن تسبيح أهل الأرض في الكمية والكيفية والإخلاص والمواظبة، ناسب ذلك التفصيل بـ"ما". ولما كان "العلم" معنى واحدًا لا يختلف معناه باختلاف المعلومات، ناسبه حذف "ما" لاتحاده في نفسه. ولما اختلف معنى "الإسرار والإعلان"، ناسب ذلك إتيان "ما" لما بينهما من التباين، والفرق بينه تعالى وبين غيره في علم السر والعلن.

= الذي يدل عليه التمني، إذ لا محل هنا لأن الشرط ليس بظاهر، وإنما يعطف على محل حيث يظهر الشرط، وتقدير الكلام: أخرني فإن تؤخرني أصدق، فلما كان الفعل المنصوب في موضع فعل مجزوم، كأنه جزاء الشرط حمل عليه: وأكن، كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾ فمن جزم عطف على موضع (فلا هادي)؛ لأنه لو وقع هناك فعل لا يجزم، قال السمين: وهذا المشهور عند النحويين. [٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ قرئ: (نجمعكم) بنون العظمة. وقرئ: (يجمعكم) بالياء، والضمير راجع إلى الله في القراءتين. قوله تعالى: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ﴾ و﴿وَيُدْخِلْهُ﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾، في النساء : ١٣-١٤، ﴿يُدْخِلْهُ - يُعَذِّبْهُ﴾ في الفتح: ١٧، ـ ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ﴾=

[٧] ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة البعث بمشتقاتها ومترادفاتها، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها)، وكلٌّ ورد (٤٥) مرة. نزول سورة التغابن: نزلت بعد سورة التحريم، وهي مكيّة، إلا آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن : ١٤] إلى آخر السّورة. عدد كلمات سورة التغابن: مائتان وإحدى وأربعون. عدد حروف سورة التغابن: ألف وسبعون. أسماء سورة التغابن: وسمّيت سورة التّغابن؛ لذكره بها. مواضيع سورة التغابن: معظم مقصود السّورة: بيان تسبيح المخلوقات، والحكمة في تخليق الخَلْق، والشكاية من القرون الماضية، وإنكار الكفّار البعثَ=

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١١- ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾: لم تصب أحداً من الخلق مصيبةٌ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بقضائه وقدره ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يُوفِّق قلبه للتسليم لأمره، والرضا بقضائه. ١٤- ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة فثبَّطهم عن ذلك ازواجهم واولادهم ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾: أيها المؤمنونَ عما سلف منهم، من صَدِّهم إياكم عن الإسلام ﴿وَتَصْفَحُوا﴾: لهم عن عقوبتكم إياهم ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: لهم غير ذلك من الذنوب. ١٥- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي اختبار، فقد تشغل المرء عن مراشده، وتحمِّلُه من الرغبة في الدنيا على ما لا يُحمد في آخرته. ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن آثر طاعة الله فيما أمر، ولم يطع أحداً في معصيته. ١٦- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: ما أطقتم، وبلغت وسعكم ﴿وَاسْمَعُوا﴾: الرسول ﷺ ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾: انفقوا مالاً من أموالكم لأنفسكم تستنقذونها به من عذاب الله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: أي بُخلها وضنَّها بالمال. فيفضل عمَّا أمر به من الإنفاق. ١٧- ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ﴾: تنفقوا في سبيله وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: لأهل الإنفاق في سبيله ﴿حَلِيمٌ﴾: على أهل معاصيه. [١٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أخرج الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾في قوم من أهل مكة أسلموا، فأبى ازواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا، فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ الآية. قال الألباني: حديث حسن. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم، فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة. [١٦] قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفًا على المسلمين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ الآية. = الكلام كيف يكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه أفضل تمكن، ولذلك ذكر عبد القاهر الجرجاني أن من خصائص "أن" أنك ترى في ضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لاتراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصلح حيث صلح إلا بها. [٩] ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾[الطلاق : ١١]. لماذا جاءت آية التغابن بزيادة ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾؟ الجواب: الآية الأولى جاءت بعد قوله تعالى مخبرًا عن الكفار: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن : ٧]، فهذه سيئات تحتاج إلى تكفير، إذا آمن بالله، فقال: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ في مستقبل عمره يمسح عنه ما سبق من كفره، ثم يوجب له جنات، والآية الثانية لم يتقدمها خبر عن كفار بسيئات، فيوعدوا بتكفيرها إذا أقلعوا عنها وتابوا منها، وعملوا الصالحات مكانها، وكان مضمونًا تكفير السيئات عند الإيمان وعمل الصالحات، فلم يحتج إلى ذكره كما كان الأمر في غيره، والله أعلم. [١١] ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد : ٢٢]، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن : ١١]. فصّل في سورة الحديد، وأجمل في سورة التغابن؛ موافقة لما قبلها في سورة الحديد، فإنَّه فصّل أحوال الدّنيا والآخرة فيها، بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الحديد : ٢٠]. [١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة : ٩٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن : ١٢]. آية المائدة لما أعقب بها آية الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩١]، فختمت من التهديد بما يشعر بشديد الوعيد، ناسب ذلك قوله تأكيدًا لما تقدم من الإشعار بمخاوف الجزاء: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم، أمَّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التأكيد، ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن : ١١]، فلما لم يرد هنا نهي عن محرم متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد ما ورد هناك، فجاء كل على ما يجب ويناسب. [١٥] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن : ١٥]. واعلموا أيها المؤمنون أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه، فهذا ما دلت عليه آية الأنفال، أمَّا آية التغابن: ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن آثر طاعته على طاعة غيره، وأدَّى حق الله في ماله. [١٤] ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة : ١٢]، ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ [التغابن: ١٤]. ما الفرق بين: "كَفَّرَ وغَفَرَ"؟ الجواب: ١- اختصت (كفَّر) بالسيئات، بينما اختصت (غفر) بالذنوب والخطايا. ٢- اقتصر إسناد (كفَّر) إلى (الله)، بينما أسندت (غفر) إلى (الله) أو (إلى غيره). لم اختصت (كفَّر) بالسيئات و(غفر) بالذنوب والخطايا والجواب: أن التوبة نوعان: ١- نوعٌ متعلقٌ بمعاصٍ في حق الله -تعالى- وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها أبدًا. ٢- ونوعٌ يتعلق بمعاصٍ في حقِّ العباد، وهذا النوع تكون التوبة فيه بالندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إضافة إلى رد الحقوق والمظالم إلى أهلها. والنوع الأول يسير، والثاني عسير. وتسمى المعاصي من النوع الأول «ذنوبًا» أو «خطايا» والعفو عنها «غفرانًا» وتسمى معاصي النوع الثاني «سيئات»، والعفو عنها (تكفيرًا). = ﴿وَيُدْخِلْهُ﴾ في التغابن : ٩، ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الطلاق : ١١، قرئ: (ندخله - نعذبه - نكفر) بنون العظمة في السبعة، وقرئ: (يدخله - يعذبه - يكفر) بالياء فيها على الغيبة، ردًا لآخر الكلام على أوله؛ لأن أوله لفظ غيبة في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ليتآلف الكلام على نظام واحد.

= والقيامة، وبيان الثواب والعقاب، والإخبار عن عداوة الأهل والأولاد، والأمر بالتقوى حسب الاستطاعة، وتضعيف ثواب المتقين، والخبر عن اطّلاع الحقِّ على علم الغيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

سورة الطلاق

١- ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه، ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي مستقبلات لعدتهن. وقيل: في عدتهن. والمراد أن يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يُتركن حتى تنقضي عدّتهن ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوها، واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة، وهي ثلاثة قروء. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾: لا تُخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق، حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: يقول: ولا تُخرجوهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: أنها فاحشة لمن عاينها أو علمها. وقيل: «الفاحشة»: الزنا، والإخراج لإقامة الحد عليها. ومعنى «الفاحشة» ماهنا: كل أمر تعدّت فيه حده، كالزنا، والسرقة، والبذاء على أحمائها: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾: رجعة. ٢- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: يقول: فإذا بلغ المطلقات اللواتي في عدّةٍ أجلَهن، وذلك حين قُرب انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: برجعة تراجعوهن، إن أردتم ذلك، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتى تنقضي عددهن، فتَبينَ منكم بمعروف، وذلك بإعطائهن ما لهنّ من حقّ قبلَكم من الصَّداق والمتعة، على ما أوجب الله عليكم لهن ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: على الإمساك إن أمسكتموهن، وعند الطلاق إن طلقتموهن ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أدُّوها على الحق إذا دُعيتم إليها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: ينجيه من كل كرب. ٣- ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: من حيث لا يدري ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يُفوض أمره إليه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: منفذ أمره ممضٍ قضاءه في خلقه، وهو منقطع عن قوله «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» ومعنى ذلك: أن الله بالغٌ أمرَه، توكل عليه العبد أو لم يتوكل، غير أن المتوكل «يكفر عنه سيئاته ويُعظِم له أجراً» ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًّا وأجلاً. ٤- ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾: لا يرجون أن يحضن من الكبر ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: بالحكم فيهن، وفي عدتهن، فلم تدروا ما هي؟ فإن حُكم عددهن إذا طُلقن، بعد دخول أزواجهن بهن، ثلاثة أشهر. ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾: من الجواري لصغرهن، إذا طلقهن زواجهن بعد الدخول بهن، فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾: النساء الحوامل إذا طلقن، فانقضاء عدتهن أن يضعن أحمالهن.

[١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة، ثم نكح امرأة من مزينة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله ما به ما يغني عني إلا كما تغني هذه الشعرة، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. وقال الذهبي: الإسناد واه والخبر خطأ، إن عبد يزيد لم يدرك الإسلام. وأخرج ابن ابي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها فانزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها، فإنها صوامة قوامة. وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلًا. وابن المنذر عن ابن سيرين مرسلًا. وأخرج ابن أبي حاتم عن قاتل في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص، وطفيل بن الحرث، وعمرو بن سعيد بن العاص. [٢] قوله مالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ أخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد ثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال له: «اتق الله واصبر». فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء ابن له بغنم، وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال: «كلها» فنزلت. وقال الذهبي: «حديث منكر». له شاهد. وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد، والسدي، وسمي الرجل عوفًا الأشجعي. أخرج الحاكم أيضا من حديث ابن مسعود وسماه كذلك. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك =

[٢] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة : ٢٣١]، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق : ٢]. سورة البقرة تنهى عن مضارة النساء تحريم أخذ شيء منهن، وأتبع ذلك بالمنع عن عضلهن وقد تكرر أثناء ذلك الأمر بمجاملتهن والإحسان لهن سواء في حالة انفصال الزوجين أو اتصالهم، التلطف وتحسين الحال في المحبة والفراق، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾؛ لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، أمّا سورة الطلاق فلم يرد فيها تعرض لعضل ولا ذكر مضارة، فلم يذكر ورود التعبير بلفظ ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، والله أعلم. [٢] ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة : ٢٣٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق : ٢]. الخطاب في آية البقرة للنبي ﷺ، وقدم تشريفًا له، ثم عمم فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة : ٢٣٢]، وفي الطلاق الخطاب له ولأمته جميعًا، وقدم تشريفه بالنداء لقوله تعالى في أول السورة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق:١]. [٢] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق : ٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥]. أمر تعالى بالتّقوى في أحكام الطّلاق ثلاث رّات، ووعد في كلّ مرّة بنوع من الجزاءِ، فقال أوّلًا: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، أي يُخرجه ممّا أدخِل فيه وهو يكرهه، ويُتيح له محبوبه من حيث لا يأمل، وقال في الثاني: سهّل عليه الصّعب من أمره، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، ويُتيح له خيرًا ممَّن طلَّقها، والثالث: وَعَد عليه أفضلَ الجزاءِ، وهو ما يكون في الآخرة من نعماءِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥].

[٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ قوله تعالى: ﴿بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ قرئ: (بالغُ) بغير تنوين و﴿أَمْرِهِ﴾ الجر مضاف إليه من إضافة (بالغ) إلى (أمره) على التخفيف، مثل ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾. وقرئ: (بالغٌ أمرَه) بالتنوين والنصب على الأصل في إعمال اسم الفاعل إذا كان معنى الاستقبال، أو الحال. [٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قوله تعالى: ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ قرئ: (وِجدكم-وُجدكم) بكسر واو وبضمها لغتان فيه، بمعنى الوسع.

[٢] ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾ إعجاز عددي: ذكر لفظ (اللسان بمشتقاته) في القرآن (٢٥) مرة. كما ذكر لفظ (الموعظة مشتقاته (٢٥) مرة. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (اللسان بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (الموعظة بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٥) مرة.

زول سورة الطلاق: نزلت بعد سورة الإنسان، وهي مدنيّة بالاتّفاق. عدد كلمات سورة الطلاق: مائتان وأربعون. عدد حروف سورة الطلاق: ألف وستّون. أسماء سورة الطلاق: لها اسمان: سورة الطّلاق؛ لذكره بها. والثّاني سورة النّساءِ القُصْرى. قاله عبد الله بن مسعود رضي الله سبحانه وتعالى عنه. مواضيع سورة الطلاق: =

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

٦- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: يعني: مطلقات النساء ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: من الموضع الذي سكنتم، أي بعض مكان سكناكم. ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: من سعتكم التي تجدون حتى تنقضي عدتهن، والوُجد: الوسع والطاقة، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ في المسكن الذي تُسكنونهن، وأنتم تجدون سعة من المنازل ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: هي المرأة يُطلقها زوجها، ويبتُّ طلاقها وهي حامل، فأمره الله أن يُسكنها وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت فحتى تفطم ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: على رضاعهن ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾: اصنعوا المعروف بينكم. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾: إن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه فامتنعت من رضاعه، فلا سبيل إلى إكراهها على رضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائنة منه. وقيل: إن لم يقبل الولد غير أمّه، أجبرت على رضاعه. ٧- ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ﴾: ضُيّق عليه ﴿رِزْقُهُ﴾ فلم يُوسّع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾: من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾: ما أعطاه الله من سعة، أو قِلّة على قدر طاقته. ٨- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: يقول: وكم من أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: طغا أهلها وخالفوا أمره، ولَجّوا في كفرهم. ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: لم نعفُ لهم عن شيء ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾: عظيماً منكراً. ٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عاقبة ما عملت ﴿خُسْرًا﴾ غَبْناً وخسارة. ١١- ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾: قد وسّع الله له في الجنات رزقاً. ١٢- ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: أي يجري أمر الله وحكمه بينهنّ. وملكه ينفذ فيهن. وعن قتادة: في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه. وأمر من أمره. وقضاء من قضائه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: لا يعزب عنه مثقال ذرّة فيهنّ.

= الأشجعي، فقال: يا رسول الله ان ابني أسره العدو، وجزعت أمه فما تأمرني؟ فقال: «آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ الآية. وأخرجه الطيب في تاريخه من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس. وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف. وابن أبي حاتم من وجه آخر مرسلاً.

[٤] قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ أخرج ابن جرير، وإسحاق بن راهويه، والحاكم، وغيرهم عن أبي بن كعب، قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عِدد من عِدد النساء قالوا: قد بقي عِدد من عِدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات الأحمال، فأنزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الآية. صحيح الإسناد. وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت.

[٧] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]. الكلام في آية البقرة عن التكاليف والأعمال، فمن عمل خيرًا يكون له، ومن عمل سوءًا يكون عليه، وهذا في عموم التكاليف، وجميع التكاليف في وسع البشر؛ لأنه سبحانه لم يكلف البشر بشيءٍ لا يطيقونه، وأمّا آية الطلاق فالكلام على المطلقات والنفقة عليهن، ولا يكلف الفقير أن ينفق ما ليس في سعته، بل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ من حيث المال، أي: بمقدار ما آتاه الله. [١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٥]، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ [الطلاق: ١٠]. أعدَّ الله لهؤلاء المنافقين عذابًا بالغ الشدة والألم، إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب، فهذا ما دلت عليه آية المجادلة، أمّا آية الطلاق: أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين طغَوا، وخالفوا أمر وأمر رسله، عذابًا بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة الذين صدَّقوا الله ورسله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم أيها المؤمنون ذكرًا يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. [١١] ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الطلاق: ١١]. لماذا جاءت آية التغابن بزيادة ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾؟ الجواب: انظر سورة التغابن آية: ٩.

[٧] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]. إعجاز تشريعي: دعائم الشريعة الإسلامية في القرآن: من أهم دعائم الشريعة الإسلامية كما جاء في القرآن الكريم: ١- أنها شريعةٌ سمحةٌ لا تكلفُ الناس فوق طاقاتهم؛ لأن تكاليفها كلها مُيسرةٌ لا مشقَّة فيها، فهي في حدود استطاعة كل مسلم، فقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ٢- أنها جاءت شريعة عامة لا نظر فيها إلى حالات فردية أو جزئية أو شخصية قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]. ٣- أنها سنَّت للناس رُخصًا عند الضرور دفعًا للضرر ورفعًا للمشقة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. ٤- قلةُ تكاليف الشريعة، لتكون في استطاعة الجميع، كبيرهم، وصغيرهم، قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم. فإن تتبعت القرآن والسنة وجدت الأوامر فيها قليلة وبسيطة. فقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وفرض تعالى الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وأمر تعالى بطاعة الله والرسول وأولي الأمر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وأمر تعالى بالدعوة والحسبة والجهاد.. فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأمر تعالى بالاعتصام بحبل وعدم التفرق فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وأمر تعالى بالجهاد فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ =

= معظم مقصود السورة: بيان طلاق السُّنَّة، وأحكام العِدَّة، والتَّوكُّل على الله تعالى في الأمور، وبيان نفقة النِّساء حال الحمل والرَّضاع، وبيان عُقُوبة المتعدِّين وعذابِهم، وأنَّ التَّكليف على قَدْر الطاقة، وللصَّالحين الثوابُ والكرامة، وبيان إحاطة العلم، والقُدْرة. نزول سورة التحريم: نزلت بعد سورة الحجرات، وهي مدنيَّة. عدد كلمات سورة التحريم: مائتان وأربعون. عدد حروف سورة التحريم: ألف وستُّون. أسماء سورة التحريم: سميت سورة التَّحريم والمتحرم؛ لمفتتحها.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: إلى آخر الآية. قيل: أصاب رسول الله ﷺ مملوكته مارية القبطية في بيت زوجه حفصة بنت عمر وفي يومها. فوجدته حفصة في ذلك فغارت. فقال: ألا ترضين بأن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى، فحرَّمها على نفسه، وقال: «لا تذكري ذلك لأحد». وفي الآية أقوال أخرى. ٢- ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ شرع لكم تحليل أيمانكم، وبين لكم ذلك. ٣- ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾: قيل: هي حفصة بنت عمر. والحديث: ما حَرَّم على نفسه من مارية، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أخبرت بالحديث صاحبتها. وقيل: إنها أخبرت به عائشة رضي الله عنها. ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أعلم نبيه أنها قد نبَّأت به صاحبتها ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ عرَّف النبي ﷺ حفصة بعض ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتها، وإفشائها سر رسول الله ﷺ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: وترك أن يُخبرها ببعض ذلك ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾: فلما أخبر رسول الله ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه من إفشائها سره إلى عائشة ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ﴾: ولم تشك أن عائشة صاحبتها أخبرته عنها ﴿قَالَ﴾: رسول الله ﷺ: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ﴾ بعباده. ٤- ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ أيتها المرأتان ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت عن الحقِّ والصواب ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: يعني: التي أسرَّ إليها، والتي أفشت إليها حديثها. وهما: عائشة وحفصة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾: وليُّه وناصره ﴿وَجِبْرِيلُ﴾: -أيضاً- وليه وناصره ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وخيار المؤمنين أيضاً أولياؤه وأنصاره ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أعوان. ومعنى الآية: أن النبي ﷺ مؤيَّد من ربِّه، ومعان بهؤلاء الأنصار على من يؤذيه ويريد مساءته، بوصفه نبياً مبلِّغاً عن ربه. وأما ما وقع في بيته من بعض زوجاته من إفشاء خبر تحريم مارية على نفسه، فقد اكتفى فيه القرآن بالإظهار أو بإطلاع النبي عليه، ومعلوم أن حفصه وعائشة لم يتظاهرا عليه في أمر بعد نزول الآيات وبعد ما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة عن إفشاء سر النبي ﷺ. ٥- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾: معشر أزواج محمد ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: أن يعطيه بدلكن زوجات أفضل منكن. وهذا إخبار عن القدرة وتخويف لهن. فقد علم الله سبحانه أنه لا يطلقهن. ﴿تَائِبَاتٍ﴾: راجعات إلى ما يحبه الله منهن من طاعته، عما يكرهه منهن ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات، وقيل: مهاجرات. قال ابن عطية: وكرر تعالى الصفات مبالغة وإن كان بعضها يتضمن بعضاً.

[١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حرامًا، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية. [٢] قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة: لا تخبري أحدًا أن أم إبراهيم علي حرام، فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾. وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة، فجاءت فوجدتها معه، فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نسائك قال: «فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة واكتمي هذا عليّ»، فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآيات. وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآية. في سريته. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة العسل فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحا، ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك، فقال: «أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ وله شاهد في الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معًا. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض، فكان النبي ﷺ يلعق منها وكان يحبه، فقالت له عائشة: نحلها يجرس عرفًا فحرمها، فنزلت هذه الآية. وأخرج الحارث بن أسامة في مسنده عن عائشة قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، أنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فأنفق عليه، غريب جدا في سبب نزولها. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، غريب أيضًا، وسنده ضعيف. [٥] قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾ تقدم سبب نزولها، وهو قول عمر في سورة البقرة.

[٥] ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]. لماذا ذكرت الواو في ﴿وَأَبْكَارًا﴾، وحذفت في بقية الصفات؟ الجواب: لأنّ أبكارًا مباين للثيبات، فذكرت بالواو لامتناع اجتماعهما في ذات واحدة، بخلاف بقية الصفات، لا تباين فيها، فذكرت بلا واو. [٦] ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ما فائدة ذِكره بعد: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾؟ الجواب: التأكيد لاتحادهما صدقًا، أو التأسيس لاختلافهما مفهومًا، أو المراد بالأمر الأول الأمر بالعبادات والطاعات، وبالثاني الأمر بتعذيب أهل النار.

[٣] ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ﴾ قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ﴾ قرئ: (عَرَف) بتخفيف الراء على معنى المجازاة أي: جازى على بعض وأعرض أي: وعفا عن بعض تكرمًا وحلمًا منه صلى الله عليه وسلم، والمجازاة على البعض هو الطلاق الرجعي. وقرئ: (عرَّف) بالتشديد فالمفعول الأول محذوف، أي: عرَّف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت، فأخبرها أنها أفشت عليه سره، وأعرض عن بعض فلم يعرفها به تكرماً كذلك منه.

= ﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وأمر تعالى بتوحيده ونهى عن الشرك وأمر بالإحسان إلى الوالدين، وعدم قتل الأولاد خشية الإملاق، ونهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونهى عن قتل النفس بغير حق، وعن قرب مال اليتيم إلا بالحُسنى، وأمر بالوفاء بالكيل والميزان، والعدل، في الأقوال والوفاء بعهد الله، واتباع الصراط المستقيم، فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وأمر تعالى بذكره فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣]. وأمر تعالى بقراءة ما تيسَّر من القرآن، وإقراض الله قرضًا حسنًا، واستغفاره سبحانه، فقال: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ =

= مواضيع سورة التحريم: معظم مقصود السّورة: عتاب الرّسول ﷺ في التّحريم والتحليل قبل ورود وَحْي سماويّ، وتعيير الأزواج الطّاهرات على إيذائه وإظهار سرّه، والأمر بالتحرّز والتجنّب من جهنّم، والأمر بالتّوبة النّصوح، والوعد بإتمام النّور في القيامة، والأمر بجهاد الكفّار بطريق السّياسة، ومع المنافقين =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

٨- ﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾: قيل: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيء، والذنب يعمله، ثم لا يعود إليه أبداً، و«النصوح» بناء مبالغة من النُّصح، أي توبة نصحت صاحبها وأرشدته. وقيل: التوبة النصوح هي الصادقة ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: امامهم ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: كتبهم فيها البشرى ﴿أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾: يسالون ربهم أن يُبقي لهم نورهم، فلا يطفئه أحد، حتى يجوزوا الصراط حين يُطفأ نور المنافقين، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَآ﴾: استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا. ٩- ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: أمر أن يغلظ عليهم بالوعيد وبالحدود ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: اشدد عليهم في ذات الله. ١٠- ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: كانت امرأة نوح كافرة تقول في نوح: إنه مجنون، وتُفشي سره، وسر من آمن به إلى الجبابرة من قومه. وامرأة لوط كانت تدل على ضيفه، وكانت كافرة، وكان ذلك خيانتهما لنوح ولوط، وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت زوجة نبيّ قط، ولا ابتُلي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في نسائهم بهذا. ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾: لم يُغنِ نوح ولوط عن امرأتيهما شيئاً من الله، إذ عاقبهما، وقيل لهاتين الزوجتين: ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾: يوم القيامة. ١٢- ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: منعت جَيب دِرعها، أي قميصها أو ثوبها، جبريل عليه السلام، وتنزهت عن الفواحش. والفرج: كلُّ خَرق أو فَتق أو صَدع أو شقٍ في حائط أو سقف. ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾: في جيب درعها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: من جبريل عليه السلام، قيل: وهذه الإضافة: «من روحنا» إضافة مخلوق إلى خالق، ومملوك إلى مالك، كما تقول: بيت الله، وناقة الله. ﴿وَصَدَّقَتۡ﴾: آمنت ﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: بعيسى عليه السلام وهو كلمة الله، وسمي عيسى كلمة الله لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله «كن» لا بسبب آخر وهو الوالد، كسائر بني آدم ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾: يعني: التوراة والإنجيل ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾: العابدين المطيعين لله تعالى.

[٨] ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد : ١٢]، ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [التحريم : ٨]. لماذا جاء النور تارة بعد الفعل وتارة قبله؟ الجواب: قوله فى سورة التحريم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يفهم من المعية قرب المنزلة وعلو الحال فتقدم ثبوته، فناسب ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه. أما قوله تعالى فى سورة الحديد: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم، فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها كما تحصل في آية التحريم، إنما هذه بشارة، فناسبها التجدد والحدوث، فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من المعنى ليفهم التكرر وحدوث الشيء بعد الشيء، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم. [٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[التوبة : ٩، التحريم : ٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي التوبة والتحريم، والآية تدعو النبي ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان والحجة، وأن يَشدُدَ على كلا الفريقين، ومقرُّهم جهنم، وبئس المصير مصيرهم. [١٢] ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ٩١]، ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم : ١٢]. الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو "التي"، وهي مريم بنة عمران المفتتح باسمها في آية التحريم، أعيد الضمير في سورة الأنبياء إليها من حيث ذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها عليهما السلام بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ﴾، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها، فلما اتسع المقصود في سورة الأنبياء بذكر من لم يذكر في سورة التحريم، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص بمحل النفخ من غير إشكال. وقيل في آية التحريم: "فيه" لعوده إلى الموضع المخصوص على ما يجب، ولم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها، وتصديقها، وإثباتها في القانتين. وأمّا عن وجه تخصيص آية الأنبياء بالتشريف دون الآية الأخرى، فإن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات تضمنت ذكر جملة من الرسل موصوفين بخصائص عليّة وآيات نبوية، أولهم إبراهيم عليه السلام، ثم ابنه إسحاق ثم ابنه يعقوب، ثم نوح ولوط وداود.. فلما ذكر هؤلاء العلية عليهم السلام بخصائص ومنح ناسب ذلك ذكر مريم وابنها بما مُنحا عليهما السلام...

[١١] ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم : ١١]. ذكر الله على لسان امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، والترتيب النحوي يقول: رب ابن لي بيتًا عندك، فقدم الجار والمجرور على المفعول به على خلاف التركيب لغرض، وهى أنها اختارت جوار الله قبل أن تختار الدار، وهذا من دلالة شوقها إلى ربها وأدبها في مخاطبة الرب تبارك وتعالى.

[٤] ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ﴾ قوله تعالى: (تظاهرون عليهم) في سورة [البقرة : ٨٥]، (وتظاهرا عليه) في سورة [التحريم : ٤]، قرئ: (تظاهرون، تظاهرا) بحذف إحدى التاءين تخفيفًا. وقرئ: (تظّاهرون، تظّاهرا) بتشديد الظاء. فأدغمت تاء الافتعال في الظاء لشدة قرب المخرج. قوله تعالى: ﴿وَجِبۡرِيلَ﴾ في سورة [البقرة : ٩٧-٩٨، التحريم : ١٢]، قرئ: (جِبرِيل) بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة، وهي: لغة الحجازيين، فمن كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب. ومن فتح: أتى به على غير كلام العرب؛ ليعلم أنه أعجمي، وكذلك من همز ومن أثبت ياء بعد الهمز، وقرئ: (جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء وياء ساكنة بغير همزة، وكذلك قرئ: (جَبرَئِيل) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة وياء ساكنة وهذه لغة تميم، وقيس، وكثير من أهل نجد، وقرئ: (جَبرَئِل) ومثل هذه القراءة الأخيرة بحذف الياء بعد الهمزة هي لغة أيضًا في هذا الاسم، وهو اسم أعجمي. وكل هذه لغات.

= تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزمل: ٢٠]. وأمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب =

= بالبرهان والحجّة، وبيان أنَّ القرابة غير نافعة بدون الإيمان والمعرفة، وأن قرب المفسدين لا يَضُرّ مع وجود الصّدق والإخلاص، والخبر عن الفَترة، أي إيمان امرأة فرعون، وتصديق مريم. نزول سورة الملك: نزلت بعد سورة الطور، وهي مكية. عدد كلمات سورة الملك: ثلاثمائة وثلاثون. عدد حروف سورة الملك:

سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سُورَةُ المُلْكِ

١- ﴿تَبَٰرَكَ﴾: تعاظم وتقدس، واليد عبارة عن التصريف والقدرة. و﴿ٱلْمُلْكُ﴾: هو ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة. ٢- ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: أي خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً، فيجازيكم على ذلك. ٣- ﴿طِبَاقًا﴾: طبقاً فوق طبق، بعضها فوق بعض ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾: من تباين واختلاف ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: رُدَّ البصر ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: من وَهْيٍ وشقوق وصدوع؟ ٤- ﴿كَرَّتَيْنِ﴾: أي: رجعتين، مرة بعد أخرى ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: يقول عز وجل: يرجع إليك بصرك خاسئاً: صاغراً مُبعداً. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: كليل منقطع، لم ير خللاً ولا تفاوتاً. ٥- ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ يعني: النجوم وجعلها مصابيح لإضاءتها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ أي شهب المصابيح على حذف مضاف. وقيل: التقدير: وجعلنا منها. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: للشياطين في الآخرة. ٧- ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ يعني: إذا أُلقي الكافر في جهنم، و«الشهيق»: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: تغلي كما تغلي القدر. ٨- ﴿تَكَادُ﴾: يعني: جهنم ﴿تَمَيَّزُ﴾: تتفرق وتتقطع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: على أهلها، قال ابن قتيبة: تكاد تنشق غيظاً على الكفار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: يُنذركم هذا العذاب. ١٠- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾: لو كنا نسمع سمع من يعي، أو نعقل عقل من يميز وينظر، ما كنا من أهل النار. وربما كان المعنى: أنهم أدركوا أنهم لو سمعوا من الأنبياء، أو أعمَلُوا عقولهم وتفكروا، لاهتدوا إلى الإيمان، ولم يكونوا الآن من أصحاب النار. والتعبير القرآني بـ«أو» يدخل على أن السمع لا يعارض العقل، وأن النجاة للمرء تحصل بأيهما بدأ. والله أعلم. ١١- ﴿فَسُحْقًا﴾: بُعداً لهم من الله ومن رحمته. ١٢- ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يخافون عذابه ولم يروه.

[٣] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك : ٣]. ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾، أي: من خلل وعيب، وإلاّ فالتفاوت بين المخلوقات بالصغر والكبر وغيرهما كثير. [٣] ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك : ٣]، ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ [الملك : ٤]. ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ قال بعده: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قيل: أي: مع الكرة الأولى، فتصير ثلاث مرات، والمشهور أنّ المراد بهذه التثنية التكثير، بدليل قوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾، أي: ذليلًا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، أي: كليل، وهذان الوصفان لا يتأتيان بنظرتين، ولا ثلاث. فالمعنى كرَّات كثيرة، كنظيره في قولهم: لبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وهذاذيك. وسبب التكرار والله أعلم أن رجع البصر في الكرة الأولى تحدٍ من الله للعالم أن يكتشف الإنسان خللًا في إحكام خلق السماوات، فقد قال بعدها: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك : ٣]، أي: شقوق، أما رجع البصر الثاني فهو كالأمر بالنظر في ملكوت السماوات، وهو متجه إلى تحدي الإنسان أن يحصي ما فيها من عجائب الخلق، أو يحيط بما فيها من كواكب وسيارات، فقد ذكر بعدها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، كما أعجز الخلق أن يعلموا شيئًا عن السماوات الأخرى غير الدنيا مهما استعانوا بوسائل الكشف جيلًا بعد جيل، وكرة بعد كرة، فمهما حاولوا فإن البصر سينقلب خاسئًا وهو حسير، والعجز متحقق من الإنسان في الكرتين، في الأولى عجز عن إحصاء الكواكب والسيارات، وفي الثانية عجز عن معرفة حقيقة السماء الدنيا، والسماوات الاخرى.

[٥] ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾، وقوله تعالى: ﴿يُبْدِلَهُمَا﴾ [الكهف : ٨١] قرئ: (يبْدِلها) بسكون الباء وتخفيف الدال مضارع من أبدل متعد بالهمزة. وقرئ: (يبَدِّلها) بفتح الباء وتشديد الدال مضارع من بدَّل متعد بالتضعيف وكذا في "التحريم : ٥" في أن (يبدله)، وفي سورة [القلم : ٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ وفي "النور : ٥٥" ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. [٨] ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قوله تعالى: ﴿نَّصُوحًا﴾ قرئ: (نُصوحًا) بضم النون مصدر نصح نصحاً نصوحاً. وقرئ: (نَصوحًا) بفتح النون صيغة مبالغة كضروب أسند النصح إليها مبالغة، وهي صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة، فيأتي بها على طريقتها، ونصبها في القراءة الأولى على المفعول له. أي: لأجل نصح صاحبها، أو نعتاً على الوصف بالمصدر. أي ذات نصح. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن تعريف التوبة النصوح: هي التيقن بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالجوارح، والاطمئنان على الترك. [١٢] ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئ: (وكتبه) بالجمع: لكثرة كتب الله المنزلة ، فحمل على المعنى ، ولأن مريم آمنت بكل الكتب. وقرئ: (وكتابه) بالتوحيد مصدراً أريد به الجمع يدل على الكثير بلفظه. [٣] ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَفَٰوُتٍ﴾ قرئ: (تفوُّت) بتشديد الواو بلا ألف، تفوت الأمر تفوتاً وتفاوتاً. وقرئ: (تفاوُت) بتخفيفها بعد الألف وهما لغتان بمعنى التباين والاختلاف، كالتعهد والتعاهد، وتقدم الكلام على (سحقًا) مع نظائرها ومعناه: فبعداً لهم، ومنه مكان سحيق أي: بعيد.

= والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت اليمين. فقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وهذه أمثلة من الأوامر في الكتاب.. أما في السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياءَ، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً لكم غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها» رواه الحاكم والبيهقي وحسنه الأرنؤوط. قال أبو بكر السمعاني: هذا الحديث أصلٌ كبيرٌ من أصول الدين وفروعه، فمن عمل به فقد حاز على الثواب، وأمن العقاب، فكل من أدَّى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى بحقوق الدين، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في الحديث. ٥- التدرج في الأحكام: لأن الشريعة عالجت العادات الذميمة المتأصلة في النفوس بالتدرج في استئصالها شيئًا فشيئًا من غير تشديدٍ ولا تعقيدٍ في النهي عنها وتحريمها. فمثلًا: في عادة شرب الخمر جاء الإسلام بالأحكام متدرجةً في تحريمها بأسلوبٍ حكيمٍ لم يشعر الناسُ معه بحرجٍ أو مشقةٍ. التدرجُ في تحريم الخمر: روى الإمام أحمدُ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حُرِّمت الخمرُ ثلاث مراتٍ، قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ =

= ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. أسماء سورة الملك: ولها في القرآن والسُّنن سبعة أسماء: سُورة المُلْك؛ لمفتتحها، والمُنجية لأنها تنجي قارئها من العذاب، والمانعة؛ لأنها تمنع عن قارئها عذابَ القبر -وهذا الاسم في التوراة- والدافعة؛ لأنها تدفع بلاءَ الدنيا وعذابَ الآخرة عن قارئها، والشافعة؛ لأنها تشفع في القيامة لقارئها، =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٣- ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بمضمرات القلوب. قال المفسرون: ذات الصدور: ما فيها. وربما كان المعنى أعم، وهو أن الله تعالى يعلم القلوب ذاتها، كيف خلقها وكيف تعمل؛ وأنه لهذا يعلم ما تضمره وكيف تنطوي عليه. ولهذا قال في الآية التي تليها: ١٤- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: يقول عز وجل: كيف يخفى عليه خلقه؟ ١٥- ﴿ذَلُولًا﴾: سهلاً ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾: جبالها. وقيل: في نواحيها وجوانبها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾: البعث من قبوركم. ١٦- ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: هو الله تعالى، وقيل: المراد: عقوبة من في السماء. وقيل: من في السماء سلطانه وعرشه وملائكته. وقيل: المراد الملائكة أو جبريل ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: تضطرب، أي تصبح حركتها غير متّسقة ولا موزونة. ١٧، ١٨- ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: يحصبكم به، والحاصب: الحجارة، أو ريح فيها حجارة ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: عاقبة تكذيبكم لرسلي ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: كيف كان إنكاري عليهم بما أصبتُهم به من العذاب. ١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: أي: اغفلوا ولم ينظروا؟ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: اجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: اجنحتهن أحياناً، يقال للطائر إذا بسط جناحه: صافّ، وإذا ضمها: قابض. وإنما قال: «ويقبضن» -ولم يقل: قابضات كما قال: صافات- لأن قاعدة طيرانها تقوم على البسط الدائم والقبض المتجدد. ٢٠- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾: الاستفهام للتقريع، أي لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله. والجُند: الحزب والمَنَعَة. ٢١- ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾: في طغيان ﴿وَنُفُورٍ﴾: عن الحق. ٢٢- ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: فلا يُبصر ما بين يديه، وما عن يمينه وشماله، والمكب والمنكب: الساقط على وجهه فلا يأمن العثار والوقوع. ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر. ٢٣- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: الآية: أنشأكم الله تعالى النشأة الأولى، وزودكم بأدوات العلم والمعرفة من السمع والأبصار والأفئدة أو العقول والقلوب. ٢٤- ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم. ٢٥- ﴿وَيَقُولُونَ..﴾: يقول المشركون: متى يكون ما تَعِدُنا به من الحشر لموقف الحساب؟

[١٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ [النحل: ٧٩]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [تبارك: ١٩]. آية سورة الملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صَفِّهِ جناحيه وقبضهما، وهما حالتان يستريح إليهما الطائر، فتارة يصف جناحيه كأنه لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبيه حتى يلزقهما بهما، ثم يبسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة كما يفعل السابح، فناسب هذا الإنعام منه تعالى وورود اسمه الرحمن، أمّا آية النحل فلم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة فقيل هنا: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتناسب ذلك، وامتنع عكس الوارد بما تبين، والله أعلم. [٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، تكررت ست مرات: [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥]. يقول الكافرون -مستعجلين العذاب مستهزئين-: متى حصول ما تَعِدُنا به يا محمد، إن كنت أنت ومَن اتبعك من الصادقين فيما تَعِدوننا به؟

[١٦] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧]. لماذا قدم الخسف على الحاصب في الملك، وعكس في الأنعام؟ الجواب: لما تقدم في الملك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، ناسب أن يليه الوعيد بالخسف في الأرض التي ذلَّلها، وآية الأنعام تقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، فناسب تقديم العذاب الفوقي أولاً.

= ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٦] إلى آخر الآية. فقال الناسُ: ما حُرِّمَا علينا، إنما قال: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يومٌ من الأيام صلى رجل من المهاجرين، وقد أمَّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آيةً أغلظ منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدُهم الصلاة وهو مغيقٌ، ثم أنزلت آيةٌ أغلظ من ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل تحريمُ الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما صَحُوا جعل الرجلُ منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلانٌ، وكانوا إخوةً ليس في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١] فقال ناسٌ من المتكلفين: هي رجسٌ وهي في بطن فلانٍ قُتل يوم بدر، وقُتل فلانٌ يوم أحدٍ، فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ...﴾ [المائدة: ٩٣]. أخرجه النسائي والحاكم وغيرهما، وصححه الألباني. وعن أنس -رضي الله عنه- قال: كنتُ ساقي القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسولُ الله ﷺ مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد =

[١١] ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا﴾ قرئ: (فَسُحْقًا-فَسُحُقًا) باسكان الحاء وضمها، وهما لغتان. [٢٧] ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَدَّعُونَ﴾ قرئ: (تدْعون) بسكون الدال مخففة من الدعاء أي: تطلبون وتستعجلون. وقرئ: (تدَّعون) بالفتح والتشديد تفتعلون من الدعاء أيضاً، أو من الدعوى. أي: تدعون أنه لا جنة ولا نار. أي: تفرون وتختلفون. [٢٩] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قرئ: (فسيعلمون) بالياء على الغيبة لمناسبة ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾ وقرئ: (فستعلمون) بالخطاب لمناسبة ﴿تَدَّعُونَ﴾.

= والمجادِلة؛ لأنها تجادل منكراً ونكيراً، فتناظرهما كيلا يؤذيا قارئها، السابع: المخلِّصة؛ لأنها تخاصم زَبانية جهنم؛ لئلا يكون لهم يدٌ على قارئها. **مواضيع سورة الملك**: معظم مقصود السّورة: بيان استحقاق الله المُلْك، وخَلْقُ الحياة والموت للتجربة، أي للابتلاء والاختبار، والنظرُ إلى السماوات للعِبرة، واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أعد للمنكرين: من العذاب، والعقوبة، وما وُعِد به المتّقون: من الثَّواب، والكرامة، وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرّحمة، وحفظ الطُّيور في الهواءِ بكمال القدرة، واتصال الرّزق إلى الخليقة، بالنَّوال والمنَّة، وبيان حال أهل الضَّلالة، والهداية، وتعجُّل الكفَّار بمجيء القيامة، وتهديد المشركين بزوال النعمة. **فضل سورة الملك**: قال رسول الله ﷺ: "إن سورة من كتاب الله ما هي إلاَّ ثلاثون آية، شفعت لرجل، فأخرجته يوم القيامة من النار، وأدخلته الجنَّة، وهي سورة تبارك". رواه الحاكم والترمذي وغيرهما، وحسَّنه الألباني.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: معاينة، أو قريباً ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: تبيّن فيها السوء، فاسودت وعلتها الكآبة وغشيتها الذلّة. ﴿تَدَّعُونَ﴾ تستعجلون من عذاب الله عز وجل. ٢٨- ﴿إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾: كانوا يدعون على النبي ومن معه من المؤمنين بالهلاك. فقال له الله تعالى: قل لهم: أترون إن أماتني الله تعالى ومن معي ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: أخّر في آجالنا من يجيركم من العذاب الذي يوجبه كفركم على كل حال. ٣٠- ﴿غَوْرًا﴾: ذاهباً، في الأرض، يقال: غارَ الماء غَوراً: إذا نُضَب. ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾: جار، ظاهر.

سُورَةُ القَلَمِ

١- ﴿نٓ﴾: قيل: هو الدواة، وقيل: هي كسائر الحروف في أوائل السور. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: أقسم الله به، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: يَخُطُّون ويكتبون. وفي هذا القسم تنويه بالعلم والمعرفة، وبوسيلة نقلهما عبر الأجيال. وقد كان نزول سورة (ن) تالياً لنزول سورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق» أول سور القرآن نزولاً. ٢- ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: كذّب عز وجل قول مشركي قريش في محمد ﷺ، حيث قالوا: «يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون». ٣- ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: ثواباً غير منقوص ولا مقطوع. ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: ترى ويرون، يعني: المشركين إذا تبين الحق، وانكشف الغطاء.! ٦- ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: «المفتون» هاهنا: المجنون، وتأويل الكلام: فسترى ويرون بأيكم المجنون. والمفتون في الأصل بمعنى الفتنة. فالمعنى: بأيكم هي الفتنة والفساد الذي سمّوه جنوناً. ٩- ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾: لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم بالركون إلى آلهتهم. ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فيلينون لك في عبادة إلهك. و«الادهان» الملاينة فيما لا يحلّ، والمداراة: الملاينة فيما يحلّ. ١٠- ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كل ذي إكثار للحَلِف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾: ضعيف القلب. مِكثار للشر. ١١- ﴿هَمَّازٍ﴾: مُغتاب للناس ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾: النميم: مصدر كالنميمة، وهي نقل ما يسمع مما يسوء ويحرّش النفوس. وفي الحديث: «لا يدخل الجنّة قتّات» متفق عليه، أي نمّام. ١٣- ﴿عُتُلٍّۭ﴾: جافٍ شديد في كفره. وقال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل، ﴿زَنِيمٍ﴾: الزنيم في كلام العرب: المُلصق في القوم ليس منهم. وقيل: الذي ليس يُعرف من أبوه.

[٢] قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ إنه مجنون ثم شيطان، فنزلت: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾. [٤] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحدي بسند رواه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك» فلذلك: أنزل الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. [١٠، ١١، ١٢] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ قال نزلت في الأخنس بن شريق. وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

[١٥] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥، المطففين: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي القلم والمطففين، وهي تصف حال المكذبين بالقرآن الكريم، وأنه إذا قرأ عليه أحدهم آيات القرآن كذّب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم.

[١٠-١٣] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]. الزنيم: الدعي، من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة في حلقة، سمي بذلك؛ لأنه زيادة معلقة بغير أهله، وكان الوليد دعيًا في قريش، ادعاه أبوه ثماني عشرة من مولده. ولم يدخل الواو؛ لأن الصفات المذكورة كلها كانت مجتمعة في الوليد الذي نزلت فيه الآية، ولو ذكر الواو لاقتضى أن تكون موجودة فيه في بعض الأحيان دون بعض.

= حُرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة، فقال بعضُ القوم: قد قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]». متفق عليه. ٦- مسايرةُ مصالح الناس: وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ شرع بعض الأحكام ثم نسخها إذا كان في ذلك المصلحة العامة كما حدث في بعض الأحكام الخاصة بالوصية وآيات المواريث، وكذلك تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة. [٥] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. انسلاخ النهار: حسبما تشير إليه الأيتان الكريمتان فإن الكون غارق في الظلام الداكن، وإن كنا في وضح النهار على سطح الأرض، و لقد شاهد العلماء الأرض و باقي الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية مضاءة في وضح النهار بينما السماوات من حولها غارقة في الظلام، فمن كان يدري أيام محمد ﷺ أن الظلام هو الحالة المهيمنة على الكون؟ وأن هذه المجرات والنجوم ليست إلا مصابيح صغيرة واهنة لا تكاد تبدد ظلام الكون الدامس المحيط بها، فبدت كالزينة والمصابيح لا أكثر؟ وعندما قُرِئَت هذه الآيات على مسمع أحد العلماء الامريكيين بهت، وازداد إعجابه إعجابًا ودهشته دهشة بجلال وعظمة هذا القرآن، وقال فيه: لا يمكن أن يكون هذا القرآن إلا كلام مصمم هذا الكون ، العليم بأسراره ودقائقه. لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي تتكون بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزيئات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران سَلْخُ النهار من الليل.

[٥] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كل (١٤٨) مرة في كتاب الله. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

نزول سورة القلم: نزلت بعد سورة العلق، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة القلم: ثلاثمائة. عدد حروف سورة القلم: ألف ومائتان وستّة وخمسون. أسماء سورة القلم: لها اسمان: سورة ن، والقلم. مواضيع سورة القلم: معظم مقصود السّورة: الذّبّ عن النبي ﷺ، وعذابُ مانعي الزّكاة، وتخويف الكفّار بالقيامة، وتهديد المجرمين بالاستدراج، وأمر الرّسول ﷺ بالصّبر، والإشارةُ إلى حال يونس عليه السّلام في قلّة الصّبر، وقصد الكفّار رسولَ الله ﷺ ليصيبوه بالعين.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

١٦- ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: الخرطوم: الأنف. ومعناه: سَنخطِمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وَسِمةً فيه ما عاش. وقد نزلت الآيات في الأخنس بن شُريق. ١٧، ١٨- ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾: اختبرناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أصحاب البستان قيل: هم أناس كان لأبيهم جنّة يُطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحق حين يطعم المساكين ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾: حلفوا ليقطعُنّها في الصباح ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: لا يقولون إن شاء الله. وقيل: ولا يستثنون للمساكين -من جملة ذلك- القدر الذي كان يدفعه أبوهم إليهم. ٢٠- ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾: قيل: كالليل البهيم محترقة سواداً. ٢٢- ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: ثماركم وزرعكم ﴿صَٰرِمِينَ﴾: عازمين على القطع والحصاد. ٢٣- ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يتسارُّون بينهم، أي يتحدثون سراً. ٢٥- ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: قيل: معناه: على قدرة في أنفسهم وَجِدّ، وقيل: على منع. ٢٦، ٢٧- ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾: ضللنا طريق جنتنا، فقال من علم أنها طريق جنتهم: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرمنا منفعة جنّتنا بذهاب حرثها. ٢٨- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعدلهم، وأعقلهم، وخيرهم، وكان أحسنهم رجعةً ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: هلا تستثنون فتقولون: إن شاء الله، إذ قلتم لَنصرمنّها مصبحين؟! ٣٠- ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضاً. ٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾: الإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب باحتراق الجنّة، وذهاب حرثها، أي: كذلك العذاب هو العذاب الذي ينزل بقريش وبمن كذّب رسلنا في الدنيا. ٣٧- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾: نزل من عند الله أتاكم به رسول الله ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ فأنتم تدرسون فيه وتجدون بأن لكم ما تختارون وتشتهون من الأمور لأنفسكم. ٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾: عهود مؤكدة موثقة، بالغة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: تنتهي بكم إلى يوم القيامة، لا تخرج عن عهدتها بـ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾. ٤٠- ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾: كفيل وضامن. ٤٢- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يوم يبدو عن أمر شديد عظيم، إشارة إلى أهوال يوم القيامة. قال ابن قتيبة: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجِدّ فيه شمّر عن ساقه؛ فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدّة. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾: قيل: فلا يبقى مؤمن إلا خرَّ لله ساجداً ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: قيل: المنافقون يقون لا يستطيعون السجود.

[١٧] قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن جريج، أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذًا فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحدًا، فنزلت: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يقول في قدرتهم عليهم، كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

[٢٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة:٦٧، القلم:٢٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والقلم، والمقصد منها في سورة الواقعة: بل نحن محرومون من الرزق، أما آية القلم: بل نحن محرومون خيرها، -أي الحديقة-، بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. [٣١] ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٤]، ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ [القلم : ٣١]. فلم يكن لهم من جواب عند نزول العذاب بهم إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: يا هلاكنا، فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا، فهذا ما دلت عليه آية الأنبياء، أمّا آية القلم فهي تتحدث عن أصحاب الجنة حين منعوا الفقراء حقهم فعاقبهم الله، فلما رأوا ما نزل بهم من العذاب قالوا: ويلنا إنّا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله. [٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات : ١٥٤، القلم : ٣٦]. بئس الحكم ما تحكمونه أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: أفنجعل الخاضعين لله بالطاعة كالكافرين؟ ما لكم كيف حكمتم هذا الحكم الجائر، فساويتم بينهم في الثواب؟ وقد تكررت هذه الآية في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الصافات والقلم.

[١٢] ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم: ١٢]. ما الفرق بين: "آثم، أثيم"؟ الجواب: وردت كلمة (آثم) ثلاث مرات. ووردت كلمة (أثيم) سبع مرات. قال ابنُ القوطية: أَثِمَ إثمًا: أذنب، فهو آثمٌ. فإذا أكثر فهو الأثيمُ والأثوم. (فالآثم) هو الذي يقترف الإثم دون مبالغةٍ أو تدبيرٍ أو تعمُّدٍ. وإنما دفعته الإغراءات والمغريات فزلَّ بالإثم. أما (الأثيم) فهو المقترف للإثم عن قصدٍ وتدبير وإصرار ومعاودة للإثم مرةً بعد مرةٍ. لذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن طاعة الآثم والكفور، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢٤] لأن النهي عن طاعة الآثم يشمل (ضمنيًا) النهي عن طاعة الأثيم، وليس العكس، فإن كان النهي عن طاعة الأثيم، ربما ظنَّ الجاهل أن طاعة الآثم جائزة (وليس الأمر كذلك). جاءت كلمة (أثيم) فاصلة، لما فيها من مدٍّ في الحرف قبل الأخير (وليس الأمر كذلك مع آثم). وجاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفواصل حولها كالآتي: ١- فكلمة (أثيم) في سورة النساء جاءت متسقة موسيقيًا ووزنًا مع الفاصلة التي قبلها (رحيمًا). ٢- وفي سورة الشعراء جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي قبلها (الشياطين). ٣- وفي سورة الدخان: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الميم الأخيرة في كلمة الزقوم (وهي الفاصلة التي قبلها)، وجاءت متسقة مع النون في الفاصلة التي بعدها (البطون). ٤- وفي سورة الجاثية: جاءت كلمة (الأثيم) متسقة مع الفاصلة التي تلتها وهي (أليم). ٥- وفي سورة القلم: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (حميم) والفاصلة التي لحقتها (زنيم) زنة وصوتًا. ٦- وفي سورة المطففين: جاءت كلمة (أثيم) متسقة مع الفاصلة التي سبقتها (الدين) والفاصلة التي لحقتها (الأولين) صوتًا. [٣١] ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾ [القلم : ٣١]. فإنه سبحانه إذا أنعم على عبد بباب من الخير وأمره بالإنفاق فيه فبخل عاقبه بباب من الشر يذهب فيه أضعاف ما بخل به، وعقوبته في الآخرة مدخرة. [٣٤] ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [القلم: ٣٤]. ما الفرق بين: "النعمة والنعيم"؟ الجواب: ١- استعمل القرآن كلمة (النِّعمة)، (النَّعمة)، (والنعماء) في نعم الحياة الدنيوية لا الأخروية سواءً أكانت «مادية» أو «معنوية». وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم في الحديث عن نعم الدنيا العاجلة. ٢- كلمة (النعيم) استُعملت في القرآن الكريم في نعم الحياة الأخروية. وهذه الدلالة مطردة في القرآن الكريم.. إلا في آية واحدة. آية التكاثر ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾. لمَ جاءت كلمة «النعيم» في الآية دون «النِّعمة» أو «النَّعمة» أو «النعماء»؟ رغم أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بأن المقصود نعم الدنيا لا الآخرة؟ والجواب: أن كلمة (النعيم) في هذه الآية لها احتمالان: ١- أن يكون المراد بـ(النعيم) فيها: نعم الدنيا. ٢- أن يكون (النعيم) الوارد في الآية يُراد به نعيم الآخرة لا الدنيا.

[٤٣] ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ [القمر: ٧]، ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ﴾ [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]. ما الفرق بين: "خاشعة وخُشَّعًا"؟ الجواب: خاشعة: اسم فاعل.

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٤٣- ﴿خَٰشِعَةً﴾: ذليلة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾: من عذاب الله. ٤٤- ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: كقول الرجل لمن يتوعده: دعني وإياه، بمعنى أنه له من وراء مساءته ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: «الاستدراج» هو الحمل من رتبة إلى رتبة حتى يصير المحمول إلى شرّ. وإنما يستعمل الاستدراج في الشر. ومعنى الآية: أننا سوف نُمتعهم بالدنيا حتى يظنوا أنه لخير لهم، ثم نأخذهم بغتةً. ٤٥- ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾: أنسئ لهم في آجالهم برهةً من الدهر ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾: قوي شديد. ٤٦- ﴿أَجْرًا﴾: جزاءً وثواباً ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: قد أثقلهم القيام بأدائه. ٤٨- ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾: يونس عليه السلام، يقول: لا تكن مثله في الغضب والعجلة والضجر. ﴿مَكْظُومٌ﴾: مملوء غيظاً وكرباً. ٤٩، ٥٠- ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾: بالفضاء من الأرض ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: مُليم مذنب. ٥١- ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: لينفذونك ويغتالونك ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: من شدة عداوتهم لك، ويُزيلونك، غيظاً عليك، أي: ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يُزلق قدمك من مكانها.. فتسقط. ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: أي: وقت سماعهم للقرآن لكراهيتهم لذلك أشد كراهة.

سُورَةُ الحَاقَّة

١- ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: هي القيامة، وسميت حاقة لأنها الساعة التي تحق فيها الأمور، والجزاء على الأعمال. ٢- ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: بمعنى التعجب والإكبار. ٤- ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾: بالساعة التي تقرع قلوب العباد، يعني: القيامة. ٥- ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بالذنوب والطغيان الذي كانوا عليه. وقيل: بالصيحة الطاغية التي قد حازت مقادير الصياح وطغت عليها. ٦- ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شديدة العُصوف مع شدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾: عتت على عاد فلم يقدروا على ردها، بل أهلكتهم. ٧- ﴿حُسُومًا﴾: متتابعة ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾: أصول نخل ساقطة، أو خالية لا جوف فيها.

[٤٣] ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٣]، ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج : ٤٤]. الآيتان تعرضان حال المستكبرين عن عبادة الله، وما يحل بهم يوم القيامة من ذلهم وانكسار أبصارهم، وآية القلم تبين أنهم كانوا في الدنيا يُدْعَون إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحّاء قادرون عليها فلا يسجدون؛ تعظُّمًا واستكبارًا، أما آية المعارج فتوضح أن ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويُكَذِّبون. [٤٥] ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف : ١٨٣، القلم : ٤٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الأعراف والقلم؛ ومعناها: وأمهل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا حتى يظنوا أنهم لا يعاقبون، فيزدادوا كفرًا وطغيانًا، وبذلك يتضاعف لهم العذاب، إن كيدي متين، أي: قوي شديد لا يُدْفع بقوة ولا بحيلة. [٤٦-٤٧] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور : ٤٠-٤١، القلم : ٤٦-٤٧]. تكررت هذه الآيات بسورتي الطور والقلم، وهي تخاطب النبي ﷺ وتقول له: أتسأل أيها الرسول هؤلاء المشركون أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم في جهد ومشقة من التزام غرامة تطلبها منهم؟ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبونه للناس ويخبرونهم به؟ ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله. [٤٨] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم : ٤٨]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان : ٢٤]. فاصبر أيها الرسول لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم.. فهذا ما دلت عليه آية القلم، أما آية الإنسان: فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات، أو مبالغًا في الكفر والضلال. [٤٩] ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات : ١٤٥]، ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم : ٤٩]. فطرحناه من بطن الحوت، وألقيناه في أرض خالية عارية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية القلم: لولا أن تداركه نعمة مِن ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لَطُرِح مِن بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه.

= خُشَّعًا: جمع اسم الفاعل. وردت صيغة (خاشعة) مع (أبصار) مرتين في القرآن، قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤]، ووردت صيغة (خشعًا) مع كلمة (أبصار) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. لعل الفرق بين الجمع (خشعًا) والمفرد (خاشعة) يرجع إلى علتين: ١- (خُشَّعًا) وردت بعدها: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، فقد شبَّه عدد الناس يوم القيامة بعدد الجراد كثرة، فكانت كثرةُ الجراد تتطلب كثرة في الصفة الدالة على حال الناس يوم القيامة عن طريق الجمع، أما الصيغة المفردة فلم يرد معها ما يُوحي بالتكثير ٢- السورة التي وردت فيها صيغة الجمع (خُشَّعًا) بُنيت على الجمع من مطلعها، كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢]. فقد جاء الضمير في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ دالًّا على الجمع، دون أن يسبقه اسم مظهر للجمع، بما يُوحي أن الجمع أصلٌ في هذه السورة يقوم عليه بناؤها، فناسب ذلك صيغة الجمع (خُشَّعًا). [٤٤] ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم : ٤٤]. قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر. وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه.

[٥١] ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ قرئ: (ليَزلقونك) بفتح الياء من زلقت الرجل يقال: زلقه وأزلقه أزل قدمه، ويقال: زلقه فزلق وهو فعل يتعدى مفتوح العين لا مكسورها مثل حزن وحزنته. وقرئ: (ليُزلقونك) بضمها من أزلقه معدى بالهمزة أي: أزل رجله ومعنى ليزلقونك، أي: ليصيبونك بالعين، أو لينظرون إليك نظر البغضاء، قيل: كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ بالعداوة والبغض حتى كادوا يشقونه بنظرهم.

نزول سورة الحاقة: نزلت بعد سورة الملك، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الحاقة: مائتان وخمس وخمسون. عدد حروف سورة الحاقة: ألف وأربعمائة وثمانون. أسماء سورة الحاقة: لها اسمان: سورة الحاقة؛ لمفتتحها، وسورة السُّلسلة؛ لذكرها بها. مواضيع سورة الحاقة: معظم مقصود السّورة: الخبر عن صعوبة القيامة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نَفْخة الصُّور، وانشقاق السّماوات، وحال السّعداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذلّ الكفّار مقهورين في أيدي الزّبانية، ووصف الكفّار القرآنَ بأنه كِهانة وشعر، وبيان أنّ القرآن تذكِرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بالتسبيح.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾

٩- ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾: القرى التي ائتفكت، أي انقلبت بأهلها فصار عاليها سافلها، وهم قوم لوط عليه السلام ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾: بالخطايا. أو: بالفعلة الخاطئة، أي الآثمة. ١٠- ﴿أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾: أي نامية شديدة زادت على أخذات الأمم. ١١- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾: فتجاوز حده المعروف، يعني: الطوفان. ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ يعني آباءهم نوحاً وولده، فكان حمل أولئك حملاً لذريتهم ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾: في السفينة. ١٢- ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ يعني: السفينة، أو هذه الفعلة، وهي نجاة المؤمنين، وغرق الكافرين. ﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾: عبرة وعظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ : ولتعي هذه التذكرة ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾: حافظة عقلت عن الله ما سمعت. ١٤- ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾: زلزلتا زلزلة واحدة. وقيل: ضُربتا ضربة واحدة بعضهما ببعض حتى صارتا كثيباً مهيلاً. ١٧- ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾: على أطراف السماء -حين تشقق- وحافاتها ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾: قيل: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله. وقيل: ثمانية أملاك. ١٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾: على ربكم للحساب والجزاء ﴿خَافِيَةٞ﴾: سريرةٌ وحالٌ كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم. ١٩- ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾: يقول، سروراً وابتهاجاً: تعالوا اقرؤوا كتابي، والهاء للسكت. ٢٠- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: إني أيقنت في الدنيا أني أحاسب في الآخرة. قال الضحاك: كل ظنٍّ في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقيل: ظن الآخرة يقين. ٢٣- ﴿قُطُوفُهَا﴾: ما يُقطف من ثمارها ﴿دَانِيَةٞ﴾: قريبة من قاطفها. ٢٧- ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: يقول: يا ليت الموتة التي مِتُّها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها. ٢٩- ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: ذهبت عني حُجّتي وضلّت. ٣١- ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: ثم نارَ جهنم أوردوه ليَصْلَى فيها. ٣٢- ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾: السلسلة: حِلَقٌ منتظمة. و«ذرعها»: طولها. ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾: ادخلوه.

[١٢] قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والواحدي عن بريدة قال: رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق لك أن تعي، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾. لا يصح.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾ [الحاقة : ٢٢، الغاشية : ١٠]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الحاقة والغاشية، وهي تصف الجنة بأنها مرتفعة المكان والدرجات. [٢٤] ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة : ٢٤] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. كلوا أكلًا، واشربوا شربًا بعيدًا عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدَّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية، والآيات تتحدث عن أهل الجنة والنعيم الذي أعد لهم. [٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة : ٢٥]، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ [الانشقاق:١٠]. هل سيؤتي صاحب الشمال كتابه بشماله أو من وراء ظهره؟ الجواب: قيل : تغل يداه إلى عنقه، ويجعل شماله من وراء ظهره. وقيل: يخرج شماله إلى ظهره، فهو آخذ كتابه بشماله من وراء ظهره. [٣٤] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة : ٣٤، الماعون : ٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الحاقة والماعون، وهي تبين حال الإنسان الضالِّ في هذه الدنيا، وتصفه بأنه لا يحث الناس على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

[٥] ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١]. ما الفرق بين: "طغيان، طغوى، طاغية"؟ الجواب: وردت كلمة (طغيان) تسع مرات. وكلمة (طغوى) مرة واحدة. وكلمة (طاغية) مرة واحدة. (طغيان) هو المصدر المجرد، لذا كثر استعماله في القرآن الكريم. (طغوى) اسم مصدر، لذا نَدُرَ استعماله. وتأتي كلمة (طغوى) من الفعل الواوي (طَغَو) أو اليائي (طغي). قال ابن منظور: طغوتُ وطغيتُ والاسم الطغوى. أما (طاغية) فهي صفة العذاب الذي بعثه الله على ثمود فأهلكها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]. لماذا أتت كلمة (طغوى) في سورة الشمس؟ وردت كلمة (طغوى) مرة واحدة في القرآن، وكان ذلك في سورة الشمس، ويرجع ذلك إلى سببين: ١- أن ذلك أشكل برؤوس الآيات: (ضحاها- تلاها- جلاها- يغشاها- بناها- طحاها- سواها- تقواها- زكاها- دساها- طغواها- أشقاها- سقياها). ٢- أن طغوى تعني: العذاب في أرجح ما ذهبت إليه كتب التفاسير. [٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦]. ما الفرق بين "الريح والرياح". أولًا: مقامات (الريح) في القرآن الكريم: ١- استعمالها في الخير: وفي هذه الحالة لا تقترن بها أوصاف، بل يقف عند حد ذكرها، إلا في موضعين: أ- ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]، وهي الريح اللينة. ب- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وسر التباين بين اللفظين «طيبة» و«عاصفة» إكمال النعمة في كل موضع بما يناسبها. فهي في إجراء الفلك طيبة سهلة لانتظام حركة السير وسلامته من الكوارث. وهي لسليمان-عليه السلام- «عاصفةٌ» لأنها جندٌ من جنوده. ولو قيل في الأولى «عاصفة» وفي الثانية «طيبة» لانقلبت النعمةُ بؤسًا، والقوةُ ضعفًا. ٢- استعمالها في الشرِّ: وفي هذه الحالة تقترن بها أوصاف تدلُّ على الشَّرِّ. أمثلة: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦]. ٣- استعمالها في الخير والشر في آنٍ واحد: مثال: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ [الأحزاب: ٩]، فهي خيرٌ بالنسبة للمخاطبين، وهم المسلمون، وشرٌّ بالنسبة للجنود المغيرين، وهم الكافرون. ثانيًا: مقامات (الرياح) في القرآن الكريم: جاءت كلمة (الرياح) بصورة مختلفة عن (الريح)، كالآتي: ١- التزام استعمال كلمة (الرياح) في مجال الآيات والظواهر الكونية. ٢- التزام استعمالها في (الخير) دائمًا. أمثلة: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨]. [٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة : ٢٠]. كيف عبّر بأنه يظن ذلك، مع أنه يعلمه؟ الظن يطلق بمعنى العلم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ٤٦].

[٩] ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿قَبۡلَهُۥ﴾ قرئ: (قِبَله) بكسر القاف وفتح الموحدة، أي: أجناده وأهل طاعته. وقرئ: (قَبْله) بفتح القاف وسكون الباء ظرف زمان، أي: ومن تقدمه من الأمم الكافرة.

[١٨] ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿تَخۡفَىٰ﴾ قرئ: (يخفى) بالياء من تحت؛ لأن التأنيث مجازي، وللفصل. وقرئ: (تخفى) بالتاء للتأنيث اللفظي.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٣٥- ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب يدفع عنه ويُغيثه. ٣٦- ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: قيل: ما يسيل من صديد أهل النار. وقيل: هو شجر يأكله أهل النار. ٤٠- ﴿إِنَّهُۥ﴾: يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: وهو محمد ﷺ يقرؤه ويتلوه عليهم. وقيل: لقول يبلِّغه رسولٌ كريم، وهو جبريل عليه السلام. ٤١، ٤٢- ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: تُصدِّقون، وهذا لمشركي قريش ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون به. قيل: والقِلَّة في الموضعين بمعنى النفي، أي لا تؤمنون ولا تتذكرون ألبتَّة. ٤٤- ٤٧- ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾: الباطلة وكذب علينا، وحاشاه -ﷺ- من ذلك. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: لأخذناه بالقوة منّا والقدرة، وقيل: لأخذنا بيده اليمنى، على العادة في الأخذ بيد من يعاقب ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: نياط القلب، وهو حبله. ﴿حَٰجِزِينَ﴾: يحجزوننا عما نفعل به. والمعنى: كيف يمكن أن يتكلف الكذب على الله لأجلكم، مع علمه أنه لو تكلَّف ذلك لعاقبناه، ولا تقدرون على الدفع عنه، أفلا تعقلون؟!! ٤٨- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يعني القرآن. ٥٠- ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يوم القيامة؛ إذ لم يُؤمنوا به في الدنيا. ٥١- ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: أضيف «الحق» إلى الأبلغ من وجوهه، وهو «اليقين» للتأكيد على أن القرآن لا شكّ أنه من عند الله تعالى.

سُورَةُ المَعَارِج

١- ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾: قال ابن عباس: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله، وهو واقع بهم. وقيل: معناه: (دعا داع بعذاب واقع): يقع في الآخرة. ٣- ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي العلو والفواضل والنعم. ٤- ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تصعد ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل عليه السلام ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله عز وجل ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يقول عز وجل: كان مقدار صعودهم ذلك في يوم. ولغيرهم من الخلق، خمسين ألف سنة. ٨، ٩- ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: قيل: كعكر الزيت. وقيل: كالشيء المذاب ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصوف. ١٠- ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: عن شأنه لشغله بنفسه. و«الحميم» القريب والوليّ.

[١] قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أخرج النسائي، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ قال: هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية، وكان عذابه يوم بدر. [٢] قوله تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٤٠، التكوير : ١٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الحاقة والتكوير، وآية المعارج تبين أن هذا القرآن كلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، والآية تتحدث عن النبي ﷺ، أما آية التكوير: فتبين أن القرآن لَتبليغ رسول كريم، هو جبريل عليه السلام. [٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة:٤١]، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة :٤٢]. لماذا ختم الآية الأولى: بـ﴿مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ والثانية : بـ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. الجواب: أن مخالفة نظم القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة، فلا يخفى على أحد، فقول من قال شعر: كفر وعناد محض، فختم الآية بقوله تعالى: ﴿مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظهم فيحتاج إلى تذكير وتدبر؛ لأن كلًا منهما ليس على أوزان الشعر ونظمه، ولكن يفترقان بما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبديع، وتبع بديعه لبيانه، وألفاظه لمعانيه، بخلاف ألفاظ الكهان؛ لأنها بخلاف ذلك كله، والله أعلم. [٤٣] ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة : ٨٠، الحاقة : ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية تبين أن هذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه. [٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٧٤، ٩٦، الحاقة : ٥٢]. تكررت هذه الآية ثلاث مرات في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الواقعة والحاقة، والآية فيها توجيه للنبي ﷺ أن يسبِّح باسم ربه العظيم، وأن ينزِّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والخطاب في الآية للأمة كذلك. [٤] ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة : ٥]، ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤]. المراد بآية سورة السجدة: ما ينزل به الملك من السماء، ثم يصعد إليها، وتكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا سماء الدنيا، والمراد بآية سورة سأل سائل: يوم القيامة، لما فيه من الأهوال والشدائد، وقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ [المعارج : ٤] راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، أي: واقع ليس له دافع ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤].

[٣٠-٣٤] ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة : ٣٠-٣٤]. كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر.

[٤١، ٤٢] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ - ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قرئ: (تؤمنون-تذكرون) بالخطاب لمناسبة ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وقرئ: (يؤمنون-يذكرون) بالغيب لمناسبة ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ فهو لفظ غيبة وهو ظاهر. [١] ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قوله تعالى: ﴿سَأَلَ﴾ قرئ: (سال) بلا همز بوزن قال: وهي لغة قريش فهو من السؤال أبدلت همزته على غير قياس عند سيبويه ، لأن القياس تسهيل الهمزة بين بين، أو أنه من السيلان فألفه عن ياء كباع، والمعنى: سال واد في جهنم اسمه سائل بعذاب. وقرئ: (سأل) بالهمز من السؤال فقط وهي اللغة الفاشية ، والمعنى به أمكن؛ لأن الكفار سألوا تعجيل العذاب وقالوا: متى هو. وقد نزلت في "النضر بن الحارث" حين علم الله أنه سيقول: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. [٤] ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ﴾ قرئ: (يعرج) بالياء على التذكير. وقرئ: (تعرج) بالتاء على التأنيث وهو ظاهر، وتقدم له نظائر كثيرة مثل ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ و(فناداه). [١٠] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ﴾ قرئ: (يُسأل) بضم الياء مبنياً للمفعول ونائبه ﴿حَمِيمٌ﴾ و﴿حَمِيمًا﴾ نصب بنزع الخافض. وقرئ: (يَسأل) بفتح الياء مبنياً للفاعل أي: لا يسأل قريب قريباً عن حاله، ولا يسأله نصرة ولا شفقة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده.

نزول سورة المعارج: نزلت بعد سورة الحاقة، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة المعارج: مائتان وثلاث عشرة. عدد حروف سورة المعارج: سبعمائة وسبعة وخمسون. أسماء سورة المعارج: ثلاثة أسماء: الأول: سأل؛ لمفتتحها. والثّاني: الواقع؛ لذكر العذاب الواقع بها. الثالث: المَعارِج. مواضيع سورة المعارج: مقصود السّورة: بيان

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١١- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: يُبصَّر القريب قريبه، قيل: والمجرم حميمه، فيفرّ عنه لشغله بنفسه. ١٢، ١٣- ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾: التي تضمُّه في النّسب، ويأوي إليها عند الشدائد. ١٥- ﴿كَلَّا﴾: ليس يُنجيه من عذاب الله شيء ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: «لظى»: اسم من أسماء جهنم. ١٦- ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾: تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن. ١٨- ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾: جمع مالاً، فجعله في وعاء فلم يُزكّه. ١٩- ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ «الهلع»: الجزع مع شدة الحرص والضجر. وقد فسّرته الأيتان التاليتان. ٢٠، ٢١- ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾: إذا قلّ ماله و ناله الفقر، جزع ولم يصبر. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾: نال الغنى، كان ﴿مَنُوعًا﴾ لما في يده لا يُؤدي حق الله فيه. ٢٢- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾: أي المقيمين للصلاة. وقيل: المراد بهم أهل التوحيد. ٢٥- ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: الذي قد حُرم الغنى، أو الذي يتعفف عن السؤال فيُحسَب غنياً فيُحرم. ٢٧، ٢٨- ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة أن يأمنه. ٣١- ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: الذين تعدوا ما أحلّ الله لهم إلى ما حرُم. ٣٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾: التي ائتمنهم الله عليها من فرائضه، وأمانات عباده التي ائتمنهم عليها ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: عهود الله عز وجل التي أخذها عليهم بطاعته، وعهود عباده الجارية بينهم ﴿رَاعُونَ﴾: يرقبون ذلك، ويحافظون عليه. ٣٣- ﴿بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: لا يكتمون الشهادة ولا يغيّرونها. ٣٦- ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فما شأن الذين كفروا ﴿قِبَلَكَ﴾: يا محمد ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين مادّي أعناقهم، مُديمي النظر إليك. والمعنى: ما بالهم يسرعون إلى السماع إليك، والجلوس حولك، فيكذبونك ويستهزئون بك. ٣٧- ﴿عِزِينَ﴾: متفرقين حِلَقاً يميناً وشمالاً. ٣٩- ﴿كَلَّا﴾: أي ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾: من نطفة إذا تُمنى، ولا يُعطى أحد الجنة بنفس خلقه! وإنما تُدخل الجنة بالطاعة، وهؤلاء عصاة كفرة.

[١٢] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج : ١٢]، ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس : ٣٦]. الأيتان تبينان حال الإنسان وما يتعرض إليه من أهوال يوم القيامة.

[٢٣] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج : ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج:٣٤]. لماذا ختم الآية الأولى بقوله: ﴿دَائِمُونَ﴾، والثانية بقوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾؟ الجواب: المراد بدوامهم عليها أن لا يتركوها في وقت من أوقاتها، وبمحافظتهم عليها أن يأتوا بها على أكمل أحوالها، من الإتيان بها بجميع واجباتها، وسننها، ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب من الوسوسة، والرياء، والسمعة. [٢٤-٢٥] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات : ١٩]، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج : ٢٤- ٢٥]. آية المعارج قد تقدمها متصلًا بها قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج : ٢٢]، والمراد بالصلاة هنا المكتوبة، وأيضًا يقرن بها في آي الكتاب الزكاة المفروضة، وبها فسر المفسرون الحق المعلوم في آية المعارج. قال الزمخشري: لأنها مقدرة معلومة. وليس في المال حق مقدر معلوم وقتًا ونصابًا ووجوبًا غيرها، فلما أريد بالحق هنا الزكاة أتبع بوصف يحرز المقصود، ولما قصد في آية الذريات غير هذا المقصد، بدليل ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ١٦-١٨]، فوصف هؤلاء بطول صلاتهم وتهجدهم ومداومتهم الاستغفار في الأسحار، فذُكروا بزيادة من التطوع والنفل على ما فرض عليهم، ومن الزيادة في أعمالهم على ما فرض عليهم مما يعد تاركه إذا تركه مهملًا، فناسب هذا الإطلاق الوارد في إنفاقهم؛ ليفهم الزيادة على ما فرض عليهم من الزكاة المقدرة، ولم يكن ليناسب هنا الإشارة إلى قدر المنفق. مما سبق، يتبين أن المراد بآية الذاريات الصدقات والنوافل لقرينة تقدم النوافل، والمراد بآية المعارج الزكاة لتقدم ذكر الصلاة؛ لأنها معلومة مقدرة. [٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون : ٨، المعارج : ٣٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي المؤمنون والمعارج، والآية ذكر فيها بعض صفات المؤمنين، من أداء للأمانات ووفاء بالعهود. [٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج:٣٤]. إن كل تعبير من التعبيرين مناسب لما اكتنف هذا الوصف، ففي آية سورة المؤمنون، لما كان ذكر محافظتهم على صلاتهم، واكتنفه ما تقدمه وما تأخر عنه من تفخيم الوصف في المتقدم، وتفخيم الجزاء في المتأخر - ناسب ذلك تفخيم العبارة عن فعلهم، فورد بلفظ الجمع فى قراءة الأكثرين فقيل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. أمّا تفخيم الوصف المتقدم، فذكرهم بالفلاح وهو الظفر بالمراد، والبقاء في الخير، وذكرهم بالخشوع في صلاتهم وإعراضهم عن اللغو، ولم يقع في متقدم وصفهم فى سورة المعارج ما يوازن هذه الأوصاف... وأمّا نعتهم الوارد في جزائهم فوصفهم بأنهم الوارثون، ثم تخصيصهم بإرث الفردوس، وهو أعلى الجنة، ومنه تفجّر أنهار الجنة، ووصفهم بالخلود فيها، ولا يوازن هذا بقوله عقب آية المعارج: ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج : ٣٥]. فالجمع يفيد التفخيم، فجاء مع الآيات التي فيها تفصيل فى فضائلهم، والجزاء الذي أعد لهم.

[٥] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]. ما الفرق بين: "الجمال والحُسْن"؟ الجواب: رغم أن أئمة اللغة كسيبويه وغيره يسوون بين (الجمال) و(الحُسْن) في المعنى، إلا أن الكلمتين مختلفتان في القرآن، ولكل منهما مواضع خاصة. ١- لم يرد في القرآن إلا المصدر (الجمال)، والصفة المشبهة (جميل). ٢- ولم يستعمل القرآن الكريم (جمال) أو (جميل) إلا في الأمور المعنوية لا الحسية. ٣- وردت كلمة (جميل) سبع مرات كالآتي: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، و[يوسف: ٨٣] ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

[١٦] ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً﴾ قرئ: (نزاعةٌ) بالرفع على أنه خبر "إن" ثانٍ، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هي نزاعة. وقرئ: (نزاعةً) بالنصب على الاختصاص، أو حال مؤكدة. [٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿بِشَهَادَتِهِمْ﴾ قرئ: (بشهاداتهم) بألف بعد الدال على الجمع اعتبارًا بتعداد الأنواع.

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ إعجاز عددي: تساوي عدد مرات ذكر لفظ البصر والبصيرة ومشتقاتهما مع لفظ القلب والفؤاد ومشتقاتهما، وقد ورد كلٌّ (١٤٨) مرة. أولًا: ورد لفظ (البصر والبصيرة بمشتقاتهما) (١٤٨) في كتاب الله. ثانيًا: ورد لفظ (القلب والفؤاد ومشتقاتهما) (١٤٨) مرة في كتاب الله.

جُرأة الكافر في استعجال العذاب، وطول القيامة وهولها، وشُغل الخلائق في ذلك اليوم المهيب، واختلاف حال الناس في الخير والشرّ، ومحافظة المؤمنين على

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

٤٠- ﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: هي مطالع الشمس والقمر وسائر الكواكب، وحيث تغرُب. ٤١- ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: على أن نُهلك هؤلاء، ونأتي بخير منهم من الخلق ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: أي بمغلوبين إن أردنا ذلك، بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء، ولا يعجزنا أمر، سبحانه وتعالى. ٤٢- ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾: دعهم ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾: في هذه الدنيا. ٤٣- ﴿مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾: من القبور ﴿سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾: كأنهم إلى علم قد نُصب لهم يستبقون. و«النُّصب» ما نُصب للإنسان فهو يقصد مسرعاً إليه، من علَم أو بناء أو صنم لأهل الأصنام، وقد كثر استعمال هذا الاسم في الأصنام، حتى قيل لها: الأنصاب. ٤٤- ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: ذليلة منكسرة ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾: تغشاهم ذلة شديدة، قيل: هي سواد الوجه.

سُورَةُ نُوحٍ

٤- ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾: إلى حين كتب أنه يُفنيكم. فلا يهلككم بعذاب ولا نقمة. ٥- ﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾: عبارة عن استمرار دعائه وأنه لم يَنِ فيه قط. ٧- ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾: تغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي ﴿وَأَصَرُّواْ﴾: ثبتوا على ما هم فيه من الكفر ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تكبروا وتعاظموا على الإذعان للحق. ٩- ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾: صَرَّحت لهم، وصِحت بالذي أمرتني به من الإنذار ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾: فيما بيني وبينهم في خفاء، والمقصود: أنه دعاهم بأساليب متعددة، فلم ينجع ذلك فيهم.

[٤٠] ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩]. يأتي الله بالشمس من المشرق، ويأذن لها سبحانه أن تغرب من المغرب بعد أن تسجد تحت العرش، ألا وإن مما وصف الله به نفسه، وأثنى به على ذاته العليه أنه رب المشرق والمغرب، وهذان اللفظان المخبران عن الجهتين العظيمتين المعروفتين جاءا في القرآن على صورة المفرد والمثنى والجمع، وكل سياق من ذلك كان قطعًا متفقًا مع نسق الآية الكريمة، ولنتأمل: لما ذكر الله في سورة المزمل وجوب الانقطاع إليه وحده، ووجوب التوكل عليه سبحانه دون سواه قال تباركت أسماؤه: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٨-٩]، فتأمل كيف أفرد وهو يتحدث جل شأنه عن مقام إفراده بالعبادة، لكن تأمل كيف ثنّى في قوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، فالخطاب هنا للثقلين الجن والإنس كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، ثم تأمل في سورة المعارج كيف تحدث الله أولًا عن اختلاف قريش في القرآن، وأنهم أشتات فيما يدعونه، فقال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٧]، هنا جاء لفظ المشرق والمغرب مجموعًا ليتفق مع السياق العام للآيات، فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، فسبحان الله! مَنْ هذا قوله وتلكم كلماته، أيد به خير نبي وأكرم رسول. [٤١] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الواقعة ٦١]، ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤١]. وما نحن بعاجزين على أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال، فهذا ما دلت عليه آية الواقعة، أما آية المعارج: على أن نستبدل بهم قومًا أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده. [٤٢] ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣، المعارج: ٤٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الزخرف والمعارج، وهي تدعو النبي ﷺ أن يترك هؤلاء المفترين على الله يخوضوا، في باطلهم، ويلعبوا، في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا. [٤٤] ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤]. الآيتان تعرضان حال المستكبرين عن عبادة الله وما يحل بهم يوم القيامة من ذلهم وانكسار أبصارهم، وآية القلم تبين أنهم كانوا في الدنيا يُدعَون إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحَّاء قادرون عليها فلا يسجدون؛ تعظمًا واستكبارًا، أما آية المعارج فتوضح أن ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويُكذِّبون. [٤] ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ١٠، الأحقاف: ٣١، نوح: ٤] ليس في القرآن غيرها، وباقي المواضع ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾. عندما يكون الخطاب على لسان الرسل إلى قومهم لعبادة الله تأتي الآية: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، أي: بعض ذنوبكم، وعندما يكون الخطاب من الله تعالى في حق المؤمنين يكون متسمًا بالكرم الواسع ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾، أي: جميع ذنوبكم. = ٤- وردت كلمة (جمال) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]. ٥- يُطلِق القرآن كلمة (الحُسْن) على الأمور المعنوية والأمور المادية، فكل جميل حسن، وليس كل حسن جميلًا. ومثال المعنوي: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]. ومثال المادي: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٤]. = وقرئ: (بشهادتهم) بلا ألف على التوحيد على ارادة الجنس. [٤٣] ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿نُصُبٖ﴾ قرئ: (نُصُب) بضم النون والصاد اسم مفرد جمعه أنصاب. وقرئ: (نَصْب) بفتح النون وسكون الصاد، وهو: ما نُصب ليعبد من دون الله تعالى. وقيل: هما لغتان كالضَّعْف والضُّعف. [٨، ٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ إعجاز عددي: ورد ذكر (الجهر بمشتقاته) (١٦) مرة، وورد ذكر (الإعلان بمشتقاته) (١٦) مرة، إذًا تساوي عدد مرات ورود لفظ (الجهر بمشتقاته) مع لفظ (العلانية بمشتقاته) وقد ورد كلٌّ منهما (١٦) مرة في القرآن الكريم. [١٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم. = خصال الخير، وطمع الكفار في غير مَطْمَع، وذلّ الكافرين في يوم القيامة. نزول سورة نوح: نزلت بعد سورة النحل، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة نوح: مائتان وأربع وعشرون. عدد حروف سورة نوح: تسعمائة وتسعة وخمسون. أسماء سورة نوح: سمّيت سورة نوح؛ لذكره في مفتتحها ومختتمها. مواضيع سورة نوح: معظم مقصود السّورة: أمر نوح بالدعوة، وشكاية نوح من قومه والاستغفار لسعة النعمة، وتحويل حال الخَلْق من حال إلى حال، وإظهار العجائب على سقف السّماء، وظهور دلائل القدرة على بسط الأرض، وغَرَق قوم نوح، =

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

١١- ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: الغيث ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: متتابعةً. ١٣، ١٤- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: ما لكم لا تخافون حق عظمته سبحانه، فتوحدونه وتطيعونه. والوقار: العظمة. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: على أطوار مختلفة طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة. وقيل: أطواراً: صغاراً ثم شباناً ثم شيوخاً. و«الأطوار»: الأحوال المختلفة. ١٦- ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: منوِّراً لوجه الأرض. وجعله في السماوات مع كونه في السماء الدنيا، لأنه إذا كان في إحداهن فهو فيهن. ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: مصباحاً يجمع بين الضوء والحرارة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]. ١٧، ١٨- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أنشأكم من تراب الأرض أولاً ﴿نَبَاتًا﴾: إنشاءً. واستعير «الإنبات» للإنشاء لأن آدم أخذ من الأرض، ثم صار الجميع نابتاً منه. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: إذا شاء أحياءً كما كنتم من قبل أن يعيدكم. ١٩- ﴿بِسَاطًا﴾: تستقرّون عليها وتمتهدونها. وهذا الوصف للأرض يأتي في القرآن في سياق الانتفاع والتسخير. ٢٠- ﴿سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿فِجَاجًا﴾: جمع: فج، وهو الطريق الواسع. ٢١- ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: بُعداً من الله، وذهاباً عن الحق، وهم رؤساؤهم وأهل المال فيهم. ٢٢- ﴿كُبَّارًا﴾: كبيراً. ٢٣- ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾: التي اتخذتموها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: قيل: هذه أصنام كانت تعبد في زمان نوح عليه السلام. ٢٤- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾: يقول نوح: وقد ضل بعبادة هذه الأصنام كثير من الناس. ٢٥- ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾: يعني: من خطيئاتهم، أي من أجلها وبسببها أغرقوا بالطوفان. ٢٦- ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾: لا تُبق ﴿دَيَّارًا﴾: من يدور فيها، فيجيء ويذهب، أو من يسكن الديار. ٢٧- ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾: في دينك ﴿كَفَّارًا﴾: لنعمتك. وذكر أن هذا الدعاء كان من نوح عليه السلام بعد أن أوحي إليه ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]. ٢٨- ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾: مسجدي ومصلاي. وقيل: منزله ومسكنه. ﴿تَبَارًۢا﴾: «التبار»: الهلاك وذهاب الرسم.

[٢١، ٢٦] ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ [نوح : ٢١]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح : ٢٦]. الموضع الأول بغير واو، والثاني بزيادة الواو؛ لأنَّ الأوّل ابتداء دعاء، والثاني عطف عليه. [٢٤، ٢٨] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ [نوح : ٢٤]، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح : ٢٨]. لما ذكر نوح عليه السلام أولًا في إخبار الله سبحانه عنه عصيان قومه له وقولهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح : ٢٣]، أي: لا تتركوها، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح : ٢٣] إلى قوله : ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح : ٢٤]، أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم، ولم يَدعُ هنا بهلاكهم. وأما الآية الثانية فتقدمها دعاؤه، عليه السلام، بهلاكهم وأخذهم في قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، فأتبع ذلك بما يناسب فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾، أي: هلاكًا.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ [نوح : ٢١]. يقول ابن القيم: الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل. ويقول: للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس. **عقوبات المعاصي في الحياة الدنيا:** ١- حرمان نور العلم. ٢- حرمان الرزق. ٣- تعسير أموره عليه. ٤- توهن القلب والبدن. ٥- حرمان الطاعة. ٦- الثمار الخبيثة، أي: أن المعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضًا. ٧- وحيل بينهم وبين ما يشتهون، أي: المعاصي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله. ٨- إلف المعصية. ٩- هانوا على الله فعصوه. ١٠- ذل المعصية. ١١- الاستهانة بالعصيان. ١٢- تكاثر فطبع فغفلة فموت. ١٣- ليذيقهم بعض الذي عملوا، أي: الذنوب والمعاصي تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد. ١٤- دياثة العاصي. ١٥- ما لكم لا ترجون لله وقارًا، أي: أن المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله. ١٦- نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أي: أن المعاصي تستدعي نسيان الله لعبده. ١٧- قيود الذل، أي: المعاصي تأسر القلب عن طاعة الله. ١٨- زوال النعم وحلول النقم. ١٩- جبن وخور وخوف. ٢٠- عيش المستوحشين مر. ٢١- سوء الخاتمة، فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه وتعالى قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطا؟؟! [٢٤] ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾ [نوح : ٢٤]. كيف دعا نوح على قومه بذلك، مع أنه أرسل إليهم ليهديهم ويرشدهم؟ **الجواب:** إنما دعا عليهم بذلك، بعد أنْ أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون. [٢٢] ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]. ما الفرق بين: "كبير، كُبّارًا"؟ **الجواب:** وردت كلمة (كبير) ستًّا وثلاثين مرة. ووردت كلمة (كبّارًا) مرة واحدة في القرآن الكريم. قال الزمخشري: الكُبَار أكبر من الكبير، والكُبَّار أكبر من الكُبار. (كبير) صفة مشبهة من الفعل (كَبِرَ) لذا كثر ورودها في القرآن. أما (كبّارًا) فهي صفة مشبهة تبلغ الغاية في المبالغة والتوكيد. اتسقت كل منهما كفاصلة مع الفواصل التي جاءت معها: فكلمة (كبير) اتسقت مع (السبيل)، و(فقير) في سورة القصص. أيضًا: اتسقت كلمة (كبّارًا) مع الفواصل التي جاورتها مثل (سراجًا، نباتًا، إخراجًا، بساطًا، فجاجًا، خسارًا، كبارًا، ضلالًا، أنصارًا، ديارًا، كفارًا، تبارًا) في نوح.

[٢١] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ قرئ: (ووَلَده) بفتح الواو واللام على أنها اللغة المشهورة في الابن والابنة وهو ولد. وقرئ: (ووُلْده) بضم الواو وسكون اللام، قيل: الفتح والضم لغتان، كالبُخْل والبَخَل، وقيل: المضموم: جمع المفتوح كأَسَدٍ وأُسْد. وقيل الوَلَد بالفتح: الابن والابنة والوُلْد بالضم: الأهل. [٢٣] ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قوله تعالى: ﴿وَدًّا﴾ قرئ: (وُدًّا) بضم الواو. وقرئ: (وَدًّا) بفتحها، لغتان: في اسم صنم في عهد نوح كانوا يعبدونه في الجاهلية ويقال: إن كلباً وهي فرع عظيم من قضاعة كانت تعبد هذا الصنم. [٢٥] ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ قرئ: (خطاياهم) مثل قضايا هي جمع خطية على الجمع والكسر. وقرئ: (خطيئاتهم) جمعاً سالماً لخطيئة، فخفضوه بـ"من" و"ما" زائدة في "مما" فهو بمنزلة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ وقد قال ابن كيسان: إن "ما" نكرة في موضع خفض بـ"من" ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بدل من "ما"، كأنه قال: من عمل خطيئاتهم. [١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح : ١٤].

أطوار الجنين: يقول علم الأجنة: إنه بدراسة تاريخ الأجنة على وجه الأرض في حياة الإنسان، وُجد أن الجنين في أول أمره يشبه حيوان الخلية الواحدة، ثم بتقدم الحمل يأخذ شبه الحيوان ذي الخليات المتعددة، ثم يتطور إلى طور آخر إذ يأخذ شكل الحيوانات المائية، ثم الحيوانات الثديية، ثم شكل الإنسان الذي يولد عليه. فهل هناك إعجاز أدق وأروع من تلخيص هذا التسلسل في ألفاظ القرآن؟! - ودعاؤه عليهم بالهلاك، وللمؤمنين بالرّحمة، وللظّالمين بالتّبار والخسارة.

سُورَةُ الجِنِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾

سُورَةُ الجِنِّ

١- ﴿قُلۡ﴾: يا محمد ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: جماعة منهم استمعوا القرآن من النبي ﷺ. فقالوا لقومهم حين رجعوا إليهم. ﴿قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾: بديعاً في فصاحته وبلاغته. ٣- ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: أمرُ ربِّنا وقدرتُه، وسلطانه، وجلاله، والجَدُّ: العظمة والجلال. ﴿صَٰحِبَةٗ﴾: زوجة، والمعنى: تعالى ربنا وتنزه عن أن يتخذ زوجة أو ولداً. ٤- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: يعنون: إبليس الذي امتنع من السجود لآدم ﴿شَطَطٗا﴾: تعدِّياً وظلماً كبيراً. وكذباً من القول. ٥- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: حسبنا. وإنما أنكر النفر من الجن أن يكون أحد من الجن والإنس يجترئُ على الله تعالى بالكذب عليه، ولكن ما أنكره الجن اجترأ فيه بعض فجّار الإنس. (راجع الآية ٩ سورة الحجر). ٦- ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلاً، في أسفارهم، يقولون: نعوذ بأعز أهل هذا المكان، ويكبير هذا الوادي ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾: إثماً، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة. ٧- ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ﴾: يعني: أن الرجال من الجن ظنوا كما ظن الرجال من الإنس ﴿أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾: رسولاً إلى خلقه يدعوهم إلى توحيده. ٨- ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: أردناها، وطلبنا خبرها كما جرت به عادتنا ﴿مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا﴾: حَفَظَة ﴿وَشُهُبٗا﴾: جمع: شهاب، وهي النجوم التي تُرجم بها الشياطين. ٩- ﴿نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِ﴾: كان مَرَدَةُ الجن يفعلون ذلك ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء، فيلقونها إلى الكهنة ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ﴾: مذ حُرست السماء، وبُعث محمد ﷺ ﴿يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾: شهاب نار قد رُصد له. ١٠- قيل في تفسير الآية: إن السماء لم تحرس قط إلا لأحد أمرين: إما لعذاب يريد الله عز وجل أن ينزله على أهل الأرض بغتةً، وإما لنبي مُرشدٍ مرسَل، فلذلك قالوا: ﴿لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.. الآية. ١١- ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾: كنا أهواء مختلفة، وفرقاً شتى. ١٢- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: علمنا. ﴿وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ﴾: نفوته ﴿هَرَبٗا﴾: إن طلبنا. وصفوا الله تعالى بالقدرة عليهم. ١٣- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: يعنون: القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: صدَّقنا به ﴿فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا﴾: أن يُبخس ويُنقص من حسناته، فلا يجازى عليها ﴿وَلَا رَهَقٗا﴾: ولا إثماً يُحمل عليه من سيئات غيره.

[١] قوله تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أخرج البخاري، والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا. فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن. وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفة الصفوة بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد، إذ رأيت مدينة من حجر منقور، وسطها قصر من حجارة، منقورة سقوفه وأبوابه، تأويه الجن، فدخلت معتبرًا فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة، وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، وقال: يا سهل، إن الأبدان لا تخلق الثياب، وإنما تخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة عليَّ منذ سبعمائة سنة، لقيت فيها عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام، فآمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾. [٦] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك، فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم، وأنزل الله على رسوله بمكة: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم، فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هرابًا، فأتينا على فلاة من الأرض، وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة، فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، من أقرَّ بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت فيَّ وفي أصحابي =

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]. انظر إلى قول مؤمني الجن حينما نسبوا الشر إلى ما لم يُسمَّ فاعله تأدبًا مع الله، ونسبوا الرشد وأسندوه إلى الله عز وجل، وهذا من باب التأدب مع الله. [٣] ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ وما بعده وجملته اثنتا عشرة همزة إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ﴾ قرئ: (أَنا) بفتح الهمزة فيهن وقيل هي معطوفة على مرفوع ﴿أُوحِيَ﴾ قاله أبو حاتم، وعورض بأن أكثرها لا يصح دخوله تحت معمول ﴿أُوحِيَ﴾ وهو ما كان فيه ضمير المتكلم نحو: لمسنا. وقيل: عطفاً على الضمير في "به" من ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ من غير إعادة الجار على مذهب الكوفيين؛ وقوّاه مكي: بكثرة حذف حرف الجر مع "أن"، وجعله القاضي تبعاً للزمخشري عطفاً على محل ﴿بِهِۦ﴾ كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى، وأنه كان يقول كذا... البواقي. وقرئ: (إِنا) بالكسر فيها كلها عطفًا على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ فيكون الكل مقولًا للقول. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ قرئ: بكسرها استئنافًا. وقرئ: بفتحها، وتوجيهها أنه عطفه على ما قبله من قوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ كذا: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾. [٥] ﴿أَن لَّن تَقُولَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَقُولَ﴾ قرئ: (تقَوَّل) بفتح القاف وتشديد الواو مضارع تقَوَّلَ: أي تكذب، والأصل: تتقول فحذف إحدى التاءين، وانتصب ﴿كَذِبٗا﴾ على المصدر؛ لأن التقول كذب، نحو: قعدت جلوسًا. وقرئ: (تقُوْل) بضم القاف وسكون الواو مضارع: قال، وانتصب كذبا بتقول لأنه نوع من القول.

نزول سورة الجن: نزلت بعد سورة الأعراف، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الجن: مائتان وخمس وثمانون. عدد حروف سورة الجن: تسعمائة وتسعة وخمسون. أسماء سورة الجن: سمّيت سورة الجنّ؛ لاشتمالها على ذكر الجنّ. مواضيع سورة الجن: معظم مقصود السّورة: عجائب علوم القرآن، وعظمة سلطان المَلِك الدّيّان، وتعدّي الجنّ على الإنسان، ومنعهم عن الوصول إلى السّماءِ بالطّيران، والرّشد والصّلاح لأهل الإيمان، وتهديدُ الكفّار بالجحيم والنيران، وعِلْم الله تعالى بالإسرار والإعلان، وكيفية تبليغ الوحي من الملائكة إلى الأنبياءِ بالإتقان، وحَصْر المعلومات في علم خالق الخَلْق.

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

١٤- ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾: الجائرون عن الإسلام وقصْد السبيل ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا﴾: تعمَّدوا وتوخَّوا. ﴿رَشَدًا﴾ في دينهم، وقصدوا طريق الحق. ١٦، ١٧- ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا﴾: لو استقام القاسطون على طريق الحق والإسلام ﴿مَّاءً غَدَقًا﴾: طاهراً كثيراً ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم به، أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم. ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾: يُدخله عذاباً شديداً شاقاً. ١٨- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي: لا تشركوا بالله، ولا تدعوا فيها غيره. ١٩- ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يدعو الله ويعبده، ويقول: لا إله إلا الله ﴿كَادُوا﴾: كاد الجن يكونون متراكمين من ازدحامهم على رسول الله ﷺ لسماع القرآن منه، وذلك يبطن نخلة. و«اللِّبد» الجماعات بعضها فوق بعض، واحدتها: لِبدة. ٢٢- ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجا يلجا إليه. ٢٣- ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: يقول للمشركين: إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً، إلا أن أبلغكم من الله ما أمرني أن أبلغه إليكم. ٢٥- ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: ما يعدكم ربكم من العذاب، وقيام الساعة ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾: غاية معلومة تطول مُدتها. ٢٦، ٢٧- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: هو سبحانه المتفرد بعلم ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾: فلا يُعلم ولا يريه. ﴿أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾: فإنه يظهره على بعض غيبه، قيل: ليكون ذلك معجزة لهم، ودلالة على نبوّتهم. ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾: يُرسل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: أمام الرسول وخلفه ﴿رَصَدًا﴾: من الملائكة، وحفظة يحفظونه من وساوس الشياطين حتى يُبلغ ما أوحي به إليه. ٢٨- ﴿لِّيَعْلَمَ﴾: الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم. وقيل: ليعلم الله تعالى أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم محروسة من الزيادة والنقصان.

= ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الآية. وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي، حدثنا عمارة بن زيد، حدثني عبد الله بن العلاء، حدثنا محمد بن عكبر، عن سعيد بن جبير أن رجلًا من بني تميم يقال له: رافع بن عمير حدَّث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت، وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت في منامي رجلًا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعًا، فنظرت يمينا وشمالًا فلم أر شيئًا، فقلت: هذا حلم، ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش، فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى فأخذ منها ثورًا وانصرف، ثم التفت إليَّ الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت واديًا من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها، قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي، بعث يوم الاثنين، قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح، وجددت السير حتى تقحمت المدينة، فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئًا، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت. قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. [١٦] قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ وأخرج عن مقاتل في قوله: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ قال: نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين. [١٨] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا أن نشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ الآية. [٢٢] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنيًا من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤]. قل أيها الرسول لهم: من كان ضالًا عن الحق غير متبع طريق الهدى، فالله يمهله ويملي له في ضلاله، حتى إذا رأى يقينًا ما توعَّده الله به: إما العذاب العاجل في الدنيا، وإما قيام الساعة، فسيعلم حينئذ مَن هو شر مكانًا ومستقرًا، وأضعف قوة وجندًا، فهذا ما دلت عليه آية مريم، أمَّا آية الجن: حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: مَن أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟

[١٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]. ما الفرق بين: "القاسطون والمقسطون"؟ الجواب: قال صاحب اللسان: أقسطَ يقسطُ فهو مقسطٌ، إذا عدل. وقسط يقسطُ فهو قاسطٌ: إذا جار. فكأن الهمزة في أقسط للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه. إذًا أقسط: عدل. وقسط: جار.

[١٧] ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرئ: (نسلكه) بالنون على العظمة، وهو إخبار من الله جَلَّ ذكره عن نفسه، فهو خروج من غيبة إلى إخبار كما قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ ثم قال: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ وقال: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ﴾ فرجع إلى الإخبار. وقرئ: (يسلكه) على لفظ الغيبة، ردوه على الغيبة التي قبله في قوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾. [١٩] ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قوله تعالى: ﴿لِبَدًا﴾ قرئ: (لُبَدًا) بضم اللام وهو جمع لبدة بالضم نحو: غرفة وغرف. وقرئ: (لِبَدًا) بكسرها جمع لبدة بالكسر، أي: يركب بعضهم بعضًا لكثرتهم للإصغاء والاستماع لما يقوله صلى الله عليه وسلم من القرآن.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قرئ: (قُلْ) بضم القاف وسكون اللام بلفظ الأمر، حملًا على ما أتى بعده من لفظ الأمر في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ قل: إني لن يجيرني. وقرئ: (قال) بلفظ الماضي على الخبر عن عبد الله وهو محمد ﷺ، وحملًا على ما قبله من الخبر في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾.

[٢٨] ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾ قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قرئ: (لِيُعلم) بضم الياء مبنيًا للمفعول. وقرئ: (لِيَعلم) بفتحها مبنيًا للفاعل، أي: ليعلم النبي الموحى إليه ﷺ.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ إعجاز عددي: ورد لفظ (الدين بمشتقاته) (٩٢) مرة في القرآن الكريم، كما رود لفظ (المساجد والسجود ومشتقاته) (٩٢) مرة أيضًا. وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر (الدين بمشتقاته) مع عدد مرات ذكر (المساجد والسجود بمشتقاتهما)، وقد ورد كلٌّ (٩٢) مرة في القرآن الكريم.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾: هو الملتف بثيابه، وإنما عنى بذلك رسول الله ﷺ. ٤- ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: خيّره، حين فرض عليه قيام الليل، بين هذه المنازل، أيَّ ذلك شاء فعَل، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: يقول: وبيِّن القرآن إذا قرأته تبييناً، وترسَّل فيه ترسلاً، أي اقرأه على مَهل مع تدبر. ٥- ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: قيل: العمل به ثقيل، وقيل: كلام له وزن ورجحان في تاريخ بني الإنسان، لأنه أمانة الله الأخيرة لهم، وقد حمل عبءَ نزول القرآن عليه رسولُ الله ﷺ ٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: ساعة الليل، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أشد ثباتاً من النهار، وأثبت في القلب ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: وأصوب قراءة. ٧- ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾: أي تصرّفاً وتردداً في أمورك كما يتردد السابح في الماء. ٨- ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: انقطع إليه انقطاعاً لعبادتك وحوائجك دون غيره. ١٠- ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لا تشتغل بالتعرض لهم. قيل: الهجر الجميل: الذي لا جزع فيه. ١١- ﴿وَذَرْنِي﴾: دعني، بمعنى الوعيد ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: بآياتي ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: أهل التنعم في الدنيا ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: وأخرهم بالعذاب الذي يستبطأ لهم، فلم يكن إلا يسيراً حتى كانت وقعة بدر. ١٢- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: قيوداً، واحدها: «نِكْل»، ﴿وَجَحِيمًا﴾: نار تُسَعَّر. ١٣- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يَغَصُّ به آكله ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: موجعاً، لمشركي قومك الذين يُؤذونك، ولسائر الكفرة والملحدين. ١٤- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب بمن عليها الأرض والجبال ﴿كَثِيبًا مَهِيلًا﴾: رملاً سائلاً متناثراً ، والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل: الذي إذا أخذت أسفله انهال. ١٦- ﴿وَبِيلًا﴾: شديداً مهلكاً. ١٧- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾؟ أي: كيف تقُون أنفسكم أيها الناس ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾: قيل: تشيب الصغار من كُرب ذلك اليوم. ١٨- ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: أي متشققة بذلك اليوم، أو فيه، لشدته وعظيم هَوْله و«السماء» تُذكر وتُؤنث. ١٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: يعني: الآيات التي ذكرها في أمر القيامة ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً بالإيمان به، والعمل بطاعته.

[١] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أخرج البزار والطبراني بسند واهٍ عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة: فقالت: سموا هذا الرجل اسمًا يصدر عنه الناس، قالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحرٌ، قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها، فأتاه جبريل فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قال: نزلت وهو في قطيفة. [٢] قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [٢٠]. وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

[٨] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]. واذكر أيها النبي اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه، فهذا ما دلت عليه آية المزمل، أما آية الإنسان: وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره. [٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. يأتي الله بالشمس من المشرق، ويأذن لها سبحانه أن تغرب من المغرب بعد أن تسجد تحت العرش، ألا وإن مما وصف الله به نفسه وأثنى به على ذاته العليه أنه رب المشرق والمغرب، وهذان اللفظان المخبران عن الجهتين العظيمتين المعروفتين جاءا في القرآن على صورة المفرد والمثنى والجمع، وكل سياق من ذلك كان قطعًا متفقًا مع نسق الآية الكريمة، ولنتأمل: لما ذكر الله في سورة المزمل وجوب الانقطاع إليه وحده، ووجوب التوكل عليه سبحانه دون سواه قال تباركت أسماؤه: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]،=

[١١] ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١١]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]. ما الفرق بين كلمة "النَعمة" و"النِعمة" في القرآن الكريم؟ الجواب: "النَعمة" بالفتح وردت في سورة الدخان ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، وفي سورة المزمل ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾، لم ترد في القرآن كلّه إلا في السوء والشر والعقوبات، و"النِعمة" بالكسر جاءت في مواضع كثيرة في القرآن منها في النحل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، وهي دائمًا تأتي في الخير في القرآن الكريم. [١١] ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١]، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]. ما الفرق بين: "مَهِّل وأَمْهِل"؟ الجواب: وردت كلمة (أمهل) مرة واحدة، بينما وردت كلمة (مهِّل) مرتين في القرآن الكريم. لعل ورود كلمة (أمهل) إلى جانب ورود كلمة (مهِّل) في القرآن يرجع إلى سببين: ١- (أمهل) توكيد لصيغة (مهِّل). ٢- في المخالفة بين الصيغتين تسكين من الله تعالى وتصبير للرسول الكريم، ثم للمسلمين بعد ذلك، لأن في المخالفة بين الصيغتين لفتًا للانتباه لا يتأتى بغيرها (ذهب إلى هذا القول الزمخشري والفخر الرازي).

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَطْئًا﴾ قرئ: (وِطَاءً) بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها همزة بوزن قتال مصدر واطأ؛ لمواطأة القلب اللسان فيها، أو موافقته لما يراد من الإخلاص والخضوع، ولذا: فضلت صلاة الليل على صلاة النهار، وقال الفراء في معنى هذه القراءة: هي أشد علاجًا فهي أعظم أجرًا لصعوبة مفارقة الراحة بالنوم. وقرئ: (وَطْئًا) بفتح الواو وسكون الطاء بلا مد مصدر وطئ يطأ وطئًا، أي: أشد ثبات قدم، وأبعد من الزلل، وأثقل من صلاة النهار، وأشد صلاة للمصلي؛ أو أشد قيامًا على الإنسان من قيام النهار، أو أثبت قيامًا، وقراءة؛ أو أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، فالليل أخلى للقلب، وأثبت في القيام، ولأن المصلي فيها يفهم ما يقرأ، وكثير من المفسرين على أن أشد وطئًا معناها: أشد مكابدة واحتمالًا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم أشدد وطأتك على مضر". رواه البخاري. [٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ قوله تعالى: ﴿رَبُّ﴾ قرئ: (ربِّ) بخفضها صفة لربك، أو بدل، أو عطف بيان. وقرئ: (ربُّ) بالرفع على الابتداء، والخبر جملة هي قوله (لا إله إلا هو) أو خبر مضمر، أي: هو رب.

نزول سورة المزمل: نزلت بعد سورة القلم، وهي مكيّة سوى آية واحدة من آخرها. **عدد كلمات سورة المزمل:** مائتان وخمس وثمانون. **عدد حروف سورة المزمل:** ثمانمائة وستّة وثلاثون. **أسماء سورة المزمل:** سمّيت سورة المزّمل؛ لافتتاحها. **مواضيع سورة المزمل:** معظم مقصود السّورة: خطاب الانبساط مع سيّد المرسلين، والأمرُ بقيام اللّيل، وبيان حُجّة التّوحيد، والأمر بالصّبر على جفاءِ الكفّار، وتهديدُ الكافر بعذاب النار، وتشبيه رسالة المصطفى برسالة موسى، والتخويف بتهويل القيامة، والتسهيل والمساحة في قيام اللّيل، والحثّ على

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٢٠- ﴿أَنَّكَ تَقُومُ﴾: مُصَلِّياً ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقل ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾: من أصحابه ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: فلا يفوته علم ما تفعلون، أو قدر ما تقومون. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾: علم أن الذي فرض عليكم من قيام الليل لن تطيقوه، قيل: لكثرته وشدّته. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: إذ عجزتم ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: من القرآن في صلاتكم، جعل الله قيام الليل تطوعاً بعد أن كان فريضة. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المكتوبة، وهي الصلوات الخمس ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قيل: زكاة الفطر لأن زكاة الأموال فُرضت بعد ذلك. وقيل: الزكاة الواجبة. لأن الآية مدنية. ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أنفقوا من أموالكم في سبيله، فهو خيرٌ يوم القيامة في معادكم.

سُورَةُ المُدَّثِّر

١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: يا أيها الذي قد تَدثَّر بثيابه، أي تَغشَّى بها. قيل: إن رسول الله ﷺ قيل له ذلك وهو يومئذ متدثر بقطيفة له. فدُعي بحال من أحواله. ٣- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: فعظِّم بعبادته والرغبة إليه وحده. ٤- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: قيل: أمره الله أن يتطهر ويُطهر ثيابه. وقيل: هذه الألفاظ استعارة في تنقية الأفعال والنفس والعِرض. ٥- ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: قيل: الأصنام والأوثان، والمعنى: الثبات على هجرها لأنه كان بريئاً منها ﷺ. ٦- ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: لا تُعط عطيَّة لتُعطى أكثر منها. وقيل: معناه: لا تمنن على ربك أن تستكثر عملك الصالح. ٧- ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾: أي لوجه ربك وطلب رضاه؛ اصبر على الأذى والتكذيب. ٨- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾: نُفخ في الصور. ١١- ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: عنى به الوليد بن المغيرة. والآية وعيد محض، والمعنى: أنا أكفي عقابه وشأنه كلّه. ١٢- ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: كثُر عدده، أو مساحته. ١٣- ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضوراً لا يغيبون عنه، ولا يحتاجون إلى التفرق في طلب الرزق. لكثرة مال أبيهم. ١٤- ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ﴾: بسطت له من المال والولد في الدنيا. ١٧- ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. قيل: إنه يكلّف أن يصعد جبلاً من نار.

[١، ٢] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنوديت فلم أر أحدًا، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني، بحراء فرجعت فقلت دثروني، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾. [١ – ٧] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ...﴾ وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعرٌ، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾. [١١] قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتتعرض لما قبله، قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له. فقال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالشعر مني، ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلي عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إسناده صحيح على شرط البخاري. وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

= فتأمل كيف أفرد وهو يتحدث جل شأنه عن مقام إفراده بالعبادة، لكن تأمل كيف ثنى في قوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧]، فالخطاب هنا للثقلين الجن والإنس كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ١٣]، ثم تأمل في سورة المعارج كيف تحدث الله أولًا عن اختلاف قريش في القرآن، وأنهم أشتات فيما يدعونه، فقال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج : ٣٦-٣٧]، فجاء لفظ المشرق والمغرب هنا مجموعًا ليتفق مع السياق العام للآيات، فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ﴾ [المعارج : ٤٠]، فسبحان الله! مَنْ هذا قوله وتلكم كلماته، أيد به خير نبي وأكرم رسول. [١٩] ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل : ١٩، الإنسان : ٢٩]. إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه، فهذا ما دلت عليه آية المزمل، أما آية الإنسان: إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه، وقد تكررت الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص.

[٢٠] ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ... فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل : ٢٠]. ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، أي: في الصلاة، بأن تصلّوا ما تيسر من الصلاة بما تيسر من القرآن، وهذا يرجع إلى قول بعضهم: إنّ المراد بـ"اقرؤا" صلّوا، وإنْ عبّر عن القراءة بالصلاة، التي هي بعض واجباتها، فهو من إطلاق الجزء على الكل، وقوله بعد: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ تأكيد، حثًا على قيام الليل بما تيسر. [٢٠] ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل : ٢٠]. قال الحسن البصري: قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثَّرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به في محاريبهم، وحنوا به في برانسهم، واستشعروا الخوف، فارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، والله لهؤلاء الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر.

[٢٠] ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ قوله تعالى: ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ قرئ: (ونصفَه وثلثَه) بنصب الفاء والثاء، وضم الهاءين عطفًا على أدنى المنصوب ظرفًا بتقوم. وقرئ: (ونصفِه وثلثِه) بخفض الفاء والثاء، وكسر الهاء عطفًا على ﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ المجرور؛ أي: وأدنى من ثلثي الليل، وأدنى من نصفه، وأدنى من ثلثه. وكلا القراءتين حسن، غير أن النصب أقوى؛ لأن الفرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم قيام ثلث الليل، فإذا نصبت (ثلثه) أخبرت أنه كان يقوم بما فرض عليه وأكثر، وإذا خفضت (ثلثه) أخبرت أنه كان يقوم أقل من الفرض. لكن قوله: ﴿وَنِصْفَهُۥ﴾ بالخفض، يجوز أن يكون معناه =

الصدقة والإحسان، والأمر بالاستغفار من الذنوب والعصيان

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

١٨- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾: يعني: الكافر الذي ذكره، فكر فيما أنزل الله على نبيه ﴿وَقَدَّرَ﴾: ما يقول فيه. ١٩- ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: اي: فلُعن وعُذّب كيف قدر ما هو قائل فيه. ٢٢- ﴿وَبَسَرَ﴾: كلح، وكرَّه وجهه، اي غيَّره وجعله كريهاً. ٢٤- ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يأثره عن غيره، وينقله عنه. ٢٧- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾: اي: أيّ شيء أدراك ما سقر، مبالغة وتهويلاً، هي نار ٢٨- ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ من فيها حياً ولا ميتاً، ولكنها تحرقهم كلما جُدِّد خلقُهم. ٢٩- ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: تلوح لهم وتظهر. وقيل: «البشر» جمع بشرة، والمعنى: مُغيِّرةٌ للبشرات، محرقة للجلود، مسوّدة لها. ٣١- ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: للمشركين والكفار، ليقع منهم التعاطي والطمع في المغالب ما وقع! ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: لأنها في التوراة والإنجيل تسعة عشر، فيوقنوا حين وافقٍ عدد خزنة جهنم ما في كتبهم ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: مَن عندهم شك وريب ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟: أن يُخوفنا بهؤلاء التسعة عشر. ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: تذكرة، يعني النار. وقيل: المراد بها الحال والمخاطبة والإنذار. ٣٢- ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾: كلا: صلة للقسم، التقدير: أي والقمر. ٣٣، ٣٤- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: ولّى ذاهباً ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: إذا اضاء. ٣٥، ٣٧- ﴿إِنَّهَا﴾: يعني جهنم ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: لإحدى الأمور العظام ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾: في طاعة الله ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: في معصيته. ٣٨- ﴿بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مأخوذة بما عملت، ومرتهنة به، إما خلصها وإما أوبَقها. ٣٩، ٤٠- ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: في أنهم غير مرتهنين. ولكنهم ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، عن المشركين الذين سُلِكوا في سقر: اي شيء سلككم في سقر؟ ٤٥- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾: في الباطل كلما غوى غاوٍ غوينا معه. ٤٧- ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾: الموت. وقال ابن عطية: صحة ما كانوا يكذّبون به من الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة. [٣٠] قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ اخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء: أن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

[٣١] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ اخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يومًا: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا، أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ الآية. واخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره. واخرج عن السدي قال: لما نزلت: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال رجل من قريش يدعى أبا الأشدق: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر، أنا ادفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة، وبمنكبي الأيسر التسعة، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ الآية. [٢٠] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]. من فوائد الاستغفار: ١- أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. ٢- أنه أمان من العقوبة والعذاب. ٣- أنه سبب لتفريج الهموم، وجلب الأرزاق، والخروج من المضائق. ٤- أنه سبب لنزول الغيث وتوافر المياه، والقوة في الأرض. ٥- كثرة الاستغفار والتوبة من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. ٦- كثرة الاستغفار في الأمة جماعات وفرادى، سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك عن قلوب موقنة، مخلصة لله مؤمنة. ٧- أنه سبب لنزول الغيث المدرار، وحصول البركة في الأرزاق والثمار، وكثرة النسل والنماء، وكثرة النعم في الفيافي والقفار. ٨- إغاظة الشيطان ٩- المستغفرون يمتعهم ربهم متاعًا حسنًا، ويرزقهم رزقًا رغيدًا، وعيشًا هنيئًا، فيهنؤون بعيشة طيبة، وينعمون بحياة سعيدة، ويسبغ عليهم سبحانه مزيدًا من فضله وإنعامه. ١٠- المستغفرون أقل الناس وأخفهم أوزارًا. ١١- الاستجابة لنُصوص الكتاب والسنَّة. ١٢- المتاع الحسَن في الدُّنيا، وإيتاء كلِّ ذي فضْلٍ فضله في الآخرة. ١٣- إجابة الدعاء. ١٤- المستغفرون ممَّن شملَتْهم رحمة الله ووده. ١٥- به تُجلَب النِّعَم وتُدفَع النِّقَم. ١٦- دفع العقوبة عن صاحبه ومنْع نُزول المصائب. ١٧- ومن فوائده أنَّه سببٌ في هلاك الشيطان. ١٨- بسببه تحلُّ المشاكل الصعبة والعَويصة. ١٩- أنّه سببٌ لانشراح الصدر. ٢٠- المستغفر يتعبَّد لربِّه عزَّ وجلَّ ويقرُّ له بصفة الغفَّار. ٢١- ومن أهمِّ فوائد الاستغفار وثمراته أنَّه دَواء الذنوب... وغير ذلك من الفوائد والثمرات. [١٨، ١٩، ٢٠] ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩]، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ٢٠]. ما فائدة تكرير ﴿قَدَّرَ﴾؟ الجواب: الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما فكر فيما يرد به على النبي ﷺ فيما جاء به من القرآن، فالأول تقديره: ما يريد بقوله، والثاني أنه قدر أن قوله شعر ترده العرب؛ لأنه ليس على طريقة الشعر، قال الله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، والثالث: قدر أن قوله: هو كهانة من كلام الكهان ترده العرب لمخالفته كلام الكهان، فهو قوله تعالى ثالثًا: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. = الثلث وأكثر منه، فيكون قد قام بما فرض عليه فى القراءة بالخفض أيضا، فالقراءة بالنصب أقوى لهذا المعنى لأن فيها بيانًا أنه صلى الله عليه وسلم قام بما فرض عليه وأكثر منه. وقرئ (ثُلْثي - ثُلُثي) بإسكان اللام في (ثلثى)، وتحريكها بالضم على الأصل، والإسكان للتخفيف. [٥] ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ قرئ: (والرُّجز) بضم الراء لغه الحجاز. وقرئ: (والرِّجز) بكسرها لغة تميم، وقيل: الضم: اسم صنم، والكسر: اسم للعذاب، فالمعنى عليه: أنه أمر أن يهجر ما يحل العذاب من أجله، والتقدير: وذا الرجز فاهجر: وهو الصنم، وحسن إضافة الصنم للعذاب؛ لأن عبادته تؤدى إلى العذاب. وقيل: هما صنمان كانا عند البيت "إساف ونائلة" (فإساف) صنم وضعه عمر بن لحي على "الصفا"، و(نائلة) على "المروة"، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة. وقيل: هما "إساف بن عمر، ونائلة بنت سهل" فَجرَا في الكعبه فمسخا حجرين، فعبدتهما قريش، انظر القاموس المحيط في هذا المعنى. [٣٣] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرئ: (إِذْ أدبر) بإسكان الذال من "إذ"، و"أدبر" بهمزة مفتوحة ودال ساكنة، ومعناه تولى. وقرئ: (إذَا دَبَر) بفتح الذال والدال، وحذف الهمزة، ومعناه جاء خلف النهار. وقد قيل إن "أدبر" و"دبر" لغتان بمعنى واحد. نزول سورة المدثر: نزلت بعد سورة المزمل، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة المدثر: مائتان وخمس وخمسون. عدد حروف سورة المدثر: ألف وعشرة. أسماء سورة المدثر: سمّيت المدَّثر؛ لمفتتحها. مواضيع سورة المدثر: مقصود السّورة: أمر النبي ﷺ بدعوة الخَلْق إِلى الإِيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكفَّار وأهل العصيان، وتهديد وليد بن مُغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النِّيران، وأَنَّ كلّ أحد رَهْن بالإِساءَة والإِحسان، وملامة الكفَّار على إعراضهم عن الإِيمان، وذكر وَعْد الكريم على التقوى بالرَّحمة والغفران. نزول سورة القيامة: نزلت بعد سورة القارعة، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة القيامة: مائة وتسع وتسعون. عدد حروف سورة القيامة: ثلاثمائة واثنان وخمسون. أسماء سورة القيامة: =

فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٤٨- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾: يقول: فما يشفع لهم الذين يُشَفِّعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد. ٤٩، ٥١- ﴿مُعۡرِضِينَ﴾: مُولِّين لا يستمعون لها ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾: كأنهم في إعراضهم عن التذكرة بالقرآن حمرٌ وحشية نافرة ﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾: قيل: هم الرُّماة. وقيل: الأسد. ٥٢- ﴿أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾: أن يؤتى كتاباً من السماء ينزل عليه. ٥٣- ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾: أي: إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يُصدِّقون بالآخرة، ولا يخافونها. ٥٤- ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾: أي: القرآن يُتذكر به ويُتعظ بمواعظه. ٥٦- ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أن يذكروه، لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا أن يشاء الله ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: أهل أن يتقي عبادُه عقابَه على معصيتهم إياه ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: وهو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك.

سُورَةُ القِيَامَةِ

١- ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أي: أقسم بيوم القيامة. ٢- ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات. ٣- ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: بعد أن صارت رُفاتاً فنُعيدها خلقاً جديداً. ٤- ﴿أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: معنى: لجمع عظامه، أي: قادرون على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول إلى أن نُسوي بنانه -أي أصابعه- وآخر ما يتم به خلقه. ٥- ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: أن يمضي أمامه قُدُماً في معاصي الله، ويُسوِّف التوبة. ٧- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾: فزع وشخص وتحيَّر من هول يوم القيامة. ٨- ﴿وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ﴾: ذهب ضوءه. ١١- ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾: ليس هناك فرار ينفع صاحبه. ولا شيء يلجأ إليه من معقل ولا جبل. ١٤- ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾: يقول عز وجل: الإنسان بصير بعيوب نفسه. ١٥- ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: «المعاذير» هنا هي الأعذار جمع «معذرة» والمعنى: ولو اعتذر عن قبيح أفعاله وجادل عن نفسه. ١٦- ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾: قيل: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ شيء من القرآن عجل به يريد حفظه، من حُبِّه إياه، ﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾: قيل: لا تعجل به فإنا سنحفظه عليك. ١٧- ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ﴾: في صدرك ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾: يقول: وقراءته حتى تقرأه بعدما جمعناه في صدرك. ١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ﴾: تلوناه عليك؛ أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل، ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾: قراءته.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ أخرج ابن المنذر عن السدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقًا فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾. [١٦] قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ الآية.

[٥٤] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر: ٥٤]، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس: ١١]. تقدير الآية في سورة المدثر: إنَّ القرآن تذكرة، وفي عبس: إنَّ آيات القرآن تذكرة، وقيل: حمل التذكرة على التذكير؛ لأنها بمعناه. [٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر: ٥٥، عبس: ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي المدثر وعبس، والآية تبين أن من أراد الاتعاظ فعليه بهذا القرآن، فإن فيه الخير كله. [٥٠] ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ قوله تعالى: ﴿مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ قرئ: (مستنفَرة) بفتح الفاء اسم مفعول أي: ينفرها القناص الأسد أو الرامي. قرئ: (مستنفِرة) بكسر الفاء، أي نفرت من قسورة. [٥٦] ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿يَذۡكُرُونَ﴾ قرئ: قرئ: (تذكرون) بالتاء على الخطاب، أي: وما تذكرون وما تتعظون به فتنتفعون بذلك إلا بمشيئة الله ذلك، أي: قل لهم يا محمد: ما تذكرون. وقرئ: (يذكرون) بالياء على الغيبة لمناسبة ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وقوله: ﴿يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾. [١] ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ قرئ: (لأقسم) بهمزة بعد اللام من غير ألف على أنها "لام" قسم دخلت على (أقسم) وجعل (أقسم) حالًا، وإذا كان حالًا لم تلزمه النون المشددة، إنما تدخل لتأكيد القسم. وقرئ: (لا أقسم) بإثبات الألف بعد اللام على أن "لا" زائدة صلة كزيادتها في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾؟ وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ والمعنى: أقسم بيوم القيامة ولا أقسم، "فلا" الثانية للنفي غير زائدة، والأولى: زائدة صلة، وفي زيادة "لا" في أول الكلام نظر، لكن يجوز على تأويل "أن القرآن كله كالسورة الواحدة" ألا ترى أن هذا الشيء يذكر في سورة أخرى؟ مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ في "الحجر"؟ والجواب: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ في "القلم"، وقيل: إن "لا" نفي لكلام متقدم في سورة أخرى، وأقسم كلام ابتدئ به غير منفي. [٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾ قوله تعالى: ﴿بَرِقَ﴾ قرئ: (برَق) بفتح الراء. وقرئ: (برِق) بكسرها، وهما لغتان في التحير والدهشة، وقيل: برَق بفتح: لمع وشخص عند الموت أو عند البعث، وبرِق: بالكسر حَارَ وفَزِعَ البصر عندئذ.

[٥٣] ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من الدنيا والآخرة (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا في القرآن الكريم (١١٥) مرة، ووردت كلمة (الدنيا) وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. ووردت كلمة (الآخرة) أيضًا وحدها في (٥٠) موضعًا في القرآن. بينما وردت كلمة الدنيا والآخرة مجتمعة في (٦٥) موضعًا في القرآن الكريم. [٤] ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]. البصمات: البصمات وشخصية الإنسان، بعد أن أنكر كفار قريش البعث يوم القيامة، وأنه كيف لله أن يجمع عظام الميت، رد عليهم رب العزة بأنه ليس قادرًا على جمع عظامه فقط، بل حتى على خلق وتسوية بنانه، هذا الجزء الدقيق الذي يعرّف عن صاحبه والذي يميز كل إنسان عن الآخر مهما حصل له من الحوادث. وهذا ما دلت عليه الكشوف والتجارب العلمية منذ أواخر القرن التاسع عشر. [٣٧-٣٩] ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩]. ماء الرجل وتحديد نوع الجنين: يقول علماء الأجنة: إن الحيوانات المنوية في الرجل نوعان: حيوانات منوية مذكرة وحيوانات منوية مؤنثة، فإذا اتحد الحيوان المنوي المذكر بالبويضة، فإن الجنين يكون ذكرًا، وإذا اتحد الحيوان المنوي المؤنث بالبويضة، فإن الجنين يكون أنثى، وعلى ذلك فإن بويضة المرأة لا دخل لها في تحديد جنس الجنين، بل الذي يحدد جنس الجنين هو الحيوان المنوي للرجل، فسبحان الله القائل: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، أي: جعل من المني.

* سمِّيت سورة القيامة؛ لمفتتحها. مواضيع سورة القيامة: مقصود السُّورة: بيان هَوْل القيامة، وهيبتها، وبيان إثبات البعث، وتأثير القيامة في أعيان العالم، وبيان جزاء الأعمال، وآداب سماع الوَحْي، والوعد باللِّقاءِ والرُّؤية، والخبر عن حال السَّكرة، والرّجوع إلى بيان برهان القيامة، وتقرير القُدْرة على بعث الأموات.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٢- ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: ناعمة، والنُّضرة: النعمة وجمال البشرة. ٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: يرى المؤمنون ربهم من غير تكييف ولا تشبيه. ٢٤- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾: متغيرة الألوان، مسودة كالحة ٢٥- ﴿تَظُنُّ﴾: تعلم، أو تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: ستدخل النار. والفاقرة: الداهية التي تقصم فقار الظهر. ٢٦- ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾: إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها. ٢٧- ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾: بمعنى وقال أهله: من ذا يرقيه فيشفيه، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يُغنوا عنه شيئاً. ٢٨- ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: وأيقن أن الذي قد نزل به هو فراق الدنيا والأهل والولد. ٢٩- ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: أي تتابعت عليه الشدائد. والعرب لا تذكر الساق إلا في الشدائد والمحن. وقيل: التفّت ساقه بساقه عند نزول الموت به. ٣٣- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ﴾: مضى ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: منصرفاً إليهم ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾: أي: يتبختر في مشيته. ٣٤، ٣٥- ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: وعيدٌ من الله تعالى على وعيد، وهذا تهديد شديد. ٣٦- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافر بالله ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملاً لا يَتعبَّد بعبادة، ولا يُؤمر، ولا يُنهى. ٣٨- ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: فجعله إنساناً بعدما كان نطفة، وعلقةً، أي دماً، فسواه بشراً سوياً. ٤٠- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟: كان رسول الله ﷺ إذا قرأها يقول: «سبحانك بلى». أخرجه البيهقي في الشعب، ولم يصرح براويه.

سُورَةُ الإِنسَانِ

١- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: قيل معناه: قد أتى على الإنسان ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: «الحين» المدّة التي بقي فيها آدم طيناً قبل أن تنفخ فيه الروح، اي انه لم يكن مذكوراً مُنوّهاً به في الكون، أو الخلق. ٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: ذرية آدم ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: من ماء الرجل وماء المرأة، ﴿أَمْشَاجٍ﴾ يعني: أخلاطاً، لأنها ممتزجة من أنواع وطباع مختلفة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نختبره. ٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: بيّنا له طريق الحق، وعرّفناه سبيله ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾: للنعم ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: كفوراً لها، وقيل: إما سالكاً طريق الحق، وإما متنكباً له. ٥- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: الذين برُّوا بطاعتهم ربهم ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مزاج ما فيها من الشراب، أي: الذي يُمزج به ويُخلط ﴿كَافُورًا﴾: كالكافور في طيب رائحتها.

[٣٤، ٣٥] قوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فيقول له: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾. وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ فقال: بل قاله من قبل نفسه، ثم أنزله الله.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥]، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان : ١٧]. أشار بالأولى إلى برودتها وطيبها، والثانية إلى طعمها ولذتها؛ لأن العرب كانت تستطيب الشراب البارد، وتستلذ طعم الزنجبيل، وذكرت ذلك في أشعارها، فظاهر القرآن أنهما اسما عينين في الجنة، فقيل: الكافور للإبراد، والزنجبيل يمزجون بها أشربتهم، ويشربها المقربون صرفًا.

[٢٢] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٥]. يقول ابن القيم في الكلام عن أهل الجنة بعد دخولها: ينادي منادٍ يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم، فحيى على زيارته، فيقولون سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا، وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا، أمر الرب سبحانه وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء- على كثبان المسك، ما يرون أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى، يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الرب جل جلاله الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه يقول: يا فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه. فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة. ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة. ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.

[٣٤، ٣٥] ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٤]، ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ [القيامة : ٣٥]. ما معنى الآيتين، وما فائدة التكرار؟ الجواب: هو دعاء على المخاطب بالويل، وهو مشتق من "وَلَى" إذا قَرُب، ومعناه: أقرب لك الويل، وأما تكراره فإما تأكيد له، أو أن الأول للدنيا، والثاني للآخرة، أي: ويل له فيهما، والله أعلم.

[٣] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان : ٣]. لماذا لم يقل "شكورًا" في مطابقة "كفورًا"؟ الجواب: أنه جاء باللفظ الأعم؛ لأن كل شكور شاكر، وليس كل شاكر شكورًا، أو قصد المبالغة في جانب الكفر ذمًا له؛ لأن كل كافر كفور بالنسبة إلى نِعم الله عليه. ما الفرق بين: "الشاكر" و"الشكور"؟ الجواب: "الشاكر" هو الذي يشكر في العطاء في لحظة الرخاء .أما "الشكور" فهو الذي يشكر في البلاء، وعند المنع يحمد الله، وهذه أعلى منزلة . و"شاكر" على وزن فاعل أي يأتي بالشكر، بينما "شكور" على وزن فعول، أي: استمراره على الشكر فشكره لله على الدوام، وعلى كل الاحوال ..والله أعلم.

[٢٠] ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾، ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ قوله تعالى: ﴿ تُحِبُّونَ ﴾ و﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ قرئ: (تحبون-وتذرون) بالخطاب التفاتًا على معنى: قل لهم يا محمد: بل تحبون. وقرئ: (يحبون-ويذرون) بالغيب مراعاة للضمير الراجع للإنسان المذكور قبل في قوله: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ وجمع هنا، لأن المراد بالأول الجنس. [٢٧] ﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ قوله تعالى: ﴿ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ قرئ: بالسكت على نون "من" وعدمه، وتقدم توجيهه في باب السكت. [٣٧] ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ قوله تعالى: ﴿ يُمْنَىٰ ﴾ قرئ: (يمنى) بالياء من تحت على جعل الضمير عائدًا على المني، أي: يصب، فالجملة محلها جر صفة "لمنيّ". وقرئ: (تمنى) بالتاء من فوق على أن الضمير للنطفة.

نزول سورة الإنسان: نزلت بعد سورة الرحمن، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الإنسان: مائتان وأربعون. عدد حروف سورة الإنسان: ألف وخمسون.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

٦- ﴿عَيْنًا﴾: من عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: أي منها ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يفجرون تلك العيون، ويجرونها إلى حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، ويصرِّفونها حيث أرادوا. ٧- ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: متصلاً شائعاً. ٨- ﴿وَأَسِيرًا﴾: قيل: هو المسجون من أهل القبلة، وقيل: لم يكن لهم يومئذ أسير إلا من أهل الشرك. ٩- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: الآية: كانوا يقولون إذا أطعموه: إنما نُطعمكم طَلَبَ رضا الله. وقيل: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغَبَ في ذلك راغب. ١٠- ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾: تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: صعباً شديداً. ١١- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: فدفع الله عنهم ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾: في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾: في القلوب. ١٣- ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾: فيؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: وهو البرد الشديد. ١٤- ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾: قريب منهم ظلال شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: سُهِّل لهم اجتناء ثمرها، كيف شاؤوا قعوداً وقياماً ومتكئين. ١٥، ١٦- ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾: صفاء القوارير في بياض الفضة ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي قدَّرها السقاة من الخدم. لا تنقص من ري أهل الجنة ولا تفيض. ١٧- ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مزاج شراب الكأس ﴿زَنجَبِيلًا﴾: تُمزج لهم بالزنجبيل. ١٨- ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾: يعني في الجنة ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: صفة للعين. ١٩- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾: وُصفَاء، يخدمونهم ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: لا يموتون. وقيل، باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾: ظنتهم من حسنهم وبياض وجوههم وكثرتهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾. ٢٠- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾: نظرت ببصرك. يعني في الجنة. ٢١- ﴿عَـٰلِيَهُمْ﴾: فوقهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: السندس: ما رقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: وهو ما غَلُظ من الديباج ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: طاهراً ليس كخمر الدنيا. وقيل: لا يصير بولاً نجساً، ولكنه يصير رشحاً في أبدانهم كرشح المسك. ٢٤- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي لقضائه ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾: من المشركين. ٢٥- ﴿بُكْرَةً﴾: في صلاة الصبح. ﴿وَأَصِيلًا﴾: عشياً في صلاة الظهر، وصلاة العصر.

[٨] قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله (وأسيرًا) قال: لم يكن النبي ﷺ يأسر أهل الإسلام، ولكنها نزلت في أساري أهل الشرك، وكانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم، فكان النبي ﷺ يأمر بالصلاح إليهم. [٢٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد، وقد أثر في جنبه، فبكى عمر، فقال ﷺ: «ما يبكيك؟» قال عمر: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه، وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم على حصير من جريد! فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾. [٢٤] قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أخرج عبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة: أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

[٢١] ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾. خالف في آية الإنسان، فذكر الأساور ﴿مِن فِضَّةٍ﴾، أي: مرة يحلون أساور من ذهب، ومرة أخرى من فضة، أو يحلونهما جميعًا بأن تجعل متزاوجة؛ لأن ذلك أبهج منظرًا. وقيل إنه لما كانت أمزجة الناس مختلفة في الدنيا، فمنهم من يؤثرون التزين بالذهب، ومنهم من يؤثرون الفضة، فعاملهم في الجنة بمقتضى ميلهم في الدنيا. [٢٤] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. فاصبر أيها الرسول لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم...، فهذا ما دلت عليه آية القلم، أما آية الإنسان: فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات، أو مبالغًا في الكفر والضلال. [٢٥] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٨]، ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان:٢٥]. واذكر أيها النبي اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه، فهذا ما دلت عليه آية المزمل، أما آية الإنسان: وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

[٨-٩] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية، ولهذا كانت عائشة رضي الله عنها إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسول: اسمع ما دعوا به لنا، حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا، ويبقى أجرنا على الله. قال ابن رجب: محبة المساكين والإحسان إليهم توجب إخلاص العمل لله عز وجل؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا. [١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]. عن مجاهد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال: إذا قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلَّت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلَّت حتى ينالها، فذلك تذليلها. [١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسان: ١٥]، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]، ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

[٤] ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَلَـٰسِلَا۟﴾ قرئ: (سلاسلًا) بالتنوين للتناسب؛ لأن ما بعده منون منصوب، وقال الكسائي وغيره من الكوفيين: إن بعض العرب يصرفون جميع ما لا ينصرف إلا أفعل التفضيل، وعن الأخفش: يصرفون مطلقًا وهم بنو أسد؛ لأن الأصل في الأسماء الصرف، والوقف في هذه القراءة بالألف بدل التنوين. وقرئ: (سلاسلَ) بالمنع من الصرف على الأصل بلا تنوين؛ لكونه جمع تكسير بعد ألفه حرفان: كمساجد. [١٥-١٦] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟﴾ قرئ: (قواريرًا) بتنوينهما معًا لأنهما كسلاسل جمعًا وتوجيهًا، غير أن (سلاسل) على مفاعل، و(قوارير) على مفاعيل، ووقفوا عليهما بالألف للتناسب مع (سلاسل). وقرئ: (قواريرًا) بالتنوين في الأول بدونه في الثاني، وقرئ: (قواريرَ) بغير تنوين فيهما، ووقفوا على الأول بالألف لكونه رأس آية من غير خلاف، وعلى الثاني بدونها بخلاف. وقرئ: (قوارير) بغير تنوين فيهما أيضًا ووقفًا بغير ألف فيهما، ووجه من وقف بالألف: إثباتًا للرسم فهي في المصحف بالألف، ووجه من ينون: أنه أتى بها على الأصل في صيغة منتهى الجموع.

أسماء سورة الإنسان: لها ثلاثة أسماء: سورة هل أتى؛ لمفتتحها، وسورة الإنسان؛ لذكره بها. وسورة الدّهر؛ لذكر الدهر بها. مواضيع سورة الإنسان: معظم مقصود السورة: بيان مُدّة خِلقة آدم، وهداية الخَلْق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار، في دار القرار، وذكر المِنّة على الرّسول ﷺ وأمره بالصّبر، وقيام اللّيل،

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٢٧- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعني: المشركين ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ﴾: يتركون خلف ظهورهم ﴿يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾: يوم القيامة، وسمي ثقيلاً لما فيه من الشدائد والأهوال. ٢٨- ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾: شددنا خلقهم، والأسر: شدة الخَلْق ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾: أهلكناهم، وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم في الخلق، مخالفين لهم في العمل. ٢٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ﴾: الإشارة إلى السورة بأسرها. وقيل: إلى الشريعة بجملتها.

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

١- ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾: قيل: والرياح المرسلات، أقسم الله بها ﴿عُرۡفٗا﴾: يتبع بعضها بعضاً، كأنه قال: والمرسلات إرسالاً. وقيل: الملائكة التي تُرسل بالعُرف. ٢- ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ﴾: فالرياح العاصفات، وهي الشديدات الهبوب، السريعات المرّ. ٣- ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: قيل: عنى بها الريح، بمعنى: تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض. أو تنشر رحمة الله وغيثه. وقيل: والملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال. ٤- ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ﴾: فالفاصلات بين الحق والباطل. وقيل: عنى به الملائكة. ٥- ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: هي الملائكة التي تلقي وحيَ الله إلى رسله. ورجح بعض المفسرين أن الآيات الثلاث الأوَل للرياح. والرابعة والخامسة للملائكة. ٦- ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾: إعذاراً من الله إلى خلقه. وإنذاراً منه لهم. ٨- ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: ذهب ضياؤها ومُحيَ نورها. ٩- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: شُقّت، وصُدّعت. ١١- ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾: أجلت للاجتماع لوقتها ليوم القيامة. ١٢- ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾: لأي يوم أجلت الرسل، ما أهوله وأعظمه؟ ١٦- ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: من الأمم الماضية الذين كذبوا رسل الله وجحدوا آياته ١٧- ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: بعدهم ممن سلك سبيلهم في الكفر.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩]. إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه، فهذا ما دلت عليه آية المزمل، أما آية الإنسان: إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه، وقد تكررت الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص. [٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه. فهذا ما دلت عليه آية الإنسان، أما آية التكوير: وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين. [١٥] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [تكررت بالمرسلات ١٠ مرات]. التكرار في مكان الترغيب والترهيب مستحسن، لا سيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا. [١٨] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤]، ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨]. ما في سورة الصافات حِيل بين الضمير وبين "كذلك" بقوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الصافات: ٣٣] فأعاد، وفي سورة المرسلات متَّصل بالأول، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٨] فلم يحتج إلى إعادة الضَّمير.

= [الإنسان: ١٩]. قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم﴾ و﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ﴾ لِمَ لم يُسم فاعله ثم قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصيغة الفاعل؟ الجواب: أن القصد بالأول وصف الآنية والمشروب، والمقصود بالثاني وصف الطائف. [٢٧] ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقَّه، شدد عليه ذلك الموقف الآخر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾.

[٢١] ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ قرئ: (عاليْهِم) بسكون الياء وكسر الهاء بمعنى الجمع؛ لأن الخبر جمعٌ، ويجوز أن يكون "ثياب سندس" خبرًا مقدمًا، و(عاليهم) مبتدأ، أو ثياب سندس خبر رفع بفعله وهو العلو، وسد مسد الخبر خبر مقدم، و(ثياب) مبتدأ مؤخر. وقرئ: (عاليَهُم) بفتح الياء وضم الهاء على أنه حال من الضمير المجرور في (عاليهم)، أو من الولدان، أو على الظرفية خبرًا مقدمًا لثياب، كأنه قيل: فوقهم ثياب سندس. قوله: ﴿خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ قرئ: (خضرٌ وإستبرقٌ) بالرفع فيهما فرفع (خضر) على النعت لثياب واستبرق، نسقًا على ثياب سندسٍ على حذف مضاف، أي: وثياب إستبرق. وقرئ: (خضرٍ وإستبرقٌ) بخفض الأول ورفع الثاني فـ﴿خُضۡرٞ﴾ نعت لسندس، وفيه وصف المفرد بالجمع، وأجازه الأخفش، وأجيب عنه بأنه اسم جنس، وقيل: جمع، واسم الجنس يوصف بالجمع، قال تعالى: ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾. [٣٠] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ قرئ: (تشاؤون) بالخطاب التفاتًا عن الغيبة في خلقناهم. وقرئ: (يشاؤون) بالغيب لمناسبة قوله تعالى: ﴿خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾. [٦] ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ قوله تعالى: ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ قرئ: (عذُرًا أو نذُرًا) بالضم على الأصل. وقرئ: (عذْرًا أو نذْرًا) بالإسكان للتخفيف. [١١] ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ قوله تعالى: ﴿أُقِّتَتۡ﴾ قرئ: (وُقِّتت) بواو مضمومة مع تشديد القاف على الأصل؛ لأنه من الوقت والهمز بدل من الواو. وقرئ: (وُقِتت) بالواو وتخفيف القاف على معنى جعل لها يوم القيامة وقتًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ﴾ وقرئ: (أُقِّتت) بالهمز والتشديد، وكلها لغات. [٨] ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات: ٨]. الفرق بين النجم والكوكب: قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢]. يتضح من هذه الآيات الاختلاف في وصف حال النجوم والكواكب عندما تقوم الساعة يوم القيامة، فإنهما – ولا شك – مختلفان، إذ إن النجوم يذهب ضياؤها وتتشقق، فتتفرق أجزاؤها ثم تجتمع على نفسها على جهة الاستدارة، وهذه صفات الكتل الغازية النارية المضيئة، لأنها عندما تبرد يخبو ضوؤها وتتجزأ، ثم تتكاثف بالاجتماع بعضها على بعض، وتكوِّن دقائق سائلة، على حين أن الكواكب لا توصف بذهاب الضياء، بل بمجرد الانتشار، أي التشقق والتفرق اللذين هما من صفات الأجسام الجامدة المظلمة.

= والمِنَّة على الخَلْق بإحكام خَلْقهم، وإضافة كليَّة المشيئة إلى الله. نزول سورة المرسلات: نزلت بعد سورة الهمزة، وهي مكيَّة. عدد كلمات سورة المرسلات: مائة وإحدى وثمانون. عدد حروف سورة المرسلات: ثمانمائة وستَّة عشر. أسماء سورة المرسلات: سمِّيت سورة المرسلات؛ لمفتتحها. مواضيع سورة المرسلات: معظم =

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

٢١- ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: في رحم استقر فيه فتمكن. ٢٣- ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: أي: نعم المقدِّرون نحن، من التقدير والحكمة. ٢٥- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: وعاءً؟ ومعنى الكلام: ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائكم وأمواتكم، تكفِت أحياءكم في المنازل والمساكن فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور فيدفنون فيها. ٢٧- ﴿رَوَاسِيَ﴾، جبالاً ثابتات فيها ﴿شَامِخَاتٍ﴾: باذخات شاهقات ﴿مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذباً. ٢٨- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بآيات الله ورسله، وبهذه النعم. ٢٩- ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: في الدنيا من عذاب النار. ٣٠- ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾: من دخان جهنم ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان، فإذا تصاعد تفرّق شعباً ثلاثة. ٣١- ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: يُظلُّهم من حرها ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: لا يُكِنُّهم ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾: من لهب النار. ٣٢- ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾: كالقصر، أو البناء العظيم. والشَّرر: ما تطاير من النار متفرقاً. ٣٣- ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾: قيل: كالجمال الصفر، وإنما قيل لها صفر وهي سود، لأن ألوان الإبل السود تضرب إلى الصفرة. قرأ حمزة والكسائي وحفص «جمالة» جمع جمَل. وقرأ الباقون: «جمالات». ٣٩- ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلة تحتالون بها في الخلاص، فاحتالوا. ٤٦- ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾: بقية أعماركم. وعيد الله لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: مسنون بكم سُنَّة المجرمين قبلكم من الأمم. ٤٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾: قيل: كانوا إذا قيل لهم صلُّوا لم يصلُّوا. ٥٠- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد هذا القرآن. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدِّقون.

[٤٨] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ قال نزلت في ثقيف.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات : ٢٥]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ : ٦]. ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها وعاء تضم الأحياء والأموات، فهذا ما دلت عليه آية المرسلات، أما آية النبأ: ألم نجعل الأرض ممهدة لكم كالفراش؟. [٣٨] ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات : ٢١]، ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات : ٣٨]. فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرونه، فهذا ما دلت عليه آية الصافات، أما آية المرسلات: هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية. [٤١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ [المرسلات : ٤١] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾. الآيات تصف حال أهل الجنة وما أعده الله لهم من النعيم. [٤٣] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور : ١٩، المرسلات : ٤٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الطور والمرسلات، وهي تبين نعيم المؤمنين في الجنة حين يقال لهم: كلوا طعامًا هنيئًا، واشربوا شرابًا سائغًا؛ جزاء بما عملتم من أعمال صالحة في الدنيا.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات : ٢٦]. ﴿أَحْيَاءً﴾ في الدور، ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور، رحمةً في حقهم، وسترًا لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها. [٤] ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ : ٤]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ : ٥]. كرره تأكيدًا، أو الأول توعد للكفار، بما يرونه عند النزع، والثاني توعد لهم، بما يصيرون إليه، من عذاب الآخرة، أو الأول توعد بأهوال القيامة، والثاني توعد بما بعدها، من النار وحرّها، أو الأول ردع عن الاختلاف، والثاني عن الكفر، و"ثُم" للإشعار بأنّ الوعيد الثاني أشد. [٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]. لما كان المقام مقام وعيد وتهديد للمختلفين في النبأ قدم ذكر جهنم، التي هي اسم من أسماء دار العذاب الأخروي، والمرصاد: مكان الرصد والترقب، وفي هذا إشارة إلى ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الصراط الذي وضع على متن جهنم، فيمر الناس عليه، فتختطف النار بكلاليبها وخطاطيفها أهلها الذين حكم الله عليهم بدخولها، وقد أشار السلف في تفسير هذه الآية إلى المرور على النار؛ كالحسن، وقتادة، وسفيان الثوري.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرئ: (فقدَّرنا) بتشديد الدال. وقرئ: (فقدَرنا) بالتخفيف من القدرة، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد. [٢٩] ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا﴾ قرئ: (انطلَقوا) بفتح اللام من انطلق فعلًا ماضيًا على الخبر، كأنهم لما أمروا بالأول امتثلوا، إذ الأمر هناك ممتثل قطعًا. وقرئ: (انطلِقوا) بكسرها أمرًا متكررًا بيانًا للمنطلق إليه. [٣٣] ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قوله تعالى: ﴿جِمَالَتٌ﴾ قرئ: (جِمالة) بكسر الجيم بلا ألف بوزن رسالة. وقرئ: (جُمالات) بضم الجيم وبألف بعد اللام، وهي: الحبال الغليظة من حبال السفينة. وقرئ: (جِمالات) بكسر الجيم مع الألف على الجمع وهي: الإبل، إما جمعًا لجمالة كالقراءة الأولى، أو لجمال فيكون جمع الجمع كرجالات في جمع رجال.

[٢٥ - ٢٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظ (الحياة) ومشتقاته، ولفظ (الموت) ومشتقاته (١٤٥) مرة في القرآن. إذًا يتساوى عدد مرات تكرار لفظة «الحياة» بمشتقاتها مع عدد مرات تكرار لفظة «الموت» بمشتقاتها، وكل منهما (١٤٥) مرة في القرآن الكريم.
[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات : ٢٧]. الرواسي الشامخات: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها جمعت بين الجبال العالية ذوات القمم المرتفعة جدًا، والتي أطلق عليها القرآن لفظ "شامخات"، وبين نزول الماء العذب من السماء (الفرات)، حيث تتجمع فوق قمم هذه الجبال ثلوج دائمة، ثم تنحدر منها مساقط الماء العذب، وهذا ما كشف عنه العلم الحديث.

مقصود السُّورة: القَسَم بوقوع القيامة، والخبرُ عن إهلاك القرون الماضية، والمِنَّة على الخلائق بإيجادهم في الابتداء، وإدخال الأجانب في النَّار، وشدة عقوبة الحق إيّاهم، وأنواع كرامة المؤمنين في الجنَّة، والشكاية من الكفَّار لإعراضهم عن القرآن.

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سُورَةُ النَّبَإِ

١- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يقول عز وجل: عن أي شيء يسأل هؤلاء المشركون من قريش بعضهم بعضاً؟ ٢- ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: قيل: عنى به القرآن، وقيل: البعث بعد الموت. وسياق الآيات يدل على أن المراد هو البعث. ٦، ٧- ﴿مِهَادًا﴾: يمتهدونها ويفترشونها، والمهاد: الفراش والوطاء. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أن تميد بكم. ٩- ﴿سُبَاتًا﴾: راحةً ودعة تهدؤون به، لأن أصل السبت: القطع. ١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: تُغطّيكم ظلمته، كما يُغطّي الثوب لابسه. ١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: يعني: السماوات السبع، خلقها الله تعالى قوية الخلق محكمة البناء. ١٣، ١٤- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾: يعني: الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾: وقّاداً مضيئاً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: من السحاب الذي يُتحلّب بالمطر، وينعصر به ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: منصباً يتبع بعضه بعضاً. ١٥- ١٧- ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾: الحَبُّ: كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يُحصد ﴿وَجَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفّة مجتمعة. ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: يوم يفصل الله بين خلقه وهو يوم القيامة الذي كانوا يتساءلون عنه. والآيات السابقة أدلّة عليه وبراهين. ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾: أي وقتاً وميعاداً للخلائق. ١٨- ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: زُمراً زُمراً، وجماعةً جماعة. ٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: ذات رَصد لأهلها. المكذبين بها في الدنيا، ترقبهم، وتتطلع لمن يأتي إليها منهم. ٢٢- ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾: المتكبرين على الله المتجاوزين حدوده ﴿مَآبًا﴾: مرجعاً ومنزلاً. ٢٣- ٢٥- ﴿لَّابِثِينَ﴾: ماكثين ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾: قيل: هو ما لا انقطاع له كلما مضى حُقْب جاء حُقب بعدَه، والأحقاب: الدهور ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾: لا يطعمون ﴿فِيهَا بَرْدًا﴾: يُبرِّد حر السعير عنهم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يرويهم، وقيل: البرد: النوم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾: قد أغلي حتى انتهى حَرُّه ﴿وَغَسَّاقًا﴾: الغسّاق: السائل من صديد أهل جهنم. ٢٩- ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾: أثبتناه وكتبناه. وعرفنا مبلغه وعدده. ﴿كِتَابًا﴾: مكتوباً في اللوح المحفوظ.

[١، ٢] قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾. أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: لما بُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فنزلت: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦]. ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها وعاء تضم الأحياء والأموات، فهذا ما دلت عليه آية المرسلات، أما آية النبأ: ألم نجعل الأرض ممهدة لكم كالفراش؟ [١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]. إن يوم القضاء بين الخلق بما قدّموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين، فهذا ما دلت عليه آية الدخان، أما آية النبأ: إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين. [٢٦، ٣٦] ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]. الأول للكفار، والثاني للمؤمنين، فناسب ذكر ﴿وِفَاقًا﴾، أي: جزاء موافقًا لأعمالهم، والثاني للمؤمنين، فناسب ذكر ﴿حِسَابًا﴾، أي: كافيًا وافيًا لأعمالهم، من قولك: حسبي، أي: كفاني. [٣٩] ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] الوحيدة في القرآن، وباقي المواضع ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، أي يوم القيامة، فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح، فهذا ما دلت عليه آية النبأ، أما باقي المواضع: إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ﴾، "الزمر: ٧١، ٧٣، النبأ: ١٩" قرئ: (فتِحت) بتخفيف التاء من فتح الثلاثي يفتح. وقرئ: (فتّحت) بالتشديد على التكثير من فتّح المضعف. [٢٣] ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قوله تعالى: ﴿لَّابِثِينَ﴾ قرئ: (لَبِثين) بلا ألف محملة على الصفة المشبهة وهي تدل على الثبوت، فاللبث الذي صار طبيعة وسجية كحذر وفرح. وقرئ: (لابثين) بالألف اسم فاعل من لبث أقام، من باب شرب ولقم، فهو أمر مقدر وقوعه، فاسم الفاعل فاعل. [٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ "ص: ٥٧، النبأ: ٢٥" قرئ: (وغسّاق) بتشديد السين فيهما صفة كالضراب مبالغة؛ لأن فعالًا في الصفات أغلب منه في الأسماء، فموصوفه محذوف، أي: "شراب غساق" والغساق: هو ما يجتمع من صديد أهل النار. وقرئ: (وغسَاق) بالتخفيف فيهما اسم للصديد لا صفة له؛ لأن فعالًا مخففًا في الأسماء، كالعذاب أغلب منه في الصفات وهو الزمهرير، أو صديد أهل النار، أو القيح يسيل منهم فيسقونه.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ إعجاز عددي: ١- وردت كلمة (محمد) ﷺ (٤) مرات في القرآن الكريم، ٢- وردت كلمة (روح القدس) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٣- وردت كلمة (السراج) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٤- وردت كلمة (الملكوت) (٤) مرات في القرآن الكريم، ٥- وردت (الشريعة بمشتقاتها) (٤) مرات في القرآن الكريم. ومما سبق يتبين لنا أن كلمة «محمد»، و«روح القدس»، و«السراج»، و«الملكوت»، و«الشريعة» تكررت كلٌّ منها (٤) مرات في القرآن الكريم. [٧] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]. وظيفة الجبال: بما أن قشرة الأرض وما عليها من جبال وهضاب وصحاري تقوم فوق الأعماق السائلة والرخوة المتحركة المعروفة باسم "طبقة السيما"، فإن القشرة الأرضية وما عليها ستميد وتتحرك باستمرار، وسينجم عن حركتها تشققات وزلازل هائلة تدمر كل شيء.. ولكن شيئًا من هذا لم يحدث.. فما السبب؟ لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض وفي "طبقة السيما"، وثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض، لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض كما في الآية السابقة. وجه الإعجاز في الآيات القرآنية الكريمة هو دلالة اللفظ "أوتادًا" على وظيفة الجبال، فهي تحفظ الأرض من الاضطراب والميلان وتؤمن لها الاستقرار، وهذا ما كشف عنه الجيولوجيون في النصف الثاني من القرن العشرين.

نزول سورة النبأ: نزلت بعد سورة المعارج، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة النبأ: مائة وثلاث وسبعون. عدد حروف سورة النبأ: ثمانمائة وستّة عشر. أسماء سورة النبأ: لها اسمان: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، والنبأ؛ لذكره بها. مواضيع سورة النبأ: معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخَلْق الأرض والسماءِ، وبيان نفع الغَيْث، وكيفيّة النَّشر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمنّي الكافر المحالَ بقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَنجًى من النار إلى الجنة وظفراً. ٣٢- ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾: الأعناب: جمع عنب، أي كروم أعناب. ٣٣- ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: نواهد، جمع كاعب، وهي التي نهد ثديها ﴿أَتْرَابًا﴾: مستويات على سن واحدة. ٣٤، ٣٥- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: ملأى مُتتابعة على شاربيها ﴿لَغْوًا﴾: باطلاً ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾: ولا مكاذبة. ٣٦- ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً﴾: أعطاه الله هؤلاء المتقين عطاءً تفضلاً. ﴿حِسَابًا﴾: كثيراً، يقال: أحسبتُ فلاناً: إذا أكثرتُ له العطاء. ٣٨- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: قيل: الروح في هذا الموضع: جبريل. ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: هيبة وإجلالاً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ منهم. وقيل: من مَلك أو نبي ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: يشفع لأهل الشفاعة. ٣٩، ٤٠- ﴿مَـَٔابًا﴾: مرجعاً ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾: حذرناكم ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: يتمنى أن يكون تراباً؛ لما يشاهده مما قد أعده الله له من العذاب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

١- ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾: أقسم الله بالنازعات وما بعدها. وقيل: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم. وقيل: تنزع أرواح الكفار، و«غرقاً»: إغراقاً في النزع أي نزعاً شديداً. ٢- ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾: قيل: الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها. والنشط: الجذب بسرعة. ٣- ٥- ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾: قيل: هي النجوم تسبح في فلكها. وقيل: الملائكة تسبح في السماء بأمره تعالى. ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾: قيل: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقيل: النجوم. ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾: الملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله. ٦- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الصيحة العظيمة التي فيها تردد، وهي النفخة الأولى. ٧- ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: الثانية التي ردفتها، لبعث القيامة. ٨- ١٠- ﴿وَاجِفَةٌ﴾: خائفة من الهول ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾: أي: أراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا؟ من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء. ١١، ١٢- ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾: أي: بالية، متفتتة ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ﴾: رجعة. ﴿خَاسِرَةٌ﴾: غابنة، لأنه سيصيبهم ما وُعدوا به من العذاب المقيم. ١٣- ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة ونفخة تنفخ في الصور. ١٤- ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: يعني: بظهر الأرض، والعرب تسمّي الفلاة. وظهر الأرض: ساهرة. [١٢] قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن، فنزلت: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. [٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]. قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله. من ثمرات وفوائد التقوى: ١- البشرى بما يسر في الدنيا والآخرة. ٢- البشرى بالعون والنصرة. ٣- التوفيق للعلم. ٤- الهداية للصواب والتمييز بين الحق والباطل. ٥- البشرى بتكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقين. ٦- البشرى بالمغفرة. ٧- اليسر والسهولة في كل أمر. ٨- الخروج من الغم والمحنة. ٩- الرزق الواسع دون عناء أو مشقة. ١٠- النجاة من العذاب والعقوبة. ١١- التزكية بالكرامة. ١٢- البشارة بالمحبة. ١٣- حصول الفلاح. ١٤- نيل الجزاء وعدم إضاعة العمل. ١٥- القبول وعدم الرد. ١٦- الفوز بالجنة. ١٧- الأمن والمنزلة الرفيعة. ١٨- عز الفوقية على الخلق. ١٩- تنوع الجزاء وتعدد اللذات. ٢٠- القرب من الله تعالى يوم القيامة مع التمتع باللقاء والرؤية. ٢١- سلامة الصدر. ٢٢- إصلاح العمل مع المغفرة. ٢٣- البصيرة وسرعة الانتباه. ٢٤- عظم الأجر. ٢٥- الفوز في الدنيا والآخرة. ٢٦- التفكر والتدبر. ٢٧- النجاة من النار. ٢٨- الفوز بالخيرية. ٢٩- حسن العاقبة. ٣٠- الفوز بولاية الله تعالى. [٣٥] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ قرئ: (كِذَابًا) بتخفيف الذال مصدر كاذب، كقاتل قتالًا أو مصدر كذب ككتب كتابًا. وقرئ: (كِذَّابًا) بتشديدها مصدر كذّب تكذيبًا وكذابًا، وسيبويه يقول: إن لفظ التاء عوض عن زوال لفظ التضعيف من المصدر. [٣٧] ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قوله تعالى ﴿رَّبِّ - ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرئ: (ربِّ – الرحمنِ) بكسر الباء والنون، على أنهما بدل من «ربك» من قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾. وقرئ: (ربِّ – الرحمنُ) بكسر الباء في (ربِّ) على أنه بدل من «ربك». وضم النون في (الرحمنُ) على أنه مبتدأ، والجملة التي بعده خبر لمبتدأ محذوف، أي الرحمن: وقرئ: (ربُّ – الرحمنُ) بضم الباء والنون، على أنهما خبر لمبتدأ محذوف، أي هو رب، وهو الرحمن. [١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ قوله تعالى: ﴿نَّخِرَةً﴾ قرئ: (ناخرة) بألف بعد النون على وزن فاعلة. وقرئ: (نخرة) على فعلة وهما لغتان، بمعنى: بالية كأن الريح تنخر فيها، أي: يسمع لها صوت، ويجوز أن نخرة بمعنى: إنها صارت خلقًا تنخر الريح فيها أبدًا، وناخرة على معنى أنها صارت الريح تنخر فيها بعد أن لم تكن، وقيل: ناخرة بالية، ونخرة: متآكلة. [٣٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ إعجاز عددي: تكرر لفظ «الملائكة» و«الشياطين» (٦٨) مرة، كما تكرر مشتقات كل منهما (٢٠) مرة. أولًا: تكرر لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة في القرآن الكريم. وتكرر لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة في القرآن. وبذلك يتساوى عدد مرات ورود كل من لفظ الملائكة ولفظ الشيطان. ثانيًا: ذُكرت مشتقات كلمة «الشيطان» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد ورود لفظ «الشيطان» (٦٨) مرة أصبح (٨٨) مرة. وذكرت مشتقات كلمة «الملائكة» (٢٠) مرة. إذا أضيف إلى عدد مرات ورود لفظ «الملائكة» (٦٨) مرة، أصبح (٨٨) مرة. إذًا مشتقات كلمة (الملائكة) تساوي عدد مشتقات كلمة (الشيطان) (٢٠) مرة، وعدد الكلمات بالمشتقات متساوٍ أيضًا (٨٨) مرة. [٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ إعجاز عددي: ١- ذكرت (الأصنام) في القرآن (٥) مرات. ٢- ذكرت (الخمر) في القرآن (٥) مرات، ٣- ذُكرت كلمة (الخنزير بمشتقاتها) في القرآن (٥) مرات، ٤- ذكرت (البغضاء) في القرآن (٥) مرات، ٥- ذكر (الحصب) في القرآن (٥) مرات، ٦- ذكر (التنكيل) في القرآن (٥) مرات، =

نزول سورة النازعات: نزلت بعد سورة النبأ، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة النازعات: مائة وتسع وسبعون. عدد حروف سورة النازعات: سبْعمائة وثلاثة وخمسون. أسماء سورة النازعات: سمّيت بسورة النازعات؛ لمفتتحها. مواضيع سورة النازعات: معظم مقصود السّورة: القَسَم على نفخة الصُّور، وكيفيّة البَعْث والنُّشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمِنَّة بخَلْق السّماءِ والأرض، وتحقيق هَوْل القيامة، وبيان حال مَنْ آثر الدّنيا، والخبر عن حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجّبهم منها في حال البعث.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

١٦- ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: المطَهَّر المبارك ﴿طُوًى﴾: قيل هو اسم الوادي المقدس. ١٨- ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾: تُسلم وتتطهر من دنس الكفر. و«التزكي» في القرآن: الإسلام. ٢٠- ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾: الدلالة على أنه رسول الله ﷺ، وذلك يده بيضاء من غير سوء، وعصاه ثعباناً. ٢٣- ٢٥- ﴿فَحَشَرَ﴾: فجمع قومه وأتباعه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾: فعاقبه الله ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾: عقوبة الآخرة والأولى، والمراد بنكال الآخرة: عذاب النار، ونكال الأولى: عذاب الدنيا بالغرق. وقيل: الآخرة: قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾: والأولى: قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾. ٢٨- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: سمك كل شيء: قامته وارتفاعه. والسماء مرفوعة في تناسق وتماسك، وهذه هي التسوية ﴿فَسَوَّاهَا﴾: بالارتفاع أو بإتقان الخلق. ٢٩- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلم ليلها. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أبرز وأظهر ضياءها. وعبّر عن النهار بالضحى، لأنه أشرف أوقاته وأطيبها. ٣٠- ﴿دَحَاهَا﴾: بسطها، ودحو الأرض: تمهيدها وبسط قشرتها. ٣٢، ٣٣- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾: أثبتها لئلا تميد بأهلها ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾: منفعة لكم. ٣٤، ٣٦- ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾: الداهية العظمى، التي تُطمُّ على كل هائلة من الأمور وتغمرها. وقيل: هو اسم من أسماء يوم القيامة. ﴿مَا سَعَىٰ﴾: ما عمل في الدنيا ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أظهرت. ٣٧، ٣٨- ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: عتا على ربه، وعصاه ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: قدمها على الآخرة. ٤٠- ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾: وقوفه بين يديه يوم القيامة. ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾: خالف ما تهواه نفسه من معصية الله. ٤٢- ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؟ متى قيامها وظهورها؟ ٤٣، ٤٤- ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾: يقول: في أي شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. والمعنى: لست في شيء من علمها وذكرها، إنما يعلمها الله سبحانه. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾: أي: منتهى علمها، لا يعلم ذلك غيره. ٤٦- ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾: في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾: أي إلا قدر آخر نهار أو أوله من أيام الدنيا.

[٤٢] قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ أخرج الحاكم، وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ فانتهى. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج الطبراني، وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن عروة. [١٧] ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه : ٢٤، النازعات : ١٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي طه والنازعات، ومعناها: اذهب يا موسى إلى فرعون؛ إنه قد تجاوز قدره وتمرَّد على ربه، فادعه إلى توحيد الله وعبادته. [٣٣] ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات : ٣٣، عبس : ٣٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النازعات وعبس، والآية تبين أن الله عز وجل خلق كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. [٣٤] ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٤]، ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ [عبس : ٣٣]. لما ذكر في سورة النازعات أهوال يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ... ﴾ [النازعات : ٦-٧]، ثم خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها الطامة الكبرى التي تَطمُّ على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة. وأما آية عبس فتقدمها: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس : ١٧] إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس : ٢١]، فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾، ومعناه الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان. [١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ قرئ: (طوىً) بالتنوين، ووجه من نوَّن جعله اسمًا للوادي فصرفه. وقرئ: (طوى) بترك التنوين ووجه من لم ينون: أنه جعله اسمًا للبقعة أو للأرض، فيكون قد سمي مؤنثًا بمذكر فلا ينصرف؛ لانتقاله من الخفة إلى الثقل والتعريف، وقيل: ممنوع من الصرف للعلمية والعدل، فهو معدول عن طاوٍ كعمر عن عامر. [١٨] ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قرئ: (تزّكى) بتشديد الزاي، والأصل: تزكى، فأدغموا التاء في الزاي بعد قلبها زايًا. وقرئ: (تزكى) بتخفيفها على حذف التاء الأولى. [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ قوله تعالى: ﴿مُنذِرُ﴾ قرئ: (منذرٌ) بالتنوين و"من" مفعوله، قال الزمخشري: وهو الأصل والإضافة تخفيفًا. وقرئ: (منذرُ) بإضافة الصفة لمعمولها تخفيفًا. = ٧- ذكر (الحسد) في كتاب الله (٥) مرات، ٨- ذكر (الرعب) في كتاب الله (٥) مرات، ٩- ذكرت مشتقات كلمة (الخيبة) في كتاب الله (٥) مرات. وبذلك يتساوى عدد ذكر كل من (الأصنام) و(الخمر) و(الخنزير) و(البغضاء) و(الحصب) و(التنكيل) و(الحسد) و(الرعب) و(الخيبة) بمشتقاتها، وقد ورد كُلٌّ (٥) مرات في كتاب الله تعالى. [٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات : ٣١]. ماء الأرض: لقد اكتشف العلماء أن كل ماء الأرض على كثرته قد انبثق أصلًا من داخل الأرض، علمًا بأن درجة الحرارة في داخل الأرض تزداد بالتدرج مع العمق حتى تصل إلى حوالي ستة آلاف درجة مئوية في مركز الأرض، وهي نفس درجة حرارة سطح الشمس، ويتكثف بخار الماء المندفع من فوهات البراكين في درجات حرارة عالية، ويعود إلى الأرض ماءً طهورًا. [٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ إعجاز عددي: وردت لفظة (الجحيم بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، ووردت لفظة (العقاب بمشتقاتها) (٢٦) مرة في القرآن الكريم، إذًا تساوى عدد مرات ورود لفظ (الجحيم بمشتقاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (العقاب بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٢٦) مرة في القرآن الكريم. [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ إعجاز عددي: تكرر كلٌّ من الرسل والأنبياء والبشير والنذير ومشتقاتها في القرآن ٥١٨ مرة، وتكررت أسماؤهم في القرآن ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل والأنبياء والمنذرين نجد أنهم تكرروا بالأعداد الآتية: موسى: ١٣٦، هارون: ٢٠، شعيب: ١١، داود: ١٦، إبراهيم: ٦٩، إسحاق: ١٧، يونس: ٤، هود: ٧، نوح: ٤٣، إسماعيل: ١٢، ذو الكفل: ٢، إلياس: ٢، يوسف: ٢٧، زكريا: ٧، يعقوب: ١٦، صالح (ناقة الله): ١٦، لوط: ٢٧، أيوب: ٤، محمد وأحمد: ٥، عيسى: ٢٥، إدريس: ٢، يحيى: ٥، إل ياسين: ١، آدم: ٢٥، سليمان: ١٧، اليسع: ٢، وهذه مجموعها: ٥١٨ مرة. وباستعراض عدد مرات ذكر كلمة الرسل بمشتقاتها، والنبي بمشتقاتها، والبشير بمشتقاتها، والنذير بمشتقاتها، نجدها بالأعداد الآتية: ذكرت لفظة الرسل (بمشتقاتها) ٣٦٨ مرة، ولفظة النبي (بمشتقاتها) ٧٥ مرة، ولفظة البشير (بمشتقاتها) ١٨ مرة، ولفظة نذير (بمشتقاتها) ٥٧ مرة، ومجموع ذلك ٥١٨ مرة. إذًا: تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين (مع مشتقات هذه الكلمات) بعدد مرات ذكر أسمائهم تمامًا. =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ٤٢

سورة عبس

١- ﴿عَبَسَ﴾: قبض وجهه تكرُّهاً ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: اعرض. ٢- ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾: لأن جاءه الأعمى. وقيل: نزلت في عبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وكان أتى النبي ﷺ فاقتحم على النبي مجلسه، وجعل يقول: «أرشدني»، وعند النبي ﷺ جل من عظماء المشركين، فجعل النبي يُعرض عنه، ويُقبل على الآخرين، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أُنزلت «عبس وتولى» ٣- ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: لعل الأعمى يتطهر من ذنوبه. ٥- ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾: بماله، أو عن الإيمان ٦- ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تُصغي لكلامه ٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أي شيء عليك الا يُسلم، ويتطهر من كفره. ١٠- ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: تُعرض، وتتشاغل عنه بغيره ١١- ﴿كَلَّآ﴾: يقول: ما الأمر كما تفعل يا محمد، وقيل: «كلا» بمعنى: حقاً. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة. ١٢- ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: فمن شاء من عباد الله ذكر تنزيله ووحيه. ١٣، ١٤- ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: يعني في اللوح المحفوظ. ١٥- ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: كتبة. وقيل: هم الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين رسله بالوحي. ١٧- ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لُعن الإنسان الكافر ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: بمعنى التعجب، أي: ما أشد كفره! ١٨- ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: من أي شيء خلق هذا الإنسان الكافر حين يتكبر عن طاعة ربه؟ ١٩- ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: أطواراً، وأحوالاً: نطفة تارة، ثم علقة، ثم مضغة. ٢٠- ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: أي يسر له الطريق إلى الخير والشر. ٢٣- ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: الله، يقول: لم يؤد ما فرض الله عليه من الفرائض. ٢٨- ﴿وَعِنَبًا﴾: كروماً ﴿وَقَضْبًا﴾: القَضْب: هو القَتُّ الرطب الذي يقطع مرّة بعد مرّة، تُعلف به الدواب. ٣٠- ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بساتين عظاماً يُستظل بها. ٣١- ﴿وَأَبًّا﴾: ما تأكله البهائم من العشب والنبات. ٣٣- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: اسم من أسماء القيامة، و«الصاخة» عند العرب: الداهية. ٣٧- ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: أمر يُشغله عن شأن غيره. ٣٨- ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: مضيئة، وهي وجوه المؤمنين ٣٩- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: من السرور. ٤٠- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: وجوه الكفار ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: غبار وكُدورة. ٤١- ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشى تلك الوجوه ﴿قَتَرَةٌ﴾: سوادٌ وكسوف.

[١، ٢] قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ أخرج الترمذي، والحاكم عن عائشة قالت: أنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا، فنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾. وأخرج أبو يعلي مثله عن أنس. [١٧] قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم.

[١١] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر : ٥٤]، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس : ١١]. تقدير الآية في سورة المدثر: إنَّ القرآن تذكرة، وفي عبس: إنَّ آيات القرآن تذكرة، وقيل: حمل التذكرة على التذكير؛ لأنَّها بمعناه. [١٢] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر : ٥٥، عبس : ١٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي المدثر وعبس، والآية تبين أن من أراد الاتعاظ فعليه بهذا القرآن، فإن فيه الخير كله. [٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس : ٢٤]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق : ٥]. فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ فهذا ما دلت عليه آية عبس، أما آية الطارق: فلينظر الإنسانُ المنكِر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ [٣٢] ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات : ٣٣، عبس : ٣٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي النازعات وعبس، والآية تبين أن الله عز وجل خلق كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. [٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات : ٣٤]، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس : ٣٣]. لما ذكر في سورة النازعات أهوال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ...﴾ [النازعات : ٦-٧]، ثم خبر فرعون وأخذه نكال الآخرة والأولى، ناسب تعظيم أمر الساعة وجعلها الطامة الكبرى التي تَطمُّ على ما قبلها من الشدائد والأهوال المذكورة. وأما آية عبس فتقدمها: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس : ١٧] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس : ٢١]، فناسب ذلك ذكر الصيحة الناشرة للموتى من القبور وهي: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾، ومعناها: الصيحة الشديدة التي توقظ النيام لشدة وقعها في الآذان. [٣٦] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج : ١٢]، ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس : ٣٦]. الآيتان تبينان حال الإنسان وما يتعرض إليه من أهوال يوم القيامة.

[٣١-٣٢] ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة : ٢٧]، ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس : ٣١-٣٢]. لماذا قدم ذكر الأنعام على الناس في آية السجدة والعكس في آية عبس؟ الجواب: لما تقدم ذكر الزرع في آية السجدة ناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنها في طعام الإنسان، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس : ٢٤-٣٢]، ألا ترى كيف ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولًا، ثم ذكر طعام الأنعام بعده وهو الأبّ، أي: التبن، فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا، كما ناسب تقديم الأنعام على الناس ثَمّ، فسبحان الله رب العالمين.

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ قرئ: (فتنفعَه) بنصب العين بأن مضمرة بعد الفاء على جواب الترجي مثل "فاطلع" بـ "غافر" لكنه مذهب كوفي، وقيل: في جواب التمني المفهوم من (أو يذكر)، قاله ابن عطية وأقره عليه السمين. وقرئ: (فتنفعُه) بالرفع عطفًا على يذكر ويزكّى، والتقدير: فلعله تنفعه الذكرى. [٦] ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ قرئ: (تصَّدى) بتشديد الصاد، أدغموا التاء الثانية في الصاد تخفيفًا. وقرئ: (تصَدى) بالتخفيف، فحذفوا التاء الأولى. [٢٥] ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ قرئ: (أَنا) بفتح الهمزة في الحالين على تقدير "لام العلة" أي: لأنا، وقيل: بدل اشتمال من طعامه، بمعنى: أنَّ صَبَّ الماء سبب في إخراج الطعام فهو مشتمل عليه. وقرئ: (أَنا) بفتحها في الوصل فقط. وقرئ: (إِنا) بكسرها مطلقًا على الاستئناف، جعلوا الجملة تفسيرًا للنظر، أي: إلى حدوث الطعام كيف يكون؟.

= إذ ورد كلٌّ ٥١٨ مرة في القرآن الكريم.

نزول سورة عبس: نزلت بعد سورة النجم، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة عبس: مائتان وثلاث وثلاثون. عدد حروف سورة عبس: خمسمائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة عبس: وسمّيت عبس؛ لمفتتحها. مواضيع سورة عبس: معظم مقصود السّورة: بيان حال الأعمى، وذكر شرفِ القرآن، والشّكاية من أبي جهل، وإنكاره البعث والقيامة، وإقامة البرهان من حال النبات على البعْث، وإحياءِ الموتى، وشُغُل الخلق في العَرَصات، وتفاوُت حال أهلِ الدّرجات والدّركات.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

١- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قيل: ذهب ضوؤها، وانطفأت شعلتها. ٢- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾: تناثرت من السماء، وتساقطت. ٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾: جمع: عُشَراء، وهي الحوامل من الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها، فتَنَافُس أهلها فيها أكثر ﴿عُطِّلَتْ﴾: أُهملت فتركت من شدة الهول النازل بهم، فكيف بغيرها؟! ٦- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: قيل: اشتعلت فصارت ناراً. وقيل: مُلئت حتى فاضت وسالت. ٧- ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: بالقرناء والأمثال والأشكال في الخير والشر، وقيل: قُرنت بأجسادها. ٨، ٩- ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ﴾: المدفونة حية من بنات أهل الجاهلية ﴿سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾؟: لا بذنب، وفي توجيه السؤال إليها توبيخ شديد لقاتلها، حتى كان لا يستحق أن يخاطب، وتشنيع لهذه الفعلة النكراء. ١٠- ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾: صحف أعمال العباد ﴿نُشِرَتْ﴾: لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها، عند الموت. ١١- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: نُزعت وطويت. ١٢- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾: أوقدت عليها فأحميت. ١٣- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبت وأدنيت. ١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾: عند ذلك من خير فتصير به إلى الجنة، أو شرٍّ فتصير به إلى النار. ١٥- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾: قيل: هي النجوم تخنس في مجراها فترجع، وتكنُس فتستتر في بيوتها، كما تكنُس الظباء في المغار. ١٧- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أقسم الله بالليل إذا أدبر، وقيل: أقبل بظلامه لأن معنى: عَسْعَس الليل: إذا كان غير مستحكم الإظلام. ١٨- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: إذا تبيَّن، وأقبل ضوء النهار. ١٩- ﴿إِنَّهُ﴾: يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: لتنزيل رسول كريم، يعني: جبريل عليه السلام، نزَّله على محمد ﷺ من عند الله عز وجل. ٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: على ما كُلِّف من أمر، غير عاجز عنه ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾: عند رب العرش العظيم ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة. ٢١- ﴿مُّطَاعٍ﴾: يعني: جبريل عليه السلام: تطيعه الملائكة ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾: عند الله على وحيه. ٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: يقول عز وجل: ولقد رأى محمد جبريل عليه السلام في صورته التي هي صورته الحقيقية أو الملائكية، وقد سد الأفق، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: من ناحية مطلع الشمس التي تبين الأشياء فتُرى من قِبَلها. ٢٤- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: ببخيل، و«الغيب»: القرآن، يقول عز وجل: بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه. ٢٥- ﴿وَمَا هُوَ﴾: يعني: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾: ملعون مطرود، ولكنه كلام الله عز وجل. ٢٦- ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟: يقول عز وجل: فأين تعدلون عن هذا القرآن؟ وأي طريق تسلكون أبين من طريقته وهديه؟

[٢٩] قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية، عن عمرو بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة مثله. وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان عن القاسم بن مخيمرة مثله.

[٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير : ٦]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار : ٣]. جاء في سورة التكوير ﴿سُجِّرَتْ﴾ لتناسب، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير : ١٢]. قيل: تُسجَّرُ فتصير نارًا فتسجَّر بها جهنم، وآية انفطرت مناسبة لبقية الآيات؛ لأن معناها تغيُّر أوصاف تلك الأشياء عن حالاتها وتنقلها عن أماكنها، فناسب ذلك انفجار البحار لتغيُّرها عن حالها مع بقائها. [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير : ١٤]، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:٥]. ما في سورة التكوير متَّصل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير : ١٠]، فقرأها أربابها، فعلموا ما أحضرت، وفي الانفطار متَّصل بقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[الانفطار : ٤]، والقبور كانت في الدنيا، فيتذكرون ما قدموا في الدّنيا، وما أخَّروا في العُقْبى، وكلّ خاتمة لائقة بمكانها، وسورة التكوير من أوّلها إلى آخرها شرط وجزاء، وقسم وجواب. [١٩] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٤٠، التكوير : ١٩]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي المعارج والتكوير، وآية المعارج تبين أن هذا القرآن كَلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، والآية تتحدث عن النبي ﷺ، أما آية التكوير: إن القرآن لَتبليغ رسول كريم، هو جبريل عليه السلام. [٢٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص : ٨٧، التكوير : ٢٧]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي ص والتكوير، والآية تبين أن هذا القرآن ما أُنزل إلا تذكيرًا للعالمين من الجن والإنس، =

[٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ قرئ: (سجِرت) بالتخفيف على معنى إرادة وقوعه للقليل والكثير، ويقويه إجماعهم على تخفيف البحر المسجور ولم يقل المسَجَّر. وقرئ: (سجِّرت) بالتشديد على إرادة التكثير. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿قُتِلَتْ﴾ قرئ: (قتِّلت) بتشديد التاء على التكثير. وقرئ: (قتِلت) بتخفيفها على الأصل. [١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿نُشِرَتْ﴾ قرئ: (نشِرت) بتخفيف الشين. وقرئ: (نشِّرت) بتشديدها على المبالغة كسابقتها. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ قوله تعالى: ﴿سُعِّرَتْ﴾ قرئ: (سعِّرت) بتشديد العين. وقرئ: (سعِرت) بتخفيفها وهي في المعنى كسابقتها. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِضَنِينٍ﴾ قرئ: (بظنين) بالظاء المشالة، قيل: بمعنى مفعول من ظننت فلانًا: اتهمته، ويتعدى لواحد، أي: وما محمد على الغيب - وهو ما يوحي الله إليه - بمتهم، أي: لا يزيد فيه ولا ينقص ولا يحرف. وقرئ: (بضنين) بالضاد، بمعنى: ببخيل بما يأتيه من قبل ربه، اسم فاعل من ضنَّ، أي: بخل.

[١٥-١٦] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير : ١٥-١٦]. الخنس: وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسم به، وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماما مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ "الجوار"، وأما لفظ "خنس" فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها: التواري والاحتجاب والاختفاء، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار، وهي بالفعل نجوم عملاقة، هوت في نهاية أعمارها، وانكمشت مادتها واستترت، ولا يظهر منها أي ضوء، والسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلعه، فتزداد كتلة وقوة؛ وهنا يتجلى وصفها بلفظ "الكنس" أو المكانس العظام، والمعروفة بتلك الأوصاف الحديثة، لذا فإن ورودها في القرآن الكريم بألفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به -لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق.

نزول سورة التكوير: نزلت بعد سورة المسد، وهي مكيَّة. عدد كلمات سورة التكوير: مائة وأربعون. عدد حروف سورة التكوير: خمسمائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة التكوير: تسمّى سورة كُوِّرت، وسورة التكوير؛ لمفتتحها. مواضيع سورة التكوير: مقصود السّورة: بيان أحوال القيامة، وأهوالها، وذكر القَسَم بأنَّ جبريل أمين على الوحي، مكينٌ عند ربّه، وأنَّ محمّدًا ﷺ لامتَّهم =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سُورَةُ الانْفِطَارِ

١، ٤ - ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾: انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾: منها فتساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: بعد أن اشتعلت ناراً. ولهذا قيل: المعنى: ذهب ماؤها ويبست أو احترقت. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: أثيرت وقُلب ترابها، وهذا من أشراط الساعة، فاستُخرج ما فيها من الموتى أحياءً. ٥- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾: من عمل صالح ﴿وَأَخَّرَتْ﴾: ضيّعت، وفرّطت فيه. ٦، ٧- ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾: ما خدعك حتى كفرت به؟ ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾: سوّاكَ سميعاً بصيراً عاقلاً، وجعلك قائماً معتدلاً حَسن الصورة. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد: «فعدّلك». ٨- ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ﴾: من اختلاف الصورة ﴿رَكَّبَكَ﴾: أيها الإنسان، بعد أن ميّزك بالخلق السويّ المعتدل القامة، كما دلّت الآية السابقة. والتعبير بـ«التركيب» يشير إلى مدى الإحكام في الخلق الإلهي الذي طبع أو خصّ كل واحد من أفراد النوع الإنساني بملامح خاصة، وصورة مفردة منذ آدم. ١٠، ١١- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾: رقباء من الملائكة يحفظون أعمالكم. ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: كرامًا عنده، يكتبون ما يأمرهم به. ١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يعني: هؤلاء الفجار: الجحيم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم يُجازى العباد بالأعمال. ١٦- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾: يعني: الفجار عن الجحيم ﴿بِغَائِبِينَ﴾: بخارجين أبداً فيغيبون عنها. ولكنهم مخلّدون فيها. ١٧، ١٨- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: يقول عز وجل: ما أشعرك أي شيء يوم الحساب معظماً لشأنه. ثم كرره زيادة في التعظيم والتهويل.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

١- ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الذين يُطفّفون، يعني: الذين يُنقصون الناس، ويبخسونهم في مكاييلهم وموازينهم، والمراد بالويل: شدة العذاب، أو الشر الشديد. ٢، ٣- ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: أي منهم، يكتالون لأنفسهم، كيلاً وافياً ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: كالوا للناس ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾: أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصونهم. ٦- ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين. [٦] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الآية، قال: أنزلت في أبي بن خلف. [١] قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أخرج النسائي، وابن ماجة بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا أبخس الناس كيلًا، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. = يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم.

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه، فهذا ما دلت عليه آية الإنسان، أما آية التكوير: وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين. [٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]. جاء في سورة التكوير ﴿سُجِّرَتْ﴾ لتناسب، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]. قيل: تُسجَّرُ فتصير نارًا فتسجَّر بها جهنم، وآية انفطرت مناسبة لبقية الآيات؛ لأن معناها تغيُّر أوصاف تلك الأشياء عن حالاتها وتنقلها عن أماكنها، فناسب ذلك انفجار البحار لتغيُّرها عن حالها مع بقائها. [٥] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]. ما في سورة التكوير متَّصل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فقرأها أربابها، فعلموا ما أحضرت، وفي الانفطار متَّصل بقوله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، والقبور كانت في الدنيا، فيتذكرون ما قدموا في الدّنيا، وما أخّروا في العُقْبى، وكلّ خاتمة لائقة بمكانها، وسورة التكوير من أوّلها إلى آخرها شرط وجزاء، وقسم وجواب. [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغترُّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة، فهذا ما دلت عليه آية الانفطار، أما آية الانشقاق: يا أيها الإنسان إنك ساع إلى الله، وعامل أعمالًا من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. [١٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الانفطار والمطففين، والآية تبين أن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

[٦-٧] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١ - ٣]. ما الفرق بين: "كريم، أكرم"؟ **الجواب:** وردت كل من الكلمتين (الكريم، والأكرم) مرة واحدة في القرآن الكريم. ووردت كل منهما وصفًا لكلمة (ربك). جاء الوصف بكلمة (الكريم) حينما كان السياق بالحديث عن نعمة واحدة (وهي نعمة خلق الإنسان) ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٧]. بينما جاء الوصف بكلمة (الأكرم) حينما كان الحديث عن نعمتين: ١- نعمة خلق الإنسان ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]. ٢- ونعمة تعليم الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٧].

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرئ: (فعدَلك) بتخفيف الدال، أي: عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقة في تناسب فلا تفاوت في خلقك، وقيل: معنى عدلك أي: شبه أبيك أو خالك أو عمك، أي: صرفك إلى شبه من شاء من قرابتك. وقرئ: (فعدّلك) بتشديدها مبالغة، أي: سوّى خلقك في أحسن صورة وأكمل تقويم فجعلك قائمًا ولم يجعلك كالبهائم متطأطئًا. [٩] ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ قوله تعالى: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ قرئ: (يكذبون) بالياء من تحت التفاتًا. وقرئ: (تكذبون) بالتاء من فوق خطابًا للكفار. [١٩] ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ﴾ قرئ: (يومُ) برفع الميم خبرًا لمبتدأ مضمر، أي: هو يومك. وقرئ: (يومَ) بالنصب على الظرف حركة إعراب عند البصريين، ويجوز عند الكوفيين أن تكون حركة بناء، وعلى هذا التقدير يكون في موضع رفع خبرًا لمحذوف، أي: الجزاء يوم لا تملك، أو موضع نصب على الظرف، أي: يدنون يوم لا تملك، أو مفعول به، أي: اذكر يوم. ويجوز على رأي من بنى: أن يكون في موضع رفع خبرًا لمحذوف أي: هو يوم. = ولا بخيل بقول الحقّ، وبيان حقيقة المشيئة والإرادة.

نزول سورة الانفطار: نزلت بعد سورة النازعات، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الانفطار:** مائة. **عدد حروف سورة الانفطار:** ثلاثمائة وتسعة عشر. **أسماء سورة الانفطار:** تسمّى سورة انفطرت وسورة الانفطار؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الانفطار:** معظم مقصود السّورة: الخبر عن حال السّماء ونجومها في آخر الزّمان، وبيان غَفْلَة الإنسان، وذكر الملائكة الموكّلين بما يصدر من اللسان والأركان، وبيان إيجاد الحقّ تعالى الحكم يوم يُحشر الإنس والجان.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٥٨٨

٧- ﴿كَلَّآ﴾: يقول: ليس الأمر كما يظن هؤلاء الكفار أنهم غير مبعوثين. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾: الذي كُتب فيه أعمالهم في الدنيا ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾: و«سجين» هو ما فسره سبحانه بقوله: ٨، ٩- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: أي: هو كتاب مرقوم، و«المرقوم»: المكتوب. قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشر الصادرة من الشياطين، والكفرة والفسقة، ولفظ «سجين» عَلَم له. ١٢- ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ فاجر متجاوز في الإثم. ١٤- ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: غمرت الخطايا قلوبهم، وأحاطت بها الذنوب. ١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾: لواردوها، وملازموها. ١٨- ﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: جمع: بَرّ، وهم الذين بَرُّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾: ثم سأل عنه، على جهة التفخيم والتعظيم، وفسَّره، فقال تعالى: ١٩، ٢٠- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: مكتوب بأمان الله إياهم يوم القيامة من النار، والفوز بالجنة. ٢١- ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: يشهد ذلك الكتاب الملائكةُ المقربون. ٢٤- ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: حُسنُه، و تلألؤه، وبريقه. ٢٥، ٢٦- ﴿رَّحِيقٖ﴾: من خمر صرف، لا غش فيه ﴿مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾: عاقبته مسك في طيب الريح، أي: أن ريحها في آخر شُربهم تُختم لهم بريح المسك. وقيل: مختومٌ أوانيه بمسك مكان الطين، في إشارة إلى كمال نفاسته وطيب رائحته. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾: في هذا النعيم: ﴿فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فليرغب الراغبون. وأصل التنافس: أن ينفس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه. ٢٧- ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: يقول: ومزاج هذا الرحيق، أي مزجه ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾: قيل: هو عين يُمزج بها الرحيق. ٢٩، ٣٠- ﴿كَانُواْ﴾: في الدنيا ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: استهزاء بهم. ٣١- ﴿فَكِهِينَ﴾: مرحين معجبين ناعمين. ٣٣- ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾: يقول: وما بعث هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين أعمالهم!

[٧-٩] ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٧-٩]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ١٨-٢٠]. التقدير فيها: إنَّ كتاب الفجّار لكتاب مرقوم في سجّين، وإنَّ كتاب الأبرار لكتاب مرقوم في علّيين، ثمّ ختم الأوّل بقوله: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]؛ لأنه في حقِّ الكفّار، وختم الثّاني بقوله: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]، فختم كلّ واحد بما لا يصلح سواه مكانه. [١٣] ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥، المطففين: ١٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي القلم والمطففين، وهي تصف حال المكذبين بالقرآن الكريم، وأنه إذا قرئ على أحدهم آيات القرآن كذَّب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم. [٢٢] ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، المطففين: ٢٢]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الانفطار والمطففين، والآية تبين إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم. [٢٣] ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣، ٣٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، والآية تبين أن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون.

[١١-١٢] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس: ٧١]، ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١ - ١٢]. ما الفرق بين: "عَمِلَ وفَعَلَ"؟ الجواب: ١- (عمل) يكثر استعمالها في المحبوب، ويقلُّ في المكروه. بينما تُستعمل كلمة (فعل) في القرآن في الخير والشر إذا أُسنِدت إلى غير الله. ٢- (عمل) لا تُسند إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى أي اسم من أسماء الله تعالى، أو إلى أي ضمير يعود عليه سبحانه. بينما تأتي كلمة (فعل) مسندة إلى لفظ الجلالة (الله)، و(رب)، والضمير العائد عليه في صيغ الفعلين الماضي والمضارع، واسم الفاعل وصيغ المبالغة- ولكن ما يجيء مسندًا إلى (الله) يكون للمدح بجلال الله -تعالى- أو للتهديد والعظة والاعتبار. ولم تأت (فعل) مسندة كفعل أمر ولا نهي إلى (الله) ولو على سبيل الدعاء تقديسًا لله وتنزيهًا له -سبحانه وتعالى-. لماذا خلا القرآن الكريم من إسناد كلمة (عمل) بمشتقاتها إلى اسم من أسماء الله تعالى؟ والجواب: أن ذلك من ثلاثة وجوه: ١- العملُ (كما قال بعضُ أهل العلم) يحتاج إلى تفكُّرٍ ومقارنة بين الفعل والترك، وتقليب النظر في صوره، واختيار ما يهدي إليه النظرُ فيها، والله -سبحانه وتعالى- لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء. ٢- أن العامل قد يعمل له غيرُهُ (أي يقوم بعمله غيرُه)، والله غني عن العالمين. ٣- أن العامل يعمل ليحصل على ثمرة عمله من خير هو فقيرٌ إليه، والله هو الغنيُ الحميد. لماذا أُسندت (فعل)، (يفعل) إلى لفظ الجلالة (الله)؟ الجواب: ١- انتفاء الموانع التي لوحظت في عدم إسناد (عمل) إلى أسماء الله تعالى. ٢- و(الفعلُ) هو ما صدر عن الفاعل مباشرة دون واسطة. ٣- و(الفعلُ) (كما قال اللغويون) لا يحتاج إلى تفكير وطول نظر كالعمل.

[٢٤] ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ قوله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ﴾ قرئ: (تُعرَف) بضم التاء وفتح الراء مبنيًا للمفعول، و﴿نضرةُ﴾ بالرفع نائب الفاعل. وقرئ: (تَعرِف) بفتح التاء وكسر الراء مبنيًا للفاعل، و﴿نَضۡرَةَ﴾ بالنصب مفعوله، أي: تعرف يا محمد أو كل من صح منه المعرفة. [٢٦] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ قرئ: (خَاتَمه) بفتح الخاء وألف بعدها ثم تاء مفتوحة جعله اسمًا لما يختم به الكاس على معنى: "عاقبته وآخره مسك". وقرئ: (خِتامه) بكسر الخاء وبعدها تاء بعدها ألف بوزن فعال على معنى: الختام الذي هو الطين الذي ختم به الشيء، جعل بدله المسك؛ وقيل: خلطه. [٣١] ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿فَكِهِينَ﴾ قرئ: (فكهين-فاكهين) بالقصر والمد، وسبق الكلام عليها كما في لابثين، ولبثين، فاكهين على معنى ذوي فواكه، وقيل: على معنى معجبين، وقيل: ناعمين، وفكهين جعله فكهًا، بمعنى: ضاحكين طيبي الأنفس.

[٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة (البعث بمشتقاتها ومترادفاتها)، ولفظة الصراط بمشتقاتها (٤٥) مرة. إذًا يتساوى عدد مرات ورود لفظة (البعث بمشتقاتها ومرادفاتها) مع عدد مرات ورود لفظة (الصراط بمشتقاتها) وكلٌّ ورد (٤٥) مرة. [٣٦] ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ إعجاز عددي: تكرر كل من لفظة النار والحريق ومشتقاتها مع لفظة الكافرين ومشتقاتها (١٥٤) مرة. أولًا: لفظة (النار ومشتقاتها) تكررت (١٤٥) مرة، وتكررت لفظة (الحريق ومشتقاتها) (٩) مرات، ومجموع ذلك (١٥٤) مرة: ثانيًا: وردت لفظة (الكافرين بمشتقاتها) (١٥٤) مرة في القرآن.

نزول سورة المطففين: نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي مكيَّة. عدد كلمات سورة المطففين: مائة وتسع. عدد حروف سورة المطففين: أربعمائة وثلاثون. أسماء سورة المطففين: سمِّيت المطفِّفين؛ لمفتتحها. مواضيع سورة المطففين: معظم مقصود السّورة: تمام الكيل والميزان، والاحترازُ عن البَخْس والنُّقصان، وذكر السِّجِّين لأهل العصيان، وذكر العِلِّيّين لأهل الإيمان، ودَلال المؤمنين والمطيعين في نعيم الجنان، وذُلّ العصاة في عذاب النِّيران، ومكافأتهم على وَفْق الجُرْم والكفران.

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

٣٦- ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾: أُثيب ﴿ٱلۡكُفَّارُ﴾: وجُزُوا ما كانوا يعملون ويفعلون بالمؤمنين في الدنيا، وهم اليوم في النار يُعذّبون؟

سُورَةُ الانشِقَاقِ

١، ٢- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾: سمعت السموات لربها في تصدُّعها وتشقُّقِها، وأطاعت. من «الإذن» وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه ﴿وَحُقَّتۡ﴾: وحُق لها أن تسمع لربها. ٣، ٤- ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾: بُسطت، كما يبسط الأديم ودكّت جبالها. حتى لا يبقى فيها عِوج ولا أمْت. ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾: ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾: منهم إلى الله. ٥- ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾: سمعت أمره، وأطاعت في ذلك ﴿وَحُقَّتۡ﴾: حقّقها للاستماع، والانتهاء إلى طاعته. ٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾: عاملٌ إلى ربك عملاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: خيراً كان عملك ذاك أو شراً، والملاقاة بمعنى اللقاء، أي تلقى ربك بعملك. ٧، ٩- ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾: بأن يُنظر في عمله، فيُجازى بأحسنه، ويُغفر له سيئه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾: ينصرف إليهم في الجنة ﴿مَسۡرُورٗا﴾. ١٠- ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾: فيناول كتابه بشماله. ١١- ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾: ينادي: واثبوراه، واويلاه. والثبور: الهلاك. ١٣- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾: في الدنيا ﴿مَسۡرُورًا﴾: لما كان فيه من مخالفة أمر الله عز وجل، وركوبه معاصيه. ١٤- ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أن لن يرجع إلينا، ولن يبعث بعد مماته. والحَوْر: الرجوع. ١٦- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: هذا قسم أقسم الله عز وجل به ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: الشفق: الحُمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس. ١٧- ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: وما جمع، مما سكن وهدأ فيه من ذي روح. ١٨- ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: إذا تمّ واستوى وكَمُل بدراً. ١٩- ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: حالاً بعد حال، وامراً بعد أمر من الشدائد. تقول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر شديد. ٢٣- ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: بما تُوعيه صدورهم، وتُضمره، من التكذيب له. ٢٥- ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾: ثواب غير منقوص.

[٨] معنى اسم لفظ الجلالة "الله": والله ﷻ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وقد تقدم أن هذا الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى. [٨] معنى اسم الله العزيز: العَزِيزُ، القَدِيرُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ المَتِينُ، هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزّة، فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم: ١ - عزّةُ القوة الدالّ عليها من أسمائه القويُّ المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنسب إليه قوة المخلوقات وإنْ عَظُمَتْ. ٢ - وعزّةُ الامتناع فإنه هو الغنيّ بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العبادُ ضرّه فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. ٣ - وعزّةُ القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها =

[٣٥] ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣، ٣٥]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في نفس السورة، والآية تبين أن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون. [٢، ٥] ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [أول الانشقاق: ٢، ٥]. الآية تكررت مرتين بنفس السورة، والآية الأولى متصلة بالسماءِ، والثانية متصلة بالأرض، ومعنى "أَذِنت": سمعت وانقادت، وحق لها أن تسمع وتطيع. [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغترّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة، فهذا ما دلت عليه آية الانفطار، أما آية الانشقاق: يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالًا من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. [٢٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢]، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾ [البروج: ١٩]. آية الانشقاق تقدمها وعيد أخروي كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال -وإن كان يصلح للحال- ليطابق الإخبار؛ لأنه عما يأتي ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في استقباله. وأمَّا آيه البروج فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٧-١٨]، وحديث هؤلاء، وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل: ﴿فِي تَكۡذِيبٖ﴾، وجيء بالمصدر ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبدًا فيما أخبرهم به، وفيما يدعوهم إليه وينهاهم عنه... [٢٥] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ٦]. لماذا جاءت آية التين بزيادة "فاء"؟ الجواب: الاستثناء في سورة التين متصل فتم الكلام به، والاستثناء في سورة انشقت منقطع بمعنى "لكن" فلم يتم الكلام به؛ والمراد بـ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] هَرَمُهُ وضعفه وضعف حواسه وعدم قدرته على الأعمال، فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحًا فإنا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم.

[٣] ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ﴾ [الطور: ٢٢]، ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٣]. ما الفرق بين: "مَدَّ وأَمَدَّ"؟ الجواب: قصر القرآن الكريم دلالة (أمدَّ) على (الخير) دائمًا، بينما وردت كلمة (مَدَّ) في الخير والشر، لكنها إن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان، اختصت بالمكروه أو الشَّرِّ، وعندما تجيء في سياق الإخبار عن غير الإنسان تختص بالمحبوب أو الخير. أما كلمة (أمدَّ) فقد قصر القرآن استعمالها في سياق الحديث عن الإنسان. [١٢] ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ قرئ: (ويُصَلَّى) بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام مضارع صلى مبنيًا للمفعول، معدىً بالتضعيف إلى مفعولين: الأول: الضمير الغائب، والثاني: سعيرًا. وقرئ: (ويَصْلَى) بفتح التاء وسكون الصاد وتخفيف اللام، من صلى مبنيًا للفاعل معدىً لواحد وهو (سعيرًا). [١٩] ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ قرئ: (لتركبَن) بفتح الباء على خطاب الواحد، وهو على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على معنى: لتركبن يا محمد حالًا بعد حال، أمرًا بعد أمر، أو سماء بعد سماء، أو لتركبن يا محمد الآخرة بعد الأولى، وروعي فيه خطاب الإنسان المتقدم الذكر، أي: لتركبن هَوْلًا بعد هولٍ. وقرئ: (لتركبُن) بضمها على خطاب الجمع، وروعي فيها معنى الإنسان، إذ المراد به الجنس، وضمة الباء تدل على واو الجماعة، أي: لتركبن أيها الناس الآخرة بعد الأولى، أو هولًا بعد أهوالٍ، أو شدائد بعد شدائد، أو سُنَّةَ مَنْ كان قبلكم من الأمم، وإنما ضمت الباء إذا كانت خطابًا للجماعة لتدل على الواو المحذوفة بعدها، وهي واو الجمع لسكونها وسكون أول النون المشددة.

نزول سورة الانشقاق: نزلت بعد سورة الانفطار، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة الانشقاق: مائة وسبع. عدد حروف سورة الانشقاق: أربعمائة وثلاثة وثلاثون. أسماء سورة الانشقاق: تسمّى سورة انشقت، وسورة الانشقاق؛ لافتتاحها. مواضيع سورة الانشقاق: مقصود السّورة: بيان حال الأرض والسّماءِ في طاعة الخالِق تعالى، وإِخراج الأموات للبعث، والاشتغال بالبِرّ والإِحسان، وبيان سهولة الحساب للمطيعين، والإِخبار عن فَرَحهم وسرورهم بنعيم الجنان، وبكاء العاصين والكافرين، وويلهم بالثبوت في دَرَكات النيران، والقَسَم بتشقُّق القمر، واطّلاع الحقّ على الإِسرار والإِعلان، وجزاء المطيعين من غير امتنان.

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

سورة البروج ١- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: أقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج. و«البروج»: منازل الشمس والقمر. وقيل: النجوم. ٢- ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: يوم القيامة، الذي وعد عباده بفصل القضاء بينهم فيه. ٣- ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: قيل: «الشاهد»: يوم الجمعة، و«المشهود»: يوم عرفة. وقيل: «الشاهد»: محمد، و«المشهود»: يوم القيامة، وقيل: المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق، أي يحضر فيه. والمراد بالمشهود: ما يُشَاهَدُ في ذلك اليوم من التنائج وعجائب الأمور. ٤- ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: لُعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود، وهو خبر طويل كان في بني إسرائيل. والأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق. ٥، ٦- ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: قوله «ذات الوقود» وصفٌ للنار بأنها نار عظيمة. والوقود: الحطب الجزل. ﴿إِذْ هُمْ﴾: يعني: الكفار الذين صنعوا الأخدود ﴿عَلَيْهَا﴾: على حافة الأخدود ﴿قُعُودٌ﴾: أي: لُعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها، ويقرب إليها. ٧- ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من تخييرهم بين الرجوع عن الإيمان الذي كان دينهم، أو طرحهم في النار ﴿شُهُودٌ﴾: حضور. ٨- ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: ما فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات، ولا أنكروا عليهم، بسبب شيء إلا من أجل أنهم آمنوا ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾. ١٠- ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: في الدنيا، أو: ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق الذي وقع منهم للمؤمنين. ١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: انتقامه. و«البطش»: الأخذ بقوة وسرعة. ١٣- ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: يبدأ خلقاً، ثم يميتهم، ثم يعيدهم أحياء. ١٤- ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: ذو المغفرة لمن تاب إليه ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المحب لمن آمن به، وتاب إليه. ١٥- ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ الرفيع، والله سبحانه هو الموصوف بذلك. والمجد هو النهاية في الكرم والرفعة والفضل. ١٦- ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: لا يعجز عن شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء يطلبه سبحانه. ١٧- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾: الذين تجنَّدوا على الله ورسله بالأذى والتكذيب. ٢٠- ﴿مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: بأعمالهم، ومُحْصٍ لها، ومجازيهم عليها. = متحرّك ولا يتصرّف متصرّف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. **[٨] معنى اسم الله الحميد**: ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الله حميد من وجهين: أحدهما: أنّ جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأوّلين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضاً ومقدّراً حيثما تَسَلْسَلَتِ الأزمان واتصلت الأوقات، حمداً يملأ الوجود كله العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاءٍ، فإنّ الله تعالى مستحقه من وجوه كثيرة: منها أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيويَّة، وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلاّ هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات. الوجه الثاني: أنه يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كلّ صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكلّ صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله؛ لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدريّة، وأحكامه الشرعيّة، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكارُ، ولا تُحصيها الأقلام. **[٩] معنى اسم الله الشهيد**: الشهيد: أي المُطَّلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليّها. وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده، وعلى عباده، بما عملوه. **[١٢] معنى اسم الله الرب**: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الله ﷻ هو: المُرَبِّي جميع عباده، بالتدبير، وأصناف النعم. وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. **[١٤] معنى اسم الله الغفور**: "العفو، الغفور، الغفار" هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصَّفح عن عباده موصوفاً. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة والعفو، لمن أتى بأسبابها. والعَفُوُّ: هو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيّما إذا أتَوْا لما يسبب العفو عنهم من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يُحبُّ العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه: من السَّعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع، غفر له جميع جُرْمِهِ: صغيره، وكبيره، وأنَّهُ جعل الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتوبة تجبُّ ما قبلها. وقد فتح الله ﷻ الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة =

[١٩] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٢]، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩]. آية الانشقاق تقدمها وعيد أخروي كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال -وإن كان يصلح للحال- ليطابق الإخبار؛ لأنه عما يأتي ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في استقباله. وأمّا آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٨]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل: ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾، وجيء بالمصدر ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبدًا فيما أخبرهم به، وفيما يدعوهم إليه وينهاهم عنه... [٣] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]. الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، ونكّرهما دون بقية ما أقسم به، لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جواب أيضًا عمّا يُقال: لِم خصّهما بالذكر دون بقية الأيام؟ وإنما لم يُعرّفا بلام العهد؛ لأنّ التنكير أدل على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. [١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ قرئ: (المجيدِ) بخفضها نعتًا: إما "للعرش" وإما "لربك" في ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾. وقرئ: (المجيدُ) برفعها خبرًا بعد خبر أو نعتًا لذو، و(المجيد): الكثير الشرف والعطاء؛ و(الكريم): ذو الكرم الكامل الكثير الخير. [٢٢] ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ قوله تعالى: ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ قرئ: (محفوظٌ) بالرفع نعتًا للقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. وقرئ: (محفوظٍ) بالكسر نعتًا لـ"لوح". **نزول سورة البروج**: نزلت بعد سورة الشمس، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة البروج**: مائة وتسع. **عدد حروف سورة البروج**: أربعمائة وثمانية وخمسون. **أسماء سورة البروج**: سمّيت سورة البروج؛ لذكرها في أوّلها. **مواضيع سورة البروج**: معظم مقصود السّورة: القَسَم على أصحاب الأخدود، وكمال مُلك المِلك المعبود، وثواب المؤمنين في جِوار المقام المحمود، وعذاب الكافرين في الجحيم المورود، وما للمطيع والعاصي من كرم الغفور الودود، والإشارة إلى هلاك فرعون وثمود.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

سُورَةُ الطَّارِق ١- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: أقسم الله عز وجل بالسماء والطارق. و«الطارق»: النجم لأنه يطلع بالليل. و«الطارق» اسم جنس لكل ما يظهر أو يأتي ليلاً. ٣- ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: الذي يتوقّد ضياؤه ويتوهّج. ٦، ٧، ٨- ﴿خُلِقَ﴾: الإنسان ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾: مدفوق من الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ﴾: الإنسان أي يولد ﴿مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: أي صلب المرأة وترائبها، حيث «يكون أثناء الحمل وفي تمامه وحين يخرج». والترائب: عام الصدر، وخاصة موضع القلادة، جمع تريبة. والنص في الآية على «عملية الولادة المعقدة». والضمير في ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾: يعود كذلك على الإنسان، أي أن الله تعالى قادر على بعثه بعد موته. ٩- ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾: تُختبر ﴿السَّرَائِرُ﴾: سرائر العباد، ما يخفى ويُضمر في القلوب من العقائد وغيرها، والمراد هنا: عرض الأعمال، ونشر الصحف. ١١، ١٣- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: ترجع بالغيوث وأرزاق العباد كل عام، والرجع: المطر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: بالنبات، أي تتصدع عنه وتنشق ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: إن القرآن حق، ويفصل بين الحق والباطل. ١٥، ١٦- ﴿إِنَّهُمْ﴾: يعني المكذبين ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يمكرون مكراً، يُخاتلون النبي ﷺ، ويُظهرون ما هم على خلافه ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: وأمكرُ مكراً. ومكره عز وجل إملاؤه لهم، وإمهاله لهم، أي واستدراجهم من حيث لا يعلمون. أو: مجازاتهم على كيدهم. ١٧- ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾: لا تعجل عليهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾؛ قليلاً.

سُورَةُ الأَعْلَى ١- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: عظِّم اسم ربك، ونزِّهه أن يُسمى به أحد سواه ﴿الْأَعْلَى﴾: صفة للرب، والمعنى: الذي لا أحد أعلى منه ولا أعظم، لأنه القاهر المقتدر وحده. ٢- ﴿فَسَوَّىٰ﴾: عَدَل وأتقن. ٣- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾: هدى الإنسان؛ لسبيل الخير والشر، وهدى البهائم للمراتع، والآية على العموم، أي: قدَّر المخلوقات، وأنواعها وصفاتها، وأفعالها وآجالها.. فهدى كل واحد منها إلى ما ينبغي له، ويسره لما خلق له. ٥- ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾: فجعل المرعى غُثاء، وهو ما جَفَّ من النبت ويبس، كالغثاء، فطارت به الريح ﴿أَحْوَىٰ﴾: متغيراً إلى الحُوّة، وهو السواد بعد البياض، أو الخضرة. ٦، ٧- ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: هذا القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰ﴾: فلا تنساه أو: فلا تنسى ما تقرؤه، قال مجاهد: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبي بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾. وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: استثناء مُفرَّغ، أي لا تنسى مما تقرؤه شيئاً من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه. قال الفراء: وهو لم يشأ سبحانه أن ينسى محمد ﷺ شيئاً. ١٣- ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: حياة تنفعه. ١٤- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: قد نجح ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّر من الشرك والمعاصي. = الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مُقرِّباً لمغفرته.

[١٤] **معنى اسم الله الودود:** والودّ مأخوذ من الوُدود بضم الواو بمعنى خالص المحبة، فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ مودود، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى، لا في أصلها، ولا في كيفيتها، ولا في متعلّقاتها، وهذا هو الفرض والواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة، غالبة لكل محبة، ويتعيّن أن تكون بقية المحابّ تبعاً لها. [٢٠] **معنى اسم الله المحيط:** وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً. وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزّته كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء.

[٥] قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش. من أزالني قوله عنه فله كذا، ويقول: إن محمدًا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة. [٦] قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله، مخافة أن ينساه، فأنزل الله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾، في إسناده جويبر ضعيف جدًا.

[٥] ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [عبس:٢٤]، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥]. فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ فهذا ما دلت عليه آية عبس، أما آية الطارق: فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟

[١٧] ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق:١٧]. كرره تأكيدًا، وخولف بين لفظيهما؛ طلبًا للخفة. [١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى : ١٠]. **معنى الخشية من الله** قال المناوي: الخشية تألم القلب لتوقع مكروه مستقبلًا، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، ومنه خشية الأنبياء. قال ابن القيم: الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مُترادفة. وقال: وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، والخشية أخصّ من الخوف، فإن الخشية للعلماء. فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان: إحداهما: حركة للهرب منه وهي حالة الخوف. =

[٤] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمَّا﴾ في "هود: قرئ: (إِنْ - لَمَا) بتخفيف نون "إن" و"ميم "لمَّا هنا على إعمال إن المخففة وهي لغة ثابتة. سمع: (إنْ عمروًا المنطلق) وأما لَمَّا فاللام فيها هي الداخلة في خبر (إن) و(ما) موصولة أو نكرة موصوفة، وقرئت بتشديد "إنَّ" وتخفيف "لمَا" قال في الدر: وهي واضحة جدًا فإن المشددة عملت عملها، واللام الأولى للابتداء دخلت =

[١-٣] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق : ٣]. **النجم الطارق:** يقول الفلكيون: يوجد نوعان من النجوم تمر بمرحلة في عمرها تتكدس فيها المادة، وتتعادل فيها الشحنات الكهربية، بحيث لا يوجد بها شحنات موجبة أو سالبة .. وهذه النجوم تحدث نبضات تشبه نبضات القلب، وقد سماها العلماء من أجل ذلك (النجوم النابضة). وهذه الأصوات التي تحدثها هذه النجوم هي أقرب ما تكون إلى أصوات الطرقات على الأبواب، وقد سجل العلماء أخيرًا هذه الطرقات لهذه النجوم.. وهكذا نرى دقة التسمية، عندما سمى القرآن هذا النجم بأنه النجم الطارق، فسبحان الخالق. [١١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق:١١]. **رجع السماء:** وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو دلالتها الواضحة على أن أهم صفة للسماء هي أنها ذات رجع، وهذا ما كشفه العلم في القرن =

نزول سورة الطارق: نزلت بعد سورة البلد، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الطارق:** إحدى وستّون. **عدد حروف سورة الطارق:** مائتان وتسعة وثلاثون. **أسماء سورة الطارق:** سمِّيت بأوّلها الطارق. **مواضيع سورة الطارق:** مقصود السّورة: القسم على حفظ أحوال الإنسان، والخبر عن حاله في الابتداء والانتهاء، وكشف الأسرار في يوم الجزاء، والقَسَم على أنَّ كلام القرآن جَزْل، غير هَزْل، من غير امتراء، وشفاعة حضرة الكبرياء إلى سيّد الأنبياء بإمهال الكافرين، في العذاب والبلاء. **نزول سورة الأعلى:** نزلت بعد سورة التكوير، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الأعلى:** ثمان وسبعون. **عدد حروف سورة الأعلى:** مائتان وواحد وسبعون. **أسماء سورة الأعلى:** سمّيت سورة الأعلى؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الأعلى:** مقصود السّورة: بيان عُلُوّ الذات والصّفات، وذكر الخِلْقة، وتربية الحيوانات، والإشادة

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

١٨- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: أي: ما تقدم من قوله: من تزكى وما بعده. وقيل: الإشارة إلى جميع السورة. سُورَةُ الغَاشِيَةِ ١- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: قصتها وخبرها. والغاشية: هي القيامة، لأنها تغشى الخلائق بأهوالها. ٢- ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة خاضعة. ٣- ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: تعمل وتنصب في النار، بجرّ السلاسل والأغلال، ونحو ذلك من صنوف العذاب. وقيل: إنها عاملة في الدنيا، ناصبة في الآخرة. ٥- ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: يُسقى أصحابها من شراب عين قد أنى حرُّها، أي اشتد فبلغ غايته. ٦- ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: الضريع عند العرب: نبت يقال له: الشِّبْرق، يسمونه إذا يبس الضريع، وهو سُمٌّ، لا تقربه دابة ولا ترعاه. ٨- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾؛ أي ذاتُ نعمة وبهجة، وهي وجوه المؤمنين. ٩- ﴿لِّسَعْيِهَا﴾: لعملها. والمعنى: لثواب سعيها ﴿رَاضِيَةٌ﴾. ١١- ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: كلمة لغو، واللغو: الساقط من الكلام، وما لا طائل تحته. ١٣- ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾: عالية القدر والمكان. ١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أباريق ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: على حافة العين. أو موضوعه بين أيديهم مهيأة للشراب. ١٥- ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائد ومرافق وحشايا للاتكاء في ارتياح، واحدها: نُمْرُقة. ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بعضها بجنب بعض. ١٦- ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: طَنافِس وبُسُطٌ كثيرة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مفروشة، أو متفرقة موزعة هنا وهناك. وهذا في الزرابي أجمل. ١٧- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: فسخرها الله لهم وذللها، مع ما تختص به من سائر الحيوان. ٢٠- ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: بُسطت، أمام النظر ممهدة للحياة والسير والعمل. ٢٢- ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: بمسلط ولا جبار، تحملهم على ما تريد. ٢٣- ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ قيل معناه: فذكِّر قومك، وذكِّر كلَّ أحَد، لكن من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله تعالى يُعذبه الله العذاب الأكبر، أي عذاب الآخرة. [١٧] قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله: [١٧] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾. [٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية : ٢]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية : ٨]. ليس بتكرار؛ لأنَّ الأوّل هم الكفَّار، والثَّاني المؤمنون، وكان القياس أن يكون الثاني بالواو للعطف؛ لكنَّه جاءَ على وفاق الجُمل قبلها، وبعدها، وليس معهنَّ واو العطف البتَّة. [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٢٢، الغاشية : ١٠]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص في سورتي الحاقة والغاشية، وهي تصف الجنة بأنها مرتفعة المكان والدرجات. = والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية. وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته. وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة. والإجلال: تعظيم مقرون بالحب. فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية. فصاحب الخوف: يلتجيء إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية: يلتجيء إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول يلتجيء إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجيء إلى معرفته بالأدوية والأدواء. من ثمار الخشية: ١- الهداية والصلاح. ٢- الفوز والفلاح. ٣- المغفرة والأجر الكبير. ٤- الفرج والنجاة. ٥- دخول الجنة والنجاة من النار. [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى : ١٦]. يقول ابن القيم رحمه الله: قد جعل الله سبحانه لكل مطلوبٍ مفتاحًا يفتح به، فجعل مفتاح الصلاة: الطهور، ومفتاح الحج: الإحرام، ومفتاح البر: الصدق، ومفتاح الجنة: التوحيد، ومفتاح العلم: حسن السؤال، ومفتاح النصر: الظفر والصبر، ومفتاح المزيد: الشكر، ومفتاح الولاية: المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح: التقوى، ومفتاح التوفيق: الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة: الدعاء، ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن والتضرع بالأسحار، ومفتاح الرزق: السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز: طاعة الله عز وجل، ومفتاح كل شر: حب الدنيا وطول الأمل. = على خبر "إن". وقرئ: (إنَّ - لمَّا) بتشديدهما، فإن على حالها، وأما "لما" فقيل: أصلها لـ "من" "ما" على أنها (من) الجارة دخلت على "ما" الموصولة أو الموصوفة، أدغمت النون الساكنة في الميم على القاعدة، فصار في اللفظ ثلاث ميمات فخففت الكلمة بحذف إحداها فصار اللفظ كما ترى. وقرئ: (إنْ - لمَّا) بتخفيف النون وتشديد الميم على جعل "إن" نافية ولما كالأول، وحكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه تثقيل "لما"، ولو خففت (إنَّ) ورفعت كلَّا (يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ (الآية) لحسن معنى (لما) بالتشديد على معنى (إلا) كالذي في سورة "الطارق" و"يس". [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قوله تعالى: ﴿قَدَّرَ﴾ قرئ: (قدَر) بتخفيف الدال من القدرة. وقرئ: (قدَّر) بتشديدها من القدر أو التقدير والموازنة بين الأشياء. [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قوله تعالى: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ قرئ: (يؤثرون) بالياء التحتية على الغيبة لمناسبة "الأشقى" لأنه للجنس فهو جمع. وقرئ: (تؤثرون) بالتاء من فوق، على الخطاب للخلق الذين جبلوا على محبة الدنيا وإيثارها. = العشرين، ومن صور رجع السماء كما اكتشفه العلم الحديث؛ الرجع الاهتزازي للهواء (الأصوات وصداها) والرجع المائي المتمثل في دورة الماء في الطبيعة، والرجع الحراري إلى الأرض وعنها إلى الفضاء بواسطة السحب، ورجع الغازات والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض، والرجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون، ورجع الموجات الراديوية بواسطة النطاق المتأين، ورجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض. [١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق:١٢]. تصدع الأرض: وجه الإعجاز في الآية القرآنية أنها تبين أن الأرض ذات صدع، وهذا ما كشفت عنه الأبحاث الحديثة والرصد بالأقمار الصناعية، أن القشرة الأرضية مقسمة إلى ثمانية ألواح أو صفائح ضخمة، تفصلها تصدعات في أماكن الانقسام، وهذه التصدعات تصل إلى أعماق بعيدة. = بالثِّمار، والنبات، والأمنُ مِن نَسْخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفَّار في قَعْر الدّركات، والتحضيض على الصّلاة والزّكاة، وفي الدّنيا بقاءُ الخيرات، وفي الآخرة بقاءُ الدّرجات. نزول سورة الغاشية: نزلت بعد سورة الذاريات، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الغاشية: اثنتان وتسعون. عدد حروف سورة الغاشية: ثلاثمائة وواحد وثمانون. أسماء سورة الغاشية: سمِّيت سورة الغاشية؛ لذكرها. مواضيع سورة الغاشية: معظم مقصود السّورة: التخويف بظهور القيامة، وبيانُ حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحِقّين للمَثُوبة، وإِقامة الحُجة على وجود الحقّ، ووعظ الرّسول ﷺ للأُمّة، على سبيل الشَّفَقة، وأن المرجع إلى الله تعالى في العاقبة. نزول سورة الفجر: نزلت بعد سورة الليل، وهي مكيّة. عدد كلمات سورة الفجر: مائة وسبع =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

سُورَةُ الفَجْرِ ١، ٢- ﴿وَالْفَجْرِ﴾: أقسم الله عز وجل بالفجر، وهو فجر الصبح. وقيل: المراد: صلاح الصبح ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: قيل: ليالي عشر ذي الحجة، وقيل: العشر الأواخر من رمضان. ٣- ﴿وَالشَّفْعِ﴾: قيل: يوم النحر أي يوم الأضحى ﴿وَالْوَتْرِ﴾: يوم عرفة. وقيل: الصلاة منها شفع ووتر، والشفع عند العرب: الزوج، والوتر: الفرد. فالمراد بالآية: إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر. ٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا سار فذهب. وقيل: إذا جاء وأقبل. ٥- ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ﴾: يقول عز وجل: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾: أي: لذي حِجىً، وذي عقل. ٧- ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: ذات القوة والشدة. ٨- ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾: مثل عاد، أو مثل قبيلة إرم. ٩- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: خرقوه فدخلوه، واتخذوه بيوتاً، والجَوْب: القطع. ١٠- ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾: قيل: لأنه كان يُعذب الناس بالأوتاد في أيديهم وأرجلهم، والأرجح أنها الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض، المتينة البنيان. و«فرعون»- هاهنا- هو فرعون موسى. ١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: نقماً نزلت بهم. واستعار السوط هنا للعذاب، لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره. ١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾: لهؤلاء الطاغين بحيث يرى ويسمع سبحانه وتعالى. ١٧- ﴿كَلَّا﴾: إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها. ١٨- ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾: بمعنى: ولا يأمر بعضكم بعضاً بإطعام المسكين. ١٩- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾: شديداً. ٢١- ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: إذا زُلزلت زلزلة بعد زلزلة، وحُركت تحريكاً بعد تحريك. ٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: جاء أمره وقضاؤه وظهرت آياته ﴿وَالْمَلَكُ﴾: والملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: صفاً بعد صف. ٢٣- ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: روي أنها تُساق إلى الحشر. وقيل: المعنى أنها تظهر لأصحابها يوم القيامة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]. ألم تر أيها الرسول كيف فعل ربُّك بقوم عاد، فهذا ما دلت عليه آية الفجر، أما آية الفيل: ألم تعلم أيها الرسول كيف فعل ربك بأصحاب الفيل أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]. قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، أي: ليالي عشر ذي الحجة. كيف نكرها دون بقية ما أقسم به؟ **الجواب**: لاختصاصها من بين الليالي بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس، وإنما لم تُعرَّف بلام العهد لِما مرّ في سورة البروج. [١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]. قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾، وبعده: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، لأن التقدير في الثاني أيضًا: وأما الإنسان، فاكتفى بذكره في الأول؛ والفاءُ لازمة بعده؛ لأن المعنى: مهما يكن من شيء فالإنسان بهذه الصفة، لكن الفاء أُخرت ليكون على لفظ الشرط والجزاء. [٢٠] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. ما الفرق بين: "حُبّ، مَحبّة"؟ **الجواب**: وردت كلمة (حُب) تسع مرات، ووردت كلمة (محبة) مرة واحدة. (الحُبّ) هو المصدر الأصلي. و(المحبة) المصدر الميمي. وفعلها هو (حبّ)، و(أحبّ). ولأن (الحب) هو المصدر كانت هي الأصل، ووردت تسع مرات، بينما لم يرد المصدر الميمي (محبة) إلا مرة واحدة. (الحب) جاء في المرات التسع التي ورد فيها سلوكًا من البشر تجاه الله تعالى، أو تجاه موضوعات في الحياة، أو تجاه بشر آخر. لذا عندنا استعمل الله -سبحانه وتعالى- هذه المادة وأضافها إليه سبحانه، استعمل المصدر الميمي (المحبة) ولم يستعمل المصدر الشائع بين الناس (الحب) والذي يناسب الكثرة، والناس كثرة. أما المصدر الميمي فيناسب القلة والندرة، فاستعمل مع الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد وإذا كان الحب حاصلًا من البشر جاء القرآن بكلمة (حب)، وإذا كان إلقاء من الله -تعالى- كان بكلمة (محبة). جاءت كل كلمة متسقة ومنسجمة مع موسيقى السياق في كل المواضع التي وردت فيها. مثال قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. فكلمة (حُبًّا) منسجمة مع كلمة (جمًّا) فكلٌّ منهما ثلاثي الأحرف منوَّن الآخر، ومشدد الوسط. أمَّا مع كلمة (محبة): في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، فلا يتسق أبدًا ورود كلمة (حُبًّا) بدل كلمة محبة (هنا) وفي كل موضع تأتي فيه.

[٤] ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ قوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ قرئ: (تُصلى) بضم التاء مبنيًا للمفعول من أصلاه الله تعالى، فعلًا رباعيًا لم يسم فاعله متعديًا لمفعولين الأول: ضمير في الفعل يعود على أصحاب الوجوه، والثاني: ﴿نَارًا﴾ وقرئ: (تَصلى) بفتحها مبنيًا للفاعل، وهو الضمير العائد على أصحاب الوجوه. [١١] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قرئ: (لا تُسمع فيها لاغيةٌ) بالتاء من فوق مضمومة بالبناء للمفعول (لاغيةٌ) على النيابة، أي: كلمة لاغية أو لغو فيكون مصدرًا كالعاقبة. وقرئ: (لا يُسمع فيها لاغيةٌ) بياء تحتية مضمومة بالبناء للمفعول أيضًا (لاغيةٌ) بالرفع على ما تقدم. وقرئ: (لا تَسمع فيها لاغيةً) بفتح التاء من فوق ونصب ﴿لَاغِيَةً﴾ على المفعولية، ويجوز أن تكون صفة على تقدير: "ولا تسمع فيها كلمة لاغية" أي: كلمة لغو. [٢٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قوله تعالى: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ قرئ: بالسين بإشمام الصاد زايًا، وكلها لغات، والأصل: السين، وتقدم الكلام -علي ذلك في سورة "أم القرآن"- عند الصراط. [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿إِيَابَهُمْ﴾ قرئ: (إيَّابهم) بتشديد الياء، ومعناه رجوعهم بعد الموت. وقرئ: (إيَابهم) بتخفيف الياء. [٣] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْوَتْرِ﴾ قرئ: (والوَتر) بفتحها لغتان: الفتح: لغة أهل الحجاز، والكسر: لتميم. وقرئ: (والوِتر) بكسر الواو. [١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ﴾ قرئ: (فقدَّر) بتشديد الدال. وقرئ: (فقدَر) بتخفيفها لغتان: بمعني التضييق. [١٧-٢٠] ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ قوله تعالى: ﴿تُكْرِمُونَ﴾ - ﴿تَحَاضُّونَ﴾ - ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾ - ﴿وَتُحِبُّونَ﴾ قرئ: (يكرمون-يحاضون-ويأكلون-ويحبون) بالياء التحتية في الأربعة حملًا علي معني الإنسان المتقدم. وقرئ: (تكرمون-تحاضون-وتأكلون-وتحبون) بالخطاب للإنسان المراد به الجنس التفاتاً. وقرئ: (تحاضون) بألف بعد الحاء من المحاضَّة أي: يحض بعضكم بعضاً، والأصل: تتحاضون حذفت التاء الثانية. وقرئ: (تحضُّون) بغير ألف جعلوه من حضَّ يحضُّ، وهو في المعني كتحاضون.

= وعشرون. **عدد حروف سورة الفجر**: خمسمائة وتسعة وتسعون. **أسماء سورة الفجر**: سمِّيت سورة الفجر؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الفجر**: معظم مقصود السّورة: تشريف العِيد، وعرفة، وعشْرِ المحرّم، والإشارةُ إلى هلاك عاد، وثمود، وأضرابهم، وتفاوتُ حال الإنسان في النعمة، وحرصه على جَمْع الدّنيا، والمال الكثير، وبيان حال الأرض في القيامة، ومجيء الملائكة، وتأسّف الإنسان يومئذ على التقصير، والعصيان، وأنَّ مرجع المؤمن عند الموت إلى الرّحمة، والرضوان، ونعيم الجنان.

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

٢٤- ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ﴾: عملاً صالحاً في الدنيا ﴿لِحَيَاتِي﴾: هذه التي لا موت بعدها، يُنجيني من عذاب الله. ٢٥، ٢٦- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾: بمعنى: لا يُعذب، كعذاب الله أحدٌ في الدنيا. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ﴾: أي لا يشد بالسلاسل والأغلال يومئذ ﴿أَحَدٞ﴾. ٢٧- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾: الموقنة غاية اليقين بأن الله تعالى ربها، المُسَلِّمة لأمره، بحيث لا يُخالطها شك. ٢٨- ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: تأمرها الملائكة عند البعث أن ترجع إلى جسد صاحبها ﴿رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾: وقيل: ارجعي إلى الله «راضية» بالثواب الذي أعطاك «مرضية» عنده سبحانه.

سُورَةُ البَلَدِ ١، ٢- ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾: بمعنى: أقسم ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: الحرام. وهو مكة. ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: يقول: وأنت به حلال تصنع فيه مِنْ قتل من ترى قتله، وأسر من ترى أسره، وذلك يوم الفتح، قال رسول الله ﷺ: «لم تحلَّ لأحدٍ من قبلي، ولا تحل لأحد من بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار». متفق عليه. وقيل: المعنى: أقسم بهذا البلد وأنت فيه حالٌّ مقيم. ٣، ٤- ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أقسم بكل والد ولده. ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾: الكبد: الشدة والمشقة. والإنسان لا يزال في مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت. ٥- ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾: فالله غالبه وقاهره. ٦- ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾: كثيراً مجتمعاً؛ يقول ذلك كلما دُعي إلى البذل. ٩، ١٠- ﴿وَلِسَانٗا﴾: يُعبر به عن نفسه ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾: الطريقين: طريق الخير، وطريق الشر. و«النجد»: الطريق المرتفع. ١١- ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾: يقول: فلم يركب العقبة فيقطعها ويَجوزَها. وهو مَثَل ضربه الله سبحانه لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البرّ، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، وهي في الأصل: الطريق التي في الجبل. ١٣- ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: تحرير إنسان من الرق، وأسر العبودية. ١٤-١٦- ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾: في يوم ذي مجاعة، والساغب: الجائع ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ ذا قرابة. ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: هو الذي قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة. ١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ..﴾: الآية: هذا من المؤخَّر لفظاً، المقدَّم رتبة، بمعنى: أن الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة، شرط سابق لهذه الأعمال والقُربات. ١٩، ٢٠- ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: يُؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار يوم القيامة ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: مُطبقة.

[٢٧] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ قال: نزلت في حمزة. وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من يشتري بئر رومة يستعذب بها غفر الله له»، فاشتراها عثمان فقال: «هل لك أن تجعلها سقاية للناس»، قال: نعم، فأنزل الله في عثمان: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾.

[٤] ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]. لا مناقضة بين الآيتين؛ لأنَّ معنى آية التين عند كثير من المفسّرين أنه منتصِب القامة معتدلها، فيكون في معنى أحسن تقويم، ولمراعاة الفواصل في السّورتين جاءَ على ما جاءَ، والمشهور عند المفسرين أن معنى "كبد"، أي: في مشقة وشدة، وهو لا ينافي أنه في أحسن تقويم، فهو منتصب القامة معتدلها، ومع ذلك يقاسي شدائد في حياته.

[١، ٢] ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]. قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ كرّره وجعله فاصلًا في الآيتين، وممَّا ذكر في هذه السّورة على الخصوص أنَّ التقدير: لا أُقسم بهذا البلد وهو حَرام، وأنت حِلّ بهذا البلد وهو حلال؛ لأنه أُحِلَّت له مكّة حتى قتل فيها مَن شاءَ وقاتل، فلما اختلف معناه صار كأنه غير الأوّل، ودخل في القِسْم الذي يختلف معناه ويتَّفق لفظه. [٧] ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧]. قوله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ نكّرها دون بقية ما أقسم به؛ لأنه لا سبيل إلى لام الجنس المدخلة لنفس غير الإنسان، مع أنها ليست مرادة؛ لقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، ولا إلى لام العهد، إذ ليس المراد نفسًا واحدة معهودة، وبتقدير أنه أُريد بها آدم، فالتنكير أدل على التفخيم والتعظيم، كما مرّ في سورة الفجر وغيرها. [٩-١٠] ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، والمعنى: قد أفلح من كبَّرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقَّرها وصغَّرها بمعصية الله. فما صغَّر النفوس مثل معصية الله، وما كبَّرها وشرَّفها ورفَعَها مثل طاعته. فالعاقل الموفق عند الله جل وعلا هو من يُوفق للطاعة ويُعصم من المعاصي، وإن وقع في شيء منها عاد تائبًا منيبًا إليه تبارك وتعالى، وأما الذي لا يعبأ الله عز وجل به فهو الذي يُسرِف على نفسه بالذنوب والخطايا ليلًا ونهارًا كيفما شاء؛ دون توبة يُصلِحها أو أوبَة يُحدِثها... قال الحسن البصري رحمه الله سبحانه وتعالى: هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

[٢٥] ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ قوله تعالي: ﴿يُعَذِّبُ﴾ - ﴿يُوثِقُ﴾ قرئ: (يعذَّب-يوثَق) بفتح الذال والمثلثة مبنيين للمفعول، والنائب ﴿أَحَدٞ﴾ أضاف الفعلين إلي الكافر المعذب الموثق. وقرئ: (يعذِّب-يوثِق) بكسرهما مبنيين للفاعل والهاء لله تعالي، أي لا يتولى عذابه ووثاقه سواه، إذ الأمر كله له، أو للإنسان، أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه. [٦] ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ قوله تعالي: ﴿لُّبَدًا﴾. قرئ: (لُبَّدا) بتشديد الباء جمع «لابد». وقرئ: (لُبْدا) بتخفيف الباء، جمع «لبدة». ومعنى القراءتين واحد، وهو الكثير بعضه فوق بعض. [١٣] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ﴾ قوله تعالي: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ - ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ قرئ: (فكَّ رقبةً * أو أطعمَ) بفتح الكاف فعلًا ماضياً ﴿رَقَبَةٍ﴾ بالنصب مفعوله و(أطعم) بفتح الهمزة والميم فعلا ماضياً أيضاً، والفعل بدل من قوله اقتحم، فهو تفسير وبيان له، كأنه قيل: فلا فك. وقرئ: (فكُّ رقبةٍ * أو إِطعامٌ) برفع الكاف اسماً مصدراً، و﴿رَقَبَةٍ﴾ بالجر مضافاً إليه أو (إطعام) بكسر الهمزة وألف بعد العين، ورفع الميم منونة، وفك خبر محذوف أي: (هو فك رقبة أو إطعام) علي معني الإباحة، وفي الكلام حذف مضاف دل عليه ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾ و﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ و(العقبة): عتق رقبة أو إطعام يتيم ذي قرابة، ومسكين ذي فقر في يوم مجاعة. [٢٠] ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ قوله تعالي: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ قرئ: (مؤصدة) بالهمز من آصدت الباب أي: أطبقته. وقرئ: (موصدة) بغير همز، ويحتمل أن يكون من أوصدت الباب أي: أطبقته، ففاء الفعل في هذه اللغة: واو، فلا يجوز همز اسم المفعول علي هذا، إذ لا أصل له في الهمز، ويقوي ذلك إجماعهم علي قوله: ﴿بِٱلۡوَصِيدِ﴾ بالواو، ولو كان بالهمز لقال: بالأصيد: ويجوز: أن يكون من أصد وأصله: الهمز، وخفف بالإبدال واواً لانضمام ما قبلها علي أصل تخفيف الهمز الساكن.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ **إعجاز عددي**: تساوي عدد مرات ذكر مشتقات كلمة الضيق، مع مشتقات كلمة الطمأنينة، وقد ورد كلٌّ (١٣) مرة.

نزول سورة البلد: نزلت بعد سورة ق، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة البلد**: اثنتانِ وثمانون. **عدد حروف سورة البلد**: ثلاثمائة وواحد وخمسون. **أسماء سورة البلد**: سمّيت سورة البلد؛ لمفتتحها، وسورة العقَبَة؛ لذكرها بها. **مواضيع سورة البلد**: معظم مقصود السّورة: تشريف مكّة بحكم القَسَم بها، ووصف خلق الإنسان، ومكابدته في الدنيا، والمِنَّة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عَقَبَة الصِّراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاءِ، ورحمة بعضهم بعضًا، وخلود الكفَّار في النَّار.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

سورة الشمس ١- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: أقسم الله بالشمس وضحاها، وهو النهار. أو ارتفاع الضوء وكماله. ٣، ٤- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: جلَّى الشمس بضيائه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: إذا يغشى الشمس فتُظلم الآفاق. ٥- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾: يعني: ومَنْ خلَقها، ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، أي: وبنائها. ٦- ٨- ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: الطحو كالدحو، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾: [النازعات: ٣٠]. قيل: بسطها، أو جعلها ممهَّدة للحياة. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: يعني خلقها وأنشأها. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: يقول: فبين لها ما ينبغي أن تأتي وتذر من خير وشر، وطاعة ومعصية، قال الفراء: فعرَّفها طريق الخير وطريق الشر. ٩- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾: فاز من أنمى نفسه وأعلاها بالتقوى والأعمال الصالحة. ١٠- ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾: من دسَّسَ نفسه؛ أي خسر مَن أخفى نفسه وأضلَّها وأغواها. ١١- ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: بطغيانها، أي أن الطغيان هو الذي حملهم على الكفر وتجاوز الحد. ١٢- ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: أشقى ثمود، انتدب وقام بعقر الناقة. ١٣- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾: احذروا ناقة الله وسقياها، أن تمسُّوها بسوء. ١٤- ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾: فدمَّر عليهم ربهم بذنبهم ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فسوَّى ديارهم عليهم جميعاً، فلم يُفلت منهم أحد، والدمدمة: الهلاك باستئصال. **سورة الليل** ١، ٢- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: أقسم الله تعالى بالليل إذا غشَّى الأرض وما عليها. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: وأقسم بالنهار إذا ظهر وأضاء الآفاق. ٣- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: قيل: بمعنى: ومن خلق الذكر والأنثى، وهو الله لا إله إلا هو، وقيل: «ما» وما بعدها بمعنى المصدر، فيكون قسماً بخلقه الذكر والأنثى. ٤- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: لمختلف، فمنكم الكافر والمؤمن والمطيع والعاصي. ٦، ٧- ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: قيل: بالخَلَف من الله على ما أنفق في سبيله. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: سنسهِّله للحال الحسنة المرضية عند الله. ١١- ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾: ما يدفع عنه ماله ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾: في جهنم وسقط فيها. ١٢- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: إن علينا لبيان الحق من الباطل.

[١ - ٢١] قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل من نخلته، فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: «اذهب»، ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: «أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة»، فقال الرجل: لقد أعطيت، وإن لي نخلا كثيرًا، وما فيه نخلة أعجب إليَّ ثمره منها، ثم ذهب الرجل، ولقي رجلًا كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أتعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، فقال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، ولكليهما نخل، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمدًا ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: لقد أعطيت، ولكن يعجبني ثمرها، ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إليَّ ثمرة منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها، فقال: لا، إلا أن أعطي بها ما أريد، ولا أظن أن أعطى فقال: فكم مُناك منها، قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فأشهد لي إن كنت صادقًا، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى آخر السورة. قال ابن كثير: حديث غريب جدًا. وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنك أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: إني إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق اعتق سبعة كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ إلى =

= يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: مما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب أشد من ضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي..؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة..؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم..؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم..؟ [١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢]، ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]. لماذا قدم القسم بالليل في سورة الليل، وقدم القسم بالنهار في سورة الضحى؟ **الجواب:** لما كان المقسم عليه في سورة الليل سعي الإنسان، وغالبه المعاصي قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة، ولما كان المقسم عليه في سورة الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدم الضحى لحسنه. [٥-٨] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل: ٥-٨]. إن قيل: كيف قابل ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ بـ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾؟ وهل يمكن للعبد أن يستغني عن ربه طرفة عين؟ قيل: هذا من أحسن المقابلة، فإن المتقي لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته إلى ربه اتقاه، ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقته بارتكاب ما نهاه عنه، فإن من كان فقيرًا شديد الحاجة والضرورة إلى شخص، فإنه يتقي غضبه وسخطه عليه غاية الاتقاء، ويجانب ما يكرهه غاية المجانبة، ويعتمد فعل ما يحبه ويؤثره، فقابل التقوى بالاستغناء تشنيعًا لحال تارك التقوى، ومبالغة في ذمه بأن فعَلَ فِعلَ المستغني عن ربه لا فعل الفقير المضطر إليه الذي لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا غنى له عن فضله وجوده وبره طرفة عين، فلله ما أحلى هذه المقابلة، وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها، وللشرور كلها وأسبابها!.

[٧، ١٠] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠]. قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾، وبعده: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: سنهيِّئه للحالة اليسرى، والحالة العسرى، وقيل: الأولى الجنَّة، والثانية النَّار، وجاءَ في الخبر "كل ميَّسر لما خُلِق له". متفق عليه.

[١٥] ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ قرئ: (فلا يخاف) بالفاء للمساواة بينه وبين ما قبله من قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ .. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ووحَّد في ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ لأن العاقر كان واحداً لكنه نسب العقر لجميعهم؛ لرضاهم بفعل ذلك الواحد. وقرئ: (ولا يخاف) بالواو إما للحال من العاقر أي: فسواها غير خائف، أو الواو لاستئناف الإخبار.

نزول سورة الشمس: نزلت بعد سورة القدر، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الشمس:** أربع وخمسون. **عدد حروف سورة الشمس:** مائتان وأربعون. **أسماء سورة الشمس:** سمِّيت سورة والشمس؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الشمس:** مقصود السّورة: أنواع القَسَم المترادفة، على إلهام الخَلْق في الطّاعة والمعصيّة، والفلاح والخَيْبة، والخبرُ عن إهلاك ثمود، وتخويف أهل مكّة. **نزول سورة الليل:** نزلت بعد سورة الأعلى، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الليل:** إحدى وسبعون. **عدد حروف سورة الليل:** ثلاثمائة وعشرة. **أسماء سورة الليل:** قيل لها سورة اللَّيل؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الليل:** مقصود السّورة: القسم على تفاوتُ حال الخَلق في الإساءة والإحسان، وهدايتُهم إلى شأن القرآن، وترهيب بعض بالنار، وترغيبُ بعض بالجنان، والبدارُ إلى الصّدقة كفارةً للذنوبِ والعصيان، ووعد بالرضا من الرحمن =

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

١٥- ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾: لا يدخلها ويصير صِلاءها، أي وقودها. ١٧- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾: سيوقى صَلِيَّ النار التي تلظى التقيُّ، والمراد بالأتقى -هنا- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في قول جميع المفسرين. ١٩، ٢٠- ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: من يد يُكافئه عليها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾: التماس ثواب ربه. ٢١- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: أي في الآخرة. وهذه عِدَةٌ وعَدها الله تعالى أبا بكر الصديق.

سُورَةُ الضُّحَىٰ ١، ٢- ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: أقسم الله عز وجل بالضحى، وهو سطوع الضوء. وقيل: النهار كله. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: ثبت بظلامه، وسكن بأهله. ٣- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: ما أبغضك. وكان جبريل قد أبطأ عن رسول الله ﷺ حتى قال المشركون: ودَّعَ محمداً ربُّه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾. ٦- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾: جعل لك مأوى تأوي إليه. ومنزلاً تنزله. ٧- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾: على غير الذي أنت عليه اليوم ﴿فَهَدَىٰ﴾: فهداك للذي أنت عليه اليوم؛ أي: وجدك بعيداً، أو غافلاً عما يُراد بك من أمر النبوة فهداك إليها. ٨- ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقيراً. ٩- ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: بأي وجه من وجوه القهر. وقيل: لا تظلمه حقه، استضعافاً منك له.

سُورَةُ الشَّرْحِ ١- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: ألم نشرح يا محمد للهدى صدرك، فنليّن لك قلبك، ونجعله وعاءً للحكمة والنبوة، والاستفهام إذا دخل على النفي قرره، فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك. ٢- ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: حططنا عنك ثِقل أيام الجاهلية، وما كنت تحمله من همّ ما عليه قومك من الشرك وعبادة الأصنام. ٣- ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أثقل ظهرك. ٤- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: بالنبوة والرسالة. يقول عز وجل: فلا أُذكر حتى تُذكر معي. قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة. ٥- ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾: يقول عز وجل: إن مع الشدة التي أنت فيها، ومزاولة ما أنت بسبيله رجاءً وفرجاً. ٧- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من شُغلك ﴿فَٱنصَبْ﴾: في عبادة الله، والاجتهاد فيما يُقرِّبك منه. والنصب: التعب. ٨- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾: فاجعل رغبتك، إليه وحده، دون مَن سواه، فلا تطلب حاجاتك إلا منه، ولا تُعوِّل في جميع أمورك إلا عليه سبحانه وتعالى.

= آخر السورة، وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصديق. [١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد وُدِّعَ محمدٌ، فنزلت. وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أيامًا لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ الآيات. وأخرج الطبراني، وابن أبي شيبة في مسنده، والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميسرة القرشي، عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ: أن جروًا دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتيني، فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ يرعد بجبته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى قوله ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾. قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، ولكن كونها سبب نزول الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح. وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فنزلت. وأخرج أيضا عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدًا، فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك، فنزلت. وكلاهما مرسل، رواتهما ثقات. قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلًا من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالته شماتة، وخديجة قالته توجعًا. [٤] قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: عُرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني، فأنزل الله: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ إسناده حسن. [٥] قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل، والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كفرا كفرًا، أي قرية قرية، فسر به، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾. [٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال: نزلت لما عيَّر المشركون المسلمين بالفقر. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «أبشروا أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين».

[١-٢] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢]، ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]. لماذا قدم القسم بالليل في سورة الليل، وقدم القسم بالنهار في سورة الضحى؟ **الجواب:** لما كان المقسم عليه في سورة الليل سعي الإنسان وغالبه المعاصي؛ قدم الليل الذي هو مظنة الظلمة، ولما كان المقسم عليه في سورة الضحى لطفه بنبيه ﷺ قدم الضحى لحسنه. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]. ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾، أي: عن معالم النبوّة، وأحكام الشريعة فهداك إليها، أو ضالًا في صغرك في شعاب مكة، فردّك إلى جدّك عبد المطلب، أو وجدك ناسيًا، فهداك إلى الذكر.

[٥، ٦] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]. إنَّ مع العسر الّذي أنت فيه من مقاساة الكفار يُسْرًا عاجلًا، إنَّ مع العسر الّذي أنت فيه من الكفار يُسْرًا آجلًا، واليسر الثاني غير اليسر الأول بدليل تنكيره، والعسر الأول هو الثاني بدليل تعريفه باللام -قاعدة لغوية: النكرة إذا كررت تكون الأولى غير الثانية، والمعرفة إذا كررت تكون الأولى عين الثانية-، وبذلك يكون العسر واحدًا واليسر اثنين، وفي الحديث "لن يغلِب عُسر يُسْرَيْن". أخرجه الطبراني مرسلًا. [١، ٢] ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]. قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، أي: أوجِد القراءة مبتدئًا باسم ربك، واقرأ الثانية تأكيدٌ للأولى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، أي: الخلائق، وخصّ قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ بالذكر مع دخوله في الأول؛ لشرفه ونزول القرآن إليه. [١-٥] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ٣]، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. لماذا قدم التعليم على الخلق في الرحمن، وقدم الخلق على التعليم في العلق؟ **الجواب:** سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن، ولم يكن القرآن معهودًا للنبي ﷺ ولا =

= المنّان. **نزول سورة الضحى:** نزلت بعد سورة الفجر، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الضحى:** أربعون. **عدد حروف سورة الضحى:** مائة واثنان وسبعون. **أسماء سورة الضحى:** سمّيت الضُّحى؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الضحى:** معظم مقصود السّورة: بيان ما للرّسول ﷺ: من الشرف والمنقَبة، ووعده في القيامة بالشفاعة، وذكر أنواع الكرامة له، والمِنّة، وصيانة الفقر واليُتم من بين الحرمان والمذلّة، والأمر بشكر النِّعمة. **نزول سورة الشرح:** نزلت بعد سورة الضحى، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الشرح:** ستّ وعشرون. **عدد حروف سورة الشرح:** مائة وخمسون. **أسماء سورة الشرح:** وسمّيت الشرح لمفتتحها. **مواضيع سورة الشرح:** معظم مقصود السّورة: بيان شرح صدر المصطفى ﷺ ورفعُ قدرِهِ وذكرِهِ، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطّاعة في انتظار أجره، والرّغبة إلى الله تعالى والإقبال على ذكره.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سُورَةُ التِّينِ ١- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: قيل: هو التين الذي يؤكل، والزيتون الذي يُعصر، أقسم الله بهما. وقيل: القسم بمنابتهما: دمشق وبيت المقدس. ٢- ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: هو جبل موسى عليه السلام ومسجده. ٣- ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة. ٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: فطرة واستعداداً. وقيل: في أعدل خلق، وأحسن صورة. ٥- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه، وبيّنه له. ٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص. ٧- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾: الخطاب للإنسان، والاستفهام للتقريع وإلزام الحجة، أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردك أسفل سافلين، فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء. ٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: كان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين». أخرجه أبو داود والترمذي، وغيرهما، وضعفه الألباني. **سُورَةُ العَلَقِ** ١، ٣- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: اقرأ يا محمد بذكر ربك ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: ثم بيّن، فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: يعني: من الدم. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾: الذي أمرك بالقراءة هو ﴿الْأَكْرَمُ﴾: فهو سبحانه قادر على إزاحة ما اعتذر به ﷺ من قوله: «ما أنا بقارئ». ٦، ٧- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾: ليتجاوز حده، ويستكبر على ربه ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾: لأن رأى نفسه استغنت. ٩، ١٠- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾:!؟ قيل نزلت هذه الآية في أبي جهل، وذلك أنه قال: لئن رأيتُ محمداً يصلي لأطأنّ على عُنُقه. ١١- ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾: يعني: إن كان محمد على استقامة، وسدادٍ في صلاته لربه. ١٣- ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: إن كذّب أبو جهل بما بعث الله به محمداً، وأدبر عنه. ١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾: أبو جهل، إذ ينهى محمداً ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾: يراه فيخاف سطوته. ١٥، ١٦- ﴿كَلَّا﴾: يقول عز وجل: ليس الأمر كما يزعم أبو جهل من أنه يطأ عنق محمد ﷺ، فإنه لا يقدر على ذلك، ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: أبو جهل ﴿لَنَسْفَعًا﴾: لنُسوِّدنّ وجهه ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: اكتفى بذكر الناصية من الوجه، إذ كانت في مقدم الوجه، والمعنى: لنأخذنّ بناصيته، ولنجرّنّه إلى النار. ١٦- ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾: وصف الناصية بالكذب والخطيئة. والمعنى لصاحبها. ١٧- ﴿فَلْيَدْعُ﴾.. أبو جهل ﴿نَادِيَهُ﴾: أهل مجلسه، وأنصاره من عشيرته. ١٨- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: سندعو ملائكة تدفعه إلى النار. ١٩- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾: لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾.. لربك ﴿وَاقْتَرِب﴾.. منه بالتّحبُّب إليه، فإن أبا جهل لا يقدر على ضرِّك، ونحن نمنعك منه. قال ابن عباس: «لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته». رواه الترمذي وغيره، وصححه الشيخ الألباني.

[٥] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فسئل عنهم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. [٦] قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: قال: أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقال: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ الآيات. [٩] قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه، فأنزل الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾. [١٧] قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ قال الترمذي: حسن صحيح.

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤]. لا مناقضة بين الآيتين؛ لأنَّ معنى آية التين عند كثير من المفسّرين أنه منتصِب القامة معتدلها، فيكون في معنى أحسن تقويم، ولمراعاة الفواصل في السّورتين جاءَ على ما جاءَ، والمشهور عند المفسرين أن معنى "كبد"، أي: في مشقة وشدة، وهو لا ينافي أنه في أحسن تقويم، فهو منتصب القامة معتدلها، ومع ذلك يقاسي شدائد في حياته. [٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق : ٢٥]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين : ٦]. لماذا جاءت آية سورة التين بزيادة "فاء"؟ **الجواب**: الاستثناء في سورة التين متصل فتم الكلام به، والاستثناء في سورة انشقت منقطع بمعنى "لكن" فلم يتم الكلام به، والمراد بـ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين : ٥]، هَرَمُهُ وضعفه وضعف حواسه، وعدم قدرته على الأعمال، فصار تقديره: لكن من كان يعمل صالحًا، فإنا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم.

= لغيره، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل لما نزل بها: لست بقارئ، وسورة الرحمن نزلت بعد معرفة القرآن وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة اقرأ أنسب من القرآن الذي لم يعهده، وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي نعرفه والمنة به في سورة الرحمن أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد. [١، ٢، ٣] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ٢]، ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر : ٣]. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وبعده: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ثم قال: ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فصرّح به، وكان حقّه الكناية؛ رفعًا لمنزلتها؛ فإنَّ الاسم قد يُذكر بالصّريح في موضع الكناية تعظيمًا وتخويفًا. كما قال الشّاعر: لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ * نغص الموتُ ذا الغنى والفقيرا. فصرّح باسم الموت ثلاث مرّات؛ تخويفًا. وهو من أبيات كتاب سيبويه. [٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت : ٣٠]، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ

[٧] ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ قوله تعالي: ﴿أَن رَّآهُ﴾ قرئ: (رأه) بقصر الهمزة بلا ألف. وقرئ: (رآه) بالمد، وقد وجه الحذف بأن بعض العرب يحذف لام مضارع رأى تخفيفا، ومنه قولهم: أصاب الناس جهد ولو ترَ أهل مكة، فلما حذفت في (تر) لغير جازم حذفت في رأي كذلك، وهو بعيد في القياس والنظر والاستعمال، بل قيل: إنها لغة عامة، وحيث صحت الرواية به وجب قبوله.

[١٦] ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق : ١٦]. **إصدار القرارات**: وجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة، أنها أشارت بدقة علمية متناهية إلى أن القشرة الجبهية الأمامية المختفية في عمق ناصية الإنسان هي مركز القرار عنده لضبط تصرفاته من حيث الصدق والكذب والخطأ والصواب والاتزان والانحراف، وهذا ما كشفت عنه الدراسات العلمية الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين.

نزول سورة التين: نزلت بعد سورة البروج، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة التين**: أربع وثلاثون. **عدد حروف سورة التين**: مائة وخمسون. **أسماء سورة التين**: سمّيت التين لمفتحها. **مواضيع سورة التين**: مقصود السّورة: القَسَم على حُسْنِ خِلْقة الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم المثوبات الحِسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم. **نزول سورة العلق**: هي أول ما نزل من القرآن الكريم، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة العلق**: اثنتان وتسعون. **عدد حروف سورة العلق**: مائتان وثمانون. **أسماء سورة العلق**: تُسَمَّى بسُورَةُ اقْرَأْ؛ لمفتحها، والعلق لذكره بها. **مواضيع سورة العلق**: معظم مقصود السّورة: ابتداءٌ في جميع الأُمور باسم الخالق الربّ تعالى جلّت عظمته، والمِنّة على الخَلْق بتعليم الكتابة، والحكمة، والشّكايةُ من أهل الضّلالة، وتهديد أهل الكفر والمعصية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة السّاجدين بالقُرْبة.

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سُورَةُ القَدْرِ ١- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: يعني: هذا القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: سميت بذلك لعظيم قدرها وشرفها. قال ابن عباس: أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جُملة، ثم نجَّمَه على محمد ﷺ في بعض وعشرين سنة. وقيل: المعنى: إنّا ابتدأنا إنزال هذا القرآن ليلة القدر. ٤- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾: وذكر جبريل وإن كان داخلاً في الملائكة، تعظيماً له وتشريفاً. وسُمي «روحاً» لأنه كان ينزل بالروح- وهو الوحي الذي به حياة الناس- على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بأمر ربهم. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: بكل أمر. قيل: مما قضاه الله تلك السنة من رزق وأجل. ٥- ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾: ليلة القدر من الشر كله، من أولها إلى طلوع الفجر.

سُورَةُ البَيِّنَةِ ١- ﴿مُنفَكِّينَ﴾: منتهين ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: هذا القرآن. والأرجح أن البينة محمد ﷺ، كما فُسرت في الآية التالية. والمعنى: لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة النبي ﷺ حتى بُعث، فلما بُعث حسدوه وجحدوه. ٢- ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يقرأ كتباً مطهرة من الباطل. والمراد: ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن. ٣- ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: في الصحف المطهرة كتب الله عز وجل «قيِّمة»: قائمة عادلة مستقيمة، والمراد بها الآيات والأحكام المكتوبة فيها. ٥- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾: هؤلاء اليهود والنصارى، الذين هم أهل الكتاب ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الطاعة ﴿حُنَفَآءَ﴾: مسلمين، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾: دين الملة المستقيمة العادلة. ٦- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: ماكثين أبداً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: شر من براه الله وخلقه.

[١] قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أخرج الترمذي، والحاكم، وابن جرير، عن الحسن بن علي قال: إن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكها بعدك بنو أمية» قال القاسم الحداني: فعددنا، وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال الترمذي: غريب. وقال المزني وابن كثير: منكر جدًا. وأخرج ابن أبي حاتم، والواحدي عن مجاهد، أن رسول الله ﷺ ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله. [٣] قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

= ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر : ٤]. استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية "تنزّل" لماذا؟ الجواب: الآية الأولى هي عند الموت تتنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشّره بمآله إلى الجنة، أما الثانية فهي في ليلة القدر، والتنزّل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة؛ لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض، فالملائكة في مثل هذه الحالة تتنزّل في كل لحظة وكل وقت، أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر، إذًا التنزّل الأول أكثر استمرارية من التنزّل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملًا غير مقتطع "تتنزّل"، أما في الآية الثانية في الحدث المتقطع اقتطع الفعل "تنزّل". [٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة : ٤]. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أي: وهم اليهود والنصارى، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾، أي: محمد ﷺ، أو القرآن. المعنى أنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فلما جاء تفرّقوا، فمنهم مَن كفر بغيًا وحسدًا، ومنهم من آمن. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [العاديات : ١١]. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ كيف قال ذلك، مع أنه تعالى خبير بهم في كل زمن؟ الجواب: معناه: أنّ ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فتجوز بالعلم عن المجازاة، كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء : ٦٣]، أي مجازيهم على ما فيها. [٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه : ١٠٥-١٠٦]، ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل : ٨٨]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٥]. لا تعارض بين الآيات الثلاث؛ لأنها تذكر أحوالًا مختلفة يوم القيامة، ففي أول الأمر تسير الجبال كسير السحاب، وكأنها واقفة مكانها من كبر حجمها، ثم تتضاءل فتصبح كالعهن، وهو الصوف المنفوش، ثم تنسف فتترك أماكنها أرضًا مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع. [٦] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة : ٦]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة : ٨]. قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، ثمّ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع ميزان، وله كفتان وعمود ولسان، وإنّما جمع لاختلاف الموزونات، وتجدّد الوزن، وكثرة الموزون، أو جمع على أنّ كلّ جزءٍ منه بمنزلة ميزان. [٦-٧] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة : ٦-٧]. أما العيشة الراضية فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية، فإنها اللائقة بهم، فشبه ذلك برضاها بهم كما رضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمله. [٣، ٤، ٥] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٣]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٤]، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٥]. "كلا" في المواضع الثلاثة، قيل: للردع والزجر عن التكاثر، وقيل: بمعنى "حقًا"، وقيل: الأولان للردع والزجر، والثالث بمعنى حقًا. [٣، ٤] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٣]، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٤]. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ذكره مرتين للتأكيد، أو الأول للقبر، والثاني للقيامة، أو الأول للكفار، والثاني للمؤمنين.

[٥] ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَطْلَعِ﴾ قرئ: (مطلِع) بكسر اللام على أنه مصدر أو "اسم مكان" نادر أن يأتي بالكسر، وحقه الفتح كالمدخل والمخرج من دخل يدخل، وخرج يخرج، وقد أتت له نظائر بالكسر خارجة عن القياس نحو: المسجد والمحيض. وقرئ: (مطلَع) بفتحها وهو القياس، والكسر سماعي، وهما مصدران، أو المكسور "اسم زمان" والمفتوح "مصدر". [٦] ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قوله تعالى: ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قرئ: (البريئة) بالهمز، فهي فعيلة من برأ الله الخلق. وقرئ: (البرية) من غير همزة.

نزول سورة القدر: نزلت بعد سورة عبس، وهي مكيّة عند بعض المفسّرين، مدنية عند الأكثرين. **عدد كلمات سورة القدر:** ثلاثون. **عدد حروف سورة القدر:** مائة واثنتا عشرة. **أسماء سورة القدر:** سمّيت سورة القَدْر؛ لتكرُّر ذكره فيها. **مواضيع سورة القدر:** معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نصّ القرآن، ونزول الملائكة المقرّبين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طَوال اللّيل على أهل الإيمان. **نزول سورة البينة:** نزلت بعد سورة الطلاق، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة البينة:** أربع وسبعون. **عدد حروف سورة البينة:** ثلاثمائة وتسعة وتسعون. **أسماء سورة البينة:** لها ثلاثة أسماء: البينة، وسورة المنفكّين؛ لذكرهم بها، وسورة القيِّمة؛ لذكرها بها. **مواضيع سورة البينة:** معظم مقصود السّورة: بيان تمرّد أهل الكتاب، والخبرُ عن صحة أحكام القرآن، وذكر وظيفة الخَلْق في خدمة الرحمن، والإشادة بخير البريّة من الإنسان، وجزاء كلّ أحد منهم بحسب الطّاعة والعصيان، وبيان أنّ موعود الخائفين من الله الرّضا والرضوان. **فضل سورة البينة:** قال رسول الله ﷺ: لأُبيّ بن كعب: "يا أُبَيّ إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾" قال أُبيّ: وسمّاني؟! قال ﷺ: "نعم" فبكى أُبيّ. أخرجه أحمد والبزار وغيرهما، وصححه الأرناؤوط.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

٨- ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: عَدِنَ بالمكان: أقام فيه، أي لا يخرجون من هذه الجنات ولا يظعنون عنها ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: أي ذلك الجزاء والرضوان لمن خاف ربه. **سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ** ١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾: فَرُجَّت رجاً. و«الزلزال»- بكسر الزاي- مصدر، ذُكر للتأكيد، وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو من صفتها. والمعنى: زلزالها المخصوص الذي يستحقه ويقتضيه جِرْمُها وعِظَمُها. ٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: ما في بطنها من الموتى أحياء. وقيل: أخرجت موادّها وكنوزها. ٣، ٤- ﴿مَا لَهَا﴾: ما للأرض؟ وما قصتها؟! ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي: تُنبئُ الأرض أخبارها، بالزلزلة والرجة وإخراج الموتى من بطونها، وقيل: تُحدِّث بما عُمل عليها من خير وشر. ٥- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: بسبب وحي الله عز وجل ذلك إليها، وأمره. ٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب أشتاتاً، أي متفرقين. ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: ما أعد الله لهم على أعمالهم، من كرامة أو عذاب. ٧- ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: وزن نملة حمراء، وقيل: الذر: ما يُرى في شعاع الشمس. **سُورَةُ الْعَادِيَاتِ** ١- ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: عنى بها: الخيل التي تعدو، وتجري بسرعة. والضَّبحُ من الخيل: الحمحمة، وقال الفراء: الضبح: صوت أنفاس الخيل إذا عدَت. ٢- ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: قيل: الخيل التي تُوري النيران قدحاً بحوافرها. ٣- ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: إذا أغارت بالصباح. ٤- ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أثارت بحوافرها التراب، فارتفع منه الغبار، و«النقع»: الغبار. ٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: يقول عز وجل: فوسطن بركبانهن جمع القوم، الذين أغير عليهم. ٦- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: لكفور، يعد المصائب، وينسى النعم. ٧- ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: لشاهد على كنوده ربه، يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه. ٩- ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾: إذا أُخرج ما فيها.

[٧، ٨] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. [١] قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أخرج البزار، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا، ولبث شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

[٧، ٨] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٨]. تكررت الآية مرتين، لأنّ الأولى متصلة بقوله: ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾، والثانية متصلة بقوله: ﴿شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

[٥، ٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة : ٩٥]، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٥]، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٧]. قال ابن تيمية: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر، و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ما شاهده وعاينه بالبصر، و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار. فالأول مثل من أخبر أن هناك عسلًا، وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده. والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى. والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أُزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذ: حق اليقين. قال ابن القيم عن منزلة اليقين: هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافسَ المتنافسون، وإليه شمَّر العاملون، وعملُ القوم إنما كان عليه وإشاراتُهم كلُّها إليه، وإذا تزوَّج الصبر باليقين وُلد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤]، وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات : ٢٠]، وخصَّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالَمين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥]، وأخبر عن أهل النار أنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية : ٣٢]، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصِّدِّيقية، وهو قُطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة : ٢]. **إخراج الأرض أثقالها**: اكتشف العلم الحديث أن باطن الأرض ثقيل ثقيل، وكلما يكون ثقيلًا يكون جذبُه قويًا، وكلما زاد العمق في باطن الأرض كلما زادت الأرض ثقلًا حتى تصل إلى قرب قلب الأرض، فنجد سائلًا ثقيلًا يدور حول قلب الأرض ينشأ عن دورانه خطوط الجاذبية المغناطيسية. متى تخرج الأرض أثقالها؟! أخبر القرآن عن إخراج الأرض أثقالها، إذا زلزلت الأرض زلزالها أي يوم القيامة.. ولكن لم تخرج هذه الأثقال؟ وأين الجاذبية حينها؟! يقول الدكتور «ستيفلز الأمريكي» الذي حضر مؤتمرًا مشتركًا مع عدد من المسلمين لتفسير قوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ قال: أثقال الأرض في باطنها (أي صرح العلم بهذا حديثًا، وذكره القرآن الكريم قديمًا). وستخرج هذه الأثقال (أي كما أخبر بذلك القرآن)، وماذا بعد؟ قال: تقول آية أخرى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾. لِمَ تُمَدُّ الأرض وَتُلقِي ما فيها، وتخرج أثقالها. (تتخلى عنها)؟ تأمل تتخلى.. إذًا هي كانت تمسك بها (بأثقالها)، كيف؟! هل هناك ما يجذب هذه الأثقال بداخل الأرض.. نعم.. إنها جاذبية أرضية.. أشار إليها القرآن قديمًا، وما عرفها العالم إلا حديثًا؛ ولكن ما السبب في هذه الجاذبية؟ إنها أثقال الأرض في باطنها.. وصدق الله العظيم.. ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

نزول سورة الزلزلة: نزلت بعد سورة النساء، وهي مَكّية. **عدد كلمات سورة الزلزلة**: خمس وثلاثون. **عدد حروف سورة الزلزلة**: مائة وتسعة عشر. **أسماء سورة الزلزلة**: سمّيت سورة الزلزلة؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة الزلزلة**: معظم مقصود السّورة: بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر جزاءِ الطّاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العَدْل. **فضل سورة الزلزلة**: قال رسول الله ﷺ: "﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون : ١] تعدل ربع القرآن". رواه الترمذي. وصححه الألباني. **نزول سورة العاديات**: نزلت بعد سورة العصر، وهي مكّيّة. **عدد كلمات سورة العاديات**: أربعون. **عدد حروف سورة العاديات**: مائة وستّون. **أسماء سورة العاديات**: سمّيت سورة العاديات؛ لمفتتحها. **مواضيع سورة العاديات**: معظم مقصود السّورة: بيان شرف الغُزاة في سبيل الرّحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الدّيّان، على الإسرار والإعلان، وذمّ محبّة ما هو فان، والخبر عن إحياءِ الأموات بالأجساد والأبدان، وأنّه تعالى خبير بها للخلق من الطّاعة والعصيان. **نزول سورة القارعة**: نزلت بعد سورة قريش، وهي مكّيّة. **عدد كلمات سورة**

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: أبرز، وميّز ما في صدور الناس. ١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾: لا تخفى عليه منهم خافية، والمعنى: أنه يجازيهم على أعمالهم في ذلك اليوم.

سورة القارعة ١- ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: الساعة التي تقرع قلوب الناس بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب، وهي من أسماء القيامة. ٢، ٣- ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: أكد الاستفهام لشدة هول القيامة ومزيد فظاعتها، حتى لكأنها خارجة عن إدراك الخلق. ٤- ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: هو الذي يتساقط في النار والسراج. والمبثوث: المفرّق المتشر. شبه الناس في الكثرة والانتشار والضعف والتطاير إلى الداعي بتطاير الفراش إلى النار. ٥- ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: «العهن»: الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة. ٦- ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: موازين حسناته، وعنى بالموازين: الوزن. ٧- ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: مرضية يرضاها صاحبها في الجنة. ٨، ٩- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: رجحت سيئاته على حسناته، أو لم يكن له حسنات يُعتد بها ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: فمسكنه جهنم، وسماها أمه لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه. وقيل: فمصيره إلى النار لأنه يهوي فيها على أمّ راسه.

سورة التكاثر ١، ٢- ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد، والتفاخر بكثرتها ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. ٣- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ردع وزجر لهم عن هذا التكاثر، وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة. ٤- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يُلهيكم التكاثر بالأموال، قال الفراء: هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد. ٥- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علماً يقيناً كعلمكم ما هو مُتيقّن عندكم في الدنيا، ما ألهاكم التكاثر عن طاعة ربكم، ولَسَارعتم إلى عبادته. ٧- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والمعاينة. ٨- ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة.

[١] قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحرث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان. وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ ومثل فلان؟ يشيرون إلى القبر، وتقول الأخرى مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾. وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في عذاب القبر.

[٦، ٧] ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. أعاده تأكيداً، أو الأول قبل دخولهم الجحيم، والثاني بعده، ولهذا قال عقبه: ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، أو الأول من رؤية العين، والثاني من رؤية القلب. [٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. الآية تعم المؤمن والكافر، فالمؤمن يُسأل عن شكر النعمة، والكافر يُسأل عنها سؤال توبيخ.
[١-٣] ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. دلت الآيات على أن الحق ثقيل وأن المحن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي. [٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. كرّر لاختلاف المفعولين، وهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ و﴿بِٱلصَّبْرِ﴾، وقيل: لاختلاف الفاعلين. [٢] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٢]. ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ فيه اشتباه، ويحسن الوقف على ﴿لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، حيث لم يصلح أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ وصفًا له، ولا بدلًا عنه، ويجوز أن يكون رفعًا بالابتداء بحسب خبره، ويجوز أن يرفع بالخبر، أي: هو الذي جمع، ويجوز أن يكون نصبًا على الذم، بإضمار أعني، ويجوز أن يكون جرًّا بالبدل من قوله: ﴿لِّكُلِّ﴾ [الهمزة: ١].

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ قرئ: (لَتُرَوُن) بضم التاء مبنيا للمفعول، مضارع أرى معدى رأى البصرية بالهمز لاثنين، رُفِع الأول: على النيابة، ويبقى الثاني وهو ـ الجحيم ـ منصوبًا؛ وأصله لترأيون كتكرمون، نقلت حركة الهمزة إلى الراء فانقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت للساكنين ودخلت النون ثقيلة، وحذفت نون الرفع، وحركت الواو للساكنين، ولم تحذف لأنها علامة جمع وقبلها فتحة، ولو كانت ضمة لحذفت نحو ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. وقرئ: (لَتَرَون) بفتح التاء مبنيا للفاعل مضارع رأى، وعلته وأصله كما ذكر مع التعليل في قراءة الضم. = القارعة: ستّ وثلاثون. عدد حروف سورة القارعة: مائة وخمسون. أسماء سورة القارعة: سمّيت بالقارعة، لمفتتحها. مواضيع سورة القارعة: معظم مقصود السّورة: بيان هيبة العَرَصات، أي القيامة ومواقفها، وتأثيرها في الجمادات والحيوانات، وذكر وَزن الحسنات والسّيئات، وشرح عيش أهل الدرجات، وبيان حال أصحاب الدّركات. نزول سورة التكاثر: نزلت بعد سورة الكوثر، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة التكاثر: ثمانٍ وعشرون. عدد حروف سورة التكاثر: مائة وعشرون. أسماء سورة التكاثر: سمّيت سورة التكاثر؛ لمفتتحها. مواضيع سورة التكاثر: معظم مقصود السّورة: ذمّ المُقبِلين على الدّنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أنّ عاقبة الكلّ الموت والزَّوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعدّ الله للمتمولين المذلّة والسّؤال، والحساب والوبال. نزول سورة العصر: نزلت بعد سورة الشرح، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة العصر: أربع عشرة. عدد حروف سورة العصر: ثمانية وستون. أسماء سورة العصر: سمّيت بسورة العصر؛ لمفتتحها. مواضيع سورة العصر: مقصود السّورة: بيان خسران الكفّار والفجّار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبّار. نزول سورة الهمزة: نزلت بعد سورة القيامة، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة الهمزة: ثلاث وثلاثون. عدد حروف سورة الهمزة: مائة وثلاثون. أسماء سورة الهمزة: سمّيت سورة الهُمَزة، لمفتتحها، وسورة الحُطَمَة؛ لذكرها فيها. مواضيع سورة الهمزة: معظم مقصود السّورة: عقوبة العَيّاب المغتاب، وذمّ جَمْع الدّنيا ومنعه، أي منع الدنيا، وبيان صعوبة العقوبة. نزول سورة الفيل: نزلت بعد سورة الكافرون، وهي مكّية إجماعاً. عدد كلمات سورة الفيل: ثلاث وعشرون. عدد حروف سورة الفيل: ثلاثة وتسعون. أسماء سورة الفيل: سمّيت سورة الفيل؛ لمفتتحها. مواضيع سورة الفيل: معظم مقصود السّورة: بيان جزاءِ الأجانب، ومكرهم، وردُّ كيدهم في نحرهم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين. نزول سورة قريش: نزلت بعد سورة التين، وهي مَكّيّة. عدد كلمات سورة قريش: تسع عشرة. عدد حروف سورة قريش: ثلاثة وسبعون. أسماء سورة قريش: سمّيت سورة قريش؛ لذكر أُلفتهم فيها. مواضيع سورة قريش: معظم مقصود السّورة: ذكر المِنَّة على قريش، وتحضيضهم على شكر الإحسان، ومعرفة قَدْر النِّعمة والعاقبة والأمان. نزول سورة الماعون: نزلت بعد سورة التكاثر، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة الماعون: خمس وعشرون. عدد حروف سورة الماعون: مائة وخمسة وعشرون. أسماء سورة الماعون: سمّيت سورة الماعون؛ لذكره بها. مواضيع سورة الماعون: معظم مقصود السّورة: الشكاية من الجافين على الأيتام

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ العَصْرِ ١- ﴿وَالْعَصْرِ﴾: اقسم ربنا بالعصر، والعصر اسم للدهر، أي الزمان. وقيل: إنه آخر النهار. ٢- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان وضلال عن الحق. ٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، فإنهم في ربح لا في خُسر لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها. واستثنى «الذين آمنوا» من «الإنسان» لأن الإنسان بمعنى الجمع لا بمعنى الواحد. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى عنه ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصي، وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده. **سُورَةُ الهُمَزَةِ** ١- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: عذاب أو هلاك لكل هُمزة، أي لكل مُغتاب للناس، ﴿لُّمَزَةٍ﴾: يعني باللمزة: الذي يعيب الناس ويطعن فيهم. وقال سفيان الثوري: الهمز باللسان، واللمز بالعين. ٢- ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: الذي جمع مالاً وأحصى عدده، ولم يُؤد حق الله فيه، وإنما وصفه الله تعالى بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب والعلة في الهَمز واللمز، وهو إعجابه بما جمع من المال، وظنه أنه الفضل والشرف والحياة!! ٣- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، مُخْلِده في الدنيا، فمزيلٌ عنه الموت، بمعنى: أنه يعمل عمل من يظن ذلك! ٤- ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾: ليُقذفَنَّ فيها. وسميت النار حُطمة لأنها تحطم كل ما يُلقى فيها. وتهشُمه. ٧- ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: اي يخلُص حرها إلى القلوب حتى يغشاها اللهب. ٨- ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة مغلقة عليهم. ٩- ﴿فِي عَمَدٍ﴾: من حديد مغلولين فيها، وتلك العَمَد ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾: اي مُطوّلة، وقيل: هي أغلال في جهنم. **سُورَةُ الفِيلِ** ١- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: «ألم تر»: ألم تعلم، وهو تعجيب له ﷺ -ولسائر المخاطبين من بعده- بما فعله الله «بأصحاب الفيل» وهم قوم أبرهة الحبشي الأشرم الذين قَدِم بهم من اليمن -يتقدمهم الفيل- يريدون هدم الكعبة. ٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: بمعنى: لقد جعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضييع وإبطال، فأحبط الله مكرهم. ٣- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: قال أبو جعفر: «وأرسل عليهم ربك طيراً متفرقة -أي جماعات جماعات- يتبع بعضها بعضاً من نواحٍ شتى». ٤- ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين مطبوخ كالآجُرّ فاهلكهم. ٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: قال أبو جعفر: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرقت أجزاؤه. وقيل صاروا كورق زرعٍ قد أكلت منه الدواب، وبقي منه بقايا. وقد وُلد النبي ﷺ عام الفيل، وكان ردُّ أبرهة عن البيت الحرام إرهاصاً ومقدمة بين يدي بعثته الشريفة ﷺ.

[١] قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن عثمان، وابن عمر قالا: ما زلنا نسمع أن: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ نزلت في أبي بن خلف. وأخرج عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق. وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي. وأخرج ابن منذر عن ابن إسحاق قال: كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ السورة كلها. [١] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر : ٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل : ١]. ألم تر أيها الرسول كيف فعل ربُّك بقوم عاد، فهذا ما دلت عليه آية الفجر، أما آية الفيل: ألم تعلم أيها الرسول كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟ [١] ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ ... الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش : ٤]. لماذا قدم الشتاء على الصيف والجوع على الخوف في سورة قريش؟ الجواب: المعروف أن حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من الصيف، والخوف في الصيف أكثر؛ لأنه فيه يكثر قطّاع الطرق والزواحف، لذا قدّم تعالى الشتاء والخوف على الصيف والجوع، وقال أيضًا أطعمهم ولم يقل أشبعهم؛ لأن الإطعام أفضل من الإشباع. ولقد جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل للتركيز على الأمن في البيت الحرام بعد عام الفيل، والله أعلم. [٤] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٥]. كيف توعّد الله الساهي عن الصلاة، مع أنه غير مؤاخذ بالسهو، لخبر: "رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطأُ وَالنِّسْيَانُ". أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني؟ الجواب: المراد بالسهو هنا: التغافل والتكاسل عن أدائها، وقلة الالتفات إليها، وذلك فعل المنافقين، أو الفسقة من المسلمين، لا ما يتفق فيها من السهو بالوسوسة، أو حديث النفس، مما لا صنع للعبد فيه. [٥، ٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٥]، ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون : ٦]. قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ كرّره ولم يقتصر على مرّة واحدة؛ لامتناع عطف الفعل على الاسم، ولم يقل: الَّذين هم يمنعون؛ لأنّه فعل، فحسن العطف على الفعل. [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ قوله تعالى ﴿جَمَعَ﴾ قرئ: (جمَّع) بتشديد الميم على المبالغة، وليوافق (وعدده) على معنى تكثير الجمع، أي: جمع شيئًا بعد شيء. وقرئ: (جمَع) بتخفيفها في الأصل للفعل، وقيل: التخفيف لما يجمع في قرب ويسرعة لوقت الجمع. [٩] ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ قوله تعالى ﴿عَمَدٍ﴾ قرئ: (عُمُد) بضم العين والميم جمع كرَسول ورُسُل، أو عماد ككتاب وكتب. وقرئ: (عَمَد) بفتحتين فقيل: اسم جمع، وقيل: هو جمع لعمود كذلك. = والمساكين، وذمّ المقصّرين والمرائين، وما نعي نفع المعونة عن الخيرات والمساكين. **نزول سورة الكوثر**: نزلت بعد سورة العاديات، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الكوثر**: عشر. **عدد حروف سورة الكوثر**: اثنان وأربعون. **أسماء سورة الكوثر**: سمّيت سورة الكوثر؛ لذكره فيها. **مواضيع سورة الكوثر**: معظم مقصود السّورة: بيان المِنّة على سيّد المرسلين، وأمره بالصّلاة والقُربان، وإخباره بإهلاك أعدائه أهل الخيبة والخذلان. **نزول سورة الكافرون**: نزلت بعد سورة الماعون، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة الكافرون**: ثمانٍ وعشرون. **عدد حروف سورة الكافرون**: أربعة وتسعون. **أسماء سورة الكافرون**: سمّيت سورة الكافرون؛ لمفتتحها، وسورة الدّين، لذكره بها. والمقشقشة. قال أبو عبيدة: سورتان من القرآن يقال لهما المقشقِشتان: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، تقشقشان الذنوب كما يقشقش الهناءُ، أي القطران يطلى به، الجرَب. **مواضيع سورة الكافرون**: معظم مقصود السّورة: يأس الكافرين من موافقة النبي ﷺ بالإسلام والأعمال، في الماضي، والمستقبل، والحال، وبيان أن كلّ أحد مأخوذ بماله عليه إقبال، وعليه اشتغال. **فضل سورة الكافرون**: قال رسول الله ﷺ: لأحد أصحابه "اقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؛ فإنها براءة من الشرك" رواه أحمد. وقال رسول الله ﷺ "﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون : ١] تعدل ربع القرآن". رواه الترمذي. **نزول سورة النصر**: نزلت بعد سورة التوبة، وهي مدنيّة. **عدد كلمات سورة النصر**: ستّ وعشرون. **عدد حروف سورة النصر**: أربعة وسبعون. **أسماء سورة النصر**: سُمّيت سورة النّصر؛ لذكره بها وسورة التّوديع، لما فيها من بيان نعي المصطفى ﷺ. **مواضيع سورة النصر**: معظم مقصود السّورة: بيان نعيه، وذكر تمام نُصرة أهل الإسلام، ورغبة الخلق في الإقبال على دِين الهدى، وبيان وظيفة التسبيح والاستغفار، والأمر بالتّوبة في آخر الحال. **نزول سورة المسد**: نزلت بعد سورة الفاتحة، وهي مكيّة. **عدد كلمات سورة المسد**: ثلاث =

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سُورَةُ قُرَيْشٍ ١، ٢- ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾: من ألفتُ الشيء أولفُه إيلافاً: إذا ألِفْتُه ولزمته. واللام في «لإيلاف» قيل: متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾: أي: أمرهم سبحانه أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾: إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. «وقريش» تصغير «قرش» -السمك المعروف- سُمّي به النَّضْرُ بن كنانة، ثم سُمّي به أولاده. ٣، ٤- ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾: أي الكعبة أو مكة. أمرهم سبحانه بعبادته، وذكّرهم بما أنعم عليهم من هاتين النعمتين ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: فلا جوع يصيبهم، ولا خوف يتتابهم. وهما الأمران اللذان قد يعوقان بعض الناس عن عبادة الله سبحانه، والتفكير في آلائه وسائر نعمه. ولهذا كان الأمان من الجوع والخوف شرطاً لابد منه لكل حضارة وتقدم إنساني، والله أعلم. سُورَةُ المَاعُونِ ١، ٣- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: هذا توقيفٌ وتنبيهٌ، ليذكر المخاطبُ كلُّ من يعرفه بهذه الصفة. و«الدِّين»: الجزاء. ﴿فَذَٰلِكَ﴾: هو ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾: أي: يدفعه عن حقه بعنف، ويرده بخشونة وزجر ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾: ولا يبعث أهله أو يحث غيره على بذل طعام الفقير أو المحتاج. ٤، ٥- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾: أي هَلَكَةٌ أو عذابٌ للمصلّين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي الذين يسهون «عن» الصلاة ويلهون عنها، قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها. أما السهو «في» الصلاة فقد يقع لجميع المصلين. ٦- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾: يقصدون بعملهم أن يراه الناس، ولا يفعلونه ابتغاء وجه الله، فهم يراؤون الناس إن صلّوا، أو يراؤونهم بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم. ٧- ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾: قال أبو جعفر: «ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء: منفعته» وقال أكثر المفسرين: الماعون: اسم لما يتعاوره- يتداوله- الناس بينهم في العادة، من الفأس والقِدْر ونحوه، وما لا يمنع كالماء والملح. سُورَةُ الكَوْثَرِ ١- ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾: يا محمد -ﷺ- ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾: الخير الكثير، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إنه نهر في الجنة وَعَدَنِيه ربي فيه خير كثير». ٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: أي اعبد ربك في الدنيا مُراغِماً لقومك الذين يعبدون غير الله ﴿وَٱنْحَرْ﴾: لوجهه وباسمه، مخالفاً لهم في النحر للأوثان. وقيل: المراد: صلاة العيد، ونحرُ الأضحية. ٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: قال أبو جعفر: «أخبر الله تعالى أن مُبغض رسول الله هو الأقل الأذل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية قد نزلت في شخص بعينه».

[١] قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: فضل الله قريشًا بسبع خصال: الحديث، وفيه نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾. [٤] قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الآية قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية. [٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصبر المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر عن عكرمة قال: لما أوحي إلى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاص بن وائل: بتر محمد، فنزلت. وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى الولد القاسم. وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه قال: أنا شانئ محمد. وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب، قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصابئ قد بتر الليلة، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: نزلت يوم الحديبية أتاه جبريل فقال: انحر وارجع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها. قلت: فيه غرابة شديدة. وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله: فيه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ تعزية له. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات، قالت قريش أصبح محمد أبتر، فغاظه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ تعزية له. [١] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشًا وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالًا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، وأنزل ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾. وأخرج عبد الرزاق، عن وهب قال: قالت كفار قريش للنبي ﷺ إن سرك أن تتبعنا عامًا، ونرجع إلى دينك عامًا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن المنذر نحوه عن ابن جريج. وأخرج ابن أبي حاتم، =

[٣] ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة : ٣٤، الماعون : ٣]. تكررت هذه الآية مرتين في القرآن الكريم بنفس النص، في سورتي الحاقة والماعون، وهي تبين حال الإنسان الضال في هذه الدنيا، وتصفه بأنه لا يحث الناس على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.

[١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ قرئ: (لإلاف) بالهمزة من غير ياء مصدر ألف إلافًا ثلاثيًا، ككتب كتابًا، يقال: ألف الرجل إلفًا وإلافًا. وقرئ: (لإيلاف) بياء ساكنة وبهمز، وذلك أنه لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى من غير قياس. [٢] ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ قوله تعالى ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ قرئ: (إلافهم) بهمزة مكسورة بلا ياء كقراءة ابن عامر في الأولى، فهو مصدر ثلاثيّ. وقرئ: (إيلافهم) بالهمزة وياء ساكنه بعدها وهو ظاهر، وجمعًا بين اللغتين.

= وعشرون. عدد حروف سورة المسد: سبعة وسبعون. أسماء سورة المسد: تسمّى سورة تبّت، وسورة أبي لَهَب، وسورة المَسد؛ لذكرها فيها. مواضيع سورة المسد: مقصود السّورة: تهديد أبي لَهَب على الجفاء والإعراض، وضياع كَسْبه وأمره، وبيان ابتلائه يوم القيامة، وذمّ زَوْجه في إيذاءِ النبي ﷺ، وبيان ما هو مدّخَر لها من سوءِ العاقبة. نزول سورة الإخلاص: نزلت بعد سورة الناس، وهي مكّيّة. عدد كلمات سورة الإخلاص: إحدى عشرة. عدد حروف سورة الإخلاص: سبعة وأربعون. أسماء سورة الإخلاص: لها عشرون اسماً: التوحيد، التفريد، التجريد، الإخلاص، النجاة، الولاية، نسبة الرّب. المعرِّفة. الجمال. المقشقشة. المعوِّذة. الصّمد. الأساس. المانعة. المحْضِرة؛ لأنَّ الملائكة تحضر لاستماعها من القارئ. المنفِّرة، لأنّها تنفِّر الشّيطان. البراءة، أي من النّفاق. المذكِّرة. الشافية. النور؛ لما في الخبر: إنَّ لكلّ شيء نوراً، ونورُ القرآن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مواضيع سورة الإخلاص: معظم مقصود السّورة: بيان الوحدانيّة، وذكر الصّمد، وتنزيه الحقّ من الولد والوالد والولادة، والبراءة من الشركة =

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ الكَافِرُونَ ١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾: قال أبو جعفر: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة ٢- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: من الآلهة والأوثان، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾: الآن. ٤- ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: فيما أستقبل من الزمان ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾: فيما مضى أو حتى الآن. وقيل: معنى الآية: وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم، يعني: لم تُعهد مني عبادة صنم في الجاهلية، فكيف تُرجى مني في الإسلام. ٥- ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾: فيما تستقبلون أبداً ﴿مَا أَعْبُدُ﴾: أنا الآن، وفيما أستقبل. وإنما قيل ذلك كذلك لأن الخطاب من الله تعالى كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً، وإن كانت الآيات تدل كذلك على أنه ليس بين الكفر والإيمان ترقيع ولا أنصاف حلول بحال من الأحوال. ٦- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم شرككم، ولي توحيدي، والمعنى: أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تتبعوني فَدَعوني، ولا تَدْعوني إلى الشرك، أو إلى ترك شيء مما أنا عليه من العقيدة والدين. **سُورَةُ النَّصْرِ** ١- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾: يقول تعالى لنبيه ﷺ: إذا جاءك نصر الله يا محمد على قومك من قريش. والفتح: فتح مكة. وقيل: إن النصر هو صلح الحديبية، والفتح هو فتح مكة. ٢- ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾: من صنوف العرب وغيرهم ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في دين الإسلام الذي ابتعثك الله به. وأضافه سبحانه إلى نفسه بقوله «دين الله» إشارة إلى أنه الدين الذي لا يُقبل من أحد سواه ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات، فوجاً بعد فوج، بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين. ٣- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره على ما أنجز لك من وعده ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾: يقول: وسله أن يغفر ذنوبك ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾: أي: من شأنه سبحانه مع المستغفرين له أن يتوب عليهم ويرحمهم. و«توّاب» من صيَغ المبالغة. **سُورَةُ المَسَدِ** ١- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي تبَّ عمله، وهلكت يداه ﴿وَتَبَّ﴾: خسر. ٢- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾: يقول تعالى: أي شيء أغنى عنه ماله، ودَفَع من سُخط الله عليه. «وما كسب» هم ولده. وقيل: المعنى: لم يدفع عنه ما حلّ به من الهلاك والخسران: ماله ولا ما كسبه من الربح والجاه. ٤- ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: قيل: كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة. ٥- ﴿فِي جِيدِهَا﴾: في عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: من أشياء شتى، وأنواع مختلفة. والمعنى: في عنقها حبل مما مُسد -أي ضُفِر وفُتل- من أنواع الحبال. أي إن حالها في نار جهنم ستكون على الصورة التي كانت عليها وهي تحمل الشوك وتؤذي رسول الله، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار، وفي جيدها حبل مما مُسِد من سلاسل النار.

= عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة. [١] قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر، عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة، حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم، فدخلوا في الدين فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختمها. [١] قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى، يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها. وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل، عن ابن إسحاق، عن ابن زيد، أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

[٢] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون : ٢]. قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر السورة، هل هو تكرار لفائدة أو ليس بتكرار؟ **الجواب**: ليس بتكرار في المعنى، فإن قوله تعالى ذلك جواب لقول أبي جهل ومن تابعه للنبي ﷺ: "هلم نشترك في عبادة إلهك وآلهتنا، أعبد آلهتنا عامًا ونعبد إلهك عامًا، فأخبر أن ذلك لا يكون، فقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : ٢-٣]، صريح في الآن الحاضر، فنفي المستقبل كالمسكوت عنه، فصرح بنفي ذلك أيضًا فيه، بقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾، أي: في المستقبل، ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون : ٤]، أي: الآن، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ في المستقبل، ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : ٥]، في الحال والاستقبال، وهذا إعلام من الله تعالى له بعدم إيمان أولئك خاصة، كما قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود : ٣٦] عامة، فلا تكرار حينئذ، وهذا من معجزاته ﷺ، فإن القائلين له ذلك ماتوا كفارًا، ولم يؤمن أحد منهم قط، والله تعالى أعلم.

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد : ١]. ليس بتكرار مع ما بعده؛ لأنه دعاء، والثاني خبر، أي فقد تبّ، أي: خسر، وقيل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، أي: عمله وتبّ أبو لهب. [٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق : ٢]. قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق : ٢] عام في كل شيء، فما فائدة تكرار ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق : ٣]، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق : ٤]، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق : ٥]. **الجواب**: هو تخصيص بعد تعميم، ليدل به على أن هذه الثلاثة من شر الشرور على الناس، لكثرة وقوعها بين الناس. [٥] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، تأمل تقييده سبحانه وتعالى شر الحاسد بقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾؛ لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن =

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قوله تعالى: ﴿لَهَبٍ﴾ قرئ: (لَهَب) بإسكان الهاء. وقرئ: (لَهَب) بفتحها، لغتان: كنهْر ونهَر، والفتح أكثر استعمالاً إنما يكون هذا فيما كان حرف الحلق فيه عين الفعل أو لامه في هذا الوزن. [٤] ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ﴾ قرئ: (حمالةَ) بالنصب على الذم، أي: أذمُّ، أي: حمالة الحطب، لأنها كانت اشتهرت بالنميمة فجرت صفتها على الذم لها وهي: أم جميل زوجة أبي لهب. وقيل: على الحال من امرأته، لأنها فاعل لعطفها عليه، و(حمالة) حينئذ نكرة حيث أريد بها الاستقبال، أي: حالها في النار. وقرئ: (حمالةُ) بالرفع خبر محذوف أو خبر امرأته و﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبر ثان، ومن يجعله صفة لامرأته قدر المضي فيه لأنه وقع على الحقيقة، فتعرَّف حينئذ بالإضافة وجعلها بدلاً لكل منهما. = والشريك في المملكة. **فضل سورة الإخلاص**: قال رسول الله ﷺ: "﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن". رواه مسلم. وصحّ أنَّ بعض الصّحابة كان إذا صَلَّى أضاف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى السّورة التي يقرؤها بعد الفاتحة، فسأله النبي ﷺ عن سبب ذلك فقال: إني أحبّها يا رسول الله، فقال ﷺ: "حُبّكَ إيّاها أدخلك الجنَّةَ". رواه البخاري ومسلم. **نزول سورة الفلق**: نزلت بعد سورة الفيل، وهي مَدَنِيَّة. **عدد كلمات سورة الفلق**: ثلاث وعشرون. **عدد حروف سورة الفلق**: أربعة وسبعون. **أسماء سورة الفلق**: =



سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

٦٠٤

سُورَةُ الإِخْلَاصِ ١- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾: الذي لا ينبغي العبادة إلا له. ﴿أَحَدٌ﴾: بمعنى: واحد لا ثاني له، ولا شريك. ٢- ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الاسم الشريف مبتدأ، و«الصمد» خبره. والصمد: هو الذي يُصْمَد إليه، أي يُقصد إليه في الحوائج والرغائب، لا يستغني عنه مخلوق، وهو الغني عنهم. وقال ابن عباس: الصمد: السيد الذي قد كمُل فيه كل وجه من وجوه السُّؤدَد. ٣- ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: يقول: ليس بفانٍ، لأنه لا شيء يلد إلا وهو فانٍ بائد. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: يقول عز وجل: ليس بمُحْدَث لم يكن، ولكنه قديم لم يزل، ودائم لا يبيد. قلت: وتوضح الآية أن الله تعالى هو وحده الخالق مسبّب الأسباب، وأن قانون السببية الذي وضعه في الكون إنما ينطبق على العباد لا على ربِّ العباد؛ فهو تعالى لم يلد (أي غيره) ولم يولد (أي من غيره) فهو الأول والآخر سبحانه وتعالى. ٤- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: ليس له شِبه، ولا عِدل. والكفؤ: النظير. سُورَةُ الفَلَقِ ١- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: «أعوذ»: احتمي واستجير، و«الفلق» هو فلق الصبح. يقال: هو أبينُ من فَلَق الصبح. وفي ذلك إشارة إلى أن القادر على إزالة الظلمات الشديدة عن هذا العالم يقدر على أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه. ٣- ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: الغاسق: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: إذا أظلم ودخل على الناس. و«الغسق»: الظلمة. ٤- ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: السواحر اللواتي ينفثن في عُقَد الخيط حين يَرقين عليها. وقيل في معنى الاستعاذة من شرهن: إنها من فِتنتهن الناس بسحرهن، وما يخدعنهم به من الباطل. ويجوز أن يراد بالنفاثات: النساء اللاتي يفتنّ الرجال بالتعرض لهم، وعرض محاسنهن، كأنهن يسحرنهم بذلك، وينفُثن في عُقَد عزائمهم. ٥- ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾: الحسد: تمنى زوال النعمة عن المحسود ﴿إِذَا حَسَدَ﴾: إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود. سُورَةُ النَّاسِ ١، ٤- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: أمره الله عز وجل أن يستجير برب الناس، أي خالقهم وفاطرهم. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: أي الذي كلّفهم وأمرهم ونهاهم ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾: أي مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلّف العابد إلا له. ويدل هذا الترتيب على أن «الإلهية» خاتمة وغاية. ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾: من شر الشيطان أي: ذي الوسواس. والوسوسة: الصوت الخفي، وتُطلق على حديث النفس، وغالباً بما لا يُحمد منه. ﴿الْخَنَّاسِ﴾: الذي يخنس مرة، ويوسوس أخرى، والخنوس هو التأخر والرجوع، وإنما يخنس عند ذكر العبد ربه. ٦- ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: بيان للذي يوسوس، وأنه نوعان: جني وإنسي، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أن يقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته، كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أعاذنا الله تعالى من الجميع بمنّه وكرمه.

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أخرج الترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، من طريق أبي العالية، عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. وأخرج الطبراني، وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله: فاستدل بها على أن السورة مكية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم: كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. وأخرج ابن جرير عن قتادة، وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله، فاستدل بهذا على أنها مدنية. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب قالوا: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة. وهذا المراد بالمشركين في حديث أبي، فتكون السورة مدنية، كما دل عليه حديث ابن عباس، وينتفي التعارض بين الحديثين. لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب، وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار، والسماء من دخان، والأرض من زبد الماء، فأخبرنا عن ربك، فلم يجبهم، فأتاه جبريل بهذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. [١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ إلى آخر السورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة. أخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: مرض رسول الله ﷺ مرضًا شديدًا فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طُب، قال: وما طُب؟ قال سحر، قال ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في ركية، فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الركية وأحرقوها. فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر، فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء. ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الركية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين، وله شاهد بنزولهما. وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئًا، فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه، فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين، فعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحًا.

يخفيه، ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد. قال ابن تيمية: ما خلا جسد من حسد، فالكريم يخفيه واللئيم يبديه. قال ابن القيم: في المعوذتين: حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس. [١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهو رب كل شيء، فما وجه تخصيص الناس؟ الجواب: أن المستعاذ منه الوسوسة، وهي مخصوصة بالناس، فناسب استغاثتهم لسيدهم وتسميتهم لذلك. [١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، تكرر لفظ ﴿النَّاسِ﴾ في السورة خمس مرّات، قيل: تكرر تبجيلًا لهم على ما سبق، وقيل: تكرر لانفصال كلّ آية عن الأخرى بعدم حرف العطف.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قوله تعالى: ﴿كُفُوًا﴾ قرئ: (كفوًا) بإبدال الهمزة التي هي أصل الكلمة واوًا للتخفيف بعد ضم ما قبلها، وهو عين الفعل أو إسكانه. وقرئ: (كفؤًا) بإبقاء الهمزة على أصله. [٤] ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ قوله تعالى: ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ قرئ: (النَّافِثات) بألف بعد النون وكسر الفاء مخففة: جمع نافثة. وقرئ: (النَّفَّاثات) بفتح النون وتشديد الفاء وفتحها، وألف بعدها بلا ألف بعد النون: جمع نفاثة، الكل مأخوذ من النفث، وهو سبب النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه، فإذا كان معه ريق فهو: التفل.

= سمّيت سورة الفَلَق؛ لمفتتحها. مواضيع سورة الفلق: معظم مقصود السّورة: الاستعاذة من الشرور، ومن مخافة اللّيل الدّيجور، ومن آفات الماكرين والحاسدين. نزول سورة الناس: بدأت بفعل أمر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ والسّورة مَدَنِيّة. عدد كلمات سورة الناس: عشرون. عدد حروف سورة الناس: تسعة وسبعون. أسماء سورة الناس: سمّيت سورة النَّاس؛ لتكرّرها فيها خمس مرّات. مواضيع سورة الناس: معظم مقصود السّورة: الاعتصام بحفظ الحقّ تعالى وحياطته، والحذر والاحتراز من وَسْواس الشيطان، ومن تعدّي الجنّ والإنسان. فضل سورة الفلق والناس: حديث عُقْبة أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أُخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون"؟ قال: قلت: بلى، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾". رواه مسلم والترمذي.

تفسير الطبري | الأسماء الحسنى | أسباب النزول | توجيه للمتشابهات | فوائد متنوعة | توجيه للقراءات | إعجاز متنوع | التعريف بالسور

دعاء ختم القرآن

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً * اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ العَالَمِينَ * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العِلْمِ وَخَيْرَ العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي وَأَسْأَلُكَ العُلَا مِنَ الجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بهذا المصحف الشريف

ومصطلحات رسمه وضبطه وعد آيه

كُتب هذا المصحف الكريم، وضُبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله ابن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأُبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأُخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة، والبصرة، والكوفة، والشام، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المنتسخة منها. وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان: أبو عمرو الداني، وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف غالبًا. وقد يؤخذ بقول غيرهما.

هذا، وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في المصاحف العثمانية السابق ذكرها.

وأُخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب «الطراز على ضبط الخراز» للإمام التنسي، وغيره من الكتب، مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد، وأتباعه من المشارقة غالبًا بدلًا من علامات الأندلسيين والمغاربة.

واتُّبعت في عد آياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعدد آي القرآن على طريقتهم «٦٢٣٦» آية.

وقد اعتُمد في عد الآي على ما ورد في كتاب «البيان» للإمام أبي عمرو الداني و«ناظمة الزهر» للإمام الشاطبي، وشرحيها للعلامة أبي عيد رضوان المخللاتي والشيخ عبد الفتاح القاضي، و«تحقيق البيان» للشيخ محمد المتولي وما ورد في غيرها من الكتب المدونة في علم الفواصل.

وأُخذ بيان أجزائه الثلاثين، وأحزابه الستين، وأنصافها وأرباعها من كتاب «غيث النفع» للعلامة الصفاقسي، وغيره من الكتب.

وأُخذ بيان مكيه، ومدنيه في الجدول الملحق بآخر المصحف من كتب التفسير والقراءات.

ولم يذكر المكي، والمدني بين دفتي المصحف أول كل سورة اتباعًا لإجماع السلف على تجريد المصحف مما سوى القرآن الكريم، حيث نقل الأمر بتجريد المصحف مما سوى القرآن عن ابن عمر، وابن مسعود، والنخعي، وابن سيرين، كما في «المحكم» للداني، و«كتاب المصاحف» لابن أبي داود وغيرهما، ولأن بعض السور مختلف في مكيتها ومدنيتها، كما لم تذكر الآيات المستثناة من المكي والمدني، لأن الراجح أن ما نزل قبل الهجرة، أو في طريق الهجرة فهو مكي، وإن نزل بغير مكة، وأن ما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل بمكة، ولأن المسألة فيها خلاف محله كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم.

وأُخذ بيان وقوفه مما قررته اللجنة المشرفة على مراجعة هذا المصحف على حسب ما اقتضته المعاني مسترشدة في ذلك بأقوال المفسرين وعلماء الوقف والابتداء: كالداني في كتابه «المكتفى في الوقف والابتدا» وأبي جعفر النحاس في كتابه «القطع والائتناف» وما طبع من المصاحف سابقًا.

وأُخذ بيان السجدات، ومواضعها من كتب الحديث والفقه على خلاف في خمس منها بين الأئمة الأربعة، ولم تتعرض اللجنة لذكر غيرهم وفاقًا أو خلافًا. وهي السجدة الثانية بسورة الحج، والسجدات الواردة في السور الآتية: ص، والنجم، والانشقاق، والعلق.

وأُخذ بيان مواضع السكتات عند حفص من «الشاطبية» وشروحها وتعرف كيفيتها بالتلقي من أفواه الشيوخ.

اصطلاحات الضبط

وضع دائرة خالية الوسط هكذا «۟» فوق أحد أحرف العلة الثلاثة المزيدة رسمًا يدل على زيادة ذلك الحرف، فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف نحو: (ءَامَنُوا۟) (يَتْلُوا۟ صُحُفًا) (لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥ) (أُو۟لَـٰٓئِكَ) (مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ) (بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ).

ووضع دائرة قائمة مستطيلة خالية الوسط هكذا «۠» فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلًا لا وقفًا نحو: (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ) (لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى) وأُهملت الألف التي بعدها ساكن نحو: (أَنَا ٱلنَّذِيرُ) من وضع العلامة السابقة

فوقها، وإن كان حكمها مثل الذي بعده لمتحرك في أنها تسقط وصلًا، وتثبت وقفًا لعدم توهم ثبوتها وصلًا.

ووضع رأس خاء صغيرة بدون نقطة هكذا « ْ » فوق أي حرف يدل على سكون ذلك الحرف وعلى أنه مظهر بحيث يقرعه اللسان نحو: (مِنْ خَيْرٍ) (أَوَعَظْتَ) (قَدْ سَمِعَ) (نَضِجَتْ جُلُودُهُم) (وَإِذْ صَرَفْنَآ).

وتعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغامًا كاملًا بحيث يذهب معه ذات المدغم وصفته. فالتعرية تدل على الإدغام، والتشديد يدل على كماله، نحو: (مِن لِّينَةٍ)، (مِن رَّبِّكَ) (مِن نُّورٍ) (مِن مَّاءٍ) (أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) (عَصَوا وَّكَانُوا) (وَقَالَت طَّآئِفَةٌ) (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) وكذا قوله تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم).

وتعريته مع عدم تشديد التالي يدل على إدغام الأول في الثاني إدغامًا ناقصًا بحيث يذهب معه ذات المدغم مع بقاء صفته نحو: (مَن يَقُولُ) (مِن وَالٍ)، (فَرَّطتُمْ) (بَسَطتَ) (أَحَطتُ)، أو يدل على إخفاء الأول عند الثاني، فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان، ولا هو مدغم حتى يقلب من جنس تاليه سواء أكان هذا الإخفاء حقيقيًا نحو: (مِن تَحْتِهَا) أم شفويًا نحو: (جَآءَهُم بِالْحَقِّ) على ما جرى عليه أكثر أهل الأداء من إخفاء الميم عند الباء.

وتركيب الحركتين «حركة الحرف والحركة الدالة على التنوين» سواء أكانتا ضمتين، أم فتحتين، أم كسرتين هكذا (ـٌ ـً ـٍ) يدل على إظهار التنوين نحو: (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) (حَلِيمًا غَفُورًا) (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ).

وتتابعهما هكذا: (ـٌّ ـً ـٍ) مع تشديد التالي يدل على الإدغام الكامل نحو: (لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا) (يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ).

وتتابعهما مع عدم تشديد التالي يدل على الإدغام الناقص نحو: (رَحِيمٌ وَدُودٌ) (وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا) (فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أو على الإخفاء نحو: (شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (سِرَاعًا ذَلِكَ) (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف، وتتابعهما بمنزلة تعريته عنه.

ووضع ميم صغيرة هكذا « م » بدل الحركة الثانية من المنون، أو فوق النون الساكنة بدل السكون، مع عدم تشديد الباء التالية يدل على قلب التنوين أو النون الساكنة ميمًا نحو: (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (جَزَآءً بِمَا كَانُوا) (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) (أَنْبِئْهُم) (وَمِنْ بَعْدُ).

والحروف الصغيرة تدل على أعيان الحروف المتروكة في خط المصاحف العثمانية مع وجوب النطق بها نحو: (ذَلِكَ الْكِتَابُ) (دَاوُدَ)، (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم) (يُحْيِي وَيُمِيتُ) (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ) (إِيلَافِهِمْ) (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ).

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية ولكن تعذر ذلك في المطابع أول ظهورها، فاكتفي بتصغيرها للدلالة على المقصود للفرق بين الحرف الملحق والحرف الأصلي.

والآن إلحاق هذه الأحرف بالحمرة متيسر ولو ضبطت المصاحف بالحمرة والصفرة والخضرة وفق التفصيل المعروف في علم الضبط لكان ذلك سلف صحيح مقبول. فيبقى الضبط باللون الأسود لأن المسلمين اعتادوا عليه.

وإذا كان الحرف المتروك له بدل في الكتابة الأصلية عول في النطق على الحرف الملحق لا على البدل نحو: (الصَّلَوٰةَ) (كَمِشْكَوٰةٍ) (الرِّبَوٰا) (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ).

ووضع السين فوق الصاد في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ) (فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً) يدل على قراءتها بالسين لا بالصاد لحفص من طريق الشاطبية.

فإن وضعت السين تحت الصاد دل على أن النطق بالصاد أشهر، وذلك في كلمة (الْمُصَيْطِرُونَ). أما كلمة (بِمُصَيْطِرٍ) بسورة الغاشية فبالصاد فقط لحفص أيضًا من طريق الشاطبية.

ووضع هذه العلامة « ~ » فوق الحرف يدل على لزوم مده مدًا زائدًا على المد الطبيعي الأصلي: (الٓمٓ) (الطَّآمَّةُ) (قُرُوٓءٍ) (سِيٓءَ بِهِمْ) (شُفَعَٰٓؤُا) (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُٓ إِلَّا اللَّهُ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا) (بِمَآ أُنزِلَ) على تفصيل يعلم من فن التجويد.

ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة على ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل: (آمَنُوا) كما وضع غلطًا في بعض المصاحف، بل تكتب (ءَامَنُوا) بهمزة وألف بعدها.

ووضع هذه العلامة « ◆ » تحت الحرف بدلًا من الفتحة يدل على الإمالة وهي المسماة بالإمالة الكبرى وذلك في كلمة (مَجْرِٜىٰهَا) بسورة هود.

ووضع العلامة المذكورة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة من قوله تعالى (مَالَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا) يدل على الإشمام، وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بالضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.

فهذه الكلمة مكونة من فعل مضارع مرفوع آخره نون مضمومة، لأن (لا) نافية و(نا) مفعول به أوله نون فأصلها (تَأْمَنُنَا) بنونين، وقد أجمع كتاب المصاحف على رسمها بنون واحدة، وفيها للقراء العشرة ماعدا أبا جعفر وجهان:

أحدهما: الإشمام، وقد تقدم، والإشمام هنا مقارن لسكون الحرف المدغم.

وثانيهما: الروم، والمراد به النطق بثلثي الحركة المضمومة، وعلى هذا يذهب من النون الأولى عند النطق بها ثلث حركتها، ويعرف ذلك كله بالتلقي، والإشمام مقدم في الأداء.

وقد ضبطت هذه الكلمة ضبطًا صالحًا لكل من الوجهين السابقين.

ووضع هذه النقطة « • » مطموسة بدون الحركة مكان الهمزة يدل على تسهيل الهمزة بين بين، وهو هنا النطق بالهمزة بينها وبين الألف. وذلك في كلمة (ءَا۬عْجَمِيٌّ) بسورة فصلت.

ووضع رأس صاد صغيرة هكذا « ص » فوق ألف الوصل (وتسمى أيضًا همزة الوصل) يدل على سقوطها وصلًا.

والدائرة الخلاة التي في جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية، وبرقمها

على عدد تلك الآية في السورة نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ولا يجوز وضعها قبل الآية ألبتة.
فلذلك لا توجد في أوائل السور وتوجد في أواخرها.

وتدل هذه العلامة « ۞ » على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها.

ووضع خط أفقي فوق كلمة يدل على موجب السجدة.

ووضع هذه العلامة « ۩ » بعد كلمة يدل على موضع السجدة نحو: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾

ووضع حرف السين فوق الحرف الأخير في بعض الكلمات يدل على السكت في حال وصله بما بعده سكتة يسيرة من غير تنفس.

وورد عن حفص عن عاصم السكت بلا خلاف من طريق الشاطبية على ألف (عوجا) بسورة الكهف. وألف (مرقدنا) بسورة يس. ونون (من راق) بسورة القيامة. ولام (بل ران) بسورة المطففين.

ويجوز له في هاء (ماليه) بسورة الحاقة وجهان:
أحدهما: إظهارها مع السكت، وثانيهما: إدغامها في الهاء التي بعدها في لفظ (هلك) إدغاما كاملا، وذلك بتجريد الهاء الأولى من السكون مع وضع علامة التشديد على الهاء الثانية.

وقد ضبط هذا الموضع على وجه الإظهار مع السكت، لأنه هو الذي عليه أكثر أهل الأداء، وذلك بوضع علامة السكون على الهاء الأولى مع تجريد الهاء الثانية من علامة التشديد، للدلالة على الإظهار.

ووضع حرف السين على هاء (ماليه) للدلالة على السكت عليها سكتة يسيرة بدون تنفس لأن الإظهار لا يتحقق وصلا إلا بالسكت.

وإلحاق واو صغيرة بعد هاء ضمير للمفرد الغائب إذا كانت مضمومة يدل على صلة هذه الهاء بواو لفظية في حال الوصل، وإلحاق ياء صغيرة مردودة إلى خلف بعد هاء الضمير المذكور إذا كانت مكسورة يدل على صلتها بياء لفظية في حال الوصل أيضا.

وتكون هذه الصلة بنوعيها من قبيل المد الطبيعي إذا لم يكن بعدها همز فتمد بمقدار حركتين نحو قوله تعالى: (إن ربه كان به بصيرا).

وتكون من قبيل المد المنفصل إذا كان بعدها همز. فتوضع عليها علامة المد وتمد بمقدار أربع حركات أو خمس نحو قوله تعالى: (وأمره إلى الله) وقوله جل وعلا: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل).

والقاعدة: أن حفصا عن عاصم يصل كل هاء ضمير للمفرد الغائب بواو لفظية إذا كانت مضمومة، وبياء لفظية إذا كانت مكسورة بشرط أن يتحرك ما قبل هذه الهاء وما بعدها، وتلك الصلة بنوعيها إنما تكون في حال الوصل. وقد استثني لحفص من هذه القاعدة ما يأتي:
(١) - الهاء من لفظ (يرضه) في سورة الزمر فإن حفصا ضمها بدون صلة.
(٢) - الهاء من لفظ (أرجه) في سورتي الأعراف والشعراء فإنه سكنها.
(٣) - الهاء من لفظ (فألقه) في سورة النمل، فإنه سكنها أيضا.

وإذا سكن ما قبل هاء الضمير المذكورة، وتحرك ما بعدها فإنه لا يصلها إلا في لفظ (فيه) في قوله تعالى: (ويخلد فيه مهانا) في سورة الفرقان.

أما إذا سكن ما بعد هذه الهاء سواء أكان ما قبلها متحركا أم ساكنا فإن الهاء لا توصل مطلقا، لئلا يجتمع ساكنان. نحو قوله تعالى: (له الملك) (وءاتيناه الإنجيل) (فأنزلنا به الماء) (إليه المصير).

تنبيهات:

(١) - إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل الداخلة على لام التعريف جاز لحفص في همزة الوصل وجهان:
أحدهما: إبدالها ألفا مع المد المشبع، أي بمقدار ست حركات.
وثانيهما: تسهيلها بين بين، أي بينها وبين الألف، مع القصر والمراد به عدم المد أصلا.

والوجه الأول مقدم في الأداء، وجرى عليه الضبط.

وقد ورد ذلك في ثلاث كلمات في ستة مواضع من القرآن الكريم:
(١) - (ءآلذكرين) في موضعيه بسورة الأنعام.
(٢) - (ءآلآن) في موضعيه بسورة يونس.
(٣) - (ءآلله) في قوله تعالى: (قل ءآلله أذن لكم) بسورة يونس.
وفي قوله جل وعلا: (ءآلله خير أما يشركون) بسورة النمل.

كما يجوز الإبدال والتسهيل لبقية القراء في هذه المواضع، واختص أبو عمرو وأبو جعفر بهذين الوجهين في قوله تعالى: (ما جئتم به السحر) بسورة يونس. على تفصيل في كتب القراءات.

(ب) - في سورة الروم وردت كلمة (ضعف) مجرورة في موضعين ومنصوبة في موضع واحد.
وذلك في قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة).

ويجوز لحفص في هذه المواضع الثلاثة وجهان:
أحدهما: فتح الضاد. وثانيهما: ضمها
والوجهان مقروء بهما، والفتح مقدم في الأداء.

(ج) - في كلمة (ءاتان) في سورة النمل وجهان وقفا:
أحدهما: إثبات الياء ساكنة. وثانيهما: حذفها مع الوقف على النون ساكنة أما في حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة.

(د) - وفي كلمة (سلاسلا) في سورة الإنسان وجهان وقفا:
أحدهما: إثبات الألف الأخيرة. وثانيهما: حذفها مع الوقف على اللام ساكنة. أما في حال الوصل فتحذف الألف.

وهذه الأوجه التي تقدمت لحفص ذكرها الإمام الشاطبي في نظمه المسمى: «حرز الأماني ووجه التهاني» الشاطبية.

هذا، والمواضع التي تختلف فيها الطرق ضبطت لحفص بما يوافق طريق الشاطبية.

عَلَامَاتُ الوَقْفِ

مـ علامةُ الوقفِ اللازمِ نحو: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾.

لا علامةُ الوقفِ الممنوعِ، نحو: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

ج علامةُ الوقفِ الجائزِ جوازًا مستوى الطرفين. نحو: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

صلى علامةُ الوقفِ الجائزِ مع كونِ الوصلِ أولى. نحو: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قلى علامةُ الوقفِ الجائزِ مع كونِ الوقفِ أولى. نحو: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾.

∴ ∴ علامةُ تعانُقِ الوقفِ بحيثُ إذا وُقِفَ على أحدِ الموضعين لا يصحُّ الوقفُ على الآخَرِ. نحو: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

تم بعون الله وتوفيقه مراجعة هذا المصحف الشريف على أمهات كتب القراءات والرسم والضبط والفواصل والوقف والتفسير.

تحت إشراف إدارة البحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمعرفة لجنة مراجعة المصاحف برئاسة:

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراوي
(رئيس لجنة المصحف وشيخ عموم المقارئ المصرية)
والشيخ / سيد علي عبد المجيد عبد السميع - وكيلاً
والشيخ / حسن عبد النبي عبد الجواد عراقي - وكيلاً
وعضوية كل من

الشيخ / حسن عيسى حسن المعصراوي	الشيخ / سلامة كامل جمعة
الدكتور / بشير أحمد دعبس	الشيخ / علي سيد شرف
الشيخ / محمد السيد عفيفي سلامة	الشيخ / محمد أحمد الجعيدي
الشيخ / محمد حسين سعد	الشيخ / أحمد زكي بدر الدين
الشيخ / صبري رجب كريم	الدكتور / عبد الكريم إبراهيم عوض صالح
الشيخ / أحمد خلف عبد الكريم	الشيخ / عبد الرحمن محمد كساب
الشيخ / السيد محمد أحمد علي	الشيخ / محمد مصطفى علوة

الشيخ / ياسر محمد أحمد الجندي

فهرس بأسماء السور وبيان المكي والمدني منها

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
البحوث والتأليف والترجمة
« إدارة المصاحف »

AL AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

نموذج رقم (٤)

تصريح بتداول مصحف ومعه تفسير مختصر الطبري [illegible]
رقم (٢٢) الصادر في ٨/ ٣/ ٢٠٠٦م بأسباب النزول

السيد / دار التقوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد

يسر « الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية » أن تحيط سيادتكم علماً بأنه قد وافقت على طلبكم الخاص بتداول المصحف [illegible] على [illegible] المكتوب بالخط الكوفي المصري طبع [illegible] المصحف

وعلى جواز نشره في حدود الكمية المصرح لكم بتداولها [illegible] نسخة، وذلك بناء على تقرير لجنة مراجعة المصاحف الصادر بتاريخ ٥ / ٣ / ٢٠٠٦م

علماً بأن هذا التصريح خاضع للقانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥ الخاص بطبع وتداول المصاحف والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٧ لسنة ١٩٨٦ وقرار السيد وزير العدل رقم ١٦٣ لسنة ١٩٨٦

مع مراعاة الدقة التامة في جمع وترتيب الصفحات والملازم وإلا ستضطر الإدارة لسحب التصريح الذي يحمل هذا الرقم ومصادرة جميع النسخ إذا ظهر بأحدها خلل ما طبقاً للقانون سالف الذكر.

علماً بأن هذا التصريح صالح لمدة أقصاها خمس سنوات تمضي من تاريخه

ويرفق لهذا التصريح نسخة من المصحف المشار إليه مختومة في جميع صفحاتها بخاتم الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تحريراً في [illegible] ١٤ هـ
٦ / ٣ / ٢٠٠٦م

مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة | [illegible] | الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

إبراهيم عطا الفيومي

التعريف بالوحي

تعريف الوحي:

الوحي في اللغة معناه: الإعلام في خفاء بسرعة.

تقول: أوحيت إلى فلان: إذا كلمته في خفاء.

ومن معانيه اللغوية:

أ - الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾ [القصص: ٧].

ب - الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨].

ج - الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء. قال تعالى عن زكريا: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١].

د - وسوسة الشيطان، وتزيينه الشر في نفس الإنسان. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

هـ - أمر الله تعالى إلى ملائكته. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢].

كيفية وحي الله تعالى إلى رسله:

يوحي الله تعالى إلى رسله بواسطة وبغير واسطة.

فالأول: بواسطة جبريل ملك الوحي.

والثاني: هو الذي لا واسطة فيه مثل:

١ - الرؤيا الصالحة في المنام: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به ﷺ، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» رواه البخاري.

٢ - التكليم الإلهي من وراء حجاب يقظة. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

٣ - الدليل: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

كيفية نزول جبريل بالقرآن على الرسول ﷺ:

الحالة الأولى: يأتيه مثل صلصلة الجرس، وهو أشده على الرسول ﷺ، لأن هذه الحالة – كما يقول ابن خلدون – انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية.

الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً، ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف على الرسول ﷺ.

الدليل على الحالتين السابقتين:

روت عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن الوحي، فقال: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي عنه ما أقول» رواه البخاري.

التعريف بالقرآن

القرآن لغة: مصدر مرادف للقراءة، قرأ.. قراءة.. قرآنًا.. على وزن فعلان بالضم، كالغفران والشكران.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧-١٨].

واصطلاحًا: هو كلام الله المعجز المنزل باللغة العربية على محمد ﷺ المسطور في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى به.

أسماء القرآن الكريم:

١ - **القرآن:** إشارة إلى حفظه في الصدور. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

٢ - **الكتاب:** قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ١-٢]. إشارة لكتابته في السطور.

٣- الذكر: قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لما فيه من التذكرة للرسول ولأمته.

٤- الفرقان: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] إشارة إلى كونه يفرق بين الحق والباطل.

أوصاف القرآن:

١- نور ومبين: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

٢- هدى وشفاء وموعظة ورحمة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- بشير ونذير: قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩].

٤- مبارك: قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ...﴾ [ص: ٢٩].

ابتداء نزول القرآن على النبي ﷺ:

بدأ نزول القرآن الكريم في السابع عشر من رمضان، وكان عمر الرسول ﷺ أربعين سنة، فبينما كان ﷺ يتعبد في غار حراء نزل الوحي عليه عن طريق الملك جبريل عليه السلام، فضمه إلى صدره ثم أفلته، وفعل ذلك ثلاث مرات، وهو يقول في كل مرة: «اقرأ». والرسول يجيب: «ما أنا بقارئ»، وفي المرة الثالثة قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ...﴾ [العلق: ١، ٢].

أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه:

أول ما نزل من القرآن الكريم: الآيات الأوائل من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. وأول سورة نزلت كاملة سورة المدثر، وأول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة.

آخر ما نزل على أصح الأقوال، قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

مراحل نزول القرآن الكريم: نزل القرآن الكريم على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: إلى اللوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله، ومن أطلعه الله على غيبه، وكان جملة لا مفرقًا، وذلك هو الظاهر من اللفظ.

والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

المرحلة الثانية: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ونرى ذلك من خلال الآيات القرآنية التي يستدل بها على هذا النزول، والتي تفيد بأن القرآن نزل في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا، وصفها الله تعالى بمباركة وسماها ليلة القدر، وهي في رمضان، ونزل جملة واحدة.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣].

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

المرحلة الثالثة: من السماء الدنيا (من بيت العزة) إلى الأرض على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وهي المرحلة الأخيرة من النزول.

عدد السنين التي نزل القرآن الكريم فيها على النبي ﷺ:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ منجمًا -أي مفرقًا- في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث والطوارئ والتشريعات.

الحكمة من نزول القرآن منجمًا:

١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٢- الرفق بمشاعر المدعوين إلى الإسلام، واستدراجهم إلى الحق المدعو إليه في سياسة وحكمة.

٣- تيسير حفظه وفهمه؛ لكون العرب أمة أمية.

٤- مسايرة الأحداث وربط الوقائع بالأحكام الخاصة بها، حتى تستقر وتثبت في سجل التشريع الحافل بكل الحلول، مثال ذلك: الحكم في قضية الأسرى، وحكم اعتزال النساء في المحيض، وحكم الظهار... وغيرها كثير.

٥- التحدي والإعجاز.

٦- تربية للرسول ﷺ، وتقوية له على أذى المشركين، وتثبيتًا لفؤاده النبي وأفئدة المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين.

٧- الدلالة القاطعة على أن القرآن من عند الله ﷻ.

٨- التدرج في تربية الصف المؤمن.

• • •

القرآن المكي والمدني

تعريف القرآن المكي والمدني: اختلفت الأقوال في تعريف المكي والمدني، وأرجحها وأقربها للقبول التقسيم الزمني القائل: إن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة حتى وإن خوطب به أهل مكة، مثل سورة الممتحنة التي نزلت بالمدينة وخوطب بها أهل مكة.

الفرق بين المكي والمدني: هناك ثلاثة اعتبارات للتفرقة بين المكي والمدني.

الاعتبار الأول: اعتبار المخاطب: فالمكي ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني ما كان خطابًا لأهل المدينة.

فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ... ﴾ خطاب مكي.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾ خطاب مدني.

ولكن هذا الاعتبار غير مطلق؛ لأن هناك سورًا مدنية كالبقرة والنساء، جاء فيها الخطاب بالطريقة المكية وهو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ... ﴾.

الاعتبار الثاني: اعتبار مكان النزول: قال العلماء: إن المكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية.

والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع. ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة، فما نزل بالأسفار أو بتبوك أو بيت المقدس لا يدخل تحت هذه القسمة فلا يسمى مكيًا ولا مدنيًا، وكذلك يترتب على هذا الرأي أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيًا.

الاعتبار الثالث: اعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فإن نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة أو عرفة فهو مدني، كالذي نزل عام الفتح كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ... ﴾ [النساء: ٥٨] أو نزل في حجة الوداع ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] وهذا الرأي هو أولى الآراء بالقبول.

مميزات القرآن المكي:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله، وذكر القيامة والجنة والنار، ومجادلة المشركين.

٢- فضح أعمال المشركين من سفك دماء، وأكل أموال اليتامى، ووأد البنات.

٣- قوة الألفاظ، مع قصر الفواصل وإيجاز العبارة.

٤- الإكثار من عرض قصص الأنبياء، وتكذيب أقوامهم لهم؛ للعبرة والزجر وتسلية الرسول ﷺ.

مميزات القرآن المدني:

١- بيان العبادات والمعاملات والحدود، والجهاد والسلم والحرب، ونظام الأسرة، وقواعد الحكم، ووسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر قواعد التشريع وأهدافه ومراميه.

فوائد العلم بالمكي والمدني:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ.

٢- معرفة تاريخ التشريع والتدرج فيه.

٣- الاستعانة في تفسير القرآن وفهم معانيه.

٤- تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة.

٥- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية.

أسباب النزول

تعريف سبب النزول: هو: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال. ولا يعني هذا أن يلتمس الإنسان لكل آية سببًا، فإن القرآن لم يكن نزوله وقفًا على الحوادث والوقائع، أو على السؤال والاستفسار، بل كان القرآن يتنزل ابتداء بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة.

فوائد أسباب النزول:

الفائدة الأولى: معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن.

أما المؤمن فيزداد إيمانًا على إيمانه، ويحرص كلَّ الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل.

وأما الكافر فتسوقه الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفًا، حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصًا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد، وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر وما نزل فيه.

الفائدة الثانية: الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها. قال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

مثال يوضح المعنى: عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه معنى قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٨٨]. قال: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون. وبقي في إشكاله هذا حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، أي طلبوا منه أن يحمدهم على ما فعلوا. وهنالك زال الإشكال عنه، وفهم مراد الله من كلامه هذا ووعيده.

الفائدة الثالثة: دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر: مثل قوله سبحانه وتعالى في سورة [الأنعام: ١٤٥]: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

ذهب الإمام الشافعي إلى أن الحصر في هذه الآية غير مقصود، واستعان على دفع توهمه، بأنها نزلت بسبب أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرّموا ما أحل الله ويحلوا ما حرَّم الله، عنادًا منهم، ومحادة لله ورسوله، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم، ومحادة من الله ورسوله ﷺ لا قصدًا إلى حقيقة الحصر.

قال إمام الحرمين: «هذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية».

الفائدة الرابعة: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين؛ حتى لا يشتبه بغيره، فيتهم البريء، ويبرأ المريب.

مثال على ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها لما ردَّت على مروان حين اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه آية: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ [الأحقاف: ١٧]. وقالت: «والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته» إلى آخر تلك القصة[1].

الفائدة الخامسة: تيسير الحفظ وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني، المقرر في علم النفس.

الفائدة السادسة: بيان أن القرآن نزل من الله تعالى؛ لأن النبي يسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب أحيانًا حتى ينزل عليه الوحي.

الفائدة السابعة: بيان عناية الله تعالى برسوله في الدفاع عنه، كالآيات في حادثة الإفك، وكذلك عناية الله بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم.

• • •

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن له معنيان:

١- جمعه بمعنى حفظه، وجمَّاع القرآن: حفَّاظه. وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾

(١) انظرها في البخاري كتاب التفسير (٤٨٢٧).

[القيامة: ١٦، ١٧] أي: أن علينا أن نجمعه في صدرك، ونبينه بلسانك.

٢- جمعه بمعنى كتابته كله في صحائف مجتمعة تضم السور والآيات جميعها.

كيف تم جمع القرآن في عهد الرسول من ناحية حفظه في الصدور:

كان أول الحفاظ - وهو الرسول ﷺ - يترقب نزول القرآن بشوق ويتعجل قراءته، حتى طمأنه الله تعالى وقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، ثم تأسى الصحابة برسول الله ﷺ في حفظهم للقرآن، فكلما نزلت آية حفظت في الصدور، ووعتها القلوب.

وقد حفظ عدد كبير من الصحابة القرآن الكريم، فقد روت الأحاديث: أنه قُتل في عهد النبي ﷺ سبعون قارئًا في بئر معونة، وسبعون مثلهم في حرب اليمامة.

كيف تم جمع القرآن في عهد الرسول من ناحية كتابته:

اتخذ الرسول ﷺ كُتَّابًا للوحي من أجلاء الصحابة، كعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان...

فإذا نزلت الآية أمرهم الرسول ﷺ بكتابتها وأرشدهم إلى موضعها من سورتها.

وكان بعض الصحابة يكتبون القرآن دون أن يأمرهم الرسول ﷺ، فكانوا يخطونه في العسب واللخاف والكرانيف والرقاع والأقتاب والأكتاف، وكان الصحابة يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظًا وكتابة.

وكان زيد بن ثابت عرضه متأخرًا على رسول الله ﷺ؛ مما جعل أبا بكر الصديق وعثمان بن عفان يختارانه لجمع القرآن، وتوفي الرسول ﷺ والقرآن مجموع كله في الصدور، ومكتوب في السطور بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف واحد؛ لأن الرسول كان يترقب نزول الوحي بين فترة وأخرى، ولم يكن مرتب الآيات والسور في مصحف واحد، وهذا ما يسمى بالجمع الأول.

الجمع الثاني للقرآن:

كان الجمع الثاني في عهد أبي بكر الصديق، فبعد وفاة الرسول ﷺ وتولي أبي بكر الخلافة، واجهته أحداث جسيمة في ارتداد العديد من العرب، فجهز جيشًا عظيمًا لمحاربة هؤلاء المرتدين، واستشهد في معركة اليمامة عدد كبير من الصحابة، كما استشهد ما يقرب من سبعين صحابيًّا يحفظون القرآن؛ مما جعل عمر بن الخطاب يشير على أبي بكر الصديق بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع والنسيان، إلا أن أبا بكر رفض الفكرة في بادئ الأمر، وقال: «كيف أقوم بعمل لم يقم به رسول الله ﷺ؟!» فقال عمر: ذلك والله خير». ومازال عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لما شرح به صدر عمر، فأرسل إلى زيد بن ثابت وأشار عليه بجمع القرآن، فرفض بادئ الأمر، إلا أن أبا بكر الصديق أخذ يبين له أهمية هذا العمل في حفظ كتاب الله من الضياع والنسيان، حتى شرح الله صدره أيضًا لهذا العمل العظيم.

منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن: تتبع زيد بن ثابت جمع القرآن من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، فكان منهجه أن يسمع من الرجال، ثم يعرض ما سمعه على ما كان مجموعًا في العسب والأكتاف، فكان رضي الله عنه لا يكتفي بالسماع فقط دون الرجوع إلى الكتابة.

وكذلك من منهجه في جمع القرآن: أنه لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد عليه شاهدان، وذلك زيادة في التأكيد مع أنه رضي الله عنه كان من حفظة القرآن، وبهذه الطريقة تم جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق في مصحف واحد، مرتب السور والآيات، مشتملًا على الأحرف السبعة، مقتصرًا على ما لم تنسخ تلاوته، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن بهذه الصفة، فقد قال علي رضي الله عنه عن أبي بكر: «أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله» وانتقل هذا المصحف إلى عمر بن الخطاب بعد وفاة أبي بكر، ثم إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد وفاة عمر، وهذا ما يسمى بالجمع الثاني.

الجمع الثالث للقرآن:

كان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، والداعي إلى ذلك هو: اختلاف الأمة في قراءة القرآن؛ فكل مصر من الأمصار يقرأ بقراءته التي تلقاها من ذلك الصحابي، ولقد بلغ هذا الخلاف أشده، وكاد يُكفر بعضهم بعضًا، فبلغ الخبر عثمان بن عفان، فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك ففعلت، فأمر زيد بن ثابت وثلاثة نفر من قريش بنسخها في المصاحف.

منهج عثمان بن عفان في هذا الجمع:

قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا استكمل

نسخ المصاحف من الصحف التي عند حفصة رد عثمان المصحف إليها.

وأرسل عثمان إلى كل مصر مصحفًا من المصاحف المنسوخة، وحرق جميع المصاحف، وهذا يسمَّى الجمع الثالث للقرآن.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

اختلف جمع أبي بكر عن جمع عثمان من حيث الباعث: فالباعث لدى أبي بكر ﷺ لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب حمله، حيث كثر قتل القراء.

والباعث لدى عثمان ﷺ كثرة الاختلاف في وجوه القراءة حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخَطَّأ بعضهم بعضًا.

عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق:

اختلف العلماء في عددها:

١- فقيل: كان عددها سبعة، أرسلت إلى: مكة والشام والبصرة ومصر واليمن والبحرين والمدينة.

٢- وقيل: كان عددها أربعة، أرسلت إلى: العراق والشام ومصر والكوفة.

٣- وقيل: كان عددها خمسة.

وقال السيوطي: إن هذا هو المشهور.

أسماء الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ:

جمع القرآن على عهد النبي ﷺ مجموعة من الصحابة وهم: عبادة بن الصامت، وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب بن قيس، وعبيد بن معاوية، وأبو زيد بن ثابت بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو أيوب الأنصاري.

أسماء الذين جمعوا القرآن على عهد الصديق أبي بكر ﷺ:

اشترك في جمع القرآن ستة من الصحابة، هم: أبو الدرداء عويمر بن زيد وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وسعد بن عبيد القاري، وعلي بن أبي طالب.

• • •

الرسم العثماني للمصحف

هل الرسم العثماني للمصحف توقيفي أو اصطلاحي؟

هناك ثلاثة آراء في رسم المصحف العثماني:

الرأي الأول يقول: إن الرسم العثماني ليس توقيفيًا عن النبي ﷺ، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به ولا تجوز مخالفته.

الرأي الثاني يقول: إن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، وعليه فتجوز مخالفته، وهذا رأي ابن خلدون وأبي بكر الباقلاني.

الرأي الثالث يقول: إنه توقيفي لا تجوز مخالفته وهو مذهب الجمهور، واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ كان له كُتَّاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم، وقضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

• • •

أقسام سور القرآن الكريم

أقسام السور: قسَّم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام، خصوا كلًّا منها باسم معين، وهي: الطوال، والمئون، والمثاني، والمفصل.

السور الطوال: سبع سور، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فهذه ستة، واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معًا لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس.

المئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

المثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات: وهي السور التي أقل من مائة آية، وتتكرر أكثر مما تتكرر الطوال والمئون.

المفصل: هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولًا:

فقيل: أوله «ق». وقيل: غير ذلك.

وصحح النووي: أن أوله «الحجرات».

وسمي المفصل؛ لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

وقيل: لقلة المنسوخ منه. ولهذا يسمى: «المحكم» أيضًا.

والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار.

فطواله من أول «الحجرات» إلى سورة «البروج».

وأوساطه من سورة «الطارق» إلى سورة «البيِّنة». وقصاره من سورة «الزلزلة» حتى سورة «الناس».

* * *

المحكم والمتشابه

تعريف المحكم لغة: الإحكام المنع. يقال: أحكم الأمر، أي: أتقنه ومنعه من الفساد.

واصطلاحًا: اختلف الأصوليون على أقوال، منها:

١- إن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور أو التأويل.

٢- إن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا.

٣- إن المحكم هو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ.

٤- إن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان.

٥- إن المحكم هو المتقن الذي لا يتطرق إليه إشكال.

تعريف المتشابه لغة: مأخوذ من التشابه، وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر، ويدل على المشاركة والمماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس في الغالب.

يقال: تشابها واشتبها، أي: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، والشبه بالضم: الالتباس، ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٧٠].

واصطلاحًا:

١- ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدابة والدجال.

٢- ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

٣- ما احتمل أكثر من وجه.

٤- ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ.

وضع القرآن من حيث الإحكام والتشابه:

القرآن من حيث الإحكام والتشابه:

١- كله محكم.

٢- كله متشابه.

٣- بعضه محكم وبعضه متشابه.

ما معنى أن القرآن كله محكم؟: أي أن ألفاظه ومعانيه محكمة ولا يوجد اختلال فيه أو اختلاف، ومتقن في النظم والترتيب، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

ما المقصود بأن القرآن كله متشابه؟ المقصود أن آياته متشابهة في الكمال والإعجاز والإحكام والنفع والصدق والهداية إلى الخير، كما يصدق بعضه بعضًا في الأوامر والنواهي؛ بحيث إذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

ما المقصود بأن بعضه محكم وبعضه متشابه؟: المقصود: أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب وأصله الذي يرجع إليه، والآيات المحكمات هي الواضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، بعكس الآيات المتشابهات، فهي متشابهات في الدلالة على كثير من الناس، ويعلمها الذين أوتوا العلم.

أما الذين وصفهم الله تعالى بأن في قلوبهم مرضًا، فهم الذين يتبعون المتشابه منه، يبتغون افتتان الناس وبعدهم عن الحق. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧].

ماذا نفعل مع المتشابه والمحكم؟ في حالة المتشابه يرد إلى المحكم حتى يتضح المعنى كاملًا.

مثال لذلك: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣] هذه الآية متشابهة تحتمل معنيين، هما:

المعنى الأول: غفران الذنوب جميعًا لمن تاب.

المعنى الثاني: غفران الذنوب جميعًا لمن لم يتب.

وفي هذه الحالة نردها إلى الآية المحكمة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾ [طه: ٨٢].

فيتبين من الآية المحكمة أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب وهو مؤمن واتبع طريق الهدى.

مثال آخر: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

هذه الآية متشابهة؛ لأنها تحتمل معنيين.

المعنى الأول: إن قوله: ﴿إنا نحن﴾ تحتمل للواحد المعظم نفسه وهو حق.

والمعنى الثاني: أنها للجماعة، وهو باطل، وتحتمل أيضًا الواحد ومعه غيره، فهي آية متشابهة تمسك بها النصارى الذين قالوا بالتثليث.

ونرد هذه الآية المتشابهة؛ إلى الآية المحكمة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

فيتبين من الآيات المحكمة أن المراد بقوله: ﴿إنا نحن﴾ هو الله الواحد المعظم نفسه.

ما منشأ هذا التشابه؟ منشأ هذا التشابه عدة أمور، وهي:

١ - خفاء مراد الشارع في كلامه، فمرة يرجع إلى اللفظ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣] فلفظة اليمين تحتمل استعمال يده اليمين غير الشمال، وتحتمل أيضًا أن الضرب كان بقوة، لأن اليمين أقوى الجارحتين، وتحتمل أن الضرب كان بسبب اليمين التي حلفها إبراهيم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

٢ - ومرة أخرى يرجع التشابه إلى المعنى، مثل ما استأثر الله بعلمه من أهوال يوم القيامة وعلامات الساعة والجنة والنار.

٣ - ومرة يرجع التشابه إلى الخفاء في اللفظ والمعنى، مثل قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فهذا الخفاء في المعنى وفي اللفظ معًا؛ إذ لا تمكن معرفة معنى هذه الآية إلا بالرجوع إلى تفسيرها؛ حيث تبين أن معناها أن الرجل كان في الجاهلية إذا لبس الإحرام لم يدخل من باب البيت، بل يخرق خرقًا، أو يدخل من وراء البيت.

خلاصة المتشابه:

١ - ما لا يستطيع أحد أن يصل إليه، كالعلم بذات الله تعالى وحقائق صفاته وعلم الغيب.

٢ - ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والمعرفة.

٣ - ما لا يعلمه إلا الخواص من العلماء دون عامتهم، وهو الراسخون في العلم.

آيات الصفات، هل هي محكمة أم متشابهة: آيات الصفات محكمة؛ لكونها صفات الله تعالى، ومتشابهة بالنسبة لنا من حيث كيفيتها، مثل صفة الاستواء على العرش، فهي معلومة في معناها، لكن كيفيتها مجهولة كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

أي معنى الاستواء معلوم فنؤمن به، وكيفية الاستواء مجهولة فلا نخوض فيها؛ لأن ذلك طريق إلى الابتداع.

لماذا وقع الاختلاف في معرفة المتشابه: وقع الاختلاف في معرفة المتشابه بسبب الاختلاف في الوقف في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] هل هو مبتدأ خبره ﴿ يَقُولُونَ ﴾ والواو للاستئناف، والوقوف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

أو هو معطوف و ﴿يَقُولُونَ﴾ حال، والوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.

فذهبت إلى الرأي الأول طائفة منهم أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس... مستدلين بما رواه الحاكم عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم». وبقراءة ابن مسعود «وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به». وبما دلت عليه من ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة. وذهبت إلى الرأي الثاني طائفة على رأسهم مجاهد وأيده النووي في شرحه لصحيح مسلم، فقال: إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.

كيف يمكن التوفيق بين الرأيين: بالرجوع إلى معنى التأويل يتضح أنه لا فرق ولا منافاة بين الرأيين؛ لأن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان:

الأول: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير.

الثالث: التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات فالذين يقولون بالوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويجعلون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ استئنافًا، إنما عنوا بذلك التأويل المعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته لا يعلمها إلا هو، والذين يقولون بالوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل المعنى الثاني، أي التفسير. وبهذا يتضح أنه لا خلاف بين المذهبين.

• • •

المتشابه اللفظي

المتشابه اللفظي: عرفه الإمام الزركشي في البرهان فقال: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء. ومراده في التعريف بالقصة الواحدة: اللفظ القرآني المعيَّن يرد بصور متشابهة. ومعنى التشابه فيها الاختلاف بين ألفاظها بالزيادة والنقص، أو الإبدال، أو التقديم والتأخير، أو التكرار، وغير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيات، وهذا كله مما يشكل على القارئ الحافظ، ولهذا يسمي القراءُ هذا النوع المُشكِل.

• • •

الناسخ والمنسوخ

تعريف النسخ لغة: الإزالة يقال: نسخت الشمس الظل أي: أزالته. ويطلق بمعنى: نقل الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

واصطلاحًا: هو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخٍ عنه.

ما هو المنسوخ: هو الحكم المرتفع.

مثال على ذلك: آية المواريث ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] نسخت حكم الوصية للوالدين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

شروط النسخ:

١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًا.

٢- أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلًا شرعيًا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه.

٣- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخًا. مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالعفو والصفح مقيد بمجيء أمر الله.

ما الذي يقع فيه النسخ:

١- يقع النسخ في الأوامر والنواهي.

٢- لا يقع النسخ في العقيدة كذات الله وصفاته وكتبه واليوم الآخر، ولا يقع في الخبر الصريح كالوعد والوعيد.

٣- لا يقع في الأخلاق والآداب التي حث عليها الإسلام مثل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان: ١٨].

٤- لا يقع النسخ في أصول العبادات والمعاملات؛ لأن جميع الشرائع لا تخلو من هذه الأصول ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [الشورى: ١٣].

أهمية النسخ: للنسخ أهمية عظيمة؛ فهو ركن عظيم في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيح الأحكام حتى لا تختلط، وهو ذو أهمية عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وحرامه وحلاله.

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

١- النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي كحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» رواه الحاكم. وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة: «ونزل فيهم قرآن قرأناه».

٢- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ ومنسوخ.

٣- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

ولا يُعتمد في النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهرًا، أو تأخر إسلام أحد الرواة.

الآراء في النسخ: انقسم الناس في النسخ إلى أربعة أقسام.

أصحاب القسم الأول: أصحاب القسم الأول هم اليهود، وهؤلاء ينكرون النسخ. وقالوا: يستلزم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهو محال على الله، واليهود أنفسهم يعترفون أن شريعة موسى ناسخة لما قبلها... وهذا من تناقضاتهم الكثيرة.

أصحاب القسم الثاني: أصحاب القسم الثاني هم الروافض.

وهؤلاء غالوا في إثبات النسخ، وتوسعوا فيه، وأجازوا فيه البداء على الله، واستدلوا بأقوال نسبوها إلى جعفر الصادق وعلي بن أبي طالب وأهل البيت زورًا وبهتانًا، وفسروا معنى قوله تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] أي: أنه يظهر له المحو والإثبات.

أصحاب القسم الثالث: أصحاب القسم الثالث يقودهم: أبو مسلم الخراساني.

قال: النسخ جائز عقلًا ويمتنع شرعًا، ودليله قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤٢]، أي: أن أحكامه لا تبطل أبدًا، ويحمل آيات النسخ على التخصيص.

أصحاب القسم الرابع: أصحاب القسم الرابع هم الجمهور.

قالوا: النسخ جائز عقلًا وواقع شرعًا واستدلوا بما يأتي:

١- بأن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض؛ فله أن يأمر بالشيء في وقت وينسخه بالنهي في وقت آخر، لعلمه بمصالح العباد.

٢- نصوص الكتاب والسنة دالة على جواز النسخ ووقوعه.

مثال: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [النحل: ١٠١].

أنواع النسخ: هناك أربعة أنواع من النسخ.

النوع الأول: نسخ القرآن بالقرآن، وهو متفق على جوازه ووقوعه. مثل آية الاعتداد بالحول، نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر.

النوع الثاني: نسخ القرآن بالسنة، وينقسم إلى نوعين:

أ- نسخ القرآن بالسنة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب- نسخ القرآن بالسنة المتواترة، ومنعه الشافعي وأهل الظاهر ورواية أحد الأخرى؛ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦].

النوع الثالث: نسخ السنة بالقرآن، وقد أجازه الجمهور.

مثال: التوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نُسخ بقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ومنع هذا النوع من النسخ الشافعي في إحدى روايتيه.

النوع الرابع من النسخ: نسخ السنة بالسنة وله أربع صور، وهي:

أ- الصورة الأولى: نسخ متواتر بمتواتر وهذا جائز.

ب- الصورة الثانية: نسخ آحاد بآحاد وهذا جائز.

ج- الصورة الثالثة: نسخ آحاد بمتواتر وهذا جائز.

د- الصورة الرابعة: نسخ متواتر بآحاد وهذا غير جائز عند الجمهور.

أشكال النسخ: للنسخ أشكال ثلاثة.

الشكل الأول: نسخ التلاوة والحكم معًا.

ومثَّل لها العلماء بآية عشر رضعات؛ فإنها نسخت حكمًا وتلاوة.

الشكل الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة.

مثال: نسخ الحكم في آية العدة بالحول، مع بقاء تلاوتها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

الشكل الثالث للنسخ: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

مثل آية الرجم: «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

مثالٌ للنسخ إلى بدل أخف: قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

نسخت قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

مثالٌ للنسخ إلى بدل مماثل: نسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى البيت الحرام قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

مثالٌ للنسخ إلى بدل أثقل: كنسخ الحبس في البيوت: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

بالرجم للمحصن، والجلد لغير المحصن.

مثالٌ للنسخ إلى غير بدل: النسخ إلى غير بدل كنسخ الصدقة بين يدي نجوى الرسول ﷺ إلى بدون صدقة.

حكمة النسخ:

١- مراعاة مصالح العباد.

٢- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال؛ حسب تطور الدعوة وحال الناس.

٣- ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال أو عدمه.

٤- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها، وإن كان إلى أشق؛ ففيه زيادة ثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر.

• • •

التفسير والمفسرون

التفسير في اللغة: الكشف والإظهار، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أي: بيانًا وتفصيلًا.

والتفسير في الاصطلاح الشرعي: هو العلم الذي يُعرف به فهم القرآن الكريم، وإدراك معانيه، والكشف عن مقاصده ومراميه، واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ، وتوضيح معنى الآيات القرآنية، بذكر معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.

أهمية علم التفسير: علم التفسير يعتبر أرفع العلوم الإسلامية قدرًا، وأعلاها شأنًا، دونه كل علم من العلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها وتنوع مقاصدها، فموضوع علم التفسير: كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وكل العلوم في شرف خدمته مهما كثرت وعلا شأنها، كلها مسخرة لخدمة القرآن الكريم، ولا عجب، فهو كتاب رب العالمين.

مراحل التفسير وتدرجه: بدأت عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه وأسراره من أول نزوله على رسول الله ﷺ، واستمرت هذه العناية إلى يومنا هذا، وستبقى مستمرة ما دام القرآن الكريم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ونستطيع أن نحصر هذا التدرج في فهم القرآن الكريم في ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: في عصر النبي ﷺ وصحابته.

المرحلة الثانية: في عصر التابعين.

المرحلة الثالثة: ما بعد عصر التابعين، أو منذ بدأ التدوين للعلوم إلى يومنا هذا.

طرق التفسير: من أراد تفسير القرآن الكريم، طلب أولًا من القرآن نفسه، فما أُجمل منه في موضع فقد فُسر في موضع آخر، وما اختصر منه في موضع فقد بُسط في موضع آخر.

فإن لم يتضح له المراد من ذلك طلب من السنة النبوية، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

فإن لم يجد المراد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فقد كانوا أدرى بكتاب الله لأنهم عايشوا نزول الوحي، وشهدوا أسباب النزول.

فإن لم يجد المراد في أقوال الصحابة، طلبه من أقوال التابعين، فهم الذين نقلوا إلينا علوم ومعارف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فإن لم يجد المراد في أقوال التابعين طلبه من اللغة العربية، فإن القرآن الكريم نزل بلغة العرب. تلك هي طرق التفسير وسبله، فلا يجوز لأحد أن يتناول تفسير كلام الله تبارك وتعالى إلا من خلالها ومضمونها.

أنواع التفسير: إذا نحن تتبعنا كتب التفسير على اختلاف أزمانها، وتنوع مناهجها واتجاهاتها وجدنا أن المناحي العامة التي تجمع هذه المناهج والاتجاهات تكاد تنحصر في

١ - التفسير المأثور. ٢ - التفسير بالرأي.

٣ - التفسير الإشاري. ٤ - التفسير الموضوعي.

حقيقة التفسير المأثور باختصار: التفسير المأثور: ما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن صحابته رضي الله عنهم، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

حقيقة التفسير بالرأي بإيجاز: التفسير بالرأي أو التفسير العقلي معناه: تفسير القرآن بالاجتهاد وبعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناهجهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم.. وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وسيأتي بيانها إن شاء الله.

حقيقة التفسير الإشاري: من المتصوفة من يدعي أن الرياضة الروحية التي يأخذ بها الصوفي نفسه تصل إلى درجة ينكشف له فيها ما وراء العبارات القرآنية من إشارات قدسية، وتنهلُّ على قلبه من سُحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية، ويسمى هذا بالتفسير الإشاري، فللآية ظاهر وباطن، والظاهر: هو الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره، والباطن هو: ما وراء ذلك من إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، وهذا التفسير الإشاري كذلك إذا أوغل في الإشارات الخفية صار ضربًا من التجهيل، ولكن إذا كان استنباطًا حسنًا يوافق مقتضى ظاهر العربية وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض، فإنه يكون مقبولًا. قال ابن القيم: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

١ - أن لا يناقض معنى الآية. ٢ - وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه.

٣ - وأن يكون في اللفظ إشعار به. ٤ - وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا.

حقيقة التفسير الموضوعي: التفسير الموضوعي: هو تناول جانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالدراسة والبحث، وغالبًا ما تكون الدراسة لموضوع معين متناولة له من كل جوانبه، متنوعة لكل ما فيه من جزئيات ربما لا يتاح تناولها في التفسير العام، وغالبًا ما يجري هذا اللون من التفسير على أيدي رجال برعوا في نواح معينة من العلوم، فاستهواهم حبهم للدراسة، وشغفهم بالبحث - أن يتناولوا من موضوعات القرآن ما يتصل بالجانب العلمي الذي برعوا فيه: فابن القيم - مثلًا - أفرد كتابًا من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن سماه: «التبيان في أقسام القرآن». وأبو عبيدة: أفرد كتابًا للكلام في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي: أفرد كتابًا في أسباب نزول القرآن، وأبو بكر الجصاص: أفرد كتابًا في أحكام القرآن .. وغير هؤلاء كثير ممن يقصدون إلى موضوع خاص في القرآن، ويجمعون ما تفرق منه، ويفردونه بالدراسة والبحث.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأي: اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه فيما لم يرد فيه أثر صحيح أن يكون ملمًا بجملة العلوم التي يستطيع بها أن يفسر القرآن تفسيرًا عقليًا مقبولًا، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بغير علم، هذه العلوم هي:

١ - علم اللغة. ٢ - علم النحو. ٣ - علم الصرف. ٤ - علم الاشتقاق. ٥ - علوم البلاغة الثلاثة - المعاني، والبيان، والبديع. ٦ - علم القراءات. ٧ - علم أصول الدين. ٨ - علم أصول الفقه. ٩ - علم أسباب النزول. ١٠ - علم القصص. ١١ - علم الناسخ والمنسوخ. ١٢ - علم الحديث. ١٣ - علم الموهبة.

وهو علم يورثه الله تعالى من عمل بما علم، وإليه الإشارة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. هذا وقد زاد بعضهم علم أحوال البشر، وبعضهم علمي التاريخ وتقويم البلدان، وبعضهم نقص مما ذكرناه، وأيًا ما كان الأمر فكل علم يتوقف عليه تفسير شيء من كتاب الله تعالى تجب على المفسر معرفته، وإلا كان غير مستوف لشروط التفسير.

المصادر التي ينبغي لمن يقول في القرآن برأيه أن يعول عليها: كل من يقول في التفسير برأيه لا يجوز له بحال من الأحوال أن يهمل تفسير القرآن للقرآن، ولا ما صح من التفسير عن رسول الله ﷺ وأصحابه، ولو أن مفسرًا أهمل شيئًا من ذلك ولم ينظر فيه ولم يأخذ منه - لعد من المفسرين بالرأي المذموم، لأن رأيه حينئذ يكون معارضًا لما هو أقوى منه وأحق بالقبول. ولا ينبغي له أن يغفل ما صح عن الصحابة، مع موافقة كلامه لأصول اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم.

الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره: هناك أمور يجب على المفسر أن يتجنبها في تفسيره حتى لا يقع في الخطأ، ويكون ممن قال في القرآن برأيه الفاسد، وإليك هذه الأمور:

١ - التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه مع الجهالة بقوانين اللغة، وأصول الشريعة، وبدون أن يحصِّل العلوم التي يجوز معها التفسير.

٢ - الخوض فيما استأثر الله بعلمه: وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فليس للمفسر أن يتهجم على الغيب بعد أن جعله الله تعالى سرًا من أسراره وحجة على عباده.

٣ - السير في الهوى والاستحسان: فلا يفسر بهواه، ولا يرجع باستحسانه.

٤ - التفسير المقرر للمذهب الفاسد: بأن يجعل المذهب أصلًا والتفسير تابعًا، فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن، وإن كان غاية في البعد والغرابة.

٥ - التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل، وهذا منهي عنه شرعًا، لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

أشهر كتب التفسير التي بين أيدينا اليوم: تفسير الطبري، تفسير ابن الجوزي، تفسير ابن كثير، تفسير الزمخشري، تفسير النسفي، تفسير الألوسي، تفسير الجلالين، تفسير القرطبي، تفسير سيد قطب، تفسير السعدي.

نبذة عن تفسير الطبري: «جامع البيان في تأويل آي القرآن».

عقيدة الطبري هي عقيدة السلف الصالح رضي الله عنه وعنهم. ويذكر الروايات بأسانيدها ولا يحكم عليها غالبًا بصحة أو ضعف. ويذكر في تفسيره الأحكام الفقهية مع بيان الراجح منها، ويهتم بالقراءات في تفسيره، ولكنه يورد أخبارًا وقصصًا من الإسرائيليات ينبه على بعضها، ويسكت عن طائفة منها. وله اهتمام باللغة والنحو والشعر في تفسيره، وبالجملة فهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدرًا.

نبذة عن تفسير ابن الجوزي: «زاد المسير في علم التفسير».

عقيدة ابن الجوزي فيها اضطراب في كتبه! فهو يثبت بعض الصفات، ويؤول بعضها! وهو يميل في الغالب إلى مذهب المفوضة الذين يقولون: نقرأ آيات الصفات فقط دون أن نفهم المعنى أو نسأل عن الكيفية؟ وعقيدة السلف الصالح هي: فهم المعنى وتفويض الكيفية إلى الله لأنها من الغيب، أما المعنى فيفهم من كلام العرب ولغتهم. وابن الجوزي ينقل أقوال السلف في التفسير بدون إسناد، ويرتبها ترتيبًا حسنًا، ويهتم بالقراءات واللغة والنحو والشعر، ولكنه ينقل عن السدي وغيره قدرًا من الإسرائيليات.

نبذة عن تفسير القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن».

مؤول أشعري العقيدة، يعتمد في نقله على أئمة الأشاعرة فيما يتعلق بالعقيدة وقد رد على المتصوفة وبين انحرافاتهم في مواضع من الكتاب. يكثر من إيراد الأحاديث بغير إسناد غالبًا مع عزوها إلى المصدر الذي أخذ منه. وله اهتمام بالمسائل الفقهية وأدلتها، يرجع بالدليل دون تعصب لمذهبه

المالكي، ويذكر قليلًا من الإسرائيليات، له اهتمام بغريب القرآن واللغة والشعر.

نبذة عن تفسير ابن كثير: «تفسير القرآن العظيم».

عقيدته هي عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، ويهتم في تفسيره بتصحيح الروايات وتضعيفها، ويسوق الآثار بالأسانيد، وهو يفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بفهم السلف الصالح، ويحذر من الإسرائيليات، ويندر أن يسوق شيئًا منها بغير تنبيه عليه. والخلاصة أنه أجود وأيسر كتاب تفسير بالمأثور بين التفاسير المطبوعة، وقد رزقه الله قبولًا وانتشارًا.

نبذة عن تفسير الزمخشري: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» من أئمة المعتزلة؛ قال عنه الإمام الذهبي: «كن حذرًا من كشافه» أي من تفسيره؛ وذلك لأنه ينتصر لمذهبه، فيدفعه ذلك إلى تأويل الآيات وتحريفها ليقيم منها دليلًا على صحة مذهب المعتزلة، وهم من الفرق الضالة في هذه الأمة. وهو يتعرض للمسائل الفقهية بغير توسع، وهو حنفي غير متعصب لمذهبه، وقد ذكر في تفسيره الأحاديث الموضوعة في فضائل كل سورة، والخلاصة هو كتاب يجتنبه المبتدئ ويحذره المنتهي!.

نبذة عن تفسير النسفي: «مدارك التنزيل وحداتق التأويل».

مؤول أشعري، اختصر تفسيره من تفسير «البيضاوي» و«الكشاف» مجتنبًا اعتزال الزمخشري. وينتصر النسفي لمذهبه الحنفي! يذكر قليلًا من الإسرائيليات ولا يعقب عليها، وينبه على وجوه الإعراب والقراءات بغير تطويل.

نبذة عن تفسير الألوسي: «روح المعاني».

عقيدته تميل إلى غلاة المتصوفة؛ يستخدم التفسير الإشاري، ويجعل للقرآن ظاهرًا وباطنًا! ويسوق كثيرًا من الشطحات الصوفية، ويتردد في عقيدته في الصفات بين السلف والخلف، فتارة يثبت وتارة يؤول! ولكنه غالبًا يقرر مذهب الأشاعرة وينتصر له، وأحيانًا يرد عليهم، ومع هذا فهو موسوعة تفسيرية ينتفع بها من له إلمام واسع بمسائل العقيدة عند أهل السنة وغيرهم.

نبذة عن تفسير الجلالين: «جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي».

فسر المحلي من سورة الكهف إلى سورة الناس، وابتدأ الفاتحة ثم توفي، وأكمله السيوطي من الفاتحة إلى الإسراء، وهذا التفسير يقع فيه تأويل الصفات على مذهب الأشاعرة فينبغي أن يتنبه لذلك القراء. وفيه سهولة واختصار. وهو يسوق الأحاديث وأسباب النزول والآثار بغير أسانيد ولا يعزوها لمصدر غالبًا. ويتعرض للمسائل الفقهية والإعراب والقراءات على وجه الاختصار، ولكنه يتأثر بالإسرائيليات في مواضع مختلفة دون أن ينبه عليها أو يحذر منها!

نبذة عن تفسير سيد قطب: «في ظلال القرآن».

أوّل بعض الصفات، تأثر بمن سبقه من المفسرين أحيانًا كالزمخشري وغيره في بعض مسائل العقيدة، ويرجع البعض ذلك إلى انشغاله - رحمه الله - بالدعوة والحركة، فلم يطلع على كلام أئمة السلف في هذا الباب. ويتميز هذا الكتاب بأسلوب أدبي رصين، ومداواة لأمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وبيان محاسن الدين. وهو يتعرض للمسائل الفقهية باختصار، ويعرض عن ذكر الإسرائيليات والقصص، ويسكت عما سكت عنه القرآن فيما يتعلق بالأسماء المبهمة كالذي مر على قرية وأهل الكهف، ونحوهما.

والخلاصة: أنه كتاب مفيد للدعاة مع التنبيه لما فيه من مخالفة للسلف الصالح في مسائل الاعتقاد.

نبذة عن تفسير السعدي: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

من أجود كتب التفسير المعاصرة، وإن شئت فقل: أجودها، فيه عقيدة صحيحة، واهتمام بمعاني القرآن دون تركيز على الألفاظ المفردات لا يذكر الأحاديث إلا نادرًا مع ذكره لمعناها في سياق تفسيره، ويشرح الأحكام الفقهية في الآيات في سهولة ويُسر بغير تعرض للخلاف، لا يذكر القراءات لأن من سبقه كفاه. ولا يذكر الإسرائيليات في كتابه، ويرد عليها ويرفضها، والخلاصة أنه كتاب تفسير سهل ميسور ننصح باقتنائه وقراءته.

• • •

الإعجاز القرآني

الإعجاز: هو إثبات العجز.

والعجز: ضد القدرة، وهو القصور عن فعل الشيء، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز.

تعريف المعجزة: هي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.

شروط المعجزة:

١- أن يكون ذلك الخارق فعلًا لله تعالى، لأن التصديق منه تعالى وحده لرسوله، فلا يكون الخارق من فعل غيره.

٢- أن تكون المعجزة خارقة للعادة، لأنها لو لم تكن خارقة للعادة لأمكن للكاذب ادعاء النبوة. وبهذا الشرط يخرج السحر والشعوذة والمخترعات الغريبة، فإنها ليست خارقة للعادة، بل تُعرف عن طريق التعلم والدراسة.

٣- أن تظهر على يد مدعي النبوة ليعلم أن هذه المعجزة تصديق له، وبهذا الشرط تخرج الكرامة والمعونة والاستدراج، فإنها لا تظهر على يد مدعي النبوة. فإن الكرامة تظهر على يد ظاهر الصلاح، والمعونة تظهر على يد العوام تخليصًا لهم من شدة، والاستدراج يظهر على يد فاسق خديعة ومكرًا به.

٤- أن تكون المعجزة موافقة لدعوى النبي، بأن يقول: آية صدقي انشقاق الحجر، فينشق كما قال.

٥- أن تتعذر معارضة المعجزة والإتيان بمثلها.

٦- أن تكون المعجزة مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة ومصاحبة لها حقيقة: بأن تأتي المعجزة عقب ادعاء النبوة مباشرة دليلًا على صدق دعواه، أو حكمًا: بأن تأتي المعجزة متأخرة زمنًا يسيرًا. وبهذا تتميز المعجزة عن الكرامة، فإن الكرامة لا تكون مقارنة لدعوى النبوة.

٧- ألا تكون المعجزة في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، فإن الخوارق في هذا الزمن ليست معجزة.

انظر المقاصد [٢/ ١٧٦]، شرح البيجوري [ص ١٦٤].

أنواع المعجزة: النوع الأول: حسية: مثل: معجزات الأنبياء كناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى.

النوع الثاني: عقلية: وهي القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الخالدة.

الفرق بين معجزة الرسول ﷺ ومعجزات إخوانه من الأنبياء: معجزات الأنبياء حسية، فلهذا انقرضت بانقراض عصورهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزات الرسول ﷺ عقلية، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، وذلك كما قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة». (رواه البخاري).

كيف تحدى الله تعالى العرب بالقرآن الكريم: تحدى الله تعالى العرب بالقرآن على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى في التحدي: تحداهم الله تعالى بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم، ويتناول كل الإنس والجن مجتمعين؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] فعجزوا عن الإتيان بمثله.

المرحلة الثانية في التحدي: تحداهم بعشر سور من القرآن؛ قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣، ١٤] فلم يستطيعوا الإتيان بعشر سور.

المرحلة الثالثة في التحدي: تحداهم الله تعالى بسورة واحدة منه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]. فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله، وبعجزهم هذا ثبتت الرسالة.

جوانب الإعجاز في القرآن الكريم: القرآن الكريم معجز في كل شيء، في ألفاظه وأسلوبه وبيانه ونظمه وعلومه ومعارفه وتشريعه وإخباره عن المستقبل.

• • •

الإعجاز اللغوي والتشريعي والغيبي والعددي

المقصود بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم: بلغ القرآن الكريم القمة في إعجازه اللغوي؛ حيث أعجز أساطين الفصحاء، وأخرس ألسنة الفحول من عباقرة البيان، واحتار في أمره رجال الشعر والنثر، وتحيرت العقول واندهشت من أسلوبه الخلاب، ووقف أمامه الفكر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فرقَّ قلبه له، فبلغ ذلك أبا جهل. فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتتعرض لما قاله.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا.

قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له وكاره.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن... والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أفكر. فلما فكر، قال: سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... ﴾ [المدثر: ١١]. وأيضًا قصة الطفيل الذي وضع في أذنيه قطنًا حتى لا يسمع القرآن من الرسول ﷺ، وشاء الله أن يسمعه فأسلم. وحيثما قلَّب الإنسان نظره في القرآن وجد أسرارًا من الإعجاز اللغوي؛ يجذبه في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه حتى يسمع حركاتها وسكناتها ومدودها وفواصلها وقواطعها، فلا يملُّ سامعه وإذا قرأه فكأنه قرأه لأول مرة... فالقرآن عجيب في نظمه ومواعظه وقصصه وأمثاله.

وقد جاء القرآن مع طوله وكثرته متناسبًا في الفصاحة والبلاغة؛ لأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]

وقد اعتبر القرآن سماعه حجة عليهم. وقد رد الله على المشركين حينما طلبوا آيات تؤيد صدق الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

أمثلة على الإعجاز البياني واللغوي للقرآن الكريم.

القرآن كله معجز، ولكن نأخذ أمثلة خفيفة على ذلك:

١- من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤] فهذا جزء من آية، وهذا الجزء تكون من ثلاث كلمات، وهذه الكلمات الثلاث اشتملت على جميع ما في الرسالة.

٢- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء: ٨١] وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩] جاء بكلمة هو في الثانية ولم يأت بها في الأولى؛ لتأكيد الفعل الإلهي، وصرف المدَّعين عن أنهم سبب الإطعام، بينما في الأولى لن يدعي أحد خلق الإنسان وإماتته وإحياءه، فلم تكن ضرورة للتوكيد.

٣- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢]. لماذا قدم الزانية على الزاني بينما في السرقة قدم السارق على السارقة؟

والإجابة: لأن المرأة لها دور خطير في موضوع الزنا أكثر من دور الرجل، كما أن آثار الزنا ستظهر على المرأة لا الرجل.

المقصود بالإعجاز التشريعي للقرآن الكريم: بدأ القرآن الكريم بتربية الفرد أولًا، لأنه لبنة المجتمع، وربَّاه على تحرير وجدانه وحمله التبعة، وحرره بعقيدة التوحيد التي تخلصه من سلطان الخرافة والوهم والشرك، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات حتى يكون عبدًا خالصًا لله.

فإذا أصبح كذلك أخذ بشرائع القرآن من الفرائض والعبادات؛ ففيها صلاح الفرد والمجتمع، فإذا أداها المسلم بإخلاص وحب امتزجت روحه وحياته بالشرع، وأصبحت هذه الفرائض حارسًا له ووازعًا له من الفحشاء والمنكر.

وينتقل القرآن الكريم بإعجازه التشريعي إلى بناء المجتمع، وقيام نظام الحكم، حيث قرر قواعد ومبادئ الدولة الإسلامية، وأسس نظام الشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] وشرع لها المبادئ العادلة ومساواة حقيقية بين أفراد المجتمع المسلم، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥] ثم قرر القرآن مبدأ الزواجر الاجتماعية والعقوبات الرادعة، وهي الجنايات والحدود، صيانة وطهارة للمجتمع من الرذيلة ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وهكذا يكون القرآن دستورًا تشريعيًا كاملًا يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه اللغوي والعلمي والتشريعي إلى الأبد، حيث تهافتت أمامه كل التشريعات والقوانين الوضعية التي شقيت البشرية بظلها وتفنيها وأبعدتها عن طريق الصواب.

المقصود بالإعجاز الغيبي للقرآن الكريم: المقصود أنه اشتمل على علم الغيب وقصص الماضين، وذلك مما لا يقدر عليه علم البشر، ولا سبيل لهم عليه.

فمن ذلك ما وعد الله به نبيه محمدًا ﷺ أنه سيظهر دينه على سائر الأديان، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] ففعل ذلك وأظهر دينه.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإيمانه العميق وتصديقه للرسول ﷺ كان إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله به من إظهار دينه؛ ليثقوا بالنصر ويستيقنوا الفلاح.

وكان عمر يفعل ذلك في خلافته، ويحرِّض أمراء الجيوش، فكان الفوز والنصر حليفهم، حتى اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهده؛ قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢] فصدق الله ورسوله ﷺ وصدق خلفاء رسوله الراشدون .

ولقد وعد الله أهل بدر بالنصر وفعل ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧].

واشتمل القرآن على قصص الأقوام السابقة من حين ما خلق الله آدم.. إلى حين بعثته ﷺ، وهذه الأمور لا سبيل إلى معرفتها إلا بالتعلم والدراسة الوافية، والرسول لم يتعلم ولم يقع بين يديه كتاب جامع لهذه العلوم، ولم يتلق دروسه على يد فطاحل العلماء وعباقرة عصره حتى يكون في هذا المستوى الثقافي والعلمي.

ولا يمكن تعلم كل ذلك إلا عن طريق الوحي ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤].

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

* * *

الإعجاز العلمي

المقصود بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم: القرآن الكريم هو كتاب عقيدة وهداية وإعجاز، فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز، ونخضعه للنظريات العلمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة نلتمس لها محملًا في آية من آيات القرآن ونؤولها بما يوافق النظرية، هذا خطأ سائد عند الكثير من الناس، وإسراف في التأويل ما بعده إسراف، لهذا روعيت في القرآن بالنسبة إلى العلوم الكونية أمور واعتبارات لا يصدر مثلها عن مخلوق وهي:

١- أن الله تعالى لم يجعل هذه العلوم الكونية من موضوع القرآن؛ وذلك لأنها خاضعة لنظرية النشوء والارتقاء.

٢- أن القرآن دعانا إلى هذه العلوم من باب النظر والبحث والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[يونس: ١٠١].

٣- أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبة له تعالى ومقهورة تحت مراده وتصرفه، ونفى عنها ما علق في أذهان الضالين الذين توهموها آلهة ذات تأثير وسلطان، بينما هي خاضعة لله وسلطانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤١].

وكذلك أشعرنا أنها هالكة ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ... ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

وإعجاز القرآن العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما إعجازه في حثه على التفكير؛ فهو يحث الإنسان على النظر في الكون، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بين الاستزادة من العلوم، كما حدث للكنيسة عندما شلت حركة العقل وهاجمت العلوم.

فالقرآن الكريم فيه إشارات علمية سيقت مساق الهداية، وهي كثيرة في القرآن.

الإعجاز العددي في القرآن الكريم: هذا نوع من أنواع الإعجاز للقرآن الكريم، وذلك بأن تأتي ألفاظ وأضدادها بالتساوي بطريقة تبهر العقول.

* * *

المصحف الشريف بالأرقام

بدأ نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في ٢٧ من رمضان.

عمر النبي ﷺ وقت نزول الوحي (٤٠ سنة).

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ لمدة (٢٣) سنة، وهي فترة رسالته.

مدة نزول القرآن الكريم في مكة (١٢) سنة و(٥) شهور و(١٣) يومًا.

مدة نزول القرآن الكريم في المدينة (٩) سنين و(٩) شهور و(٩) أيام.

عدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة.

عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية.

عدد الآيات المكية (٤٤٧٥) آية.

عدد الآيات المدنية (١٧٦١) آية.

عدد السور المكية على رأي أكثر العلماء (٨٥) سورة.

وعدد السور المدنية (٢٩) وقيل: ٣١ سورة.

عدد أجزاء القرآن الكريم (٣٠) جزءًا، والجزء حزبان، والحزب (٤) أرباع.

عدد أحزاب القرآن الكريم (٦٠) حزبًا.

عدد أرباع القرآن الكريم (٢٤٠) ربعًا.

عدد أعشار القرآن الكريم (٤٨٠) عشرًا.

عدد كلمات القرآن الكريم (٩٧٤٣٩) كلمة.

عدد ألفاظ القرآن الكريم (٥١٩٢٤) لفظًا.

وعدد نقاط القرآن الكريم (١٥٠٦٨١) نقطة.

عدد حروف القرآن الكريم (٣٢٣٦٧١) حرفًا.

عدد سجدات التلاوة في القرآن الكريم (١٤) سجدة.

سور القرآن الكريم التي بدأت بالحروف (٢٩) سورة.

السور التي بدأت بالحروف هي:

(٦) سور بدأت بحروف ﴿الٓمٓ﴾ وهي: سورة البقرة – آل عمران – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة.

و(٥) سور بدأت بحروف ﴿الٓر﴾ وهي: يونس – هود – يوسف – إبراهيم – الحجر.

و(٧) سور بدأت بحرفي ﴿حمٓ﴾ وهي: غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الدخان – الجاثية – الأحقاف.

وسورتان بدأتا بحروف ﴿طسٓمٓ﴾ وهما: سورتي الشعراء – سورة القصص.

وسورة بدأت بحروف ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وهي سورة: مريم.

وسورة بدأت بحروف ﴿الٓمٓر﴾ وهي: سورة الرعد.

وسورة بدأت بحرفي ﴿طسٓ﴾ وهي: سورة النمل.

وسورة بدأت بحروف ﴿الٓمٓصٓ﴾ وهي: سورة الأعراف.

وسورة بدأت بحرفي (طه) وهي سورة: طه.

وسورة بدأت بحرف (ص) وهي سورة: ص.

وسورة بدأت بحرف (ق) وهي سورة: ق.

وسورة بدأت بحرف (ن) وهي سورة: القلم.

وسورة بدأت بحرفي (يس) وهي سورة: يس.

أين يقع كل من نصف القرآن، وربعه، وثلثه الأول، وثلثه الثاني، وربعه الثالث؟

الجواب: يقع نصف القرآن عند كلمة ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وربع القرآن عند كلمة ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وثلثه الأول عند كلمة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقع ثلثه الثاني عند ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

ويقع ربعه الثالث عند كلمة ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

• • •

تلاوة القرآن

تستحب قراءة القرآن على أكمل الأحوال متطهرًا، مستقبل القبلة، متحريًا بها أفضل الأوقات كالليل وبعد المغرب وبعد الفجر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وتجوز القراءة قائمًا وقاعدًا ومضجعًا وماشيًا وراكبًا، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]؛ فيستحب الإكثار من قراءة القرآن ليلًا ونهارًا وصباحًا ومساءً وثبت حديث: «لا حسدَ إلا في اثنتَين: رجلٍ آتاه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، ورجلٍ آتاه اللهُ مالًا فهو ينفقُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ » رواه البخاري.

والحسد: الغبطة، والآناء: الساعات، وقراءة القرآن أفضل من سائر الذكر، ففي الحديث القدسي: «**من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وترتيل القراءة أفضل من السرعة مع تبيين الحروف، وأشد تأثيرًا في القلب، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وينبغي تحسين الصوت بالقراءة لقوله ﷺ: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم» أخرجه أحمد وغيره، وإسناده صحيح. وفي لفظ عند الدارمي بإسناد حسن: «**حَسِّنُوا القرآنَ بأَصْوَاتِكم، فإن الصَّوتَ الحسن يزيدُ القرآنَ حُسنًا**».

* * *

مقدار القراءة المستحبة

ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع يقرأ في كل يوم سبعًا من القرآن، وفيما دون الأسبوع أحيانًا في الأوقات الفاضلة والأمكنة الفاضلة كرمضان والحرمين الشريفين وعشر ذي الحجة: اغتنامًا للزمان والمكان، وإن قرأ القرآن في كل ثلاثة أيام فحسن لقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو «**اقْرَأْ في كُلِّ ثَلَاثٍ**» رواه أحمد. ويكره تأخير ختم القرآن عن أربعين يومًا إن خاف نسيانه.

قال الإمام أحمد: ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه، ويحرم على المحدث حدثًا أصغر أو أكبر مس المصحف لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ويحرم على الجنب قراءة القرآن حتى يغتسل لحديث: «**لا تَقْرَأُ الحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ**» رواه الترمذي في سننه، وقال الأرناؤوط: وهو حسن بشواهده.

* * *

استماع القرآن

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أمر الله بالاستماع والإنصات لقراءة القرآن ووعد على ذلك الرحمة، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من استمع إلى آيةٍ من كتابِ اللهِ، كُتِبت له حسنةٌ مضاعفةٌ، ومن تلاها كانت له نورًا يومَ القيامةِ**» رواه أحمد.

* * *

الانتفاع بالقرآن

قال ابن القيم في الفوائد: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فأجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من يتكلم به منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

لو جاءك خطاب من ملك من ملوك الدنيا يأمرك فيه وينهاك، لم يستقر لك قرار ولم يهدأ لك بال حتى تقرأه وتفهمه وتنفذ ما فيه، فكيف بكلام الله ملك الملوك الذي تضمن أسباب السعادة والشقاوة الذي لو نزل على الأرض لقطعها أو على الجبال لصدعها؟! لا تهتم به ولا تحرص على قراءته وفهم معانيه، فانتبه لذلك وفقك الله.

* * *

هجر القرآن

هجر القرآن أنواع: هجر قراءته، وهجر سماعه والإيمان به، وهجر تدبره، وهجر العمل به، وهجر تحكيمه، وهجر الاستشفاء به من أمراض

القلوب وأمراض الأبدان، فمن لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأه ولم يفهم معناه فقد هجره، ومن قرأه وفهم معناه ولم يعمل به فقد هجره، كل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

* * *

القرآن الكريم (كلية الشريعة)

قال الشاطبي: «قد تقرر أن الكتاب العزيز كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة، وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله على مر الأيام والليالي نظرًا وعملًا، فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، وأن يجد نفسه في السابقين. والرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك - ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين والسلف المتقدمين - أخذ بيده في هذا المقصد الشريف والرتبة المنيفة».

* * *

في القرآن الكريم بيان كل شيء

القرآن الكريم فيه بيان كل شيء، فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، والدليل على ذلك أمور منها النصوص القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] يعني: الطريقة المستقيمة ولو لم يكن فيه جميع معانيها لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة وأشباه ذلك من الآيات الدالة على أنه هدى وشفاء لما في الصدور، ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور إلا وفيه تبيان كل شيء، ومنها ما جاء من الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك. كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ وهو النُّورُ المبينُ والشِّفاءُ النَّافعُ، عِصمةٌ لمن تمسَّك به ونجاةٌ لمن تبِعه، لا يعوجُّ فيُقَوَّمُ ولا يزيغُ فيُستعتَبُ، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخلَقُ عن كثرةِ الردِّ» الحديث، فكونه حبل الله بإطلاق والشفاء النافع دليل على كمال الأمر فيه، وفي الحديث: «يؤمُّ القومَ أقرؤُهمْ لِكتابِ اللَّهِ» رواه مسلم، وما ذاك إلا أنه أعلم بأحكام الله، فالعالم بالقرآن عالم بجملة الشريعة وعن عائشة رضي الله عنها: «من قرأ القرآن فليس فوقه أحد» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذَا أَرَدْتُمْ العِلْمَ فَعَلَيْكُمْ بِالقُرْآنِ فَإِنّ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ» وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «من جمع القرآن؛ فقد حمل أمرًا عظيمًا».

* * *

إعجاز القرآن

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، والإعجاز في اللغة العربية معناه نسبة العجز إلى الغير وإثباته له، والقرآن الكريم أعجز الناس عن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله أو بحديث مثله، قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أوجه إعجاز القرآن:

١ - النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.

٢ - الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

٣ - الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.

٤ - التشريع الدقيق الكامل الذي يفي بحاجات البشر.

٥ - الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلة، التي لا تعرف إلا بالوحي.

٦ - الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن من وعد ووعيد.

٧ - عجز المخلوقين عن أن يأتوا بمثله.

٨- كونه محفوظًا من الزيادة والنقصان ومن التبديل والتغيير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٩- تيسيره للحفظ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

١٠- تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء حتى قال الوليد بن المغيرة: «وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا تَقُولُهُ بَشَرٌ».

١١- كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام.

والقرآن أولًا وآخرًا هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز، والقرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالًا لأمر ربه، واحتوى القرآن على الأمر الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع وبغير أسلوب ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣]، ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

شُعَبُ الحياة التي تناولها القرآن ببيان أحكامها

احتوى القرآن الكريم على كثير من نواحي الحياة المختلفة من ذلك ما يأتي:

١- العقائد التي يجب الإيمان بها في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

٢- الإرشاد إلى النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، لتعرف أسرار الله في كونه وإبداعه في خلقه، فتمتلئ القلوب إيمانًا بعظمته عن نظر واستدلال لا عن تقليد ومجاراة.

٣- قصص الأولين أفرادًا وأممًا، فقد ورد في القرآن كثير من القصص الذي يثير الاعتبار والاتعاظ، ويرشد إلى سنن الله في خلقه نجاة للصالحين وهلاكًا للمفسدين.

٤- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة، كالصبر والصدق والوفاء وأداء الأمانة مع التحذير من الأخلاق السيئة التي تودي بمعاني الحياة الإنسانية الفاضلة، وتسبب لها الشقاء كالكذب والخيانة وإخلاف الوعد ونقض العهد...

٥- العبادات على اختلاف أنواعها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد، وجاء في ذلك ما يقرب من مائة وأربعين آية.

٦- نظام الأسرة كأحكام الزواج والطلاق وما يتبعها من مهر ونفقة وحضانة ورضاع ونسب وعدة ووصية وإرث، وجاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية.

٧- أحكام المعاملات المالية كالبيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة، جاء في ذلك ما يقرب من سبعين آية أيضًا.

٨- أحكام الجنايات والحدود والسرقة والزنا والقذف ومحاربة الله في أرضه، وجاء في ذلك ما يقرب من ثلاثين آية.

٩- أحكام الحرب والسلم وما يتبع ذلك من جهاد وغنيمة وأسر وعهود وجزية.

١٠- نظام الحكم فيما يجب على الحكام من الشورى والعدل والمساواة والحكم بما أنزل الله، وما يجب على الناس لهم من طاعة.

١١- تنظيم الحياة الاجتماعية في علاقة الأغنياء بالفقراء فيما يحقق العدل الاجتماعي بين الناس، ولم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام وقيل إنها: خمسمائة آية أو قريب منها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

هداية القرآن للتي هي أقوم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ما أعظم هذه القاعدة! وما أحكم هذا الأصل العظيم الذي نص نصًا صريحًا على عموم هداية القرآن وعدم تقييد هذه الهداية بحال من الأحوال! فكل حالة هي أقوم في العقائد والأخلاق والأعمال والسياسات والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية، فإن القرآن يهدي لها ويرشد إليها ويأمر بها ويحث عليها، ومعنى ﴿أَقْوَمُ﴾ أصلح وأكمل استقامة وأعظم قيامًا وصلاحًا للأمور.

فأما عقائد القرآن فهي العقائد النافعة التي فيها صلاح القلوب وحياتها وكمالها، فإنها تملأ القلوب عزة وكرامة بشعورها بالتجرد من الذل لمخلوق مثلها، وشرفها بتخصصها لمحبة الله تعظيمًا له وتألهًا وتعبدًا وإنابة، وهذا المعنى هو الذي أوجد الله الخلق لأجله.

وأما أخلاق القرآن التي يدعو إليها فإنه يدعو إلى التحلي بكل خلق جميل، من الصبر والحلم والعفو والأدب وحسن الخلق مع الله ومع الخلق وجميع مكارم الأخلاق، ويحث عليها بكل طريق ويؤلف القلوب ويجمع المتفرق، وأما الأعمال الدينية التي يهدي إليها فهي أحسن الأعمال التي فيها القيام بحقوق الله وحقوق عباده على أكمل الحالات وأجلّها وأسهلها وأوصلها إلى المقاصد.

وأما السياسات الدينية والدنيوية فهو يرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المقاصد والمصالح الكلية وفي دفع المفاسد، ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته والعمل بما تقتضيه المصلحة في كل وقت بما يناسب الحال، حتى في سياسة الوالد مع ولده وزوجه وأهله وخادمه وأصحابه ومعامليه، فكل مصلحة يتفق العقلاء أنها أقوم وأصلح من غيرها، فإن القرآن يرشد إليها نصًّا ظاهرًا أو دخولًا تحت قاعدة من قواعده الكلية، وكل التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، وما تقتضيه المصالح تفصيلًا لهذا الأصل المحيط، وبهذا وغيره يتبين لك أنه لا يمكن أن يوجد علم صحيح أو معنى نافع أو طريق صلاح يرده القرآن.

ومما ينبغي لصاحب القرآن: أن يخلص في طلبه لله ﷻ، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن ليله ونهاره في الصلاة وغيرها لئلا ينساه، وينبغي أن يكون لله حامدًا، ولنعمه شاكرًا، وله ذاكرًا، وعليه متوكلًا، وبه مستعينًا، وإليه راغبًا، وبه معتصمًا، وللموت ذاكرًا، وله مستعدًّا.

وينبغي أن يكون خائفًا من ذنبه، راجيًا عفو ربه، ساعيًا في خلاص نفسه ونجاة مهجته، مقدمًا بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهدًا لنفسه في ذلك ما استطاع، وينبغي أن يكون أهم أموره الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه، وينبغي أن يتواضع للفقراء، ويتجنب الكبر والإعجاب، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب، وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره، ويسلم من ضره، وأن يصاحب من يعاونه على الخير، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه.

وينبغي أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه، ولا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يعلم معناه؟ وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حاله إلا كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا. ثم ينظر في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، فبها يصل الطالب إلى مراد الله ﷻ في كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن، وذلك كبيانه ﷺ للصلوات الخمس في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها، وكبيانه مقدار الزكاة ووقتها والأموال التي تجب فيها، وكبيانه مناسك الحج، قال ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، وقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وعن الفضيل بن عياض ﵀ قال: «تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهرًا به، ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى يخلص النية فيه لله جل ذكره، فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقي الله في نفسه ويخلص العمل به».

قال أبو عمر بن عبد البر: وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزوها حتى يتعلموا معانيها وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها ويعملوا بها، ويلزم قارئ القرآن تعظيمه وحرمته، قال الحكيم الترمذي، في نوادر الأصول: فمن حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهرًا، وأن يستاك ويطيب فاه إذ هو طريقه، وأن يستقبل القبلة بقراءته، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقرأ البسملة عند ابتداء القراءة، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يقرأ على تؤدة وترتيل، وأن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، وأن يقف على آية الوعد ويرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وعند آية الوعيد فيستعيذ بالله منه، ويقف على أمثاله فيعتبر بها، وأن يؤدي لكل حرف حقه في الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تمامًا، فإن له بكل حرف عشر حسنات، ومن حرمة القرآن ألا يقرأه بألحان الغناء كما يلحن أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى، ولا بنوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ، وألا يجهر بعض على بعض بالقراءة، وألا يماري ولا يجادل في القرآن، وأن لا يصغر المصحف، ومن حرمة القرآن ألا يفسر بمجرد الرأي، فإن ذلك لا يجوز وعليه الوعيد الشديد، قال ﷺ: «مَن قَالَ فِي القُرْآنِ برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

فالقرآن شافع مشفع لمن عمل به، وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل به ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة بقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] فإذا قصّر المسلم في تلاوة القرآن، أو قصّر في فهمه أو قصّر في العمل به فقد هجره: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فعلينا معاشر المسلمين أن نقدر كلام ربنا حق قدره، ونعظمه حق تعظيمه، ونتدبر آياته، فنتذكر بها ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ليكون حجة لنا عند ربنا، ولندرك به سعادة الدنيا والآخرة، وعلينا أن نتلوه حق تلاوته ونتدبره لننتفع به، ونكون من الفائزين، قال الشاعر:

واظب على درس القران فإنه   يلين قلبًا قاسيًا مثل جلمد

وقال آخر:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى   فالعلم تحت تدبر القرآن

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

	القرآن الكريم	الحديث القدسي
الوجه الأول	أن القرآن نزل مقرونًا بالتحدي	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثاني	أن القرآن الكريم متعبد بتلاوته	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثالث	القرآن متواتر، نقله الجمع الغفير ممن بلغ الغاية في العدالة والضبط عن مثلهم إلى النبي ﷺ	والحديث القدسي منه الصحيح ومنه الحسن، ومنه الضعيف
الوجه الرابع	لا تجوز رواية القرآن بالمعنى	يجوز أن يروى بمعناه
الوجه الخامس	لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا مس المصحف	يجوز للجنب قراءة الحديث القدسي ومس الكتاب الذي يحتويه
الوجه السادس	أن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم	لم يتكفل الله بحفظه
الوجه السابع	من أنكر لفظًا من ألفاظ القرآن الكريم كفر، لأنه متواتر كله	بخلاف الحديث القدسي فإنه من أنكر منه شيئًا، لم يعلم من الدين بالضرورة، لا يكفر لأن الحديث القدسي ليس كذلك
الوجه الثامن	القرآن كل حرف منه بحسنة عند قراءته	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه التاسع	القرآن يتعبد به في الصلاة	والحديث القدسي ليس كذلك
الوجه العاشر	القرآن لفظًا ومعنى من الله عز وجل	الحديث القدسي معنى من الله عز وجل واللفظ للنبي ﷺ

• • •

الأحرف السبعة

روى مسلم عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة مسيل الماء إلى الغدير في بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرف».

فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرفين»، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم جاءه الثالثة فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف». فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك».

ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا.

المقصود بالأحرف السبعة:

اختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافًا كثيرًا حتى قال ابن حبان: اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولًا. وأهم هذه الأقوال ستة:

القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة: سبع لغات وهي لغات العرب في المعنى الواحد. على معنى: أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلًا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

وقد اختلف العلماء في تحديد اللغات السبع.

فقيل: هي لغات قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

وقيل: قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر.

القول الثاني في الأحرف السبعة:

المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح

لغاتهم، فأكثره بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل أو ثقيف أو هوازن أو كنانة أو تميم أو اليمن، فهو يشتمل في مجموعه على اللغات السبع.

وهذا الرأي يختلف عن سابقه؛ لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني.

القول الثالث في الأحرف السبعة:

ذكر بعض العلماء أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة: الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدل، والقصص، والمثل.

أو: الأمر، والنهي، والمحكم، والمتشابه، والحلال، والحرام، والأمثال.

القول الرابع في الأحرف السبعة:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف.

الوجه الأول: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعها «التثنية والجمع والتأنيث».

وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨] قرئ «لأماناتهم» بالجمع، وقرئ «لأمانتهم» بالإفراد.

الوجه الثاني: الاختلاف في وجوه الإعراب.

كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] قرأ الجمهور بالنصب على أن «ما» عاملة عمل «ليس»، وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن.

وقرأ ابن مسعود: «ما هذا بشرٌ» بالرفع، على لغة بني تميم، فإنهم لا يُعملون (ما) عمل (ليس).

الوجه الثالث: الاختلاف في التصريف، كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] قرئ بنصب «ربَّنا» على أنه منادى مضاف، و«باعِدْ» بصيغة الأمر. وقرئ «ربُّنا» بالرفع، و«باعَدَ» بالفتح على أنه فعل ماض، وقرئ «بعِّد» بفتح العين مشددة مع «ربَّنا» أيضًا.

ومن ذلك ما يكون بتغيير حرف، مثل «يعلمون» و«تعلمون» بالياء والتاء، و«الصراط» من «السراط» بالسين والصاد.

الوجه الرابع: الاختلاف في التقديم والتأخير، إما في حرف، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ [الرعد: ٣١] وقرئ: «أفلم يأيس».

وإما في الكلمة، كقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] وقُرئ بالعكس «فيُقتَلون ويَقتُلون».

الوجه الخامس: الاختلاف بالإبدال، سواء أكان إبدال حرف مكان آخر، كقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون «نَنشرها». أو إبدال لفظ بلفظ، كقوله تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] قرأ ابن مسعود وغيره «كالصوف المنفوش».

الوجه السادس: الاختلاف بالزيادة والنقص. فالزيادة كقوله تعالى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] قرئ «من تحتها الأنهار» بزيادة «من» وهما قراءتان متواترتان. والنقصان كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] بدون واو وقراءة الجمهور: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

الوجه السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل والإشمام. ونحو ذلك.

القول الخامس في الأحرف السبعة:

ذهب بعض العلماء إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألِفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد.

القول السادس في الأحرف السبعة:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن المقصود بالأحرف السبعة هي: القراءات السبع.

ارجح الأقوال في الأحرف السبعة:

أرجح الأقوال هو القول الأول، الذي يقول: إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وعجِّل، وأسرع... فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد.

وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء.

واختار ابن الجزري القول الرابع الذي يقول: إن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف. وهذه الأوجه هي:

الوجه الأول: اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعها «التثنية والجمع والتأنيث». الوجه الثاني: الاختلاف في وجوه الإعراب. الوجه الثالث: الاختلاف في التصريف. الوجه الرابع: الاختلاف في التقديم والتأخير. الوجه الخامس: الاختلاف بالإبدال. الوجه السادس: الاختلاف بالزيادة

والنقص. الوجه السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل والإشمام. ونحو ذلك.

الحكمة من نزول القران على سبعة احرف:

١- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان.

٢- إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب.

٣- إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه.

• • •

القراءات

القراءات: جمع قراءة. وهي في الاصطلاح العلمي: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من أئمة القراء مذهبًا يخالف غيره، وهي ثابتة بأسانيدها إلى الرسول ﷺ، ويرجع عهد القراء إلى عهد الصحابة، واشتهر عدد منهم بالإقراء، منهم: أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو موسى الأشعري... وغيرهم كثير.

أنواع القراءات:

قال الإمام السيوطي: القراءات: متواتر ومشهور وآحاد وشاذ وموضوع ومدرج.

وقال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءات تنقسم إلى: متواتر وآحاد وشاذ.

فالمتواتر: القراءات السبع المشهورة.

والآحاد: قراءة الثلاث التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاذ: قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب.

الأئمة السبعة:

هذا جدول يوضح نبذة مختصرة عن الأئمة السبعة ورواتهم:

م	القرّاء	تاريخ الوفاة	أسماء الرواة	تاريخ الوفاة
١	نافع بن عبد الرحمن المدني	١٦٩ هـ	١- قالون (عيسى بن مينا) ٢- ورش (عثمان بن سعيد)	٢٢٠ هـ ١٩٧ هـ
٢	عبد الله بن كثير المكي	١٢٠ هـ	١- البزي (أحمد بن محمد) ٢- قنبل (محمد بن عبد الرحمن)	٢٥٠ هـ ٢٩١ هـ
٣	أبو عمرو بن العلاء البصري	١٥٤ هـ	١- الدوري (حفص بن عمر) ٢- السوسي (صالح بن زياد)	٢٤٦ هـ ٢٦١ هـ
٤	عبد الله بن عامر الشامي	١١٨ هـ	١- هشام (هشام بن عمّار) ٢- ابن ذكوان (عبد الله بن أحمد)	٢٤٥ هـ ٢٤٢ هـ
٥	عاصم بن أبي النجود الكوفي	١٢٧ هـ	١- شعبة (شعبة بن عيّاش) ٢- حفص (حفص بن سليمان)	١٩٣ هـ ١٨٠ هـ
٦	حمزة بن حبيب الزيات الكوفي	١٥٦ هـ	١- خلف (خلف بن هشام) ٢- خلّاد (خلاد بن خالد)	٢٢٩ هـ ٢٢٠ هـ
٧	أبو الحسن بن حمزة الكسائي الكوفي	١٨٩ هـ	١- أبو الحارث (الليث بن خالد) ٢- الدوري (حفص بن عمر)	٢٤٠ هـ ٢٤٦ هـ

القراءات الثلاث المكملة للعشر:

القراءات الثلاث المكملة للعشر هي قراءات الأئمة الآتية أسماؤهم في الجدول ومعهم أسماء رواتهم:

م	القرّاء	تاريخ الوفاة	أسماء الرواة	تاريخ الوفاة
١	أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع المدني	١٣٠ هـ	١- ابن وردان (عيسى بن وردان) ٢- ابن جاز (سليمان بن مسلم)	١٦٠ هـ ١٧٠ هـ
٢	يعقوب بن إسحاق البصري	٢٠٥ هـ	١- رُوَيس (محمد بن المتوكل) ٢- روح (روح بن عبد المؤمن)	٢٣٨ هـ ٢٣٤ هـ
٣	خلف بن هشام البزّار البغدادي	٢٢٩ هـ	١- إسحاق (إسحاق بن إبراهيم) ٢- إدريس (إدريس بن عبد الكريم)	٢٨٦ هـ ٢٩٢ هـ

يزيد علماء القراءات أربع قراءات[1] على هذه العشر:

١- قراءة الحسن البصري: توفي سنة ١١٠ هـ.

٢- قراءة ابن محيصن: توفي سنة ١٢٣ هـ.

٣- قراءة يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي: توفي سنة ٢٠٢ هـ.

٤- قراءة أبي الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي: توفي سنة ٣٨٨ هـ.

ضوابط القراءة الصحيحة:

١- موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه.

٢- أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالًا كقراءة: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] فلفظة «مالك» كتبت في جميع المصاحف بحذف الألف، فتقرأ «ملك» وهي توافق الرسم تحقيقًا، وتقرأ «مالك» وهي توافق الرسم احتمالًا، ولا يشترط في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لجميع المصاحف.

٣- أن تكون القراءة صحيحة الإسناد.

لو افتقدت القراءة شرطًا من الشروط السابقة اختلت، وصارت القراءة شاذة أو ضعيفة أو باطلة.

فوائد الاختلاف في القراءة الصحيحة:

١- الدلالة على صيانة القراءة من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.

٢- إعجاز القرآن في إيجازه؛ حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ، كقراءة: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦] بنصب وكسر اللام في أرجلكم؛ فقراءة النصب للغسل، وقراءة الجر لحكم المسح على الخفين.

٣- بيان ما يحتمل أن يكون (غير محتمل) في قراءة أخرى. مثل (يَطَّهَّرن) [البقرة: ٢٢٢] بتشديد الطاء وتخفيفها (يَطْهُرْنَ) فإذا كانت القراءة الثانية توهم أنه تجوز معاشرة الزوجة إذا توقف حيضها، فالقراءة الأولى تفيد أنه لا يجوز ذلك إلا بعد أن تغتسل وتتطهر.

• • •

تعريف الفرش والأصول[2] والفرق بينهما

الفرش: مصدر فرش بمعنى: نشر وبسط. واصطلاحًا: ما كان من خلاف غير مطرد في حروف القراءات مع عزو كل قراءة إلى صاحبها؛ كالخلاف في قراءة: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۞ ﴾ حيث تقرأ كلمة «مالك» بحذف الألف وبإثباتها، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ حيث تقرأ كلمة «يخدعون» بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال على وزن يَفْعَلُون، وتقرأ بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال «يخادعون» مثل الموضع الأول من باب «المفاعلة»، أو في قراءة قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ حيث تقرأ كلمة «فأزل» بحذف الألف بعد الزاي ومع تشديد اللام «فأزَلَّ»، وتقرأ بإثبات الألف بعد الزاي وتخفيف اللام: «فأزَال...» وهكذا. وسمي فرشًا لانتشار تلك الحروف والكلمات المختلَف فيها في سور القرآن الكريم، فكأنها انفرشت في السور أي: انتشرت. وقد يقال لها: الفروع مقابلة للأصول، وقيل: سمي هذا النوع بالفرش تشبيهًا له بصغار الغنم المنتشرة على أرض فضاء هنا وهناك أو تشبيهًا لها بصغار الشجر. فالكلمات الفرشية هي الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها، ولا يقاس عليها؛ كالخلاف الواقع في قراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ ﴾ في سورة البقرة؛ حيث تقرأ «يخدعون» و«يخادعون» ولكن لا يقاس عليها ما جاء في سورة النساء من قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ لأن الخلاف وقع فيما في البقرة لا ما في النساء مع أن رسمهما واحد.

الأصول: جمع أصل، وهو لغة: عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره، أو هو ما ينبني عليه غيره. واصطلاحًا: كل حكم كلي جارٍ في كل ما تحقق فيه شرطه، فهي تطلق على الأحكام الكلية والخلافات المطردة التي تندرج تحتها الجزئيات المتماثلة؛ كصلة هاء الضمير، وصلة ميم الجمع، والمدود، وتسهيل الهمزات أو تغييرها، أو نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها ثم حذفها، والفتح والإمالة... والأبواب التالية تبين أصول القراءة وتوجيهها.

---

(١) وهذه القراءات الأربع من القراءات الشاذة لفقدها شرطًا من شروط القراءة الصحيحة.

(٢) الكلمات الخاصة بالفرش تم ذكرها بهامش المصحف وتوجيهها، أما الأصول فقد ذكرت بهذا الملحق مع ذكر توجيهها.

(باب الاستعاذة)

الاستعاذة: هي طلب الإعاذة كالاستعانة والاستخارة، وهي العصمة والتحصن والامتناع بالله من النزغات الشيطانية بدليل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾، وتكون قبل القراءة على أرجح الأقوال. وقيل بعد القراءة حسب ظاهر الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

لكن المعنى على خلاف ظاهر الآية؛ لأن معناه فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع على أن الاستعاذة قبل القراءة، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية: والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وقيل: بعد القراءة حسب ظاهر الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ وقرأ فعل ماض، ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. كما ورد في القرآن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ وإن جازت الزيادة للتنزيه، وهي مستحبة. وقيل: واجبة، فوجه من قال بالاستحباب حمل الأمر في الآية على الندب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ وقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ الآية، ووجه من قال بالوجوب لحمله الأمر في الآية على الوجوب حسب ظاهر الآية، ووجه من جهر بها - وذلك مقيد بحضرة من يستمع - قال: أظهر لشعائر القراءة، قيل: ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها فلا يفوته منها شيء فإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد أن فاته شيء منها، ووجه الإسرار بها كما هو مذهب الإمام حمزة - وذلك في الصلاة والانفراد - قيل لأن الجهر لا يترتب عليه فائدة في الحالتين، فلا داعي للجهر بها، ولئلا يظن ظان أنها من القرآن فأخفاها لذلك.

• • •

(باب البسملة)

قرئ: بإثبات البسملة بين السورتين، لما ورد في حديث سعيد بن جبير: كان عليه الصلاة والسلام لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. ولأنها ثابتة في خط المصحف، ولما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «اقرؤوا ما في المصحف.» ولقول بعض العلماء أنها آية في أول كل سورة إلا «براءة» وهو أحد أقوال الشافعي - رضي الله عنه -.

وقرئ: بوصل السورة بالسورة من غير بسملة، وذلك لبيان ما في آخر السورة من إعراب وبناء، وما في أول السورة التالية من همزات قطع أو وصل أو نحو ذلك، وأنها لما كانت عنده ليست بآية من كل سورة، وعند جماعة الفقهاء كذلك أسقطها في وصله السورة بالسورة؛ لئلا يظن ظان أنها آية من كل سورة، فالقرآن عنده كالسورة الواحدة، فكما لا يفصل بين بعض السورة وبعضها بالتسمية، فكذلك لا يفصل بها بين السورة والسورة، وأما إثباتها في المصحف فإنما ذلك ليعلم فراغ سورة وابتداء أخرى.

ووجه يفصل بالبسملة بين الأربع الزهر أي: بين المدثر، والقيامة، وبين الانفطار، والمطففين، وبين الفجر، ولا أقسم بهذا البلد، وبين العصر، والهمزة، ومذهبه إسقاطها بين باقي السور.

قال: إن وصل السورة بالسورة من هذه الأربع فيه قبح في اللفظ، فكره ذلك إجلالًا للقرآن وتعظيمًا لشأنه، ألا ترى أنه يقول: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لا أقسم، فيقع لفظ التقوى عقب لفظ المغفرة وذلك قبيح في السمع، ويقول: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فيقع لفظ الويل عقب لفظ الجلالة، وكذلك السور الأخر.. فاختير لمن يفصل بالسكت بين كل سورتين أن يفصل بين هذه السور بالبسملة، ولمن لا يفصل بالسكت بين كل سورتين أن يفصل بين هذه السور بالسكت.. وحجتهم في ذلك ما روي أن رجلين أتيا النبي ﷺ فتشهد أحدهما وقال: «من يطع الله جل وعز ورسوله ﷺ فقد رشد ومن يعصهما» ووقف على يعصهما فقال له النبي ﷺ: «بئس الخطيب أنت» وذلك لقبح لفظه في وقفه، إذ قرن الإيمان بالكفر في إيجاب الرشد لهما وكان حقه أن يقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو يقف على رشد ويبتدي: ومن يعصهما فقد غوى.

فانظر كيف كره النبي ﷺ قبح وقفه ولفظه، وإن كان مراد الخطيب الخير، ولم يقصد إلى شيء من الشر، فبهذا ونحوه يرغب في معرفة حسن الوقف في كتاب الله على الكلام التام.

وأما وجه وصل آخر الأنفال بأول براءة من غير بسملة فقد قال: لما حذفت البسملة من المصحف صار أول براءة كأول عشر من السورة، والتعوذ في الابتداء بها يكفي كما يفعل بالابتداء بالأعشار. وعلة حذفها في المصحف ما روي عن مالك أنه قال: إنما ترك من مضى أن يكتبوا في أول براءة «بسم الله الرحمن الرحيم» لأنها سقط أولها يعني نسخ، ولقول عثمان بن عفان - رضي الله عنه -براءة من سورة الأنفال، وسقط بينها شيء لم نجده عند أحد يثبت، فلذلك لم تكتب في أولها «بسم الله الرحمن الرحيم» يريد عثمان أنه نسخ من أولها شيء. وقال أبي بن كعب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا في أول كل سورة بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» ولم يأمرنا في سورة براءة بشيء»، فلذلك ضمت إلى الأنفال، ولم يكتب بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» في أول سورة

براءة، وقال عاصم: لم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» أول براءة لأنها: أي: البسملة رحمة، وبراءة عذابٌ، إلى آخر ما قيل في ذلك والله أعلم.

وقرئ: بالسكت بينهما، وقيل: إنه لما ابتدأ في السورة، ثم وصل السورة بالسورة أراد أن يبين بالسكت بينهما أن الأولى تمت، وأنه ابتدأ بثانية، وأن البسملة ليست بآية من كل سورة.

• • •

(باب الإدغام)

الإدغام بأقسامه: هو إدخال الشيء في الشيء ويقابله الإظهار وهو الإبانة، والإدغام والإظهار لغتان واردتان عن العرب، فوجه الإدغام لإرادة التخفيف، وقيل: لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى للمخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك. وشبهه النحويون بمشي المقيد لأنه يرفع رجلًا ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منها. وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين وذلك ثقيل على السامع، ولذلك أدغم أبو عمرو بن العلاء، وقال الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره، ومن شواهد كلام العرب قول بعضهم:

عَشِيَّةَ تَمَنَّى أن تكونَ حمامةً ... بمكةَ يؤويك الستارُ المحرمُ

ولا يتظم البيت إلا بالإدغام.

ووجه الإظهار قالوا: لأن فيه إتيان كل حرف حقه من إعرابه وحركة بِنْيَتِه التي استحقها، وهو الأصل في الحروف؛ لأنه الأكثر، والإدغام إنما دخل لعلة، وهي إرادة التخفيف، والله أعلم.

• • •

(باب هاء الكناية)

هي هاء الضمير التي يكنى بها عن المفرد المذكر الغائب، ولها أربع حالات: فإما أن تقع بين ساكنين، أو يكون قبلها متحرك وبعدها ساكن فمقصورة للجميع، وإما أن تقع بين متحركين فموصولة للجميع، أو قبلها ساكن وبعدها متحرك موصولة للبعض ومقصورة للبعض الآخر.

ووجه الصلة أن الهاء حرف خفي، فأريد تقويته بالصلة بحرف من جنس حركته، فإن قيل: لِمَ لَمْ يفعل هذه الصلة في الهاء التي من نفس الكلمة في نحو: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا﴾ مثلًا. قالوا: لأن الصلة في مثل ذلك قد توهم تثنية أو جمعًا بخلاف هاء الضمير. وقول آخر في صلتها: هو أن هاء الضمير اسم على حرف واحد فناسب أن يقوى بالصلة. ووجه القصر أي: حذف الصلة لإرادة التخفيف، ولأن حرف الصلة هنا غير ثابت في الخط فحذف من اللفظ تبعًا للخط. ووجه إسكانها في بعض الكلمات. قال: تشبيهًا لها بألف الضمير وواوه ويائه، فأسكنت، أو استثقلت صلتها فأسكنت كما فعل في ميم الجمع وأصلها البناء على الضم كما في قوله له ومنه وعنه، ولا تكسر إلا لمجاورتها كسرًا أو ياء ساكنة.

• • •

(باب المدّ والقصر)

المدُّ: هو إطالة زمن صوت حرف: لمدٍّ عند ملاقاة همز أو سكون، ويقابله القصر وهو ترك تلك الزيادة، فوجه المدِّ الاستعانة على النطق بالهمز محققًا وبيانًا لحرف المدِّ خوفًا من سقوطه عند الإسراع لخفائه وصعوبة الهمز بعده في حرف المدِّ ليظهر ولئلا يزداد بملاصقته للهمز خفاء؛ لأن الهمز حرف قوي شديد.

ووجه القصر فيما عدا اللازم والمتصل قيل: هو الأصل في بقاء حرف المدِّ من غير زيادة عليه، ولأن الهمز لما كان بصدد الزوال في حالة الوقف وذلك في المنفصل لم يعط في حالة الوصل حكمًا، وكذا العارض للسكون لما كان بصدد الزوال في الوصل لم يعط حكمًا في الوقف.

ووجه الإجماع على مد اللازم عدم انفكاك السكون الأصلي عن حرف المد وصلًا ووقفًا. فحرف المدِّ ساكن وبعده ساكن ولا يتوصل إلى النطق بالساكن بساكن قبله؛ لذلك اجتلبت المدة لتقوم مقام الحركة بالنطق ليتوصل إلى النطق بالمشدد، وكانت المدة أولى لأن الحرف الذي قبل المشدد حرف مد.

ووجه المد في مثل: ﴿لَا رَيْبَ﴾ المسمى بمدِّ التبرئة لتأكيد النفي، ووجه مدِّ البدل نظرًا لاجتماع الهمز والمدِّ في كلمة واحدة مطلقًا قياسًا على تقدم حرف المدِّ على الهمز.

ووجه من قصره قال: إن سبب المدِّ وجود الهمز بعد حرف المد وهو في البدل قبله. ووجه من وسطه نظر إلى وجود حرف المد والهمز في كلمة ولم

ينظر إلى تقدمه أو تأخره، وأما وجه المد والتوسط في (شيء، وسوء) فَلِمُرَاعاة اتصال الهمز وحرف المد في كلمة واحدة كذلك، ووجه القصر لملاحظة أنه حرف لين فقط، ولأن عليه أكثر القراء، والله أعلم.

• • •

(باب الهمزتين من كلمة)

وجه من قرأ بهمزتين في مثل ﴿ءَأَذْهَبْتُمْ﴾ فعلى الاستفهام ومن قرأ بهمزة واحدة فعلى الخبر، ومن قرأ بتسهيل الثانية فللتخفيف؛ لأن الهمزة حرف شديد قوي والنطق به صعب ثقيل، فإذا انضمت لغيرها كان ذلك أعظم ثقلًا، فإذا لزمت كل واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشد ثقلًا مع كثرة الاستعمال لهما فتركوا تحقيقها استخفافًا إذ كانوا يخففون المفردة، فالمكررة من باب أولى في التخفيف لثقلها في النطق، وعليه لغة العرب من أهل الحجاز؛ وجمعًا بين اللغات؛ ومن قرأ بالتحقيق في الهمزتين فذلك على الأصل، ومن قرأ بإدخال ألف بينهما فللفصل بين همزة الاستفهام وهمزة الكلمة محققة كانت أم مسهلة وهي لغة، ولأنه نوع من أنواع التخفيف فقد حال بين الهمزتين بحائل يمنع من اجتماعها، وكذا إبدال الهمزة الثانية ألفًا ومدها لساكنين لغة أيضًا.

• • •

(باب الهمزتين من كلمتين)

قرئ: بإسقاط إحداهما. وقيل: هي الأولى لأن التغيير يكون دائمًا في آخر الكلمة. وقيل: بإسقاط الثانية لأنها هي التي حصل بها الثقل، ولأن طريقة أبي عمرو ومن معه في المثلين جواز الإدغام تخفيفًا، وقد تعذر في اجتماع الهمزتين فخفف بالإسقاط.. وقرئ: بالتسهيل تخفيفًا وجمعًا بين اللغات، وقرئ: بالإبدال والإدغام في ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا﴾ لقصد التخفيف، وقرئ: بإبدال الثانية حرف مد وكذا بإبدالها ياء خالصة في ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٣١] وفي ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ﴾ [النور: ٣٣] كل ذلك للتخفيف وجمعًا بين اللغات، وقيل: الحذف للمبالغة في التخفيف. وللعلل المتقدمة في الهمزتين من كلمة.

• • •

(باب الهمز المفرد)

إنما خص ورش همزة فاء الفعل بالإبدال لأنها مبتدأ بها، وورش من أصله نقل حركة الهمزة المبتدأ بها كما يأتي، فأجرى هذه مجرى تلك في التغيير؛ ولأنه كما وجب أبدلها في نحو: ﴿مُكِينٍ﴾ و﴿وَتَاقٍ﴾ أبدلها هنا طردًا للباب. وقيل: إن إبدال الهمز مطلقًا لورش ولغيره فاء فعل أو غيرها مرادٌ به التخفيف لأن في تحقيقها ثقل فخففها على ما قدمنا من العلل في الهمزتين، وأيضًا فإن التخفيف لغة أهل الحجاز، وهو أخف على القارئ مع موافقته لغة العرب والرواية، ووجه التحقيق أنه على الأصل، وقد قدمنا في الهمزة أن العرب تستثقل النطق بها لشدتها وجلدها وقد استعملوا فيها ما لم يستعملوه في غيرها من الحروف، فوجه من حققها - فاء فعل أو عينه أو لامه - أنه أتى بها على الأصل فأظهرها كما يفعل بسائر الحروف وخف ذلك عليه وسهل لانفرادها، إذ ليس قبلها همزة، ولأن كثيرًا من العرب والقراء يحققونها مع تكررها، فكان تحقيقها وهي مفردة أخف وأقوى ولبيان الأصل، إذ لو خفف لجاز لِظَانٍّ أنه لا أصل للكلمة في الهمز، ألا ترى أن من ترك همز ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، ويجوز ﴿وَرِءْيًا﴾ يجوِّز أن يكون مما لا أصل له في الهمز، ففي همزه بيان أن أصله الهمز. وكذا الحذف والتسهيل لإرادة التخفيف.

• • •

(باب نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها)

تنقل حركة الهمز إلى الساكن الصحيح قبلها لقصد التخفيف؛ لأن النقل أخف من بقاء الهمز على حاله، فقد قدمنا القول في ثقل الهمزة وبعد مخرجها وصعوبة اللفظ بها، ولما كثرت الهمزة في الكلام، وأمكن أن تلقى حركتها على ما قبلها فتقوم حركتها مقامها وتذهب صعوبة لفظها آثر ذلك ورش مع روايته ذلك عن أئمته، فهو إذا ألقى حركة الهمزة على ما قبلها لم يخل بالكلام، وخفف الثقل الذي في همزه، فآثر ذلك لذلك وتحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها؛ لأن بقاءها ساكنة ثقيل خصوصًا إذا كان بعدها ساكن فيجتمع ساكنان، مثل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وأما عدم النقل فعلى الأصل.

وأما ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ فكل ما فيها من أوجه إدغام وغيره وهمز واوه ونحوه، فكل ذلك لغات فيها.

(وأما... كتابيه... إني) في «الحاقة» فالنقل فيها ضعيف، والأصح عدمه، لأنها هاء سكت لا يجوز تحريكها، وهي لا تثبت إلا في آخر الكلمة في الوقف، فإن تثبت هنا حال النقل فهو مخالفة للأصل، فقد أجريت في الوصل مجرى الوقف حال ثبوتها.

فوجه من نقل فيها أنه أجراها مجرى كل ساكن يقع قبل الهمز، فألقى عليها حركة الهمزة لسكونها كما يفعل في كل ساكن قبله همز غير حروف المد واللين، ووجه من لم ينقل فيها، قال: إن الوقف على الهاء لازم، لذلك جيء بها فهي غير متصلة بالهمز حتى يصح النقل إليها؛ لأن حكمها وأصلها الوقف عليها، فقد جيء بها زائدة ليتبين بها حركة ياء الإضافة في الوقف، ومن نقل إليها وصلها بما بعدها وترك الوقف الذي من أجله جيء بها، ولولا الحاجة لظهور حركة الياء بها ما احتيج إليها، فهي حرف زائد للوقف، فمن نقل إليها فقد أتى بغير المختار.

• • •

(باب السكت على الساكن قبل الهمزة وغيره)

أما السكت على الساكن قبل الهمز: فللتمكن من النطق بالهمزة، وذلك لبعد مخرجها حيث تخرج من أقصى الحلق، فوجه السكت على الساكن قبل الهمزة، وذلك مثل: (الآخرة والأولى)، وهو مذهب خلف وحمزة، وكذا خلاد وابن ذكوان وحفص - هو أن الهمزة حرف ثقيل بعيد المخرج وحكمه في هذه الأشياء الابتداء به؛ لأن لام المعرفة زائدة فسكت على لام المعرفة ليستفرغ القوة استعدادًا للنطق بالهمز شديدًا مجهورًا؛ ووجه ترك السكت أنه أجرى لام المعرفة مع الهمزة كمجراها مع سائر الحروف؛ لأنها متصلة بما بعدها فلا يوقف عليها وقفًا متصلًا بسكت. وأيضًا فإنه أخف وعليه سائر اللغات وهو إجماع القراء، فما روي عن أحد منهم أنه وقف على لام التعريف إلا ما نقله حمزة ومن معه بقبول لغتهم وعدالتهم. لكن الاختيار ترك هذا الوقف لما ذكرنا، وأما السكت على الحروف في فواتح السور كألف لام ميم وأخواتها فليبان أن هذه الحروف ليست كالأدوات للأسماء والأفعال بل هي مفصولة وإن اتصلت رسمًا، وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى، وقد وردت مفردة من غير عاطف ولا عامل كالأعداد. وأما السكت على الأربعة كلمات ﴿عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ و﴿مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ و﴿مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ و﴿بَلْ ۜ رَانَ﴾ فلأن السكت يوضح معانيها أكثر من وصلها، فقد يوهم من وصلها معنى غير المعنى المراد منها فيتوهم من وصل ﴿قَيِّمًا﴾ أنه صفة لـ﴿عِوَجَا﴾ وليس كذلك بل هو حال. ويتوهم من وصل ﴿هَٰذَا﴾ أنه صفة لـ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ وليس كذلك بل هو كلام مبتدأ ليس تمامًا لما قبله؛ لأنه أي: ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ مع ما قبله من كلام الموتى، وهذا من كلام الملائكة. ويتوهم من وصل ﴿رَاقٍ﴾ أنه صيغة مبالغة من المروق وهو الهروب يقال: رجل مراق أي: كثير المروق وهو الهروب وناقة مراقة هكذا وليس كذلك. ويتوهم من وصل ﴿بَلْ رَانَ﴾ أنه مثنى بر ضِدُّ البحر وليس كذلك، فإن بل حرف إضراب و﴿رَانَ﴾ فعل ماض. ومن قرأ هذه الكلمات بالوصل من غير سكت قال: إن المعنى ظاهر بالتأمل لِمَنْ يلاحظ تلك المعاني.

• • •

(باب وقف حمزة وهشام على الهمز)

وجه التسهيل في هذا الهمز في حالة الوقف: قالوا: لأن الوقف محل استراحة للقارئ؛ لذلك حذفت فيه الحركات والتنوين، وأبدل فيه التنوين المنصوب ألفًا، قال بعضهم: هذا مذهب مشهور ولغة معروفة؛ والتسهيل، وهو مطلق التغيير من حذف أو إبدال أو بين بين ونحوه، كل ذلك أريد به التخفيف.

لما ذكرنا متقدمًا من ثقل الهمزة وجلادتها وبعد مخرجها وتصرف العرب في تغيير لفظها، فخففها طلبًا لذلك ولصعوبة التكلف في تحقيقها، وخص الوقف بالتخفيف للهمز دون الوصل، قالوا: لأن القارئ لا يقف إلا وقد وهنت قوة لفظه وصوته فيما قرأ قبل وقفه، والهمز حرف صعب في اللفظ فلما كان الوقف يضعف فيه صوت القارئ بغير همز كان فيما فيه همز أضعف، فناسب التخفيف للهمز في الوقف للحاجة إلى التسهيل والتخفيف على القارئ، مع أنها لغة للعرب، ومع نقله ذلك عن الأئمة الثقات.

ووجه هشام في تخفيف المتطرفة خاصة هو أن المتطرفة هي في آخر لفظ القارئ، وعندها تقع الاستراحة والسكت، وإليها تنتهي قوة اللافظ وينقطع نفس القارئ، فخصها بالتخفيف لصعوبة اللفظ بها محققة عند ضعف قوة القارئ، فيكون التخفيف عليه أيسر في وقفه، وجمعًا بين اللغات.

ووجه التحقيق أنه جاء على الأصل في تحقيق الهمز كما يحقق، أي حرف غيره، وأنه إجماع من القراء غير حمزة؛ لأن التخفيف يحتاج إلى معاناة

شديدة وكلفة في إحكام اللفظ بالهمزة المخففة، وما يبدل ويدغم فيه ما قبله، وما يبدل ولا يدغم فيه شيء، وما قبله زائد أو أصلي، وذلك أمر لا يحكمه إلا من تناهى في علم العربية، وتمرن في إحكام اللفظ، ودرب على التلفظ بالهمزة المخففة، وهذا الصنف في طلبة علم القراءات قليل جدًّا، وأيضًا ربما يؤدي تخفيف الهمز إلى مخالفة خط المصحف، وذلك غير مستقيم ولا مختار، والله أعلم.

• • •

(باب الفتح والإمالة بين اللفظين)

الفتح: لغة أهل الحجاز. والإمالة: لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد، وهما لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن. واختلف هل الفتح هو الأصل والإمالة فرع،أو العكس، أو هما أصلان؟ خلاف بين علماء اللغة.

والإمالة: هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، فإن كان قليلًا فهي الصغرى، وإن كان كثيرًا فهي الكبرى. وأسبابها كثيرة منها: أن تكون الحروف من ذوات الياء (كهدى)، أو تكون ألف الكلمة ألف تأنيث حقيقي أو مجازي كإحدى، أو ترسم الكلمة بالياء (كحسرتى) غير ما استثنى، أو تكون ألف الكلمة رابعة فصاعدًا نحو: اشترى. أو تكون الألف عينًا لفعل تبدل ياء في بعض تصاريفه كـ(حاق) وبابه، أو لتناسب الفواصل كـ(الضحى)، أو تكون الكلمة على وزن فَعلى، أو فُعلى، أو فِعلى، أو تكون الإمالة للإتباع لكسرة قبلها كـ (إناه)، وكذا أمالوا الألف مما كان على وزن أفعل كـ(أنجى وأربى) وبابه؛ لأن ألفه تقلب ياء في ماضيه إذا أسندته إلى نفسك، وأمالوا ما كان على وزن فعالى كيتامى لرسمه بالياء، وأمالوا من الواوي مثل القوى؛ لأن بعض العرب يثنيه بالياء؛ لأنها أضعف من الواو إن كان أوله مضمومًا أو مكسورًا كـ(الربا)، واتفقوا على فتح الثلاثي مثل دعا وسنا لكونه واويًّا رسم بالألف؛ وأمالوا ألفات بعض فواصل الآيات المتطرفة تحقيقًا أو تقديرًا واوية في الأسماء أو الأفعال، ووجه ذلك التناسب إلا ما استثنى؛ وأمالوا الألف الثانية من (يتامى) وبابه؛ من أجل إمالة الألف الأولى فهي إمالة تبعية، وأميلت الألفات الواقعة بعد راء الطرف كـ(بشرى) وبابه، وكذا أدراكم جمعًا بين اللغات، وأميلت ألف التوراة لكونها واقعة بعد راء، فأشبهت ألف التأنيث؛ وأمالوا لفظ (را) من فواتح السور جميعًا، وكذا (طاوهاوياوحا) لأنها أسماء ما يلفظ به من الأصوات المتقطعة. ولأنهم أمالوا (يا) في النداء وهي حرف، فإمالة هذه الأسماء أولى؛ وكذا أمالوا الألفات الواقعة بعد الراء نحو: (القرى وذكرى) جمعًا بين اللغات.

• • •

(باب إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف)

أميلت هاء التأنيث في الوقف؛ لأنها لغة أهل الكوفة، وعللوا إمالتها وإمالة ما قبلها من الحروف غير الألف لشبهها بالممالة ياء، ولخفائهما واتحاد مخرجهما، ولأن ألف التأنيث ممالة.

• • •

(باب الراءات)

رققت الراء أو أميلت على حد تعبير بعضهم، قيل: لأنها لغة. وقيل: إن الغرض من ترقيقها اعتدال اللفظ وتقريب بعضه من بعض بأسباب مخصوصة. وهي: أن تكون قبلها ياء ساكنة أو كسرة لازمة في كلمتها. ووجه تفخيمها فيما عدا ذلك على مجيئها الأصل، والله أعلم.

• • •

(باب اللامات)

غلظت اللام لمناسبة مجاورتها بعض حروف الاستعلاء؛ لتقريب النطق باللام من الحروف التي فخمت من أجلها؛ وكذا لقربهما في المخرج، وهي لغة ولكنها قليلة عند العرب ورققت على الأصل.

• • •

(باب الوقف على آخر الكلم)

الأصل في الوقف: السكون لوقفه وعزله عن الحركة، وقد يكون بالروم وهو الوقف بإشارة بصوت خفي ضعيف للدلالة على الحركة إعرابًا أو بناءً في المرفوع والمجرور والمضموم والمكسور، وقد يكون الوقف بالإشمام وهي الإشارة إلى الحركة من غير صوت، و أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة من غير صوت أصلًا، ولا يدرك ذلك إلا بالبصر، ولا يكون إلا في المضموم والمرفوع، ولم يجز الروم والإشمام في هاء التأنيث الموقوف عليها بالهاء بدلًا من التاء صاحبة الحركة حالة الوصول، وكذا في ميم الجمع لأنها لا تحرك إلا لأجل الصلة أو لالتقاء الساكنين، وكلاهما ليس له أصل حالة الوقف، وكذا في عارض الشكل، لأن الحركة في حالة الوصل غير أصلية. واختلف في الوقف على هاء الضمير فقيل: بجواز الروم والإشمام على الأصل. وقيل: بمنعهما طلبًا للتخفيف. وقيل: لخفاء الهاء دون غيرها.

• • •

(باب الوقف على مرسوم الخط)

الرسم: أصله الأثر، ومرسوم الخط ما أثره الخط. وهو: إما قياسي: إن وافق الخط اللفظ. أو اصطلاحي: إن خالفه في شيء من الأمور الآتية وهي: الفصل، أو النقص، أو الزيادة. والمقصود منه: اتباع الرسم في الكلمات، فيوقف عليها على وفق رسمها في الهجاء. وذلك لاعتبار الأواخر في تفكيك الكلمات بعضها من بعض، فما كتب من كلمتين موصولتين لم يوقف إلا على الثانية منهما؛ وما كتب منها مفصولًا يجوز أن يوقف على كل واحدة منهما وذلك نحو: (عن ما) كتبتا بالقطع في موضع، وبالوصل في آخر. والوقف على المرسوم منه، ما اتفق عليه، ومنه ما اختلف فيه والمختلف فيه خمسة أقسام:

١ - الإبدال: هو إبدال حرف بحرف آخر، فوقف بالهاء على هاء التأنيث المكتوبة وهي لغة قريش كـ(رحمت) في مواضعها، وجميع ما أشبهها من الكلمات التي رسمت بالتاء، والوقف بالتاء لغة طيء.

٢ - ما اختلف في إثباته وحذفه: وهو هاء السكت. وتسمى: هاء الإلحاق على (عم) وما أشبهها، وذلك عوضًا عن الألف المحذوفة لأجل دخول حرف الجر على (ما) الاستفهامية. وأما الوقف بهاء السكت على مثل (علي) و(هن) و(العالمين) وما ألحق به من كل جمع مذكر سالم، فقيل: لبيان حركة الحرف الموقوف عليه. وقيل: طلبًا للراحة حالة الوقف بها، وأما الوقف بالهاء على﴿ يَنَوَيِّ ﴾﴿يَحَسۡرَتَىٰ ﴾ فلزيادة التفجع، وأما الوقف بالهاء على (ثم) الظرفية؛ فلبيان الحركة أو طلبًا للراحة.

٣ - وأما (أيه) فيوقف عليها بالألف على الأصل وبدونها لرسم المصحف. وقرئ: بضم هائها وصلًا تبعًا لضمة الياء، وقرئ: بفتحها على الأصل.

٤ - وأما (أيامًا) فيوقف على الألف من (أيا) المبدلة من التنوين لجواز كونها منفصلة عن (ما) لاتصالهما كلمة واحدة وأما (مال) في مواضعها فوقف على (ما) لأنها كلمة برأسها منفصلة لفظًا وحكمًا. ويجوز الوقف على اللام من (مال) لانفصالها وهو الأظهر قياسًا.

٥ - وأم ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ فقيل: بالوقف على الياء والابتداء بكأن منفصلة. وقيل: بالوقف على الكاف والبدء بالهمزة لما سبق، والأصح الوقف على آخر الكلمة لاتصالها رسمًا.

• • •

(باب ياءات الإضافة)

وهي ياء زائدة آخر الكلمة وتتصل بالاسم، وهي فيه مجرورة المحل (كنفسي)، ومنصوبة في الفعل (كفطرني). وفي الحرف تكون منصوبة ومجرورة مثل (إني، ولي)، والفتح والإسكان فيها لغتان فاشيتان عند العرب، والإسكان فيها هو الأصل؛ لأنه الأصل في البناء، والفتح أصل أيضًا لأنه اسم على حرف واحد فقوي بالحركة وكانت فتحة للتخفيف. والدليل على أن أصلها الحركة أنها كالكاف في (عليك، وإليك) وكالهاء في (عليه، وإليه) وكالتاء في (رأيت، وأرأيت)، وهذه المضمرات لا تكون إلا متحركات، فكذلك ياء الإضافة. وإنما جاز تسكينها للتخفيف، وإن كان لا يجوز ذلك الفتح في الكاف، والهاء، والتاء استثقالًا للحركة على الياء؛ لأن الياء حرف ثقيل، فإذا تحرك ازداد ثقلًا، ويدل على ثقل الحركة على الياء أنها تقلب ألفًا إذا تحركت وانفتح ما قبلها في أكثر الكلام، ولما حركوها في ياءات الإضافة أعطوها الفتح؛ لأنها أخف الحركات.

• • •

(باب ياءات الزوائد)

الياء في آخر الاسم مثل: (الداعي)، وفي الفعل مثل (يأت) قرئ: بإثباتها وصلًا لا وقفًا مراعاة للأصل والرسم، وقرئ: بإثباتها في الوصل والوقف على الأصل وهي: لغة الحجازيين، وهو موافق للرسم تقديرًا إذ المحذوف لعارض كالثابت، وقرئ كذلك بحذفها وصلًا ووقفًا تخفيفًا وهي: لغة هذيل. واعلم أن جميع ما اختلف القراء فيه من الياءات الزوائد لم يثبت في خط المصحف فهي زائدة عليه، وهي ثلاثة أقسام: قسم من ياءات الإضافة التي تصحبها النون، وذلك إذا اتصلت بالأسماء نحو: (أهداني. واتقوني. واخشوني). وقسم لا تصحبها النون نحو: (وعيدي ونكيري ونذيري). وهذان القسمان الياء فيهما ياء إضافة أصلها الزيادة. القسم الثالث: من الزوائد أن تكون الياء فيه أصلية: لام فعل وذلك نحو: (الداع، والهاد، والواد) وكلها حذفت فيها الياء من خط المصحف للتخفيف، ولدلالة الكسرة التي قبلها عليها. وهي لغة للعرب مشهورة يقولون: مررت بالقاض وجاءني القاض بحذف الياء لدلالة الكسرة عليها، ولكونها طرفًا. وكذلك هذا وعيد، وهذا نذير.

ووجه من حذفها: اتبع خط المصحف وخاصة في الوقف، إذ الوقف أولى بالحذف؛ لأن أكثر الخط كتب على مراعاة الوقف والابتداء. ووجه من أثبتها أنه أتى بها على أصلها، فوقف بين الوصل والوقف، واستسهل ذلك في الياء؛ لأن حروف المدّ واللين تحذف من الخط في أكثر المصاحف، وتثبت في اللفظ والنطق بالإجماع كالألف، كما في نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق. فأجرى الياء مجرى الألف، فأثبتها في اللفظ وإن كانت محذوفة في الخط، والله أعلم.

• • •

شرح مختصر لأسماء الله الحسنى

اسم الله الأعظم: هو ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ماله من نعوت العظمة والجلال والجمال مثل: الله، الصمد، الحي، القيوم، ذو الجلال والإكرام. فمن سأل الله عز وجل وتوسل إليه باسم من هذه الأسماء العظيمة موقنًا حاضرًا قلبه متضرعًا إليه - لم تكد ترد له دعوة.

الله: علم على الرب المعبود بحق، وكل معبود دونه فهو باطل، وهو أخص وأعظم أسماء الله، ولا يسمى به غيره. تكرر (٢٦٠٢) مرة بالقرآن.

الإله: هو المعبود فلا يصرف العبد شيئًا من العبادة لغير الله كالدعاء والذبح...

الرب: هو المربي جميع العالمين بخلقه إياهم، وهو المدبر والمالك والسيد المطاع المستغني عن العالمين ولا يستغني عنه أحد.

الرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، ولا تكون الرحمة إلا لأهل التوحيد. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة. الرحيم: الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه.

المهيمن: الشاهد على خلقه بأعمالهم الرقيب عليهم.

القدوس: هو المبارك والطاهر المنزه عن النقائص والعيوب، وأن يكون له مثيل أو شبيه.

الكبير: هو أكبر من كل شيء بذاته، وأكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته، وأكبر من أن يشبه بخلقه.

الباري: هو الذي خلق الخلق بريئًا من التفاوت والنقص والعيب والخلل.

الخالق الخلاق: هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سبق، والخلاق هو الخالق خلقًا بعد خلق.

المتكبر: هو المتكبر عن كل سوء ونقص وعيب وظلم، وتكبر عن صفات الخلق، والمتكبر ذو الكبرياء والعظمة، فليس لأحد أن ينازعه في ذلك.

الجبار: هو الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، وكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله وجبروته، وهو الذي يجبر القلوب المنكسرة والضعفاء العجزة وكل من لاذ به ولجأ إليه، والجبار العلي على كل شيء.

المصور: هو مصور الأشياء ومركبها ومشكلها على هيئات مختلفة وصور شتى.

الخبير: هو العالم ببواطن الأمور وخفاياها، وبما كان وما يكون، ويخبر بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه.

الحليم: الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، بل يمهلهم لكي يتوبوا، يرزق العصاة مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، ذو الصفح والأناة.

المجيد: هو الكبير العظيم الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الشريف ذاته الجميل بأفعاله الجزيل عطاؤه وثوابه.

الحق: هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، والحق هو الذي لا يسع أحد إنكاره، تظاهرت على وجوده الدلائل البينة الباهرة.

المقيت: هو الذي أوصل إلى كل مخلوق قوته من مأكول ومشروب كيف يشاء بحكمته وحده، والمقيت والحسيب والمجازي.

الحسيب: الكافي لعباده المتوكلين عليه، المجازي لهم بالخير والشر بحكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

المبين: هو الذي لا يخفى على خلقه، بل هو ظاهر بأفعاله الدالة عليه وآياته البينة.

الوكيل: هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد، القائم عليهم، الموكل والمفوض إليه، والوكيل هو الحفيظ والكافي.

الرقيب: هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية.

الودود: المحب لعباده الصالحين، ويحبه عباده الصالحون، ولذا لهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه.

القوي: هو التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد.

المتين: هو الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب ولا إعياء ولا تعب.

الولي: هو المأمول في النصر والمعونة، وهو الذي يتولى نصر المؤمنين وإرشادهم، كما يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم.

الحميد: الله هو الحميد إذ جميع المخلوقات ناطقة بحمده؛ لأنه المستحق للحمد كله لنعمه وإحسانه، وهو المحمود في أفعاله وأسمائه وصفاته وشرعه وقدره.

الحي: الله هو الحي الذي له الحياة الدائمة الكاملة الذي لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد الموت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة.

الملك المالك المليك: هو النافذ الأمر في ملكه، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء. وله جميع العالم العلوي والسفلي كلهم عبيد له ومماليك ومضطرون إليه، لا يتحرك متحرك إلا بعلمه وإرادته.

السلام: هو الذي سلم من النقائص والآفات والعيوب في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله وقضائه وقدره وشرعه، والسلام هو المسلم على عباده في الجنة، وهو الذي سلم الخلق من ظلمه.

المؤمن: هو الذي وهب لعباده الأمن من عذابه، ومن الفزع الأكبر، وينزل في قلوب عباده السكينة والطمأنينة.

العزيز: الله هو العزيز الذي لا يعجزه شيء، والشديد في انتقامه من أعدائه، والذي عز كل شيء فقهره وغلبه، والمنيع الذي لا ينال ولا يغالب، ذلت لعزته الصعاب، ولانت لقوته الشدائد الصلاب.

الغافر الغفور الغفار: الغافر هو الذي يستر على المذنب، والغفار هو المبالغ في الستر، فلا يشهد المذنب ولا يفضحه، والغفور هو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته.

القاهر القهار: وهو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وقدرته الأشياء.

الوهاب: هو مستمر الإحسان، متواتر الفضل، لم يزل محسنًا متفضلًا دائم الهبات كثير الخيرات جزيل العطايا، لا يخلو له مخلوق عن رحمته وإحسانه طرفة عين.

الرزاق والرازق: هو الذي يسوق لكل دابة قوتها في أي مكان كانت، في ظلمات البحر، وفي جوف الأرض والصخر، وفي العالم العلوي أو السفلي والذي يرزق قلوب أوليائه بالعلم والإيمان.

الفتاح: هو الذي يحكم بين عباده بشرعه وقدره، وهو الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة.

العليم: هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، والغيب والشهادة.

السميع: هو الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلانيتها، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تغلطه اللغات، وهو الذي يسمع المناجاة من الداعين.

البصير: هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، يرى ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع.

الحكيم الحكم: الحكم هو الحاكم بين عباده في الدنيا والآخرة، فيحكم بينهم في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه، وفي الآخرة يحكم بينهم بعلمه فيما اختلفوا فيه. والحكم العدل في أقواله وأفعاله وقضائه.

والحكيم ذو الحكمة الذي تنزه عن العبث، لم يخلق شيئًا عبثًا، ولم يشرع شيئًا باطلًا. والحكيم الذي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه، فما في خلق الرحمن من تفاوت.

اللطيف: هو الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، والموصل إليه مصالحهم بلطفه وإحسانه.

العظيم: الله هو العظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، الذي جاوز قدره عز وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه.

الشكور الشاكر: هو الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة، ويشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين.

العلي الأعلى المتعال: وهذه الأسماء تعني أن الله هو العلي بذاته، فإنه فوق المخلوقات على العرش استوى، أي علا وارتفع.

البر: هو البر الرحيم الذي اتصف بالجود والكرم وكثرة الخيرات، المحسن الذي أنعم على العباد بأصناف النعم، ودفع عنهم جميع النقم.

التواب: هو التواب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويوفقهم للتوبة، ويغفر ذنوب المنيبين، وهو المتفرد بقبول توبة التائبين من عباده ولا يشركه في ذلك أحد.

العفو: الذي يتجاوز عن الذنب، ويترك العقاب عليه، ولولا عفوه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، وهو الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن الخطيئات.

الرؤوف: هو الرحيم بعباده العطوف عليهم بألطافه ورحمته عليهم.

ذو الجلال والإكرام: وهو ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، يكرم من أطاعه، ويرفع درجاتهم وذكرهم.

الغني: هو الذي استغنى عن الخلق بقدرته، ولا يستغني عنه الخلق طرفة عين، بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

الهادي: وهو الذي هدى ومَنَّ بهدايته على من يشاء من عباده، ودل خلقه على معرفته بربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، ودلهم على سبيل النجاة.

المحيط: هو المحيط الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا وهو الذي لا يقدر أحد على الفرار منه.

القريب: وهو القريب بعلمه ومراقبته ومشاهدته وإحاطته بجميع الأشياء، وهو قريب من عابديه وسائليه ومحبيه.

النصير: وهو النصير ينصر المؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم، ولا يكون النصر إلا من عند الله.

المستعان: هو المستعان الذي يستعين به عباده في الأمور كلها من دفع شر أو جلب خير أو طلب رزق.

الرفيق: هو الرفيق الذي لا يعجل بعقوبة العصاة، وهو رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

السُّبوح: وهو المنزه عن النقائص والعيوب، والزوجة والولد، والشريك الذي يسبحه من في السماوات والأرض.

الشافي: هو الذي يشفي من الأمراض البدنية والنفسية، ومن أمراض الشهوات والشبهات، من أراد شفاءه شفي، ومن لم يرد شفاءه لم يستطع أن يشفيه أحد.

الجميل: وهو الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، وكل جمال في الكون من بعض آثار جماله، وأهل الجنة إذا نظروا إلى وجه الله تمتعوا بجماله، ونسوا ما هم فيه من نعيم.

الوتر: هو الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا نظير ولا مثيل.

المقدم والمؤخر: وهو أن الله هو الذي قدم من يشاء من عباده كأنبيائه وأوليائه، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وأخر من شاء من أعدائه من الكفرة والفجرة والفسقة.

الديان: هو الديان أي الحاكم القاضي بين العباد يوم المعاد، المحاسب لهم، الذي يقتص للمظلوم من الظالم، ومن السيد لعبده بالحسنات والسيئات.

المنان: هو عظيم المواهب، فإنه أعطى الحياة والعقل والنطق، وصور فأحسن الصور، وهو الذي منَّ على عباده المؤمنين بإرسال الرسل وخاصة محمدًا ﷺ.

الحيي: هو الحيي المتصف بالحياء، وحياء الله لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فهو حياء كرم وبر وجود وجلال، يستحيي من هتك عبده وفضيحته، ويستحيي ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين.

الستير: وهو الذي يستر على عباده كثيرًا من القبائح والفضائح، ولا يفضحهم في المشاهد، يحب الستر من عباده على أنفسهم، ويكره المجاهرة بالمعصية والمفاخرة بالفاحشة.

القابض الباسط: هو القابض للأرواح عند الموت، ويقبض الأرزاق عمن يشاء من خلقه، ويقبض القلوب التي تلوث أصحابها بالشرك، ويقبض السماوات والأرض يوم القيامة، وهو الباسط للأرزاق لمن يشاء برحمته، ويبسط الرحمة على القلوب، ويبسط العلوم على قلب من يشاء.

السيد: هو الذي تحق له السيادة والعلو والشرف والعظمة والحكمة والعلم والجبروت والغنى والحلم والملك.

الكريم الأكرم: هو الكريم الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، الكثير الخير الذي إذا أعطى زاد على ما تمناه العبد، والذي يعطي قبل السؤال، والكريم هو عظيم القدر وشريف الذات وكامل الصفات، المنزه عن النقائص والآفات، وهو الأكرم الذي لا يوازيه كريم.

الحفيظ: هو الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في السكنات والحركات.

الشهيد: هو الحاضر المطلع على جميع الأشياء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوا، والشهيد هو الذي شهد لنفسه بالوحدانية والقيام بالعدل.

الواسع: هو الواسع الصفات والنعوت، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان والعلم والرحمة والحكمة.

الكفيل: هو المتكفل بأرزاق العباد، الذي ضمن لكل مخلوق رزقه، ومن الناس والدواب والأجنة في بطون أمهاتهم... والكفيل هو الرقيب الضامن والحافظ والشهيد.

الولي: هو الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته والتقرب إليه بالقربان، ويتولى عباده عمومًا بتدبيره ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصًا بإخراجهم من الظلمات إلى النور وتربيتهم بلطفه.

القيوم: هو القائم على كل شيء بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وحفظهم وحسابهم، وهو سبحانه الذي قام بنفسه واستغنى عن غيره وقامت به السماوات والأرض وما فيهن.

الواحد الأحد: هو الذي توحد بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وهو الذي توحد في ألوهيته وأسمائه وصفاته وربوبيته، وهو الذي ليس كمثله شيء.

الصمد: والصمد الذي لم يلد ولم يولد، وهو المستغني عن كل شيء، والذي يفتقر إليه كل شيء. والصمد السيد العظيم الذي قد كمل في علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعزته وعظمته وجميع صفاته، الذي صمدت إليه جميع المخلوقات وقصدته كل الكائنات بأسرها، وهو الباقي بعد فناء خلقه، وهو الذي لا يطعم ولا يشرب.

القادر القدير المقتدر: هو القادر أي مقدر كل شيء وقاضيه، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب وهو القدير كامل القدرة، وهو المقتدر التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء.

الأول الآخر الظاهر الباطن: هو الأول الذي ليس قبله شيء والمتقدم على كل شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، الباقي بعد فناء خلقه. والله هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، لأنه العلي الأعلى، وهو الباطن الذي أحاط كل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، العوالم كلها في قبضته.

المحسن: هو الذي غمر خلقه بإحسانه وإنعامه وفضله وجوده ورحمته.

الطيب: هو الطيب المتنزه عن النقائص والعيوب وهو بمعنى القدوس.

المسعِّر: هو الذي يرخص الأشياء ويغليها فلا اعتراض لأحد عليه.

الجواد: هو الجواد المطلق الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو الحال من بار وفاجر ومسلم وكافر حسبما تقتضيه حكمته سبحانه.

المجيب: هو الذي يجيب الداعين مهما كانوا وأين كانوا، ويجيب المضطرين ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين.

المعطي: وهو الذي يعطي بمحض فضله وإحسانه. لا بسبب من العبد ولا بتقدم واسطة، أعطى خلقه كل شيء.

الحفي: هو الرؤوف الرحيم كثير البر واللطف، المعتني بعبده، والمبالغ في إكرامه وإلطافه.

• • •

مراتب إحصاء أسماء الله الحُسنى التي من أحصاها دخل الجنة

هذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها. **المرتبة الثانية**: فهم معانيها ومدلولها. **المرتبة الثالثة**: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (سورة الأعراف، آية: ١٨٠)، وهو مرتبتان. **إحداهما**: ثناء وعبادة. **والثانية**: دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلًا إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم، وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكارًا عبارة الفلاسفة وهي التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلق. وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع الدعاء، وهو لفظ القرآن.

ثمار وأسرار معرفة أسماء الله الحسنى

إنّ أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق ما تعلق بأشرف معلوم: وهو الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، فالعلم بأسمائه وصفاته والتفقه فيها رأس العلم وأساسه ؛ فالعلم علمان: علم بالله، وعلم بأمره وشرعه. و الآخر راجع إلى الأول وصادر منه، فالعلم بأسمائه أصل كل معلوم، كما أن جميع المخلوقات والموجودات، والأوامر الشرعية ترجع إلى معاني هذه الأسماء. بيَّن ذلك وجلاه ابن القيم -رحمه الله – في هذه النقاط حيث قال:

أولًا: فإحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا، إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، والرأفة والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنى. وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدى ولا عبثًا، فمن أحصى أسماءه ـ كما ينبغي للمخلوق ـ أحصى جميع العلوم؛ لأنها من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا.

ثانيًا: وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الأسماء الحسنى. وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عمًى بمكابرة. ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

ثالثًا: فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائلُ
وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ
تشير بإثبات الصفات لربها ... فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئًا أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها، ونعوت كماله وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلًا وحسًا وفطرة ونظرًا واعتبارًا، بل جنايات العبيد ومعاصيهم بتقدير الله لهم من أدل الشواهد على أسمائه وصفاته، وسر من أسرار هذه الأسماء.

رابعًا: «إذا عرف هذا فمن أسمائه سبحانه، الغفار التواب العفو، فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولا بد من جناية تغفر وتوبة تقبل وجرائم يعفى عنها، وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه هو من موجبات كماله ومقتضى حمده... فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال، وغايتها أيضًا مقتضى حمده ومجده كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة» ولهذه الغايات العظيمة تعرف الله إلى عباده بها كثيرًا، فأفرد الأسماء وقرنها، واستفتح بها آية وختم بها أخرى، وما ذاك إلا لأن لكل اسم منها له تعبد مختص به علمًا ومعرفة وحالًا، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم....، وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

خامسًا: والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، وتر يحب الوتر».

سادسًا: فمن تأمل أسرار هذا العلم أوقفه ذلك على رياض من العلم بديعة، وحقائق من الحكم جسيمة، وحصل له من الآثار الحميدة الزاكية ما لا يحاط بالوصف، ولايدرك إلا بالذوق. وإليك بعضًا منها:

١ – أنه إذا علم العبد ربه وامتلأ قلبه بمعرفته أثمرت له ثمرات جليلة في سلوكه وسيره إلى الله، وتأدب معه ولزم أمره واتبع شرعه، وتعلق قلبه به وفاضت محبته على جوارحه، فلهج لسانه بذكره، ويده بالعطاء له، وسارع في مرضاته غاية جهده، ولا يكاد يمل القربة لله محب، فلم يبق في قلبه غير الله كما قيل:

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحب سواهم فيه متسع

٢- ومن أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من الله، والمحب لا يجد مع الله للدنيا لذة، فلم ينه عن ذلك حب أهل أو مال أو ولد؛ لأن هذه وإن عظمت محبتها في قلبه إلا أنه يدرك أنها بعض فضل الله عليه، فكيف يشتغل بالنعم وينسى المنعم.

٣- ومنها: أن منزلة العبد عنده سبحانه على قدر معرفته به، فتأمل معي كيف اختصت آية الكرسي بكونها أعظم آية في كلامه ﷻ، وكيف عدلت سورة الإخلاص ثلث القرآن، مع أن المفضل عليه بعض كلام الرب ـ تبارك اسمه ـ فإذا تفاضل كلامه ببركة أسمائه كان تفاضل عبده بسبب ذلك أدل وأحرى.

٤- ومن الآثار الحميدة لهذا العلم الشريف أنه لا سعادة للقلب ولا سرور له إلا بمعرفة مولاه ومربيه وإلهه، وبقدر علمه به واتباعه لهداه تعظم سعادته، يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

٥- ومن آثارها: أن من أحبها أحبَّه الله، كما في قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ على سرية يصلي لأصحابه فكان يختم بسورة الإخلاص، فلما سألوه قال: لأنها صفة الرحمن، وأحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه بأن الله يحبه»، كما أن من عمل بها، وحقق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المحظورات كان من المقربين الذين أحبهم الله وتولاهم.

٦- ولما كان (سبحانه) يحبّ أسماءه وصفاته: كان أحبّ الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية.

٧- ومنها: أنه كلما أدام ذكرها بقلبه ولسانه أوجب ذلك له دوام مراقبته وشاهد ربه بعين بصيرته؛ فاستحيا منه، وانكسر له، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة، وهي أعلى مقامات الدين «وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حدٍّ كأنه يكاد يطالع ما اتصف به الرب (سبحانه) من صفات الكمال ونعوت الإجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه، فإن حجابه هو نفسه، وقد رفع الله عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته، فأفضى القلب والروح حينئذٍ إلى الرب، فصار يعبده كأنه يراه».

٨- ومنها: أن التعرف على أسماء الله (تعالى) يسلم الإنسان من آفات كثيرة: كالحسد، والكبر، والرياء والعجب، كما قال ابن القيم: «لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته».

٩- ومن أعظمها: أن من قامت في قلبه حقائق هذه الأسماء، وتراءت معانيها لناظريه كان أعظم الناس تحقيقًا للتوحيد، وأكملهم عبودية لرب العالمين، واستحال أن يصرف من أعماله شيئًا لغير مولاه. ولذا يستدل ربنا جل في علاه على بطلان الشرك والأنداد بأسمائه الحسنى؛ تلحظ ذلك مثلًا في آخر سورة الحشر، فبُعيد ذكره لعدد من أسمائه نزه نفسه عما أشرك به المشركون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، وذلك لأن من له هذه الأسماء يمتنع أن يكون معه إله آخر.

١٠- ومن أجل هذه الثمرات أن من أحصى بعضًا منها حفظًا، وفهمًا، وعملًا؛ استحق مأدبة الله العظمى، كما صح بذلك الخبر عن النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة».

• • •

تعريف التجويد

(س): ما حقيقة التجويد لغة واصطلاحًا.

(ج): التجويد لغة: الإتيان بالجيد، واصطلاحًا: علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه[(١)] ومستحقه[(٢)] من الصفات أو المُدُودِ وغير ذلك كالترقيق والتفخيم ونحوهما.

(س): ما غاية علم التجويد.

(ج): غايته بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن على ما تلقي من الحضرة النبوية الأفصحية، وقيل غايته صون اللسان عن الخطإ في كتاب الله تعالى.

(س): ما حُكْمُ الشارع في علم التجويد.

(ج): التجويد لا خلاف في أنه فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين.

(س): من الذي وضع علم التجويد.

(ج): من الناحية العملية: هو سيدنا محمد ﷺ، حيث نزل عليه القرآن من عند الله تعالى مجودًا مرتلًا.

ومن الناحية النظرية: قيل أبو الأسود الدؤلي، وقيل أبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل الخليل بن أحمد و قيل غيرهم من أئمة القراءة والتجويد.

(س): كيف يكون النطق بالحركة -الفتحة، الكسرة، الضمة-.

(ج): ١- الفتحة: وتؤدى بفتح الشفتين طوليًّا (رأسيًّا) وتخطف حركة الفتح.

٢- الكسرة: وتؤدى بكسر الشفتين أفقيًا وتخطف حركة الكسر.

٣- الضمة: وتؤدى بضم الشفتين وتخطف الحركة.

(س): عرِّف السكون.

(ج): السكون هو انعدام الحركة تمامًا ويؤدى باصطدام طرفي عضو النطق فتظهر صفات الحرف.

(س): عرِّف الحرف المشدد.

(ج): الحرف المشدد هو في الحقيقة حرفان متماثلان: أولهما ساكن وثانيهما متحرك بالفتحة أو الكسرة أو الضمة؛ ولأن أولهما ساكن، فلا يمكن أيضًا البدء بمشدد[(٣)].

(س): ما هي أركان التجويد.

(ج): ١- معرفة مخارج الحروف.

٢- معرفة صفات الحروف.

٣- معرفة أحكام التلاوة والوقف.

٤- رياضة اللسان بكثرة التكرار[(٤)].

(س): ما هي مراتب التلاوة.

(ج): للقراءة ثلاث مراتب: الترتيل والتدوير والحدر.

١- الترتيل: هو قراءة القرآن الكريم بالتأني والاطمئنان من غير عجلة، مع تدبر المعاني وإخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه حقه ومستحقه من الصفات اللازمة والعارضة. وهذه المرتبة هي أفضل المراتب، لما فيها من التدبر والاطمئنان.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بها، فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾. وسُئلَت عائشة رضي الله عنها عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان ينبذه حرفًا حرفًا.

---

(١) حق الحرف: هو صفاته الذاتية التي تميزه عن غيره كالشدة والجهر والاستعلاء والصفير، وغير ذلك من الصفات القائمة بذات الحرف.

(٢) مستحق الحرف: هو صفاته العارضة التي يتعرض لها أحيانًا وتنفك عنه أحيانًا أخرى كالإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء، وكالتفخيم والترقيق.

(٣) في اللغة العربية لا يمكن البدء بساكن ولا الوقوف على متحرك.

(٤) لا يمكن إتقان تلاوة القرآن إلا بالتلقي من أفواه المشايخ، فالدراسة من الكتب لا تغني عن التلقي.

٢- التدوير: هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحدر، أي بين الاطمئنان والسرعة، مع المحافظة على الأحكام.

٣- الحدر: هو القراءة بسرعة مع المحافظة على الأحكام.

وهذه المراتب كلها جائزة، وذكر العلماء مرتبة رابعة، وهي التحقيق. وقالوا عنها بأنها أكثر تؤدة وأشد اطمئنانًا من مرتبة الترتيل، وهي التي تُستَحسنُ في مقام التعليم... لكن لا بد أن يُحترَز من التمطيط والإفراط في إشباع الحركات والغنات.

(س): ما اللحن.

(ج): اللحن هو الخطأ والميل عن الصواب.

(س): ما اقسام اللحن.

(ج): ينقسم إلى قسمين: ١- لحن جلي. ٢- لحن خفي.

١- اللحن الجلي: هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل به إخلالًا ظاهرًا، سواءً أخل بالمعنى أم لم يُخِل. ومثال الذي يخل بالمعنى، ضم التاء في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. ومثال الذي لا يخل بالمعنى، ضم الهاء في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]. وسُمِّيَ جليًا لاشتراك علماء القراءة وغيرهم في معرفته.

٢- اللحن الخفي: هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل بالعرف، أي بحسن اللفظ ورونقه، وليس بالمعنى. وسُمِّيَ خفيًّا لاختصاص أهل هذا العلم وحدهم دون غيرهم بمعرفته.

(س): ما انواع اللحن الجلي والخفي.

(ج): أولًا: أنواع اللحن الجلي:

١- تبديل حرف بآخر.

٢- تبديل حركة بأخرى.

٣- إسقاط حرف أو زيادة حرف.

٤- تغيير حركة بالسكون أو السكون بحركة.

٥- جعل المشدد مخففًا أو المخفف مشددًا.

٦- قصر المد اللازم والواجب والطبيعي.

ثانيًا: أنواع اللحن الخفي:

١- ترك الغنة أو الإدغام أو الإخفاء أو الإقلاب.

٢- ترعيد الصوت عند أداء المدود والغنات.

٣- قصر المد الجائز عن ٤ حركات برواية حفص عن عاصم بطريق الشاطبية.

٤- ترقيق المفخم وتفخيم المرقق (كترقيق الغين والخاء) ما لم يتحول إلى حرف آخر. فإن تحول إلى حرف آخر (كما في ترقيق الصاد فتصبح سينًا) كان اللحن جليًّا.

٥- تكرير الراء تكريرًا لغويًّا، وكذلك ترقيقها في غير محل الترقيق أو العكس، و غير ذلك.

(س): ما حكم اللحن الجلي والخفي.

(ج): اللحن الجلي حرام يأثم القارئ بفعله.

أما اللحن الخفي فمكروه معيب عند علماء القراءة.

(س): ما هي اركان القراءة الصحيحة.

(ج): للقراءة الصحيحة ثلاثة أركان هي:

١- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٢- موافقة الرسم العثماني ولو احتمالًا؛ والرسم العثماني هو: الخط الذي كتبت به المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه. والمراد بـ(ولو احتمالًا): أن تكون القراءة موافقة للمكتوب في هذه المصاحف، كقراءة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، بالألف مع أنها مكتوبة في

المصاحف العثمانية بغير ألف.

٣- صحة الإسناد مع الشهرة والاستفاضة، وذلك بأن ينقل القراءة جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.

* فإذا اختلّ أحد هذه الأركان صارت القراءة شاذة؛ والقراءة الشاذة هي: القراءة التي تفقد أحد أركان القراءة الصحيحة.

(س): ما القراءة وما الرواية وما الطريق.

(ج): القراءة: كل خلاف نسب لإمام من الأئمة مما أجمع الرواة عليه ـ مثل (ملك ومالك) ـ ويسمى من نسب إليه قارئًا؛ مثل: عاصم، ونافع، وغيرهما.

الرواية: كل ما نسب للراوي عن الإمام؛ مثل: حَفص عن عاصم، قالون عن نافع.

الطريق: كل ما نسب للأخذ عن الراوي وإن سفل؛ مثل: طريق الشاطبية.

* * *

فصل في أحكام الاستعاذة والبسملة

(س): ما الاستعاذة.

(ج): الاستعاذة لغةً: الالتجاء والاعتصام والتحصن.

واصطلاحًا: لفظ يحصل به الالتجاء إلى الله تعالى والتحصن به من الشيطان.

(س): حكم الاستعاذة.

(ج): قال جمهور من العلماء إنها مستحبة؛ لأنهم اعتبروا الأمر الوارد في الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، محمولًا على الندب – أي: الاستحباب – و على ذلك لا يأثم تاركها، وهذا هو القول المختار.

وقال آخرون إنها واجبة؛ لأنهم اعتبروا الأمر الذي ورد في الآية السابقة محمولًا على الوجوب، وعلى هذا يأثم تاركها.

إذًا حكم الاستعاذة مستحبة، وهذا هو القول المختار، وقيل واجبة.

(س): ما حالات الاستعاذة عند البدء بالقراءة.

(ج): للاستعاذة عند البدء بالقراءة حالتان: إما الجهر بها أو الإخفاء.

أما الجهر، فيستحب عند بدء القراءة في موضعين:

١- إذا كان القارئ يقرأ جهرًا، وكان هناك من يستمع لقراءته.

٢- إذا كان القارئ وسط جماعة يقرؤون القرآن، وكان هو المبتدئ بالقراءة.

و أما الإخفاء، فيستحب في أربعة مواضع:

١- إذا كان القارئ يقرأ سرًا.

٢- إذا كان يقرأ جهرًا، وليس هناك من يستمع لقراءته.

٣- إذا كان يقرأ في الصلاة سواء كان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا.

٤- إذا كان يقرأ وسط جماعة، وليس هو المبتدئ بالقراءة.

(س): ما حكم البسملة.

(ج): حكم البسملة عند افتتاح القراءة بأول السورة عند عامة القراء الوجوب؛ وذلك لثبوتها في المصحف باستثناء سورة (براءة) فلا خلاف بين القراء في ترك البسملة في أولها، وذلك لأن «بسم الله» – كما قال علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه – أمان، و براءة ليس فيها أمان لأنها نزلت بالسيف -أي بالأمر بالجهاد- ولا تناسب بين الأمان والسيف.

(س): إذا أتى القارئ بالاستعاذة والبسملة والسورة فكم وجهًا فيها.

(ج): فيها أربعة أوجه: قطع الجميع، ووصل البسملة والسورة فقط، ووصل الاستعاذة بالبسملة فقط، ووصل الجميع.

(س): إذا أتى القارئ بالبسملة بين السورتين فكم وجهًا فيها.

(ج): فيها أربعة أوجه: ثلاثة أوجه جائزة، وواحد غير جائز.

أما الثلاثة الجائزة فالأول منها قطع الكل. والثاني وصل البسملة بأول السورة. والثالث وصل الكل. وأما غير الجائز فهو ما إذا وصل آخر السورة بالبسملة ووقف وابتدأ بما بعدها، ووجه عدم جوازه أنه يوهم أن البسملة من آخر السورة.

(س): كيف يكون البدء بالقراءة أثناء السورة.

(ج): للقارئ حينئذٍ التخيير: إما أن يأتي بالبسملة بعد الاستعاذة، أو يأتي بالاستعاذة فقط[1].

واختلف العلماء حول الإتيان بالبسملة إذا ابتدأ القارئ قراءته من أثناء سورة التوبة، فمنهم من قال إن سورة التوبة لا بسملة لأولها فلا بسملة في أثنائها، ومنهم من قال إن البسملة لا تجوز في أولها فقط لكن تجوز في وسطها.

(س): ما أوجه الوصل بين السورتين.

(ج): لا استعاذة بين سورتين، والبسملة لها أربعة أوجه، ثلاثة أوجه جائزة:

١- الوقف على آخر السورة ثم على البسملة.

٢- وصل آخر السورة بالبسملة بأول السورة.

٣- الوقف على آخر السورة ووصل البسملة بأول السورة الجديدة.

٤- وجه غير جائز: وصل آخر السورة بالبسملة والوقف عليها ثم البدء بأول السورة الجديدة؛ وذلك لأن البسملة لأوائل السور وليست لأواخرها.

(س): ما الأوجه بين الأنفال وبراءة.

(ج): للوصل بين سورتي الأنفال و براءة، لا استعاذة ولا بسملة بينهما، والوصل بينهما له ثلاثة أوجه كلها جائزة:

١- الوصل بينهما.

٢- الوقف على آخر الأنفال ثم البدء بأول براءة.

٣- السكت بينهما. والسكت هو قطع الصوت دون تنفس على آخر الكلمة بنية الاستمرار في القراءة، وهو حالة من حالات الوصل وليس الوقف، ومقداره الزمني حركتان.

• • •

فصل في أحكام النون الساكنة والتنوين

(س): ما النون الساكنة والتنوين.

(ج): النون الساكنة هي العارية من الحركة (التشكيل) وتكون نونًا ساكنة مرسومة صراحةً في كلمة مثل: ﴿مِن - عَنْهُمْ - تَنْحِتُونَ - يَنْهَوْنَ﴾ موجودة في أواسط أو أواخر الكلمات، لكن ليس في أولها. التنوين هو نون ساكنة ملفوظة غير مرسومة، زائدة عن بنية الكلمة ويجوز تجريدها منها، تلحق أواخر الأسماء وفعلين فقط في القرآن كله: ﴿لَنَسْفَعًا - لِيَكُونًا﴾. وعلامته في المصحف الفتحتان والضمتان والكسرتان (ً ٌ ٍ)، مثل: ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾، أو بالضم مثل: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أو بالكسر مثل: ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾. والتنوين لا يكون إلا في أواخر الكلمات.

---

[1] إذا كانت الآية تبدأ باسم الله تعالى، أو أحد الأسماء الحسنى، أو ضمير يعود على الله تعالى، فهنا لا يجوز وصل الاستعاذة بأول الآية، لما فيها من البشاعة وإيهام رجوع الضمير على الشيطان، والأفضل هنا الوقف على الاستعاذة ثم البدء بأول الآية، ويستحب في هذه الحالة الإتيان بالبسملة. وإذا كانت الآية تبدأ باسم الشيطان أو ضمير يعود عليه فلا يجوز وصل البسملة بأول الآية، و يكون في هذه الحالة وجهان لا نأتي بهما: وصل الاستعاذة بالبسملة بأول الآية، الوقف على الاستعاذة ووصل البسملة بأول الآية. والأفضل أن ينظر القارئ للآية التي سوف يبدأ بها، فإن كانت تتحدث عن الله تعالى، أو عن أهل الجنة... فالأفضل أن يأتي بالاستعاذة ثم بالبسملة ، أما إن كانت الآية المبدأ بها تتحدث عن الشيطان أو عن أهل النار... فالأفضل أن يأتي بالاستعاذة فقط. فالإتيان بالاستعاذة فقط، أو بالاستعاذة والبسملة يكون حسب الآية المبدأ بها.

(س) ما الفرق ما الفرق بين النون الساكنة والتنوين.

(ج) النون الساكنة	التنوين
١-تأتي وسط الكلمة وآخرها.	لا يأتي إلا آخر الكلمة.
٢-تأتي في الاسم والفعل والحرف.	لا يأتي إلا مع الاسم.
٣-تثبت وصلًا ووقفًا.	لا يثبت إلا وصلًا
٤-تثبت لفظًا وخطًا.	يثبت لفظًا ويحذف خطًا (رسمًا).
٥-تكون أصلية وزائدة.	زائدة عن بنية الكلمة.

(س): النون الساكنة والتنوين كم حالة لهما.

(ج): لهما أربعة حالات: الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء.

(س): ما حد[1] الإظهار لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو البيان، وأما اصطلاحًا فهو إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة.

(س): كم حروف الإظهار وما هي.

(ج): حروفه ستة وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء.

وجمعها بعضهم في أوائل أحرف كلمات نصف بيت فقال:

أخي هاك علمًا حازه غير خاسر

(س): ما أمثلة ذلك على الترتيب.

(ج): مثال النون عند الهمزة ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾، ومثال التنوين عندها ﴿ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾، وهذا مثال ما إذا كان حرف الإظهار والنون أو التنوين من كلمتين، ومثاله من كلمة ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾، ومثال النون عند الهاء ﴿ إِنْ هُوَ ﴾، والتنوين عندها ﴿ جُرُفٍ هَارٍ ﴾، وهذا في كلمتين ومثاله في كلمة ﴿يَنْهَوْنَ﴾، ومثال النون عند العين ﴿نَعْلَمُ ﴾، والتنوين عندها ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿يَنْعِقُ﴾، ومثال النون عند الحاء ﴿ مِنْ حَكِيمٍ ﴾، والتنوين عندها ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿ يَنْحِتُونَ ﴾، ومثال النون عند الغين ﴿مِّنْ غِلٍّ ﴾، والتنوين عندها ﴿ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ ﴾، ومثال النون عند الخاء ﴿مِّنْ خَيْرٍ ﴾، والتنوين عندها ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾، وهذا في كلمتين، ومثاله في كلمة ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر أمثلة لحكم إظهار النون الساكنة والتنوين.

(ج): أمثلة لإظهار النون في كلمة واحدة:

﴿يَنْـَٔوْنَ يَنْهَوْنَ يَنْعِقُ تَنْحِتُونَ فَسَيُنْغِضُونَ ٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾.

أمثلة لإظهار النون في كلمتين:

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْ هَادٍ، مَنْ عِندَ، مِنْ حَيْثُ مِنْ غَيْرِكُمْ مِّنْ خَمْرٍ﴾.

أمثلة لإظهار التنوين:

﴿ جَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا، جُرُفٍ هَارٍ، حَكِيمٌ عَلِيمٌ، مِّنْ خَمْرٍ ﴾.

(س): ما حد الإدغام لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو إدخال الشيء في الشيء. وأما اصطلاحًا فهو التقاء حرف ساكن بمتحرك بحيث يصيران حرفًا مشددًا يرتفع اللسان عنده ارتفاعة واحدة.

(س): ما حروف الإدغام وما هي.

(١) الحد: أي التعريف.

(ج): حروفه ستة (ي - ر - م - ل - و - ن) مجموعة في قولك (يرملون).

(س): إلى كم قسم تنقسم هذه الحروف.

(ج): إلى قسمين بغنة ويسمى ناقصًا، وبغير غنة ويسمى كاملًا. فالياء والواو والميم والنون بغنة، واللام والراء بلا غنة.

(س): ما امثلة ذلك على الترتيب.

(ج): مثال النون الساكنة عند الياء ﴿وَإِن يَقُولُوا﴾ أدغمت النون الساكنة في الياء، ومثال التنوين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أدغم التنوين في الياء ويشترط أن يكون المدغم والمدغم فيه من كلمتين كما مثل.

فإن كانا من كلمة واحدة يجب إظهاره مثل: ﴿الدُّنْيَا، بُنْيَانٌ قِنْوَانٌ صِنْوَانٌ﴾، خوفًا من الالتباس بالمضاعف، ومثال النون في الميم ﴿مِن مَّلْجَإٍ﴾ والتنوين ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ومثال النون في الواو ﴿مِن وَرَآئِهِمْ﴾ والتنوين ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ ومثال النون في النون ﴿إِن نَّقُولُ﴾ والتنوين ﴿حِطَّةٌ نَّغْفِرْ﴾ وهذا كله إدغام بغنة ومثاله بلا غنة وهو إدغام النون الساكنة أو التنوين في اللام والراء فمثال النون في اللام ﴿يُبَيِّن لَّنَا﴾ والتنوين ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ومثال النون في الراء ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ والتنوين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر امثلة لحكم الإدغام بغنة وبدون غنة.

(ج): ١- إدغام بغنة: ﴿مَن يَقُولُ، خِطَابًا يَوْمَ، مِّن نِّعْمَةٍ، يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ، مِن مَّارِجٍ، جَزَآءً مِّن، مِن وَلِيٍّ، غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ﴾.
٢- إدغام بغير غنة: ﴿مِن لَّدُنْ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، مِّن رَّبِّهِمْ، غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(س): ما حد الإقلاب لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو تحويل الشيء عن وجهه، وأما اصطلاحًا فهو جعل حرف مكان حرف آخر مع مراعاة الغنة.

(س): كم حروف الإقلاب.

(ج): حرف واحد وهو الباء.

(س): ما امثلة ذلك.

(ج): مثاله عند النون من كلمتين ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ ومن كلمة ﴿يُنبِتُ لَكُم﴾ ومثال التنوين ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ - أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا﴾.

(س): اذكر امثلة لحكم الإقلاب.

(ج): ﴿مِنْ بَعْدِهِ- الْأَنبِيَآءَ- عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾.

(س): ما حد الإخفاء لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو الستر، وأما اصطلاحًا فهو عبارة عن النطق بحرف ساكن عارٍ (أي خالٍ) عن التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول، وهو النون الساكنة والتنوين.

(س): كم حروف الإخفاء.

(ج): حروفه خمسة عشر في أوائل أحرف كلمات هذا البيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

دم طيبًا زد في تقى ضع ظالمًا

فإذا وقع حرف من هذه الحروف بعد النون الساكنة من كلمة أو كلمتين أو التنوين، أخفيت النون الساكنة والتنوين، ويسمى إخفاء حقيقيًا.

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثال النون عند الصاد من كلمتين ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ومن كلمة ﴿وَانصُرْنَا﴾ والتنوين ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ وقس على ذلك باقي الأحرف المذكورة.

(س): اذكر امثلة لحكم الإخفاء.

(ج): ﴿مَنصُورًا، مِّن صِيَامٍ، بِرِيحٍ صَرْصَرٍ، أَنذَرْتَهُمْ، مَّن ذَا، طَعَامًا ذَا، مَّنثُورًا﴾.

• • •

فصل في أحكام الميم الساكنة

(س): عرف الميم الساكنة وكم حالة لها.

(ج): هي التي لا حركة لها، ولها ثلاث حالات: إدغام وإخفاء وإظهار، فتدغم في مثلها بغنة كاملة إذا وجد بعدها ميم، ويسمى إدغام متماثلين مثاله: ﴿لَهُم مَّثَلًا - لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ - وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ وتخفى عند الباء بغنة ويسمى إخفاء شفويًّا مثاله: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ - وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾ وشبه ذلك، وتظهر عند باقي الحروف، لكنها عند الواو والفاء أشد إظهارًا ويسمى إظهارًا شفويًّا، مثاله: ﴿وَهُمْ فِيهَا - عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

(س): اذكر أمثلة لأحكام الميم الساكنة.

(ج): ١- أمثلة للإدغام الشفوي: ﴿جَآءَكُم مِّنَ، مَّا هُم مِّنكُمْ﴾.

٢- أمثلة للإخفاء الشفوي: ﴿إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ، أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ﴾.

٣- أمثلة للإظهار الشفوي: ﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾.

* * *

فصل في أحكام الميم والنون المشددتين

(س): ما الحرف المشدد.

(ج): الحرف المشدد أصله يتكون من حرفين: الأول ساكن والثاني متحرك. فيدغم الأول الساكن في الثاني المتحرك بحيث يصيران كالثاني مشددًا.

(س): ما حكم الميم والنون المشددتين.

(ج): حكمهما إظهار غنة الميم والنون حال تشديدهما نحو ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ونحو ﴿ثُمَّ - لَنَا﴾ فالغنة لازمة لهما.

(س): اذكر أمثلة أحكام الميم والنون المشددتين.

(ج): ﴿إِنَّ - ثُمَّ﴾.

* * *

فصل في أحكام أل المعرفة

(س): ال المعرفة إذا وقعت قبل حروف الهجاء كم حالة لها.

(ج): لها حالتان قمرية وشمسية.

(س): ما هي اللام القمرية.

(ج): هي الواقع بعدها حرف من هذه الحروف وهي (ابغ حجك وخف عقيمه) مثال ذلك: ﴿ٱلْأَنْعَمَ - ٱلْبَرِّ - ٱلْغَمَامَ - ٱلْجَحِيمُ - ٱلْجَنَّةَ - ٱلْكَوْثَرَ - ٱلْوِلْدَٰنَ - ٱلْخَيْرُ - ٱلْفِتْنَةِ - وَٱلْعَافِينَ - ٱلْقَمَرَ - ٱلْيَوْمَ - ٱلْمَالُ - ٱلْهُدَىٰ﴾ وما أشبه ذلك وتسمى لامًا قمرية بمعنى أنها تظهر مثل لام القمر.

(س): اذكر أمثلة لأحكام اللام القمرية.

(ج): ﴿ٱلْإِبِلِ - ٱلْبَقَرَ - ٱلْغَنَمِ - ٱلْحَآقَّةُ - ٱلْجِبَالَ - ٱلْأَنْعَٰمِ - ٱلْكَٰفِرُ - ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

(س): ما هي اللام الشمسية.

(ج): هي الواقع بعدها أربع عشرة حرفًا المجموعة في أوائل أحرف كلم هذا البيت.

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم

دع سوء ظن زر شريفًا

مثال ذلك ﴿ٱلطَّآمَّةُ - ٱلصَّآخَّةُ﴾ وقس على ذلك.

(س): اذكر أمثلة لأحكام اللام الشمسية.

(ج): ﴿ٱلطَّآمَّةُ - ٱلثَّمَرَٰتِ - ٱلصَّٰلِحَٰتِ - ٱلرَّحْمَٰنُ - ٱلتَّٰئِبُونَ - ٱلضَّآلِّينَ - ٱلنَّاسِ - ٱلدَّاعِ﴾.

(س): ما علامة اللام القمرية والشمسية.

(ج): علامة القمرية السكون وعلامة الشمسية الشدة.

* * *

فصل في أحكام اللام الواقعة في الفعل

(س): ما حكم اللام الواقعة في الفعل.

(ج): يجب إظهارها مطلقًا سواء كان الفعل ماضيًا أو أمرًا، وتلحق الماضي في آخره ووسطه، أما الأمر ففي آخره، مثال فعل الماضي ﴿ جَعَلْنَا - قُلْنَا - ضَلَلْنَا - ٱلْتَقَى ﴾، ومثال فعل الأمر ﴿ قُلْ نَعَمْ ﴾.

* * *

فصل في أحكام الإدغام (المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين)

(س): ما هو الإدغام.

(ج): هو عبارة عن خلط الحرفين وإدخال أحدهما في الآخر.

(س): إلى كم قسم ينقسم.

(ج): ينقسم إلى ثلاثة أقسام: متماثلين ومتقاربين ومتجانسين.

(س): ما هو إدغام المتماثلين.

(ج): هو أن يتفق الحرفان صفة ومخرجًا[1].

(س): ما حكم إدغام المتماثلين.

(ج): حكمه الإدغام وجوبًا نحو ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ - بَل لَّا يَخَافُونَ - وَقَد دَّخَلُواْ - إِذ ذَّهَبَ ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو إدغام المتقاربين.

(ج): هو ما تقارب مخرجًا وصفة[2].

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثاله الثاء عند الذال ﴿ يَلْهَث ذَّٰلِكَ ﴾ ومثاله الباء عند الميم ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ ومثاله القاف عند الكاف ﴿ نَخْلُقكُّم ﴾.

(س): ما هو إدغام المتجانسين.

(ج): هو ما اتحد مخرجًا واختلف صفة[3].

(س): ما مثال ذلك.

(ج): مثاله الطاء عند التاء ﴿ لَئِنْ بَسَطتَ ﴾ ومثاله التاء عند الطاء ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ ومثاله التاء عند الدال ﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ ﴾ وَمِثالُه اللام عن الراء ﴿ قُل رَّبِّ ﴾ ومثاله الذال عند الظاء ﴿ إِذ ظَّلَمُوٓاْ ﴾.

---

(١) المتماثلان: هما حرفان اتحدا مخرجًا وصفة، مثل: (د مع د، ل مع ل)، وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق: ١- الصغير: أن يكون الحرف الأول ساكنًا والثاني متحركًا، مثل: ﴿قَد دَّخَلُواْ﴾. وحكمه: الإدغام. ٢- الكبير: أن يكون الحرفان متحركين، مثل: ﴿فِيهِ هُدًى- ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ﴾. وحكمه: الإظهار. ٣- المطلق: أن يكون الحرف الأول متحركًا والثاني ساكنًا، مثل: ﴿مَا نَنسَخْ، شَقَقْنَا﴾. وحكمه: الإظهار.

(٢) المتقاربان: هما حرفان تقاربا مخرجًا وصفة، مثل: (ذ مع ز)، أو تقاربا صفة فقط لا مخرجًا، مثل: (ذ مع ج) أو تقاربا مخرجًا لا صفة، مثل: (د مع س). وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق.

١- صغير: حكمه: الإظهار، إلا (ل – ر) فحكمه: الإدغام، مثل: ﴿قُل رَّبِّ﴾. ٢، ٣- الكبير والمطلق: حكمهما الإظهار.

(٣) المتجانسان: هما حرفان قد اتحدا مخرجًا واختلفا صفة، مثل: (د مع ت). وينقسم إلى صغير وكبير ومطلق: ١- صغير: حكمه: الإظهار، ويستثنى من الإظهار خمس مواضع يجب فيها الإدغام وهي: ١. الدال في التاء: ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾. ٢- التاء في الدال والطاء: ﴿أَثْقَلَت دَّعَوَا- هَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾. ٣- الذال في الظاء: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾. ٤- الثاء في الذال: ﴿يَلْهَث ذَّٰلِكَ﴾ ٥- الباء في الميم: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا﴾. ٢، ٣- الكبير والمطلق: حكمهما الإظهار.

فصل في أحكام المدود وأقسامها

(س): ما حد المد لغة واصطلاحًا.

(ج): أما لغة فهو المط وقيل الزيادة. وأما اصطلاحًا عند القراء فهو إطالة الصوت بحرف من حروف المد الآتي ذكرها.

(س): إلى كم قسم ينقسم المد.

(ج): إلى قسمين أصلي وفرعي.

(س): ما هو المد الأصلي.

(ج): هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به.

(س): ما هي حروف المد.

(ج): هي ثلاثة: الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها.

(س): لم سمي طبيعيًا.

(ج): لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن حده ولا يزيد عليه.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ألف وهو حركتان وصلًا ووقفًا، ونقصه عن ألف حرام شرعًا، مِثالُ الألف ﴿ قَالَ ﴾ ومثال الواو ﴿ يَقُولُ ﴾ ومثال الياء ﴿ قِيلَ ﴾.

(س): ما هو المد الفرعي وإلى كم قسم ينقسم.

(ج): هو المد الزائد على المد الأصلي بسبب من همز أو سكون، وهو ينقسم إلى ثلاثة عشر قسمًا: الأول المد الواجب المتصل، الثاني المد الجائز المنفصل، الثالث المد العارض للسكون، الرابع مد البدل، الخامس مد العوض، السادس المد اللازم المثقل الكلمي، السابع المد اللازم المخفف الكلمي، الثامن المد اللازم المثقل الحرفي، التاسع اللازم المخفف الحرفي، العاشر مد اللين، الحادي عشر مد الصلة، الثاني عشر مد الفرق، الثالث عشر مد التمكين، وسيأتي بيان ذلك مفصلًا على هذا الترتيب.

(س): ما هو المد الواجب المتصل وما قدر مده.

(ج): هو أن يكون المد والهمزة في كلمة واحدة، وقدر مده خمس حركات مثال ذلك ﴿ جَآءَ - ٱلنَّبِىٓءُ - قُرُوٓءٍ ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو المد الجائز المنفصل وما قدر مده.

(ج): هو ما كان حرف المد في كلمة والهمزة في كلمة أخرى، وحكمه جواز مده حركتين أو أربع أو خمس حركات. مثال ذلك ﴿يَٰٓـَٔادَمُ - قُولُوٓاْ ءَامَنَّا - إِنِّىٓ ءَامَنتُ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو المد العارض للسكون وما قدر مده.

(ج): هو الوقف على آخر الكلمة، وكان قبل الحرف الموقوف عليه أحد حروف المد الطبيعي التي هي الألف والواو والياء كـ﴿تُكَذِّبَانِ - ٱلْعِقَابِ - ٱلرَّحِيمِ - شَىْءٍ - يُؤْمِنُونَ - خَوْفٌ﴾ يجوز في مده ثلاثة أوجه: الطول وهو ست حركات، والتوسط وهو أربع حركات، والقصر وهو حركتان.

(س): لم سُمي مدًا عارضًا للسكون.

(ج): لأنه عرض عليه السكون في حالة الوقف، وإذا لم يوقف عليه كان مدًا طبيعيًا.

(س): ما هو مد البدل.

(ج): هو أن يجتمع المد مع الهمزة في كلمة، لكن تتقدم الهمزة على المد مثل: ﴿ءَاتَى - ءَامَنَ - أُوتُوا - أُوذُواْ - إِيتَآءَ - بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

(س): ما هو مد العوض وما قدر مده.

(ج): هو الوقف على التنوين المنصوب في آخر الكلمة، وقدر مده حركتان مثال ذلك ﴿ مُّقْتَدِرًا - مَآءً﴾.

(س): ما هو المد اللازم المثقل الكلمي.

(ج): هو أن يكون بعد حرف المد حرف مشدد في كلمة واحدة نحو ﴿يَتَمَآسَّا - ٱلضَّآلِّينَ - ٱلصَّآخَّةُ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ثلاث ألفات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم المخفف الكلمي.

(ج): هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن نحو ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾ في موضعين من يونس.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مقدار مده ثلاث ألفات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم الحرفي المُشبع.

(ج): هو أن يوجد حرف في فواتح السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد والثالث ساكن، فإن أدغم الحرف الذي بعد حرف المد كان مثقلًا نحو ﴿الٓمٓ﴾ وإن لم يدغم كان مخففًا نحو ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ - نٓ وَٱلْقَلَمِ - قٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): كم حروف المد اللازم الحرفي.

(ج): هي ثمانية أحرف يجمعها قولك (نقص عسلكم) للألف منها أربعة أحرف وهي ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ - كٓهيعٓصٓ من فاتحة مريم - قٓ وَٱلْقُرْءَانِ - عٓسٓقٓ من فاتحة الشورى - لام من الٓمٓ ﴾ وللياء حرفان الميم من ﴿ الٓمٓ ﴾ - السين من ﴿يسٓ﴾ - ﴿طسٓ﴾ وللواو حرف واحد ﴿النون من نٓ وَٱلْقَلَمِ ﴾ فقط، فهذه السبعة تمد مدًّا مشبعًا بلا خلاف، وأما العين من فاتحة مريم والشورى ففيها وجهان: المد ثلاث ألفات، والتوسط ألفان، والمد أشهر.

(س): ما مقدار مده.

(ج): مده ثلاث ألفات بست حركات.

(س): ما هو المد اللازم المخفف الحرفي.

(ج): هو ما كان الحرف فيه على حرفين.

(س): كم حروفه.

(ج): حروفه خمسة يجمعها لفظ (حي طهر) فمثال الحاء ﴿ حمٓ﴾ ومثال الياء ﴿يسٓ﴾ ومثال الطاء مع مثال الهاء ﴿طه﴾ ومثال الراء ﴿الٓر﴾.

(س): على كم حركة مده.

(ج): مده على حركتين.

(س): كم حروف اللين.

(ج): هما حرفان الواو والياء بشرط سكونهما وانفتاح ما قبلهما نحو ﴿ بَيْتٍ ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): ما هو مد الصلة وبكم حركة قدر.

(ج): هو حرف مد زائد مقدر بعد هاء الضمير، وقدر بحركتين حال ضمه وكسره.

(س): إلى كم قسم تنقسم الصلة.

(ج): تنقسم إلى قسمين قصيرة وطويلة.

(س): في أي محل تكون الصلة قصيرة.

(ج): إذا كان ما قبل الهاء متحركًا مثل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ - لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، فإن كان ما قبله ساكنًا فلا مد فيه، وخرجت من هذه القاعدة كلمة ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ بالزمر حيث استوفت شروط الصلة ولا صلة فيها. وكلمة ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ بالفرقان حيث وقعت بين ساكن ومتحرك وفيها صلة على طريقة حفص، ويشترط أيضًا أن لا يكون ما بعده موصولًا به؛ نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ - وَلَهُ ٱلدِّينُ ﴾ فإنه لا يمد اتفاقًا و﴿فَأَلْقِهْ ﴾ في النمل و ﴿ أَرْجِهْ ﴾ فيسكن.

(س): في أي محل تكون الصلة طويلة وكم قدر مدها.

(ج): إذا كان بعد الهاء همزة قطع فإنه يجوز مدها مدًّا مشبعًا مقدار ألفين ونصف، ويجوز بمقدار ألف كالمد المنفصل بالحدر، مثاله ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠، هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): لم سُمي مدُّ صلة.

(ج): تأدبًا؛ لأن القرآن العظيم لا زيادة فيه ولا نقص.

(س): ما هو مد الفرق.

(ج): هو شاذ الوقوع في القرآن العظيم وهو في أربعة مواضع؛ في سورة الأنعام في موضعين: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وفي يونس: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]، وفي النمل: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

(س): لم سُمي مد فرق.

(ج): لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر؛ لأنه لولا المد لتوهم أنه خبر لا استفهام، فالهمزة فيه للاستفهام.

(س): ما هو مد التمكين.

(ج): هو كل ياءين أحدهما ساكن مكسور ما قبلها مشددٌ مثال ذلك ﴿حُيِّيتُم - ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وما أشبه ذلك.

(س): لم سُمي مد تمكين.

(ج): لأن الشدة مكنته فلأجل ذلك قيل له مد تمكين.

• • •

فصل في بيان مخارج الحروف

(س): عرف مخارج الحروف وأقسامها.

(ج): المخرج لغةً: محل الخروج. واصطلاحًا: هو موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره.

الحرف لغةً: الطرف. واصطلاحًا: هو صوت يعتمد على مخرج محقق أو مقدر. والمخرج المحقق هو جزء معين من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين، وكذلك الخيشوم. والمقدر خلاف ذلك، مثل الجوف، فليس للحرف موضع معين يخرج منه. و يبدأ الجوف من أقصى الحلق وينتهي بالشفتين.

ومخارج الحروف سبعة عشر على المختار، موزعة على خمسة مواضع، هي:

١ - الجوف. ٢ - الحلق. ٣ - اللسان.

٤ - الشفتان. ٥ - الخيشوم.

١ - الجوف: هو الخلاء الداخل في الحلق والفم، ويخرج منه أحرف المد الثلاثة بشروطها: (ا - و - ي).

٢ - الحلق: وفيه ثلاثة مخارج:

١. أقصى الحلق، ويخرج منه: (ء - هـ).

٢. وسط الحلق، ويخرج منه: (عـ - حـ).

٣. أدنى الحلق، ويخرج منه: (غـ - خـ).

٣ - اللسان: وفيه عشرة مخارج:

١. أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: (ق).

٢. أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف، ويخرج منه: (ك).

٣. وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: (جـ - ش - ي، غير المدية).

٤. حافة اللسان وما يحاذيها من الأضراس العلوية اليمنى أو اليسرى، أو كلاهما معًا، ويخرج منه (ض).

٥. ما بين حافتي اللسان وما يحاذيها من اللثة العليا بعد مخرج الضاد، ويخرج منه (ل).

٦. طرف اللسان وما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، ويخرج منه (ن).

٧. طرف اللسان قريب إلى ظهره قليلًا بعد مخرج النون، ويخرج منه (ر).

٨. طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ويخرج منه (د - ت - ط).

٩. طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى مع انفراج قليل بينهما، ويخرج منه (س - ص - ز).

١٠. ظهر طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه: (ث - ذ - ظ).

٤ - الشفتان: وفيهما مخرجان:

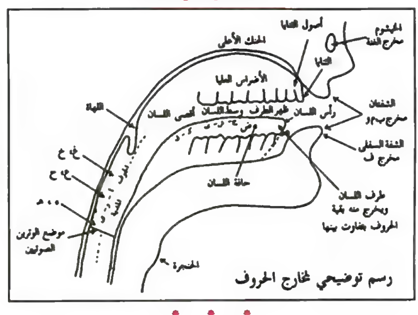
١ . بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه (ف).

٢ . من الشفتين معًا: ويخرج منهما: (ب - م - و، غير المدية)، مع انطباق الشفتين في الباء والميم، وانفتاحهما في الواو.

٥ - الخيشوم: وفيه مخرج واحد تخرج منه: (الغنة)، وهي صفة لازمة مركبة في جسم الميم والنون.

* لمعرفة مخرج أي حرف: إذا أردت معرفة مخرج الحرف فسكِّن الحرف أو شدده ورد في أوله همزة، فحيث انتهى بك الصوت فثَمّ مخرج الحرف، مثل: (أَبْ)، (أَقْ)، (أَمّ).

رسم توضيحي لمخارج الحروف



• • •

فصل في بيان صفات الحروف

(س): عرف صفات الحروف وأقسامها.

(ج): الصفة لغة: ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد. واصطلاحًا كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر والرخاوة والهمس والشدة ونحوها.

وصفات الحروف قسمان: لازمة وعارضة:

أولًا: الصفات اللازمة (الذاتية): هي التي من ذات الحرف لا تنفك عنه، وهي حق للحرف كالاستعلاء والهمس.

ثانيًا: الصفات العارضة (الزائدة): هي الصفة المكملة للحرف بحيث لو انفكت عنه لا تؤثر في ذاته، وهي الصفات المستحقة الزائدة كالتفخيم والإدغام والإخفاء.

أولًا: الصفات اللازمة (الذاتية): صفات الحروف اللازمة سبع عشرة صفة، وهي قسمان:

١ - صفات متضادة. ٢ - صفات غير متضادة.

١ - صفات متضادة: وهي:

١ - الهمس وضده الجهر. ٢ - الشدة والتوسط وضدهما الرخاوة.

٣ - الاستعلاء وضده الاستفال. ٤ - الإطباق وضده الانفتاح.

٥ - الإذلاق وضده الإصمات.

١ - الهمس لغة: الخفاء.

واصطلاحًا: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه عشرة مجموعة في (فحثه شخص سكت).

الجهر لغة: الإعلان.

واصطلاحًا: انحباس النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه تسعة عشر حرفًا، وهي باقي حروف الهجاء.

٢- الشدة لغة: القوة.

واصطلاحًا: حبس الصوت عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه ثمانية مجموعة في (أجد قط بكت).

التوسط لغة: الاعتدال.

واصطلاحًا: صفة وسط بين الشدة والرخاوة، وأحرفها خمسة مجموعة في: (لن عمر).

الرخاوة لغة: اللين.

واصطلاحًا: جريان الصوت عند النطق بالحرف، وحروفه بقية حروف الهجاء، وهي ستة عشر حرفًا.

٣- الاستعلاء لغة: الارتفاع.

واصطلاحًا: ارتفاع أقصى اللسان عند النطق بالحرف، وأحرفه سبعة مجموعة في (خص ضغط قظ).

الاستفال لغة: الانخفاض.

واصطلاحًا: انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالحرف، وحروفه هي بقية حروف الهجاء.

٤- الإطباق لغة: الإلصاق.

واصطلاحًا: إلصاق أكثر اللسان على ما يحاذيه من الحنك الأعلى وأحرفه أربعة هي: (ص - ض - ط - ظ).

الانفتاح لغة: الافتراق.

واصطلاحًا: تجافي اللسان أو معظمه عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه خمسة وعشرون حرفًا هي بقية حروف الهجاء.

٥- الإذلاق لغة: حدة اللسان، أي طلاقته.

واصطلاحًا: هو الطرف والسهولة، وأحرفه ستة مجموعة في: (فر من لب) حيث يخرج من طرف اللسان (ل - ر - ن)، ومن الشفتين (ف - م - ب).

الإصمات لغة: المنع.

واصطلاحًا: امتناع المتكلم عن الإتيان بكلمة رباعية أو خماسية الأصل خالية من أحد أحرف الإذلاق إلا كلمة (عسجد).

٢- الصفات غير المتضادة: وهي سبع صفات:

١- الصفير. ٢- القلقلة. ٣- اللين. ٤- الانحراف.

٥- التكرار. ٦- التفشي. ٧- الاستطالة.

١- الصفير لغة واصطلاحًا: صوت يشبه صوت الطائر، أحرفه ثلاثة: (ص - س - ز).

٢- القلقلة لغة: الاضطراب.

واصطلاحًا: اضطراب في المخرج عند النطق بالحرف، وتظهر واضحة إذا كان الحرف ساكنًا حتى تُسمع له نبرة قوية، مثل: ﴿صِدْقٍ فَٱسْتَجَبْنَا، ٱلْحَقُّ، ٱلْحَجَّ، مُحِيطٌ﴾. وأحرفها خمسة مجموعة في: (قطب جد).

٣- اللين لغة: ضد الخشونة.

واصطلاحًا: إخراج الحرف من مخرجه في لين وعدم كلفة، وحروفه اثنان (و - ي) الساكنتين المفتوح ما قبلهما.

٤- الانحراف لغة: الميل والعدول.

واصطلاحًا: ميل الحرف إلى طرف اللسان، وله حرفان (ل - ر).

٥- التكرار لغة: واصطلاحًا: الإعادة، وله حرف واحد وهو (ر).

٦- التفشي لغة: الانتشار والاتساع.

واصطلاحًا: انتشار الهواء في الفم وله حرف واحد وهو (ش).

٧- الاستطالة لغة: الامتداد.

واصطلاحًا: طول في المخرج وله حرف واحد وهو (ض).

ثانيًا: الصفات العارضة (الزائدة): التفخيم والترقيق: انظر الفصل التالي.

فصل في التفخيم والترقيق

(س): ما حد التفخيم، وما حروفه، وما أحكامه.

(ج): التفخيم لغة التسمين. واصطلاحًا هو سمن يطرأ على جسم الحرف وهو صفة زائدة، والأحرف المفخمة قسمان:

١- قسم مفخم دائمًا وهي أحرف الاستعلاء السبعة: (خص ضغط قظ).

٢- قسم يرقق أحيانًا ويفخم أحيانًا وهي أربعة: ١- الراء. ٢- اللام. ٣- الألف. ٤- الغنة.

١- أحرف الاستعلاء: مفخمة دائمًا، ولها خمس مراتب:

١. أعلاها: المفتوح وبعده ألف، مثل: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾.

٢. المفتوح وليس بعده ألف، مثل: ﴿طَبَعَ﴾.

٣. المضموم، مثل: ﴿ضُرِبَ﴾.

٤. الساكن: ويأخذ مرتبة حركة الحرف الذي قبله، مثل: ﴿مَطْلَعِ - مُقْمَحُونَ - إِخْرَاجِ﴾.

٥. المكسور: ﴿دُخِلَتْ﴾.

٢- ما يفخم ويرقق أحيانًا: وهي أربعة: ١- الراء. ٢- اللام. ٣- الألف. ٤- الغنة.

أولًا: حكم الراء:

١- تفخيم الراء: إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، مثل: ﴿رَحْمَتَ - كَفَرُواْ﴾ أما الراء الساكنة فتفخم إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، أو كسر غير أصلي، أو كسر غير متصل بها في نفس الكلمة، أو بعدها حرف استعلاء غير مكسور، مثل: ﴿أَرْسَلْنَا - وَٱلْعَصْرِ -ٱلْمُرْسَلُونَ - ٱلْعُسْرُ - ٱرْجِعُوٓاْ - ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ - مِرْصَادًا﴾.

٢- ترقق الراء: إذا كانت مكسورة، مثل: ﴿أَمْرِنَا﴾. أما الراء الساكنة فترقق إذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة، مثل: ﴿فِرْعَوْنَ، ٱلذِّكْرِ، بَصِيرٌ﴾.

تنبيه: كلمات يجوز فيها تفخيم وترقيق الراء في حالة الوقف عليها، وهي: ﴿ٱلْقِطْرِ - مِصْرَ - إِذَا يَسْرِ - أَنْ أَسْرِ - فَأَسْرِ - فِرْقٍ﴾، ﴿نُذُرِ﴾ المسبوقة بالواو في ستة مواضع بالقمر.

ثانيًا: حكم اللام:

١- تفخيم اللام: تفخيم الله في لفظ الجلالة الله إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، مثل: ﴿كَانَ ٱللَّهُ - رَسُولُ ٱللَّهِ - ٱللَّهَ﴾.

٢- ترقيق اللام: ترقق اللام في لفظ الجلالة الله إذا كان قبلها كسرة، مثل: ﴿يَتَّقِ ٱللَّهَ - يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ - لِلَّهِ﴾.

ثالثًا: حكم الألف:

تفخم الألف إذا جاءت بعد حرف مفخم، مثل: ﴿ٱلظَّآنِّينَ - قَالَ﴾.

وعدا ذلك ترقق الألف.

رابعًا: حكم الغنة:

تفخم الغنة إذا أُخفي النون أو التنوين عند أحد حروف الاستعلاء، مثل:

﴿يَنصُرُونَ - مِن صِيَامٍ - وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ - مِن ضَعْفٍ - مَّنضُودٍ - مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ﴾.

وعدا ذلك ترقق الغنة.

• • •

فصل في بيان القلقلة

(س): كم حروف القلقلة.

(ج): هي خمسة يجمعها قولك (قُطب جد).

(س): إلى كم قسم تنقسم.

(ج): إلى قسمين صغرى وكبرى، فإن كان سكونها أصليًا فهي صغرى، وإن كان سكونها عارضًا في الوقف فهي كبرى، مثال الصغرى ﴿يَقْطَعُونَ - يَطْمَعُونَ

- ﴿يَجْعَلُونَ﴾ - ﴿يَدْعُونَ﴾ - ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، ومثال الكبرى ﴿خَلَقَنِي - مَرَحًا - عَذَابٌ - بَهِيجٍ - شَدِيدٌ﴾ فهذه تقلقل حالة الوقف، لا حالة الوصل والمرور.

* * *

فصل في أحكام همزة الوصل

(س) عرِّف همزة الوصل مبينًا سبب تسميتها ومواضعها.

(ج) همزة الوصل: هي الهمزة الزائدة أول الكلمة، الثابتة في الابتداء، الساقطة في الوصل.

سميت بذلك لأنه يتوصل بها إلى النطق بالساكن، ولذلك سميت (سلم اللسان).

أما مواضعها: فتأتي في الأسماء والأفعال، وتارة تكون سماعية، وتارة تكون قياسية وهو الأكثر.

(س): وضح كيفية البدء بهمزة الوصل في الأسماء مع ذكر الأسماء التي فيها همزة وصل.

(ج): - الاسم المعرف بلام التعريف تكون همزة الوصل فيه قياسية، ويبدأ بها مفتوحة، نحو: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾.

- الاسم المجرد من لام التعريف تكون همزة الوصل فيه قياسية، وسماعية ويبدأ بها مكسورة.

- أما القياسية فتكون في مصدر الفعل الخماسي، نحو: ﴿افْتِرَاءً﴾، وفي مصدر الفعل السداسي، نحو: ﴿اسْتِكْبَارًا﴾، ﴿اسْتِغْفَارُ﴾.

- وأما السماعية فقد ورد منها في القرآن سبعة أسماء، وهي: ﴿ابْنُ﴾، ﴿ابْنَهُ﴾، ﴿امْرُؤًا﴾، ﴿امْرَأَةٌ﴾، ﴿اثْنَيْنِ﴾، ﴿اثْنَتَيْنِ﴾، ﴿اسْمُ﴾، وهذه هي الأسماء التي فيها همزة وصل.

(س): كيف تبدأ بكلمة ﴿الِاسْمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١].

(ج): يُبدأ بها بأحد وجهين:

١. الابتداء بهمزة الوصل مفتوحة (ألِسم).

٢. الابتداء باللام مكسورة مع ترك همزة الوصل (لِسم).

أما حال الوصل فليس فيها إلا وجهٌ واحدٌ وهو إسقاط همزة الوصل وكسر اللام.

(س): وضح كيفية البدء بهمزة الوصل في الأفعال.

(ج): الهمزة في الفعل المضارع لا تكون إلا همزة قطع، ولا توجد همزة الوصل إلا في الفعل الماضي الخماسي، نحو: ﴿اقْتَرَبَ﴾، والسداسي، نحو: ﴿اسْتَغْفِرْ﴾، وفي فعل الأمر الذي ماضيه ثلاثي، نحو: ﴿اضْرِب﴾، أو خماسي، نحو: ﴿انطَلِقُوا﴾، أو سداسي، نحو: ﴿اسْتَغْفِرْ﴾.

وحركة همزة الوصل في الأفعال إما كسر أو ضم فقط.

١- الكسر بشرط أن يكون ثالث الفعل مفتوحًا أو مكسورًا، نحو: ﴿انقَلَبَ﴾، ﴿ارْتَضَىٰ﴾، ﴿اذْهَبُوا﴾.

٢- الضم بشرط أن يكون ثالث الفعل مضمومًا ضمًا لازمًا، أو فعلًا خماسيًّا أو سداسيًّا مبنيًّا للمجهول، نحو: ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾، ﴿اجْتُثَّتْ﴾، ﴿اتْلُ﴾، ﴿ادْعُ﴾، ﴿اقْتُلْ﴾، ﴿اخْرُجُوا﴾.

أما إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًّا عارضًا فيبدأ فيه بكسر همزة الوصل، وقد وردت في خمس كلمات فقط، وهي: ﴿اقْضُوا﴾، ﴿ابْنُوا﴾، ﴿امْشُوا﴾، ﴿ائْتُوا﴾، ﴿وَامْضُوا﴾، فأصل حركة ثالث هذه الأفعال الكسر، أما الضم فهو عارض لمناسبة الواو التي اتصلت بها، وأصلها (اقضِي، ابنِ، امشِ، ...).

(س): ما سبب ورود همزة الوصل في كلام العرب.

(ج): سبب ورودها أن العرب لا تجيز البدء بالساكن، ومن هنا فإن همزة الوصل هي السبيل الوحيد الذي من خلاله يحسن البدء بالساكن.

فحين جلبُ همزة الوصل إلى الكلمة تصبح متحركة، ويصبح الحرف الساكن الذي كان في بداية الكلمة حرفًا ثانيًا، فمن ثَمّ سميت همزة وصل.

(س): قد تتقدم همزة القطع على همزة الوصل. فما حكم كل من الهمزتين.

(ج): وقع تقدم همزة القطع التي للاستفهام على همزة الوصل في الأفعال وفي الأسماء، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- تحذف همزة الوصل وتبقى همزة الاستفهام مفتوحة، وذلك خاص بالأفعال، وقد ورد في القرآن الكريم عدة أفعال، هي: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾، ﴿أَطَّلَعَ﴾، ﴿أَفْتَرَىٰ﴾، ﴿أَصْطَفَى﴾، ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾، ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾، ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾.

ووجه حذف همزة الوصل في هذه الأفعال:

أن أصل هذه الكلمات (أاتخذتم، أاطلع، أاستكبرت،...) بهمزتين: الأولى: همزة استفهام ولا تكون إلا مفتوحة، والثانية: همزة الوصل وهي مكسورة، فحُذفت الثانية استغناءً عنها بهمزة الاستفهام، ولا يترتب على حذفها التباس الخبر بالاستفهام.

٢- تبقى الهمزتان المجتمعتان معًا في الكلمة، وذلك خاص بالأسماء، وشرطه أن تكون همزة الوصل مفتوحة في البدء، وواقعة في اسم محلى بأل، وحينئذٍ لا يجوز حذفها؛ لئلا يلتبس الخبر بالاستفهام، وقد ورد من هذه الصور ثلاث كلمات في ستة مواضع من القرآن الكريم، أولها وثانيها: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام، في الآيتين:١٤٣، ١٤٤]. ثالثها ورابعها: ﴿ءَآللَّهُ﴾ في [سورة يونس:٥٩، وسورة النمل:٥٩]. خامسها وسادسها: ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ [يونس في الآيتين:٥١، ٩١].

(س): قد تتقدم همزة الوصل على همزة القطع الساكنة. فما حكم كل من الهمزتين.

(ج): تَقَدم همزة الوصل على همزة القطع لا يكون إلا في الأفعال خاصة، نحو: ﴿ٱؤْتُمِنَ﴾، ﴿ٱئْذَن﴾، ﴿ٱئْتُوا﴾، ﴿ٱئْتِنَا﴾، ﴿ٱئْتُونِى﴾، فحين البدء بمثل هذه الكلمات والتي فيها هذه الهمزة تثبت همزة الوصل وتبدل، همزة القطع الساكنة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها؛ أي: من جنس حركة همزة الوصل، مثال ذلك: (أوتُمِنَ، إيتنا، إيتوني).

وأما حال وصل هذه الكلمة بما قبلها، فإن همزة الوصل تسقط في الدرج، وتثبت همزة القطع ساكنة.

* * *

فصل في المقطوع والموصول

(س): ما المراد بالمقطوع والموصول.

(ج): المراد بالمقطوع: الكلمة التي تفصل عما بعدها في رسم المصحف العثماني، ويجوز الوقف على هذه الكلمة اضطرارًا واختبارًا .

المراد بالوصل: الكلمة التي توصل بما بعدها في رسم المصحف العثماني، ولا يجوز فصل هذه الكلمة عما اتصلت به لأي عارض إلا برواية صحيحة. وإليك بيان المقطوع والموصول بالتفصيل:

فتقطع «أنْ» المفتوحة الهمزة الساكنة عن «لا» النافية في عشرة مواضع، وهي:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤]، ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٢٦].

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦].

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الدخان: ١٩].

﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢].

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤].

ووقع الخلاف في موضع واحد في الأنبياء؛ وهو: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكتب في بعض المصاحف بالوصل، وفي بعضها بالقطع؛ وعليه العمل.

وما عدا ذلك فهو موصول، نحو: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

وأما مكسورة الهمزة فموصولة اتفاقًا، نحو: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال: ٧٣]. و﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]

وتقطع «إنْ» المكسورة الهمزة الساكنة النون عن «ما» في موضع واحد؛ وهو: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠]، وما عداه فموصول، نحو: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فإن كانت مفتوحة الهمزة فهي موصولة كذلك؛ نحو: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وتقطع «عن» الجارة عن «ما» الموصولة في موضع واحد، وهو ﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وما عداه موصول، نحو: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

وتقطع «من» الجارة عن «ما» في موضعين ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [النساء: ٢٥] بالنساء، وبالروم.

ووقع الخلاف في موضع المنافقين وهو ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، والعمل فيه القطع.

وعدا ذلك فموصول، نحو: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

وتقطع «أم» عن «من» في أربعة مواضع: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩]، و﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ﴾ [فصلت: ٤٠]، و﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ [الصافات: ١١].

وما عدا ذلك فموصول، نحو: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وتقطع «أن» المفتوحة الهمزة الساكنة النون عن «لم» في موضعين: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٣١] و﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٧].

وأما مكسورة الهمزة فموصولة في موضع واحد وهو ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ [هود: ١٤].

وما عداه فمقطوع، نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

وتقطع «إن» المكسورة الهمزة المشددة النون عن «ما» الموصولة في موضع واحد بلا خلاف وهو ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وموضع بالخلاف – والعمل فيه على الوصل – وهو: ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النحل: ٩٥].

وما عدا ذلك فموصولة بلا خلاف، نحو: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، و﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وتقطع «أن» المفتوحة الهمزة المشددة النون في موضعين بلا خلاف، وهما: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ووقع الخلاف في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ [الأنفال: ٤١]، والعمل على الوصل.

وما عدا ذلك فموصول، نحو: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وتقطع «حيث» عن «ما» في موضعين وهما: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ﴾ [البقرة: ١٤٤]، و﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وتقطع «كل» عن «ما» في موضع الخلاف وهو ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ووقع الخلاف في أربعة مواضع – والعمل على الوصل – وهي: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ﴾ [النساء: ٩١]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ [المؤمنون: ٤٤]، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [الملك: ٨].

وما عدا ذلك فموصول باتفاق، نحو: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ﴾ [البقرة: ٢٥]. وتقطع «بئس» عن «ما» في جميع المواضع عدا موضعين: فبالوصل، وهما: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]، ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ووقع الخلاف في موضع واحد – والعمل فيه على الوصل – وهو: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

وتقطع «في» عن «ما» في موضع واحد بلا خوف، وهو: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦].

ووقع الخلاف في عشرة مواضع – والعمل فيها على القطع – وهي: ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿فِى مَا ٱشْتَهَتْ﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ [النور: ١٤]، ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

وما عدا ذلك فموصول باتفاق، نحو: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨].

وتقطع «أين» عن «ما» في جميع مواضع القرآن، نحو: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٨] ما عدا موضعين: فالبوصل اتفاقًا، وهما: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦].

ووقع الخلاف في ثلاثة مواضع – والأكثر القطع – وهي: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، و﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢] و﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾ [الأحزاب: ٦١].

وتقطع «أن» عن «لن» في جميع مواضع القرآن نحو: ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الفتح: ١٢].

وما عدا موضعين: فبالوصل؛ وهما: ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]، و﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣].

وتقطع «أن» عن «لو» في ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ [الأعراف: ١٠٠]، ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾ [سبأ: ١٤]

واختلف في موضع؛ وهو: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦]؛ والراجح: القطع.

وتقطع «كي» عن «لا» في جميع مواضع القرآن؛ نحو: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ [الحشر: ٧].

ما عدا أربعة مواضع: فبالوصل، وهي: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، و﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وتقطع «عن» عن «من» في موضعين – وليس هناك غيرهما -: ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النور: ٤٣]، و﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩].

وما عدا ذلك فموصول.

وتقطع «يوم» عن «هم» في موضعين، وهما: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

وما عداهما فموصول؛ نحو: ﴿يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

وتقطع لام الجر عن مجرورها في أربعة مواضع؛ وهي: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف: ٤٩]، و﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ [الفرقان: ٧]، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المعارج: ٣٦].

وما عدا ذلك فموصول؛ نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ [الليل: ١٩]، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وتقطع «لات» عن «حين» في موضع واحد – ليس غيره – وهو: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ [ص: ٣]، وقيل بالوصل فيها، كهاء التنبيه وياء النداء و«ال» التعريفية، و«ربما»، و«نعم»، و«مهما»، و«يومئذ»، و«كأنما»، و«ويكأن»، و«حينئذ»، و«يومهم»، و«إلياس»، أما «إل ياسين» فمفصولة، ويصح الوقف على «إل» عند من تلاها بهذه الرواية.

وهذا خلاصة ما جاء من الكلمات التي رسمت في المصاحف العثمانية مقطوعة ليوقف عليها عند الضرورة، وما عداها فموصول.

وفائدة معرفة هذا الباب جواز الوقف على إحدى الكلمتين المقطوعتين باتفاق، ووجوبه على الأخير من الموصولتين باتفاق، أما ما اختلف في قطعه ووصله فيجوز الوقف على كلتا الكلمتين نظرًا لقطعهما وعلى الأخيرة نظرًا لوصلهما.

• • •

فصل في تاء التأنيث

(س): ما حكم تاء التأنيث في القرآن.

(ج): وردت تاء التأنيث في القرآن الكريم على نوعين:

١ – منها ما هو مرسوم بالتاء المربوطة.

٢ – ومنها ما هو مرسوم بالتاء المفتوحة.

والمعروف في أصول الإمام حفص أنه يتبع في الوقف مرسوم الخط؛ فما رسم بالتاء المربوطة يقف عليها (بهاء)، وما رسم بالتاء المفتوحة يقف عليها (بالتاء). وإليك بيانها بالتفصيل:

فـ«رحمت»: رسمت بالتاء المفتوحة في سبعة مواضع؛ وهي: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ [هود: ٧٣]، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢]، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وما عدا ذلك فبالهاء المربوطة؛ مثل: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: ٨٧].

وأما «نعمت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في أحد عشر موضعًا، وهي: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ﴾ [المائدة: ١١]، ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم ٣٤]، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٨٣]، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٤]، ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٣١]، ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٢٩].

ما عدا ذلك فبالهاء، ويوقف عليه؛ كالثلاثة الأولى بالنحل؛ وهي: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [النحل: ٧١].

وأما «امرأت»: إذا أضيفت إلى زوجها فهي بالتاء المفتوحة؛ وذلك في سبعة مواضع؛ منها:

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥]، و﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٣٠]، و﴿ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [القصص: ٩]، ﴿ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ ﴾ [التحريم: ١٠]، ﴿ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾ [التحريم: ١٠]. وما عدا ذلك فبالهاء، نحو: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ ﴾ [النساء: ١٢٨].

وأما «سنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في خمسة مواضع؛ هي:

﴿ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر: ٨٥].

وما عدا ذلك فبالهاء؛ نحو: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وأما «لعنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضعين: ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٧].

وما عدا ذلك فبالهاء؛ نحو: ﴿ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٥].

وأما «معصيت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضعين ولا ثالث لهما في القرآن؛ وهما: ﴿ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة: ٨، ٩].

وأما «كلمت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وما عداها فبالهاء، نحو: ﴿ كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ ﴾ [هود: ١١٩].

وأما «بقيت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [هود: ٨٦].

وما عداه فبالهاء؛ نحو: ﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ ﴾ [هود: ١١٦]، ﴿ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وأما «قرت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد، وهو ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩].

وما عداه فبالهاء؛ نحو: ﴿ قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وأما «فطرت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]. ولا ثاني له.

وأما «شجرت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد وهو: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الدخان: ٤٣].

وما عداه فبالهاء؛ نحو: ﴿ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ [طه: ١٢٠].

وأما «جنت»: فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد، وهو: ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ [الواقعة: ٨٩].

وما عداه فبالهاء؛ نحو: ﴿ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴾ [المعارج: ٣٨].

وأما «ابنت» فرسمت بالتاء المفتوحة في موضع واحد؛ وهو ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ﴾ [التحريم: ١٢]، ولا ثاني له.

وأما ما قرئ بالجمع والإفراد فيرسم بالتاء المفتوحة كذلك، وهو سبع كلمات في اثني عشر موضعًا.

أولها: «كلمت» في أربعة مواضع، وهي: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾ [يونس: ٣٣]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [غافر: ٦].

ووقع الخلاف في الثاني من يونس وفي موضع غافر.

الثاني: ﴿ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧].

الثالث: ﴿ غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ [يوسف: ١٠، ١٥].

الرابع: ﴿ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

الخامس: ﴿ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ﴾ [سبأ: ٣٧].

السادس: ﴿ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُ ﴾ [فاطر: ٤٠].

السابع: ﴿ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا ﴾ [فصلت: ٤٧].

الثامن: ﴿ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴾ [المرسلات: ٣٣].

وقد أشار إلى ذلك العلامة المتولي بقوله:

وكلُّ ما فيه الخلافُ يجري ... جمعًا وفردًا فبتاء فادْرِ

ومما يرسم بالتاء المفتوحة كذلك ست كلمات:

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾[المؤمنون: ٣٦]، ﴿وذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل: ٦٠]، ﴿يَاأَبَتِ﴾[مريم ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥]، ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾[ص ٣]، ﴿مَرْضَاتِ﴾ [البقرة: ٢٠٧، ٢٦٥]، [النساء: ١١٤]، [التحريم: ١]، ﴿اللَّاتَ﴾ [النجم: ١٩]. والله أعلم.

• • •

فصل في كيفية التخلص من التقاء الساكنين

(س): بيّن كيفية التخلص من التقاء الساكنين.

(ج): يتخلص من الساكنين بأحد أمرين: الأول: الحذف.

والثاني: تحريك الساكن الأول.

أولاً: التخلص من الساكن بالحذف: إذا كان الساكن الأول حرف مد.

إذا وقع بعد المد همزة وصل حذف المد وصلاً وهذا في النطق فقط، نحو: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١].

وقد يحذف حرف المد في الوقف والوصل وذلك لحذفه في الرسم، نحو حذف (الياء) من كلمة (تُحيي) في قوله تعالى: ﴿تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ثانيًا: تحريك الساكن الأول.

أ- بالفتح، وذلك في حالتين:

١- النون في (من) الجارة إذا وقع بعدها همزة وصل: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾.

٢- ياء المتكلم إذا وقع بعدها همزة وصل ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي﴾، عدا كلمة واحدة هي: ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤]، يضاف إلى ذلك (ميم) آل عمران ﴿الم ۝١ اللَّهُ﴾ وصلًا.

ب- الضم، وذلك في حالتين:

١- ميم الجمع إذا وقع بعدها همزة وصل ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

٢- واو اللين التي للجمع إذا وقع بعدها همزة وصل: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾.

ج- الكسر، وذلك في غير ما تقدم.

• • •

فصل في بيان أقسام الوقف

(س): إلى كم قسم تنقسم الأوقاف التي يقف عليها التالي للقران العظيم.

(ج): تنقسم إلى أربعة أقسام تام وكاف وحسن وقبيح.

(س): ما هو الوقف التام.

(ج): هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لا لفظًا ولا معنى، كالوقف على ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

(س): ما هو الوقف الكافي.

(ج): هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها لفظًا بل معنى فقط، كالوقف على قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في أول البقرة؛ لأنها مع ما بعدها وهو ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ متعلق بالكافرين.

(س): ما هو الوقف الحسن.

(ج): هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها وبما قبلها لفظًا بشرط تمام الكلام عند تلك الكلمة، كالوقف على ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في الفاتحة؛ لأن رب صفة له متعلق ما بعد الكلمة الموقوف عليها بها لفظًا، وكالوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأول في الفاتحة؛ لأن غير صفة للذين أو بدل منه.

(س): ما هو الوقف القبيح.

(ج): هو الوقف على لفظ غير مفيد لعدم تمام الكلام وقد تعلق ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى، كالوقف على ﴿بِسْمِ﴾ من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ وعلى ﴿الْحَمْدُ﴾

من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وعلى ﴿مَٰلِكِ﴾ أو ﴿يَوۡمِ﴾ من ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضيف، أو على كلام يوهم وصفًا لا يليق به تعالى.

(س): في كم موضع يسكت حفص.

(ج): يسكت في أربعة مواضع، الأول في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ ثم يسكت سكتة لطيفة من غير تنفس ويقول: ﴿قَيِّمٗا﴾، والثاني في سورة يس قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ ثم يسكت كما تقدم ويقول: ﴿هَٰذَا﴾، والثالث في القيامة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنۡ﴾ ثم يسكت كذلك ويقول: ﴿رَاقٖ﴾، والرابع في سورة المطففين قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ﴾ ثم يسكت كما ذكر ويقول: ﴿رَانَ﴾.

• • •

فصل في بيان التكبير وسببه وصيغته وابتدائه وانتهائه

(س): ما حكم التكبير عند ختم القرآن.

(ج): التكبير عند ختم القرآن سنة.

(س): ما سبب التكبير؟

(ج): سببه أن الوحي أبطأ وتأخر عن رسول الله ﷺ أيامًا، قيل اثنا عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يومًا، فقال المشركون تعنتًا وعدوانًا: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، أي أبغضه وهجره، فجاءه جبريل عليه السلام وألقى عليه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ﴾ إلى آخرها فقال النبي ﷺ عند قراءة جبريل لها «الله أكبر» تصديقًا لما كان ينتظر من الوحي وتكذيبًا للكفار وقيل غير ذلك.

(س): ما صيغة التكبير؟

(ج): صيغته الله أكبر، ويكون قبل البسملة، وروى زيادة التهليل قبل التكبير فتقول: «لا إله إلا الله والله أكبر بسم الله» الخ، وزاد بعضهم له التحميد بعد التكبير فتقول: «لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد بسم الله» الخ.

(س): من اين يبتدأ بالتكبير والى اين يكون انتهاؤه؟

(ج): التكبير يبتدأ به عند الفراغ من قراءة سورة الضحى، وانتهاؤه يكون بعد قراءة سورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

(س): ما احوال السلف بعد ختم القران.

(ج): هي على ثلاثة أحوال، فمنهم من كان إذا ختم أمسك عن الدعاء، وأقبل على الاستغفار من الخجل والحياء، وهذا حال من غلب عليه الخوف من الله تعالى وشهود التقصير، ومنهم قوم كانوا إذا ختموا دعوا، ومنهم قوم كانوا يصلون الخاتمة بالفاتحة عودًا على بدء من غير فصل بينهما.

• • •

علامات الوقف في المصحف الشريف

مـ تفيد لزوم الوقف.

لا تفيد النهي عن الوقف.

صلى تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف.

ج تفيد جواز الوقف.

س سكتة يسيرة بدون تنفس.

قلى تفيد بأن الوقف أولى مع جواز الوصل.

∴ تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما.

• • •

اصطلاحات الضبط في المصحف الشريف

• للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به.

~ للدلالة على لزوم المد الزائد.

مـ للدلالة على إظهار التنوين.

ˆ للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل.

ˆ للدلالة على سكون الحرف.

ˇ للدلالة على الإدغام والإخفاء.

ـ ا و . للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتروكة.

للدلالة على همزة الوصل.

للدلالة على وجوب الإقلاب.

للدلالة على وجوب الإمالة.

• للدلالة على وجوب التسهيل.

۩ للدلالة على موضع السجود، أما كلمة وجوب السجود فقد وضع فوقها خط.

۝ للدلالة على نهاية الآية ورقمها.

ۜ للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد.

● للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها.

• • •

توضيحات ينبغي مراعاتها للقارئ برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية

١- في تلاوة قوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ [يونس: ٥٩]، و[النمل: ٥٩]. وقوله: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ [يونس: ٩١]. وقوله: ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣] و١٤٤ وجهان:

- إبدال الهمزة الثانية ألفًا، ومدها مدًّا مشبعًا للساكن بعدها، وهو المقدم أداء.

- تسهيل الهمزة الثانية بين بين، أي بين الهمزة والألف مع القصر.

٢- في تلاوة قوله تعالى: ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾ [هود: ٤١] إمالة الألف الواقعة بعد الراء وذلك بتقريب الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة.

٣- في تلاوة قوله تعالى: ﴿تَأْمَ۫نَّا﴾ [يوسف: ١١] وجهان:

- الإشمام: وذلك بضم الشفتين على هيئة من ينطق بالواو دون صوت، مع إبقاء فرجة بسيطة بين الشفتين قبيل النطق بالنون المشددة.

- الاختلاس: ويعبر عنه بالروم، وذلك بفك الإدغام والنطق بتنوين، ولكن بالإتيان بثلثي حركة النون الأولى، أي النطق بمعظمها.

٤- في تلاوة قوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ [النمل: ٣٦] وجهان وقفًا.

- إثبات الياء ساكنة، وهو المقدم أداء، وحذف الياء بالوقف على النون.

وفي حالة الوصل تثبت الياء مفتوحة.

٥- في تلاوة الآية ٥٤ من سورة الروم كلمة ﴿ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] يجوز فتح الضاد وهو المقدم أداء، ويجوز ضمها مع مراعاة أن من بدأ الآية بالفتح يكملها بالفتح وبالعكس، ولا يجوز الخلط بين الوجهين.

٦- في تلاوة قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ﴾ [الزمر: ٧] تضم الهاء دون صلة، وفي لفظ ﴿أَرْجِهْ﴾ في [الأعراف: ١١١]، وفي [الشعراء: ٣٦] تسكن الهاء. وفي لفظ ﴿فَأَلْقِهْ﴾ [النمل: ٢٨] تسكن الهاء، وفي لفظ: ﴿فِيهِۦ﴾ [الفرقان: ٦٩] توصل الهاء وتمد بمقدار حركتين.

٧- في تلاوة قوله تعالى: ﴿ ءَا۬عْجَمِيٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] تسهل الهمزة بين الهمزة والألف.

٨- في تلاوة قوله تعالى: ﴿مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨] يجوز في حال الوصل وجهان:

- الإظهار مع السكت وهو المقدم أداء، ويجوز الإدغام.

ويتعين السكت وصلًا في قوله: ﴿عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]. ﴿مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢] ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة ٢٧/ ٥٧٨]، ﴿بَلْ رَانَ﴾ [المطففين ١٤].

٩- في تلاوة قوله تعالى: ﴿سَلَـٰسِلَا۟﴾ [الإنسان ١٤] وجهان وقفًا:

- إثبات الألف الأخيرة، وحذفها مع الوقف على اللام ساكنة، أما في حال الوصل فتحذف الألف.

١ - **أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضـا الله تعالى.** قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة ٥]. وقال رسول الله ﷺ: «إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لكُلِّ امرئ ما نَوَى» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن، ولا تأكلوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه» شعب الإيمان للبيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنما يعطى الرجل على قدر نيته، وعن غيره إنما يُعطى الناس على قدر نياتهم».

قال أبو القاسم القشيري - رحمه الله تعالى -: الإخلاص: إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب مَحْمدة عند الناس أو محبة أو مدح من الخَلْق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى.

٢ - **اختيار المكان عند قراءة القرآن:** وتُسَنُّ القراءةُ في مكان نظيف، وأفضله المسجد، وكره قومٌ القراءة في الحمام والطريق، قال النووي: «ومذهبنا لا تكره فيهما»، قال: «وكرهها الشعبي في الحُشِّ، وبيت الرَّحى، وهي تدور» قال: «وهو مقتضى مذهبنا».

٣ - **مراعاة الأدب مع القرآن:** فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى؛ ويقرأ على حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يكن يراه فإن الله يراه.

٤ - **وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره.** ويستحب أن يقرأ وهو على طهارة - المقصود هنا: الطهارة من الحدث الأصغر، وأما الجُنُب والحائض، فتَحرم عليهما القراءة وهذا مذهب جمهور العلماء، ويجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب-، فإن قرأ محدثًا جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يقال: ارتكب مكروهًا بل هو تارك للأفضل، فإن لم يجد الماء تيمم.

٥ - **فإذا أراد الشروع في القراءة استعاذ:** لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل ٩٨].

صيغ الاستعاذة: ١ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ٢ - أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ٣ - أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

٤ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنّ الله هو السميع العليم. ٥ - أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٦ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هَمْزه ونَفْخه ونفثه.

٦ - **أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم** إذا بدأ من أول السورة سوى براءة.

٧ - **فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة.** قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [محمد ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص ٢٩].

٨ - **البكاء عند قراءة القرآن.** قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [الإسراء ١٠٩].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه صلَّى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته.

وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرءون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هكذا كنا.

وعن هشام قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة. والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحبٌّ مع القراءة وعندها.

وطريقه في تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواصُّ فليبك على فَقْد ذلك فإنه من أعظم المصائب.

٩ - **وينبغي أن يرتل قراءته، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على استحباب الترتيل،** قال الله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

وثبت عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفًا حرفًا» رواه أبو داود والترمذي.

وعن معاوية بن قُرَّة رضي الله عنه عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته» صحيح البخاري.

معنى الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة» السنن الكبرى للبيهقي.

وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء؟ فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل.

١٠ - **استحباب تحسين الصوت بالقراءة:** يُسَنُّ تحسينُ الصَّوت بالقراءة وتزيينُها؛ لحديث ابن حبان وغيره: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم» أخرجه أحمد، والبخاري ذكره مُعلَّقًا، وأبو داود، وابن ماجه، وإسناده صحيح، وفي لفظ عند الدارمي: «حَسِّنُوا القرآنَ بأصْواتكم، فإن الصَّوت الحسن يزيدُ القرآنَ حُسْنًا».

وفي سنن أبي داود قيل لابن أبي مُلَيكة: أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ فقال: يحسنه ما استطاع.

وأما القراءة بالألحان فنصُّ الشافعي في «المختصر» أنه لا بأس بها، ومن رواية الربيع بن سليمان: أنها مكروهة.

١١ - ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب، وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزَّهه، فقد صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ ترسلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ» مسند الإمام أحمد.

١٢ - منها ما رواه ابن أبي داود بإسناد ضعيف عن الشعبي أنه قيل له: إذا قرأ الإنسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ يصلي على النبي ﷺ قال: نعم. مصنف ابن أبي شيبة.

ومنها: أنه يستحب له أن يقول ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فليقُل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» رواه أبو داود والترمذي بإسناد ضعيف عن رجل عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن الأعرابي عن أبي هريرة، قال: ولا يسمى.

وروى ابن أبي داود والترمذي «ومن قرأ آخر. لا أقسم بيوم القيامة، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى، فليقل بلى، ومَنْ قرأ: فبأي آلاء ربكما تكذبان، أو فبأي حديث بعده يؤمنون، فليقل آمنت بالله».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن الزبير وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا قرأ أحدهم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قال: سبحان ربي الأعلى.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول فيها: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى فقرأ: آخر سورة بني إسرائيل، ثم قال: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، وقد نصَّ بعض أصحابنا على أنه يستحب أن يقال في الصلاة ما قدمناه وما كان في معناه والله أعلم.

١٣ - يستحب الإكثار من قراءة القرآن، قال تعالى مُثنيًا على من كان ذلك دأبه: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: «لا حسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ فهوَ يقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا، فهوَ يُنفِقُهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ» متفق عليه.

وروى الترمذي من حديث ابن مسعود: «مَنْ قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها».

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يقول الربُّ سبحانَه وتعالى: مَنْ شَغَلَهُ القرآنُ وذِكْرِي عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلينَ، وفضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ، كفضلِ الله على خلقه» سنن الترمذي، وقال الألباني ضعيف.

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة: «اقرءوا القرآنَ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه».

١٤ - يستحب لكل قارئ كان في الصلاة أو في غيرها إذا فرغ من الفاتحة أن يقول: آمين والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة.

١٥ - إجلال القرآن: ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترام القرآن وإجلاله من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين. فمن ذلك: اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلامًا يضطر إليه، وليمتثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف ٢٠٤].

وليقتد بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ذكره في كتاب التفسير في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ ومن ذلك العبث باليد وغيرها فإنها يناجي ربه سبحانه وتعالى فلا يعبث بين يديه، ومن ذلك النظر إلى ما يُلهي ويُبدِّد الذهن.

١٦ - ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أو وقف على غير آخرها أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على الكلام المرتبط ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط.

١٧ - إذا كان يقرأ فعرض له ريح فينبغي أن يمسك عن القراءة حتى يتكامل خروجها؛ ثم يعود إلى القراءة، كذا رواه ابن أبي داود وغيره عن عطاء، وهو أدب حسن، ومنها أنه إذا تثاءب أمسك عن القراءة حتى ينقضي التثاؤب ثم يقرأ، قال مجاهد: وهو حسن، ويدل عليه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تثاءَبَ أحدُكم فليُمسِكْ على فيه؛ فإن الشيطانَ يَدْخُلُ» رواه مسلم.

١٨ - سجود التلاوة: وهو مما يتأكد الاعتناء به؛ فقد أجمع العلماء على الأمر بسجود التلاوة. واختلفوا في أنه أمر استحباب أم إيجاب.

١٩ - إذا ارتجَّ على القارئ؛ ولم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره، فينبغي أن يتأدب بما جاء عن عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي وبشير بن أبي مسعود رضي الله عنهم. قالوا: إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها؛ ثم يسكت ولا يقول: كيف كذا وكذا فإنه يُلَبِّس عليه.

٢٠- النهي عن قراءة القرآن عند الاختلاف: عن جُنْدب بن عبد الله بن البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرءوا القرآنَ ما ائتَلَفَتْ قُلوبُكم، فإذا اختَلَفْتُم فقوموا عنه» المعجم الكبير. قال الحافظ: (فإذا اختلفتم) أي: في فهم معانيه (فقوموا عنه) أي: تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر.

٢١- النهي عن التشويش بالقراءة على الغير: عن أبي سعيد قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف السّتر وقال: «ألا إنَّ كلَّكم مُناجٍ ربَّهُ فلا يؤذِيَنَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفعْ بعضُكم على بعضٍ في القراءة» أو قال: «في الصَّلاة» رواه أبو داود، وصححه الألباني.

٢٢- كيف يوقف قارئ القرآن؟ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». قلتُ: يا رسول الله، أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟ قال: «نعم». فقرأتُ سورةَ النساء، حتى أتيتُ إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال: حسبُكَ الآن. فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان» رواه البخاري.

وفي رواية مسلم: حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.

٢٣- النهي عن قول نسيت آية كيت وكيت: عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بئسَ ما لأحدهم أن يقول: نَسيتُ آيةَ كيتَ وكيتَ، بل نُسِّيَ» رواه البخاري.

٢٤- ألّا يسافر بالقرآن إلى أرض العدوّ: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. رواه البخاري.
قال الحافظ: قال ابن عبد البر: «أجمع الفقهاء ألّا يسافر بالمصحف في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في الكبير المأمون عليه».

٢٥- لا يقرأ القرآن في الركوع والسجود: قال ابن قدامة: عن علي رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود. رواه مسلم.
وقال ﷺ «وإنِّي نُهيتُ أن أقرأَ راكعًا أو ساجدًا. فأمَّا الرُّكوعُ فعظِّموا الرَّبَّ فيه، وأمَّا السُّجودُ فاجتهِدوا في الدُّعاء فقَمِنٌ أن يُستجابَ لكُم أن يستجاب لكم» رواه مسلم.

٢٦- قطع القراءة للأذان: قال ابن قدامة: وإذا سمع الأذان وهو في قراءة قطعها ليقول مثل ما يقول؛ لأنه يفوت، والقراءة لا تفوت.

٢٧- لا يجعل القرآن بدلًا من الكلام: قال ابن قدامة: لا يجوز أن يجعل القرآن بدلًا من الكلام لأنه استعمال له في غير ما هو له أشبه استعمال المصحف في التوسُّد ونحوه، وقد جاء: (لا تناظروا بكتاب الله) قيل: معناه: لا تتكلم به عند الشيء تراه كأن ترى رجلًا قد جاء في وقته فتقول: ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ أو نحوه.

٢٨- حسن الابتداء والوقف: قال النووي: «ينبغي للقارئ إذا بدأ من وسط السور، أو وقف على غير آخرها، أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء؛ فإنها قد تكون في وسط الكلام، كالجزء الذي في قوله: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٢٤]، ولا يغتر بكثرة الفاعلين له من القراء الذين لا يرعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني؛ ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال».

٢٩- القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه؛ لأن النظر فيه عبادة مطلوبة، قال النووي: «هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضًا، ولم أرَ فيه خلافًا»، قال: «ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيُختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ، ويُختار القراءة من الحفظ لمَن يكْمُل بذلك خشوعُه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولًا حسنًا». «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي.

ما ينبغي لحامل القرآن الكريم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وبكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار.

وعن الفضيل بن عياض قال: ينبغي لحامل القرآن ألّا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم.

وعنه أيضًا قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيمًا لحق القرآن الكريم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالًا على الناس.

قال الإمام النووي: ومن آدابه -أي حامل القرآن- أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالًا للقرآن وأن يكون مصونًا عن دنيء الاكتساب، شريف النفس مرتفعًا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا متواضعًا للصالحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعًا ذا سكينة ووقار... «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي.

موضوعات سور القرآن الكريم

سورة الفاتحة

١-٤- [(1)] الإقرار بالربوبية والعبودية لله وحده.

٥-٧- الدعاء وطلب الهداية.

سورة البقرة

١-٥- وجوب الإيمان بالقرآن، وأن الإيمان به من صفات المتقين.

٦-٧- عرض لصفات الكافرين.

٨-٢٠- عرض لصفات المنافقين.

٢١-٢٤- الدعوة لعبادة الله تعالى وحده والإيمان به، والتأكيد على صدق القرآن الكريم وخسران المعاندين.

٢٥- تبشير المؤمنين بالجنة.

٢٦-٢٩- ضرب المثل لمواقف الناس من الرسالة وتصنيفهم حسب مواقفهم، وعرض لبدء الخلق.

٣٠-٣٩- قصة الخليفة آدم عليه السلام، وبدء التكليف والصراع الدائم بين بني آدم وإبليس وذريته.

٤٠-٤٨- الحديث عن بني إسرائيل.

٤٩-٥٧- نجاة بني إسرائيل من فرعون وفضل الله عليهم، وذكر عبادتهم العجل.

٥٨-٦١- فضل الله على بني إسرائيل، وبيان خبثهم، وأن معصيتهم سبب شقائهم، وطلبهم مأكلاً دون ما أعطاهم الله تعالى كان سبباً لغضب الله عليهم.

٦٢- جزاء المؤمنين.

٦٣-٦٦- نقض بني إسرائيل لعهد الله.

٦٧-٧٣- قصة بقرة بني إسرائيل.

٧٤-٧٩- صفات بني إسرائيل الخبيثة.

٨٠-٨٢- الرد على افتراءات بني إسرائيل، وبيان أن دخول الجنة لن يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح.

٨٣-٨٨- عناد بني إسرائيل ونقضهم للعهود، وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

٨٩-٩٣- بيان لموقف اليهود من الرسالة الخاتمة وما سبقها من رسالات.

٩٤-١٠١- حرص اليهود على الحياة، وبيان عداوتهم للملائكة، ونقضهم للعهود، وإنكارهم رسالته ﷺ حسداً له.

١٠٢-١٠٣- عصمة سليمان عليه السلام مما نسبه إليه اليهود من أن ملكه كان عن طريق السحر.

١٠٤-١٠٥- توجيه للمؤمنين للبعد عن أخلاق اليهود الخبيثة والذميمة.

١٠٦-١٠٧- النسخ في القرآن، وبيان قدرة الله.

١٠٨-١١٣- النهي عن أفعال اليهود الخبيثة، والرد على افتراءاتهم.

١١٤-١١٥- حرمة المساجد.

١١٦-١١٩- افتراءاتهم المشركين، وبيان مهمته ﷺ.

١٢٠-١٢٣- التحذير من اتباع اليهود والنصارى، وذكر معرفتهم له ﷺ، وتذكيرهم بفضل الله عليهم.

١٢٤-١٢٩- قصة بناء إبراهيم وإسماعيل لبيت الله.

١٣٠-١٣٤- التأكيد على اتباع ملة إبراهيم وذريته وهي الإسلام.

١٣٥-١٤١- بطلان دعوى اليهود والنصارى باتباع دينهم، وأن الدين الحق هو الذي عليه إبراهيم أبو الأنبياء.

١٤٢-١٤٥- بيان لقضية تحويل القبلة.

١٤٦-١٥٠- معرفة أهل الكتاب له ﷺ، والحديث عن المسجد الحرام.

١٥١-١٥٣- منة الله على هذه الأمة ببعثته ﷺ، والأمر بذكر الله وشكره والاستعانة بالصبر والصلاة.

١٥٤-١٥٨- أجر الشهداء والصابرين على البلاء، وذكر تعظيم شعائر الله تعالى في الحج والعمرة.

١٥٩-١٦٣- جزاء كتمان العلم، وذكر جزاء الكافرين، والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده.

١٦٤- التفكر في آيات الله في الكون.

١٦٥-١٦٧- تبرؤ المتبوعين من الأتباع يوم القيامة.

١٦٨-١٧١- التحذير من الشيطان، وتمثيل الكافرين كالأنعام.

١٧٢-١٧٦- الأمر بالشكر، وبيان الحلال والحرام، وذكر جزاء الذين يكتمون العلم.

١٧٧- حقيقة البر وصفات أهله.

١٧٨-١٨٢- حد القصاص، وذكر تشريع الوصية والميراث.

١٨٣-١٨٤- الصيام وأحكامه.

١٨٥-١٨٦- فضل شهر رمضان وأنه أنزل فيه القرآن، وذكر فضل الدعاء.

١٨٧-١٨٨- أحكام الصيام، والنهي عن أكل الأموال بالباطل.

١٨٩-١٩٤- وظيفة الأهلة وأنها يتعرف بها على أوقات العبادات، وذكر أحكام في الجهاد، بيان حرمة المسجد الحرام والأشهر الحرم.

١٩٥- الدعوة إلى النفقة والجهاد في سبيل الله وأنهما سبيل للنجاة.

١٩٦-٢٠٣- أحكام الحج والعمرة.

٢٠٤-٢٠٧- مثال للصلاح والفساد.

٢٠٨-٢١٠- دعوة المؤمنين إلى طاعة الله والبعد عن اتباع الشيطان وطرقه.

٢١١-٢١٢- مثل للتذكير ببني إسرائيل.

٢١٣-٢١٤- إرسال الرسل إلى البشر، والبلاء من سنن الله تعالى.

٢١٥- أحكام النفقة ومستحقوها.

٢١٦-٢١٨- أحكام في الجهاد.

٢١٩- أحكام في الخمر والميسر.

٢٢٠-٢٢١- الدعوة للإصلاح وفعل الخير، وذكر أحكام في النكاح.

٢٢٢-٢٢٥- أحكام في الحيض والطهارة واليمين.

٢٢٦-٢٣٢- بيان أحكام في الإيلاء والطلاق.

٢٣٣- أحكام في الرضاعة والنفقة.

٢٣٤-٢٣٥- عدة المتوفى عنها زوجها، وذكر أحكام في النكاح.

٢٣٦-٢٣٧- من أحكام الطلاق.

٢٣٨-٢٤٢- أحكام الصلاة وآدابها، وذكر عدة الأرملة، ومتعة المطلقة.

٢٤٣-٢٤٥- قصة الذين خرجوا من ديارهم، وذكر الأمر بالجهاد والإنفاق.

٢٤٦-٢٥٢- قصة طالوت وجالوت وأثرها في الاستجابة إلى أوامر الله تعالى.

٢٥٣-٢٥٤- الإشارة إلى تفضيل الرسل بعضهم على بعض، والدعوة للإنفاق في سبيل الله.

٢٥٥- عرض لصفات الله.

---

(1) هذه الأرقام هي أرقام الآيات التي تتحدث عن الموضوعات.

٢٥٦-٢٥٧- دخول الإسلام يكون بالتفكير لا بالإجبار، وبيان أن المؤمنين يتولاهم الله تعالى، والكافرين أولياء الشيطان.

٢٥٨- مجادلة النمرود لإبراهيم عليه السلام، وأمثلة على قدرة الله تعالى.

٢٥٩- قصة الذي مر على القرية.

٢٦٠- قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

٢٦١-٢٦٤- أهمية الإنفاق في سبيل الله والنهي عن إيذاء الفقراء بالمن بالصدقة.

٢٦٥-٢٧١- مضاعفة الأجر للمنفقين لله، والدعوة للإنفاق من أحسن ما يملك، وبيان أن صدقة السر خير من العلانية.

٢٧٢- الهداية من الله.

٢٧٣-٢٧٤- الحكمة في الصدقة أن تُعطى لمن يستحق.

٢٧٥-٢٨١- أحكام خاصة بالربا.

٢٨٢- أحكام خاصة بالدَين.

٢٨٣- مشروعية الرهن في الإسلام ووجوب بذل الشهادة.

٢٨٤-٢٨٦- حقيقة إيمان الرسول ومن معه من المؤمنين، ووصف حالهم مع الله.

سورة آل عمران

١-٤- وحدة الرسالات بما أتت به.

٥-٧- قدرة الله، وذكر المحكم والمتشابه في القرآن.

٨-٩- الدعاء والتضرُّع لله.

١٠-١٤- عاقبة الكافرين والتعلق بالشهوات.

١٥-١٧- نعيم الآخرة، وبيان حال المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه.

١٨-٢٠- وحدانية الله وإقامة الحجة.

٢١-٢٢- الكفر والقتل سبب للعذاب وحبوط الأعمال.

٢٣-٢٧- أهل الكتاب وإعراضهم عن حكم الله، وذكر قدرة الله.

٢٨-٣٠- حكم موالاة الكفار، والحساب يوم القيامة.

٣١-٣٢- ثمرة محبة الله تعالى.

٣٣-٣٧- قصة امرأة عمران وابنتها مريم.

٣٨-٤٤- قصة نبي الله زكريا ومريم.

٤٥-٦٠- قصة المسيح عيسى عليه السلام، وموقف اليهود العدائي منه.

٦١-٦٤- آيات المباهلة مع نصارى نجران.

٦٥-٧٤- حوار مع أهل الكتاب، وخص به اليهود لوجودهم في المجتمع المدني وقد توعدهم الحق لعدائهم التاريخي للرسالات، وجاء الحكم بتحويل الوحي عنهم لعنادهم وكفرهم وجحودهم...

٧٥-٧٧- من أخلاق أهل الكتاب.

٧٨-٨٠- بيان ضلال أهل الكتاب.

٨١-٨٣- أخذ الميثاق من الأنبياء للإيمان بالنبي ﷺ، وبيان أن الإسلام هو دين البشرية جميعاً.

٨٤-٨٥- الدعوة للإيمان بالله والرسل.

٨٦-٩١- اليأس من هداية الضالين، وأنواع الكفار وعقابهم.

٩٢-٩٥- بيان طريق البر، وذكر افتراءات اليهود على يعقوب عليه السلام، وتحريمه بعض الطعام على نفسه.

٩٦-٩٩- مكانة البيت الحرام، والرد على أهل الكتاب وبيان كفرهم...

١٠٠-١١٠- عدة توجيهات للمؤمنين.

١١١-١٢٠- أحوال أهل الكتاب، وذكر جزاء الكافرين والمنافقين.

١٢١-١٢٩- غزوة بدر وأحد.

١٣٠-١٣٢- تحريم الربا، والتحذير من النار، والأمر بطاعة الرسول ﷺ.

١٣٣-١٤١- واجبات المؤمنين الصادقين وامتحانهم.

١٤٢-١٥٦- خطاب للمؤمنين، وذكر أسباب هزيمتهم في أحد.

١٥٧-١٥٨- الترغيب في الجهاد.

١٥٩-١٦٤- صفات الرسول ﷺ.

١٦٥-١٦٨- تابع أسباب هزيمة المسلمين في أحد.

١٦٩-١٧٤- منزلة الشهداء وأجرهم.

١٧٥-١٧٩- التحذير من الشيطان وطرقه وأوليائه.

١٨٠- البخل.

١٨١-١٨٤- سوء أدب اليهود مع الله سبحانه وتعالى .

١٨٥-١٨٦- الموت وفناء الدنيا، وذكر البلاء وفضل الصبر.

١٨٧-١٨٨- صفات أهل الكتاب.

١٨٩-١٩٤- وحدانية وقدرة الله، وذكر مميزات أولي الألباب ومنها الدعاء.

١٩٥- الأجر للذكر والأنثى.

١٩٦-٢٠٠- عاقبة المنافقين، وذكر جزاء المتقين، والدعوة إلى الصبر والتقوى...

سورة النساء

١- وحدة الأصل الإنساني والرحم.

٢-٦- أحكام في اليتامى وتعدد الزوجات والمهور.

٧-١٢- المواريث – أكل مال اليتيم.

١٣-١٤- ثواب الطائعين، وعقوبة العاصين، وتحذير مخالفة أمر الله.

١٥-١٦- عقوبة الزنا قبل النسخ.

١٧-١٨- أنواع التوبة إلى الله.

١٩-٢١- حقوق النساء والمهور...

٢٢-٢٥- المحرمات من النساء، وزواج الحر بالأمة.

٢٦-٢٨- توبة الله على عباده.

٢٩-٣١- حرمة أموال المسلمين وأنفسهم، وثواب تجنب الكبيرة.

٣٢-٣٣- النهي عن الاعتماد على التمني.

٣٤-٣٥- أحكام الأسرة.

٣٦- الدعوة إلى العبادة والتوحيد والإحسان.

٣٧-٤٢- ذم البخلاء والمرائين، وذكر عدل الله تعالى، وشهادة الرسول ﷺ.

٤٣- ذكر شروط الصلاة.

٤٤-٤٧- من قبائح وصفات اليهود.

٤٨-٥٠- خطر الشرك، والنهي عن تزكية النفس.

٥١-٥٥- من صفات اليهود.

٥٦-٥٧- جزاء الكافرين والمؤمنين.

٥٨-٥٩- التأكيد على الأمانة وأهميتها، والرجوع الدائم لكتاب الله وسنة رسوله.

٦٠-٦٨- تصوير حال المنافقين وخطورتهم على الصف الإيماني.

٦٩-٧٠- فضل طاعة الله ورسوله ﷺ.

٧١-٧٦- الدعوة للجهاد وذكر فضله.

٧٧-٨٤- صفات المنافقين، ومن أبرز هذه الصفات التخلف عن الجهاد.

٨٥-٨٧- الشفاعة الحسنة والسيئة ورد التحية، و ذكر الجزاء في الآخرة.

٨٨-٩١- قوانين في كيفية التعامل مع

المنافقين بأنواعهم.
٩٢-٩٣- حكم القتل الخطأ والعمد.
٩٤-١٠٠- الحث على الجهاد، وذكر فضل المجاهدين في سبيل الله تعالى.
١٠١-١٠٥- قصر الصلاة، وذكر صلاة الخوف، والأمر بالعدل والقسط.
١٠٦-١١٢- صفات المنافقين وأحوالهم.
١١٣- عصمة الرسول ﷺ.
١١٤-١١٥- الدعوة إلى الخير، وذكر جزاء مشاقة الرسول ﷺ.
١١٦-١٢١- خطر الشرك وطاعة الشيطان.
١٢٢-١٢٦- جزاء العمل الصالح والطالح، والدعوة لاتباع ملة إبراهيم.
١٢٧-١٣٠- أحكام خاصة بالضعفاء والنساء والأسرة.
١٣١-١٣٦- توحيد الله تعالى والأمر بالقسط والإيمان.
١٣٧-١٤٥- خصائص المنافقين، والنهي عن موالاة الكافرين.
١٤٦-١٤٧- الدعوة للتوبة.
١٤٨-١٥٢- النهي عن الجهر بالسوء، وذكر الكافرين وصفاتهم وجزائهم، والمؤمنين وجزائهم.
١٥٣-١٥٥- الحديث عن أهل الكتاب وبيان جرمهم.
١٥٦-١٦١- الحق في قصة صلب المسيح، وذكر ما حرم الله تعالى على اليهود.
١٦٢- جزاء المؤمنين من أهل الكتاب.
١٦٣-١٦٦- مواساة للنبي ﷺ لما يلقاه من عداء.
١٦٧-١٧٠- جزاء الكافرين، وخطاب الناس وندبهم للإيمان.
١٧١-١٧٥- خطاب اليهود والنصارى بالعدول عن مواقفهم، ودعوتهم للإيمان.
١٧٦- شرح ميراث الكلالة.

سورة المائدة

١-٢- الوفاء بالعقود والعهود، والتعاون على الخير.
٣- ما أحل الله تعالى وما حرم.
٤-٥- المباحات من الصيد والذبائح...
٦- الوضوء والغسل والتيمم.
٧-١١- التذكير بالنعم والمواثيق، والأمر بالقسط، وذكر مصير المؤمنين والكافرين.
١٢-١٩- بعض أحوال أهل الكتاب وتذكيرهم بالرسول ﷺ والقرآن.
٢٠-٢٦- من مواقف اليهود مع موسى في قصة دخول الأرض المقدسة.
٢٧-٣١- قصة هابيل وقابيل.
٣٢-٣٥- جزاء القتل، والفساد في الأرض (حد الحرابة)، وذكر فضيلة التقرب إلى الله بالعمل الصالح.
٣٦-٤٠- حال الكفار في الآخرة، وذكر حد السرقة، وكيفية التوبة.
٤١- خطاب الرسول ﷺ ومواساته من عداء الكفار.
٤١-٤٧- العودة للحديث عن اليهود وتكذيبهم بالتوراة، وموقف النصارى من المسيح عليه السلام.
٤٨-٥٠- توجيهات للرسول ﷺ وذكر الحكم بالتنزيل.
٥١-٥٨- تحريم موالاة غير المؤمنين، ووجوب موالاة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.
٥٩-٧١- قبائح أهل الكتاب مع ربهم، وعدم إقامتهم التوراة والإنجيل.
٧٢-٧٦- شرك النصارى بالله تعالى.
٧٧-٨٦- نهي أهل الكتاب عن الغلو في الدين وبيان مقدار عداوتهم.
٨٧-٨٩- بيان ما أحل الله وهو الطيب، وذكر حكم اليمين وكفارة الحنث به.
٩٠-٩٣- النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، والأمر بطاعة الرسول ﷺ، وفضل الله تعالى على عباده.
٩٤-٩٨- أحكام في الحج والعمرة.
٩٩-١٠٢- وظيفة الرسول ﷺ، وعدم الاغترار بالخبيث، ونهي الأمة عن التكلف في السؤال.
١٠٣-١٠٤- الرد على ضلالات أهل الجاهلية.
١٠٥-١٠٨- إرشادات للمؤمنين، وذكر الإشهاد على الوصية.
١٠٩-١١١- سؤال الرسل يوم القيامة عن إجابة قومهم لهم، وذكر معجزات عيسى عليه السلام.
١١٢-١١٥- قصة المائدة.
١١٦-١١٨- بطلان دعوى المشركين وبراءة عيسى مما نُسب إليه.
١١٩-١٢٠- جزاء الصادقين في الآخرة، وذكر ملك الله.

سورة الأنعام

١-٣- بعض دلائل قدرة الله.
٤-١٠- تعنت المشركين وجدالهم وسوء عاقبتهم.
١١-١٩- تزويد الرسول ﷺ بالحجج على قومه من خلال الحوار العقلي.
٢٠-٣١- معرفة أهل الكتاب له ﷺ، وذكر تكذيب الكفار ومواقفهم وحسرتهم يوم القيامة.
٣٢-٣٥- حقيقة الحياة الدنيا، وتسلية النبي ﷺ وتثبيت فؤاده.
٣٦-٤٥- تمام قدرة الله، وذكر موقف المشركين في السراء والضراء.
٤٦-٤٧- أدلة قدرة الله تعالى.
٤٨-٥٨- مهمة الرسل وانقسام الناس فيهم، وبيان أنهم من البشر.
٥٩-٦٢- كمال علم وقدرة الله.
٦٣-٦٧- تخويف الله للمشركين.
٦٨-٧٠- النهي عن مجالسة المستهزئين وذكر عقابهم.
٧١-٧٣- التحذير من الشرك، وذكر إقامة الصلاة، وقدرة الله وصفاته سبحانه.
٧٤-٨٣- محاورة إبراهيم لأبيه وقومه وإقامة الحجة عليهم.
٨٤-٩٠- هداية الله للأنبياء، والدعوة للاقتداء بالأنبياء عليهم السلام.
٩١-٩٤- الرد على اليهود والمشركين من منكري الرسالات، وحال المكذبين عند الموت وفي الآخرة.
٩٥-٩٩- مظاهر قدرة الله تعالى.
١٠٠-١٠٥- وحدانية الله وصفاته تعالى.
١٠٤-١٠٨- حقيقة الرسول ﷺ، والنهي عن سب آلهة المشركين.
١٠٩-١١٣- تعنت المشركين في طلب الآيات وعداؤهم لأهل الحق ووعيد الله تعالى لهم.

١١٤-١١٧- شهادة الله بصدقه ﷺ، وذكر صفة أكثر الناس وعلم الله بما في نفوسهم.

١١٨-١٢١- ما يحل ويحرم من الذبيحة.

١٢٢-١٢٤- مثل المؤمن والكافر، ومكر المجرمين وعاقبتهم.

١٢٥-١٢٧- هداية الله تعالى.

١٢٨-١٣١- من مشاهد يوم القيامة وتهديد العصاة وافتراءاتهم والرد عليهم.

١٣٢-١٣٥- توعد الكفار.

١٣٦-١٤٠- مواقف الكفار والمشركين وكشف حالهم وسلوكهم وما يدعونه من باطل.

١٤١-١٤٤- التذكير بالنعم الإلهية والتحذير من الشيطان.

١٤٥-١٤٧- ما حرمه الله في القرآن علينا وعلى اليهود في التوراة.

١٤٨-١٥٠- الرد على شبهات المشركين.

١٥١-١٥٣- ذكر أصول المحرمات في الإسلام.

١٥٤-١٥٧- ما أنزل الله من كتاب إلا وفيه هداية، ويجب اتباعه ووعيد من خالفه.

١٥٨-١٥٩- تهديد بالموت وبيوم القيامة وما يسبقه من علامات، وتبرئة الرسول ﷺ من الذين فرقوا دينهم.

١٦٠-١٦٥- جزاء الأعمال في الآخرة، ونعمة الله بالهداية والعبادة الخالصة له سبحانه وتعالى.

سورة الأعراف

١-٧- خطاب للرسول ﷺ وتحذير الأمة.

٨-٩- عرض لمشاهد الآخرة.

١٠-٢٥- قصة آدم وإبليس.

٢٦-٢٧- تحذير بني آدم من إبليس.

٢٨-٣٤- ردٌ على ضلال الكفار.

٣٥-٣٩- عدة وصايا لبني آدم.

٤٠-٤٣- جزاء الكافرين والمؤمنين.

٤٤-٥١- محاورة بين أصحاب الجنة والنار والأعراف.

٥٢-٥٤- إقامة الحجة على الكفار، ودلائل قدرة الله.

٥٥-٥٨- الأمر بالدعاء، وبيان رحمة الله، وأمثلة إثبات إحياء الموتى.

٥٩-٦٤- قصة نوح عليه السلام.

٦٥-٧٢- قصة هود عليه السلام.

٧٣-٧٩- قصة صالح عليه السلام.

٨٠-٨٤- قصة لوط عليه السلام.

٨٥-٩٣- قصة شعيب عليه السلام.

٩٤-١٠٢- عاقبة الإيمان والكفر.

١٠٣-١٥٦- قصة موسى مفصلة.

١٠٣-١١٣- حواره مع فرعون وملئه.

١١٤-١٢٦- إبطال السحر، وإيمان السحرة وتوعد فرعون لهم.

١٢٧-١٣٢- تكذيب آل فرعون وجحودهم.

١٣٣-١٣٦- إرسال الآيات للعقاب - واستنجادهم بموسى عليه السلام. ونكثهم العهد وذكر عقابهم.

١٣٧-١٤١- فضل الله على بني إسرائيل ونجاتهم من فرعون، وبيان جهلهم.

١٤٢-١٤٧- لقاء موسى بربه عز وجل، وإيتاء موسى التوراة، وذكر توجيهات له ولقومه وهلاك المكذبين منهم.

١٤٨-١٥٣- عبادة بني إسرائيل للعجل، وغضب موسى عليهم وذكر عقابهم وتوبة الله على التائبين.

١٥٤-١٥٦- اعتذار موسى لربه عز وجل مما فعل قومه من عبادة العجل، وبيان رحمة الله تعالى.

١٥٧-١٥٨- صفاته ﷺ في التوراة والإنجيل، وخطاب الحق للرسول ﷺ، وبيان إبلاغ الناس، وذكر عالمية الرسالة.

١٥٩-١٦٢- أوامر الله لبني إسرائيل.

١٦٣-١٧١- تحايل بني إسرائيل في صيد السبت وعقابهم.

١٧٢-١٧٤- العهد على بني آدم.

١٧٥-١٧٨- قصة بلعام بن عوراء.

١٧٩- جهنم وأهلها.

١٨٠-١٨١- الدعاء بأسماء الله الحسنى، وذكر أمة الهدى.

١٨٢-١٨٨- صفات المكذبين، والحديث عن الساعة والرسول ﷺ.

١٨٩-١٩٨- طبيعة المشركين والرد عليهم.

١٩٩-٢٠٣- توجيهات للأخلاق الفاضلة.

٢٠٤-٢٠٦- حقيقة المؤمنين.

سورة الأنفال

١-٤- حكم الغنائم، وذكر صفات المؤمنين.

٥-١٩- أحداث غزوة بدر.

٢٠-٢٩- الأمر بطاعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفته ﷺ وذكر ثمرات التقوى.

٣٠-٣٨- مكر المشركين بالنبي ﷺ، وذكر عقابهم وكيفية معاملتهم.

٣٩-٤٠- الأمر بالجهاد.

٤١- تقسيم الغنائم.

٤٢-٤٤- مشاهد من معركة بدر.

٤٥-٤٧- نعمة النصر والأمر بالثبات في القتال وعدم التنازع.

٤٨-٤٩- مكر وخديعة الشيطان لأتباعه وتزيين الباطل لهم.

٥٠-٥١- حال الكافرين عند الموت.

٥٢-٥٤- ضرب المثل بالسابقين.

٥٥-٦١- أحكام وإرشادات في حال الجهاد.

٦٢-٦٤- نعم الله على نبيه ﷺ وعلى المؤمنين.

٦٥-٦٦- التحريض على القتال.

٦٧-٧١- أحكام في الأسرى والغنائم.

٧٢-٧٥- قوة رابطة الإسلام، وذكر فضل المهاجرين، والحذر من موالاة الكافرين.

سورة التوبة

١-٣- البراءة من عهود المشركين.

٤-٦- أحكام معاملة المشركين.

٧-١٠- صفات المشركين.

١١-١٥- كيفية تعامل المؤمنين مع المشركين.

١٦-١٨- الحض على الجهاد وعلى عمارة المساجد وصفات عمارها.

١٩-٢٢- فضل وجزاء المجاهدين.

٢٣-٢٤- تحريم تولي الكافرين.

٢٥-٢٧- فضل الله على المؤمنين بالنصر.

٢٨-٢٩- تحريم دخول المشركين للمسجد الحرام، والأمر بقتالهم.

٣٠-٣٣- الحديث عن اليهود والنصارى وبيان شركهم.

٣٤-٣٥- نهب الأحبار لأموال الناس وعقابهم.

٣٦-٣٧- الأشهر الحرم وتلاعب المشركين بها.

٣٨-٣٩- الدعوة للجهاد في سبيل الله.

٤٠- قصة غار الهجرة ونصر الله وتأييده لرسوله ﷺ.
٤١- عودة الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.
٤٢-٥٩- الحديث عن المنافقين وإعفاؤه ﷺ لهم من الخروج للحرب وفضحهم، وذكر صفة المؤمنين في ذلك وموقفهم.
٦٠- أهل الزكاة الثمانية.
٦١-٦٨- صفات المنافقين وجزاؤهم.
٦٩-٧٠- ضرب المثل للمنافقين بهلاك الأمم السابقة.
٧١-٧٢- صفات المؤمنين وجزاؤهم.
٧٣- أمره ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين وجزاؤهم.
٧٤-٧٩- صفات المنافقين.
٨٠- نهيه ﷺ عن الاستغفار للمنافقين.
٨١-٨٥- الحديث عن المخلفين ونهيه ﷺ عن معاملتهم.
٨٦-٨٧- صفات المنافقين.
٨٨-٩٢- التعريف بالرسول ﷺ والمؤمنين وثوابهم، وأحكام في فئات من المجتمع وعلاقتهم بالرسول ﷺ والرسالة.
٩٣-٩٦- صفات الفاسقين وحكمهم.
٩٧-٩٩- الحديث عن الأعراب.
١٠٠-١٠٢- فضل المهاجرين والأنصار، والتعريف بالمنافقين.
١٠٣-١٠٦- فضل الصدقة والتوبة...
١٠٧-١١٠- قصة مسجد الضرار.
١١١- التجارة الرابحة مع الله تعالى.
١١٢-١١٦- صفات المؤمنين، وتحريم الاستغفار للمشركين.
١١٧-١٢١- توبة الله تعالى على أهل غزوة تبوك.
١٢٢- فضل العلم.
١٢٣-١٢٧- الدعوة للجهاد، وذكر موقف المؤمنين والمنافقين من نزول السور.
١٢٨-١٢٩- من صفات الرسول ﷺ.

سورة يونس

١-٢- القرآن وموقف المشركين منه.
٣-٦- دلائل عظمة الله وقدرته.
٧-١٠- التعريف بالكفار والمؤمنين ومصير كل فريق.
١١-١٤- عرض لجحود الإنسان وتكذيبه، وسنن هلاك السابقين.
١٥-٢٠- القرآن وموقف المشركين منه والرد عليهم والتعريف بهم.
٢١-٢٣- طبيعة الناس في السراء والضراء.
٢٤- ضرب مثل للدنيا.
٢٥-٢٧- جزاء المحسنين والمسيئين.
٢٨-٣٣- ربوبية الله تعالى.
٣٤-٣٦- مقارنة بين التوحيد والشرك.
٣٧-٤٠- تحدي القرآن للكفار.
٤١-٤٤- تكذيب الكافرين.
٤٥-٥٤- تهديد المشركين وافتراؤهم على الرسول والقرآن.
٥٥-٥٨- التعريف بالألوهية، والحديث عن القرآن.
٥٩-٦١- الحديث عن المكذبين، وذكر عدل الله تعالى.
٦٢-٦٥- الحديث عن أولياء الله تعالى وثوابهم، وتسلية الرسول ﷺ.
٦٦-٧٠- تهديد المشركين ورد مزاعمهم الباطلة.
٧١-٧٤- قصة نوح، والإشارة إلى إرسال الرسل بعده وتكذيب أقوامهم لهم.
٧٥-٨٩- قصة موسى مع فرعون.
٩٠-٩٣- غرق فرعون وجعله آية.
٩٤-٩٧- القرآن وتهديد من يخالفه.
٩٨-١٠٠- قصة يونس عليه السلام.
١٠١-١٠٦- التفكر في الكون لأخذ العظة، والدعوة لتوحيد الله تعالى.
١٠٧-١٠٩- توجيهات للناس والنبي ﷺ.

سورة هود

١-٥- الحديث عن القرآن والنبي ﷺ، والدعوة للتوبة والاستغفار.
٦-٧- نعم الله وقدرته.
٨-١٢- موقف المشركين والمؤمنين من النعم والنقم وجزاؤهم، وذكر تسلية الرسول لما يلقاه.
١٣-١٦- تحدي الله للمشركين بالقرآن، والحديث عن الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة وجزاؤهم.
١٧-٢٤- جزاء المؤمنين والكافرين، وأوصافهم، وضرب المثل للمؤمنين والكفار.
٢٥-٣٥- قصة نوح عليه السلام، حوار نوح مع قومه.
٣٦-٤٨- أمر الله لنوح بصناعة الفلك، وذكر نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.
٤٩- التأكيد على صدق الوحي وأمر النبي ﷺ بالصبر.
٥٠-٦٠- قصة هود، وإعراض قومه وتكذيبهم له، وهلاك قومه.
٦١-٦٨- قصة صالح عليه السلام.
٦٩-٧٦- قصة إبراهيم عليه السلام.
٧٧-٨٣- قصة لوط عليه السلام.
٨٤-٩٥- قصة شعيب عليه السلام.
٩٦-٩٩- قصة موسى عليه السلام.
١٠٠-١٠٨- سنة الله تعالى في إهلاك العباد بظلمهم، وذكر بعض مشاهد يوم القيامة.
١٠٩-١١٥- تسلية النبي ﷺ، والتحذير من الاختلاف، وتوجيه له ﷺ والمؤمنين.
١١٦-١١٧- التذكير بسنن الهلاك.
١١٨-١٢٣- الحديث عن الاختلاف، وذكر الحكمة من القصص القرآني، وتوجيه للرسول ﷺ والمؤمنين.

سورة يوسف

١-٣- الحديث عن القرآن وقصصه.
٤-٦- رؤيا يوسف ورأي أبيه.
٧-٢٠- حادثة إلقائه في الجب.
٢١-٣٥- فتنة امرأة العزيز والنسوة.
٣٦-٤٢- حوار بين يوسف وصاحبيه حول الرؤى، ودعوتهم للإيمان والتوحيد.
٤٣-٤٩- رؤيا الملك وتأويل يوسف عليه السلام لها.
٥٠-٥٧- براءة يوسف والتمكين له.
٥٨-٦٦- طلب يوسف عليه السلام لأخيه الصغير من إخوته.
٦٧-٦٩- وصية يعقوب لأولاده، ولقاء يوسف بأخيه.
٧٠-٨٦- قصة صواع الملك.
٨٧-١٠١- استبصار يعقوب عليه السلام واجتماع يوسف بأسرته.
١٠٢-١٠٤- قصة يوسف عليه السلام دليل على نبوة محمد ﷺ.
١٠٥-١٠٧- إعراض المشركين والرد عليهم.
١٠٨-١١١- من حكم القصص القرآني.

سورة الرعد

١-٤- حقيقة القرآن، وذكر الأدلة على قدرة الله تعالى.

٥-٧- إنكار المشركين للبعث واستعجالهم العذاب.

٨-١٣- إحاطة علم الله وآياته في الكون.

١٤-١٧- ضرب مثل للحق والباطل، وذكر عبادة المخلوقات لله، وصفاته تعالى.

١٨-٢٧- صفات المؤمنين والكافرين وجزاؤهم.

٢٨-٢٩- عاقبة ذكر الله تعالى، وعاقبة المؤمنين وجزاؤهم.

٣٠-٣١- مهمة الرسول ﷺ والقرآن.

٣٢-٣٤- الرد على الكفار ومصيرهم.

٣٥-٤٠- وصف الجنة وعاقبة المتقين والكافرين، وتحذير للنبي ﷺ.

٤١-٤٣- إثبات النسخ في الآيات، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ.

سورة إبراهيم

١-٤- مهمة القرآن، وذكر جزاء الكافرين وصفتهم، ولسان الرسل ووظيفتهم.

٥-٨- قصة موسى وقومه.

٩-١٧- التذكير بالرسل وعناد أقوامهم، وموقف الرسل منهم.

١٨-٢٠- ضرب المثل لأعمال الكفار، وبيان أن الله سبحانه وتعالى خالق الكون وحده.

٢١-٢٣- حوار أهل النار، وتبرؤ الشيطان من أتباعه، وذكر فوز المؤمنين بالجنة.

٢٤-٢٧- مثل الكلمة الطيبة والخبيثة.

٢٨-٣٤- مصير من يكفر نعمة الله، وذكر توجيهات للمؤمنين، ومظاهر قدرة الله تعالى ووفرة نعمه.

٣٥-٤١- مناجاة إبراهيم لربه.

٤٢-٤٧- توعد الظالمين ووصفهم، وذكر مكر الظالمين، ونصر الله تعالى لرسله.

٤٨-٥٢- مشاهد من يوم القيامة وأهواله.

سورة الحجر

١-٩- الحديث عن القرآن وحفظه، ووصف الكفار وتوعدهم، وذكر أجل الأمم والقرى، والرسول وعداء قومه له.

١٠-١٥- تكذيب الأقوام السابقة لرسلهم، ووصف للمجرمين وحججهم.

١٦-٢٧- من مظاهر قدرة الله تعالى وبديع خلقه سبحانه.

٢٨-٤٤- قصة آدم وإبليس ومصيره.

٤٥-٥٠- ثواب المتقين يوم القيامة.

٥١-٧٧- ضيف إبراهيم وقصتهم مع لوط عليهم السلام.

٧٨-٨٥- قصة أصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، والحديث عن الخلق والساعة.

٨٦-٩٩- فضل الله على نبيه ﷺ وبعض التوجيهات والبشارات.

سورة النحل

١-٢- توعد المشركين، والحديث عن تنزيل الملائكة.

٣-١٩- مظاهر وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته.

٢٠-٢٩- الحديث عن فئات الكفر والظالمين والمستكبرين ومصيرهم.

٣٠-٣٤- جزاء المتقين يوم القيامة، وتذكير مشركي قريش بهلاك السابقين.

٣٥-٣٦- مهمة الرسول ﷺ.

٣٧-٤٢- بعض ضلالات المشركين، وذكر قدرة الله، وجزاء المهاجرين.

٤٣-٤٧- حقيقة الرسل وما أرسلوا به، وذكر مكر السيئات.

٤٨-٥٣- التعريف بالله والتذكير بنعمه، وذكر جحود الإنسان لنعم الله تعالى.

٥٤-٦٣- التعريف بالكفار والمشركين، وبيان أمرهم وتوليهم الشيطان.

٦٤-٦٩- التعريف بمهمته ﷺ، وذكر نعم الله تعالى وقدرته.

٧٠-٧٢- آيات الله تعالى ونعمه في حياة الناس.

٧٣-٧٦- سوء ما يعبدون من دون الله، وضرب الأمثال.

٧٧-٨٣- التعريف بالله وقدرته، والتذكير بفضله على الإنسان والتأكيد على مهمة الرسول ﷺ.

٨٤-٨٨- بعض مشاهد يوم القيامة.

٨٩- ٩١- الحديث عن الشهادة، والأمر بالعدل والوفاء بالعهد.

٩٢-٩٣- ضرب المثل للتحذير من إبطال الأعمال، وسنة الله في الابتلاء والاختبار.

٩٤-٩٧- النهي عن جعل اليمين غطاء للكذب، وذكر نقض العهد، وأجر الصبر وجزاء العمل الصالح.

٩٨-١٠٥- بيان لسلطان الشيطان على أوليائه، وذكر القرآن وتهديد المفترين عليه.

١٠٦-١١١- حدود الكفر والإيمان، والتعريف بالكافرين وجزائهم، وذكر ثواب المهاجرين، والصابرين.

١١٢-١١٣- مثل لمن يكفر بالنعمة، وذكر الجزاء، ورزق الله لعباده.

١١٤-١١٨- التحليل والتحريم بيد الله.

١١٩-١٢٢- الدعوة للتوبة والإصلاح، وذكر صفات إبراهيم عليه السلام.

١٢٣-١٢٨- توجيهات للنبي ﷺ والدعاة.

سورة الإسراء

١- معجزة الإسراء بالنبي ﷺ.

٢-٨- الحديث عن بني إسرائيل.

٩-١٥- مهمة القرآن، وذكر آيات الله تعالى في الكون، والحديث عن الإنسان.

١٦-٢١- سنة هلاك القرى، ومقارنة بين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ومصيرهم.

٢٢-٢٥- النهي عن الشرك، ودعوة إلى التوحيد وبر الوالدين.

٢٦-٣٠- توجيهات اجتماعية للنبي ﷺ.

٣١-٣٩- خطاب وتوجيه للمؤمنين في شؤون العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بالنهي والتحريم والندب- خطاب وتوجيه للإنسان.

٤٠-٤٦- الرد على المشركين وحجب القرآن عنهم.

٤٧-٥٢- الحديث عن الظالمين - وتكذيبهم للنبي ﷺ واليوم الآخر والرد عليهم.

٥٣-٥٨- الدعوة للقول الحسن، والتحذير من الشيطان، والتعريف بالربوبية، وذكر هلاك القرى.

٥٩-٦٠- حكمة منع الآيات - ذكر ناقة ثمود.

٦١-٦٥- قصة آدم عليه السلام - الحديث عن إبليس.

٦٦-٧٢- ذكر نعم الله، والتحذير من عقابه، وذكر مقامات التفضيل، ومشاهد من الآخرة.

٧٣-٨١- محاولة فتنته ﷺ، وتوجيهات له ﷺ.

٨٢-٨٧- طبيعة القرآن وعلاقته بالمؤمنين والظالمين، والحديث عن الروح.

٨٨-٩٦- التحدي بالقرآن، والرد على المشركين وشبهاتهم.

٩٧-١٠٠- الحديث عن المهتدين والضالين، وذكر قدرة الله تعالى.

١٠١-١٠٤- حوار بين موسى وفرعون.

١٠٥-١١١- الحديث عن القرآن وتأثيره، وذكر دعاء الله تعالى بأسمائه وحمده على وحدانيته سبحانه وتعالى.

سورة الكهف

١-٨- مهمة القرآن والرسول ﷺ.

٩-٢٦- قصة أصحاب الكهف.

٢٧-٣١- حثه ﷺ على الصبر، وذكر جزاء المؤمنين والظالمين.

٣٢-٤٤- قصة صاحب الجنتين.

٤٥-٤٦- مثل الحياة الدنيا.

٤٧-٥٠- مشاهد من يوم القيامة، وذكر قصة آدم والتحذير من إبليس.

٥١-٥٩- الحديث عن الظالمين والكافرين وجدال الإنسان، وذكر مهمة الرسل، والسنن في إهلاك الظالمين.

٦٠-٨٢- قصة موسى والخضر.

٨٣-٩٩- قصة ذي القرنين.

١٠٠-١٠٨- جزاء الكافرين والمؤمنين.

١٠٩-١١٠- التعريف به ﷺ ودعوة التوحيد.

سورة مريم

١-١٥- قصة زكريا عليه السلام، وتبشيره بيحيى عليه السلام.

١٦-٣٦- قصة مريم عليها السلام وحملها بعيسى عليه السلام.

٣٧-٤٠- الحديث عن الأحزاب وتوعد الكافرين والظالمين.

٤١-٥٠- قصة إبراهيم عليه السلام.

٥١-٥٨- ذكر موسى وهارون وإسماعيل وإدريس وما كانوا عليه - التعريف بذرية النبوة ومواصفاتهم.

٥٩-٦٥- الحديث عن الذين ضيعوا إرث النبوة، وعن الجنات ومن يرثها، وعن الملائكة.

٦٦-٧٦- المنكرون للبعث وجزاؤهم وصفاتهم، وجزاء المهتدين.

٧٧-٩٨- الرد على افتراءات المشركين وجزاؤهم، وجزاء المؤمنين.

سورة طه

١-٨- مهمة القرآن الكريم وصفات من أنزله سبحانه.

٩-٣٦- مناجاة موسى لربه في الوادي المقدس، ومعجزات موسى.

٣٧-٥٥- تذكير موسى بنعم الله قبل النبوة، وتكليفه وأخوه هارون بدعوة فرعون، وذكر الحوار بين موسى وفرعون.

٥٦-٧٦- المبارزة بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون.

٧٧-٨٢- غرق فرعون وجنوده.

٨٣-٩٩- إضلال السامري لبني إسرائيل وذكر غضب موسى عليه السلام.

١٠٠-١١٤- جزاء المعرضين عن القرآن ومشاهد يوم القيامة.

١١٥-١٢٣- قصة آدم مع إبليس.

١٢٤-١٢٧- مصير المعرضين عن الذكر.

١٢٨-١٣٢- الاعتبار بالأمم السابقة، وذكر توجيهات للنبي ﷺ.

١٣٣-١٣٥- عناد المشركين وتوعدهم.

سورة الأنبياء

١-١٠- يوم الحساب وغفلة الناس عنه، وعاقبة تكذيب المشركين.

١١-١٥- مصارع الأولين.

١٦-٢٠- المقصد من الخلق والحكمة منه.

٢١-٢٩- أدلة وحدانية الله تعالى.

٣٠-٣٥- قدرة الله تعالى وآياته في الخلق، والحديث عن الموت.

٣٦-٤١- بعض مواقف المشركين معه ﷺ وتهديدهم.

٤٢-٤٤- التذكير بفضل الله تعالى ونعمه وآياته.

٤٥-٥٠- مهمته ﷺ، وذكر الحساب يوم القيامة، والتذكير بموسى وهارون، والتأكيد على الرسالة الخاتمة.

٥١-٧٣- قصة إبراهيم عليه السلام.

٧٤-٨٢- ذكر لوط مع قومه، ونوح مع قومه، وداود وسليمان.

٨٣-٩١- ذكر أيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ويونس وزكريا ومريم عليهم السلام.

٩٢-٩٥- وحدة دعوة الأنبياء وموقف الناس منهم.

٩٦-١٠٠- يأجوج ومأجوج، وذكر القيامة وجزاء المشركين.

١٠١-١٠٦- نجاة المؤمنين من فزع يوم القيامة، وذكر مظاهر قدرة الله، ونصر المؤمنين.

١٠٧-١١٢- وصف النبي ﷺ ومهمته، وتهديد المعرضين عنه.

سورة الحج

١-٤- أهوال يوم القيامة والبعث، وذكر الجدال وضلال الشيطان لأهله.

٥-٧- التذكير بقدرة الله تعالى.

٨-١٣- عقوبة الجدال بغير علم، ووصف ضلال الإنسان وخسرانه.

١٤-١٦- ثواب المؤمنين.

١٧-١٨- حكم الله بين العباد، وذكر سجود كل المخلوقات لله تعالى.

١٩-٢٤- جزاء الكافرين والمؤمنين.

٢٥-٢٩- صد المشركين عن المسجد الحرام، وذكر الأمر بالحج.

٣٠-٣٧- عظم حرمات الله تعالى وشعائره وخطر الشرك، وذكر التسمية عند الذبح.

٣٨-٤١- دفاع الله تعالى عن المؤمنين ونصرهم وصفاتهم ومشروعية القتال.

٤٢-٤٦- ذكر هلاك الأمم للاعتبار.

٤٧-٥١- سنة الله في الإمهال، وذكر مهمته ﷺ، وعاقبة المؤمن والكافر.

٥٢-٥٥- موقف الشيطان مع الأنبياء وتفرق الناس بسببه.

٥٦-٦٠- الحديث عن الكفار والمؤمنين، وجزاء المهاجرين.

٦١-٦٦- التعريف بالله.

٦٧-٧٢- خطاب وتوجيه له ﷺ - بيان وتعريف الظالمين، وتوجيهات إلهية في كيفية محاجة المشركين.

٧٣-٧٦- خطاب الناس وبيان خطأ ما هم عليه من الشرك، وذكر اصطفاء الرسل من الملائكة والناس.

٧٥-٧٨- خطاب وتوجيه للمؤمنين.

سورة المؤمنون

١-١١- صفات المؤمنين وجزاؤهم.

٣٦-٤٠- قصص شعيب وهود وصالح وموسى عليهم السلام مع أقوامهم.
٤١-٤٥- مثل العنكبوت وحكمته، وذكر توجيهات للنبي ﷺ وللمؤمنين.
٤٦- جدال أهل الكتاب.
٤٧-٥٥- الرد على حجج قوم الرسول الكريم ﷺ.
٥٦-٥٩- خطاب المؤمنين وثوابهم في الآخرة.
٦٠-٦٨- مقارنة بين عطاء الله تعالى ونعمه وجحود القوم وتوعدهم.
٦٩- بيان الهدي الإلهي وربطه بالمجاهدة.

سُورَةُ الرُّومِ

١-٥- الحديث عن الروم وبشارة الحق بنصرهم.
٦-١١- الحديث عن الناس وجهلهم - دعوتهم للتفكر والعبرة - هلاك المسيئين وعقابهم.
١٢-١٦- الحديث عن الساعة.
١٧-٢٩- التعريف بالله تعالى وآياته - دعوة للتعقل.
٣٠-٣٢- الإسلام بين الفطرة والوحدانية.
٣٣-٣٧- طبيعة الناس في السراء والضراء.
٣٨-٤١- الحض على أداء الحقوق، والنهي عن الربا، والتعريف بالله الخالق، والحديث عن الفساد.
٤٢-٥٣- الأمر باتباع الدين وتوحيد الله، وذكر عاقبة المجرمين، ومدى تأثير النبي ﷺ على الناس.
٥٤-٦٠- قدرة الله في الخلق، وأحوال الناس يوم القيامة، وموقف الكفار من الآيات، وحض النبي ﷺ على الصبر.

سُورَةُ لُقْمَانَ

١-٩- مهمة القرآن وصفات المنتفعين به، وذكر جزاء المستكبرين والمؤمنين.
١٠-١١- من أدلة وحدانية الله وقدرته.
١٢-١٩- قصة لقمان ووصاياه لابنه.
٢٠-٣١- نعم الله، وعناد المشركين وإثبات قدرته تعالى والبعث.
٣٢-٣٣- طبيعة الكفار والأمر بالتقوى.
٣٤- علم الله تعالى بالغيب.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

١-٣- إثبات تنزيل القرآن الكريم.
٤-٩- الأدلة على قدرة ووحدانية الله.
١٠-١٤- إنكار المشركين للبعث وحالهم يوم القيامة.
١٥-١٩- صفات المؤمنين وجزاؤهم.
٢٠-٢٥- جزاء الكافرين وإعراضهم عن آيات الله، وذكر إنزال التوراة على موسى وتكريم أتباعه.
٢٦-٣٠- إثبات القدرة الإلهية والبعث، وتوعد المنكرين.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

١-٥- توجيهاتٌ له ﷺ، تحريم الظهار والتبني.
٦- فضل الله على المؤمنين.
٧-٨- ميثاق النبيين.
٩-٢٧- خطاب وتوجيه للمؤمنين، التذكير بنعم الله ونصرهم في الخندق - وصف لحال المؤمنين في الشدة - استئذان طائفة منهم النبي ﷺ للفرار ووصفهم - التذكير بقدرة الله وعلمه - التعريف بالمعوقين - التأسي به ﷺ - موقف المؤمنين عند رؤية الأحزاب - تأييد الله ونصره له ﷺ وللمؤمنين.
٢٨-٣٤- آداب وتوجيهات لأزواجه ﷺ.
٣٥- مقومات الشخصية المسلمة.
٣٦-٤٠- زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش وما فيه من عبر.
٤١-٤٤- الأمر بكثرة ذكر الله تعالى.
٤٥-٤٩- مهمته ﷺ وبعض صفاته، وذكر حكم الطلاق قبل المساس.
٥٠-٥٢- جانب من خصوصياته ﷺ.
٥٣-٥٥- الآداب الإسلامية.
٥٦-٥٩- حرمة إيذاء الرسول ﷺ والمؤمنين، وذكر فرض الحجاب.
٦٠-٦٨- تهديد المنافقين وتوعد الكفار بقرب الساعة.
٦٩- ٧٣- توجيهات وعظات للمجتمع المسلم، وذكر الأمانة والدين والتكليف.

سُورَةُ سَبَإٍ

١-٣- الثناء على الله والتعريف به تعالى.
٤-٦- تكذيب الكافرين بالساعة - التأكيد عليها - جزاء المؤمنين- تصديق الذين أوتوا العلم بالتنزيل.
٧-٩- افتراء الكافرين على الرسول ﷺ والرد عليهم.
١٠-١٤- قصة داود وسليمان.
١٥-٢١- قصة سبأ وسيل العرم.
٢٢-٢٣- مفهوم الشفاعة.
٢٤-٣٠- خطابه ﷺ وتوجيهه للتعريف بالله الرزاق، والتأكيد على مهمته ﷺ.
٣١-٣٣- جحود الكفار بالقرآن - حوار المستضعفين والمستكبرين يوم القيامة.
٣٤-٣٩- تكذيب القرى للرسل - جزاء المؤمن والكافر. التعريف بالرب الرزاق.
٤٠-٤٥- استعراض للحشر وما فيه، وعداء الكافرين للرسالة والرسول ﷺ.
٤٦- ٥٤- خطابه ﷺ لقومه ووعظهم.

سُورَةُ فَاطِرٍ

١-٤- الثناء والتعريف بالله الفاطر، والتذكير بالنعم.
٥-٨- التحذير من الدنيا والشيطان.
٩-١٠- إثبات البعث والحساب.
١١-١٤- من مظاهر القدرة الإلهية والوحدانية، حقيقة الأصنام والشركاء.
١٥-١٨- قدرة الله وغناه وفقر الإنسان.
١٩-٢٨- ضرب الأمثال، وحقيقته ﷺ وتكذيب الكفار، وتنوع الخلق ووحدة الخالق.
٢٩-٣٥- جزاء قارئ القرآن.
٣٦-٤٢- حال الكفار في جهنم ومناقشتهم في عقائدهم.
٤٣-٤٥- التذكير بقصص من سبق، وذكر إهلاك الكفار بعد إمهالهم.

سُورَةُ يسٓ

١-٦- إشارة القرآن إلى الحكيم ومصدر تنزيله ومهمته ﷺ.
٧-١٢- التعريف بالمعرضين عن التنزيل والمتبعين لهم.
١٣-٣٢- قصة أصحاب القرية، والتذكير بهلاك الأمم السابقة.
٣٣-٤٤- مظاهر قدرة الله تعالى.
٤٥-٤٨- موقف الكفار من آيات الله.
٤٩-٥٤- إثبات البعث وأهواله.

٥٥-٦٨- ثواب المؤمنين في الجنة، وعقاب الكفار في جهنم.

٦٩-٧٠- نفي التهم عن النبي ﷺ.

٧١-٧٦- مظاهر قدرة الله ونعمه، وموقف المشركين من نعم الله وتوعدهم.

٧٧-٨٣- من أدلة إثبات البعث وقدرة الله سبحانه وتعالى.

سورة الصافات

١-١٠- وحدانية الله وقدرته وحفظ السماء من الشياطين.

١١-٣٩- إنكار المشركين للبعث وجزاؤهم يوم القيامة.

٤٠-٥١- نعيم أصحاب الجنة وتذكرهم لقرين السوء.

٥٢-٦١- قول منكر البعث في الدنيا ونهايته، وشكر المؤمن لربه.

٦٢-٧٤- شجرة الزقوم للظالمين وسبب عقابهم.

٧٥-١١٣- قصة نوح، وقصة إبراهيم ومعجزة انقلاب النار برداً وسلاماً، وتبشيره بإسماعيل وذبحه، والتبشير بإسحاق.

١١٤-١٣٢- قصة موسى وهارون وإلياس.

١٣٣-١٤٨- قصة لوط ويونس.

١٤٩-١٧٩- مناقشة المشركين في عقائدهم وتهديدهم.

١٨٠-١٨٢- تأييد الله تعالى للرسل، وذكر تنزيه الله تعالى.

سورة ص

١-١١- التعريف بالكفار وموقفهم من النبي ﷺ وما جاء به والرد عليهم.

١٢-١٦- تكذيب الأمم السابقة.

١٧-٢٦- قصة داود والخصمين.

٢٧-٢٩- الرد على الكفار المفسدين، والأمر بتدبر القرآن.

٣٠-٤٤- قصة سليمان وأيوب عليهما السلام.

٤٥-٤٨- قصة إبراهيم وذريته.

٤٩-٦٤- جزاء المؤمنين والطاغين يوم القيامة.

٦٥-٧٠- التعريف بالله، والتأكيد على رسالة النبي الكريم ﷺ.

٧١-٨٥- قصة آدم وتكبر إبليس.

سورة الزمر

١-٤- الدعوة إلى التوحيد.

٥-٩- التعريف بالله، وطبيعة المشرك.

١٠-٢٠- أسباب الهداية والثبات.

٢١- من آيات الله في الكون.

٢٢-٢٦- جزاء المهتدين والكافرين.

٢٧-٣٧- ضرب الأمثال للناس.

٣٨-٤١- إقامة الحجة على المشركين.

٤٢-٤٨- التعريف بالله - موقف الكفار من ربهم - الحكم لله فيما اختلفوا فيه - مصير الظالمين .

٤٩-٥٢- حال وطبيعة الإنسان.

٥٣-٦١- التوبة والترغيب والترهيب.

٦٢-٦٧- دلائل الربوبية.

٦٨-٧٥- مشاهد القيامة وانقسام الناس لزمرتين، ووصف الملائكة.

سورة غافر

١-٣- صفات الله سبحانه وتعالى.

٤-٦- حال الكفار وتكذيب الأمم السابقة.

٧-١٢- حملة العرش وتسبيحهم ودعاؤهم، وذكر مقت الله للكافرين.

١٣-١٥- مظاهر قدرة الله.

١٦-٢٢- من أهوال يوم القيامة، والأمر بالاتعاظ بالأمم السابقة.

٢٣-٢٧- قصة موسى مع فرعون وهامان وقارون.

٢٨-٤٦- قصة مؤمن آل فرعون.

٤٧-٥٠- حوار بين الضالين والمضلين وأهل النار وخزنتها.

٥١-٥٥- نصر المؤمنين، وذكر المنة على بني إسرائيل، وتوجيهات للنبي ﷺ.

٥٦-٥٨ التعريف بالمجادلين، وذكر خسارة المكذبين.

٥٩-٦٠- التأكيد على قيام الساعة، والحث على الدعاء وآدابه.

٦١-٦٨- التعريف بالله رب العالمين.

٦٩-٧٦- الحديث عن المكذبين وجزائهم.

٧٧-٧٨- توجيهات للرسول ﷺ.

٧٩-٨١- من نعم الله تعالى على عباده.

٨٢-٨٥- الدعوة للاعتبار من آثار الأقوام السابقة والتأكيد على سنن الله تعالى.

سورة فصلت

١-٨- القرآن ومهمته وموقف المشركين منه، وذكر جزاء المؤمنين.

٩-١٢- من أدلة وجود الله وقدرته وذكر قصة الخلق.

١٣-١٨- تهديد المشركين والكافرين بمثل عاقبة عاد وثمود.

١٩-٢٩- عقوبة أعداء الله عند الحشر.

٣٠-٣٦- ثواب المستقيمين في الدارين، وفضل وآداب الدعوة إلى الله تعالى.

٣٧-٣٩- من آيات قدرة الله تعالى.

٤٠-٤٤- تهديد الملحدين في القرآن.

٤٥-٤٦- اختلاف الناس في التوراة، وذكر جزاء الأعمال.

٤٧-٥٢- اختصاص الله بعلم الغيب والساعة، وذكر طبيعة الإنسان في السراء والضراء.

٥٣-٥٤- التأمل في آيات الله.

سورة الشورى

١-٦- وحدة الوحي للرسل.

٧-٩- القرآن الكريم ووظيفته وموقف الناس منه.

١٠-١٦- التوكل على الله تعالى ووحدة الدين والاستقامة.

١٧-١٩- إثبات قيام الساعة.

٢٠-٢٦- جزاء المؤمنين والكافرين.

٢٧-٣٥- سنة الله في عباده وقدرته.

٣٦-٤٦- من صفات المؤمنين وعاقبة الكافرين والظالمين.

٤٧-٥٣- التعريف بالخالق سبحانه، وإثبات القيامة وأنواع الوحي.

سورة الزخرف

١-٨- القرآن الكريم ومكانته، وذكر استهزاء وعقوبة المسرفين.

٩-١٤- عظمة الله تعالى ونعمه.

١٥-٢٥- افتراءات المشركين والرد عليهم.

٢٦-٣٢- قصة إبراهيم، وموقف المشركين منه ﷺ.

٣٣-٣٥- متاع الدنيا وزينتها.

٣٦-٣٩- قرين الشيطان.

٤٠-٤٥- خطاب وتوجيهات للرسول ﷺ.

٤٦-٥٦- قصة موسى مع فرعون.

٥٧-٦٦- قصة عيسى بن مريم.

٦٧-٨٠- جزاء المتقين والمجرمين.

٨١-٨٩- توجيهات له ﷺ والرد على قومه.

سورة الدخان

١-٨- نزول القرآن في ليلة القدر، والتعريف بالربوبية.

٩-١٦- موقف المشركين من الدعوة والقرآن.

١٧-٣٣- قصة قوم فرعون.

٣٤-٥٠- إنكار المشركين للبعث وجزاؤهم.

٥١-٥٩- جزاء المتقين، وخطاب وتوجيه له ﷺ.

سورة الجاثية

١-١٣- الأدلة على قدرة ووحدانية الله تعالى، وتهديد المكذبين بآياته سبحانه، وذكر فضل الله تعالى ورحمته.

١٤-١٧- خطاب وجزاء المؤمنين، والتذكير ببني إسرائيل.

١٨-٢٢- خطاب وتوجيه له ﷺ، وذكر الجزاء بالأعمال.

٢٣-٣٥- ضلال المشركين وذكر جزاء المؤمنين والكافرين بالبعث.

٣٦-٣٧- فضل وكبرياء الله تعالى.

سورة الأحقاف

١-١٢- إثبات القدرة الإلهية ومناقشة المشركين.

١٣-١٦- جزاء المتقين، والوصية بالوالدين.

١٧-٢٠- جزاء العاق والمستكبرين.

٢١-٢٨- قصة هود عليه السلام.

٢٩-٣٢- إيمان بعض الجن بالإسلام.

٣٣-٣٥- إثبات البعث وتهديد منكريه، وتوجيهات للنبي ﷺ.

سورة محمد

١-٦- جزاء وأحوال الكفار والمؤمنين، والأمر بالجهاد وثوابه.

٧-١٤- شروط النصر للمؤمنين، وخذلان الكافرين وجزاء الفريقين.

١٥-١٩- ما أعد الله للمؤمن والكافر، والأمر بالعلم والاستغفار.

٢٠-٣٤- أحوال المنافقين والكافرين وعاقبتهم، وذكر ابتلاء المجاهدين.

٣٥-٣٨- الأمر بطاعته ﷺ، وذكر حقيقة الدنيا، والأمر بالإنفاق والجهاد.

سورة الفتح

١-٧- صلح الحديبية.

٨-١٠- وظيفة الرسول ﷺ وبيعة الصحابة.

١١-١٦- حقيقة المنافقين وعاقبتهم.

١٧-٢٦- بيعة الرضوان ونتائج الصلح.

٢٧-٢٩- تحقيق رؤيا الرسول ﷺ، وذكر بعض أوصافه ﷺ وأصحابه.

سورة الحجرات

١-٥- أدب التعامل مع الرسول ﷺ.

٦-٨- التثبت من الأخبار.

٩-١٢- توجيهات للمؤمنين بفئاتهم - في حال الخلاف والاقتتال فالإصلاح - التأكيد على الأخوة الإيمانية - النهي عن السخرية والتنابز بالألقاب - اجتناب الظن.

١٣-١٨- فضل التقوى، وحقيقة الإيمان، وذكر علم الله تعالى.

سورة ق

١-١١- إنكار المشركين للبعث وأدلة ثبوته.

١٢-١٥- تذكير بالأمم السابقة.

١٦-٣٠- خلق الإنسان وعلمه وأحواله، وحقيقة الموت والبعث، وحوار الكافر مع قرينه.

٣١-٣٥- ثواب المؤمنين وصفاتهم.

٣٦-٤٥- التذكير بهلاك السابقين، وذكر قدرة الله في الخلق، وتوجيهات له ﷺ.

سورة الذاريات

١-٤- الحديث عن آية من آيات الله العظيمة وهي (الرياح) وعملها، والحديث عن بعض أصناف الملائكة.

٥-١٤- إثبات البعث وعاقبة منكريه.

١٥-٢٣- جزاء المتقين وأوصافهم، وآيات الله تعالى وعظمة قدرته.

٢٤-٣٧- قصة ضيف إبراهيم.

٣٨-٥١- ذكر بعض الأنبياء، وقدرة الله تعالى في الكون.

٥٢-٦٠- المعرضون عنه ﷺ، وعاقبة الظالمين.

سورة الطور

١-٢٨- إثبات العذاب للمكذبين، والنعيم للمتقين وأنواعه.

٢٩-٤٧- مناقشة عقيدة الكفار.

٤٨-٤٩- توجيهات للرسول ﷺ.

سورة النجم

١-١٨- إثبات الوحي.

١٩-٣٠- مناقشة عبدة الأصنام.

٣١-٣٢- جزاء المسيئين والمحسنين وأوصافهم.

٣٣-٤١- توبيخ لابن المغيرة بسبب كفره وإعراضه.

٤٢-٦٢- قدرة الله تعالى، وذكر اقتراب الساعة.

سورة القمر

١-٨- معجزة انشقاق القمر وموقف المشركين منه.

٩-٢٢- قصة نوح، وعاد قوم هود.

٢٣-٥٣- تهكم كفار قريش ومصير المجرمين.

٥٤-٥٥- جزاء المتقين.

سورة الرحمن

١-٢٥- التعريف بالرحمن وعنايته بالإنسان، وذكر نعم الله على العباد.

٢٦-٣٠- البقاء لله تعالى وحده.

٣١-٣٦- عجز الثقلين أمام قدرة الله.

٣٧-٤٥- عاقبة المجرمين في الآخرة.

٤٦-٧٨- وصف جنات النعيم.

سورة الواقعة

١-١٤- أهوال يوم القيامة.

١٥-٢٦- نعيم أصحاب النعيم.

٢٧-٥٦- أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

٥٧-٧٤- نعم الله الدالة على فضله وقدرته.

٧٥-٨٧- عظمة القرآن الكريم.

٨٨-٩٦- جزاء المقربين وعاقبة المكذبين.

سورة الحديد

١-٦- تسبيح لمن بيده كل شيء.

٧-١١- الدعوة للإيمان والإنفاق، وذكر مهمته ﷺ، وتأكيد الدعوة للإنفاق.

١٢- جزاء المؤمنين.

١٣-١٥- حوار المنافقين مع المؤمنين يوم القيامة.

١٦-١٩- توجيهات للمؤمنين وجزاؤهم وجزاء الكافرين.

٢٠-٢١- حقيقة الدنيا والعمل الصالح.

٢٢-٢٤- الإيمان بالقضاء والقدر، والنهي عن البخل.

٢٥-٢٧- الحكمة من إرسال الرسل.

٢٨-٢٩- أمر أهل الكتاب بالإيمان.

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

١-٤- الظهار وكفارته.

٥-٦- تهديد الكافرين.

٧- إحاطة علم الله بكل شيء.

٨-١٣- أدب المناجاة وصدقته له ﷺ وآداب المجلس.

١٤-٢١- موالاة الكفار وعاقبتها، ونصرة الله لرسله عليهم السلام.

٢٢- صفات المؤمنين وجزاؤهم.

سُورَةُ الحَشْرِ

١-٥- إجلاء بني النضير.

٦-٧- حكم الفيء.

٨-١٠- فضل فقراء المهاجرين والأنصار.

١١-١٧- موالاة المنافقين لليهود وخذلانهم وجزاؤهم.

١٨-٢١- الأمر بالتقوى، والتحذير من الفسق، وذكر مقارنة بين أهل النار وأهل الجنة، وقوة القرآن الكريم.

٢٢-٢٤- من أسماء الله الحسنى.

سُورَةُ المُمْتَحنَةِ

١-٣- النهي عن موالاة الكفار وحقيقتهم.

٤-٧- قصة إبراهيم.

٨-٩- أحكام علاقة المسلمين بالكفار.

١٠-١٣- أحكام النساء المهاجرات ومبايعتهن، وتأكيد النهي عن موالاة الكفار.

سُورَةُ الصَّفِّ

١-٤- تسابيح الله، وذكر توجيهات للمؤمنين، والحث على الجهاد.

٥-٩- قصة عيسى وموسى.

١٠-١٤- أسس التجارة الرابحة.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

١-٤- تسبيح الله، ومهمته ﷺ.

٥-٨- ضرب مثل لليهود وإقامة الحجة عليهم.

٩-١١- من أحكام صلاة الجمعة.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

١-٨- خصال المنافقين والرد عليهم.

٩-١١- توجيهات للمؤمنين.

سُورَةُ التَّغَابُنِ

١-٧- مقابلة الإنسان لفضل الله ونعمه بالجحود، والتذكير بمصير الكافرين من السابقين ودحض مزاعمهم.

٨-١٠- إنكار المشركين للبعث وعقابهم وثواب المؤمنين.

١١-١٨- توجيهات للمؤمنين.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١-٧- من أحكام الطلاق والعدة والسكنى والنفقة.

٨-١٢- تحذير المعاندين ووعد المؤمنين، والتذكير بقدرة الله تعالى.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

١-٥- قصته ﷺ وبعض أزواجه.

٦-٨- نداء للمؤمنين والكافرين.

٨-٩- الحث على التوبة، ونداء له ﷺ بوجوب جهاد الكفار.

١٠-١٢- ضرب مثلين لنساء كافرات ومؤمنات.

سُورَةُ المُلْكِ

١-٥- من مظاهر قدرة الله تعالى.

٦-١٢- عاقبة الكفار واعترافهم بذنبهم، وذكر أجر أهل الخشية.

١٣-٢٢- علم الله تعالى ونعمه، وتهديد الكفار وتوبيخ المشركين.

٢٣-٢٧- قدرة الله في الخلق والحشر.

٢٨-٣٠- النجاة والرزق بيد الله.

سُورَةُ القَلَمِ

١-١٦- تأييده ﷺ وذكر خُلقه العظيم، والإشارة إلى صفات المكذبين.

١٧-٣٣- قصة أصحاب الجنة.

٣٤-٤٧- إقامة الحجة على المجرمين.

٤٨-٥٢- أمره ﷺ بالصبر.

سُورَةُ الحَاقَّةِ

١-١٢- أهوال يوم القيامة، وذكر هلاك المكذبين.

١٣-١٨- من أهوال يوم القيامة.

١٩-٣٧- مصير وجزاء أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

٣٨-٥٢- حقيقة القرآن وتنزيهه.

سُورَةُ المَعَارِجِ

١-١٨- أهوال يوم القيامة.

١٩-٢١- طبيعة الإنسان.

٢٢-٤٤- صفات المؤمنين وأفعال الكافرين وجزاؤهم.

سُورَةُ نُوحٍ

١-٤- قصة إرسال نوح إلى قومه.

٥-٢٨- شكوى نوح من قومه...

سُورَةُ الجِنِّ

١-١٧- إيمان الجن بالقرآن الكريم وأنواعهم وعقائدهم.

١٨-٢٥- توجيهات إلهية له ﷺ.

٢٦-٢٨- لا يعلم الغيب إلا الله.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

١-١٠- توجيهات إلهية له ﷺ.

١١-١٩- تهديد المكذبين بيوم الدين.

٢٠- فضل قيام الليل وتوجيهات للمؤمنين.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

١-١٠- توجيهات له ﷺ، وتهديد الكاذبين بأهوال يوم القيامة.

١١-٣٧- قصة ابن المغيرة ووعيده، ووصف جهنم وخزنتها.

٣٨-٥٣- أسباب عذاب المجرمين.

٥٤-٥٦- حقيقة القرآن.

سُورَةُ القِيَامَةِ

١-١٩- إثبات وقوع البعث، وذكر حرص النبي ﷺ على حفظ الوحي وتطمينه ﷺ.

٢٠-٤٠- أحوال الناس يوم القيامة، والحديث عن الاحتضار، وإثبات البعث.

سُورَةُ الإِنسَانِ

١-٣- خلق الإنسان وهدايته لأحد السبيلين.

٤-٢٢- عذاب الكافرين ونعيم الأبرار يوم القيامة.

٢٣-٣١- توجيهات للرسول الكريم ﷺ وللمؤمنين.

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

١-١٥- قيام الساعة وأهوالها.

١٦-٢٨- تخويف الكافرين بالهلاك وبقدرة الله تعالى.

٢٩-٤٠- تحذير الكافرين من أهوال يوم القيامة.

٤١-٥٠- جزاء المتقين وعاقبة المكذبين.

سُورَةُ النَّبَإِ

١-١٦- إثبات البعث، وذكر مظاهر قدرة الله تعالى ونعمه.

١٧-٤٠- قيام الساعة وأهوالها والجزاء.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

١-١٤- أهوال الساعة.

١٥-٢٦- قصة موسى وفرعون.

٢٧-٤٦- مظاهر قدرة الله تعالى، والعودة للحديث عن أهوال يوم القيامة.

سُورَةُ عَبَسَ

١-١٦- عتاب الله له ﷺ بشأن ابن أم مكتوم، وذكر نعم الله تعالى على عباده.

١٧-٣٢- أهوال القيامة وذكر الجزاء.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

١-١٤- أهوال يوم القيامة.

١٥-٢٩- القسم على صدقه ﷺ، وذكر حقيقة القرآن الكريم.

سُورَةُ الانْفِطَارِ

١-١٩- أهوال يوم القيامة، وتوبيخ الإنسان لنسيانه عظمة الله تعالى، وذكر نعيم الأبرار وجحيم الفجار.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

١-٦- تهديد المطففين بعذاب يوم القيامة.

٧-٢٨- الجزاء يوم القيامة.

٢٩-٣٦- معاملة المجرمين للمؤمنين في الدنيا وجزاؤهم.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

١-١٥- أهوال يوم القيامة، وجزاء أصحاب اليمين والشمال.

١٦-٢٥- القسم بوقوع القيامة ومصير الناس.

سُورَةُ البُرُوجِ

١-١٦- عذاب أصحاب الأخدود، ووعيد من يفتنون المؤمنين، وثواب المؤمنين، وتهديد الكافرين بقدرة الله تعالى.

١٧-٢٢- قصة هلاك فرعون وثمود، وذكر مكانة القرآن الكريم.

سُورَةُ الطَّارِقِ

١-١٧- تعريف النجم الثاقب، وتذكير الإنسان بمراحل خلقه، وذكر تهديد الكافرين.

سُورَةُ الأَعْلَى

١-٨- مظاهر قدرة الله تعالى، وذكر توجيهات للنبي ﷺ والمؤمنين.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

١-١٦- أهوال يوم القيامة على الكافرين، وذكر نعيم المؤمنين في الجنة.

١٧-٢٦- من مظاهر قدرة الله تعالى، وذكر إثبات وقوع البعث.

سُورَةُ الفَجْرِ

١-٢٠- القسم بهلاك المكذبين لرسلهم، وذكر طبيعة من ينسى ربه.

٢١-٣٠- أهوال القيامة ومصير المؤمنين.

سُورَةُ البَلَدِ

١-٧- اغترار الإنسان بقدرته وماله.

٨-٢٠- نعم الله على الإنسان، وذكر مصير أصحاب اليمين والشمال.

سُورَةُ الشَّمْسِ

١-١٥- القسم بمظاهر قدرة الله تعالى، وذكر قصة ثمود والناقة.

سُورَةُ اللَّيْلِ

١-٢١- القسم بمظاهر قدرة الله تعالى، وذكر عاقبة البخل، وعاقبة المكذبين النار ونجاة المتقين منها.

سُورَةُ الضُّحَى

١-١١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وذكر بعض التوجيهات له ﷺ.

سُورَةُ الشَّرْحِ

١-٨- مكانة الرسول ﷺ عند الله سبحانه وتعالى، وفضله تعالى عليه ﷺ، والتبشير بالتيسير.

سُورَةُ التِّينِ

١-٨- تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان، وانحطاطه بالكفر.

سُورَةُ العَلَقِ

١-١٩- الأمر بالقراءة والعلم والكتابة، وذكر طبيعة الإنسان ونسيانه للآخرة، وتهديد للطغاة.

سُورَةُ القَدْرِ

١-٥- فضائل ليلة القدر.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

١-٨- مهمة النبي ﷺ وفضيلة القرآن الكريم وافتراق أهل الكتاب فيه، ووعيد الكافرين وبشرى المؤمنين.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

١-٨- أهوال يوم القيامة...

سُورَةُ العَادِيَاتِ

١-٥- القسم على جحود الإنسان لنعم ربه وحبه للمال.

سُورَةُ القَارِعَةِ

١-١١- أهوال يوم القيامة ومشاهدها...

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

١-٨- طول الأمل في الدنيا والتخويف من الجحيم.

سُورَةُ العَصْرِ

١-٣- حال الكافر والمؤمن.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

١-٩- توعد المستهزئين بالمؤمنين وجامعي المال بالعذاب في الآخرة.

سُورَةُ الفِيلِ

١-٥- قصة أصحاب الفيل.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

١-٤- نعم الله تعالى على قريش ودعوتهم لعبادته وحده سبحانه.

سُورَةُ المَاعُونِ

١-٧- صفات المنكر ليوم الحساب والمنافق.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

١-٣- فضل الله على رسوله الكريم ﷺ.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

١-٦- وجوب البراءة من الكافرين ودينهم ومعبوداتهم.

سُورَةُ النَّصْرِ

١-٣- توجيه الرسول ﷺ للاستغفار لنصره وتأييده.

سُورَةُ المَسَدِ

١-٥- توبيخ لأبي لهب وزوجته ومصيرها.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

١-٣- توجيه النبي ﷺ بإثبات التوحيد ونفي الشرك.

سُورَةُ الفَلَقِ

١-٥- الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من شر جميع المخلوقات.

سُورَةُ النَّاسِ

١-٦- الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من شياطين الجن والإنس.

فهرس لموضوعات القرآن

التاريخ والقصص القرآني

أنبياء ذُكروا في القرآن الكريم

---

[1] الرقم الأحمر رقم السورة التي ذكر بها الموضوع، والرقم الأسود رقم الآية التي ذكر بها الموضوع.

محمد ﷺ في القرآن الكريم

غزواته ﷺ:

أمور العقيدة في القرآن الكريم

إفراد الله بالعبادة: ١ ٥، ٢ ٢١، ٣ ٥١، ٤ ٣٦، ٥ ٧٢، ٦ ١٠٢، ٧ ٥٩، ١٦ ٣٦، ٢١ ٢٥، ٤٣ ٤٥، ٥١ ٥٦.

الإيمان بالله: ٢ ١٧٧ و٢٨٥ و٢٥٦، ٣ ١٧٩، ٤ ١٥٢، ٥٧ ٧-٨، ٦٤ ٨، ٧٢ ١٣.

الإيمان بالملائكة: ٢ ١٧٧ و٢٨٥، ٤ ١٣٦، ١٦ ٢، ٢٢ ٧٠، ٣٥ ١، ٤٣ ١٩، ٥٣ ٢٧-٢٨.

الإيمان بالرسل: ٢ ١٣٦ و٢٨٥، ٣ ٨١ و٨٤-٨٥ و١٧٩، ٤ ١٣٦ و١٥٠ و١٥١ و١٦٣-١٦٥ و١٧١، ١٤ ٩، ١٦ ٣٦ و٤٣، ١٧ ٩٤ و٩٥، ١٨ ٥٦، ٢١ ٧ و٢٥، ٢٥ ٢٠، ٣٣ ٧، ٣٤ ٣٤، ٣٥ ٢٤ و٢٥، ٤٠ ٧٨، ٤٢ ٣ و١٣، ٤٣ ٦-٧ و٢٣-٢٤، ٦٤ ٦.

الإيمان بالقدر: ٢ ٧، ٣ ١٥٦ و١٦٨، ٤ ٧٨-٧٩ و١٥٥، ٦ ٣٥ و١٢٥، ٩ ٥١، ١٠ ٣٣ و٩٩ و١٠٠، ١١ ٣٤، ١٦ ٣٥، ٢٢ ٧٠، ٣٥ ١، ٤٣ ١٩، ٥٣ ٢٧ و٢٨.

الإيمان بالكتب: ٢ ٢ و٤ و٤١ و٢٨٥، ٣ ٨١، ٤ ٤٧ و١٣٦، ٦ ٩١ و١٥٤، ٧ ١٥٧، ١١ ١٧، ٢٨ ٤٣، ٣٢ ٢٣، ٣٥ ٣١، ٤١ ٤٥، ٤٦ ١٢، ٨٧ ١٨ و١٩.

ذكر الكتب السماوية:

القرآن: ٢ ٢، ٣ ٣ و٤، ٤ ٨٢، ٥ ٤٨، ٦ ١٩، ٧ ٢، ١٠ ٣٧ و٣٨، ١١ ١، ١٢ ١-٣، ١٣ ٣١، ١٤ ١، ١٥ ١، ١٧ ٩ و٨٢، ١٨ ١، ٢٠ ٢ و٣، ٢١ ٥٠، ٢٩ ٥١، ٣١ ٢ و٣، ٣٥ ٣١، ٣٩ ١ و٢، ٤١ ١-٤ و٤٤، ٤٦ ٢٩ و٣٠، ٥٦ ٧٥-٨٠، ٧٢ ١ و٢.

التوراة والإنجيل: ٣ ٣ و٤٨، ٥ ٦٦ و٦٨، ٧ ١٥٧، ٩ ١١١، ٤٨ ٢٩، ٥٧ ٢٧، ٦١ ٦.

الزبور: ٣ ١٨٤، ٤ ١٦٣، ١٧ ٥٥، ٢١ ١٠٥.

صحف إبراهيم وموسى: ٥٣ ٣٦ و٣٧، ٨٧ ١٨ و١٩.

الإيمان باليوم الآخر: ٢ ٤ و٤٦، ٣ ١١٤، ٤ ٣٨ و٣٩، ٥ ٦٩، ٦ ٩٢، ٣٤ ٢١.

الألوهية ونفي الشرك: ٢ ٢٢، ٣ ٦٤، ٤ ٣٦، ٥ ٧٢، ٦ ١٩ و٢٢، ٧ ٣٣، ١٢ ٣٨، ٢٢ ٢٦، ٣١ ١٣، ٣٤ ٢٧، ٣٦ ٦٠، ٣٩ ١٧، ٤٠ ٤١ و٤٢ و٦٥، ٤٦ ٤، ٦٨ ٤١، ٧٢ ١ و٢ و١٩ و٢٠.

أسماء الله الحسنى:

الله: ٢ ٩٦ و١٠٥، ٣ ١٨ و٦٢، ٤ ١٤٧ و١٧٦.

الأحد: ١١٢ ١.

الأعلى: ٨٧ ١، ٩٢ ٢٠.

الأكرم: ٩٦ ٣.

الإله: ٢ ١٣٣ و١٦٣، ٣ ٢ و٦ و٦٢، ٤ ١٧١، ٥٧ ٣.

الأول والآخر والظاهر والباطن: ٥٧ ٣.

البارئ: ٥٩ ٢٤. البر ٥٢ ٢٨.

البصير: ٢ ٩٦، ٣ ١٥ و٢٠، ٥ ٧١، ٨ ٣٩.

التواب: ٢ ١٠٤، ٩ ١٠٤، ٢٤ ١٠، ٤٩ ١٢.

الجبار: ٥٩ ٢٣.

الحفيظ: ١١ ٥٧، ٣٤ ٢١، ٤٢ ٦.

الحق: ٦ ٦٢، ١٠ ١٠ و٣٠، ١٨ ٤٤.

الحكيم: ٢ ٣٢، ٣ ٦، ٤ ٢٦، ٥ ٣٨، ٩ ١٥.

الحليم: ٢ ٢٢٥، ٣ ١٥٥، ٤ ١٢، ٥ ١٠١.

الحميد: ٢ ٢٦٧، ٤ ١٣١، ١١ ٧٣، ١٤ ١ و٨.

الحي: ٢ ٢٥٥، ٣ ٢، ٢٠ ١١١، ٢٥ ٥٨، ٤٠ ٦٥.

الخبير: ٢ ٢٣٤ و٢٧١، ٣ ١٥٣ و١٨٠، ٤ ٣٥، ٩ ١٦. الخالق: ٦ ١٠٢، ١٣ ١٦، ٣٥ ٣، ٣٩ ٦٢، ٤٠ ٦٢، ٥٩ ٢٤.

الخلاق: ١٥ ٨٦، ٣٦ ٨١.

الرؤوف: ٢ ١٤٣، ٩ ١١٧، ١٦ ٧، ٢٢ ٥٦، ٢٤ ٢٠، ٥٧ ٩، ٥٩ ١٠.

الرحمن الرحيم: ١ ٣، ٢ ١٦٣، ١٣ ٣٠، ١٧ ١١٠، ١٩ ١٨ و٦١، ٢٠ ٥، ٢١ ٢٦.

الرزاق: ٥١ ٥٨.

الرقيب: ٤ ١، ٥ ١١٧، ٣٣ ٥٢.

السلام: ٥٩ ٢٣.

السميع: ٢ ١٢٧، ٣ ٣٤ و٣٥، ٦ ١٣، ٩ ١٠٣.

الشاكر: ٤ ١٤٧.

الشكور: ٣٥ ٣٠ و٣٤، ٤٢ ٢٣، ٦٤ ١٧.

الشهيد: ٣ ٩٨، ٤ ٣٣، ٥ ١١٧، ١٠ ٢٩، ١٣ ٤٣، ٢٢ ١٧، ٣٤ ٤٧.

الصمد: ١١٢ ٢.

العزيز: ٢ ١٢٩، ٣ ٤، ٥ ٣٨، ٦ ٩٦.

العظيم: ٢ ٢٥٥، ٤٢ ٤، ٥٦ ٧٤ و٩٦، ٦٩ ٣٣ و٥٢.

العفو: ٤ ٤٣ و٩٩ و١٤٩، ٢٢ ٦٠، ٥٨ ٢.

العلي: ٢ ٢٥٥، ٤ ٣٤، ٢٢ ٦٢، ٣١ ٣٠، ٣٤ ٢٣، ٤٠ ١٢، ٤٢ ٤ و٥١.

العليم: ٢ ٢٩، ٣ ٦٣، ٤ ٢٦، ٦ ١٣، ٢٠ ٨٢، ٣٨ ٦٦، ٥٩ ٥، ٤٠ ٤٢، ٧١ ١٠.

الغفار: ٢٠ ٨٢، ٣٨ ٦٦، ٣٩ ٥، ٤٠ ٤٢، ٧١ ١٠.

الغفور: ٢ ١٧٣، ٣ ٣١، ٥ ٣٤، ٧ ١٦٧.

الغني: ٢ ٢٦٣، ٣ ٩٧، ٤ ١٣١، ٦ ١٣٣، ١٠ ٦٨، ١٤ ٨، ٢٢ ٦٤.

الفتاح: ٣٤ ٢٦.

القادر: ٦ ٣٧، ١٧ ٩٩، ٤٦ ٣٣، ٧٠ ٤٠، ٧٥ ٤ و٤٠، ٧٧ ٢٣، ٨٦ ٨.

القاهر: ٦ ١٨ و٦١.

القدوس: ٥٩ ٢٣، ٦٢ ١.

القدير: ٢ ٢٠، ٣ ٢٦، ٤ ١٣٣، ٥ ١٧، ٦ ١٧.

القريب: ٢ ١٨٦، ١١ ٦١، ٣٤ ٥٠.

القهار: ١٢ ٣٩، ١٣ ١٦، ١٤ ٣٨، ٣٨ ٦٥، ٣٩ ٤، ٤٠ ١٦.

القوي: ٨ ٥٢، ١١ ٦٦، ٢٢ ٤٠ و٧٤، ٤٠ ٢٢، ٤٢ ١٩، ٥٧ ٢٥، ٥٨ ٢١.

القيوم: ٢ ٢٥٥، ٢٠ ١١١.

الكبير: ٤ ٣٤، ١٣ ٩، ٢٢ ٦٢، ٣١ ٣٠، ٣٤ ٢٣، ٤٠ ١٢.

الكريم: ٢٧ ٤٠، ٨٢ ٦.

اللطيف: ٦ ١٠٣، ١٢ ١٠٠، ٢٢ ٦٣، ٣١ ١٦، ٣٣ ٣٤، ٤٢ ١٩، ٦٧ ١٤.

المؤمن: ٥٩ ٢٣.

المتعال: ١٣ ٩.

المتكبر: ٥٩ ٢٣. المتين: ٥١ ٥٨.

المجيد: ١١ ٧٣، ٨٥ ١٥.

المحيط: ٢ ١٩، ٣ ١٢٠، ٤ ١٠٨ و٢٦، ٨ ٤٧، ١١ ٩٢، ٤١ ٥٤، ٨٥ ٢٠.

المصور: ٥٩ ٢٤.

المقتدر: ٥٤ ٤٢ و٥٥.

المقيت: ٤ ٨٥.

الملك: ٢٠ ١١٤، ٢٣ ١١٦، ٥٩ ٢٣، ٦٢ ١، ١١٤ ٢.

المليك: ٥٤ ٥٥.

المهيمن: ٥٩ ٢٣.

المولى: ٢ ٢٨٦، ٣ ١٥٠، ٨ ٤٠، ٩ ٥١، ٢٢ ٧٨، ٤٧ ١١، ٦٦ ٢.

النصير: ٤ ٤٥، ٨ ٤٠، ٢٢ ٧٨، ٢٥ ٣١.

الواحد: ٢ ١٣٣، ٤ ١٧١، ٩ ٣١، ١٣ ١٦، ١٤ ٤٨ و٥٢، ١٦ ٢٢ و٥١، ١٨ ١١٠، ٢١ ١٠٨، ٢٢ ٣٤، ٢٩ ٤٦، ٤٠ ١٦.

الوارث: ١٥ ٢٣، ١٩ ٤٠، ٢١ ٨٩، ٢٨ ٥٨.

الواسع: ٢ ١١٥، ٣ ٧٣، ٥ ٥٤، ٢٤ ٣٢.

الودود: ١١ ٩٠، ٨٥ ١٤.

الوكيل: ٣ ١٧٣، ٤ ١٣٢، ٦ ١٠٢، ١٧ ٦٥، ٢٨ ٢٨، ٣٣ ٣ و٤٨، ٣٩ ٦٢، ٧٣ ٩.

الولي: ٢ ٢٥٦، ٣ ٦٨، ٤ ٤٥، ٧ ١٥٥، ٣٤ ٤١، ٤٢ ٩، ٤٥ ١٩.

الوهاب: ٣ ٨.

صفات الله تعالى:

صفات الله تعالى المضافة:

وظائف الملائكة:

الملائكة الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم:

الأنبياء والرسل:

الموت:

أسماء اليوم الآخر:

القيامة وأهوالها:

جـزاء الأعمـال: ٢ ٢٨١، ٣ ٢٥و٣٠، ٤ ١١١و١٢٣ و١٢٤، ٣٠ ٤٤، ٥٢ ١٦ و٢١، ٢٣ ٣١ و٣٩-٤١، ٩٩ ٦-٨، ١٠١ ٦-١١.

البعث من القبور: ٦ ٣٦، ١١ ٧، ١٦ ٣٨، ١٧ ٤٩-٥١، ٣٦ ٧٧-٧٩، ٤١ ٣٩، ٤٦ ٣٣، ٥٨ ٦و١٨، ٦٤ ٧، ٨٢ ٤ و٥، ١٠٠ ٩.

النفخ في الصور: ٦ ٧٣، ١٨ ٩٩، ٢٠ ١٠٢، ٢٣ ١٠١، ٣٩ ٦٨، ٥٠ ٢٠.

صفة الحشر والموقف: ٦ ٢٢ و٢٣ و٢٧ و٢٨ و٣٨، ١١ ١٠٥، ١٧ ٧١ و٧٢ و٩٧، ١٨ ٥٢ و٥٣ و١٠٠ و١٠١، ٢٠ ١٠٢-١٠٤، ٣٢ ١٢، ٣٤ ٣١-٣٣، ٣٩ ٤٧ و٤٨، ٤١ ١٩-٢١، ٤٦ ٥ و٦، ٥٢ ١١-١٥، ٥٤ ٦-٨، ٦٨ ٤٢ و٤٣، ٧٠ ٨-١٤، ٧٥ ١٠-١٣ و٢٢-٢٥، ٨٨ ١-١٠.

صفة نشر الصحف والكتب: ١٧ ١٣ و١٤ و٧١، ٢٣ ٦٢، ٤٥ ٢٩، ٥٠ ٤ و١٨، ٦٩ ١٩-٢٦، ٨٤ ٧-١٢.

اللوح المحفوظ: ٣ ١٤٥، ٦ ٣٨ و٥٩، ١٠ ٦١، ١١ ٦، ١٥ ٤، ٢٠ ٥٢، ٢٧ ٢٢.

الإيمان بالبعث: ٦ ٣٦، ١١ ٧، ١٦ ٣٨، ١٧ ٤٩-٥١، ٣٦ ٧٧-٧٩، ٤١ ٣٩، ٤٦ ٣٣، ٥٨ ٦ و١٨، ٦٤ ٧، ٨٢ ٤ و٥، ١٠٠ ٩.

الإيمان بالنفخ في الصور ٦ ٧٣، ١٨ ٩٩، ٢٠ ١٠٢، ٢٣ ١٠١، ٣٩ ٦٨، ٥٠ ٢٠، ٧٨ ١٨.

الإيمان بالغيب: ٢ ٣ و٣٣، ٣ ١٧٩، ١٩ ٦١، ٢١ ٤٩، ٣٥ ١٨، ٣٦ ١١، ٥٠ ٣٣، ٦٧ ١٢ و٢٥.

الإنسان في القرآن الكريم

أصل خلق الإنسان ومادته: ٣ ٥٩، ٤ ١ و٢٨، ٦ ٢، ٧ ٩٨ و١٨٩، ١٥ ٢٦، ١٦ ٤ و٧٠، ١٩ ٦٧، ٢٠ ٥٥، ٢٢ ٥، ٢٣ ١٢-١٤، ٢٥ ٥٤، ٢٦ ٧٨، ٣٠ ٢٠-٢٢ و٥٤، ٣٢ ٧-٩، ٣٥ ١١، ٣٦ ٣٦ و٧٧، ٣٨ ٧١، ٣٩ ٦، ٤٠ ٦٧، ٤٩ ١٣، ٥٢ ٣٥، ٥٣ ٤٥ و٤٦، ٥٥ ١٤، ٧١ ١٣ و١٤، ٧٥ ٣٦-٣٩، ٧٦ ٢ و٢٨، ٧٧ ٢٠-٢٤، ٧٨ ٨، ٨٠ ١٧-١٩، ٨٦ ٥-٧، ٩٥ ٤-٦، ٩٦ ٢.

تكريم الإنسان وتسخير المخلوقات له: ٢ ٢٩-٣٤، ٧ ١٠ و٢٤ و٢٥، ١٤ ٣٢-٣٤، ١٦ ٥-١٦ و٨٠ و٨١، ١٧ ٧٠، ٢٠ ٥٣ و٥٤، ٢٣ ١٨-٢٢، ٣١ ١٠ و٢٠، ٣٣ ٧٢، ٣٥ ١٢، ٣٦ ٧١-٨٠، ٤٠ ٧٩ و٨٠، ٤٣ ١٠-١٣، ٤٥ ١٢ و١٣، ٦٧ ١٥، ٧١ ١٩ و٢٠، ٧٩ ٣٠-٣٣، ٨٠ ٢٤-٣٢.

الحكمة من إيجاد الإنسان: ٢ ٣٠، ٢٣ ١١٥، ٥١ ٥٦ و٥٧، ٦٧ ٢، ٧٥ ٣٦.

عوامل الضعف في الطبيعة البشرية:

التقليد واتباع السادة والرؤساء: ٢ ١٦٦ و١٦٧ و١٧٠، ٧ ٢٨ و٣٨ و٣٩، ١٤ ١٠، ٢٦ ٧٠-٧٤، ٣١ ٢١، ٣٣ ٦٧ و٦٨، ٣٤ ٣١-٣٣، ٣٧ ٢٧-٣٠، ٤٣ ٢٢ و٢٣.

ذكر الله عند الشدائد دون الرخاء: ٧ ١٨٩ و١٩٠، ١٠ ١٢ و٢١-٢٣، ١٧ ٦٧، ٣٠ ٣٣، ٣١ ٣٢، ٣٩ ٨ و٤٩.

بطره عند النعمة وقنوطه عند الشدة: ١١ ٩-١١، ١٧ ١١، ٣٠ ٣٦، ٤١ ٤٩-٥١، ٤٢ ٤٨، ٧٠ ١٩-٢٢، ٨٩ ١٥ و١٦.

حبه للمال والشهوات: ٢ ٢١٤، ٣ ١٤ و١٤٢، ١٧ ١٠٠، ٢١ ٣٧، ٤٢ ٢٧، ٤٧ ٣٦ و٣٧، ٧٠ ١٩-٢٢، ٩٦ ٦-٩، ١٠٠ ٦-٩، ١٠٢ ١و٢.

غيبيات الإنسان:

الروح: ١٧ ٨٥، ٣٢ ٩، ٧٠ ٤.

النفس: ٣ ١٤٥، ٦ ٧٠، ٧ ١٨٩، ١٠ ٥٤، ١١ ١٠٥، ١٢ ٥٣، ١٤ ٥١، ١٦ ١١١، ٢٠ ١٥، ٢١ ٣٥، ٢٩ ٥٧، ٣٩ ٦، ٧٥ ٢، ٧٩ ٤٠ و٤١، ٨٢ ٥، ٨٩ ٢٧-٣٠، ٩١ ٧-١٠.

الفطرة والغريزة: ١٦ ٦٨، ٣٠ ٣٠.

الهوى: ٤ ١٣٥، ٣٨ ٢٦، ٥٣ ٣، ٧٩ ٤٠ و٤١.

الوازع الداخلي (الضمير): ٦ ١٥٢، ٧ ٢٠٠-٢٠٢. الفؤاد: ٦ ١١٠ و١١٣، ١١ ١٢٠، ١٤ ٣٧ و٤٣، ١٦ ٧٨، ٢٣ ٧٨، ٢٥ ٣٢، ٢٨ ١٠، ٣٢ ٩، ٤٦ ٢٦، ٥٣ ١١، ٦٧ ٢٣، ١٠٤ ٥-٩.

الجن والشيطان في القرآن الكريم

أسماء الجن: ٦ ١٠٠، ٧ ٣٨ و١٨٤، ١١ ١١٩، ١٥ ٢٦ و٢٧، ١٧ ٨٨، ١٨ ٨٨ و٥٠، ١٩ ٦٨، ٢٣ ٢٥ و٧٠، ٢٧ ١٠ و١٧ و٣٩، ٢٨ ٣١، ٣٤ ١٢ و١٤ و٤١، ٣٧ ٧، ٥٥ ١٥ و٣٩ و٥٦ و٧٢ - ٧٤، ٧٢ ١٧، ١١٤ ١-٦.

تكليف الجن: ٦ ١٣٠، ٧ ٣٨ و١٧٩، ١١ ١١٩، ٣٢ ١٣، ٤٦ ٢٩-٣٢، ٥١ ٥٦ و٥٧، ٧٢ ١-٥ و١٣.

المضلون من الجن: ٦ ١٠٠ و١١٢ و١٢٨، ١٨ ٥٠، ٣٤ ٤٠ و٤١، ٤١ ٢٥ و٢٩، ٤٦ ١٨ و١٩، ١١٤ ٥ و٦.

ما ورد عن الجن في القرآن الكريم: ٢ ٣٠، ١٥ ٢٧، ١٨ ٥٠، ٢٦ ٢١٠-٢١٢، ٢٧ ٣٨ و٣٩، ٣٤ ١٢ و١٣، ٣٧ ٦-٨، ٤٦ ٢٩، ٥٥ ١٥ و٣٣، ٧٢ ١-١٥.

الشيطان:

إبليس واستكباره عن أمر الله: ٢ ٣٤، ٧ ١١-١٨، ٢٥ ٢٦-٤٣، ١٧ ٦١-٦٣، ١٨ ٥٠، ٢٠ ١١٦ و١١٧.

عداوة الشيطان لبني آدم: ٢ ١٦٨ و٢٠٨، ٤ ٦٠ و١١٩، ٦ ١٤٢، ٧ ٢٢، ١٢ ٥، ١٨ ٥٠، ٢٠ ١١٧، ٢٨ ١٥و١٦، ٣٥ ٦، ٣٦ ٦٠، ٤٣ ٦٢.

وساوس الشيطان وإغواؤه وكيده: ٢ ١٠٢ و١٦٨ و١٦٩ و٢٥٧ و٢٦٨، ٤ ٣٨ و٦٠ و٧٤ و١١٧-١٢٠، ٥ ٩١، ٦ ٤٣ و٦٨ و١١٢، ٧ ١٦ و١٧ و٢٧ و٣٠ و٢٠٠، ٨ ٤٨، ٩ ٣٧، ١٠ ١٢، ١٢ ٤٢ و١٠٠، ١٣ ٣٣، ١٤ ٢٢، ١٥ ٣٩-٤٢، ١٦ ٦٣، ١٧ ٢٧ و٥٣ و٦٤ و٦٥، ١٨ ٦٣، ١٩ ٤٤ و٨٣، ٢٢ ٤ و٥٣، ٢٤ ٢١، ٢٥ ٢٩، ٢٦ ٢٢١-٢٢٣، ٢٧ ٢٤، ٢٩ ٣٨، ٣١ ٢١، ٣٤ ٢٠، ٣٥ ٦، ٣٦ ٦٢، ٣٨ ٨٢ و٨٣، ٤٠ ٣٧، ٤١ ٢٥ و٣٦، ٤٣ ٣٦، ٥٨ ١٥ و١٩، ٥٩ ١٦.

الاستعاذة من الشيطان: ١٦ ٩٨-١٠٠، ٢٣ ٩٧ و٩٨، ٤١ ٣٦، ١١٣ ١-٥، ١١٤ ١-٦.

العبادات في القرآن الكريم

الصلاة وأحكامها وفضلها:

الأمر بالصلاة والمحافظة عليها: ٢ ٢ و٣ و٤٥ و٨٣ و١١٠ و١٥٣ و١٧٧ و٢٣٨، ٤ ٤٣ و٧٧ و١٠٣ و١٤٢ و١٦٢، ٥ ٥٥ و٥٨ و٩١، ٦ ٧٢، ٧ ١٧٠، ٨ ٣، ٩ ٥ و١١ و١٧-١٨، ١٠ ٨٧، ١٣ ٢٢، ١٤ ٣٧ و٤٠، ١٧ ٧٨، ١٩ ٥٩، ٢٠ ١٤ و١٣٢، ٢١ ٧٣، ٢٣ ١ و٢، ٢٤ ٣٧ و٥٦، ٢٧ ١-٣، ٢٩ ٤٥، ٣٠ ٣١، ٣١ ٤ و١٧، ٣٣ ٣٣، ٣٥ ١٨ و٢٩، ٤٢ ٣٨، ٥٨ ١٣، ٦٢ ٩ و١٠، ٧٠ ١٩-٢٣ و٣٤ و٣٥، ٧٣ ٢٠، ٨٧ ١٤ و١٥، ١٠٧ ٤ و٥.

الإشارة إلى صلاة الجماعة: ٢ ٤٣.

ذم التكاسل عن الصلاة: ٤ ١٤٢.

الإشارة إلى الأذان: ٥ ٥٨.

الصلاة علامة الإيمان: ٢ ١٤٣، ٦ ٩٢، ٢٢ ٣٥.

الصلاة عبادة الأنبياء والمرسلين: ٢ ١٢٥، ١٠ ٨٧، ١١ ٨٧، ١٤ ٣٧ و٤٠، ١٩ ٣١ و٥٤-٥٥، ٣١ ١٧.

الصلاة عبادة الكون كله: ٢٤ ٤١.

الصلاة طريق الحسنات: ١١ ١١٤.

الركوع: ٢ ٤٣ و١٢٥، ٥ ٥٥، ٩ ١١٢، ٢٢ ٧٧، ٤٨ ٢٩.

السجود: ٣ ١١٣، ٧ ٢٠٦، ٩ ١١٢، ١٣ ١ ١٥، ١٦ ٤٩، ٢٢ ٢٦، ٢٥ ٧٦، ٢٧ ٢٥، ٣٢ ١٥، ٣٩ ٩، ٤١ ٣٧، ٥٣ ٦٢، ٦٨ ٤٢-٤٣، ٧٦ ٢٦.

الدعاء وأحكامه وفضله:

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

العلم في القرآن الكريم

علوم أشار إليها القرآن الكريم:

حديث القرآن الكريم عن القرآن

الدعوة إلى الله تعالى

أحكام الأسرة في القرآن الكريم

حقوق الإنسان في القرآن الكريم

الأخلاق الحميدة والآداب العامة

الأخلاق الذميمة والأعمال المحرمة

الرشوة: ٢ ١٨٨، ٤ ٢٩ و٣٠، ٩ ٣٤-٣٥.

أهم المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- المنتخب من تفسير القرآن الكريم.
- مختصر تفسير الطبري.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير السعدي.
- التفسير الميسر مجموعة من العلماء.
- المختصر في تفسير القرآن عدنان زرزور.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
- المصحف المفهرس لشرح موضوعات القرآن ياسر بيومي.
- بصائر ذوي التمييز الفيروزأبادي.
- المصحف المفسر لأسرار التكرار في القرآن ياسر بيومي.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن عبد الباقي.
- كتب السنة.
- متشابهات القرآن أبو الحسن الكسائي.
- الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ جمال إسماعيل.
- سبيل التثبيت واليقين لحفاظ آيات الذكر الحكيم صفي الدين.
- موجز البيان في متشابهات القرآن صفي الدين.
- إرشادات إلى المتشابهات محمد معبد.
- دليل الحيران في متشابهات القرآن الزواوي.
- دليل مواضيع القرآن الشبكة العنكبوتية.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن صبحي عبد الرؤوف.
- معجم مواضيع القرآن دار المعرفة.
- مصحف معاني كلمات القرآن ياسر بيومي.
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة محمد سالم محيسن.
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها محمد سالم محيسن.
- طلائع البشر في القراءات العشر محمد صادق قمحاوي.
- شرح الهداية في توجيه القراءات أبي العباس المهدوي.
- الجواهر في توجيه المتواتر خالد عبد الله.
- دليل المشتاقين إلى كيفية تعلم وحفظ القرآن ياسر بيومي.
- مصحف التبيان المفصل لمتشابهات القرآن ياسر بيومي.
- ألف سؤال وسؤال عن القرآن الكريم محمد خير الدين.
- التبيان في آداب حملة القرآن النووي.
- كيف يحفظ القرآن الكريم الشربيني.
- فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن الضباع.
- فضائل القرآن الكريم ابن عبد الوهاب.
- فضائل القرآن الكريم عبد الله بن جار الله.
- المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني.
- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة القحطاني.
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة محمد السقاف.
- شرح أسماء الله الحسنى السعدي.
- مدارج السالكين ابن القيم.
- القواعد المُثلى في صفات الله وأسمائه الحُسنى ابن العثيمين.
- بدائع الفوائد ابن القيم.
- توضيح الكافية الشافية السعدي.
- التفسير القيم ابن القيم.
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن القيم.
- الحق الواضح المبين الهراس.
- شرح النونية الهراس.
- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ابن عبد الوهاب.
- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- الأسماء والصفات البيهقي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم.
- كتاب التوحيد ابن خزيمة.
- التدمرية ابن تيمية.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن العثيمين.
- الكلام على الصفات الخطيب البغدادي.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان السعدي.
- شأن الدعاء الخطابي.
- الإعجاز العلمي في القرآن مجدي شرف.
- القرآن والعلم هارون يحيى.
- من آيات الإعجاز العلمي زغلول النجار.
- مع آيات الله حسن أبو العينين.
- الطب في القرآن عبد الحميد دياب.
- المفهوم العلمي للجبال زغلول النجار.
- الحقائق العلمية المعاصرة سعد المنسوب.
- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية أحمد مصطفى.
- العلم يقول القرآن هو الحق حسن يوسف.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن السعدي.
- مقالات من الشبكة العنكبوتية.
- البرهان في علوم القرآن الزركشي.
- الإتقان في علوم القرآن السيوطي.
- مباحث في علوم القرآن مناع القطان.
- التبيان في علوم القرآن محمد الصابوني.
- الوجيز في علوم القرآن محمد عبد المعطي.
- طريق الهجرتين ابن القيم.
- مدارج السالكين ابن القيم.
- أنواع الكفر عبد الله الأثري.
- فتح الباري ابن حجر.
- شرح مسلم النووي.
- منهاج المسلم الجزائري.
- آيات عتاب المصطفى في القرآن.
- قصص الأنبياء ابن كثير.
- سيرة ابن هشام.
- قصص القرآن مجموعة من العلماء.
- مقالات متنوعة مجموعة من العلماء.
- فتوى متنوعة مجموعة من العلماء.
- دروس وخطب متنوعة مجموعة من العلماء.
- آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن خالد عائض.
- النبي ﷺ كأنك تراه القسم العلمي بمدار الوطن.
- تعدد الزوجات في الإسلام محمد مسفر.
- التوراة والإنجيل والقرآن جعفر عتريس.

فهرست الملحقات

مباحث في علوم القرآن الكريم

فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم

فهارس لموضوعات القرآن الكريم

إصدارات مطبوعة للمعد ياسر بيومي غفر الله له ولجميع المسلمين

المصحف المفهرس لشرح موضوعات القرآن الكريم

التاريخ والقصص القرآني، أنبياء ذُكِروا في القرآن، محمد ﷺ في القرآن، الإعجاز العلمي في القرآن، حديث القرآن عن القرآن، الدعوة إلى الله، أحكام الأسرة، حقوق الإنسان، الأخلاق الحميدة والآداب العامة والأعمال الصالحة، الأخلاق الذميمة والأعمال المحرمة، العقيدة، الإنسان في القرآن، الجن والشيطان في القرآن، العبادات، الدعاء... وذكر ما في هذه الموضوعات من أحكام وفوائد ودروس وعبر... مذيلاً بـ:

محور موضوعات الآيات، تفسير كلمات القرآن الكريم، فهرسة لسور وأجزاء القرآن

مع استخدام الترميز اللوني للموضوعات المشروحة

المصحف المعلم ((لتيسير حفظ القرآن الكريم))

فكرة المصحف: تم تحديد كل مجموعة من الآيات عن طريق استخدام الترميز اللوني، ثم ذكر نبذة مختصرة عما تتحدث عنه هذه الآيات، ثم ذكر الآيات والألفاظ المتشابهات بهذه المجموعة من الآيات مع الترميز اللوني لها، ثم ذكر تفسير كلمات القرآن، وذلك كله لتسهيل عملية الحفظ، مع ملحق آداب أهل القرآن ونوايا حفظه...

المصحف الجامع لعلوم القرآن الكريم

يحتوي على أكثر من عشرة علوم من علوم القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم، شرح أسماء الله الحسنى، أسباب نزول القرآن، توجيه بلاغي للمتشابهات، فوائد لغوية وبلاغية لاستخدام الألفاظ في القرآن، فوائد الأعمال الصالحة، فوائد الجمع بين الآيات، فوائد وعظية، توجيه بلاغي للقراءات العشر، إعجاز علمي وتشريعي وتاريخي وعددي، نزول كل سورة وعدد حروفها وكلماتها وأسمائها ومواضيعها وفضلها، مع عدة ملاحق في علوم القرآن الكريم، فهارس لموضوعات القرآن الكريم، فهارس لموضوعات سور القرآن الكريم، أحكام تجويد القرآن

مع استخدام الترميز اللوني لكل علم من علوم القرآن الكريم

مصحف التبيان في متشابهات القرآن "مختصر للمتشابهات"

مذيلاً بـ: الأحكام التي تراعى لحفص عند مد المنفصل وقصره، مع ذكر عدة ملاحق في فضائل القرآن الكريم وكيفية حفظه وآداب تلاوته وأحكام تجويده

مصحف معاني كلمات القرآن الكريم

مذيلاً بـ: شرح أسماء الله الحسنى، مع ملحق ثمار وأسرار معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، بيان للأسماء الحسنى والصفات وذكر قواعد لها، فتاوى خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، معلومات عن كل سورة

مصحف التبيان المفصل لمتشابهات القرآن الكريم

مذيلاً بعدة طرق لكيفية ضبط المتشابهات، مع ذكر فوائد تتعلق بتوجيه المتشابه من حيث التفسير، وملحق لمتشابهات كل سورة مع نفسها، ومتشابهات قصص الأنبياء

المصحف المفهرس لمواضيع القرآن الكريم

يمكنك من خلاله استخراج مواضيع القرآن بدون عناء ولا مشقة، وذلك من خلال الفهرسة الموجودة بهامش المصحف

المصحف المفسر لأسرار التكرار في القرآن الكريم

تفسير وبيان لأسرار ما تشابه وتكرر والتبس من آيات القرآن الكريم، مع ذكر فوائد وحكم ومواعظ مستخرجة من الآيات القرآنية، وملحق إعجاز القرآن وتمييزه بالنظم المعجز عن سائر الكلام

مصحف التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم

مذيلاً بـ: محور موضوعات القرآن، وتفسير كلمات القرآن، وشرح موضوعات القرآن، هذا المصحف يحتوي على شرح لموضوعات العقائد والعبادات والقصص وسيرة النبي ﷺ والأخلاق وحقوق الإنسان وأحكام الأسرة والإعجاز... وذكر ما في هذه الموضوعات من أحكام وفوائد ودروس...

مع ملحق فهرس لموضوعات القرآن الكريم

مع استخدام الترميز اللوني للموضوعات المشروحة

دليل المشتاقين إلى كيفية تعلم وحفظ القرآن الكريم

يحتوي هذا الكتاب على أحد عشر فصلاً في علوم القرآن الكريم مع خرائط ذهنية لكل فصل

التعريف بالوحي، التعريف بالقرآن، وفضائله وآداب قارئه ومتعلمه وحامله ومعلمه، والنيات في تلاوته وحفظه وتعليمه، وقواعد لكيفية حفظه وتثبيته ومراجعته، ونماذج لحفاظه، والتعريف بسوره، وأحكام تجويده، وأخطاء شائعة عند قراءته، وبدع قرائه، وفتاوى خاصة به، مع خرائط ذهنية

الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني

جمعت به الآيات المتشابهات الألفاظ بطريقة مختصرة

****

إصدارات تحت الطبع

دليل الطالبين في ضبط متشابه ألفاظ القرآن الكريم

عبارة عن موسوعة متفردة في مادتها وجمعها تحتوي على: متشابهات كل سورة مع غيرها، متشابهات كل سورة مع نفسها، متشابهات المواضع المتفردة في القرآن، متشابهات قصص الأنبياء، متشابهات الآيات المتكررة بنفس النص، ذكر قواعد وطرق مختلفة لضبط المتشابهات، توجيه بلاغي للمتشابهات، فهرس هجائي للمتشابهات

****

مصحف معلم التجويد والقراءة الصحيحة

مذيلاً بـ: الأخطاء الشائعة عند قراءة القرآن الكريم

****

جامع روائع المفسرين بهامش القرآن الكريم

****

مصحف الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

****

مصحف اللطائف القرآنية